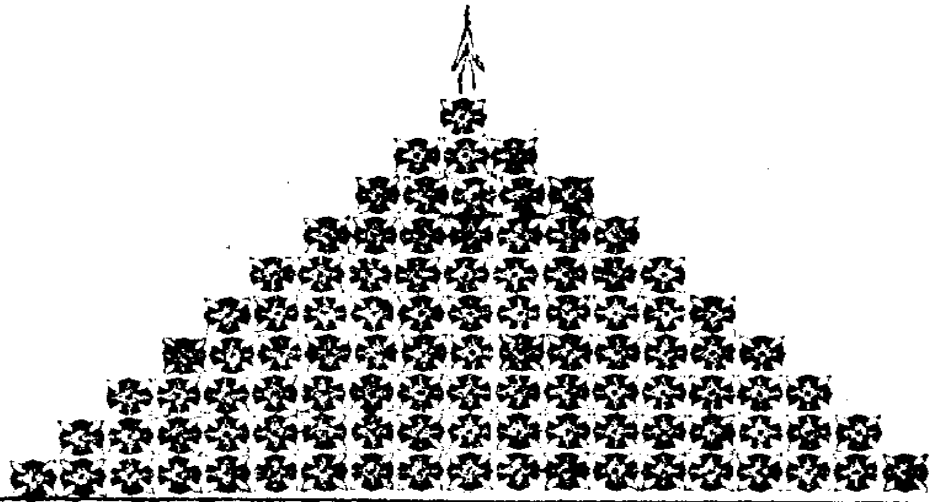


الجزء الثامن السراج المنير في الاعانة على معرفة  
بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للشيخ  
الامام الخطيب النريفي قدس الله  
روحه وعم بالرحمة  
صريحه  
آمين  
٢



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سورة يونس عليه السلام مكتبة﴾

الافان كنت في شك الآيتين أو الثلاث أو ومنهم من يؤمن به الآية مائة وتسع أو عشر آيات  
وعدد كلماتها ألف وثمانمائة واثنان وثلاثون كلمة وحروفها سبعة آلاف وخمسمائة وسبعة  
وستون حرفاً وهي أول المتين ان جعلنا براعة مع الانفال من الطوال والافراة أو لاهن  
(بسم الله) جامع العباد بعد تشريقهم بحاله من العظمة والامتنان (الرحمن) الذي عمهم  
بلايجاد وخص منهم من شاء بالايمان (الرحيم) الذي خص أوليائه بالرضوان المبيع للجنان  
(الر) قال ابن عباس والضحاك الر أنا الله أرى والمرأنا الله أعلم وأرى وقيل أنا الرب لارب  
خبري وقال سعيد بن جبير الروحم ونون حروف اسم الرحمن وقد سبق الكلام على حروف  
الهجاء أول البقرة واقفقوا على أن الروحده ليس آية واتفقوا على أن قوله طه وحده آية  
والفرق أن قوله تعالى الر لايشأ كل مقاطع الآي التي بعده بخلاف قوله تعالى طه فانه يشأ كل  
مقاطع الآي التي بعده وقرأ قالون وابن كثير وخص بفتح الراء والالف بعدها وورش بين  
اللغظين والباقون بالامالة الهضبة (تلك) أي الآيات العظيمة جدا التي اشتملت عليها هذه  
السورة والسورة التي تقدمت هذه السورة وهذه الحروف المقطعة المشيرة الى أن القرآن كلام  
الله تعالى قد أعجز القادرين على التلظيم هذه الحروف (آيات الكتاب) أي الذكر الجملع لكل  
خير وهو هذا القرآن الذي وافق كل ما فيه من القصص كل ما في التوراة والانجيل من ذلك فدل  
ذلك على صدق الآي في به قطعاً لانه لم يكن يعرف شيئاً من الكتابين ولا جالس أحد ايعلمه (الحكيم)

أى المحكم وقوله تعالى (أكان للناس) أى أهل مكة استغفام انكار والتعجب وقوله تعالى  
 (عجبا) خبر كان والعجب تغير النفس بما لا تعرف سببه مما خرج عن العادة ثم ذكر الحامل على  
 العجب وهو اسم كان بقوله تعالى (أن أوحينا) أى ايحناؤنا (الى رجل منهم) أى من أهل مكة  
 ومن قريش وهو محمد صلى الله عليه وسلم يعرفون صدقه ونسبه وأماتته قبل كانوا يقولون العجب  
 ان الله تعالى لم يجدر رسولا يرسله الى الناس الا يقيم أبى طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور  
 نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة وهو لم يكن صلى الله عليه وسلم  
 يقصر عن عظماتهم فيما يعتبر فيه الا فى المال وخفة المال أهون شئ فى هذا الباب ولذلك كان  
 أكثر الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كذلك وقد قال تعالى وما أموالكم ولا اولادكم بالتي  
 تقربكم عندنا زلتى (أن أنذر الناس) عامة أى أعلمهم مع الخوف ما أمامهم من البعث وغيره  
 وأن هى المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول (وبشر الذين آمنوا) انما هم فى الانذار لانه قل  
 أن يسلم أحد من كبيرة أو صغيرة أو هفوة جليله أو حقيرة على اختلاف الرتب وتباين المقامات  
 وخصص البشارة اذ ليس للكافر ما يصح أن يشربه (أن) أى بأن (لهم قدم) أى سلف (صدق  
 عند ربهم) اختلفت عبارات المفسرين وأهل اللغة فى معنى قدم صدق فقال ابن عباس أجزا  
 حسنا ما قدموا من أعمالهم وقال مجاهد الاعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقهم  
 ونسيبهم وقال الحسن عمل صالح أسلفوه يقدمون عليه وقال عطاء مقام صدق لازوال له  
 ولا يوش فيه وقال زيد بن أسلم هو شفاعرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأضيف القدم الى الصدق  
 وهو نعتة كقولهم مسجد الجامع وصلاة الاولى وحب الحصيد وقال أبو عبيدة كل سابق فى  
 خيرا وشرفه وعند العرب قدم قال الشاعر

صل لذي العرش واتخذ قدما \* ينحك يوم العثار والندم

وهو وث شغيقال قدم حسنة و قدم صالحة وقوله تعالى (قال الكافرون ان هذا السحرميين)  
 قرأه نافع وأبو عمرو وابن عامر بكسر السين وسكون الحاء على أن الاشارة للقرآن المشتمل على  
 ذلك والباقون بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء على أن الاشارة للنبي صلى الله عليه وسلم  
 (ان ربكم) الموجد لكم والمربي والمحسن هو (الله الذى خلق) أى قدروا ووجد (السموات  
 والارض) على انشاءهما وكثرة ما فيها من المنافع (فى ستة أيام) من أيام الدنيا أى فى قدرها لانه  
 لم يكن ثم شمس ولو شاء خلقهما فى لحظة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت (فان قيل) ان اليوم قد  
 يراد به اليوم مع ليلته وقد يراد به النهار وحده فما المراد (أجيب) بأن الغالب فى اللغة أنه مراد  
 باليوم اليوم بليته ولما وجد سبحانه وتعالى هذا المطلق الكبير المتباعد الاقطار الواسع  
 الاقشار المقتدر الى عظيم التدبير ولطيف التصريف والتقدير عبر سبحانه وتعالى عن عمله  
 فيه عمل المولى فى ممالكهم بقوله مشيرا الى عظمته بأداة التراخي (ثم استوى) أى عمل فى تدبيره  
 واتقان ما فيه واحكامه عمل المعنى بذلك (على العرش) المتقدم وصفه فى الاعراف بالعظمة  
 وليست ثم للترتيب بل كما ينع عن حلو الرتبة وبعد منازلها ثم بين ذلك الاستواء بقوله (يدير)

(الامر) كله فلا يخفى عليه عاقبة امر من الامور لان التدبير اعدل احوال الملك فالاستواء  
 كناية عنه وقوله تعالى (ما من شفيح الا من بعد اذنه) تقرير لعظمته جل وعلا ورد على من زعم  
 ان الهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له (ذاكم الله) أي الموصوف تلك  
 الصفات المقتضية للالوهية والربوبية (ربكم) أي الذي يستحق العبادة منكم (فاعبدوه) أي  
 وحدوه ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو انسان فضلا عن جاد لا يضر ولا ينفع فان  
 عبادتكم مع التشريك ليست عبادة ولولا فضلهم لم يكن لمن زل أدنى زلة طاعة وقوله تعالى  
 (أفلاتنكرون) قرأه حفص وحزرة والكسائي بضم السين وتخفيف الذال والباقون بالتشديد بادغام التاء  
 في الاصل في الذال أي فلا تتفكرون أدنى تفكر فينبئكم عن أنه المستحق للربوبية والعبادة  
 لاما تعبدونه (اليه) تعالى (مرجعكم) أي رجوعكم بالموت والنشور حالة كونكم (جميعا)  
 لا يتخلف منكم أحدا فاستعدوا للقائه وقوله تعالى (وعد الله) مصدر منصوب بفعله المقدر مؤكدا  
 لنفسه لان قوله تعالى اليه مرجعكم وعدم من الله وقوله تعالى (حقا) أي صدقا لا خلاف فيه  
 مصدر آخر منصوب بفعله المقدر مؤكدا لغيره وهو ما دل عليه وعد الله (انه يبدأ الخلق) أي يحييهم  
 ابتداء (ثم يعيده) أي ثم يعييتهم ثم يحييهم وفي هذا دليل على الحشر والنشر والمعاد وصحة وقوعه  
 ورد على منكري البعث ووقوعه لان القادر على خلق هذه الاجسام الموائمة والاعضاء المركبة  
 على غير مثال سبق قادر على اعادة ما بعد تفرقها بالموت واليبس فيركب تلك الاجزاء المتفرقة  
 تركيبا ثانيا ويخلق الانسان الاقوى من الاول مرة أخرى فاذا ثبت القول بصحة المعاد والبعث بعد الموت  
 كان المقصود منه ايصال الثواب للمطيع والعقاب للعاصي وهو قوله تعالى (ليجزى الذين آمنوا  
 وعملوا الصالحات بالقسط) أي بالعدل لا ينقص من اجورهم شيئا (والذين كفروا هم شراب  
 من حميم) وهو ماء حار قد انتهى حره (وعذاب اليم) أي بالغ في الايلام (بما كانوا يكفرون) أي  
 بسبب كفرهم (هو الذي جعل الشمس ضياء) أي ذات ضياء (والقمر نورا) أي ذات نور وخص  
 الشمس بالضياء لانه اقوى واكد من النور وخص القمر بالنور لانه اضعف من الضياء لان  
 الشمس نيرة في ذاتها والقمر نير بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها وقرأ قبل بهمزة  
 مفتوحة ممدودة بعد الضاد والباقون ياء مفتوحة والضمير في قوله تعالى (وقدره منازل) يرجع  
 الى الشمس والقمر أي قدر مسير كل واحد منهما منازل أو قدره ذات منازل أو يرجع الى القمر  
 فقط وتخصيصه بالذكر لسرعة مسيره ومعايينة منازلها واناطة أحكام الشرع به ولذلك علمه بقوله  
 تعالى (لتعلموا عدد السنين والحساب) أي حساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم  
 وتصرفاتكم لان الشهور والمعتبرة في الشريعة مبنية على رؤية الالهة والسنة المعبرة  
 في الشريعة هي السنة القمرية كما قال تعالى ان عدة الشهور عند الله اثني عشر شهرا في كتاب  
 الله (فائسة) منازل القمر ثمانية وعشرون منزلا واسماؤها الشرطان والبطين والثريا  
 والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة  
 والعوا والسملك والغفر والزباني والاكبل والقلب والشولة والنعام والبلدة

وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرغ الدولو المقدم وفرغ الدولو  
المؤخر وبطن الحوت وهذه المنازل مقسومة على البروج وهي اثنا عشر برجا الحمل والثور  
والجوزاء والسرطان والاسد والسقبة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو  
والحوت فلكل برج منزلان وثلاث فينزل القسمر في كل ليلة منه منزلا فيستتر ليلتين ان كان  
الشهر ثلاثين وان كان تسعا وعشر بين فليلته واحدة فيكون انقضاء الشهر مع نزوله تلك المنازل  
ويكون مقام الشمس في كل منزلة ثلاثة عشر يوما فيكون انقضاء السنة مع انقضائها وانتفاع  
الخلق بوضوء الشمس وبنور القمر عظيم فالشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل وبحركة  
الشمس تنفصل السنة الى هذه الفصول الاربعة وبالفصول الاربعة تنظم مصالح هذا العالم  
وبسبب الحركة اليومية يحصل النهار والليل والنهار يكون زما نالتكسب والطلب والليل يكون  
زما نالراحة (ما خلق الله ذلك) المذكور (الابالحق) أي لم يخلق ذلك باطلا ولا عبثا تعالى الله عن  
ذلك اظهار القدرته ودلائل وحدانيته وتظهيره قوله تعالى في آل عمران ويتذكرون في خلق  
السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال تعالى في سورة أخرى وما خلقتنا السماء  
والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا (يفصل) أي بين (الآيات) أي الدلائل  
الباهرة واحدة في اثر واحدة بيا ناشغيا (لقوم يعلمون) فانهم المستفوعون بالتأمل فيها وقرأ ابن  
كثير وأبو عمرو وحقق بالياء والباقون بالنون ولما استدل سبحانه وتعالى على اثبات الالهية  
والتوحيد بقوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وثانيا بأحوال الشمس  
والقمر استدل ثالثا بقوله تعالى (ان في اختلاف الليل والنهار) أي بالجمي والذهاب والزيادة  
والنقصان ورابعاً بقوله تعالى (وما خلق الله في السموات) من ملائكة وشمس وقر ونجوم  
وغـير ذلك (و) ما خلق الله في (الارض) من حيوان وجبال وبحار وأنهار وأشجار وغير ذلك  
\* (فائدة) \* أقسام الحوادث في هذا العالم محصورة في أربعة أقسام أحدها الاحوال الحادثة  
في العناصر الاربعة ويدخل فيها أحوال الرعد والبرق والسهاب والامطار ويدخل فيها  
أيضاً أحوال البحار والصواعق والرازل والخسف وثانيتها أحوال المعادن وهي عجيبة كثيرة  
وثالثها اختلاف أحوال النبات ورابعها اختلاف أحوال الحيوانات وجملة هذه الاقسام  
الاربعة داخله في قوله تعالى وما خلق الله في السموات والاستقصاء في شرح هذه الاحوال  
لا يدخل تحت الحصر بل كل ما ذكره العقلاء في أحوال أقسام هذا العالم فهو جزء مختصر  
من هذا الباب (آيات) أي دلالات على قدرته تعالى (لقوم يتقون) الله فانه يحملهم على  
التفكير والتذكر وخصهم بالذكور لانهم المستفوعون بها حال القفال من تدبر في هذه الاحوال علم أن  
الدينا مخلوقة لشقاء الناس فيها وان خالقها وخالقهم ما أهملهم بل جعلها لهم دار عمل واذا  
كان كذلك فلا بد من أمر ونهي ثم من ثواب وعقاب ليميز المحسن عن المسيء فهذه الاحوال  
في الحقيقة دالة على صحة القول باثبات المبدأ واثبات المعاد ولما أقام الله سبحانه وتعالى  
الدلائل القاهرة على صحة القول باثبات الاله الرحمن وعلى صحة القول باثبات الاله الرحيم الحكيم

وعلى صحة القول بالمعاد والحشر والنشر شرع في شرح أحوال من يكفر بها وشرح أحوال من يؤمن بها وقد ابتدأ بأولها ووصفه بأربع صفات مبتدئاً بأولها بقوله تعالى (ان الذين لا يرجون لقاءنا) أى لا يخافونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها فهم مكذبون بالثواب والعقاب والرجاء يكون بمعنى الخوف بمعنى الطمع فن الاوّل قول العرب فلان لا يرجو فلاناً بمعنى لا يخافه ومنه قوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقاراً ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي \* اذلستته العمل لم يرج لسعها \* أى لم يخفها ومن الثانى قولهم فلان يرجو فلاناً أى يطمع فيه والمعنى لا يطمعون فى ثوابنا والصفة الثانية والثالثة قوله تعالى (ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها) فبعضهم ملون لها عمل المقيم فيها مع ما يشاهدونه من سرعة زوالها منهم كين فى لذاتها وزخارفها وسكنوا فيها اسكون من لا ينزع عنها والصفة الرابعة قوله تعالى (والذين هم عن آياتنا) أى دلائل وحدانيتنا (عافلون) تاركون النظر فيها بمنزلة العافل عن الشئ الذى لا يخطر بباله طول عمره ذلك الشئ وبالجملة فهذه الصفات الاربعة دالة على شدة بعدهم عن طلب الاستعداد بالسعادات الاخرى ويحتمل أن الصفة الاخيرة لفرق آخر ويكون المراد بالاولين من أنكر البعث ولم يرد الا الحياة الدنيا وبالآخر من الهام حب العاجل عن التأمل فى الآجل والاعداد له ولما وصفهم الله تعالى بتلك الصفات قال (أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) من الشرك والمعاصى ولما شرح أحوال المنكرين الجاحدين ذكر تعالى شرح من يؤمن بها فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) والاعمال الصالحة عبارة عن الاعمال التى تحمل النفس على ترك الدنيا وطلب الآخرة والاعمال المذمومة ما يـكـون بالصدق من ذلك (بهم) أى يرشدهم (بهم) أى بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يودى الى الجنة أو لما يريدونه فى الجنة أو لادراك الحقائق كما قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وقال مجاهد المؤمنون يكون لهم نور يمشى بهم الى الجنة وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة حسنة فيقول أنا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة سيئة فيقول أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار ومفهوم ترتب الهداية على الايمان والعمل الصالح قد دل على أن سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله جل وعلا بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتمة والرديف ثم انه تعالى لما وصفهم بالايمان والاعمال الصالحة ذكر بعد ذلك درجات كراماتهم ومراتب سعاداتهم وهى أربعة الاولى قوله تعالى (تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم) أى يكونون جالسين على سرر مرر فوعة فى البساتين والانهار تجرى من بين أيديهم ينظرون اليها من أعالي أسرتهم وقصورهم ونظيره قوله تعالى قد جعل ربك تحتك سرباً فهى ما كانت قاعدة عليه ولكن المعنى بين يديك وكذا قوله وهذه الانهار تجرى من تحتي أى بين يدي فكذا هنا الثانية قوله تعالى (دعواهم فيها) قال بعض المفسرين أى طلبهم لما يشتهون فى الجنة أن يقولوا (سبحانك) أى تنزهك من كل سوء ونقيصة (اللهم) أى يا الله فاذا ما طلبوا

بين أيديهم على مواثد كل مائة ميل في ميل على كل مائة سبعون ألف صحيفة في كل صحيفة لون من  
الطعام لا يشبه بعضها بعضاً فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله تعالى فذلك قوله تعالى وآخر  
دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وأن المراد بقوله سبحانه اللهم اشتغال أهل الجنة بالتسبيح  
والتحميد والتقديس لله تعالى والثناء عليه بما هو أهله وفي هذا الذي كرسورهم وابتهاجهم وكال  
لذاتهم وهذا أولى ويدل عليه ما روى عن جابر رضي الله تعالى عنه أنه قال سمعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم يقول أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا  
يتخبطون قالوا خيال الطعام قال جشاء ورتج كرتج المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما  
يلهمون النفس أي يخرج ذلك الطعام جشاء وعرقا الثالثة قوله تعالى (وتحيتهم) فيما بينهم  
وتحية الملائكة لهم (فيها) أي الجنة (سلام) وتأتيهم الملائكة أيضاً من عندهم بالسلام قال  
تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال تعالى سلام قولاً من رب رحيم  
الرابعة قوله تعالى (وآخر دعواهم) أي وآخر دعواتهم (أن الحمد لله رب العالمين) أي أن يقولوا  
ذلك وأن هي المحففة من الثقلية وقد ذكرنا أن بعض المفسرين جعل التسبيح والتحميد على  
أحوال أهل الجنة بسبب الماء كقول والمشروب فانهم إذا اشتروا شيئاً قالوا سبحانه اللهم فحصل  
ذلك الشيء فاذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترتفع الموائم عند ذلك قال الرازي وهذا  
القائل ما رقى نظره في دينه وأخره عن الماء كقول والمشروب وحقيق بمثل هذا الإنسان أن يعتدي في  
زمره البهائم وأما المحققون فقد تروا ذلك اه ولا ينبغي هذه المبالغة فقد قاله البغوي وتبعه  
جماعة من المفسرين وقال الزجاج أعلم الله أن أهل الجنة يفتحون بتعظيم الله تعالى وتنزيهه  
ويحتمون بشكره والثناء عليه قال البيضاوي المعنى أنهم إذا دخلوا الجنة وعابوا عظمة الله  
تعالى وكبرياءه ومجده ونعمته ونعمته بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والقوز  
بأصناف الكرامات أو الله تعالى فحمدوه وأنشأ عليه بصفات الأكرام ولما وصف الله تعالى  
الكفار بأنهم لا يرجون لقاء الله ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وكانوا عن آيات الله غافلين  
بين أن من غفلتهم أن الرسول متى أئذهم استجلبوا العذاب جهلاً منهم وسفها بقوله تعالى (ولو  
يجعل الله للناس الشر) أي ولو يجعل الله للناس اجابة دعواتهم بالشر فيما لهم فيه مضرة ومكروه  
(استجلبواهم بالخير) أي كما يحبون أن يجعل لهم اجابةهم بالخير (لقضى اليهم أجلهم) أي لاهلكهم  
ولكن جعلهم نزلت في النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر  
علينا حجارة من السماء أو انتنا بعذاب أليم ويدل عليه قوله تعالى (فتذر) أي فتترك الذين  
لا يرجون لقاءنا في طغيانهم) أي في تمردهم وعتوهم (يعمهمون) أي يترددون متصيرين وقال ابن  
عباس هذا في قول الرجل عند الغضب لاهله وولده لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو  
دعاء الرجل على نفسه وأهله وماله بما يكره ان يستجاب له فيه وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني أتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه انما أنا بشر فأرى  
المؤمنين اذيتهم أو شقته أو جلده أو لعنته فاجعلها له صلاة وذكاة وقربة تقر به بها إلى يوم

القيامة (فان قيل) قابل التحجيل في الآيات بالاستحجال وكان مقتضى النظم أن يقابل التحجيل  
 بالتحجيل والاستحجال بالاستحجال أجب بأن تقدير الكلام ولو يجعل الله للناس الشر تحجيلة  
 للخيرين استجملوه استججالا كاستحجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه وقال في  
 الكشف أصل هذا الكلام ولو يجعل الله للناس الشر تحجيلة لهم بالخير إلا أنه وضع استحجالهم  
 بالخير موضع تحجيلة لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم وأسعافه بطلبهم حتى كان استحجالهم  
 بالخير تحجيل لهم \* وما حكى تعالى عنهم أنهم يستجملون في نزول العذاب بين أنهم كاذبون في ذلك  
 الطلب والاستحجال بقوله تعالى (واذا من الانسان) أي الكافر (الضر) أي المرض والقر  
 (دعانا جنبه) أي على جنبه مضطجعا (أوقاعدا أوقاعما) وفائدة التردد تعميم الدعاء لجميع  
 الاحوال أو لاصناف المضار والمعنى أنه لو نزل بالانسان أدنى شيء يكرهه ويؤذيه فانه يتضرع  
 الى الله تعالى في ازالته عنه وفي دفعه عنه وذلك يدل على أنه ليس صادقا في طلب الاستحجال  
 (فلما كشفنا عنه ضره) أي أزلنا عنه ما نزل به (متر) أي مضى على ما كان عليه من الكفر (كان  
 لم يدعنا) أي كانه فأسقط الضمير على سبيل التخفيف ونظيره قوله تعالى كان لم يلبثوا (الى ضر  
 مسه) قال الحسن نسي ما كان دعا الله فيه وما صنع الله به في ازالة ذلك البلاء عنه وانما جعل  
 الانسان في هذه الآية على الكفر لان العمل المذكور لا يليق بالمسلم البتة وقول بعضهم كل  
 موضع في القرآن ورد فيه ذكر الانسان فالمراد هو الكافر مردود فقد قال تعالى هل أتى على  
 الانسان حين من الدهر وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين وقال تعالى  
 واقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه وأما المؤمن اذا ابتلى ببلية ومحنة وجب عليه رعاية  
 أمور أولها أن يكون راضيا بقضاء الله تعالى غير معترض بالقلب واللسان عليه وانما وجب عليه  
 ذلك لانه تعالى مالك على الاطلاق ومالك بالاستحقاق فله أن يفعل في ملكه ما شاء ولانه تعالى  
 حكيم على الاطلاق وهو منزّه عن فعل العيب فكل ما فعله فهو حكمة وصواب فيجب عليه الصبر  
 وترك القلق فان أبقى عليه تلك المحنة فهو عدل وان أزالها عنه فهو فضل وثانيها أنه في ذلك  
 الوقت ان اشتغل بذكر الله تعالى والثناء عليه بدلا عن الدعاء كان أفضل لقوله صلى الله عليه وسلم  
 حكاية عن الله تعالى من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ولان  
 الاشتغال بالذكر اشتغال بالحق والاشتغال بالدعاء اشتغال بطلب حظ النفس ولا شك ان الاول  
 أفضل وثالثها أنه تعالى اذا أزال عنه تلك البلية وجب عليه أن يبالغ في الشكر وأن لا يتخلو عن  
 ذلك الشكر في السراء والضراء واحوال الشدة والرخاء فهذا هو الطريق الصحيح عند نزول  
 البلاء وحينئذ يكون المؤمن على الضد من الكافر لان الكافر منهك في الشهوات والاعراض  
 عن العبادات كما قال تعالى (كذلك) أي مثل ما زين لهؤلاء الكافرين هذا العمل القبيح (زين  
 للمسرفين) أي المشركين (ما كانوا يعملون) من القبائح لاعراضهم عن الذكر واتباعهم  
 الشهوات وانما هي الكافر مسرفا لانه أتلف نفسه بتضييعها في عبادة الاوثان وأتلف ماله في  
 البخيرة والسائبة والوصيلة والمزين هو الله تعالى لانه مالك الملك والخلق كلهم عبيده يتصرف



فيهم كيف شاء وقيل هو الشيطان وذلك باقدار الله تعالى اياه على ذلك والافهوا وآخر وأحقر  
 (ولقد أهلكنا القرون) أي الأمم الماضية (من قبلكم) بأهل مكة (لما ظلموا) أي حين أشركوا  
 وقوله تعالى (وجاءتهم رسالهم بالبينات) أي بالحجج الدالة على صدقهم حال من الواو باضمار قد  
 أو عطف على ظلوا (وما) أي والحال أنهم ما (كانوا يؤمنوا) أي وما استقام لهم أن يؤمنوا ولو  
 جاءتهم كل آية لعله تعالى بأنهم يعوتون على كفرهم واللام لتأ كيد النبي (كذلك) أي مثل ذلك  
 الجزاء العظيم وهو اهلا كههم لما كذبوا رسالهم (نجزي القوم المجرمين) أي نجزيكم بأهل مكة  
 بتكذيبكم محمد صلى الله عليه وسلم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانهم  
 اعلام فيه (ثم جعلناكم) أي أيها المرسل اليهم أشرف رسلنا (خلقت) جمع خليفة (في الارض  
 من بعدهم) أي استخلفناكم فيها بعد القرون التي أهلكناها استخلاف من يجتبر (النظر) ونحن  
 أعلم بكم من أنفسكم في علم الشهادة لاقامة الحججة (كيف تعملون) من خبراً وشر فبما يزيدكم به  
 وقد مرت نظر هذا ومنه قوله تعالى ليلوكم أيكم أحسن عملاً وقال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا  
 خضرة حلوة وان الله مستخفكم فيها فانظروا كيف تعملون وقال قتادة صدق الله ربنا ما جعلنا  
 خلفاء الا لينظر الى أعمالنا فأروا الله من أعمالكم خيراً بالليل والنهار قال الزجاج وموضع  
 كيف نصب بقوله تعملون أي لا معمول تنظر لانها حرف استتفهام والاستفهام لا يعمل  
 فيه ما قبله لان له صدر الكلام فلا يتقدمه عامله وظاهر كلامه أن كيف مقبول لتعملون  
 وجهور النصاة على أنه حال من ضمير تعملون (واذا تلى عليهم) أي واذا قرئ على هؤلاء  
 المشركين (آياتنا) أي القرآن الذي أنزلناه اليك يا محمد حالة كون تلك الآيات (بينات) أي  
 ظاهرات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك (قال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يخافون  
 عذابنا ولا يرجون ثوابنا لانهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكراً للبعث بعد  
 الموت فانه لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً (أنت) أي من عندك (بقرآن) أي كلام مجموع جامع  
 لما تريد (غير هذا) في نظمه ومعناه (أو بدله) بالفاظ أخرى والمعاني باقية وقد كانوا عالمين  
 بأنه صلى الله عليه وسلم مثاهم في العجز عن ذلك ولكنهم قصدوا أن يأخذوا في التفسير صاعلي  
 اجابة مطلوبهم فيبطل مدعاه أو يهلك واختلف في هذا القتال فقال قتادة هم مشركوا أهل  
 مكة وقال مقاتل هم خصة نفر عبد الله بن أمية الجعفي والوليد بن المغيرة ومكدر بن حفص ومرو  
 ابن عبد الله بن أبي قيس العامري والعامري بن عامر بن هشام قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم  
 ان كنت تريد أن تؤمن بك فأت بقرآن ليس فيه ترك لعبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه  
 عيبها وان لم ينزل الله فقل أنت من عند نفسك أو بدله فاجعل مكان آية عذاب آية راحة أو مكان  
 حرام حلالاً أو مكان حلال حراماً ولما كان كانه قبل فإذا أقول لهم قال الله تعالى (قل) لهم  
 (ما يكون) أي ما يصح (لي) ولا يتصور بوجه من الوجوه (ان أبدلهم تلقاه) أي قبل  
 (نفسى) وانما كتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الايتان بقرآن آخر  
 وقرآن نافع وأبو عمرو وضع الباء والباقون بالسكون (ان) أي ما (أتبع الامايوسى الى) فيما

قوله لانها حرف  
 استفهام كذا في  
 النسخ وظاهر أن  
 كيف اسم لا حرف  
 اه معصمه

أمركم به أو أنها كم عنه أي لا آتى بشئ ولا أدر شيأ من نحو ذلك الامتبعوا لوصي الله تعالى  
 وأوامره ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس الى تبديل  
 ولا نسخ (انى أخاف ان عصيت ربي) أى بتبديله (عذاب يوم عظيم) فانى مؤمن به غير مكذب ولا  
 شك كغيري ممن يتكلم الهذيان بما لا يخاف عاقبته في ذلك اليوم الذى تذهل فيه كل مرضعة  
 عما أرضعت وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ولى وانى بفتح الياء والباقون بالسكون (قل) يا محمد  
 لهؤلاء المشركين الذين طلبوا منك تفسير القرآن وتبديله (لو شاء الله ما تلوته عليكم) أى لو شاء  
 الله لم ينزل هذا القرآن ولم يأمرنى بقراءته عليكم (ولا أدراكم به) أى ولا أعلمكم به على لسانى  
 وقرأ ابن كثير بخلاف عن البرى بقصر الهجزة بعد اللام جواب لو أى لا أعلمكم به على لسان  
 غيرى والباقون بالمد المنفصل وقوله تعالى (فقد لبثت) أى مكثت قراءة نافع وابن كثير  
 وعاصم باظهار الشاء عند التاء والباقون بالادغام (فيكم عمرا) سنين أربعين (من قبله) أى قبل  
 أن يوحى الى هذا القرآن لا أتلوه ولا أعلمه فنى ذلك اشارة الى أن هذا القرآن مخرج خارقالعادة  
 وتقريره ان أولئك الكفار كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقول عمره الى ذلك  
 الوقت وكانوا عالمين بأحواله وأنه ما طالع كتابا ولا تلمذ لاستاذ ولا تعلم من أحد ثم بعد انقراض  
 أربعين سنة على هذا الوجه جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على نقائس علم الاصول ودقائق  
 علم الاحكام ولطائف علم الاخلاق وأسرار قصص الاولين ومجيز عن معارضته العلماء والفصحاء  
 والبلغاء وكل من له عقل سليم فانه يعرف أن مثل هذا لا يحصل الا بالوحى والالهام من الله تعالى  
 (أفلا تعقلون) أى أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكير لتعلموا أن مثل هذا الكتاب  
 العظيم على من لم يمهلم ولم يتلمذ ولم يطالع كتابا ولم يمارس مجادلة أنه لا يكون الا على سبيل الوحى من  
 الله تعالى لا من مثلى وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم اتت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء  
 اليه (تبييه) أقام صلى الله عليه وسلم بعد أن أوحى اليه بمكة ثلاث عشرة سنة ثم هاجر فأقام  
 بالمدينة عشر سنين وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة قال النووي ورد فى عمره صلى الله عليه  
 وسلم ثلاث روايات احداها أنه توفى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ستين سنة والثانية خمس  
 وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهى أصحها وأشهرها وتأولوا رواية ستين بأن راويها  
 اقتصر فيها على العقود وترك الكسر ورواية الخمس أيضا متأولة وحصل فيها الشبهة ولما أقيمت  
 الدلائل على أن هذا القرآن من عند الله وجب أن يقال انه ليس فى الدنيا أحد أجهل ولا أظلم  
 على نفسه من منكر ذلك كما قال تعالى (فن) أى لا أحد (أظلم من افترى) أى نعمد (على  
 الله كذبا) أى أى كذب كان من شريك أو ولاء أو غير ذلك وكان الاصل مبنى على تقدير أن  
 يكون هذا القرآن من عنده ولكنه وضع هذا الظاهر مكانه تعميما وتعلقا بالحكم بالوصف  
 (أو كذب بآياته) أى دلائل توحيده فكفر بها كما فعلتم أنتم وذلك من أعظم الكذب وقوله تعالى  
 (أنه) أى الشأن (لا يفلح) بوجه من الوجوه (المجرمون) أى المشركون تأكيديا سابق من  
 هذين الوصفين (ويصدون) أى هؤلاء المشركون (من دون الله) أى غيره (ملا يضرهم) أى

ان لم يعبدوه (ولا ينفعهم) أي ان عبدوه وهو الاصنام لانها حجارة وجماد لا تضمر ولا تنفع  
 والكافرون قادرون على التصرف فيها تارة بالاصلاح وتارة بالافساد واذا كان العابد أصليح  
 حال من المعبود كانت العبادة باطلة لان العبادة أعظم أنواع التعظيم فلا تليق الا بمن يضمر  
 وينفع بان يثيب على الطاعة ويعاقب على المعصية وكان أهل الطائف يعبدون اللات وأهل  
 مكة يعبدون العزى ومناة وهبل واسافا ونائلة (ويقولون هؤلاء) أي الاصنام التي نعبدوها  
 (شفعاً ونا عند الله) ونظيره قوله تعالى اخبار اعنهم ما نعبدهم الا ليقرّبونا الى الله زلفى وقيل  
 انهم وضعوا هذه الاصنام والاوثان على صوراً نبيائهم وأكابرهم وزعموا أنهم متى اشتغلوا  
 بعبادة هذه التماثيل فان أولئك الاكابر يـكـوـنـون شفعاء لهم عند الله قال الرازي وتطيره  
 في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الاكابر على اعتقاد أنهم اذا عظموا قبورهم  
 فانهم يكونون شفعاء لهم عند الله اه ولكن تعظيمهم لهؤلاء ليس كتعظيم الكفار وفي هذه  
 الشفاعة قولان أحدهما أنهم يزعمون أنها تشفع لهم فيما بهم من أمور الدنيا في اصلاح  
 معاشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بعث الموت والثاني أنهم يزعمون أنها تشفع لهم  
 في الآخرة ان يكن بعث قاله ابن جرير عن ابن عباس وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط  
 جهالتهم حيث تركوا عبادة موجدهم الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعاً أنه لا يضمر ولا ينفع  
 على توهم أنه ربما يشفع لهم قال النضر بن الحرث اذا كان يوم القيامة شفعت الى اللات والعزى  
 وقوله تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين (أنتبثون) أي تخبرون (الله) وهو العالم بكل شئ  
 المحيط بكل محيط (بما لا يعلم) أي لا يوجد له به علم في وقت من الاوقات استفهام انكار تهكم  
 بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الاصنام واعلام بأن الذي انبؤا به باطل غير منطوق  
 تحت الصفة فكأنهم يحبرونه بشئ لا يتعلق به علمه وقوله تعالى (في السموات والارض)  
 تأكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيه ما فهو منتف معدوم وهذا على طريق الازام والمقصود نفي علم  
 الله بذلك الشفيع وأنه لا وجود له البتة لانه لو كان موجودا لكان معلوماً لله تعالى وحيث لم يكن  
 معلوماً لله تعالى وجب أن لا يكون معلوماً موجودا وهذا مثل مشهور في العرب فان الانسان  
 اذا اراد نفي شئ عن نفسه يقول ما علم الله ذلك مني ومقصود أنه ما حصل ذلك الشئ منه قط ولا  
 وقع (سجانه) أي تنزيهاً له عن كل شئ فيه شائبة نقص (وتعالى عما يشركون) ما مصدرية أو  
 موصولة اي عن اشراكهم أو عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على  
 الخطاب لقوله أنتبثون الله والباقون بالياء على الغيبة فكأنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم  
 قل أنت سجانه وتعالى عما يشركون ويجوز أن يكون الله سجانه وتعالى هو الذي نزه نفسه  
 عما قالوه فقال سجانه وتعالى عما يشركون ولما أقام تعالى الدلالة القاهرة على فساد القول  
 بعبادة الاصنام بين السبب في كيفية حدوث هذا المذهب الفاسد بقوله (وما كان الناس الا أمة  
 واحدة) أي جميعاً على الدين الحق وهو دين الاسلام وقيل على الضلال في فترة الرسل واختلف  
 القائلون بالاول أنهم متى كانوا كذلك فقال ابن عباس ومجاهد كانوا على دين الاسلام من لدن

آدم الى أن قتل قابيل هايل وقال قوم الى زمن نوح وكانوا عشرة قرون ثم اختلفوا في عهد نوح  
 فبعث الله تعالى اليهم نوحا وقال آخرون كانوا على دين الاسلام من زمن نوح بعد الفرق حيث لم  
 يذره الله على الارض من الكافرين ديارا الى أن ظهر الكفر فيهم وقال آخرون من عهد ابراهيم  
 عليه السلام الى زمن عمرو بن لحي وهذا القائل قال المراد من الناس في قوله تعالى وما كان  
 الناس الا أمة واحدة العرب خاصة (فاختلفوا) بأن ثبت بعض وكفر بعض (ولولا كلمة سبقت  
 من ربك) وهو تأخير الحكم الى يوم القيامة وقيل تلك الكلمة هي قوله سبحانه سبقت  
 رحمتي غضبي فلما كانت رحمة غالبية اقتضت تلك الرحمة الغالبة اسبال الستر على الجاهل الضال  
 وامهاله الى وقت الوجدان (لقضى بينهم) أي الناس ينزل العذاب في الدنيا دون يوم القيامة  
 (فمياقبة يختلفون) من الدين باهلال المبطل وابقاء المحق وكان ذلك فصلا بينهم (ويقولون) أي  
 كفار مكة (لولا) أي هلا (أنزل عليه) أي محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) أي غير ما جاء به  
 كما كان للأنبياء من الناقة والعصا واليد (فقل) يا محمد لهؤلاء الكفرة المعاندين (انما الغيب)  
 أي ما غاب عن العباد أمره (قل) أي هو المختص بعلمه ومنه الآيات فلا يأتي بها الا هو وانما  
 على التبليغ (فاتظروا) أي نزول ما اقترحوه وقيل نزول العذاب ان لم يؤمنوا (انني معكم من  
 المنتظرين) أي لما يفعل الله تعالى بكم لعنادكم وبجودكم الآيات وكفى بالقرآن وحده آية  
 باقية على وجه الدهر بديعة في الآيات رقية الملك بين المعجزات مع عجزكم عن معارضته بتبديل  
 أو غيره فأى عناد أعظم من هذا (واذا أذقنا الناس) أي كفار مكة (رحمة) أي صحة وسعة  
 (من بعد ضراء) أي شدة وبلاء (مستهم) سلط الله تعالى القطع سبع سنين على أهل مكة حتى  
 كادوا يهلكون ثم وجههم فأنزل عليهم المطر الكثير حتى اخصبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك  
 فلم يتعظوا بذلك بل رجعوا الى العناد والكفر كما قال تعالى (اذ اللهم مكروا في آياتنا) بالاستهزاء  
 والتكذيب وقيل لا يقولون هذا من وزيق الله انما يقولون سقيننا بنوء كذا وعن أبي هريرة رضي  
 الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى ليصبح القوم بالنعمة ويعسيهم بها  
 فيصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا والنوء عند العرب هي منازل القمر اذا  
 طلع نجم سقط نظيره (قل الله) أي قل لهم يا محمد الله (أسرع مكرا) منكم أي أجعل عقوبة وأشد  
 أخذاً وأقدر على الجزاء ومعنى الوصف بالاسرعية أنه قضى بعقابهم قبل تدبيرهم مكابدهم  
 والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى اما الاستدراج أو الجزاء على المكر فانهم لما قابلو انعمة  
 الله بالمكر قابل مكرهم بأشدهم وهو امهالهم الى يوم القيامة (ان رسلنا) أي الحنيفة الكرام  
 الكاسين (يكثيرون ما تكفرون) لانهم وكلوا بكم قبل كونكم نطقا ولم يوكلوا بكم الا بعد علم موكلهم  
 بكل ما تفعلونه ولا يكثيرون مكركم الا بعد اطلاعهم عليه واما هو سبحانه وتعالى فانه اذا قضى قضاء  
 لا يمكن أن يطلع عليه رسله الا باطلاعه فكيف بغيرهم واذا تبين أنه عالم بأموالهم وهم جاهلون  
 بأموالهم علم أنه لا بدعهم يدبرون كيدا الا وقد سبب له ما يجعله في تصورهم وقرأ أبو عمرو وبسكون  
 السين والياقون بالرفع ثم أخذ سبحانه وتعالى يبين ما يتضح به أسرية مكره في مثال دال على ما في

الآية قبلها لان المعنى الكلى لا يصل الى افهام السامعين الا بذكر مثال جلي واضح يكشف عن  
 حقيقة ذلك المعنى الكلى فقال (هو الذي يسيركم) أي يجعلكم على السير في كل وقت تسيرون فيه  
 لا تقدر على الاتفكال عنه ويمكنكم منه (في البر والبحر) أي يسبب لكم أسبابا توجب سيركم  
 فيها وقرأ ابن عامر بعد الباء الاولى بنون ساكنة بعدها شين مبهمة مضعومة والباقون بسين  
 مة ملة منفتوحة بعدها ياء مكسورة مشددة ولما كان العطب بسير البحر أظهر مع أن السير فيه  
 من أكبر الآيات وأوضح البينات بينه معرض عن ذكر البر بقوله تعالى (حتى اذا كنتم) أي  
 كونوا لابرار لكم منه (في الفلك) أي السفن (فان قيل) كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسير  
 في البحر مع أن الكون في الفلك متقدم لاحالة على التسير في البحر (أجيب) بأنه لم يجعل الكون  
 في الفلك غاية للتسير بل تقدير الكلام كأنه قيل هو الذي يسيركم حتى اذا وقع في جملة تلك  
 التسييرات الحصول في الفلك كان كذا وكذا ولفظ الفلك يطلق على الواحد وعلى الجمع فان  
 أريد الواحد كان كبناء قفل أو الجمع كان كبناء حجر والمراد هنا الجمع لقوله تعالى (ويرين بهم)  
 أي بمن فيها وعدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليجهم منها ويستدعي  
 منهم الانكار والتعجب والاتفات في الكلام عن الغيبة الى الحضور والعكس في فصيح كلام  
 العرب (يريح طيبه) أي لينة الهبوب (وفرحوابها) أي تلك الريح وبالفلك الجارية بها وقوله  
 تعالى (جاءتها) جواب اذا والضمير للفلك أو للريح الطيبة بمعنى تلاقفتها (ريح عاصف) أي  
 شديدة الهبوب فأزججت سفينتهم وأسأتهم (وجاءهم الموج) أي وجاء ركاب السفينة الموج  
 وهو ما ارتفع وعلام من ضرب الماء في البحر وقيل هو شدة حركة الماء واختلاطه (من كل مكان)  
 أي يعتاد مجئ الموج منه فأرجف قلوبهم (وظنوا أنهم) أي ظنوا ان الهلاك قد  
 أحاط بهم وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن أحاط بهم العدو (دعوا الله مخلصين) أي من غير  
 اشتراكه (له الدين) أي الدعاء لانهم لا يدعون حينئذ غيره لان الانسان في هذه الحالة لا يطمع  
 الا في فضل الله ورجته ويصير منقطعاً عن جميع الخلق ويصير قلبه وروحه وجميع أجزائه  
 متضرراً الى الله تعالى وقوله تعالى (لئن أشجيتنا من هذه) الشدة التي نحن فيها وهي الريح  
 العاصفة والامواج الشديدة (لنسكون من الشاكرين) على ارادة القول أو مفعول دعوا  
 لانه من جملة القول أي لنسكون من الشاكرين لك بالايمان والطاعة على انعامك علينا  
 يا نجينا ما نحن فيه من هذه الشدة (فلما أجهتاهم) أي هؤلاء الذين ظنوا أنهم أحيط بهم من  
 الشدة التي كانوا فيها الجاية لدعائهم (اذا هم يبغون) أي فاجأوا الفساد وسارعو الى ما كانوا عليه  
 من الكفر والمعاصي (في الارض) أي جنسها (بغير الحق) فان قيل البقي لا يكون بحق فما  
 معنى قوله بغير (أجيب) بأنه قد يكون بحق كما تبلىء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم  
 واجراق زروعهم وقطع أشجارهم كأن فعل صلى الله عليه وسلم يفتي قريظة فان ذلك افساد بحق  
 قال صاحب المفردات البقي على ضربين أحدهما غير محمود وهو مجاوزة الحق الى الباطل والى  
 الشبهة والاخر كفعل المسلمين ما ذكر (يا أيها الناس انصافيتكم) أي ظلمكم (على أنفسكم)

لعمد وبالله عليها خاصة قال صلى الله عليه وسلم أسرع الخير قوايا صلة الرحم وأجمل الشر عقابا بالبنى  
 واليمين الفاجرة وروى ثمان يعلمهما الله تعالى في الدنيا البنى وعقوق الوالدين وعن ابن  
 عباس لو بنى جبل على جبل لذلك الباغى وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في أخيه  
 يا صاحب البنى ان البنى مصرعة \* فاربع خيرة فعال المرء أعدله  
 فلو بنى جبل يوما على جبل \* لاندك منه أعاليه وأسفله  
 وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البنى والنكت والمكر وعلى تقدير الانتفاع بالبنى  
 هو عرض زائل كما قال تعالى (متاع الحياة الدنيا) أى لا يتهيا لكم بغير بعضكم على بعض الا  
 أياما قليلة وهى مدة حياتكم مع قصرها وسرعة انقضائها (ثم الينا) بعد البعث (مرجعكم)  
 فى القيامة (فنبئكم) أى فنضركم (بما كنتم تعملون) فى الدنيا من البنى والمعاصى فنجازيكم  
 عليها وقرأ حفص متاع بصب العين على أنه مصدر مؤكداً أى تتمتعون متاع الحياة الدنيا  
 والباقون بالرفع على أنه خبر بغيركم وعلى أنفسكم صلتها وخبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك  
 متاع الحياة الدنيا وعلى أنفسكم خبر بغيركم ولما قال تعالى يا أيها الناس انما بغيركم على أنفسكم  
 متاع الحياة الدنيا أتبعه بمثل عجيب ضربه لمن يبنى فى الارض ويغتر بالدنيا ويشتمد تمسكها  
 ويقوى اعراضه عن أمر الآخرة والتأهب لها بقوله تعالى (انما مثل الحياة الدنيا) أى حالها  
 الهيبية فى سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها والمثل قول سائر يشبه  
 فيه حال الثانى بالاول (كأه أنزلناه) وحقق أمره وبينه بقوله تعالى (من السماء فاخترط به)  
 أى بسببه (نبات الارض) أى اشتبك بعضه ببعض والاختلاط تداخل الاشياء بعضها فى  
 بعض (مما يأكل الناس) من الحبوب والثمار ونحو ذلك (ومما يأكل كل الانعام) من  
 الحشيش ونحوه (حتى اذا أخذت الارض زخرفها) أى حسنها وبهجتها من النبات  
 (وارزقت) باظهار ألوان زهرها من أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من الزهور كالعروس اذا  
 أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكسستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين واصل ازينت  
 تزيت أبدت التاء زايا وأدغمت فى الزاى (وظن أهلها) أى أهل تلك الارض (انهم قادرون  
 عليها) أى متمكنون من تحصيل جزاها وحصادها (أناها أمرنا) أى قضاؤنا من البرد والحتر  
 المفرط وغيره (ليلاً ونهاراً) أى فى الليل أو فى النهار (فجعلناها) أى زرعها (حصيداً) أى  
 كالحصود بالماجل وقوله تعالى (كان) مخفضة أى كأنها (لم تغن) أى لم تكن (بالامس) تلك  
 الزروع والاشجار قائمة على ظهر الارض وحذف المضاف من جعلناها ومن كان لم تغن  
 للمبالغة \* (تنبه) \* تشبيه الحياة الدنيا بهذا النبات يحتمل وجوهاً الاقوال ان عاقبة هذه الدنيا  
 التى ينفعها المرء فى باب الدنيا كعاقبة هذا النبات الذى حين عظم الرجاء فى الانتفاع به وقع  
 اليأس منه لان الغالب أن الممك بالدنيا اذا وضع قلبه عليها وعظمت رغبته فيها يأتية الموت  
 وهو معنى قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما أتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون أى خاسرون  
 الدنيا وقد اتفقوا أعمارهم فيها وخاسرون من الآخرة مع أنهم توجهوا اليها الثانى أنه تعالى بين

أنه كالم يحصل لذلك الزرع عاقبة محمودة ~~فصحة~~ كذلك المغترب الدنيا المحب لها لا يحصل له عاقبة تحمد مع أن المنافع التي تحصل فيها مخلوطة بالمضار والمتاعب فان سعادة الدنيا غير خالصة من الآفات بل هي ممزوجة بالبليات والاستقرار يدل عليه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من طلب ما لم يخلق أتعب نفسه ولم يرزق فقيس يارسول الله وما هو قال سرور يوم يتم له الثالث أن مالك ذلك البستان لما عمره بأتعاب النفس وكدر الروح وعلق قلبه على الاتفاح به فاذا حصل ذلك السبب المهلك صار العناء الشديد الذي تحصله في الماضي سببا لحصول الشقاء الشديد له في المستقبل وهو ما يحصل له في قلبه من الحسرات فكذا حال من وضع قلبه على الدنيا وأتعب نفسه في تحصيلها فاذا مات وفاته كل ما فات صار العناء الذي تحصله في تحصيل أسباب الدنيا سببا لحصول الشقاء العظيم له في الآخرة (كذلك) أي مثل هذا التفصيل الذي ذكرناه (تفصيل الآيات) أي نبينها (لقوم يتفكرون) لانهم المستفعمون بها ولما قرع تعالى الفاسقين عن الميل الى الدنيا بالمثل السابق رغبهم في الآخرة بقوله تعالى (واقم دعوه) أي يعلق دعاه على سبيل التجدد والاستمرار بالدعوة (الى دار السلام) قال قتادة السلام هو الله وداره الجنة وسعى سبحانه وتعالى بالسلام لانه واجب الوجود لذاته فقد سلم من الفناء والتغير وسلم من احتياجه في ذاته وصفاته ومن الاقتدار الى الغر وهذه الصفة ليست الا له سبحانه كما قال تعالى والله الغني وأنتم الفقراء وقال تعالى يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله وقيل السلام بمعنى السلامة وقيل المراد بالسلام الجنة سميت الجنة دار السلام لان أهلها يحيي بعضهم بعضا بالسلام والملائكة تسلم عليهم قال الله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ومن كمال رحمته وجوده وكرمه على عباده أن دعاهم الى الجنة التي هي دار السلام وفيه دليل على أن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعوا الا الى عظيم ولا يصف الا عظيم وقد وصف الله تعالى الجنة في آيات كثيرة من كتابه وعن جابر قال جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهونائم فقالوا ان صاحبكم هذا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مائدة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الداروا كل من المائدة ومن لم يجيب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المائدة والدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم (و) الله (يهدي من يشاء) من عباده بما يخلق في قلبه من الهداية (الى صراط مستقيم) وهو دين الاسلام عم سبحانه وتعالى بالدعوة أولاظهار اللجة وخص بالهداية تانيا اظهار القدر لان الحكم له في خلقه وقال الجنيد الدعوة عامة والهداية خاصة بل الهداية عامة والعصبة خاصة بل العصبة عامة والاتصال خاص وقيل يدعو بالآيات ويهدي للحقائق والمعارف وقيل الدعوة لله والهداية من الله وقال بعضهم لا تنفع الدعوة لمن لم يسبق له من الله الهداية (للذين أحسنوا) أي بالايان (الحسن) وهي الجنة (وزيادة) وهو النظر اليه تعالى في الآخرة كما في الحديث الصحيح اذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا أن يا أهل الجنة فكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم الله شيا هو أحب اليهم منه والريح مشرى في كشفه قال في هذا وزعمت المشبهة والمجبرة لان المعتزلة يشكرون

الرؤية ويرد عليهم قول الله تعالى وجوه يومئذاضرة الى ربها ناظرة فثبت الله لاهل الجنة  
 أمرين أحدهما النضارة وهي حسن الوجوه وذلك من نعيم الجنة والثاني النظر الى الله تعالى  
 وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الحسنى الحسنة والزيادة عشرة أمثالها وعن الحسن عشر  
 أمثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مفضرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شبرة  
 الزيادة ان تمز السحابة بأهل الجنة فتقول ما تريدون ان أمطاركم فلا يريدون شيئا الا أمطارتهم  
 ولا مانع من أن تفسر الزيادة بذلك كله اذ لا تنافي فيها والفضل واسع (ولا يرهق) أى يغشى  
 (وجوههم قمر) أى سواد (ولا ذلة) أى كآبة وكسوف يظهر منه الانكسار والهوان  
 (أولئك) أى هؤلاء الذين وصفهم الله هم (أصحاب الجنة) وقوله تعالى (هم فيها خالدون) اشارة  
 الى كونها دائمة آمنة من الانقطاع ولا زوال فيها ولا انقراض بخلاف الدنيا وزخارفها ولما بين  
 تعالى حال الفضل فيمن أحسن بين حال العدل فيمن أساء بقوله تعالى (والذين كسبوا السيئات)  
 أى الشرك (جزاء سيئة) منهم (بمثلها) بعدل الله من غير زيادة وفي ذلك اشارة الى الفرق بين  
 السيئات والحسنات لان الحسنات يضاعف ثوابها العاملها من الواحد الى العشرة الى السبعمائة  
 الى أضعاف كثيرة تفضلها عنه تعالى وتكرما وما أما السيئة فانه يجازى عليها بمثلها عدلا منه  
 تعالى (وترهقهم) أى تغشاهم (ذلة) عكس أهل الجنة (مألهم من الله من عاصم) أى مانع عنهم  
 من عذاب الله اذ انزل بهم (كأنما أغشيت) أى ألبست (وجوههم قطعان الليل مظلمة) لقرط  
 سوادها وظلمتها وقرأ ابن كثير والكسافي بسكون الطاء أى جزأ والباقون يفتحها جمع قطعة  
 أى أجزاء (أولئك) أى هؤلاء الاشقياء (أصحاب النار هم فيها خالدون) لا يتمكثون من مقارقتها  
 (و) اذ كر (يوم نحشرهم) أى الفريقين الناجين والهاالكين العابدين منهم والمعبودين من كل  
 جانب وناحية الى موقف الحساب حال كونهم (جميعا) لا يتخلف عنهم أحد وهو يوم القيامة  
 والحشر الجمع بكسر الهمزة الى موقف واحد (ثم تقول للذين أشركوا مكانكم) أى الزموا مكانكم  
 لا تبرحوا منه حتى تنظروا ما يفعل بكم وقوله تعالى (أنتم) تأكيد للضمير المستتر في الفعل المقدر  
 ليحطف عليه (وشركاؤكم) أى من كنتم تعبدونه من دون الله (فزيلنا) أى فرقنا (بينهم) أى بين  
 المشركين وشركائهم وقطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا وذلك حين تبرأ كل معبود من  
 دون الله عن عبده وقيل فرقنا بينهم وبين المؤمنين كما في آية وامتازوا اليوم أيها المجرمون  
 والاول أنسب بقوله تعالى (وقال شركاؤهم) لهؤلاء المشركين (ما كنتم ايانا تعبدون) أى  
 انما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تعبدوا لله اذ اذأطعتموهم واختلقوا في  
 المراد بهم هؤلاء الشركاء فقال بعضهم للملائكة واستشهدوا بقوله تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم  
 تقول للملائكة هؤلاء ايمانكم كانوا يعبدون ومنهم من قال هي الاصنام والدليل عليه ان هذا  
 الخطاب مشتق على الوحيد والمهدد وذلك لا يليق بالملائكة المقربين وسوا شركاء لانهم  
 جعلوا نصيبا من أموالهم لتلك الاصنام ففسد بهم شركاء لانفسهم في تلك الاموال ثم اختلفوا  
 في هذه الاصنام كيف ذكرت هذا الكلام فيقال بعضهم ان الله تعالى خلق الحياة والعقل



والنطق فيها فقد ريت هل ذكر هذا الكلام وقال آخرون ان الله تعالى خلق فيها الكلام من غير  
 أن يخلق فيها الحياة حتى سمع منها ذلك الكلام والاول أظهر لان ظاهر قوله تعالى وقال  
 شركاؤهم ينتضى أن يكون فاعل ذلك القول هو الشركاء (فان قيل) اذا أحيها الله تعالى هل  
 يقينها أو يقينها (أجيب) بأن الكل محتمل فان الله تعالى يفعل في خلقه ما يشاء وأحوال القيامة  
 غير معلومة الا القليل الذي أخبر الله تعالى عنه في القرآن وعلى لسان أنبيائه وقال بعضهم المراد  
 بهؤلاء الشركاء كل من عبد من دون الله من انس وملاك وجن وشمس وقر وشمس وهذا أظهر  
 وعلى هذا والاول سموا شركاء لان الله تعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله تعالى مكانكم  
 صاروا شركاء في هذا الخطاب ولما قال لهم شركاؤهم ذلك قالوا بل كنا نعبدكم فقال شركاؤهم  
 (فكفي بالله شهيدا بيننا وبينكم) فانه تعالى العالم بكنهه الخال (ان كنا عن عبادتكم لغافلين)  
 أي لم نأمر بها ولم نعلم بها وعلى القول بأنها الاصنام فتقول ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل فأنها  
 جمادات لا حس لها بشئ ولا شعور بالبتة (تنبيه) \* ان هي الخففة من الثقيلة واللام هي  
 الفارقة بين الخففة والنافية (هنالك) أي في ذلك الموقف من المكان العظيم الأحوال المتوالي  
 الزوال (تبلو) أي تختبر (كل نفس) طائعة وعاصية (ما أسألت) أي ما قدمت من عمل فتعين  
 نفعه وضربه يؤدى الى سعادة أو شقاوة وقرأ حزة والكسائي بناء من التلاوة أي تقرأ ذكر  
 ما قدمت أو من التوفيق تبسح كل شخص عمله فيقوده الى الجنة أو الى النار والباقون بعد التاباء  
 موحدة من البلوى وهو الاختبار (وردوا الى الله) أي الى جزائه اياهم عما أسلفوا فلم يكن  
 لهم قدرة على قصد غيره (مولاهم الحق) أي ربهم ومتولى أمرهم على الحقيقة ولا التفات الى  
 سواه من تلك الأباطيل بل انقطع رجاؤهم من كل ما يدعون به في الدنيا وهو المراد بقوله تعالى  
 (وضل عنهم) أي ذهب وبطل وضاع (ما كانوا يفترون) أي يتعمدون كذبه من أن معبوداتهم  
 شركاء ويتقنوا في ذلك المقام أن يوليهم لغير الله كان باطلا غير حق ولما بين قضائح عبدة الاوثان  
 اتبعها بذكر الدلائل على فساد هذا المذهب بحجج الحجج الاولى قوله تعالى (قل) أي قل يا محمد  
 لهؤلاء المشركين (من يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات فانحصر الرزق في ذلك  
 أما من السماء فبتنزل الامطار وأما من الارض فلان الغذاء إما أن يكون نباتا أو حيوانا أما  
 النبات فلا ينبت الا من الارض وأما الحيوان فهو يحتاج أيضا الى الغذاء ولا يمكن أن يكون  
 غذاء كل حيوان حيوانا آخر والالزم الذهاب الى ما لانهاية له وذلك محال فثبت ان أغذية  
 الحيوانات يجب انتهاءها الى النبات وثبت أن تولد النبات من الارض فثبت القطع بأن الارزاق  
 لا تحصل الا من السماء والارض (أمن يملك السمع) أي الاسماع (والابصار) أي من  
 يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سوي عليه من القطرة العجيبة عن على رضى الله  
 تعالى عنه كان يقول سبحان من بصر بشخص وسمع بعظم وأنطق بلهم أو جمعهما وحفظهما من  
 الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شئ يكلاهما وحفظه (ومن  
 يخرج الحى من الميت) كان يخرج الانسان من النطفة والطار من البيضة (ويخرج الميت من

الحق) كان يخرج النطفة من الانسان والبيضة من الطائر وقيل المراد أن يخرج المؤمن  
 من الكافر والكافر من المؤمن وقرأ نافع وحفص وحجزة والكسائي ميت في الموضوعين بعد  
 الميم بكسر الياء المشددة والباقون بعد الميم يسكون الياء (ومن يدبر الامر) أى ومن يلى  
 تدبير أمر الخلائق وهو تعميم بعد تخصيص وذلك لأن أقسام تدبير الله تعالى في العالم السفلي  
 وفي العالم العلوي وفي عالم الارواح والاجساد أمور لانهاية لها وذكر كلها كالتعذر فلما ذكر  
 بعض تلك الافاصيل عقبها بالكلام الكلي ليدل على الباقي ثم بين تعالى أن الرسول صلى الله  
 عليه وسلم اذا سألهم عن مدبر هذه الاحوال (فسيقولون الله) اذ لا يقدر على المكابرة  
 والعناد في ذلك لقرط وضوحه واذا كانوا يقولون بذلك (فقل) لهم يا محمد (أفلا تتقون) الشرك  
 مع اعترافكم بأن كل الخيرات في الدنيا والآخرة انما تحصل بفضل الله تعالى واحسانه  
 (فذا لكم الله ربكم الحق) أى الثابت ربو بيته ثباتا لا ريب فيه واذا ثبت أن هذا هو الحق وجب  
 أن يكون ما سواه ضلالا لأن التقيضين يمتنع أن يكونا حقيقين وأن يكونا باطلين فاذا كان أحدهما  
 حقا وجب أن يكون ما سواه باطلا كما قال تعالى (فماذا بعد الحق الا الضلال) اذ لا واسطة بينهما  
 فهو واسطة فهم تقرير أى ليس بعده غيره فمن اخطأ الحق وهو عبادة الله تعالى وقم في الضلال  
 ولذلك سب عنه قوله تعالى (فأنى) أى فكيف ومن أى جهة (تصرفون) أى تعدلون عن  
 عبادته وأنتم تقررون بأن الله هو الحق (كذلك) أى كما حقت الربوبية لله تعالى أو ان الحق بعده  
 الضلال أو انهم معصرفون عن الحق (حقت كلمة ربك) فى الانزل (على الذين فسقوا) أى تمردوا  
 فى كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح وقوله تعالى (أنهم لا يؤمنون) يدل من الكلمة أى حق  
 عليهم انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك والمراد بكلمة الله العدة بالعذاب وهو لا ملأ من جهنم  
 الآية وأنهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون أو ذلك تفسير لكلمته التى حقت وقرأ نافع  
 وابن عامر كلمة بالالف بعد الميم على الجمع والباقون بغير الالف بعد الميم على الافراد الحجة الثانية  
 قوله تعالى (قل) أى قل يا محمد لهؤلاء (هل من شركائكم) الذين زعمتم وهم شركاء وأشركتموهم  
 فى أموالكم من أنعامكم وزرعكم (من يبدأ الخلق) كما بدأ به ليصح لكم ما ادعيتن من الشركة  
 (ثم يعيده) كما كان (فان قيل) هم غير معترفين بالاعادة فكيف احتج عليهم تعالى بها كالاتداء فى  
 الازام بها (أجيب) بأنها الظهور برهانها وان لم يقروا بها وضعت موضع ما ان دفعه دافع كان  
 مكابرا اذا للظاهر البين الذى لا مدخل للشبهة فيه دلالة على أنهم فى انكارهم لها منكرون  
 أمر امسلا معترفا بصحته عند العقلاء ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينوب عنهم  
 فى الجواب بقوله تعالى (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده) لان لجأهم لا يدعهم أن يعترفوا بها (فأنى)  
 أى فكيف (توفكون) عن عبادته مع قيام الدلائل (فان قيل) ما الفائدة فى ذكر هذه الحجة على  
 سبيل السؤال والاستفهام (أجيب) بان الكلام اذا كان ظاهرا جليا ثم ذكر على سبيل  
 الاستفهام كمن ذلك ابلغ وأوقع فى القلب الحجة الثالثة قوله تعالى (قل) أى قل يا محمد لهم  
 (هل من شركائكم من يهدى الى الحق) بنصب الحجج وخلق الاهتداء وارسال الرسل ولما كانوا

جاهلين بالجواب الحق في ذلك أو معاندين أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يجيب  
 بقوله تعالى (قل الله) أي الذي له الاحاطة الكاملة (يهدي للحق) من يشاء لأحدا من زعموه  
 شركاء فالاشتغال بشئ منها بعبادة أو غيرها جاهل محض قال الزجاج يقال هديت إلى الحق  
 وهديت للحق يعني واحد فالله تعالى ذكرها تين اللغتين في قوله تعالى من يهدي إلى الحق وفي  
 قوله تعالى قل الله يهدي للحق وقوله تعالى (أفمن يهدي إلى الحق) أي وهو الله تعالى (أحق  
 أن يتبع أمن لا يهدي) أي يهدي (الأمن يهدي) أحق أن يتبع استفهام تقرير وتوبيخ  
 أي الاقل أحق (فما لكم كيف تحكمون) هذا الحكم القاسم من اتباع من لا يتحقق الاتباع  
 وقوله تعالى (وما يتبع أكثرهم) في تفسيره وجهان الاقل وما يتبع أكثرهم في اقرارهم بالله  
 تعالى (الاظننا) لانه قول غير مستند إلى برهان عندهم بل هو من أسلافهم الثاني وما يتبع  
 أكثرهم الاظننا في قولهم للاصنام آلهة وانها شعفاء عند الله تعالى الا الظن حيث قلدوا فيه  
 آباءهم قال الرازي والقول الاقل أقوى لان في القول الثاني فحتاج إلى تفسير الاكثر بالكل (ان  
 الظن لا يغني من الحق) فيما المطلوب فيه العلم (شياً) من الاغناء فدلّت هذه الآية على أن كل  
 من كان ظاناً في مسائل الاصول وما كان قاطعاً لا يكون مؤمناً (فان قيل) فنقول أهل السنة أنا  
 مؤمن ان شاء الله يمنع من القاطع فوجب أن يلزمهم الكفر (أجاب) الرازي بأن هذا ضعيف من  
 وجوه الاقل أن مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه أن الايمان عبارة عن مجموع الاعتقاد  
 والاقرار والعمل فالشك حاصل في أن هذه الاعمال هل هي موافقة لأمر الله تعالى والشك في  
 أحد أجزاء الماهية لا يوجب الشك في تمام الماهية الثاني أن الغرض من قوله ان شاء الله  
 تعالى بقاء الايمان عند الخاتمة الثالث الغرض هضم النفس وكسرها (ان الله عليم) أي بالغ  
 العلم (بما يفعلون) أي من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين فيجازيهم عليه وقوله تعالى  
 (وما كان) عطف على قوله ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي الخ فهو حينئذ مقول القول  
 أي قل لهم ذلك الكلام (هذا القرآن) أي الجامع لكل خير مع التادية بأساليب الحكمة  
 المجيزة لجميع الخلق (أن يفترى) أي افتراء (من دون الله) أي غيره لان المفترى هو الذي تأتي به  
 البشر وكفار مكة زعموا أن محمداً صلى الله عليه وسلم أتى به هذا من عند نفسه فأخبر الله تعالى  
 ان هذا القرآن وحى أنزله عليه وأنه مبرأ عن الافتراء والكذب وأنه لا يقدر عليه أحد الا الله  
 ثم ذكر ما يؤكده هذا بقوله تعالى (ولكن) أنزل (تصديق الذي بين يديه) أي قبله من الكتب  
 التي أنزلها على أنبيائه كالتوراة والانجيل فثبت بذلك أنه وحى من الله أنزله على نبيه صلى الله  
 عليه وسلم وأنه معجزة له فانه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يجتمع بأحد من العلماء ثم انه صلى الله  
 عليه وسلم أتى بهذا القرآن العظيم المعجز وفيه أخبار الاولين وقصص الماضين وقيل تصديق  
 الذي القرآن بين يديه من القيامة والبعث (وتفصيل الكتاب) أي تبين ما كتب الله من  
 الاحكام وغيرها (لا ريب) أي لا شك (فيه) وقوله تعالى (من رب العالمين) متعلق بتصديق  
 أو بانزل المحذوف (أم) أي بل (يقولون افتراء) أي اختلقه محمد ومعنى المعجزة فيه للانكار

(قل) أى قل لهم يا محمد ان كان الامر كما تقولون (فأتوا بسورة مثله) فى الفصاحة والبلاغة وحسن النظم فأنتم عرب مثله فى البلاغة والقطنة (فان قيل) هل يتناول ذلك جميع السور الصغار والكبار ويختص بالسور الكبار (أجيب) بأن هذه الآية فى سورة يونس وهى مكية فكون المراد مثل هذه السورة لانها أقرب ما يمكن أن يشار إليه هكذا أجاب الرازى والاولى التناول لجميع السور فانهم لا يقدرين أن يأتوا بأقصر سورة (فان قيل) لم قال فى البقرة بسورة من مثله وهنا بسورة مثله (أجيب) بأنه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ ولم يكتب ولم يتلذذ لاحد فقيل فى سورة البقرة فأتوا بسورة من مثله بناء على أن الضمير يرجع للنبي صلى الله عليه وسلم أى فليأت انسان يساوى محمد صلى الله عليه وسلم فى عدم مطالعة الكتب وعدم الاشتغال بالعلوم بسورة تساوى هذه السورة وحيث ظهر المجز ظهر المجز فهذا لا يدل على أن السورة فى نفسها مجيزة ولكنه يدل على أن ظهور مثل هذه السورة من انسان مثل محمد صلى الله عليه وسلم فى عدم التعلم والتلذذ مجيز ثم بين تعالى فى هذه السورة ان تلك السورة فى نفسها مجيزة فان الخلق وان تتلذذوا وتعلموا واطالعوا وتفكروا ولا يمكنهم الاثبات بمعارضة سورة واحدة من هذه السور وهو المراد من قوله تعالى (وادعوا من استطعتم) أى فاستعينوا بمن أمكنكم أن تستعينوا به (من دون الله) أى غيره فانه تعالى وحده قادر على ذلك (ان كنتم صادقين) أى فى أى آية به من عندى لان العاقل لا يجزم بشئ الا اذا كان عنده منه مخرج وذلك لا يكون الا عن دليل ظاهر وسلطان قاهر باهر \* (تنبيه) \* مراتب تحدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن ستة اولها أنه تحداهم بكل القرآن كما قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ثانيها أنه تحداهم بعشر سور فقال تعالى فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ثالثها أنه تحداهم بسورة واحدة كما قال تعالى فأتوا بسور من مثله رابعها أنه تحداهم بحديث مثله خامسها أن فى تلك المراتب الاربعة كان يطلب منهم أن يأتى بالمعارضة رجل يساوى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عدم التلذذ والتعلم ثم فى هذه السورة طلب منهم معارضة سورة واحدة من أى انسان سواء تعلم العلوم أم لم يتعلمها سادسها أن فى المراتب المتقدمة تحدى واحد من الخلق وفى هذه المرتبة تحدى جميعهم وجوز أن يستعين البعض ببعض فى الاثبات بهذه المعارضة كما قال تعالى وادعوا من استطعتم من دون الله وهنا آخر المراتب فهذا مجموع الدلائل التى ذكرها الله تعالى فى اثبات ان القرآن مهجز ثم ان الله تعالى ذكر السبب الذى لاجله كذبوا بالقرآن فقال تعالى (بل كذبوا) أى أوقعوا التكذيب الذى لا تكذيب أشنع منه مسرعين فى ذلك (بما لم يحيطوا بعلمه) أى القرآن أول ما سمعوه قبل أن يتدبروا آياته من غير شبهة أصلا بل عندا وطغيا وافتورا عما يخالف دينهم فهو من باب من جهل شيئا عاده والاحاطة ادارة ما هو كالحائط حول الشئ واحاطة العلم بالشئ العلم به من جميع وجوهه (ولما يأتهم) أى الى زمن تكذيبهم (تأويله) أى تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب وما قبله من الوعيد حتى تبين لهم

أنه صدق أم كذب ومعنى التوقع في لما أنه قد ظهر لهم بالآخرة اعجاز لما كثر عليهم التصدي  
 فجر بواعق قولهم في معارضته فصغرت وضعفت دونها ومع هذا لم يقبلوا عن التكذيب تمردا  
 وعنادا (كذلك) أي مثل تكذيبهم هذا التكذيب العظيم في الشناعة قبل تدبر المعجزة  
 (كذب الذين من قبلهم) أي من كفار الامم الماضية فظلموا فأهلكناهم بظلمهم (فانظروا يا محمد  
 كيف كان عاقبة الظالمين) بتكذيب الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فكذلك يهلك من  
 كذبك من قومك وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون الخطاب لكل فرد  
 من الناس والمعنى فانظروا أيها الانسان كيف كان عاقبة من ظلم فاحذروا أن تفعل مثل فعله  
 (ومنهم) أي من قومك يا محمد (من يؤمن به) أي القرآن أي يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق  
 ولكنه يعاند بالتكذيب (ومنهم من لا يؤمن به) في نفسه لغباوته وقلة تدبره ومنهم من يؤمن به  
 في المستقبل بأن يتوب عن الكفر ويبدله بالايان ومنهم من يصروا يستمر على الكفر وانما فسرت  
 هذه الآية بهذين التأويلين لان كلمة يؤمن تصلح للحال والاستقبال (وربك أعلم بالمفسدين)  
 أي المعادين على التفسير الاول والمصرين على التفسير الثاني وفي ذلك تهديد لهم (وان  
 كذبوا) أي وان يكذبوا يا محمد بعد الزام الحجية (فقل) لهم (لي عملي) من الطاعة وجزاء ثوابها  
 (ولكم عملكم) من الشرك وجزاء عقابه أي قبرا منهم فقد أعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم  
 جزاء عملكم حقا كان أو باطلا (أنتم بريئون مما عملوا وأنا بريء مما تعملون) لا تؤاخذون  
 بعلمي ولا تؤاخذوا بعملكم واختلف في معنى ذلك فقيل معنى الآية الزجر والردع وقيل بل  
 معناه استمالة قلوبهم وقال مقاتل والكلبي هذه الآية منسوخة بآية السيف قال الرازي  
 وهذا بعيد لان شرط النسخ أن يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول هذه الآية اختصاص كل  
 واحد بأفعاله وبثمرات أفعاله من الثواب والعقاب وذلك لا يقتضي حرمة القتال وآية القتال  
 مازفت شيئا من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا انتهى ولا ينبغي هذه المبالغة  
 مع مثل من ذكر وقد تبعهما جاعتم من المفسرين وما قسم تعالى الكفار قسمين منهم من  
 يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به قسم من لا يؤمن به قسمين منهم من يكون في نهاية البغض له  
 والعداوة ونهاية النفرة عن قبول دينه ومنهم من لا يكون كذلك فوصف القسم الاول في  
 قوله تعالى (ومنهم) أي من هؤلاء المشركين (من يستمعون اليك) اذا قرأت القرآن وعلمت  
 الشرائع باسماعهم الظاهرة ولا يتبعهم لشدة عداوتهم وبغضهم لك فان الانسان اذا قوى  
 بغضه لا خرو وعظمت نفرتة منه صارت نفسه معرضة عن جميع جهات محاسن كلامه (أفأنت  
 تسمع الصم) أي أتقدر على اسماعهم (ولو كانوا) مع الصمم (لا يعقلون) أي لان الاصم العاقل  
 ربما تفرس واستدل اذا وقع في صمناخه دوى الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا  
 فقد تم الامر فكما أنك لا تقدر على اسماع الاصم الذي لا يعقل لا تقدر على اسماع من أصم الله  
 تعالى قلبه فان الله تعالى صرف قلوبهم عن الاتقاع بما يستمعون ولم يوفهم لذلك فشبهم  
 بالصم في عدم الاتقاع بما يتلى عليهم ثم وصف القسم الثاني في قوله تعالى (ومنهم من يتقرون

البصيرة) أي يعاينون دلائل نبوتك ولا يصدقونك (أفانت تهدي العمى) أي أنت قدر على هدايتهم  
 (ولو كانوا) مع العمى (لا يصرون) أي لا بصيرة لهم لأن العمى الذي في قلبه بصيرة قد يحدس  
 ويتظن فأما العمى مع الحق فجهد البلاغ فلا تقدر على هدايته من أعى الله تعالى بصيرته فهو لاه  
 في اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمى الذين لا عقول لهم ولا بصائر فلا يقدر على  
 انماعهم وهدايتهم إلا الله تعالى \* (تنبيه) \* اختلف في أن السمع أفضل أو البصر فتنهم من قال  
 السمع واحتج على ذلك بأمر منها تقدمه في الآية ومنها أن القوة السامعة تدرك السموع من  
 جميع الجوانب والقوة الباصرة لا تدرك المرئي إلا من جهة واحدة وهي المقابل ومنها أن  
 الإنسان إنما يستفيد العلم من التعلم من الاستاذ وذلك لا يكون إلا بقوة السمع فاستكمال  
 النفس بالكالات العلمية لا يحصل إلا بقوة السمع ومنها أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام  
 يراهم الناس ويسمعون كلامهم فتبوتهم ما حصلت بسبب ما معهم من الصفات المرئية وإنما  
 حصلت بسبب ما معهم من الأحوال المسموعة وهو الكلام وتبليغ الشرائع وبيان الأحكام  
 ومنها أن المعنى الذي يمتاز به الإنسان من سائر الحيوانات هو النطق بالكلام وإنما يتفقد  
 بذلك بالقوة السامعة فتعلق السمع النطق الذي يحصل به شرف الإنسان ومتعلق البصر ادراك  
 الألوان والأشكال وذلك أمر مشترك فيه بين الناس وبين سائر الحيوانات ومنهم من قال  
 البصر واحتج بأمر منها أن آلة القوة الباصرة هي النور وآلة القوة السامعة هي الهواء  
 والنور أشرف من الهواء ومنها أن جمال الوجه يحصل بالبصر وبذهابه عيبه وذهاب السمع  
 لا يورث الإنسان عيباً في جمال وجهه والعرب تسمى العينين الكريمتين ولا تصف السمع بمثل  
 هذا وفي الحديث يقول الله تعالى من أذهبت كريمتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثواباً دون  
 الجنة ومنها أنهم قالوا في المثل المشهور وليس وراء العيان بيان وذلك يدل على أن أكمل وجوه  
 الإدراكات هو الابصار ومنها أن كثيراً من الأنبياء سمع الله واختلفوا في أنه هل رآه منهم أحد  
 أم لا وأيضاً فإن موسى عليه السلام أسمعه الله تعالى كلامه من غير سبق سؤال والتماس فلما  
 طلب الرؤية قال لن تراني وذلك يدل على أن حال الرؤية أعلى من حال السماع وهذا هو الظاهر  
 ولما حكم تعالى على أهل الشقاوة بالشقاوة بقضائه وقدره السابق فيهم أخبر تعالى أن تقدير  
 الشقاوة عليهم ما كان ظلامه بقوله تعالى (إن الله لا يظلم الناس شيئاً) أي لأنه تعالى في جميع  
 أحواله متفضل وعادل فيتصرف في ملكه كيف يشاء وانخلق كلهم عباده وكل من تصرف  
 في ملكه بافضل والعدل لا يكون ظالماً وإنما قال تعالى (ولكن الناس أنفسهم يظلمون) لأن  
 فعلهم منسوب إليهم بسبب الكسب وإن كان قد سبق قضاء الله تعالى وقدره فيهم ففي ذلك  
 دليل على أن لعباد كسباً وأنه ليس مسلوب الاختيار كما زعمت الجبرة وقراءة الآية والكسائي  
 بكسر النون مخففة ورفع السين والباقون نصب النون مشددة ونصب السين وما وصف تعالى  
 هؤلاء الكفار بقوله الأصغاف وترك التدبر أبعه بالوعيد بقوله تعالى (ويوم نحشرهم) أي  
 واذكريا يوم نحشر هؤلاء المشركين لموقف الحساب وأصل الحشر أخرج الجماعة

وازعاجهم عن مكانهم (كان) أي كانوا (لم يلبثوا) في دنياهم وبالجملة في موضع الحال من  
 ضمير نوحهم البارئ أي مشبهين بمن لم يلبثوا (الاساعة) حقيرة (من النهار) أي يستقصرون  
 مدتكم في الدنيا وفي القبور لهول ما يرون (يتعارفون بينهم) أي يعرف بعضهم بعضا إذا  
 بعثوا ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال وبالجملة حال مقدرة متعلق الطرف والتقدير يتعارفون  
 يوم نوحهم وقوله تعالى (قد خسرا الذين كذبوا بآياتنا) أي بالبعث يحتمل وجهين الاول  
 أن يكون على ارادة القول أي يتعارفون بينهم قائلين ذلك الثاني أن يكون كلام الله تعالى  
 فيكون شهادة من الله تعالى عليهم بالخسران والمعنى أن من باع آخرته بالدنيا فقد خسرا لانه  
 أعطى الكثير الشريف الباقى وأخذ القليل الخسيس الفانى (وما كانوا مهتدين) أي الى  
 رعاية مصالح التجارة وذلك لانهم اغتروا بالظاهر وغفلوا عن الحقيقة فصاروا كمن رأى زجاجة  
 خسية فظنها جوهرة شريفة فاشترها بكل ما ملكه فاذا عرضها على الناقدين خاب سعيه  
 وفات أمه ووقع في حرقه الروح وعذاب القلب وقوله تعالى (وإما) فيه ادغام ان الشرطية  
 في ما الزائدة (زريك) يا محمد (بعض الذي تعدهم) به من العذاب في حياتك وجواب الشرط  
 محذوف أي فذلك (أو توفينك) قبل أن زريك ذلك الوعد في الدنيا فانك ستراه في الآخرة  
 وهو قوله تعالى (فإلينا) بعد البعث (مرجعهم) فتريك هناك ما هو أقر لعينك وأسر لقلبك  
 وقوله تعالى (ثم الله شهيد على ما يفعلون) فيه وعيد وتهديد لهم أي أنه تعالى شهيد على  
 أفعالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة ولما بين تعالى حال محمد صلى الله عليه  
 وسلم مع قومه بين أن حال كل الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع أقوامهم كذلك بقوله تعالى  
 (ولكل أمة) أي من الامم التي خلت من قبلك (رسول) يدعوهم الى الله تعالى وقوله تعالى  
 (فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط) فيه اضمار تقديره فاذا جاء رسولهم وبلغهم ما أرسل به  
 اليهم فكذبه قوم وصدقه آخرون قضى أي حكم وفصل بينهم بالقسط أي بالعدل وفي وقت هذا  
 القضاء والحكم بينهم قولان أحدهما أنه في الدنيا بأن يهلك الكافرين وينجي رسوله والمؤمنين  
 لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والثاني في الآخرة وذلك أن الله تعالى اذا جمع  
 الامم يوم القيامة للحساب والفصل بين المؤمن والكافر والطائع والعاصي جى بالرسول لتشهد  
 عليهم لقوله تعالى و جى بالنبيين والشهداء وقضى بينهم والمراد منه المبالغة في اظهار العدل  
 وهو قوله تعالى (وهم لا يظلمون) في جزاء أعمالهم شيأ بل يجازى كل واحد على قدر عمله فكذلك  
 يفعل بهؤلاء (ويقولون متى هذا الوعد) الذي تعدنا به يا محمد من نزول العذاب ومن قيام  
 الساعة وانما قالوا ذلك على وجه التكذيب والاستبعاد (ان كنتم صادقين) أي فيما تعدونا  
 به وانما قالوا بلفظ الجمع على سبيل التعظيم أو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وان  
 كان كل أمة قالوا الرسول لها مثل ذلك وهو الموافق لقوله تعالى ولكل أمة رسول قال الله تعالى  
 (قل) أي قل لهم يا محمد (لا أملك لنفسي ضرا) من مرض أو فقر أدفعه (ولانفعا) من صحة  
 أو غنى أجليه (الاماشاء الله) أن يقدر في عليه فكيف أملك لكم بحلول العذاب أو قيام

الساعة ولا يقدر على ذلك أحد الا الله تعالى (لكل أمة أجل) أى مدة مضروبة (اذا جاء أجلهم) أى انقضت مدة أعمارهم (فلا يستأخرون) أى لا يتأخرون (عنه ساعة) ثم عطف على الجملة الشرطية بكما لها (ولا يستقدمون) أى ولا يتقدمون أى ولا يستعجلون فان الوفاء بالوعد لا يتمه والسين فيهما بمعنى الوجدان أى لا يوجد لهم المعنى الذى منع منه الفعل ويجوز أن يكون المعنى لا يجردون التأخر ولا التقدم وان اجتهدوا فى الطلب فيكون فى السين معنى الطلب وتدل الآية على أن أحد الاموت الابانقضاء أجله وكذا المقتول لا يقتل الا على هذا الوجه وقرأ فآلون والبرى وأبو عمرو وباسقاط الهمزة الاولى وسهل ورش وقتبيل الثانية وابدلها أيضا حرف مد والباقون بالتصديق قال الله تعالى (قل) أى قل لهم يا محمد أيضا (أرأيتم ان أتاكم عذابه) الذى تستعجلون به (بيانا) أى فى الليل بغتة كما يفعل العدو (أو نهارا) أى وقت أنتم فيه تشتغلون بطلب المعاش والكسب (ماذا) أى أى شئ (يستعجل منه) أى من عذابه وعذاب كل مكروه لا يحتمل شئ منه (المجرمون) أى المشركون وضع المجرمون موضع المضمر للدلالة على أنهم لجرمهم ينبغي أن يفزعوا من محى الوعيد لأن يستعجلوا وجملة الاستفهام متعلقة بأرأيتم وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه (اتم اذا ما وقع) أى حل بكم (آمنت) أى آمنت بالله أو العذاب وقت نزول العذاب وهو وقت اليأس والهمزة لانكار التأخير فلا يقبل منكم وقوله تعالى (الآن) على ارادة القول أى قيل لهم اذا آمنوا وقت نزول العذاب الآن (وقد كنتم به تستعجلون) تكذبا واستهزاء (تبيه) \* اتفق فالون مع ورش على النقل هنا واتفق القراء كلهم على همزة الوصل التى بعد همزة الاستفهام ان فيها وجهين وهما البدل والتسهيل وقوله تعالى (ثم قيل للذين ظلموا) عطف على قيل المقدر أى من أى قائل كان استهانة بهم وقرأ هشام والكسائي باثمام القاف وهو أن تضم القاف قبل الياء والباقون بالكسر (ذوقوا عذاب الخلد) أى الذى تتخلدون فيه والاثبات بتم اشارة الى تراخي ذلك عن الاهلاك فى الدنيا بالمكث فى البرزخ أو الى ان عذابه أدنى من عذاب يوم الدين (هل) أى ما تجزون الا بما كنتم تكسبون) فى الدنيا من الكفر والمعاصي (ويستنبؤنك) أى يستنبؤونك يا محمد (أحق هو) أى ما وعدتنا به من نزول العذاب وقيام الساعة وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء قاله حبي بن أخطب لما قدم مكة (قل) لهم فى جوابهم (أى وربي انه لحق) أى كائن ثابت لا بد من نزوله بكم \* (تبيه) \* أى بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك توصل بواوه فى التصديق فيقال أى والله ولا ينطقون به وحده (وما أنتم بعجزين) أى بقائتين العذاب لان من عجز عن شئ فقد فاته (ولو أن لكل نفس ظلمت) أى أشركت (ما فى الارض) من الاموال (لافتدت به) من عذاب يوم القيامة ولم يتقها القداء لقوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل ولا هم نصرون (وأسر والندامة لما رأوا العذاب) أى حين عاينوه وأبصروه صاروا مهوتين متصيرين فلم يطبقوا عنده بكاء ولا صراخا سوى اسرار الندم كالحال فيمن ذهب به ليصلب فانه يبقى مهوتا متصيرا لا ينطق بكلمة وقيل انهم أخلصوا الله فى تلك الندامة



ومن أخلص في الدعاء أمره وفيه تهكم بهم وبإخلاصهم لانهم انما أتوا بهذا الاخلاص في غير  
 وقته بل كان من الواجب عليهم أن يأوابه في دار الدنيا وقت التكليف وقيل المراد بالاسرار  
 الاظهار وهو من الاضداد لانهم انما أخفوا الندامة على الكفر والفسق في الدنيا لاجل حفظ  
 الرياسة وفي القيامة بطل هذا فوجب الاظهار وليس هناك تخلد (فان قيل) أسر وأجاء على افظ  
 الماضي والقيامه من الامور المستقبلة (أجيب) بأنها ما كانت واجبة الوقوع جعل الله  
مستقبلها كالماضي (وقضى بينهم) أي بين الخلائق (بالقسط) أي بالعدل (وهم لا يظلمون)  
 (فان قيل) هذه الآية مكررة (أجيب) بأن الاولى في القضاء بين الانبياء وتكذيبهم وهذه عامة  
 وقيل بين المؤمنين والكفار وقيل بين الرؤساء والاتباع فان الكفار وان اشتركوا في العذاب  
 فلا بد أن يقضى الله تعالى بينهم لانه لا يمتنع أن يكون قد ظلم بعضهم بعضا في الدنيا وانه فيكون  
 في ذلك القضاء تخفيف عذاب بعضهم وتثقل لعذاب الباقي لان العدل يقتضي أن ينصف  
 المظلومين من الظالمين ولا يسيل اليه الا أن يخفف من عذاب المظلومين ويثقل في عذاب الظالمين  
 وقوله تعالى (ألا ان الله ما في السموات والارض) تقرير لقدرة تعالى على الاثابة والعقاب  
 (ألا ان وعد الله) أي ما وعده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من البعث للجزاء ومن ثواب  
 الطائع وعقاب العاصي (حق) لاشك فيه (وايكون أكثرهم) أي الناس (لا يعلمون) أي  
 جاهلون عن حقيقة ذلك فهم باقون على الجهل معدودون مع البهائم لقصور عقولهم الاظهار من  
 الحياة الدنيا (هو) أي الذي يملك ما في السموات والارض (يحيي ويميت) أي قادر على الاحياء  
 والامانة لا يذرع عليه شيء مما أراد (واليه ترجعون) بعد الموت للجزاء وقوله تعالى (يا أيها  
 الناس) خطاب عام وقيل لاهل مكة (قد جاءكم من ربكم) أي كتاب فيه مالكم وعليكم  
 وهو القرآن (وشفاء) أي دواء (لما في الصدور) أي القلوب من داء الجهل لان داء الجهل أضرت  
 للقلب من المرض للبدن وأمر اض القلب هي الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات  
 المهلكة والقرآن من يزل لهذه الامراض كلها لان فيه المواعظ والزواجر والتخويف والترغيب  
 والترهيب والتحذير والتذكير فهو الشفاء لهذه الامراض القلبية وانما خص تعالى الصدر  
 بالذكر لانه موضع القلب وغيره وهو أعز موضع في الانسان لمكان القلب فيه (وهدي) من  
 الضلالة (ورحمة) أي اكرام عظيم (للمؤمنين) لانهم هم الذين اتفَعوا به دون غيرهم  
 واختلف في تفسير قوله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته) فقال مجاهد وقتادة فضل الله القرآن وعن  
 ورحمته أن جعلنا من أهله وقال ابن عباس والحسن فضل الله الاسلام ورحمته القرآن وعن  
 أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكاتب الله  
 والاسلام وقال ابن عرفه فضل الله الاسلام ورحمته تزيينه في قلوبنا وقيل فضل الله الاسلام  
 ورحمته الجنة وقيل فضل الله القرآن ورحمته السنن ولا مانع من أن تفسر الآية بجميع ذلك  
 اذ لا تنافي بين هذه الاقوال والباء في فضل الله وبرحمته متعلقة بمحذوف يفسر ما بعده تقديره  
 قل فليفرحوا بفضل الله وبرحمته (فبذلك فليفرحوا) والتكرير للتأكيد والتقرير واجباب

اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فغذق أحد المفعولين دلالة  
 المذكور عليه والقائه داخله لمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا وبشئ فليفرحوا بهما  
 فانه لا مفرح به أحق منهما (هو) أى المحدث عنه من الفضل والرحمة (خير مما يجتمعون)  
 أى من حطام الدنيا ولذا انها الفانية وقرأ ابن عامر بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة  
 (قل) يا محمد لكفار مكة (أرأيتم) أى أخبروني (ما أنزل) أى خلق (الله لكم من رزق) وانه  
 تعالى جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء يحصل بأسباب منها (لجعلتم منه) أى من ذلك الرزق  
 (حراما وحلالا) وهو مثل ما ذكره من تحريم السائبة والوصيلة والحام ومثل قولهم هذه  
 أنعام وحرث حجروم مثل قولهم هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ومثل قولهم  
 غماية أزواج من الضأن اثنين (قل) لهم يا محمد (الله أذن لكم) في هذا التحريم والتحليل (أم)  
 أى بل (على الله تفوتون) أى تكذبون على الله بنسبة ذلك اليه (وما ظن الذين يفترون) أى  
 يتعمدون (على الله الكذب) أى أى شئ يظنهم به (يوم القيامة) أيحسبون أن لا يؤاخذهم  
 ولا يجازيهم على أعمالهم فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع والتوبيخ والتوبيخ والتوبيخ  
 لمن يفتري على الله الكذب (ان الله لذو فضل على الناس) بنم كثيرة لا تحصى منها انزال  
 الكتب مفصلا فيها ما يرضيه وما يبغظه ومنها ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام لبيانها  
 بما يحتمله عقول الخلق منها ومنها طول امهالهم على سوء أفعالهم ومنها انعامه عليهم بالعقل  
 فكان شكره واجبا عليهم (ولكن أكثرهم) أى الناس (لا يشكرون) هذه النعم  
 ولا يستعملون العقل في دلائل الله تعالى ولا يقبلون دعوة أنبيائه ولا ينتفعون باسماع كتب الله  
 وقوله تعالى (وما تكون) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (في شأن) أى عمل من الاعمال  
 وجعه شؤون والضمير في قوله تعالى (وما تلو منه) اما للشأن لان تلاوة القرآن شأن من  
 شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شأنه واما للتنزيل كأنه قيل وما تلو من التنزيل  
 (من قرآن) لان كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له واما الله تعالى والمعنى وما تلو  
 من الله من قرآن نازل عليك وقوله تعالى (ولا تعملون من عمل) أى أى عمل كان تعميم للخطاب  
 بعد تخصصه بن هورئيسهم وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك ذكر حيث خص بما فيه  
 نغامة وهو الشأن وذكر حيث عم بقوله تعالى من عمل بما يتناول الجليل والحقير وقيل ان الكل  
 داخلون في الخطابين الاولين أيضا لانه من المعالوم انه اذا خطب رئيس القوم كان القوم  
 داخلين في ذلك الخطاب كما في قوله تعالى يا أيها النبي اذا طلقتم النساء (الا كما عليكم شهودا)  
 أى رقباء فخصى عليكم أعمالكم لان الله تعالى رقيب على كل شئ وعالم بكل شئ اذا لم يحدث  
 ولا خالق ولا موجد الا الله تعالى فكل ما يدخل في الوجود هنا من أحوال العباد وأعمالهم  
 الظاهرة والباطنة داخل في علمه وشاهد عليه (اذ تفيضون) أى الله شاهد عليكم حين تدخلون  
 وتفيضون (فيه) أى ذلك العمل وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج اذ تتشرون  
 فيه يقال أفاض القوم في الحديث اذا اتشروا فيه (وما يعزب) أى يغيب (عن ربك) يا محمد

أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة وأما البشرى في الآخرة فقلني الملائكة أيهم مسلمين  
 مبشرين بالقوز والكرامة وما يرونه من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بأيانهم وما  
 يقرؤون منها وسلام الله تعالى عليهم كما قال تعالى سلام قولاً من رب وحيه وغير ذلك من المبررات  
 بما بشر الله تعالى به عباده المتقين في كتابه وعلى السنة أنبيائه من جنسه وكريم ثوابه فان لفظ  
 البشارة مشتق من خير سار يظهر أثره في بشرة الوجه فكل ما كان كذلك دخل في هذه الآية  
 ثم انه تعالى لما ذكر صفة أوليائه وشرح أحوالهم قال تعالى (لا تبديل) أي بوجه من الوجوه  
 (لكلمات الله) أي لا تغيير لا قواله ولا اخلاف لمواعيده والكلمة والقول سواء وتظيره قوله  
 تعالى ما يتدل القول لدى وقوله تعالى (ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين (هو  
 القوز العظيم) هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المشرية وتعظيم شأنه وليس من شرطه  
 أن يقع بعده كلام متصل بما قبله (ولا يحزنك) يا محمد (قولهم) أي هؤلاء المشركين أي لا يغمك  
 تكذيبهم وتهديدهم وتشويرهم في تدبيرهم كل وإبطال امرك وسائر ما يتكلمون به في شأنك  
 وقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي من أجزئه والباقون بفتح الياء وضم الزاي وكلاهما بمعنى وقوله  
 تعالى (أن العزة) أي القوة (لله جميعاً) استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل ما لي لا أحرز فضيل  
 أن العزة لله جميعاً أي أن الغلبة والقهر في ملكة الله الله جميعاً لا يملك أحد شيئاً منها لا هم ولا  
 غيرهم فهو يغلبهم وينصر كعليهم قال تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وقال تعالى أنا المنتصر  
 رسولنا وقيل أن المشركين كانوا يزرون بكثرة أموالهم وأولادهم وعبيدهم فأخبر الله  
 تعالى أن جميع ذلك في ملكه فهو قادر على أن يسلب جميع ذلك ويذلهم بعد العز (هو السميع)  
 أي البليغ السمع لا قوالهم (العليم) أي المحيط العلم بضمائرهم وجميع أحوالهم فهو البالغ  
 القدرة على كل شيء فيجازيهم وهو تعليل لتفرد العزة لانه تفرد بهذين الوصفين فانتقياً  
 عن غيره ومن انتقياً عنه كان دون الحيوانات العجم فأي يكون له عزة (فان قيل) قوله تعالى  
 أن العزة لله جميعاً أيضاً قوله تعالى والله العزة لرسوله وللمؤمنين (أجيب) بالمتع لان عزة  
 الرسول والمؤمنين كلها بالله فهي لله (ألا ان الله من في السموات ومن في الارض) ملكا وخلقاً  
 (فان قيل) اقدد كرا لله تعالى في الآية المتقدمة ألا ان الله ما في السموات والارض بلفظ ما وقال  
 هنا بلفظ من فخاف انه قد ذلك (أجيب) بأنه تعالى غلب في الآية الاولى ما لا يعقل على من يعقل  
 لكثرة وفي هذه غلب العاقل على غيره لشرفه وقيل مجموع الآيتين دال على ان الكل خلقه  
 وملكه وقيل ان المراد بمن في السموات الملائكة ومن في الارض الثقلان وانما خصهم بالذكر  
 لشرفهم واذا كان هؤلاء في ملكه وتحت قهره فما لا يعقل منها أحق أن لا يكون له ندا وشريكاً  
 فهو كاللذليل على قوله تعالى (وما يتبع الذين يدعون) أي يعبدون (من دون الله) أي غيره  
 أصناماً (شركاء) على الحقيقة وان كانوا يسعون شركاء تعالى الله عن ذلك (ان) أي ما (يتبعون)  
 في ذلك (الا الظن) أي ظننا انها آلهة تشفع لهم وانها تقر بهم الى الله تعالى ثم بين تعالى ان هذا  
 الظن لا حكم له بقوله تعالى (وان) أي ما (هم الا بصرون) أي يكذبون في ذلك ويجوز

(من مثقال) أى وزن (ذرة) وهى النملة الحمراء الصغيرة خفيفة الوزن جداً وقيل المراد بها الهباء وهو الشئ المنبث الذى تراه فى البيت فى ضوء الشمس وقرأ الكسانى بكسر الزاى والباقون بالضم ومن صلة على القراءتين وانما قيد بقوله تعالى (فى الارض ولا فى السماء) تقريرا بالعقول العامة (فان قيل) لم تقدم ذكر الارض على السماء وقدم ذكر السماء على الارض فى سورة سبأ حيث قال تعالى ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض فما قانده ذلك (أجيب) بأن الكلام هنا فى حال أهلها والمقصود منه هو البرهان على احاطة علمه على ان العطف بالواو حكمه حكم التثنية (ولا أصغر من ذلك) أى الذرة (ولأ أكبر) أى منها (الافى كتاب بين) أى بين وهو اللوح المحفوظ وقرأ حجة برفع الراء من أصغر وأكبر على الابتداء والخبر والباقون بالنصب على ان ذلك اسم لا وفى كتاب خبرها (الآن أو ليا الله) أى الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة (لا خوف عليهم) من حقوق مكروه (ولاهم يحزنون) بقوات مأمول وفسرهم بقوله تعالى (الذين آمنوا وكانوا يتقون) الله يامثال أمره ونهيه وهذا الذى فسره الله تعالى به الاولياء لا مزيد عليه وعن على رضى الله عنه هم قوم صفر الوجوه من السهر عشم العيون من العبر خص البطون من الخوا وعن سعيد بن جبیر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من أولياء الله تعالى فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعنى السمى والهيئة وعن ابن عباس الاخبار والسكنة وعن عمر رضى الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بأنبياء ولا شهداء تغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم فلعلمنا نجحهم قال هم قوم تحابوا فى الله بغير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم اعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية ونقل النووى فى مقدمة شرح المهدب عن الامامين الشافعى وأبى حنيفة رضى الله تعالى عنهما ان كلامهما قال اذا لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولى وذلك فى العالم العامل بعلمه وقال القشبرى من شرط الولى أن يكون محفوظا كما أن من شرط النبى أن يكون معصوما فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخادع فالولى هو الذى توالت أفعاله على الموافقة ولما تقي الله عنهم الخوف والحزن زادهم فقال تعالى مبيد التوليتة لهم بعد أن شرع توليتهم له (لهم البشرى) أى الكاملة (فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) أما البشرى فى الدنيا فنصرت بأشياء منها الرؤيا الصالحة فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال البشرى هى الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له وقال صلى الله عليه وسلم ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقال الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فاذا حلم أحدكم حلميا يخافه فليته عود منه وليبصق عن شماله ثلاث مرات فانه لا يضره وقال الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة ومنها محبة الناس له وذكرهم اياه فى الثناء الحسن وعن أبى ذر قال قلت يا رسول الله ان الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن ومنها البشرى لهم عند الموت قال تعالى تنزل عليهم الملائكة

أن يكون وما يتبع في معنى الاستفهام أى وأى شئ يتبعون وشركاء على هذا نصب يسدعون  
 وعلى الاقل يتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقصر على  
 أحدهم للدلالة وقوله تعالى (هو الذى جعل لكم الليل تسكنوا فيه) أى ليحول عنكم التعب  
 والكلال فيه بما تقاسون في نهاركم من تعب التردد في المعاش (والنهار مبصرا) أى مضيا  
 تبصرون فيه مطالب أوزاقكم ومكاسبكم تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما  
 ليدلهم على تفرد باستحقاق العبادة وإضافة الابصار الى النهار مع أنه يصرفه على طريق نقل  
 الاسم من المسبب الى السبب كقولهم ليل نائم لأن الليل سبب للسكون قال قطرب تقول العرب  
 أظلم الليل أى صار ذا ظلمة وأضاء النهار أى صار ذا ضياء (أن في ذلك) المذكور (آيات) أى  
 دلالات على وحدانيته تعالى (لقوم يسمعون) سماع اعتبار وتدبر فيعلمون بذلك ان الذى خلق  
 الاشياء كلها هو الاله المعبود المتفرد بالوحدانية في الوجود ثم ذكر الله تعالى نوعا من أباطيل  
 الكفار بقوله تعالى (قالوا) أى اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله (اتخذ الله  
 ولدا) قال الله تعالى (سبحانه) أى تنزيها له عن الولد (هو الغنى) عن كل أحد وانما يطلب الولد  
 من يحتاج اليه ثم بين تعالى غناه بقوله تعالى (له ما فى السموات وما فى الارض) من ناطق  
 وصامت ملكا وخلقا ولما بين تعالى بالدليل الواضح امتناع ما أضفوا اليه عطف بالانكار  
 والتوبيخ فقال (ان) أى ما (عندكم من سلطان) أى حجة (بهذا) أى الذى تقولونه ثم بالغ تعالى  
 فى ذلك الانكار عليهم بقوله تعالى (أتقولون على الله ما لا تعلمون) حقيقة وصحته وتضيفون  
 اليه ما لا يجوز اضافته اليه تعالى جهلا منكم والاستفهام للتوبيخ (قل) يا محمد لهؤلاء الذين  
 يخلقون على الله الكذب فيقولون عليه الباطل ويؤمنون ان له ولدا (ان الذين يفترون) أى  
 يعتمدون (على الله الكذب لا يفلحون) أى لا ينجحون في سعيهم ولا يفوزون بطلوبهم بل خابوا  
 وخسر واقتنم لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة ومن الناس من اذا فاز بشئ من المطالب  
 العاجلة والمقاصد الحسية ظن انه قد فاز بالمقصد والله سبحانه وتعالى أزال هذا الخيال بأن  
 قال (متاع فى الدنيا) وفيه اضرار تقديره لهم متاع فى الدنيا على انه مبتدأ محذوف ويصح أن  
 يكون خبرا مبتدأ محذوف تقديره افتراؤهم متاع فى الدنيا يقيمون به رياستهم فى الكفر  
 أوحياتهم أو تقلبهم متاع فى الدنيا وهو أيام يسيرة بالنسبة الى طول بقائهم فى العذاب (ثم البنا  
 من جمعهم) بالموت (ثم نذيقهم العذاب الشديد) بعد الموت (بما) أى بسبب ما (كانوا يكفرون)  
 ولما ذكر سبحانه وتعالى فى هذه السورة من أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر  
 والعناد شرع بعد ذلك فى قصص الانبياء وما جرى لهم مع أممهم وذكر الله تعالى منهم فى هذه  
 السورة ثلاث قصص القصة الاولى قصة نوح عليه السلام المذكورة بقوله تعالى (واتل)  
 يا محمد (عليهم) أى كفار قريش (نبأ) أى خبر (نوح) وذلك ليكون لرسول الله صلى الله عليه  
 وسلم ولاصحابه أموة من سلف من الانبياء فانه كان صلى الله عليه وسلم اذا سمع أن معاملة  
 هؤلاء الصالحين مع كل الرسل ما كان الاعلى هذا الوجه خلف ذلك على قلبه كما يقال المصيبة

اذا عت خفت ولان الكفار اذا سمعوا هذه القصص وعلموا ان الجهال وان بالغوا في ايذاء  
 الانبياء المتقدمين الا ان الله تعالى أعلنهم بالآخرة ونصرهم وأيدهم وقهر أعداءهم كان  
 سماع هؤلاء الكفار لامثال هذه القصص سببا لان كسار قلوبهم ووقوع الخوف والوجل  
 في صدورهم ولان الكلام اذا طال تقريرا في نوع من أنواع العلوم فربما حصل نوع من أنواع  
 الملالة فاذا انتقل الانسان من ذلك الفن من العلم الى فن آخر شرح صدره وطاب قلبه ووجد  
 في نفسه رغبة جديدة وقوة حادثة وميل اقويا ولانه صلى الله عليه وسلم لما لم يتعلم علما ولم يطالع  
 كتابا ثم ذكر هذه القصص من غير تفاوت ومن غير زيادة ومن غير نقصان دل ذلك على أنه صلى الله  
 عليه وسلم اتماع رقتها بالوحي والتنزيل ويبدل من نبأ نوح (اذ قال لقومه) وهم بنو قاييل  
 (يا قوم ان كان كبر) أي شق وعظم (عليكم مقامي) أي لبني فيكم ألف سنة الاخسين عاما  
 (وتذ كبرى) أي وعظي اياكم (بآيات الله) أي بحجته وبيانه فعزمت على قتلي وطردي  
 (فعلى الله توكلت) أي فهو حسي وثقتي أو قياي على الدعوة لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة  
 قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى عليه  
 السلام أنه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود (فأجمعوا أمرهم) أي فاعزموا على أمر تفعلونه  
 في أذى بالاهلاك أو غيره (وشركاءكم) أي وادعوا شركاءكم أو الوادعني مع أي مع شركائكم  
 وهي الاصنام وانما حثهم على الاستعانة بها بناء على مذهبهم الفاسد واعتقادهم أنهم سائضون  
 وتنفع مع اعتقاده أنهم اجاد لا تضرو ولا تنفع بكينا وتوبيحنا لهم (ثم لا يكن أمرهم) أي الذي  
 تصدوني به (عليكم عمة) أي مستورا من غمها استره بل اظهروه وجاهروني بجاهرة فانه  
 لا معارضة لي بغير الله الذي يستوي عنده السر والجهر (ثم اقضوا الي) أي أمضوا  
 ما في أنفسكم وافرغوا منه يقال قضى فلان اذا مات ومضى وقضى دينه اذا فرغ منه وقيل  
 معناه توجهوا الي بالقتل والمكروه وقيل فاقضوا ما أنتم قاضون وهذا مثل قول الصحرة  
 لضرعون فاقض ما أنت قاض أي اعمل ما أنت عامل (ولا تنتظرون) أي ولا تؤخرون بعد  
 اعلامكم اياي ما أنتم عليه وانما قال ذلك اظهارا لقلته مبالاة وثقته بما وعده ربه من كلامه  
 وعصيته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا (فان توليتهم) أي أعرضتكم عن تذ كبرى (فما سألتكم من أجر)  
 أي من جعل و عوض على تبليغ الرسالة فينفركم عنى وتتمموني لاجله من طمع في أموالكم  
 وطلب أجر على عظمتكم ومتى كان الانسان فارغا عن الطمع كان قوله أقوى تأثيرا في القلب (ان  
 أجرى الاعلى الله) وهو الثواب الذي يثيب به في الآخرة أي ما أنصركم الا لوجه الله تعالى لا  
 لغرض من أغراض الدنيا وهكذا ينبغي لكل من ينفع الناس بعلم أو ارشاد الى طريق الله تعالى  
 (وامرت أن أكون من المسلمين) أي اني ما موريا لاستسلام لكل مكروه يصل الى منكم لاجل  
 هذه الدعوة وقيل بدين الاسلام وانا ما مض فيه غم يترار له قبل قوله أو لم تقبلوه (فكذبوه) أي  
 أصروا على تكذيبه بعدما ألزمهم الحجج وبين أن توليتهم ليست الاعدادهم وعزهم لاجرم حقت  
 عليهم كلمة العذاب (فخصيناه) من الفرق (ومن معه في الملك) أي السفينة وكانوا اثنتين

(وجعلناهم) أي الذين أنجيناهم معه في الفلك (خلائف) في الارض يخلفون الهالكين بالغرق (وأغرقتنا الذين كذبوا آياتنا) بالطوفان وقوله تعالى (فانظر) أي أيها الانسان أو يا محمد (كيف كان عاقبة المنذرين) تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسليمه له وهذه القصة اذا سمعها من صدق النبي صلى الله عليه وسلم ومن كذب به كان زجرا للمكلفين من حيث يخافون أن ينزل بهم مثل ما نزل بقوم نوح وتكون داعية للمؤمنين على الثبات على الايمان لصلوا الى مثل ما وصل اليه قوم نوح وهذه الطريقة في الترغيب والتحذير اذا جرت على سبيل الحكاية عن تقدم كانت أبلغ من الوعيد المبتدا ولهذا الوجه أكثر تعالى ذكره أفاضل الانبياء عليهم السلام (ثم بعثنا من بعده) أي نوح (رسلا الى قومهم) لم يسم هنا تعالى من كان بعد نوح من الرسل وقد كان بعده هود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب صلوات الله وسلامه عليهم (لجأؤهم بالبينات) أي بالمجيزات الواضحات التي تدل على صدقهم (فما كانوا يؤمنوا) أي فما استقام لهم أن يؤمنوا لشدة عنادهم وخذلان الله تعالى اياهم (بما) أي بسبب ما (كذبوا به من قبل) أي أنهم كانوا قبل بعثة الرسل اليهم أهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم أحد (كذلك) أي مثل ما طبعنا على هؤلاء بسبب تكذيبهم الرسل (نطبع) أي نختم (على قلوب المعتدين) في كل زمن اسكل من تعمد العدو فيما لا يحل له فلا يقبل الايمان لانهما كهما في الضلال واتباعهم المألوف وفي أمثال ذلك دليل على أن الافعال واقعة بقدره الله تعالى وكسب العبد \* القصة الثانية قصة موسى عليه السلام المذكورة بقوله تعالى (ثم بعثنا من بعدهم) أي هؤلاء الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه) أي أشرف قومه وغيرهم تبع لهم فهو مرسل الى الجميع (باياتنا) التسع (فاستكبروا) عن اتباعها والايمان بها وهو أعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموها عن قبولها (وكانوا قوما مجرمين) أي كفارا ذوى آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترأوا عن ردها (فلما جاءهم الحق) أي جاء فرعون وقومه (من عندنا) أي الذي جاء به موسى من عنده وعرفوا أنه ليس من عند موسى وهرون لتظاهر المجيزات الظاهرات المزيحة للشك (قالوا) أي غير متأملين له ولناظرين في أمره لفرط تمردهم (إن هذا السحرمبين) أي بين ظاهر يعرفه كل أحد وهم يعلمون أن الحق أبعد شئ من السحر الذي لا يظهر الا على كافر أو فاسق وقوله تعالى (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا) فيه حذف تقديره أتقولون للحق لما جاءكم هو سحر أسحر هذا حذف السحر الاول اكتفاء بدلالة الكلام عليه ثم قال أسحر هذا وهو استفهام على سبيل الإنكار بمعنى انه ليس بسحر ثم احتج على صحة قوله تعالى فقال (ولا يفلح الساعرون) فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة فقلب العصا حية وقلع الجرم معلوم بالضرورة انه ليس من باب التوبة والتخيل فثبت انه ليس بسحر (قالوا) أي قوم فرعون لموسى (أجئتنا لتلفتنا) أي لتردنا وتصرفنا والقتل والقتل أخوان (عما وجدنا عليه آياتنا) أي من الدين وعبادة الاصنام

ثم قالوا لموسى وهرون (وتكون لكما الكبرياء) أى الملك والعز (فى الارض أى أرض مصر  
قال الزجاج سمي الملك كبرياء لانه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا وأيضاً الملوكة موصوفون بالكبر  
ولهذا وصف ابن الرقيات مصعباً فى قوله

ملكه ملك رافة ليس فيه \* جبروت منه ولا كبرياء

يتقى ما عليه الملوكة من ذلك ويجوز ان يقصدوا بذلك ذمهما وانهما ان ملكا أرض مصر تجبرا  
وتكبرا كما قال القبطى لموسى عليه السلام ان تريد الا أن تكون جبارا فى الارض (وما نحن  
لكما بمؤمنين) أى بصدقين فيما جئنا به (وقال فرعون) لقومه ارادة للمناظرة لما أتى به موسى  
عليه السلام (استوفى بكل ساحر عليهم) أى بالغ فى علم السحر لثلاث بقوت شئ من السحر بتأخر  
البعض وقرأ جزءة والكسائى بغير ألف بين السين والحاء وتشديد الحاء مفتوحة وألف بعدها  
بصيغة فعال دال على زيادة قلق فرعون والباقون بألف بعد السين وتخفيف الحاء مكسورة  
ولألف بعدها (فما جاء السحرة) أى كل من فى أرض مصر منهم قالوا لموسى اما أن تلقى  
واما ان نكون نحن الملقين (قال لهم موسى ألقوا) جميع (ما أنتم ملقون) (فان قيل) كيف  
أمرهم بالكفر والسحر والامر بالكفر كفر (أجيب) بأنه انما أمرهم بالقاء ما معهم من الحبال  
والعصى التى معهم ليظهر للخلق انما أتوا به عمل فاسد وسعى باطل لا على طريق أنه عليه السلام  
أمرهم بالسحر (فما ألقوا) ما معهم من الحبال والعصى وخيلوا لسحرهم أعين الناس  
أنها تسمى (قال موسى) منكر عليهم (ما جئتم به السحر) قرأه أبو عمرو بوزن مزين الاولى همزة  
الاستفهام فهى مفتوحة والثانية همزة وصل وله فيها وجهان التسهيل والبدل فما استفهامية  
مبتدأ وجئتم به خبرها والسحر بدل منه وقرأ الباقون به زة وصل فتسقط فى الوصل أى  
الذى جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا ثم أخبر موسى عليه السلام بقوله (ان  
الله سيظلمه) أى يهلكه ويظهر فضيحة صاحبه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) أى لا يثبت  
ولا يقويه وقول البيضاوى وفيه دليل على أن السحر افساد وتعميه لاحقيقة له محمول على  
ما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية والافله حقيقة فهو حق عند أهل السنة وهو  
علم بكيفية استعدادات تقدر به النفوس البشرية على ظهور التأثير فى عالم العناصر (ويحق)  
أى يثبت ويظهر (الله الحق بكلماته) أى بقضائه ووعد الصادق لموسى عليه السلام وقد  
أخبر الله تعالى فى غير هذه السورة انه كيف أبطل ذلك السحر وذلك بسبب أن ذلك الثعبان  
قد تلقف ذلك الحبال والعصى (ولو كره المجرمون) ذلك \* ولما بين تعالى أن قوم موسى شاهدوا  
هذه المعجزات ومع ذلك لم يؤمن منهم الا القليل كما قال تعالى (فما آمن لموسى الا ذرية من قومه)  
وانما ذكر تعالى ذلك تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه كان يفتن بسبب اعراض القوم  
عنه واستقرارهم على الكفر بين تعالى أن له فى هذا الباب بسائر الانبياء اسوة لان الذى ظهر من  
موسى عليه السلام من المعجزات كان أمرا عظيما ومع ذلك فما آمن له الا ذرية من قومه  
والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس الذرية القليل والهاء التى فى قومه



راجعة الى موسى أي بما آمن من قومه الاطاعة من ذرأوى بنى اسرائيل كأنه قيل  
 الأولاد من أولاد قومه وذلك أنه دعا الآباء قلم يحسبوه خوفاً من فرعون واجابته طائفة من  
 أبنائهم مع الخوف وقيل راجعة الى فرعون والذرية امرأته آسية ومؤمن آل فرعون  
 وخازن فرعون وامرأة خازنه وما شعلته (على خوف من فرعون وملائمهم) أي خوف منه  
 لانه كان شديد البطش وكان قد أظهر العداوة مع موسى وإذا علم ميل القوم الى موسى كان  
 يبالغ في ايذائهم فلهم هذا السب كانوا خائفين منه ومن أشرف قومه والضمير لفرعون ويوجه  
 على ما هو المعتاد في ضمير العظمة لأنه ذوا محلب يأتمرون به وقيل المراد بفرعون آله كما يقال  
 ربيعة ومضر (أن يقتنهم) أي بصرفهم ويصددهم عن الايمان (وان فرعون لعال) أي  
 متكبر قاهر (في الارض) أي أرض مصر (وانه لمن المسرفين) أي الجهالوزين الحد  
 فانه كان من أخس العبيد وادعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبنى اسرائيل (وقال  
 موسى) لقومه (يا قوم ان كنتم آمنتم بالله) أي صدقتم به وبآياته (فعلية توكلوا) أي ثقوا به  
 واعتمدوا عليه فانه ناصر أوليائه ومهلك أعدائه (ان كنتم مسلمين) أي مستسلمين لقضاء الله  
 تعالى مخلصين له وقيل ان كنتم آمنتم بالقلب وأسلمتم بالظاهر (فقالوا) مجيبين له (على الله  
 توكلنا) أي عليه اعتمدنا لعلنا نخلص من دعاوىهم فقالوا (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم  
 الظالمين) أي لا تسلطهم علينا فيفتنوننا (ونحننا) أي خلصنا (برحمتك من القوم الكافرين)  
 أي من أيدي قوم فرعون لانهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم في الاعمال الشاقة وانما قالوا  
 ذلك لانهم كانوا مخلصين لاجرم ان الله تعالى قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجياهم وأهلك من كانوا  
 يخافونه وجعلهم خلفاء في الارض وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على أن الداعي ينبغي  
 أن يتوكل أولاً لتجيب دعوته • ولما شرح الله تعالى خوف المؤمنين من الكافرين وما ظهر  
 فيهم من التوكل على الله تعالى أتبعه بأن أمر موسى وهرون عليهما السلام باتخاذ البيوت  
 بقوله تعالى (وأوحينا الى موسى وأخيه) أي الذي طلب موازرتة ومعانديته (أن يتوا)  
 أي اتخذوا (لقومك بمصر يوتا) تسكنون فيها وترجعون اليها للعبادة (واجعلوا) أي اتوا  
 وقومك (بيوتكم) أي تلك البيوت (قبلة) مصلى أو مساجد كما في قوله تعالى في بيوت أذن  
 الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه موجهة نحو القبلة أي الكعبة وكان موسى عليه السلام يصلي اليها  
 وقرأ ورش وأبو عمرو وحضن بيوتاً وبيوتكم برفع الباء والباقون بالخفض (وأقيموا الصلاة)  
 فيها ذكر المنسرون في كيفية هذه الواقعة وجوها ثلاثة الأول أن موسى عليه السلام ومن معه  
 كانوا في أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم  
 ويؤذهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على هذه الحالة في أول الاسلام بحكمة الثاني  
 أنه قيل انه تعالى لما أرسل موسى اليهم أمر فرعون بتضريب مساجد بنى اسرائيل ومنعهم من  
 الصلاة فأمرهم الله تعالى أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفاً من فرعون الثالث  
 أنه تعالى لما أرسل موسى اليهم وأظهر فرعون تلك العداوة الشديدة أمر الله تعالى موسى

وهرون وقومهما باخذ المساجد على رغم الاعداء وتكفل الله تعالى بأن يصونهم من شر  
 الاعداء وقد خص الله تعالى موسى وهرون في أوّل هذه الآية بالخطاب بقوله تعالى أن تبوأ  
 لقومكما لان التبوؤ للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم للتشاوّر ثم عم هذا الخطاب  
 فقال واجعلوا بيوتكم قبلة لان جعل البيوت مساجد واقامة الصلاة مما ينبغي أن يفعله كل  
 أحد ثم خص موسى عليه السلام في آخر الكلام بالخطاب فقال تعالى (وبشر المؤمنين) أي  
 بالنصر في الدنيا والجنة في العقبى لان الغرض الاصلى من جميع العبادات حصول هذه البشارة  
 فخص الله تعالى موسى به باليدل بذلك على أن الاصل في الرسالة هو موسى عليه السلام وان  
 هرون عليه السلام تبع له ثم أن موسى عليه السلام لمبالغ في اظهار المهجرات القاهرة الطاهرة  
 ورأى القوم مصرين على الجحد والعناد والانكار أخذ يدعو عليهم ومن حق من يدعو على الغير  
 أن يذكر أو لا سبب اقدامه على الجرائم وكان جرمهم هو لاجل حبهم الدنيا يزكوا (ولهذا السبب  
 قال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملائم) أي أشرف قومه على ما هم عليه من الكفر والكبر  
 (زينه) أي عظمة يتزينون به من الحلية واللباس وغيرهما من الدواب والغلمان وأثاث البيت  
 الفاخر ونحو ذلك (وأموالا) أي كثيرة من الذهب والفضة وغيرهما (في الحياة الدنيا) روى عن  
 ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كان لهم من فسطاط مصر الى أرض الحبشة جبال فيها معادن  
 من ذهب وفضة ووزبرجد وياقوت ثم بين غايتها لهم فقال مفتحا بالنداء باسم الرب ليعبده واتباعه  
 من مثل حالهم (ربنا) أي يا ربنا آتيتهم ذلك (ليذبلوا) أي في خاصة أنفسهم ويضلوا غيرهم  
 (عن سيديك) أي دينك واللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون  
 ليكون لهم عدوا وحزنا وقيل لام كي أي آتيتهم كي تفتنهم وقيل هو دعاء عليهم بما علم من ممارسة  
 أحوالهم أنه لا يكون غير ذلك وقرأ عاصم وحجة والكسائي بضم الياء والباقون بالفتح (ربنا  
 اطمس على أموالهم) أي امسحها وغيرها عن هيئتها قال قتادة صارت أموالهم وحروثهم  
 وزروعهم وجواهرهم حجارة وقال محمد بن كعب جعل سكرهم حجارة وقال ابن عباس بلغنا  
 ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وانصافا واثلاثا واربعا ودعا عمر بن  
 عبد العزيز بنجر يطة فيها أشباه من بقايا آل فرعون فاخرج منها البيضة مشقوقة والجوزة  
 مشقوقة وانها كالنجر قال السدي مسح الله تعالى أموالهم حجارة والتخيل والثمار والذيق  
 والاطعمة فكانت احدى الآيات التسع (واشدد على قلوبهم) أي اطبع عليها واستوثق  
 حتى لا تشرح للايمان وقوله (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) جواب للدعاء أو دعاء بلقظ  
 النهى أو عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض وقوله تعالى (قال قدأ جيت دعوتكما) فيه  
 وجهان الاقول قال ابن عباس ان موسى كان يدعو وهرون كان يؤمن فلذلك قال دعوتكما  
 وذلك أن من يقول عند دعاء الداعي أمين فهو أيضا داع لان قوله أمين تأويله استجب فهو سائل  
 كما ان الداعي سائل أيضا الثاني أن يكون كل منهما ذكر هذا غاية ما في الباب أن يقال انه تعالى  
 حكى هذا الدعاء عن موسى بقوله تعالى وقال موسى ربنا وهذا الاشارة أن يكون هرون قد ذكر

الدعاء أيضا وأما قوله تعالى (فاستجبنا) فعناذنا ابتداء على الدعوة والرسالة والزيادة في الزمان  
 العجبة فقد لبث نوح في قومه ألف سنة الا خمسين عاما فلما استجمل قال ابن جرير ان فرعون لبث  
 بعد هذا الدعاء أربعين سنة (ولا تتبعنا سبيل الذين لا يعلمون) أي الجاهلين الذين يظنون انه متى  
 كان الدعاء مجابا كان المقصود حاصل في الحال فربما أجاب الله تعالى دعاء الانسان في مطلوبه  
 الا انه انما يريد ما يوصله اليه في وقته المقدور والاستجبال لا يصدر الا من الجهال وهذا كما قال  
 تعالى لنوح عليه الصلاة والسلام اني أعظك ان تكون من الجاهلين وهذا النهي لا يدل على  
 ان ذلك قد صدر من موسى عليه السلام كما أن قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك لا يدل على  
 صدور الشرك منه صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن ذكوان بتخفيف النون والباقون بتشديدها  
 لان نون التوكيد تثقل وتخفف ولما أجاب الله تعالى دعاءهما أمر بني اسرائيل وكانوا ستمائة  
 ألف بالخروج من مصر في الوقت المعلوم ويسر لهم أسبابه وفرعون كان غافلا عن ذلك فلما سمع  
 انهم خرجوا وعزموا على مفارقة مملكته خرج في عقبهم كما قال تعالى (وجاوزنا) أي قطعنا (بني  
 اسرائيل) أي عبدنا المخلص لنا (البحر) حتى بلغوا الشط حافظين لهم (فأتبعهم فرعون  
 وبنوده) أي لحقهم وأدركهم يقال تبعه وأتبعه اذا أدركه ولحقه (بقيا وعدوا) أي ظلما  
 وعدوانا وقيل بغيا في القول وعدوا في الفعل فلما أدركهم فرعون قالوا لموسى أين المخلص  
 والمخرج البحر أمنا وفرعون ورائنا قد كنا نلقى من فرعون البلاء العظيم فأوحى الله تعالى  
 الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فصر به فانفلق لموسى وقومه فكان كل فرق كالطود العظيم  
 وكشف عنه وجه الارض وانتشر لهم البحر فلما وصل فرعون الى البحر هابوا ودخلوه وكان فرعون  
 على حصان أدهم وكان معه في عسكره ثمانمائة ألف حصان على لون حصانه وميكائيل يسوقهم  
 حتى لم يشذ منهم احد فلما خرج آخر بني اسرائيل من البحر تقدمهم جبريل على فرس وخاص  
 البحر فلما وجد الحصان ريح الاتي لم يملك فرعون من أمره شيئا فنزل البحر واتبعه بنوده حتى  
 اذا كملوا جميعا في البحر وهم أولهم بالخروج التطمم البحر عليهم فلما أتاه الفرق أتى بكلمة  
 الاخلاص كما قال تعالى (حتى اذا أدركه الفرق) أي لحقه (قال آمنت أنه) أي بأنه (لا اله الا  
 الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) (فان قيل) انه آمن ثلاث مرات أولها قوله آمنت  
 وثانيها قوله لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وثالثها قوله وأنا من المسلمين فما السبب في عدم  
 القبول (اجاب) العلماء عن ذلك بأجوبة منها انه انما آمن عند نزول العذاب والايان والتوبة  
 عند معاينة الملائكة والعذاب غير مقبول ويدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا  
 بأسنا ودرس جبريل في فيه من حيا البحر مخافة أن تناله الرحمة وقاله (الآن) تؤمن (وقد  
 عصيت قبل) وضيعت التوبة في وقتها وأثرت دنيا القانية على الآخرة الباقية (وكنتم من  
 المفسدين) بضلالك واضلالك عن الايمان والتوبة حتى أغلق بابها بحضور الموت ومعاينة  
 الملائكة وانما قال له وكنتم من المفسدين في مقابلة قوله وأنا من المسلمين ومنها ان فرعون انما  
 قال هذه الكلمة ليتوصل بها الى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة ولم يكن قصده الاقرا بوحداية

الله تعالى والاعتراف له بالربوبية فلم يتصمما قال في ذلك الوقت ومنها أن فرعون كان من المهرية  
 المنكرين لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى ولذلك قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به  
 بنو إسرائيل فلم يتصم ذلك لحصول الشك في إيمانه ومثل هذا الاعتقاد الفاسد لا تزول ظلمته  
 إلا بنور الحجة القطعية والدلائل اليقينية ومنها ما روى في بعض الكتب أن بعض أقوام بني  
 إسرائيل لما تجاوزوا البحر اشتغلوا بعبادة العجل فلما قال فرعون آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به  
 بنو إسرائيل أنصرف ذلك إلى العجل الذي آمنوا بعبادته في ذلك الوقت فكانت هذه الكلمة  
 في حقهم سبباً لزيادة الكفر ومنها أن الإيمان انما كان يتم بالقرار بوحداية الله تعالى وبالقرار  
 بخبوة موسى عليه السلام وفرعون لم يقرب بالنبوة فلم يصح إيمانه وتطير ما من الكفار  
 لو قال ألف مرة أشهد أن لا إله إلا الله فانه لا يصح إيمانه إلا إذا قال معه وأشهد أن محمداً رسول  
 الله فكذا هنا ومنها أن جبريل عليه السلام أتى فرعون بفتوى ما قول الأمير في عبد نشأ  
 في مال مولاه ونعمته فكفر نعمته ومجدد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول أبو  
 العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج عن سيدهم الكافر بنعمته أن يفرق في البحر ثم أتى  
 فرعون لما عرق رقع جبريل عليه السلام إليه خطه (فان قيل) بما فائدة قدس جبريل في قوم فرعون  
 ذلك لانه في تلك الحالة أتما أن يكون التكليف ثابتاً أم لا فان كان فكيف يخضعه من التوبة وان  
 كان غير مكلف فلا فائدة في ذلك (أجيب) بأن التكليف كان ثابتاً وجبريل عليه السلام لم يفعل  
 ذلك من قبل نفسه فانه عبد مأمور والله تعالى يفعل ما يشاء كما قال تعالى فان الله يضل من يشاء  
 ويهدي من يشاء وقال تعالى ونقلب أقدسهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة وهكذا فعل  
 يفرعون منعه من الإيمان عند الموت جزاء على تركه الإيمان أو لا قدس الحما في قوم فرعون من  
 جنس الختم والطبع على القلب ومن الناس من قال قائل هذا القول هو الله تعالى لانه ذكر بعده  
 (فاليوم نجيتك) أي نخرجك من البحر (بيدك) أي جسمك الذي لا روح فيه كما لا سويها  
 لم يتغيراً ونخرجك من البحر عزباناً من غير لباس أو ان المراد بالبدن الدرع قال الليث البدن  
 هو الدرع الذي يكون قصير التكمين وهذا منقول عن ابن عباس قال كان عليه درع من ذهب  
 يعرف به فأخرجه الله تعالى من الماء مع ذلك الدرع ليعرف (تكون لمن خلقك) أي بعدد  
 (آية) أي عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا يقدموا على مثل فعلك وعن ابن عباس أن بعض بني  
 إسرائيل شكوا في موته فأخرج لهم ليروه ويشاهد ما خلق على ذلك الذل والمهانة بعدما سمعوا  
 منه قوله أنا ربكم الأعلى ليعلموا أن دعواه كانت باطلة وان ما كان فيه من عظم الشأن وكبرياء  
 الملك آل أمره إلى ما يرون لعصيانه ربه (وان كثير من الناس عن آيات الغافلون) أي لا يعتبرون  
 بها وهذا الكلام ليس الكلام الذي أتى في القرآن ولكن القول الأول أشهر (ولقد بتوا) أي أتت  
 (في إسرائيل بموا صدق) أي منزلاً صالحاً مرضياً وهو مصر والشام وانما وصف المكان  
 بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيئاً أضافته إلى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق  
 وقدم صدق والسبب فيه أن الشيء اذا كان كلاماً صالحاً لا بد أن يصدق الظن فيه وقيل أرضه

الشأم والفرس والاردن لانهما بلاد انقلب والتبر والبركة (وورقناهم من الطيبات) أي  
 الحلالات المستلذات من القواكه والحبوب والالبان والاعمال وغيرها فأورث تعالى  
 بني اسرائيل جميع ما كان تحت أيدي فرعون وقومه من الناطق والحامات والحرف والنمل  
 كما قال تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يتضفون من ارض مصر بها (فما اختلفوا)  
 أي هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني اسرائيل في أمر دينهم (حتى جاءهم العلم) أي  
 جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك أنهم كانوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم مقرين به مجمعين على  
 نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوباً عندهم وكانوا يخبرون بعينه ومقتته وفتته ويقضون  
 بذلك على المشركين فلما بعث صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فأمن به بعضهم كعبداً لله بن  
 سلام وأصحابه وكفر به بعضهم بغير وجه واداء البقاء الرياسة وانهم اختلفوا في دينهم إلا  
 من بعد ما قرأوا التوراة وعلموا أحكامها (آن يذك) يا محمد (يقضى بينهم يوم القيمة) أي الذي  
 هو أعظم الايام (فما كانوا) أي بأفعالهم الجبلية (فيه يختلفون) أي فيتميز الحق من  
 الباطل والصدق من الزندق ويسكن كلاداره واختلف المفسرون فيمن الخطاب بقوله تعالى  
 (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرون الكتاب) أي التوراة (من قبلت) أي  
 فانه ثابت عندهم يضربونك بصدقه فصدق هو النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد أمته  
 كقوله تعالى يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين وقوله تعالى لئن أشركت ليحبطن  
 عملك وقوله تعالى له عيسى عليه السلام أنت قلت للناس اتخذوني وأمتي الهين من دون الله  
 ومن الأمثلة المشهورة اياك أعني واسمعي يا جارة والذي يدل على صحة ذلك وجوه الاول قوله  
 تعالى في آخ السورة يا أيها الناس فين أن ذلك المذكو فمما قبل الآية على سبيل الرمز هم  
 المذكورون في هذه الآية على سبيل التصريح الثاني أنه صلى الله عليه وسلم لو كان شاكاً في  
 نبوته نفسه لكان شك غيره في نبوته أولى وهما يوجبهما سقوط الشريعة بالكلية الثالث إذا قدر  
 أن يكون شكاً في نبوته نفسه فكيف يراد ذلك الشك باخبار أهل الكتاب عن نبوته مع أنهم  
 في الأكثر كانوا قد ثبت أن الخطاب وإن كان في الظاهر معه صلى الله عليه وسلم إلا أن المراد هو  
 الأئمة ومثله هذا معناه فان السلطان إذا كان له أمير وتحت رايته ذلك الأمير يجمع فإذا  
 أراد أن يأمر الرعية بأمر مخصوص فانه لا يوجه خطابه عليهم بل يوجه ذلك الخطاب  
 على ذلك الأمير الذي جعله أميراً عليهم ليصحبكون ذلك أشد تأثيراً في قلوبهم وقبول  
 الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على حقيقته ولكن الله تعالى علم أنه صلى الله عليه وسلم  
 لا يشك في ذلك إلا أن المقصود أنه حتى سمع هذا الكلام فانه يصرح ويقول يا رب لا أشك ولا  
 أطلب الجحش من قول أهل الكتاب بل أكتفي بما أنزلته على من الدلائل الظاهرة ولهذا اطل  
 صلى الله عليه وسلم لا أشك ولا أسأل أحد منهم وتظهر هذا قوله للملائكة أهؤلاء أياكم كانوا  
 يعبدون والمقصود أن يصرحوا بالجواب الحق ويقولوا سبحانك أنت وإيماناً من دونهم بل كانوا  
 يعبدون الحق وكما قال تعالى له عيسى عليه السلام أنت قلت للناس اتخذوني وأمتي الهين

والمتصود منه أن يصرح عيسى عليه السلام بالبراءة من ذلك فكذلك هنا وقرأ ابن كثير  
 والكسائي بنقل حركة الهـ منزلة الى السين والباقون بالهـ منزلة وسكون السين وقيل الخطاب  
 لكل من يسمع أى ان كنت أم السامع في شك مما أنزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تبيينه على أن  
 من خالجه شبهة في الدين ينبغي أن يسارع الى حلها بالرجوع الى أهل العلم وأظهر هذه الاقوال  
 أولها وهذه الاقوال تجرى في قوله تعالى (لقد جاءك الحق من ربك) أى الآيات القاطعة  
 لا مدخل للمرية فيه (فلانكوتن من الممتريين) أى الشاكين فيه وفي قوله تعالى (ولانكوتن  
 من الذين كذبوا بآيات الله فتكوتن من الخاسرين) أى الذين خسروا أنفسهم (ان الذين  
 حقت عليهم كلمة ربك) أى ثبت عليهم قوله تعالى الذى كتبه في اللوح المحفوظ وأخبر به  
 الملائكة أنهم (لا يؤمنون) أى يموتون كفارا فلا يكون غيره اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض  
 قضاؤه (ولو جاءتهم كل آية) فان السبب الاصلى لايمانهم وهو تعلق ارادة الله تعالى به مفقود  
 فان الدليل لا يهدى الا باعانة الله تعالى واذا لم تحصل تلك الاعانة ضاعت تلك الدلائل (حتى  
 يروا العذاب الاليم) فحينئذ لا ينفعهم الايمان كالم ينفع فرعون وقرأ نافع وابن عامر كلمات  
 يألف بعد الميم على الجمع والباقون بغير ألف على الافراد. القصة الثالثة قصة يونس عليه السلام  
 المذكورة بقوله تعالى (فلولا) أى فهلا (كانت قرية) واحدة من قرى الامم الماضية التى  
 أهلكتها (أمنت) أى آمن أهلها عند انبائهم بالآيات أو عند رؤية أسباب العذاب (فمنعها)  
 أى فتسبب عن ايمانها ذلك أنه نفعها (ايمانها) بأن تقبله الله تعالى منها وكشف العذاب عنها  
 وقوله تعالى (الاقوم يونس) استثناء منقطع بمعنى لكن قوم يونس (لما آمنوا) أى لما اخلصوا  
 الايمان أو لم يروا آية العذاب ولم يؤخروه الى حنوله (كشفت عنهم عذاب الخزي في الحياة  
 الدنيا) ويجوز أن يكون متصلا والجملة في معنى التنى لتضمن حرف التخصيص معناه كأنه قيل  
 ما آمن أهل قرية من القرى الهالكة فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس (ومتعناهم الى حين) أى  
 الى انقضاء آجالهم. روى عن ابن مسعود وغيره ان قوم يونس كانوا بأرض نينوى من أرض  
 الموصل فأرسل الله تعالى اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان فدعاهم فأبوا فقبل له  
 ان العذاب مصعبهم الى ثلاثة أيام فاخبرهم بذلك فقالوا انالم نجرب عليك كذبا فانظروا فان  
 بات فيكم تلك الليلة فليس بشئ وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصعبكم فلما كان في جوف تلك  
 الليلة خرج يونس عليه السلام من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب فكان فوق رؤسهم  
 قدر ميل وقال وهب عامت السماء غماما عظيما أسودها ثلاثا يدخن دخانا عظيما فهبط حتى غشى  
 مدينتهم واسودت سطوحهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلال فطلبوا يونس بينهم فلم يجدوه  
 وقذف الله تعالى في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصعيد بانفسهم ونساءهم واولادهم ودوابهم  
 ولبسوا المسوح وأظهروا الايمان والتوبة وأخلصوا النية وقرقوا بين كل والدة وولدها من  
 النساء والدواب فحن بعضها الى بعض وعلت أصواتها واختلطت بأصواتهم وجرعوا ونضروا  
 الى الله تعالى وقالوا آمنا بما جاء به يونس عليه السلام فرحمهم الله تعالى واستجاب دعاهم

وكشف عنهم العذاب بعدما أظلمهم وكل ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود رضي  
الله تعالى عنه بلغ من توبتهم ان تراذوا المطالم حتى ان الرجل كان يقطع الحجر وكان قد وضع عليه  
أساس بنيانه فبرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقيمة علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فآزرى  
فقال لهم قولوا يا حي يا قيوم يا حي يا حي لا اله الا انت فقالوا فاكشف عنهم  
وعن الفضيل بن عياض اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها وابل افعل بنا  
ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله وسنأتي بقية القصة ان شاء الله تعالى في سورة والصفات  
(فان قيل) قد حكى الله تعالى عن فرعون انه تاب في آخر الامر ولم يقبل توبته وحكى عن قوم  
يونس أنهم آمنوا وقبل توبتهم فما الفرق بين الخالين (أجيب) بأن فرعون انما تاب بعد ان  
شاهد العذاب وهو وقت اليأس من الحياة وأما قوم يونس فانهم تابوا قبل ذلك فانهم لما ظهرت  
أمارات دلت على قرب العذاب تابوا قبل ان ينزل بهم ولم يباشروهم فكانوا كالمريض يخاف  
الموت ويرجو العافية وان الله تعالى قد علم صدق نياتهم في التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون  
فانه لم يصدق في ايمانه ولا اخلص فلم يقبل منه قال الله تعالى (ولو شاء ربك يا محمد لا آمن بك  
وصدقك من في الارض كلهم) بحيث لم يشذ منهم أحد (جميعا) أي مجتمعين على ذلك في آن واحد  
لا يختلفون في شيء منه ولكن لم يشأن ان يصدقك ويؤمن بك الا من سبقته له السعادة في الازل وفي  
هذاتسوية للنبي صلى الله عليه وسلم فانه كان حريصا على ايمانهم كلهم فأخبر الله تعالى أنه لا يؤمن  
به الا من سبقته له السعادة الازلية فلا تتعب نفسك على ايمانهم وهو قوله تعالى (أفأنت  
تكره الناس) أي الذين لم يرد الله ايمانهم (حتى يكونوا مؤمنين) أي ليس ايمانهم اليك حتى  
تكرههم عليه وتحرص عليه انما ايمان المؤمن واضلال الكافر بمشيئة الله تعالى وقضائه وليس  
لاحد ذلك سواء كما قال تعالى (وما كان) أي وما ينبغي وما يتأتى (لنفس) أي واحدة فما فوقها  
(أن تؤمن) أي يقع منها ايمان في وقت ما (الا باذن الله) أي بارادته لها بالايمان فان هدايتها  
الى الله فهو المهدي والمضل وقال ابن عباس بأمر الله وقال عطاء بمشيئة الله (ويجعل) الله  
(الرجس) أي العذاب والخذلان فانه سببه وقر أشعبة وخدم بالنون (على الذين لا يعقلون)  
أي لا يتدبرون في آيات الله تعالى فينتفعوا بها وهم يدعون أنهم أعقل الناس ويساقطون  
في مساوي الاخلاق وهم يدعون أنهم أبعده الناس عنها فلا تذهب نفسك عليهم حسرات  
• ولما بين الله تعالى في الآيات السابقة أن الايمان لا يحصل الا بتخليق الله تعالى ومشيئته أمر  
بالنظر والاستدلال في الدلائل بقوله تعالى (قل انظروا) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين  
يسألونك الآيات (ماذا) أي الذي (في السموات والارض) من الآيات وواضح الدلالات  
من عجائب صنعته ليدل لكم على وحدته وكمال قدرته في العالم العلوي والشمس والقمر وهما  
دليلان على الليل والنهار والنجوم وحركات الافلاك ومقاديرها وأوضاعها والكواكب  
وما يختص بذلك من المنافع وفي العالم السفلي الجبال والبحار والمعادن والنبات والحيوان  
وأخصها حال الانسان كل ذلك من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وأنه خالقها كما قال

المقاتل

وفي كل شيء له آية • تدل على أنه واحد

وقرأ عاصم وحزرة في الوصل بكسر اللام والباقون بضمها وأما الهمزة من اتطروا فكل المقرء  
يتندون بالضم (وماتفق الآيات) أي وان كانت في غاية الوضوح (والندد) جمع نذر أي الرسل  
(من قوم لا يؤمنون) في علم الله تعالى وحكمه (تنبه) قال الصوريون ما هنا تحتمل وجهين  
الاول أن تكون نفيًا بمعنى أن هذه الآيات والندد لا تصيد الفأيدة في حق من حكم الله تعالى  
عليه بأنه لا يؤمن كقولك لا يفتي عنك المال اذ لم تنفق والثاني أن تكون استفهامًا كقولك  
أي شيء يفتي عنهم وهو استفهام بمعنى الاتكاد (فهل) أي ما ينتظرون أي أهل مكة يتكذبون  
(الام) أي ما أي وقائع (مثل أيام) أي وقائع (الذين خلوا من قبلهم) أي من مكذبي الام  
كل قبض وقوم نوح وما انطوى بينهم من الام أي مثل وقائعهم من العذاب (قل) أي قل لهم  
يا محمد (فاتظروا) أي العذاب (اني معكم من المنتظرين) أي لنزول العذاب بكم وقوله  
تعالى (ثم تعجبوا ورسنا والذين آمنوا) عطف على محذوف دل عليه قوله تعالى الامثل أيام الذين  
خلوا من قبلهم كأنه قيل لنهلك الامم ثم تعجبوا ورسنا ومن آمن بهم على حكاية الاحوال الماضية  
وقرأ أبو عمرو ووحده بسكون السين (كذلك) أي كما نحينا ورسنا والذين آمنوا معهم من  
الهلاك (حقا علينا نج المؤمنيين) أي تعجبك يا محمد ومن آمن معك وصدقك من الهلاك  
والعذاب (فان قيل) قوله تعالى حقا يقتضى الوجوب والله تعالى لا يجب عليه شيء (أجيب) بأن  
ذلك حق بحسب الوعد والملك لأنه حق بحسب الاستحقاق لما ثبت أن العبد لا يتحقق على  
خالقه شيئاً وهو اعتراض بين المشبه والمشبه به ونصب يفعله المقدر وقيل بدل من ذلك  
وقرأ جنس والكسائي بسكون النون الثانية والباقون بقصها وأما الوقف عليها فجميع  
المقرء يفتون على الجيم لانها مرسومة في المصحف بالجيم بلاياء فهي في القرآن وقفا وصلابلايا  
جميع القرء ولما ذكر تعالى الدلائل على أقصى الغايات وأبلغ النهايات أمر رسوله صلى الله عليه  
وسلم بأظهار دينه فقال (قل) يا محمد (يا أيها الناس) أي الذين أرسلت اليهم فمشكوا  
في أمركم ولم يؤمنوا بكم (ان كنتم في شك من ديني) أي الذي أدعوك اليه انه حق وأصررت  
على ذلك وعبدتم الاصنام التي لاتضر ولا تنفع (فلا تعبدون من دون الله) أي  
غيره وهو الاصنام التي لا قدرة لها على شيء (ولكن أعبدوا الله الذي يتوفاكم) بقبحض أرواحكم  
التي لا شيء عندهم يعدلها فانه الذي يستحق العبادة وانما خص الله تعالى هذه الصفة للتمديد  
وقيل انهم لما استجلبوا يطلب العذاب اجابهم بقوله ولكن أعبدوا الله الذي هو قادر على  
اهلاككم ونصري عليكم (وأمرت أن) أي بأن (أكون من المؤمنين) أي المستدقين  
بما جاء من عند الله وقيل انه لما ذكر العبادة وهي من أعمال الجوارح أبعها بذكر الايمان  
لانه من أعمال القلوب (فان قيل) كيف قال في شك وهم كفار ويعتقدون بطلان ما جاء به  
(أجيب) بأنه كان فيهم شاكون أو أنهم لما رأوا الآيات اضطربوا وشكوا في أمره صلى  
الله عليه وسلم وقوله تعالى (وان أقم وجهك للدين) عطف على أن أكون غير أن صلة



أن محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود وصلها بما تضمن معنى المصدر  
 ليبدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وأمرت  
 بالاستقامة في الدين والاستعداد فيه بأداء الفرائض والانتها عن القبائح أو في الصلاة  
 باستقبال القبلة وقوله (حنفا) حال من قاعل أقم أو من الدين أو من الوجه ومعناه مائلا  
 مع الدين غيره معوج عنه الى دين آخر وقوله تعالى (ولا تكونن من المشركين) أي ممن يشرك  
 بالله في عبادته غيره فتهلك خطا بالنبى صلى الله عليه وسلم والمراد أمته أي ولا تكونن أيها  
 الانسان وكذا قوله تعالى (ولا تدع) أي تعبد (من دون الله) أي غيره (مالا يتفكك) أي  
 ان عبديته (ولا يضرك) ان لم تعبده (فان فعلت) ذلك (فانك اذا من الظالمين) لنفسك لانك  
 وضعت العبادة في غير موضعها والظلم وضع الشيء في غير محله فاذا كان ماسوى الحق معزولا  
 عن التصرف كان اضافة التصرف الى ماسوى الحق وضعا للشيء في غير موضعه فيكون ظلما  
 ولما ذكر تعالى الاوثان وبين أنهم لا تقدر على ضرر ولا نفع بين تعالى أنه هو القادر على كل شيء  
 وأنه ذو الجود والكرم والرحمة بقره له تعالى (وان يمسه) أي يصيبك (الله بضرة) كقفر  
 ومرض (فلا كاشف) أي لا دافع (له الا هو) لانه الذي أنزله بك (وان يردك بخير) كرخاء وصحة  
 (فلا راد) أي دافع (لفضله) أي الذي أراد لك به (يصيب به) أي بالخير (من يشاء من عباده  
 وهو الغفور) أي البليغ السر للذنوب (الرحيم) أي البالغ في الاكرام وقرأ أبو عمرو وقالون  
 والكسائي يسكون الهاء والباقون بالضم فرج سبحانه وتعالى جانب الخير على جانب الشر من  
 ثلاثة أوجه الاول أنه تعالى لما ذكر اساس الضر بين أنه لا كاشف له الا هو وذلك يدل على أنه  
 تعالى يزيل المضار لان الاستثناء من النفي اثبات ولما ذكر الخير لم يقل بأنه يدفعه بل قال انه  
 لا أراد لفضله وذلك يدل على أن الخير مطلوب بالذات وأن الشر مطلوب بالعرض كما قال صلى الله  
 عليه وسلم عن ربه تعالى انه قال سبقت رحمتي غضبي الثاني أنه سبحانه وتعالى قال في صفة الخير  
 يصيب به من يشاء من عباده وذلك يدل على أن جانب الخير أقوى وأغلب الثالث أنه تعالى  
 قال وهو الغفور الرحيم وهذا أيضا يدل على قوة جانب الرحمة وحاصل الكلام في هذه الآية أنه  
 سبحانه وتعالى بين أنه منفرد بالخلق والايجاد والتكوين والابداع وأنه لا يوجد سواه ولا  
 معبود الاياه وأن جميع الممكنات مسندة اليه وجميع الكائنات محتاجة فالإيدي من فوعة  
 اليه والحاجات منتبهة اليه والعقول والهة فيه والرحمة والجود فائض منه ولما قررتعالى  
 الدلائل المذكورة في التوحيد والنبوة والمعاد وزين أمر هذه السورة بهذه البيات الدالة  
 على كونه تعالى مبتدئا بالخلق والابداع والتكوين والاختراع ختمها بهذه الخاتمة الشريفة  
 العالية لتلايق لاحد عذوب قوله تعالى (قل) يا محمد (يا أيها الناس) أي الذين أرسلت اليهم  
 (قد جاءكم الحق من ربكم) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من الله تعالى والقرآن  
 فلم يبق لكم عذر (فمن اهتدى) أي آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وعمل بما في الكتاب (فإنما  
 يهتدى لنفسه) لانه أتبع الحق الثابت وترك الباطل الزائل فأنقذ نفسه من النار وأوجب لها

الجنة فتواب اهتدائه له (ومن ضل) أى كفر بها أو بشئ منها (فانما يضل عليها) أى على نفسه لان وبال ضلاله عليها لان من ترك الباقي وتمسك بما ليس في يده منه شئ فقد غر نفسه ثم قال صلى الله عليه وسلم (وما أنا عليكم بوكيل) أى حفيظ أى موكول الى أمركم وانما أنا بشير ونذير قال ابن عباس ر هذه الآية منسوخة بآية السيف قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (واتبع) يا محمد (ما يوحى اليك) بالامثال والتبليغ (واصبر) أى على دعوتهم وتحمل أذيتهم (حتى يحكم الله) أى بنصرته عليهم واطهار دينك أو بالامر بالقتال (وهو خير الحاكمين) اذ لا يمكن الخطأ فى حكمه تعالى لاطلاع على السرائر كاطلاعه على الطواهر فى حكمه يقتل المشركين والجزية على أهل الكتاب يعطونها عن يدهم صاغرون وأنشد بعضهم فى الصبر

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبرى \* وأصبر حتى يحكم الله فى أمرى

سأصبر حتى يعلم الصبر أنى \* صبرت على شئ أمر من الجمر

وروى أن أبا قتادة تخلف عن تلقى معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل المدينة فقال له مالك لم تتلقنا قال لم يكن عندنا دواب قال فأين النواضح قال قطعناها فى طلبك وطلب أهلك يوم بدر وقد قال صلى الله عليه وسلم يامعشر الانصار انكم ستلاقون بعدى أثره قال معاوية فماذا قال قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبر قال اذا نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان

الأبلغ معاوية بن حرب \* أمير الظالمين شاكلامى

بأننا صابرون فنظروكم \* الى يوم التغابن والنصام

وقول البيضاوى تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق يونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون حديث موضوع

### ﴿سورة يهود عليه السلام مكية﴾

الأوأم الصلاة الآية والافلعلك تارك الآية وأوائك يؤمنون به الآية مائة وثنتان أو ثلاث وعشرون آية وكتابتها ألف وسبعمائة وخمس عشرة وحروفها سبعة آلاف وستمائة وخمسة أحرف وعن أبي بكر رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله عجل اليك الشيب قال شيبتى هود وأخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل أتاك حديث الغاشية

(بسم الله) أى الذى له تمام العلم وكال الحكمة وجميع القدرة (الرحمن) لجميع خلقه بعموم البشارة والنذارة (الرحيم) لاهل ولايته بالحفظ فى سلوئ سيده وقوله تعالى (الركاب) مبتدأ وخبر أو كتاب خبر مبتدأ محذوف وتقدم الكلام على أوائل السور أو سورة البقرة وقرأ أبو عمرو وابن عامر وشعبة وحزمة والكسائى بالامالة والباقون بالفتح وقوله تعالى (أحكمت آياته) صفة للكتاب وفسر الاحكام بوجوه الاقل أحكمت آياته أى نظمت نظاما محكما لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء للمحكم المرصف ولا يعثر به اخلال من جهة اللفظ والمعنى ولا يستطيع أحد

نقض شيء منه ولا الطعن في شيء من بلاغته أو فصاحته الثاني أن الأحكام عبارة عن منع  
 الفساد من الشيء فقوله أحكمت آياته أي لم تنسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرائع به كما قال  
 ابن عباس الثالث أنها أحكمت بالهيج والدلائل أو جعلت حكمة منقول من حكم بالضم إذا  
 صار حكما لأنها مشتقة على أمهات الحكم النظرية والعملية وقوله تعالى (ثم فصلت) صفة  
 أخرى للكتاب أي ينت بالاحكام والقصص والمواعظ والخبار وبالانزال نجما نجما أو فصل  
 فيها ونخلص ما يحتاج إليه أو يجعلها سورا وقال الحسن أحكمت بالامر والنهي ثم فصلت بالوعد  
 والوعيد \* (تنبيه) \* معنى ثم في قوله ثم فصلت ليس للتراخي في الوقت لكن في الحال كما تقول  
 هي محكمة أحسن الأحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل وفلان كريم الأصل ثم كريم الفعل  
 وقوله تعالى (من لدن حكيم خبير) أي الله تعالى صفة أخرى للكتاب والتقدير الركب من  
 حكيم خبير أو خير بعد خير والتقدير الرمن لدن حكيم خبير أو وصلة لأحكام وفصلت أي  
 أحكمت وفصلت من لدن حكيم خبير وعلى هذا التقدير قد حصل بين أوائل هذه السورة وبين  
 آخرها مناسبة لطيفة كأنه يقول تعالى أحكمت آياته من لدن حكيم وفصلت من لدن خبير  
 عالم بكيفيات الأمور وقوله تعالى (أن لا تعبدوا الا الله) يحتمل وجوها الا اول أن تكون مفعولا  
 له والتقدير كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لاجل أن لا تعبدوا الا الله الثاني أن تكون  
 مفسرة لأن في تفصيل الآيات معنى القول قال الرازي والحل على هذا أولى لأن قوله تعالى  
 وأن استغفروا معطوف على قوله تعالى أن لا تعبدوا فيجب أن يكون معناه أي لا تعبدوا  
 ليكون الامر معطوفا على النهي فان كونه بمعنى أن لا تعبدوا يمنع عطف الامر عليه الثالث  
 أن يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم اغراء منه على  
 اختصاص الله تعالى بالعبادة ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم (انني لكم منه) أي الله  
 (نذير) بالعقاب على الشرك (ويشير) بالثواب على التوحيد كأنه قيل ترك عبادة غير  
 الله تعالى بمعنى اتركوها اني لكم منه نذير وبشير كقوله تعالى فضرب الرقاب \* (تنبيه) \*  
 هذه الآية الكريمة مشتملة على أشياء مترتبة الا اول أنه تعالى أمر أن لا تعبدوا الا الله لأن  
 ما سواه محدث مخلوق مرئوب وانما حصل بتصكوين الله وإيجاده والعبادة عبارة عن  
 اظهار الخضوع والخشوع ونهاية التواضع والتذلل وذلك لا يليق الا بالخالق المدبر الرحيم  
 المحسن فثبت أن عبادة غير الله تعالى منكرة المرتبة الثانية قوله تعالى (وان استغفروا  
 ربكم) المرتبة الثالثة قوله (ثم توبوا اليه) واختلفوا في بيان الفرق بين هاتين المرتبتين على  
 وجوه الا اول أن معنى قوله وأن استغفروا أي اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم بين الشيء  
 الذي يطلب به ذلك وهو التوبة فقال ثم توبوا اليه لأن الداعي الى التوبة والحرك عليها هو  
 الاستغفار الذي هو عبارة عن طلب المغفرة فالاستغفار مطلوب بالذات والتوبة مطلوبة لكونها  
 من مهمات الاستغفار وما كان آخره في الحصول كان أولا في الطلب فلهذا السبب قدم  
 ذكر الاستغفار على التوبة الثاني وأن استغفروا من الشرك والمعاصي ثم توبوا أي ارجعوا

إليه بالطاعة الثالث الاستغفار طلب من الله تعالى لازالة ما لا ينبغي والتوبة سعى من الانسان  
 في ازالة ما لا ينبغي فقدم الاستغفار ليبدل على ان المؤمن يجب عليه أن لا يطلب الشيء الا من  
 مولاه فانه هو الذي يقدر على تحصيله ثم بعد الاستغفار ذكر التوبة لانها عمل يأتي به الانسان  
 ويتوسل به الى دفع المكروه والاستعانة بفضل الله تعالى تقدم على الاستعانة بسعي النفس  
 ثم انه تعالى لما ذكر هذه المراتب الثلاثة ذكر بعدها ما يرتب عليهما من الاثار المطلوبة ومن  
 المعلوم ان المطالب محصورة في نوعين لانه انما يكون حمله في الدنيا أو في الآخرة اما المنافع  
 الدنيوية فهي المرادة من قوله تعالى (يمتعكم متاعا حسنا) أي بطيب عيش وسعة رزق (الى أجل  
 مسمى) وهو الموت (فان قيل) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر  
 وقال أيضا خص البلايا بالانبياء ثم الاولياء ثم الامنلى فالامثل وقال تعالى ولولا أن يكون  
 الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سفحان فضة فهذه النصوص دالة على أن  
 نصيب المشتغل بالطاعات في الدنيا هو الشدة والبدة ومقتضى هذه الآية أن نصيب المشتغل  
 بالطاعات الراحة في الدنيا فكيف الجمع بينهما (أجيب) بأن المشتغل بعبادة الله ومحبهه مشتغل  
 بحب شيء يمتنع تغيره وزواله وفناؤه فكلما كان امعانه في ذلك الطريق أكثر وتوغله فيه أتم كان  
 انقطاعه عن الخلق أتم وأكمل وكلما كان الكمال في هذا الباب أكثر كان الابتهاج والسرور  
 أكمل لانه أمن من تغير مطلوبه وأمن من زوال محبوبه وأما من كان مشتغلا بحب غير الله كان  
 أبدا في ألم الخوف من قوات المهبوب وزواله وكان عيشه منغصا وقلبه مضطربا ولذلك قال تعالى  
 في صفة المشتغلين بخدمته فلنصينه حياة طيبة وقيل المراد بالمتاع الحسن عدم العذاب  
 بعذاب الاستئصال كما استأصل أهل القرى الذين كفروا وسمى سبحانه وتعالى منافع الدنيا  
 بالمتاع لاجل التنبيه على حقارتها وقلتها ونبه تعالى على كونها منقضية بقوله تعالى الى أجل  
 مسمى فصارت هذه الآية دالة على كونها حقيرة خسيسة منقضية وأما المنافع الآخروية فقد  
 ذكرها تعالى بقوله تعالى (ويؤت) أي في الآخرة (كل ذي فضل) أي في العمل (فضله)  
 أي جزاءه لان مراتب السعادة في الآخرة مختلفة لانهم متقدرون بمقدار الدرجات الحاصلة  
 في الدنيا فلما كان الاعراض عن غير الحق والاقبال على عبودية الحق درجات غير متناهية  
 فكذلك مراتب السعادات الآخروية غير متناهية فلهذا السبب قال تعالى ويؤت كل ذي  
 فضل فضله وقال أبو العالبيه من كثرت طاعاته في الدنيا زادت درجاته في الآخرة وقال ابن عباس  
 من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن  
 استوت سيئاته وحسناته كان من أهل الاعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود من عمل  
 سيئة كتبت له سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي عملها  
 في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من حسناته العشر واحدة وبقي له  
 تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود هلكت من غلب آجاده أعشاره وقوله تعالى (وان تولوا) فيه  
 حذف احدي التاءين أي وان تعرضوا عما حثتكم به من الهدى (فان) أي فقل لهم اني (أخاف)

عليكم عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل وقيل يوم الشدائد  
وقد ابتلوا بالقحط حتى أكلوا الجيف (إلى الله مرجعكم) أي رجوعكم في ذلك اليوم فيثيب  
المحسن على إحسانه ويعاقب المسيء على إساءته (وهو على كل شيء قدير) أي قادر على جميع  
المقدورات لا دافع لقضائه ولا مانع لمشيئته ومنه الثواب والعقاب وفي ذلك دلالة على قدرة  
عالية وجلالة عظيمة لهذا الحاكم وعلى ضعف لهذا العبد والملك القاهر العالی إذا رأى عبدا  
مشرفا على الهلاك فإنه يخلصه من الهلاك ومنه المثل المشهور مملكتك فأصبح أي فاعف يقول  
مصنف هذا الكتاب قد أفنيت عمري في خدمة العلم ومطالعة الكتب ولا رجاء لي في شيء إلا  
أنى في غاية الذلة والقصور والكريم إذا قدر عفا فأسألك يا أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين  
وساتر عيوب المعيوبين أن تفيض سهال رحمتك على وعلى والدي وأولادي وإخواني  
وأحبائي وأن تحفني وإياهم بالفضل والتجاوز والجود والكرم واختلفوا في سبب نزول قوله  
تعالى (إلا أنهم يتنون صدورهم) فقال ابن عباس نزلت في الأخنس بن شريق وكان رجلا حلوا  
الكلام حلوا المنظر يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوى بقلبه على ما يكره فعنى  
قوله تعالى يتنون صدورهم يخفون ما في صدورهم من الشحنة والعداوة وقال عبد الله بن  
شداد نزلت في بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره  
وطأ طأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه النبي صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا يخفون ظهورهم  
كي لا يسمعوا كلام الله تعالى ولا ذكره وروى البخاري عن ابن عباس أنها نزلت فيمن كان يسبحي  
أن يتخلى أو يجامع فيفضى إلى السماء وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره  
ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي وقال السدي يتنون صدورهم أي يعرضون  
بقلوبهم من قولهم ثبتت عناني (ليستخوامنه) أي من الله تعالى بسرهم فلا يطلع رسول الله  
صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عليه وقيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قبل أنها نزلت في  
طائفة من المشركين قالوا إن أرحمنا علينا ستورا واستغثينا ثيابا وطويينا صدورنا على عداوة  
محمد كيف يعلم (الأحيف يستغشون ثيابهم) أي يأوون إلى فراشهم ويتغطون بثيابهم (يعلم)  
تعالى (ما يسرون) في قلوبهم (وما يعلنون) بأفواههم أي أنه لا تفاوت في علمه تعالى بين  
أسرارهم وأعلانهم فلا وجه لتوصلهم إلى ما يريدون من الإخفاء (أنه) تعالى (علم بذات  
الصدور) أي بالقلوب وأحوالها ولما علم تعالى أنه يعلم ما يسرون وما يعلنون أردفه بما يدل على  
كونه عالما بجميع المعلومات بقوله تعالى (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) وذكر  
تعالى أن رزق كل حيوان إنما يصل إليه من الله تعالى فلو لم يكن عالما بجميع المعلومات لما  
حصلت هذه المهمات والدابة اسم لكل حيوان دب على وجه الأرض ولا شك أن أقسام  
الحيوانات وأنواعها كثيرة وهي الاجناس التي تكون في البر والبحر والجبال والله تعالى  
عالم بكل قبيصة طبعها وأعضائها وأحوالها وأغذيتها ومساكنها وما يوافقها ويخالقها فالله  
المهدر لا طباق السموات والأرض ولطبائع الحيوانات والنبات كيف لا يكون عالما بأحوالها

روى أن موسى عليه السلام عند نزول الوحي عليه تعلق قلبه بأحوال أهله فأمره الله تعالى أن  
 يضرب عصاه على صخرة فانشقت وخرج منها صخرة ثانية ثم ضرب عصاه عليها فانشقت وخرج  
 منها صخرة ثالثة ثم ضرب بعصاه عليها فانشقت فخرجت منها دودة كالذرة وفي فيها شيء يجري  
 مجرى الغذاء لها ورفع الله تعالى الحجاب عن سمع موسى عليه السلام فسمع أن الدودة كانت  
 تقول سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني (فان قيل) إن كلمة على  
 للوجوب فيدل على أن إيصال الرزق إلى الدابة واجب على الله تعالى (أجيب) بأنه تعالى إنما  
 أتى بذلك تحقيقاً لوصوله بحسب الوعد والفضل والاحسان وحمل على التوكل فيه وفي هذه  
 الآية دليل على أن الرزق قد يكون حراماً لأنه ثبت أن إيصال الرزق إلى كل حيوان واجب  
 على الله تعالى بحسب الوعد والله تعالى لا يخجل به ثم قد زرى أن إنساناً لا يأكل من الحلال طول  
 عمره فلو لم يكن الحرام رزقاً لكان الله تعالى ما أوصل رزقه إليه فيصكون الله تعالى قد أدخل  
 بالواجب وذلك محال فعلمنا أن الحرام قد يكون رزقاً (ويعلم) تعالى (مستقرها) قال ابن عباس  
 هو المكان الذي تأوى إليه وتستقر فيه ليلاً ونهاراً (ومستودعها) هو الذي تدفن فيه إذا  
 ماتت وقال عبد الله ابن مسعود المستقر أرحام الأمهات والمستودع المكان الذي تدفن فيه  
 وقال عطاء المستقر أرحام الأمهات والمستودع أصلاب الآباء وقيل الجنة أو النار والمستودع  
 القبر لقوله تعالى في صفة الجنة والنار حسنت مستقر أو ساءت مستقرًا ومقاماً ولا مانع أن  
 يفسر ذلك بهذا كله (كل) أي كل واحدة من الدواب ووزقها ومستقرها ومستودعها (في  
 كتاب) أي ذكرها مثبت في اللوح المحفوظ (مبين) أي بين كما قال تعالى ولا تطب ولا يابس إلا  
 في كتاب مبين ولما أثبت تعالى بالدليل المتقدم كونه عالمًا بالمعلومات أثبت كونه تعالى قادرًا  
 على كل المقادير بقوله تعالى (وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام) أي من  
 أيام الدنيا أولها الأحد وآخرها الجمعة وتقدم الكلام على تفسير ذلك في سورة الاعراف (وكان  
 عرشه على الماء) قال كعب خلق ياقوتة خضراء ثم نظر إليها بالهيبسة فصارت ماءً يرتعد ثم خلق  
 الربيع فجعل الماء على منها ثم وضع العرش على الماء وقال أبو بكر الأصم ومعنى قوله تعالى  
 وكان عرشه على الماء كقولهم السماء على الأرض وليس ذلك على سبيل كون أحدهما ملتصقا  
 بالآخر وقال حمزة إن الله عز وجل كان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وخلق  
 القلم فكتب به ما هو خالقه وما هو كائن من خلقه ثم إن ذلك الكتاب سجد لله تعالى ومجده  
 ألف عام قبل أن يخلق شيئاً من خلقه ففي هذا دلالة على كمال قدرته تعالى لأن العرش مع كونه  
 أعظم من السموات والأرض كان على الماء وقد أسكته الله تعالى من غير دعامة تحته ولا علاقة  
 فوقه وقوله تعالى (ليبلوكم) متعلق بخلق أي خلقها وما فيها منافع لكم ومصالح ليختبركم وهو أعلم  
 بكم منكم (أيكم أحسن عملاً) أي أطوع لله وأورع عن محارم الله وهذا القيام الجملة عليهم وقد  
 مر أمثال ذلك ولما بين تعالى أنه إنما خلق هذا العالم لأجل ابتلاء المكلفين وامتحانهم وهذا  
 يوجب القطع بحصول الحشر والنشر لأن الابتلاء والامتحان يوجب تخصيص المحسن بالرحمة

والثواب وتخصيص المسمى بالعقاب وذلك لا يتم الامع الاعتراف بالمعاد والقيامه خاطب تعالى  
 محمد صلى الله عليه وسلم فقال جلا وعلا (ولئن قلت) يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك (انكم  
 مبعوثون من بعد الموت) أى للحساب والجزاء (ليقولن الذى كفر وان) أى ما (هذا) أى  
 القرآن بالبعث أو الذى تقوله (الاصحح بين) أى بين وقرأ حمزة والكسائي بفتح السين وألف  
 بعدها وكسر الحاء فيكون ذلك راجعا للنبي صلى الله عليه وسلم والباقون بكسر السين وسكون  
 الحاء ولما حكى تعالى عن الكفار أنهم يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم حكى عنهم نوعا آخر  
 بقوله تعالى (ولئن أخرنا عنهم العذاب الى) محيي (أمة) أى جماعة من الاوقات (معدودة) أى  
 قليلة (ليقولن) أى استهزاء (ما يحبس) أى ما يمنع من الوقوع قال الله تعالى (الايوم يأتيهم)  
 كيوم بدر (ليس مصروفا) أى مدفوعا العذاب (عنهم وحق) أى نزل (بهم) من العذاب  
 (ما كانوا يستهزئون) أى الذى كانوا يستهزئون فوضع يستهزئون موضع يستعجلون لان  
 استعجالهم كان استهزاء (فان قيل) لم قال تعالى وحق على لفظ الماضى مع أن ذلك لم يقع  
 (أجيب) بأنه وضع الماضى موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة فى التأكيد والتقرير والتهديد  
 ولما ذكر تعالى أن عذاب الكفار وان تأخر الأثناء لا بد وأن يحرق بهم ذكر بعده ما يدل على كفرهم  
 وعلى كونهم مستحقين لذلك العذاب بقوله تعالى (ولئن أذقنا) أى أعطينا (الانسان) أى  
 الكافر (منارحة) أى نعمة كفى وحمية بحيث يجذلذتها (ثم نزعناها) أى سلبنا تلك النعمة  
 (منه انه ليؤس) أى قنوط من رحمة الله تعالى لعله تصبره وعدم ثقته به (كفور) أى جحود  
 لنعمة الله عليه وأما المسلم الذى يعتقد أن تلك النعمة من جود الله تعالى وفضله واحسانه فانه  
 لا يحصل له اليأس بل يقول لعله تعالى يردها على بعد ذلك أحسن وأكمل وأفضل مما كانت (ولئن  
 أذقناه) أى الكافر (نعما بعد ضراء مسته) كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفى اختلاف الفعلين  
 وهما أذقناه ومستته من حيث الاسناد اليه تعالى فى الاول والى الضراء فى الثانى نكتة عظيمة  
 وهى أن النعمة صادرة من الله تعالى تفضلا منه لغير ما أحديخل الجنة الا برحمة الله تعالى  
 قيل ولأنت يا رسول الله قال ولأنا والضرر صادر من العبد كسبب الاله السبب فيه باجتلابه اياه  
 بالمعاصى غالب القوله تعالى ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ولا ينافى  
 ذلك قوله تعالى قل كل من عند الله فان الكل منه ايجادا غير أن الحسننة احسان وامتحان  
 والسيئة مجازاة واتقام لغير ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكه يشا كلها وحتى  
 انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله أكثر (ليقولن) أى الذى أصابه الصحة والغنى  
 (ذهب السيئات) أى المصائب التى أصابتى (عنى) ولم يتوقع زوالها ولا يشكر عليها (انه لفرح)  
 أى فرح بطر (تخور) على الناس بما أذاقه الله تعالى من نعمائه وقد شغل الفرحة والفرح عن  
 الشكر فين سبحانه وتعالى فى هذه الآية أن أحوال الدنيا غير باقية بل هى أبدا فى التغير والزوال  
 والاصول والانتقال فان الانسان اما أن يتحول من النعمة الى المحنة ومن اللذات الى الآفات  
 كالقسم الاول واما أن يكون بالعكس من ذلك وهو أن ينتقل من المكروه الى المحبوب كالقسم

الثاني ولما بين تعالى أن الكافر عند الابتلاء لا يكون من الصابرين وعند الفوز بالنعمة لا يكون  
 من الشاكرين بين حال المتقين بقوله تعالى (الآ) أي لكن (الذين صبروا) على الضراء (وعملوا  
 الصالحات) أي في النعمة أي فأنهم ان أصابهم شدة صبروا وان نالتهم نعمة شكروا (أو تلك  
 لهم مغفرة وأجر كبير) فجمع لهم تعالى بين هذين المطلوبين أحدهما زوال العقاب والخلاص  
 منه وهو المراد من قوله تعالى لهم مغفرة والثاني الفوز بالنواب ودخول الجنة وهو المراد  
 من قوله تعالى وأجر كبير (فلعلك) يا محمد (تأرك بعض ما يوحي اليك) فلا تبلغهم آياها لتهاونهم  
 به فأنهم كانوا يستهزئون بالقرآن ويضحكون منه وقرأ جزء والكسائي بالأمانة محضة وورش بين  
 اللفظين والباقون بالفتح (وضائق به صدرك) أي تلاوته عليهم لاجل (أن يقولوا لولا) أي  
 هلا (أنزل عليه كثر) ينفعه في الاستبعا كالملوك (أو جاء معه ملك) يصدقه كما اقترحنا وروى  
 عن ابن عباس أن رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال  
 آخرون ائتنا بالملائكة ليشهدوا بنبوتك فقال لا أقدر على ذلك فنزل (انما أنت نذير) فلا عليك  
 الا البلاغ لا الايمان بما اقترحوه (والله على كل شيء وكيل) فتوكل عليه انه عالم بحالهم وقاعل  
 بهم جزاء أقوالهم وأفعالهم (أم) أي بل (يقولون) كفار مكة (اقتراه) أي اختلقه من تلقاء  
 نفسه وليس هو من عند الله قال الله تعالى (قل) لهم يا محمد (فأواب عشر سور مثله) في البيان  
 وحسن انتظم (مفتريات) فأنكم عربيون مثلي قال ابن عباس هذه السور التي وقع بها هذا  
 التحدى معينة وهي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف  
 والانتقال والتوبة ويونس وهود وقيل التحدى وقع بمطلق السور وهو متقدم على التحدى  
 بسورة واحدة والتحدى بسورة واحدة وقع في سورة البقرة وفي سورة يونس اما تقدم هذه  
 السورة على سورة البقرة فظاهر لان هذه السورة مكية وسورة البقرة مدنية وأما في سورة يونس  
 فلان كل واحدة من هاتين السورتين مكية فتكون سورة هود متقدمة في النزول على سورة  
 يونس كما قاله الرازي وأنكر المبرد هذا وقال بل سورة يونس أولا وقال معنى قوله في سورة يونس  
 فأواب سورة مثله أي مثله في الخبر عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد فجزوا فقال لهم  
 في سورة هود ان عجزتم عن الايمان بسورة مثله في الاخبار والاحكام والوعد والوعيد فأبوا  
 بعشر سور من غير وعد ولا وعيد وانما هي مجرد البلاغة (وادعوا) أي وقل لهم يا محمد ادعوا  
 للمعاونة على ذلك (من استطعت من دون الله ان كنتم صادقين) في أنه مفترى والضمير في قوله  
 تعالى (فان لم يستجيبوا لكم) أي بايان ما دعوتهم اليه للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين  
 لانه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقال تعالى في موضع آخر فان لم يستجيبوا  
 لك فاعلم والتعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم (فاعلموا انما أنزل) ملتبسا (بعلم الله) أي بما  
 لا يعلمه الا الله تعالى من نظم يعجز الخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه ولا يقدر عليه سواه  
 وقوله تعالى (وان) مخفضة من الثقيلة أي وانه (لا اله الا هو) وحده وان توحيده واجب  
 والاشراكية ظلم عظيم (فهل أنتم مسلمون) أي ثابتون على الاسلام راضون مخلصون فيه اذ



تحقق عندكم اجازة مطلقا وقيل ان الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعت أي فان  
لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالهجز عنه وأن طاعتهم  
أقصر من أن تبلغه فاعلموا أنه منزل من عند الله وأن ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل  
أنتم بعد هذه الحجة القاطعة مسلمون أي أسلموا وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من  
معنى الطاب والتبسيه على قيام الموجب وزوال العذر واختلف في سبب نزول قوله تعالى  
(من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) أي بعمله الذي يعمل من أعمال البر (نوف اليهم أعمالهم) أي  
التي عملوها من خير كصدقة وصلة رحم (فيها) أي في الدنيا (وهم فيها لا يجحسون) أي نوصل اليهم  
أجورا أعمالهم واقية كاملة من غير محس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرياسة وسعة  
الرزق وكثرة الاولاد ونحو ذلك (أو تلك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحيط) أي بطل  
(ما صنعوا) أي عملوا (فيها) أي الآخرة فلا ثواب لهم (وباطل ما كانوا يعملون) لأنه لغير الله  
تعالى فقال مجاهد نزلت في أهل الرياء قال صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخوف عليكم الشرك  
الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء والرياء هو أن يظهر الانسان الاعمال  
الصالحة لتحمده الناس ويعتقدوا فيه الصلاح فهذا هو العمل الذي لغير الله تعالى نعوذ بالله من  
الخذلان وقال أكثر المفسرين انه انزلت في الكافر وأما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة وارا دته  
الآخرة غالبية فيجازي بحسناته في الدنيا ويناب عليها في الآخرة وعن أنس أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قال ان الله لا ينظلم المؤمن حسنة يناب عليها الرزق في الدنيا ويجزي به في الآخرة  
وأما الكافر فيطم بحسناته في الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيرا  
وقيل نزلت في المنافقين الذين يطلبون بغزوهم مع النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم من غير أن  
يؤمنوا بالآخرة وثوابها وقيل في اليهود والنصارى وهو منقول عن أنس وما ذكر تعالى الذين  
يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا وينهاذ كرم من كان يريد بعمله وجه الله تعالى والدار الآخرة  
بقوله تعالى (أفمن كان على بينة من ربه) قيل هو النبي صلى الله عليه وسلم والبينه هي القرآن  
(ويتلوه) أي يتبعه (شاهد) يصدقه (منه) أي من الله تعالى وهو جبريل عليه السلام (ومن  
قبله) أي القرآن (كتاب موسى) وهو التوراة شاهد له أيضا وقوله تعالى (اماما) أي كآباء مؤتمنا  
به في الدين (ورحمة) أي على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بسعادة الدارين حال من كتاب  
موسى والجواب محذوف اظهوره والتقدير أفمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا  
وزينتها وليس لهم في الآخرة الا النار ليس مثله بل بينهم تفاوت بعيد وتباين بين وقيل هو من  
آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره والمراد بالبينه هو البيان والبرهان والمراد بالشاهد هو  
القرآن ومنه أي من الله ومن قبله كتاب موسى أي ويتلوه ذلك البرهان من قبل مجي القرآن  
كتاب موسى أي في دلالته على هذا المطلوب لاني الوجود قال الرازي وهذا القول هو الاظهر  
لقوله تعالى (أولئك يؤمنون به) وهذه صفة جمع ولا يجوز رجوعه الى محمد صلى الله عليه وسلم  
التمهي ويجوز أن تكون التعظيم لوله صلى الله عليه وسلم ومن تبعه وربما يكون هذا أولى كما

جرى عليه بعض المفسرين والاشارة الى من كان على بينة والضمير في به للقرآن واذا كان هذا  
 الفريق ليس له في الآخرة الا النار فهذا الفريق ليس له في الآخرة الا الجنة (ومن يكفر به) أي  
 بالنبي صلى الله عليه وسلم والقرآن (من الاحزاب) أي اصناف الكفار فيدخل فيهم اليهود  
 والنصارى والمجوس (فالنار موعده) يعني في الآخرة روى سعيد بن جبيرة عن أبي موسى ان  
 النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسمع بي يهودي ولا نصراني فلا يؤمن بي الا كان من أهل النار  
 قال أبو موسى فقلت في نفسي ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول مثل هذا الا عن القرآن  
 فوجدت الله تعالى يقول ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده قال بعض العلماء ولما دلت  
 الآية على أن من يكفر به كانت النار موعده دل على أن من لا يكفر به كانت الجنة موعده  
 وقوله تعالى (فلانك في مرتبة) أي في شك (منه) أي القرآن أو الموعد (انه الحق من ربك)  
 الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط ويؤيد ذلك  
 قوله تعالى (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) أي لا يصدقون بما أوحينا اليك أو بأن  
 موعد الكفار النار ثم وصف الله تعالى هؤلاء المنكرين الجاحدين بصفات كثيرة في معرض  
 الذم الصفة الاولى كونهم مقترين على الله كما قال تعالى (ومن) أي لا أحد (أظلم من افترى  
 على الله كذبا) بنسبة الشريك والولد اليه أو أسند اليه ما لم ينزله أو نفي عنه ما أنزله الصفة  
 الثانية أنهم يعرضون على الله تعالى في موقف الذل والهوان كما قال تعالى (أولئك يعرضون  
 على ربهم) أي يوم القيامة (فان قيل) هم لا يختصون بهذا العرض لان العرض عام في كل  
 العباد كما قال تعالى وعرضوا على ربك صفا (أجيب) بأنهم يعرضون فيقتضون بشهادة  
 الاشهاد عليهم كما قال تعالى (ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) فيحصل لهم من  
 انكسار والنكال ما لا مزيد عليه وهذه هي الصفة الثالثة واختلف في هؤلاء الاشهاد فقال مجاهد  
 هم الملائكة الذين يحفظون أعمالهم عليهم في الدنيا وقال مقاتل هم الناس كما يقال على رؤس  
 الاشهاد أي على رؤس الناس وقال قوم هم الانبياء كما قال تعالى قلنا ان الذين أرسل اليهم  
 ولنا ان المرسلين والقائدة في اعتبار قول الاشهاد المبالغة في اظهار الفضيحة (فان قيل)  
 العرض على الله يقتضي أن يكون الله تعالى في حيز وهو تعالى منزه عن ذلك (أجيب) بأنهم  
 يعرضون على الاماكن المعدة للحساب والسؤال أو يكون ذلك عرضا على من يوجب بأمر الله  
 تعالى من الانبياء والمؤمنين والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب أو جمع شهيد  
 كشريف وأشرف قال أبو علي الفارسي وكان هذا أرجح لان ما جاء من ذلك في التنزيل جاء  
 على فعيل كقوله تعالى وجئنا بك شهيدا على هؤلاء وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم قال ان الله تعالى يدني المؤمن يوم القيامة فيستره من الناس فيقول أي عبدى تعرف  
 ذنب كذا وكذا فيقول نعم حتى اذا قرره بذنوبه قال تعالى سترتها عليك في الدنيا وقد سترتها لك  
 اليوم ثم يعطى كتاب حسنته وأما الكافر والمنافق فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم  
 ولما أخبر الله تعالى عن حالهم في صواب القيامة أخبر عن حالهم في الحال بقوله تعالى (الالهة)

الله على الظالمين) فبين تعالى انهم في الحال ملعونون من عند الله وهذه هي الصفة الرابعة  
 ثم وصفهم بالصفة الخامسة بقوله تعالى (الذين يصدون عن سبيل الله) أي دينه ثم وصفهم  
 بالصفة السادسة بقوله تعالى (ويغوون) أي يطلبون السبيل (عوجاً) أي معوجة أي كأنهم  
 ظلوا أنفسهم بالتزام الكفر والضلال فقد أضافوا اليه المنع من الدين الحق والقاء الشبهات  
 وتعويج الدلائل المستقيمة لانه لا يقال في العاصي انه يبغي عوجاً وانما يقال ذلك فيمن يعرف  
 كيف الاستقامة وكيفية العوج بسبب القاء الشبهات وتقرير الضلالات ثم وصفهم بالصفة  
 السابعة بقوله تعالى (وهم) أي والحال انهم (بالآخرة هم كافرون) وتكرر لفظهم لتأكيد  
 كفرهم وتوعيلهم فيه الصفة الثامنة كونهم عاجزين عن الفرار من عذاب الله كما قال تعالى  
 (أولئك لم يكونوا همجزيين في الارض) أي ما كانوا همجزيين في الدنيا أن يعاقبهم اذ لا يمكنهم  
 أن يهربوا من عذابه فان هرب العبد من عذاب الله تعالى محال لانه تعالى قادر على جميع  
 الممكنات ولا تتفاوت قدرته بالقرب والبعد والقوة والضعف الصفة التاسعة انهم ليس لهم  
 أولياء يدفعون عقاب الله تعالى عنهم كما قال تعالى (وما كان لهم من دون الله) أي غيره (من  
 أولياء) أي أنصار ينعونهم من عذابه الصفة العاشرة مضاعفة العذاب كما قال تعالى  
 (يضاعف لهم العذاب) أي بسبب اضلالهم غيرهم وقيل لانهم كفروا بالله وكفروا بالبعث  
 والنشور الصفة الحادية عشرة قوله تعالى (ما كانوا يستطيعون السمع) قال قتادة صم عن سماع  
 الحق فلا يسمعون خيراً فينتقمون به (وما كانوا يصرون) خيراً فباخذوا به قال ابن عباس أخبر  
 الله تعالى انه أحال بين أهل الشرك وبين طاعة الله تعالى في الدنيا وفي الآخرة أما في الدنيا فانه قال  
 ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يصرون وأما في الآخرة فانه قال فلا يستطيعون خاشعة  
 أبصارهم الصفة الثانية عشرة قوله تعالى (أولئك الذين خسروا أنفسهم) فانهم اشتروا عبادة  
 الآلهة بعبادة الله تعالى فكان مصيرهم الى النار المؤبدة عليهم وذلك أعظم وجوه الخسرانات  
 الصفة الثالثة عشرة قوله تعالى (وضل) أي غاب (عنهم ما كانوا يفترون) على الله تعالى من  
 دعوى الشرك وان الآلهة تشفع لهم الصفة الرابعة عشرة قوله تعالى (لاجرم أنهم في الآخرة  
 هم الاخسرون) أي لا أحد أبيض وأكثر خسراً منهم \* (وتنبه) \* قال القراء ان لاجرم بمنزلة  
 قولنا لا بد ولا محالة ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقا تقول العرب لاجرم انك محسن  
 على معنى حقا انك محسن وقال الزجاج ان كلمة لا تفي لما ظنوا أنه يتفهمم وجرم معناه كسب  
 ذلك الفعل والمعنى لا يتفهمم ذلك وكسب ذلك الفعل لهم الخسران في الدنيا والآخرة قال  
 الأزهرى وهذا من أحسن ما قيل في هذا الباب وقال سيبويه لا رد على أهل الكفر كما رد وجرم  
 معناه أحق والمعنى أنه أحق كفرهم وقوع العذاب والخسران بهم واحتج سيبويه بقول الشاعر  
 ولقد طعنت أبا عينه طعنة \* جرمت فزاره بعدها أن يفضوا  
 أراد أحت طعنة فزاره أن يفضوا \* ولما ذكر تعالى عقوبة الكفار وخسرانهم اتبعه  
 بذكر أحوال المؤمنين في الدنيا ويرجمهم في الآخرة بقوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا

الصالحات وأخبتوا إلى ربهم) أي اطمانوا إليه وخشعوا إليه إذا اخبت في اللغة هو  
 الخشوع والخضوع وطعاً يفتنه القلب ويتعدى إلى وباللام فإذا قلت أخبت فلان إلى كذا  
 فعناه اطماناً إليه وإذا قلت أخبت له فعناه خشع وخضع له فقولته تعالى إن الذين آمنوا وحملوا  
 الصالحات إشارة إلى جميع عمل الجوارح وقوله تعالى وأخبتوا إشارة إلى أعمال القلوب وهي  
 الخشوع والخضوع لله تعالى وإن هذه الأعمال الصالحة لا تنفع في الآخرة إلا بحصول أعمال  
 القلب وهي الخشوع والخضوع (أولئك) أي الذين هذه صفتهم (أصحاب الجنة هم خالدون)  
 فأخبر تعالى عن حالهم في الآخرة بأنهم من أهل الجنة التي لا انقطاع لتعيمها ولا زوال \* ولما ذكر  
 سبحانه وتعالى أحوال الكفار وما كانوا عليه من العمى عن طريق الحق ومن الضم عن  
 سماعه وذكر أحوال المؤمنين وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والانتقاد للطاعة ذكر  
 فيها ما مثلاً مطابقاً بقوله تعالى (مثل) أي صفة (الفریقین) أي الكفار والمؤمنين (كلا على  
 والاصم) هذا مثل الكافر شبه بالاصم لتعامده عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع  
 كلام الله تعالى وتأنيبه عن تدبر معانيه (والبصير والسميع) هذا مثل المؤمن شبه بالبصير  
 والسميع لأن أمره بالضد من الكافر فيكون كل منهما شبهاً بآيتين باعتبار وصفين أو يشبهه  
 الكافر بالجامع بين العمى والضم والمؤمن بالجامع بين ضديه ما على أن تكون الواو في الاصم  
 وفي السميع لفظ الصفة على الصفة بخلافه على التشبيه الأول فإنه لفظ الموصوف على  
 الموصوف ويعبر عنه بعطف الذات على الذات (هل يستويان) أي هل يستوي الفريقان  
 (مثلاً) أي تشبيهاً لا يستويان ويصح أن يكون مثلاً صفة لصندره وحذوف أي استواء مثلاً فإن  
 يكون حالاً من فاعل يستويان وقوله تعالى (أفلا تدرون) فيه ادغام التاء في الاصل في الدال أي  
 تتعطلون بضرب الامثال والتأمل فيها وقرأ حفص وحجة والكسائي بتخفيف الدال والباقون  
 بالتشديد وقد عبرت عادة الله تعالى بآية إذا أورد على الكفار أنواع الدلائل تبعها بالتخصيص  
 ليصير ذكرها مؤكداً للتلك الدلائل وفي هذه السورة ذكر أنواعاً من القصص القصص الأولى قصة  
 نوح عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (واقعد أرسلنا نوحاً إلى قومه) وقوله (إني لكم) قرأه  
 ابن كثير وأبو عمرو والكتاتبي بنحو الهمزة أي بآني والباقون بكسرها على إرادة القول  
 (نذير مبين) أي بين النذارة أخوف من العقاب لمن خالف أمر الله تعالى وقوله (أن لا تعبدوا إلا  
 الله) بدل من إني لكم أمضون مبين (إني أخاف عليكم) أي إن عبدتم غيره (عذاب يوم  
 أليم) أي مؤلم موجه في الدنيا أو الآخرة قال ابن عباس بعث نوح بعد أربعين سنة ولبت يدعو  
 قومه تسعمائة وخمسين سنة وقال دعائهم ثلاثون سنة وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة  
 وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد  
 الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألف سنة وأربع مائة وخمسين ولما حكى تعالى  
 عن نوح عليه السلام أنه دعا قومه إلى عبادة الله تعالى حكى عنهم أنهم طعنوا في نبوته بثلاثة  
 أنواع من التشبهات بقوله تعالى (فقال الملا الذين كفروا من قومه) وهم الاثمالي (مازال

(الابن مائلنا) هذه الشبهة الاولى أى انك بشر مثلنا لامرية لك علينا تحضك بالنبوة ووجوب  
 الطاعة وانما قالوا هذه المقالة وتعمكوا به هذه الشبهة جهلا منهم لان الله تعالى اذا اصطفى عبدا  
 من عباده وأكرمه بنبوته ورسالته وجب على من أرسله اليهم اتباعه الشبهة الثانية ما ذكره  
 الله تعالى عنهم بقوله تعالى (وما نراك اتبعك الا الذين هم آرادنا) أى أسافلنا كالمحاكة وأهل  
 الصنائع الخسيسة وهو جمع أرذل بفتح الهمزة كقوله تعالى أكارب مجرميها وقوله صلى الله عليه  
 وسلم أحاسنكم أخلاقا أو جمع أرذل بضم الذاي جمع رذل يسكونها فهو على الاول جمع مفرد  
 وعلى الثاني جمع جمع ثم قالوا ولو كنت صادقا لاتبعك الا الاصحاب من الناس والاشراف منهم  
 وانما قالوا ذلك جهلا منهم أيضا لان الرفعة بالدين واتباع الرسول لا بالمناصب العالية والمال  
 (بأدى الرأي) أى اتبعوك في أول الرأي من غير تثبيت وتفكير في أمرك ولو تفكرت وما اتبعوك  
 ونصبه على الطرف أى وقت حدوث أول رأيهم وقرأ أبو عمرو وبأدى بهمزة مفتوحة بعد  
 الدال والباقون بياء مفتوحة وأبدل السومى همزة رأى أى ألفا وفتا ووصلا وأما حجة  
 فأبدلها وفتا ووصلا الشبهة الثالثة ما ذكره الله تعالى عنهم فى قوله تعالى (وما نرى لكم)  
 أى لك ولن اتبعك (علينا من فضل) أى بالمال والشرف والجاه تستحقون به الاتباع منا  
 وهذا أيضا جهل منهم لان الفضيلة المعتبرة عند الله تعالى بالإيمان والطاعة لا بالشرف  
 والرياسة وقولهم (بل نطقكم كاذبين) خطاب لنوح عليه السلام فى دعوى الرسالة وأدربوا  
 قومه معه فى الخطاب وقيل خاطبوه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وقيل كذبوه فى دعوى  
 النبوة وكذبوا قومه فى دعوى العلم بصدقه فغلب الخطاب على الغائبين وما ذكرناه هذه الشبهة  
 لنوح عليه السلام (قال) لهم (يا قوم أرايتم) أى أخبروني (ان كنت على بينة) أى نبوة  
 ورسالة (من ربى واتانى رحمة) أى نبوة ورسالة (من عنده) من فضله واحسانه (فعميت)  
 أى خفيت والتبست (عليكم) ووجد الضمير أما لان البينة فى نفسها هى الرحمة وأما لانه لكل  
 واحدة منهما وقرأ أحضر وحجزة والكسافى بضم العين وتشديد الميم والباقون بفتح العين  
 وتخصيف الميم (أنلزمكموها) أى أنكرتكم على قبولها (وأنتم لها كارهون) أى لا تختارونها  
 ولا تتاملون فيها لانه ذاع على ذلك قال عمارة والله لو استطاع نبي الله لآلزمها قومه ولكنه  
 لا يملك ذلك وانفق القراء على ضم النون من أنلزمكموها لاقصا لها باللام رسما وحيث اجتمع  
 ضميران وليس أحدهما حرفا أو قدما لا طرفا منه ما جازى فى الثانى الوصل كما فى الآية والفصل  
 كان يقال أنلزمكم اياها (ويا قوم لأسألكم عيسى) أى على تبليغ الرسالة وهو وان لم يذكر  
 معلوم مما ذكر (مالا) أى بعثلا تهوئيه (ان) أى ما (أجرى الاعلى الله) أى ما ثواب  
 سئلنى الاعلى فانه المأمول منه تعالى وقرأ ابن كثير وشعبة وحجزة والكسافى يسكون الياء  
 والباقون بالفتح وقول نوح عليه السلام (وما أتبطارد الذين آمنوا) جواب لهم حين طلبوا  
 طردهم فانهم طلبوا من نوح عليه السلام قبل أن يطردوا الذين آمنوا وهم الأردلون فى زعمهم  
 فقال ما يجوزنى ذلك (انهم ملاقوا بهم) أى بالبعث فيصاحمون طاردينهم فخذوه وبأخذ لهم من

ظلهم وطردهم أو أنهم بلا قوة ويقوزون بقربة فكيف أطردهم (ولكني أراكم قوما  
 تجهلون) أي إن هؤلاء المؤمنين خير منكم أو عاقبة أمركم أو تسفهون عليهم بأن تدعوهم  
 أراذل (ويا قوم من ينصرفي) أي يعني (من الله) أي من عقابه (إن طردتهم) عنى وهم  
 مؤمنون مخلصون (أقلا) أي فهلا (تذكرون) أي تتعظون وقرأ حفص وحزرة والنكسائي  
 بتخفيف الذال والباقون بالتشديد بادغام التاء في الأصل في الذال (ولأقول لكم عندى  
 خزائن الله) أي خزائن رزقه فكما أنى لأسأل لكم ما لا أفك ذلك لأدعى أنى أملك ما لا ولا غرض لى  
 فى المال لأأخذوا لدفعاً وقوله (ولأعلم الغيب ولا أقول أنى ملك) فأنعاطم به عليكم حتى  
 تقولوا ما أنت إلا بشر مثلنا بل طريقى التواضع والخضوع ومن كان هذا شأنه وطريقته  
 كذلك فإنه لا يستنكف عن مخالطة الفقراء والمساكين ولا يطلب مجالسة الامراء والسلاطين  
 ثم أكد ذلك بقوله (ولأقول للذين تردى) أي تحتقر (أعينكم) أي لأقول فى حقهم  
 (إن يؤتوهم الله خيراً) فان ما أعد الله تعالى لهم فى الآخرة خير مما آتاكم فى الدنيا (الله أعلم  
 بما فى أنفسهم) وهذا كالدلالة على أنهم كانوا ينسبون اتباعه مع الفقر والذلة الى النفاق (انى  
 إذا) أي ان فعلت ذلك (لمن الظالمين) لنفسى ومن الظالمين لهم (فان قيل) هذه الآية تدل على  
 تفضيل الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان الانسان اذا قال لأدعى كذا وكذا  
 انما يحسن اذا كان ذلك الشئ أشرف من أحوال ذلك القائل (أجيب) بأن نوحا عليه السلام  
 انما ذكر ذلك جوابا عما ذكره من الشبه فانهم طعنوا فى اتباعه بالفقر فقال ولا أقول لكم  
 عندى خزائن الله حتى أجمعهم أغنياء وطعنوا فيهم أيضا بأنهم منافقون فقال ولا أعلم الغيب  
 حتى أعرف كيفية باطنهم وانما تكلمت ببناء الاحوال على الظاهر وطعنوا فيه انه من البشر  
 فقال ولا أقول انى ملك حتى تنفوا عنى ذلك وحينئذ فالآية ليس فيها ذلك (فان قيل) فى هذه  
 الآية دلالة على أن طرد المؤمنين لطلب مرضاة الكفار من أصول المعاصى فكيف طرد محمد  
 صلى الله عليه وسلم بعض فقراء المؤمنين لطلب مرضاة الله حتى عاتبه الله تعالى فى قوله ولا تطرد  
 الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى (أجيب) بأن الطرد المذكور فى هذه الآية محمول على  
 الطرد المطلق على سبيل التأييد والطرده المذكور فى واقعة محمد صلى الله عليه وسلم محمول على  
 التبعية فى أوقات معينة رعاية للمصلحة ولما أن الكفار أوردوا تلك الشبهة وأجاب نوح عليه  
 السلام عنها بالجوابات الموافقة للصحة أوردوا عليه كلامين الاول ما حكاه الله تعالى عنهم  
 بقوله تعالى (قالوا يا نوح قد جادتنا) أي خاضتنا (فأكثر جدالنا) أي فأطنبت فيه  
 وهذا يدل على أنه عليه السلام كان قد أكثر فى الجدال معهم وذلك الجدال ما كان الا فى اثبات  
 التوحيد والنبوة والاماد وهذا يدل على أن الجدال فى تقرير الدلائل وإزالة الشبهات حرفة  
 الانبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى أن التقليد والجهل حرفة الكفار والثانى ما ذكره الله  
 تعالى عنهم بقوله (فأنتنا جادتنا) أي من العذاب (أن كنت من الصادقين) فى الدعوى  
 والوعيد فان منا طرفتك لا تؤثر فينا (قال) لهم نوح عليه السلام فى جواب ذلك (انما يا نبيكم به الله

ان شاء تعجيله لكم فان امره اليه ان شاء بجهله وان شاء أخره لا الى (وما أنتم بحجزين) أي بفنائين  
 الله تعالى ولما أجاب نوح عليه السلام عن شأنهم ختم الكلام بجماعة قاطعة فقال (ولا ينفعكم  
 نصي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم) أي يضلكم وجواب الشرط  
 محذوف دل عليه ولا ينفعكم نصي وتقدير الكلام ان كان الله يريد أن يغويكم فان أردت أن  
 أنصح لكم فلا ينفعكم نصي فهو من باب اعتراض الشرط على الشرط ونظير ذلك ما لو قال  
 رجل لزوجه أنت طالق ان دخلت الدار ان قلت زيد اذ دخلت ثم قلت لم تطلق فيشترط في وجوب  
 الحكم وقوع الشرط الثاني قبل وقوع الأول وفي الآية دليل على ان الله تعالى قد يريد الكفر  
 من العبد فانه اذا أراد منه ذلك فانه يمنع صدور الايمان منه (هو ربكم) أي خالقكم  
 والمتصرف فيكم وفق ارادته (واليه ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم قال تعالى (أم)  
 أي بل (يقولون افتراه) أي اختلقه وجاءه من عند نفسه والهاتر جمع الى الوحي الذي بلغه  
 اليهم (قل) لهم (ان افتريته فعلي اجرائي) وهذا من باب حذف المضاف لان المعنى فعلي ام  
 اجرائي والاجرام اقرار المحذور وفي الآية محذوف آخر وهو أن المعنى ان كنت افتريته فعلي  
 عقاب جرمي وان كنت صادقا وكذبتوني فعليكم عقاب ذلك التكذيب الا انه حذف هذه  
 البقية لدلالة الكلام عليها (وأنا بري مما تجرمون) أي من عقاب جرمكم في اسناد الاقتراء الى  
 \* (تنبيه) \* أكثر المفسرين على أن هذا من يقية كلام نوح عليه السلام مع قومه وقال مقاتل  
 أم يقولون أي المشركون من كفار مكة افتراء أي محمد صلى الله عليه وسلم اختلق القرآن من  
 عند نفسه وهذه الآية وقعت في قصة محمد صلى الله عليه وسلم في اثنا قصة نوح عليه السلام  
 قال الرازي وقوله بعيد جدا (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك) أي لن يستقر على  
 الايمان لقوله تعالى (الامن قد آمن) قال ابن عباس ان قوم نوح كانوا يضربون نوحا حتى  
 يسقط فيلقونه في لبد ويلقونه في بيت يظنون أنه قد مات فيخرج في اليوم الثاني ويدعوهم  
 الى الله تعالى وروى أن شيخا منهم جاء متوكئا على عصاه ومعه ابنه فقال لابنه لا يغوينك هذا  
 الشيخ المجنون فقال يا أباه مكني من العصافا خذها من أيه وضربهم انوحا عليه السلام حتى  
 شجبه شجرة منكرة فأوحى الله تعالى اليه أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (فلا تبئس) أي  
 لا تحزن عليهم فاني مهلكهم (بما) أي بسبب ما (كانوا يفعلون) من الشرك وتخذلهم فحينئذ  
 دعا عليهم نوح عليه السلام فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وحكي محمد بن  
 اسحق عن عبيد بن عمير النبي انه بلغه انه لم كانوا يبطشون به فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا  
 أفاق قال رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حتى تمادوا في المعصية واشتد عليه منهم البلا وهو  
 ينظر من الجليل الى الجليل فلا يأتي قرن الا كان أنجس من الذين قبلهم ولقد كان يأتي القرن  
 الآخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ مع آباءنا وأجدادنا هكذا مجنوننا فلا يقبلون منه شيئا  
 فشكى الى الله تعالى فقال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا حتى قال رب لا تذر على الارض  
 من الكافرين ديارا فأوحى الله تعالى اليه (واصنع الفلك) أي السفينة (بأعيننا) قال ابن

عباس بن رأى منا وقال مقاتل بعلنا وقيل بحفظنا (ووحينا) أي بأمرنا لك كيف تصنعها  
(ولا تخاطبني في الذين ظلموا) أي ولا تراجعني في الكفار ولا تدعني في استدفاع العذاب عنهم  
(انهم مغرقون) أي محكوم عليهم بالإغراق فلا سييل إلى كفه وقيل لا تخاطبني في ابنك كنعان  
وأمر أنك راعلة فأنهما هالكان مع القوم و يروي أن جبريل عليه السلام أتى نوحا فقال  
إن ربك يأمر بك أن تصنع الفلك قال كيف أصنع ولست بفجار قال إن ربك يقول اصنع فأنك  
بأعيننا فأخذ القدم فجعل ينجر ولا يخطو وصنعها فعملها مثل جوجوا الطير وفي قوله تعالى  
(ويصنع الفلك) قولان أحدهما أنه حكاية حال ماضية أي في ذلك الوقت كان يصدق عليه  
أنه يصنع الفلك الثاني التقدير فأقبل يصنع الفلك فاقصر على قوله ويصنع الفلك ثم إن نوحا  
عليه السلام أقبل على عملها ولها عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ عدة  
الفلك من القار وغيره وجعل قومه يمزون عليه ويسخرون منه كما قال تعالى (وكلمنا تر عليه ملائكة  
أي جماعة (من قومه سخروا منه) أي استهزأوا به ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعدما كنت  
نبيا فأعقم الله أرحام نسائهم فلا يولد لهم قال ابن عباس رضي الله عنهما اتخذ نوح عليه السلام  
السفينة في سنتين وكان طول السفينة ثلثمائة ذراع وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة  
بطون فجعل في البطن الاقوى الوحوش والهوام وفي البطن الاوسط الدواب وركب هو ومن  
معه البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وقال قتادة كان بابها في عرضها وروى عن أنس  
كان طولها ألف ذراع وماتت ذراع وعرضها ستمائة وقيل إن الحوارين قالوا لعيسى عليه  
السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فأنطلق بهم حتى انتهى بهم إلى كتيب من  
تراب فأخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون من هذا قالوا والله ورسوله أعلم قال كعب بن  
سالم قال فضرب الكتيب بعصاه فقال قم يا ذن الله فاذا هو قائم ينهض عن رأسه التراب وقد شاب  
فقال له عيسى عليه السلام هكذا هلكت قال لا ولكن مت وأنا شاب ولكنني ظننت أنها  
الساعة فن شئت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع وعرضها ستمائة ذراع  
وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عبد اذن الله  
تعالى كما كنت فعاد ترابا قال البيهقي والمعروف ان طولها ثلثمائة ذراع وعن زيد بن أسلم قال  
مكث نوح مائة سنة يغرم الاشبهار ومائة سنة يعمل الفلك وعن كعب الاحبار ان نوحا عمل  
السفينة في ثلاثين سنة وروى أنها كانت ثلاث طبقات السفلى للدواب والوحوش  
والطبقة الوسطى فيها الانس والطبقة العليا فيها الطير فلما كثرت ارواث الدواب أوحى الله  
تعالى إلى نوح عليه السلام أن اغرز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبل على  
الروث ولما أفسد القار في السفينة فجعل يقرض جبالها أوحى الله تعالى اليه أن اضرب بين  
عيني الاسد فضرب فخرج من مخره منور وسنورة وهو القط فأقبل على القار فأكله قال الرازي  
واعلم أن أمثال هذه المباحث لا تعجبني لانها أمور لا حاجة إلى معرفتها بالبيت ولا يتعلق بمعرفتها  
قائمة البيت فكان الخوض فيها من باب الفضول لا سيما مع القطع بأنه ليس ههنا ما يدل على



الجانب الصحيح والذي نعلمه انها كانت في السنة بحيث تسع المؤمنين من قومه وما يحتاجون  
 اليه ولحصول زوجين من كل حيوان لان هذا القدر مذكور في القرآن وما آمن معه الا قليل  
 فأما تعيين ذلك القدر فغير معلوم (قال) لهم لما سئروا منه (ان تسئروا منا فاننا نؤسركم  
 كما تسئرون) اذا سئروا وغرقتم (فان قيل) السخرية لا تليق بمنصب النبوة (أجيب) بأن ذلك  
 ذكر على سبيل الازدواج في مشاكلة الكلام كما في قوله تعالى ويراها سبعة سبعة مثلها والمعنى ان  
 تسئروا منا فسترون عاقبة سئركم وهو قوله تعالى (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه)  
 أى يهينه في الدنيا وهو الفرق (ويحمل عليه) في الآخرة (عذاب مقيم) وهو النار التي  
 لا انقطاع لها وقوله تعالى (حتى اذا جاء أمرنا) أى باهلا كههم غاية لقوله ويصنع الفلك وما  
 بينهما حال من الضمير فيه أوحى هي التي يتبدأ بعدها الكلام واختلف في التنوير في قوله  
 تعالى (وقار التنوير) فقال عكرمة والزهرى هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح عليه السلام  
 اذا رأيت الماء فارعلى وجه الارض فاركب السفينة وروى عن علي رضي الله عنه أنه قال فار  
 التنوير وقت طلوع الفجر ونور الصبح وقال الحسن ومجاهد والشعبي انه التنوير الذي يخزيه  
 وهو قول أكثر المفسرين ورواية عطية وابن عباس لانه حمل الكلام على حقيقته ولفظ التنوير  
 حقيقته هو الموضع الذي يخزيه وهو قول أكثر المفسرين فوجب حمل اللفظ عليه وهو لا  
 اختلفوا منهم من قال انه تنوير لنوح ومنهم من قال انه كان لا دم عليه السلام قال الحسن كان  
 تنويرا من حجارة كانت حواء تخزيه فصارت الى نوح فقيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء  
 يفور من التنوير فاركب السفينة أنت وأصحابك واختلفوا أيضا في موضعه فقال مجاهد  
 والشعبي كان في ناحية الكوفة وكان الشعبي يحلف بالله ما قار التنوير الا من ناحية الكوفة  
 وقال اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة وكان التنوير على يمين الداخل مما يلي باب  
 كندة وكان فوران الماء منه على النوح وقال مقاتل كان ذلك تنوير آدم عليه السلام  
 وكان بالشام بموضع يقال له عين وردة وروى عن ابن عباس أنه كان بالهند ومعنى فارنبح على  
 قوة وشدة تشبها بغليان الصدر عند قوة النار ولاشبهة ان التنوير لا يفور والمراد فار الماء من  
 التنوير فلما قار أمر الله تعالى نوحا عليه السلام أن يحمل في السفينة ثلاثة أنواع من الاشياء  
 الاقل قوله تعالى (فلنا حمل فيها) أى السفينة (من كل زوجين اثنين) والزوجان عبارة  
 عن كل شيتين يكون أحدهما ذكرا والآخر أنثى والتقدير من كل شيتين هما كذلك فاحمل منهما  
 في السفينة اثنين واحد ذكر وواحد أنثى وفي القصة ان نوحا عليه السلام قال يا رب كيف أحمل  
 من كل زوجين اثنين فحشر الله تعالى اليه السباع والطير فجعل يضرب يديه في كل جنس  
 فيقع الذكرا في يده والأنثى في يده اليسرى فيحملهما في السفينة وقرأ حفص بتوين لام  
 كل أى واحمل من كل شئ زوجين اثنين الذكرا زوج والأنثى زوج (فان قيل) ما القائدة في قوله  
 زوجين اثنين والزوجان لا يكونان الا اثنين (أجيب) بأن هذا على مثال قوله تعالى لا اتخذوا  
 الهين اثنين وقوله تعالى تقضه واحدة والباقيون بغير تنوين فهذا السؤال غير وارد النوع

الثاني من الاشياء التي أمر الله تعالى نوحا عليه السلام أن يحملها في السفينة قوله تعالى (وأهلك) وهم أبناؤه وزوجته وقوله تعالى (الامن سبق عليه القول) بأنه من المفرقين وهو ابنه كنعان وأمه راعلة وكانا كافرين حكم الله تعالى عليهما بالهلاك بخلاف سام وحام ويافت وزوجاتهم ثلاثة وزوجته المسلمة (فان قيل) الانسان أشرف من سائر الحيوانات فلم بدأ بالحيوان (أجيب) بأن الانسان عاقل فهو ولعله مضطرا الى دفع أسباب الهلاك عن نفسه فلا حاجة فيه الى المبالغة في الترغيب بخلاف السعي في تخليص سائر الحيوانات فللهذا السبب وقع الاستدابة النوع الثالث من الاشياء التي أمر الله تعالى نوحا عليه السلام بحملها في السفينة قوله تعالى (ومن آمن) أي واحمل معك من آمن معك من قومك واختلف في العدد الذي ذكره الله تعالى في قوله تعالى (وما آمن معه الا قليل) فقال قتادة وابن جريج لم يكن معه في السفينة الا ثمانية نفر نوح وامرأته المسلمة وثلاثة بنين له وهم سام وحام ويافت ونسأوهم وقال ابن اسحق كانوا عشرة سوى نسأهم نوح وبنوه الثلاثة وستة اناس ممن كان آمن به وأزواجهم جميعا وقال مجاهد كانوا اثنين وسبعين نفرا رجلا وامرأة وعن ابن عباس قال كان في سفينة نوح ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء وقال الطبري والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله تعالى وما آمن معه الا قليل فوصفهم بالقليل فلم يحدد عددا بمقدار فلا ينبغي أن يجاوز في ذلك حد الله تعالى اذ لم يرد عدد في كتاب الله تعالى ولا في خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم نحو ذلك عن الرازي وقال مقاتل حمل نوح معه في السفينة جسد آدم عليه السلام فجعله معترضاً بين الرجال والنساء وقصد نوح عليه السلام جميع الدواب والطيير ليحملها قال ابن عباس أول ما حمل نوح الدرة وآخر ما حمل الحمار فمادخل الحمار أدخل صدره وتعلق ابليس بذنبه فلم تستقل رجلاه فجعل نوح يقول ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال ويحك ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زلت على لسانه فلما قالها خلى الشيطان سيده فدخل ودخل الشيطان معه فقال نوح ما أدخلك علي يا عبد الله قال مالك بدأ أن تحملني معك فكان معه على ظهر السفينة هكذا نقله البغوي قال الرازي وأما الذي يروى أن ابليس دخل السفينة فبعيد لانه من الجن وهو جسم ناري أو هواني فكيف يؤثر الغرق فيه وأيضا كتاب الله تعالى لم يدل عليه ولم يرد في ذلك خبر صحيح فالاولى ترك الخوض في ذلك قال البغوي وروى أن بعضهم قال ان الحية والعقرب آتيا نوحا عليه السلام فقالتا اجلنا معك فقال انك سبب البلاء فلا أجلكما فقالتا اجلنا فاناضمن لك أن لانضرا أحدا ذكره فن قرأ حين يخاف مضرتهم ما سلام على نوح في العالمين لم يضراه وقال الحسن لم يحمل نوح في السفينة الا ما يلد ويبيض فأما ما يتولد من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض فلم يحمل منها شيئا (وقال) نوح لمن معه (اركبوا) أي صيروا (فيها) أي السفينة وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كركوب في الارض وقوله تعالى (بسم الله يجرأها ومرساها) متصل بركبوا حال من الواو في اركبوا أي اركبوا فيها مسعين الله أو قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها قال الضحاك كان نوح اذا أراد أن تجرى السفينة قال بسم الله جرت

وإذا أراد أن ترسوقا لبسم الله رست وقرأ حفص وحزرة والكسائي بنصب الميم من جرت  
 ورست أي جريها ورسوها وهما مصدران والباقون بضم الميم من أجزيت وأرسيت أي بسم  
 الله اجراؤها وارساؤها وأمال الالف بعد الراء أبو عمرو وحفص وحزرة والكسائي محضة وورش  
 بين اللفظين والباقون بالفتح وذكروا في عامل الأعراب في بسم الله وجوها الأول اركبوا بسم  
 الله الثاني ابدؤا بسم الله الثالث بسم الله اجراؤها (أن ربي لغفور رحيم) أي لولا مغفرته  
 لخرطتكم ورحمته أي كما لم نجباكم وقوله تعالى (وهي تجري بهم) متعلق بمحذوف دل عليه  
 اركبوا أي فركبوا اسمين الله تعالى وهي تجري وهم فيها (في موج) وهو ما ارتفع من الماء إذا  
 اشتدت عليه الرياح (كالجبال) في عظمه وارتفاعه على الماء قال العلماء بالسراسل الله تعالى  
 المطر أربعين يوما وليلة وخرج الماء من الأرض فذلك قوله تعالى فقضنا أبواب السماء بماء  
 منهمر وجفرتنا الأرض عيوننا فالتقى الماء على أمر قد قدر فقصر الماء نصفين نصف من السماء  
 ونصف من الأرض وارتفع الماء على أعلى جبل وأطوله أربعين ذراعا وقيل خمسة عشر  
 ذراعا حتى أغرق كل شيء وروى أنه لما كثرت المياه في السكك خافت امرأته على ولدها من الفرق  
 وكانت تحبه جدا شديد الخرجت به إلى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء ارتفعت حتى  
 بلغت ثلثيه فلما بلغها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبته رفعت الصبي  
 يديها حتى ذهب بهما الماء فلورحم الله تعالى منهم أحد الرحم هذه المرأة وما قيل من أن الماء  
 طبق ما بين السماء والأرض وكانت السفينة تجري في جوفه كاتسج السمكة فليس بثابت قال  
 البيضاوي والمشهور أنه علاشواخ الجبال خمسة عشر ذراعا فان صح أي انه طبق ما بين السماء  
 والأرض ففعل ذلك أي ما ذكر من علو الموج قبل التطبيق (ونادى نوح ابنه) كنعان وكان  
 كافرا كما مر وقيل كنان اسمه يام (وكان في معزل) عزل فيه نفسه أما عن ابيه أودينه ولم يركب  
 معه وأما عن السفينة وأما عن الكفار كأنه انفرده عنهم وظن نوح عليه السلام أن ذلك إنما  
 كان لأنه أحب مفارقتهم ولذلك ناداه بقوله (يا بني اركب معنا) في السفينة وقرأ أعاصم بفتح الياء  
 اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الأضافة في قولك يا نيا والباقون بالكسر في الوصل  
 ليدل على ياء الأضافة المحذوفة كما قال الشاعر

يا ابنة عم لا تلومي واهبني وثم حذف الالف للتخفيف (ولا تكن مع الكافرين) أي في دين ولا  
 مكان فتلك ولما قال له ذلك (قال ساوي) أي التجي وأصير (إلى جبل يعصني) أي يعنني (من  
 الماء قال) له نوح عليه السلام (لا أعاصم) أي لا مانع (اليوم من أمر الله) أي من عذابه وقوله  
 (الامن رحم) استغناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله تعالى ما لهم به  
 من علم الا اتباع الظن وقيل الامن رحم أي الا الراحم وهو الله تعالى وقيل الامكان من رحمه  
 الله تعالى فإنه مانع من ذلك وهو السفينة (وحال بينهما) أي بين نوح وابنه وبين ابنة وابنه  
 (الموج) المذكور في قوله موج كالجبال (فكان) ابنه (من المفرقين) أي فصا من المهلكين  
 بالماء (من) لما انتهى الطوفان وأغرق قوم نوح (قبلى) أي قال الله تعالى أي لما أتى بهم من الله

يا أرض ابلعي ماءك أي اشريه (وياسما أقلعي) أي أمسكي ماءك ناداهما بما نادى به الحيوان  
 المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين ساير المخاوف ثم أمرهما بما يؤمر به  
 أهل التميز والعقل تشبهاً لكمال انقيادهما لما يشاء تكويبه فيهما وههنا همزان مختلفتان من  
 كلمتين الأولى مضمومة والثانية مفتوحة قرأ أبو عمرو ونافع وابن كثير بإبدال الثانية واوخالصة  
 والباقون بالتخفيف (وغيض الماء) أي نقص وذهب وقرأ هشام والكسائي بالفتح وهو  
 ضم العين قبل الياء والباقون بالكسر وكذا وقيل (وقضى الامر) أي وأنجزماً وعدم من اهلاك  
 الكافرين وانجباء المؤمنين (واستوب) أي استقرت السفينة (على الجودي) وهو جبل  
 بالجزيرة قريب من الموصل (وقيل) أي قال الله تعالى أملك بأمره تعالى (بعدا) أي هلاك  
 (للقوم الظالمين) ويجي اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وان تلك  
 الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وبكون مكون فاعلها واحد لا يشارك  
 في أفعاله فلا يذهب الوهم الى أن يقول غيره يا أرض ابلعي ماءك وياسما أقلعي ولا أن يقضى  
 ذلك الامر الهائل غيره ولا أن تستوي على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقتراره  
 وروى ان السفينة لما استقرت بعث نوح عليه السلام الغراب ليأتيه بخبر الارض فوقع على  
 جيفة فلم يرجع فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون في منقارها ولطخت رجلها بالطين فعلم نوح  
 أن الماء قد نقص فقبل انه دعا على الغراب بالخوف فلذا الايالف البيوت وطوق الحمامة الحضرة  
 التي في عنقها ودعاها بالامان فن ثم تألف البيوت وروى ان نوحا ركب السفينة لعشر مضت  
 من رجب وجرت بهم السفينة ستة أشهر ومرت بالبيت العتيق وقدر فعه الله تعالى من الفرق  
 وبقي موضعه فطافت به السفينة سبعاً وأودع الحجر الاسود في جبل أي قيس وهبط نوح ومن  
 معه في السفينة يوم عاشوراء فصامه نوح رأساً من معه بصيامه شكر الله تعالى وبنوا قرية بقرب  
 الجبل وسميت سوق ثمانين فهي أول قرية عمرت على وجه الارض بعد الطوفان وقيل انه  
 لم ينج أحد من الكفار من الفرق غير عوج بن عنق وكان الماء يصل الى مجزته وهذا الاياتي على  
 القول باطباق الماء قال هذا القائل وسب نجاته أن نوحاً احتاج الى خشب ساج للسفينة  
 فلم يمكنه نقله فحمله عوج اليه من الشام فنجاه الله تعالى من الفرق بذلك (فان قيل) كيف  
 أغرق الله تعالى من لم يبلغ الحلم من الاطفال (أجيب) بأنه تعالى يتصرف في خلقه لا يستل  
 عما يفعل وقيل ان الله تعالى أعظم أرحام نسايتهم أربعاً مائة سنة فلم يولد لهم تلك المدة (ونادى  
 نوح ربه) أي دعاه وسأله (فقال رب ان ابن من أهلي) وقد وعدتني أن تنجيني وأهلي (وان وعدك  
 الحق) أي الصدق الذي لا خلف فيه (وانت أحكم الحاكمين) لانك أعلمهم وأعدلهم (فان  
 قيل) اذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى بالفاء (أجيب) بأن الفاء  
 تفصيل لمجل نادى مثلها في نوحاً فقبل وقيل نادى أي أراد نداءه فقال رب (قال) الله تعالى له  
 (يا نوح انه) أي هذا الابن الذي سألت نجاته (ليس من أهلك) أي المحكوم بنجاتهم لايمانهم  
 وكفره ولهذا عمل بقوله تعالى (انه عمل غير صالح) وقرأ الكسائي بكسر الميم ونصب اللام بغير

تنوين ونصب الراء أى عمل الكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح والباقون بفتح الميم ورفع  
 اللام منونة ورفع الراء أى ذو عمل غير صالح أو صاحب عمل غير صالح فجعل ذات العمل للمبالغة  
 كقول الخنساء تصف ناقه ترتع \* فأنما هي اقبال وادبار \* واختلف علماء التفسير هل كان ذلك  
 الولد ابن نوح أو لا على أقوال الأول وهو قول ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك  
 والآخرين أنه ابنه حقيقة ويدل عليه أنه تعالى نص عليه فقال ونادى نوح ابنه نوح أيضا  
 نص عليه فقال يا بني وصرف هذا اللفظ الى أنه ربه وأطلق عليه اسم الابن لهذا السبب صرف  
 للكلام عن حقيقته الى مجازه من غير ضرورة القول الثانى أنه كان ابن امرأته وهو قول محمد  
 ابن على الباقرو قول الحسن البصرى القول الثالث وهو قول مجاهد والحسن أنه ولد حنت  
 ولد على فراشه ولم يبعه لم يبعه نوح بذلك واحتج هذا القائل بقوله تعالى فى امرأة نوح وامرأة لوط  
 فخانتاهما قال الرازى وهذا قول واه حيث يجب صون منصب الانبياء عن هذه الفضيحة لاسيما  
 وهو خلاف نص القرآن وقد قيل لابن عباس ما كانت تلك الخيانة فقال كانت امرأة نوح تقول  
 زوجى مجنون وامرأة لوط تدل الناس على ضيقه اذ انزل به (فلا تسألنى ما ليس لك به علم) أى بما  
 لا تعلم أصواب هو ام لالان اللائق بأمثالك من أولى العزم بناء أمورهم على التحقيق وقرأ نافع  
 وابن كثير وابن عامر بفتح اللام وتشديد النون والباقون بسكون اللام وتخفيف النون وأثبت  
 الباء بعد النون فى الوصل دون الوقف ورش وأبو عمرو وحذفها الباقون وقفا ووصلوا الى  
 أعظك) أى بما أعطى كراهة (أن تكون من الجاهدين) فتسأل كما يسألون وانما سمي نداة مسؤالا  
 لتضمن ذكر الوعد بنجاة أهله واستجازه فى شأن ولده (قال) نوح (رب اى أعوذ بك أن) أى من  
 أن (أسألك) فى شئ من الاشياء (ما ليس لك به علم) تأديبا بآدابك واتعاظا بوعظك (والا تغفر لى)  
 أى الان ما فرط منى وفى المستقبل ما يقع منى (وترحمنى) اى تسترزلاتى وتحمها وتكرمنى  
 (أكن من الخاسرين) أى الغريقين فى الخسارة (فان قيل) هذا يدل على عصمة الانبياء لوقوع  
 هذه الزلة من نوح عليه السلام (أجيب) بأن الزلة الصادرة من نوح انما هي كونه لم يستعصم  
 ما يدل على نفاق ابنه وكفره لان قومه كانوا على ثلاثة أقسام كافر يظهر كفره ومؤمن يخفى ايمانه  
 ومناقق لا يعلم حاله فى نفس الامر وقد كان حكم المؤمنين هو النجاة وحكم الكافرين هو الفرق  
 وكان ذلك معلوما وأما أهل النفاق فبقي أمرهم مخفيا وكان ابن نوح منهم وكان يجوز فيه كونه  
 مؤمنا وكانت الشفقة المفرطة التى تكون للاب فى حق الابن تحمله على عمل أعماله وأفعاله  
 لا على كونه كافرا بل على الوجوه العصية فأخطأ فى ذلك الاجتهاد كما وقع لآدم عليه السلام  
 فى الاكل من الشجرة فلم يصدر عنه الا الخطأ فى الاجتهاد فلم تصدر منه معصية فلجأ الى ربه  
 تعالى وخشع له ودعاه وسأله المغفرة والرحمة كما قال آدم عليه السلام ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم  
 تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين لان حسنات الابرار يسأت المقربين (قيل) أى قال  
 الله تعالى أو ملك بأمره تعالى (يا نوح اهبط) أى انزل من السفينة أو من الجبل الى الارض  
 المستوية (بسلام) أى بعظم وأمن وسلامة (منا) وذلك أن الفرق لما كان عامما فى جميع

الارض فعندما خرج نوح عليه السلام من السفينة علم أنه ليس في الارض شيء مما ينتفع به  
 من الثبت والحيوان فكان كالماتئف في أنه كيف يعيش وكيف يدفع جهات الحاجات عن نفسه  
 من المأكل والمشروب فلما قال الله تعالى اهبط بسلام منا زال عنه ذلك الخوف لان ذلك  
 يدل على حصول السلامة وأن لا يكون الامع الامن وسعة الرزق ثم انه تعالى لما وعده بالسلامة  
 أردفه بأن وعده بالبركة بقوله تعالى (وبركات عليك) وهو عبارة عن الدوام والبقاء والثبات  
 لان الله تعالى صير نوحا عليه السلام أبا البشر لان جميع من بقى كانوا من نسله لان نوحا لما خرج  
 من السفينة مات كل من كان معه عن لم يكن من ذريته ولم يحصل النسل الامن ذريته فأنطلق  
 كلهم من نسله أو أنه لم يكن معه في السفينة الامن كان من نسله وذريته وعلى التقديرين  
 فأنطلق كلهم من ذريته ويدل على ذلك قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فثبت أن نوحا كان  
 آدم الاصغر فكان أبا الانبياء وأنطلق بعد الطوفان كلهم منه ومن ذريته وكان بين نوح وادم  
 ثمانية أجداد وقوله تعالى (وعلى أمم من معك) يحتمل أن تكون من للبيان فيراد الامم الذين  
 كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات أو قيل لهم أمم لان الامم تتشعب منهم وأن تكون  
 لابتداء الغاية أي على أمم ناشئة عن معك وهي الامم الى آخر الدهر قال في الكشف وهو الوجه  
 وقوله تعالى (وأمم) بالرفع على الابتداء وقوله تعالى (سنتهم) أي في الدنيا صفة والخبر محذوف  
 تقديره وعن معك أمم سنتهم وانما حذف لان قوله عن معك يدل عليه والمعنى أن السلام  
 منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤون عن معك وعن معك أمم ممنعون في الدنيا (ثم يسهم  
 منا عذاب اليم) في الآخرة وهم الكفار وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل  
 مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعدهم من المتاع والعذاب كل كافر وقيل المراد بالامم المتعة  
 قوم هود وصالح ولوط وشعيب ولما شرح تعالى قصة نوح عليه السلام على التفصيل قال تعالى  
 (تلك) أي قصة نوح التي شرحناها ومحل تلك رفع على الابتداء وخبرها (من أنبياء الغيب) أي  
 من الاخبار التي كانت غائبة عن الخلق وقوله تعالى (نوحيا اليك) خبر ثان والضمير لها أي  
 موحة اليك وقوله تعالى (ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) أي نزول القرآن خبر آخر  
 والمعنى أن هذه القصة مجهولة عندك وعند قومك من قبل إحيائنا اليك ونظير هذا ان يقول  
 انسان لا آخر لا تعرف هذه المسئلة لأنك ولا أهل بلدك (فان قيل) قد كانت قصة طوفان نوح  
 مشهورة عند أهل العلم (أجيب) بأن ذلك كان بحسب الاجمال وأما التفاصيل المذكورة  
 فما كانت معلومة أو بأنه صلى الله عليه وسلم كان أميا لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يعلمها وكذلك  
 كانت أمته ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (فاصبر) أي أنت وقومك على  
 أذى هؤلاء الكفار كما صبر نوح وقومه على أذى أولئك الكفار (ان العاقبة للمتقين)  
 البشر والمعامي وفي هذا تنبيه على ان عاقبة الصبر لنبينا صلى الله عليه وسلم النصر والفرج  
 أي السرور كما كان لنوح ولقومه (فان قيل) هذه القصة ذكرت في يوسف فما الحكمة والفائدة  
 في اعدادتها (أجيب) بأن القصة الواحدة قد ينتفع بها من وجوه في السورة الاولى كان

الكفار يستجلبون نزول العذاب فذكر تعالى قصة نوح في بيان أن قومه كانوا يكذبونه بسبب  
 أن العذاب ما كان يظهر ثم في العاقبة ظهر فكذا في واقعة محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذه  
 السورة ذكرت لاجل أن الكفار كانوا يبالغون في الإيحاء فذكرها الله تعالى لبيان أن أقدم  
 الكفار على الأذى والإيحاء كان حاصلا في زمان نوح عليه السلام فلما صبر فأزوفظرفكن  
 يا محمد كذلك لتسال المقصود ولما كان وجه الانتفاع بهذه القصة في كل سورة من وجه آخر  
 لم يكن تكريرها خاليا عن الحكمة والفائدة \* القصة الثانية من القصص التي ذكرها الله تعالى  
 في هذه السورة قصة هود عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (والى عاد) أى وأرسلنا إلى عاد  
 (أحاهم) فهو معطوف على قوله تعالى نوحا وقوله تعالى (هودا) عطف بيان ومعلوم أن تلك  
 الأخوة ما كانت في الدين وإنما كانت في النسب لأن هودا كان رجلا من قبيلة عاد قبيلة من  
 العرب كانوا بنسبهم إلى نوح (فان قيل) انه تعالى قال في ابن نوح انه ليس من أهل قبيلتين أن قرابة  
 النسب لا تنفذ إذا لم تحصل قرابة الدين وهذا أثبت هذه الأخوة مع الاختلاف في الدين (أجيب)  
 بأن قوم محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يستبعدون أن يكون رسولا من عند الله تعالى مع أنه واحد  
 من قبيلتهم فذكر الله تعالى أن هودا كان واحدا من عادوات صالحا كان واحدا من عاد ولازالة  
 هذا الاستبعاد ولما تقدم أمر نوح عليه السلام مع قومه استشرف السامع إلى معرفة ما قال  
 هود عليه السلام هل هو مثل قوله أرفا فاستأنف الجواب بقوله (قال يا قوم اعبدوا الله) أى  
 وحدوه ولا تشركوا معه شيئا في العبادة (مالكم من اله غيره) أى هو الهكم لأن هذه الأصنام التي  
 تعبدونها هجر لا تنفع (فان قيل) كيف دعاهم إلى عبادة الله تعالى قبل إقامة الدليل  
 على ثبوت الإله (أجيب) بأن دلائل وجود الله تعالى ظاهرة وهي دلائل الآفاق والانقراض  
 وقليما وجد في الدنيا طائفة ينكرون وجود الإله ولذلك قال تعالى في صفة الكفار ولئن سألتهم  
 من خلق السموات والأرض ليقولن الله وقرأ الكسائي بكسر الراء والهاء صفة على اللفظ  
 والباقون بالرفع صفة على محل الجار والمجرور ومن زائدة (ان أنتم الامقسترون) أى كاذبون في  
 عبادتكم غيره وكرر قوله (يا قوم) للاستعطاف وقوله (لأأسالكم عليه أجزان أجرى الأعلى  
 الذى فطرنى) أى خلقتنى خاطب به كل رسول قومه إزالة للثمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجم  
 مادامت مشوبة بالمطامع (أفلا تعقلون) أى أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل  
 والصواب من الخطا فتعقلون ثم قال (ويا قوم) أيضا لما ذكر (استغفروا ربكم) أى آمنوا به  
 (ثم توبوا إليه) من عبادة غيره لأن التوبة لا تصح إلا بعد الإيمان (يرسل السماء) أى المطر  
 (عليكم مدرارا) أى كثير الدر (ويردكم قوة إلى قوتكم) أى ويضعف قوتكم وانما رغبتهم  
 بكثرة المطر وزيادة القوة لأن القوم كانوا أصحاب زرع وبساتين وهارات حراصا عليها أشد  
 الحرص فكانوا أخرجت إلى الماء وكانوا مذلين غيرهم بما أوتوا من شدة القوة والبطش  
 والبأس والنهبة مهايين في كل ناحية وقيل أراد القوة في المال وقيل القوة على الشكاح وقيل  
 حبس عنهم المطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسايتهم وعن الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهم أنه

وقد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابة فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلني شيئا لعل الله  
 يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى رجا استغفاري في يوم واحد  
 سبع مائة مرة فولده عشر بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألتهم قال ذلك فوجد مرة أخرى  
 فسأله الرجل فقال ألم تسجع قول هود ويردكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم بأموال  
 وبنين (ولا تقولوا) أي ولا تعرضوا عن قبول قولي ونصحي حالة كونكم (مجرمين) أي  
 مشركين \* ولما حكى الله تعالى عن هود ما ذكره قومك من قوله له وهو أشياء أولها  
 ذكره تعالى بقوله (قالوا يا هود ما جئتنا بيينة) أي بحجة تدل على صحة دعواتنا وسميت بيينة  
 لانها بين الحق ومن المعلوم أنه عليه الصلاة والسلام كان قد أظهر لهم المعجزات الا ان القوم  
 لجهلهم أنكروها وزعموا أنه ما جاء بشئ من المعجزات وثانيها قولهم (وما نحن بتاركي الهتنا)  
 أي عبادتها وقولهم (عن قولك) أي صادقين عن قولك حال من الضمير في تاركي وهذا أيضا  
 من جهلهم فانهم كانوا يعرفون أن النافع والضار هو الله تعالى وأن الاصنام لا تضر ولا تنفع  
 وذلك حكم فطرة العقل وبديهة النفس وثالثها قولهم (وما نحن لك بمؤمنين) أي مصدقين  
 وفي ذلك اقناط له من الاجابة والتصديق ورابعها قولهم (ان) أي ما (نقول) في شأنك  
 (الاعتراك) أي أصابك (بعض الهتنا بسوء) لسببك اياها جعلتك مجنوننا وأفسدت عقلك ثم  
 انه تعالى ذكر أنهم لما قالوا ذلك (قال) هود عليه السلام مجيبا لهم (اني أشهد الله) على  
 (واشهدوا) أنهم أيضا على (أني بري مما تشركون من دونه) أي الله وهو الاصنام التي كانوا  
 يعبدونها (فكيدوني) أي احتالوا في هلاكهم (جميعا) أنهم وأصنامكم التي تعتقدون أنها تضر  
 وتنفع فانها لا تضر ولا تنفع \* (فأسة) \* اتفق القراء على اثبات الياء في كيدوني هنا وقفا  
 ووصل اثباتها في المصحف (ثم لا تنظرون) أي تمهلون وهذا فيه معجزة عظيمة لهود عليه السلام  
 لانه كان وحيدا في قومه وقال لهم هذه المقالة ولم يهيم ولم يصف منهم مع ما هم فيه من الكفر  
 والجبروت ثقة بالله تعالى كما قال تعالى (اني توكلت على الله ربي وربكم) أي فوضت أمري  
 اليه واعتمدت عليه (ما من دابة) تدب على الارض ويدخل في هذا جميع بني آدم والحيوان  
 لانهم يدبون على الارض (الا هو أخذ بناصيتنا) أي مالكتها وقاهرها فلا يقع نفع ولا ضرر الا  
 بأذنه والناصية كما قال الازهرى عند العرب منبت الشعر في مقدم الرأس وسمى الشعر النابت  
 هنا ناصية باسم منبته والعرب اذا وصفوا انسانا بالذلة والخضوع قالوا ما ناصية فلان الايد  
 فلان وكانوا اذا أسروا الأسير وأرادوا اطلاقه والتمن عليه جزوا ناصيته ليكون ذلك علامة  
 لقهره ونحو طبوا في القرآن بما يعرفون من كلامهم (ان ربي على صراط مستقيم) أي  
 طريق الحق والعدل فلا يظلمهم ولا يعمل الا بالاحسان والانصاف فيجازي المحسن باحسانه  
 والمسي بعصيانه وقوله تعالى (فان تولوا) فيه حذف احدي التامين أي تعرضوا (فقد أبلغتكم)  
 جميع (ما أرسلت به اليكم) فان قيل الا بلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط  
 (أجيب) بأن معناه فان تولوا لم أعاتب على تفسير من جهتي وصرت محجوبا عن لانكم أنتم



الذين أصروا على التكذيب وقوله (ويستخلف ربي قوما غيركم) استئناف بالوعد لهم بأن الله تعالى يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم وأموالهم يوحدونه تعالى ويعبدونه (ولا تضرّونه) أي الله مباشرة ككم (شياً) من الضرر انما تضرّون أنفسكم وقيل لا تنصونه شيئاً إذا أهلككم لأن وجودكم وعدمكم عنده سواء (إن ربي على كل شيء حفيظ) صغيراً وكبيراً جليلاً وحفيظاً) أي رقيب عالم بكل شيء وقادر على كل شيء فيحفظني أن تنالوني بسوءه وأحفظ لأعمال العباد حتى يجازيهم - م عليها أو - فيحفظ على كل شيء يحفظه من الهلاك إذا شاء ويهلكه إذا شاء (ولما لم يرجعوا ولم يرعوا وبينت ولا رغبة ولا رهبة (جاء أمرنا) أي عذابنا وذلك هو ما نزل بهم من الريح العقيم عذبهم الله تعالى به سبع ليالٍ وسبعين يوماً حسوماً تدخل في مناخرهم وتخرج من أدبارهم وترفعهم وتضر بهم على الأرض على وجوههم حتى صاروا كالجوارح الخاوية وهناك من قال من كلمتين قرأ قالون واليزي وأبو عمرو بإسقاط الأولى وقرأ ورش وقيل يصحق الأولى وتسهل الثانية والباقيون بتحقيقهما (نجينا هوداً والذين آمنوا معه) أي من هذا العذاب وكانوا أربعة آلاف (برحمة منا) لأن العذاب إذا نزل قديماً المؤمن والكافر فلما أنجى الله تعالى المؤمنين من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه (ونجيناهم من عذاب غليظ) هو عذاب الآخرة ووصفه بالغليظ لأنه أغلظ من عذاب الدنيا أو نجينا هوداً والذين آمنوا معه من أن يصل إليهم الكفار بسوءه مع اجتهادهم في ذلك ونجيناهم من عذاب غليظ هو الريح المذكورة \* ولما ذكر الله تعالى قصة عاد خاطب أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال (وتلك عاد) وهو إشارة إلى قبورهم - وآثارهم كأنه تعالى قال سيجوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا ثم أنه تعالى جمع أوصافهم ثم ذكر عاقبة أحوالهم في الدنيا والآخرة أما أوصافهم فتلاثة الصفة الأولى قوله تعالى (جحدوا بما برّهم) أي بالمعجزات التي أتى بها هود عليه السلام الصفة الثانية قوله تعالى (وعصوا رسله) أي هوداً وحده وانما أتى به بلفظ الجمع أمم للتعظيم أولات من عصى رسولاً فقد عصى جميع الرسل لقوله تعالى لا تفرق بين أحد من رسله الصفة الثالثة قوله تعالى (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) أي إن السخلة كانوا يقدون الرؤساء في قولهم ما هذا إلا بشر مثلكم فأطاعوا من دعاهم إلى الكفر وما يرد عليهم وعصوا من دعاهم إلى الإيمان ولا يرد عليهم والجبار المرتفع المتعبد والعنيد والعنود والمعاند هو المنازع المعارض \* ولما ذكر تعالى أوصافهم ذكر أحوالهم بقوله تعالى (واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة) أي جعل اللعن رديها لهم ومتابعا ومصاحبا في الدنيا والآخرة ومعنى اللعنة الإبعاد من رحمة الله تعالى ومن كل خير وقيل اللعنة في الدنيا من الناس وفي الآخرة لعنة على رؤس الأشهاد \* ثم أنه تعالى بين السبب الأصلي في نزول هذه الأحوال المكروهة بهم بقوله تعالى (الآن عاداً كفروا ربهم) أي كفروا برّبهم فحذف الباء أو أن المراد بالكفر الجحد أي جحدوا ربهم وقيل هو من باب حذف المضاف أي كفروا بنعمة ربهم \* (تبيينه) \* الأداة استفتاح لا تذكر إلا بين يدي كلام يعظم موقعه ويحبل خطبه ثم قال (الآبعاد) لعاد) دعاهم عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على أنهم كانوا مستوجبين لنزول بهم بسبب ما حكي

عنهم وانما كروا لا واعاد ذكرهم تفضيلا لامرهم وحناء على الاعباد بحالهم وقوله تعالى (قوم  
 هود) عطف بيان لعاد وقائده تمييزهم من عاد الثانية عاد ارم والايحاء الى استحقاقهم للبعد  
 بما جرى بينهم وبين هود القصة الثالثة التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة قصة صالح  
 عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (والى عمود) وهم سكان الحجر اى وارسلنا الى عمود (اخاهم)  
 فهو معطوف على قوله تعالى نوحا كما عطف عليه والى عاد وقوله تعالى (صالحا) عطف بيان وتلك  
 الاخوة كانت في النسب لافى الدين كما مر في هود ثم اخرج قوله عليه السلام على تقدير سوال  
 بقوله (قال يا قوم) اى يا من يعز على ان يحصل لهم سوء (اعبدوا الله) اى وحدوه وخصوه  
 بالعبادة (ما لكم من الله غيره) هو الهكم المستحق للعبادة لانه الاصنام ثم ذكر الدلائل الدالة  
 على وحدانيته تعالى بقوله (هو انشاكم) اى ابتدا خلقكم (من الارض) وذلك انهم من بنى آدم  
 وادم خلق من الارض اوان الانسان مخلوق من المني وهو متولد من الدم والدم متولد من  
 الاغذية وهى اما حيوانية واما نباتية فاما الحيوانية فخالها كحال الانسان فوجب انتهاء الكل  
 الى النبات والنبات متولد من الارض فثبت انه تعالى انشا الانسان من الارض وقيل من معنى  
 فى كفاية قوله تعالى اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة (واستمعركم فيها) اى جعلكم عمارها وسكانها  
 وقال الفصحاء اطال اعماركم فيها حتى ان الواحد منهم كان يعيش ثلثمائة سنة الى الف سنة وكذا  
 كان قوم عاد وروى ان ملوك فارس قد اكرموا من حضر الانهار وغرس الاشجار وحصلت لهم  
 الاعمار الطويلة فسأل نبي من انبياء زمانهم ربه ما سبب تلك الاعمار فأوحى الله اليه انهم عمروا  
 بلادى فعاش فيها عبادى وأخدم معاوية فى احياء الارض فى آخره عمره فقيل له فى ذلك فقال  
 ما حلتى عليه الا قول القائل

ليس الفتى يفتى لا يستضاهيه \* ولا يكون له فى الارض آثار

وقال مجاهد استعمركم من العبرى اى جعلها لكم ما عشتم فاذا متم انتقلت الى غيركم \* ولما بين لهم  
 عليه السلام عظمة الله تعالى بين لهم طريق الرجوع اليه بقوله (فاستغفروه) اى آمنوا به  
 (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره لان التوبة لاتصح الا بعد الايمان وقد مر مثل ذلك (ان ربي  
 قريب) من خلقه يعلم كل من اقبل عليه من غير حاجة الى حركة (مجيئ) لكل من ناداه  
 لا كما يهود اتكم فى الامرين \* ولما قرر لهم عليه السلام هذه الدلائل (قالوا) له (يا صالح قد كنت  
 فيما مرجوا قبل هذا) اى القول الذى جئت به لما رى قبلك من محابيل الرشد والسداد فانك  
 كنت تعطف على فقيرنا وتعين ضعيفنا وتعود مرضانا فقوى رجائنا فيك ان تنصرد بنا  
 فكيف اظهرت العداوة \* ثم انهم اضافوا الى هذا التعجب الشديد فقالوا (انتهانا ان نعبدما)  
 كان (بعبد ابائنا) من الالهة ومقصودهم بذلك التمسك بطرف التقليد ووجوب متابعة الابهاء  
 والاسلاف ونظير هذا التعجب ما حكاه الله تعالى عن كفار مكة حيث قالوا اجعل الالهة الها  
 واحدا ان هذا الشئ عجاب ثم قالوا (وانت الذى شكمتنا دعونا اليه) من التوحيد وتربط عبادة  
 الاصنام (مرئيب) اى موقع فى الريبة وهى قلق النفس وانتفاء العلم اذ ينة باليقين والرجاء تعلق

النفس بجبي الخبير على جهة الظن ونظيره الامل والطمع والنهي المنع من الفعل بصيغة لاتفعل  
 وقولهم هذا مبالغة في تزييف كلامه (قال) صالح عليه السلام مجيبا لهم (يا قوم ارايتم) أي  
 أخبروني (ان كنت على بينة) أي بيان وبصيرة (من ربي) وأي بحرف الشك على سبيل الجزم  
 ليلاتم الخطاب حال مخاطبين (واتاني منه رحمة) أي نبوة ورسالة (فمن نصرني) أي بمعنى  
 (من الله) أي عذابه (ان عصيته) أي ان خالفت أمره في تبليغ رسالته والمنع عن الاشرار به  
 (فاتزيدوني) أي بأمر كرم لي بذلك (غير تخبر) أي غير تضليل قال الحسن بن الفضل لم يكن صالح  
 في خسارة حتى يقول فاتزيدوني غير تخسير وانما المعنى فاتزيدوني بما تقولون الانسبى اياكم  
 الى الخسارة \* ولما كانت العادة فيمن يدعى النبوة عند قوم يعبدون الاصنام أن يطلبوا المهجزة  
 وأمر صالح عليه السلام هكذا كان يروي أن قومه خرجوا في عيد لهم فسألوه أن يأتيهم بآية  
 وأن يخرج لهم من صخرة معينة أشاروا اليها ناقة فدعا ربه فخرجت كما سألوا وأشار اليها بقوله  
 (ويا قوم هذه ناقة الله) وضافتم الى الله اضافة تشریف كبيت الله (لكم آية) أي مهجزة من  
 وجوه أحدها أنه خاقها الله تعالى من الصخرة ثانياً أنه تعالى خلقها في جوف الجبل ثم شق  
 الجبل عنها ثالثاً أنه تعالى خلقها حاملا من غير ذكر ثم ولدت فصيلا يشبهها رابعاً أنه تعالى  
 خاقها على تلك الصورة دفعة واحدة خامساً ما روى أنه كان لها شرب يوم ولكل القوم شرب  
 يوم آخر سادساً أنه كان يحصل منها لبن كثير فيكفي الخلق العظيم به فكل واحد من هذه الوجوه  
 معجز قوي وليس في القرآن الا أن هذه الناقة كانت آية معجزة وأما بيان أنها كانت آية معجزة من  
 أي الوجوه فليس فيه بيان \* (تنبه) \* آية نصب على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال  
 منها تقدمت عليها لتسكرها ولولا تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال ثم قال  
 لهم (قدروها) أي اتركوها على أي حالة كان ترككم لها (تأكل) مما أرادت (في أرض الله)  
 من العشب والنبات فليس عليكم مؤنتها فاصارت مع كون آية لهم تنفعهم ولا تضرهم لانهم كانوا  
 ينتفعون بلبنها ثم انه عليه السلام خاف عليها منهم لما شاهد من اصرارهم على الكفر فأتى  
 الخصم لا يجب ظهور حجة خصمه بل يسمي في اخفائها وابطالها بأقصى الامكان فلهذا السبب  
 كان يخاف من اقدامهم على قتلها فلماذا احتاط وقال (ولا تمسوها بسوء) أي بعقر أو غيره ثم  
 توعدهم بقوله (فياخذكم) ان تمسوها بسوء (عذاب قريب) أي في الدنيا لا يتأخر عن مسك  
 لها الا يسيرا وذلك تحذير شديد لهم في الاقدام على قتلها فخالقوه (فقعروها) وذبحوها (فقال)  
 لهم عند بلوغه الخبر (تمتعوا) أي عيشوا (في داركم) والتمتع التلذذ بالمنافع والملاذ التي تدرك  
 بالحواس وذلك لا يحصل الا للحي وفي المراد من الدار وجهان أحدهما البلد وتسمى البلد  
 الديار لانه يدار فيها أي يتصرف فيها يقال ديار بكر لبلادهم الثاني دار الدنيا أي تمتعوا في الدنيا  
 (ثلاثة أيام) وذلك أنهم لما عقروا الناقة أئذ بهم صالح عليه الصلاة والسلام ينزل العقاب بعد  
 هذه المدة قال ابن عباس انه تعالى لما أمهلهم تلك الايام الثلاثة فقد رغبهم في الايمان ثم  
 قالوا صالح عليه السلام وما علامة ذلك قال تصبر وجوهكم في اليوم الاقل مصفرة وفي

الثاني حجره وفي الثالث مسوقة ثم يأتيكم العذاب في اليوم الرابع فلما رأوا وجوههم مسوقة  
 أيقنوا حينئذ بالعذاب فصنطوا واستعدوا للعذاب فصحبهم اليوم الرابع كما قال تعالى (ذلك)  
 أي الوعد العالي الرتبة في الصدق (وعد غير مكذوب) أي فيه فأتبع في الطرف بمحذف الطرف  
 وأجرائه مجرى المفعول به كقوله \* ويوم شهدناه (أي ورب يوم شهدنا فيه) سليمان وعاصم \*  
 أو غير مكذوب على الجازأ وروعد غير كذب على أنه مصدر وقوله تعالى (فلا جاء أمرنا فحينئذ صالحا  
 والذين آمنوا معه برحمة منا) في تفسيره وقراءة الله - مزتين وعدد الذين آمنوا معه مثل ما تقدم  
 في قصة عاد (و) فحينئذ هم (من خزي يومئذ) وهو هلاكهم بالصيحة أو ذلهم أو فضيحتهم يوم  
 القيامة وقرأ نافع والهمكساني بفتح الميم من يومئذ على البناء لاضافتها إلى صني وكسرهما  
 الباقون على الاعراب والاول أكثر (أن ربك هو القوي) فهو يغلب كل شيء (العزير) أي  
 القادر على منع غيره من غير أن يقدر أحد عليه ثم أخبرته على عن عذاب قوم صالح بقوله (وأخذ  
 الذين ظلموا) أي أنفسهم بالكفر (الصيحة) أي صيحة جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة  
 واحدة فهلكوا جميعا أو أتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم في صدورهم فأتوا جميعا كما  
 قال تعالى (فأصبحوا في ديارهم جاثمين) أي ياركين على الركب ميتين \* (تنبه) \* انما قال تعالى  
 وأخذ ولم يقل وأخذت لأن الصيحة محمولة على الصباح وأيضا فصل بين الفعل والاسم المؤنث  
 بفصل فكان الفاصل كالعرض من تاء التأنيث وقوله تعالى (كان) محققة من الثقيلة واسمها  
 محذوف أي كانوا (لم يغنوا) أي يقيموا (فيها) أي ديارهم ولم يسكنوها مدة من الدهر يقال  
 غنيت بالمكان إذا أقت به وقوله تعالى (ألا انعمود كفروا ربهم إلا بعد الثود) تفسيره  
 ما تقدم في قوله تعالى ألا انعمود كفروا ربهم الآية وقرأ حفص وحزرة ألا انعمود بغير تنوين  
 للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة والباقون بالتشوين للذهاب إلى الحى أو إلى الأب الأكبر  
 ومن نون وقف على ألف بعد الدال ومن لم ينون وقف على الدال ساكنة وقرأ الهمكساني  
 بعد الثود بتثوين مع الكسر لما مر والباقون بغير تنوين مع الفتح لما مر أيضا القصة  
 الرابعة التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام المذكورة  
 في قوله تعالى (واقدم جات رسلنا إبراهيم بالبشرى) أي بأهق ومن وراءه إسحق يعقوب  
 والمراد بالرسول الملائكة ولفظ رسلنا جمع وأقله ثلاثة واختلف في الزائد على ذلك وأجمعوا على  
 أن الأصل فيهم كان جبريل عليه السلام واقتصر ابن عباس وعطاء على أقل الجمع فقالوا كانوا  
 ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل وهم الذين ذكرهم الله تعالى في سورة الذاريات بقوله تعالى  
 هل أتاكم حديث ضيف إبراهيم المصكرمين وفي الجبرونيتهم عن ضيف إبراهيم وقال  
 الضحاك كانوا تسعة وقال محمد بن كعب القرظي كان جبريل ومعه سبعة أملاك وقال  
 السدي كان جبريل ومعه أحد عشر ملكا على صورة الغلمان الذين يكونون في غاية الحسن  
 قال الصوريون ودخلت كلمة قد ههنا لأن السامع لقصص الانبياء يتوقع قصة بعد قصة وقد  
 للتوقع ودخلت اللام في لقدمنا كيدان لغير (قالوا سلاما) أي سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا

على معنى ذكره وسلاماً أي سلوا (قال سلام) أي أمركم أو جوابي سلام أو وعليه ~~صلى~~ عليكم سلام  
 (تنبية) قوله سلام أكل من قوله السلام لأن التكرير يفيد التكامل والمبالغة والتعظيم  
 ولهذا صح وقوعه مبتدأ لأن التكرير إذا كانت موصوفة جاز جعلها مبتدأ وأما لفظ السلام  
 فإنه لا يفيد إلا الماهية (فان قيل) فلا شيء ما كفي الاقلى في التحلل من الصلاة عند النوى  
 (أجيب) بأن ذلك سنة متبعة وقرأ حمزة والكسائي بكسر السين وسكون اللام ولا ألف بعدها  
 والبايون بفتح السين واللام وبعدها ألف قال الفراء ولا فرق بين القراءتين كما يقال  
 حل وحلال وحرم وحرام وقيل سلم هو بمعنى الصلح أي نحن سلم صلح غير حرب (فألمت أن جاء  
 بجمل حنيد) أي فما أبطأ بجيئه به والحنيد المشوي على الحجارة المحمأة في حفرة من الأرض  
 وكان منيأية طرودك كما قال تعالى في موضع آخر جاء بجمل سبعين قال قتادة كان عامة مال  
 ابراهيم البقر روى أن ابراهيم عليه السلام مكث خمس عشرة ليلة لم يأت به ضيف فاغتم لذلك  
 وكان يجب الضيف ولا يأكل الا معه فلما جاءته الملائكة رأى أضيافاً لم يرمئهم فبجل  
 قراهم وجاء بجمل سبعين مشوي (فلم رأى أيديهم) أي الاضياف (لأنصل اليه) أي  
 لا يعتدون أيديهم اليه (نكرهم) أي أنكروهم وأنكر حالهم لامتناعهم من الطعام (وأوجس)  
 أي أضمر في نفسه (منهم خيفة) أي خوفاً قال قتادة وذلك أنهم كانوا اذا نزل بهم ضيف فلم  
 يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يأت بخير وانما جاء بشر (قالوا لا تخف) يا ابراهيم (أنا) ملائكة  
 الله (أرسلنا الى قوم لوط) بالعذاب وانما غدله أي دينا لا لانا كل (وأمر أنه) أي ابراهيم  
 سارة وهي ابنة عم ابراهيم (قائمة) وراءه السرتسمع محاورتهم أو على رؤسهم للخدمة فسمعت  
 البشارة بالولد التي دل عليها فيما مضى قوله بالبشرى (فصعكت) سرورا من تلك البشري  
 لزوجها مع كبره ورجمائته من غيرها لانها كانت هجوزا عقيما فأزبل ذلك الظن عنها بقوله تعالى  
 (فبشرناها) أي على لسان الملائكة تشريفاً لها وتفضيلاً شأنها (باسحق) تلهه (ومن وراء  
 اسحق يعقوب) أي يكون يعقوب عليه السلام ابناً لاسحق عليه السلام فتعيش حتى ترى ولده  
 ولدها قال البقاعي والذي يدل على هذا التقدير من أنهم بشروه بالولد قبل امر أنه فسمعت  
 فحجبت ما يأتي عن نص التوراة وساق عن التوراة عبارة مطولة وقيل سبب سرورها زوال  
 الخليفة أو هلاك أهل الفساد وقيل فصعكت فخاضت كما قال الشاعر  
 عهدى يسلمى ضاحكا في لبانة \* أي حاضتا في جماعة من النساء وهذا يرد على القراء حيث  
 قال فصعكت بهني حاضت لم نسمع من ثقة وقال آخر \* فصعك الضبع لقتلي هذيل \* أراد أنها  
 تحبض فرحا (تنبية) \* ههنا همزتان مكسورتان من كلمتين قرأ قالون والبري بتسهيل الأولى  
 مع المد والقصر وقرأ ورش وقيل بتسهيل الثانية وابدائها أيضا حرف مد وقرأ أبو عمرو وباسقاط  
 أحدهما مع المد والقصر والباكون بتحقيق الهمزتين ولا ألف بينهما (قالت يا ويلتا) هذه  
 كلمة يقال عند أمر عظيم والالف مبدلة من ياء الاضافة (أالدو أنا هموز) وكانت ابنة ثمانين  
 سنة في قول ابن اسحق وقال مجاهد تسع وتسعين سنة (وهذا يعني) أي زوجي سمى بذلك لأنه

قيم أمرها وقولها (شجنا) نصب على الحال قال الواحدى وهذا من لطيف التصور وغامضه  
 فان كلمة هذا الاشارة فكان قولها وهذا على شجنا قائم مقام أن يقال أشير الى بعلى حال كونه  
 شجنا والمقصود تعريف هذه الحالة المخصوصة وهى الشجوخة وكان ابن مائة وعشرين سنة  
 فى قول ابن اسحق وقال مجاهد مائة سنة وكان بين البشارة والولادة سنة (ان هذا الشئ عجيب)  
 أى ان الولاد من هرمين فهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك (قالوا) أى  
 الملائكة لسارة (أتعجبين من أمر الله) منكرين عليها ذلك أى لا تعجبين من ذلك فان الله  
 تعالى قادر على كل شئ واذا أراد شئاً كان سريراً فان خوارق العادات باعتبار أهل بيت النبوة  
 ومهبط المعجزات وتخصيصهم بعز يد النعم والكرامات ليس بمستغرب (رحمة الله وبركاته  
 عليكم أهل البيت) أى بيت ابراهيم وأهل منصوب على المدح أو النداء لقصد التخصيص  
 كقولهم اغفر لنا أيتها العصابة وهذا على معنى الدعاء من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل  
 على ان أزواج الرجل من أهل بيته (أنه) تعالى (حميد) أى محمود على كل حال أو فاعل  
 ما يستوجب به الحمد (مجيد) أى كثير الخير والاحسان القصة الخامسة التى ذكرها الله تعالى  
 فى هذه السورة قصة لوط عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (فلما ذهب عن ابراهيم الروح)  
 أى الخوف وهو ما أوجس من الخيفة حين أنكر أضيافه واطمأن قلبه بعرفانهم (وجاءته  
 البشرى) بدل الروح بالولد أخذ (بجادلنا) أى يجادل رسلنا (فى) شأن (قوم لوط) وجواب لما  
 أخذ بجادلنا الا أنه حذف اللفظ لدلالة الكلام عليه وقيل تقديره لما ذهب عن ابراهيم الروح  
 جادلنا (فان قيل) كيف جادل ابراهيم الملائكة مع علمه بأنهم لا يمكنهم مخالفة امر الله وهذا  
 منكر (أجيب) بأن المراد من هذه المجادلة تأخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنون ويرجعون عما هم  
 فيه من الكفر والمعاصى لان الملائكة قالوا انامهلكوا أهل هذه القرية أو ان مجادلته انما  
 كانت فى قوم لوط بسبب مقام لوط فيهم ولهذا قال ابراهيم عليه السلام أرايتم لو كان فيها  
 خمسون رجلاً من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال أو أربعون قالوا لا قالوا لا قالوا لا  
 فعشرون قالوا لا حتى بلغ خمسة قالوا لا قال أرايتم لو كان فيها رجل مسلم أتهلكونها قالوا لا  
 فعند ذلك قال ان فيها لوطا وقد ذكر الله تعالى هذا فى سورة العنكبوت فقال ولما جاءت رسلنا  
 ابراهيم بالبشرى قالوا انامهلكوا أهل هذه القرية ان أهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا  
 نحن أعلم عن فيها نتجينه وأهلها الامر أنه كانت من الغابرين قال ابن جرير وكان فى قري  
 لوط أربعة آلاف ألف ولو كانت هذه المجادلة مذمومة لما مدحه بقوله تعالى (ان ابراهيم حلیم)  
 أى لا يتعجل مكافأة غيره بل يتأني فيها فيؤخر او يعفو ومن هذا حاله يجب من غيره هذه الطريقة  
 وهذا مدح عظيم من الله تعالى لابراهيم ثم ضم الى ذلك ما يتعلق بالحلم وهو قوله تعالى (أوواه)  
 أى كثير التأوى من الذنوب والتأسف على الناس (متيب) أى رجاع فلما اطال مجادلتهم قالوا له  
 (يا ابراهيم أعرض عن هذا) أى الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه (انه قد جاء أمر  
 ربك) أى قضاؤه الا نزل بعذابهم وهو أعلم بحالهم (وانهم آتتهم عذاب غير من دود) أى لا سبيل

الذي دفعه وردة (ولما جئت رسلنا لوطا) أي هؤلاء الملائكة الذين بشروا إبراهيم بالولد قال ابن عباس انطلقوا من عند إبراهيم إلى لوط وهو ابن أخي إبراهيم عليه الصلاة والسلام وبين القريتين أربعة فراسخ ودخلوا عليه على صورة شباب مرد من بني آدم وكانوا في غاية الحسن ولم يعرف لوط أنهم ملائكة الله تعالى (سعى بهم) أي حزن بسببهم (وضاق بهم ذرعا) أي صدرا يقال ضاق ذرع فلان بكذا اذا وقع في مكروه لا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا نظر إلى حسن وجوههم وطيب روائحهم فخاف عليهم خبت قومه وأن يعجز عن مقاومتهم وقيل ساء ذلك لانه عرف بالآخرة أنهم ملائكة الله تعالى وانهم جاؤا لاهلاك قومه ففرق قلبه على قومه (وقال هذا يوم عصب) أي شديد كانه قد عصب به الشر والبلاء أي شديدا ما خوذ من العصاة التي تشد بها الرأس قال قتادة خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط فأولوا لوطا نصف النهار وهو في أرض له يعمل فيها وروى أنه كان يحتطب وقد قال الله تعالى لهم لا تهلكوا هم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فاستضافوه وانطلق بهم فلما مضى ساعة قال لهم ما بلغكم من أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله انهم الشرقرية في الارض عما يقول ذلك أربع مرات وروى أن الملائكة جاؤا إلى بيت لوط فوجدوه في داره ولم يعلم بذلك أحد الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فأخبرت قومه وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قط (وجاءه قومه) لما علموا بهم (بهرعون) أي يسرعون (اليه) قاله ابن عباس وقال الحسن الاهرار المشي بين مشيين (ومن قبل) أي قبل مجيئهم إلى لوط وقيل من قبل مجي الرسل اليهم (كانوا يبعثون السيئات) أي الفحشاء الخبيثة والفاحشة المقيحة وهي اتيان الرجال في أديارهم لوط (قال) لقومه حين قصدوا أضيافه وظنوا أنهم غلمان من بني آدم (يا قوم هؤلاء بني) قال مجاهد وسعيد بن جبیر أراد بينا نساء قومه وأضافهن إلى نفسه لأن كل نبي هو أبو أمته كالوالد لهم أي فتر وجوا منهن وقيل أراد بنات نفسه عرضهن عليهم بشرط الاسلام وقيل كان في ذلك الوقت وفي تلك الشريعة يباح تزويج المرأة المسلمة بالكافر كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن الربيع قبل الوحى وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه (هن أطهر لكم) أي أنظف فعلا (فان قبل) افعال التفضيل يقتضى كون العمل الذي يطلبونه طاهرا ومعلوم انه فاسد لانه لا طهارة في اتيان الرجال (أجيب) بان هذا جار مجرى قوله تعالى ذلك خير من لأم شجرة الزقوم ومعلوم أن شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا يوم أحد اعل جبل قال الله اعلى وأجل ولا مماثلة بين الله تعالى والصنم وانما هو كلام خرج مخرجا المقابلة وهذا نظائر كثيرة (فاتقوا الله) وراقبوه واتر كواما أتمت عليه من الكفر والمعاصي (ولا تحزون) أي تفوضوني (في ضيق) أي أضيافي (أليس منكم رجل رشيد) يهتدى إلى الحق فبدأ مر بالمعروف وينهى عن المنكر (قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) أي حاجة (وانك لتعلم ما يزيد) أي من اتيان الذكور وما لنا فيه الشهوة فعند ذلك (قال) أي لوط عليه السلام (لو أن لي بكم

قوله ابن الربيع هو كذلك في متن المواهب قال شارحه على الصواب ورواه يحيى بن بكير وعن ابن عيسى وأبو مصعب وغيره عن مالك وروى الجهور عنه انه ابن ربيعة وادعى الاصمبلي انه ابن الربيع بن ربيعة

قوة) أي طاقة (أو أوى إلى ركن شديد) أي عشيرة تنصرف شبهت بركن الجبل في شدته ومعونه  
 صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى لوطا كان يأوى إلى ركن شديد والركن الشديد نصر الله  
 ومعونه فكان النبي صلى الله عليه وسلم استغرب من لوط عليه السلام قوله أو أوى إلى ركن  
 شديد وهذه نادرة إذ لا يمكن أشد من الركن الذي كان يأوى إليه وجواب لوط محذوف تقديره  
 لبطشت بكم أولاد فقتكم روى أنه أغلق بابيه دون أخيه وأخذ يجادلهم من وراء الباب  
 فتسوروا الجدار فلما رأته الملائكة ما على لوط من الكروب (قالوا يا لوط انزلنا ربك إن يصلوا  
 إليك) بسوء فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه في عقوبتهم  
 فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها قدر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در من منظوم  
 وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم كما قال تعالى فطمسنا أعينهم فصاروا  
 لا يعرفون الطريق ولا يهتدون إلى بيوتهم فخرجوا وهم يقولون النجاء فان في بيت لوط  
 قوما سخرة \* (تبيينه) \* لن يصلوا إليك بجله موضحة للتي قبلا لانهم إذا كانوا رسل الله لن  
 يصلوا إليه ولن يقدروا على ضرره ثم قالوا له (فأسر يا هالك بقطع) أي طائفة (من الليل)  
 وقرأ نافع وابن كثير بعد الفاء بمزة وصل من السمرى والباقون بهم مزة قطع من الاسراء (ولا  
 يلتفت منكم أحد) أي لا ينظر إلى ورائه لئلا يرى عظيم ما نزل بهم وقوله (الامرأتك) قرأه  
 ابن كثير وأبو عمرو ورفع التاء على أنه بدل من أحد والباقون بالنصب على أنه استثناء من الأهل  
 أي فلا تسربها (أنه مصيها ما أصابهم) فلم يخرج بها وقيل خرجت والتفت فقالت واقوما  
 فجاءها جبر فقتلها روى أنه قال لهم متى موعد هلاكهم فقالوا له (أن موعدهم الصبح) قال  
 أريد أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح بقريب) أي فأسرع الخروج حين أمرت بهم (قلنا  
 جاء أمرنا) أي عذابنا بهلاكهم (جعلنا عاليها) أي قراهم (سافها) روى أن جبريل  
 عليه السلام أدخل جناحه تحت قري قوم لوط المؤتفكات المذكورة في سورة براءة وكانت  
 خمس مدائن وفيها أربعة مائة ألف وقيل أربعة آلاف فرفع المدائن كلها حتى مع أهل  
 السماء صباح الديكة ونهيق الحير ونباح الكلاب لم يكفأ لهم اناء ولم ينتبه نائم ثم أسقطها مقلوبة  
 إلى الأرض (وأطرنا عليها) أي المدن بعد قلبها وقيل على شذاذها وهو بضم الشين المجهمة  
 وبذالين مبهتين أو لاهما شدة رهس الذين ليسوا من أهلها يكونون في القوم وليسوا منهم  
 (حجارة من صجيل) أي من طين طبع بالنار كما قال تعالى في موضع آخر من طين وقيل مثل السجيل  
 وهو الدلو العظيمة (منضود) أي متتابع يتبع بعضها بعضا (مسومة) أي معلقة عليها اسم  
 من يرى بها وقال أبو صالح رأيت منها عند أم هانئ وهي حجارة فيها خطوط حرد على هيئة الخزع  
 وقال الحسن عليها مثال الخواتيم وقال ابن جرير كان عليها أسيا بهلم بها أنها ليست من حجارة  
 الأرض وقوله تعالى (عند ربك) ظرف لها (وما هي) أي تلك الحجارة (من الظالمين) أي  
 مشركي مكة (يبعد) أي بشئ بعيد أو بكان بعيد لأنها وان كانت في السماء وهو مكان بعيد  
 إلا أنها إذا وقعت منها فهي أسرع شئ لحوها بالمري فكانت لها مكان قريب منه وفيه وعيد لهم



وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل فقال يعنى ظالمى مكة ما من ظالم منهم الا وهو  
 يعرض عليه حجر فيسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقري أى هو قرية من ظالمى مكة  
 يترون عليها فى مسيرهم . القصة السادسة التى ذكرها الله تعالى فى هذه السورة قصة شعيب عليه  
 السلام المذكور فى قوله تعالى (والى مدين) أى وأرسلنا الى مدين وهم قبيلة أبوه مدين بن  
 ابراهيم عليه السلام وقيل هو اسم مدينة بناها مدين المذكور وعلى هذا فالقدير وأرسلنا  
 الى أهل مدين فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه (أخاهم) أى فى التسبب لافى الدين و(شعبيا)  
 عطف بيان وكان قائلا قال فاقال لهم قويل (قال) ما قال اخوته من الانبياء فى البداية بأصل  
 الدين (يا قوم) مستعظفا لهم مظهر اغاية الشفقة (اعبدوا الله) أى وحدوه ولا تشركوا به  
 شيئا (مالكم من الغيرة) فلقد اتفقت كما ترى كلمتهم واتحدت الى الله تعالى دعوتهم وهذا  
 وحده قطعى الدلالة على صدق كل منهم لما علم قطعا من تباعد اعصارهم وتناقى ديارهم  
 وان بعضهم لم يلم بالعلم ولا عرف أخبار الناس الا من الحى القيوم ولما دعاهم الى  
 العدل فيما بينهم وبين الله تعالى دعاهم الى العدل فيما بينهم وبين عباده فى أقبح ما كانوا  
 اتخذوه بعد الشرك تدينا فقال (ولا تنقصوا) بوجه من الوجوه (الميكال والميزان) أى لا الكيل  
 ولا آله ولا الوزن ولا آله والكيل تعديل الشئ بالآلة فى القلة والكثرة والوزن تعديل  
 فى الخفة والثقيل فالكيل العدل فى الكمية والوزن العدل فى الكيفية ثم علل ذلك بقوله (انى  
 أراكم بخير) أى بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف قال ابن عباس كانوا وسرين فى نعمة  
 وقال مجاهد كانوا فى خصب وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر وحلول النعمة  
 ان لم يؤمنوا ويتوبوا وهو قوله (وانى أخاف عليكم) ان لم تؤمنوا (عذاب يوم محيط) أى محيط  
 بكم فيما لكم جميعا وهو عذاب الاستئصال فى الدنيا وعذاب النار فى الآخرة ومنه قوله تعالى  
 وان جهنم لمحيطة بالكافرين والمحيط من صفة اليوم فى الظاهر وفى المعنى من صفة العذاب  
 وذلك مجاز مشهور وكقوله هذا يوم عصيب (ويا قوم أوفوا) أى أتموا اتماما حسنا (الميكال  
 والميزان) أى الكيل والوزن وألتما (فان قيل) النهى عن النقصان أمر بالايضاة فإفادة  
 قوله تعالى أوفوا (أجيب) بأنهم نهوا أولا عن القبيح الذى كانوا عليه من نقص الميكال والميزان  
 لان فى التصريح بالقبيح نهي عن المنهى وتغييره ثم ورد الامر بالايضاة الذى هو حسن فى العقول  
 مصرح بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجى به مقيدا (بالقسط) أى ليكون الايضاة على  
 وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان أمر اجماعا هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل  
 وأمر مندوب اليه غير المأمور به وقد يكون محظورا كما فى الربا وقوله تعالى (ولا تبغضوا الناس  
 أشياءهم) تعميم بعد تخصيص فانه أهم من أن يكون فى المقدار أوفى غيره فانهم كانوا يأخذون  
 من كل شئ يباع كما تفعل السماسرة وكانوا يسكنون الناس وكانوا ينقصون من أثمان ما يشترون  
 من الأشياء فنهوا عن ذلك فظهر بهذا البيان ان هذه الأشياء غير مكررة بل فى كل واحد منها فائدة  
 ثابتة والحاصل انه تعالى نهى فى الآية الاولى عن النقصان فى الميكال والميزان وفى الثانية أمر

باعطاه قدر الزيادة ولا يحصل الجزم واليقين بأداء الواجب الا عند أداء ذلك القدر من الزيادة  
 ولهذا قال الفقهاء انه تعالى أمر بغسل الوجه وذلك لا يحصل الا عند غسل جزء من الرأس  
 فكأنه تعالى نهى أولاً عن سعي الانسان في أن يجمل مال غيره ناقصاً يحصل له تلك الزيادة  
 وفي الثاني أمر بأن يسعي في تنقيص مال نفسه ليخرج بالتعيين عن العهدة كما قيده بقوله تعالى  
 بالقسط وفي الآية الثالثة نهى عن النقص في كل الأشياء وكذا قوله تعالى (ولا تمشوا  
 في الارض مفسدين) فان العتويم تنقيص الحقوق وغيرها من أنواع الفساد ومفسدين حال  
 مؤكدة لمعنى عاملها وقائدتها الخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعل له الخضر عليه السلام  
 (بقيت الله) قال ابن عباس يعني ما أبقى الله لكم من الحلال بعد ابقاء الكيل والوزن (خير  
 لكم) مما تأخذونه بالتطفيف وقال مجاهد مما يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام  
 (ان كنتم مؤمنين) أي مصدقين بما قلت لكم وأمرتكم به \* (قائدة) \* بقيت رسمت هنا  
 بالتاء المجرورة وقف عليها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي والباقون وقفوا عليها بالهاء (وما  
 أناع عليكم بحفيظ) أعلم بجمع أعمالكم وأقدر على كفكم عما يكون منها فساداً ولما أمرهم  
 شعيب عليه السلام بشيئين بالوحيد وبترك البخر (قالوا) له (يا شعيب) سمعوا باسمه استخفافاً  
 وغلظة وأنكروا عليه متزئنين به (أصلواتك تأمرتك) أي تفعل معك فعل من يأمر دائماً بتكليفنا  
 (أن نترك ما يعبد) أي على سبيل المواظبة (آبؤنا) من الاصنام فحذف الذي هو التكليف  
 لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره قالوا لذلك في جواب أمره لهم بالوحيد (أو) نترك  
 (أن نفعل) أي دائماً (في أموالنا ما نشاء) من قطع الدراهم والذئاب وفساد المعاملة  
 والمقامرة ونحوها مما يكون افساد للمال قالوا لذلك في جواب النهي عن التطفيف والامر  
 بالايقاء وانما أضافوا ذلك الى صلواته تهكماً واستهزاء بها واشعاراً بأن مثل هذا لا يدعو اليه  
 ذاع عقله وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنم ما تواظب عليه وكان شعيب عليه  
 الصلاة والسلام كثير الصلاة في الليل والنهار وكان قومه اذا رأوه يصلي تغاضبوا وتضاحكوا  
 وقصدوا بقوله -م أصلواتك تأمرتك السخرية والهزة كما أنك اذا رأيت معتوها يطالع كتباً ثم  
 يذكر كلاماً فاسداً فيقال له هذا فائدة مطالعة تلك الكتب على سبيل الهزة فكذا نحنا وقرأ حفص  
 وحزرة والكسائي أصلواتك بالافراد والباقون بالجمع والتاء بالرفع في القراءتين وغلظ ورش  
 اللام في أصلواتك وقولهم له (انك لانت الحليم الرشيد) تم كتم به وقصدوا وصفه بضد ذلك كما  
 يقال للحليل الحسيس لورا لثاتم لسجدك وعلوا انكار ما سمعوه منه واستبعدوه بأنه موسوم  
 بالحلم والرشد المانعين من المبادرة الى مثل ذلك ثم أخرج قوله عليه الصلاة والسلام على تقدير  
 سؤال بقوله (قال يا قوم) مستعظفاً لهم لما بينهم من عواطف القرابة منبه لهم على أحسن النظر  
 فيما ساقه على سبيل الفرض والتقدير ليكون أدعى الى سبيل الوفاق والانصاف (أرأيتم) أي  
 أخبروني (أن كنت على بينة) أي برهان (من ربي) وعطف على جملة الشرط المستفهم عنه قوله  
 (ورزقني) والضمير في (منه) لله تعالى أي من عنده بأعانته بلا كتمني في تحصيله وعظم الرزق

بقوله (رزقا حسنا) جليلا وما لا حلال لم أظلم فيه أحد اوجواب الشرط محذوف اي فهل يسوغ  
 مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان أخون في وحيه فأخالفه في أمره  
 وحيه وهذا اعتذار عما أنكروا عليه من تغيير المألوف والنهي عن دين الآباء (وما أريد  
 أن أخالفكم) أي واذهب (إلى ما أنها كم عنه) فارتكبه (أن) أي ما (أريد) أي فيما أمركم به  
 وأنها كم عنه (إلا الإصلاح) أي ما أريد إلا ان أصلحكم بموعظتي ونصيحتي وأمرى بالمعروف  
 ونهي عن المنكر (ما استطعت) أي وهو الإبلاغ والانداز فقط ولا استطيع اجباركم على  
 الطاعة لان ذلك إلى الله تعالى فانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء (وما توفيتي) أي لأصاية الحق  
 والصواب (إلا بالله) أي لا يعوته وتأيدته (عليه) لأعلى غيره (توكلت) أي اعتمدت في جميع  
 أموري فانه القادر على كل شيء وما عداه عاجز وهذه الصيغة تفيد الحصر فلا ينبغي للإنسان  
 أن يتوكل على أحد الا على الله تعالى وفيه إشارة إلى محض التوحيد الذي هو أقصى مراتب  
 المبدأ وأما قوله (وآلله أنيب) ففيه إشارة إلى معرفة المعاد وهو أيضا تفيد الحصر لان قوله وآلله  
 أنيب يدل على انه لا ما ب للخلق الا إلى الله تعالى وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا ذكر  
 شعبيا قال ذلك خطيب الانبياء الحسن مراجمته قومه (ويا قوم لا يجرم منكم) أي لا يكسبنكم  
 (شقاقي) أي خلافي وهو فاعل يجرم والضمير في قول أول والمفعول الثاني (أن يصيبكم) عذاب  
 العاجلة على كفركم وأفعالكم الخبيثة قال في الكشاف جرم مثل كسب في تعديه إلى مفعول  
 واحد وإلى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته آياه ومنه قوله تعالى لا يجرم منكم  
 شقاقي أن يصيبكم (مثل ما أصاب قوم نوح) من الفرق (أو قوم هود) من الریح العقيم  
 (أو قوم صالح) من الرجفة (وما قوم لوط منكم بعيد) لافي الزمان ولا في المكان لانهم كانوا  
 حديثي عهد بهلاكهم وكانوا جيران قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم فان القرب في الزمان  
 والمكان يفيد زيادة المعرفة وكمال الوقوف على الاحوال فكأنه يقول اعتبروا بأحوالهم  
 واحذروا من مخالفة الله ومنازعته حتى لا ينزل بكم مثل ذلك العذاب (فان قيل) لم قال بعيد  
 ولم يقل بعيدين (أجيب) بأن التقدير وما اهلاكم بشئ بعيد وأيضا يجوز أن يسوى في قريب  
 وبعيد وقليل وكثير بين المذكور والمؤث لورودهما على زنة المصادر التي هي الصهيل والتهيق  
 ونحوهما انتهى (واستغفروا ربكم) أي آمنوا به (ثم توبوا إليه) عن عبادة غيره لان التوبة  
 لاتصح الا بعد الايمان وقدمت مثل ذلك (ان ربي رحيم) أي عظيم الرحمة للتائبين (ودود) أي  
 محب لهم \* ولما بالغ عليه السلام في التقرير والبيان أجابوه بأنواع فاسدة الاول (قالوا) له  
 (يا شعيب ما نفقه) أي ما نفقههم (كثيرا مما تقول) (فان قيل) انه كان يخاطبهم بلسانهم فلم  
 قالوا ما نفقه (أجيب) بأنهم كانوا لا يلقون اليه اذ هانهم لشدة قسرتهم عن كلامه وهو قوله تعالى  
 وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وأنهم فهموه ولكنهم ما أقاموا له وزنا فنذكروا  
 هذا الكلام على وجه الاستهانة كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعأ بجديته ما أدرى ما تقول  
 النوع الثاني قولهم له (وانا لراكبنا ضعيقا) أي لا قوة لك فمتنع منا ان أردناك بسوء أو زليلا

لا عزلك وقيل أعنى بلفظ حير قاله قتادة وفي هذا تجويز العمى على الانبياء الا ان هذا اللفظ  
 لا يحسن الاستدلال به في اثبات هذا المعنى لانه ترك الظاهر من غير دليل وقيل ضعيف البصر قاله  
 الحسن النوع الثالث قولهم له (ولو لارهلك) أى عشيرتك وعزيتهم عندنا لكونهم على ملتنا  
 لانلوف من شوكتهم (لرجنالك) باطجارة حتى عوت والرط من الثلاثة الى عشرة وقيل الى  
 السبعة والمقصود من هذا الكلام انهم ينواله انه لا حرمة له عندهم ولا وقع له في صدورهم  
 وانهم انما لم يقتلوه لاجل احترام رطه النوع الرابع قولهم له (وما أنت علينا بعزير) أى  
 لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رطك لانهم من  
 أهل ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا ولما خوف الكفار شعيبا عليه السلام بالقتل  
 والايذاء حكى الله تعالى عنهم ما ذكره في هذا المقام وهو نوعان الاول (قال) لهم (يا قوم)  
 مستعطف اليهم مع غلظتهم عليه (ارطى أعز عليكم من الله) المحيط بكل شئ قدرة وعلما حتى  
 نظرت اليهم في القرابتي منهم ولم تنظروا الى الله تعالى في قربي منه لما ظهر على من كرامته تعالى  
 (واخذتموه وراءكم ظهريا) أى جعلته وراءكم كالمسئ المنبوذ وراء الظهر باشرا ككم به والاهانة  
 رسوله قال في الكشاف والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره  
 قولهم في القسبة الى الامس امسى بكسر الهمزة وقوله (ان ربي بما تعملون محبط) أى انه علم  
 بأحوالكم فلا يخفى عليه شئ منها النوع الثاني قوله (ويا قوم اعلموا على مكاتكم) والمكانة  
 الحالة التي يمكن صاحبها من عمله والمعنى اعلموا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة  
 وكل ما في وسعكم وطاقتكم من ايصال الشرور الى (انى) أيضا (عامل) بما آتاني الله من القدرة  
 والطاعة (سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب) فمن موصولة مفعول العلم  
 (فان قيل) لم يقل فسوف تعلمون (أجيب) بأن ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل  
 وأما حذف الفاء فيجعله جوابا عن سؤال قدر وهو المسعى في علم البيان بالاستئناف البياني  
 تقديره انه لما قال (ويا قوم اعلموا على مكاتكم انى عامل فكأنهم قالوا فماذا يكون بعد ذلك فقال  
 سوف تعلمون فظهر ان حذف حرف الفاء ههنا كمال في بيان القصاحة والتهويل لانه استئناف  
 (وارتقبوا) أى انتظروا عاقبة أمركم (انى معكم رقيب) أى منتظر والرقيب بمعنى الرقيب من  
 رقبه كالضرب والضريم بمعنى الضارب والمصارم أى وعنى المراقب كالعشير والنديم أو بمعنى  
 المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المقتصر والمرتفع (ولما جاء أمرنا) بعدايبهم واهلاكهم (فحيينا  
 شعيبا والذين آمنوا معه برحمة) أى بغضل (منا) بأن هديناهم للايمان ووقفناهم للطاعة (فان قيل)  
 لم جاءت قصة عاد وقصة مدين بالواو وقصة صالح ولوط بالفاء (أجيب) بأن قصة عاد ومدين  
 لم يسبقهما ذكر وعدي مجرى مجرى النيب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانهم ما ذكر ابعدا الوعد  
 وذلك قوله تعالى (وعدضركذوب ر قوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بقاء السبيبة) وأخذت  
 الذين ظلموا أى ظلموا أنفسهم بالشرك والبغض (الصيحة) أى صيحة جبريل عليه السلام  
 خارجهم صيحة نزلت أرواحهم وما قوا جيفا وقيل أنهم صيحة من السماء (فأصبحوا)

في ديارهم جاغين) أي ياركين على الركب ميتين (كان لم يغنوا) أي كانوا لم يغيروا (فيها) أي  
 ديارهم مدة من الدهر مأخوذ من قولهم غنى بالمكان إذا أقام فيه مستغنيا به عن غيره (الآب دأ)  
 أي هلاكا (لمدين كما بعدت عمود) انما شبههم بهم لان هذابهم كان أيضا بالصيحة لكن صيحتهم  
 كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم قال ابن عباس لم يعذب الله تعالى أمتين بعذاب  
 الا قوم شعيب وقوم صالح فأما قوم صالح فأخذتهم الصيحة من تحتهم وأما قوم شعيب  
 فأخذتهم الصيحة من فوقهم \* القصة السابعة التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة وهي آخر  
 قصصها قصة موسى عليه الصلاة والسلام المذكورة في قوله تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا)  
 أي التوراة مع ما فيها من الشرائع والاحكام (وساطن ميين) أي برهان بين ظاهر على صدق  
 نبوته ورسالته وقيل المراد بالآيات المعجزات وبالسلطان المبين العصا لانها أظهر الآيات  
 وذلك لان الله تعالى أعطى موسى تسع آيات بينات وهي العصا واليد البيضاء والطوفان  
 والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص من الثمرات والسنين ونهم من أبلد نقص  
 الثمرات والسنين باطلال الجبل وفتق البحر قال بعض المحققين سميت الحجة سلطانا لان  
 صاحب الحجة يقهر من لا حجة له كالسلطان يقهر غيره والعلماء سلاطين بسبب كمالهم في القوة  
 العلمية والمولود سلاطين بحسب ما معهم من القدرة والمكنة الا أن سلطنة العلماء أكمل  
 وأقوى من سلطنة المولود لان سلطنة العلماء لا تقبل التسخير والعزل وسلطنة المولود تقبلهما  
 ولان سلطنة المولود تابعة لسلطنة العلماء لان سلطنة العلماء من جنس سلطنة الانبياء وسلطنة  
 المولود من جنس سلطنة الفراعنة (الى فرعون) طاعة القبط (وملته) أي أشرف قومه الذين  
 تتبعهم الاذئاب لان القصد الاكبر رفع أيديهم عن بني اسرائيل (فاتبوا أمر فرعون) أي  
 اتبعوا طريقه فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده على من له  
 أدنى مسكة من العقل ولم يتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات الظاهرة الباهرة  
 لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم (وما أمر فرعون برشيد) أي بسديد ولا حيد العاقبة  
 ولا يدعو الى خير وقيل رشيد ذو رشده وانسلاخ فرعون من الرشدا كان ظاهرا لانه كان دهريا  
 نافيا للصانع والمعاد وكان يقول لا اله الا الله للعالم وانما يجب على أهل كل بلد أن يشغلوا بطاعة  
 سلطانهم وعبوديته رعاية لمصلحة العالم وكل الرشدي في عبادة الله تعالى ومعرفة فلما كان هو نافيا  
 لهذين الامرين كان خالبا عن الرشدا الكلية (يقدم قومه يوم القيامة) الى النار كما كان يقدمهم  
 في الدنيا الى الضلال أو كما تقدم قومه في الدنيا فأدخلهم الجحيم وأغرقهم فكذا يتقدمهم في  
 القيامة فدخلهم النار كما قال تعالى (فأوردهم النار) (فان قيل) لم يقل يقدم قومه فيوردهم  
 النار بل أتى بلفظ الماضي (أجيب) بأنه انما أتى بلفظ الماضي مبالغة في تحققة ونزل  
 النار له منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ولهذا قال تعالى (وبئس الورد المورد) ووردهم لان  
 الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده (فان قيل) لفظ النار مؤنث فكان  
 مقتضى ذلك أن يقال وبئس الورد المورد (أجيب) بأن لفظ الورد مذكر فكان التذكير

والتأنيث جائزين كما تقول نعم المنزل دارك ونعمت المنزل دارك فمن ذكر غلب المنزل ومن أنث بنى  
 على تأنيث الدار (وأتبعوا في هذه) أي الدنيا (لعنة) أي طردوا وبعد عن الرحمة (ويوم القيامة)  
 أي واتبعوا يوم القيامة لعنة أخرى فهم ملعونون في الدنيا والآخرة وتطهيره قوله تعالى في سورة  
 القصص وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين (بئس الرفد) أي العون  
 (المرفود) ردفهم سأل رافع بن الأزرق ابن عباس عن ذلك فقال هو اللعنة بعد اللعنة وقال قتادة  
 ترادفت عليهم لعنتان من الله تعالى لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة وكل شيء جعلته عوناً لشيء فقد  
 ردفته به وسميت اللعنة عوناً لأنها إذا تبعتم في الدنيا أبعدهم عن الرحمة وأعانهم على ما هم فيه من  
 الضلال وسميت ردفاً أي عوناً لهذا المعنى على التكم كقول القائل \* تحية بينهم ضرب وجيع \*  
 وسميت معاناً لأنها أردفت في الآخرة بلعنة أخرى ليكونا هاديتين إلى طريق الجحيم ولما ذكر تعالى  
 قصص الاقربى قال تعالى (ذلك) أي المذكور وهو ميتدأخبره (من أنباء القرى) أي أخبار  
 أهل القرى وهم الامم السالفة في القرون الماضية وقوله تعالى (نقصه عليك) أي تخبرك به  
 يا محمد خبراً بعد خبر وفائدة ذكر هذه القصص على النبي صلى الله عليه وسلم ليعلم السامع أن  
 المؤمن يخرج من الدنيا مع الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في الآخرة وإن الكافر  
 يخرج مع اللعنة في الدنيا والعقاب في الآخرة وإذا تكررت هذه الاقاصيص على السمع فلا بد  
 وأن يلين القلب وتخضع النفس وتزول العداوة ويحصل في القلب خوف يحمله على النظر  
 والاستدلال وفي اخباره صلى الله عليه وسلم بهذه القصص من غير مطالعة كتب ولا تلمذ دلالة  
 على نبوته فان ذلك لا يكون الا بوحى من الله تعالى (منها) أي القرى (قائم) أي باق كالزرع القائم  
 هلك أهله دونه (و) منها (حصيد) أي عاقب الاثر كالزرع المحصود هلك مع أهله (وما ظلمناهم) أي  
 باهلا كههم بغير ذنب (ولكن ظلوا أنفسهم) بالكفر والمعاصي وقال ابن عباس يريد  
 وما نقصناهم في الدنيا من النعيم والرزق ولكن نقصوا حظ أنفسهم حيث استخفوا بحقوق الله  
 تعالى (فأأغنت) أي دفعت (عنهم آلهتهم) أي أصنامهم (التي يدعون) أي يعبدون (من دون  
 الله) أي غيره (من شيء) أي شيئاً من زيادة (لما جاء أمر ربك) أي عقابه (وما زادوهم) بعبادتهم  
 (غير تريب) أي غير تخسير وقيل تدمير ولما أخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم في كتابه  
 بما فعله بأمر من تقدم من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لما خالفوا الرسل وما ورد عليهم من  
 عذاب الاستئصال وبين أنهم ظلوا أنفسهم فلبهم العذاب في الدنيا قال تعالى بعده (وكذلك)  
 أي ومثل ذلك الاخذ العظيم (أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي) أي القرى (ظالمة) والمراد  
 أهلها وتطهيره قوله تعالى وكم آهناكم من قرية نطرت معيشتها وقوله تعالى وكم قصصنا من قرية  
 كانت ظالمة فيبين تعالى أن عذابه ليس مقصوراً على من تقدم بل الحال في أخذ كل الظالمين  
 يكون كذلك • ولما بين تعالى كيفية أخذ الامم المتقدمة ثم بين تعالى أنه انما يأخذ جميع الظالمين  
 على ذلك الوجه تبعه بما يزيد تأكيده وتقوية بقوله تعالى (ان أخذته أليم) أي مؤلم (شديد)  
 أي صعب مفتت القوى وعن أبي موسى الأشعري رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال ان الله تعالى ليعلي للظالم حتى اذا اخذته لم يقله ثم قرأ وكذلك اخذ ربك اذا اخذ  
القرى وهي ظالمة ان اخذها ليم شديد وفي هذه الآية الكريمة والحديث الشريف دلالة على أن  
من أقدم على ظلم فانه يتدارك بالتوبة والابابة ورد الحقوق الى أهلها ان كان الظلم للغير لا يقع  
في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه الآية مختصة بظالمى الامم الماضية  
بل هي عامة في كل ظالم وبعضه الحديث (ان في ذلك) أى ما ذكر من عذاب الامم الماضية  
واهلكهم (آية) أى لعبرة وموعظة (لمن خاف عذاب) يوم الحياة (الآخرة) لانه ينظر  
ما أحل الله تعالى بالجرمين في الدنيا وما هو الا أنموذج لما أعد لهم في الآخرة فاذا رأى عظمه  
وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية  
من الله تعالى وقوله (ذلك) اشارة الى يوم القيامة لان عذاب الآخرة دل عليه (يوم مجموع له) أى  
فيه (الناس) أى ان خالق الاولين والآخرين كلهم يحشرون في ذلك اليوم ويجمعون ثم وصفه  
تعالى بوصف آخر بقوله تعالى (وذلك يوم مشهود) أى يشهده أهل السموات وأهل الارض  
(وما تؤخره) أى ذلك اليوم وهو يوم القيامة (الا لاجل) أى وقت (معدود) أى معلوم محدود  
وذلك الوقت لا يعلمه الا الله تعالى (يوم يأتي) ذلك اليوم (لا تسكلم) فيه حذف احدى التامين  
أى لا تسكلم (نفس الاباذنه) تعالى وقرأ نافع وأبو عمرو والكسائي بإثبات الياء بعد التاء  
من يأتي وصلا ووقفا وحذفها الباقون وأما التاء من تكلم فشدها البرزى في الوصل وخففتها  
الباقون (فان قيل) كيف يوفق بين قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله تعالى  
هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون (أجيب) بأن ذلك اليوم يوم طويل له موافق  
ومواطن ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام ولا يؤذن لهم  
وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يحتم على أفواههم وتتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم  
(فمنهم) أى الناس (شقي و) منهم (سعيد) أى فمنهم من سبقت له الشقاوة فوجب له النار بعقضى  
الوعيد ومنهم من سبقت له السعادة فوجب له الجنة بموجب الوعد وعن علي رضي الله تعالى  
عنه قال كثافي جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعده وقعدنا حوله  
ويده منحصرة ثم نكت بها الارض ساعة ثم قال ما من نفس منقوسة الا قد كتب مكانها من  
الجنة أو النار فقالوا يا رسول الله أفلا تسكل على كتابنا فقال اعلموا فكل ميسر لما خلق له أما  
من كان من أهل السعادة فسيصير الى عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير  
اعمل أهل الشقاوة ثم قرأ فأما من أعطى واتى وصدق بالحسنى فسنيسره اليسرى الآية وبقية  
الغرقدهوم مقبرة أهل المدينة الشريفة ومدفنهم فيه والمنحصرة كالسوط والعصا مما يسكه  
الانسان بيده والنكت بالنون والتاء المثناة من فوق ضرب الشيء بثلث المنحصرة أو باليد أو نحو  
ذلك حتى يؤثر فيه (فأما الذين شقوا) في علمه تعالى (ففي النار لهم فيها زفير) وهو صوت شديد  
(وشهيق) وهو صوت ضعيف وقيل الزفير اخراج النفس والشهيق رده وقيل الزفير بمنزلة  
ابتداء صوت الحجر بالنهيق والشهيق بمنزلة آخر صوت الحمار اذا رتده في صدره وقيل الزفير

في المطلق والشهيق في الصدر وعلى كل المراد منهما الدلالة على شدة كربهم ونعمهم (خالدين فيها)  
 وقوله تعالى (مادامت السموات والارض) فيه وجهان أحدهما سموات الآخرة وأرضها وهي  
 مخلوقة دائمة للأبد والدليل على أن لها سموات وأرضاً قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض  
 والسموات وقوله تعالى وأورثنا الارض لتبوأمن الجنة حيث نشاء ولأنه لا بد لاهل الآخرة مما  
 يقلمهم ويظلمهم أما سماها فيخلقها الله تعالى أو يظلمهم العرش وكل ما أظلمت فهو سماه وكل ما استقر  
 قدمك عليه فهو أرض والوجه الثاني أن المراد مدة دوامهم في الدنيا (آلآ) أي غير (ماشاء ربك)  
 من الزيادة على مدتة مما لا منتهى له وذلك هو الخلود فيها أبداً (إن ربك فعال لما يريد) من غير  
 اعتراض (وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض إلا ما شاء  
 ربك) كما تقدم ودل عليه قوله تعالى (عطاء غير مجدود) أي مقطوع وقيل الاستثناء في أهل  
 الشقاوة يرجع الى قوم من الموحدين يدخلهم الله تعالى النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها  
 فيكون ذلك استثناء وذلك كاف في صحة الاستثناء لأن زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن  
 البعض من غير الجنس لان الذين أخرجوا من النار سعداء في الحقيقة استثناءهم الله تعالى من  
 الاشقياء لما روى عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بالشقاوة وفي رواية  
 ان الله تعالى يخرج ما شاء من النار فيدخلهم الجنة وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال ليصين  
 قوما سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله بفضلهم ورحمته الجنة وفي رواية أنه  
 صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشقاوة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة  
 فيسمون الجنة عيين وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي لياتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس  
 فيها أحد أي من أهل الكفار من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأن تحلى طبقتهم التي كانوا فيها  
 وان نازع في ذلك الزمخشري على مذهبه الفاسد من أن أهل الكفار يدخلون في النار وأما  
 الاستثناء في أهل السعادة فيرجع الى مدة لبثهم في النار قبل دخولهم الجنة أو ان الاستثناء  
 راجع الى الفريقين فانهم مضاربوا الجنة أيام عذابهم وان التأيد من مبدأ معين ينقص  
 باعتبار الابتداء كما ينقص باعتبار الانتهاء وهو لا وان شقوا بعض بيانهم فقد سعدوا بما يمانهم  
 ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله تعالى فمنهم شقي وسعيد تقسيماً صحيحاً لأن شرطه أن تكون صفة  
 كل قسم منتقبة عن قسمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي أو مانع  
 من الجميع من الجنة والنار مدة تعميرهم في الدنيا واحتيالهم في البرزخ وهو ما بين الموت الى  
 البعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيكون المعنى  
 خالدين في الجنة والنار الا هذا المقدار وقيل معناه لو شاء ربك لا يخرجهم منها ولكنه لا يشاء  
 لانه تعالى حكمهم بالخلود وقال الفراء هذا الاستثناء استثناء الله تعالى ولا يفعله كقولك والله  
 لا ضربتك الا ان أرى غير ذلك وعزيمتك ان تضربه وقال أهل المعاني هذه عبارة عن التأيد  
 على عادة العرب يقولون لا آتيتك مادامت السموات والارض ولا يكون كذا ما اختلف الليل  
 والنهار يعنون أبداً وقيل ان أهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب أحياناً



وكذلك أهل الجنة يعمدون بها هو أعلى من الجنة وهو الفوز برضوان الله تعالى ولقائه كما قال  
تعالى وبعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهارخالدين فيها وما كان طيبة  
في جنات عدن ورضوان من الله أكبر وقرأ حفص وحزرة والكسائي سعدوا بضم السين على  
البناء للمفعول من سعده الله بمعنى أسعده والباقون بقصها وعطاء نصب على المصدر المؤكد أي  
أعطوا عطاء أو الحال من الجنة ولما شرح الله تعالى أفاضل عبدة الأوثان ثم اتبعه بأحوال  
الانقياء وأحوال السعداء شرح الرسول صلى الله عليه وسلم أحوال الكفار من قوله فقال  
(فلانك) يا محمد (في مرية) أي شك (بما يعبد هؤلاء) المشركون من الاصنام أتساءل عنهم كما  
عذبنا من قبلهم وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم) أي  
صكعبادتهم (من قبل) وقد عذبناهم (وانالو فوهم) مثلهم (تصميم) أي حظههم من  
العذاب (غير منقوص) أي كاملا غير ناقص ولما ذكر تعالى في هذه الآية اعراضهم عن  
الاتباع مع ما أتى به من المعجزات وأنزل عليه من الكتاب سلاة بأخيه موسى عليه السلام بقوله  
تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب) أي التوراة الجامعة للخير (فاختلف فيه) أي الكتاب  
فأمن به قوم وكفريه قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير  
الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة (لقضى) أي لوقع القضاء (بينهم) أي بين من اختلف  
في كتاب موسى في الدين فيما اختلفوا فيه بانزال ما يستحقه المبطل ليميزه الحق ولكن سبقت  
الكلمة ان القضاء الكامل انما يكون يوم القيامة كما قال تعالى في سورة بونس عليه السلام  
فما اختلفوا حتى جاءهم العلم الآية ولما كان الاختلاف قد يكون بغير الكفر بين تعالى أنه به  
لان كل طائفة من اليهود تنكر شركها فيه وفعالها فعل الشاك فقال تعالى مؤكدا (وانهم لنبي  
شك) أي عظيم محيط بهم (منه) أي من الكتاب والقضاه (مريب) أي موقع في الريب  
والثمة والاضطراب مع ما رأوا من الآيات التي منها سماع كلام الله تعالى ورؤية ما كان يقبل  
في جبل الطور من خوارق الاحوال وقيل الضمير في وانهم راجع لكفار مكة وفي منه للقرآن  
(وان كلاً) أي كل الخلائق وقوله تعالى (لما) ما زائدة واللام موطئة لقسم مقدر تقديره واقه  
(ليوفينهم ربك أعمالهم) فيجازى المصدق على تصديقه الجنة ويجازى المكذب على تكذيبه  
النار وقرأ نافع وابن كثير وشعبة بضعف وان والباقون بالتشديد وقرأ ابن عامر وعاصم  
وحزرة بتشديد ميم لما والباقون بالضعف \* (فائدة) \* قال بعض الفضلاء انه تعالى لما أخبر  
عن توفية الاجزية على المستحقين في هذه الآية ذكر فيها سبعة أنواع من التأكيدات أولها  
كلمة ان وهي للتأكيد وثانيها الفظة كل وهي أم البلب في التأكيد وثالثها اللام الداخلة على  
خبر ان تصيد التأكيد أيضا ورابعها حرف ما اذا جعلته على قول الفراء موصولا وخامسها  
المضمر وسادسها اللام الثانية الداخلة على جواب القسم وسابعها النون المذكورة في قوله  
تعالى ليوفينهم بجميع هذه الالفاظ السبعة الداخلة على التوكيد في هذه الكلمة الواحدة تدل  
على ان أمر الربوبية والعبودية لا يتم الا بالمشق والقيامه وأمر الحشر والنشر ثم أوقفه بقوله

تعالى (انه بما يعملون خبير) وهو من أعظم المؤكدات فانه تعالى لا يخفى عليه شيء من أعمال  
 عباده فقيه ووعيد للمحسنين ووعيد للمكذبين الكافرين ولما بين تعالى أمر الوعد والوعيد قال  
 لنبه صلى الله عليه وسلم (فاستقم) أى على دين ربك والعمل والدعاء اليه (كما أمرت) والامر  
 في ذلك للتأكيده فانه صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليها فهو كقولك للقاتم قم حتى  
 آتيتك أى دم على ما أنت عليه من القيام حتى آتيتك وتوطئة لقوله تعالى (ومن تاب معك) أى  
 وايسستم أيضاً على دين الله والعمل بطاعته من آمن معك قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى  
 عنه الاستقامة أن تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ عنه وروغان الثعلب وأشار صلى الله عليه  
 وسلم الى شدة الاستقامة بقوله شيبتي هود وأخواتها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما  
 ما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آية أشد ولا أشق من هذه الآية وعن بعضهم رأيت رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت له يروى عنك انك قلت شيبتي هود فقال نعم فقلت بأى آية  
 قال قوله تعالى فاستقم كما أمرت وعن سفيان ابن عبد الله الثقي قال قلت يا رسول الله قل لى  
 في الاسلام قولاً لا أسأل عنه أحد غيرك قال قل آمنت بالله ورسوله ثم استقم قال الامام الرازى  
 ان هذه الآية أصل عظيم في الشريعة وذلك لان القرآن لما ورد بالامر بأعمال الوضوء مرتبة  
 في اللفظ وجب اعتبار الترتيب فيها لقوله تعالى فاستقم كما أمرت ولما ورد الامر في الزكاة بأداء  
 الابل من الابل والبقر من البقر وجب اعتبارها وكذا القول في كل ما ورد امر الله تعالى به  
 انتهى ولما كانت الاستقامة هي التوسط بين طرفي الافراط والتقريب نهى عن الافراط بقوله  
 تعالى (ولا تطغوا) أى لا تتجاوزوا الحد فيما أمرتم به أو نهيتم عنه بالزيادة افراطاً فان الله تعالى  
 انما أمركم ونهاكم لتهديب أنفسكم للحاجته الى ذلك ولن تطغوا ان تقدروا الله حق قدره  
 والدين معين لم يشاء أحد الاغلب كما ورد عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم  
 قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الاغلب فسددوا وقاربوا ويسروا واستعينوا بالغدوة  
 والروحة وشئ من الدلجة فقوله صلى الله عليه وسلم ان الدين يسر ضد العسر اراد به التسهيل  
 في الدين وترك التشديدات هذا الدين مع يسره وسهولته قوى فلن يغالب ولن يقاوى وقوله  
 وسددوا أى اقصوا والسداد في الامور هو الصواب وقاربوا أى اطلبوا المقاربة وهي القصد  
 الذى لا غلوف فيه ولا تقصير والغدوة الرواح بكرة والرواح الرجوع عشاء والمراد منه اعملوا بالنهار  
 واملوا بالليل أيضاً وقوله واستعينوا بشئ من الدلجة اشارة الى ثقيله ولما نهى تعالى عن الافراط  
 وهو الزيادة تصرحاً فهم النهى عن التقريب وهو التقصير عن المأمور ولو يحامى باب أولى ثم  
 علل ذلك مؤكداً تنزيلاً لمن يقرط أو يقرط منزلة المنكر فقال (انه بما يعملون بصير) أى عالم بأعمالكم  
 كلها لا يخفى عليه شئ منها فيجازيكم عليها (ولا تركزوا) أى عملوا (الى الذين ظلموا) أدنى ميل  
 (فمضكم النار) أى تصيبكم بحر ها والنهى متناول للافراط في هواهم والانقطاع اليهم  
 ومصاحبهم ومجالستهم وزيارتهم ومراقبتهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتقرب إليهم ومد  
 العين اليهم وهم ذكركم بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله تعالى ولا تركزوا فان الركون هو الميل

اليسير وحكى أن الموفق صلى خلف الامام فقرا بهذه الآية تغشى عليه فلما أفاق قيل له في ذلك  
 فقال هذا في ركن الى من ظلم فكيف بالظالم ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه أخ له في  
 الدين عاقبنا الله وابلأنا بكم من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعوا الله لك  
 ويرحمك أصبحت شيخا كبيرا وقد أثقلتك نعم الله تعالى بما فهمك من كتابه وملك من سنة نبيه  
 وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه وتعالى لبيدته للناس ولا يكتُمونه واطم  
 ان أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت انك آنت وحشة الظالم وسهلت سبيل التي بدونك ممن  
 لم يؤد حقوا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوا قطبا تدور عليك رحي باطلهم وجسر يعبرون عليك  
 الى ملاذهم وسلم يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقادون بك قلوب  
 الجهلاء فما أيسر ما اعمر والى في جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك  
 من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم تخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة  
 واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يبجل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو  
 دينك فقد دخله سقم وهي زاد لذة قد حضر السفر البعيد وما ينبغي على الله من شيء في الارض  
 ولا في السماء والسلام وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائر للمولك وعن  
 الاوزاعي ما من شيء أبغض الى الله تعالى من عالم يزور عملا أي من الظلمة وعن محمد بن سلمة الذباب  
 على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء وقال صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد  
 أحب أن يعصى الله في أرضه ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلال في بركة هل يسيق  
 شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وقوله تعالى (وما لكم من دون الله من اولياء)  
 أي أعوانا وانصارا يمنعوكم من عذابه حال من قوله فتمسككم النار أي فتمسككم النار وانتم على هذه  
 الحالة (ثم لا تنصرون) أي لا تجدون من ينصركم ويخلصكم من عذاب الله في القيامة ففي هذه  
 الآية وعيد لمن ركن الى الظلمة بأن عسمة النار فكيف يكون حال الظالم في نفسه ولما أمر تعالى  
 بالاستقامة أورد فيها الامر بالصلاة بقوله تعالى (وأتم الصلاة) وذلك يدل على أن أعظم العبادات  
 بعد الايمان بالله تعالى هو الصلاة وقوله تعالى (طرفي النهار) القداة والعشي أي الصبح والظهر  
 والعصر وقوله تعالى (وزنقا) جمع زفقة أي طاقتة (من الليل) أي المغرب والعشاء (ان  
 الحسنات) كالصلوات الخمس (يذهبن) أي يكفرن (السيئات) أي الذنوب الصغار لما رواه مسلم  
 أنه صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهن ما اجتمعت  
 الكبائر وزاد في رواية أخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتمعت الكبائر  
 وعن أبي هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أرايت لو أن نهر را  
 يباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ما تقولون هل يبقى من درنه شيء قالوا لا يا رسول الله  
 لا يبقى من درنه شيء فقال ذلك مثل الصلوات الخمس يعموا الله بها الخطايا وعن جابر قال قال رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم  
 خمس مرات وعن الحسن ان الحسنات قول العبد سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر

وسبب نزول هذه الآية ما رواه الترمذي عن أبي اليسر بن عمرو قال أتتني امرأة وزوجها بعته  
النبي صلى الله عليه وسلم في بيت فقالت بعني بدرهم عمرا قال فأجبتني فقلت ان في البيت عمرا هو  
أطيب من هذا قال لحقيني فدخلت معي البيت فأهويت اليها فقبلتها فأتيت أبا بكر فذكرت ذلك  
له فقال استر علي نفسك وتب ولا تخبر أحدا فأتيت عمر فذكرت له ذلك فقال استر علي نفسك وتب  
ولا تخبر أحدا فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال أختت رجلا غاريا في سبيل  
الله في أهله يمثل هذا حتى تمى أنه لم يكن أسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من أهل النار وأطرق  
رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى أوحى اليه وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل  
الى قوله تعالى (ذلك ذكرى للذاكرين) أي عظة للمتقين قال أبو اليسر فأتيت فقراها على رسول  
الله صلى الله عليه وسلم فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألهذا خاصة أم للناس عامة  
قال بل للناس عامة قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وعن عبد الله بن مسعود أن رجلا  
أصاب من امرأة قبله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت فقال رجل يا رسول الله  
ألهذا خاصة فقال بل للناس كافة وعن معاذ بن جبل قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال  
يا رسول الله أرايت رجلا لقي امرأة ليس بينهما معرفة وليس يأتي الرجل الى امرأة شيئا الا قد أتى  
هو اليها الا أنه لم يجامعها قال فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتوضأ  
ويصلي فقال معاذ بن جبل فقلت يا رسول الله أهي له خاصة أم للمؤمنين عامة قال بل للمؤمنين  
عامة قال العلماء الصغار من الذنوب تكفرها الاعمال الصالحة مثل الصلاة والصدقة والذكر  
والاستغفار ونحو ذلك من أعمال البر وأما الكبار من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح  
ولها ثلاث شرائط الاول الاقلاع عن الذنب بالكلمة الثاني الندم على فعله الثالث العزم  
التام على أن لا يعود اليه في المستقبل فاذا حصلت هذه الشرائط صحت التوبة وكانت مقبولة  
ان شاء الله تعالى والاشارة في قوله تعالى ذلك ذكرى الى ما تقدم ذكره من قوله تعالى فاستقم كما  
أمرت الى ههنا وقيل هو اشارة الى القرآن وقوله تعالى (واصبر) خطاب للنبي صلى الله عليه  
وسلم أي واصبر يا محمد على أذى قومك أو على الصلاة وهو قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر  
عليها (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) أي أجر أعمالهم وعدل عن الضمير ليكون كالبرهان  
على المقصود ودليلا على أن الصلاة والصبر احسان وإيما بأنه لا يعتق بهما دون الاخلاص ولما  
بين تعالى أن الامم المتقدمة حل بهم عذاب الاستتصال بين ان السبب فيه أمر ان السبب  
الاول انه ما كان فيهم قوم يتهون عن الفساد في الارض فقال تعالى (فلولا) أي فهلا (كان من  
القرون) أي من الامم الماضية (من قبلكم أو لوقية) أي أصحاب رأي وغيره وفضل (يتهون  
عن الفساد في الارض) وسعى الفضل والجود بقية لان الرجل يستبق على غير وجهه أجوده  
وافضله نصار مثلا في الجوده والفضل ويقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم وبه تفسير  
بيت الحنيفة ان تنبوا ثم يأتي بقيةكم ومنه قوامهم في الزوايا خبايا وفي الرجال يقايا ويجوز  
أن تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى أي فهلا كان منهم ذوو يقاء على أنفسهم

وصيانة لهامن مضط الله تعالى وعقابه \* (قائدة) \* حكى عن اللطيل أنه قال كل ما في القرآن من  
كلمة لولا لفضاء هلا الا التي في الصافات قال صاحب الكشاف وما صحت هذه الحكاية فني غير  
الصافات لولا أن تداركه نعم من ربه ولولا رجال مؤمنون ولولا أن يتناك انتهى وقوله تعالى  
(الاقليسلا من أنجينا منهم) امتننا منقطع معناه ولكن قليلا من أنجينا من القرون نهوا عن  
الفساد وسائرهم تاركون للنهي السبب الثاني لنزول عذاب الاستتصال قوله تعالى (واتبع الذين  
ظلموا ما أتروا فيه) أي ما نعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل أسبابها وأعرضوا عما وراء  
ذلك (وكانوا مجرمين) أي كافرين \* (تبييه) \* قوله تعالى واتبع الذين ظلموا ان كان معناه  
واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمحلان المعنى الا قليلا من أنجينا منهم نهوا عن الفساد  
واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا اجراء الاتراف ظلموا  
للحال فكانه قيل أنجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا اجراءهم وقوله تعالى وكانوا مجرمين عطف  
على أتروا أي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان اتبع الشهوات مغموبا لآثام أو على  
اتبوا أي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ثم بين تعالى انه ما أهلك أهل القرى بظلم بقوله  
تعالى (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) أي بشرك (وأهلها مصلحون) فيما بينهم والمعنى انه  
لا يهلك أهل القرى بمجرد كونهم مشركين اذا كانوا مصلحين في المعاملات فيما بينهم والحال  
أن عذاب الاستتصال لا ينزل لاجل كون القوم معتقدين الشرك بل انما ينزل ذلك العذاب  
اذا أساءوا في المعاملات وسعوا في الايذاء والظلم واهم ذلك ان حقوق الله تعالى مبناها على  
المساحة والمساهة وحقوق العباد مبناها على الضيق والشح ويقال في الاثر الملك يبقى مع  
الكفر ولا يبقى مع الظلم وانما نزل على قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عذاب الاستتصال  
لمسحكي الله تعالى عنهم من ايذاء الناس وظلم الخلق (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة)  
أي أهل ملة واحدة وهي الاسلام كقوله تعالى ان هذه أمتكم أمة واحدة وفي هذه الآية دليل  
على ان الامر غير الارادة وأنه تعالى لم يرد الايمان من كل أحد وأن ما أراد يجب وقوعه  
والمعتزلة يصلون هذه الآية على مشيئة الاجباء والاجبار ولهذا قال الزمخشري يعني  
لا يضطرهم الى أن يكونوا أهل ملة واحدة (ولا يزالون مختلفين) أي على اديان شتى  
ما بين يهودى ونصرانى ومجوسى ومشركى ومسلم فكل أهل دين من هذه الاديان اختلصوا في  
دينهم أيضا اختلافا كثيرا لا ينضب عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قال تفرق اليهود على احدى وسبعين فرقة وفي رواية الا ان من قبلكم من أهل  
الكتاب افرقوا على اثنين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفرق على ثلاث وسبعين فرقة فتنتان  
وسبعون في النار وواحدة في الجنة والمراد بهذه الفرق أهل البدع والاهواء كالقدرية والمعتزلة  
والرافضة والمراد بالواحدة هي ملة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم  
في أقواله وأفعاله (فان قيل) ما الدليل على أن الاختلاف في الاديان قلم لا يجوز أن يحمل على  
الاختلاف في الالوان والالسنة والاذواق والاممال (أجيب) بأن الدليل عليه ما قبل هذه

الآية وهو قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة فيجب حمل الاختلاف على  
 ما يضر بهم من أن يكونوا أمة واحدة وما بعد هذه الآية وهو قوله تعالى (الامن رحم ربك)  
 أي أراد لهم الخير فلا يختلفون فيه فيجب حمل الاختلاف على معنى يصح أن يستثنى منه ذلك  
 وفي هذه الآية دلالة على أن الهداية والايمان لا تحصل الا بتخليق الله تعالى لان تلك الرحمة  
 ليست عبارة عن اعطاء القدرة والعقل وارسال الرسل وانزال الكتب وازاحة العذرفاق كل  
 ذلك حاصل في حق الكفار فلم يبق الا أن يقال تلك الرحمة هو أنه سبحانه وتعالى خلق فيهم تلك  
 الهداية والمعرفة (ولذلك خلقهم) أي خلق أهل الاختلاف للاختلاف وخلق أهل الرحمة  
 للرحمة روى عن ابن عباس أنه قال خلق الله أهل الرحمة لئلا يختلفوا وخلق أهل العذاب لان  
 يختلفوا وخلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا والحاصل أن الله تعالى خلق  
 أهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق أهل الحق وجعلهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف  
 وهم أهل الباطل ومصيرهم الى النار وحكم على بعضهم بالاتفاق وهم أهل الحق ومصيرهم  
 الى الجنة ويدل لذلك قوله تعالى (ومت كلمة ربك) وهي (لاملان جهنم من الجنة) أي الجن  
 (والناس أجمعين) وهذا صريح بأن الله تعالى خلق أقواما للجنة والرحمة فهداهم ووقفهم  
 لاعمال أهل الجنة وخلق أقواما للضلالة والنار فخذلهم ومنعهم من الهداية ولما ذكر تعالى  
 القصص الكثيرة في هذه السورة ذكر نوعين من الفائدة أولهما تثبت القواديق قوله تعالى  
 (وكلا) أي وكل بنا (نقص عليك) وقوله تعالى (من أنباء الرسل) أي تخبرك به بيان لكل وقوله  
 تعالى (ما تثبت به قوادك) يدل من كلاهما على تثبت قواد زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات  
 نفسه على أداء الرسالة وعلى الصبر واحتمال الأذى وذلك لان الانسان اذا ابتلى بمعنة وبليّة  
 فاذا رأى له فيه مشاركا خف ذلك على قلبه كما يقال المصيبة اذا عمت خفت واذا سمع الرسول  
 صلى الله عليه وسلم هذه القصص وعلم أن حال جميع الانبياء مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل  
 الأذى من قومه وأمكنه الصبر عليه الفائدة الثانية قوله تعالى (وجاءك في هذه الحق) أي  
 في السورة وعليه الاكثرا وفي هذه الانبياء المقتصة فيها وقال الحسن في هذه الدنيا قال الرازي  
 وهذا بعيد غير لائق بهذا الموضوع لانه لم يجز للدنيا اذ كرحق يعود الضمير لها (فان قيل) قد جاءه  
 الحق في غير هذه السورة بل القرآن كله حق وصدق (أجيب) بأنه انما خصم بالذكريتها يقالها  
 (وموعظة وذكرى للمؤمنين) وخصم بالذكري لانتفاعهم بذلك بخلاف الكفار فدكر تعالى  
 أمورا ثلاثة الحق والموعظة والذكرى أما الحق فهو اشارة الى البراهين الدالة على التوحيد  
 والعدل والنبوة والمعاد وأما الموعظة فهي اشارة الى السفر عن الدنيا وتبصير أحوالها وأما  
 الذكرى فهي اشارة الى الارشاد الى الاعمال النافذة الصالحة في الدار الآخرة ولما بلغ تعالى  
 الغاية في الانذار والاعذار والترغيب والترهيب اتبع ذلك بأن قال لرسوله صلى الله عليه وسلم  
 (وقل للذين لا يؤمنون اعمالوا على مكاشمكم) أي حالكم وفيه وعيد وتهديد وان كانت صيغته  
 صيغة الامر فهو كقوله تعالى لا بليس واستغفر من استغفرت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك

ودرجلك وقر أشعبة بعد النون بالف على الجمع والباقون بغير ألف على الأفراد (أنا عاملون) أي  
 على حالتنا التي أمرنا بها ربنا (وانظروا) أي ما يعدكم الشيطان به من الخذلان (انما منتظرون)  
 أي ما يجعل بكم من نعم الله تعالى وعذابه فهو ما نزل على أمثالكم وقيل انما منتظرون ما وعدنا  
 الرحمن من أنواع الفقران والاحسان ثم انه تعالى ذكر خاتمة شريفة عالية جامعة لكل المطالب  
 الشريفة المقدسة فقال (وقله غيب السموات والارض) أي علم ما غاب فيها فعمله سبحانه  
 وتعالى نافذ في جميع مخلوقاته خفيها وجليها (واليه) أي لا إلى غيره (يرجع الأمر كله) أي إليه  
 يرجع أمر الخلق كله في الدنيا والآخرة وقرأ نافع وحفص بضم الياء وفتح الجيم على البناء  
 للمفعول والباقون بفتح الياء وكسر الجيم ولما كان أول درجات السير إلى الله تعالى عبوديته  
 وآخرها التوكل عليه قال تعالى (فاعبده) ولا تشغل بعبادة غيره (وتوكل عليه) أي ثق  
 به في جميع أمورك فإنه كافيك (وماربك بغافل عما تعملون) فيحفظ على العباد أعمالهم  
 لا يخفى عليه شيء منها فيجزى المحسن بإحسانه والمسيء بأسأته وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء  
 على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة \* (فائدة) \* قال كعب الأحبار خاتمة التوراة خاتمة  
 سورة هود وقول البيضاوي تعالى زحشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود  
 أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط  
 وإبراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء حديث موضوع

﴿سورة يوسف عليه السلام مكية كلها﴾  
 مائة واحد عشر آية وعدد كلماتها ألف وتسعمائة وست وتسعون كلمة  
 وعدد حروفها سبعة آلاف ومائة وستة وسبعون حرفاً

(بسم الله) الذي وسع كل شيء قدرة وعلم (الرحمن) لجميع خلقه المبين لهم طريق الهدى  
 (الرحيم) الذي خص حزبه بالابعاد عن مواطن الردى وقوله تعالى (الر) تقدم الكلام على  
 أوائل السور أول سورة البقرة وقرأ ورش بالامالة بين بين وأبو عمرو وابن عامر وشعبة وحمزة  
 والكسائي بالامالة محضة والباقون بالفتح واختلف في سبب نزول هذه السورة فعن سعيد بن  
 جبیر أنه قال لما أنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يتلوه على قومه فقالوا  
 يا رسول الله لو قصصت علينا فنزلت هذه السورة فتلاها عليهم فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فنزل  
 الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني فقالوا لودكرتنا فنزل ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع  
 قلوبهم لذكر الله وعن ابن عباس أنه قال سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن  
 أمر يعقوب وولده وشأن يوسف فنزلت هذه السورة وقوله تعالى (تلك) إشارة إلى آيات هذه  
 السورة أي تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة المسماة بالر هي (آيات الكتاب) أي  
 القرآن (المبين) أي المبين فيه الهدى والرشد والحلال والحرام المطهر للعق من الباطل الذي  
 ثبت فيه قصص الأولين والآخريين وشرحت فيه أحوال المتقدمين (أنا أنزلناه) أي الكتاب  
 (قرأنا عربياً) أي بلغة العرب لكي يعلموا معانيه ويفهموا ما فيه روى أن علماء اليهود قالوا

لكبراء المشركين أسألو محمد الم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن كيفية قصة يوسف  
 فأ نزل الله تعالى هذه الآية وذكر فيها أنه تعالى عبر عن هذه القصة بالفاظ عربية ليتمكنوا من  
 فهمها والتقدير أنا أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف حال كونه قرآنا عربيا وسمى بعض  
 القرآن قرآنا لأن القرآن اسم جنس يقع على الكل والبعض (لعلكم) يا أهل مكة (تعقلون) أي  
 ارادة ان تفهموا وتحيطوا بجماليه ولا يلبس عليكم ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت  
 آياته واختلف العلماء هل في القرآن شيء غير العربية فقال أبو عبيدة من زعم أن في القرآن  
 لسانا غير العربية فقد أعظم على الله القول واحتج بهذه الآية أنا أنزلناه قرآنا عربيا وروى عن  
 ابن عباس ومجاهد وعكرمة ان فيه من غير لسان العرب من سهيل ومشكاة واليم واستبرق  
 وجمع بعض المفسرين بين القولين بأن هذه الالفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت على ألسنتهم  
 صارت عربية فصيحة وان كانت غير عربية في الاصل لكانت لهم لما تكلموا بها نسبت اليهم  
 وصارت لهم لغة وهو جمع حسن (فمن نقص عليك أحسن القصص) أي أحسن الاقتصاص  
 لانه اقتصر على أبداع الاساليب والقصص اتباع الخبر بعضه بعضا وأصله في اللغة من قص الاثر  
 اذا تبعه وانما سميت الحكاية قصة لان الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئا فشيئا والمعنى  
 انما بين لك يا محمد أخبار الامم السالفة والقرون الماضية أحسن البيان أو قصة يوسف عليه  
 السلام خاصة وسميها أحسن القصص لما فيها من العبر والحكم والتكف والفوائد التي تصلح  
 للدين والدنيا وما فيها من سير الملوك والممالك والغلمان ومكر النساء والصبر على اذى الاعداء  
 وحسن التجاوز عنهم بعد الاقام وغير ذلك قال خالد بن معدان في سورة يوسف ومرمى يتفكك فيهما  
 أهل الجنة في الجنة وقال ابن عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون الا استراح اليها (بما) أي بسبب  
 ما (أوحينا) أي بإيحاءنا (اليك) يا محمد (هذا القرآن) الذي قالوا فيه انه مفترى فمن تابع  
 القصص القصة بعد القصة حتى لا يشك شك ولا يعتري عترته من عند الله (وان كنت من  
 قبله) أي إيحاءنا اليك وهذا القرآن (لمن العاقلين) أي عن قصة يوسف واخوته لانه صلى الله  
 عليه وسلم اعلم ذلك بالوحي وقيل لمن العاقلين عن الدين والشريعة وان هي المنخفضة من  
 الثقبلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وقوله تعالى (اذ قال يوسف لايه) بدل من  
 أحسن القصص أو منصوب باضممار اذ كرو يوسف اسم عبري وقيل عربي ورد بأنه لو كان  
 عبريا لصرف وسئل أبو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف في اللغة الحزن والاسف العبد  
 واجتمع في يوسف فسمى به وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الكريم ابن  
 الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وقوله (يا أبت) أصله  
 يا أباي فعوض عن الياء تاء التأنيث لتساويهما في الزيادة ولذلك قلبها ابن كثير وابن عامر هاء في  
 الوقف ووقف الباقيون بالتاء كالرسم وفي الوصل بالتاء للجميع وفتح التاء في الوصل ابن عامر  
 وكسرها الباقيون (التي تأيت) أحد عشر كوكبا والشمس والقمر) قال أهل التفسير رأى يوسف  
 عليه الصلاة والسلام في منامه وكان ابن اثني عشر سنة وقيل سبع عشرة وقيل سبع سنين



ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر كان أحد عشر كوكبا نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر  
 فسجدوا له وفسروا الكواكب بأخوته وكانوا أحد عشر يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم  
 والشمس والقمر بأبيه وأمه يجعل الشمس للام لانها موشة والقمر للاب لانه مذكر والذى رواه  
 البيضاوى تبع الكشاف عن جابر من أن يهوديا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أخبرني عن النجوم  
 التى راها ن يوسف فأخبره بأسمائها فقال اليهودى اى والله انها لاسماؤها قال ابن الجوزى  
 انه موضوع وقوله ( رأيتهم لى ساجدين ) استئناف لبيان حالهم التى راها عليهم فلا تكرر  
 لان الرؤية الاولى تدل على أنه شاهد الكواكب والشمس والقمر والثانية تدل على انه شاهد  
 كونها ساجدة له وقال بعضهم انه لما قال انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر قيل له  
 كيف رأيت قال رأيتهم لى ساجدين وقال آخرون يجوز أن يكون أحدهما من الرؤية  
 والآخر من الرؤيا وهذا القائل لم يبين أن أيهما يحمل على الرؤية وأيها يحمل على الرؤيا  
 قال الرازى فذكر قولاهما بجملة غير مبين ( فان قيل ) قوله رأيتهم وقوله ساجدين لا يليق  
 الا بالعقلاء والكواكب جمادات فكيف جاءت اللفظة المخصوصة بالعقلاء فى حق الجمادات  
 ( أجيب ) بأنها لما وصفت بالسجود صارت كأنها تعقل وأخبر عنها كما أخبر عن يعقل كما قال  
 تعالى فى صفة الاصنام وتراهم يتظنون اليك وهم لا يصرون وكانى قوله تعالى يا أيها النمل  
 ادخلوا مساكنكم ( فان قيل ) لم أفرد الشمس والقمر بالذكركم مع أنهم من جملة الكواكب  
 ( أجيب ) بأنه أفردهما لفضلهما وشر فهما على سائر الكواكب كقوله تعالى وملائكته  
 وجبريل وميكال وهل المراد بالسجود نفس السجود حقيقة أو التواضع كلاهما محتمل  
 والاصل فى الكلام حمله على الحقيقة قال أهل التفسير ان يعقوب عليه السلام كان شديد  
 الحب لىوسف عليه السلام فحسده اخوته لهذا السبب وظهر ذلك ليعقوب فلما رأى يوسف  
 هذه الرؤيا وكان تأويلها أن أبويه واخوته يخضعون له وخاف عليه حسدهم وبغيتهم  
 ( قال ) له أبويه ( يا بنى ) بصيغة التصغير للشفقة أو لصغر سنه على ما تقدم وقرأ حفص  
 فى الوصل بفتح الباء والباقون بالكسر والتشديد للجميع ( لا تقصص رؤياك على اخوتك )  
 أى لا تخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تأويلها ( فيكيدوا لك كيدا ) أى فيصتالوا فى هلاكك  
 ( فان قيل ) لم يقل فيكيدوك كما قال فيكيدونى ( أجيب ) بأن هذه اللام تأكيد للصلة كقوله  
 للرؤيا تعبرون وكقوله نصصتك ونصصت لك وشكوتك وشكوت لك وقيل صلة كقوله لرهبون  
 يرهبون ( ان الشيطان للانسان عدو مبين ) أى ظاهر العداوة كما فعل بآدم وحواء فلا يالو  
 جهدا فى تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وعن أبى قتادة قال كنت  
 ارأى الرؤيا تعرضنى حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة من الله والحلم  
 من الشيطان فاذا رأى أحدكم ما يحبه فلا يحدث به الا من يحب واذا رأى ما يكره فلا يحدث به  
 وليستقل من يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وشرها فانها لاتضره وعن أبى  
 سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها فانها من

الله فليحمد الله عليها وحدث بها واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان  
 فليسته مذبا لله من شرها ولا يذكرها الا حدقا فانها لا تضرمه وعن أبي رزين العقيلي أن رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم قال رؤيا المؤمن جزء من أربعين جزءا من النبوة وهي على رجل طائر  
 ما لم يحدث بها فاذا حدثت به اسقطت قال وأحسبه قال ولا يحدث بها الا ليبيبا أو حبيبا  
 وانما أضيفت الرؤيا للهجرة الى الله اضافة تشریف بخلاف الرؤيا المكروهة وان كانتا جميعا  
 من خلق الله تعالى وتديبه وارا دته ولا فعل للشيطان فيها ولكنه يحضرك المكروهة ويرتضيها  
 فيستحب اذا رأى الشخص في منامه ما يحب أن يحدث به من يحب واذا رأى ما يكره فلا  
 يحدث به وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم من شرها وايتفل ثلاثا وليتحول عن جنبه الا آخر  
 فانها لا تضرمه فان الله تعالى جعل هذه الاسباب سببا لسلامته من المكروه كما جعل الصدقة  
 سببا لوقاية المال قال الحكماء ان الرؤيا الرديئة يظهر تغييرها عن قريب والرؤيا الجيدة انما  
 يظهر تغييرها بعد حين قالوا والسبب فيه ان رحمة الله تعالى تقتضي أن لا يحصل الاعلام بوصول  
 الشر الا عند قرب وصوله حتى يكون الحزن والغم أقل وأما الاعلام بالخير فانه يحصل  
 متقدما على ظهوره بزمن طويل حتى تكون البهجة الحاصلة بسبب توقع حصول ذلك الخير  
 أكثر وأتم ولهذا تم تظهير رؤيا يوسف عليه السلام الا بعد أربعين سنة وهو قول أكثر المفسرين  
 وقال الحسن البصري كان بينهما ثمانون سنة حتى اجتمع على ابويه واخوته ونحوه الساجدين  
 (وكذلك) أي وكما اجتباك ربك للاطلاع على هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكال  
 نفس (بجنتيك) أي يختارك ويصطفيك (ربك) بالدرجات العالية واجتباها الله تخصيصه بفيض  
 الهوى يحصل منه أنواع الامارات بلا سعي من العبد وذلك مخصوص بالانبياء وبعض من  
 يقاربهم من الصديقين والشهداء والصالحين وقوله (ويملكك) كلام مستأنف خارج عن التشبيه  
 والتقدير وهو يعطيك (من) أي بعض (تأويل الاحاديث) من تأويل الرؤيا وغيرها من  
 كتب الله تعالى والاخبار المروية عن الانبياء المتقدمين وكان يوسف عليه السلام في تعبير الرؤيا  
 وغيرها غاية والتأويل ما تقول اليه عاقبة الامر (ويتم نعمته عليك) بالنبوة قال ابن عباس لان  
 منصب النبوة أي ومع الرسالة أعلى من جميع المناصب وكل الخلق دون درجة الانبياء فهذا  
 من تمام النعمة عليهم لان جميع مناصب الخلق دون منصب الرسالة والنبوة فالكمال المطلق  
 والقام المطلق في حق البشر ليس الا النبوة والرسالة وقيل بجنتيك بالنبوة ويتم نعمته عليك  
 بسعادات الدنيا وسعادات الآخرة أما سعادات الدنيا فالأكثر من الاولاد والخدم والاتباع  
 والتوسع في المال والجاه والاجلال في قلوب الخلق وحسن الثناء والحمد وأما سعادات الآخرة  
 فالعلوم الكثيرة والاخلاق الفاضلة والاستغراق في معرفة الله تعالى (وعلى آل يعقوب) أي  
 اولاده وهذا يقتضي حصول تمام النعمة لآل يعقوب وتمام النعمة هو النبوة والرسالة كما مر  
 فلزم حصولها لآل يعقوب وأيضا ان يوسف عليه السلام قال اني رأيت أحد عشر كوكبا وكان  
 تأويله أحد عشر نسبا لهم فضل وكمال ويستضيء بعلمهم ودينهم أهل الارض لانه لا شيء أضوأ

من الكواكب وبها يهتدى وذلك يقتضى أن تكون جهلة أو ولاد يعقوب أنبياء ورسلا (فان قيل) كيف يجوز أن يكونوا أنبياء وقد أقدموا على ما أقدموا عليه في حق يوسف عليه السلام (أجيب) بأن ذلك وقع منهم قبل النبوة والعصمة من المعاصي انما تعتبر بعد النبوة لا قبلها على خلاف فيه (كما أجمع على أبيك) بالنبوة والرسالة وقيل اتسام النعمة على ابراهيم عليه السلام خلاصه من النار واتخاذ خلد لاوعلى اسحق خلاصه من الذبح وفداؤه بذبح عظيم على قول ان اسحق هو الذبيح (من قبل) أى من قبل هذا الزمان وقوله (ابراهيم واسحق) عطف بيان لاويك ثم ان يعقوب عليه السلام لما وعده بهذه الدرجات الثلاثة ختم الكلام بقوله (ان ربك عليم) أى بليغ العلم (حكيم) أى بليغ الحكمة وهى وضع الاشياء فى أتمن مواضعها (لقد كان فى) خبر (يوسف واخوته) وهم أحد عشر بهودا ورويل وشعمون ولاوى وزبلون قال البقاعى بزاي وباء موحدة ويشجر وأمههم ليا بنت ليان وهى ابنة خال يعقوب وولده من سريتين احدهما زلنى والاخرى يلقم كذا قاله البغوى وقال الرازى والاخرى بلهمة أربعة اولاد وأسماؤهم دان ونضالى قال البقاعى بنون مفترحة وفاء سا كنة ومثناة فوقية ولايم بعد هاياه وجادوا ثم توفيت ليا فتروج باختيار ارحيل فولدت له يوسف وبنيامين وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ (آيات) أى علامات ودلائل على قدرة الله تعالى وحكمته فى كل شئ (للساتلين) عن قصصهم قال الرازى ولما لم يسأل عنها وهو كقولها تعالى فى أربعة أيام سواء للساتلين وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أن اليهود سألوه عن قصة يوسف وقيل سألوه عن سبب انتقال ولاد يعقوب من أرض كنعان الى أرض مصر فذكر لهم قصة يوسف فوجدوها موافقة لما فى التوراة فحببوا منه فكان دلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يجالس العلماء وأصحاب الاخبار ولم يأخذ عنهم شيئا فدل ذلك على أن ما بآتى به وحى سماوى أو حاه الله تعالى اليه وعرفه به وهذه السورة تشتمل على أنواع من العبر والمواعظ والحكم منها رؤيا يوسف عليه السلام وما حقق الله تعالى فيها من حسد اخواته وما آل اليه أمر من الملاك ومنها ما اشتمل على حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وما آل اليه أمر من بلوغ المراد وغير ذلك من الآيات التى اذا فكر فيها الانسان اعتبر وقرأ ابن كثير آية على التوحيد والباقون على الجمع (آذ) أى واذا كراذ (قالوا) أى بعض اخوة يوسف لبعض بعد أن بلغتهم الرؤيا وقالوا ما يرضى أن تسجد له اخوته حتى يسجد له أبواه (ليوسف واخوه) أى بنيامين (أحب الى أيماننا) اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضهون الجملة أرادوا ان زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه وخبر المبتدأ أحب ووجدلان أفعل يستوى فيه الواحد وما فوقه مذكرا كان أو مؤنثا اذا لم يعرف أو لم يصف وقيل اللام لام قسم تقديره والله ليوسف وانما قالوا وأخوه وهم جميعا اخوته لان أمهما كانت واحدة والواو فى قولهم (وفى عصبه) واوالحال أى يفضلهما فى المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة وفى جماعة أقوياء تقوم بعراقه فمن أحق بزيادة المحبة منهما افضلنا بالصكثرة

والمنفعة عليهما والعصبة والعشيرة فافوقها وقيل الى الاربعين نحو ابدلك لانهم  
 جماعة تعصب بهم الامور ويستكنى بهم النواب (ان ابانا الذي ضلال) أي خطا (مبين)  
 أي بين في اثاره حب يوسف وأخيه عليهما والقرب المقتضى للحب في كلنا واحدا لانا في النبوة  
 سواء ولنا منزلة تقتضى تفضيلنا وهي انا عصبة لنا من النفع له والذب عنه والكفاية  
 ما ليس لهما • (تنبيه) • ههنا سوالات • الاول ان من المعلوم ان تفضيل بعض الاولاد على  
 بعض يورث الحقد والحسد فلم أقدم يعقوب عليه السلام على ذلك (أجيب) بأنه انما فضلها  
 في المحبة والمهبة ليست في وسع البشر فكان معذورا فيها ولا يلحقه في ذلك لوم • الثاني كيف  
 اعترضوا على أبيهم وهم يعلمون انه نبي وهم مؤمنون به وأجيب بانهم وان كانوا  
 مؤمنين بنبوته لكن جوزوا أن يكون فعله باجتهاد ثم ان اجتهادهم أدى الى تخطئة أبيهم  
 في ذلك الاجتهاد لكونهم أكبر سنا وأكثر نفعا وغاب عنهم ان تخصيصهما بالبر كان لوجوه  
 أحدها أن أهمامات ثانياً أنه كان في يوسف من آثار الرشد والتجربة ما لم يجده في سائر  
 أولاده ثالثاً أنه وان كان صغيراً الا أنه كان يخدم أباه بأنواع من الخدمة أعلى وأشرف  
 مما كان يصدر عن سائر أولاده والحاصل أن هذه المسئلة كانت اجتهادية وكانت مخلوطة بميل  
 النفس وموجبات الفطرة فلا يلزم من وقوع الاختلاف فيها طعن أحد الخصمين في دين الآخر  
 الثالث أنهم نسبوا أباهم الى الضلال عن رعاية مصالح الدنيا والبعده عن طريق الرشد لا الضلال  
 في الدين • الرابع أن قولهم ليوسف وأخوه أحب الى أيئنا من محض حسد والحسد من أتمهات  
 الكاثر لاسيما وقد أقدموا بسبب ذلك الحسد على أمور مذمومة منها قولهم (اقتلوا يوسف  
 أو اطرحوه أرضاً) أي بحيث يحصل اليأس من اجتماعه بأبيه ومنها القاؤه في ذل العبودية  
 ومنها أنهم أبقوا أباهم في الحزن الدائم والاسف العظيم ومنها اقدامهم على الكذب وكل ذلك  
 يقدر في العصمة والنبوة (أجيب) بما تقدم أن ذلك كان قبل النبوة وقرأ نافع وابن كثير  
 وهشام والكسائي بضم التنوين من مبين في الوصل والباقون بالكسر فان وقف القارئ على  
 مبين وامتن في الابداء يتدنى بالضم للجميع وقولهم (يخل لكم وجه أبيكم) جواب الامر  
 أي يصف لكم وجه أبيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته  
 أحسد وقولهم (وتكونوا) مجزوم بالعطف على يخل لكم أو منصوب باضمار ان (من بعده)  
 أي قتل يوسف أو طرحه (قوما صالحين) بأن تتوبوا الى الله تعالى بعد فعلكم فانه يعفو عنكم  
 وقال مقاتل يصلح أمركم فيما بينكم وبين أبيكم (قال قاتل منهم) هو يهودا وكان أحسنهم رأياً فيه  
 وهو الذي قال فلن أبرح الارض وقيل رويل وكان أكبرهم سناً (لا تقتلوا يوسف والقوه)  
 أي اطرحوه (في غيابة الجب) أي في أسفله وظلمته والغيابة كل موضع سترشياً وغيبه عن النظر  
 قال القائل فان أبناوما غيبتي غيابتى • فسر وأبسرى في العشيرة والاهل  
 اراد غيابة حفرته التي يدفن فيها والجب البئر الكبيرة التي ليست مطوية سميت جباً لانها قطعت  
 قطعاً لم يحصل فيها نبي غير القطع من طي أو ما أشبهه وانما ذكر الغيابة مع الجب دلالة على

أن المشير أشار بطرحه في موضع مظلم من الجب لا يلحقه نظر الناظرين قال بعض أهل العلم أنهم  
 عزموا على قتله وعصمه الله تعالى رحة بهم ولو فعلوا هلكوا أجمعين واختلف في موضع ذلك  
 الجب فقال قتادة هو بيت المقدس وقال وهب هو بأرض الأردن وقال مقاتل هو على ثلاثة  
 فراسخ من منزل يعقوب وقرأ نافع بألف بين الباء والتاء على الجمع والباقون بغير ألف على  
 التوحيد (يلتقطه) أي يأخذه (بعض السيارة) جمع سيارا أي المبالغ في السير وذلك الجب  
 كان معروفاً يرد عليه كثير من المسافرين فاذا أخذوه ذهبوا به إلى ناحية أخرى فسترج منه  
 (أن كنتم فاعلين) أي ما أردتم من التفريق فاكثفوا بذلك ولما أجهوا على التفريق بين  
 يوسف وأبيه بضرب من الحيل (قالوا) أعمال اللعيلة في الوصول إليه مستفهمين على وجه  
 التعجب لانه كان أحسن منهم السوء فكان يحذرهم عليه (يا أبا ناملك لا تأمناء على يوسف  
 والحال) (إن الله لنا صخون) أي قائمون بمصلحته وحفظه \* (تنبه) \* اتفق القراء على إخفاء  
 النون الساكنة عند النون المتحركة واتفقوا أيضاً على ادغامها مع الأشمام (أرسله معنا غداً)  
 أي إلى الصحراء (ترقع) أي تسرع في أكل الغواكه ونحوها وأصل الرقع أكل البهائم  
 في الخصب في زمن الربيع ويستعار للانسان إذا أريد به الأكل الكثير (وتلعب) روى  
 أنه قيل لأبي عمرو كيف يقولون تلعب وهم أنبياء فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء وأيضاً جاز أن يكون  
 المراد باللعب الاقدام على المباحات لاجل انشراح الصدر كما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال  
 لجابر فها بلكر اتلاعيها وتلاعبك وأيضاً كان لعبهم الاستباق والاتصال والغرض منه  
 المحاربة والمقاتلة مع الكفار والدليل عليه قولهم انا ذهبنا نستيق وانما سموه ولعباً لانه  
 في صورته وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالنون فيهما والباقون بالياء وسكن العين  
 أبو عمرو وابن عامر وعاصم وحزرة والكسائي وكسرهما الباقون في الوصل ولقبيل وجه آخر  
 وهو أنه ثبت الياء في ترقع بعد العين وقفاً ووصلاً (واناله الحافظون) أي يليغون في الحفظ له  
 حتى نرداه الياء قال أبو حيان واتصب غداً على الطرف وهو ظرف مستقبل يطلق  
 على اليوم الذي يلي يومك وعلى الزمن المستقبل من غير تقييد وأصل غداً غدوً فخذفت الواو  
 انتهى ثم إن يعقوب عليه السلام اعتذر لهم بعد ذلك من الأول ما حكاه الله تعالى عنه بقوله (قال  
 أتى ايجزني أن تذهبوا به) أي ذهابكم به والحزن هنا ألم القلب بفراق المحبوب لانه كان  
 لا يقدر أن يصبر عنه ساعة وقرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي والباقون بفتح الياء وضم الزاي  
 والثاني قوله (وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون) بالرفع واللعب أوله اهتماكم به  
 وكان يعقوب عليه السلام رأى في النوم أن الذئب شد على يوسف فكان يحذره من أجل هذا  
 ذكر ذلك وكانه لقتنهم العلة وفي أمثال العرب البلاء موكل بالمنطق والمراد به الجنس وكانت  
 أرضهم كثيرة الذئاب (قالوا) مجيبين عن الثاني بما يلين الاب لا رساله مؤكدين لتطيب خاطر  
 دالين على القسم بلامه (لئن أكله الذئب ونحن) أي والحال أنا (عصبة) أي جماعة عشرة  
 رجال يمثلهم تعصب الامور وتكفي الخطوب وأجابوا عن القسم بما أغنى عن جواب الشرط

بقولهم (انا اذا) أي اذا كان هذا (لخاسرون) أي كاملون في الخسارة لانا اذا ضيعنا امانا  
فمن لمساواه من اموالنا اشد تضييعا وأعرضوا عن جواب الاقول لان حقدهم وغيظهم  
كان بسبب العذر الاقول وهو شدة حبه له فلما سمعوا ذلك المعنى تغافلوا عنه وأقله أن يقولوا  
ما وجه الشرح بفراقه يوما والسماح بفراقنا كل يوم وقرأ الذيب ورش والسومي والكسافي  
بايدال الهمزية وقفا وصلوا وحزة وقفالا وصلوا والباقون بالهمزة وقفا وصلوا وقوله تعالى  
(فلما ذهبوا به) فيه اضممار واختصار تقديره فأرسله معهم فلما ذهبوا به (وأجمعوا أن يجعلوه  
في غيابة الجب) أي وعزموا على القائه فيها ولا بد من تقدير جواب وهو جعلوه فيه وحذف  
الجواب في القرآن كثير بشرط أن يكون المذكور دليلا عليه وهنا كذلك قال وهب وغيره  
من أهل السير والخبار ان اخوة يوسف قالوا له مات شناق أن تخرج معنا الى مواشيناقتصيد  
وتستبق قال بلى قالوا فاسأل أبك أن يرسلك معنا قال يوسف أفعـل فدخلوا جميعا على أبيهم  
وقالوا يا ابا نانا ان يوسف قد أحب أن يخرج معنا الى مواشينا فقال يعقوب ما تقول يا بني قال  
نعم يا أبت اني أرى من اخوتي اللين والल्प فأحب أن تأذن لي وكان يعقوب عليه الصلاة  
والسلام يكره مفارقتة ويجب مرضاته فأذن له فأرسله معهم فلما خرجوا به من عند أبيهم جعلوا  
يجعلونه على رقابهم وأبوهم ينظر اليهم فلما بعدوا عنه وصاروا الى الصعراء القوم على الارض  
وأظهروا له ما في أنفسهم من العداوة وأغلظوا له القول وجعلوا يضربونه فجعلوا كلما جاء الى  
واحد منهم واستغاث به يضربه فلم يرمهم رحما فاضربوه حتى كادوا يقتلونه وهو يصيح يا أبتاه  
ويا يعقوب لورأيت يوسف وما نزل به من اخوته لا حزك ذلك وأبكالك يا أبتاه ما أسرع ما نسوا  
عهدك وجعل يبكي بكاء شديدا فأخذه روييل فجلبه الى الارض ثم جلس على صدره وأراد قتله  
فقال له مهلا يا بني لا تقتلني فقال له يا ابن راحيل أنت صاحب الاحلام الكاذبة قتل رؤياك  
تخلصك من أيدينا ولوى عنقه فاستغاث يوسف ييهودا وقال له اتق الله في وحل بيني وبين  
من يريد قتلي فأدركته رحمة ورقة فقال لهم وذا يا اخوتاه ما على هذا عاهدتوني فانطلقوا به  
الى الجب لم يطرحوه فيه فجاءوا به على بئر على غير الطريق واسع الاسفل ضيق الرأس فجعلوا  
يدلونه في البئر فيعلق بشعر البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه رددوا على قميصي  
أستتر به في الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتونسك فقال اني لم أر  
شيئا فألقوه فيها وكان في البئر ما فقط نفسه ثم أوى الى حفرة كانت في البئر فقام عليها فنادوه  
فظن أنها رحمة أدركته فأجابهم فأرادوا أن يرضوه بصخرة ليقتلوه فمعهم ييهودا من ذلك وكان  
يهودا يأتيه بالطعام ويبقى فيها ثلاث ليال (وأوحينا اليه) في الجب في صغره وهو ابن سبع  
عشرة سنة أودونها كما أوحى الى يحيى وعيسى عليهما السلام في صغرها وفي القصص ان  
ابراهيم عليه السلام حين ألقى في النار جرد عن ثيابه فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من  
حرير الجنة فألبسه اياه ودفعه ابراهيم عليه السلام الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب  
في تيمة علقها يوسف فأخرجها جبريل وألبسه اياها (لتبنتهم) أي لتضربهم بعد هذا اليوم

(بأمرهم) أي بصنعهم (هذا وهم لا يشعرون) أي أنك يوسف لعلو شأنك وبعدد من  
 أوهاهم وطول العهد المغير للهيات كما قال تعالى فعرفهم وهم له منكرون والمقصود من ذلك  
 تقوية قلبه وأنه سيخلص مما هو فيه من المحنة ويصير مستوليا عليهم ويصيرون تحت أمره  
 ونبيه وقهره روى أنهم لما دخلوا عليه لطلب الخنطة عرفهم وهم له منكرون ودعا بالصواع  
 فوضعه على يده ثم تقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الحمام انه كان لكم أخ من ابيكم يقال له  
 يوسف فطرحتموه وقلتم لا بيكم أكله الذئب وقيل لا يشعرون بايحاءنا اليك وأنت في البئر أنك  
 ستخبرهم بصنعهم هذا والفائدة في اخفاء ذلك الوحي عنهم انهم لو عرفوه فرجبا ازيد حسدهم  
 وكانوا يقصدون قتله وقيل ان المراد من هذا الوحي الالهام كما في قوله تعالى وأوحينا الى أم  
 موسى وقوله تعالى وأوحى ربك الى النحل (و) لما كان من المعلوم أنه ليس بعد هذا الفعل  
 الذي فعلوه الا الاعتذار (جاؤا أباهم) دون يوسف (عشاء) في ظلمة الليل لئلا يتفرس أبوهم  
 في وجوههم اذا رأها في ضياء النهار ضدهما جاؤا به من الاعتذار وقد قيل لا تطلب  
 الحاجة في الليل فان الحياء في العينين ولا تعتذر بالنهار من ذنب قتل الجح في الاعتذار  
 (يكون) والبكاء جريان الدمع من العين والاية تدل على أنه لا يدل على الصدق لاحتمال  
 التصنع روى ان امرأة طاعت الى شريح فبكت فقال الشعبي يا أبا أمية أما تراها تبكي  
 فقال قد جاء اخوة يوسف يكون وهم ظلمة كذبة لا ينبغي للانسان أن يقضى الا بالحق فعند  
 ذلك فرع يعقوب عليه السلام فقال هل أصابكم في غمكم شيء قالوا لا قال فما فعل يوسف قالوا  
 يا أبا نانا ذهبننا سبق قال الزجاج يسابق بعضنا بعضا في الرمي ومنه قوله عليه الصلاة والسلام  
 لا سبق الا في خف أو نضل أو حافر يعني بالفضل الرمي وقيل العدو للثبين أيضا أسرع عدوا  
 (وترك يوسف) أخانا (عند متاعنا) أي ما كان معنا مما نحتاج اليه في ذلك الوقت من ثياب  
 وزاد ونحو ذلك (فأكله) أي فتسبب عن انفراده أن أكله (الذئب وما) أي والحال أنك ما  
 (أنت بمؤمن) أي بصدق لما علموا أنه لا يصدقهم بغير أمارة (لناولو كأصادقين) في هذه القصة  
 لمحبة يوسف عندك فكيف وأنت تسيء الظن بنا وقيل لا تصدقنا لأنه لا دليل لنا على صدقنا  
 وان كأصادقين عند الله تعالى (و) لما علموا أنه لا يصدقهم بغير أمارة (جاؤا على قبيصه) أي يوسف  
 عليه السلام (بدم كذب) قال القراء أي مكذوب فيه الا أنه وصفه بالمصدر على تقدير ذي كذب أو  
 مكذوب أطلق على المصدر مبالغة لانه غير مطابق للواقع لانهم ادعوا أنه دم يوسف عليه السلام  
 والواقع أنه دم ضله ذبحوها ولطنوا القميص بذلك الدم قال القاضي ولعل غرضهم  
 في نزع قبيصه عند القائه في غيابة الجب أن يفعلوا هذا وكيد الصدقهم اذ يعدون يفعلوا  
 ذلك طمعا في نفس القميص ولا بد في المعصية من أن يقترب بها للذلان فلو خر قوه مع لطنه  
 بالدم لكان الاتهام أقوى فلما شاهد يعقوب عليه السلام القميص صجعا علم كذبهم  
 روى أن يعقوب عليه السلام أخذ القميص منهم وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه  
 بدم القميص وقال تالله ما رأيت كالذي علم من هذا أكل ابني ولم يزد قبيصه (تنبيه)

على قيصه محله النصب على الطرفية كأنه قيل وجاؤا فوق قيصه بدم كما تقول جاء على جماله باجماله  
 ولا يصح أن يكون حال المتقدمة لأن حال الجرور لا يتقدم عليه قال الشعبي قصة يوسف كأنها  
 في قيصه وذلك أنهم لما ألقوه في الحب نزعوا قيصه ولطخوه بالدم وعرضوه على أبيه ولما  
 شهد الشاهد قال ان كان قيصه قد من قبل ولما أتى بقيصه الى يعقوب وأتى على وجهه  
 ارتد بصيرا ثم ذكر تعالى ان اخوة يوسف لمذاكروا ذلك الكلام واحتجوا على صدقهم  
 بالقميص الملوخ بالدم (قال) يعقوب عليه السلام (بل سولت) أي زينت (لكم أنفسكم أمرا)  
 ففعلتموه به واختلف في السبب الذي عرف به كونهم كاذبين على وجوه الاقول أنه كان يعرف  
 الحد الشديد في قلوبهم الثاني كان عالما بأنه حى لأنه عليه السلام قال ليوسف وكذلك  
 يحنينك ربك وذلك دليل على كذبهم في ذلك القول الثالث أنه لما رأى قيصه صحيفا قال كذبت  
 لوأكله الذئب لمخرق ثوبه وقيل انه لما قال ذلك قال بعضهم بل قتله للصوص فقال كيف قتله  
 وتركوه قيصه وهم الى قيصه أخرج منهم الى قتله فلما اختلفت أقوالهم عرف بسبب ذلك كذبهم  
 وقوله (فصبر جميل) مرفوع بالابتداء لكونه موصوفا وخبره محذوف والتقدير فصبر جميل أولى  
 من الجزع ومنهم من أضر المبتدأ قال الخليل الذي أفعله صبر جميل وقال قطرب معناه فصبري  
 صبر جميل وقال الفراء فهو صبر جميل وعن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن  
 الصبر الجميل فقال صبر لا شكوى فيه فمن يتلمصير كما قال يعقوب انما أشكوا بنى وحزنى الى الله  
 وقال مجاهد فصبر جميل من غير جزع وقال الثوري ان من الصبر ان لا تتحدث بوجهك ولا  
 عصبيتك ولا تتركى نفسك وروى ان يعقوب عليه السلام كان قد سقط حاجباه وكان يرفعهما  
 بخرقة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فأوحى الله تعالى اليه يا يعقوب  
 أتشكوني فقال يارب خطيئة أخطأتها فاغضها لي وروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها  
 في قصة الافك أنها قالت والله لئن حلفت لاتصدقوني ولئن اعتذرت لاتعذروني فغثي ومثلكم  
 كمثل يعقوب وولده والله المستعان على ما تصفون فأنزل الله تعالى في عذرهما ما أنزل  
 وقوله فصبر جميل يدل على أن الصبر على قسرين قد يكون جميلا وقد يكون غير جميل فالصبر  
 الجميل أن يتكفله ان هذا البلاء من الحلق فاستغراقه في شهود نور المبلى ينمعه من الاشتغال  
 بالشكايه من البلاء ولذلك قيل المحبة التامة لاتزداد بالوفاء ولا تنقص بالجفاء لانها لو ازدادت  
 بالوفاء لكان الم محبوب هو النصيب والحظ وموصل النصيب لا يكون محبوبا بالذات بل بالعرض  
 فهذا هو الصبر الجميل وأما الصبر للرضا بقضاء الله تعالى بل كان لسايرا الاعراض فذلك الصبر  
 لا يكون جميلا (فان قيل) الصبر على قضاء الله تعالى واجب وأما الصبر على ظلم الظالمين فغير  
 واجب بل الواجب ازالته لاسيما في الضرر العائد الى الغير فلم صبرية عوب على ذلك ولم يسأل في  
 البحث مع شدة رغبته في حضور يوسف ونهاية حبه له وكان من بيت عظيم شريف وكان الناس  
 يعرفونه ويعتقدون فيه (أجيب) بأنه محتمل أن يكون منع من الطلب بوحى تشديد اللعنة عليه  
 زيادة في أجره أو انه لو بالغ في البحث لربما أقدموا على ايذائه ولم يمكنوه من الطلب والتمنع



فرأى أن الاصوب الصبر والسكوت وتفويض الامر بالكلية الى الله تعالى وقال ( والله  
 المستعان ) أي المطلوب منه العون ( على ما تصفون ) أي تذكرون من أمر يوسف والمعنى أن  
 اقدامه على الصبر لا يكون الا بعونه الله تعالى لان الدواعي النفسانية تدعوه الى اظهار الخزع  
 وهي قوية والدواعي الروحانية تدعوه الى الصبر فكان المحاربة وقعت بين الصنفين فالحاصل  
 اعانة الله تعالى لم تحصل الغلبة فقوله فصبر جميل يحرى محرى قوله اياك نعبد وقوله والله المستعان  
 على ما تصفون يحرى محرى قوله واياك نستعين \* ولما أراد الله تعالى خلاص يوسف من الحب بين  
 سببه بقوله تعالى ( وجاءت سياره ) وهم القوم المسافرون \* وما بذلك لانهم يسيرون في الارض  
 وكانوا رفقة من مدين يريدون مصر فأخطوا الطريق فأنطلقوا بهمون على غير طريق  
 فهبطوا على أرض فيها جب يوسف وكان الحب في قفرة بعيدة عن العمران أي لم يكن  
 الا لرعاة روى أن مائه كان ملحا فعذب حين ألقى يوسف فيه فلما نزلوا أرسلوا رجلا يقال له  
 مالك بن ذعر اطلب الماء فذلك قوله تعالى ( فأرسلوا واردهم ) أي الذي يريد الماء ليستقي منه  
 والوارد هو الذي يتقدم الرفقة الى الماء فيهي الارضية والدلاء ( فأدلى ) أي أرسل ( دلوه ) في  
 البئر يقال أدليت الدلو اذا أرسلتها في البئر ودلوتهما اذا أخرجتها والدلو معروف والجمع الدلاء  
 فلما أرسلها تعاقب الجبل يوسف عليه السلام فلما خرج فاذا هو بغيلام أحسن ما يكون قال  
 صلى الله عليه وسلم أعطى يوسف شطرا الحسن ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت  
 جدته قد أعطت سدس الحسن قال ابن اسحق ذهب يوسف وأمه بثمن الحسن وحكى الثعلبي  
 عن كعب الاحبار قال كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوي الخلق  
 أبيض اللون غليظ الساعدين والعضدين والساقين خيمص البطن صغير السررة وكان  
 اذا تبسم رأيت النور من ضواحه واذا تكلم رأيت شعاع النور من ثناياه لا يستطيع أحد  
 وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله وصوره  
 قبل أن يصب الخطيئة فلما رآه مالك بن ذعر ( قال يا بشرى هذا غلام ) نادى البشرى بشاره  
 لنفسه كأنه قال تعالى فهذا أو انك وعن الاعمش أنه قال دعا امرأة اسمها بشرى فقال يا بشرى  
 وعن السدي أن المدلى نادى صاحبه وكان اسمه بشرى فقال يا بشرى كما قرأه حمزة وعاصم  
 والكسائي فانهم قرؤا بحذف الياء بعد الالف والباقون بانيات الياء وقيل ذهب به فلما دنا من  
 أصحابه صاح بذلك وروى أن جدران البئر كانت تبكي على يوسف حين أخرج منها واختلف  
 في ضمير ( وأسروه بضاعة ) الى من يعود وفيه قرآن الاول أنه عائد الى الوارد وأصحابه  
 أخفوا من الرفقة أنهم وجدوه بالحب وذلك أنهم قالوا ان قلنا للسيارة التقطناه شاركونا وان  
 قلنا اشتريناهما أولونا الشركة فالاصوب أن نقول ان أهلالنا جعلوه بضاعة عندنا على أن نبيعه  
 لهم بمصر والثاني ونقل عن ابن عباس أنه قال وأسروه يعني اخوة يوسف أسروا شأنه وذلك  
 أن يهودا كان يأتيه بالطعام كل يوم فلم يجده في البئر فأخبر اخوته فطلبوه فاذا هم بمالك بن ذعر  
 وأصحابه نزل فأتوهم فاذا هم بيوسف فقالوا هذا عبدنا أبق منا وتابعهم يوسف على ذلك

لانهم فوعده بالقتل بلسان العبرانية قال الرازي والاولى لان قوله وأسرته بضاعة يدل  
 على أن المراد أنهم أسروه حال ما حكموا بأنه بضاعة وذلك انما يليق بالوارد لا باخوة يوسف  
 (تنبيه) • البضاعة القطعة من المال تجعل للتجارة من بضعت الشيء اذا قطعت قال الزجاج  
 وبضاعة منصوب على الحال كانه قال وأسروه حال ما جعلوا بضاعة ولما جعل تعالى هذا البلاء  
 سببا لوصوله الى مصر ثم صارت وقائعه الى أن صار ملكا بمصر وحصل ذلك الذي رآه في النوم  
 فكان العمل الذي عمله الاعداء في دفعه عن ذلك المطلوب صغيره الله تعالى سببا لوصول ذلك  
 المطلوب فلهذا المعنى قال تعالى (والله عليم) أي بالغ العلم (بما يعلمون) أي لم يخف عليه ما فعلوه  
 بيوسف وأبيهم (وشروه) أي باعوه اذ قد يطلق لفظ الشراء على البيع يقال شريت الشيء بمعنى  
 بعته وانما حمل هذا الشراء على البيع لان الضمير في شروه وفي كانوا فيه من الزاهدين يرجع  
 الى شيء واحد وذلك ان اخوته زهدوا فيه فباعوه وقيل ان الضمير يعود الى مالك بن ذعر  
 وأصحابه وعلى هذا يكون لفظ الشراء على يابه وقال محمد بن اسحق ريبك أعلم اخوته باعوه  
 أم السبارة واختلفوا في معنى قوله تعالى (بئس نجس) فقال الضحاك أي حرام لان ثمن الحر  
 حرام وتسمى الحرام نجسا لانه نجوس البركة وقال ابن مسعود أي زئوف وقال عكرمة أي  
 بئس قليل ويدل لهذا قوله تعالى (دراهم معدودة) لانهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان  
 أقل من أربعين درهما انما كانوا يأخذون ما دونها عدافاذا بلغت اربعين أو قيمة وزونها واختلفوا  
 في عدد تلك الدراهم فقال ابن عباس كانت عشرين درهما فاقسموها درهماين درهمين وعلى  
 هذا لم يأخذ أخوه بنيامين شقيقه منها شيئا وقال مجاهد كانت اثنين وعشرين درهما وقال  
 عكرمة أربعين درهما (وكانوا) أي اخوته (فيه) أي يوسف (من الزاهدين) لانهم لم يعلموا منزلته  
 عند الله تعالى ومعنى الزهد قلعه الرغبة يقال زهد فلان في كذا اذا لم يرغب فيه وأصله القلة  
 يقال رجل زهيد اذا كان قليل الطمع وقيل كانوا في الثمن من الزاهدين لانهم لم يكن قصدهم  
 تحصيل الثمن وانما كان قصدهم تبعيد يوسف عن أبيه وقيل الضمير في كانوا للسبارة لانهم  
 التقطوه والمثقف للشيء متاونا وبه خائف من انتزاعه مستجمل في بيعه لاجرم باعوه بأوكس  
 الاثمان روى في الاخبار أن مالك بن ذعر انطلق هو وأصحابه بيوسف وتبعهم اخوته يقولون  
 استوثقوا منه لانه آبق فذهبوا به حتى أتوا مصر وعرضه مالك على البيع فاشتراه قطيفير  
 أو اطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من  
 العمالقبة وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف فلك بعده قابوس بن مصعب فدعا يوسف  
 الى الاسلام فأبى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة  
 واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآناه الله تعالى العلم والحكمة وهو ابن ثلاث  
 وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في أيامه فرعون موسى عاش  
 أربع مائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى  
 من أولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين ديناراً وزوجي نعل وثوبين أبيضين

وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر فدخلوا به السوق يعرضونه للبيع  
 فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه ووزنه ذهباً ووزنه فضة ووزنه مسكاً وحريراً وكان وزنه  
 أربع مائة رطل وكان عمره حينئذ سبع عشرة سنة وقيل ثلاث عشرة سنة فابتاعه قطيفر  
 من مالك بهذا الثمن فذلك قوله تعالى (وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته) واسمه زليخا  
 وقيل راعيل (أكرمى منواه) قال الرازي اعلم ان شيئاً من هذه الروايات لم يدل عليه القرآن  
 ولم يثبت أيضاً في خبر صحيح وتفسير كتاب الله تعالى لا يتوقف على شيء من هذه الروايات فاللائق  
 بالعاقل أن يحترز من ذكرها انتهى ولكن البغوي ذكرها وتبعه على ذلك جماعة من المفسرين  
 واللام في أمر أنه متعلقة بقال لا باشتراه والمثوى موضع الإقامة أي اجعل لي منزله ومقامه  
 عندنا كريماً أي حسناً مرضياً بدليل قول يوسف انه ربي أحسن منواي والمراد تفقديه  
 بالاحسان وتعهديه بحسن الملكية حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ما كنا كنه في كنفنا قال  
 المحققون أمر العزيز أمرته باكرام مشواه دون اكرام نفسه يدل على أنه كان ينظر اليه على  
 سبيل الاجلال والتعظيم وهو كما يقال سلام الله على المجلس العالي \* ولما أمر باكرام مشواه  
 على ذلك بأن قال (عسى أن يتفعنا) أي يقوم باصلاح مهماتنا ونيبنا بالربح ان أردنا بيعه  
 (أو نتخذ ولدًا) أي تبناه وكان حضور اليس له ولد قال ابن مسعود أقرص الناس ثلاثة العزيز في  
 يوسف حيث قال لامرأته أكرمى منواه عسى أن يتفعنا وابنة شعيب حين قالت لا يهاني موسى  
 استأجره وأبو بكر في عمر حيث استخلفه (وكذلك) أي وكما فحينئذ من القتل والحب وعطفنا  
 عليه قلب العزيز (مكاليوسف في الارض) أي أرض مصر قال البقاعي التي هي كالارض  
 كلها لكثرة منافعها بالملك فيها التمكنه من الحكم بالعدل والنبوة وقوله تعالى (ولنعلمه من  
 تأويل الاحاديث) أي تعبيرا للرؤيا عطف على مقدمته علق بمكنا أي لئلا يظن أنه أو لا وزائدة  
 (والله غالب على أمره) أي الأمر الذي يريد له لأنه تعالى فعال لما يريد ولا دافع لقضائه ولا مانع  
 عن حكمه في أرضه وسمائه وأعلى أمر يوسف أراد اخوته قتله فغلب أمره عليهم وأرادوا أن  
 يلتقطه بعض السيارة ليندرس اسمه فغلب أمره وظهور اسمه واشتهر ثم باعوه ليكون مملوكا  
 فغلب الله أمره حتى صار مملوكا وسجدوا بين يديه ثم أرادوا أن يضربوا آباءهم ويطيئوا قلبه  
 حتى يحلوا لهم وجهه فغلب أمره تعالى فأظهره على مكرهم واحتالت عليه امرأة العزيز  
 لتخدعه عن نفسه فغلب أمره تعالى فعصمه حتى لم يمت بسوء بل هرب منه غاية الهرب ثم بذات  
 جهدها في اذلاله والقائه التهمة عليه فأبى الله تعالى الاعزازة وبرائه ثم أراد يوسف عليه  
 السلام ذكر السابق له فغلب أمره تعالى فأنساه ذكره حتى مضى الاجل الذي ضرب به الله تعالى  
 له وكم من أمر كان في هذه القصة وفي غيرها يرشد إلى أنه لا أمر غيره (ولكن أكثر الناس)  
 وهم الكفار (لا يعلمون) أن الأمر كله بيد الله تعالى أو أن أكثر الناس لا يعلمون ما هو صانع  
 يوسف وما يريد منه فمن تأمل في الدنيا وبجائبات أحوالها عرف وتيقن ان الأمر كله لله وان قضاء  
 الله تعالى غالب \* ولما بين تعالى أن اخوته أساءوا إليه وصر على تلك الشدائد والحزن ومكنه

في الارض اتبع الامر بتمام النعمة عليه بقوله تعالى (ولما بلغ أشده) أي منتهى شبابه وقوته  
وشدته تقول العرب بلغ فلان أشده إذا انتهى منتهاه في شبابه وقوته وهذا اللفظ مستعمل  
في الواحد والجمع يقال بلغ فلان أشده وبلغوا أشدهم وهو ثلاث وثلاثون سنة وقال السدي بلغ  
ثلاثين سنة وقال الضحاك عشرين سنة وقال الكلبي الأشد ما بين ثمانية عشر إلى ثلاثين وقيل  
اقصاه اثنان وستون سنة قال الأطباء ان الانسان يحدث في أول الامر ويتزايد كل يوم شيئاً فشيئاً  
إلى أن ينتهي إلى غاية الكمال ثم يأخذ في التراجع إلى أن ينتهي إلى العدم والهاق كالقمر (آبناه  
حكياً) أي حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل أو حكمايين الناس (وعلماً) أي علم تأويل الاحاديث وقيل  
المراد بالحكم النبوة والرسالة وتقدم ان قوله تعالى وأوحينا أنه وحى حقيقة قال الرازي فلا  
يعد أن يقال ان ذلك الوحي اليه في ذلك الوقت لا اجل بعثته إلى الخلق بل لاجل تقوية قلبه  
وإزالة الحزن عن صدره ولاجل أن يستأنس بحضور جبريل عليه السلام (وكذلك) أي ومثل  
ذلك الجزاء الذي جزيناه به (تجزى المحسنين) قال ابن عباس يعني المؤمنين وعنه أيضاً يعنى  
المهتدين وقال الضحاك يعنى الصابرين على النوائب كما صبر يوسف عليه السلام وعن الحسن  
من أحسن عبادة ربه في شبابه آتاه الله الحكمة في اكتماله \* ولما أخبر تعالى أن سبب النعمة  
عليه احسانه اتبعه دليله فقال تعالى (وراودته التي هو في بيتها) أي امرأة العزيز راودت يوسف  
(عن نفسه) لانهم المارآته في غاية الحسن والجمال طمعت فيه ويقال ان زوجها كان عاجزا  
والمرأودة مفاعلة من راودا إذا جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه أي فعلت ما يفعل  
المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرج منه من يده يحتمل أن يغلبه عليه ويأخذه منه وهو  
عبارة عن التعجل لمواقعة اياها (وغلقت الابواب) أي أطبقتها وكانت سبعة والتشديد للتكثير  
أو لتبالمغة في الايثاق لان مثل هذا الفعل لا يكون الا في ستر وخفية لاسيما اذا كان حراما ومع  
قيام الخوف الشديد (وقالت) له (هيت) أي تهبأت وتصنعت (لك) خاصة فاقبل الى وامتثل  
أمرى قال الواحدى هيت لك اسم للفعل فحور ويدوصه ومه ومعناه هلم في قول جميع أهل اللغة  
وقرأ نافع وابن عامر بكسر الهاء والباقون بالفتح وقرأ هشام بفتح الهاء بهمزة ساكنة والباقون  
بهاء ساكنة وقرأ ابن كثير بضم التاء وفتحها والباقون بالفتح (قال) لها يوسف عليه السلام (معاذ  
الله) أي أعوذ بالله واعتصم به وألجأ اليه مما تدعيني اليه (انه) أي الذي اشتراىني (ربي) أي  
سدي (أحسن مثواى) أي أكرم منزلى فلا أخونه في أهله وقيل انه أي الله ربي أحسن مثواى  
أي آوانى ومن بلاء الجلب أئجاني (انه لا يفعل الظالمون) أي ان فعلت هذه الفعلة فأنا ظالم ولا يفعل  
الظالمون (واقدمت به وهم بها) أي قصدت مخالطته وقصدت مخالطتها والهم بالشئ قصده  
والعزم عليه ومنه الهام وهو الذى اذا هم بشئ امضاه والمراد به منه ميل الطبع ومنازعة  
الشهوة لا القصد الاختيارى وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمذح والاجر  
الجزيل من الله تعالى من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم ولهذا قال بعض أهل  
الحقائق الهم قسمان هم ثابت وهو اذا كان معه عزم وعقد ورضامثل هم امرأة العزيز

قال العبد

فالعبد مأخوذ به وهم عارض وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم  
 يوسف عليه السلام والعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل كما روى عن أبي هريرة رضي الله  
 تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل إذا تحدثت عبدي بأن يعمل حسنة فأنا  
 أكتبها حسنة ما لم يعملها فإذا عملها فأنا أكتبها له بعشرة أمثالها وإذا تحدثت بأن يعمل سيئة  
 فأنا أغفرها له ما لم يعملها فإذا عملها فأنا أكتبها له بعشرة أمثالها قال في الكشف ويجوز أن يريد بقوله  
 وهم بها شارف أن بهم بها كما يقول الرجل قتلته لولم أخف الله يريد مشاركة القتل ومشافهته  
 كأنه شرع فيه (لولا أن رأى) أي بعين قلبه (برهان ربه) أي الذي آتاه آياته من الحكم والعلم  
 أي لهم بها لكنه كان البرهان حاضر لديه حضور من يراه بالعين فلم بهم أصل ما مع كونه في غاية  
 الاستعداد لذلك لما آتاه الله تعالى من القوة مع كونه في سن الشباب فلولا المراقبة لهم بالتوفيق  
 الداعي غير أن نور الشهود ومحاسنها أصلا وهذا التقدير هو اللائق بمثل مقامه عليه السلام مع أنه  
 الذي تدل عليه أساليب هذه الآيات من جعله من المخلصين والمحسنين المصروف عنهم السوء  
 وإن السجن أحب إليه من ذلك مع قيام القاطع على كذب ما تضمنه قولها ما جزاء من أراد  
 بأهلك سواء الآية من مطلق الإرادة ومع ما يتهم من تقدير ما ذكر بعد لولا في خصوص هذا  
 التركيب من أساليب كلام العرب فإنه يجب أن يكون المقدر بعد كل شرط من معنى ما دل عليه  
 ما قبله وهذا مثل قوله تعالى إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها أي لا بدت به وأما ما ورد  
 عن السلف مما يعارض ذلك من تفسيرهم بها بأن حل الهميان وجلس بها مجلس الجامع وبأنه  
 حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الرابع وهي مستلقية على قفاها ومن تفسير البرهان بأنه سمع  
 صوتا يالك وياها فلم يكثر له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمعه ثالثا عرض عنها فلم ينجع فيه حتى  
 مثل له يعقوب عاضا على أغلته وقيل ضرب بيده على صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل كل  
 ولدي يعقوب ولده اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولده أحد عشر ولدا من أجل ما نقص من شهوته  
 حين هم وقيل صح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنا قعد لا ريش له وقيل بدت  
 ككف فيما بينه ما ليس لها عضة ولا معصم مكتوب فيها وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين  
 فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقر بو الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا  
 يوم ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله تعالى بل جبريل عليه السلام أدرك عبدي قبل أن  
 يدرك الخطيئة فأخط جبريل وهو يقول يا يوسف أتعامل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان  
 الانبياء وقيل رأى عثمان العزير وقيل قامت المرأة الى صنم كان هناك فسترته وقالت أستحي أن  
 يرانا فقال يوسف استحييت مما لا يسمع ولا يبصر ولا أستحي من السميع العليم بذات الصدور فلم  
 ينصح منه شيء عن أحد منهم مع أن هذه الأقوال التي وردت عنهم إذا جمعت تناقضت وتكاذبت  
 قال الزمخشري وهذا ونحوه ممن يورده أهل الجبر والحشو الذين دينهم بهت الله وأنبيائه  
 فأخزي الله أو لئلا في إرادهم ما يؤدى الى أن يكون انزال الله السورة التي هي أحسن القصص  
 في القرآن العربي المبين ليقتدى بنبي من أنبياء الله تعالى فيما ذكره وأهل العدل والتوحيد

ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل وأطال في رد ذلك وكذا فعل الرازي وقيل وهم  
 بها أي بزجرها ووعظها وقيل هم بها أي غمه امتناعه منها وقيل هم بها أي نظر إليها وقيل هم  
 بضربها ودفعها وقيل هذا كله قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يبن إلى يوسف عليه  
 السلام ميل شهوة حتى نبأه الله تعالى فألقى عليه هيبه النبوة فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه  
 (كذلك) أي مثل ذلك التثبيت ثبتته في كل أمر (لنصرف عنه السوء) أي الهمم بالزنا وغيره  
 (والفحشاء) أي الزنا وغيره وقيل السوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بالشهوة والتعشاء  
 هي الزنا فكانت قبل لم فعل به هذا قبل انه (من عبادنا) أي الذين عظمناهم (المخلصين) أي في  
 عبادتنا الذين هم خير صرف لا يخاطبهم غش وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام  
 بعد الخاء والباقون بالفتح قال الرازي فوروده باسم الفاعل دل على كونه آتيا بالطاعات  
 والقربات مع صفة الاخلاص ووروده باسم المفعول يدل على أن الله تعالى استخلصه واصطفاه  
 لحضرتة وعلى كلا اللفظين فانه من أدل اللفاظ على كونه منزها عما أضافوه اليه وهذا مع قول  
 ايليس لا غوية لهم أجمعين الاعباد لك منهم المخلصين شهادة من ايليس أن يوسف عليه السلام بري  
 من الهمم فنسبه إلى الهمم ان كانوا من أتباع دين الله فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته وان  
 كانوا من أتباع ايليس وجنوده فليقبلوا شهادة ايليس على طهارته قال ولعلهم يقولون كافي  
 أقول الامر تامدة ايليس الا أنا زدنا ونجرتنا عليه في السفاهة كما قال الجزوري

وكننت فتى من جندي ايليس فارتي \* بي الامر حتى صار ايليس من جندي

فلومات قبلي كنت أحسن بعده \* طرائق فسق ليس يحسنها بعدى

ثم ذكر سبحانه وتعالى مبالغة في الامتناع بالجدي في الهرب دليل على اخلاصه وأنه لم يهم أصلا  
 فقال (واستبقا الباب) أي أوجد المسابقة بغاية الرغبة من كل منهما هذا للهرب منها وهذه لمنعه  
 فكل منهما بذل أقصى جهده في السبق فلحقته عند الباب الاقصى مع أنه قد كان سبقها بقوة  
 الرجولية وقوة الداعية إلى القرار إلى الله تعالى ولكن عاقبه اتقان المكر بكون الابواب كانت  
 مغلقة فكان يشغل بفتحها فتعلقت بأدنى ما وصلت اليه من قبضه وهو ما كان من ورائه  
 خوف فواته فاشتد تعلقها به مع اعراضه هو عنها وهربه منها فقصه فأراد الخروج فنعته (و) لم  
 تزل تنازعه حتى (قدت) أي شقت (قبضه) وكان القصد (من دبر) أي الناحية من الخلف منه  
 وانقطعت منه قطعة فبقيت في يدها (والقبض) أي وجد (سيدها) أي زوجها قظير وهو العزيز  
 تقول المرأة لبعها سيدي ولم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيده على الحقيقة  
 (لدى) أي عند (الباب) جالس مع ابن عم المرأة (فان قيل) كيف وجد الباب وقد جمعه في قوله  
 وغلقت الابواب (أجيب) بانه أراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص من العار  
 فقد روى كعب الاحبار ان يوسف لما هرب جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من  
 الابواب فلما رأته المرأة ابن عمها هائسه وخافت التهمة فسابت يوسف بالقول (قالت)  
 لزوجها (ما جزاء من أراد باهلك سوا) أي فاحشة زنا وغيره ثم خافت عليه أن يقتل وذلك لشدة

حبها له فقالت (الآن يسجن) أي يحبس في السجن ويمنع التصرف (أو عذاب اليم) أي مؤلم بأن يضرب بالسياط ونحوها وانما بدأت بالسجن قبل العذاب لان المحب لا يشتهي ايلام المحبوب وانما أرادت أن يسجن عندها يوما أو يومين ولم ترد السجن الطويل فانه لا يعبر عنه به هذه العبارة بل يقال يجب أن يجعل من المسجونين ألا ترى أن فرعون هكذا قال في حق موسى عليه السلام في قوله لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين فلما سمع يوسف عليه السلام مقالها (قال) ميرثا نفسه (هي) بضمير الغيبة لاستحيائه بمواجهتها بإشارة أو ضمير خطاب (راودتني عن نفسي) أي طلبت مني الفاحشة فأبيت وقررت منها وذلك أن يوسف عليه السلام ما كان يريد أن يذكر ذلك القول ولا يهتك سترها ولا يكتلم ما قالت هي ما قالت ولطغت عرضه احتاج الى ازالة هذه التهمة عن نفسه وصدقه لعمرى فيما قال لا يحتاج الى بيان أكثر من الحال الذي كان فيه وهو أنم ما عند الباب ولو كان الطلب منه لما كان الا في محلها الذي تجلس فيه وهو صدر البيت وأشرف موضع فيه وأيضا هو عبد لهم والعبد لا يمكنه أن يتسلط على مولاه الى هذا الحال وأيضا أن المرأة زينت نفسها على أكل الوجوه وأما يوسف فما كان عليه أثر من آثار تزين النفس فكان الحاق هذه الفتنه بالمرأة أولى ثم انه تعالى أظهر ليوسف عليه السلام دليلا آخر يقوى تلك الدلائل المذكورة ويدل على أنه برى من الريب وان المرأة هي المذنبه وهو قوله تعالى (وشهد شاهد من أهلها) أي وحكم حاكم من أهل المرأة واختافوا في هذا الشاهد فقال سعيد بن جبير والضحاك كان صيبا في المهدي أنطقه الله تعالى كرامة ليوسف عليه السلام وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال تكلم في المهدي أربعة وهم صفار شاهد يوسف وابن ماشطة بنت فرعون وعيسى بن مريم وصاحب جريج الراهب ورواه الامام أحمد وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهدي الا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج وصبي كان يرضع أمه فترأكب حسن الهيئة فقالت أمه اللهم اجعل ابني مثل هذا فقال الصبي اللهم لا تجعلني مثله وبهذا الاعتبار صاروا خمسة وزاد الثعلبي سادسا وهو يحيى بن زكريا عليهم السلام وزاد غيره على ذلك ولعل الحصر فيما ذكر في الحديث كان قبل العلم بالزيادة فلا تناقض وأوصلهم السيوطي الى أحد عشر ونظمهم فقال

تكلم في المهدي النبي محمد \* ويحيى وعيسى والخليل ومريم  
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف \* وطفل لدى الأخدود يرويه مسلم  
وطفل عليه مر بالامة التي \* يقال لها ترني ولا تتكلم  
وماشطة في عهد فرعون طفلها \* وفي زمن الهادي المبارك يختم

وقالت طائفة عظيمة من المنسرين انها كان لها ابن عم وكان رجلا حكيما واتفق في ذلك الوقت أنه كان مع الملك يريد أن يدخل عليها فقال قد سمعنا الجليلة من وراء الباب وشق القميص الأنا لاندري أيكما قدام صاحبه ولكن (ان كان قميصه قدمن قبل) أي من قدام (فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قدمن دبر) أي من خلف (فكذبت وهو من الصادقين) لانه لولا ادباره

منها واقبالها عليه لما وقع ذلك فعرف سيدنا صفة ذلك بلا شبهة كما قال تعالى (فلم أرى) أي  
 سداها (قصه) أي يوسف عليه السلام (قد من دبر قال) لها زوجها قطمير وقد قطع بصدقه  
 وكذبها مؤكدا لاجل انكارها (انه) أي هذا القذف (من كيد كثر) معشر النساء  
 والكيد طلب الانسان بما يكره (ان كيد كثر عظيم) والعظيم ما ينقص مقدر غيره عنه حسا  
 أو معنى (فان قيل) كيف وصف كيد النساء بالعظيم مع قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا  
 وهلا كان مكر الرجال أقوى من مكر النساء (أجيب) بأن الانسان ضعيف بالنسبة لخلق  
 ما هو أعظم منه كخلق السموات والارض وبأن كيدهن أدق من كيد الرجال والطف وأخفى  
 لأن الشيطان عليهن لنقصهن أقدر ومكرهن في هذا الباب أعظم من كيد جميع البشر  
 لأنهن من المكر والحيل والكيد في اتمام مرادهن ما لا يقدر عليه الرجال في هذا الباب  
 ولأن كيدهن في هذا الباب يورث العار والايورثه كيد الرجال ولما ظهر للقوم براة يوسف  
 من ذلك الفعل المنكر حكى تعالى أنه قال (يوسف) أي يا يوسف (اعرض) أي انصرف بكليتك  
 مجاوزا (عن هذا) الحديث فلا تذكره لاحد حتى لا يشيع وينشر بين الناس ثم التفت الى المرأة  
 وقال لها (واستغصري لذنبك) أي توبي الى الله تعالى بما رميتي يوسف به من الخطيئة وهو برىء  
 منها (انك كنت من الخاطئين) أي الاتمين قال أبو بكر الاصم ان ذلك الزوج كان قليل الغيرة  
 فاكتفى منها بالاستغفار وقيل ان القاتل المذكور هو الشاهد (فان قيل) كيف قال من الخاطئين  
 بلقظ التذكير (أجيب) بأنه قال ذلك تغليباً للذكور على الاناث أو أن المراد انك من نسل  
 الخاطئين فمن ذلك النسل سرى ذلك العرق الخبيث فيك ثم شاع الخبر واشتهر (وقال نسوة)  
 أي وقال جماعة من النساء وكن حسا امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب  
 وامرأة صاحب السجين وامرأة الحاجب والنسوة اسم مقرد لجمع المرأة وتأتي منه غير حقيقي  
 ولذلك لم يلحق فعله تاء التانيث وقوله (في المدينة) أي مدينة مصر ظرف أي أشعن الحكاية في  
 مصر او صفة نسوة وقيل مدينة عين شمس (امرأت العزيز) وانما أضفتها الى زوجها ارادة  
 لاشاعة الخبر لان النفس الى سماع أخبارا ولى الاخطار أميل ويرد نطقه والعزيز الملك  
 بلسان العرب ورسم امرأة بالتاء المجرورة ووقف عليها ابن كثير وأبو عمرو والكسافي بالهاء  
 والباقون بالتاء وأما الوصل فهو بالتاء للجميع (تراودفتها) أي عبدها الكنعاني يقال فتاى  
 وفتاى أي عبدي وجاري (عن نفسه) أي تطلب منه الفاحشة وهو يمنع منها (قد شغفها حبا)  
 أي شق شغاف قلبها وهو حجابها حتى وصل الى فؤادها وحب انصب على التمييز وقيل جلدة رقيقة  
 يقال لها لسان القلب قال النابغة

وقد حالهم دون ذلك والحب \* مكان انشغاف بتبغيه الاصابع

وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار دال قد عند الشين والباقون بالادغام (انا  
 اترأها) أي نعلم أمرها علمها وكلرؤية (في ضلال) أي خطأ (مبين) أي بين ظاهر حيث تركت  
 ما يجب على أمثالها من العفاف والستر بسبب حبها لياه (فلم اسمعت) زليخا (بمكرهن) أي قولهن



وانما سمي ذلك مكررا لوجوه الاقل ان النسوة انما ذكر ذلك الكلام استدعاء لرؤية يوسف عليه السلام والنظر الى وجهه لانهم عرفن انهن اذا قلن ذلك عرضت يوسف عليهن ليتهد عذرهما عندهن الثاني ان زليخا اسرت اليهن جها ليوسف عليه السلام وطلبت منهن كتمان هذا السر فلما اظهرن السر كان ذلك مكررا الثالث انهن وقعن في غيبتها والغيبة انما ذكر على سبيل الخفية فاشبهت المنكر (ارسلت اليهن) تدعوهن لتقيم عذرهما عندهن قال وهب اتخذت مأدبة ودعت أربعين امرأة من أشرف مدينتها فيهن الخمس (واعتمدت) أي أعددت (لهن متكا) أي طعاما يقطع بالسكين وهو الاترج وانما سمي الطعام متكا لأنه يتكا عندة قال جليل قطلنا بنعمة واتكنا \* وشربنا الخلال من قلله

والمتكا ما يتكا عليه عند الطعام والشراب والحديث لانهم كانوا يتكثون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك جاء النهي عنه في الحديث أن يأكل الرجل متكا وقال صلى الله عليه وسلم لا آكل متكا وقيل انها زينت البيت بالوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسائد ودعت النسوة الاثني عشرنما يجب يوسف عليه السلام (واتت) أي أعطت (كل واحدة منهن سكيناً) أي اتا كل بهن وكانت عادتتهن أن يأكل اللحم والنواكه بالسكين (وقالت) زليخا ليوسف عليه السلام (اخرج عليهن) أي النسوة وكان يخاف من مخالفتها فخرج عليهن يوسف وكانت قد زينت به واختبأته في مكان وقرأ أبو عمرو وعاصم وحجزة والكسائي بكسر التاء في الوصل والباقون بالضم وأما الابتداء فجميع القراء يتدوون الهمزة بالضم (فلما رأينه) أي النسوة (أكبرته) أي أعظمته ودهشن عند رؤيته اتفق الاكثرون على انهن انما أكبرته بحبتهن الجمال الفائق والحسن الكامل وكان يوسف قد أعطى شطرا الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال رأيت يوسف ليلة أسرى بي الى السماء كالقمر ليلة البدر ذكره البغوي بغير سند وقال ابن اسحق كان يوسف اذا سار في أزقة مصر يتلأل وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها ويقال انه ورث الحسن آدم عليه السلام يوم خلقه الله تعالى قبل أن يخرج من الجنة وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرته يعني حزن والهامل للسكر يقال أكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحوض تخرج من حد السغر الى حد الكبر وكان أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله

خف الله واسترذا الجمال يبرقع \* فان لحث حاضت في الحدود والعواتق

وقيل أمين قال الكمي

ولمواته الخليل من رأس شاق \* سهلن وأمنين المنى المدفقا

وقال الرازي انما أكبرته لانهم رأين عليه نور النبوة وسما الرسالة وانما انضوع والاختبات وشاهدت فيه شهادة الهيبة وهيبة ملكية وهي عدم الالتفات الى المطعوم والمتكوح وعدم الاعتماد عليهن وكان الجمال العظيم مقرنا بتلك الهيبة فوقع الرعب والمهابة منه في قلوبهن

(وقطن أيديهن) أي جرحنها بالسكاكين التي معها. وهن يحسبن أنهم يقطعن الاترج ولم  
يبدن الألم من فرط الدهشة. يوسف وقال وهب مات جماعة منهن (وقلن حاش لله) أي تزيها له  
الرسم بغير ألف بعد الشين وقرأ أبو عمرو في الوصل دون الوقف بألف بعد الشين والباقون بغير  
الف وقرأ ووصلا (ما هذا) أي يوسف عليه السلام (بشرا) وأعمال ما عمل ليس هي اللغة القدي  
الجزازية وبدل عليها هذه الآية وقوله تعالى ما هن أمهاتهم (ان) أي ما (هذا الاملك كريم)  
أي على الله لما حواه من الحسن الذي لا يكون عادة في النعمة البشرية فان الجمع بين الجمال  
الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة (قالت) أي زليخا للنسوة لما  
راين يوسف ودهشن عند رؤيته (فذلكن) أي فهذا هو (الذي لمتني فيه) أي في محبته قبل أن  
تصورنه حق صورته ولو تصورتنه بما عايتن لعذرتني ثم انما صرحت بما فعلت فقالت (ولقد  
راودنه عن نفسه فاستعصم) أي فامتنع من ذلك الفعل الذي طلبت وانما صرحت بذلك لانها  
علمت انها لا ملامة عليها منهن وانهن قد أصابهن ما أصابه عند رؤيته ثم قالت (وان لم يفعل  
ما أمره) أي وان لم يطاوعني فيما دعوته اليه (ايستجبتن) أي ليعاقبن بالحبس (وليكونا من  
الصاغرين) أي الذليلين المهاتين فقال النسوة ليوسف أطع مولاتك فيما دعمتك اليه فاخترار  
يوسف عليه السلام السجن على ما دعت اليه فلذلك (قال رب السجن أحب الي مما يدعونني  
اليه) وان كان هذا مما تشبهه النفس وذلك مما تكرهه نظرا الى العاقبة فان الاول فيه المزم  
في الدنيا والعقاب في الآخرة والثاني فيه المدح في الدنيا والثواب الدائم في الآخرة (فان قيل)  
ان الدعاء كان منها فلم أضافه اليهن جميعا (أجيب) بأنهن خوفنه من مخالفتها وزين له مطاوعتها  
وقيل انهن دعونه الى أنفسهن قال بعض العلماء لو لم يقل السجن أحب الي لم يتسل بالسجن  
والاولى بالعباد أن يسأل الله تعالى العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان  
يسأل الله الصبر بقوله له سألت الله بالبلاء فاسأله العافية رواء الترهذي (والا) أي وان لم (تصرف  
عني كيدهن) أي فيما أردن مني بالتثبيت على العصمة (أصب) أي أمل (اليهن) يقال صبا فلان  
الى كذا اذا مال اليه واشتاقه (وأكن) أي أصر (من الجاهلين) أي من السفهاء بارتكاب  
ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح وفي ذلك دليل على أن من ارتكب ذنبا انما يرتكبه  
عن جهالة والقصد بذلك الدعاء ولذلك قال تعالى (فاستجاب له ربه) أي فأجاب الله تعالى دعاءه  
الذي تضمنه هذا التناء لان الكرم يغنيه التلويح عن التصريح كما قيل

إذا أتى عليك المره يوما • كفاك من تعرضه التناء

(فصرف عنه كيدهن) أي فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة  
المتضمنة للعصيان (انه هو السميع) أي لدعاء المتجئ اليه (العليم) أي للضائر والنيات فيجب  
ما صرح فيه القصد وطاب منه العزم (ثم بدأ) أي ظهر (لهم) أي العزيز وأصحابه (من بعدما رأوا  
الآيات) أي الدالة على براءة يوسف عليه السلام كشهادة الصبي وقد قصص وقطع النساء  
أيديهن واستعصم عنهن (ليستجبتن حق) أي الى (حين) ينقطع فيه كلام الناس وذلك ان

المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد العبراني قد فضخني في الناس يقول لهم اني راودته عن نفسه  
 وانا لا اقدر على اظهار عذري فاما ان تاذن لي فأخرج واعترض ذروا ما ان قصبه كما حبستني  
 فعند ذلك وقع في قلب العزيز ان الاصلح حبه حتى يسقط عن السنة الناس ذكر هذا الحديث  
 وحق نقل القضية فسجنه \* (تنبه) \* في فاعل بدأ أربعة أوجه أحسنها انه ضمير يعود على  
 السجن بفتح السين أي ظهر لهم حبه والثاني ان الفاعل ضمير المصدر المقهوم من الفعل وهو  
 بدأ أي بدل الهم بداء والثالث انه مضمير يدل عليه الـ ياق أي بدل الهم رأى والرابع أنه محذوف  
 وليسجنه قائم مقامه أي بدل الهم السجن فحذف وأقيمت الجملة مقامه وليست الجملة فاعلا لان  
 الجمل لا تكون كذلك وقيل الحبس هنا خمس سنين وقيل سبع سنين وقال مقاتل بن سليمان حبس  
 يوسف اثنتي عشرة سنة وقال الرازي والصحيح ان هذه المقادير غير معلومة وانما القدر المعلوم انه  
 بقى مسجوناً مدة طويلة لقوله تعالى واذكر بعد أمة وعن عكرمة قال قال رجل ذور أي للعزيز  
 متى تركت هذا العبد يعتذر الى الناس ويقص عليهم أمره فتركه في بيته لا يخرج الى الناس  
 فان خرج للناس عذروه وفضخوا أهلك فأمر به فسجن (ودخل معه السجن قتيان) وهما  
 غلامان كانا الوليد بن زوان العمليقي ملك مصر الأكبر أحدهما خباز صاحب طعامه  
 والاخر ساقية صاحب شرابه غضب الملك عليهم ما خبسهما وكان السبب فيه ان جماعة من  
 أشرف مصر أرادوا المكرب الملك واعتبأه وقتله فضمنوا الهذين الغلامين ما لا على أن يسأ الملك  
 في طعامه وشرابه فأجابا الى ذلك ثم ان الساقى ندم ورجع عن ذلك وقبض الخباز الرشوة وسم  
 الطعام فلما حضر الطعام بين يدي الملك قال الساقى لانا كل أيها الملك فان الطعام مسموم فقال  
 الخباز ولا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشرب فشراب فلم يضره وقال للخباز  
 كل من طعامك فأبى فأطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت فأمر بحبسهما وكان يوسف عليه  
 السلام حين دخل السجن قال لاهلاني أعبروا الاحلام فقال أحد القتين لصاحبه هلم فلنخرب  
 هذا العبد العبراني فتراهى له رؤيا قال ابن مسعود وما رأيت أبداً وانما الما ليجر با يوسف وقال قوم  
 بل كانوا رأيا حقيقه فرأهما يوسف وهما مهمومان فسألهما عن شأنهما فذكر أنهما صاحبا الملك  
 حبسهما وقد رأيا رؤيا نجت ما فقال يوسف قصا على ما رأيتما (قال أحدهما) وهو صاحب  
 شراب الملك (اني أرا في أعصر خيرا) (فان قبيل) كيف يعقل عصرا لجر (أجيب) عن ذلك  
 بثلاثة أقوال أحدها أن يكون المعنى أعصر عنب خمر أي العنب الذي يكون عصيره خمر  
 فحذف المضاف الثاني ان العرب تسمى الشيء باسم ما يؤول اليه تقول فلان يطبخ دبا وهو يطبخ  
 عصيرا الثالث قال أبو صالح أزد وعمان يسمون العنب بالخمر فوكت هذه اللفظة الى أهل مكة  
 فنطقوا بها قال الضحاك نزل القرآن بالسنة بجميع العرب وذلك انه قال اني رأيت في المنام كأنني  
 في بستان واذ فيه شجرة فيها ثلاثة أغصان عليها ثلاثة عناقيد من عنب فخنيتها ووسكان كأس  
 الملك يدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه (وقال الآخر اني أحمل فوق رأسي خبزا  
 فأكل الطير منه) وذلك انه قال رأيت في المنام كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز وألوان

الطعام وسباع الطير تنس منه (بنينا) أي أخبرنا (بتأويله) أي بتفسيره (اناراك من المحسنين)  
 أي في علم التفسير لانه متى عبر لم يخطئ كما قال وعلمتني من تأويل الاحاديث وقيل في أمر الدين  
 لانه كان شديداً المواظبة على الطاعات من الصوم والصلاة فانه كان يصوم النهار ويقوم الليل كله  
 ومن كان كذلك فانه يوثق بما يقوله في تعبير الرؤيا وفي سائر الامور وقيل في حق الشركاء  
 والاصحاب لانه كان يعود مرضاهم ويؤثر حزينهم واذا ضاق على أحدهم وسع عليه واذا  
 احتاج أحدهم جمع له شياً قيل انه لما دخل السجن وجد قوماً اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم  
 وطال حزنهم فجعل يسكنهم ويقول اصبروا وابشروا وتوحيروا فبقولون بارك الله فيك يا فتى  
 ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك فمن أنت يا فتى قال أنا يوسف  
 ابن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن والله يا فتى  
 لو استطعت نخلت سبيلك ولكن ما أحسن جوارك فكن في أي بيوت السجن شئت وروى  
 أن الغنمين لما رأيا يوسف قالوا لقد أحببناك حين رأيناك فقال لهم ايووسف أنشدكما الله أن لا تحببنا  
 فوالله ما أحببني أحد قط الا دخل على من حبه بلاء لقد أحبتني عمتي فدخل على بلاء ثم أحببني  
 أي فألقيت في الحب وأحببتني امرأة العزيز فحببت فلما قصا عليه الرؤيا كره يوسف أن يعسر  
 لهما ما سألما عما علم في ذلك من المكروه على أحدهما (قال) معرض عن سؤالهما أخذ في غيره  
 من اظهار المهجزة في الدعاء الى التوحيد (لا يا تيكا طعام ترزقانه) أي في منامكما (الانباتكما  
 بتأويله) أي في اليقظة (قبل أن يأتكما) تأويله وقيل أراد به في اليقظة يقول لا يأتكما طعام  
 ترزقانه من منازلكما تطعمانه الانباتكما بتأويله بقدره ولونه والوقت الذي يصل اليكما قبل  
 أن يصل وأي طعام أكلتم ومتى أكلتم وهذه المهجزة عيسى عليه السلام حيث قال وأنتكم  
 بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم فقالوا هذا فعل العرافين والكهنة فمن أين لك هذا اللهم  
 فقال ما أنا بكاهن (ذلك) أي هذا التأويل والاخبار بالمغيبات (عما علمني ربي) وفي ذلك  
 حيث على ايمانهم ثم قواه بقوله (انني تركت مله) أي دين (قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة  
 هم كفرون) وكره ان يظنهم للتأكيده لشدة انكارهم للمعاد وما ادعى يوسف عليه السلام المنبوة  
 وأظهر المهجزة أظهر أنه من أهل بيت النبوة بقوله (وانت مله آباء ابراهيم واسحق ويعقوب)  
 ليسمعوا قوله ويطيعوا أمره فيمليدعوهم اليه من التوحيد فان الانسان متى ادعى حرفة أيه  
 ويقتله لم يستبعد ذلك منه وأيضاً كمال درجة ابراهيم واسحق ويعقوب أمر مشهور في الدنيا  
 فاذا أظهر أنهم آباءه عظموه وتظروا اليه بعين الاجلال فكان اقيادهم له أنهم وتأثيره لهم  
 بكلامه أكل (فان قيل) انه كان نبياً فكيف قال اتبعته آباء النبي لا بد وأن يكون  
 مختصاً بشريعة نفسه (أجيب) بأن مراد ما توحيد الذي لا يتغير وأعله كان رسولاً من عند الله  
 تعالى الا انه كان نبي على شريعة ابراهيم عليه السلام وقرأ عاصم وحزرة والكسائي بسكون  
 ياء آباء والباقيون بالفتح (ما كان) أي ماصح (لنا) معشر الانبياء (أن نشرك بالله من شيء) لان الله  
 تعالى ظهره وظهر آباءه عن الكفر وتطهيره قوله تعالى ما كان الله أن يتخذ من ولد وانما قال من شيء

لأن أصناف الشرك كثيرة فمنهم من يعبد الأصنام ومنهم من يعبد النار ومنهم من يعبد  
 الكواكب ومنهم من يعبد الملائكة فقلوه من شئ رد على هؤلاء الطوائف وإرشاد إلى الدين  
 الحق وهو أنه لا موجد ولا خالق ولا رازق إلا الله (ذلك) أي التوحيد (من فضل الله علينا)  
 بالوحي (وعلى الناس) أي ما أمرهم به من الأرشادهم وتبئيتهم عليه (ولكن أكثر الناس) أي  
 المبعوث إليهم (لا يشكرون) هذه النعمة التي أنعم الله تعالى بها عليهم لأنهم تركوا عبادة  
 وعبدوا غيره ثم دعاهم إلى الإيمان فقال (يا صاحبي السجن) أي يا صاحبي في السجن  
 فأضافه ما إلى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكأن الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك  
 السجن معصوب فيه غير معصوب وإنما المعصوب غيره وهو يوسف عليه السلام أو ياما كني  
 السجن كما قيل لسكان الجنة أصحاب الجنة ولسكان النار أصحاب النار (أرباب) أي آلهة  
 (متفرقون) أي متباينون من ذهب وفضة وصفر وحديد وخشب وحجارة وصغير وكبير  
 ومتوسط وغير ذلك (خير) أي أعظم في صفة المدح وأولى بالطاعة (أم الله الواحد القهار)  
 أي المتوحد بالالوهية الذي لا يغالب ولا يشارك في الريوية غيره خير والاستفهام للتقرير  
 وفي الهمزتين في أرباب من القراءات ما في أنذرهم وقدمت (فان قيل) هل يجوز التفاضل بين  
 الأصنام وبين الله تعالى حتى يقال إنها خير أم الله (أجيب) بأن ذلك خرج على سبيل القرض  
 والمعنى لو سلمنا أنه حصل منها ما يوجب الخيرة فهي خير أم الله الواحد القهار ثم بين عجز الأصنام  
 فقال (ماتعبدون) وإنما خاطبهم بلفظ الجمع وقد ابتدأ بالتنية في المخاطبة لأنه أراد جميع  
 من في السجن من المشركين والعبادة خضوع القلب في أعلى مراتب الخضوع وبين حقارة  
 معبوداتهم وسفالتها بقوله (من دونه) أي الله الذي قام البرهان على الهيته وعلى اختصاصه  
 بذلك (الأسماء) وبين ما يريد وأوضحه بقوله (سميتموها) أي ذوات أوجدتم لها أسماء (أنتم)  
 سميتموها آلهة وأربابا وهي حجارة جاد خالية عن المعنى لا حقيقة لها (وآباؤكم) من قبلكم  
 سموها كذلك (ما أنزل الله بها) أي بعبادتها (من سلطان) أي حجة وبرهان (إن الحكم)  
 أي ما الحكم (الله) أي المختص بصفات الكمال والحكم فصل الأمر بما تدعو إليه الحكمة  
 (أمر) وهو النافذ الأمر المطاع الحكم (أن لاتعبدوا الآباء) لأنه المستحق للعبادة لا هذه  
 الأسماء التي سميتموها آلهة ولما أقام الدليل على هذا الوجه الذي كان جديرا بالاشارة إلى فضله  
 أشار إليه بأداة البعد تنبيها على علو مقامه وعظيم شأنه فقال (ذلك) أي الشأن الأعظم وهو  
 توحيدهم وإفراده عن خلقه (الدين القيم) أي المستقيم الذي لا عوج فيه (ولكن أكثر الناس)  
 وهم الكفار (لا يعلمون) ما يصيرون إليهم من العذاب فيشركون ولما قرئ يوسف عليه السلام  
 أمر التوحيد والنبوة عاد إلى الجواب عن السؤال الذي ذكره فقال (يا صاحبي السجن) أي  
 الذي يحصل فيه الانكسار للنفس والرقعة في القاب فتخلص فيه المودة ولما كان في الجواب  
 ما يسهو الخيال رأبهم ليحوز كل منهما منه الفائز فان الجأء إلى التعمين كان ذلك عذرا له في الخروج  
 عن الإتيقن فقل (أما أحدكم) وهو صاحب شراب الملك (فيعسى ربه) أي سيده (خرا) على

عادته والعناقد الثلاثة هي ثلاثة أيام يبق في السجن ثم يدعوه الملك فيرده الى زوجته التي كان  
 عليها ذاتا ويل رؤياه (وأما الآخر) وهو صاحب طعام الملك (فصلب) والسلال  
 الثلاثة ثلاثة أيام ويدعوه الملك فيصلبه (قتل كل الطير من رأسه) هذا تأويل رؤياه قال  
 ابن مسعود فلما سمع قول يوسف عليه السلام قال ما رأيت شيئا إنما كأنه لعب فقال لهم يوسف  
 عليه السلام (قضى) أى تم (الامر الذى فيه تستفتيان) أى تطلبان الاتناء فيه عملا بالقوة  
 فسألتم عن تأويله وهو تعبير رؤيا كما كذبتم أو صدقتم أأقله عن جهل ولا غلط (وقال) يوسف  
 عليه السلام (لذى ظن) أى علم وتحقق فالظن به فى العلم لانه قاله عن وحى لقوله قضى الامر  
 ويجوز أن يكون ضمير ظن للساقى فهو حينئذ على يابه (أنه نأج منهما) وهو الساقى (اذكرنى  
 عند ربك) أى سيدك ملك مصر بما رأيت منى من معالى الاخلاق وطهارة الشيم الدالة على  
 يعنى مما رمت به والمراد بالرب هنا غير المراد به فى قوله أرباب متفرقون فنجبا الساقى وصلب  
 صاحبه وفق ما قاله لهم ما يوسف عليه السلام واختلف فى ضمير (فأنساه الشيطان ذكر ربه)  
 على قولين أحدهما أنه يعود الى الساقى وهو قول جماعة من المفسرين أى فأنسى الشيطان  
 الساقى أن يذكر يوسف عند الملك فالوالان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقى حتى  
 أنساه ذكر يوسف أولى من صرفه الى يوسف والقول الثانى وعليه أكثر المفسرين أنه يرجع  
 الى يوسف عليه السلام وقال الرازى انه الحق أى ان الشيطان أنهى يوسف ذكر ربه تعالى  
 حتى استعان بمخلوق مثله وتلك غفلة عرضت له عليه السلام فان الاستعانة بالمخلوق فى رفع الظلم  
 جائزة فى الشريعة الا ان حسنات الابرار سيئات المقربين فهذا وان كان جائزا للعامة الخلق  
 الا ان الاولى بالصديقين أن يقطعوا نظرهم عن الاسباب بالكلية وأن لا يشتغلوا الاسباب  
 الاسباب فلماذا صار يوسف عليه السلام مواخذا بهذا القول ولم يواخذه تعالى فى تلك القصة  
 البتة بل ذكره بأعظم وجوه المدح والثناء فلم بذلك أنه عليه السلام كان مبرا عما نسب اليه الجهال  
 والحشوية اليه (فان قيل) كيف تمكن الشيطان من يوسف حتى أنساه ذكر ربه (أجيب)  
 بأن ذلك انما كان شغل خاطر وأما النسيان الذى هو عبارة عن ترك الذكر وازالة عن القلب  
 بالكلية فلا يقدر عليه واختلف فى قدر البضع فى قوله تعالى (فلبث فى السجن بضع سنين) فقال  
 مجاهد ما بين الثلاث الى التسع وقال ابن عباس مادون العشرة قال البغوى وأكثر المفسرين  
 ان البضع فى هذه الآية سبع سنين وكان قد لبث قبله خمس سنين فجملة اثنا عشر سنة وقال  
 وهب أصاب أيوب البلا سبع سنين وترك يوسف فى السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار  
 لما قال يوسف للساقى اذكرنى عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دونى وكيل لا طيلق حبسك  
 فبكي يوسف وقال يا رب أنسى قلبى كثرة البلى فقلت كلمة قال الحسن قال النبي صلى الله عليه  
 وسلم رحم الله يوسف لولا كلمته التي قالها ما لبث فى السجن ما لبث ثم بكى الحسن وقال لمن  
 اذا نزل بنا بلا فزعنا الى الناس ذكره الثعلبى مرسل وبغير سند وقال الحسن أيضا دخل جبريل  
 على يوسف عليهما السلام فى السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال له يا أخا المنذرين ما لى أمانك بين

الخياطين فقال له جبريل ياطهريابن الطاهر ينقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك  
 أما استحييت مني واستشفعت لادميين فوعزتي لالبتنك في السجن يضع سنين قال يوسف وهو  
 في ذلك عن راض قال نعم قال اذا لأبائي وقال كعب قال جبريل ليوسف ان الله تعالى يقول لك  
 من خلقت قال الله قال فن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فن حبيبك الى أهلك قال الله قال فن  
 أنجالك من كرب البئر قال الله تعالى قال فن صرف عنك سوء والقحشاء قال الله قال فكيف  
 استشفعت بأدمي مثلك قال محمد بن عمر الرازي في تفسيره والذي جربته من أول عمري الى آخره  
 ان الانسان كلما عول في أمر من الامور على غير الله تعالى صار ذلك سببا للنبله والمحنة والشدة  
 والرزية واذا عول على الله تعالى ولم يرجع الى أحد من الخلق حصل ذلك المطلوب على أحسن  
 الوجوه فهذه التجربة قد استقرت لي من أول عمري الى هذا الوقت الذي بلغت الى السابع  
 والحسين فعند ذلك استقر قلبي على أنه لا مصلحة للانسان في التعويل على شئ سوى فضل الله  
 تعالى واحسانه \* ولما دنا فخرج يوسف عليه السلام رأى ملك مصر الاكبر الريان بن الوليد رؤيا  
 بحية هائلة كما قال تعالى (وقال الملك اني أرى) أى رأيت عبر بالمضارع حكاية للحال لشدة  
 ما هاله من ذلك (سبع بقرات سمان) أى خرجن من نهر يابس والسن زيادة البدن من الشحم  
 واللحم وسمان جمع سمينة ويجمع سمين أيضا عليه يقال رجال سمان ونساء سمان كما يقال رجال  
 كرام ونساء كرام (يا كلهن) أى يتلعهن (سبع) أى من البقر (عجاف) جمع عجفاء أى مهازبل  
 خرجن من ذلك النهر \* (تنبيه) \* جمع عجفاء على عجاف والقياس عجف نحو حرام وحرجلته على  
 سمان لانه نقيضه ومن دأبهم حل النظر على النظر والنقيض على النقيض (و) اني أرى (سبع  
 سنبلات خضر) أى قد انعقد حبها (و) اني أرى سبع سنبلات (آخر يابس) أى قد أدركت  
 فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما نص من حال  
 البقرات والسنبلات نبات كالقصبه فيها جله حبوب منتظمة فكانه قيل فكان ما ذاق قيل قال  
 الملك بعد ان جمع الصحرة والكهنة والمعبرين (يا أيها الملام) أى الاشراف النبلاء الذين علا  
 العيون مناظرهم والقلوب ما أثرهم (أفتوتوني في رؤياي) أى أخبروني بتأويلها (ان كنتم للرؤيا  
 تعبرون) أى ان كنتم عالمين بعبرة الرؤيا فاعبروها \* (تنبيه) \* اللام في الرؤيا من زيادة فلا تعلق  
 لها بشئ وزيدت لتقدم المعمول تقوية للعامل كما زيدت اذا كان العامل فرعا كقوله تعالى فعال  
 لما يريد ولا تزد فيما عدا ذلك الا ضرورة وقيل ضمن تعبرون معنى ما يتعدى باللام تقديره ان كنتم  
 تتدبون لعبارة الرؤيا وقيل متعلقة بمحذوف على أنها للبيان كقوله تعالى ~~وهو~~ كانوا فيه من  
 الزاهدين تقديره أعني فيه وكذلك هذا تقديره أعني للرؤيا وعلى هذا يكون مفعول تعبرون  
 محذوفاً تقديره تعبرونها وفي الآية ما يوجب حال العلماء من حاجة الملوك اليهم فكانه قيل فما  
 قالوا فقيل (قالوا) هذه الرؤيا (أضغاث) أى اخلاط (أحلام) مختلفة مختلفة مشبهة جمع ضغت  
 بكسر الصاد واسكان الفين المجعة وهي قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس والاحلام جمع حلم  
 يضم الياء واسكان اللام وضعها وهو الرؤيا فقيدها بالاضغاث وهو ما يكون من الرؤيا باطلا

لكونهم حديث النفس ووسوسة الشيطان لكونهم أشبه أخلط النبات التي لا تناسب بينها  
 لأن الرؤيا تارة تكون من الملك وهي العصمة وتارة تكون من تحزين الشيطان وتخطي طانه  
 وتارة من حديث النفس ثم قالوا (وما نحن) أي بأجمعنا (بتأويل الاحلام) أي الملمات الباطلة  
 (بعالمين) أي ليس لها تأويل عندنا وإنما التأويل للمنمات الصادقة كأنه مقدمة ثابته للعدر  
 ولما سأل الملك عن هذه الرؤيا واعترف الحاضرون بالعجز عن الجواب تذكرك الشرايى واقعة  
 يوسف عليه السلام لأنه كان يعتقد فيه كونه متجرا في هذا العلم كما قال تعالى (وقال الذي نجا)  
 أي بخلص (منهما) أي من صاحبي السجن وهو الشرايى أن في الحبس رجلا فاضلا صالحا  
 كثير العلم كثير الطاعة قصصت أنا وأصحابي عليه منامين فذكرنا ويلهما فصدق في كل ما ذكر وما  
 أخطأ في حرف فكانت هذه الرؤيا سببا لخلاص يوسف عليه السلام ولم يتذكر الشرايى إلا بعد  
 طول المدة كما قال تعالى (وذكر) بالذال المهملة أي طلب الذكر بلذال المحبة وزنه افتعل (بعد  
 أمة) أي وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجمعة أي مدة طويلة والجملة اعتراض وقول  
 القول (أنا أتيتكم بتأويله فأرسلون) أي إلى يوسف عليه السلام فإنه أعلم الناس فأرسلوه إليه  
 حال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولم يكن السجن بالمدينة فأتاه فقال الساقى المرسل إليه  
 مناديا له نداء القرب تحببا إليه (يوسف) وزاد في التحبب بقوله (أيها الصديق) أي البليغ  
 في الصدق والتصديق لأنه جرب أحواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه وهذا يدل  
 على أن من أراد أن يتعلم من رجل شيئا فإنه يجب عليه أن يعظمه وأن يخاطبه بالالفاظ المشعرة  
 بالاجلال ثم انه أعاد السؤال يعني اللفظ الذي ذكره الملك فقال (أقمتنا) أي اذكر لنا الحكم (في  
 سبع بقرات سمان) أي رآهن الملك (يا كاهن سبع) من البقر (بحاف و) في (سبع سنبلات)  
 جمع سنبله وهي جمع الحب من الزرع (خضرو) في سبع (آخر) من السنابل (يابسات) أي في  
 رؤيا ذلك ونم ما فعل من ذكر السؤال بعين اللفظ فأت نفس الرؤيا قد تختلف بحسب اختلاف  
 الالفاظ كما هو مذكور في ذلك العلم ثم قال (لعلني أرجع إلى الناس) أي إلى الملك وجماعته  
 بفتو القبل مانع يعنى (لعلهم يعلمون) أي بتأويل هذه الرؤيا وقيل بمنزلة في العلم وقرأ نافع  
 وابن كثير وأبو هريرة وابن عامر بفتح الياء والباقون بالسكون (قال) يوسف عليه السلام معبرا  
 لتلك الرؤيا أما البقرات السمان والسنبلات الخضراء سبع سنين محضيات وأما البقرات الحفاف  
 والسنبلات اليابسات سبع سنين مجذبة فذلك قوله (ترزعون سبع سنين) وهو خبر يعنى  
 الأمر كقوله تعالى والمطلقات يتربصن والوالدان يرضعن وإنما خرج الأمر في صورة الطبر  
 للمبالغة في الإيجاب فيجعل كأنه وجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى الأمر قوله  
 فخرروه في سنبله وقوله (دأبا) نصب على الحال أي دأبين أي سبع سنين متتابعة على عادتك  
 في الزراعة والدأب العادة وقيل أزرعوا يجذوا وجهاد وهذا تأويل السبع السمان والسنبلات  
 الخضراء وقرأ حفص بفتح الهمزة وسكنها الباقون وأبدلها السوحى الفارقا ووصلا وحزة وقفا  
 فتعديتها حصداً فخرروه) أي تركوه (في سنبله) لئلا يفسد ولا يقع فيه اللبس وذلك أتى له على



طول الزمان (الاقليامة أكلون) أي ادرسوا قليلا من الخنطة للاكل بقدر الحاجة أمرهم  
 يحفظ الاكثر لوقت الحاجة أيضا وهو وقت السنين المجدية كما قال (ثم يأتي من بعد ذلك) أي  
 السبع المخصبات (سبع شداد) أي مجديات صعب وهي قأويل السبع الجفاف والسبلات  
 اليابسات (ياكلن ما قدمت لهن) أي يأكل أهلون ما اذخرتم لاجلهن فأسند اليهن على الجواز  
 تطبيقين المعبر وهويأكلهن سبع عجاف والمعبره وهويأكلن ما قدمت لهن (الاقليامة  
 تحصنون) أي تحوزون وتذخرون للبذر والاحصان الاحراز وهو ابقاء الشيء في الحصن بحيث  
 يحفظ ولا يضيع (ثم يأتي من بعد ذلك) أي السبع المجديات (عام فيه يقات الناس) أي يحطرون  
 من الغيث وهو المطر وقيل ينقذون من قول العرب استغنت فأعاني (وفيه يعصرون)  
 من العنب خرا ومن الزيتون زيتا ومن السمسم دهنا وأراد بذلك كثرة النعم والخير وقال  
 أبو عبيدة ينجون من الكرب والشدة والجدب وقرا حزمة والكسافي بالهاء على الخطاب لأن  
 الكلام كله مع الخطاب والباقون بالياء على الغيبة ردا إلى الناس ولما رجع الشراي إلى الملك  
 وعرض عليه التعبير الذي ذكره يوسف عليه السلام استحسنه (وقال الملك) أي الذي العزيز  
 في خدمته (أتوفى به) لاسمع ذلك منه وأكرمه وهذا يدل على فضيلة العلم فانه سبحانه وتعالى  
 جعل علمه سببا للخلاص من المحنة الدنيوية فكيف لا يكون العلم سببا للخلاص من المحن  
 الاخرى ببقائه الرسول ليأتي به إلى الملك (فلما جاءه) أي يوسف عليه السلام عن قريب من الزمان  
 (الرسول) بذلك وهو السابق وقال له أجب الملك (قال) له يوسف عليه السلام (ارجع إلى ربك)  
 أي سيدك الملك ولم يخرج معه حتى يظهر برهانه للملك ولا يراه بعين النقص ولذلك قال (فأسأله  
 ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن) وانما قال يوسف عليه السلام فأسأله ما بال النسوة ولم يقل  
 فأسأله أن يقتل عن حالهن لأن قوله فأسأله ليحتمل أن يكون بمعنى المسئلة أي أسأله عن شأنهن  
 وان يكون بمعنى الطلب وهو ان يقتل عن شأنهن فحسن تقييده بلفظ ما التي يسأل بها عن  
 حقيقة الشيء ليهجه أن يتحرك للتفتيش عن حالهن لأن الانسان حريص على تحقيق الشيء  
 ويستكشف أن ينسب إلى الجهل به بخلاف ما لو قال سله ان يقتل أي اطلب منه فانه لا يسأل  
 بهذا الطلب ولا يلتفت اليه لاسيما الملوك وانما يتعرض لسيدته مع ما صنعت به ككرما  
 ومراعاة للادب وقدم سؤال النسوة ونقص حالهن لتظهر براءة ساحته لانه لو خرج في الحال  
 لربما كان يبقى في قلب الملك من تلك التهمة أثر فلما التمس من الملك أن يفحص عن حال تلك  
 الواقعة دل ذلك على براءته من تلك التهمة فبعد خروجه لا يقدر أحد أن يلطخه بتلك الرذيلة  
 وان يتوصل بها إلى الظن فيه وفي ذلك دليل على أنه ينبغي للشخص أن يجتهد في نفي التهم  
 ويتق مواضعها وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لقد عجبت من يوسف وصبره والله يغفر له  
 حين سئل عن البقرات العجاف والسحان ولو كنت مكانه ما أجبتهم حتى اشترطت أن  
 يخرجوني ولقد عجبت منه حيث أتاه الرسول فقال ارجع إلى ربك ولو كنت مكانه ولبتت  
 في السجن طلبت لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما بقيت العذر ان كان حلما اذا اتاه  
 واصل الحديث في العجيبين مختصرا وانما قال صلى الله عليه وسلم ذلك على سبيل التواضع لانه

صلى الله عليه وسلم كان في الامر منه مبادرة وبجملته لو كان مكان يوسف والتواضع لا يصغر كبيرا  
 ولا يضع رفيعا ولا يطل لذي حق حقه لكنه يوجب لصاحبه فضلا ويلبسه جلالة وقدره وقوله  
 والله يفقره مثل هذه المقدمة مشعرة بتعظيم الخطاب من توقيره وتوقير حرمة كما تقول لمن تعظمه  
 عفا الله عنك ما صنعت في أمرى ورضى الله تعالى عنك ما جوابك عن كلامى وقوله ان كان  
 الخليل ان هي المنخفضة من التفضيل والاناة الوفا وقيل هو اسم من التانى في الامور وقرأ ابن  
 كثير والكسائي بفتح السين ولا همزة بعدها والباقون بسكون السين وهمزة مفتوحة بعدها  
 (ان ربي) أى الله (بكيدهن عليم) حين قلن أطمع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد  
 بعلم الله تعالى عليه وأنه برى بما عيب به والوعيد لهن على كيدهن وقيل المراد بربى الملك  
 وجعله رب بالنفس لكونه مربياله وفيه اشارة الى كون ذلك الملك عالما بكيدهن ومكرهن ولما  
 قال يوسف عليه السلام ذلك وأبى أن يخرج من السجن قبل تبيين الامر رجع الرسول الى الملك  
 فأخبره بما قال عليه السلام فكانه قيل فخافه الملك فقيل (قال) للنسوة بعد ان جمعتهن وامرأة  
 العزيز جمعتهن (ما خطبكن) أى ما شأنكن العظيم وقوله (اذراودتن) أى خادعتن (يوسف  
 عن نفسه) دليل على أن برائه كانت متحققة عند كل من علم القصة وانما خاطب الملك جميع  
 النسوة بهذا الخطاب والمراد بذلك امرأة العزيز ووحدها ليكون أسرتها وقيل ان امرأة العزيز  
 راودته عن نفسه وسائر النسوة أمرته بطاعتها فلذلك خاطبتهن فكانته قيل فاقبلن قيل (قلن  
 حاش لله) أى عياذا بالملك الاعظم وتزيهه من هذا الامر (ما علمنا عليه) أى يوسف عليه  
 السلام وأغرقن في النفي فقلن (من سوء) أى من خيانة فى شئ من الاشياء ولما أن يوسف  
 عليه السلام راعى جانب امرأة العزيز حيث قال ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن فذكرهن  
 ولم يذكر تلك المرأة البتة وعرفت المرأة انه انما ترك ذكرها رعاية لحقها وتعظيم الجانيها واخفاء  
 للامر عنها ارادت أن تكافئه على هذا الفعل الحسن فلا جرم أزال الغطاء والوطاء فلذلك  
 (قالت امرأت العزيز) مصرحة بحقيقة الحال (الا ان حصص الحق) أى ظهر وتبين (أنا  
 راودته) أى خادعته (عن نفسه) وأكدت ما أفصحته به مدحا ونصيا لكل سوء بقولها مؤكدا  
 لاجل ما تقدم (وانه لمن الصادقين) أى الغريقين في هذا الوصف في نسبة المرادة الى وتبرئة  
 نفسه فقد شهد النسوة كاهن ببرائه وان لم يقع منه ما ينسب به الى شئ من سوء البتة فمن  
 نسب بعد ذلك هما وغيره فهو تابع لمجرد الهوى في نبي من المخلصين قال الرازي رأيت في بعض  
 الكتب ان امرأة جاءت بزوجه الى القاضي وادعت عليه المهر فأمر القاضي بأن تكشف  
 عن وجهها حتى يتمكن الشهود من اقامة الشهادة فقال الزوج لاحاجة الى ذلك فاني مقر  
 بصداقها في دعواها فقالت المرأة لما أكرمتنى الى هذا الحد فاشهد راني أبرأت ذمتك من كل  
 حق لي عليك ولما رجع الرسول الى يوسف عليه السلام وأخبره بشهادتهن ببرائه قال (ذلك)  
 أى الخلق العظيم في تثبتي في السجن الى أن تبين الحق (ليعلم) العزيز باقرارها وهي في الامن  
 وأنا في محل الضيق والخوف علمت مؤكدا (اني لم أخنه) أى في أهله ولا في غيرها (بالغيب) أى

وإلحال أن كلامنا غائب عن صاحبه هذا قول الأكثرين أنه قول يوسف عليه السلام قال  
 القراء ولا يعد وصل كلام انسان بكلام آخر إذا دلت القرينة عليه ومثاله قوله تعالى إن  
 الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة هذا كلام بلقيس ثم قال الله تعالى  
 وكذلك يفعلون وقوله تعالى ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه كلام الداعي ثم قال الله  
 تعالى إن الله لا يخلف الميعاد ثم ختم الكلام بقوله (وان الله لا يهدي) أي يستدوي وينجح  
 بوجه من الوجوه (كيد الخائنين) أي ولو كنت خائنا لما خلاصني الله من هذه الورطة العظيمة  
 وحيث خلاصني منها ظهر اني بريء عما نسبوا اليه وقيل انه كلام امرأة العزيز والمعنى اني  
 وان كنت أحلت عليه الذنب في حضوره لكني ما أحلت الذنب عليه في غيبته أي لم تقل فيه وهو  
 في السجن خلاف الحق ثم انها بالغت في تأكيده هذا القول وقالت وان الله لا يهدي ككيد  
 الخائنين يعني اني لما أقدمت على الكيد والمكر لاجرم افتضحت وانه لما كان بريئا من الذنب  
 لاجرم طهره الله تعالى منه \* واعلم ان هذه الآية على القول الاول دالة على طهارة يوسف عليه  
 السلام من وجوه كثيرة الاول قواها أنارا وودته عن نفسه والثاني قولها وانه لمن الصادقين  
 وهو اشارة الى أنه صادق في قوله هي واودتني عن نفسي والثالث قول يوسف عليه السلام  
 ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب والحشوية يذكرون أنه لما قال يوسف هذا الكلام قال له جبريل  
 عليه السلام ولا حين هممت قال الرازي وهذا من رواياتهم الخبيثة وما صحت هذه الرواية  
 في كتاب معتد أي وانما أسندها بعضهم لابن عباس بل هم يلحقونهم بهذا الموضوع سعيام منهم في  
 تحريف ظاهر القرآن ورابعها أن اقدامه على قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب مع أنه خانه  
 بأعظم وجوه الخيانة اقدام على وقاحة عظيمة وعلى كذب عظيم من غير أن يتعلق به مصلحة  
 بوجه ما والاقدام على مثل هذه الوقاحة من غير فائدة أصلا لا يليق بأحد من العقلاء فكيف  
 يليق اسناده الى نبي مرسل من سلالة الانبياء الاصفياء فثبت أن هذه الآية تدل دلالة قاطعة  
 على براءته مما يقول الجهال والحشوية واختلفوا في تفسير قوله (وما أبرئ نفسي) لان ذلك  
 يختلف باختلاف ما قبله لان قوله ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب ان كان من كلام يوسف عليه  
 السلام وقدمر أنه قول الأكثرين فهو أيضا كلامه وان كان من كلام المرأة فهذا أيضا كلامها  
 فعلى الاول قد تمسك به الحشوية وقالوا انه عليه السلام لما قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب  
 قال له جبريل ولا حين حلت تسكة سراويلك فعند ذلك قال يوسف عليه السلام وما أبرئ نفسي  
 (ان النفس لا تارة بالسوء) أي بالزنا (الامارحيم) أي عصم منه (رب ان ربي غفور) أي اللهم الذي  
 همته (رحيم) أي لوفعائه لتساب على وهذا ضعيف كما قاله الرازي لما تقدم أن الآية المتقدمة  
 برهان قاطع على براءته من الذنب وانما قال ذلك عليه السلام لانه لما قال ذلك ليعلم أني لم أخنه  
 بالغيب كان ذلك جارا يجرى مدح النفس وتزكيتها وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم  
 فاستدرك ذلك على نفسه بقوله وما أبرئ نفسي والمعنى وما أذكر كي نفسي ان النفس لا تارة  
 بالسوء مبالغة الى القبايح راغبة في المعصية وعلى الثاني انها لما قالت ذلك ليعلم أني لم أخنه

بالغيب قالت وما أبرئ نفسي من اثمينة مطلقا فاني قد خنته حين أحلت الذنب عليه وقلت  
 ما جزاء من أراد بأهلك سوا إلا أن يسجن وأودعته في الحبس كأنها أرادت الاعتذار وما  
 كان واختلف في قوله (وقال الملك) فتمهم من قال هو العزيز ومنهم من قال هو الريان الذي  
 هو الملك الأكبر قال الرازي وهذا هو الاظهر لوجهين الاول ان قول يوسف اجعلني على  
 خزائن الارض يدل عليه الثاني قوله استخلصه لنفسى يدل على أنه قبل ذلك ما كان خالصا  
 وقد كان يوسف عليه السلام قبل ذلك خالصا للعزيز فدل هذا على ان هذا الملك هو الملك الأكبر  
 انتهى وانما صرح به ولم يستغن بضميره كراهية الالتباس لما تخلل بينه وبين جواب امرأة  
 العزيز من كلام يوسف عليه السلام ولو كان الكل من كلامها لاستغنى بالضمير ولم يحتاج الى  
 ابرازه (اثبتوني به استخلصه لنفسى) أي اجعله خالصا لي دون شريك قال ابن عباس فأتاه  
 الرسول فقال له ألتق عنه ثياب السجن وألبسه ثيابا جديدا وقم الى الملك فدعاه أهل السجن وهو  
 يومئذ ابن ثلاثين سنة واعتسل وتطف ولبس ثيابا جديدا بعد ان دعا لاهل السجن فقال  
 اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تم عنهم الاخبار وكتب على باب السجن هذه  
 منازل البلوى وقبور الاحياء وبيوت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشجاعة الاعداء  
 ثم أتى الملك فلما رآه غلاما حدثنا فقال أيعلم هذا رؤياي ولا يعلمها السهرة والكهنة ثم أقعده  
 فدأبه وقال له لا تحف وألبسه طوقا من ذهب وثياب حرير وأعطاه دابة مسترجعة من بيته  
 كدابة الملك وروى أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو في الحبس وقال قل اللهم  
 اجعل لي من عندك فرجا ومخرجا وارزقني من حيث لا أحسب فقبل الله تعالى دعاءه وأظهر  
 هذا السبب في تخليصه من السجن وروى أن يوسف لما دخل عليه قال اللهم اني أسألك  
 بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه بالعربية فقال ما هذا اللسان  
 قال هذا اللسان عمي اسمعيل ثم دعاه بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال هذا اللسان آبائي قال  
 وهب كان الملك يتكلم بسبعين لغة ولم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان أجابه  
 يوسف عليه السلام وزاد بالعربية والعبرانية (فلما كلمه) أي كلم الملك يوسف عليه السلام  
 وشاهد منه ما شاهد من جلال النبوة وبجميل الوزارة وخلال السيادة ومخايل السعادة  
 أقبل عليه وقال اني أحب أن أسمع منك تأويل رؤياي شفاها فأجابه بذلك الجواب شفاها  
 وشهد قلبه بصحته فعند ذلك (قال) له (انك اليوم لدينام مكين أمين) أي ذو مكانة وأمانة  
 على أمرنا فأتري أيها الصديق (قال) أرى أن تزرع في هذه السنين الخمسة زرعاً كثيراً وتبنى  
 الخزائن وتجمع فيها الطعام فاذا جاءت السنين الجديبة بعنا الغلال فيحصل بهذا الطريق  
 مال عظيم فقال الملك ومن لي بهذا الشغل فقال يوسف (اجعلني على خزائن الارض) جمع  
 خزانة وأراد خزائن الطعام والاموال والارض ارض مصر أي خزائن ارضك مصر وقال  
 الربيع بن أنس أي خرج مصر ودخله روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 في هذه الآية قال رحم الله أنحى يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من

ساعته لکنه لما قال ذلك أخره الله تعالى سنة فأقام في بيته سنة مع الملك قال الرازي وهذا  
 من العجائب لانه لما تناقل عند الخروج من السجن سهل الله تعالى عليه ذلك على أحسن  
 الوجوه ولم يسارع في ذكر هذا الالتباس أخرا لله تعالى ذلك المطلوب عنه وهذا يدل على أن  
 ترك التصرف أتم والتفويض بالكلية الى الله تعالى أولى ثم قال (اني خفيظ علم) أي ذو  
 حفظ وعلم بأمرها وقيل كاتب وحاسب (فان قيل) لم طلب يوسف عليه السلام الامارة والنبي  
 صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الامارة ولم طلب الامارة من سلطان كافر ولم  
 يصبر مدة ولم أظهر الرغبة في طلبها في الحال ولم طلب أمر الخزانة في أقل الامر مع ان هذا  
 يورث نوع تمسمة ولم مدح نفسه وقد قال تعالى فلا تزكوا أنفسكم ولم ترك الاستثناء في هذا وقد  
 قال تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فهذه سبعة أسئلة (أجيب) عنها  
 بأن الاصل في جواب هذه الاسئلة ان التصرف في أمور الخلق كان واجبا عليه بخازله  
 ان يتوصل اليه بأي طريق كان وانما كان ذلك واجبا عليه لوجوه الاوّل أنه كان رسولا حقا  
 من الله تعالى الى الخلق والرسول يجب عليه مراعاة الامة بقدر الامكان والثاني أنه علم بالوحي  
 أنه سيحصل القبط والضيق الشديد فقلعه تعالى أمره أن يدبر في ذلك ويبقى بطريق لا يجسه يقل  
 ضرر ذلك القبط في حق الخلق والثالث أن السعي أيضا في ايصال النفع الى المستحقين ورفع  
 الضرر عنهم أمر مستحسن في العقول فكان مكفأ عليه السلام برعاية المصالح من هذه الوجوه  
 وما كان يمكنه رعايتها الا بهذا الطريق وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وانما مدح نفسه  
 لان الملك وان علم كماله في علوم الدين لكن ما كان عالما بأنه يني بهذا الامر وأيضاً مدح النفس  
 انما يكون مذموما اذا قصد به الشخص التواؤل والتفاخر والتوصل الى غير ما يحل وأما هذا  
 الوجه فليس مذموم وقوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم المراد به تزكية حال من لا يعلم كونها من كرامة  
 والدليل قوله تعالى بعد هذه الآية هو أعلم بمن اتقى اما اذا كان الانسان عالما بأنه صدق وحق  
 فهذا غير ممنوع منه وانما ترك الاستثناء لانه لو ذكره لم يعا اعتقد الملك فيه انه انما ذكره لعله أنه  
 لا قدرة له على ضبط هذه المصلحة كما ينبغي فلهذا المعنى ترك الاستثناء ولم يسأل يوسف عليه  
 السلام ما تقدم قال معلما بأنه قد أجيب بتخيّر الله تعالى له (وكذلك) أي كأنه امتناع عليه  
 بالخلاص من السجن (مكاليوسف في الارض) أي أرض مصر (يتبوا) أي ينزل (منها حيث  
 يشاء) بعد الضيق والحبس قال ابن عباس وغيره ولما انقضت السنة من يوم سأل الامارة دعاه  
 الملك فتوجه وجعل خاتم الملك في اصبعه وقلده سيفه وجعل له سريرا من ذهب مكلا بالدر  
 والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة أذرع عليه ستون فراشا فقال يوسف عليه السلام  
 أما السرير فاشدبه ملكك وأما الخاتم فأدبره أمرك وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آباي  
 وأمره أن يخرج فخرج لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه في صفاء لونه فانطلق  
 حتى جاس على ذلك السرير وودانت لها الملوكة ودخل الملك بيته وفوض اليه أمر مصر وعزل  
 قبطيها كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحق قال ابن زيد وكان ملك مصر خزانة

كثيرة فسلم سلطانه كله اليه وجعل أمره وقضاه نافذا في مملكته ثم مات قطفيرا بعد ذلك فزوجه  
 الملك امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيرا مما كنت تريدين قالت أيها الصديق لا تلمني  
 فاني كنت امرأة حسنة ناهمة كما ترى في ملك ودينا وكان صاحبي لا يأتي النساء وكنت كما جعلك  
 الله في حسنك وهيتك فغلبتني نفسي فوجدتها يوسف عليه السلام عذرا فأصابها فولدت له  
 ذكرين افرائيم وميثاقا قام العدل بمصر وأحبه الرجال والنساء وأسلم على يديه الملك وكثير من  
 الناس وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام بالدراهم والدنانير في السنة الاولى ثم بالحلي  
 والجواهر في السنة الثانية ثم بالدواب في السنة الثالثة ثم بالعبيد والاماء في السنة الرابعة ثم  
 بالضياع والعقار في السنة الخامسة ثم بأولادهم في السنة السادسة ثم برقابهم في السنة  
 السابعة حتى لم يبق بمصر حر ولا حرّة الا صار عبد الله فقال الناس ما رأينا كاليوم ملكا أجمل  
 ولا أعظم من هذا صار كل الخلق عبيدا له فلما سمع ذلك قال اني أشهد الله اني أعنتت أهل مصر  
 عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع أحدا ممن يطلب الطعام أكثر من حمل بعير  
 لئلا يضيق الطعام على الباقين هذا المخلص ما قاله البغوي والزمخشري وغيرهما قال الرازي  
 والله أعلم بحقيقة الحال وروى ان يوسف عليه السلام كان لا يشبع من طعام في تلك  
 الايام فقيل له تجوع ويبدك خزائن الارض فقال ان شبعت نبيت الجائع وأمر يوسف طبخ  
 الملك أن يجعل غدا نصف النهار اراد بذلك أن يذيق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائعين قال  
 البغوي من ثم جعل الملوك غداهم نصف النهار قال الله تعالى (نصيب) أي شخص (برحمتنا من  
 نشاء) في الدنيا والآخرة (ولا نضيع أجر المحسنين) بل نؤتيهم أجورهم عاجلا وājلا لان اذاعة  
 الاجرام ان تكون للمعزأ وللجهل وللجمل والسكل ممنوع في حق الله تعالى فالاذاعة ممنوعة  
 (ولاجرا الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) الشرك والفواحش قال الرازي وهذا  
 تنصيب من الله تعالى على أن يوسف عليه السلام كان في الزمان السابق من المتقين وليس  
 ههنا زمان سابق يحتاج الى بيان أنه كان فيه من المتقين الا ذلك الوقت الذي قال الله تعالى  
 فيه ولقد همت به وهمّ بها فكان هذا من الله تعالى شهادة بأنه عليه السلام كان في ذلك الوقت  
 من المتقين وايضا قوله ولا نضيع أجر المحسنين شهادة من الله تعالى على أنه كان من المخلصين  
 فثبت أن الله تعالى شهد بأن يوسف كان من المتقين ومن المحسنين ومن المخلصين والجاهل  
 المشوى يقول انه كان من المذنبين ولا شك أن من لم يقبل قول الله تعالى مع هذه التاكيدات  
 كان من الاخسرين ولما اشتد القحط وعظم البلاء عم ذلك جميع البلاد حتى وصل الى  
 بلاد الشام وأرض كنعان وقصد الناس مصر من كل مكان للميرة فجعل يوسف عليه السلام  
 لا يعطى أحدا أكثر من حمل بعير وان كان عظيما تقبسطا بين الناس وتراحم الناس عليه ونزل  
 بال يعقوب ما نزل بالناس من الشدة فبعث بنيه الى مصر للميرة وأمسك بنيامين أخا يوسف  
 لأمه وأيه فذلك قوله تعالى (وجاء اخوة يوسف) وكانوا عشرة وكان منزلهم بالعريات من أرض  
 فلسطين تغور الشام وكانوا أهل ابل وشيما فدعاهم أبوهم يعقوب عليه السلام وقال بلغني أن

بعصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا اليه واقصدوه لثروا منه ما يحتاجون من الطعام  
 وههنا همزتان مختلفتان من كلمتين فقرأ ناقع وابن كثير وأبو عمرو وبسهيل الثانية والباقون  
 بالتحقيق ولما أمرهم أبوهم بذلك خرجوا حتى قدموا مصر (فدخلوا عليه فعرفهم) قال ابن  
 عباس بأول تطرة اليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه (وهم له منكرون) أي لم  
 يعرفوه وذلك لوجوه الاول أنه عليه السلام أمر بحجابه بأن يوقه وهم من البعد وما كان يتكلم  
 معهم الا بواسطة الثاني أنهم حين ألقوه في الجب كان صغيرانهم رأوه بعد وفور اللبسة وكبر  
 الجثة قال ابن عباس وكان بين ان قدفوه في البئر وبين أن دخلوا عليه أربعون سنة فلذلك أنكروه  
 وقال عطاء اعلم يعرفوه لانه كان على سرير الملك وكان بزى ملوك مصر عليه ثياب حر يروى  
 عنقه طوق من ذهب ثم ان يوسف عليه السلام أمر بانزالهم واكرامهم وكانت عادته أن لا يزيد  
 أحدا على حل بغير وكانوا عشرة فاعطاهم عشرة أجمال كما قال تعالى (ولما جهزهم بجهازهم)  
 أي وقاهم كيلهم والجهاز ما يعده من الامتعة للثقلة كهدد السفر وما يحمل من بلدة الى أخرى  
 وما تزف به المرأة الى زوجها فقالوا ان لنا شيئا كبيرا وأخا خريقي معه وذكرنا أن أباهم  
 لاجل سنه وشدة حرته لم يحضروا انخام في خدمة أبيه ولا بدلهما أيضا من جلعن آخرين  
 من الطعام فلما ذكروا ذلك قال يوسف عليه السلام فهذا يدل على أن حب أبيكم له أز يد من  
 حبه لكم وهذا شيء عجيب لأنكم أنتم مع جمالكم وعقلكم وأدبكم اذا كانت محبة أبيكم  
 لذلك الاخ أكثر من محبته لكم دل ذلك على أنه أعجوبة في العقل والادب فجيئني به حتى  
 أراه كما قال تعالى حكاية عنه (قال اتوني بأخ لكم من أبيكم) أي الذي خلفه عنده وقيل  
 انه لما نظر اليهم وكلوه بالعبرانية قال لهم اخبروني من أنتم وما أمركم فاني أنكرت شأنكم قالوا  
 قوم من أرض الشام أصابنا ما أصاب الناس فحننا غتار فقال لعليكم جشم لتتطروا الى عورة  
 بلادنا قالوا لا والله لسنا بجواسيس انما نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ صديق يقال له  
 يعقوب نبي من أنبياء الله تعالى قال وكم كنتم قالوا كنا اثني عشر فذهب أخ لنا الى البرية فهلك  
 فيها وكان أحبنا الى أبنائنا قال فكم أنتم ههنا قالوا عشرة قال وأين الابن الاخر قالوا عندنا بينا  
 لانه أخو الذي هلك وأبوه مبتلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولون حق قالوا أيها الملك اننا ببلاد  
 لا يعرفنا فيها أحد فقال يوسف عليه السلام فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم ان كنتم  
 صادقين فانا أرضى بذلك فقالوا ان أبانا يحزن على فراقه وسنراوده عنه قال فدعوا بهضكم  
 عندي رهينة حتى تأتوني بأخيكم فاقترعوا بينهم فأصابته القرعة فسمعوا وكان أحسنهم رأيا  
 في يوسف فحلفوه عنده ثم انه قال لهم (الأترون أني أوفى الكيل) أي أتمه ولا أجز منه شيئا  
 وقرأ نافع بفتح الهمزة من أني والباقون بالسكون وأما الياء من أوفى فجميع القراء يثبتونها في  
 الوقف لثباتها في الرسم وحذفوها في الوميل لالتقاء الساكنين (وأنا خير المنزليين) أي  
 المضيفين فانه كان قد أحسن ضيافتهم مدة أقامتهم عنده قال الرازي وهذا يضعف قول من  
 يقول من المفسرين انه اتهمهم ونسبهم الى أنهم عميون وجواسيس ولو شافهم بهذا الكلام

فلا يليق به أن يقول لهم ألا ترون أنى أوفى العكيل وأنا خير المتزئين وأيضا يحسد من يوسف عليه السلام مع كونه صديقا أن يقول لهم انتم عيون وجواسيس مع أنه يعرف برائتهم عن هذه التهمة لأن البهتان لا يليق بحال الصديق ثم قال عليه السلام (فان لم تأتوني به) أى بأخيتكم (فلا كيل) أى فلاميرة (لكم عندي) ولم ينعمهم من غيره (ولا تقربون) نهى أو عطف على محل فلا كيل لكم أى قهرموا ولا تقربوا منى ولا تدخلوا ديارى فجمع لهم عليه السلام بين الترغيب والترهيب فالترغيب فى قوله الاوّل والترهيب فى قوله الثانى لانهم كانوا فى نهاية الحاجة الى الطعام وما كان يمكنهم تحصيله الا من عنده ومع ذلك لم يخطر ببالهم أنه يوسف فكانه قيل فما قالوا فاقيل (قالوا سناؤد) أى بوعد لا خلف فيه حين نصل (عنه آياه) أى سنكلمه فيه وتنازعه الكلام ومتمثال فيه وتلطّف فى ذلك ولاندع جهدا (وانالفاعلون) أى ما أمرتنا به والتزمناه (و) لما أرغبتهم وأرهبهم فى شأن أخيه (قال لفتيته) أى علمانه الكيلين جمع فتى وقرأ حفص وحزرة والكسائى بألف بعد الياء المثناة تحت وبعد الالف بون مكسورة والباقون بالياء المثناة تحت ثم يتا مشناة فوق مكسورة (اجعلوا بضاعتهم) أى التى أتوا بها عن الميرة وكانت دراهم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنها كانت النعال والادم (فى رحالهم) جمع رحل أو عيتم التى يحملون فيها الطعام (لعلهم يعرفونها) أى بضاعتهم (إذا انقلبوا) أى رجعوا (الى أهلهم) وقصروا أو عيتمهم (لعلهم يرجعون) البنا واختلف فى السبب الذى من أجله ويوسف عليه السلام بضاعتهم فى رحالهم على أوجه الاوّل أنه أراد أن يكون ذلك المال معونة لهم على شدة الزمان وكان يخاف اللصوص من قطع الطريق فوضع تلك الدراهم فى رحالهم حتى تبقى مخفية الى أن يصلوا الى أيهم الثانى أراد أن يعترف أباه أنه أكرمهم وطلبهم لزيد الأكرام فلا يشغل على أيه ارسال أخيه الثالث مقصوده أن يعرفوا أنه لا يطلب ذلك الا لاجل الايذاء والظلم ولا يطلب زيادة الثمن الرابع أراد أن يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم فيه عيب ولا منة الخامس قال القراء انهم متى شاهدوا بضاعتهم فى رحالهم وقع فى قلوبهم أنهم وضعوا تلك البضاعة فى رحالهم على سبيل السهو وهم أنبياء وأولاد أنبياء ف يرجعون ليعرفوا السبب فيه ويردوا الملك الى مالكه السادس أراد به التوسعة على أيه لأن الزمان كان زمان القحط السابع رأى ان أخذ من الطعام من أيه ومن اخوته على شدة حاجتهم الى الطعام لئلا يظن الثامن خاف أن لا يكون عند أيه من المال ما يرجعون به مرة أخرى التاسع أنهم متى قصروا المتاع فوجدوا بضاعتهم فيه علموا أن ذلك كرم من يوسف عليه السلام ورجعوا فيبغثون ذلك الى العود اليه والحرص على معاملته عليه السلام (فلما رجعوا) أى اخوة يوسف عليه السلام (الى أيهم قالوا يا أبانا) اننا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة عظيمة لو كان رجلا من آل يعقوب ما أكرمنا كرامة فقال يعقوب عليه السلام اذا رجعت الى ملك مصر فأقرهمنى السلام وقولوا له ان أبانا يصورت بما أوليتنا ثم قال لهم أين سمعون قالوا ارتبته ملك مصر وأخبروه بالقصة وقولهم (منع منا الكيل) فيه قولان أحدهما أنهم لما طلبوا الطعام



لاخيهم الغائب عندهم منعوا منه والثاني أنهم منعوا الكيل في المستقبل وهو قول  
 يوسف عليه السلام فلا كيل لكم عندي ولا تقر بون ويدل لهم ما قولهم (فأرسل معنا  
 أخانا) بنيامين (نكتل) فان حمزة والكسائي قرأه بالياء أي يكتل لنفسه وهذا يدل لقول  
 الاول والباقون بالنون أي نكتل نحن وإياه وهذا يدل للقول الثاني (واناله لحافظون) عن  
 أن يناله مكروه حتى نرده اليك فلما قالوا يعقوب عليه السلام هذه المقالة (قال) لهم (هل  
 آمنكم) أي اقبل منكم الآن وفي مستقبل الزمان تأمينكم لي فيه بما يبوءني تأمينا مستقبلا  
 (عليه) أي بنيامين (الا كما آمنتمكم) أي في الماضي (على أخيه) يوسف عليه السلام (من  
 اقبل) فانكم أكدتم غاية التأكيد فلم تحفظوه لي ولم تردوه الي والامن اطمنان القلب الى  
 سلامة النفس فانا في هذا لا آمن عليه الا الله تعالى (فأله) المحيط علما وقدرة (خير حفظا) منكم  
 ومن كل أحد فقيه التفويض الى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع الامور وقرأ حفص وحزرة  
 والكسائي بفتح الحاء وألف بعدها وكسر القاء والباقون بكسر الحاء وسكون القاء وهو منصوب  
 على التمييز في القراءتين وتحتمل الاولى النصب على الحال اللازمة (وهو أرحم الراحمين) أي  
 أرحم بي من أن يفجعني به بعد صيبي بأخيه فلا يجمع على مصيبتين (ولما) أرادوا تفريغ  
 ما قدموا به من المرة (فقدوا متاعهم) أي أوعيتهم التي جلوها من مصر (وجدوا بضاعتهم) أي  
 ما كان معهم من كعنان لشراء القوت (ردت اليهم) والوجدان ظهور الشيء للنفس بحاسة  
 أو ما يغني عنها فكانه قيل ما قالوا فقبل (قالوا) أي لا يهيم عليه السلام (يا أبا تاما) استفهامية  
 أي أي شيء (تبعي) أي تريد جميع القراء أثبتوا الياء وقفا ووصلا لثباتها في الرسم فكانه قال  
 لهم ما الخبر فقالوا يا نالذلت وتأ كيدا للسؤال في استصحاب أخيه (هذه بضاعتنا ردت الينا)  
 هل من مزيد على ذلك أكرمنا وأحسن مثوانا وابع منا وردنا علينا متاعنا ولما كان التقدير  
 ونرجع بها اليه بأخينا فيظهر له نصحننا وصدقنا (ونعير أهنا) أي تجلب اليهم الميرة برجوعنا اليه  
 والميرة الاطعمة التي تحمل من بلد الى بلد (ونحفظ أخانا) فلا يصيبه شيء مما تخشى عليه تأ كيدا  
 للوعد بحفظه (وزداد كيل بعير) لاخينا (ذلك كيل يسير) أي سهل على الملك لسخائه وحرصه  
 على البذل وقيل قصر المدة ليس سبيل مثله أن تطول مدته بحسب الحبس والتأخير وقيل قليل  
 فابعث أخانا معنا حتى نبذل تلك القلة بالكثرة فكانه قيل ما قال لهم فقبل (قال) يعقوب  
 عليه السلام (لن أرسله) أي بنيامين كائنا (معكم) أي في وقت من الاوقات (حتى تؤتوني  
 موثقا) أي عهدا مؤكدا (من الله) قرأ ابن كثير بإثبات الياء بعد النون وقفا ووصلا  
 وأبو عمرو بإثبات الياء وقفا لا وصلا وحذفها الباقيون وقفا ووصلا وقوله (لتأنتني) أي كلتم  
 (به) أي تحلفوا بالله لتأنتني به من الاتيان وهو الهجى في كل حال جواب القسم أو المعنى في حق  
 تحلفوا بالله لتأنتني به (الا) أي في حال (أن يحاط) أي تحصل الاحاطة بصيبية من المصائب  
 لا طاقة لكم بها (بكم) فتهلكوا من عند آخركم كل ذلك زيادة في التوثيق بما حصل له من  
 المصيبة يوسف عليه السلام وان كان الاعتقاد في حفظه انما هو على الله تعالى وهذا من باب

اعقلها وثو كل فأجابوه الى ذلك كما قال تعالى (فلما آتوه موثقهم) بذلك (قال الله على  
 ما نقول) نحن وأنتم (وكيل) أي شهيد وأرسله معهم بعد ذلك (فان قيل) لم أرسله معهم  
 وقد شاهد منهم ما شاهد في يوسف عليه السلام (أجيب) بأن ذلك لوجوه أحدها أنهم  
 كبروا ومالوا الى الخير والصلاح الثاني انه كان شاهداً أنه ليس بينهم وبين بنيامين من الحسد  
 والحقد مثل ما كان بينهم وبين يوسف عليه السلام الثالث لعل الله أوحى اليه وضمن حفظه  
 وايصاله اليه (و) لما عزموا على الخروج الى مصر وكانوا موصوفين بالسكال والجمال وأبناء  
 رجل واحد (قال) لهم (يا بني لا تدخلوا) اذا قدمت الى مصر (من باب واحد) من أبوابها  
 (وادخلوا من أبواب) واحترز من أن تكون متلاصقة أو متقاربة جداً بقوله (متفرقة)  
 أي تفرقا كثيراً وهذا حكم التكليف لتلاصقها بالعين وهي من قدر الله تعالى وقد ورد  
 شرعاً بذلك ففي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال العين حق  
 وفي رواية عن أحمد يضرها الشيطان وحسد ابن آدم وفي رواية لمسلم العين حق ولو كان  
 شيء سابق القدر لسبقته العين وفي رواية عن جابر أن العين تدخل الجمل القدر والرجل  
 القبر وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم كان يبه وذو الحسن والحسين فيقول أعيد كما بكلمات  
 الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول هكذا كان يعوذ إبراهيم اسمعيل  
 واسحق صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر النبيين وعن عبادة بن الصامت قال دخلت على  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول النهار فوجدته شديد الوجع ثم عدت اليه في آخر النهار  
 فرأيت به معاني فقال أن جبريل عليه السلام أتاني فرقاني فقال بسم الله أرقبك من كل شيء  
 يؤذيك من كل عين وحسد الله يشفيك قال فافقت وفي رواية أن بنى جعفر بن أبي طالب  
 كانوا غلماناً يضافقات أسماء يارسول الله أن العين اليهم سريرة فاسترق لهم من العين فقال لها  
 نعم وفي رواية دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت أم سلمة وعندها صبي يشتكي فقالوا  
 يارسول الله أصابته العين فقال أما تسترقون له من العين وعن عائشة رضي الله تعالى عنها كان  
 يومر العائن أن يتوضأ ثم يغتسل منه المعين الذي أصيب بالعين ولما خاف يعقوب عليه السلام  
 أن يسبق من أمره هذا الى بعض الاوهام أن الحذر يغني عن القدر في ذلك بقوله عليه السلام  
 (وما أغنى) أي ادفع (عنكم) بقولي ذلك (من الله من شيء) قدره عليكم وانما ذلك شفقة  
 ومن مزيدة للتأكيده واعلم أن الانسان مأمور بأن يراعى الاسباب المعبرة في هذا العالم بأن  
 يجزم بأنه لا يحصل الا ما قدره الله تعالى وان الحذر لا يدفع القدر فالانسان مأمور بأن يحذر  
 الاشياء المهلكة والاعذية الضارة ويسعى في تحصيل المنافع ودفع المضار بقدر الامكان  
 ومع ذلك يكون جازماً بأنه لا يصل اليه الا ما قدره الله تعالى ولا يحصل في الوجود الا ما أراه  
 الله تعالى فقوله عليه السلام لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة اشارة الى  
 رعاية الاسباب المعبرة في هذا العالم وقوله وما أغنى عنكم من الله من شيء اشارة الى عدم  
 الالتفات الى الاسباب بل الى التوحيد المنهض والبراءة من كل شيء سوى الله تعالى ولما ظهر

الامر كله اليه تعالى وجب رد كل امر اليه وقصر النظر عليه فقال منها على ذلك (ان الحكم  
 الا لله) وحده الذي ليس الحكم الا له (عليه) أي على الله وحده (توكلت) أي جعلته  
 وكيلى فرضيت بكل ما يفعل (وعليه) وحده (فليتوكل المتوكلون) أي الثابتون في باب  
 التوكل فان ذلك من أعظم الواجبات من فعله فاز ومن أعقله خاب وقد ثبت بالبرهان ان لاحكم  
 الا لله فلزم القطع بأن حصول كل الخيرات ودفع كل الآفات من الله تعالى وذلك يوجب أن  
 لا توكل الا على الله تعالى فهذا مقام شريف عال والشيخ أبو حامد الغزالي أكثر في تقرير  
 هذا المعنى في كتاب التوكل من كتب احياء علوم الدين فمن أراد الاستقصاء فيه فليطالع  
 ذلك الكتاب \* ولما قال يعقوب عليه السلام وما أغنى عنكم من الله من شيء صدقه الله  
 تعالى في ذلك فقال (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أي متفرقين (ما كان) ذلك  
 التفرق (يعنى عنهم من الله) أي من قضائه وأغرق في النفي فقال (من شيء) أي مما قضاه  
 عليهم كما تقدم من قول يعقوب عليه السلام فسرقوا وأخذ بنهامين يوجدان الصواع في رحله  
 وتضاعفت العصية على يعقوب عليه السلام وقوله تعالى (الاحاجة) استثناء منقطع أي  
 لكن حاجة (في نفس يعقوب) وهي الوصول الى ما أمر به شفقة عليهم (قضاها) يعقوب عليه  
 السلام وبرزها من نفسه الى أولاده فعملوا فيها بما راده فاغنى عنهم الخلاص من عقوق أبيهم  
 فقط (وانه) أي يعقوب عليه السلام مع أمره لبنيه بذلك (لذو علم) أي معرفة بالحكمين حكم  
 التكليف وحكم التقدير واطلاع على الكونين عظيم (لما علمناه) بالوحي ونصب الحجج ولذلك  
 قال وما أغنى عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره \* ولما كان قد يظن أن كل أحد يكون  
 كذلك أي يعلم ما علمه نبي ذلك سبحانه وتعالى بقوله جل شأنه (ولكن أكثر الناس) أي لاجل  
 ما نالهم من الاضطراب (لا يعلمون) أي ليسوا بذوى علم لما علمناهم لاعراضهم عنه واستفراغ  
 قواهم في الاهتمام بما وقع التكليف لهم به ومن أحوال الدنيا ومقابله فطرهم القويعة السليمة  
 بردها الى ما تدعوهم اليه المخطوط والشهوات حتى لا يكون طب المخلوق \* ولما أخبرته تعالى عن  
 دخولهم الى البلد أخبر عن دخولهم لحاجتهم الى يوسف عليه السلام فقال (ولما دخلوا)  
 أي اخوة يوسف عليه السلام (على يوسف) في المقدمة الثانية بأخيهم بنيامين قالوا إذا أخونا  
 فقال أحسنتم واحتسبتم وسجدون خير ذلك عندي ثم أنزلهم وأكرم منزلهم ثم أضافهم  
 وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحيداً فبكى وقال لو كان أخي يوسف حياً  
 أجلسني معه فقال يوسف لقد صار أخوكم هذا وحيداً فأجلسه معه على مائدته وصار يوماً كله  
 فلما كان الليل أمر أن ينزل كل اثنين منهم يتناقض بنيامين وحده فقال يوسف هذا تمام معي على  
 فراشي كما قال تعالى (آوى) أي ضم (اليه اخاه) فبات معه وجعل يوسف يضمه اليه ويشمه  
 ثم قال له ما اسمك فقال بنيامين قال وما بنيامين قال المشكل وذلك انه لما ولد هلكت أمه قال  
 وما اسم أمك قال راحيل بنت لاوى قال فهل لك من ولد قال نعم عشرة بنين ولما رأى تأمسه  
 لاخيه هلك قال له أنتجب أن أكون أخاك بدل أخيك فقال ومن يجداً خامتك ولكنك لم يلدك

يعقوب ولا راحيل فبكي يوسف وقام اليه وعانقه (وقال اني انا اخوك فلا تبتمس) أي لا تحزن  
 (بما كانوا يعملون) أي بشئ فعلوه بنا فيما مضى فان الله قد أحسن الينا فلا تلتفت الى  
 أعمالهم المنكرة التي قد أقدموا عليها وقد جعلنا الله تعالى على خير ولا تعلمهم بشئ من ذلك وقرأ  
 نافع وابن كثير وأبو عمرو ويفتح الياء والباقون بالسكون ومتبعون من أن أقبل الهمة  
 المقنوعة نافع والباقون بالقصر ثم انه ملا لهم أو عيبتهم كما أرادوا وكان في المرة الاولى أبطأ  
 في تجهيزهم في طول المدة لانه عرف أخبارهم من حيث لا يشعرون ولذلك لم يعطف بالفاء وأسرع  
 في تجهيزهم في هذه المرة قصدا الى انفراده بأخيه من غير رقيب بالحيلة التي دبرها فلذلك أتت  
 الفاء في قوله (فلا جهزهم) أي اجعل جهازهم وأحسنه (بجهازهم جعل) بنفسه أو بما ذونه  
 (السقاية) أي المشربة التي كان يشرب بها (في رحل أخيه) أي وعاء طعام أخيه بنيامين  
 كما فعل يضاعتهم في المرة الاولى قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال ابن اسحق كانت من  
 فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجواهر وجعلها يوسف عليه  
 السلام ميكالاً لا يكال بغيرها وكان يشرب فيها قال الرازي هذا بعد لان الاناء الذي يشرب  
 فيه الملك لا يصلح أن يجعل صاعاً وقيل كانت الدواب تسمى بهما قال وهذا أيضا بعد لان الآنية  
 التي تسمى الدواب فيها لا تكون كذلك قال والاصوب أن يقال كان ذلك الاناء شياً له قيمة  
 أمالى هذا الحد الذي ذكره فلا والسقاية والصواع واحد ثم ارتحلوا وأمهلهم يوسف عليه  
 السلام حتى انطلقوا وذهبوا منزلاً وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم بعث خلفهم من  
 استوقفهم وجبهم (ثم أذن) أي أعلن فيهم بالنداء (مؤذن) فأتوا برفع صوته وان كانوا  
 في غاية القرب منه بما دل عليه اسقاط الاداة (أي القافلة) قال أبو الهيثم كل ما سير  
 عليه من الابل والحمار والبغال فهو عير قال وقول من قال العير الابل خاصة باطل فقوله أيتها العير  
 أي أصحاب العير كقوله يا خيل الله أركبي قال القراء كانوا أصحاب ابل وقال مجاهد كانت  
 العير جيراً وقرأ ورش بإبدال هـ مزة مؤذن واوا وقفاً وصلوا وحزة في الوقف فقط والباقون  
 بالقصر (انكم لسارقون) فقروا حتى تنظر الذي فقدنا والسرقة أخذ ما ليس له أخذه في خفاء  
 من حرز مثله (فان قيل) هل كان هذا النداء بأمر يوسف عليه السلام أو ما كان بأمره فان كان  
 بأمره فكيف يليق بيوسف عليه السلام مع علمه منصفه أن يهتأقوا ما وينسبهم الى السرقة  
 كذبا ويهتأنا وان كان بغير أمره فهلا أظهر برأتهم عن تلك التهمة (أجيب) بأجوبة الاول  
 انه عليه السلام لما أظهر لأخيه أنه يوسف قال لست أفارقك قال لا سبيل الى ذلك الا بتدبير  
 حيلة أتسبك فيها الى ما يليق بك قال رضيت بذلك وعلى هذا لم يتألم قلبه بسبب هذا الكلام  
 لانه قد رضى به فلا يكون ذلك ذنباً الثاني انكم لسارقون يوسف من أيه الا أنهم ما أظهروا  
 هذا الكلام فهو من المعارض وفي المعارض مندوحة من الكذب الثالث أن المنادي  
 انما ذكر النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا يخرج أن يكون كذبا الرابع ليس في القرآن  
 ما يدل على أنهم قالوا هذا بأمر يوسف عليه السلام قال الرازي والاقرب الى ظاهر الحال أنهم

فعلموا ذلك من أنفسهم لانهم لما طلبوا السقاية فلم يجدها ولم يكن هناك أحد غيرهم غلب على  
 ظمهم أنهم الذين أخذوها ولما وصل اليهم الرسول قال لهم ألم تحسن ضيافتكم وتكرم مشواكم  
 وتضيكم كيلكم وفعلنا بكم ما لم تفعل بغيركم قالوا بلى وما ذاك قالوا سقاية الملك فقد ناهوا ولا نتهم  
 عليها غيركم فذلك قوله تعالى (قالوا) الحال أنهم قد (أقبلوا عليهم) أي على جماعة الملك المنادى  
 وغيره (ماذا) أي ما الذي (تفقدون) مما يمكننا أخذه والفقدان ضد الوجود (قالوا تفقد) وكان  
 للسقاية اسمان فعبروا بقولهم (صواع الملك) والصواع هو المكيال وهو السقاية المتقدمة سموه  
 تارة كذا وتارة كذا وإنما اتخذوا هذا الأناء مكيالا لعززة ما يكال به في ذلك الوقت (ولمن جاء به  
 حل بعير) أي من الطعام والبعير يطلق لغة على الذكر خاصة وأطلقه بعضهم على الناقة أيضا  
 وجعله نظيرا لسان وهو ما جرى عليه الفقهاء في باب الوصية والجمع في القصة على أبعرة  
 وفي الكثرة على بعيران (وأنا به زعيم) قال مجاهد هذا الزعيم هو الذي أذن والزعيم الكفيل وهذه  
 الآية تدل على أن الكفالة كانت صحيحة في شرعهم وقد حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 في قوله الزعيم غارم وإذا ورد في شرعنا ما يقر شرع غيرنا هل يكون شرعنا في ذلك خلاف  
 والراجح أنه ليس بشرع لنا (فان قيل) كيف تصح هذه الكفالة مع أن السارق لا يستحق شيئا  
 (أجيب) بأنهم لم يكونوا سراقاتا في الحقيقة فيحصل ذلك على مثل رد الضائع فيكون ذلك جهالة  
 أو أن مثل هذه الكفالة كانت جائزة عندهم في ذلك الزمان (قالوا) أي اخوة يوسف  
 عليه السلام (تالله) التاء حرف قسم وهي عند الجاهل ويريد من واو القسم والواو يدل من الباء  
 فهي فرع الفرع فلذلك ضعفت عن التصريف في الاسماء فلا تدخل الاعلى الجلالة الكريمة  
 أو الرب مضافا للكعبة أو الرحمن في قول ضعيف ولو قلت تالرحمن لم يجز أي والله (لقد علمتم)  
 أي بما جرت به من أماتنا قبل هذا في كون مجيئنا (ما بيننا) وأكذوا النبي باللام فقالوا  
 (لنفسد) أي نوقع الفساد (في الأرض) أي أرض مصر (ولقد علمتم) ما كنا أي بوجه من  
 الوجوه (سارقين) أي موصوفين بهذا الوصف قطعاً (فان قيل) من أين علموا ذلك (أجيب) بأن  
 ذلك يعلم محاراً وأمن أحوالهم وقيل لانهم ردوا البضاعة التي جعلت في رحالهم قالوا فلو كنا  
 سارقين ما رددناها وقيل قالوا ذلك لانهم كانوا معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم وكانوا إذا  
 دخلوا مصر كموا أفواه دوابهم كي لا تتناول شيئا من حروث الناس (قالوا) أي أصحاب يوسف  
 عليه السلام المنادى ومن معه (فاجزأوه) أي السارق وقيل الصواع (ان كنتم كاديين)  
 في قولكم ما كنا سارقين ووجد فيكم والجزاء مقابلة العمل بما يستحق من خير وشر (قالوا)  
 وثوقانهم بالبراءة واخبارا بالحكم عندهم (جزأوه من وجد في رحله) ولتحققهم البراءة علقوا  
 الحكم على مجرد الوجدان لا السرقة ثم أكدوا ذلك بقولهم (فهو جزأوه) قال ابن عباس  
 كان ذلك الزمان كل سارق يسرقه فلذلك قالوا ذلك أي فالسارق جزأوه أن يسلم  
 يسرقته إلى المسروق منه فيسرق سنة وكان ذلك سنة آل يعقوب في حكم السارق  
 وكان حكم ملك مصر أن يضرب السارق ويغرم ضمني قيمة المسروق فأراد يوسف أن يجبس

أخاه عنده فرد الحكم اليهم ليتمكن من حبسه عندهم (كذلك) أي الجزاء (تجزى  
 الظالمين) بالسرقة قال أصحاب يوسف فلا بد من تفتيش رجالكم فردوهم الى يوسف عليه السلام  
 فأمر بتفتيشها بين يديه (فبدأ بأوعيتهم) ففتشها (قبل وعاء أخيه) لثلاثتهم فلم يجد فيها شيئاً (ثم)  
 أي بعد تفتيش أوعيتهم والتأني في ذلك (استخرجها) أي السقاية أو الصاع لانه يذكروا ثبات  
 (من وعاء أخيه) فلما خرج الصاع من وعاء بنيامين نكس اخوته رؤسهم من الحياء وأقبلوا  
 على بنيامين يلومونه ويقولون له ايش الذي صنعت فضعنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل  
 ما زال لنا منكم بلاء حتى أخذت هذا الصاع فقال بنيامين بل بنور راحيل ما زال لهم منكم بلاء  
 ذهبتم بأخي فاهلكتموه في البرية ان الذي وضع هذا الصاع في رحلي هو الذي وضع البضاعة  
 في رحالكم فأخذ بنيامين رقيقاً وقل ان المنادي وأصحابه هم الذين تولوا تفتيش رجالهم  
 وهم الذين استخرجوا الصاع من رحله فأخذوه برقبته وردوه الى يوسف عليه السلام (تنبية) •  
 ههنا هم مرتان مختلفتان من كلمتين قرأنا فع وابن كثير وأبو عمرو وبأبدال الثانية بياء والباقون  
 بالتحقيق (كذلك) أي مثل ذلك الكيد (كذلك يوسف) خاصة بأن علمنا اياه جزاء لهم  
 على كيدهم بيوسف عليه السلام في الابتداء وقد قال يعقوب ليوسف عليه السلام في كيدوا  
 لك كيدا والكيد من الخلق الحيلة ومن الله تعالى التدبير بالخلق فالمراد من هذا الكيد هو  
 ان الله تعالى ألقى في قلب اخوته بأن حكموا أن جزاء السارق هو أن يسرق لاجرم لما ظهر  
 الصاع في رحله **•** وعلية بالاسترقاق وصار ذلك سبباً لتمكن يوسف عليه السلام من  
 امسأله أخيه عن نفسه • ولما كان الكيد يشعر بالحيلة والخديعة وهو في حق الله تعالى  
 محال حل على الغاية ونهايته هنا القاء الانسان من حيث لا يشعر في أمر مكروه لاسيما له  
 الى دفعه فالكيد في حق الله تعالى محال على هذا المعنى وقيل المراد بالكيد ههنا ان اخوة  
 يوسف سعوا في ابطال أمره والله تعالى نصره وقواه وأعلى أمره وقوله تعالى (ما كان) أي  
 يوسف (ليأخذ أخاه في دين الملك) أي حكمه بيان للكيد لان جزاءه كان عنده الضرب  
 وتفرم مثلي ما أخذ لانه يستعبد وقوله تعالى (الآن يشاء الله) فيه وجهان أحدهما  
 أنه استثناء منقطع تقديره ولكن بمشيئة الله أخذه في دين غير دين الملك وهو دين آل يعقوب عليه  
 السلام ان الاسترقاق جزاء السارق والثاني انه مفرغ من الاحوال العامة والتقدير  
 ما كان ليأخذه في كل حال الا في حال التباسه بمشيئة الله أي اذنه في ذلك • ولما كان يوسف عليه  
 السلام انما **•** كان من ذلك بعلا ودرجته وعكسه ورفعه بعدما كان فيه عندهم من  
 الصغار كان ذلك محل عجب فقال تعالى التفاتاً الى مقام التكلم (نرفع درجات من نشاء) أي  
 بالعلم كما نرفعنا درجته وكان الاصل درجاته ولكنه عمم لانه أدل على العظمة فكان أليق  
 بظهورها وفي هذه الآية دليل على ان العلم أشرف المقامات وأعلى الدرجات لان الله تعالى  
 لما هدى يوسف عليه السلام الى هذه الحيلة مدحه لاجل ذلك ورفع درجته على اخوته ويوسف  
 ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى نرفع درجات من نشاء عندما حكى عنه دلائل التوحيد والبراهة

عن الهيئة الشمس والقمر والكواكب وقرأ عاصم وحزرة والكسائي بتووين التاء والباقون  
 بغير تووين (وفوق كل ذي علم عليم) قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي  
 العلم الى الله تعالى فالتعالى فوق كل عالم لانه هو الغنى بعلمه عن التعلم وفي الآية دليل على ان  
 اخوة يوسف عليه السلام كانوا علماء وكان يوسف أعلم منهم قال ابن الانباري يجب ان يتم العالم  
 نفسه ويستشعر التواضع لربه تعالى ولا يطمع نفسه في العلية في العلوم لانه لا يتجاوز عالم من عالم  
 فوفاه ولم يحصل لآخوة يوسف من اخراج الصواع من رحل بنيامين ما حصل فكأنه قيل  
 لما كان فعلهم عند ذلك فقيل (قالوا) تسبية لانفسهم ودفء للعار عن خاصتهم (ان يسرق)  
 ولم يجزموا بسرقة لعلمهم بامانه وظنهم ان الصواع دس في رحله وهو لا يشعر كما دست بضاعتهم  
 في رحالهم وكان قد قال لهم ذلك (فقد سرق أخ له من قبل) أي يوسف وكان غرضهم من  
 ذلك ان السنا على طريقته ولا على سيرته وهو وأخوه محتصان بهذه الطريقة لانهما من أم أخرى  
 واختلفوا في التي نسبوها الى يوسف عليه السلام على أقوال فقال سفيان بن عيينة أخذ حاجة  
 من الطير التي كانت في بيت يعقوب فأعطاهم سائلًا وقال مجاهد جاء سائل فأخذ بيضة من  
 البيت فنأولها السائل وقال وهب كان يخبأ الطعام من مأثمة يعقوب للفقراء وقال سعيد بن  
 جبير كان جده أبو أمه كافرا يعبد الوثن وأمرته أمه أن يسرق تلك الاوثان ويكسرهما ففعل به ترك  
 عبادة الاوثان ففعل ذلك فهذا هو السرقة وقال محمد بن اسحق ان يوسف عليه السلام كان  
 عند عمته ابنة اسحق وكانت تحبه حبا شديدا فأرادت أن تمسكه عند نفسها وكان قد بقي  
 معها من منطقة لاييم اسحق عليه السلام وكانوا يتبركون بها فشدها على وسط يوسف عليه السلام  
 من تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم قالت انه سرقها وكان علمهم أن من سرق يسترق فقال يعقوب  
 عليه السلام ان كان قد فعل ذلك فهو علم لك فأمسكته عندها حتى ماتت فتوصلت بهذه الحيلة  
 الى امساكه عند نفسها قال ابن الانباري وليس في هذه الافعال كلها سرقة ولكنها تشبهها  
 فعبروه بها عند الغضب وقيل انهم كذبوا عليه وبمتهوه وكانت قلوبهم مملوءة من الغضب على  
 يوسف بعد تلك الوقائع وبعد انقضاء المدة الطويلة قال الرازي وهذه الواقعة تدل على ان قلب  
 الحاسد لا يطمن من الغل البتة (فأسرها يوسف في نفسه ولم يدها) أي يظهرها (لهم) والضمير  
 للكلمة التي هي قوله (قال) أي في نفسه (أنتم شرتمه ~~كأننا~~) أي من يوسف وأخيه أي  
 لسرقتكم أنماكم من أيكم وظلمكم له وقيل الضمير يرجع الى الكلمة التي قالوها في حقه وهي  
 قولهم فقد سرق أخ له من قبل وعلى هذا يكون المعنى فأسر يوسف جواب الكلمة التي قالوها  
 في حقه (والله أعلم) منكم (بما تصفون) أي تقولون وأنه ليس كما قلتم قال أصحاب الاخبار  
 والسيران يوسف عليه السلام لما استخرج الصاع من رحل بنيامين نقره وأذناه الى أذنه ثم قال  
 ان صاعى هذا يخبرني أنكم كنتم اثني عشر رجلا لاب واحد وانكم انطلقتم بأخ لكم من أيكم  
 فنقره فقال بنيامين أيها الملك ان صاعك يخبرك من جعله في رحلي ثم نقره وأذناه من أذنه فقال  
 ان صاعى غضبان وهو يقول كيف تسألوني عن صاعبي وقد رؤيت مع من كنت قالوا فغضب

رويل لذلك وكانوا أولاد يعقوب إذا غضبوا لم يطاقوا وكان رويل إذا غضب لم يقم لغضبه شيء  
 وكان إذا صاح ألقى كل حامل حمله إذا سمعت صوته وكان مع هذا إذا مسه أحد من  
 ولدي يعقوب عليه السلام يسكن غضبه وكان أقوى الأخوة وأشدهم وروى أنه قال لأخوته  
 كم عدد الأسواق بمصر قالوا عشرة فقال كفوني أنتم الأسواق وأنا كفيتكم الملك  
 أو كفوني أنتم الملك وأنا كفيتكم الأسواق ودخلوا على يوسف فقال رويل لتردن علينا أخانا  
 أو لا صيحت صيحة لا تبقى بمصر امرأة حامل الألقى ولدها وقامت كل شعرة في جسده حتى  
 خرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير قم إلى جنب رويل نفسه ويروي خذيده فالتفتي به  
 فذهب الغلام نفسه فسكن غضبه فقال لأخوته من منى منكم قالوا لم يصيبك منى أحد فقال  
 رويل إن هنا بذرا من بذري يعقوب فقال يوسف من يعقوب وروى أنه غضب ثانياً فقام إليه  
 يوسف فركضه برجله وأخذ بتلابيبه فوقع على الأرض وقال أنتم يا معشر العبرانيين تظنون  
 أن لا أحد أشد منكم فلما صار أمرهم إلى هذا ورأوا أن لا سبيل لهم إلى تخليصه خضعوا وذلوا  
 و(قالوا يا أيها العزيز) فخاطبوه بما يليق بالأكابر ليرق لهم (أن الله) أي هذا الذي وجد الصواع  
 في رحله (أبأشجنا كبيراً) أي في سنه وقدره وهو مغرم به لا يقدر على فراقه ولا يصبر عنه  
 (فخذنا من مكانه) وأحسن إلى أبيه بإرساله إليه (اننا نزاله) أي نعلك علما هو كل رؤية أو بحسب  
 ما رأينا (من المحسنين) أي العريقين في ضفة الاحسان فاجري أمرنا على عادة احسانك فنكاته  
 قيل فما أجابهم قيل (قال معاذ الله) هو نصب على المصدر وحذف فعله وأضيف إلى المفعول أي  
 نعوذ بالذي لا مثل له معاذ أعظيما من (أن نأخذ الأمان وجدنا متاعنا عنده) ولم يقل سرق متاعنا  
 لأنه لم يفعل في الصواع فعل السارق ولم يقع منه قبل ذلك ما يصح إطلاق الوصف عليه ثم عطفه  
 بقوله (أنا إذا) أي إذا أخذنا أحدنا مكانه (الظالمون) أي عريقون في الظلم في دينكم فلم تطلبون  
 ما هو ظلم عندكم ولما استياسهم بما قال عن إطلاق بنيامين حكى الله تعالى ما تم لهم من  
 الرأي فقال (فلما) دال باللقاء على قرب زمن تلك المراجعات (استياسوا) أي ايسوا (منه) لما  
 رأوا من احسانه واطقه ورحمته ياسا شديداً بما رأوا من ثباته على أخذه بعينه وعدم استبداله  
 (خلصوا) أي انفردوا عن غيرهم حال كونهم (نجياً) وهو صدر يصلح للواحد وغيره أي ذوى  
 نجوى يتأجى بعضهم بعضاً فكانه قيل فما قالوا فليل (قال كبيرهم) في السن وهو رويل وقيل  
 في الفضل والعلم وهو يهوذا وقيل شععون وكان له الرياسة على أخوته (ألم تعلموا) مقرر لهم  
 بما يعرفونه مع قرب الزمان ليشهدوا توجههم في بذل الجهد في الخلاص من غضب أبيهم (إن  
 أباكم) أي الشيخ الكبير الذي فجعتموه في أحب ولده إليه (قد أخذ عليكم) أي قبل أن  
 يعطيكم هذا الولد الآخر (موثقاً) أي عهداً وثيقاً (من الله) في أخيكم وإنما جعل حلقهم بالله  
 موثقاً منه لأنه باذن منه وتأكيد من جهته وقوله (ومن قبل ما فرطتم) في هذه الآية وجوه  
 أظهرها أن ما مزيدة فيتعلق الظرف بالفعل بعدها والتقدير ومن قبل ما فرطتم أي قصرتم في  
 حق يوسف وشأنه وزيادة ما كثيرة وبه بدأ الزمخشري وغيره وقيل انهم صدمت في محل رفع



بالابتداء والخبر هو قوله (في يوسف) أي وتفريظكم كائن أو مستقر في يوسف وإلى هذا ذهب  
 القارسي وقيل غير ذلك ولا تطيل بذكره إذ في هذا القدر كفاية (فلن أبرح) أي أفارق  
 (الأرض) أي أرض مصر (حتى يأذن لي أبي) أي بالعود إليه (أو يحكم الله لي) بخلاص أخى  
 (وهو خير الحاكمين) أي أعدلهم (فان قيل) هذه الواقعة من أولها إلى آخرها تزوير وكذب  
 فكيف يجوز لتوسف عليه السلام أن يعمل مثل هذه الأعمال بآييه ولم يخبره بمكانه وحبس أخاه  
 أيضا عنده مع علمه بشدة وجدان آييه عليه وشدة غمه وفيه ما فيه من العقوق وايداء الناس من  
 غير ذنب لاسيما ويعلم انه اذا حبس أخاه عنده بهذه التهمة فانه يعظم حزن آييه ويشد غمه فكيف  
 يلقى بالرسول المعصوم المبالغ في التزوير إلى هذا الحد (أجيب) بأجوبة كثيرة للعلماء وأحسنها  
 انه انما فعل ذلك بأمر الله تعالى له لاعتن أمره وانما أمره الله تعالى بذلك ليعزيبه عن  
 السلام فيضعف له الاجر على البلاء ويلحقه بدرجة آيائه والله تعالى أسرار لا يعلمها أحد من  
 من خلقه وهو المتصرف في خلقه بما يشاء فهو الذي أخفى خبر يوسف عن يعقوب في هذه المدة  
 مع قرب المسافة لما يريد أن يدبره فيهم والله أعلم بأحوال عبادهم ثم قال كبيرهم (ارجعوا إلى  
 أبيكم) دوني (فقولوا) له أي متلفين في خطابكم (يا آياتنا) وأكدها مقالتكم فانه ينكرها  
 وقولوا (ان ابنك سرق) (فان قيل) كيف يحكمون عليه بأنه سرق من غير بينة وهو قد أجابهم  
 بالجواب الشافي فقال الذي جعل الصاع في رحلي هو الذي جعل البضاعة في رحالكم (أجيب)  
 بأنهم لما شاهدوا الصاع وقد أخرج من متاعه غلب على ظنهم أنه سرق فلذلك نسبوه إلى  
 السرقة في ظاهر الامر لا في حقيقة الحال ويدل على أنهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم (وما  
 شهدنا) عليه (الاجماع لنا) ظاهر من رؤيتنا الصاع يخرج من وعائه وأما قوله وضع الصاع  
 في رحلي من وضع البضاعة في رحالكم فالفرق ظاهر لان هذا المارجه وبالْبضاعة اليهم  
 اعترفوا بأنهم هم الذين وضعوها في رحالهم وأما هذا الصاع فان أحد الميعترف بأنه هو الذي  
 وضع الصاع في رحله فلهذا السبب غلب على ظنهم أنه سرق فشهدوا بانه على الظن (وما كنا  
 للغيب) أي ما غاب عنا حين أعطينا الموثق (حافظين) أي ما كنا نعلم ان ابنك يسرق ويصير أمرنا  
 إلى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به معنا وانما قلنا ونحفظ أماننا مما لنا إلى حفظه سبيل وحقيقة  
 الحال غير مملومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى فلعن الصاع دس في رحله ونحن لانعلم ذلك  
 فلعن حيلة دبرت في ذلك غاب عنا علمها كما صنع في رد بضاعتنا (واسأل القرية) أي أهلها على  
 حذف المضاف وهو مجاز مشهور وقيل انه مجاز لانه من باب اطلاق المحل وارادة الحال (التي  
 كافيها) وهي مصر عما أخبرناك به بخبروك بصدقنا فان الامر قد اشتهر عندهم وقيل هي قرية  
 من قرى مصر كانوا ارتحلوا منها إلى مصر (واسأل العير) أي القافلة وهم قوم من كتعان  
 جيران يعقوب عليه السلام (التي أقبلنا فيها) والسؤال طلب الاخبار بأدائه من الهمزة أو أهل  
 أو غيرهما والقرية الأرض الجامعة لحيد وفاصلة وأصلها من قرية الماء جمعته والعير قافلة  
 الحبر من العير بالفتح وهو الحمار هذا هو الاصل ثم كثر حتى استعمل في غير الحبر ولما كان ذلك

بالانكار لما يتحقق من كرم أخيه أ كدوه بقوا لهم (وانا) أي والله انا (لصادقون) في أقوالنا  
 ولما رجعوا إلى أبيهم وقالوا له ما قال كبيرهم فكانه قيل فما قال لهم فقيل (قال) لهم (بل سئلت)  
 أي زينت تريننا فيه غي (لكم أنفسكم أمرا) أي حدثتكم بأمر ففعلتموه والافعال أدري الملك  
 أن السارق يؤخذ بسرقة (فصبر جميل) أي فأمرى صبر جميل أو فصبر جميل صبري أو أجل وقدم  
 مثل ذلك في واقعة يوسف لأنه قال فيها والله المستعان على ما تصفون وقال هنا (عسى الله أن  
 يأتيني بهم) أي يوسف وثيقته بنيامين والآخر الثالث الذي أقام بعصر (جميعا) أي فلا يظن  
 منهم أحد وانما قال يعقوب عليه السلام هذه المقالة لأنه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته  
 علم أن الله تعالى سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله تعالى  
 وتقر من أن هذه الأفعال نشأت عن يوسف عليه السلام وأن الأمر يرجع إلى سلامة واجتماع  
 ثم علل هذا بقوله (انه هو العليم) أي البليغ العلم بما خفي عن من ذلك فيعلم أسبابه الموصلة إلى  
 المقاصد (الحكيم) أي البليغ فيما يدبره ويقضيه (و) لما ضاق قلب يعقوب عليه السلام  
 بسبب الكلام الذي سمعه من أبنائه في حق بنيامين (تولى عنهم) أي انصرف بوجهه عنهم لما  
 تولى عنه من الحزن (وقال يا أسفا) أي يا أسنى (على يوسف) أي تعال هذا وأنتك والاسف  
 أشد الحزن والحسرة والالفة بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون أخويه والحادث  
 انما هو مصيبتهم لأن مصيبتهم كانت قاعدة المصائب والحزن القديم اذا صادفه حزن آخر كان  
 ذلك أوجع لنقلب وأعظم لهيجان الحزن الأول كما قال متم بن نويرة لما رأى قبرا جديدا جدد  
 حزنه على أخيه مالك

فقالوا أتسكى كل قبر رأيت \* اقبر نوى بين اللوى والدكادك

فقلت نعم أن الامى يبعث الاسى \* فدعنى فهذا كله قبر مالك

ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي حديث رواه الطبراني لم تعط أمة من الامم ان الله وانا  
 له راجعون عند المصيبة الأتمة محمد صلى الله عليه وسلم الأثرى إلى يه قوب حين أصابه  
 ما أصابه لم يسترجع وقال يا أسفا (وايضا عينا) أي أنحق موادهما ويبدل بيضا (من الحزن)  
 أي من كثرة البكاء عليه وقيل عند غلبة البكاء يكثر الماء في العين فتصير العين كأنها ابيضت  
 من يياض ذلك الماء وقيل ضعف بصره حتى صار يدرك اذرا كالطيفاقيل عى وقال مقاتل  
 لم يبصر به ما ست سنين حتى كشفه الله تعالى بقميص يوسف عليه السلام قيل ان جبريل عليه  
 السلام دخل على يوسف في السجن فقال ان بصر أيك ذهب من الحزن عليك فوضع يده على  
 رأسه وقال ليت أعى لم تلدنى ولم أكن حزنا على أبى (فان قيل) هذا اظهار للجزع وجار مجرى  
 الشكاية وهو لا يليق بعنل يعقوب عليه السلام (أجيب) بأنه لم يذكر الا هذه الكلمة ثم عظم  
 بكافه ثم أمسك لسانه عن النياحة وذكر ما لا ينبغي ولم يظهر الشكاية مع أحد من الخلق  
 ويدل لذلك قوله (فهو كظيم) أي مغمووم مكروب لا يظهر كربه وقوله انما أشكو بثى وحزنى إلى  
 الله فكل ذلك يدل على أنه لما عظمت مصيبتهم وقويت محنته صبر وتجرع القصة وما أظهر

الشكايه به فلا جرم استوجب به المدح العظيم والثناء الجزيل روى ان يوسف عليه السلام قال  
 لجبريل عليه السلام هل لك علم يعقوب قال نعم قال فكيف حزنه قال حزن سببها شكلي وهي  
 التي لها واحد يعقوب قال فهل له اجر قال نعم اجر مائة شهيد ولعل أمثال ذلك لا يدخل تحت  
 التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد وأيضا البكاء مباح فقد بكى رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يستغضب الرب واناعلى  
 فراقك يا ابراهيم لمحزونون رواه الشيخان \* (تنبيه) \* شرف الانسان باللسان والعين والقلب  
 فين تعالى أن هذه الثلاثة كانت غريقة في الغم فاللسان كان مشغولا بقوله يا أسفا والعين  
 بالبكاء والبياض والقلب بالغم الشديد الذي يشبه الوعاء المملوء الذي سد فلا يمكن خروج الماء  
 منه وهذا مبالغة في وصف ذلك الغم \* ولما وقع من يعقوب عليه السلام ذلك كان قائلا يقول  
 فما قال له أولاده فقيل (قالوا) له حنقا من ذلك (تالله تفتقروا) أي لا تفتقروا أي لا تزال (تذكر  
 يوسف) تنجها فتفتقروا جواب القسم وهو على حذف لا كقول الشاعر

فقلت بين الله أبرح قاعدا \* ولو قطع وارأسى اليك وأوصالى

ويدل على حذفها أنه لو كان مثبتا لاقرن بلام الابتداء ونون التوكيد معا عند البصريين  
 وأحدهما عند الكوفيين فنفتقروا ناقصة بمعنى لا تزال كما تقرر ورسمت فتفتقروا الواو (حتى) إلى  
 أن (تكون حرضا) أي مشرفا على الهلاك للطول مرضك وهو مصدر يستوي فيه الواحد  
 وغيره (أو تكون من الهالكين) أي الموتي (فان قيل) لم حلفوا على ذلك مع أنهم لم يعلموا ذلك  
 قطعا (أجيب) بأنهم بنوا الأمر على الظاهر قال أكثر المفسرين قائل هذا الكلام هم اخوة  
 يوسف وقال بعضهم ليس الاخوة بل الجماعة الذين كانوا في الدار من أولاده وخدمه \* ولما قالوا  
 لذلك فكان قائلا يقول فما قال لهم فقيل (قال) لهم (انما أشكو ابني) والبت أشد الحزن  
 سمي بذلك لانه من صعوبته لا يطاق حمله فيباح به وينشر (وحزني) مطلقا وان كان سببه خفيفا  
 يقدر الخلق على ازالته (إلى الله) المحيط بكل شيء علما وقدرة لا إلى غيره فهو الذي تنفع الشكوى  
 إليه (وأعلم من الله) أي الملك الاعلى من اللطف بنا أهل البيت (مالا تعلمون) فيأتي بالفرج  
 من حيث لا أحسب وفي ذلك إشارة إلى أنه كان يعلم حياة يوسف ويتوقع رجوعه إليه وذكر  
 لسبب هذا التوقع أمورا أحدها أن ملك الموت أتاه فقال له ياملك الموت هل قبضت روح ابني  
 يوسف قال لا يا بني الله ثم أشار إلى جانب مصر وقال اطلبه من ههنا ولذلك قال (يا بني اذهبوا  
 فتحسسوا) أي والتحسس طلب الخبر بالحاسة وهو قرىب من التحسس بالجيم وقيل التحسس  
 بالحاء يكون في الخبر وبالجميم يكون في الشر ومنه الجاسوس وهو الذي يطلب الكشف عن  
 عورة الناس والمعنى تحسسوا خيرا (من) أخبار (يوسف وأخيه) أي اطلبوا خبرهما  
 وثانيها أنه علم أن رؤيا يوسف عليه السلام صادقة لان أمارات الرشد والكمال ظاهرة في حق  
 يوسف عليه السلام ورؤيا مثله لا تخطئ وثالثها العلة تعالى أوحى إليه أنه سيوصله إليه ولكنه  
 تعالى ما عين الوقت فلماذا بقى في الطلق ورابعها قال السدي لما أخبره بنو بسيرة الملك وكان

حاله وأقواله وأفعاله طمع في أن يصكون هو يوسف وقال بعيد أن يظهر في الكفار مثلهم  
 تلتف بينه وقال لهم (ولايأسوا) أي تضطوا (من روح الله) قال ابن عباس من رغبة الله  
 وقال قتادة من فضل الله وقال ابن زيد من فرج الله (انه لا يأس من روح الله الا القوم  
 الكافرون) أي الغريهون في الكفر قال ابن عباس ان المؤمن من الله على خير يرجوه في البلاء  
 ويحمده على الرخاء والكافر على الضد من ذلك فان اليأس من رغبة الله لا يحصل الا اذا اعتقد  
 الانسان أن الله العالم غير قادر على الكمال أو غير عالم بجميع المعلومات أو ليس بكريم بل هو  
 بخل وكل واحد من هذه الثلاثة يوجب الكفر واذا كان اليأس لا يحصل الا عند حصول أحد  
 هذه الثلاثة وكل واحد منها كفر ثبت أن اليأس لا يحصل الا لمن كان كافرا وقرأ البري بعد التاء  
 من تياسوا وبعد الياء من لا يأس بألف وبعدها ياء مفتوحة بخلاف عنه واليساقون هم مزة  
 مفتوحة قبلها ياء ساكنة ولما قال يعقوب عليه السلام لبنية ذلك قبلوا منه هذه الوصية وعادوا  
 الى مصر (فلما دخلوا عليه) أي على يوسف عليه السلام (قالوا يا أيها العزيز) وكان العزيز  
 لقب الملك مصر يومئذ (مسنوا أهلنا) أي من خلفناهم ورائنا (الضر) أي لا يستمال بسنة  
 فحسها (وجئتنا بضاعة) وقالوا (مزجاة) اما لنقصها أو لرداءتها أو لهما جميعا وقال الحسن  
 البضاعة المزجاة القليلة واختلفوا في تلك الرداءة فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة  
 لا تقبل في ثمن الطعام وقيل متاع الاعراب الصوف والسمن وقيل الاقط وقيل النعال والادم  
 وقيل ان دراهم مصر كان ينقش فيها صورة يوسف عليه السلام والدراهم التي جاؤا بها ما كان  
 فيها ذلك فما كانت مقبولة عند الناس ثم سبوا عن هذا الاعتذار لانه أقرب الى رغبة أهل  
 الكرم قولهم (قاوف لنا الكيل) أي شفقة علينا بسبب ضعفنا (وتصدق) أي تفضل (علينا)  
 زيادة على الوفاء كما عودتنا بفضل ترجو ثوابه ولما رأوا أفعاله تدل على تسكيد بن الله تعالى عللوا  
 ذلك بقولهم (وان الله) أي الذي له الكمال كله (يجزي المتصدقين) أي وان كانت على غنى قوي  
 فكيف اذا كانت على أهل الحاجة والضعف \* (فائدة) \* سئل سفيان بن عيينة هل حرمت  
 الصدقة على نبي من الانبياء سوى نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام قال سفيان ألم تسع قوله  
 وتصدق علينا الآية يريد أن الصدقة كانت حلالا لهم ولايهم وروى أن الحسن سمع رجلا  
 يقول اللهم تصدق على قال ان الله لا يتصدق وانما يتصدق من يني الثواب قل اللهم أعطني  
 وتفضل على (فان قيل) اذا كان ابوهم أمرهم أن يتسوا من يوسف وأخيه فلم عادوا الى  
 الشكوى (أجيب) بأن المتسوس يتوصل الى مطالبه بجميع الطرق والاعتراف بالهجر  
 وضموا رقة المال وقلة المال وشدة الحاجة وذلك مما يرقق القلب فقالوا نجربه في هذه الامور  
 فان رقق قلبه لنا ذكركنا له المقصود والاسكتنا فقدّموا هذه المقدمة قال أبو اسحق ذكرني  
 أنهم سمعوا كلوا من هذا الكلام أدركته المرققة على اخوته فارفض دمه فباح بالذي كان يكره فلهذا  
 (قال) لهم (هل علمتم) مقتررا بهم بعد ان استأنسوا به قال البقاعي والظاهر ان هذا كان بغير  
 ترجمان (يا أي قبح الذي فعلتم بيوسف) أي أخيكم الذي حطتم بينه وبين أبيه (وأخيه) في

جعلكم اياه فريد آمنه ذليلا بينكم ثم في قواكم له لما وجد الصاع في رحله لا يزال يأتينا البلاء  
من قبلكم يا بني راحيل وانما قال لهم ذلك ليعلمهم وتقرىض على التوبة وشيقة عليهم لما  
رأى من عجزهم وتمسكهم لامعانة وتثريا وقيل أعطوه كتاب يعقوب عليه السلام في تخلص  
بنيامين وذكر والدهما هوفيه من الحزن على فقد يوسف وأخيه فقال لهم ذلك وقوله (اذ أنتم جاهلون)  
أى فاعلون فعلهم أولانهم كانوا حينئذ صيبا ناطيا شين نلو يصح الى معرفته فقد روى أنه لما قال هذا  
تيسم وكان في تيسمه أمر من الحسن لا يجهله منه من رآه ولو مرة واحدة فعرفوه بذلك فلذلك  
(قالوا أأنك لانت يوسف) استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقيل عرفوه بنظره  
وخلقه حين كلمه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان  
لسارقو يعقوب واسحق مثلها وقرأ ابن كثير بهمزة مكسورة بعدها نون على الخبر وقرأ قالون  
وأبو عمرو وبهمزة مفتوحة بعدها همزة مكسورة مسهلة بينهما ألف على الاستفهام وقرأ ورش  
بغير ألف بينهما والتسهيل في الثانية على الاستفهام أيضا وقرأ الباكون بتحقيق الهمزتين مع  
القصر ولها شام وجه ثان وهو المد وقيل انهم لم يعرفوه حتى (قال) لهم (أنا يوسف) وزادهم بقوله  
(وهذا أخى) بنيامين شقيقى وانما ذكره لهم ليزيدهم ذلك معرفة له وتبينا فى أمره وليبني عليه  
قوله (قدمن الله علينا) قال ابن عباس بكل خير فى الدنيا والآخرة وقال آخرون بالجمع بيننا بعد  
التفرقة (انه من يتق) أى المعاصى (ويصبر) أى على البليات وأذى الناس وقال ابن  
عباس يتق الزنا ويصبر على العزوبة وقال مجاهد يتق المعصية ويصبر على السجن (فان الله  
لا يضيع أجر المحسنين) والمعنى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجرهم فوضع المحسنين  
موضع الضمير لاشتماله على المتقين وقرأ قبيل باثبات الياء بعد القاف وقفا ووصلا واختلف  
المعربون فى ذلك على وجهين أجرودهما أن أثبت حرف العلة فى الجزم لغة لبعض العرب  
وأشدوا عليه قول قيس بن زهير

ألم يأتيك والاباء تنى \* بما لاقت لبون بنى زياد

(وقول الآخر)

هجون زيان ثم جئت معتذرا \* من هجوزيان لم تهجوا ولم تدع

(وقول الآخر)

لذا الهجوز غضبت فطلقى \* ولا ترضاها ولا تلاقى

والثانى أنه مر فوع غير مجزوم ومن موصولة والفعل صلتها فلذلك تم باثبات لامه وسكن يصبر  
لتوالي الحركات وان كانت فى كلمتين وقرأ الباكون بالحدف وقفا ووصلا ولما ذكر يوسف عليه  
السلام لاخوته ان الله تعالى من عليه وأنه من يتق ويصبر فان الله تعالى لا يضيعهم صدقوه فيه  
واعترفوا له بالفضل والمرتبة ولذلك (قالوا) محسبين بقولهم (تالله) أى الملك الاعظم (لقد أترك  
أى اختارك) (الله علينا) بالعلم والعقل والحلم والحسن والملك والتقوى وغير ذلك واحتج بعضهم  
بهمزة الألف على ان اخوته لم كانوا أنبياء لان جميع المناصب التى تكون مغايرة لمنصب النبوة

كالعدم بالنسبة اليه فلو شاركوه في منصب النبوة لما قالوا ذلك ثم قالوا (وان كنا لخاطئين) أي  
 والحال ان شأنا اننا كما مذنبين بما فعلنا معك ولذلك أذنا الله تعالى لك فكانه قيل ما قال لهم  
 على قدرته وتمكنه مع ما سلف من اهانتهم له فقيل (قال) لهم قول الكرام اقتداء ياخوانه من  
 الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام (لا تثريب) أي لا لوم ولا تعنيف ولا هلاك (عليكم اليوم)  
 وانما خصه بالذكر لانه مظنة التثريب فاذا اتى ذلك فيه فاطنك بما بعده ولما أعضاهم من  
 التثريب كانوا في مظنة السؤال عن كمال العفو والمزبل للعقاب من الله تعالى فاتبعه الجواب عن  
 ذلك بالدعاء لهم بقوله (يقض الله) أي الذي لا اله غيره (لكم) أي ما فرط منكم وعبر في هذا الدعاء  
 بالمضارع ارشاد لهم الى اخلاص التوبة ورجعهم في ذلك ورجاهم بالصفة التي هي سبب الغفران  
 فقال (وهو) تعالى (أرحم الراحمين) لجميع العباد لاسيما التائب فهو جدير بادراك النعم روى  
 أنهم أرسلوا اليه انك لتدعوننا الى طعامك وكرامتك بكثرة وعشوا ونحن نسحق بمفرط منافق قال  
 ان أهل مصر يتظنونني وان ملكت فيهم بعين العبودية فيقولون سبحان من بلغ عبد ابشرين  
 درهما ما بلغ ولقد شرفت الان بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس أنكم اخوتي واني من  
 ذرية ابراهيم عليه السلام ولما اقترأ عينهم بعد اجتماع نملهم بازالة ما يخشونه دنيا وأخرى  
 سأل عن أبيه فقال ما فعل أبي بعدى قالوا ابضت عيناه من الحزن فأعطاهم قميصه وقال  
 (اذهبوا بقميصي هذا) وهو قميص ابراهيم عليه السلام الذي لبسه حين ألقى في النار عريانا  
 فأتاه جبريل بقميص من حر الجنة فألبسه اياه وكان ذلك عند ابراهيم فلما ملت ابراهيم ورثه  
 اسحق فلما مات اسحق ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك في قصبة من فضة  
 وسد رأسها وعلقها في عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما ألقى في  
 البئر عريانا جاءه جبريل وعلى يوسف ذلك التعويذ فأخرج القميص وألبسه اياه في الوقت  
 جاء جبريل عليه السلام وقال ارسل ذلك القميص فان فيه ريح الجنة لا يبعث على مبتلى ولا  
 على سقيم الا عوفي فدفع يوسف ذلك القميص الى اخوته وقال اذا وصلت الى أبي (فالقوه على  
 وجه أبي بات) أي بصير (بصيرا) أي يرد اليه بصره كما كان أوأت الى حال كونه بصيرا  
 (واتوني) أي أبي وأنتم (بأهلكم) أي مصاحبين لكم (أجمعين) لا يتخلف منكم أحد فرجعوا  
 بالقميص لهذا القصد وروى أن يهودا هو الذي حمل القميص لما الطخوم بالدم فقال لا يحمل  
 هذا غيري لا فرحه كما أسرته لحمله وهو حاف من مصر الى كنعان وبينهما ثمانون فرسخا (ولما  
 فصلت العير) من عريش مصر وهو آخر بلاد مصر الى أول بلاد الشام (قال أبوهم) لولد ولده  
 ومن حوله من أهله مؤكدا لعله أنهم ينكرون قوله (اني لاجدر بريح يوسف) أوصلته اليه بريح  
 الصبا باذن الله تعالى من مسيرة ثلاثة أيام أو ثمانية أو أكثر قال مجاهد هبت ريح فصفت  
 القميص فصاحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم عليه السلام  
 أنه ليس في الدنيا من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص قال أهل المعاني ان الله تعالى  
 أوصل اليه ريح يوسف عليه السلام عند انقضاء مدة المحنة وهي وقت الفرج من المكان

البعيد ومنع من وصول خبره اليه مع قرب احدي البلدتين من الاخرى في مدة ثمانين سنة وذلك يدل على أن كل سهل فهو في زمان المحنة صعب وكل صعب فهو في زمان الاقبال سهل ومعنى أجدر يح يوسف أشم وعبر بالوجود لانه وجد ان له بحماسة الشتم (لولا أن تضد ون) أي تسبوني الى الطرف قال أبو بكر الانباري أفند الرجل اذا خرف وتغير عقله وعن الاصمعي اذا كثر كلام الرجل من خرف فهو مضند قال في الكشف يقال شيخ مضند ولا يقال مجوز مضند لانهم لا تكن في شبيبتهم اذا رأى حتى تضد في كبرها وقيل التضيد الفساد يقال فندت فلانا اذا أفندت رأيه ورددته قال بعضهم

يا صاحبي دع الومي وتضيدي \* فليس ما فات من أمر مجرد

ولما ذكر يعقوب عليه السلام ذلك (قالوا) أي الحاضرون عنده (تالله أنك لني ضلالك) أي حبك (القديم) ليوسف لا تنساه ولا تذلل عنه على بعد العهد وهو كقول اخوة يوسف ان أبانا لني ضلال مبین وقال مقاتل معنى الضلال هنا الشقاء أي شقاء الدنيا والمعنى أنك لني شقاتك القديم بما تكابده من الاحزان على يوسف وقال الحسن انما خاطبوه بذلك لاعتقادهم أن يوسف قدمات فكان يعقوب في ولوعه بذكره ذاهبا عن الرشد والصواب ثم انهم مجلوا له بشيرا فأسرع قبيل وصولهم بالقميص (فلما) وزيدت (أن) لتأكيد مجيئه على تلك الحالة وزيادتها بعد لما قياس مطرد (جاء البشير) وهو يهوذ ابذلك القميص (اللقاء) أي طرحه البشير (على وجهه) أي يعقوب وقيل اللقاء يعقوب على وجه نفسه (فارتد) أي رجع (بصيرا) أي صيره الله بصيرا كما كان يقال طالت النضلة والله تعالى هو الذي أطالها \* ولما ألقى القميص على وجهه وبشيرا بحياة يوسف عليه السلام عظم فرحه وانشرح صدره وزالت أحزانه فعند ذلك (قال) لبيته (ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون) من حياة يوسف وان الله تعالى يجمع بيننا قال السهيلي لما جاء البشير الى يعقوب عليه السلام أعطاه في بشارته كلمات كان يرويه عن أبيه عن جده عليهم السلام وهي بالطفيا فوق كل لطيف الطفي في أمورى كلها كما أحب ورضيتني في دنياي وآخري وروى أن يعقوب عليه السلام قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة فعند ذلك (قالوا يا أبانا) منادين بالاداة التي تدل على الاهتمام العظيم بما بعد المال من عظيم الوقع (استغفر) أي اطلب من الله تعالى أن يغفر (لناذون بنا) أي التي اقترناها هم قالوا مؤكدين بتحقيق الاصلاح في التوبة (انا كنا خاطئين) أي متعمدين للاثم بما ارتكبنا في أمر يوسف عليه السلام ومن حق المعترف بذنبه أن يصفح عنه ويسئل له المغفرة قال صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فكانه قيل فما قال لهم فقيل (قال) لهم (سوف استغفر) أي اطلب أن يغفر (لكم ديني) الذي أحسن الى بان يغفر لبي حتى لا يفرق بيني وبينهم في دار البقاء والرؤية ملك هو أم الملك على الاطلاق وهو ملك الله تعالى وظاهر هذا الكلام أنه لم يستغفرهم في الحال بل وعدهم بان يستغفر لهم بعد ذلك

واختلفوا في سبب هذا المعنى على وجوه فقال ابن عباس والاصكثرون أراد أن يستغفر  
 لهم في وقت السحر لأن هذا الوقت أوفق الاوقات لرباء الاجابة وفي رواية أخرى له أنه آخر  
 الاستغفار الى ليلة الجمعة لانها أوفق لاوقات الاجابة وقال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة الجمعة  
 في نيف وعشرين سنة وقال طاوس أخر الى السحر من ليلة الجمعة فوافق ليلة عاشوراء وقيل  
 استغفروا لهم في الحال وقوله سوف استغفر لكم معناه اني أداوم على هذا الاستغفار في الزمان  
 المستقبل وقيل قام الى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزئي على  
 يوسف وقلة صبري عنه واغفر لاولادي ما فعلوا في حق يوسف فأوحى الله تعالى اليه ان قد  
 غفرت لك وإهم أجمعين وعن الشعبي قال أسأل يوسف ان عفا عنكم أستغفر لكم وبني (أنه  
 هو الغفور الرحيم) كل ذلك تسكيناً لقلوبهم وتصحيحاً لرجائهم وروى أن يوسف عليه السلام  
 كان بعث مع البشير الى يعقوب عليه السلام مائتي راحلة وجهازاً كثيراً لياقوتاً يعقوب  
 وأهله وولده فتهماً يعقوب عليه السلام للخروج الى مصر فخرج بهم فلما دنا من مصر كلم يوسف  
 الملك الذي فوقه فخرج يوسف عليه السلام والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وركب  
 أهل مصر معه ما بأجمعهم يتلقون يعقوب وكان يعقوب عيشى وهو يتوكأ على يده وذاق نظر  
 الى الخليل والناس فقال يا يهودا هذا فرعون مصر قال لا هذا البتة يوسف فلما دنا كل واحد  
 منهما من صاحبه ذهب يوسف يده بالسلم فقال له جبريل لا حتى يديا يعقوب بالسلم فقال  
 يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقال الثوري لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام  
 عانق كل واحد منهما صاحبه وبكى فقال يوسف يا أبت بكيت على حتى ابيضت حينئذ ألم  
 تعلم ان القيامة تجتمع عنا قال بلى يا بني ولكن خشيت ان يسلب دينك في حال بيني وبينك فذلك  
 قوله تعالى (فلما دخلوا على يوسف آوى) أى ضم (اليه أبويه) قال الحسن أباه وأمه وكانت  
 حية اكرامها بما يجازي به وغلب الاب في التنبيه لذكورته وعن ابن عباس أنها حالته  
 لبنا وكانت أمه قد ماتت في نفاس بنيامين قال البغوي وفي بعض التفاسير ان الله تعالى أحيا  
 أمه حتى جاءت مع يعقوب الى مصر (فان قيل) ما معنى دخولهم عليه قبل مصر (أجيب) بأنه  
 حين استقبلهم نزل بهم في خيمة أو بيت هناك فدخلو عليه وضم اليه أبويه (وقال) مكرماً  
 (ادخلوا مصر) أى البلد المعروف وأتى بالشرط للامن للدخول فقال (ان شاء الله آمين) من  
 جميع ما ينوب حتى عما فرطتم في حتى وفي حق أخى روى أن يعقوب عليه السلام وولده دخلوا  
 مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منهم موسى عليه السلام والمقاتلون  
 منهم سقانة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلاً سوى الصبيان والشيوخ (ولما استقرت  
 بهم الدار يدخل مصر (رفع أبويه) أى اجلسهما معه (على العرش) أى السرير الرفيع  
 والرفع هو النقل الى العلو (وخرؤاله) أى انحنوا له أبواه واخوته (سجداً) أى سجوداً مخفياً  
 والتواضع قد يسمى سجوداً كقول الشاعر ترى الاكم فيها سجد اللجوافره لا وضع جبهة وكان  
 تحييتهم في ذلك الزمان أو أنهم وضعوا الجباه وكان ذلك على طريقة التسمية والتعظيم لا على طريقة



العبادة وكان ذلك جائزا في الامم السالفة فسخت في هذه الشريعة وروى عن ابن عباس  
 أنه قال معناه ختر والله جمد اين يدي يوسف عليه السلام فيكون سجود شكرته لاجل وجدان  
 يوسف ويدل عليه قوله تعالى ورفع أبويه على العرش وختر والله سجدا وذلك يشعر بأنهم سجدا  
 على السرير ثم سجدا والله تعالى ولو أنهم سجدا واليوسف لسجدا واله قبل السجود على السرير  
 لان ذلك أدخل في التواضع (فان قيل) هذا التأويل لا يطابق قول يوسف عليه السلام (وقال  
 يا أبت هذا أنا ويل رؤياي من قبل) والمراد منه قوله اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر  
 رأيتهم لي ساجدين أي رأيتهم ساجدين لاجلي أي انهم سجدا والله لطلب مصلحتي والسعي  
 في اعلام منصبى واذا كان هذا محتملا سقط السؤال قال الرازى وعندي أن هذا التأويل متعين  
 لانه يعلم من عقل يوسف ودينه أن يرضى بأن يسجد له أبوه مع سابقته في حقوق الولادة  
 والشيوخوخة والعلم والدين وكال التبوأة وأنهم جعلوا يوسف كالقبلة وسجدوا وشكروا النعمة  
 وجدانه فانه يقال صليت للكعبة كما يقال صليت الى الكعبة قال حسان

ما كنت أعرف ان الامر منصرف \* عن هاشم ثم منها عن أبي الحسن  
 أليس أول من صلي لقبلكم \* واعرف الناس بالآثار والسنن

ثم استأنف يوسف عليه السلام فقال (قد جعلها ربي) أي الذي رباني بما وصلني اليها (حقا) أي  
 مطابقة للواقع لتأويلها وتأويل ما أخبرني به أنت والتأويل تفسير ما يؤول اليه معنى الكلام  
 وعن سلمان رضى الله تعالى عنه أن ما بين رؤياه وتأويلها أربعون سنة وعن الحسن أنه أتى  
 في الحب وهو ابن سبع عشرة سنة وبقي في العبودية والسجن والملك ثمانين سنة ثم وصل الى أبيه  
 وأقاربه وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة فكان عمره مائة وعشرين سنة (وقد أحسن) أي  
 أوقع احسانه (بى) تصديقا لما بشرت به من اتمام النعمة وتمدية أحسن بالباء أدل على القرب  
 من التمدية بالي وان كان أصل أحسن أن يتعدى بالي كما قال تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك  
 وقيل ضمن معنى لطف فتعدى بالياء كقوله تعالى وبالوالدين احسانا وقال (أذا خرجت من  
 السجن) ولم يذكر اخرج من الحب لوجوه أولها انه قال لاختوته لا تريب عليكم اليوم ولو ذكر  
 واقعة الحب لكان ذلك تريبا لهم فكان اهماله جاريا مجرى الكرم ثانيها أنه لما خرج من الحب  
 لم يصير ملكا بل صيره عبدا وانما صار ملكا بعد اخراجه من السجن فكان هذا الاخراج أقرب  
 من أن يكون انعاما كاملا ثالثها أنه لما خرج من الحب وقع في المضار الحاصلة بسبب تهمة  
 المرأة ولما خرج من السجن وصل الى أبيه واخوته فكان هذا أقرب الى المنفعة مع أن اللفظ  
 محتمل للجب أيضا لكنه احتمال خفي ولما كان يعقوب وولده بأرض كنعان وتحويل اليد وقال  
 ابن عباس ومنه قدم على يوسف قال يوسف عليه السلام (وجاء بكم من البدو) أي من أطراف  
 بادية فلسطين وذلك من أكبر التزم كما جاء في الحديث من يرد الله به خيرا ينقله من البادية الى  
 الحاضرة والبدو ضد الحاضرة وهو من الظهور يقال بداء يد واذنا سكن في البادية يروى عن عمر  
 اذا بدونا جفونا أي تخلفنا باخلاق البدوين قال الواحدى البدو بسط من الارض يظهر فيه

الشخص من بعيد وأصله من بدأ يد ويدوا ثم سمي المكان باسم المصدر وفي الآية دلالة على أن  
 فعل العبد خلق الله تعالى لأنه أضاف أخواجه من السجن إلى الله تعالى ومجيئهم من البدو إليه  
 (من بعد أن نزع) أي أفسد (الشيطان) بسبب الحسد (بين وبين أخوتي) وأصل النزغ  
 دخول في أمر لافساده (فان قيل) إضافة يوسف عليه السلام الخيرا إلى الله تعالى والنزغ إلى  
 الشيطان تقتضي أن فعل الشرا ليس من الله تعالى كما قاله بعض المبتدعة ولو كان منه لضافه إليه  
 (أجيب) بأن إضافة هذا الفعل إلى الشيطان مجاز لأن الفاعل المطلق هو الله تعالى في الحقيقة  
 قال تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لقد تافخت بذلك ان الكل من عند الله تعالى وبفضائه  
 وقدره وليس للشيطان فيه مدخل الا بالقاء الوسوسة والتعريض لافساد ذات الين وذلك باقدار  
 الله تعالى اياه على ذلك كما حكى الله تعالى ذلك عنه بقوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان الا ان  
 دعوتكم فاستجبتم لي ولما كان حصول الاجتماع بينه وبين اخوته وأبويه مع الالفه والمحبة  
 وطيب العيش وفراغ البال وكان في غاية البعد عن العقول الا أنه تعالى لطف قال يوسف  
 عليه السلام (ان ربي لطف لما يشاء) أي لطف التدبير له اذ ما من صعب الا وتغذ فيه مشيئته  
 ويتسهل دونها فاذا أراد حصول الشيء سهل أسبابه فحصل وان كان في غاية البعد عن الحصول  
 (انه هو العليم) بوجوده المصالح والتدابير (الحكيم) أي الذي يفعل كل شيء في وقته وعلى  
 وجه يقتضي الحكمة روى أن يوسف عليه السلام طاف بأبيه في خزائنه فلما أدخله خزانه  
 القرطاس قال يا بني ما أعقك عندك هذه القرطاس وما كتبت الي علي عثمان مر احل قال  
 امرني جبريل بذلك قال أو مات له قال أنت أقرب مني اليه فسأله فقال جبريل الله امرني  
 بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتي وما حضر يعقوب عليه السلام  
 الموت وصي يوسف عليه السلام أن يحمله ويدفنه عند أبيه ففرض بنفسه فدفعه ثمة ثم عاد إلى مصر  
 وأقام بعده ثلاثا وعشرين سنة ولما تم أمره وعلم أنه لا يدوم تاقت نفسه إلى الملك الدائم  
 فقال (رب قد آتيتني) وافتخ بقدر لان الحال حال توقع السامع لشرح حال الرؤيا (من الملك)  
 أي بعضه بعد بدعي منه جدا وهو ملك مصر (وعلمتني من) أي بعض (تأويل الاحاديث)  
 طبق ما بشرني به أبي وأخبرت به أنت من التمكين والتعظيم قبل قولك والله غالب على أمره ثم  
 ناداه بوصف جامع للعلم والحكمة فقال (فاطر) أي خالق (السموات والارض) ثم أعلمه بما هو  
 أعلم به منه من أنه لا يعول على غيره في شيء من الاشياء (أنت ولي) أي الاقرب إلى باطننا  
 وظاهرا (في الدنيا والآخرة) أي لا ولي لي غيرك والولي يفعل لموليه الاصلح والاحسن فأحسن  
 لي في الآخرة أعظم مما أحسنت لي في الدنيا روى أنه صلى الله عليه وسلم حكى عن جبريل عن  
 رب العزة جل وعلا أنه قال من شغلته ذكري عن مستحق أعطيته أفضل ما أعطى السائلين  
 فلهذا المعنى من أراد الدعاء لا بد وأن يقدم عليه ذكر الثناء على الله تعالى فهذا يوسف  
 عليه السلام لما أراد أن يذكر الدعاء قدم عليه الثناء وهو قوله رب قد آتيتني من الملك وعلمتني  
 من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض ثم ذكر عقبه الدعاء وهو قوله (توفني) أي

اقبح روي واقبانا في جميع أمري حسا ومعنى حال كوني (مسلم) ولما كان المسلم  
 حقيقة من كان هريقا في الاخلاص عقبه بقوله (وألقني بالصالحين) وتظيره ما فعله الخليل  
 عليه السلام في قوله الذي خلقتني فهو يهدين فن ههنا الى قوله رب هب لي حكما على الله تعالى  
 ثم من قوله رب هب لي حكما الى آخر الكلام دعاء فكذا هنا \* (تبيين) \* اختلف في قوله توفي  
 مسلما هل هو طلب منه للوفاة أم لا فقال قتادة سأله اللعوق به ولم يمتني قط الموت قبله  
 وكثير من المفسرين على هذا القول وقال ابن عباس في رواية عطاء يريد اذا توفيتني فتوفني على  
 الاسلام فهذا طلب لان يجعل الله تعالى وفاته على الاسلام وليس فيه ما يدل على انه طلب  
 الوفاة واللفظ صالح للامرين ولا يعنى في الرجل العاقل اذا كمل عهده أن يموت وتغظم  
 رغبته فيه لوجوه كثيرة منها ان الخطباء والبلغاء وان أطنبوا في مذمة الدنيا الا أن حاصل  
 كلامهم يرجع الى ثلاثة أمور أحدها ان هذه السعادات سريعة الزوال مشرفة على الفناء  
 والام الحاصل عند زوالها أشد من اللذة الحاصلة عند وجودها وثانيها انها غير حاصلة بل هي  
 ممزوجة بالمنقصات والمكدرات وثالثها ان الاراذل من الخلق يشاركون الافاضل فيها بل ربما  
 كان حصة الاراذل أعظم بكثير من حصة الافاضل فهذه الجهات الثلاثة منقورة عن هذه  
 اللذات ولما عرف العاقل انه لا يحصل تحصيل هذه اللذات الا مع هذه الجهات الثلاثة المنقورة  
 لا يجرم معنى الموت ليتخلص عن هذه الآفات ومنها أن تداخل اللذات الدنيوية قليلة وهي ثلاثة  
 أنواع لذة الاكل ولذة النكاح ولذة الرياسة ولكل واحدة منها عيوب كثيرة أما لذة الاكل ففيها  
 عيوب أحدها ان هذه اللذة ليست لذة قوية فانه لا يمكن ابقاؤها فان الانسان اذا أكل وشبع  
 لم يبق فيه الا لذات بالاكل فهذه اللذة ضعيفة ومع ضعفها غير باقية وثانيها انها في نفسها خسيسة  
 وان الاكل عبارة عن ترطيب ذلك الطعام بالبراق الجمع في القم ولا شك انه شيء منفر ولما يصل  
 الى المعدة يظهر فيه الاستحالة الى الفساد والتفن والعفونة وذلك أيضا منفر وثالثها ان جميع  
 الحيوانات الخسيسة مشاركة فيها ورابعها ان الاكل انما يطيب عند اشتداد الجوع والجوع  
 نقص واقفة وخامسها ان الاكل مستحقر عند العلاء حتى قيل من كانت همته ما يدخل في بطنه  
 فقبحته ما يخرج من بطنه فهذه اشارات مختصرة الى معاييب الاكل وأما لذة النكاح فما ذكر  
 في الاكل حاصل هنا مع أشياء أخرى هي ان النكاح سبب لحصول الولد وحينئذ تنكح الانثى  
 فتكثر الحاجات الى المال فيحتاج الانسان بسببها الى الاحتيال في المال بطرق لانهاية لها وربما  
 صارها لكاسب طلب المال وأما لذة الرياسة فعيوبها كثيرة منها أن يكون على شرف الزوال  
 في كل حين وأوان ومنها انه عند حصولها في الخوف الشديد من الزوال ومنها أنه يكون عند  
 زوالها في الاسف العظيم والحزن الشديد بسبب ذلك الزوال فالعاقل اذا تأمل في هذه المعاني  
 علم قطعانه لاصلاح له في طلب هذه اللذات فيكون لقاء الله عنده أرجح في معنى الموت وعن عمر بن  
 عبد العزيز رضي الله تعالى عنه ان ميمون بن مهران بات عنده فراه كثيرا البكاء والمسئلة للموت  
 فقال له صنع الله لك خيرا كثيرا أحيت سننا وأمت بدعا وفي حياتك خيرا وراحة لاهلنا فقال

أفلاً كون كالعبد الصالح لما أقر الله عينه وجمع له أمره قال توفى مسلماً والحقني بالصالحين  
(فان قيل) الانبياء عليهم الصلاة والسلام يعلمون أنهم يموتون لا محالة على الاسلام فكان هذا  
الدعاء حاصله طلب تحصيل الحاصل وانه لا يجوز (أجيب) بأن حال كمال المسلم أن يستسلم  
لحكم الله تعالى على وجه يستقر قلبه على ذلك الاستسلام ويرضى بقضاء الله وتطمئن النفس  
وينشرح الصدر وينفسح القلب في هذا الباب وهذه حالة زائدة على الاسلام الذي هو ضد  
الكفر والمطلوب ههنا هو الاسلام بهذا المعنى (فان قيل) ان يوسف عليه السلام كان من أكابر  
الانبياء والصلاح أول درجة المؤمنين فالواصل الى الغاية كيف يليق به أن يطلب البداية  
(أجيب) بأن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال يعني بأن يلحقه بآبائه ابراهيم واسماعيل  
واسحق ويعقوب والمعنى الحقني بهم في ثوابهم ودرجاتهم وولد ليوسف عليه السلام من امرأة  
العزير ثلاثة افرانيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة أيوب عليهم السلام ولما تاقبت  
نفسه الى الملك المنخلد وعنى الموت فلم يأت عليه أسبوع حتى توفاه الله عز وجل طيباً طاهراً وتشاح  
الناس في دفنه فطلب أهل كل محله أن يدفن في محلتهم رجاء بركته حتى هموا بالقتال قرأوا  
أن يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفونه في النيل حيث يتفرق الماء بمصر ليجري عليه الماء  
وتيسل بركته الى جميعهم قال بكرمة دفن في الجانب الايمن من النيل فأخصب ذلك الجانب  
وأخصب الجانب الآخر فنقل الى الجانب الايسر فأخصب ذلك الجانب وأخصب الآخر  
فدفنوه في وسطه وقدروا ذلك بسلسلة فأخصب الجانبان الى أن أخرجه موسى عليه السلام  
ودفنه بقرب آبائه بالشام وقد سير الله تعالى زيارته وزيارة آبائه في عام شرعت في هذا التفسير  
سنة أربع وستين وتسعمائة جعنى الله تعالى وآبائي وأهلي وأصحابي وأحبائي معهم في دار  
كرامته ولما تم الذي كان من أمر يوسف عليه السلام واخوته على الوجه الاحكم والصراط  
الاقوم من ابتدائه الى انتهائه قال تعالى مشيراً الى أنه دليل كاف في تصحيح نبوته صلى الله عليه  
وسلم بقوله (ذلك) أي الذي ذكرته لك يا محمد من قصة يوسف عليه السلام وما جرى له مع اخوته  
ثم صار الى الملك بعد الرق (من انباء الغيب) أي أخبار ما غاب عنك (نوحيه اليك) أي الذي  
أخبرناك به من أخبار يوسف وحى أوحينا اليك (والجمال انك) ما كنت لديهم) أي عند اخوة  
يوسف عليه السلام (اذ) أي حين (أجمعوا أمرهم) أي عزموا على أمر واحد وهو القاء  
يوسف في الجب (وهم يكرون) أي يدبرون الاذي في الخفية يوسف والمعنى ان هذا النبأ غيب  
لانه صلى الله عليه وسلم ما طالع الكتب ولا تلذ لاحد ولا كانت البلدة بلدة العلماء واثبانه صلى الله  
عليه وسلم بهذه القصة الطويلة على وجه لا يقع فيه تحريف ولا غلط من غير مطالعة ولا تعلم ومن  
غير أن يقال انه حاضر معهم لا بد وأن يكون مجزاً وقوله تعالى وما كنت لديهم ذكر على سبيل  
التكليم بهم لان كل أحد يعلم أن محمداً صلى الله عليه وسلم ما كان معهم ولما سألت قريش واليهود  
رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه له أبوحيان عن ابن الانباري عن قصة يوسف عليه السلام  
فقلت مشيراً ورحمة هذا الشرح الشافي مينة هذا البيان الوافي فأقبل صلى الله عليه وسلم أن يكون

ذلك سبب اسلامهم فخالفوا تأميره عزاء الله تعالى بقوله (وما أكثر الناس) أي أهل مكة (ولو  
 حرصت) على إيمانهم (بمؤمنين) لعنادهم وتصميمهم على الكفر وكان ذلك إشارة إلى ما ذكر الله  
 تعالى في قوله تعالى أنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ثم نفي عنه التهمة بقوله  
 تعالى (وما نسألهم عامية) أي على تبليغ هذا الكتاب الذي أوحيناها إليك وأغرق في النقي فقال  
 (من أجر) حتى يكون سؤالك سبباً لأن يتهموك أو يقولوا لولا أنزل عليه كتر ليستغن به عن سؤالننا  
 ثم نفي عن هذا الكتاب كل غرض دنيوي بقوله تعالى (إن هو إلا ذكر) أي عظة من الله تعالى  
 (للعالمين) عامة ثم إن الله تعالى أخبر عنهم أنهم لما تأملوا الآيات الدالة على توحيد الله تعالى  
 بقوله تعالى (وكافرين) أي وكم (من آية) دالة على وحدانية الله تعالى (في السموات) كالنيرين  
 وسائر الكواكب والسموات وغير ذلك مما لا يحصىه إلا الله تعالى (والارض) من الجبال  
 والشجر والدواب وغير ذلك مما لا يحصىه إلا الله تعالى (يعتزون عليها) أي يشاهدونها (وهم عنها  
 معرضون) أي لا يتفكرون فيها فلا يحب اذالم يتأملوا في الدلائل على نبوتك فان العالم مملوء من  
 دلائل التوحيد والقدرة والحكمة ثم أنهم يعتزون عليها ولا يلتفتون إليها \* ولما كان ربحاً قليل  
 كيف يوصفون بالأعراض وهم يعتقدون أن الله تعالى فاعل تلك الآيات بين أن أشراكهم  
 سقط لذلك بقوله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله) حيث يقررون بأنه الخالق الرازق (الأوهم  
 مشركون) بعبادته الأصنام قال تعالى واتن سألتهم من خلقهم لم يقولوا الله لكنهم كانوا  
 يثبتون شريكاً في العبودية وعن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في تلبية مشركي العرب كانوا  
 يقولون في تلبيةهم ليبيك لا شريك لك الا شريكاً هولك تملكه ومالك يعنون الأصنام وعنه أيضاً  
 أن أهل مكة قالوا الله ربنا وحده لا شريك له والملائكة بناته فلم يوجدوا بل أشركوا وقال عبدة  
 الأصنام ربنا الله وحده والأصنام شفعاء وأعانده وقالت اليهود ربنا الله وحده وعزير ابن الله  
 وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال عبدة الشمس والقمر ربنا الله وحده وهؤلاء أربابنا وقال  
 المهاجرون والانصار ربنا الله وحده لا شريك له ولما كان أكثر هؤلاء لا يتقادون إلا بالعذاب  
 قال تعالى (أن آمنوا) انكار فيه معنى التوبيخ والتهديد (أن تأتيهم) في الدنيا (عاشية) أي نقمة  
 تفشاهم وتشملهم (من عذاب الله) أي الذي له الأمر كله كما أتى من ذكرنا قصصهم من الأمم  
 (أو تأتيهم الساعة بغتة) أي فجأة وهم عنها في غاية الغفلة وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) أي  
 وقت آتيانها قبله كالتأكيده بقوله بغتة \* ولما كان صلى الله عليه وسلم مبلغاً عن الله تعالى أمره  
 أن يأمرهم باتباعه بقوله تعالى (قل) يا أيها الخلق وأصفاهم وأعظمهم نصحاً وخلصاً (هذه)  
 أي الدعوة إلى الله تعالى التي أَدْعُو إليها (سبيلي) أي طريقتي التي أَدْعُو إليها الناس وهي  
 توحيد الله تعالى ودين الاسلام وسمي الدين سبباً لانه الطريق المؤدى إلى ثواب الجنة (ادعو  
 إلى الله) أي إلى توحيد الله والامان به (على بصيرة) أي حجة واضحة وقوله (انا) تأكيده للمستتر  
 في ادعوا وعلى بصيرة لانه حال منه أو مبتدأ خبره على بصيرة وقوله (ومن اتبعني) أي عن آمن بي  
 وصدق بما جاءني عطف عليه لان كل من ذكر الحجة وأجاب عن الشبهة فقد دعا بقدر وسعه

الى الله وهذا دل على أن الدعاء الى الله انما يحسن ويجوز مع هذا الشرط وهو أن يكون على  
 بصيرة مما يقول ويؤمن فان لم يكن كذلك والافهو محض الغرور وقال صلى الله عليه وسلم العلماء  
 آمناء الرسل على عباد الله من حيث يحفظون ما يدعون اليه \* (فائدة) \* جميع القراء يثبتون  
 الباء وقفا وصلواتها في الرسم (وسبحان) أي وقل سبحان (الله) تنزيها لله تعالى عما يشركون  
 به (وما آمن المشركين) أي الذين اتخذوا مع الله ضدا ونادا ولما قال أهل مكة للنبي صلى الله  
 عليه وسلم هلا بعث الله ملكا قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك) الى المكلفين (الارجالا) أي  
 مثل ما انك رجل لا ملائكة ولا انانا كما قاله ابن عباس ولا من الجن كما قاله الحسن (يوحى اليهم)  
 أي بواسطة الملائكة مثل ما يوحى اليك وقرأ حفص قبل الواو والنون وكسر الحاء والباقون  
 بالياء وفتح الحاء وضم الهاء من اليهم حمزة على أصله وكسرها الباقون (من أهل القرى) أي من  
 أهل الامصار والمدن المبنية بالمدر والمجر ونحوه لا من أهل البوادي لان أهل الامصار أفضل  
 وأعلم وأكمل وأعقل من أهل البوادي ومكة أم القرى لانها مجمع لجميع الخلائق لما أمر وابه  
 من حج البيت وكان العرب كلهم يأتونها فكيف تعجبوا في حقت قال الحسن لم يبعث الله نبيا من  
 البادية لفظهم وجفائهم ثم هددهم سبحانه وتعالى بقوله تعالى (أفلم يسيروا) أي هؤلاء  
 المشركون المكذبون (في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبهم) من المكذبين  
 للرسل والآيات فيصدروا تكذيبك ويعتبروا بهم وبما حل بهم من عذابنا \* ولما أن الله تعالى نجى  
 المؤمنين عند نزول العذاب بالام الماضية المكذبة وما في الآخرة خير لهم من ذلك بقوله تعالى  
 (ولدار الآخرة) أي ودار الحلال الآخرة أو الساعة الآخرة أو الحياة الآخرة (خير) وهي  
 الجنة (الذين اتقوا) الله من حياة ما آله الموت وان فرحوا فيها بالحال وان امتدت ألف  
 عام وكان عيشها كله رغدا من غير آلام (أفلا يدعون) فيستعملون عقولهم فيتبعون الداعي الى  
 هذا السبيل الاقوم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتاء على الخطاب لاهل مكة والباقون بالياء  
 على الغيبة لهم وللمشركين المكذبين وقوله تعالى (حتى اذا استيأس الرسل) غاية لمحذوف دل  
 عليه الكلام أي لا يفررهم عمادى آياهم فان من قبلهم أمهوا حتى أيسر الرسل من النصر  
 عليهم في الدنيا ومن ايمانهم لانهم في الكفر مترفين مقادير فيه من غير وازع (وظنوا)  
 أي أيقن الرسل (أنهم قد كذبوا) بالثبديد كما قرأ غير حمزة وعاصم والكسائي تكذبا لا ايمان  
 بعده وأما بالتخفيف كما قرأ هؤلاء فالعنى ان الام ظنوا أن الرسل قد أخلفوا ما وعدوا به من  
 النصر عليهم (جاءهم نصرنا) لهم بخذلان أعدائهم (ففي من نشاء) أي النبي والمؤمنون وقرأ  
 ابن عامر وعاصم بنون مضمومة بعدها جيم مشددة ويا بعد الجيم مفتوحة والباقون بنون  
 الاولى مضمومة والثانية ما كنة وتخفيف الجيم وسكون الياء (ولا يرد بأسنا) أي عذابنا (عن  
 القوم الجرمين) أي المشركين ما نزل بهم \* ولما ذكر سبحانه وتعالى هذه القصص وحث  
 على الاعتبار بها بقوله أفلم يسيروا أتبعه بأن في أحاديثهم أعظم عبرة فقلل حنا على تأملها  
 والاستبصار بها (لقد كان في قصصهم) أي يوسف واخوته أو في قصص الرسل (عبرة) أي عظة

عظيمة (لاولى الالباب) أى لذوى العقول المبرأة من شوائب الكدر يعتبرون به الى ما يستعملهم  
لأن من قدر على ما قرض من أمر يوسف عليه السلام لقادر على أن يعز محمد صلى الله عليه وسلم  
ويعلى كلمته وينصره على من عاداه كأننا من كان كما فعل يوسف وغيره ولما كان من أجل العبرة  
في ذلك القطع بحقيقة القرآن به تعالى على ذلك بتقدير سؤال فقال تعالى (ما كان حدينا يفترى)  
أى يخلق لأن الذى جاء به من عند الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه أن يفتره لأنه  
لم يقرأ الكتب ولم يتلذذ لاحد ولم يخالف العلماء فن الحال أن يفترى هذه القصة بحيث تكون  
مطابقة لما رواه في التوراة من غير تفاوت كما يعلم من قوله تعالى (ولكن تصديق الذى بين يديه)  
أى من الكتب الالهية المنزلة من السماء كالشورى والانبيا والاحزاب ففى ذلك اشارة الى أن هذه  
القصة وردت على الوجه الموافق لما فى التوراة من ذكر قصة يوسف عليه السلام (و) زاد على  
ذلك بقوله (تفصيل) أى تبيين (كل شئ) أى يحتاج اليه من الدين اذ ما من أمر دينى الا وله سند  
من القرآن بوسط أو بغير وسط وقيل المراد تفصيل كل شئ من واقعة يوسف مع آييه واخوته  
قال الواحدى وعلى التفسيرين جميعا فهو من العام الذى أريد به الخاص كقوله تعالى ورحمى  
وسعت كل شئ أى يجوز أن يدخل فيها وقوله تعالى وأوتيت من كل شئ (وهدى) من الضلال  
(ورحمة) ينال بها خير الدارين (أقوم يؤمنون) أى يستقون خصمهم بالذكر لانهم هم الذين  
اتفقوا به كقوله تعالى هدى للمتقين فسبحان من أنزله معجزا باهرا وفاضيا بالحق لا يزال ظاهرا  
وماروا بالبيضاوى تبعا للكشاف من أنه صلى الله عليه وسلم قال علموا أرفاءكم سورة يوسف فانه  
أياما سلم تلاميذها وعلما أهلها وما ملكت عيونه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا  
يحسد احدا حديث موضوع والله أعلم

### ﴿سورة الرعدكية﴾

الاولا يزال الذين كفروا الآية ويقول الذين كفروا لست مرسل الاية أو مدينة الاول وان  
قرأت اسيرت به الجبال وهى ثلاث أو أربع أو خمس أو ست وأربعون آية وعدد كلماتها  
ثمانمائة وخمسون كلمة وعدد حروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وسبعة أحرف  
(بسم الله) الحق الذى كل ما عداه باطل (الرحمن) الذى هم الرغبة والرغبة بعموم الرحمة  
(الرحيم) الذى خص من شاء بما يرضاه عظيم الرحمة (المر) قال ابن عباس معناه أنا الله أعلم  
وأرى وقال فى رواية عطاء أنا الله الملك الرحمن وقد تقدم الكلام على شئ من أوائل السور  
فى أول سورة البقرة وقرأ قالون وابن كثير وحفص بالفتح وقرأ ورش بين وبين والباقون بالامالة  
(تلك) أى هذه الآيات (آيات الكتاب) أى القرآن والاضافة بمعنى من وقيل المراد بالكتاب  
السورة الكاملة ووصفت بالكمال من تعريف الكتاب بأل لأن خير المبتدأ اذا عرف بلام  
الجنس أفاد المبالغة وقوله تعالى (والذى أنزل اليك من ربك) أى القرآن مبتدأ وخبره (الحق)  
أى الموضوع كل شئ منه فى موضعه على ما تدعو اليه الحكمة الواضح الذى لا يتضاف شئ منه

عن مطابقة الواقع من بعث ولاغيره (ولكن أكثر الناس) أي مشركي مكة (لا يؤمنون)  
 لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه قال مقاتل نزلت في مشركي مكة حين قالوا ان محمد يقول من تلقاه  
 نفسه فرد الله تعالى عليهم بذلك \* وماذا كرتعالى أن أكثر الناس لا يؤمنون ذكر عقبه ما يدل على  
 صحة التوحيد والمعاد بأمور أحدها قوله تعالى (الله الذي رفع السموات بغير عمد) أي سوارى جمع  
 عمود كأنهم وأديم أو عمد كاهب واهاب والعمود جسم مستطيل يمنع المرتفع أن يميل (ترونها)  
 أي وأنتم ترون السماء من فوعة بغير عمد من تحتها تسندها ولا من فوقها علاقة تمسكها فالعمد  
 منفية بالكسبة قال ابياس بن معاوية السماء مقببة على الارض مثل القبة في ذلك دلالة عظيمة  
 على وحدانية الله تعالى لأن هذه الاجسام العظيمة بقبت واقفة في الجوار العالي ويستحيل أن  
 يكون بقاؤها هناك لا عيانها ولذا انها فهذا ابرهان باهر على وجود الاله القادر القاهر وقيل الضمير  
 راجع الى العمدة أي ان لها عمدا ولكن لا ترونها أنتم ومن قال بهذا القول يقول ان عمدها على  
 جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط بالديار والسماء عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة  
 قال الرازي وهذا التأويل في غاية السقوط لأن السموات لما كانت مستقرة على جبل قاف  
 فأى دلالة تنبئ فيها على وجود الاله \* (تنبية) \* الله مبتدأ والذي رفع السموات خبره ويجوز  
 أن يكون الموصول صفة والخبر يدر الامر ثانياً بقوله تعالى (ثم استوى على العرش) بالحفظ  
 والتدبير والقهر والقدرة أي ان من فوق العرش الى ما تحت الثرى في حفظه وتدبيره وفي  
 الاحتياج اليه وتقدم الكلام على ذلك في سورة الاعراف بما فيه كفاية وثالثها قوله تعالى  
 (وحجر) أي ذلل (الشمس والقمر) لما نفع خلقه مقهوران بجران على ما يريد (كل) منهما  
 (يجري) في فلكه (لاجل مسي) أي الى وقت معلوم وهو وقت فناء الدنيا وزوالها وعند مجي  
 ذلك الوقت تقطع هذه الحركات وتبطل تلك التسييرات كما وصف الله تعالى ذلك في قوله  
 اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا السماء انشقت واذا السماء انظرت وعن  
 ابن عباس للشمس مائة وثمانون منزلاً كل يوم لها منزل وذلك يتم في ستة أشهر ثم انها تعود مرة  
 أخرى الى واحد واحد منها في ستة أشهر مرة أخرى وكذلك القمر له ثمانمائة وعشرون منزلاً  
 فالمراد بقوله تعالى كل يجري لاجل مسي هذا وتحققه أنه تعالى قدر لكل واحد من تلك  
 الكواكب سيرا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطء وحينئذ يلزم أن يكون لها  
 بحسب كل لحظة ولحظة حالة أخرى ما كانت حاصله قبل ذلك \* ثم انه تعالى لما ذكر هذه الدلائل  
 قال (بدر الامر) أي يقضى أمر ملكه من اليجاد والاعدام والاحياء والامانة والاعتناء  
 والافتقار ويدخل فيه انزال الوحي وبعث الرسل وتكليف العباد وفي ذلك دليل عجيب على كمال  
 القدرة والرحمة وذلك لأن هذا العالم المعلوم من اعلاء العرش الى ما تحت الثرى أنواع  
 وأجناس لا يحيط بها الا الله عز وجل والدليل المذكور يدل على أن اختصاص كل واحد منها  
 بوضعه وموضعه وصفته وطبيعته وحليته ليس الا من الله تعالى ومن المعلوم أن من اشتغل  
 بغيره شغفه بغيره عن شأنه فاعقل اذا تأمل في هذه الآيات علم أنه تعالى يدبر عالم

قوله جمع عمود كاديم  
 وأديم الخ في حاشية  
 الجبل والعامية على  
 فتح العين والميم وهو  
 اسم جمع وعبرة  
 بعضهم انه جمع تطرا  
 الى المعنى دون  
 الصناعة وقراً  
 أبو حيوة ويجي بن  
 وثاب عمد بضمين  
 ومنزله يحتمل أن  
 يكون عمدا ككتاب  
 وشهب وكاب وكتب  
 وأن يكون عموداً  
 كرسول ورسول اه



الابعساد وعالم الارواح ويدبر الكبير كما يدبر الصغير فلا يشغله شأن عن شأن ولا يمنعه تدبير عن  
 تدبير وذلك يدل على أنه تعالى متعال في ذاته وصفاته وعلمه وقدرته عن مشابهة المحدثات  
 والممكنات \* ولما كان هذا بيانا شافيا لا لبس فيه قال تعالى (يفصل) أي بين (الآيات) التي  
 برزت الى الوجود وتدبيرها الدالة على وحدانيته وكمال حكمته المشتملة عليها بتدعائه فيفرقها  
 ويبين بينها بيانية لا لبس فيها تقريرا لعقولكم وتدريرا لفهومكم اتعلموا أنها فعل الواحد  
 المختار \* ولما كان هذا التدبير وهذا التفصيل دالا على تمام القدرة وغاية الحكمة وكان  
 البعث لفصل القضاء والحكم بالعدل واظهار العظمة هو محط الحكمة قال ذلك بقوله (لعلكم)  
 يا أهل مكة (بلى ما ريبكم) بالبعث (توقنون) فتعلموا أن من قدر على خلق هذه الاشياء  
 وتدبيرها على عظمتها وكبرتها قادر على ايجاد الانسان واحيائه بعد موته برؤي أن واحدا  
 قال لعلني بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه انه تعالى كيف يحاسب الخلق دفعة واحدة فقال  
 كما يرزقهم الآن دفعة واحدة وكما يسع نداهم ويوجب دعاءهم الآن دفعة واحدة وحاصل  
 الكلام أنه تعالى كما قدر على ابقاء الاجرام الفلكية والنيرات الكوكبية في الجوار العالي لا يحد  
 أن يرد الارواح الى الابعساد وان كان الخلق عاجزين عنه وكما يمكنه أن يدبر من فوق العرش  
 الى ما تحت الترى لا يشغله شأن عن شأن فكذلك يحاسب الخلق بحيث لا يشغله شأن عن شأن  
 \* (تنبيه) \* اليقين صفة من صفات العلم وهي فوق المعرفة والدراية وهي سكون الفهم مع  
 ثبات الحكم وزوال الشك \* ولما ذكر تعالى الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته من رفع  
 السماء بغير عمد وحوال الشمس والقمر آرد فيها بذكر الدلائل الارضية بقوله تعالى (وهو الذي  
 مده الارض) أي بسطها طولا وعرضا تثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان ولو شاء  
 لجعلها كالجدار والازج لا يستطاع القرار عليها هذا اذا قلنا ان الارض مسطحة لا كرة وعند  
 أصحاب الهيئة أنها كرة فكيف يقولون بذلك ومد الارض ينافي كونها كرة كما ثبت بالدليل  
 (أجيب) بأن الارض جسم عظيم والكرة اذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها تشهد  
 كالسطح كما أن الله تعالى جعل الجبال أو تادامع أن العالم من الناس يستقرون عليها فكذلك  
 ههنا ومع هذا قاله تعالى قد أخبر أنه مده الارض ودحاها وبسطها وكل ذلك يدل على  
 التسطیح والله تعالى أصدق قديلا وأبين دليلا من أصحاب الهيئة هذا هو الدليل الاول من  
 الدلائل الارضية الثاني منها قوله (وجعل) أي وخلق (فيها) أي الارض (رواسي) أي جبالا  
 ثوابت واحدا راسية أي ثابتة باقية في حيزها غير منتقلة عن مكانها لا تتحرك ولا يتحرك ما هي  
 راسية فيه وهذا لا بد وأن يكون بتخليق القادر والحكيم قال ابن عباس أول جبل وضع على  
 وجه الارض جبل أبي قبيس ولما غلب على الجبال وصفها بالرواسي صارت الصخرة تفتق عن  
 المرصوف فجمعت جمع الاسم كسائط وكاهل قاله أبو حيان الثالث منها قوله تعالى (وأناها)  
 أي وجعل في الارض أنهارا جارية لمنافع الخلق والنهر الجري الواسع من مجارى الماء وأصله  
 الاتساع ومنه النهر والاتساع ضيانه الرابع منها قوله تعالى (ومن كل الفرات) وهو متعلق

بقوله تعالى (جعل فيها) أي الارض (زوجين اثنين) أي وجعل فيهما من جميع أنواع الثمار صنفتين اثنين والاختلاف اتمام من حيث الطعم كاللحلو والحامض أو اللون كالاسود والابيض أو الحجم كالصغير والكبير أو الطبيعة كالحار والبارد (فان قيل) الزوجان لا بد وان يكونا اثنين في الفائدة في اثنين (أجيب) بأنه قيل انه تعالى أول ما خلق العالم وخلق فيه الاشجار خلق من كل نوع من الانواع اثنين فقط فلو قال خلق زوجين لم يعلم أن المراد النوع أو الشخص فلما قال اثنين علم أنه تعالى أول ما خلق من كل زوجين اثنين لا أقل ولا أزيد فسكأت الناس وان كان فيهم الا أن كثرة فابتدأوهم من زوجين اثنين بالشخص آدم وحواء فكذا القول في جميع الاشجار والزرع الخامس منها قوله تعالى (يفشى) أي يغطى (الليل) بظلمته (النهار) أي والنهار الليل بنوته فيعتدل فعلهما على ما قدره الله تعالى لهما في السير من الزيادة والنقصان وذلك من الحكم النافذة في الدين والدنيا الظاهرة لكل ذي عقل انها تدبيره بفضله واختياره وقهره واقتداره وقر أشعبة وحزمة والكسافي يفتح الغين وتشديد الشين والباقون بسكون الغين وتخفيف الشين \* ولما ذكر تعالى هذه الدلائل الثبوتية والقواطع القاهرة جمعها وناطها بالفكر فقال تعالى (ان في ذلك) أي الذي وقع التحدث عنه من الآيات (آيات) أي دلالات (اقوم تفكرون) أي يجتهدون في الفكر فيبتدون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب والتفكر والتدبر تصرف القلب في طلب معاني الاشياء ثم انه تعالى ذكر دليل الاظهار اجدا بقوله تعالى (وفي الارض) أي التي أنتم سكانها تشاهدون ما فيها مشاهدة لا تقبل الشك (قطع) أي بقاع مختلفة (متجاورات) أي متقاربات يقرب بعضها من بعض واحدة طيبة والاخرى سجة لا تثبت وأخرى صالحة للزرع لا للشجر وأخرى بالعكس وأخرى قليلة الربيع وأخرى كثيرة مع انتظام الكل في الارضية وهو من دلائل قدرته تعالى (وجنات) أي بساين فيها أنواع الاشجار من نخيل وأعناب وغير ذلك كما قال تعالى (من أعناب وزرع ونخيل صنوان) جمع صنو وهي التخلات يجتمعها أصل واحد وتشعب فروعها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس عم الرجل صنو أبيه يعني أنهم من أصل واحد (وغير صنوان) أي متفرقات مختلفة الاصول وسمى البستان جنة لانه يستربأ بشجاره الارض وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص برفع العين واللام والنون الثانية من صنوان والراء من غير مع التنوين في العين واللام والنون وعدم التنوين في الراء والباقون بالتحقير في الربعة وعدم التنوين في الراء \* ولما كان الماء بمنزلة الاب والارض بمنزلة الام وكان الاختلاف مع اتحاد الاب والام أعجب وأدل على الاسناد الى الواحد المسبب لا الى شئ من الاسباب قال (نسي) قراءة ابن عامر وعاصم بالياء على التسديد كير أي المذكور وقراءة الباقيين بالتاء على التأنيث أي الجنات وما فيها (بماء واحد) فخرج أغصانها وثمراتها في وقت معلوم لا تتأخر عنه ولا تتقدم والماء جسم رقيق مانع به حياة كل نام وقيل في حقه جوهر سيال به قوام الارواح (وتفضل بعضها على بعض في الاصل) أي في الطعم ما بين حلو وحامض وغير ذلك

وفي الشكل والرائحة والمنفعة وغير ذلك وذلك أيضا مما يدل على الذاد والحكيم فان اختلافها  
 مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قاد ومختار قال مجاهد وذلك كتل بن آدم  
 صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد وقال الحسن هذا مثل ضربه الله تعالى لقلوب بني آدم وكانت  
 الارض طينة واحدة في يد أي في قدرة الرحمن فسطعها فصارت قطعاً ما ورات فينزل عليها  
 الماء من السماء فتخرج هذه زهرتها وشجرها وثمرها ونباتها وتخرج هذه سجنها ولطها وخبيثها  
 وكل يسقى بماء واحد وكذلك الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب  
 قوم فتخشع وتخضع وتسوق قلوب قوم فتلهو ولا تسمع وقال الحسن والله ما جالس القرآن  
 أحد الا قام من عنده بزيادة أو نقصان قال تعالى وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين  
 ولا يزيد الظالمين الا خساراً وقرأ حمزة والكسائي بالياء ليطابق قوله تعالى يدبر الامر والباقون  
 ياذنون وقرأ نافع وابن كثير يسكون الكاف والباقون بالرفع (آن في ذلك) أي الامر العظيم  
 الذي ذكرناه (لايات) أي دلالات (لقوم يعقلون) أي يستعملون عقولهم بالتدبر  
 والتفكير في الآيات الدالة على وحدانيته تعالى \* ولما ذكر تعالى الدلائل القاهرة الدالة على  
 معرفة المبدأ ذكر بعده ما يدل على المعاد بقوله تعالى (وان تعجب) أي يا أكرم الخلق من تكذيب  
 الكفار لك بعد ان كنت تعرف عندهم بالصادق الامين (فحجب) أي فحقيق أن يتعجب منه  
 (قولهم) أي منكري البعث (أنذا كآترايا) أي بعد الموت (أنا الذي خلق جديد) أي  
 خلق بعد الموت كما كآقبله ولم يعلموا أن القادوعلى انشاء الخلق وماتة قدم على غير مثال قادوعلى  
 اعادتهم (وقيل) وان تعجب من اتخاذ المشركين ما لا يضرهم ولا ينفعهم آهة يعبدونها  
 مع اقرارهم بأن الله تعالى خلق السموات والارض وهو يضر ويقتع وقد رأوا قدرة الله تعالى  
 وما ضرب لهم به الامثال فحجب قولهم ذلك والعجب تغير النفس برؤية المستبعد في العادة وقال  
 المتكلمون العجب هو الذي لا يعرف سببه وذلك في حق الله تعالى محال لانه تعالى علام الغيوب  
 لا تخفى عليه خافية وقرأ أبو عمرو وخلاص الكسائي بادغام الباء في الفاء والباقون بالانظهار  
 \* (تنبيه) هنا آياتان في كل منهما همزتان نقرأ قالون بتحقيق الهمزة الاولى وتسهيل الثانية  
 ويدخل بينهما ألف على الاستفهام وفي الآية الثانية همزة مكسورة وبعدها نون مشددة على الخبر  
 ويرش كذلك الا أنه لا يدخل بين الهمزتين في أنذا الفاء ينقل في الثاني إلى أصله وابن كثير  
 يقرأ بالاسنة فها من غير ادخال ألف بين الهمزتين مع تحقيق الاولى وتسهيل الثانية فهما  
 وأبو عمرو وكذلك مع ادخال ألف بينهما وابن عاصم في الاول بهمزة مكسورة بعدها ذال مفتوحة  
 على الخبر وفي الثاني بهمزة مفتوحة محقة وهمزة مكسورة محقة على الاستفهام وادخل هشام  
 بينهما الفاء بخلاف عنه والباقون بهمزتين محقتين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة ولا ألف  
 بينهما في الموضعين \* (فائدة) \* جميع ما في القرآن من ذلك أحد عشر موضعاً في تسع سور  
 والاحد عشر مكررة قصير اثنين وعشرين في هذه السورة موضع والثاني والثالث في سورة  
 الاسراء والرابع في المؤمنون والخامس في النمل والسادس في المنكوب والسابع في السجدة

والثامن والتاسع في الصلوات والعاشر في الواقعة والحادي عشر في المنافع وأذكر ان شاء  
 الله تعالى في كل سورة من السور المذكورة منهم في محله (أو لثك) أي الذين جمعوا أنواعا من  
 البعد من كل خير (الدين كفر وبرهم) أي غطوا ما يجب اظهاره بسبب الاستماتة بالني بها  
 خلقهم ثم يراهم بأنواع اللطف فإذا أنكروا وعادهم فقد أنكروا بدأهم (أو لثك) البعداء  
 البغاة (الأغلال) يوم القيامة (في أعناقهم) بسبب كفرهم والغل طوق من حديد تقيد به اليد  
 في العنق رقبيل المراد بالأغلال ذلهم وانقيادهم يوم القيامة كما يقاد الأسير الذليل بالذلي وقيل  
 انهم مقيدون بالضلال لا يرجي فلاحهم (أو لثك) أي الذين لا خسارة أعظم من خسارتهم  
 (أصحاب النارهم فيها خالدون) أي ثابت خلودهم دائما لا يخرجون منها ولا يموتون حولها كان  
 صلى الله عليه وسلم يمددهم نارة بعذاب يوم القيامة وتارة بعذاب الدنيا والقوم كلما حقدتهم  
 بعذاب يوم القيامة أنكروا القيامة والبعث والحشر والنسر وهو الذي تقدم ذكره في الآية  
 الأولى وظاهرتهم بعذاب الدنيا قالوا له جئنا بهذا العذاب وطلبوا منه اظهاره وانزاله على  
 سبيل الطعن واظهار ان الذي يقوله كلام لا أصل له نزل (ويستجهلونك) أي استهزاء وتكديبا  
 والاستهجال طلب التجميل وهو تقديم الشيء قبل وقته الذي يقدره (بالسنة) أي العذاب  
 قبل السنة) أي الرحمة وذلك أن مشركي مكة كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من  
 عندنا فامطر علينا حجارة من السماء أو اتنا بعذاب اليم (تنبيه) قوله قبل السنة فيه  
 وجهان أحدهما متعلق بالاستهجال نظيره والثاني أنه متعلق بمحذوف على أنه حال مقدرة  
 من اليستجهاله أبو البقاء (وقد) أي والحال أنه قد (خلت من قبلهم المنلث) جمع مثله بفتح الميم  
 وضم المثثة كصدقة وصدقات أي عقوبات أمثالهم من المكذبين أفلا يعتبرون بها (وإن ربك  
 لذو مغفرة للناس على ظلمهم) واللام يترك على ظهرها دابة كما قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس  
 بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولحال ابن عباس معناه لذو تجار وزعن المشركين إذا  
 آمنوا (وإن ربك لشديد العقاب) للمصرين على الشرك الذين ما تواعبه وقال مقاتل انه  
 لذو عقاب وزعن شركهم في تأخير العذاب عنهم وشديد العقاب اذا عاقب ولما بين سبحانه وتعالى  
 أن الكفار طعنوا في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم بسبب طعنهم في الحشر والنسر أولا ثم طعنوا  
 في نبوته بسبب طعنهم في همة ما يئذروهم به من نزول عذاب الاستماتة ثانيا ثم طعنوا في نبوته  
 بأن طلبوا لحنه المهزلة والبيضة ثلثا وهو المذكور في قوله تعالى (ويقول الذين كفروا لولا  
 أي هلا (أنزل عليه) أي محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) أي مثل عصا موسى  
 ونافذة صالح وذلك لأنهم أنكروا كون القرآن من جنس المجهزات وقالوا هذا كتاب مثل سائر  
 الكتب واتيان الانسان بتصنيف معين وكتاب معين لا يكون مجهزا مثل موهب موسى وعيسى  
 عليهما السلام وكان نبينا صلى الله عليه وسلم راغبيا في اجابة مقترحاتهم لشفقة التفاته الى ايمانهم  
 قال الله تعالى له (انما أنت منذر) أي ليس عليك الا الانذار والتضويق وليس عليك اتيان  
 الآيات (ولكل قوم هاد) أي نبي يدعوهم الى دينهم بما عطيهم من الآيات لا بما يقتضون

وقرأ ابن كثير في الوقف بيا بعد الدال وفي الوصل بغير ياء وتويز الدال والباقون بغير ياء في  
 الوقف والوصل مع تنوين الدال \* ولما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات أجهلهم آية  
 تعالى عن عظيم قدرته وكمال علمه بقوله تعالى (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) من ذكر وغيره وواحد  
 ومتعدد وغير ذلك (وما تفيض) أي تنقص (الأرحام) من مدة الحمل (وما تزداد) أي من مدة الحمل  
 فقد تكون سبعة أشهر وأزيد عليها إلى سنتين عند الامام أبي حنيفة وإلى أربع عند الامام الشافعي  
 وإلى خمس عند الامام مالك رضي الله تعالى عنهم وقيل إن الضحك ولد لتين وهرم بن  
 حبان بن في بطن أمه أربع سنين ولذلك سمي هرما وقيل ما تنقصه الرحم من الأولاد وتزيد  
 منهم يروى أن شريكاً كان رابعاً أربعة في بطن أمه وقيل من نقصان الولد فيخرج  
 ناقصاً والزيادة تمام خيلته وقيل ما تنقص بالسقط عن أن يتم وما يزداد بالتام وقيل ما تنقص  
 يظهر ودم الحيض وذلك أنه إذا سال الدم في وقت الحمل ضعف الولد ونقص بمقدار حصول  
 ذلك قال ابن عباس كلما سال الحيض في وقت الحمل يوماً زاد في مدة الحمل يوماً يحصل الجبر  
 ويعتدل الأمر والآية تتحمل جميع ذلك إذ لا تنافي في هذه الأقوال ويدل لذلك قوله تعالى  
 (وكل شيء) من هذا وغيره من الآيات المقرحات وغيرها (عنده) أي في علمه وقدرته (بمقدار)  
 في كيفيته وكينته لا يجاوز ولا يقصر عنه لأنه تعالى عالم بكيفية كل شيء وكينته على الوجه  
 المفصل المبين \* (تبيه) \* قوله تعالى عدهم يجوز أن يكون مجروراً بالحمل صفة لشيء أو مفعولاً  
 صفة لكل أو منصوبه ظرفاً لقوله بمقدار أو ظرفاً للاداء تقرر الذي تعلق به الجار وقوعه خبراً  
 (عالم الغيب) وهو ما غاب عن كل مخلوق (والشهادة) وهو ما شاهدوه وقيل الغيب هو  
 المعلوم والشهادة هو المجهول وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشهادة ما حضر في الحس  
 (الأكبر) أي العظيم (المتعال) عن خلقه بالقهر المنزه عن صفات النقص فهو تعالى موصوف  
 بالعلم الكامل والقدرة التامة وقرأ ابن كثير في الوقف والوصل بيا بعد اللام والباقون بغير  
 ياء وفقاً ووصلاً وهو ما كان علمه تعالى شاملاً لجميع الأشياء قال تعالى (سوره منكم) أي في علمه  
 تعالى (من أسر القول) أي أخفى معناه في نفسه (ومن جهر به) أي أظهره فقد استوى  
 في علمه تعالى المسر بالقول والجهر به (ومن هو مستخف) أي مستتر (بالليل) أي بظلامه  
 (ويكذب) أي ظاهر فيها به في سره (بالنهار) والسرب يفتح السين فيكون الراء الطريق  
 وقال ابن عباس سواء ما أضمته للقلوب وأظهرته اللسان وقال مجاهد سواء من يقدم على  
 القبائح في ظلمات الليل ومن يأتي به في النهار الظاهر على سبيل التوازي والضمير في (له) يعود  
 إلى من في قوله سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل أو اللسان  
 (معقبات) أي ملائكة تعقبه والتي عليه الجمهور أن المراد بالملائكة الحفظة وإنما صح  
 وصفهم بالمعقبات لئلا يجل أن ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار وبالعكس وإنما لجل أنهم  
 يحسبون أعمال العباد ويتقونهم باللفظ والكتب ويحسبون كل من عمل عملاً عادلاً فقد تعقب  
 فعل هذا الموضع من المعقبات ملائكة الليل والنهار يروى عن عثمان أنه قال يا رسول الله أخبرني

عن العبدكم. مع من ملك فقال صلى الله عليه وسلم. لك عن يمينك الحسنات وهو امر على الذي  
على الشمال فاذا عملت حسنة كتبت عشرها واذا عملت سيئة قال الذي على الشمال اصاحب  
اليمين اكتب قال لاله ان يتوب او يستغفر فيمتاذه ثلاث مرات فاذا قال ثلاثا قال اكتب  
اراحنا الله منه فمس القرين ما اقل مراقبته الله واستحياءه منا فهو قوله تعالى له معقبات (من  
بين يديه) اى قدومه (ومن خلفه) اى ورائه وملك قابض على ناصيتك فاذا تواضعت لربك  
رفعك وان تجبرت قصصك وملكك الى شفيعك يحفظان عليك الصلاة وملك على فيك لا يدع ان  
تدخل الحية في فيك وملكك على عينيك فهذه عشرة املا لى كل آدمى ملائكة بالليل وملائكة  
بالنهار فهم عشرون ملكا على كل آدمى وعن ابي هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر  
وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله تعالى وهو اعلم بكم كيف تركتم عبادى  
فيقولون تركناهم وهم يصلون وقال مجاهد ما من عبد الا وله ملك وكل يحفظه من الجن  
والانس والهوام في نومه ويقظته (فان قيل) الملائكة تذكر في جمع الاناث وهو  
المعقبات (اجيب) بجوابين الاول قال الفراء المعقبات ملائكة معقبة واحدها معقب  
ثم جعت معقبة معقبات كما قيل ابناءت ورجالات جمع ابناء ورجال والذي على التذكير  
قوله تعالى (يحفظونه) والثانى وهو قول الاخفش انما انت لكثرة ذلك منها نحو نسبة  
وعلامه وهو ذكر واختلاف في المراد من قوله تعالى (من امر الله) على اقوال اchiedهائه  
على التقديم والتأخير والتقدير له معقبات من امر الله يحفظونه ثانياً ان فيه اظهارة اى ذلك  
الحفظ من امر الله اى بما امر الله تعالى به فحذف الاسم وابقى خبره وثالثها ان كلمة من معناها  
الباء والتقدير يحفظونه بأمر الله وبعائته وقال كعب الاحبار لولان الله تعالى وكل بكم  
ملائكة يذبون عنكم في مطعكم ومشربكم وعوراتكم تحفظونكم الجن وقال ابن جرير  
معنى يحفظونه اى يحفظون عليه الحسنات والسيئات (فان قيل) ما الفائدة في تخصيص هؤلاء  
الملائكة مع نى آدم وتسلطهم عليهم (اجيب) بأن الانسان اذا علم ان الملائكة تحصى عليه  
أعماله كان الى الخذر من المعاصى اقرب لان من اعتقد جلالة الملائكة وعلو مراتبهم فاذا  
ساول الاقدام على معصية واعتقد أنهم يشاهدونها جزاء من انهم عن الاقدام اليها كما يزجره  
اذا حضر من يعظمه من البشر واذا علم ان الملائكة تحصى عليه تلك الاعمال كان ذلك أيضا  
ردعاً عنها واذا علم ان الملائكة يكتبونها كان الردع اكمل ولما دل ذلك على غاية القدرة  
والعظمة قال تعالى (ان الله مع قدرته) لا يغير ما بقوم) اى لا يسلبهم نعمته (حتى يغيروا ما) اى  
الذى (بأنفسهم) من الاحوال الجيلة الى الاحوال القبيحة (رادا) اراد الله بقوم - (وا) اى  
هلاكا وعذابا (فلامر ذله) اى لا يقدر احد لامن المعقبات ولا من غيرها ان يرد ما نزل بهم  
من قضائه وقدره (ومالهم) اى ان اراد الله بهم سوا (من دونه) اى غير الله (من وال)  
بلى أمرهم وينصرهم ويمنع العذاب عنهم. وقرأ ابن كثير في الوقف باثبات الباء بعد اللام دون

الوصل والباقون بغيرها بعد اللام وتقاورصلا \* ولما خوف الله تعالى بقوله وإذا أراد الله بقوم  
 سوء أتبعه بذكريات تشبه النمل والاحسان من بعض الوجوه وتشبه العذاب والقهر من بعض  
 الوجوه بقوله تعالى (هو الذي يرثكم البرق خوفاً) أي للمساقرين من الصواعق (وطمعا) أي  
 للمقيم في المطر وقيل أن كل شيء يحصل في الدنيا يحتمل الخير والشر فهو خير بالنسبة إلى  
 قوم وشر بالنسبة إلى آخرين فكذلك المطر خير في حق من يحتاج إليه في أوانه وشر في حق من  
 يضره ذلك أما بحسب المكان وأما بحسب الزمان والبرق معروف وهو لمعان يظهر من بين  
 السحاب (وينشئ) أي يخلق (السحاب الشمال) أي بالمطر \* (تنبية) \* خوفاً وطمعاً صدران  
 ناصبهما محذوف أي تخافون خوفاً وطمعون طمعاً ويجوز نيزلك والسحاب قال علي بن أبي  
 طالب رضي الله تعالى عنه غربال الماء وهو غيم ينسحب في السماء وهو اسم جنس جعي واحدة  
 صحابة وأكثر المفسرين على أن الرعد في قوله تعالى (ويسبح الرعد بحمده) على أنه اسم للملك  
 الذي يسوق السحاب والصوت المسهوع منه تسميحه ولا يرد ذلك عطف الملائكة عليه في قوله  
 تعالى (والملائكة) أي تسميحه (من خيفته) أي الله لأنه أفرد بالذكر تشريفاً له كما في قوله تعالى  
 وملائكته ورسله وجبريل وميكال قال ابن عباس أقبلت يهود على النبي صلى الله عليه وسلم  
 فقالوا أخبرنا عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار  
 يسوق بها السحاب قال ابن الأثير والمخاريق جمع مخراق وهو في الأصل ثوب يلق ويضرب به  
 الصبيان بهضهم بهضاً وهي آلة تزجر به الملائكة السحاب وتسوقه وقد جاء تفسير المخراق  
 في حديث آخر وهو سوط من نور تزجر به الملائكة السحاب وعن ابن عباس أنه قال من سمع  
 صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير  
 فإن أصابته صاعقة فعلى دية وعن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث  
 وقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وفي بعض الأخبار يقول الله تعالى  
 لو أن عبادي أطاعوني لسيقتم المطر بالليل وأطاعت الشمس عليهم بالنهار ولم أسمعهم صوت  
 الرعد وفي رواية عن ابن عباس الرعد ملك موكل بالسحاب يسوقه حيث يؤمر وأنه يحوز  
 الماء في نقرة ابهامه وأنه يسبح الله تعالى إذا سبح لا يبقى ملك في السماء إلا رفع صوته بالتسبيح  
 فعندها ينزل المطر وعن الحسن أن الرعد خلق من خلق الله ليس بملك وقد اختلفت الروايات  
 في ذلك ففي بعضها أنه ملك موكل بالسحاب وفي بعضها أنه ملك ينفق بالغيث كما ينفق الراعي  
 بغيته وفي بعضها أنه ملك يسوق السحاب بالتسبيح كما يسوق الحمادي الإبل بجداته وفي بعضها  
 أنه لا يسمى به وهو الذي تسمعون صوته وقد رت الإشارة إلى ذلك في البقرة وقيل هؤلاء  
 الملائكة أعوان الرعد جعل الله تعالى له أعواناً فهم خاضعون طائعون وقيل المراد  
 بهم جميع الملائكة واستظهر وقوله تعالى (ويرسل الصواعق) جمع صاعقة وهي العذاب  
 المهلك تنزل من البرق فصرق من تسميحه (فيصيبهم من يشاء) فيهلكه (وهم يجادلون في الله)  
 حيث يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب التشديد في الخصومة وروى أن عامر

ابن الطقيل واريد بن زبيعة أخا البعيد وقد ادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمدين لقتله  
فاخذه عامر بالمجادلة ودار اريد من خلفه ليضربه بالسيف فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وقال اللهم اكفنيهم ما جاشت فأرسل الله تعالى على اريد صاعقة فقتلته ورعى عامر بغدة فبات  
في بيت سلوامة فكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلوامة فترات وعن الحسن أنه قال  
كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم فمعه نذر يدعو به الى الله تعالى  
ورسوله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اخبروني عن رب محمد هذا الذي تدعونني اليه هم هو أمن  
ذهب أوفضة أو حديد أو نحاس فاستعظم القوم مقالته فانصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم  
فقالوا يا رسول الله ما رأينا رجلاً كقرقلبا ولا أعتى على الله منه فقال صلى الله عليه وسلم  
ارجعوا اليه فرجعوا اليه فجعل لا يزيدهم على مقالته الاولى وقال أجب محمد الى رب لا أراه  
ولأعرفه فانصرفوا وقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقالته الاولى وأخبت فقال ارجعوا اليه  
فرجعوا فينجاهم عنده ينازعونه ويدعونوه وهو يقول هذه المقالة اذا ارتفعت صحابة فكانت  
فوق رؤسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحرق الكافر وهم جلوس فجاءوا يسعون ليخبروا  
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقباهم قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا  
احترق صاحبكم فقالوا من أين علمت فقالوا أوحى الله تعالى الى النبي صلى الله عليه وسلم ويرسل  
الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله (وهو شديد الحال) واختلف المقسرون في  
قوله تعالى وهو شديد الحال فقال على رضي الله عنه شديد الاخذ وقال ابن عباس شديد الحول  
وقال مجاهد شديد القوة وقال أبو عبيدة شديد القوة والمغالبة واختلف في قوله تعالى (له) أي  
الله (دعوة الحق) فقال على دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة أن لا اله الا الله وقال  
الحسن الحق هو الله تعالى وكل دعاء اليه دعوة الحق (والذين يدعون) أي وهم الكفار (من  
دونه) أي غير الله وهي الاصنام (لا يستجيبون) أي الاصنام (لهم) أي الكفار (بشيء) عما  
يطلبونه من نفع أو دفع ضرر (الا) أي الاستجابة (بسط) أي كاستجابة باسط (كفيه الى الماء)  
أي على شفير البئر يدعوه (ليبلغ فاه) أي يرتفعه من البئر اليه (وما هو) أي الماء (يبالغه) أي  
فاه أبداً لأنه جاد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته فكذلك ما هم يستجيبون لهم أبداً لأن  
أصنامهم كذلك وقيل شبهوا في قلبه فأنه دعاؤهم لا لهم عن أراد أن يعرف الماء بيديه ليشربه  
فبسط كفيه نائماً أصابعهما ولم يصل كفاه الى ذلك الماء ولم يبلغ مطلوبه من مشربه ثم انه  
تعالى عم في أنه لا يستجاب لهم بقوله تعالى (وما دعاء الكافرين الا في ضلال) أي ضياع لا منفعة  
فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبههم وان دعوا آلهم لم تستطع اجابتهم وقيل المراد بالدعاء في الخلق  
العبادة وقوله تعالى (ولله يسجد من في السموات والارض) يحتمل أن يراد به السجود على حقيقته  
وهو وضع الجبهة وعلى هذا فيكون قوله تعالى (طوعاً) للملائكة والمؤمنين من النقلين حالتي  
الشدّة والرخاء وقوله تعالى (وكرهاً) للكافرين والمنافقين الذين أكرهوا على السجود بالسيف  
وأن يراد به التعظيم والاعتراف بالعبودية فنكل من السموات والارض معترف بصودية الله



تعالى كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وأن يراد به الانتقاد والخضوع وترك  
 الامتناع وكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى لان قدرته ومشيئته نافذة  
 في الكل \* (تنبيه) \* قوله تعالى طوعا وكرها اتمامه ول من أجله واما حال أي طائعين وكرهين  
 واختلف في تفسير قوله تعالى (وظلالهم بالغدق) أي البكر (والاصال) أي العشايا أي تسجد  
 فقال أكثر المفسرين كل شخص سواء كان مؤمنا أو كافرا فان ظله يسجد لله قال مجاهد  
 ظل المؤمن يسجد لله تعالى وهو طائع وظل الكافر يسجد لله تعالى وهو كاره وقال الزجاج جاء  
 في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانباري ولا يبعد أن يخلق الله  
 تعالى في الظلال عقولا وأفهاما تسجد لله وتخشع وقيل المراد من عبود الظلال ميلها من  
 جانب الى جانب وطولها بسبب انحطاط الشمس وقصرها بسبب ارتفاع الشمس وهي منقادة  
 مسلاة في طولها وقصرها وميلها من جانب الى جانب وانما خص الغدق والاصال بالذكر  
 لان الظلال انما تعظم وتكثر في هذين الوقتين \* (تنبيه) \* الغدق جمع غداة كقنى وقناة  
 والاصال جمع الاصل والاصل جمع أصيل وهو ما بين العصر الى غروب الشمس \* ولما بين تعالى  
 ان كل من في السموات والارض ساجد لله تعالى عدل الى الرد على عباد الاصنام بقوله تعالى  
 (قل) يا أشرف الخلق على الله تعالى اقومك (من رب السموات والارض) أي من مالكمها  
 وما فيهم ما ومدبرهما وخالقهما (قل الله) أي أجب عنهم بذلك ان لم يقولوه ولا جواب لهم غيره  
 ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه ولقنهم الجواب به وروى أنه لما قال للمشركين ذلك عطفوا  
 عليه وقالوا أجب أنت فأمره الله تعالى فأجاب بذلك ثم أزمهم الحججة على عبادتهم الاصنام بقوله  
 تعالى (قل) لهم (أفأنتخذتم من دونه) أي غير الله (أولياء) أي أصناما تعبدونها (لا يملكون  
 لانفسهم نهما) يجلبونه (ولا ضرا) يدفعونه فكيف يملكون لكم ذلك وقرأ ابن كثير وحفص  
 بإظهار الذال في أنتخذتم عند التاء والباقون بالادغام ثم ضرب الله تعالى مثلا للمشركين الذين  
 يعبدون الاصنام والمؤمنين الذين يعبدون الله فقال تعالى (قل هل يستوى الاعمي والبصير)  
 قال ابن عباس يعني المشرك والمؤمن وانما مثل الكافر بالاعمى لانه لا يهتدى سبيلا فكذلك  
 الكافر لا يهتدى سبيلا \* ثم ضرب الله مثلا للايمان والكفر بقوله تعالى (أم هل تستوى  
 الظلمات) أي الكفر (والنور) أي الايمان الجواب لا وقرأ شعبة وحزرة والكسائي يستوى  
 بالياء على التذكير والباقون بالتاء على التأنيث وأما اللام من هل هنا فلا تدغم على القراءتين  
 (أم جعلوا لله شركاء) والهمزة للانكار وقوله تعالى (خلقوا كخلقه) صفة شركاء أي خلقوا  
 سموات وأرضين وشمسا وقمرًا وجبالا وبحارا ووجنا وانسا (فتشابه الخلق) أي خلق الشركاء  
 بخلق الله (عليهم) من هذا الوجه فلا يدرون ما خلق الله ولا ما خلق آلهتهم فاعتقدوا استحقات  
 عبادتهم بخلقهم وهذا استفهام انكار أي ليس الامر كذلك ولا يستحق العبادة الا الخالق  
 ولما كان من المعلوم قطعاً أن جوابهم ان الخلق كله لله لزمهم الحججة فقال تعالى (قل) لهؤلاء  
 المشركين (الله خالق كل شيء) أي مما يصح أن يكون مخلوقا فهو من العموم الذي يراد به

الخصوص فلا يدخل في ذلك صفات الله تعالى وإذا كان لا خالق غيره فلا يشاركه في العبادة  
 أحد فوجب أن يتفرد بالالهية كما قال تعالى (وهو الواحد) أي الذي لا يجانسه شيء وكل ما سواه  
 لا يخالو عن مماثل مماثل وأين رتبة من مماثل من رتبة من لا مثل له (القهار) الذي كل شيء تحت  
 قهره فمدخل تحت قضائه ومشيئته وأرادته ثم ضرب تعالى مثلا للحق والباطل بقوله تعالى (أنزل  
 من السماء) أي السحاب أو السماء نفسها (ماء) أي مطرا (فسالت أودية) أي أنها رجعت واد  
 وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه وتشكرها  
 لأن المطر يأتي على تناوب بين البقاع (بقدرها) أي بمقدارها الذي علم الله تعالى أنه نافع غير ضار  
 أو بمقداره في الصغر والكبر (فاحتل السيل زبدا رابيا) أي عاليا عليه هو ما على وجهه من  
 قذرو ونجوه (ومما تودون عليه في النار) أي من جواهر الأرض الذهب والفضة والنحاس  
 والحديد (ابتغاء) أي طلب (حلية) أي زينة (أو متاع) أي ينتفع به كالأواني إذا أديت  
 وآلات الحرب والحراث والمقصود من هذا بيان منافعها (زبد مثله) أي مثل زبد السيل وهو  
 خبثه الذي يتقيه الكبر ومن لا ابتداء أو لتبعض وقرأ حفص وحزرة والكسائي بالياء  
 على الغيبة على أن الضمير للناس وضمارة للعلم به والباقيون بالتاء على الخطاب (كذلك) أي مثل  
 هذا الضرب العلى الرتب المتبين السبب (يضرب الله) أي الذي له الأمر كله (الحق والباطل)  
 أي مثلها فإنه تعالى مثل الحق في أفادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الأودية  
 على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به أنواع المنافع ويعكث في الأرض بأن يثبت بعضه في منافعها  
 ويسلك بعضه في عروق الأرض إلى العيون والقفى والآبار ومثل الباطل في قلبه تفعه وسرعة  
 زواله بزبد ما وهو قوله تعالى (فأما الزبد) أي من السيل وما أوقد عليه من الجواهر (فيذهب  
 جفا) قال أبو حيان مضمعا أي متلاشيا لا منفعة فيه ولا بقاء له وقال ابن الأنباري متفرقا  
 واتصاه على الحال (وأما ما ينفع الناس) من الماء ومن الجواهر الذي هو مثل الحق (فيمكث  
 في الأرض) أي يثبت ويبقى لينتفع به أهلها (كذلك) أي مثل ذلك الضرب (يضرب) أي يبين  
 (الله) الذي له الأحاطة الكاملة علما وقدرة (الأمثال) فيجعلها في غاية الوضوح وإن كانت  
 في غاية الغموض قال أهل المعاني هذا مثل ضربه الله تعالى للحق والباطل فالباطل وان علا على  
 الحق في بعض الأوقات والأحوال فإن الله يحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق وأهله كالزبد الذي  
 يعلو على الماء فيذهب الزبد فيبقى الماء الصافي الذي ينتفع وكذلك الصوف من هذه الجواهر يبقى  
 ويذهب العلو الذي هو الكدر وهو ما يتقيه الكبر مما يذاب من جواهر الأرض كذلك الحق  
 والباطل وقيل هذا مثل للمؤمن واعتقاده وانتفاعه بالإيمان كمثل الماء الصافي الذي ينتفع به  
 الناس ومثل الكافر وخبث اعتقاده كمثل الزبد الذي لا ينتفع به البتة \* ثم أنه تعالى لما ذكر الحق  
 والباطل ذكر ما لأهلها من الثواب والعقاب فقال تعالى (للذين استجابوا لربهم) أي أجابوه  
 إلى ما دعاهم اليه من التوحيد والعدل والنبوة وبعث الأموات وانتقام الشرايع الواردة  
 على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم (الحسنى) قال ابن عباس وقال أهل المعاني الحسنى

هي المنفعة العظمى في الحسن وهي المنفعة الخاصة عن شوائب المضرة الدائمة الخالصة عن  
 الانقطاع المقرونة بالتعظيم والاجلال ولم يذكر تعالى الزيادة ههنا لانه تعالى ذكرها في سورة  
 أخرى وهي قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة هذا ما لاهل الحق وأما ما لاهل الباطل  
 فهو ما ذكره بقوله جل من قائل (والذين لم يستجيبوا له) وهم الكفرة فلهم أنواع ثلاثة من العذاب  
 والعقوبة فالنوع الأول قوله تعالى (لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لاقتدوا به) أي  
 جعلوه فكذلك أنفسهم بغاية جهدهم لأن المحبوب بالذات لكل انسان هو ذاته وكل ما واه فهو  
 انما يحبه لكونه وسيلة الى مصالح ذاته فاذا كانت النفس في الضر والالم والتعب وكان مالها  
 لما يساوي عالم الاجناس والارواح فانه يرضى بأن يجعله قد اتفقه لان المحبوب بالعرض لا بد  
 وأن يكون قد اتفقه كما كان محبوبا بالذات والكفاية في به عائدة الى ما في قوله ما في الارض والنوع  
 الثاني من أنواع العذاب الذي أعده الله تعالى لهم ما ذكره بقوله تعالى (أولئك لهم سوء  
 الحساب) وهو المناقشة فيه وعن النبي بأن يحاسب العبد بذنبه كله لا يفر منه شيء وانما نوقشوا  
 لانهم أحبوا الدنيا وأعرضوا عن المولى فلما ماتوا بقوا محرومين عن معشوقهم الذي هو الدنيا  
 وبقوا محرومين من التورب سعادة خدمة المولى والنوع الثالث من عقوباتهم ما ذكره بقوله  
 تعالى (وما وآهم) أي من جهنم (جهنم) وذلك لانهم كانوا غافلين عن الاشتغال بخدمة المولى  
 عاشقين للذات الدنيا فاذا ماتوا فارقوا معشوقهم فيحترقون على مفارقتهم وليس عندهم شيء آخر  
 يجبر هذه المصيبة فلذلك كان ما وآهم جهنم \* ثم انه تعالى وصف هذا المأوى بقوله عز من قائل  
 (ويش المهاد) أي الفراش والمخصوص بالذم محذوف أي جهنم \* ونزل في حجة وأبي جهل  
 وقيل في عمار وأبي جهل (أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق) أي يؤمن به ويعمل بما فيه وهو  
 حجة أو عمار رضي الله تعالى عنهما (كن هو أعشى) أي أعشى البصيرة ولا يؤمن به ولا يعمل بما فيه  
 وهو أبو جهل قال ابن الخازن في تفسيره وحل الآية على العموم أولى وان كان السبب خصوصا  
 والمعنى لا يستوى من يصير الحق ويتبعه ومن هو لا يصير الحق ولا يتبعه وانما شبه الكافر والجاهل  
 بالأعشى لان الأعشى لا يمتدى لرشد (انما يذكركم) أي يتعظ (أولو الالباب) أي أصحاب العقول  
 الذين يطلبون من كل صورة معناها ويأخذون من كل قشرة لبابها ويعبرون من ظاهر كل حديث  
 الى سره ولبابه (الذين يوفون بعهد الله) أي ما عاقدوه على أنفسهم من الاعتراف برؤيته حين  
 قالوا بلى أو ما عهد الله تعالى عليهم في كتبه (ولا ينقضون الميثاق) أي ما واثقوه من المواثيق بينهم  
 وبين الله تعالى وبينهم وبين العباد فهو تعميم بعد تخصيص (والذين يصلون ما أمر الله به أن  
 يوصل) أي من الايمان والرحم وغير ذلك والا كثرون على أنه أراد به صلة الرحم عن أبي  
 موسى ان عبد الرحمن بن عوف عاد أبا الدرداء فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم يقول فيما يحكي عن ربه تعالى أنا الرحمن وهي الرحم شقت لهما اسمان اسمي فمن وصلها  
 وصلته ومن قطعها قطعته أو قال بته وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم الرحم متعلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطع الله وعن

أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يبسط له في رزقه وأن  
 ينسأ له في أثره فليصل رحمه ومعنى ينسأ يؤخر والمراد به تأخير الأجل وفيه قولان أحدهما وهو  
 المشهور أنه يزاد في عمره زيادة حقيقية والثاني يشاركه في عمره فكانت قد زيد فيه وعن ابن عمر بن  
 العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل  
 الذي إذا انقطعت رحمة وصلها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال تأتي يوم القيامة لها  
 السنة ذلقة الرحم فتقول أي رب قطعت والامانة تقول أي رب تركت والنعمة تقول أي رب  
 كفرت وعن الفضيل بن عياض أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من أين أنتم فقالوا من خراسان  
 قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا أن العبد لو أحسن كل الاحسان وكان له دجاجة  
 فأساء اليها لم يكن من المحسنين (ويخشون ربهم) أي وعبدوا عموما والخشية خوف يشوبه تعظيم  
 (ويخافون سوء الحساب) خصوصا فيما سبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) أي على  
 طاعة الله تعالى وعن معاصيه وفي كل ما يفتي الصبر فيه وقال ابن عباس صبروا على أمر الله  
 وقال عطاء على المصائب والنوائب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصي ومرجع الكل  
 واحد فان الصبر الحسب وهو تجرع مرارة منع النفس عما يحب مما لا يجوز فعله (استغناء) أي  
 طلب (وجه ربهم) أي رضا لا طلب غيره من جورا وسعة أوريا أو لغرض من أغراض الدنيا  
 أو نحو ذلك (وأقاموا الصلاة) أي المقرضة وقيل مطلق الصلاة فيدخل فيه القرض والنقل  
 (وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) قال الحسن المراد به الزكاة فان لم يتهم بترك الزكاة  
 فالأولى أن يؤدبها سرا وان كان يتهم بتركها فالأولى أن يؤدبها علانية وقيل المراد بالسر  
 صدقة التطوع وبالعلانية الزكاة وقيل المراد بالسر ما يؤديه من الزكاة بنفسه وبالعلانية  
 ما يدفعه الى الامام (ويدرون) أي يدفعون (بالحسنة السبئة) كالجهل بالحلم والاذى بالصبر  
 روى عن ابن عباس قال يدفعون بالصلاح من العمل السيئ من العمل وهو معنى قوله تعالى  
 ان الحسنات يذهبن السيئات وقوله صلى الله عليه وسلم اذا عملت سيئة فاعل بحسنة تحمها  
 السر بالسر والعلانية بالعلانية وعن عقبه بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال  
 ان مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل عليه درع ضيق قد خنقه ثم عمل  
 حسنة فانفكت حلقة ثم عمل حسنة أخرى فانفكت أخرى حتى يخرج الى الارض وقال ابن  
 عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سوء غيرهم وعن الحسن اذا حرموا أعطوا  
 واذا اظلموا اعفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن عمر ليس الواصل من وصل ثم وصل تلك مجازاة لكن  
 من قطع ثم وصل وعطف من لم يصله وليس الحلیم من ظلم ثم حلم حتى اذا هجمه قوم احتاج لكن  
 الحلیم من قدر ثم عفا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا راوا منكرا أمروا بتغييره  
 وروى أن شقيقا البلخي دخل على ابن المبارك مستكرا فقال له من أين أنت فقال من بلغ فقال  
 وهل تعرف شقيقا قال نعم فنال وكيف طريقة أصحابه قال اذا منعوا صبروا واذا أعطوا شكروا  
 فقال ابن المبارك طريقة كلابنا هكذا فقال شقيق فكيف ينبغي أن يكون الامر فقال الكاملون

هم الذين اذا منعوا اشكروا واذا أعطوا آثروا (أولئك) أى المال والرتبة (لهم عقبى الدار)  
 وبينها تعالى بقوله (جنات عدن) أى اقامة لانفسكالها يقال عدن بالمكان اذا أقام به ثم  
 استأنف بيان تمكنهم بقوله تعالى (يدخلونها) ولما كانت الدار لا تطيب بدون الاحبة قال  
 تعالى عاطفا على الضمير المرفوع (ومن صلح من آبائهم) أى الذين كانوا سببا في ايجادهم فيشمل  
 ذلك الآباء والامهات وان علوا (وأزواجهم وذرياتهم) أى الذين تسببوا عنهم والمعنى أنه يلحق  
 بهم من صلح من أهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعالهم وتعظيم الشأنهم ويتقال ان من أعظم  
 موجبات سرورهم أن يحتمه وافتداكروا أحوالهم في الدنيا ثم يشكروا الله تعالى على الخلاص  
 منها والقوز بالجنة ولذلك قال الله تعالى في صفة أهل الجنة أنهم يقولون يا ليت قومي يعلمون بما  
 غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وفي ذلك دليل على أن الدرجة تعلو بالشقاعة وان الموصوفين  
 بتلك الصفات يقترن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في أنسهم  
 والتقيد بالصلاح دلالة على أن مجرد الانساب لا تنفع وفسر ابن عباس الصلاح بالتصديق فقال  
 يريد من صدق بما صدقوا وان لم يعمل مثل أعمالهم قال الرازي قوله وأزواجهم ليس فيه  
 ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة واهل الاولى من مات عنها وماتت عنه وما روى عن سودة  
 انها لما هم الرسول صلى الله عليه وسلم بطلاقها قالت دعني يا رسول الله أحشر في جله نساءك  
 كالدليل على ما ذكرنا اه وعلى هذا من تزوجت بغيره قيل انها تخبر بينهم ما زاد تعالى في ترغيبهم  
 بقوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم) لان الاكثر من ترداد رسل الملك أعظم في الفضل وأكثر  
 في السرور والعز\* ولما كان اتيانهم من الاماكن المعتادة مع القدرة على غيرها أدل على الادب  
 والكرم قال تعالى (من كل باب) قال ابن عباس لهم خيمة من درة مجوفة طولها فرسخ وعرضها  
 فرسخ لها ألف باب مصارعها من ذهب يدخلون عليهم من كل باب يقولون لهم (سلام عليكم) أى  
 فأضمر القول هنا دلالة الكلام عليه (بما صبرتم) على أمر الله والباء للسببية أى بسبب صبركم  
 أو البدلية أى بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه (فان قيل) بم يتعلق قوله بما صبرتم قال  
 الزمخشري بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم وقال البيضاوى متعلق بعلينكم أو بمحذوف لا بسلام  
 فان الخبر فاصل مع أن الزمخشري قال ويجوز أن يتعلق بسلام أى نسلم عليكم ونكرمكم  
 بصبركم وهذا أظهر ورد الاقول بأن الممنوع منه انما هو المصدر الموقول بمحرف مصدرى وفعل  
 والمصدر هنا ليس كذلك\* ولما تم ذلك تسبب عنه قوله تعالى (فتم عقبى الدار) وهى المسكن  
 في قرار المهيا بالابنية التى يحتاج اليها والمرافق التى ينتفع بها والعقبى الانتهاء الذى يودى اليه  
 الابتداء من خيرا وشرا والمخصوص بالمدح محذوف أى عقباكم\* ولما ذكر تعالى صفات السعداء  
 وما يترتب عليها من الاحوال الشريفة العالمة أتبعها بذكر احوال الاشقياء وذكر ما يترتب  
 عليها من الاحوال المخزية المكربة وأنبع الوعد بالوعيد والثواب بالعقاب ليكون البيان  
 كاملا فقال تعالى (والذين ينقضون عهد الله) أى فيعملون بخلاف موجهه والنقض التفريق  
 الذى ينقض ما لى البناء (من بعد ميثاقه) أى الذى أوثقه عليهم من الاقرار والقبول

(ويقطعون ما) أي الذي (أمر الله به أن يوصل) وذلك في مقابلة قوله من قبل والذين يصلون ما  
أمر الله به أن يوصل فجعل من صفات هؤلاء القطع بالضد من ذلك الوصل والمراد به قطع ما يوجب  
الله تعالى وصله أي لماله من المحاسن الجلية والخفية التي هي عين الصلاح ويدخل في ذلك وصل  
الرسول صلى الله عليه وسلم بالموالاة والمعانة ووصل المؤمنين ووصل الأرحام ووصل سائر  
من له حق (ويفسدون) أي يوقعون الفساد (في الأرض) أي في أي جزء كان منها بالظلم وتمهيج  
القتل والمداء إلى غير دين الله تعالى (أولئك) أي البعداء البغضاء (لهم اللعنة) أي الطرد  
والبعد (ولهم سوء الدار) والدار لهم هي جهنم وليس لهم فيها إلا ما يسوء الصائر إليها \* ولما حكم  
تعالى على من تقض عهده في قبول التوحيد والنبوة بأنهم ملعونون في الدنيا ومعذبون  
في الآخرة فكانه قيل لو كانوا أعداء الله تعالى لما فتح الله عليهم أبواب النعم واللذات في الدنيا  
فأجاب الله تعالى بقوله تعالى (الله ييسر الرزق) أي يوسع (لمن يشاء) ويقدر (أي يضيقه على من  
يشاء) سواء في ذلك الطائع والعاصي ولاتعلق لذلك بالكفر والإيمان فقد يوجد الكافر موسعا  
عليه دون المؤمن ويوجد المؤمن موسعا عليه دون الكافر فالدين ادارا مكيان \* ولما كانت السعة  
مظنة الفرح الا عند من وفقه الله تعالى قال الله تعالى (وفرحوا) أي كفار مكة فرح بطر  
(بالحياة الدنيا) أي بما نالوه فيها الا فرح سرور بفضل الله والعافية عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى  
يستوجبوا نعيم الآخرة (وما الحياة الدنيا) أي بكائها (في الآخرة) أي في جثتها (الامتاع) أي  
حقير متلاش يتمتع به ويذهب كجمالة الراسكب وهي ما يتجمله من تمرات أو شربة ماء أو سويق  
أو نحو ذلك (ويقول الذين كفروا) من أهل مكة (لولا) أي هلا (أنزل عليه) أي على هذا الرسول  
(آية) أي علامة بينة (من ربه) أي المحسن إليه كالعصا واليد الموسى والناقة لصالح لتهتدى بها  
فتمؤمن به \* وأمر الله تعالى أن يجيبهم بقوله (قل) أي لهؤلاء المعاندين (إن الله يضل من يشاء)  
اضلاله فلا تغنى عنه الآيات شيئا وان أنزات كل آية (ويهدى) أي يرشد (إليه) أي إلى دينه  
(من أناب) أي رجع إليه كآبي بكر الصديق وغيره ممن تبعه من العشرة المشهود لهم بالجنة  
وغيرهم ولو حصلت آية واحدة فلا تشتغلوا بطلب الآيات ولكن تضرعوا إلى الله تعالى  
في طلب الهداية وقوله تعالى (الذين آمنوا) بدل من أناب أو خبر مبتدأ محذوف (وتطمئن)  
أي تسكن (قلوبهم بذكر الله) أي أنسابه واعتماد عليه ورجاء منه أو بذكر رحمته ومغفرته بعد  
القلق والاضطراب من خشيته أو بذكر دلائله الدالة على وجوده أو بالقرآن الذي هو أقوى  
المعجزات وقال ابن عباس يريد إذا سمعوا القرآن خشعت قلوبهم واطمأننت (فان قيل) قد قال  
الله تعالى في سورة الانفال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل ضد  
الاطمئنان فكيف الجمع بين هاتين الآيتين (أجيب) بأنهم اذا ذكروا العقاب ولم يأمنوا  
أن يقدموا على المعاصي فهناك يحصل الوجل واذا ذكروا وعده بالثواب والرحمة سكنت  
قلوبهم إلى ذلك وحينئذ حصل الجمع بينهما (الأبد ذكر الله) أي الذي له الجلال والاکرام لا يذكر  
غيره (تطمئن) أي تسكن (القلوب) ويثبت اليقين فيها وقوله تعالى (الذين آمنوا وعملوا

الصالحات) مبتدأ خبره (طوبى لهم) واختلف العلماء في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح  
 لهم وقرّة عين وقال عكرمة نعمى لهم وقال قتادة حسنى لهم وقال النخعي خير لهم وكرامة وقال  
 سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحشية قال الرازى وهذا القول ضعيف لأنه ليس في القرآن  
 الا العربي لأسماء واشتقاق هذا اللفظ من اللغة العربية ظاهر وعن أبي هريرة وأبي الدرداء  
 ان طوبى شجرة في الجنة تظل الجنان كلها وقال عبيد بن عمير هي شجرة في جنة عدن أصلها  
 في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة غصن منها لم يخلق الله لونها ولا زهرة الا وفيها  
 منه الا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا غرة الا وفيها منها ينبع من أصلها عينان الكافور  
 والسليد وقال مقاتل وكل ورقة منها تظل أمة عليها ملك يسبح الله تعالى بأقوال التسبيح وعن  
 أبي سعيد الخدري أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ما طوبى قال شجرة في الجنة مسيرة مائة  
 سنة باب أهل الجنة تخرج من أكامها وعن معاوية بن قرّة عن أبيه يرفع طوبى شجرة غرسها  
 الله تعالى بيده ونفخ فيها من روحه تبت الحلى والحلل وان أغصانها ترى من وواء سور الجنة  
 وفي رواية عن أبي هريرة انه قال ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله تعالى لها تفتني لعبدى  
 عما يشاء فتفتق له عن فرس مسرجة بلجامها وهيئتها كما يشاء وتتفتق له عن راحلة يرحلها  
 وزمامها وهيئتها كما يشاء وقيل طوبى فعلى من الطيب قلبت باؤه واوالضم ما قبلها مصدر  
 لطاب كيشرى وزانى ومعنى طوبى لك أصبت خيرا وطيبا (وحسن ما ب) أى حسن المنقلب  
 (كذلك) أى مثل ارسال الرسل الذين قدمنا الاشارة اليهم في آخر سورة يوسف وفي غيرها  
 (أرسلناك في أمة) أى جماعة كثيرة (قد خلعت من قبلها) أى تقدمتها (أمم) طال اذا هم  
 لانبيائهم ومن آمن بهم واستهزأوهم بهم في عدم الاجابة حتى ككأنهم توأصوا بهذا القول  
 فليس يبدع ارسالك اليهم (لتتلا) أى لتقرأ (عليهم) أى على أمتك (الذى أوحينا اليك) من  
 القران وشرايع الدين (وهم) أى والحال أنهم (يكفرون بالرحمن) أى بالبلغ الرحمة الذى  
 وسعت رحمة كل شئ وقال قتادة هذه الآية مدنية نزات في صلح الحديبية وذلك ان سهل بن  
 عمرو لما جاء للصلح واففقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلى  
 اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهل بن عمرو لا نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنى  
 مسيلة الكذاب اكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمن  
 أى انهم يكفرونه ويجمعونه قال البغوى والمعروف ان الآية مكسبة وسبب نزولها  
 ان أبا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو يا الله يا رحمن فرجع الى المشركين  
 فقال ان محمد يدعو الله ويدعو لها آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة  
 فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى  
 وروى الضحاك عن ابن عباس أنها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم  
 اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قال الله تعالى (قل) لهم يا محمد ان الرحمن الذى أنكرتم  
 معرفته (هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت) أى اعتمدت عليه فى أمورى كلها (واليه متاب)

أى مرجعى ومرجعكم روى أن أهل مكة قعدوا فى فتاء الكعبة فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم وعرض الإسلام عليهم فقال له عبد الله بن أمية الخزومي سير لنا جبال مكة حتى ينفسح المكان علينا واجعل لنا فيها أنهارا نزرع فيها وأحى لنا بعض أمواتنا نسألهم أحق ما تقول أم باطل فقد كان عيسى يحيى الموتى ويخبر لنا الريح حتى نركبها إلى البلاد فقد كانت الريح مسخرة سليمان فليست بأهرون على ربك من سليمان فزل قوله تعالى (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) أى نقلت عن أمانتها (أو قطعت) أى شقت (به الأرض) من خشية الله تعالى عند قراءته فجعلت أنهارا وعيوننا (أو وكل به الموتى) أى بأن يحيوا وجواب لو محذوف أى لكان هذا القرآن فى غاية ما يكون من العظمة والكنى بعرفة السامعين مراده وهذا معنى قول قتادة قال لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم وقيل تقديره لما آمنوا ونقل عن الفراء أن جواب لوهى الجملة من قوله وهم يكفرون فى الكلام تقديم وتأخير وما بينهما اعتراض وتقدير الكلام وهم يكفرون بالرحن لو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو وكل به الموتى لكفروا بالرحن ولم يؤمنوا المسابغ من علمنا فيهم (فان قيل) لم حذف التأني في قوله تعالى وكنتم به الموتى وثبتت فى الفعلين قبله (أجيب) بأنه من باب التقليل لأن الموتى يشمل المذكر والمؤنث (بل الله الأمر) أى القدرة على كل شئ (جميعا) وهذا اضطراب عما تضمنته لومن معنى النبي أى بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات لكن الإرادة لم تتعلق بذلك لعلمه تعالى بأنه لا يبين قلوبهم ويؤيد ذلك قوله تعالى (أفلم يأس الذين آمنوا) عن ايمانهم مع ما رأوا من أحوالهم وذهب أكثرهم إلى أن معناه أفلم يعلم الذين آمنوا (أن) أى بأنه (لويشأ الله) أى الذى له صفات الكمال (أهدى الناس جميعا) أى إلى الايمان من غير آية ولكنه تعالى لم يشأ هداية جميع الملائق (ولا يزال الذين كفروا) أى جميع الكفار (تصميم بما) أى بسبب ما (صنعوا قارعة) أى نازلة وداهية تفرعهم بأنواع البلايا تارة بالجدب وتارة بالسلب وتارة بالقتل وتارة بالأسر وغير ذلك واختلف فى الكفار على قولين قيل أراد بهم جميع الكفار لأن الوقائع الشديدة التى وقعت لبعض الكفار من ذلك أوجبت حصول الغم فى قلب الكل وقيل المراد الكفار من أهل مكة والالف واللام للمعهود السابق ويدل لهذا قول ابن عباس أراد بالقارعة السرايا التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها اليهم (أو تحل) أى تنزل نزولا ناسألك القارعة (قريانا من دارهم) أى قنوهن أمرهم وقيل معناه أو تحل أنت يا محمد بجيشك قريانا من دارهم مكة كما حل بالحديبية (حتى يأتى وعد الله) أى بالنصر وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه بفتح مكة أو بالنصر على جميع الكفرة فى زمن عيسى عليه السلام فينقطع ذلك لأنه لا يبقى على الأرض كافر وقيل أراد بوعد الله يوم القيامة لأن الله يجمعهم فيه فيجازيهم بأعمالهم (إن الله لا يخلق الميعاد) لامتناع الكذب فى كلامه تعالى \* ولما كان الكفار يسألون هذه الآيات منه صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستهزاء والسخرة وكان ذلك يشق عليه ويتأذى من تلك الكلمات أنزل الله تعالى تسلية له وتصيرا له



على سفاهة قومه (ولقد استهزئ برسل من قبلك) كما استهزئ بك (فأملت للذين كفروا)  
 أى أطلت المدة تأخير العقوبة (ثم أخذتهم) بالعقوبة (فكيف كان عقاب) أى هو واقع  
 موقعه فكذلك أفعل بمن استهزأ بك والاملاء الامهال بأن يترك مدة من الزمان فى راحة وأمن  
 كالبيمة على لها فى المرعى وهذا استهزام معناه التعجب وفى ضمنه وعيد شديد لهم وجواب  
 عن اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستهزاء ثم انه تعالى  
 أورد على المشركين ما يجرى مجرى الججاج وما يكون توبيخاً لهم وتجييباً من عقولهم فقال  
 تعالى (أفمن هو قائم) أى رقيب (على كل نفس بما كسبت) أى علمت من خير وشر وهو الله تعالى  
 القادر على كل الممكنات العالم بجميع المعلومات من الجزئيات والكليات ولا بدله هذا الكلام  
 من جواب فان من موصولة صلواتها هوقائم والموصول مرفوع بالابتداء وخبره محذوف  
 تقديره كمن ليس بهذه الصفة وهى الاصنام التى لا تنفع ولا تضر تدل على هذا المحذوف قوله  
 تعالى (وجدهوا لله شركاء) وتظيره قوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام الآية تقديره كمن  
 قسا قلبه يدل عليه قوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وانما حسن حذفه كون الخبر مقابلاً  
 للمبتدأ وقد جاء مبيناً كقوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق وقوله تعالى (قل هوهم) فيه تنبيه على  
 أن هؤلاء الشركاء لا يستحقون والمعنى سموهم بأسمائهم الحقيقية فانهم اذا عرفت حقاقتهم أنها  
 حجارة أو غير ذلك مما هو مركز العجز ومحل الفقر عرف ما هم عليه من إضافة العقول وركاكة  
 الآراء ثم قيل أرجعتم عن ذلك الى الاقرار بانهم من جملة عباده (أم تتبنونه) أى تحبونه (بما  
 لا يعلم) وعلمه محيط بكل شئ (فى الارض) من كونها آلهة يبرهان فاطع (أم) تسعونهم شركاء  
 (بظاهر من القول) أى بحجة اقناعية تقال بالقوم وكل ما لا يعلم بشئ وهذا احتجاج بليغ  
 على أسلوب عجيب ينادى على نفسه بالاعجاز \* ولما كان التقدير ايسر لهم على شئ من هذا برهان  
 فاطع ولا قول ظاهر بنى عليه قوله تعالى (بل زين) أى وقع التزيين بأمر من لا يرد أمره على يد من  
 كان من شياطين الانس أو شياطين الجن (للذين كفروا مكرهم) أى أمرهم الذى أرادوا به  
 ما أراد بالمكر من اظهار شئ وابطان غيره وذلك أنهم أظهروا أن شركاءهم آلهة حقا وهم يعلمون  
 بطلان ذلك وليس بهم فى الباطن الاتقيد الا بآباء وأظهروا أنهم يعبدونها لتقريبهم الى الله زلفى  
 وتشفع لهم وهم لا يعتقدون بعنا ولا نشور افصار كل ذلك من فعلهم فعمل الماكر (وصدوا)  
 غيرهم (عن السبيل) أى طريق الهدى الذى لا يتقال لغيره سبيل فان غيره عدم بل العدم خير منه  
 فهم لم يسلكوا السبيل ولا تركوا غيرهم يسلكه فضلوا وأضلوا وليس ذلك بعجيب فان الله أضلهم  
 (ومن يضل الله) أى الذى له الامر كما يارادة اضلاله (فما له من هاد) وقرأ ابن كثير باثبات الياء  
 بعد الدال فى الوقف دون الوصل والباقون بغير ياء وقفاً ووصلاً وكذلك من واى وكذا ولا واى  
 ولما أخبر الله تعالى بتلك الامور المذكورة بين أنه جمع اهلهم بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة  
 بقوله تعالى (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) بالقتل والاسر والذم والاهانة واعتنام الاموال واللعن  
 ونحو ذلك مما فيه غيظهم (ولعذاب الآخرة أشق) أى أشد فى المشقة بسبب القوة والشدة

وكثرة الأنواع والدوام وعدم الانقطاع ثم بين تعالى أن أحد الأيهم من عذابه بقوله تعالى  
 (ومالهم من الله من واق) أي مانع عنهم إذا أراد بهم سوءاً في الدنيا والآخرة والواق  
 فاعل من الوقاية وهي الجزع على دفع الأذية \* ولما ذكر تعالى عذاب الكفار في الدنيا والآخرة  
 أتبعه بذكر ثواب المتقين بقوله تعالى (مثل) أي صفة الجنة (التي هي مقرهم) التي وعد  
 المتقون) واختلف في أعراب ذلك على أقوال الأول قال سيويه مثل الجنة مبتدأ وخبره  
 محذوف والتقدير فيما تصنأه عليك مثل الجنة والثاني قال الزجاج مثل الجنة جنة من صفتها  
 كذا وكذا والثالث مثل الجنة مبتدأ وخبره (تجري من تحتها الأنهار) كما تقول صفة زيد  
 أسمر والرابع الخبر (أكلها) أي ما كوله (دائم) لأنه الخارج عن العادة فقد وصف الله تعالى  
 الجنة بثلاثة أوصاف الأول تجري من تحتها أي من تحت قصورها وأشجارها الأنهار الثاني  
 أن أكلها دائم لا ينقطع أبداً بخلاف جنة الدنيا والثالث قوله تعالى (وظلها) أي دائم ليس كظل  
 الدنيا لا تنفضه الشمس ولا غيرها إذ ليس فيها شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل عمود لا ينقطع ولا يزول  
 ثم أنه تعالى لما وصف الجنة بهذه الصفات الثلاثة بين تعالى أنها للمتقين بقوله تعالى (تلك) أي  
 الجنة العالية الأوصاف (عقبى) أي آخر أمر (الذين اتقوا) أي الشرك ثم كرر الوعيد  
 للكافرين بقوله تعالى (وعقبى) أي صنتى أمر (الكافرين النار) لا غير وفي ترتيب النظمين  
 اطماع للمتقين واقتناط للكافرين واختلف في قوله تعالى (والذين آتيناهم الكتاب) على قولين  
 الأول أنهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والمراد بالكتاب القرآن (يفرحون بما أنزل إليك) من  
 أنواع التوحيد والعدل والنبوة والبعث والاحكام والقصاص (ومن الأحزاب) أي الجماعات  
 من اليهود والنصارى وسائر الكفار (من ينكر بعضه) وهذا قول الحسن وقتادة (فان قيل)  
 الأحزاب منكر كل القرآن (أجيب) بأنهم لا ينكرون كل ما في القرآن لأنه ورد فيه  
 إثبات الله تعالى وإثبات علمه وقدرته وحكمته وأما صيغ الأنبياء والأحزاب لا ينكرون كل  
 هذه الأشياء والقول الثاني أن المراد بالكتاب التوراة وبأهلها الذين أسلموا من اليهود والنصارى  
 كعبد الله بن سلام وأصحابه ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلاً أربعون من نجران  
 وثمانية من اليمن واثنتان وثلاثون من أرض الحبشة وفرحوا بالقرآن لأنهم آمنوا به وصدقوه  
 والأحزاب بقية أهل الكتاب وسائر المشركين وقيل كان ذكر الرحمن قليلاً في القرآن في الابتداء  
 فلما أسلم عبد الله بن سلام ومن تبعه من أهل الكتاب ساءهم قلته ذكر الرحمن مع كثرة ذكره في  
 التوراة فلما كثر الله تعالى ذكره في القرآن فرحوا به فأمر الله تعالى والذين آتيناهم الكتاب  
 يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه يعني مشركي مكة حين كتب رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم في كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم قالوا ما نعرف الرحمن إلا رجلاً البهامة  
 يعني مسيلة فأمر الله تعالى وهم يذكروا الرحمن هم كفرون \* ثم أنه تعالى لما بين هذا جمع كل ما يحتاج  
 المرء إليه في معرفة المبدأ والمعاد وبينه بألفاظ قليلة فقال (قل) أي يا أكرم المخلوق على الله تعالى  
 (أنا أمرت) أي وقع إلى الأمر الجازم التي لا شك فيه ولا تفسير من له الأمر كله (أن أهد

الله) أى وحده وذلك قال (ولا أشركت به) شيأ (إليه) وحده (أدعوا إليه ما تب) أى مرجى  
 للجزاء لا إلى غيره (وذلك) أى كما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلسانهم (أنزلناه) أى  
 القرآن (حكماً) والحكم فصل الأمر على الحق (عريباً) بلسانك ولسان قومك وانما سمى القرآن  
 حكماً لأن فيه جميع التكاليف والحلال والحرام والنقض والابرام فلما كان سبب الحكم جعل  
 نفس الحكم على سبيل المبالغة وروى أن المشركين كانوا يدعون النبي صلى الله عليه  
 وسلم إلى ملة آباءه فوعده الله تعالى على متابعتهم في تلك المذاهب بأن يصلى إلى قبلتهم بعد  
 ما حوله الله تعالى عنها بقوله تعالى (ولم تتبع أهواءهم) أى الكفار فيما يدعونك إليه من  
 ملتهم (بعد ما جاز من العلم) أى بأنك على الحق وأن قبلك هي الكعبة (مالك من الله من  
 ولي) أى ناصر (ولا واق) أى مانع من عذابه قال ابن عباس الخطاب مع النبي صلى الله عليه  
 وسلم والمراد أمته \* ونزل لما عير الكفار النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة النساء (ولقد أرسلنا  
 رسلاً من قبلك وجعلناهم أزواجاً) أى نساء ينكحونهن فكان لسلیمان ثلثمائة امرأة وسبع مائة  
 سرية وكان لداود عليه السلام مائة امرأة (وذرية) أى أولاد أفانت مثلهم وكانوا يقولون  
 أيضاً لو كان رسولاً من عند الله لكان أى شئ طلبناه منه من المعجزات أتى به فرد الله تعالى  
 عليهم بقوله تعالى (وما كان لرسول أن يأتي بأية إلا بإذن الله) أى بإرادته لأن المعجزة الواحدة  
 كافية في إزالة العذر والعلل وفي إظهار الحجج والبينة وأما الزائد عليها فهو مفضول إلى مشيئة  
 الله تعالى إن شاء أظهرها وإن لم يشأ لم يظهرها لا اعتراض لاحد عليه في ذلك \* ولما واعد هم  
 صلى الله عليه وسلم لم نزول العذاب وظهور النصر له ولقومه وتأخر ذلك عنهم قالوا لو كان نبياً  
 صادقاً لما ظهر كذبه فرد الله تعالى عليهم بقوله تعالى (لكل أجل) أى مدة (كتاب) أى مكتوب  
 قد أثبت فيه أن أمر كذا ~~يكون~~ في وقت كذا من الثواب والعقاب والاحكام والايان  
 بالآيات وغيرها اثباتاً ونسفاً على ما تقتضيه الحكمة \* ولما اعترضوا على رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم وقالوا إن محمداً يأمر أصحابه بأمر اليوم ثم يأمر بخلافه غداً وما سبب ذلك إلا أنه  
 يقوله من تلقاء نفسه فرد الله تعالى عليهم بقوله تعالى (يحيوا لله ما يشاء) أى محمداً من الشرائع  
 والاحكام وغيرها بالقبح فيرفعه (ويثبت) ما يشاء اثباته من ذلك بأن يقتره ويعضى حكمه كقوله  
 تعالى ما تنسخ من آية إلى قوله تعالى ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير وقرأ ابن كثير وأبو عمرو  
 وعاصم يسكون الثاء المثلثة وتخفيف الباء الموحدة والباقون يفتح الثاء وتشد الباء الموحدة  
 \* (تنبيه) \* في هذه الآية قولان أحدهما أنها عامية في كل شئ كما يقتضيه ظاهر اللفظ وهذا  
 مذهب عمر وابن مسعود وغيرهما قالوا إن الله يجمع من الرزق ويرزق فيه وكذا القول في الاجل  
 والسعادة والشقاوة والايان والكفر وروى عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه كان يطوف  
 بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت كبتني في أهل السعادة فأثبتني فيها وان كنت كبتني على  
 الشقاوة فأعني وأثبتني في أهل السعادة والمغفرة فانك تعلم ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب  
 ومثله عن ابن مسعود وهذا التأويل رواه جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بعض

الا تار ان الرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثون سنة فيقطع روجه فيرد الى ثلاثة ايام والرجل  
 يكون قد بقي من عمره ثلاثة ايام فيصل روجه فيرد الى ثلاثين سنة وروى ان الله تعالى ينزل اى امره  
 في آخر ثلاث ساعات تبقى من الليل فينظر في الساعة منهن في ام الكتاب الذى لا يتظر فيه احد  
 غيره فيعمومايشاء ويثبت والقول الثانى ان هذه الآية خاصة في بعض الاشياء دون بعض  
 واختلفوا على هذا القول فقال سعيد بن جبير وقتادة يعموا الله مايشاء من الشرائع والفرائض  
 فينسخه ويبدله ويثبت مايشاء منها فلا يفسخه وقال ابن عباس يعموا الله مايشاء ويثبت الا الرزق  
 والاجل والعبادة والشقاوة واستدل لهذا بما رواه حذيفة بن اسيد قال سمعت رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم يقول اذا امر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله ملكا فصورها وخلق  
 سمها وبصرها ووجد لها ولها واعظها ثم قال يا رب اذكر ام اشي فيقضى ربك مايشاء ويكتب  
 الملك ثم يقول الملك يا رب رزقه فيقضى ربك مايشاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب اشيى ام سعيد  
 فيكتب ان فيكتب عمله واثره واجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزداد ولا ينقص وقال عطية عن ابن  
 عباس هو الرجل يعمل بطاعة الله تعالى ثم يرجع لعصية الله تعالى فيموت على ضلاله فهو الذى  
 يعموا الذى يثبت يعمل الرجل بطاعة الله فيموت وهو فى طاعته فهو الذى يثبت وقال الحسن  
 يعموا مايشاء اى من جاء اجله يذهب به ويثبت من لم يجىء اجله الى اجله وعن سعيد بن جبير قال  
 يعموا مايشاء من ذنوب العباد فيغفرها ويثبت مايشاء فلا يغفرها وقال عكرمة يعموا الله مايشاء  
 من الذنوب بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات كما قال تعالى فاولئك يدل الله سيئاتهم حسنات  
 وقال السدى يعموا الله مايشاء يعنى القمر ويثبت مايشاء يعنى الشمس بيانه قوله تعالى فعموا آية  
 الليل وجعلنا آية النهار مبصرة وقال الربيع هذا فى الارواح يقبضها الله تعالى عند النوم فمن  
 اراد موته أمسكه ومن اراد بقاءه أثبته ورده الى صاحبه بيانه قوله تعالى الله يتوفى الانفس  
 حين موتها الآية وقيل ان الله تعالى يثبت فى اول كل سنة حكمها فاذا مضت السنة صحها  
 واثبت حكما آخر للسنة المستقبلية وقيل يعموا الله الدنيا ويثبت الآخرة وقيل ان الحفظة  
 يكتبون جميع افعال بنى آدم واقوالهم فيعموا الله من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب  
 وقيل هذا فى الحسن والمصائب فهى مثبتة فى الكتاب ثم يعموها بالدعاء والصدقة (وعنده) تعالى  
 (ام الكتاب) اصل الكتاب والعرب تسمى كل ما يجرى مجرى الاصل للشيء اما ومنه ام الرأس  
 للدماغ وام القرى مكة وكل مدينة فهى ام لما حواها من القرى فكذلك ام الكتاب هو الذى  
 يكون أصلا لجميع الكتب وفيه قولان الاقول انه اللوح المحفوظ الذى لا يغير ولا يتبدل وجميع  
 حوادث العالم العلوى والسفلى يثبت فيه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان الله  
 ولاشيء ثم خلق اللوح واثبت فيه احوال جميع الخلق الى قيام الساعة والقول الثانى ان ام  
 الكتاب أصله الذى لا يغير منه شيء وهو الذى كتب فى الازل وقال ابن عباس فى رواية عكرمة  
 هنا كتابان كتاب سوى ام الكتاب يعموا مايشاء منه ويثبت وعنده ام الكتاب لا يغير منه شيء وعلى  
 هذا قال الكتاب الذى يعموا منه ويثبت هو الكتاب الذى تكتبه الملائكة على الخلق وعن ابن

عباس قال ان الله لو حافظ نظام سيرته خمسمائة عام من درة بيضاء له دفقان من ياقوته لله فمدي كل يوم ثلثمائة وستون لحظة بمعمومايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وسأل ابن عباس كعبا عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه \* وما كان من مقترحاتهم وطلباتهم استهزاء استهجال السيئة مما توعدوا به وكانت النفس رجمتت وقوع ذلك البعض واثباته له ومن به غيره تقريرا لفصل النزاع قال تعالى (واما زينك) يا محمد وأكدم بنا كيد للاعلام بأنه لا حرج عليه في ضلال من ضل بعد ابلاغه (بعض الذي نعدهم) أي من العذاب وأنت حتى مما تريد أتريد أصحابك قبل وفاتك فذلك شافيك من أعدائك والوعد الخبر عن خير مضمون والوعد الخبر عن شرم مضمون والمعنى ههنا عليه وسماه وعد التنزيله - م اياه في طاب نزوله منزلة الوعد (أوتوفيتك) أي قبل أن نرينك ذلك فلا لوم عليك ولا عتب (فانما عليك البلاغ) أي ليس عليك التبليغ الرسالة اليهم و ليس عليك أن تجازيهم - ولأن تأنيبهم بالمقترحات والبلاغ اسم أقيم مقام التبليغ واما فيه ادغام نون ان الشرطية في ما الزائدة (وعليها الحساب) أي علينا أن نحاسبهم - يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم فلا تحتفل باعراضهم ولا تستهجل بعذابهم \* (تنبيه) \* قال أبو حيان هنا شرطان لأن المعطوف على الشرط شرط فيك - وذلك كل شرط ما يناسب أن يكون جزاء مرتب عليه والتقدير واما زينك بعض الذي نعدهم فذلك شافيك من أعدائك واما توفيتك قبل حلوله بهم فلا لوم عليك ولا عتب وقد مررت الاشارة الى ذلك ولما وعد الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأن يريه بعض ما يعده أوتوفاه قبل ذلك بين تعالى ان آثار حصول تلك المواعيد وعلاماتها قد ظهرت وقويت بقوله تعالى (أولم يروا) أي كفار مكة (أنات الارض) أي نقصد أرض هؤلاء الكفرة (تنقها من أطرافها) بما يفتح الله تعالى على المسلمين من ديار الشرك أرضا بعد أرض حوالى أرضهم هذا قول ابن عباس وقتادة وجاعة وقال مجاهد هو خراب الارض وقبض أهلها وعن عكرمة قال هو قبض الناس وعن الشعبي مثله وعطاء وجاعة نقصانهم موت العلماء وذهاب الفقهاء ويؤيد هذا ما رواه عمرو بن العاص أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يقبض العلم اقتزاعا يتزعه من العباد ولا يكتن يقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤسا جهالا فسئلوا فاقتوا بغير علم فذلوا وأضلوا وقال الحسن قال عبد الله بن مسعود عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله وقال علي - انما مثل الفقهاء كمثل الانف اذا قطعت لم تعد وقال سليمان لا يزال الناس بخير ما بقى الاقل حتى يتعلم الاخر واذاهلك الاقل قبل أن يتعلم الاخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبيرة علامة هلاك الناس قال هلك العلماء ثم أثبت تعالى لنفسه أمرا كليا فقال (والله) أي الملك الاعلى (يحكمكم) في خلقه بما يريد لانه (لامعقب) أي راد لان التعقيب رد الشيء بعد فعله (الحكمه) وقد حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره \* (تنبيه) \* محل جله لامعقب لحكمه النص على الحال كانه قيل والله يحكمكم فاذا حكمه كما تقول جاءني زيد لاعمامة على رأسه ولا قل نسوة تريد حمارا (وهو) عز

وجعل مع تمام القدرة (سريع الحساب) فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعد ما عندهم  
 بالقتل والابلاء في الدنيا وقال ابن عباس يريد سريع الانتقام يعني حسابه للمجازاة بالخير  
 والشر فجازاة الكفار بالانتقام منهم ومجازاة المؤمنين بإيصال الثواب اليهم وقد تقدم  
 الكلام في معنى سريع الحساب قبل هذا وقوله تعالى (وقدمكر الذين من قبلهم) أي  
 من كفار الامم الماضية قبل مكرهم وابتدائهم مثل عمر وذمكر براهيم وفرعون مكر عيسى واليهود  
 مكر وابيعيسى فيه تسليية للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (فقل للمؤمنين ~~جميعا~~ أي أن مكر  
 جميع الماكرين حاصل بتخليقه واراذه لانه تعالى هو الخالق لجميع أعمال العباد فالماكر  
 لا يضره الاباذه ولا يؤثر الا بتقديره فيه أمان له صلى الله عليه وسلم من مكرهم فكانه قبل اذا كان  
 حدوث المكر من الله تعالى وتأثيره في المكور به من الله وجب أن لا يكون الخوف الا من الله  
 تعالى لا من أحد من المخلوقين وذهب بعض المفسرين الى أن المعنى فقله جزاء المكر وذلك  
 أنهم لما مكروا بالمؤمنين بين الله تعالى أنه يجازيهم على مكرهم قال الواحدي والاول أظهر  
 القولين بدليل قوله تعالى (يعلم ما تكسب كل نفس) أي ان اكساب العباد معلومة لله تعالى  
 وخلاف المعلوم يمنع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة لعبد على الفعل والتركة فكان الكل  
 من الله فيجازيهم على أعمالهم وفي ذلك وعيد وتهديد للكفار الماكرين ثم انه تعالى أكد  
 ذلك التمهيد بقوله تعالى (وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) أي العاقبة المحيطة في الدار الآخرة  
 اللهم أم للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبالالف بعد الكاف  
 على الافراد والكاف مفتوحة والفاء مكسورة مخففة والباقون بالالف بعد الفاء على الجمع  
 فالكاف مضمومة والفاء مفتوحة مشددة فنقرأ بالافراد أراذ الجنس كقوله تعالى ان الانسان  
 لفي خسرية ووافق قراءة الجمع وقال عطاء المستهزون وهم خمسة والمقتسمون وهم ثمانية وعشرون  
 وقال ابن عباس يريد أبا جهل قال الرازي والاول هو الصواب أي ليوافق قراءة الجمع كما مر  
 \* ولما تقدم قوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه عطف عليه بعد شرح  
 ما استتبعه قوله تعالى (ويقول الذين كفروا لست برسال) أي لكونك لا تأتي بمقرحاتهم مع  
 أنه صلى الله عليه وسلم لم يقل يوما انه قادر عليها فكانه قبل فما أقول لهم فقال تعالى (قل) لهم  
 (كني بالله) الذي له الاحاطة الكاملة (شهيدا) أي بليغ العلم في شهادته بالاطلاع على ما ظهر  
 وما بطن (بين وبينكم) يشهد بتأييد رسالتي وتصحيح مقالي بما أظهر من الآية وأوضح من  
 الدلالة بهذا الكتاب ويشهد بتكذيبهم بادعائكم القدرة على المعارضة وترككم لها عجزا وهذا  
 أعلى مراتب الشهادة لان الشهادة قول يفيد غلبة الظن بان الامر كما شهد به والمعجزة فعل  
 مخصوص بوجوب القطع بكونه رسولا من عند الله واختلف في قوله تعالى (ومن عنده علم  
 الكتاب) فروي العوفي عن ابن عباس أنهم علماء اليهود والنصارى أي أن كل من كان عالما  
 من اليهود والنصارى بالانجيل علم أن محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل من عند الله لما  
 يجهد من الدلائل الدالة على نبوته فيها شهد بذلك من شهد به وأنكره من أنكره منهم والشأن

ان المراد شهادة أهل الكتاب من الذين آمنوا بهم عبد الله بن سلام و سلطان الفارسي وغيره  
المداري وقال الحسن ومجاهد والزجاج وسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى  
قال الحسن لا والله لا يعنى الا الله والمعنى كفى بالله الذى يستحق العبادة وبالذى لا يعلم علم  
ما فى اللوح الا هو شهيد ابني وبينكم وهذا أظهر كما استظهره البقاعى وان كان عطف الصفة  
على الموصوف خلاف الاصل اذ يقال شهيد ذا زيدا الفقيه لا زيد الفقيه لانه جائز فى الجملة  
وقيل معناه أن علم أن القرآن الذى جئتكم به معجز ظاهر وبرهان باهر لما فيه من القصاحة  
والبلاغة والاختبار عن القيوب وعن الامم الماضية فمن علم به هذه الصفة كان شهيدا بى  
وبينكم والله أعلم بمراده ومارواه البيضاوى تبعاً للزمخشري وتبعهما ابن عادل من أنه صلى  
الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الرعد أعطى من الاجر عشر حسنة بوزن كل حصاب  
مضى وكل حصاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله حديث  
موضوع

﴿ سورة ابراهيم عليه السلام مكية ﴾

الاقوله تعالى ألم ترالى الذين بدلوا نعمة الله الاتين وهى اثنتان وخسون آية وعدد كلماتها  
ثمانمائة واحدى وثلاثون كلمة وعدد حروفها ثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى (الر) تقدم الكلام عليها أول بوزن وهو ذو وقوله تعالى  
(كتاب) خبر مبتدأ محذوف أى هـ ذا القرآن كتاب أو الران قلنا انها مبتدأ والجملة بعده صفة  
ويجوز أن يرتفع بالابتداء وخبره الجملة بعده وجازا لابتداء بالانكسار لانها موصوفة بتقدير  
تقديره كتاب أى كتاب يعنى عظيما من بين الكتب السماوية (أزلناه اليك) بأشرف  
الخلق عند الله تعالى (لنخرج الناس) أى عامة قومك وغيرهم بدعائك اياهم (من الظلمات) أى  
الكفر وأنواع الضلالة (الى النور) أى الايمان والهدى قال الرازى والآية دالة على أن  
طرق الكفر والبدع كثيرة وأن طريق الحق ليس الا واحد لانه تعالى قال لنخرج الناس  
من الظلمات وهى صيغة جمع وعبر عن الايمان والهدى بالنور وهو افظ مفرد وذلك لئلا  
على أن طرق الجهل والكفر كثيرة وأن طريق العلم والايمان ليس الا واحدا \* (تبيينه) \*  
القائلون بأن معرفة الله تعالى لا يمكن تحصيلها الا من تعليم الرسول احتجوا بهذه الآية  
وذلك يدل على أن معرفة الله تعالى لا تحصل الا من طريق التعليم وأجيب بأن الرسول  
صلى الله عليه وسلم كما نبيه وأما المعرفة فهى انما تحصل من الدليل وقوله تعالى (بإذن  
ربهم) متعلق بالانحراج أى بتوفيقه وتسهيله ويبدل من الى النور (الصراف) أى طريق  
(العزير) أى الغالب (الحمد) أى المحمود على كل حال المستحق لجميع الحمد وفى قوله (الله)  
قراءتان فقرأ نافع وابن عامر برفع الهاء وصلا وابتداء على انه مبتدأ خبره (الذى له ما فى  
السماوات وما فى الارض) أى ملكا وخلافا وقرأ الباقون بالجر على أنه بدل أو عطفيان وما

بعده صفة \* (تنبيه) \* ذهب جماعة من المحققين الى أن قولنا الله جار مجرى الاسم العلم  
لذات الله سبحانه وتعالى وذهب قوم آخرون الى أنه لفظ مشتق قال الرازي والحق عندنا  
هو الاول لأن الامة لما اجتمعت على أن قولنا لا اله الا الله واجب التوحيد المحض علمنا أن قولنا  
الله جار مجرى الاسم العلم وقد قال تعالى هل تعلم له سميا أي هل تعلم من اسمه الله غير الله وذلك  
يدل على قولنا الله اسم لذاته المخصوصة ولذا استشكل قراءة الجر إذا الترتيب الحسن أن يذكر  
الاسم ثم يذكر عقبه الصفات كقوله تعالى هو الله الخالق الباري المصور وأما الخالق الله فلا  
يحسن وأجيب عن ذلك بأنه لا يبعد أن تذكر الصفة أولا ثم يذكر الاسم ثم تذكر الصفة مرة  
أخرى كما يقال مررت بالامام الاجل محمد الفقيه وهو بعينه نظير قوله تعالى صراط العزيز الحميد  
الله الذي له ما في السموات وما في الارض والآية تفيده حصر ما في السموات وما في الارض له  
لأن غيره وذلك يدل على أنه لا مالك الا الله ولا حاكم الا الله وأنه تعالى خالق لأعمال العباد لأنها  
حاصلة في السموات والارض فوجب القول بأن أعمال العباد له بمعنى كونها مملوكة له والمالك  
عبارة عن القدرة فوجب كونها مقدورة لله وإذا ثبت أنها مقدورة لله وجب وقوعها بقدرته الله  
والالكان العبد قد منع الله تعالى من ايقاع مقدوره وذلك محال ثم انه تعالى لما ذكر ذلك عطف  
على الكفار بالوعيد فقال تعالى (وويل للكافرين) أي الذين تركوا عبادة من يستحق العبادة  
الذي له ما في السموات وما في الارض وعبدا ومن لا يعكس شيئا اليه بل هو مملوك لله تعالى لانه من  
جمله ما في السموات وما في الارض وويل مبتدأ وجازا لا ابتداء به لانه دعاء كسلام عليكم  
وللكافرين خبره وقوله تعالى (من عذاب شديد) أي يعذبهم في الآخرة متعلق بويل ولا يضر  
الفصل بالخبر ثم وصفهم بقوله تعالى (الذين يستعجبون) أي يحتملون (الحياة الدنيا على الآخرة)  
أي يؤثرونها عليها (ويصدون عن سبيل الله) أي يمنعون الناس عن قبول دين الله (ويغفونها)  
أي السبيل (عوجا) أي معوجة والاصل ويغفون لها زبغا وميلا فحذف الجار وأوصل الفعل  
الى الضمير (أولئك) أي الموصوفون بهذه الصفات (في ضلال بعيد) أي عن الحق واستناد  
البعدي الى الضلال اسناد مجازي لأن البعيد هم الضلال بميلهم عن الباقي الى الغائي \* ثم ذكر  
ما يجرى مجرى تكميل النعمة والاحسان في الوجهين بقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول)  
أي في زمن من الازمان (الابلسان) أي لغة (قومه) أما بالنسبة الى الرسول فلانه تعالى بين  
أن سائر الانبياء كانوا مبعوثين الى قومهم خاصة وأما أنت يا محمد فبعثت الى عامة البشر وكان  
هذا الانعام في حقل أكمل وأفضل وأما بالنسبة الى عامة الخلق فهو أنه تعالى ذكر أنه ما بعث  
رسولا الا بلسان أولئك القوم (ليبين لهم) ما أمروا به فيفهموه عنه يسر وسرعة لأن ذلك  
أسهل لفهم أسرار تلك الشريعة والوقوف على حقائقها وأبعد عن الغلط والخطا \* (تنبيه) \*  
تمسك طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية بهذه الآية على أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يرسل  
لغير العرب من وجهين الاول ان القرآن لما كان نازلا بلغة العرب لم يعرف كونه معجزة بسبب  
ما فيه من الفصاحة الا العرب وحينئذ لا يكون القرآن حجة الا عليهم الثاني ان قوله تعالى



وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه المراد بذلك اللسان لسان العرب وذلك يدل على أنه  
مبعوث الى العرب فقط ورد عليهم بأن المراد بالقوم أهل دعوته والدليل على عموم الدعوة قوله  
تعالى قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى النطقين لان التصدي كما وقع مع الانس  
وقع مع الجن بدليل قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون  
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا \* ثم بين سبحانه وتعالى ان الاضلال والهداية بمشيئته بقوله  
تعالى (فيضل الله من يشاء) اضلاله (ويهدي من يشاء) هدايته فانه تعالى هو المفضل الهادي  
وليس على الرسل الا التبليغ والبيان والله تعالى هو الهادي المفضل يفعل ما يشاء (وهو العزيز)  
في ملكه فلا راد له عن مشيئته (الحكيم) في صنعه فلا يهدي ولا يضل الا بالحكمة \* ولما بين تعالى  
أنه انما أرسل محمدا عليه الصلاة والسلام الى الناس ليخرجهم من الظلمات الى النور وقد كرر  
كأن انعامه عليه وعلى قومه في ذلك الارسال وفي تلك البعثة أتبع ذلك بشرح بعثة سائر  
الانبياء الى اقوامهم وكيفية معاملته اقوامهم لهم ليكون ذلك تصيرا له صلى الله عليه وسلم  
على أذى قومه وارشاد الله الى كيفية مكالمتهم ومعاملتهم فقد كرر تعالى على العادة المألوفة قصص  
بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام فبدأ بذكر قصة موسى عليه السلام فقال (واقدم أرسلنا  
موسى بآياتنا) أى العصا والسيد والجراد والقمل والضفادع والدم وقلق البحر وانفجار العيون  
من الحجر واظلال الجبل والتمن والساوى وسائر معجزاته (أن أخرج قومك) أى بنى اسرائيل  
(من الظلمات) أى الكفر والضلال (الى النور) أى الايمان والهدى \* (تنبه) \* يجوز  
أن تكون أن مصدرية أى بأن أخرج والباء في آياتنا للحال وهذه للتعدية ويجوز أن تكون  
مفسرة للرسالة بمعنى أى ويصكون المعنى أى أخرج قومك من الظلمات أى قلنا له أخرج  
قومك كقوله تعالى وانطلق الملائمة منهم أن امشوا (وذكرهم بأيام الله) قال ابن عباس بنم  
الله وقال مقاتل بوقائع الله في الامم السابقة يقال فلان عالم بأيام العرب أى بوقائعهم وفي المثل  
من سر يومنازه قال الرازي معناه من رأى في يوم سروره بمصر ع غيره رآه غيره في يوم آخر  
بمصر ع نفسه وقال تعالى وقلك الايام نداء ولها بين الناس والمعنى عظمهم بالترغيب والترهيب  
والوعد والوعيد والترغيب والوعيد أن يذكرهم ما أنعم الله عليهم وعلى من قبلهم ممن آمنوا  
بالرسل فيما سلف من الايام والترهيب والوعيد أن يذكرهم بأمر الله وعذابه واتقاهم من كذب  
الرسل فيما سلف من الايام مثل منازل بعباد وعود وغيرهم من العذاب ليرغبوا في الوعد فيصدقوا  
ويحذروا من الوعيد فيتركوا التكذيب وقيل بأيام الله في حق موسى أن يذكر قومه بأيام المحنة  
والبلاء حين كانوا تحت أيدي القبط يسومونهم سوء العذاب فخلصهم الله من ذلك وجعلهم  
ملوكا بعد أن كانوا عمالوكين (ان في ذلك) أى التذكير العظيم (آيات) على وجدانية الله تعالى  
وعظمته (الكل صبار) أى كثيرا الصبر على الطاعة وعن المعصية (شكور) أى كثيرا الشكر  
للنعم واعمال الصبور والشكور باعتبار الآيات وان كان فيها عبرة للكل لانهم المتفجعون  
بها دون غيرها فلهذا خصهم بالآيات فكانت آياتها ليست لغيرهم فهو كقوله تعالى هدى للمتقين فان

الانتفاع لا يمكن حصوله الا لمن يكون صابرا شاكرا امانا لا يكون كذلك فلا ينتفع بها البتة  
 \* ولما امر الله تعالى موسى أن يذكرهم بأيام الله حكى عنه أنه ذكرهم بما يقوله تعالى (واذ قال  
 موسى لقرنه اذكروا نعمة الله عليكم) وقوله (اذنجاكم من آل فرعون) ظرف للنعمة بمعنى  
 الانعام أي اذكروا انعام الله عليكم في ذلك الوقت (يسومونكم سوء العذاب) بالاستعداد  
 (ويذبحون) أي تذيبها كثيرا (أبناءكم) أي المولودين (ويستحيون) أي يستحيون (نساءكم)  
 أحياء وذلك كقول بعض الكهنة ان مولودا يولد في بني اسرائيل يكون سبب زوال ملك  
 فرعون (فان قيل) لم ذكر تعالى في سورة البقرة يذبحون بغير واو وذكره هناع الواو (أجيب)  
 بأن النعامة ذفت في سورة البقرة لانها تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وفي التفسير  
 لا يحسن ذكر الواو وهنا أدخل الواو فيه لانه نوع آخر لانهم كانوا يعذبونهم بأنواع من العذاب  
 غير التذبيح فليس تفسير العذاب (وفي ذانكم بلاه) أي انعام وابتلاء (من ربكم عظيم) لان  
 الابتلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمنة جميعا ومنه قوله تعالى ونبأكم بالشر والخير فتنة (فان  
 قيل) تذيب الابناء فيه بلاه وأما استحياء النساء فكيف فيه ابتلاء (أجيب) بأنهم كانوا  
 يستحيونهن ويتركونهن تحت أيديهم كالاماء فكان ذلك ابتلاء وقوله تعالى (واذ) أي  
 واذكروا اذ (تأذن ربكم) فهو أيضا من كلام موسى عليه السلام وقا ذن بمعنى أذن كتعود  
 وأعد غير أنه أبلغ لما في الفعل من معنى التكلف والمبالغة (لئن شكرتم) يا بني اسرائيل نعمتني  
 بالتوحيد والطاعة (لازيدنكم) نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم فان الشكر قيد  
 الموجود وصيد المفقود والشكر عبارة عن الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس  
 على هذه الطريقة ثم قد يرتقى العبد عن تلك الحالة الى أن يصير حبه للمنعم شاغلا له عن الالتفات  
 الى النعمة ولا شك ان منبع السعادات وعنوان كل الخيرات محبة الله تعالى وه عرقته وأما الزيادة  
 في النعمة فهي على قسمين روحانية وجسمانية فالاولى هي أن الشاكر يكون أبدا في مطالعة  
 أقسام نعمة الله تعالى وأنواع فضله وكرمه وأما الثانية فلان الاستقراء يدل على أن كل من كان  
 اشتغاله بشكر نعم الله أكثر كان وصول نعم الله اليه أكثر نسأل الله تعالى القيام بواجب شكر  
 النعمة حتى يزيدنا من فضله وكرمه واحسانه ويفعل ذلك باهلينا وأحيانا ثم انه تعالى لما ذكر  
 ما يستحقه الشاكر ذكر ما يستحقه مقابله بقوله تعالى (ولئن كفرتم) أي جحدتم النعمة بالكفر  
 والمعصية لا عذبناكم دل عليه (ان عذابي لشديد) أي لمن كفر نعمتي ولا يشكرها ومن عادة  
 أكرم الأكرمين أن يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد \* ولما بين موسى أن الاشتغال بالشكر  
 يوجب تزايد الخيرات في الدنيا والآخرة والاشتغال بالكفر ان النعم يوجب العذاب الشديد  
 وحصول الآفات في الدنيا والآخرة بين بعده أن منافع الشكر ومضار الكفران لا تعود الا الى  
 صاحب الشكر وصاحب الكفران وأما المعبود والمشكور فانه متعال عن أن ينتفع بالشكر  
 أو يستضر بالكفران فلا جرم قال تعالى (وقال موسى ان تكفروا أتم) يا بني اسرائيل (ومن  
 في الأرض) وأكده بقوله تعالى (بجميعا) أي من الثقلين فانما ضرر ذلك يعود على أنفسكم

وحرمتها الخبر كله (فإن الله لعقبي) عن جميع خلقه فلا يزداد بشكر الشاكرين ولا ينقص  
 بكفر الكافرين (جيد) أي محمود في جميع أفعاله لانه فيها متفضل عادل وقوله تعالى (ألم يأتكم)  
 يا بني اسرائيل (نبأ) أي خبر (الدين من قبلكم قوم نوح) وكانوا ملء الارض (و) نبأ (عاد) قوم  
 هود وكانوا أشد الناس أبدانا (و) نبأ (قوم صالح) وكانوا أقوى الناس على نحت الصخور  
 وبناء القصور ويحتمل أن يكون من كلام موسى أو كلام مبتدأ من الله تعالى اقوم محمد صلى  
 الله عليه وسلم وهو استفهام تقرير وقوله تعالى (والذين من بعدهم) أي بعد هؤلاء الامم  
 الثلاثة (لا يعلمهم الا الله) فيه قولان الاول أن يكون المراد لا يعلم كنه مقاديرهم الا الله تعالى  
 لان المذكور في القرآن جملة فاما ذكر العدد والمصر والكيفية والكمية فغير حاصل والقول  
 الثاني ان المراد ذكر اقوام ما بلغنا أخبارهم أصلا كذبوا رسلا لم نعرفهم أصلا ولا يعلمهم الا  
 الله ولذلك كان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني أنهم يدعون علم  
 الانساب الى آدم عليه السلام وقد نفي الله علمها عن العباد وعن ابن عباس أنه قال بين عدنان  
 واسماعيل ثلاثون أبابا يعرفون وتطير هذه الآية قوله تعالى وقرؤنا بين ذلك كثيرا وكلا ضربا له  
 الامثال وكلا تبرنا تبيرا وقوله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نتصص عليك وعنه صلى  
 الله عليه وسلم أنه كان في اتسابه لا يجاوز معدن عدنان بن أدو وقال تعلموا من أنسابكم ما تصلون  
 به أرحامكم وتعلموا من النجوم ما تستدلون به على الطريق قال الرازي والقول الثاني أقرب  
 ولما جاءتهم أي هؤلاء الاقوام الذين تقدم ذكرهم (رسلم بالبينات) أي الدلائل الواضحات  
 والمعجزات الباهرات أو بأبوابها ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله تعالى (فردوا) أي الامم  
 (أيديهم في أفواههم) وفي ذلك احتمالات الاول ان الكفار ردوا أيديهم في أفواههم فعضوها  
 غيظا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ والثاني أنهم لم يسمعوا  
 كلام الانبياء محبوا منه وعضوا على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا أيديهم في أفواههم كما  
 يفعل ذلك من غلبه الضحك فيضع يده على فيه والناسل أنهم وضعوا أيديهم على أفواههم  
 مشيرين بذلك الى الانبياء أن كفوا عن هذا الكلام واسكتوا عن ذكر هذا الحديث والرابع  
 أنهم أشاروا بأيديهم الى ألسنتهم والى ما تكلموا به من قولهم الكفر كما حكى الله تعالى ذلك عنهم  
 بقوله تعالى (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به) أي على زعمكم أي ان هذا جوازا لاكم ليس عندنا  
 غيره اقناطالهم من التصديق هذا هو الامر الثاني الذي أنواه وقبل الضمير في ردوا راجع  
 للرسل عليهم السلام وفيه وجهان أحدهما أن الكفار أخذوا أيدي الرسل ووضعوها على  
 أفواههم ليسكتوا ويقطعوا الكلام والثاني ان الرسل لما أيسوا منهم سكتوا ووضعوا أيدي  
 أنفسهم على أفواه أنفسهم فان من ذكر كلاما عند قوم وأنكروه وخافهم فذلك المتكلم ربما  
 وضع يده نفسه على فم نفسه وغرضه أن يعرفهم أنه لا يعود الى ذلك الكلام البتة والامر الثالث  
 قولهم (وانالتي شدت مما) أي نبي (تدعوتنا) أيها الرسل (اليه) أي من الدين (مريب) أي  
 موجب الريسة أي موقع في الريسة والشبهة والريسة قلق النفس وان لا تطمنن الى الامر الذي

يشك فيه (فان قيل) انهم قالوا اولانا كفرنا بما أرسلتم به فكيف يقولون ثانيا وانما التي شكك  
والشك دون الكفر (أجيب) بأنهم لما صرحوا بكفرهم بالرسل كما هم حصل لهم شبهة فوجب  
الشك لهم فقالوا ان لم ندع الجزم واليقين في كفرنا فلا أقل من أن نكون شاكين من تابين في  
صحة نبوتكم وعلى التقديرين فلا سبيل الى الاعتراف بنبوتكم \* ولما قال هؤلاء الكفار للرسل  
ذلك (قالت) لهم (رسلمهم) مجيبين (أفي الله شك) أي هل تشكون في الله وهو استفهام انكار أي  
لا شك في توحيده للدلائل الظاهرة عليه منها قوله تعالى (فاطر) أي خالق (السموات والارضين)  
أي وما فيهم - ما من الانفس والارواح والارزاق وقرأ أبو عمرو ورسلمهم هنا وفيما ترى جاءتهم  
رسلمهم باسكان السين والباقون بالرفع \* ولما أقاموا الدليل على وجود الله تعالى وصفوه بكالك  
الرحمة بقولهم (يدعوكم) أي الى الايمان بعبادته وقولهم (ليغفر لكم) اللام متعلقة بیده وای  
لاجل غفران ذنوبكم كقوله

دعوت لما نالني مسورا \* قلبی قلبی یدی مسورا

ويجوز أن تكون معديه كقوله دعوتك لزيد والتقدير يدعوكم الى غفران ذنوبكم وقوله (من  
ذنوبكم) قال السيموطي من زائدة فان الاسلام يفقر به ما قبله أو تبعيضية لخراج حقوق  
العباد اه أي والمغفور لهم ما بينهم وبين الله تعالى قال الرازي والعاقلي لا يجوز له المصير الى كلمة  
من كلام الله تعالى بأنها زائدة من غير ضرورة اه وقال في الكشف ما علمته جاء هكذا الا  
في خطاب الكافرين كقوله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا أجيبوا داعي  
الله وأمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون  
يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يوقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين وأن  
لا يستوي بين الفريقين في المعاد اه قال الرازي وأما قول الكشف فهو من باب الظلمات  
لان هذا التبعض ان حصل فلا حاجة الى ذكر هذا الجواب وان لم يحصل كان هذا الكلام  
فاسدا (ويؤخركم) أي ولا يفضل بكم فعل من تعهدون من المولود في المعالجة في الاهلاك  
لمن خالفهم بل يؤخركم (الى أجل مسمى) أي الى وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكم وه انتم  
أمنتم به والاعمال بكم بالهلال قبل ذلك الوقت انتم ما آمنتم (فان قيل) أليس قال تعالى  
فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فكيف قال هنا ويؤخركم الى أجل  
مسمى (أجيب) بأن الاجل على قسمن معلق ومبرم (قالوا) أي الامم مجيبين للرسل (ان) أي  
ما (أنتم) أي الرسل (الابشر مثلنا) أي لافضل لكم علينا فلم يخصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله  
تعالى الى البشر رسلا لجلعهم من جنس أي من البشر في زعم القائلين أفضل وقول الكشف  
وهم الملائكة تجار على مذهبه (تريدون أن تصدقونا عما كان يعبد آباؤنا) أي ما تريدون بقولكم  
هذا الامة ناعن الهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها (فأقولنا بسلاطون ميين) أي بحجة ظاهرة على  
صدقكم \* ولما عكى الله تعالى عن الكفار شبهاتهم في الطعن في النبوة حكى عن الانبياء عليهم  
الصلاة والسلام جوابهم عنها بقوله تعالى (قالت لهم رسلمهم) مجيبين لهم (ان) أي ما (نحن

(الاجتر منكم) كما قلتم فسلوا أن الامر كذلك لكنهم بينوا أن القتال في البشرية لا يمنع  
 من اختصاص بعض بمنصب النبوة بقولهم (ولكن الله عيّن) أي يتفضل (على من يشاء من  
 عباده) بالنبوة والرسالة فيصطفى من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف كما قال تعالى  
 الله أعلم حيث يجعل رسالته (وما كان) أي ماصح واستقام (لنا أن نأتيكم بسلاطين الأباذن  
 الله) أي الأباشره لانا عبيد من بوبون فليس البنا الايتان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى  
 نأتيكم بما اقترحتموه وانما هو أمر متعلق بعشيئة الله تعالى فله أن يخص ككل نبي بنوع من  
 الآيات (وعلى الله فليستوكل) بأمر حتم (المؤمنون) أي يثقوا به فلا تخاف من تخويفكم  
 ولانتمفت الى تهديدكم فان توكلنا على الله واعتمادنا على فضل الله فان الروح متى كانت  
 مشرقة بالمعارف الالهية مشرقة باضواء علم الغيب فلما تالي بالاحوال الجسمانية وقلما تقيم  
 لها وزنا في حالي السراء والضراء فلهذا توكلوا على الله وعولوا على فضله وقطعوا أطماعهم  
 عن سواه وعموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به أنفسهم قصد أوليا الأتري الى  
 قولهم (ومالنا أن لا نتوكل على الله) أي أي عذر لنا في أن لا نتوكل عليه (وقد هذا ناسبنا) أي  
 وقد عرّفنا طريق النجاة وبين لنا الرشد فان من فاز بشرف العبودية ووصل الى مقام الاخلاص  
 والمكاشفة يوجب عليه أن يرجع في أمر من الامور الى غير الحق وفي هذه الآية دلالة على أنه تعالى  
 يعصم أوليائه والمخلصين في عبوديته عن كيد أعدائهم ومكرهم وقرأ أبو عمرو ويسكون الباء  
 والباقون بالرفع وكذلك لرسولهم سكن أبو عمرو والسين ورفعهما الباقون ثم قالوا (وانصبرن على  
 ما آذيتونا) فان الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات والحق لا بد وأن يصير غالباً قاهراً والباطل  
 لا بد وأن يصير مغلوباً متهوراً ثم قالوا (وعلى الله فليستوكل المتوكلون) فان قيل أي فرق بين  
 التوكلين (أجيب) بأن الاول لاستحداث التوكل والثاني طلب دوامه أي فليثبت المتوكلون  
 على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم \* ولما حكى الله تعالى عن الانبياء عليهم السلام  
 انهم ككتفوا في دفع شرور أعدائهم بالتوكل عليه والاعتماد على حفظه وحياطته حكى عن  
 الكفار أنهم بالغوا في السفاهة بقوله تعالى (وقال الذين كفروا لرسولهم) مستهينين لمن قصرنا  
 النجاء هم عليه (لنهر جنكم من ارضنا) أي التي لنا الآن الغلبة عليهم (اولتعودن في ملتنا) أي  
 حلفوا العكوز أحد الامر من اما اخرجكم أيها الرسل واما عودكم الى ملتنا أي ديننا (فان قيل)  
 قد يفهم هذا بظاهره أنهم كانوا على ملتهم قبل ذلك (أجيب) بأن العود هنا بمعنى الصيرورة وهو  
 كثير في كلام العرب كثيرة فاشية لانكاد نسمعهم يستعدون صار ولكن عادة يقولون ما عدت  
 اراء عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال وقد اجعت الامة على ان الرسل من أول الامر انما نشؤوا  
 على التوحيد لا يعرفون غيره ويجوز أن يكون الخطاب لكل رسول ولن آمن معه فغلبوا الجماعات  
 على الواحد وقيل أولتعودن في ملتنا أي الى ما كنتم عليه قبل ادعاء الرسالة من السكوت عند  
 ذكر ما يبه وعدم التعرض له بالطعن والقدح \* ولما ذكر الكفار هذا الكلام قال تعالى (فأوحى  
 اليهم) أي الرسل (رجيم) وقوله تعالى (لنهلكن الظالمين) أي الكافرين بحكاية تقتضي اضعاف

القول أو أجرى الأيحاء مجرى القول لانه ضرب منه (ولتسكننكم الارض) أى أرضهم  
(من بعدهم) أى بعدهم لهم وتظيره قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق  
الارض ومغاربهم وقوله تعالى وأورثكم أرضهم وديارهم قال الرنخشمى وعن النبي صلى الله  
عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله داره قال ولقد عاينت هذا فى مدة قريبة كان لى خال يظله عظيم  
القرية التى أنافها ويؤذنى فيه فأت ذلك العظيم وما كنى الله ضيعته فنظرت يوما الى أبناء خالى  
يترددون منها ويأمرن وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم  
به وسجدنا شكر الله تعالى (ذلك) أى النصر واثار الارض (لمن خاف مقامى) أى موقفى وهو  
موقف الحساب لان ذلك الموقف موقف الله الذى يوقف فيه عباده يوم القيامة وتظيره وأما من  
خاف مقام ربه وقوله تعالى لمن خاف مقام ربه جنتان وقيل ذلك لمن خاف مقامى أى خافى  
فالمقام مقعهم مثل ما يقال سلام على المجلس العالى والمراد السلام على فلان (وخاف وعبد) قال  
ابن عباس ما أوعدت من العذاب وهذا يدل على أن الخوف من الله غير الخوف من وعده  
لان العطف يقتضى المغايرة وفى تفسير قوله تعالى (واستفتخوا) قولان أحدهما طلب الفتح  
أى واستنصروا الله تعالى على أعدائهم وهو كقوله تعالى ان تستفتخوا فقد جاءكم الفتح والثانى  
الفتح الحكيم والقضاء أى واستصكموا الله وسألوه القضاء بينهم وهو مأخوذ من الفتاحة وهى  
الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فعلى القول الاوّل المستفتح هم الرسل  
لانهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب لما أيسوا من ايمانهم قال نوح رب لا تذر على  
الارض من الكافرين ديارا وقال موسى ربنا اطمس على أموالهم وقال لوط انصرف على  
القوم المفسدين وعلى القول الثانى قال الرازى فالاولى أن يكون المستفتح هم الامم وذلك أنهم  
قالوا اللهم ان كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا ومنه قول كفار قريش اللهم ان كان هذا هو الحق  
من عندك فأمر طر علينا حجارة من السماء وكقول آخرين اتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين  
(وخاب) أى خسروه هلك (كل جبار) أى متكبر عن طاعة الله وقيل هو الذى لا يرى فوقه  
أحد وقيل هو المتعظم فى نفسه المتكبر على اقرانه واختلّفوا فى قوله تعالى (عبيد) فقال مجاهد  
معاند للحق ومجانبه وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال قتادة  
هو الذى يأبى أن يقول لا اله الا الله وقيل هو المحجّب بما عندهه ولما حكم تعالى على الكافر بالخبيثة  
وصفه بكونه جبارا عنيدا وصف كيفية عذابه بأمر الاوّل قوله تعالى (من ورثه) أى

امامه (جهنم) أى هو صائر اليها قال أبو عبيدة هو من الاضداد وقال الشاعر

عسى الكرب الذى أمسيت فيه \* يكون وراه فرج قريب

ويقال أيضا الموت وراه كل أحد وقال تعالى وكان وراه هم ملك يأخذ كل سفينة غصبا أى  
امامهم وقال ثعلب هو اسم لما توارى عنك سواء كان خلقك أم قد امك فيصح اطلاق لفظ الوراه  
على خلف وقدم وقال ابن الانبارى وراه بمعنى بعد قال الشاعر \* وليس وراه الله للخلق مهرب  
ومعنى الآية على هذا ان الكافر بعد الخبيثة يدخل جهنم الامر الثانى ما ذكره تعالى بقوله

(ويسقى) أى فى جهنم (من ماء صديد) وهو ما يسيل من جوف أهل النار محتلطاً بالقيح والدم  
 جعل ذلك شراب أهل النار وقال محمد بن كعب هو ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر  
 (فإن قيل) علام عطف ويسقى (أجيب) بأنه عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم  
 يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد (يتجرعه) أى يتكلف أن يتلعه مرة بعد مرة لمرارته  
 وحرارته وتنه (ولا يكاد يسيفه) أى ولا يقدر على ابتلاعه قال الزمخشري دخل كدلاً بالغة  
 يعنى ولا يقارب أن يسيفه فكيف تكون الاساعة كقوله تعالى لم يكديراها أى لم يقرب من  
 رؤيتها فكيف يراها (فإن قيل) كيف الجمع على هذا الوجه بين تجرعه ولا يكاد يسيفه  
 (أجيب) بجوابين أحدهما أن المعنى ولا يسيفه جميعه كأنه يتجرع البعض وما أساغ الجميع  
 والثانى أن الدليل الذى ذكرنا عدل على وصول ذلك الشراب الى جوف ذلك الكافر لأن ذلك  
 ليس باساعة لأن الاساعة فى اللغة اجراء الشراب فى الحلق واستطابة المشروب والكافر يتجرع  
 ذلك الشراب على كراهية ولا يسيفه أى لا يستطيبه ولا يشربه شرباً بجملة واحدة وعلى هذين  
 الوجهين يصح حمل لا يكاد على نقي المقاربة الامر الثالث ما ذكره تعالى بقوله تعالى (ويأتيه  
 الموت) أى أسبابه المقتضية له من أنواع العذاب (من كل مكان) أى من سائر الجهات وقيل من  
 كل مكان من جسده حتى من أصول شعره واهام رجله (وما هو بميت) فيستريح وقال ابن  
 بريج تتعاق نفسه عند خنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع الى مكان من جوفه فتسفه  
 الحياة الامر الرابع ما ذكره تعالى بقوله تعالى (ومن ورائه) أى ومن يزيده بعد ذلك العذاب  
 (عذاب غليظ) أى شديد كل وقت يستقبله أشد مما قبله وقيل هو الخلود فى النار وقيل هو قطع  
 الانفاس وجسها فى الاجساد \* وما ذكره تعالى أنواع عذابهم بين بعده ان سائر أعمالهم تصير  
 باطلة ضائعة وذلك هو الخسران الشديد بقوله تعالى (مثل) أى صفة (الذين كفروا بربهم  
 أعمالهم) أى الصالحة كصدقة ورحم وفك أسير واقرأ ضيف وبر والذى عدم الانتفاع  
 بها (كرما) اشتدت به الريح فى يوم عاصف) أى شديد هبوب الريح فجعلته هباً منشوراً لا يقدر  
 عليه كما قال تعالى (لا يقدرون) أى الكفار يوم الجزاء (عما كسبوا) أى عملوا فى الدنيا (على  
 شئ) أى لا يجدون لهم ثواباً فقد شرطه وهو الايمان وقرأ نافع الرياح بالجمع والباقون بالافراد  
 (ذلك) اشارة الى ضلالهم مع حساباتهم أنهم محسنون (هو الضلال البعيد) أى الخسران  
 الكبير لان أعمالهم ضلت وهلكت فلا يرجع عودها \* (تنبيه) \* فى ارتفاع قوله تعالى مثل  
 أوجه أحدها هو مذهب سيبويه أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره فيما تلى عليكم مثل الذين  
 كفروا وتكون الجملة من قوله تعالى أعمالهم كرماد \* متأنفة على تقدير سؤال سائل يقول  
 كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد والثانى وهو مذهب الفراء التقدير مثل أعمال الذين كفروا  
 بربهم كرماد فحذف المضاف اعتماداً على ذكره بعد المضاف اليه وهو قوله تعالى أعمالهم ومثله  
 قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة المعنى ترى وجوه الذين  
 كذبوا على الله مسودة الثالث أن يكون التقدير صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد كقوله صفة

زيد غرضه مصون وماله مبذول الرابع أن تكون أعمالهم بدلا من قوله مثل الذين كفروا  
والتقدير مثل أعمالهم وقوله تعالى كرماد هو الخبر وقيل غير ذلك وقوله تعالى (التر) أى تنظر  
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته وقيل لكل واحد من الكفرة على الالتفات  
(أن الله خلق السموات) على عظمها وارتفاعها (والارض) على تباعد أقطارها واتساعها  
وقوله تعالى (ياخلق) أى بالحكمة والوجه الذى يحق أن تخلق عليه متعلق بخلق وقرأ حزة  
والكسائي بألف بعد اللام وكسر اللام ورفع القاف وخفض الارض والياقون بغير ألف بعد  
اللام وفتح اللام والقاف ونصب الارض (ان يشأ يذهبكم) أيها الناس (ويأت) بدل لكم (بخلق  
جديد) أطوع منكم رتب ذلك على كونه خالق السموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق  
أصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم قدر أن يبدلهم بخاق آخر ولم يتنع عليه كما قال تعالى (وما  
ذلك على الله بعزيز) أى بمتنع فانه تعالى قادر بذاته ولا اختصاص له بقدر ووردون مقدر  
ومن هذا شأنه كان حقيقا أن يؤمن به ويعبد رجاؤه وخواه من عقابه يوم الجزاء \* ولما ذكر  
تعالى أصناف عذاب هؤلاء الكفار وذكر عقبه أن أعمالهم تصير محبطة باطلا ذكر كيفية  
مجادلتهم عند تمسك اتباعهم بهم وكيفية اقتضاهم عندهم بقوله تعالى (وبرزوا) أى  
الخلايق من قبورهم (لله جميعا) والتعبير فيه وفيما يأتى بالماضى وان كان معناه الاستقبال  
لتصق وقوعه لأن كل ما أخبر الله تعالى عنه فهو حق وصدق وكاش لا محالة فصار كانه قد  
حصل ودخل في الوجود وتطيره ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار \* (تنبية) \* البروز فى اللغة  
الظهور بعد الاستتار وهو فى حق الله تعالى محال فلا بد من تأويله وهو من وجهين الاول أنهم  
كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله تعالى فاذا  
كان يوم القيامة انكشفوا لله عن أنفسهم وعلموا أن الله تعالى لا تخفى عليه خافية الثانى أنهم  
خرجوا من قبورهم فبرزوا للحساب الله تعالى وحكمه \* ثم حكى الله تعالى عنهم أن الضعفاء  
يقولون للرؤساء هل تقدرون على دفع عذاب الله تعالى عنا بقوله تعالى (فقال الضعفاء) أى  
الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعفاء الرأى (للذين استكبروا) أى المتبوعين الذين طلبوا الكبر  
وآدعوه فاستغفروهم به حتى تكبروا على الرسل وقوله تعالى (أنا كنا لكم تبعاً) يصح أن يكون  
مصدرا نعت به للمبالغة أو على ضمائر مضاف وأن يكون جمع تابع أى تابعين لكم فى تكذيب  
الرسل فكنتم سبب ضلالتنا وقد جرت عادة الاكابر بالدفع عن اتباعهم المساعدين لهم على  
أباطيلهم (فهل أنتم) أى فى هذا اليوم (مغنون) أي عدا فعون (عنا من عذاب الله) أى من  
انتقامه (من شئ) فان قيل فما الفرق بين من فى عذاب الله وبين من فى شئ (أجيب) بأن الاولى  
للتبيين والناية للتبعض كانه قيل هل أنتم مغنون عنا بعض الشئ الذى هو من بعض عذاب  
الله ويجوز أن يكونا للتبعض معا بمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض شئ هو بعض عذاب الله وعند  
هذا حكى الله تعالى عن الذين استكبروا أنهم قالوا (لو هدانا الله) أى الذى له صفات الكمال  
(اهديناكم) أى لو أرشدنا الله تعالى لأرشدناكم ودعوناكم الى الهدى ولكنه لم يهدنا فاضلنا



وكنتم لنا تبعاً فاضلناكم ولما كان الموحب لقولهم هذا الجزع قالوا (سواء علينا) أي نحن  
 وأنتم (أجر عنا أم صبرنا) أي مستوعبنا الجزع والصبر والجزع أبلغ من الحزن لأنه يصرف  
 الإنسان عما هو بصدده ويقطعه عنه (مالتامن محيص) أي منجى ومهرب عما نحن فيه  
 من العقاب \* (تنبيه) \* يحتمل أن يكون هذا من كلام المتبوعين وأن يكون كلام القريرين  
 ويؤيد الثاني ما روي أنهم يقولون في النار قالوا الجزع فيصرون خمسمائة عام فلا يتفهم  
 الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا يتفهم الصبر فعند ذلك يقولون  
 ذلك وقال محمد بن كعب القرظي بلقي أن أهل النار استغاثوا بالخرزة كما قال الله تعالى  
 وقال الذين في النار لخرزة جهنم ادعوا ربكم يخفض عنكم العذاب يوماً ما من العذاب فرددت الخرزة عليهم  
 أولم تلك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى فرددت الخرزة عليهم ادعوا وما دعاء الكافرين  
 إلا في ضلال فلما يتسوا مما عند الخرزة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك أسألو الموت فلا يجيبهم  
 ثمانين سنة والسنة ثمانمائة وستون يوماً واليوم كالف سنة مما تعدون ثم يجيبهم بقوله انكم  
 ما كنون فلما يتسوا مما عنده قال بعضهم لبعض ذلك ولما ذكر تعالى المناظرة التي وقعت  
 بين الرؤساء والاتباع من كفرة الانس أردفها بالمناظرة التي وقعت بين الشيطان وبين  
 اتباعه بقوله تعالى (وقال الشيطان) الذي هو أول المتبوعين في الضلال ورأس المضلين  
 والمستكبرين (لما قضى الأمر) أي أحكم وفرغ منه وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار  
 النار أخذ أهل النار في لوم إبليس وتقريره وتوبيخه فيقوم فيهم خطيباً قال مقاتل يوضع له  
 منبر من نار فيجتمع أهل النار إليه يلومونه فيقول لهم ما أخبر الله تعالى بقوله (إن الله  
 وعدهم وعده الحق) أي بالبعث والجزاء على الأعمال فصدقكم (ووعدهم) أن  
 لاجنة ولانار ولا حشر ولا حساب (فأخلفتمكم) أي الوعد فلم أقل شيئاً إلا كان زيفاً  
 فاتبعتوني مع كوني عدوكم وتركتكم ربكم وهو وليكم \* (تنبيه) \* في الآية اضمحار من  
 وجهين الأول أن التقدير إن الله وعدهم وعده الحق فصدقكم كما تقدم تقريره ووعدهم  
 فأخلفتمكم وحذف ذلك لدلالة تلك الجملة على صدق ذلك الوعد لانهم كانوا يشاهدونها وليس  
 وراء العيان بيان ولأنه ذكر في وعد الشيطان الاخلاف فدل ذلك على الصدق في وعد الله  
 تعالى الثاني أن قوله ووعدهم وعدهم فأخلفتمكم الوعد يقتضي فعولاً ناسياً وحذف هذا للعلم به  
 والتقدير ووعدهم وعدهم أن لاجنة ولانار ولا حشر ولا حساب كما تقرّر ولما بين غروره بين سهولة  
 اغترارهم زيادة في تنديعهم فقال (وما كان لي عليكم من سلطان) أي سلطان فمن زيادة أي  
 قوة وقدرة أقهركم على الكفر والمعاصي وأجسكم على متابعتي وقوله (الآن دعوتكم) استثناء  
 منقطع قال النحويون لأن الدعاء ليس من جنس السلطان فعناه لكن دعوتكم (فاستجبتم لي)  
 محكمين الشهوات لأن النفس تدعو إلى هذه الأحوال الدنيوية ولا يتصور كيفية العادات  
 الاخرية والكالات النفسانية والله يدعو إليها ويرغب فيها كما قال والآخر خير وأبني قال  
 الرازي وعندي أنه يمكن أن يقال كلمة الالهنا استثناء حقيقي لأن قدرة الانسان على حل القبر

على عمل من الاعمال تارة تكون بالقهر والقسر وتارة يكون بتقوية الداعية في قلبه بالقائه  
 الوساوس اليه فهذا نوع من أنواع التسليط اه ثم قال لهم (فلا تلو موني) أي لانه ما كان مني  
 الا الدعاء والقائه الوسوسة (ولو مونا أنفسكم) لانكم سمعتم دلائل الله تعالى وجاءتكم الرسل  
 فكان من الواجب عليكم أن لا تلتفتوا اليه ولا تسمعوا قولي فلما رجعت قولي على الدلائل الظاهرة  
 كان اللوم بكم أولى باجابتى ومتابعي من غير حجة ولا دليل (فان قيل) لم قال الشيطان فلا تلو موني  
 وهو مالم يسبب اقدامه على تلك الحالة والوسوسة الباطلة (أجيب) بأنه أراد لا تلو موني  
 على فعلكم ولو مونا أنفسكم عليه لانكم عدتم عما توجه من هداية الله تعالى لكم \* ثم قال  
 تعالى حكاية عن الشيطان انه قال (ما أنا بصر خكم) أي بعيشكم فيما يخفكم من العذاب  
 فأزبل صراخكم منه (وما أنتم بصر خي) أي بعيشي فيما يخفى مني وقرأ ما عدا حزة بفتح الياء  
 مع التشديد وقرأ حزة بكسر الياء مع التشديد على الاصل في التقاء الساكنين لان ياء الاعراب  
 ساكنة وياء المتكلم أصاها السكون فلما التقيا كسرت لالتقاء الساكنين قال البيضاوي  
 وهو أصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع حركة ياء الاضافة اه  
 فقوله أصل مرفوض أي متروك عند النحاة والافهوقراءة متواترة عند القراء فيجب المصير اليها  
 لانها وردت من رب العالمين على لسان سيد المرسلين وقول القراء واعلمهم من وهم القراء فانه  
 قل من سلم منهم من الوهم ممنوع فقد قال أبو حيان هي قراءة متواترة نقلها السلف واقتنى  
 آثارهم فيها الخلف فلا يجوز أن يقال فيها انها خطأ أو قبيحة أو رديئة وقد نقل جماعة من أهل  
 اللغة أنها لغة لكن قل استعملها ونصر قطرب على أنها لغة في بني ربوع ونصر على أنها  
 صواب أبو عمرو بن العلام استعملها والقاسم بن معن من رؤساء الكوفيين قال الله تعالى  
 حكاية عن الشيطان انه قال (اني كفرت بما أشركتوني من قبل) أي كفرت اليوم باشراكم  
 اي من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى  
 كفروا باشراكم أي اياه تبرؤ منه واستنكاره كقوله تعالى انابر آمنكم وماتعبدون من  
 دون الله كفروا بكم روى البغوي بسنده عن عقبه بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم في حديث الشفاعة يقول عيسى ذلك النبي الامي فيأتوني فيأذن الله لي أن أقوم فيثور  
 مجلسي من أطيب ريح شهها أحد حتى آتي ربي فيشفعني ويجعل في نور من شهروا مني الى  
 نظرفدعي ثم يقول الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع لهم من يشفع لنا فيقولون ما هو غير  
 الشيطان هو الذي أضلنا فأتونه فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم قم أنت فاشفع لنا  
 فانك أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه أتت ريح شهها أحد ثم يعظم اه بهم ويقول عند ذلك  
 ان الله وعدكم وعد الحق الآية قال في الكشف وقوله (ان الظالمين) أي الكافرين (لهم)  
 عذاب أليم) أي مؤلم من كلام الله تعالى ويحتمل أن يكون من جملة قول ايليس وانما حكي  
 الله تعالى ما سببه قوله في ذلك الوقت ليكون لطفًا للسامع في النظر لعاقبتهم والاعتداد  
 لما لا بد لهم من الوصول اليه وأن يتصوروا في أنفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان

ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يحلهم منه ويحريمهم \* ولما بالغ سبحانه وتعالى في شرح حال الاشقياء  
 من الوجوه الكثيرة شرح أحوال السعداء وما أعد لهم من الثواب العظيم والاجرا الجزيل  
 وذلك أن الثواب متفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فالمنفعة الخاصة اليها الاشارة بقوله تعالى  
 (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار) وكونها اداعة أشير اليها  
 بقوله تعالى (خالدين فيها) وهو حال مقدرة والتعظيم حصل لهم من وجهين أحدهما قوله تعالى  
 (بإذن ربهم) لأن تلك المنافع انما كانت تفضل لمن الله تعالى وانعاما والثاني قوله تعالى  
 (تحببتهم فيها سلام) لأن بعضهم يحيى بعضها بهذه الكلمة والملائكة يحبونهم بها كما قال تعالى  
 والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والرب يحبيهم أيضا بهذه النعمة كما قال تعالى  
 سلام قولاً من رب رحيم ويحتمل أن يكون المراد انهم لما دخلوا الجنة سلوا من جميع آفات  
 الدنيا وحسراتها وفنون الآلهة واستقامها وأنواع همومها وعمومها لأن السلام مشتق من  
 السلامة \* ولما شرح سبحانه وتعالى أحوال الاشقياء وأحوال السعداء ذكر مثليين الحال  
 في حكم هذين القسمين بقوله تعالى (ألتر) أي تنظر والخطاب يحتمل أن يكون للنبي صلى الله  
 عليه وسلم ويدخل معه غيره وأن يكون لكل فرد من الناس أي ألم ترأيها الانسان (كيف  
 ضرب الله) أي المحيط بكل شيء علما وقدرة (مثلا) سيره بحيث يعم نفعه والمثل قول سائر  
 يشبه فيه حال الثاني بالاول ثم يئنه بقوله تعالى (كلمة طيبة) قال ابن عباس وأكثر المفسرين  
 هي لا اله الا الله (كشجرة طيبة) قال ابن مسعود وأنس هي النخلة وعن ابن عباس هي شجرة  
 في الجنة وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله تعالى ضرب مثل  
 المؤمن شجرة فاخبروني ما هي قال عبد الله فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صييا فوقع  
 في قلبي أنها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقولها وأنا صغير القوم وروى غنعي  
 مكان عمر فاستحييت فقال له عمر يا بني لو كنت قلتها كانت أحب الي من حمر النعم ثم قال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انها النخلة قيل الحكمة في تشبيه الانسان بالنخلة من بين سائر  
 الاشجار أن النخلة أشبه به من حيث انها اذا قطع رأسها يبست وسائر الاشجار يتشعب من  
 جوانبها بعد قطع رأسها وأنها تشبه الانسان بحيث انها لا تحمل الا باللقاح لانها خلقت من  
 فضلة طينة آدم عليه السلام ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أكرموا عمتكم قيل ومن عمتنا قال  
 النخلة (أصلها ثابت) أي في الارض (وفرعها) أي غصنها (في السماء) أي في جهة العلو  
 والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء تريد ارتفاعه وشموخه (توقى) أي  
 تعطى (أكلها) أي ثمرها (كل حين بإذن ربها) أي بإرادته والحين في اللغة الوقت يطلق  
 على القليل والكثير واختلفوا في مقدار هذا فقال مجاهد الحين هنا سنة كاملة لأن النخلة  
 تثمر في كل سنة مرة وقال قتادة ستة أشهر يعني من حين طلوعها الى وقت صرامها وقال الربيع  
 كل حين يعني كل غدوة وعشية لأن ثمر النخل يؤكل ليلا ونهارا وصيفا وشتاء فبؤكل منها  
 الجوار والطلع والبلع والحلال والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل التمر اليابس الى

حين الطرى الرطب فأكلها دأتم في كل وقت قال العلماء ووجه الحكمة في تمثيل كلمة  
 الأخلص بالشجرة لأن الأيمان ثابت في قلب المؤمن كشوت أصل هذه الشجرة في الأرض  
 وعمله يصعد إلى السماء كما قال تعالى إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فكذلك  
 فرع هذه عال في السماء وتنال بركته وتوابه كل وقت والمؤمن كلما قال لا اله الا الله صعدت إلى  
 السماء وجاءه بركتها وخيرها وتوابها ونفعها ولأن الشجرة لا تكون شجرة الاثلاثة أشياء  
 عرق راسخ وأصل قائم وفرع عال كذلك الأيمان لا يتم الاثلاثة أشياء تصديق القلب وقول  
 اللسان وعمل بالابدان ثم نبه تعالى على عظم هذا المثل ليقبل على تدبره ليعلم المراد منه فيلزم  
 فقال (ويضرب الله) أي الذي له الاحاطة الكاملة (الامثال للناس لعلهم يتذكرون) أي  
 يحفظون فان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني العقلية فيحصل الفهم  
 التام والوصول إلى المطلوب \* ولما ذكر مثل حال السعداء اتبعه بمثل حال الاعداء فقال (ومثل  
 كلمة خبيثة) هي كلمة الكفر (كشجرة خبيثة) هي الخنظل وقيل الثوم وقيل الكشوث  
 بثلاثة في آخره قال الجوهري ثبت يتعلق بأغصان الشجر من غير أن يضرب بعرق في الأرض قال  
 الشاعر هي الكشوث لأصل ولا ورق \* ولا نسيم ولا ظل ولا نحر

وقيل شجرة الشوك (اجتنت) أي استوصلت (من فوق الأرض) أي عروقها قريبة  
 منه (مالها من قرار) أي أصل ولا عرق فكذلك الكفر بالله تعالى ليس له حجة ولا ثبات  
 ولا قوة وعن عبادة انه قبل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما أعلم لها في الأرض  
 مستقرا ولا في السماء مصدا الا أن تلزم عنق صاحبها - تي يوافقها يوم القيامة \* ولما وصف  
 الله سبحانه وتعالى الكامة الطيبة في الآية المتقدمة أخبر بقوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا  
 بالقول الثابت) أنه تعالى يثبتهم بها (في الحياة الدنيا) أي في القبر وقيل قبل الموت  
 (وفي الآخرة) أي يوم القيامة عند البعث والحساب وقيل في القبر على القول الثاني \* ولما  
 وصف الكامة الطيبة في الآية المتقدمة أخبر بقوله تعالى (ويضل الله الظالمين) أي الكفار  
 أنه تعالى لا يهديهم للجواب الصواب (ويضل الله ما يشاء) أي ان شاء هدى وان شاء أضل -  
 لا اعتراض عليه روى عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اذا سئل  
 في القبر يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رول الله فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا  
 بالقول الثابت وروى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في القبر  
 وتولى عنه أصحابه يسمع قرع نعالهم أتاهم ان كان في قعره انه فيقولان له ما كنت تقول في هذا  
 الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له انظر إلى  
 مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراه ما  
 جميعا قال قتادة ذكر لنا أنه يفسح له في قبره ثم يرجع إلى حديث أنس قال وأما المنافق أو الكافر  
 فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيه فيقال  
 ما حويت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصبح صيحة يسمعها من يليه غير

الثقلين وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال شهدنا جنازة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغنا من دفنها وانصرف الناس قال انه الآن يسمع خفق نعالكم أتاه منكر ونكير أعينهما مثل قدور النحاس وأنيابهما مثل صياصي البقر وأصواتهما مثل الرعد فيجلسانه فيسألانه ما كان يعبد ومن نبيه فان كان ممن يعبد الله تعالى قال كنت أعبد الله ونبي محمد صلى الله عليه وسلم جاءنا بالبينات والهدى فآمننا به واتبعناه فذلك قوله تعالى ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة فيقال له على اليقين حيت وعليه مت وعليه تبعث ثم يفتح له باب الى الجنة ويوسع له في حضرته وان كان من أهل الشك قال لا ادري سمعت الناس يقولون شيئا أقتله فيقال له على الشك حيت وعليه مت وعليه تبعث ثم يفتح له باب الى النار ويسلط عليه عقارب وتنانين لو نفع أحدهم في الدنيا ما أثبت شيئا فتنهشه وتؤمر الارض فتضم عليه حتى تختلف أضلاعه فذم آل الله الثبات لنا ولو الدنيا ولا حبا بنا في الدنيا والآخرة انه كريم جواد ثم انه تعالى عاد الى وصف الكافرين فقال (المرت) أي تنظر وفي الخطاب ما تقدم (الى الذين بدلوا) والتبديل جعل الشيء مكان غيره (نعمة الله) أي التي أسبغها عليهم من كلمة التوحيد ومن جميع النعم الدنيوية وتيسير الرزق وغير ذلك بأن جعلوا مكان شكرها (كفرا) وهم يدعون أنهم أشكرا الناس للاحسان وأعلامهم في الوفاء وأبعدهم عن الجفاء (وأحلوا) أي أتزلوا (قومهم) أي الذين تابعوهم في الكفر باضلالهم اياهم (دار البوار) أي الهلاك مع ادعائهم أنهم أذب الناس عن الجمار فضلا عن الأهل روى البخاري في التفسير أنهم كفار أهل مكة وقوله تعالى (جهنم) عطف بيان (يصلونها) أي يدخلونها (وبئس القرار) أي المقر هي (وجعلوا لله) أي الذين يعلمون انه لا شريك له في خلقهم ولا رزقهم لان له الكمال كله (أندادا) أي شركاء وقوله تعالى (ليضلوا عن سبيله) أي دين الاسلام فيه قرآن ابن كثير وأبو عمرو يفتح الياء من ضل يضل والباقون بضم الياء من أضل يضل وايس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الأنداد لئلا يكون لما كان نتيجته جعل كافتراض \* ولما حكى الله تعالى عنهم هذه الأنواع الثلاثة من الأعمال القبيحة قال لتبیه صلى الله عليه وسلم (قل) أي تهديد الهم فانهم لا يشكون في قولك وان عاندوا (تمتعوا) بدنيا كم قليلا (فان مصيركم) أي مرجعكم (الى النار) في الآخرة ولما أمر الله تعالى الكافرين على سبيل التهديد والوعيد بالتمتع بنعيم الدنيا أمر المؤمنين بترك التمتع بالدنيا والمبالغة في المجاهدة بالنفس والمال بقوله تعالى (قل لعبادي) فوصفهم بأشرف أوصافهم وأضافهم الى ضميره الشريف تحبيبا لهم فيه ثم اتبع هذا الوصف ما يناسبه من ادعائهم لسيدهم بقوله تعالى (الذين آمنوا) أي أوجدوا هذا الوصف (يقوموا الصلاة) ينفقوا عمارت قنابهم) فيه وجهان أحدهما يصح أن يكون جوابا ل الأمر بحذوف تقديره قل لعبادي الذين آمنوا أقوموا الصلاة وأنفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا والثاني يصح أن يكون هو أمرهم لا محذوف فإمته اللام أي اقيموا يصح تعلق القول بهما وانما أحسن ذلك ههنا ولم يحسن في قوله

محمد تفقد نفسك كل نفس \* اذا ما خفت من شيء تسبلا

أى تسبلى به أى تكثر به لدلالة قل عليه (سر او علانية) أى يتفقون أموالهم في حال السر والعلانية وقيل المراد بالسر صدقة التطوع وبالعلانية اخراج الزكاة الواجبة \* (تنبية) \* في اتصاب سر او علانية وجوه أحدها أن يكون على الحلال أى ذوى سر وعلانية بمعنى مسرتين ومعلنين والثاني على الظرف أى وقت سر وعلانية وثالثها على المصدر أى اتفاق سر وانفاق علانية \* ولما أمرهم الله تعالى بأقامة الصلاة والاتفاق أشار الى عدم التهاون بذلك بقوله عز وجل (من قبل أن ياتي يوم) أى عظيم جدا ليس كشي من الايام التي تعرفونها (لا يبع فيه) أى فيشتري المقصر ما يتدارك به تقصيره أو يفدى به نفسه (ولا خلال) أى مخاللة أى صداقة تنفع في ذلك اليوم قال مقاتل انما هو يوم لا يبع فيه ولا سرا ولا مخاللة ولا قرابة فكانت تعالى يقول أنفقوا أموالكم في الدنيا حتى تجددوا ثواب ذلك الاتفاق في مثل هذا اليوم الذي لا يحصل فيه مبايعة ولا مخاللة وتظهر هذه الآية قوله تعالى في سورة البقرة لا يبع فيه ولا خلة ولا شفاعة (فان قيل) كيف نبي الله تعالى المخاللة في هاتين الآيتين مع انه تعالى أثبت في قوله تعالى الاخلا بومئذ بعضهم لبعض عدوا للمتقين (أجيب) بان الآية الدالة على نفي المخاللة محمولة على نفي المخاللة بسبب ميل الطبع ورغبة النفس والآية الدالة على حصول المخاللة محمولة على حصول المخاللة الحاصلة بسبب عبودية الله تعالى ومحبة الله تعالى \* ولما طال الكلام في وصف أحوال السعداء وأحوال الأشقياء وكانت العمد العظمى والمزلة الكبرى في حصول السعادات معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وفي حصول الشقاوة فقد ان ذلك ختم تعالى أحوال الفريقين بقوله تعالى (الله) أى الملك الاعلى المحيط بكل شئ ثم اتبعه بالدلائل الدالة على وجوده وكمال عمله وقدرته وذكرنا عشرة أنواع من الدلائل أو لها قوله تعالى (الذي خلق السموات) وثانيها قوله تعالى (والارض) وهما أكبر خلقا منكم وأعظم شأننا وثالثها قوله تعالى (وأنزله من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس \* (تنبية) \* الله مبتدأ وخبره الذي خلق ورزقا مفعول لا يخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويصح أن يكون المراد بالسماء هنا السحاب اشتقاقا من السمو والارتفاع وأن يكون الجرم المعهود فينزل من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض وقد ذكرت ذلك في سورة البقرة وفي غيرها ورابعها قوله تعالى (وسخر لكم الفلك) أى السفن (لتجربى في البحر) أى بالركوب والحمل (بأمرة) أى بعينته وإرادته وخامسها قوله تعالى (وسخر لكم الانهار) أى ذللها لكم تجرونها حيث شئتم لان ماء البحر لا ينتفع به في سقى الزرع والثمرات ولا في الشرب فكان ذلك نعمة من الله تعالى وسادسها وسابعها قوله تعالى (وسخر لكم الشمس والقمر) حال كونهما (دائبين) أى جاريتين في فلكهما لا يفتران في سيرهما وانارتها وتأثيرهما في انارة الظلمة واصلاح النبات والحيوان الى آخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها والشمس سلطانها النهار وبها تعرف فصول السنة وهي أفضل من القمر لكثرة نفعها والقمر سلطانها الليل وبه يعرف انقضاء

الشهور ووكل ذلك بتسخير الله تعالى وانعامه ونامها وتاسها قوله تعالى (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان فيكم بالضياء والظلمة والزيادة والنقصان وذلك من نعم الله تعالى على عباده حيث جعل لهم الليل ليسكنوا فيه والنهار ليعتقوا فيه من فضله وعاشرها قوله تعالى (وأتاكم من كل ما سألتموه) أي مما أنتم محتاجون إليه على حسب مصالحكم فأنتم سألتموه بالقوة \* ولما ذكر سبحانه وتعالى بعض ما أنعم به على عباده بين أن العبد عاجز عن حصرها وعدّها بقوله تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) أي لا تحيطوا بها ولا تطيقوا عدّها وبلوغ آخرها هذا إذا أرادوا أن يعدّوها على الاجمال واما على التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله تعالى (ان الانسان) أي الكافر وقال ابن عباس يريد أبا جهل (ظالم) أي كثير الظلم لنفسه (كفار) أي كفور لنعم ربه وقيل ظالم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع وينع (فان قيل) لم قال تعالى هنا ان الانسان ظالم كفار وفي الفصل ان الله لغفور رحيم (أجيب) بأنه تعالى يقول للعبد اذا حصلت لك النعم الكثيرة فأنت الذي أخذتها وأنا الذي أعطيتها فحصل لك عند أخذها وصفان وهما كونك ظالوما كفارا ولي وصفان عند اعطائها وهما كونك عفورا رحيمًا والمقصود كأنه يقول ان كنت ظالوما فأنا عفور وان كنت كفارا فأنا رحيم أعلم بحزلك وتقصيرك فلا أقابل تقصيرك الا بالتوقير ولا أجازي جرائمك الا بالوفاء ونسأل الله حسن العاقبة والرحمة \* ولما بين الله تعالى بالدلائل المتقدمة أن لا معبود الا الله سبحانه وتعالى وانه لا تجوز عبادة غير الله البتة حكى عن ابراهيم عليه السلام مبالغة في انكاره عبادة الاوثان بقوله تعالى (واذ) أي واذا كرلهم منذ كراب أيام الله خيرا ابراهيم اذ (قال ابراهيم رب أي المحسن الى باجابة دعائي (اجعل هذا البلد) أي مكة (آمنا) أي ذا أمن وقد أجاب الله تعالى دعاه فجعله حرما لا يسفك فيه دم انسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصادم يده ولا يحتل خلاه (فان قيل) أي فرقي بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا (أجيب) بأن المسؤول في الاول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون وفي الثاني أن يزيل عنها الصفة التي كانت حاصله لها وهي الخوف ويجعل لها تلك الصفة وهي الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (فان قيل) كيف أجاب الله تعالى دعاه مع ان جماعة من الجبابرة قد أغاروا عليهم وأخافوا أهلها (أجيب) بجوابين أحدهما ان ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء والمراد منه جعل مكة آمنة من الخراب وهذا موجود بحمد الله تعالى فلم يقدر أحد على احراب مكة (فان قيل) رد على هذا ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة (أجيب) بأن قوله تعالى اجعل هذا البلد يعني الى قرب يوم القيامة وخراب الدنيا فهو عام مخصوص بقصة ذي السويقتين فلا تعارض بين النصين والجواب الثاني أن المراد جعل أهلها آمنين كقوله تعالى واسأل القرية أي أهلها وهذا الجواب عليه أكثر المفسرين وعلى هذا فقد اختص أهل مكة بزيادة الامن في بلدهم كما أخبر الله تعالى بقوله ويتخطف الناس من حولهم وأهل مكة آمنون من ذلك حتى ان

من التبا إلى مكة أمن هلى نفسه وماله وحتى ان الوحوش اذا كانت خارجة الحرم استوحشت  
 واذا كانت داخله الحرم استأنست لعلها انه لا يهيجها أحد في الحرم وهذا القدر من الامن  
 حاصل بحمد الله بمكة وحرمها (واجنبني) أى بعدنى (وبنى أن) أى عن أن (نعبد الاصنام)  
 أى اجعلنا في جانب غير جانب عبادتهم (فان قيل) الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون  
 فما الفائدة في قوله اجنبني عن عبادة الاصنام (أجيب) بأنه عليه الصلاة والسلام انما سأل  
 ذلك هضمال نفسه واظهارا للحاجة والفاقة الى فضل الله في كل المطالب وفي ذلك دليل على أن  
 عصمة الانبياء بتوفيق الله تعالى وحفظه اياهم (فان قيل) كان كفار قريش من أبنائه مع انهم  
 كانوا يعبدون الاصنام فكيف أجيب دعاؤه (أجيب) بأن المراد من كان وجود حال الدعاء  
 ولا شبهة ان دعوته كانت محجوبة فيهم أو ان هذا الدعاء مخصوص بالمؤمنين من أولاده والدليل  
 عليه أنه قال عليه السلام في آخر الآية فمن تبعني فإنه مني وذلك يفيد أن من لم يتبعه على دينه  
 فإنه ليس منه وتطيره قوله تعالى انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح والصنم المصنوع على خلقه  
 البشر وما كان منصوتا على غير خلقه البشر فهو وثن قاله الطبري ولذا الماسثل ابن عيينة كيف  
 عبدت العرب الاصنام فقال ما عبدوا أحد من بنى اسمعيل صنما واحتج بقوله تعالى واجنبني وبني  
 أن نعبد الاصنام انما كانت انصاب الحجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فخيمه انصبتنا حجر افهوا  
 بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر أى يطوفون به أسابيع تشبيها بالكعبة ويسمونه الدوار  
 بضم ال دال مشددة وقد تفتح قال الجوهري دوار بالضم صنم وقد تفتح فاستحب أن يقال طاف  
 بالبيت ولا يقال دار بالبيت قال الرازي وهذا الجواب ليس بقوى لانه عليه السلام لا يجوز  
 أن يريد بهذا الدعاء الاعباد غير الله والحجر كالصنم في ذلك \* ثم حكى الله تعالى عن ابراهيم أنه قال  
 (رب انهن) أى الاصنام (أضلن كثيرا من الناس) بعبادتهم لها \* (تنبيه) \* اتفق كل الفرق  
 على أن قوله أضلن مجاز لانهم اجادات والجماد لا يفعل شيئا البتة الا انه لما حصل عند عبادتها  
 أضيف اليها كما تقول فتمتهم الدنيا وغرتمهم أى اقتنوا بها واغتروا بسببها ثم قال (فمن تبعني)  
 أى على التوحيد (فانه مني) أى فانه جار مجرى بعضى افترط اختصاصه بى وقربه مني (ومن  
 عصاني) أى في غير الدين (فانك غفور رحيم) وهذا سر يح في طلب الرحمة والمغفرة لا ولك  
 العصاة ولذا ثبت حصول هذه الشفاعة في حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثبت حصولها في  
 حق محمد صلى الله عليه وسلم لانه ما مورب الاقتداء به كما قال تعالى واتبعه ابراهيم وقيل ان هذا  
 الدعاء كان قبل أن يعلم ابراهيم ان الله لا يغير الشرك وقيل انك قادر ان تغفر له وترجه بأن تنقله  
 عن الكفر الى الاسلام وقيل المراد من هذه المغفرة أن لا يعاجلهم بالعقاب فلا يعجلهم حتى  
 يتوبوا قال الرازي واعلم أن هذه الوجة ضعيفة وارضى ما تقر رأؤا \* (تنبيه) \* حكى الله  
 سبحانه وتعالى عن ابراهيم عليه السلام في هذا الموضع انه طلب من الله تعالى سبعة أمور  
 الاقل طلب من الله تعالى نعمة الامان وهو يب اجعل هذا البلد آمنا المطلوب الثاني أن يرزقه  
 الله تعالى التوحيد ويصونه عن الشرك وهو قوله واجنبني وبني أن نعبد الاصنام المطلوب



الثالث قوله (ربنا انى أسكنت من ذريتي) أى بعض ذريتي أو ذرية من ذريتي فحذف المفعول على هذا القول وهم اسمعيل ومن ولده منه فان أسكانه متضمن لاسكانهم (بواد) هو وادى مكة المشرفة لكونه في فضاء منخفض بين جبال تجرى فيه السيول (غير ذى زرع) أى لا يكون فيه من الزرع قط فانه جبرى لا ينبت قوله تعالى قرآننا عريبا غمير ذى عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج (عند بيتنا المحترم) أى الذى حرمت التعرض له والتماون به وجعلت ما حوله حرما لمكانه أولانه لم يزل بمنها عزيرايها به كل جبار كاشى المحترم الذى حقه أن يجتنب أولانه محترم عظيم الحرمه لا يحل انتهاكه أولانه حرّم على الطوفان أى منع منه كما سمى عتيقا لانه أعتق منه فلم يستول عليه أولانه أمر الصائرين اليه أن يجزموا على أنفسهم أشياء كانت تحل لهم من قبل أولانه حرّم موضع البيت بين خلق السموات والارض وحفه بسبعة أملاك وهو مثل البيت المعمور الذى بناه آدم فرفع الى السماء السادسة وروى ان هاجر كانت أمة لسارة فوهبتا لبراهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل فقالت سارة كنت أريد أن يهب الله لى ولدا من خديله ففعلني به ورزقه خادمى وغارت عليهما وقالت لبراهيم بعد همامنى وناشدته بالله أن يخرجهما من عندها ففعلها ما الى مكة واسمعيل رضيع حتى وضعهما عند البيت عند دوحه فوق زمزم فى اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بهما ماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفل ابراهيم منطلقا فقبعتة أم اسمعيل وقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ايس فيه أنيس ولا شئ فقالت له ذلك حرار وهو لا يلتفت اليها فقالت له الله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا الايضعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعاهم ولاء الدعوات وورع يديه وقال ربنا انى أسكنت من ذريتي حتى بلغ يشكرون وجعلت أم اسمعيل ترضعه وتشرب من ذلك الماء حتى اذا تقدمت فى السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتدوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى من أحد فلم تر أحد ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسك ما ثم سمعت فسمعت أيضا فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تعرف من الماء فى سقاتها وهو يفور بعد ما تعرف قال ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسمعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تعرف من الماء لكنت زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال الملك لا تخافوا والضبعة فان ههنا بيت الله بينه هذا الغلام وأبوه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الارض كالراية يأتية السيل فيأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بمرفقة من برهم أو أهل بيت من برهم مقبلين من طريق كذا فنزلوا فى أسفل مكة فنظروا طائرا فقالوا ان هذا الطائر يريد على الماء

لعهد ناهيها الوادي وما فيه ماء فأرسلوا جريا أو برين فاداهم بالماء فرجعوا فأخبروهم فأقبوا  
 وأم اسمعيل عند الماء فقالوا أتأذن لنا أن ننزل عندك فقاتلهم واكن لاحق لكم في الماء  
 قالوا نعم قال ابن عباس قالت ذلك أم اسمعيل وهي تحب الانس فنزلوا وأرسلوا الى أهلهم  
 فنزلوا معهم حتى اذا كان بهم أهل أبيات منهم فشب الغلام وتعلم العربية منهم والفهم وأجبههم  
 حتى شب فلما أدركه زوجه امرأة منهم وماتت أم اسمعيل فجاء ابراهيم بعدما تزوج اسمعيل  
 وتقدم تمام هذه القصة في سورة البقرة ثم قال (رب ليقيم الصلاة) الام لام كي متعلقة  
 بأسكنت أي ما أسكنتهم بهذا الوادي المقفر الذي لا شيء فيه الا إقامة الصلاة عند بيتك المحترم  
 ويعمره بذكرك وعبادتك وماتعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبيعة التي شرفتها  
 على البقاع مستعبدين بجوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به  
 والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي آثرت به اسكان حرمك وتكرير النداء وتوسطه  
 للشعار بأنهما المقصود بالذات من اسكانهم هناك والمقصود من الدعاء توفيقهم لها (فاجعل  
 أفئدة) أي قلوبا محترقة بالاشواق (من الناس) ومن للتبعيض والمعنى واجعل أفئدة بعض  
 الناس (تهوى) أي تيل (اليهم) ويدل عليه ما روى عن مجاهد لو قال أفئدة الناس لرحمتكم  
 عليه فارس والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير لو قال أفئدة الناس لرحمت اليهود  
 والنصارى والمجوس ولكنه قال أفئدة من الناس فهم المسلمون وقال ابن عباس لو قال أفئدة  
 الناس لرحمت اليه فارس والروم والناس كلامهم \* ولما دعاهم بالدين دعاهم بالرزق فقال  
 (وارزقهم من الثمرات) ولم يقل وارزقهم الثمرات وذلك يدل على أن المطلوب بالدعاء ايصال  
 بعض الثمرات اليهم ويحتمل أن يكون المراد ايصال بعض الثمرات اليهم ايصالها اليهم على سبيل  
 البصارات كما قال تعالى تجبي اليه ثمرات كل شيء حتى توجد فيه الفواكه الصيفية والربيعية  
 والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بحجب وأن يكون المراد عمارة القرى بالقرب منها  
 لتحصل تلك الثمار وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما أنه قال كانت الطائف من أرض  
 فلسطين فلما قال ابراهيم ذلك رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم (لعلهم يشكرون)  
 يدل على أن المقصود للعاقلة من منافع الدنيا أن يتفرغ لاداء العبادات وإقامة الطاعات فان  
 ابراهيم عليه السلام بين أنه انما طلب تيسير المنافع على أولاده لاجل أن يتفرغوا لإقامة  
 الطاعات واداء الواجبات \* ولما طلب عليه السلام من الله تعالى تيسير المنافع لأولاده  
 وتسهيلها عليهم \* ذكرانه لا يعلم عواقب الاحوال ونهاية الامور في المستقبل فانه تعالى هو  
 العالم بها والمحيط بأسرارها فقال (ربنا انك تعلم ما نخفي) أي نسر (وما نعلن) وهذا هو المطلوب  
 الرابع والمعنى أنك أعلم بأحوالنا ومفاسدنا منا قبل ما نخفي من الوجود بسبب  
 حصول الفرقة بيني وبين اسمعيل وما نعلن من البكاء وقيل ما نخفي من الحزن المتكبر في القلب  
 وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلمنا قال الى الله  
 أكلكم قالت آله أمر لكم هذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا واختلف في قوله تعالى (وما يخفي على

الله من شئ في الارض ولا في السماء) مقبل من تمة قول ابراهيم عليه السلام يعني وما يخفى على  
الله الذي هو عالم الغيب من شئ في أي مكان والاكثرون على انه قول الله تعالى تصديقا  
لابراهيم فيما قال كقوله تعالى وكذلك ينزلون ولغظة من تفيد الاستغراق كأنه قيل وما يخفى  
عليه شئ **تأ** ولما تم ابراهيم عليه السلام ما دعا به أتبعه الحمد على ما رزقه من النعم بقوله تعالى  
(الحمد لله) أي المستجمع لصفات الكمال (الذي وهب لي) أي أعطاني (على الكبر) أي وهب لي  
وأنا كبر آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استغنا ما للنعمة وانظها رالمافيه من المعجزة  
(اسماعيل واسحق) ومقدار ذلك السن غيره معلوم من القرآن وانما يرجع فيه الى الروايات فقال  
ابن عباس ولدا اسمعيل لابراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولده اسحق وهو ابن مائة واثنى  
عشرة سنة (فان قيل) ان ابراهيم عليه السلام انما ذكر هذا الدعاء عندما سكن اسمعيل وامه  
في ذلك الوادي وفي ذلك الوقت ما ولدا حتى كيف يمكنه أن يقول ذلك (أجيب) بأن هذا  
يقضي أن ابراهيم انما ذكر هذا الكلام في زمن آخر لا عقب ما تقدم من الدعاء قال الرازي  
ويمكن أيضا أن يقال انه عليه السلام انما ذكر هذا الدعاء بعد كبر اسمعيل وظهور اسحق وان  
كان ظاهر الروايات بخلافه انتهى \* (تنبيه) \* قوله على الكبر يعني مع كقوله  
اني على ما ترين من كبري \* أعلم من حيث يؤكل الكتف

وهو في موضع الحال \* ولما ذكر الدعاء على سبيل الرمز والتعريض لاعلى وجه الافصاح  
والتصريح قال (ان ربي) أي المحسن اليّ (أسمع الدعاء) أي الجيبه (فان قيل) الله تعالى  
يسمع كل دعاء أجابه أو لم يجبه (أجيب) بأن هذا من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتدبه وقبله  
ومنه سمع الله لمن حده المطلوب الخامس قوله (رب اجعلني مقيم الصلاة) أي معذلا لها  
وواظبا عليها \* (تنبيه) \* في الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى لان قوله تعالى  
حكاية عن ابراهيم عليه السلام واجتنبني وبنيتي أن نعبد الا صنما يدل على ان ترك المنهيات  
لا يحصل الامن الله تعالى وقوله رب اجعلني مقيم الصلاة يدل على ان فعل المأمورات لا يحصل  
الامن الله تعالى وذلك تصريح بأن ابراهيم عليه السلام كان مصرعا على أن الكل من الله تعالى  
وقوله تعالى (ومن ذريتي) عطف على المنصوب في اجعلني أي واجعل بعض ذريتي كذلك لان  
كلمة من في قوله ومن ذريتي للتبويض وأما ذكر هذا التبويض فلأنه علم باعلام الله تعالى انه  
يكون في ذريته جمع من الكفار وذلك قوله تعالى لا ينال عهدى الظالمين المطلوب السادس  
أنه عليه السلام لم يدع الله تعالى في المطالب المذكور دعاء الله تعالى في أن يقبل دعاءه فقال  
(وبنا وتقبل دعاء) قال ابن عباس يريد عبادتي بدليل قوله تعالى وأعتزلكم وماتدعون من  
دون الله وقيل دعائي المذكور المطلوب السابع قوله (ربنا) أي أيها المالك لامورنا المدبر لنا  
(اغفر لي) \* فان قيل ان طلب المغفرة انما يكون بعد سابقة ذنب (أجيب) بأن المقصود من  
ذلك الالتجاء الى الله تعالى وقطع الطامع الامن فضله وكرمه ورحمته ثم أشركه مع أقرب الناس  
اليه وأحقهم بشكره فقال (ولو اذيتي) \* فان قيل كيف جاز أن يستغفر لو اذيتي وكلنا

كافرين (أجيب) بوجوه الاقل ان المنع منه لا يعلم الا بتوقيف فعله لم يجد منه منعاً وظن  
 كونه جائزاً الثاني أراد بوالديه آدم وحواء الثالث كان ذلك بشرط الاسلام وقال  
 بعضهم كانت أمته مؤمنة ولذلك خص أباه بالذكور في قوله فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه \* ثم دعا  
 لمن تبعه في الدين من ذريته وغيرهم بقوله (وللمؤمنين) أي العريقين في هذا الوصف (يوم  
 يقوم) أي يبدو ويظهر (الحساب) وقيل أراد يوم يقوم الناس فيه للحساب فاكثرت بذكر  
 الحساب لكونه مفهوماً عند السامع وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله تعالى لا يرد دعاء خديده  
 ابراهيم عليه السلام وفيه بشارة عظيمة للمؤمنين بالمغفرة فنسأل الله تعالى أن يغفر لنا ولوالدينا  
 ولشايخنا ولا حبا بنا ولن تطرف في هذا التفسير ودعا لمن كان سبباً فيه بالمغفرة \* ولما بين تعالى  
 دلائل التوحيد ثم حكى عن ابراهيم عليه السلام انه طلب من الله تعالى أن يصونه عن الشرك  
 وطلب منه أن يوفقه للأعمال الصالحة وان يخصه بالرحمة والمغفرة في يوم القيامة عقبه بقوله  
 تعالى مخاطبةً لنبيه صلى الله عليه وسلم (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون) لان الغفلة  
 معنى يمنع الانسان عن الوقوف على حقائق الامور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعتري الانسان  
 من قلة التحفظ والتيقظ وهذا في حق الله تعالى بحال والمقصود من ذلك التنبيه على انه ينتقم  
 للمظلوم من الظالم قضيه وعيده وتمديد للظالم واعلام له بأنه لا يعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم  
 ولا يتركه مغفلاً عنه وعن سفيان بن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتمديد للظالم فقيل له من قال  
 هذا فغضب وقال انما قاله من علمه (فان قيل) كيف يليق به صلى الله عليه وسلم أن يحسب الله  
 موصوفاً بالغفلة وهو أعلم الناس به (أجيب) بوجوه الاقل أن المراد به التثبت على ما كان  
 عليه من انه لا يحسب الله غافلاً كقوله لا تدع مع الله الها آخر والثاني ان المقصود منه بيان  
 انه لو لم ينتقم لكان عدم الانتقام لاجل غفله عن ذلك الظلم والثالث أن المراد ولا تحسبنه  
 معاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على التقدير والقطمير  
 والرابع أن يكون هذا الكلام وان كان خطاباً مع النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر الا أنه  
 يكون في الحقيقة خطاباً مع الامة \* ثم بين تعالى انه (انما يؤخرهم) أي عذابهم (ليوم) موصوف  
 بخمس صفات الصفة الاولى قوله تعالى (تخشع فيه الابصار) أي ابصارهم لا تنقره مكانها  
 من هول ما ترى في ذلك اليوم الصفة الثانية قوله تعالى (مهطعين) أي مسرعين الى الداعي  
 أو مقبلين بأبصارهم لا يطرئون هيبة وخوفاً وقيل المهطع الخاضع الذليل الساكن الصفة  
 الثالثة قوله تعالى (مقنعي رؤسهم) أي رافعيها اذا اقتاع رفع الرأس الى فوق فأهل الموقف  
 من صفتهم أنهم رافع رؤسهم الى السماء وهذا بخلاف المعتاد لان من يتوقع البلاء يطرئ  
 بصره الى الارض وقال الحسن وجوه الناس يوم القيامة الى السماء لا ينظر أحد الى أحد  
 الصفة الرابعة قوله تعالى (لا يرتد اليهم طرفهم) أي بل تثبت عيونهم شاحصة لا يترفون  
 بعيونهم ولا يمكن عيونهم مفتوحة مدودة من غير تحريك للاجفان قد شغلهم ما بين أيديهم  
 الصفة الخامسة قوله تعالى (واقنتهم) أي قلوبهم (هواهم) أي خالية من العقل لفرط الخيرة

والدهشة وقال قتادة خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت في حناجرهم فلا تخرج من أفواههم ولا تعود إلى أماناتها (تنبيه) \* اختلفوا في وقت حصول هذه الصفات فقيل أنها عند المحاسبة بدليل أنه تعالى انما ذكر هذه الصفات عقب وصف ذلك بأنه يوم يقوم الحساب وقيل انها تحصل عندما تميز فريق عن فريق فالسعداء يذهبون إلى الجنة والاشقياء إلى النار وقيل يحصل عند اجابة الداعي والقيام من القبور قال الرازي والاول اولى (وانذر الناس) يا محمد أي خوفهم يوم القيامة وهو قوله تعالى (يوم يأتيهم العذاب) أي الذي تقدم ذكره وهو شحوس ابصارهم وكونهم مطعون من رؤسهم (فيقول الذين ظلوا) أي كفروا (ربنا اخرجنا) أي بأن تردنا إلى الدنيا (إلى أجل قريب) إلى أمد واحد من الزمان قريب (فجذب دعوتك) أي بالتوجه وتداولك ما فترطنا فيه (وتتبع الرسل) فيما يدعوننا إليه فيقال لهم (توبوا) أو لم تكونوا أقسمتم أي حلفتم (من قبل) في الدنيا (مالكم) وأكذبتني بقوله (من زوال) أي مالكم عنها اتقال ولا بعث ولا نشور كما قال في آية أخرى وأقسموا بالله جهداً بما لهم لا يبعث الله من يموت وكنوا يقولون لا زوال لنا من هذه الحياة إلى حياة أخرى ومن هذه الدار إلى دار المجازاة لأنهم كانوا يشكرون أن يزولوا عن حياة إلى موت أو عن شباب إلى هرم أو عن غنى إلى فقر ثم انه تعالى زادهم توبوا أيضاً بقوله تعالى (وسكنتم) في الدنيا (في مساكن الذين ظلوا أنفسهم) بالكفر من الامم السابقة (وتبين لكم كيف فعلناهم) أي وظهور لكم بما شاهدون في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من أخبارهم (وضربنا) أي وبيننا (لكم الامثال) في القرآن أن عاقبتهم عادت إلى الويال والحزى والنكال مما يعلم به انه قادر على الاعادة كما قدر على الابتداء وقادر على التعذيب المؤجل كما يفعل الهلاك المجل وذلك في كتاب الله تعالى كثير \* ولما ذكر تعالى صفة عقابهم أتبعه بذكر كيفية مكرهم بقوله تعالى (وقدم مكرهم) أي الشديد العظيم الذي استقر غوافيه جهدهم واختلاف في عود الضمير في مكره على وجوه الاقل أن يعود إلى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلوا أنفسهم لان الضمير يعود إلى أقرب مذكور والثاني إلى قوم محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى وانذر أي يا محمد الناس وقدم مكرهم وذلك المكر هو الذي ذكر الله تعالى في قوله واذم مكر بك الذين كفروا لئلا يقتلوا أو يقتلوا أو يخرجوك (وعند الله مكرهم) أي ومكتوب عند الله فعلهم فهو مجازيهم عليه بمكره هو أعظم منه وقيل ان مكرهم لا يزال أمر محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ثابت ككثيوت الجبال وقد حكى عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه في الآية قول آخر وهو أنها نزلت في عمرو الجبار الذي حاج ابراهيم في ربه فقال عمرو ان كان ما يقوله ابراهيم حقا فلا أتهدى حتى أصعد إلى السماء فأعلم ما فيها ثم أمر عمرو صاحبه فاقخذ لنفسه تابوتاً وجعل له باباً من أعلاه وباباً من أسفله وربط قوائم الاربع بأربعة نسور وكان قد جوعها ورفع فوق الجوانب الاربع من التابوت عصياً أربعة وعلق على كل واحدة منها قطعة لحم ثم انه جلس مع صاحبه في ذناب التابوت فلما أبصرت النسور تلك اللحوم تصاعدت في جوع

الهواء فطارت يوما حتى أبعدت في الهوا فقال عمرو ذل صاحبها افتح الباب الاسفل وانظر الى  
 الارض كيف تراها ففعل فقال أرى الارض مثل اللجة والجبال مثل الدخان قال فطارت  
 الفور يوما آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال عمرو ذل صاحبها افتح الباب  
 الاعلى ففتح فاذا السماء هبتت وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة وفودى ايها  
 الطائي أين تريد قال عكرمة كان معه في التابوت غلام قد حمل القوس والنباب فرمى بهم  
 فعاد اليه سهم ملطخا بالدم بدم سمكة قذفت نفسها من جحر في الهواء وقيل طائر أصابه السهم  
 فقال كفت له السماء فنكس تلك العصي التي هلق عليها اللعوم فتفطت النور وهبطت الى  
 الارض فسمعت الجبال خفيف التابوت والنور وفزعته وطلت ان قد حدث في السماء حدث  
 وأن القيامة قد قامت فكادت تزول عن أما كتبنا ذلك قوله تعالى (وان كان مكرها من) أي من  
 القوة والغضامة (لتزول منه الجبال) قال الرازي ولا حاجة في تأويل الآية الى هذا فانه لم يجز  
 فيه خبر صحيح معتمد انتهى والمراد بالجبال هنا قبل حقيقة تاويل شرائع الاسلام المشبهة بها في  
 القزار والنبات وقرأ الكافي بفتح اللام الاول ورفع الاخير والباقيون بكسر الاولى وفتح  
 الثانية والتقدير على القراءة الاولى وان كان بحيث انه تزول منه الجبال وقيل ان نافية واللام  
 لتأكيد النفي (فلا تحسبن الله) الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد منه أمته (مختلف وعده  
 رسله) من النصر واعلاء الكلمة وانهار الدين كما قال تعالى انال نصر رسلا وقال تعالى كتب  
 الله لاغلبن أناورسلي (فان قيل) هلا قال مختلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على  
 الاول (أجيب) بأنه تعالى قدم ذلك ليعلم أنه لا يختلف الوعد أصلا قوله تعالى ان الله  
 لا يختلف المواعد ثم قال رسله ليدل به على انه تعالى لم يخلف وعده أحدا وليس من شأنه  
 اختلاف المواعد فكيف يخلف رسله الذين هم خيرته وصفوته (ان الله) أي ذواجللال  
 والاكرام (عزيز) أي غالب يقدر ولا يقدر عليه (ذواتنام) أي عن عصاه وقوله تعالى  
 (يوم تبدل الارض غير الارض) يدل من يوم يأتيهم أو ظرف للاتقام والمعنى يوم تبدل هذه  
 الارض التي تعرفونها أرضا أخرى غير هذه المعروفة وقوله تعالى (والسماوات) عطف على  
 الارض وتقسيمه والسماوات غير السماوات والتبديل التغيير وقد يكون في الذات كقولك  
 بدلت الدراهم دنائير ومنه بدلناهم بلودا غيرها وبدلناهم بجناتهم جنتين وفي الاوصاف كقولك  
 بدلت الحلقة خاتما اذا أذبتها وسويتها خاتما فلتا من شكل الى شكل آخر ومنه قوله تعالى  
 فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية محتملة لكل واحد من هذين المفهومين فعن ابن  
 عباس رضي الله تعالى عنهما هي تلك الارض وانما تغير اوصافها وانشد

وما الناس بالناس الذين عهدتهم \* ولا الدار بالدار التي كنت تعلم

فتبدل اوصافها فتسير عن الارض ببها وتغير بيارها وتستوى فلا ترى فيها عوجا  
 ولا أمنا وتبدل السماء بالتشاكوا كها وكسوف شمها وخسوف قرها وانشقاقها وكونها  
 أبوابا وبدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض يضاء عذراء

كقرصة النقاة ليس فيها علم لاحد أخرجاه في الصحاح العفراء بعين المهملة وهي البيضاء  
 الى حمرة ولها ذائبها بقرصة النقاة وهو الجير الأبيض الجيد الفائق المائل الى الحمرة كان لثار  
 ميلت ياض وجهه الى الحمرة وقوله ليس فيها علم لاحد يعني ليس فيها علامة لاحد لتبديل هبقتها  
 رخصتها وزوال جمالها وجميع بناتها فلا يبقى فيها أثر يستدل به وعن ابن مسعود انه قال تبدل  
 الارض بأرض كالفضة البيضاء نقيتها لم يفتك فيها دم ولم تعمل عليها خطيئة وقال علي بن أبي  
 طالب أكرم الله وجهه الارض من فضة والسم من ذهب وقال محمد بن كعب وسعيد بن جبير  
 تبدل الارض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه وعن الضعفاء أيضا من فضة كالحصائف  
 وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية  
 فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله فقال على الصراط أخرجهم مسلم وروى ثوبان أن حبرا  
 من اليمن وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين تكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض  
 قال هم في الظلمة دون الجسر قال الرازي واعلم أنه لا يعد أن يقال المراد من تبديل الارض  
 والسموات هو انه تعالى يجعل الارض جهنم والسموات الجنة والدليل عليه قوله تعالى ولا  
ان كتاب الابرار اني عليين وقوله تعالى كلا ان كتاب الفجار اني سجين (وبرزوا) أي خرجوا من  
 قبورهم (الله) أي لحكمه والوقوف بين يديه تعالى للعقاب (الواحد) أي الذي لا شريك له  
(القهار) أي الذي لا يدفعه شيء عن مراده كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار \* ولما  
 وصف نفسه سبحانه وتعالى بكونه قهارا بين عجزهم وذلتهم بقوله تعالى (وترى) يا محمد أي تبصر  
(الجرمين) أي الكافرين (يؤذنبذ) أي يوم القيامة ثم ذكر تعالى من صفات عجزهم وذلتهم أموراً  
 الصفة الاولى قوله تعالى (مذرتين) أي شدودين (في الاصفاد) جمع صفد وهو القيد قال  
 الكلبي كل كافر مع شيطان في غل وقال عطاء هو معنى قوله تعالى واذا النفوس زوجت  
 أي قرنت فتقرن نفوس المؤمنين بنفوس الحور العين ونفوس الكافرين بقرنائهم من الشياطين  
 وقيل هو قرن بعض الكفار ببعض فتضم تلك النفوس الشقية والارواح الكدرة الطمائية  
 بعضها الى بعض لتكونها متشاكلة متجانسة وتنادى ظلمة كل واحدة منها الى الاخرى وقال ابن  
 زيد قرنت أي بهم وأرجاهم الى رجايم بالاغلال الصفة الثانية قوله تعالى (سرايلهم)  
 أي قصهم جمع سرايل وهو التميمي (من قطران) وهو نقي يتحالب من شجر يسمى الابل فيطبخ  
 وتطلى به الابل الجربي فيحرق الجرب بحرارته وحده وقد تصل حرارته الى داخل الجوف  
 ومن شأنه أنه يتسارع فيه اشتعال النار وهو أسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود أهل النار  
 حتى يصير ذلك الطلاء كالسرايل فيصل بيها أربعة أنواع من العذاب لذع القطران  
 وسرقتة وأسراع النار في جلودهم والنون الوحش رقيق الريح وأيضا التفاوت بين قطران  
 القيامة وقطران الدنيا كالتفاوت بين البارين الصفة الثالثة قوله تعالى (وتفتنى) أي تعلو  
(وجوههم النار) وتظيره قوله تعالى أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب وقوله تعالى يوم يحسبون  
في النار على وجوههم \* ولما كان موضع العلم والجهل هو القلب وموضع الكفر والوهم هو

الرأس وأثر هذه الاحوال يظهر في الوجه فلماذا خص الله تعالى هذين العضوين بظهور آثار العقاب فيها فقال في القلب نار الله الموقدة التي تطلع على الانفذة وقال في الوجه وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى (ليجزى الله) متعلق ببرزوا (كل نفس ما كسبت) أى من خير أو شر وهذا أولى من قول الواحدى المراد منه أنفس الكفار لان ما سبق ذكره لا يليق أن يكون جزاء لاهل الايمان \* ولما كان حساب كل نفس جديرا بأن يستعظم قال (ان الله سريع الحساب) أى لا يشغله حساب نفس عن حساب أخرى ولا شأن عن شأن وقوله تعالى (هـ-ذا) اشارة الى القرآن الذى يخرج الناس من الظلمات الى النور ينزل منزلة الحاضر وقيل الى السورة (بلاغ) أى كان غاية الكفاية فى الايصال (لناس) والموعظة لهم وقوله تعالى (واينذروا) أى وليخوفوا (به) عطف على محذوف ذلك المحذوف متعلق ببلاغ تفرده أى لينصحووا وابتذروا وقيل الواو مزيدة وابتذروا متعلق ببلاغ (وليعلموا) أى بما فيه من الحجج على وحدانية الله تعالى (أنما هو) أى الله (الواحد) فيستدلوا بذلك على أن الله واحد لا شريك له (وليدكر) بادغام التاء فى الاصل فى الذال أى يتعظ (أولوا الالباب) أى أصحاب العقول الصافية من الاكدار والافهام الصحيحة فانه موعظة لمن اتعظ \* (تنبيه) \* ذكر سبحانه وتعالى هذا البلاغ ثلاث فوائد مستفادة من قوله تعالى وابتذروا به وتالييه والحكمة فى انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التى منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية التى هى التدرع بلباس التقوى جعلنا الله تعالى من الفائزين بها بحمد وآله وفعل ذلك بوالدينا وأحبائنا ومارواه البيضاءوى تبعالزنجشمري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة ابراهيم أعطى من الاجر عشر حسنة بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد حديث موضوع قال العلامة ابن جماعة فى شرح منظومة ابن فرج التى أولها غرامى صحيح فرغ من غرائب الجوينى يكفر وواضع الحديث أى والمنشور عدم تكفيره

### ﴿سورة البرمكية﴾

وهي تسع وتسعون آية وستمانه وأربع وخمسون كلمة وعدد حروفها  
ألفان وسبعمانه وستون حرفا

(بسم الله) الملك الواحد القهار (الرحمن) الذى أسبغ نعمه على سائر بريته فمجزت عن وصفه الافكار (الرحيم) الذى خص أهل ولايته بنجاتهم من النار وقوله تعالى (الر) ذكر فيه القبح والامالة أول يونس وقيل له معناه انا الله أرى وقد مننا الكلام على أوائل السور فى أول سورة البقرة وقوله تعالى (تلك) اشارة الى آيات هذه السورة أى هذه الآيات (آيات الكتاب) أى القرآن والاضافة بمعنى من وقوله تعالى (وقرآن مبين) أى مظهر للحق من الباطل عطف بزيادة صفة وقيل المراد بالكتاب هو السورة وكذا القرآن وقيل المراد بالكتاب التوراة والانجيل وبالقرآن هذا الكتاب ثم بين سبحانه وتعالى حال الكفار يوم القيامة بقوله تعالى (ربما يؤذ)



أى تمتنى (الذين ~~ص~~صقروا) اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين في ذلك اليوم (لو كانوا مسلمين)  
 وقيل حين يعاينوا حال المسلمين عند نزول التصريح وحلول الموت ودرب للتركيب فانه يكثرونهم حتى  
 ذلك وقيل للتقليل فان الاحوال تدهشهم فلا يفقهون حتى يتموا ذلك الا في احيان قليلة  
 فان قيل لم دخلت رب على المضارع وقد اورد دخولها الاعلى الماضي (أجيب) بأن المتقرب  
 في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحقيقه فكأنه قيل رب بما ورد وقرأ عاصم ونافع  
 بضمه ياء ربما والباقون بالتشديد قال أبو حاتم أهل الجحيم يخففون ربما وقيل ~~رب~~ رب  
 يشقونها ولما تمادوا في طغيانهم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (ذرهم) أى دعهم  
 عن النهى عما هم عليه والصدع عنه بالذكرة والتصيحة وخلصهم (يا كوا وجمعوا) بدنيهم  
 وتنفيذ شهواتهم والتمتع التلذذ وهو طلب اللذة حال البعد حال كالتقرب في أنه طلب التقرب  
 حال البعد حال (ويلهم الامل) أى ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن  
 أخذ حظهم من السعادة وعن الاستعداد للمعاد وقرأ أبو عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم  
 وحزة والكسائي برفع الهاء والميم والباقون بكسر الهاء ورفع الميم وأما الوقف فالجميع  
 بكسر الهاء والكلام على الهاء الثانية وأما الهاء الاولى فكسورة للجمع وقفا ووصلا \* ولما  
 كان هذا أمر الايش تغلب به الاصحق تسبب عنه التمهيد بقوله تعالى (فسوف يعلمون) أى  
 ما يحصل بهم بعد ما فهمنا لهم في زمن التمتع من سوء صنيعهم وهو مذا قبل الامر بالقتال  
 \* (تنبيه) \* في الآية دليل على أن ايثارا التلذذ والتنعم في الدنيا يؤدى الى طول الامل وليس  
 ذلك من أخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمتع في الدنيا من أخذ لاق الهالكين والاخبار في ذم  
 الامل كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم يرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الحرص على المال  
 والحرص على العمر وعن علي رضي الله تعالى عنه انما أخشى عليكم اثنتين طول الامل واتباع  
 الهوى فان طول الامل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق \* ولما هددهم تعالى  
 بآية التمتع والهاء الامل أتبعه بما يؤكده الزجر بقوله تعالى (وما أهلكتكم من قرية) أى  
 من القرى والمراد أهلها ومن مزيدة (الاولها كتاب معلوم) أى أجل مضروب محمدود  
 مكتوب في اللوح المحفوظ لاهلاكها \* (تنبيه) \* المستثنى جلة واقعة صفة لقرية والاصل  
 أن لا تدخلها الواو وكقوله تعالى الالهة منذرون وانما توسطت لتأكد لصوق الصفة بالموصوف  
 كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب \* (فائدة) \* رسم كتاب هنا باثبات  
 الالف \* ثم بين تعالى الآية السابقة بقوله تعالى (ما نسبق) وأكد الاستغراق بقوله تعالى (من  
 أمة) وقيل من مزيدة كقولك ما جاءني من أحد أى أحد وبين ان المراد بالكتاب الاجل بقوله  
 تعالى (أجلها) أى الذي قدرناه لها (وما يستأخرون) أى عنه \* (تنبيه) \* انت الامة اولام  
 ذكرها آخر اجلا على اللفظ في الاقول وعلى المعنى في الثاني قال البقاعي وانما ذكره لثلاث  
 بمصرفه الى خطابه صلى الله عليه وسلم تعنا وفي الآية دليل على أن كل من مات أو قتل فانما  
 مات بأجله ولما قال بجواز أن يموت قبل أجله مخطنى \* ولما بالغ تعالى في تهديد الكفار ذكرا

شبههم في انكار نبوته صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر) أي  
 القرآن في زعمه (أنك لمجنون) انما تسبوه الى الجنون اما لانهم كانوا يستبعدون كونه رسولا  
 حقا من عند الله لان الرجل اذا جمع كلاما مستبعدا من غيره فربما قال به جنون واما لانه عليه  
 الصلاة والسلام كان يظهر عليه عند نزول الوحي حالة شبيهة بالغشي فظنوا أنها جنون ويدل  
 عليه قوله تعالى أولم يتفكروا ما يصاحبهم من جنة ثم أتبعوه ما زعموا أنه دليل على قولهم  
 فقالوا (لوما) أي حلا (تأتينا باللائكة) أي يشهدون لك بأنك رسول من عند الله حقا (ان  
 كنتم من الصادقين) في ادعائك للرسالة وان هذا القرآن من عند الله ولما كان في قولهم  
 أمران أجاب الله تعالى عن قولهم الثاني لانه أقرب بقوله تعالى (ما نزل الملائكة الا بالحق)  
 أي الا تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في أن تأتيكم بهم عيانا تشهدونهم ويشهدون  
 لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ صدقون عن اضطراب ومرضه قوله تعالى  
 وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي أو العذاب وقرأ أشعبة بضم  
 التاء مع فتح الزاي ورفع الملائكة وحفص وحجرة والكسائي بنونين الاولى مضمومة والثانية  
 مفتوحة وكسر الزاي ونصب الملائكة والباقون بالتاء مفتوحة مع فتح الزاي ورفع الملائكة  
 وشدت التاء البري في الوصل وأما الزاي فهي مشددة للجميع من يفتح ومن يكسر (وما كانوا)  
 أي الكفار (اذا) أي اذا تأتيهم الملائكة (منظرين) أي لزوال الامهال عنهم فيعذبوا في الحال  
 ان لم يؤمنوا ويصدقوا وكان حينئذ يفتوت ما قضينا به من تأخيرهم واخراج من أوردنا ايمانه من  
 اصلاهم ثم أجاب تعالى عن الاول بقوله تعالى مؤكدا للتكذيبهم (انما نحن) بما نامن العظمة  
 والقدرة (نزلنا) أي بالتدريج على لسان جبريل عليه السلام (الذكر) أي القرآن (واناله  
 لحافظون) أي من التبديل والتحريف والزيادة والنقصان ونظيره قوله تعالى ولو كان من  
 عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء كلها لا يقدر  
 أحد من جميع الخلق من الجن والانس أن يزيد فيه أو ينقص منه كلمة واحدة أو حرفا واحدا  
 وهذا مختص بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فانه قد دخل على بعضها التحريف  
 والتبديل والزيادة والنقصان (فان قيل) فلم اشغلت الصحابة بجمع القرآن في المحصف وقد  
 وعد الله تعالى بحفظه وما حفظه الله تعالى فلا خوف عليه (أجيب) بأن جمعهم القرآن في  
 المحصف كان من أسباب حفظ الله تعالى اياه فانه تعالى لما أراد حفظه قبضهم لذلك قال أصحابنا  
 وفي هذه الآية دلالة قوية على كون البسملة آية من أول كل سورة لان الله تعالى قد وعد حفظ  
 القرآن والحفظ لا معنى له الا أن يبقى مصونا من الزيادة والنقصان فلو لم تكن البسملة آية من  
 القرآن لما كان مصونا عن التغيير ولما كان محفوظا عن الزيادة ولو جاز أن يظن بالصحابة أنهم  
 زادوا جازا أيضا أن يظن بهم النقصان وذلك يوجب خروج القرآن عن كونه حجة وقيل الضمير  
 في له راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وانما محمد لحافظون عن أراد به سواء فهو كقوله  
 تعالى والله يعصمك من الناس ولما أساء الكفار عليه صلى الله عليه وسلم في الاول وخاطبوه

بالسفاهة وقالوا انك لجنون وكان عادة هؤلاء الجهال مع جميع الانبياء قال سبحانه وتعالى  
 تسليته على وجه راد عليهم (ولقد ارسلنا من قبلك) أي رسلا تحذف ذكر الرسل لدلالة الارسل  
 عليه وقوله تعالى (في شيع) أي فرق (الاولين) من باب اضافة الصفة الى الموصوف كقوله تعالى  
 حق اليقين نحو اشيع المتابعة بعضهم بعضا في الاحوال التي يجتمعون عليها في الزمن الواحد  
 والشيع جمع شيعه وهي الفرقة المجتمعة المتفقة كلمتهم على مذهب وطريقة وقال الفراء  
 الشيعة هم الاتباع وشيعة الرجل اتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم -م الانسان (وما يأتهم)  
 عبر بالمضارع على حكاية الحال الماضية فان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال  
 ولا على ماض الا وهو قريب من الحال والاصل وما كان يأتهم (من رسول) أي على أي وجه  
 كان (الا كانوا به) جبهه وطبعها (يتهمون) كاستهزاء قومك بك فاصبر واقام صبرا كما صبروا (كذلك)  
 أي مثل ادخالنا التكذيب في قلوب هؤلاء المستهزئين بالرسول (فلسكه) أي ندخله (في قلوب  
 الجرمين) أي كفار مكة المستهزئين (لا يؤمنون به) أي بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل  
 بالقرآن وفي الآية دليل على أن الله تعالى يخلق الباطل في قلوب الكفار والسلك ادخال الشيء  
 في الشيء كالخيط في الخيط والرمح في المطعون ومنه قوله تعالى ما سلككم في سقر وقيل  
 الضمير في نسلككم يعود للذكر كما ان الضمير في به يعود اليه وجملة لا يؤمنون به حال من ذلك  
 الضمير والمعنى على هذا مثل ذلك السلك نلك الذي كره في قلوب الجرمين مكذبا به غير مؤمن به قال  
 البيضاوي وهذا الاستدلال ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع اليه  
 اه وما أعدت الضمير عليه في ذلك هو ما قاله ابن الخازن وجرى عليه الجلال السيوطي وقوله  
 تعالى (وقد دخلت سنة الاولين) أي سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم انبياءهم وعيد شديد  
 لكفار مكة بأنه ينزل بهم مثل ما نزل بالام الماضية المكذبة وقال الزجاج قدمت سنة الله  
 في أن يسلك الكفر والضلال في قلوبهم قال الرازي وهذا اليبق يظهر اللفظ وقرأ أبو عمرو ووجزة  
 والكسائي بادغام تاء التانيث في السين والباقون بالاظهار وقوله تعالى (ولو قصصنا عليهم بايامن  
 السماء) الآية هو المراد في سورة الانعام في قوله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس الآية  
 أي الذين يقولون لو ما تأتينا باللائكة فلو أنزلنا الملائكة (فظلوا فيه) أي فظلت الملائكة  
 (يعرجون) أي يصعدون في الباب وهم يرونها عناينا (لقالوا) أي من عتوههم في الكفر (انما  
 صكرت ابصارنا) أي سدت عن الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير  
 بالتخفيف أو حيرت من السكر ويدل عليه قراءة الباقيين بالتشديد (بل نحن قوم مسحورون)  
 أي قد سحرنا محمد بذلك أي كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات كأنشق القمر وما جاء به  
 النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن المعجز الذي لا يستطيع الجن والانس أن يأتوا بمثله وقيل  
 الضمير في يعرجون للمشركين أي فظل المشركون يصعدون في ذلك الباب فينظرون في  
 ملكوت السموات وما فيها من العجائب لما آمنوا العنادهم وكفرهم وقالوا انما سحرنا وقرأ  
 الكسائي بادغام لام بل في النون والباقون بالاظهاره ولما أجاز الله تعالى عن شبهة منكري

النبوة والقول بالنبوة مفرغ على القول بالتوحيد ودلائل التوحيد منها ما هو ومنها أرضية  
بدأ منها يذكر الدلائل السماوية فقال مفتعها بحرف التوقيع (ولقد جعلنا) بما لنا من العظمة  
والقدرة الباهرة (في السماء بروجاً) قال اليبس البروج واحد هاجر من بروج الفلك والبروج  
هي النجوم الكبار مأخوذة من الظهور يقال تبرجت المرأة إذا ظهرت وأراد بها المنازل التي  
تنزلها الشمس والقمر والكواكب السيارة وهي اثنا عشر برجاً الحمل والثور والجوزاء  
والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو  
والحوت وهي منازل الكواكب السبعة السيارة المريح وله الحمل والعقرب والزهرة  
ولها النور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس  
ولها الاسد والمشتري وله القوس والحوت وزحل وله الجدي والدلو وهذه البروج  
مقسومة على ثلثمائة وستين درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس في كل سنة  
مرة وبها تتم دورة الفلك ويقطعها القمر في ثمانية وعشرين يوماً قال ابن عباس في هذه الآية  
يريد بروج الشمس والقمر يعني منازلها وقال عطية هي قصور في السماء عليها الحرس وقال  
مجاهد هي النجوم العظام قال أبو اسحق يريد بنجوم هذه البروج وقرأ نافع وابن كثير وابن  
ذكوان وعاصم بإظهار دال قد عند الجيم والباقون بالأدغام (وزيناها) أي السماء بالشمس  
والقمر والنجوم والأشكال والهيئات البهية (للساظرين) أي الاعتبارين المستدلين بها على  
توحيد خالقها ومبدعها وهو الله الذي أوجد كل شيء وخلق صورته وحفظناها من كل  
شيطان رجيم) أي مرجوم وقيل ما هو قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن  
السماوات وكانوا يدخلونها ويسمعون أخبار الغيوب من الملائكة فيلقونهم على الكهنة فلما  
ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات ولما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من  
السماوات كلها فامنعهم من أحد يريد استراق السمع الارضي بشهاب فلما منعوا تلك المقاعد  
ذكروا ذلك لابلوس فقال لقد حدث في الارض حدث فبهتهم يتطرون فوجدوا رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يتلو القرآن فقالوا والله هذا حدث وقوله تعالى (الامن استرق السمع) يدل من  
كل شيطان رجيم وقيل استثناء منقطع أي لكن من استرق السمع واستراق السمع اختلاسه  
قال ابن عباس يريد اللطفة اليسيرة وذلك أن الشياطين يركب بعضهم بعضاً إلى السماء الدنيا  
يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب كما قال تعالى (فأتبعه شهاب صيغ) وهو شعلة  
من نار ساطعة وقد يطلق على الكواكب لما فيها من البريق يشبه شهاب النار فلا يخطئ أحد  
منهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه أو جنبه أو يده حيث يشاء الله ومنهم من يجبله فيصير  
غولاً فيضل الناس في البوادي روى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا  
قضى الامر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعوا بقوله ~~لأنه~~ سلسله على صفوان  
فاذا فرغ من قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير فيسمى بها مسترقو  
السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم مفرق بعض ووصف سبعين بكفه فحرفها ويتدين أصابعه

فسمع الكلمة فطبقها الى من تحته ثم يلقيها الاخر الى من تحته حتى يلقيها الى لسان الساحر  
 أو الكاهن وربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها  
 مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا فيصدق تلك الكلمة التي سمعها من  
 السماء (فان قيل) اذا جاز أن يسمع الشيطان أخبار الغيوب من الملائكة تخرج الاخبار عن  
 المغيبات عن كونه معجزا دليلا على الصدق لان كل غيب يخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم  
 قام فيه الاحتمال وحينئذ يخرج عن كونه معجزا دليلا على الصدق (أجيب) بأننا ثبتنا كون  
 محمد صلى الله عليه وسلم رسولا بسائر المعجزات ثم بعد العلم بقبوله نقطع بأن الله تعالى أعجز  
 الشياطين عن تلقف الغيب بهذا الطريق وعند ذلك يصير الاخبار عن الغيب معجزا ولما شرح  
 الله تعالى الدلائل السماوية في تقرير التوحيد أتبعها بذكر الدلائل الارضية وهي أنواع النوع  
 الاول قوله تعالى (والارض مددناها) قال ابن عباس بسطناها على وجه الماء قال البخوي  
 يقال انها مسيرة خمسمائة سنة في مائها حيث من تحت الكعبة (فان قيل) فهل يدل ذلك على  
 انها بسيطة أو كرة عظيمة على ما يقوله أرباب الهيئة (أجيب) بان ليس في الآية دلالة على شيء من  
 ذلك لان الارض على تقدير كونها كرة فهي في غاية العظمة والكرة العظيمة ترى كالسطح  
 المستوي وتقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة وسيأتي زيادة على ذلك ان شاء الله تعالى في  
 سورة والنازعات النوع الثاني قوله تعالى (وأنتينا فيهما رواسي) أي جبالا ثوابت واحدها  
 راس والجمع راسية وجمع الجمع رواسي وهو كقوله تعالى وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم  
 قال ابن عباس لما بسط الله تعالى الارض على الماء مالت بأهلها كالسفينه فأرساها الله تعالى  
 بالجبال الثقال لكي لا تميد بأهلها وقيل ان الله تعالى خلقها لتكون دلالة للناس على طرق  
 الارض ونواحيها لانها كالأعلام فلا تميل الناس عن الجادة المستقيمة ولا يقعون في الضلال  
 النوع الثالث قوله تعالى (وأنتينا فيهما) واختلف في عود ضمير فيها فقيل يعود الى الارض لان  
 أنواع النبات المنتفع به يكون في الارض وقيل الى الجبال لانها أقرب مذكور وقوله تعالى  
 (من كل شيء وزون) وانما يوزن ما يتولد من الجبال والاولى عوده لهما واختلفا في  
 المراد بالوزون فقال ابن عباس أي معلوم وقال مجاهد أي مقدار معين تقتضيه حكمته وقال  
 الحسن أعنى به الشيء الموزون كالذهب والفضة والرصاص والحديد وهو ذلك مما يستخرج  
 من المعادن والاولى أنه جميع ما ينبت في الارض والجبال لان ذلك نوعان أحدهما يستخرج  
 من المعادن وجميع ذلك موزون والثاني النبات فبعضه موزون وبعضه بالكيل وهو يرجع الى  
 الوزن لان الصاع والمقداران بالوزن (وجعلنا لكم فيها) أي انعاما منا وتفضلا عليكم  
 (معايش) وهي بياض ريحة من غير متجمع معيشة وهو ما يعيش به الانسان مدة حياته في الدنيا  
 من المطاعم والملابس والمعادن وغيرها (و) جعلنا لكم (من لستم له برازقين) من العبيد  
 والانعام والذواب والطيوفانكم تنتفعون بها ولستم لها برازقين لان رزق جميع الخلق على الله  
 تعالى وبعض الجهال يظنون في أكثر الامور انهم هم الذين يرزقون للعبيال ولخدم والعبيد

وذلك خطأ فان الله هو الرزاق يرزق المخدم والمخدوم والمملوك والمالك لانه تعالى خلق الاطعمة  
 والاشربة وأعطى القوة الغذائية والهاضمة والالم يحصل لاحد رزق (فان قيل) صبغة من مختصة  
 عن يعقل (أجيب) بأنه تعالى أثبت لجميع الدواب رزقا على الله تعالى حيث قال وما من دابة في  
 الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها فغلب من يعقل على غيره حتى أن الماء قد  
 قل في بعض الاودية والجبال واشتد الحر قال بعضهم فرأيت بعض تلك الوحوش رفعت رؤسها  
 الى السماء عند اشتداد عطشها قال فرأيت الغيوم قد أقبلت وأمطرت وامتلأت الاودية  
 \* (تنبيه) \* قيل لا يجوز أن يكون ومن لست له برازق من حجر وراعظا على الضمير الجور ولا يقال  
 أخذت منك وزيد الا باعادة الخافض كما في قوله تعالى واذا أخذنا من النبين ميثاقهم ومنك  
 ومن نوح والراح الجواز كما قرئ قوله تعالى تساءلون به والارحام بالخفض في القراءات السبع  
 وهذا أعظم دليل \* ولما بين سبحانه وتعالى أنه أثبت لهم كل شيء موزون وجعل لهم معايش أشعر  
 بذكر ما هو السبب لذلك فقال تعالى (وان) أي وما (من شيء) أي ما ذكر وغيره من الاشياء الممكنة  
 وهي لانهاية لها (الا عندنا خزائنه) أي قادرون على ايجاده وتكويره أضعاف ما وجد منه  
 فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال  
 في العرش مثال جميع ما خلق الله في البحر والبر والخزائن جمع خزانة وهي اسم للمكان الذي  
 يخزن فيه للعفظ وقيل أراد مضايق الخزائن وقيل المطر لانه سبب الارزاق لبني آدم والوحش  
 والطير والدواب ومعنى عندنا أي في حكمه تعالى وتصرفه وأمره وتدبيره (وما ننزله) من يفاع  
 القدرة (الا بقدر معلوم) أي على حسب المصالح وقيل ان لكل أرض حدا ومقدارا من المطر  
 يقال لا ينزل من السماء قطرة مطرا الا معها ملك يسوقها الى حيث يشاء الله ولما أتم ما أراد من  
 آيتي السماء والارض وخقه بشهول قدرته لكل شيء أتبعه ما ينشأ عنهما هو بينهما مودعا في  
 خزائن قدرته بقوله تعالى (وأرسلنا الرياح) جمع ریح وهو جسم لطيف منبت في الجوسر يبع المر  
 (لواقح) أي حوامل لانها تحمل الماء الى السحاب فهي لاقحة يقال ناقلة لاقحة اذا حملت الولد  
 وقال ابن مسعود يرسل الله تعالى الريح فتصهل الماء فتجبه في السحاب ثم تجزبه قدر كما تدر  
 اللقحة ثم تمطر وقال عبيد بن عمير يبعث الله تعالى الريح المثيرة فتثير السحاب ثم يبعث الله المولقة  
 فتؤلف السحاب بعضها الى بعض فتجعله ركاما ثم يبعث الله اللواقح تلتفح الشجر وعن ابن عباس  
 قال ما هبت ریح قط الا جئنا النبي صلى الله عليه وسلم على ركبته وقال اللهم اجعلها رحمة ولا  
 تجعلها ريحا وعن عائشة رضی الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح  
 قال اللهم اني أسألك خيرا وخيرا ما فيها وخيرا ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها  
 وشر ما أرسلت به وقرأ حمزة بالافراد والباقون بالجمع (فأنزلنا) أي بعظمتنا بسبب تلك السحاب  
 التي حملتها الريح (من السماء) أي الحقيقية أو وجهتها أو السحاب لان الاسباب المترتبة يسند  
 الشيء تارة الى القريب منها وتارة الى البعيد (ماء) وهو جسم مائع صيال به حياة كل حيوان  
 من شأنه الاغتذاء (فأنسقنا كوه) أي جعلناه لكم سقيا يقال سقينه ماء يشربه وأسقينه أي

مكنته منه ليسبق به ما شئته ومن يريد وثق سبحانه وتعالى عن غيره ما أئبته أو لال نفسه بقوله  
 (وما أنتم له) أي لذلك الماء (بمجازين) أي ايست خرائشه بأيدكم والخزن وضع الشيء في مكان  
 مهيب العتظ فثبت أن القادر عليه واحد مختار ومن دلائل التوحيد الاحياء والامانة كما قال  
 تعالى (وانالخن فحي) أي لنا هذه الصفة على وجه العظمة فحي بها من نشاء من الحيوان  
 بروح البدن ومن الروح بالمعارف ومن النبات بالتموان كان أحدهما حقيقة والآخر مجازا  
 لان الجمع جائز (ونبت) أي لنا هذه الصفة فنبرز بها من عظمتنا ما نشاء (ونحن الوارثون) أي  
 الارث التام اذا مات الخلائق الباقون بعد كل شيء كما كالأشياء فليس لاحد تصرف بامانة  
 ولا احياء فثبت بذلك الوحدة والفعلة بالاختيار فلما ثبت بهذا كمال قدرته وكانت آثار  
 القدرة لا تكون محكمة الا بالعلم قال تعالى (واقدمنا المستقدمين منكم) وهو من قضينا بموته  
 أولا من لدن آدم فيكون في موته كأنه يسارع الى التقدم اليه وان كان هو وكل من أهله مجتهدا  
 بالعلاج في تأخيرهم (ولقد علمنا المستأخرين) أي الذين غدت في أعمارهم فنؤخر موتهم حتى يكونوا  
 كأنهم يسابقون الى ذلك وان عاجلوا الموت بشرب سم أو نحوه أو عالجهم لهم غيرهم بضرهم  
 بسيف أو غيره فعرف من ذلك قطعاً أن الفاعل واحد مختار وقال ابن عباس أراد بالمستقدمين  
 الاموات وبالمستأخرين الاحياء وقال عكرمة المستقدمين من خلق الله تعالى والمستأخرين  
 من لم يخلق وقال الحسن المستقدمين في الطاعة والخير والمستأخرين المستبطون عنه  
 وقيل المستقدمين من القرون الاولى والمستأخرين أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل  
 المستقدمين في الصفوف والمستأخرين فيها وذلك ان النساء كن يخرجن الى الجماعة فيقفن  
 خلف الرجال فرما كان في الرجال من في قلبه رية فيستأخر الى آخر صف الرجال ومن النساء  
 من في قلبها رية فتقدم الى أول صف النساء لتقرب من الرجال فقال النبي صلى الله عليه  
 وسلم خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها  
 \* (تنبية) في سبب نزول هذه الآية قولان أحدهما أن امرأة حسناء كانت تصلي خلف النبي  
 صلى الله عليه وسلم فكان بعضهم يستقدم حتى يكون في أول صف حتى لا يراها ويتأخر بعضهم  
 حتى يكون آخر صف فاذا ركع نظر من تحت ابطه فنزلت والثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم  
 حرض على الصف الاول فآزده وواعليه وقال قوم بيوتهم فاصية عن المسجد لتبيعن دورنا  
 ولشترين درواقرية من المسجد حتى ندرنا الصف المقدم فنزلت (وان ربك هو يحشرهم) أي  
 المستقدمين والمستأخرين للجزاء وتوسط الضمير للدلالة على أنه القادر والمتولى لحشرهم لا غيره  
 وتصدير الجملة بان تحقيق الوعد والتنبية على أن ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه  
 بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله تعالى (انه حكيم) أي باهر الحكمة  
 متقن في أفعاله (عليم) وسع علمه كل شيء ولما استدل سبحانه وتعالى بتخليق الحيوانات على صحة  
 التوحيد في الآية المتقدمة أردفه بالاستدلال بتخليق الانسان على هذا المطلوب بقوله تعالى  
 (واقدمنا الانسان) قال الرازي والمفسرون أجمعوا على أن المراد منه آدم عليه السلام ونقل

في كتب الشيعة عن محمد بن علي الباقر أنه قال قد انقضى قبل آدم الذي هو أبو نآل ألف آدم  
 أو أكثر سمى انساناً نظيره وادراك البصرياء وقيل من النسيان لانه عهد اليه قسني (من  
 صلصال) أي من الطين الشديد اليابس الذي لم تصبه ناراً اذا انقرته سمعت له صلصلة أي صوتاً  
 وقال ابن عباس هو الطين اذا نضب عنه الماء تشقق فاذا حركه تقهقع وقال مجاهد هو الطين  
 المتين واختاره الكسائي وقال الفراء هو طين خلط برمل فصار له صوت عند نقره وقال الرازي  
 قال المفسرون خلق الله تعالى آدم من طين قصوره وتركه في الشمس أربعين سنة فصار صلصالا  
 لا يدري أحد ما راد به ولم يروا شيئاً من الصور يشبهه الى أن نفخ فيه الروح (من حما) أي طين  
 أسود منتن (مسنون) أي مصور بصورة الآدمي وقال ابن عباس هو التراب المبتل المتين وقال  
 مجاهد هو المتين المتغير قال البغوي وفي بعض الآثار ان الله تعالى خمر طينة آدم وتركه حتى صار  
 متغيراً أسود ثم خلق منه آدم عليه السلام قال ابن الخازن والجمع بين هذه الأقوال على ما ذكره  
 بعضهم ان الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام قبض قبضة من تراب الارض واليه  
 الاشارة بقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم ان ذلك التراب بله بالماء  
 وحأ حتى اسود وأنتز ريمه وتغير واليه الاشارة بقوله تعالى من حامسنون ثم ان ذلك الطين  
 الاسود المتغير صورته الله صورة انسان أجوف فلما جف ويس كانت تدخل فيه الريح فيسمع له  
 صلصلة واليه الاشارة بقوله تعالى من صلصال كالفخار وهو الطين اليابس ينخر في الشمس ثم نفخ  
 فيه الروح فكان بشراً سوياً \* ولما ذكر سبحانه وتعالى خلق الانسان ذكر ما خلقه قبل من الجان  
 فقال تعالى (والجان) قال ابن عباس هو أبو الجن كما ان آدم عليه السلام أبو البشر وابليس أبو  
 الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون وياً كلون ويشربون ويحيون ويعوتون كبنى آدم وأما  
 الشياطين فليس فيهم مسلمون ولا يعوتون الا اذا مات ابليس وقال وهب ان من الجن من يولد  
 له وياً كلون ويشربون بمنزلة الآدميين ومن الجن من هو بمنزلة الريح لا يتولدون ولا ياً كلون  
 ولا يشربون وهم الشياطين قال ابن الخازن والاصح ان الشياطين نوع من الجن لا شترأهم  
 في الاستتار سمو اجنالتوار بهم واستتارهم عن الاعين من قولهم سم جن الليل اذا ستر  
 والشيطان هو العاق المتزدد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر واتصاب الجن بفعل  
 يفسره (خلقناه من قبل) أي قبل خلق الانسان (من نار السموم) أي من ريح حارة تدخل  
 مسام الانسان فتقتله من قوة حرارتها قال الرازي فالريح الحارة فيها نار وريحها فيج كما ورد في  
 الخبر انها من فيج جهنم انتهى ويقال السموم بالنهار والحروب بالليل وقال الكلبي عن أبي صالح  
 السموم نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وهي نار تكون بين السماء وبين الجباب فاذا أحدث  
 الله تعالى أمراً حرق الجباب فهوت الى ما أمرت به فلهذا التي تسمعون خرق ذلك الجباب  
 وعن ابن عباس هذه السموم جزء من سبعين جزءاً من السموم التي خلق منها الجن وتلا هذه  
 الآية وعن الضمالي عن ابن عباس كان ابليس من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من  
 نار السموم وخلق الجن الذين ذكرهم في القرآن من نار من نار الملائكة فخلقوا



من النور ولما ذكر الله تعالى حدوث الانسان الاقول واستدل بذكره على وجود الاله القادر  
 المختار ذكرا بعدد واقعته بقوله تعالى (واذ) أى واذا كريا أشرف الخلق قول ربك عز وجل اذ  
 (قال ربك) أى المحسن اليك بتشريف أريك آدم عليه السلام لتشر بفك (للملائكة انى خالق  
 بشرا) أى حيوانا كثيرا ياشرو بلاقى والملائكة والجن لا يباشرون للطف أجامهم عن  
 اشارة البشر والبشرة ظاهرا للجلد من كل حيوان وقوله تعالى (من صلصال من جامسنون)  
 تقدم تفسيره (فأذاسويته) أى عدلته وأتمته وهياته لنفخ الروح فيه بالفعل (ونفخت فيه من  
 روجى) أى خلقت الحياة فيه وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل وأضاف الروح اليه تشريفا  
 كما يقال بيت الله وهو ما يصير به الروح عالما وأشرف منه ما يصير به العالم عاملا خاشعا وسيأتى  
 الكلام على الروح ان شاء الله تعالى فى سورة سبحان عند قوله تعالى ويسألونك عن الروح  
 (فقروا) أى اسقطوا (له) تعظيما حال كونكم (ساجدين) وتقدم فى سورة البقرة الكلام  
 على من المخاطب بالسجود وهل هو كل الملائكة أو الملائكة السموات أو الملائكة الارض  
 وهل هو سجود انحاء أو غيره (فسجد الملائكة) وقوله تعالى (كلهم أجمعون) قال سيبويه  
 تأكيده بعد ما كرهه دوسمى المبرد عن ذلك فقال لو قال فسجد الملائكة احتمل أن يكون سجد  
 بعضهم فلما قال كلهم زال هذا الاحتمال فظهر أنهم سجدوا ثم سجدوا ثم سجدوا ثم سجدوا وهو  
 أنهم سجدوا دفعة واحدة أو سجد كل واحد فى وقت آخر فلما قال أجمعون ظهر أن الكل  
 سجدوا دفعة واحدة قال الزجاج وقول سيبويه أجدلان أجمعين معرفة فلا يكون حالا وقوله  
 تعالى (الابليس) أجمعوا على أن ابليس كان مأمورا بالسجود لآدم واختلفوا فى انه هل كان  
 من الملائكة أم لا وقد سبقت هذه المسئلة على الاستمضاء فى سورة البقرة وقوله تعالى (أنى أن  
 يكون مع الساجدين) أى لا آدم استثناف تقديره ان قالوا قال هل سجد قبلى أبى ذلك واستكبر  
 عنه (قال) الله تعالى له (يا ابليس مالك ألا تسكون) أى أن تكون ولا مزيدة أى ما منعك أن  
 تسكون (مع الساجدين) لا آدم (قال لم أكن لاسجد ابشر) جسمانى كئيف واللام لتأكيده التنى  
 أى لا يصح منى وينافى حالى أن أسجد وانما ملك روحانى ابشر (خلقتهم من صلصال من جام  
 سنون) وهو أخسر العناصر وخلقته من نار وهى أشرفها استنقص آدم باعتبار النوع  
 والاصل وقد سبق الجواب عنه فى سورة الاعراف \* (تنبيه) \* قال بعض المتكلمين انه تعالى  
 أوصل هذا الخطاب الى ابليس على اسان بعض رسلا وضعف لان ابليس قال فى الجواب لم أكن  
 لاسجد لبشر خلقتهم من صلصال فقوله خلقتهم خطاب الحضور لا خطاب الغيبة وظاهره يقتضى  
 أن الله تعالى تكلم مع ابليس بغير واسطة وأن ابليس تكلم مع الله بغير واسطة فكيف يعقل هذا  
 مع ان مكالمة الله تعالى من غير واسطة من أعظم المناصب وأشرف المراتب فكيف يعقل حصوله  
 لرأس الكفرة ورؤسهم \* (وأجيب) \* بأن مكالمة الله تعالى انما تكون منصبا عالما اذا كانت  
 على سبيل الاكرام والاعظام فأما اذا كانت على سبيل الاهانة والاذلال فلا (قال) الله تعالى له  
 (فأخرج منها) أى من الجنة وقيل من السموات وقيل من زمرة الملائكة وقد تقدم الكلام

على ذلك أيضا في سورة الاعراف (فانك رجيم) أي مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد  
 رجيم بالجبر أو شيطان رجيم بالشبه وهو وعد يتضمن الجواب عن شبهته (وان عليك اللعنة)  
 أي هذا الطرد والابعاد (اليوم الدين) قال ابن عباس يريد يوم الجزاء حيث يجازى العباد  
 بأعمالهم مثل قوله تعالى مالك يوم الدين (فان قيل) كلمة الى تفيد حصر انتهاء الغاية فهذا يفيد  
 ان اللعنة لا تحصل الا الى يوم الدين وعند القيامة يزول اللعن (أجيب) بجوابين الاول أن  
 المراد التأيد وذكر القيامة أبعداً يذكرها الناس في كلامهم كقوله تعالى مادامت السموات  
 والارض في التأيد والثاني أنه مذموم مدعو عليه باللعن في السموات والارض الى يوم  
 القيامة من غير أن يعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذب عذاباً يقرن اللعن معه فيصير اللعن حيث  
 كان اذ لم يسبب أن شدة العذاب تذهل عنه ولما جعله الله تعالى رجماً ملعوناً الى يوم القيامة  
 فكان قائلاً يقول فماذا قال فقيل (قال رب) فاعتترف بالعبودية والاحسان اليه (فأنظرني)  
 أي أخرني والانتظار تأخير المحتاج للنظر في أمره والقضاء متعلقة بمحذوف دل عليه فخرج  
 منها فانك رجيم (اليوم يبعثون) أي الناس أراد أن يجد فسحة في الاغواء ونجاة من الموت  
 اذ لموت بعد وقت البعث (قال) الله تعالى مجيباً للاول دون الثاني بقوله تعالى (فانك من  
 المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) وهو المسمى فيه أجلك عند الله وهو النفخة الاولى وما يتبعها  
 من موت كل مخلوق لم يكن في دار الخلد (فان قيل) كيف أجابه الله تعالى الى ذلك الامهال  
 (أجيب) بأنه انما أجابه الى ذلك زيادة في بلائه وشقائه وعذابه لا لالكرامه ورفع مرتبته  
 ولما أجيب لذلك كأنه قيل فماذا قال فقيل (قال رب) أي أيها الموجد والمدبر بقوله  
 (بما أغويتني) أي خيبتني من رحمتك الباء فيه للقسم وما مصدرية وجواب القسم (لازين)  
 أي أقسم يا غواي أي لا زين (لهم في الارض) حب الدنيا وما صيبك كقوله فبعزتك  
 لاغوينهم أجمعين الا انه في ذلك الموضع أقسم بعزة الله وهي من صفات الذات وهنا أقسم ياغواء  
 الله وهي من صفات الافعال والفقهاء قالوا القسم بصفات الذات صحيح واختلفوا في القسم  
 بصفات الافعال والراجح فيها العصاة (ولاغوينهم) أي بالاضلال عن الطريق الحميد بقاها  
 الوسوسة في قلوبهم ولاحتلهم (أجمعين) على الغواية وقوله (الاعباد لك منهم المخلصين) قرأه  
 ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام أي الذين أخلصوا دينك عن الشوائب وقرأه  
 الباقر بن يقطين أي الذين أخلصهم الله تعالى بالهداية وانما استثنى ابليس المخلصين لانه علم  
 ان كيد لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه قال الرازي والذي حله على هذا الاستثناء أنه لا يصير كاذباً  
 في دعواه فلما احتراز ابليس عن الكذب علمنا ان الكذب في غاية الخساسة \* (تنبيه) \* قال  
 رويم الاخلاص في العمل هو أن لا يريد صاحبه منه عوضاً من الدارين ولا عوضاً من الملكين  
 وقال الجنيد الاخلاص سر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلم ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده  
 ولا هوى فيميله وذكر القشيري وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سألت جبريل عليه  
 السلام عن الاخلاص ما هو قال سألت رب العزة عن الاخلاص ما هو قال سر استودعته قلب

من أحب من عبادى \* ولما ذكر ابليس أنه يعقوبى بنى آدم الامن عصمه الله بتوفيقه وتضمن هذا  
 الكلام تفويض الامور الى الله تعالى والى ارادته (قال) تعالى (هذا) أى الذى ذكرته من  
 سال المستثنى والمستثنى منه (صراط) أى طريق (على مستقيم) أى لا انحراف عنه  
 لاني قضيت به وحكمت به عليك وعليهم ولولم تقل أنت \* ولما قال ابليس لازين لهم فى الارض  
 ولاغوينهم أجمعين الاعبادك منهم المخلصين أوهم هذا أن له سلطانا على عباد الله غير المخلصين  
 فبين تعالى كذبه أنه ليس له سلطان على أحد من عبيد الله سواء كانوا مخلصين أو لم يكونوا  
 مخلصين بل ومن أتبع منهم ابليس باختياره صار تبعه ولكن حصول تلك المتابعات أيضا ليس  
 لاجل ابليس وأوهم ان له على بعض عباد الله سلطانا فبين تعالى كذبه وذكر تعالى انه ليس له  
 على أحد منهم سلطان ولا قدرة أصلا بقوله تعالى (ان عبادى) أى المؤمنين كلهم (ليس لك)  
 أى بوجه من الوجوه (عليهم سلطان) أى لتردهم كلهم عما يرضيني وتطير هذه الآية قوله  
 تعالى حكاية عن ابليس وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى وقال تعالى  
 فى آية أخرى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه  
 والذين هم به مشركون (الامن اتبعك) أى بتعمده منه ورغبة فى اتباعك (من الغاوين)  
 أى ومات من غير توبة فاني جعلت لك عليهم سلطانا بالترزين والاغواء وسئل سفيان بن عيينة  
 عن هذه الآية فقال معناه ليس لك عليهم سلطان تلقبهم فى ذنب يضيق عنه عقوبى وقيل ان  
 الاضافة للتشريف فلا تشمل الا خلاص فحينئذ يكون الاستثناء منقطعاً وقائدة سوقه بصورة  
 الاستثناء على تقدير الانقطاع الترغيب فى رتبة التشريف بالاضافة اليه والرجوع عن اتباع  
 العدو الى الاقبال عليه لان ذوى الانفس الالوية والهم العلية ينافسون فى ذلك المقام  
 ويرونه كما هو الحق أعلى مرام (وان جهنم لم وعدهم) أى الغاوين وهم ابليس ومن تبعه  
 (أجمعين) ثم بين تعالى أنهم متفاوتون فيها بقوله تعالى (لها) أى لجهنم (سبعة أبواب) أى  
 سبع طبقات قال على رضى الله تعالى عنه أتدرون كيف أبواب النار هكذا ووضع احدى  
 يديه على الأخرى أى سبعة أبواب بعضها فوق بعض وان الله تعالى وضع الجنات على العرض  
 ووضع النيران بعضها على بعض قال ابن جرير النيران سبعة دركات أولها جهنم ثم لظى  
 ثم المطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية \* (تنبيه) تخصيص العدد لان أهلها سبع فرق  
 وقيل جعلت سبعة على وفق الاعضاء السبعة من العين والاذن واللسان والبطان والقرج  
 واليد والرجل لانها مصادر السيات فكانت مواورها الابواب السبعة ولما كانت هى بعينها  
 مصادر الحسنات بشرط النية والنية من أعمال القلب زادت الاعضاء واحدا فجعلت أبواب  
 الجنان ثمانية قال تعالى (اكل باب) أى منها (منهم) أى من الغاوين خاصة لا يشاركهم فيها  
 مخلص (جزم) أى نصيب وقرأ شعبة بضم الزاى والباقون بالسكون (مقسوم) أى معلوم فلكل  
 دركة قوم يسكنونها قال الضمالي فى الدرجة الاولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون  
 بقدر ذنوبهم ثم يخرجون وفى الثانية النصارى وفى الثالثة اليهود وفى الرابعة الصابئون وفى

الخامسة المجوس وفي السادسة أهل الشرك وفي السابعة المنافقون فذلك قوله تعالى ان  
 المنافقين في الدرك الاسفل من النار وروى عن عمرو بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم  
 عليه وسلم بلهن سبع أبواب باب منها من سل السيف على أمتي أو قال على أمة محمد ولم  
 شرح تعالى أحوال أهل العقاب أتبعه بصفة أهل الثواب بقوله تعالى مؤكدا الانكار المكذبين  
 بالبعث (ان المتقين) أي الذين اتقوا الشرك بالله تعالى كما قال جمهور الصحابة والتابعين وهو  
 الصحيح لأن المتقي هو الآتي بالتقوى مرة واحدة كما أن الضارب هو الآتي بالضرب مرة واحدة  
 والقاتل هو الآتي بالقتل مرة واحدة فكأنه ليس من شرط صدق الوصف بكونه ضاربا وقتلا  
 كونه آتيا بجميع أنواع الضرب والقتل ليس من شرط صدق الوصف بكونه متقيا كونه آتيا  
 بجميع أنواع التقوى لأن الآتي بفرد واحد من أفراد التقوى يكون آتيا بالتقوى لأن كل فرد  
 من أفراد الماهية يجب كونه مستوعبا لتلك الماهية (في جنات) أي بساتين قال الرازي  
 أما الجنات فأربعة لقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنات ثم قال ومن دونها جنتان فيكون  
 المجموع أربعة وقوله ولمن خاف مقام ربه جنات يؤكد ما قلناه لأن من آمن بالله لا يتفك قلبه  
 من الخوف من الله تعالى وقوله تعالى ولمن خاف يكفي في صدقه حصول هذا الخوف مرة واحدة  
 وقوله تعالى (وعيون) قال الرازي يحتمل أن يكون المراد منها ما ذكره الله تعالى في قوله مثل الجنة  
 التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين  
 وأنهار من عسل مصفى ويحتمل أن يكون المراد من هذه العيون منابع مغيرة لتلك الأنهار  
 (فان قيل) هل كل واحد من المتقين محتص بعيون أو تجرى تلك العيون بعضها الى بعض  
 (أجيب) بأن كل واحد من الوجهين محتمل فيجوز أن يختص كل واحد بعيون يتدفق هو بها  
 ومن يختص به من الحور والولدان ويكون ذلك على قدر حاجاتهم وعلى حسب شهواتهم ويحتمل  
 أن يجرى من بعضهم الى بعض لأنهم يطهرون عن الحقد والحسد وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام  
 وحفص برقع العين والباقون بالكسر وقرأ بكسر التنوين في الوصل أبو عمرو وابن ذكوان  
 وعاصم وحزرة والباقون بالضم \* ولما كان المنزل لا يجس من الأبالسة والسلامة والانس قال تعالى  
 (ادخلوها) أي يقال لهم ذلك (بسلام) أي سالمين من كل آفة من حبايبكم (آمنين) من ذلك دائما  
 ولما كان الانس لا يكمل الا بالجنس مع كمال المودة وصفاء القلوب عن الكدر قال تعالى (وزرعنا)  
 أي بما لنا من العظمة والقدرة (مافي صدورهم من غل) أي حقد كما من في القلب ويطلق على  
 الشحناء والعداوة والحسد والبغضاء فكل هذه الخصال المذمومة داخله في الغل لأنها كامنة  
 في القلب يروى ان المؤمنين يحبون على باب الجنة فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم الى  
 الجنة وقد نقيت قلوبهم من الغل والغش والحقد والحسد حالة كونهم (اخوانا) أي متصافين  
 حالة كونهم (على سرر) جمع سرر وهو مجلس رفيع موطأ للسرور وهو أخوذه منه لأنه مجلس  
 سرور قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ايريد على سرور من ذهب مكللة بالزبرجد والدر  
 والياقوت والسرير مثل ما بين صنما الى الجابية (متقابلين) لا يرى بعضهم قفا بعض فان التقابل

التواضع وهو تقيض التدابر ولا شك أن المواجعة أشرف الاحوال وعن مجاهد رضي الله تعالى  
 عنه تدور بهم الامرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين \* (تبيهه) \* ليس  
 المراد الاخوة في النسب بل المراد الاخوة في المودة والمخالطة كما قال تعالى الاخلاء يومئذ  
 بعضهم لبعض عدو الا المتقين وعن الجنيدي أنه قال ما أحلى الاجتماع مع الاصحاب وما أمر  
 الاجتماع مع الاضداد وقوله تعالى (لا يسمهم فيها نصب) أي اعياء وتعيب وجهه ومشقة  
 استئناف أحوال بعد حال أحوال من الضمير في متقابلين وقوله تعالى (وما هم منها بخارجين)  
 المراد به كونه خلودا بلا زوال وبقاء بلا فناء وكلا بلا نقصان وفوزا بلا حرمان \* ولما ذكر تعالى  
 أحوال المتقين وأحوال غيرهم أتبع ذلك بقوله تعالى (نبي) أي خيرا أفضل الخلق (عبادي)  
 اخبارا جليلا (أني أنا) أي وحدي (الغفور) أي للمؤمنين (الرحيم) بهم وقرأ نافع وابن كثير  
 وأبو عمرو بفتح الياء من عبادي واني والباقون بالكون وأما الهمزة في نبي فلم يبدلها الا حزة  
 في الوقف فقط وكذا الهمزة من بينهم ونقل عن حزة كسر الهاء في الوقف (وَأَنْ عَذَابِي) أي  
 وحدي للعصاة (هو العذاب الاليم) أي المؤلم \* (تبيهه) \* في هذه الآية لطائف الاولى أنه  
 سبحانه وتعالى أضاف العباد الى نفسه وهذا تشريف عظيم ألا ترى انه قال لنبيه محمد صلى الله  
 عليه وسلم سبحانه الذي أسرى بعبد له ليلا الثانية انه تعالى لما ذكر الرجعة والمغفرة بالغ  
 في التأكيدات بالفاظ ثلاث أولها قوله تعالى أني وثانيها قوله أنا وثالثها ادخال حرف الا في  
 واللام على قوله تعالى الغفور الرحيم ولما ذكر العذاب لم يقل أني أنا المعذب وما وصف نفسه  
 بذلك بل قال وأن عذابي هو العذاب الاليم الثالثة انه أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ  
 اليهم هذا المعنى فكانت أشهد رسوله على نفسه في التزام المغفرة والرجعة والرابعة انه لما قال  
 نبي عبادي كان معناه نبي كل من كان معترفا بعبوديته وهذا كما يدخل فيه المؤمن المطيع كذلك  
 يدخل فيه المؤمن العاصي وكل ذلك يدل على تغليب جانب الرحمة من الله تعالى وعن أبي هريرة  
 رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق الرجعة يوم  
 خلقها مائة رجعة فأمسك منها عند تسعة وتسعين وأرسل في خاتمة رجعة فلو يعلم الكافر بكل  
 الذي عند الله من الرجعة لياس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب  
 لم يأمن من النار وعن عبادة رضي الله تعالى عنه قال بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم انه قال لو يعلم العبد قدر عفو الله ما تورع من حرام ولو يعلم قدر عذابه لجمع نفسه الى قتلها  
 وعنه صلى الله عليه وسلم انه مرتين من أصحابه وهم يضمكون فقال أنتم تكونون وقد ذكر  
 الجنة والنار بين أيديكم فنزل نبي عبادي اني أنا الغفور الرحيم \* ولما بالغ تعالى في تقرير النبوة  
 ثم أردفه بذكر دلائل التوحيد ثم ذكر تعالى عقبه أحوال القيامة ووصف الاشقياء والعداء  
 أتبع ذلك بقصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليكون سمعها مرغبا في العبادة الموجبة  
 للفوز بدرجات الاولياء ومحذرا عن المعصية الموجبة لاستحقاق دركات الاشقياء واقتح  
 من ذلك بقصة ابراهيم عليه السلام فقال تعالى (ونبئهم) أي خبريا سيد المرسلين عبادي

(عن ضيف ابراهيم) وهم ملائكة اثناعشر أو عشرة أو ثلاثة منهم جبريل عليه السلام  
(فان قيل) الضيف هو المنضم الى غيره لطلب القرى (أجيب) بأن هؤلاء سمو بهذا الاسم لانهم  
على صورة الضيف فهو من دلالة التضمن وقيل أيضا ان من يدخل دار انسان ويلتجى اليه  
يسمى ضيفا وان لم يأكل (اذ دخلوا عليه) أي ابراهيم وكان يكنى أبا الضيفان كان لقصره أربعة  
أبواب لكي لا يفوته أحد (فقالوا سلاما) أي نسلم عليك سلاما أو سلمت سلاما (قال) ابراهيم عليه  
السلام بل ان الحال أو المقال (أنا) أي أنا ومن عندي (منكم وجاؤون) أي خائفون وكان  
خوفهم لامتناعهم من الاضطرار أو لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت والوجل اضطرار  
النفس لتوقع ما تكره (قالوا لا توجل) أي لا تخف (أنا) رسل ربك (تبشركم بسلام) أي ولد  
ذكر في غاية القوة ليس كالأولاد الشيوخ ضعيفا وقرأ حمزه بفتح النون وسكون الباء وضم  
السين محقفة والباقون بضم النون وفتح الباء وكسر السين مشددة (عليم) أي ذى علم كثير  
هو اسحق عليه السلام كما ذكر في هود وتقدم ذكر القصة هناك باسمها (قال) ابراهيم عليه  
السلام (أبشركوني) أي بالولد وقوله (علي أن منى الكبر) حال أي مع مسه اياي (فان  
قيل) كيف قال (فيم) أي قبأى شئ (تبشرون) أي ينو الى ذلك بيانا شافيا مع أنهم  
قدينا وما بشروا به وما فائدة هذا الاستفهام (أجيب) بأنه أراد أن يعرف ان الله تعالى  
هل يعطيه الولد مع بقائه على صفة الشيوخة أو يقا به شابا ثم يعطيه الولد والسبب في هذا  
الاستفهام ان العادة جارية بأنه لا يحصل في حالة الشيوخة التامة وانما يحصل في حال  
الشباب أو انه استفهام تعجب ويدل لذلك قولهم (قالوا بشرناك بالحق) قال ابن عباس  
يريدون بما قضاه الله تعالى والمعنى ان الله تعالى قضى أن يخرج من صلب ابراهيم اسحق ويخرج  
من صلب اسحق ذرية مثل ما أخرج من صلب آدم وقولهم (فلانهم) أي بسبب  
تبشيرنا (من القاطنين) أي الايسين نهى لابراهيم عليه السلام عن القنوط ونهى الانسان عن  
الشي لا يدل على كونه فاعلا للمنى عنه كما في قوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين ثم  
حكى الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام أنه (قال ومن يقنط) أي يأس من هذا اليأس (من  
وجه ربه) أي الذي لم يزل اسله عليه (الاضالون) أي المخطون طريق الاعتقاد الصحيح  
في دينهم من تمام القدرة وانه لا تضره عصية ولا تنفعه طاعة وقرأ أبو عمرو والكسائي بكسر  
النون والباقون بقصها ولما تحقق عليه السلام البشري ورأى اتيانهم محققين على غير الصفة  
التي يأتي عليها الملك للروحى وكان هو وغيره من الهارفين بالله عالمين بأنه ما ينزل الملك الا بالحق كان  
ذلك تسببا لان يسألهم عن أمرهم ليزول وجهه كما هو لذلك (قال) عليه السلام (فما) بقاء السبب  
(خطبتكم) أي شأنكم قال أبو حيان والخطب لا يكاد يقال الا في الامر الشديد اه وقال  
الزمانى انه الامر الجليل (أي المرسلون) فانكم ما جئتم الا امر عظيم يكون فضلا بين هالك  
وناج (قالوا انما أرسلنا) أي أرسلنا العزيز الحكيم الذي أنت أعرف الناس في هذا الزمان به  
(الى) اهالك (قوم) أي ذوى منعة (بجرمين) أي كافرين وهم قوم لوط وقوله تعالى (الآل لوط)

فموجبها أن أحدهما أنه استثناء متصل على أنه مستثنى من الضمير المستكن في مجرمين بمعنى  
 أجمعوا كلهم الآل لوط فانهم لم يجرموا ويكون معنى قوله تعالى (أنا المنجورهم أجمعين) أي  
 لايمانهم استئناف اخبار بنجاتهم لكونهم لم يجرموا ويكون الارسال حينئذ شاملا للمجرمين  
 والآل لوط لاهلاك أولئك وانجاء هؤلاء والثاني أنه استثناء منقطع لأن آل لوط لم يندرجوا  
 في المجرمين البتة فيكون قوله تعالى أنا المنجورهم أجمعين جرى مجرى خبر لكن في اتصاله بالآل لوط  
 لأن الما في لكن آل لوط منصوبهم وقرأ حزة والكسائي بسكون النون وتخفيف الجيم والباقون  
 بفتح النون وتشديد الجيم وقوله تعالى (الأمم أمة) استثناء من آل لوط أو من ضميرهم على  
 الأول وعلى الثاني لا يكون الامن ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم إلا أن يجعل أنا المنجورهم  
 اعتراضا وقوله تعالى (قد رنا) قرأ شعبة بتخفيف الدال والباقون بالتشديد (أنه المن الغابرين) أي  
 من الباقيين في العذاب لكفرها \* (تنبيه) \* معنى التقدير في اللفظة جعل الشيء على مقدار غيره  
 يقال قدر هذا الشيء لهذا أي جعله على مقداره وقد رنا الله تعالى الاقوات أي جعلها على  
 مقدار الكفاية ويقرر التقدير بالقضاء فيقال قضى الله تعالى عليه وقدره عليه أي جعله على  
 مقدار ما يكفي في الخير والشر وقيل معنى قدرنا كتبنا وقال الزجاج دبرنا (فان قيل) لم أسند  
 الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم مع أنه عز وجل (أجيب) بأنهم إنما ذكروا هذه العبارة  
 لما هم من القرب والاختصاص بالله تعالى كما تقول خاصة الملك دبرنا كذا وأمرنا بكذا والمدبر  
 والآمر هو الملك لا هم وانما يريدون بهذا الكلام اظهار ما لهم من الاختصاص بذلك الملك  
 فكذا هنا \* وما ينشر الملائكة عليهم السلام ابراهيم عليه السلام بالولد وأخبروه بأنهم مرسلون  
 بعذاب قوم مجرمين ذهبوا بعد ابراهيم عليه السلام إلى لوط وآله وهذه هي القصة الثانية  
 المذكورة في هذه السورة قال تعالى (فلما جاء آل لوط المرسلون) ههنا هم زان مقترحتان من  
 كلمتين فقرأ قالون والبري وأبو عمرو بابا قاط واحدة منهما مع المد والقصر وقرأ ورش وقيل  
 بتسهيل الثانية وابدالها حرف مد والباقون بتحقيق الهمزتين وكذا وجاء أهل المدينة (قال)  
 لهم (انكم قوم منكرون) لانهم دخلوا عليه جهما فاستنكروهم وخاف من دخولهم لاجل شر  
 بصلونه اليه ولجل انهم كانوا شيئا ناهرا احسان الوجوه تخاف أن يهجم قومهم عليهم بسبب  
 طلبهم فقال هذه الكلمة وقيل ان النكرة ضد المعرفة فتوله عليه السلام انكم قوم منكرون  
 أي لا أعرفكم ولا أعرف انكم من أي الاقوام انتم ولاي تعرض دخلتم على فعند ذلك (قالوا)  
 أي الملائكة (بل جئنا ننبأ) أي بالعذاب الذي (كانوا) أي قومك (قيه يمترون) أي يشكون  
 في نزولهم - والجاهل يوصف بالشك وان كان مكذبا من جهة ما يعرض له منه من حيث  
 أنه لا يرجع إلى نفسه فيما هو عليه ثم أكدوا ما ذكره بقولهم (وأنتناك بالحق) أي باليقين  
 الذي لا يشك فيه ثم أكدوا هذا التأكيدهم بقولهم (وانا الصادقون) أي فيما أخبرناك به  
 (فأستريأهات) أي فاذهب بهم في الليل (بقطع من الليل) أي في طائفة من الليل وقيل هي آخره  
 قال الشاعر  
 افتى الباب واظرى في الصوم \* كم علينا من قطع ليل جهيم

كأنه طال عليه الليل فغاطب خبيثته بذلك أو كان يحب طول الليل للواصل وقرأ نافع وابن  
 كثير يوصل همزة فأسر بعد الفاء من السرى والباقون بالقطع وهما بمعنى (واتبع أديارهم)  
 أي وكن على آثارها هلك وسر خلفهم وتطلع على أحوالهم (ولا يلتفت منكم أحد) أي اثلا يرى  
 إليه ما نزل بهم من البلاء وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجم من آل لوط (وامضوا  
 حيث نؤمرون) أي إلى المكان الذي أمركم الله بالمضي إليه قال ابن عباس هو الشام وقال  
 الفضيل حيث يقول لكم جبريل وذلك أن جبريل أمرهم أن يعضوا إلى قرية معينة ما عمل أهلها  
 عمل قوم لوط وقيل إلى الأردن وقيل إلى مصر\* (تنبيه) \* حيث ههنا على بابها من كونها طرف  
 مكان مبهم ولا يهاها تعدي إليها الفعل من غير واسطة (وقضينا) أي وأوحينا (إليه) ولما ضمن  
 قضينا معنى الإيحاء تعدي بالي ومثله وقضينا إلى بني إسرائيل وقوله تعالى (ذلك الأمر) مبهم  
 تفسيره (ان دابر هؤلاء مقطوع) أي مستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد وقوله تعالى  
 (مصعبين) حال من هؤلاء أو من الضعيف مقطوع وجمعه للعمل على المعنى فان دابر هؤلاء في  
 معنى مدبري هؤلاء أي يتم استئصالهم في الصباح (وجاء أهل المدينة) أي مدينة من مدائن قوم  
 لوط وهي سدوم بسين مهمله وذال مبهمة وأخطأ من قال بمهمله (يستبشرون) أي باضياف لوط  
 طمعا فيهم وإيسر في الآية دليل على المكان الذي جاؤه إلا أن القضية تدل على أنهم جاؤا دار  
 لوط وقيل إن الملائكة لما كانوا في غاية الحسن اشتروا بهم حتى وصل إلى قوم لوط وقيل  
 امرأة لوط أخبرتهم بذلك قال الرازي وبالجملة فالقوم قالوا نزل بلوط ثلاثة من المردم أرى ناقط  
 أصبح وجهها ولأحسن شكلا منهم فذهبوا إلى دار لوط طلبا منهم لا واثك المرد والاستبشار  
 اظهار السرور ولما وصلوا إليه (قال) لهم لوط (ان هؤلاء ضيفي) أي وحق على الرجل أكرام  
 الضيف (فلا تفضحون) فيهم يقال فضحه يفضحه إذا أظهر من أمره ما يلزم به العار واذا قصد  
 الضيف بسوء كان ذلك اهانة لصاحب المحل ثم أكد ذلك بقوله (واتقوا) أي خافوا (الله)  
 في أمرهم (ولا تخزون) أي ولا تتجولوني فيهم بقصدكم أياهم بفعل الفاحشة من الخزي وهي  
 الحياء أو لا تذلوني بسببهم من الخزي وهو الهوان (قالوا) أي قومه في جواب قوله لهم  
 (أولم تنهك عن العالمين) أي عن أن تضيف أحدا من العالمين وقيل أولم تنهك أن تدخل القرية  
 المدينة فاناطب منهم الفاحشة وقيل أولم تنهك أن تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل  
 أحد وكان لوط عليه السلام يمنعهم عنهم بقدر وسعته ثم (قال) لهم (هؤلاء بناتي) أي نساء القوم  
 لأن كل أمة أولاد نبيها رجالهم بنوه ونساءهم بناته فكأنه قال لهم هؤلاء بناتي فانكحوهن  
 وخلوا بنى فلا تتعرضوا لهم (ان كنتم فاعلين) أي ما أقول لكم أو قضاء الشهوة والكلام في ذلك  
 قدم تر بالاقتضاء في سورة هود وقرأ نافع بفتح ياء بناتي والباقون بسكونها قال الله تعالى لنبيه  
 محمد صلى الله عليه وسلم على لسان ملائكته (لعمرك) أي وحياتك وما أقدم بحياة أحد غيره  
 وذلك يدل على أنه أكرم الخلق على الله تعالى (أنهم أتى سكرتهم) أي شدة غفلتهم التي أزلت  
 عقولهم (بهمهون) أي يتضيقون الخطاب للوط عليه السلام قالت له الملائكة ذلك أي



فكيف يعقلون قولك ويلتفتون الى نصيحتك • (تنبيه) • امر لك مبتدأ محذوف الخبر  
وجوبا وانهم وما في حيزه جواب القسم تقديره لعمر ك قسما أو عيني انهم والعمر والعمر  
بالفتح والضم واحده وهو البقاء الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لا يثار الاخف فيه وذلك لان  
الحلق كثير الدور على السننم بلعمرى ولعمر ك (فأخذتهم الصيحة) أى صيحة هائلة مهلكة  
وهل هي صيحة جبريل عليه السلام قال الرازى ليس فى الآية دليل على ذلك فان ثبت بدليل  
قوى قبله والا ليس فى الآية دليل الا انهم جاءتهم صيحة عظيمة مهلكة وقوله تعالى  
(مشرقين) أى داخلين فى وقت الشروق وهو بزوغ الشمس حال من مفعول أخذتهم ثم بين  
سبحانه وتعالى ما تسبب عن الصيحة معقبها بقوله تعالى (فجهننا) أى بما لنا من العظمة والقدرة  
(عاليها) أى مداشهم (سافلها) بأن رفعها جبريل عليه السلام الى السماء وأسقطها مقلوبة  
الى الارض (وأمرنا عليهم) أى أهل المدائن التى قلبت المدائن لاجلهم (حجارة من جليل)  
أى طين طبخ بالنار • (تنبيه) • دلت الآية الكريمة على أن الله تعالى عذبهم بثلاثة أنواع  
من العذاب أحدها الصيحة الهائلة المنكرة وثانيها أنه جعل عاليها سافلها وثالثها انه أمطر  
عليهم حجارة من جليل وتقدمت الاشارة الى ذلك فى سورة هود (ان فى ذلك) أى المذكور  
من هذه الأنواع (لايات) أى دلالات على وحدانية الله تعالى (للمتوسمين) أى للناظرين  
المعتبرين جمع متوسم وهو الناظر فى السمة حتى يعرف حقيقة الشئ وسمته (وانها) أى هذه  
المدائن (ليسيل) أى طريق قريش الى الشام (مقيم) أى لم يندرس بل يشاهدون ذلك  
ويرون أثره أفلا يعتبرون ثم قال سبحانه وتعالى مشيراً الى زيادة الحث على الاعتبار بالتأكيده  
(ان فى ذلك) أى هذا الامر العظيم (لاية) أى علامة عظيمة فى الدلالة على وحدانيته تعالى  
(للمؤمنين) أى كل من آمن بالله وصدق الانبياء والرسل عرف ان ذلك انما كان لاجل  
ان الله تعالى انتقم لانياته من أولئك الجهال أما الذين لا يؤمنون بالله فانهم يحملونه على  
حوادث العالم ووقائعهم ثم ذكر تعالى القصة الثالثة وهى قصة شعب عليه السلام بقوله  
تعالى (وان) مخففة من الثقيلة أى وانه (كان) أى جبهه وطبعاً (أصحاب الايكة) وهم  
قوم شعب عليه السلام وقد ذكر الله تعالى قصتهم فى سورة الشعراء والايكة الشجر  
المتكاثف وقيل الشجر الملتف وقال ابن عباس هى شجر المقل وقال الكلبى الايكة الغيضة  
أى غيضة شجر بقرية مدين (الظالمين) أى عريقين فى الظلم تكذيبهم شعباً عليه السلام  
(فانتقمنا منهم) أى بسبب ذلك قال المفسرون اشتد الحزف فيهم أياما ثم اضطرم عليهم المكان ناراً  
فهلكوا عن آخرهم وقوله تعالى (وانهما) فيه قولان الاقل ان المراد قري قوم لوط والايكة  
والقول الثانى أن الضمير للايكة ومدين لان شعباً كان معه وثالثها فلما ذكر الايكة  
دل بذكرها على مدين فجاء ضميرها (لبامام) أى طريق (مبين) أى واضح والامام اسم لما يؤتم به  
قال الشعراء انما جعل الطريق اماماً لانه يؤتم ويتبع وقال ابن قتيبة لان المسافر يأتى به حتى  
يسل الى الموضع الذى يريد ثم ذكر تعالى القصة الرابعة وهى قصة صالح عليه السلام بقوله

تعالى (ولقد كذب أصحاب الحجر) وهم نعوذقوم صالح عليه السلام وديارهم بين المدينة  
 الشريفة والشام (المرسلين) أي كلهم بتكذيب رسوله - كما كذب هؤلاء المرسلين بتكذيبك  
 لأن الرسل يشهد بعضهم لبعض بالصدق فن كذب واحدا منهم فقد كذب الجميع وهم في اثبات  
 الرسالة بالمعجزة على حد سواء ثم أتبع ذلك قوله تعالى (وآتيناهم) أي بما لنا من العظمة والقدرة  
 على يد رسولهم صالح عليه السلام (آياتنا) أي آيات الكتاب المنزل على نبيهم أو معجزات كالناقة  
 وكان فيها آيات كثيرة كخروجها من الصخرة وعظيم خلقها وقرب ولادتها وغزارة لبنها وانما  
 أضاف الآيات اليهم وان كانت لنبيهم صالح عليه السلام لأنه مرسل من ربهم اليهم بهذه الآيات  
 (فكانوا عنها) أي الآيات (معرضين) أي تاركينها غير ملتفتين اليها لا يتفكرون فيها ثم أخبر تعالى  
 عنهم أنهم كانوا مثل هؤلاء في الأمن من العذاب والعقوبة عما يراد بهم مع أنهم كانوا أشد منهم  
 فقال تعالى (وكانوا ينصتون) والنحت قلع جزء بعد جزء من الجسم على سبيل المسح (من الجبال)  
 أي التي تقدم انا جعلنا هارواسي (بيوتنا منين) عليها من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب  
 الاعداء لولنا قمت الا كسيوتكم التي لابقاء لها على أدنى درجة وقرأ ورش وأبو عمرو وحض  
 برفع الباء والباقون بكسر ها (فأخذتهم الصيحة) أي صيحة العذاب (مصحين) أي وقت الصبح  
 (فأغنى) أي مادفع (عنهم) الضر والبلاء (ما كانوا يكسبون) أي يعملون من بناء البيوت  
 الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وعن جابر رضي الله تعالى عنه مر رناع رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا ندخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا أن تكفوا يا كين  
 حذرا أن يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحته فأسرع حتى  
 خافها ولما ذكر تعالى هذه القصة تسلية لنبية صلى الله عليه وسلم فإنه اذا سمع ان الامم السالفة  
 كانوا يعملون انبياء الله بمنزل هذه المعاملات سهل تحمل تلك السفاهة قال تعالى (وما خلقنا  
 السموات والارض) أي على ما لها من العلو والسعة والارض على ما لها من المنافع والغرائب  
 (وما بينهما) من هؤلاء المشركين المكذبين وعذابهم ومن المياه والرياح والسماب المسبب عنه  
 النبات وغير ذلك (الا بالحق) أي الا خلقا ملتبسا بالحق فيستكرفيه من وفقه الله تعالى ليعلم  
 النشأة الاخرية - هذه النشأة الاولى (وان الساعة) أي القيامة (لا تيسر) لا محالة فيجازي الله  
 تعالى كل أحد بعمله ثم انه تعالى لما صبره على أذى قومه رغبه بعد ذلك في الصبح عن سيئاتهم  
 بقوله تعالى (فاصفح الصبح الجميل) أي اعرض عنهم اعراضا لجزع فيه ولا تهمل بالانتقام  
 منهم وهذا منسوخ نآية السيف قال الرازي وهو بعيد لان المقصود من ذلك أن يظهر الخلق  
 الحسن والصفو والصفح فكيف يصبر منسوخا هـ والاول جرى عليه البغوى وجماعة من  
 المقربين ثم هل تعالى هذا الامر بقوله (ان ربك) أي المحسن اليك الامر لك بهذا (هو) أي  
 وحده (الخلق) أي المتكرر منه هذا الفعل (العليم) أي البالغ العلم بكل المعالومات فليست  
 أقوالهم وأفعالهم الا منه سبحانه وتعالى لانه خالقها وقد علمت أنه لا يضيع مثقال ذرة فأعتمد  
 عليه في أخذ حثك فانه نعم المولى وتم النصير ولما صبره الله تعالى على أذى قومه وأمره أن يصفح

الصفح الجميل اتبع ذلك بذكر النعم العظيمة التي خص الله تعالى أفضل خلقه بها بقوله تعالى  
 (ولقد آتيناك) يا أفضل الخلق بالناسم العظيمة والقدرة كما آتيناها لحامات مقدم (سبعاً) يكون  
 كل سبع منها كفيلاً باغلاق باب أبواب من النيران السبعة وهي أم القرآن الجامعة لجميع معاني  
 القرآن التي أمرنا باعادتها في كل ركعة زيادة في حفظها وتبركها كابلفظها وتذكر المعانيها  
 وتخصيها عنها عن بقية الذكر الذي تكفلنا بحفظه والسبب في وقوع هذا الاسم على الفاتحة  
 لانها سبع آيات وهذا ما عليه أكثر المفسرين روى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ الفاتحة وقال هي  
 السبع المثاني رواه أبو هريرة وقيل المراد سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعة فقيل  
 الاثقال وبرامة لانها في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بآية البسملة وقيل الحواميم السبع  
 وقيل سبع صحائف وهي الاسباع وقوله تعالى (من المثاني) صفة للسبع وهو جمع واحد  
 مثناة والمثناة كل شيء يثنى أي يجعل اثنين من قولك ثبتت الشيء ثباتاً أي عطفته وضممت اليه  
 آخر ومنه يقال لركبتي الدابة ومر فقها مثاني لانها تثنى بالفتح والعضد ومثاني الوادي معاطفه  
 أما تسمية الفاتحة بالمثاني فلوجوه الاول أنها تثنى في كل صلاة بمعنى أنها تقرأ في كل ركعة الثاني  
 أنها تثنى بما بعدها فيما يقرأ معها الثالث أنها قسمت قسمين اثنين لما روى أنه صلى الله عليه وسلم  
 قال يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين والحديث مشهور وقد ذكرته في  
 وجه تسميتها صلاة عند ذكرها الرابع أنها قسمان اثنان ثناء ودعاء وأيضا النصف الاول منها حق  
 الربوبية وهو الثناء والنصف الثاني حق العبودية وهو الدعاء الخامس أن كلماتها مثناة مثل  
 الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم وأما  
 السور والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعود والوعيد وغير ذلك وما فيها  
 من الثناء كأنها تثنى على الله تعالى بأفعاله العظيمة وصفاته الحسنى \* (تنبيه) \* من في من المثاني  
 أما للبيان أو للتبعض اذا أردت بالسبع الفاتحة والطوال والبيان ان أردت الاسباع قال  
 الرخشي ويحوز أن تكون كتب الله كلها مثاني لانها تثنى عليه لما فيها من المواعظ المكررة  
 ويكون القرآن بعضها وقوله تعالى (والقرآن العظيم) أي الجامع لجميع معاني الكتب  
 السماوية المتكفل بخيرى الدارين مع زيادات لا تحصى فيه أوجه أحدها أنه من عطف بعض  
 الصفات على بعض أي الجامع بين هذين الثنتين الثاني أنه من عطف العام على الخاص إذ  
 المراد بالسبع أما الفاتحة وأما الطوال فكانت ذكر مرتين بجهة الخصوص ثم باندراجها في  
 العموم الثالث أن الواو مقحمة \* ولما عرف سبحانه وتعالى رسوله عظيم نعمه عليه فيما يتعلق  
 بالدين وهو أنه آتاه سبعاً من المثاني والقرآن العظيم نهاء عن الرغبة في الدنيا بقوله تعالى  
 (لا تمدن عينيك) أي لا تشغل سرلك وخطرك بالالتفات (إلى مائة منها به أزواجاً منهم) أي  
 أصنافاً من الكفار والزوج في اللغة الصنف وقد أوتيت القرآن العظيم الذي فيه مغي عن  
 كل شيء قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه من أوتي القرآن قرأه أن أحد أوتي في الدنيا أفضل  
 مما أوتي فقد صغر عظيماً وعظم صغيراً وتاقل سفيان بن عيينة هذا الآية بقول النبي صلى الله

عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن أي لم يستغن وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما  
تخذ عينيك أي لا تمن ما فضلنا به أحدا من متاع الدنيا وقيل أتت من بعض البلاد سبع  
قوافل ليهود قرظطة والنضير فيها أنواع البر والطيب والجوهر وماتر الامتعة فقال المسلمون  
لو كانت هذه الاموال لنا لتقويننا بها وأتقناها في طاعة الله تعالى فقال الله تعالى لقد أعطيتكم  
سبع آيات هن خير من هذه القوافل السبع وقتر الواحدى هذا المعنى فقال انما يكون ما اذا  
عينه الى الشئ اذا دام النظر فهو وادامة النظر الى الشئ تدل على استحصانه وعتميه وكان  
النبي صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى ما يستحسن من متاع الدنيا روى أنه نظر الى نعم بنى المصطلق  
وقد عوس في ابوالها وابهارها وهو أن تجف ابوالها وابهارها على أنفها اذا تركت من  
العمل أيام الربيع فتكثر شعومها ولحومها وهي أحسن ما تكون وعن أبي هريرة رضي الله  
تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى  
من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم وقوله تعالى (ولا تحزن عليهم) نهى له عن  
الالتفات اليهم ان لم يؤمنوا فيخلصوا أنفسهم من النار ولما نهى سبحانه وتعالى عن الالتفات  
الى أولئك الاغنياء من الكفار أمره بالتواضع لفقراء المسلمين بقوله تعالى (واخفض جناحك)  
أي أن جابتك (للمؤمنين) أي العريقتين في هذا الوصف واصبر نفسك معهم وارفق بهم ولما  
أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا والتواضع للمؤمنين أمره بتبليغ  
ما أرسل به اليهم بقوله تعالى (وقل انى أنا النذير) من عذاب الله أن ينزل عليكم ان لم تؤمنوا  
وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبفتح الياء والباقون بالسكون (المبين) أي البين الانذار وقوله  
تعالى (كما أنزلنا) أي العذاب (على المقتسمين) قال ابن عباس هم اليهود والنصارى وهو بذلك  
لانهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه فوافق كتبهم آمنوا به وما خالف كتبهم كفروا به  
وقال عكرمة انهم اقتسموا سور القرآن فقال واحده هذه السورة في وقال اخر هذه السورة في  
وانما فعلوا ذلك استهزاء به وقال مجاهد انهم اقتسموا كتبهم فآمن بعضهم ببعضها وكفروا بعضهم  
ببعضها وقال قتادة أراد بالمقتسمين كفار قريش قال وهو بذلك لان أقوالهم تقسمت في القرآن  
فقال بعضهم انه سحر وزعم بعضهم انه كهانة وزعم بعضهم انه أساطير الاولين وقال ابن  
السائب ممنوا بالمقتسمين لانهم اقتسموا طرق مكة وذلك أن الوليد بن المغيرة بعث وهط من أهل  
مكة قبيل ستة عشر وقيل أربعين وقال انطلقوا فخرقوا على طرق مكة حيث يمر بكم أهل  
الموسم فاذا سألوكم عن محمد فقل بعضكم انه مجنون وليقل بعضكم انه كاهن وليقل بعضكم  
انه ساحر وليقل بعضكم انه شاعر فذهبوا وقعدوا على طرق مكة يقولون ذلك لمن يمر بهم من حجاج  
العرب وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام نصبوه حكا فاذا جاؤا سألوا عما قال أولئك  
فيقول صدقوا فاهلكهم الله تعالى يوم يدركه وقوله تعالى (الذين جعلوا القرآن عضين) نعت  
للمقتسمين وقال ابن عباس هم اليهود والنصارى جزوا القرآن أجزاء فآمنوا بما وافق التوراة  
والانجيل وكفروا بالباقي وقال مجاهد قسموا كتاب الله ففرقوه وبتدوه وقيل كانوا يستغنون به

فيقول بعضهم سورة البقرة في ويقول بعضهم سورة آل عمران في وقيل اقسام القرآن فقال  
 بعضهم سحر وقال بعضهم شعر وقال بعضهم كذب وقال بعضهم أساطير الاولين وقيل هم أهل  
 الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على أن القرآن ما يقرؤه من كتبهم فيكون ذلك  
 تسليمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقواهم سحر وشعر  
 وأساطير الاولين بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب فهو فعلهم (تنبيه) \* عضين جمع  
 عضة وهي الفرقة والعضين الفرق وتقدم معنى جعلهم القرآن كذلك وقيل العضة السحر بلغة  
 قريش يقولون هو عاضه وهي عاضه وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضه  
 والمستعضه أي الساحرة والمستسحرة وقيل هو من العضة وهو الكذب والبهتان يقال عاضه  
 عضها وعضية أي رماه بالبهتان وقيل جمع عضواً خوذ من قولهم عضيت الشيء أعضيته اذا فرقه  
 وجعلته أجزاء وذلك أنهم جعلوا القرآن أعضاء مفرقة فقال بعضهم سحر وقال بعضهم أساطير  
 الاولين ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه على أنه يسأل هؤلاء المقتسمين الذين جعلوا القرآن  
 عضين بقوله تعالى (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) فيكون الضمير عائداً على المقتسمين  
 لانه الاقرب ويحتمل أن يعود على جميع المكلفين لان ذكرهم تقدم في قوله تعالى وقل اني انا  
 النذير المبين أي لجميع الخلق قال جماعة من المفسرين يستلون عن لاله الا الله وقال أبو  
 العالية يستلون عما كانوا يعبدون وما أجابوا به المرسلين (فان قيل) كيف الجمع بين قوله في  
 فوربك انسألنهم أجمعين وبين قوله تعالى فيومثلا يستل عن ذنبه انس ولا جان (أجيب) بأن  
 النبي ينصرف الى بعض الاوقات والاشبات الى وقت آخر لان يوم القيامة يوم طويل وفيه  
 مواقف يستلون في بعضها ولا يستلون في بعض آخر وتطيره قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون وقال  
 في آية أخرى ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم  
 (فاصدع) أي اجهر بعلو وشدة فارقا بين الحق والباطل وقرأ حمزة والنكسائي بإشمام الصاد  
 الساكنة قبل الدال والباقون بالصاد الخالصة (جاء) أي بسبب ما (تومس) به أمر النبي صلى  
 الله عليه وسلم في هذه الآية باظهار الدعوة روى عن عبد الله بن عبيدة قال كان مستفضياً حتى  
 نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه (واعرض) أي اعراض من لا يسأل (عن المشركون)  
 بالفتح الجليل عن الاذى والاجتهاد في الدعاء ولا تلتفت الى لومهم اياك على اظهار الدعوة قال  
 بعض المفسرين كالغوى وهذا منسوخ بآية القتال قال الرازي وهو ضعيف لان معنى هذا  
 الاعراض ترك المناقاة بهم فلا يكون مفذوخاً ولما كان هذا الصدع في غاية الشدة عليه صلى  
 الله عليه وسلم لكثرة ما يلقي عليه من الاذى خفف عنه سبحانه وتعالى بقوله معللاً (انا) أي  
 بينا لنا من العظمة والقدرة (كفيناك المستهزئين) أي شر الذين هم عريقون في الاستهزاء وهم  
 خمسة نفر من رؤساء قريش الوليد بن المغيرة والعاصم بن وائل وعندي بن قيس والاهود  
 ابن صند المطلب والاسود بن عبد يغوث ووصف سبحانه وتعالى هؤلاء بقوله تعالى (الذين  
 يجهلون مع الله الها آخر) وقيل ليس بصفة بل مبتدأ ولتضمنه معنى الشرط دخلت الفاء في الخبر

وهو (سوف يعلمون) أي عاقبة أمرهم في الدارين \* ولما ذكر سبحانه وتعالى أن قومه  
يسفهون عليه ولا سيما أولئك المقسمون قال له تعالى (ولقد تعلم) أي تحقق وقوع علمنا (أنك)  
أي على مالك من الحلم وسعة البطن (يضيق صدرك) أي يوجد ضيقه ويتجدد (بما يقولون)  
أي من الاستهزاء والتكذيب بك وبالقرآن لأن الجبهلة البشرية والمزاج الانساني يقتضي  
ذلك فعند هذا قال تعالى (فسبح) ملتبسا (بحمد ربك) أي نزهه عن صفات النقص وقال  
الضحاك قل سبحانه الله وحمده وقال ابن عباس فصل بأمر ربك (وكن من الساجدين) أي  
من المصلين روى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وقتت معناه في  
سورة البقرة \* (تنبه) \* اختلف الناس كيف صار الاقبال على الطاعات سبباً لزال ضيق  
القلب والحزن فقال العارفون المحققون إذا اشتغل الانسان بهذه الانواع من العبادات يتنور  
باطنه ويشرق عليه وينفسح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها فلا  
يلتفت إليها وقال بعض الحكماء إذا نزل بالانسان بعض المكروه ففزع إلى الطاعات فكأنه  
يقول يا رب يجب علي عبادتك سواء أعطيتني الخيرات أو ألقيتني في المكروهات فأنا عبدك بين  
يديك فافعل بي ما تشاء (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) قال ابن عباس يريد الموت وسمى  
الموت يقيناً لأنه أمر متيقن وهذا من مثل قوله تعالى في سورة مريم وأوصاني بالصلاة والزكاة  
ما دمت حياً وروى البغوي بسنده عن ابن جبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوحى  
الله إلي أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى إلي أن أسبح بحمد ربك وكن من  
الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (فان قيل) أي فائدة لهذا التوقيت مع أن كل أحد  
يعلم أنه إذا مات سقطت عنه العبادات (أجيب) بأن المراد منه واعبد ربك في جميع زمان  
حياتك فلا تخل لحظة من لحظات الدنيا بهذه العبادات وعن عمر رضي الله عنه قال نظر رسول  
الله صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلاً وعليه اهاب كبش قد نطق به فقال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم انظروا إلى هذا الذي نور الله قلبه لقد رأيت بين أبيه يغذوانه بأطيب  
الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شراها أو قال شريت له بما تقي درهم فدعاه حب  
الله وحب رسوله إلى ماترون وما وواه البيضاءوى تعال للزخشي من أنه صلى الله عليه وسلم قال  
من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستترتين  
بحمد صلى الله عليه وسلم حديث موضوع

### ﴿سورة النمل عية﴾

الاقوله تعالى وان عاقبتهم إلى آخر السورة وحكى الاصم عن بعضهم أنها كلها مدنية وقال آخرون  
من أولها إلى قوله كن فيكون مدني وما سواها مكى. وعن قتادة بالعكس وتسمى سورة النمل  
والمقصود من هذه السورة الدلالة على أنه تعالى تام القدرة والعلم فاعل بالاختيار منزه عن  
شوائب النقص وأدل ما فيها على هذا المعنى أمر النمل لما ذكر من شأنها في دقة الفهم في ترتيب

بيوتها وزحبا وسائر أمرها من اختلاف ألوان ما يخرج منها من أعسالها وجعله شفا مع أكلها  
 من الثمار النافعة والضارة وغير ذلك من الأمور ووسمها بالنم واضح وهي مائة وثمانية وعشرون  
 آية وألفان وثمانمائة وأربعون كلمة وعدد حروفها سبعة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف  
 (بسم الله) أي المحيط بآثار الكمال فاشاء فعل (الرحمن) أي الذي عمت نعمته جليل خلقه  
 وحقره صغيره وكبيره (الرحيم) أي الذي خص من شاء بنعمته النجاة مما يسخطه بما يراه وقوله  
 تعالى (أتى أمر الله) فيه وجهان أحدهما أنه ماض لفظا مستقبلا معنى إذا المراد به يوم القيامة  
 وإنما برزه في صورة ما وقع وانقضى تحقيقا له وصدق الخبر به والثاني أنه على باب المراد  
 مقدما له وأوله وهو نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أي جاء أمر الله ودنا وقرب فانه يقال في  
 الكلام المعتاد انه قد أتى ووقع اجراء لما يجب وقوعه مجرى الواقع يقال لمن طلب الاعانة  
 وقرب حصوله اجاء الغوث أي أتى أمر الله وعدا (فلا تستجلبوه) وقوعا قبل مجيئه فانه واقع  
 لا محالة روى أنه صلى الله عليه وسلم قال بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه السبابة  
 والوسطى قال ابن عباس كان مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة \* ولما مر  
 جبريل بأهل السموات مبعوثا إلى النبي صلى الله عليه وسلم لم قالوا الله أكبر قامت الساعة وروى  
 أنه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا أي محمد صلى الله عليه وسلم يزعم  
 أن القيامة قد اقتربت فأمسكوا عن بعض ما تقولون حتى تنظروا ما هو كائن فلما تأخرت قالوا  
 ما نرى شيئا فنزل اقتراب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى  
 شيئا مما تخوفنا به فنزل أتى أمر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم  
 وظنوا أنهم قد أتت حقيقة فنزل فلا تستجلبوه فاطمأنوا فكان الكفار قالوا اسئلناك يا محمد الا أنا  
 نعبد هذه الاصنام لتشفع لنا عند الله تعالى فخلصنا من هذا العذاب المحكوم به فأجابهم الله  
 تعالى بقوله تعالى (سبحانه) أي تنزيها له (وتعالى عما يشركون) أي تبرأ سبحانه وتعالى بالاوصاف  
 الحميدة عن أن يكون له شريك في ملكه وقرأ جزء والكسائي أتى بالامالة وقرأ ورش بالفتح وبين  
 اللقطين والباقون بالفتح وقرأ جزء والكسائي عما تشركون في الموضوعين بالتاء على وفق قوله  
 فلا تستجلبوه والباقون بالياء على الغيبة على تلوين الخطاب أو على أن الخطاب للمؤمنين أو لهم  
 وغيرهم \* ولما أجب سبحانه وتعالى الكفار عن شبهتهم بقوله تنزيها لنفسه عما يشركون وكان  
 الكفار قالوا هب ان الله تعالى قضى على بعض عبده بالشر وعلى آخرين بالخير ولكن كيف  
 يمكنك أن تعرف هذه الامور التي لا يعلمها الا الله تعالى وكيف صرت بحيث تعرف أسرار  
 الله تعالى وأحكامه في ملكه وملكوته فاجابهم الله تعالى بقوله (ينزل الملائكة) قال ابن عباس  
 يريد الملائكة جبريل وحده قال الواحد يسمى الواحد بالجمع اذا كان ذلك الواحد رئيسا  
 وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وتخفيف الزاي والباقون بتشديد ها والمراد (بالروح) الوحى أو القرآن  
 فان القلوب تحيا به من موت الجهالات وقوله تعالى (من أمره) أي بارادته حال من الروح (على  
 من يشاء من عباده) وهم الانبياء (أن أذروا) أي خوفوا الكافرين بالعذاب وأعلموهم (أنه)

أى الشان (لا اله الا أنا) أى لا اله غيرى وقوله تعالى (فاتقون) أى خافوا رجوع الى مخاطبتهم  
 بما هو المقصود \* (تنبيه) \* فى قوله تعالى ان أنذروا ثلاثة أوجه أحدها أنها المقسرة لان  
 الوحي فيه ضرب من القول والانزال بالروح عبارة عن الوحي قال تعالى وكذلك أوحينا اليك  
 روحا من أمرنا الثانى أنها المنخفضة من الثقيلة واما ضمير الشأن محذوف الثالث أنها  
 المصدرية التى من شأنها نصب المضارع ووصلت بالامر كقوله سم كتبت اليه بأن قم والاية تبدل  
 على أن نزول الوحي بواسطة الملائكة وان النبوة عطاءة \* ولما اوجد سبحانه وتعالى نفسه ذكر  
 الآيات الدالة على وحدانيته من حيث انها تدل على أنه تعالى هو الموجد لا اصول العالم  
 وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة بقوله تعالى (خلق السموات) أى التى هل السقف المظلم  
 (والارض) أى التى هى البساط المقل (بالحق) أى أوجدهما على مقدار وشكل وأوضاع  
 وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته (تعالى) أى تعاليات الوصف (عما يشركون) به  
 من الاصنام \* ولما كان خلق السموات والارض غيبا بالتقدمه وكان خلق الانسان على هذه  
 الصفة شهادة فتكون أقوى فى الدلالة على وحدانيته تعالى قال تعالى (خلق الانسان) أى  
 هذا النوع (من نطفة) أى آدم عليه السلام من مطلق الماء ومن تفرع عنه بعدد زوجة حواء  
 من ماء مقيد بالدق الى أن صيره قويا شديدا (فاذا هو خصيم) أى شديدا لخصومة (مبين) أى  
 بينها روى أن أبى بن خلف الجمعي وكان يشكر البعث جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم  
 رميم فقال تزعم يا محمد ان الله يحيى هذا العظم بعد ما قدرتم فنزلت هذه الآية ونزل فيه أيضا قوله  
 تعالى قال من يحيى العظام وهى رميم قال الخازن فى تفسيره والصحيح ان الآية عامة فى كل  
 ما يقع فيه لخصومة فى الدنيا ويوم القيامة وجلها على العموم أولى ولما كان أشرف الاجسام  
 الموجودة فى العالم السفلى بعد الانسان سائر الحيوانات وأشرفها الانعام ذكرها بقوله تعالى  
 (والانعام) أى الأزواج الثمانية الضأن والمعز والابل والبقر ونسبه بفعل يفسره  
 (خلقها) قال الواحدى تم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتدأ فقال (لكم فيها دفء)  
 أى ما يدفأ به من اللباس والاكسية ونحوها المتخذة من الاصواف والابار والاشعار قال  
 ويجوز أيضا أن يكون تمام الكلام عند قوله والانعام خلقها لكم ثم ابتدأ فقال تعالى فيها  
 دفء قال الرازى قال صاحب النظم وأحسن الوجهين أن يكون الوقف عند قوله تعالى خلقها  
 والدليل عليه أنه عطف عليه ولكم فيها جمال والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال \* ولما  
 ذكر تعالى الانعام ذكر لها أنواعا من المنافع الاقل قوله تعالى لكم فيها دفء النوع الثانى  
 قوله تعالى (ومنافع) أى ولكم فيها منافع من نسلها ودرها وركوبها والحمل عليها وسائر  
 ما ينتفع به من الانعام وانما عبر تعالى عن ذلك بلفظ المنفعة وهو اللفظ الدال على الوصف  
 الاعم لان الدر والنسل قد ينتفع به فى الاكل وقد ينتفع به فى البيع بالنقود وقد ينتفع به بأن  
 يتدل بالثياب وسائر الضروريات فعبّر عن جملة هذه الاقسام بلفظ المنافع ليتناول الكل  
 النوع الثالث قوله تعالى (ومنها تأكلون) فان قيل تقديم الظرف يفيد الحصر لان تقديم



الظرف مؤذن بالاختصاص وقد يؤول كل من غيرها (أجيب) بأن الأكل من هذه الأنعام هو الذي يعقده الناس في معاشهم وأما الأكل من غيرها كالدياج والبط والاوز وصيد البر والبحر فليس يعتد به في الأغلب وأكله يجري مجرى التفكه به فخرج ومنها تأكلون مخرج الغالب في الأكل من هذه الأنعام (فان قيل) منفعة الأكل مقدمة على منفعة اللباس فلم تقدمت منفعة اللباس عليه (أجيب) بأن منفعة اللباس أكثر من منفعة الأكل فلهذا تقدمت على منفعة الأكل (ولكم فيها جمال) أي رينة (حين تريحون) أي تردونهما من مراعيها إلى مراعيها بالعشي (وحين تسرحون) أي تخرجونهما بالغداة إلى المرعى فان الألفية تترين بهما في الوقتين وتقبل أهلها في أعين الناظرين إليها (فان قيل) لم تقدمت الراحة على التسريح (أجيب) بأن الجمال في الراحة أظهر إذا أقبلت ملائى البطون حافلة الضروع ثم أوت إلى الخطائر حاضرة لأهلها فيخرج أهلها بمختلف تسريحها إلى المرعى فانها تخرج جاثمة البطون ضامرة الضروع ثم تأخذ في التفريق والاتسار للمرعى في البرية فليس في التسريح تجمل كما في الراحة النوع الرابع قوله تعالى (وتحمل أثقالكم) جمع نقل وهو متاع المسافر (إلى بلد) أي غير بلدكم أردتم السفر إليه (لم تكونوا بالفيه) أي غير واصلين إليه على غير الأبل (الابشق الانفس) أي الأبكفة ومشقة والشق بكسر الشين نصف الشيء أي لم تكونوا بالفيه إلا بنقصان قوة النفس وذهاب نصفها وقال ابن عباس يريد من مكة إلى اليمن وإلى الشام وإلى مصر قال الواحدى والمراد كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير الأبل شق عليكم وخص ابن عباس هذه البلاد لأن متابراً أهل مكة كانت إلى هذه البلاد (فان قيل) المراد من قوله تعالى والأنعام خلقها لكم الأبل فقط بدليل أنه وصفها إلى آخر الآية بقوله وتحمل أثقالكم إلى بلد وهذا الوصف لا يليق إلا بالأبل (أجيب) بأن المقصود من هذه الآيات تعدد منافع الأنعام فبعض تلك المنافع حاصل في الكل وبعضها مختص ببعض والدليل عليه أن قوله ولكم فيها جمال حاصل في البقر والغنم مثل حصوله في الأبل (تنبيه) \* احتج منكر وكرامات الأولياء بهذه الآية قائماً بتدل على أن الإنسان لا يمكنه الانتقال من بلد إلى بلد إلا بشق النفس وحمل الأثقال على الأبل ومشتوا الكرامات يقولون إن الأولياء قد ينتقلون من بلد إلى بلد آخر بعيد في ليلة واحدة من غير تعب وتحمل مشقة وكان ذلك على خلاف هذه الآية فيكون باطلاً وإذا بطل القول بالكرامات في هذه الصورة بطل القول بها في سائر الصور إذا قائل بالفرق وأجاب المثبتون بأننا نخص عموم هذه الآية بالأدلة الدالة على وقوع الكرامات (إن ربكم) أي الموجد لكم والمحسن إليكم (لرؤف) أي بليغ الرحمة لمن يتوسل إليه بما يرضيه وقرأ أبو عمرو وشعبة وحزرة والكسائي بقصر الهمزة والباقيون بالمد (رحيم) أي بليغ الرحمة بسبب وبغير سبب وقوله تعالى (والليل) أي الصاهلة وهو اسم جنس لا واحد له من لفظه كالأبل والرهط (والبغال) أي المتولدة بينها وبين الحمير (والحمير) الناهقة عطف على الأنعام أي وخلق هذه الحيوانات (لتركبوها) أي لاجل أن تركبوها وفي نصب قوله تعالى (وزينة) أوجه أحدها أنه مفعول من أجله وإنما وصل الفعل إلى

الأول باللام في قوله تعالى لتركبوهما والى هذا ينضمه لاختلاف شرطه في الأول وهو عدم اقتصاد  
 الفاعل فإن الخالق هو الله تعالى والراكب الخاطبون بخلاف الثاني الثاني انها منصوبة  
 على الحال وصاحب الحال اما مفعول خلقها واما مفعول لتركبوهما فهو مصدر أقيم مقام  
 الحال الثالث أن ينتصب بتقدير فعل قدره الرخصى بقوله وخلقها زينة وقدره ابن  
 عطية وغيره بقولهم وجعلها زينة الرابع أنها مصدر فعل محذوف أى وتزينون بها زينة  
 \* (تنبيه) \* احتج القائلون وهم ابن عباس والحاكم وأبو حنيفة ومالك بتحريم لحوم الخيل  
 بهذه الآية قالوا منفعة الأكل أعظم من منفعة الركوب ولو كان أكل لحم الخيل جائزا لكان  
 هذا المعنى أولى بالذكر وحيث لم يذكره تعالى علمنا أنه يحرم أكله لأن الله تعالى خص الأنعام  
 بالأكل حيث قال تعالى ومنها تأكلون وخص هذه بالركوب فقال لتركبوهما فعلمنا أنها  
 مخلوقة للركوب لا للأكل واحتج القائلون بإباحة أكل اللحم من الخيل وهم سعيد بن جبير  
 وعطاء وشريح والحسن والشافعي بما روى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضى الله تعالى  
 عنهم ما قالت فخرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة وبما روى  
 عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الجمار الأهلية وأذن في  
 الخيل وفي رواية أكلنا في زمن خيبر الخيل وجر الوحش ونهى النبي صلى الله عليه وسلم  
 عن الجمار الأهلية هذه رواية البخارى ومسلم وفي رواية أبي داود قال ذبحنا يوم خيبر الخيل  
 والبغال والحمير وكأقد أصابنا منجصة فمنا النبي صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا  
 عن الخيل وأجابوا عن هذه الآية بأن ذكر الركوب والزينة لا يدل على أن منفعتها مخصصة بذلك  
 وإنما خص هاتين المنفعتين بالذكر لأنهما معظم المقصود ولهذا سكت عن حمل الانتقال على  
 الخيل مع قوله تعالى في الأنعام وتحمل أثقالكم ولم يلزم من ذلك تحريم الانتقال على الخيل وقال  
 الواحدى لودات هذه الآية على تحريم أكل هذا الحيوان لكان تحريم أكلها معلوما في  
 مكة لأجل أن هذه السورة مكية ولو كان الأمر كذلك لكان قول عامة المفسرين والمحدثين أن  
 لحوم الجمار الأهلية حرمت عام خيبر أى وذلت في المدينة باطلا لأن التحريم لما كان حاصل قبل  
 هذا اليوم لم يكن تخصيص هذا التحريم بهذه السنة فائدة قال الرازى وهذا جواب  
 حسن متين وقال ابن الخازن والدليل الصحيح المعتمد عليه في إباحة لحوم الخيل أن السنة مبينة  
 للكتاب \* ولما كان نص الآية يقتضى أن الخيل والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة  
 وكان الأكل مسكوتا عنه ودار الأمر فيه على الإباحة والتحريم فوردت السنة بإباحة لحوم  
 الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير أخذنا به جماين النصين \* ولما ذكر سبحانه وتعالى هذه  
 الأنواع من الحيوان ذكر باقيها على سبيل الإجمال بقوله تعالى (ويخلق ما لا تعلمون) وذلك  
 لأن أنواعها وأصنافها وأقسامها كثيرة خارجة عن الحد والاحصاء ولو خاض الإنسان  
 في شرح عجائب أحوالها لكان المذكور بعد كتبه المجلدات الكثيرة كالقطرة في البحر فكان  
 أحسن الأحوال ذكرها على سبيل الإجمال كما ذكر الله تعالى في هذه الآية وروى عطاء

ومقاتل والضحاك عن ابن عباس أنه قال إن عن يمين العرش نهر من نور مثل السموات السبع  
والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل كل يوم ويقبض فيزداد نورا الى نوره  
وجالا الى جماله ثم يتفرض فيخلق الله تعالى من كل نفضة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك يدخل  
كل يوم منهم سبعون ألفا البيت المعمور وفي الكعبة أيضا سبعون ألفا لا يعودون اليه الى  
أن تقوم الساعة سبحانه من له هذا الملك العظيم قال تعالى وما به لم جنود ربك الا هو وفسر  
قتادة الآية بالسوس في النبات والدود في القواكذ وفسرها به ضهيم بما أعد الله تعالى لاهل  
الجنة في الجنة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر \* وما شرح الله تعالى  
دلائل التوحيد قال تعالى (وعلى الله) أي الذي له الاطاعة بكل شيء (قصد السبيل) أي بيان  
الطريق المستقيم انما ذكرت هذه الدلائل وشرحها اذ اذاحة العذر وازالة العلة لئلا يهلك من هلك  
عن بينة ويحیی من سحر عن بينة والمراد بالسبيل الجنس ولذلك أضاف اليها القصد وقال  
(ومنها) أي السبيل (جائر) أي حائد عن الاستقامة (فان قيل) هذه الآية تدل على أن الله  
تعالى يجب عليه الارشاد والهداية الى الدين وازاحة العليل والاعذار كما قال به المعتزلة لانه  
تعالى قال وعلى الله قصد السبيل وكلمة على للوجوب قال تعالى والله على الناس حج البيت  
(أجيب) بأن المراد على الله تعالى بحسب الفضل والكرم أن يبين الدين الحق والمذهب  
الصحيح (فان قيل) لم غير أسلوب الكلام حيث قال في الاقول وعلى الله قصد السبيل وفي الثاني  
ومن ما جازدون وعليه جائر (أجيب) بأن المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر  
انما جاء بالعرض ثم قال تعالى (ولو شاء) هدايتكم (لهداكم) الى قصد السبيل (أجمعين)  
فتمتدون اليه باختيار منكم قال الرازي وهذا يدل على أن الله تعالى ما شاء هداية الكفار وما  
أراد منهم الايمان لان كلمة لو تفيد انتفاء الشيء لا انتفاء غيره \* وما ذكر تعالى نعمه على عباده بخلق  
الحيوانات لاجل الانتفاع والزيادة عقبه بذكر انزال المطر لانه من أعظم النعم على عباده فقال  
(هو) أي لا غيره مما تدعى فيه الالهية (الذي أنزل) أي بقدرته الباهرة (من السماء) اما  
من نفسها أو من غيرها أو من جهتها أو من أصحاب كما هو مشاهد (ماء) أي واحدات تحوونه  
بالذوق والبصر (لكم منه) أي من ذلك الماء (شراب) أي تشربونه وقد بين تعالى في آية  
أخرى ان هذه النعمة جليلة فقال وجعلنا من الماء كل شيء حي (فان قيل) ظاهر هذا ان  
شرايب ليس الامن المطر (أجيب) بأنه تعالى لم ينف أن يشرب من غيره ويتقدير الحصر لا يمنع  
أن يكون الماء العذب تحت الارض من جملة ماء المطر سكن هذا البديل قوله في سورة المؤمنون  
وأنزلا من السماء ماء بقدر فأسكاه في الارض (ومنه) أي من الماء (شجر) أي ينبت بسببه  
والشجر هنا كل نبات من الارض حتى الكلا وفي الحديث لانا كواثم الشجر فانه  
صحت بمعنى الكلا (فان قيل) قال المفسرون في قوله تعالى والتجسم والشجر يسجدان المراد  
من التجسم ما ينجم من الارض مما ليس له ساق ومن الشجر ما له ساق (أجيب) بأن عطف الجنس  
على النوع وبالضمة مشهور وأيضا فلفظ الشجر يشعر بالاختلاط يقال تشاجر القوم اذا اختلط

أصوات بعضهم ببعض وتشاجرت الرياح إذا اختلطت وقال تعالى حتى يحكموا فيما شجر بينهم وهي الاختلاط حاصل في العشب والكلأ فوجب اطلاق لفظ الشجر عليه وبصح أن يكون المراد بالشجر هنا ماله ساق لأن الأبل تقدر على رعي ورق الأشجار الكبار وحينئذ فاطلاق الشجر على الكلأ مجاز (فيه) أي الشجر (تسمون) أي ترعونها واشكم يقال أسهت المشيمة إذا خليتها رعي وسامت هي إذا وعت حيث شامت قال الزجاج أخذ ذلك من السومة وهي العلامة لأنها تؤثر في الأرض برعيها علامات وقال غيره لأنها تعلم الأرسال في المرعى \* ولما ذكر تعالى الحيوانات تفصيلاً واجالاً ذكر الثمار تفصيلاً واجالاً بقوله تعالى (ينبت) أي الله (لكم به) أي بذلك الماء (الزرع والزيتون والنخيل والأعناب) ومن كل الثمرات) فبدأ بذكر الزرع وهو الحب الذي يقات به كل لحظة والشعير والارز لأن به قوام البدن وثى بذكر الزيتون لما فيه من الأدم والدهن وبارك فيه وثالث بذكر النخيل لأن ثمرها غذاء وفاكهة وختم بذكر الأعناب لأنه شبيه النخيل في المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر تعالى سائر الثمار اجالاً لأنه بذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده لأن الحبة الواحدة تقع في الطين فإذا مضى عليها مقدار معين من الوقت نفذ في داخل تلك الحبة أجزاء من رطوبة الأرض وذاوتها فتنتج الحبة فينشق أعلاها وأسفلها فيخرج من أعلى تلك الحبة شجرة صاعدة من داخل الأرض إلى الهواء ومن أسفلها شجرة أخرى غائصة في قعر الأرض وهذه الغائصة هي المسماة بعروق الشجرة ثم إن تلك الشجرة لا تزال تزداد وتنمو وتقوى ثم تخرج منها الأوراق والأزهار والأكام والثمار ثم إن تلك الثمرة تشتمل على أجسام مختلفة الطبايع مثل العنب فأن قشره وعجمه باردان يابسان كشيخان ولحمه وماؤه حاران رطبان لطيفان وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى (إن في ذلك لآية) بينة على أن فاعل ذلك تام القدرة بقدر على الإعادة وأنه مختار يفعل ذلك في الوقت الذي يريد وإنما تحصل معرفة ذلك (لقوم يتفكرون) فيما ذكر من دلائل قدرته ووجدانية فيؤمنون \* ثم ذكر سبحانه وتعالى أشياء تدل على أنه الفاعل المختار بقوله تعالى (وحذر لكم) أي أيها الناس لاصلاح أحوالكم (الدليل) للسكنى (والنهار) للمعاش ثم ذكر آية النهار فقال (والشمس) أي لمنافع اختصاصها ثم آية الليل فقال (والقمر) لأمور علقها به (والنجوم) أي الآيات نصبها لها \* ثم نبه على تغيرها بقوله تعالى (مسخرات) أي بأنواع التغيير لما خلقها له على أوضاع دبرها (بأمره) أي بإرادته سبباً لاصلاحكم وصلح ما به قوامكم دلالة على وحدانيته تعاد وفعله بالاختيار ولو شاء تعالى لأقام أسباباً غيرها وأغنى عن الأسباب وقرأ ابن عامر برفع الأربعة وهي الشمس والقمر والنجوم ومسخرات على الابتداء والخبر ووافق حفص في الاثنين الأخيرين والنجوم مسخرات لاغير والباقيون بالنصب عطفاً على ما قبله في الثلاثة الأولى وفي الرابع وهو مسخرات على الحال \* ولما ذكر سبحانه وتعالى هذه الأشياء وجعلها مسخرات لمنافع عباده ختم ذلك بقوله (إن في ذلك) أي التنصير العظيم (آيات) أي دلالات متعددة كثيرة عظيمة

(لقوم يعقلون) أى يتدبرون فيعلون أن جميع الخلق تحت قدره وقدرته وتسخيره لما أراده منهم وقوله تعالى (وما ذراً) أى خلق (لكم في الأرض) عطف على الليل أى وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات وقيل أنه في موضع نصب بفعل محذوف أى وخلق هكذا قدره أبو البقاء وكأنه استبعد تسلطه على ذلك فقد رفعه لائقاً وقوله تعالى (مختلفاً) حال منه وقوله تعالى (ألوانه) أى في الخلقة والهيئة والكيفية فاعل به (أن في ذلك لآية لقوم يذكرون) أى يتعظون \* (تنبيه) \* ختم تعالى الآية الأولى بالتفكير لأن ما فيه يحتاج إلى تأمل ونظر وختم الثانية بالعقل لأن مدارماتة - تم عليه وختم الثالثة بالتذكرة لأنه نتيجة ما تقدم وجمع الآيات في الثانية دون الأولى والثالثة لأن ما يبطئ بها أكثر ولذلك ذكر معها العقل \* ولما استدل سبحانه وتعالى على إثبات الإله أولاً بأجرام السموات والأرض وثانياً بإيدين الإنسان وثالثاً بجائز خلقه الحيوان ورابعاً بجائز النباتات ذكر خامساً بجائز العناصر وبدأ بالاستدلال بعنصر الماء بقوله تعالى (وهو) أى لا غيره وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون بضمها (الذي سخر البحر) أى ذلله وهيأه لعيش ما فيه من الحيوان وتكون الجواهر وغير ذلك قال علماء الهيئة ثلاثة أرباع كرة الأرض عادة في الماء فذلك هو البحر المحيط وجعل في هذا الربع المسكون سبعة أبحر قال تعالى والبحر يمده من بعده سبعة أبحر والذى سخره الله تعالى للناس هو هذه البحار فمن تسخيرها للخلق ما مر ومنه جعلها بحيث يتمكن الناس من الانتفاع بها بالكوب والغوص وغير ذلك فنافع البحار كثيرة وذكر سبحانه وتعالى منها هنا ثلاثة منافع الأولى قوله تعالى (لتأكلوا منه) أى بالأصطياد وغيره من لحوم الأسماك (لحماطرياً) لا تجد أنتم منه ولا ألين وهو أرطب اللعوم فيسرع إليه الفساد فيبادر إلى أكله عند ما في ذلك دلالة على كمال قدرته تعالى وذلك أن السمك لو كان كاه ما لحما ما عرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطري لأنه لما خرج من البحر الملح اللحم الطري في غاية العذوبة علم أنه يخلق الله وقدرته لا بحسب الطبع وعلم بذلك أن الله تعالى قادر على إخراج الضد من الضد المنفعة الثانية قوله تعالى (وتسخر جوامعهم) أى يجهدكم في الغوص وما يتبعه (حلية) أى اللؤلؤ والمرجان كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (تلبسونها) أى نساؤكم وهن بعضكم فكان اللابس أنتم ولأن زينة النساء بالحلى إنما هو لأجل الرجال فكان ذلك زينة لهم المنفعة الثالثة قوله تعالى (وترى الفلك) أى السفن (مواخر) أى تمخر الماء أى تشقه بجزيرها (فيه) أى مقبله ومدبرة وذلك أنك ترى سفينتين أحدهما تقبل والآخرى تدبر بربح واحدة وقال مجاهد تمخر الريح السفن يعني أنها إذا جرت يسمع لها صوت وقال الحسن مواخر يعني مملوأة متاعاً وقوله تعالى (ولتبتغوا) أى لتطلبوا عطف على تاكلوا وما بينهما اعتراض وقيل عطف على محذوف تقديره لتبتغوا بذلك ولتبتغوا (من فضله) أى من سعة رزقه بركوبها للتجارة والوصول إلى البلدان الشاسعة (ولعلكم تشكرون) الله على هذه النعم التي أنتم عاجزون عنها ولا تسخير ثم أنه تعالى ذكر بعض النعم التي خلقها الله تعالى في الأرض بقوله تعالى (وأتى

في الارض رواسي) أي جبالاً ثوابت (أن عميد) أي كراهة أن تميل وتضطرب (بكم) وقيل  
 لثلاث تميل بكم والاول قدره البصريون والثاني قدره الكوفيون وقد تقدم مثل ذلك في قوله  
 تعالى بين الله لكم أن تضلوا روى أن الله تعالى خلق الارض فجعلت عمور فسات الملائكة  
 ما هي بمقرأ حد على ظهرها فأصـجحت وقد أرسيت بالجبال لم تدرا الملائكة ثم خلقت وقوله تعالى  
 (وأنا نارا) عطف على رواسي لأن الالتقاء بمعنى الخلق والجعل ألا ترى أنه تعالى قال في آية  
 أخرى وجعل فيها رواسي من فوقها وقال تعالى وألقيت عليك محبة مني وذكر تعالى الانهار  
 بعد الجبال لأن معظم عيون الانهار وأصولها تكون من الجبال (و) جعل لكم فيها (سبلا) أي  
 طرقاً مختلفة تسلكون فيها في أسفاركم والتردد في حوائجكم من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان  
 (لعلكم تهتدون) أي تلك السبل الى مقاصدكم والى معرفة الله تعالى فلا تضلون (و) جعل  
 لكم فيها (علامات) أي من الجبال وغيرها جمع علامة تهتدون بها في أسفاركم \* ولما كانت  
 الدلالة بالنجم أنفع الدلالات وأوضحها برا وبحرا ليلا ونهارا نبه على عظمتها بالالتفات الى مقام  
 الغيبة لفهام العموم لتلايظن أن المخاطب مخصوص والامر لا يتعداه فقال تعالى (وبالنجم)  
 أي الجنس (هم) أي أهل الارض كلهم وأولى الناس بذلك المخاطبون وهم قريش ثم العرب  
 كلها لفرط معرفتهم بالنجوم (يهتدون) وقدم الجبار تنبيها على أن الدلالة بغيره بالنسبة اليه  
 ساقلة وقيل المراد بالنجم الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقيل الضمير لقريش لأنهم  
 كانوا كثيرى الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسائرهم بالنجوم \* ولما ذكر سبحانه  
 وتعالى من عجائب قدرته وبديع خلقه ما ذكر على الترتيب الاحسن والنظم الاكمل وكانت  
 هذه الاشياء المخلوقة المذكورة في الآيات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله ووحده انيته  
 وأنه تعالى المنفرد بخلقها جميعها قال على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة  
 هذه الاصنام العاجزة التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شيء (أفمن يخلق) أي هذه الاشياء  
 الموجودة وغيرها (كن لا يخلق) شيئا من ذلك بل على ايجاد شيء مما في يده يخلق بالعاقل أن  
 يشتغل بعبادة من لا يستحق العبادة وترك عبادة من يستحقها وهو الله تعالى (فان قيل) ذلك  
 الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان  
 حقي الزام أن يقال أفمن لا يخلق كن يخلق (أجيب) بأنهم لما جعلوا غير الله مثل الله تعالى  
 في تسميته باسمه والعبادة له وسؤاياته وبينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهها بها  
 فأفكروا عليهم ذلك بقوله تعالى أفمن يخلق كن لا يخلق (فان قيل) من لا يخلق ان أريده جميع  
 ما عبد من دون الله كان ورود من واضحالته العاقل يقلب على غيره فيعبر عن الجميع عن ولو جى  
 أيضا بما جازوا ان أريده الاصنام فلم جى بمن الذى هو لاولى العلم (أجيب) بأنهم سموها  
 آلهة وعبدوها فأجروها مجرى اولى العالم ألا ترى الى قوله تعالى على اثره والذين تدعون من  
 دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون والى قول الشاعر

بكيت الخسب القطر إذ صهرتني \* فقلت ومثلي بالكما بخدير

أسرب القطاهل من يعبر جناحه \* لعلى الى من قد هويت أطير  
وكل قطة لاتعبر جناحها \* تعيش بذل والجناح قصير

فأوقع من على سرب للمعاملة معاملة العقلاء وقيل للمشاكاة بينه وبين من يخلق وقيل  
لمعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولى العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله تعالى ألهم أرجل  
عشون بها يعنى أن الآهة حالهم منخطة عن حال من لهم أرجل وأيدوا آذان وقلوب لان هؤلاء  
أحياء وهم أموات فكيف تصح لهم العبادة الا انها الوصحت لهم هذه الاعضاء لصح ان يعبدوا  
\* ولما كان هذا القدر ظاهرا غير خاف على أحد فلا يحتاج فيه الى تدقيق الفكر والنظر بل  
بجزء التذكير فيه كفاية لمن فهم وعقل ختم تعالى ذلك بقوله تعالى (أدلتكرون) بما شاهدونه  
من ذلك ولو من بعض الوجوه فتؤمنون \* (تبيه) \* احتج أهل السنة بهذه الآية على أن العبد  
غير خالق لافعال نفسه لانه تعالى ميز نفسه عن الاشياء التي يعبدونها بصفة الخالقية لان  
الفرض من قوله تعالى أفن يخلق كمن لا يخلق بيان تميزه عن هذه الاشياء بصفة الخالقية وانه انما  
استحق الالهية والعبودية لكونه تعالى خالقها وهذا يقتضى ان العبد لو كان خالق الشيء لوجب  
كونه الهام عبودا ولما كان ذلك باطلا لعلمنا ان العبد لا يقدر على الخلق والايجاد ولما  
كانت المقدورات لا تخصى وأكثرها نعم على العباد مذكرة لهم بخالقهم قال عثمان عليهم باحسانه  
من غير سبب منهم (وان تعبدوا) كالكم (نعمت الله) أى انعام الملك الاعظم الذى لاوب  
غيره عليكم من صحة البدن وعافية الجسم واعطاء النظر الصحيح والعقل السليم وبطش اليدين  
ومشى الرجلين الى غير ذلك مما أنعم به عليكم وما خلق لكم مما تحتاجون اليه من أمر الدنيا  
حتى لو رام أحدكم معرفة أدنى نعمة من هذه النعم لعجز عنها وعن معرفتها وحصرها فان تبعها  
يفوت الحصر (لأنحصوها) أى لاتضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم مع كثرتها واعراضكم  
بجله عن شكرها والعبودان أتعب نفسه فى القيام بالطاعات والعبادات وبالغ فى شكر نعم الله  
تعالى فانه يكون مقصر الا ان نعم الله كثيرة وأقسامها عظيمة وعقل الخلق قاصر عن الاحاطة  
بعبادها فضلا عن غاياتها لكن الطريق الى ذلك أن يشكر الله تعالى على جميع نعمه مفصلها  
وبجملها (ان الله لغفور) أى لانه يصيركم فى القيام بشكرها يعنى النعمة كما يجب عليكم (رحيم)  
بكم فوسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصى وقوله تعالى (والله يعلم  
ما كانوا يعكرون بالنبي صلى الله عليه وسلم وما يعلنون أى وما يظهرون من أداء صلى الله عليه  
وسلم فأخبر الله تعالى بأنه عالم بكل أحوالهم سرها وعلانيتها لا يخفى عليه خافية وان دقت  
وخفت والوجه الثانى أنه تعالى لما ذكر الاصنام وذكر عجزها فى الآية المتقدمة ذكر فى هذه  
الآية أن الاله الذى يستحق العبادة يجب أن يكون عالما بكل العلومات سرها ووجهها وهذه  
الاصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة \* ثم وصف تعالى هذه الاصنام بصفات الاولى  
مذكورة فى قوله تعالى (والذين تدعون) أى تعبدون (من دون الله) أى الاصنام وتعتقدون

انها آلهة وقرأ عاصم بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب (لا يخلقون شيئاً وهم  
 يخلقون) أى يصورون من الحجارة وغيرها (فان قيل) قوله تعالى فى الآية المتقدمة أفن يخلق  
 كمن لا يخلق يدل على أن هذه الاصنام لا تخلق شيئاً وهم يخلقون وهذا هو المعنى المذكور فى تلك  
 الآية المذكورة فافائدة هذا التكرار (أجيب) بأن فائدته أن المعنى المذكور فى الآية  
 المتقدمة أنهم لا يخلقون شيئاً فقط والمذكور فى هذه الآية أنهم لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون  
 كغيرهم فكان هذا زيادة فى المعنى وهو فائدة التكرار فكانه تعالى بدأ بشرح نقصهم فى ذواتهم  
 وصفاتهم فبين أولاً أن لا تخلق شيئاً ثم بين ثانياً أنها كما لا تخلق غيرها فهى مخلوقة كغيرها  
 الصفة الثانية قوله تعالى (أموات) أى جادات لا روح لها (غيراً حياً) اذا لاله الذى يستحق  
 أن يعبد هو الحى الذى لا يموت (فان قيل) علم من قوله أموات أنها غيراً حياً فافائدة فى ذكره  
 (أجيب) بأن من الاموات ما يعش موتة حياته كالنطف التى ينشئها الله تعالى حيواناً  
 وأجساد الحيوانات التى تبعت بعد موتها وأما الحجارة فأمووات لا يعقب موتها حياة وذلك  
 أعرق فى موتها وقيل ذكر للتأكيدي لان الكلام مع الكفار الذين يعبدون الاوثان وهم فى نهاية  
 الجهالة والضلالة ومن تكلم مع الجاهل الغبي فقد يعبر عن المعنى الواحد بالعبارات الكثيرة  
 وغرضه الاعلام بكون المخاطب فى غاية الغباوة فى أنه لا يفهم المعنى المقصود بالعباراة الواحدة  
 الصفة الثالثة قوله تعالى (وما يشعرون) أى الاصنام (أيان) أى وقت (يعشون) أى وما تعلم  
 هؤلاء الآلهة متى تبعت الاحياء تم كما يحالها لان شعور الجاد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه  
 حتى الا الحى القيوم سبحانه وتعالى وقيل الضمير راجع للاصنام قال ابن عباس ان الله تعالى  
 يعث الاصنام لها أرواح ومعها شياطين فيؤمر بالكل الى النار وقيل المراد بقوله تعالى  
 والذين تدعون من دون الله الملائكة وكان ناس من الكفار يعبدونهم فقال الله تعالى انهم  
 أموات أى لا يبدلهم من الموت غيراً حياً أى باقية حياتهم وما يشعرون أى لا علم لهم بوقت  
 بعثهم \* ولما زيف سبحانه وتعالى طريقة عبدة الاصنام وبين فساد مذهبهم قال تعالى (آلهكم)  
 أى أيها الخلق جميعاً المعبود بحق (الله) أى متصف بالالهية على الاطلاق بالنسبة الى كل  
 أوان وكل زمان وكل مكان (واحد) لا يقبل التعدد الذى هو مثال النقص بوجه من الوجوه  
 لان التعدد يستلزم امكان التمازج المستلزم للعجز المستلزم للبعد عن رتبة الالهية (فالذين)  
 أى فتسبب عن هذا أن الذين (لا يؤمنون بالآخرة) أى دار الجزاء ومحمل اظهار الحكم  
 الذى هو غرة الملك والعبد الذى هو مدار العظمة (قلوبهم منكورة) أى جاحدة للوحدانية  
 (وهم) أى والجمال أنهم يسبب انكار ذلك (مستكبرون) أى متكبرون عن الايمان بها  
 (لا جرم) أى حقاً (ان الله يعلم) علماً غيبياً وشاهدياً (ما يسرون) أى ما يخفون مطلقاً وبالنسبة  
 الى بعض الناس (وما يعلنون) أى يظهرون فيجاز بهم بذلك \* ولما كان فى ذلك معنى التهديد  
 علل ذلك بقوله تعالى (انه) أى العالم بالسرو والعلن (لا يجب المستكبرين) أى على خلقه فما  
 بالمتكبرين على التوحيد واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى عدم محبتهم انه يعاقبهم



وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل يا رسول الله ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حياً ما قال ان الله جميل يحب الجمال الكبير بطر الحق ونمخ الناس ومعنى بطر الحق انه يستكبر عند سماع الحق فلا يقبله ومعنى نمخ الناس استنقاصهم وازدرأؤهم ولما بالغ سبحانه وتعالى في دلائل التوحيد وأورد الدلائل القاهرة في ابطال مذاهب عبدة الاصنام قال تعالى عطفوا على قلوبهم منكراً (واذا قيل لهم) أي لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وقوله تعالى (ما) استفهامية و(ذا) موصولة أي ما الذي (أنزل ربكم) على محمد صلى الله عليه وسلم واختلف في قائل هذا القول فقيل كلام بعضهم لبعض وقيل قول المسائلين لهم وقيل قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينقرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم (قالوا) مكابرين في انزال القرآن هو (أساطير) أي أكاذيب (الآواين) مع عجزهم بعد تحديهم عن معارضتهم أقصر سورة منه مع علمهم بأنهم أفصح الناس وأنه لا يكون من أحد من الناس متقدماً أو متأخراً قول الا قالوا أبلغ منه (فان قيل) هذا كلام متناقض لانه لا يمكن ان يكون منزلان من ربهم وأساطير (أجيب) بأنهم قالوه على سبيل السخرية كقوله ان رسوا لكم الذي أرسل اليكم لمجنون واللام في قوله تعالى (ليحملوا) لام العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزناً وذلك لما وصفوا القرآن بكونه أساطير الاولين كان عاقبتهم بذلك أن يحملوا (أوزارهم) أي ذنوب أنفسهم وانما قال تعالى (كامله) لئلا يتوههم أنه يكفر عنهم شيء بسبب البلايا التي أصابتهم في الدنيا وأعمال البر التي عملوها في الدنيا بل يعاقبون بكل أوزارهم (يوم القيامة) الذي لا شك فيه ولا يحصى عن آياته قال الرازي وهذا يدل على أنه تعالى قد يسهط بعض العقاب عن المؤمنين اذ لو كان هذا المعنى حاصل في حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل فائدة (و) يحملوا أيضاً (من) جنس (أوزار) الجهلة الضعفاء (الذين يضلونهم) وقوله تعالى (بغير علم) حال من مفعول يضلونهم أي يضلون من يعلم أنهم ضلال أو من الغافل وانما وصف بالضلال واحمال الوزر من أضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه أن يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين الحق والمبطل وانما حصل للرؤساء الذين أضلوا غيرهم وصدوهم عن الايمان مثل أوزار الاتباع لانهم دعواهم الى الضلال فاتبعوهم فاشتركوا في الاثم وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثم من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا الى هدى كان له من الاجر مثل أجر من تبعه لا ينقص ذلك من آثمهم شيئاً أخرجه مسلم ومعنى الآية والحديث أن الرئيس والكبير اذا سن سنة حسنة أو بيعة قيصة فبعضه عليها جماعة فعملوا بها فان الله تعالى يعطيهم ثوابه وعقابه حتى يكون ذلك الثواب والعقاب مساوياً لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع الذين عملوا بالسنة الحسنة أو البيعة وليس المراد بأن الله يوصل جميع الثواب أو العقاب الذي يستحقه

الاتباع الى الرؤساء ويدل لذلك قوله تعالى ولا تزدر وزارة وزر أخرى وقوله تعالى وأن ليس  
للإنسان الاماسى \* (تنبيه) \* قال الواحدى لفظة من في قوله تعالى ومن أوزار ليست  
للتبعية لانها لو كانت كذلك لذكقت عن الاتباع بعض الاوزار وقد قال صلى الله عليه وسلم  
لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا لكنها للجنس كما قدرت ذلك في الآية الكريمة أى ليصلوا من  
جنس أوزار الاتباع وقيل انهم للتبعية وجرى عليه البيضاوى تعالى للزحشري (الأساء) أى  
بئس (ما يزرون) أى يحملون حملهم هذا فى هذا وعيد وتهديد لهم (فان قيل) ان الله تعالى حكى  
هذه الشبهة عن القوم ولم يجب عنها بل اقتصر على محض الوعيد فى السبب فى ذلك (أجيب) بأن  
السبب فيه أنه تعالى بين كون القرآن معجزا بطريقتين الأولى أنه صلى الله عليه وسلم تحداهم  
أولا بكل القرآن وثانيا بغير سور وبالثابرة فجزوا عن المعارضة وذلك يدل على كونه معجزا  
الثانى أنه تعالى حكى هذه الشبهة بعينها فى آية أخرى وهى قوله تعالى اكتبها فهى تلى عليه بكرة  
وأصيلا وأبطلها بقوله تعالى قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض ومعناه أن القرآن  
يشتمل على الاخبار بالغيوب وذلك لا يتأتى الا من يكون عالما بأسرار السموات والارض \* ولما  
ثبت كون القرآن معجزا بهذين الطريقين وتكرر شرح هذين الطريقين مرارا كثيرة لاجرم  
اقتصر فى هذه الآية على مجرد الوعيد ولم يذكر ما يجرى مجرى الجواب عن هذه الشبهة ثم انه  
سجانه وتعالى بالغ فى وصف وعيد هؤلاء الكفار بقوله ته الى (قدمكر الذين من قبلهم) أى من  
وأوا آثامهم ودخلوا فى ديارهم (فأتى الله) أى أمره (ببيانهم من القواعد) أى من جهة العمدة  
التي بنوا عليها مكرهم (انخر) أى سقط عليهم السقف من فوقهم) وصار سبب هلاكهم وقرأ أبو  
عمر فى الوصل بكسر الهاء والميم وحزة والكسافى بضم الهاء والميم والباقون بكسر الهاء  
وضم الميم وأما الوقف فحزمة بضم الهاء على أصله والباقون بالكسر (وأثامهم العذاب من  
حيث لا يشعرون) أى من جهة لا تخاطر ببيأهم وهذا على سبيل التمثيل أى التشبيه والتخييل  
لا فادما أبرموه من المنكر بالرسول فجعل الله هلاكهم فيما أبرموه كحال قوم بنو ابياناهم ودوه  
بالاساطين فأتى البنيان من الاساطين بأن تضعفت فسقط عليهم السقف فهلكوا وضوءه من  
حضر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو عمرو ذبن كنهان حين بنى الصرح ييا بل لبعدها الى  
السماء قال ابن عباس كان طول الصرح فى السماء خمسة آلاف ذراع وقال كعب كان طول  
فرسحين فأهب الله تعالى الريح فألقت رأسه فى البحر وخر عليهم الباقي وهم تحتها قال البغوى  
ولما سقط الصرح تلبت ألسن الناس يومئذ من الفزع فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا  
فلذلك سميت بابل وصكان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية فذلك قوله تعالى فأتى الله  
ببيانهم من القواعد أى أتى أمره فخر ببيانهم من أصلها انخر عليه وعلى قومه السقف أى أعلى  
البيوت من فوقهم فهلكوا \* (تنبيه) \* قال ابن الخازن فى قول البغوى وكان لسان الناس  
قبل ذلك بالسريانية نظر لان صالحا عليه السلام كان قبله -م وكان يتكلم بالعربية وكان أهل  
البن عمريانهم جرهم الذين نشأ اسمعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكان ييا بل من العرب طائفة

قديعة قبل ابراهيم عليه السلام انتهى وقد يقال انه كان لسان أكثر الناس بالسريانية فلا  
 ينافي ذلك (فان قيل) ما فائدة قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم والسقف من فوقهم  
 (أجيب) بأنهم قد لا يكونون تحتها فلما قال تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم دل على انهم كانوا  
 تحتها وحيث يذيق هذا الكلام بأن الابنية قد تدمت وهم ماتوا تحتها \* ولما ذكر الله تعالى حال  
 أصحاب المكرب في الدنيا ذكر حالهم في الآخرة بقوله عز وجل (ثم يوم القيامة يخزيهم) أي يذلهم  
 ويهينهم بعذاب النار (ويقول) لهم الله تعالى على لسان الملائكة توبينا (أي شركا) أي  
 في زعمكم واعتقادكم (الذين كنتم تشاقون) أي تخالفون المؤمنين (فيهم) أي في شأنهم وقرآنهم  
 بكسر النون والباقون بغضها (قال) أي يقول (الذين أتوا العلم) أي من الانبياء والمؤمنين  
 وقال ابن عباس يريد الملائكة (ان الخزي) أي البلاء المذل (اليوم) أي يوم الفصل الذي يكون  
 للفاضل فيه العاقبة المأمونة (والسوء) أي كل ما يسوء (على الكافرين) أي الغريبين في الكفر  
 الذين تكبروا في غير موضع التكبر وفائدة قولهم اظهار الشماعة وزيادة الاهانة وحكاية  
 لتكون لافقا لمن سمعه \* (تنبيه) \* في الآية دلالة على ان ماهية الخزي وماهية سوء  
 في يوم القيامة مختصة بالكافرين وهذا ينفي حصول هذه الماهية في حق غيرهم ويؤكد هذا  
 قول موسى عليه السلام انقادوا وحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى ثم انه تعالى وصف  
 عذاب هؤلاء الكافرين من وجه آخر فقال سبحانه وتعالى (الذين تتوفاهم الملائكة) أي  
 يقبض ارواحهم ملك الموت وأعوانه عليهم السلام وقرأ حزة في هذه الآية وفي الآية الآتية  
 بالياء في الموضعين على التذكير لان الملائكة ذكور والباقون بالتاء على التأنيث لان لفظ  
 الجمع مؤنث (ظالمى أنفسهم) أي بأن عرضوا للعذاب المخلد بكفرهم (فألقوا السلم) أي  
 استسلموا وانقادوا حين عاينوا الموت فائلين (ما كنا نعمل من سوء) أي شرك وعدوان فتقول  
 لهم الملائكة (بلى) أي بل كنتم تعملون أعظم سوء ثم عمل تكذيبهم بقوله تعالى (ان الله  
 عليهم بما كنتم تعملون) أي فلا فائدة لكم في انكاركم فيجازيكم به \* ولما كان هذا الفعل  
 مع العلم سببا لدخول جهنم قال تعالى (فادخلوا) أي أيها الكفرة (أبواب جهنم) أي  
 أبواب طبقاتها ودرجاتها (خالدين) أي مقدرين الخلود (فيها) أي جهنم لا يخرجون منها  
 وانما قال تعالى ذلك لهم ليكون أعظم في الخزي والغم وفي ذلك دليل على أن الكفار بعضهم  
 أشد عذابا من بعض ثم قال تعالى (فلبئس ممنون) أي ما أوى (المتكبرين) عن قبول التوحيد  
 وما أرتب به الرسل \* ولم يبين تعالى أحوال المكذبين ذكر أحوال الصديقين بقوله تعالى  
 (وقيل للذين اتقوا) أي خافوا عقاب الله (ماذا) أي أي شيء (أنزل وبكم قالوا خيرا) أي أنزل  
 خيرا وذلك ان احياء العرب كانوا يهثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم  
 فاذا جاء سأل الذين قعدوا على الطرق عنه فيقولون ساحر شاعر كاهن كذاب مجنون  
 ولو لم تلقه خبيرك فيقول السائل أنا شر وافدان رجعت الى قومي دون أن أدخل مكة وألقاه  
 فيدخله فيرى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيضربونه بصدقه وانه نبي مبعوث

من الله تعالى فذلك قوله تعالى وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم الآية (فان قيل) لم رفع الاوّل  
 وهو قولهم أساطير الاولين ونصب الثاني وهو قولهم خيرا (أجيب) بأنه ذك ذلك للفصل بين  
 جواب المقتر وجواب الجاحد وذلك أنهم لم يسألوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه  
 وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا أساطير الاولين وليس هو من الانزال في شيء لانهم  
 لم يعتقدوا كونه منزلا ولما سألو المؤمنين عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلفحوا  
 وطابقوا الجواب عن السؤال بينا مكشوفاً مضعولاً للانزال فقالوا خيرا أى أنزل خيرا وتم  
 الكلام عند قوله خيرا فهو وقف تام ثم ابتدأ بقوله تعالى (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة)  
 أى حياة طيبة أو ان للذين أتوا بالاعمال الصالحات الحسنة لهم ثواب حسنة مضاعفة من  
 الواحدة الى العشرة الى السبع مائة الى اضعاف كثيرة وأنه تعالى بين أن اعترافهم بذلك  
 الاحسان في هذه الدنيا حسنة أى جزاء اهتم على احسانهم هل جزاء الاحسان الا الاحسان \* ولما  
 كانت هذه الدار سريرة الزوال أخبر عن حالهم في الآخرة فقال (ولدار الآخرة) أى الجنة  
 (خير) أى ما أعد الله لهم في الجنة خير مما حصل لهم في الدنيا ثم مدحها ومدحهم بقوله تعالى  
 (ولنم دار المتقين) أى دار الآخرة فحذف لتقدم ذكرها وقال الحسن هي الدنيا لان أهل  
 التقوى يتزودون فيها للآخرة وقوله تعالى (جنات) أى بسايتين (عدن) أى اقامة خير مبتدا  
 محذوف ويصح أن يكون المخصوص بالمدح (يدخلونها) أى تلك الجنات حالة كونها (تجزي  
 من تحتها) أى من تحت غرفها (الانهار) ثم كان سائلا عما فيها من الثمار وغيرها فأجيب  
 بأن (لهم فيها ما يشاؤون) أى ما تشتهى الانفس وتلذذ الاعين مع زيادات غير ذلك فهذه الآية تدل  
 على حصول كل الخيرات والسعادات فهي أبلغ من قوله تعالى وفيها ما تشتهى الانفس وتلذذ  
 الاعين لان هذين القسمين داخلان في قوله تعالى لهم فيها ما يشاؤون مع أقسام أخرى وعلى أن  
 الانسان لا يجد كل ما يريد في الدنيا لان قوله لهم فيها ما يشاؤون يفيد الحصر (كذلك) أى مثل  
 هذا الجزاء العظيم (يجزي الله) أى الذي له الكمال كله (المتقين) أى الراغبين في صفة التقوى  
 ثم حث تعالى على ملازمة التقوى بالتنبيه على أن العبرة بحال الموت فقال (الذين تتوفاهم  
 الملائكة) أى تقبض أرواحهم وقوله تعالى (طيبين) كلمة مختصرة جامعة لاهل عافى الكثرة  
 وذلك لانه يدخل فيه اتينانهم بكل ما أمروا به واجتنابهم عن كل ما نهوا عنه ويدخل فيه  
 كونهم موصوفين بالاخلاق الفاضلة مبرتين عن الاخلاق المذمومة ويدخل فيه كونهم مبرتين  
 عن الملائق الجماعية متوجهين الى حضرة القدس ويدخل فيه أنه طاب لهم قبض الارواح  
 وانهم لم تقبض الامع البشارة بالجنة حتى صاروا كأنهم مشاهدون لها ومن هذا لانه لا يتألم  
 بالموت وأكثر المقربين على أن هذا التوفى هو قبض الارواح كما مر وان كان الحسن يقول  
 أنه وفاة الحشر واستدل بقوله تعالى ادخلوا الجنة لانه لا يقال عند قبض الارواح في الدنيا  
 ادخلوا الجنة وأجاب الاكثرون بما سياتى وأدغم أبو عمر والتاء في الطاء بخلاف عنه ثم بين  
 تعالى ان الملائكة (يقولون) اهتم عند الموت (سلام عليكم) فسلم عليهم أو بلغهم السلام

من الله تعالى كما روى ان العبد المؤمن اذا اشرف على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله يقرأ عليك السلام ويشر لك بالجنة ويقال لهم في الآخرة هذا جواب الاكثرين (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) او انهم لم يباشروهم بالجنة صارت الجنة كأنها دارهم وكانهم فيها فيكون المراد بقولهم ادخلوا الجنة أي هي خاصة لكم كأنكم فيها ولما طعن الكفار في القرآن بقولهم أساطير الاولين وذكر أنواع التهديد والوعيد ثم أتبعه بذكر الوعد لمن وصف القرآن بكونه خيرا عاد الى بيان ان أولئك الكفار لا ينزجرون عن كفرهم وأقوالهم الباطلة الا اذا جاءتهم الملائكة أو أتاهم أمر ربك فقال تعالى (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة) اقتبس ارواحهم وقرأ حجة والكسائي بالياء على التذكير والباقون بالتاء على التأنيث وتقدم توجيه ذلك (أو يأتي أمر ربك) أي يوم القيامة وقيل العذاب وقيل انهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان ينزل الله تعالى ملكا من السماء يشهد على صدقه في ادعاء النبوة فقال تعالى هل ينظرون في التصديق بنبوتك الا أن تأتيهم الملائكة شاهدين بذلك وعلى كلا التقديرين فقد قال تعالى (كذلك) أي مثل ما (فعل) هؤلاء هذا الفعل البعيد الشنيع فعل (الذين من قبلهم) من الامم السالفة كذبوا رسلهم فأهلكوا (وما ظلمهم الله باهلا كههم بغير ذنب) (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بكفرهم وتكذيبهم للرسل فاستوجبوا ما نزل بهم (فأصابهم) أي فتسبب عن ظلمهم لانفسهم ان أصابهم (سيات) أي عقوبات وجزاء سيئات (ما عملوا وحاق) أي نزل (بهم ما كانوا يستهزؤون) تكبرا عن قبول الحق فحاق بهم جزاءه والحق لا يستعمل الا في الشر وقرأ حاق جزء بالامالة والباقون بالفتح (وقال الذين أشركوا للنبي صلى الله عليه وسلم استهزاء ومنع البعثة والتكليف) (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا) لانهم اعتقدوا أن كون الامر كذلك يمنع من جواز بعثة الرسل وهو اعتقاد باطل فلذلك استحقوا عليه الذم والوعيد ثم قالوا لهم (ولا حرمنا من دونه من شيء) أي من السوائب والنجاسات وهو راض به وبمسيئته وحينئذ قلنا فائدة في محبتك وفي ارسالك وهذا عين ما حكاه الله تعالى عنهم في سورة الانعام في قوله تعالى سيقول الذين أشركوا لو شاء الله الآية قال الله تعالى (كذلك فعل الذين من قبلهم) أي من تقدم هؤلاء من الكفار من الامم الماضية كأنواع هذه الطريقة وهذا الفعل الخبيث فانكار بعثة الرسل كان قديما في الامم الخالية ففي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وكذا في قوله تعالى (فهل على الرسل الا البلاغ) أي البلاغ (المبين) أي البين فليس عليهم هداية أحد انما عليهم تبليغ ما أرسلوا به الى من أرسلوا اليه \* ثم بين تعالى ان البعثة أمر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سبيل الهدى من أراد اهتداه وزيادة لضلالاته من أراد ضلاله كان هذا الصالح فانه يتبع المزاج السوي ويقويه ويضرب المزاج المنحرف ويقيه بقوله تعالى (ولقد) أي والله لقد (بعثنا) أي بما لنا من العظمة التي من اعترض عليها قسم (في كل أمة) من الامم الذين من قبلكم (رسولا) أي كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا (أن اعبدوا الله) أي الملك

الاعلى وحده وقرأ أبو عمرو وعاصم وحجزة بكسر التون في الوصل والباقون بالضم (واجتنبوا  
 الطاغوت) أي الاوثان ان تعبدوها (فمنهم من هدى الله) أي وفقهم للايمان بأورشاده (ومنهم  
 من حقت) أي وجبت (عليه الضلالة) أي في علم الله تعالى فلم ينفعهم ولم يردهم  
 • (تنبيه) \* في هذه الآية ابين دليل على أن الهادي والمضل هو الله تعالى لانه المتصرف  
 في عباده يهدي من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض عليه فيما حكم به لسابق علمه ثم التفت  
 سبحانه وتعالى الى مخاطبتهم اشارة الى أنه لم يبق بعد هذا الدليل القطعي في نظر البصيرة  
 الا الدليل المحسوس للبصر فقال تعالى (فسيروا) أي فان كنتم أيها المخاطبون في شك  
 من اخبار الرسل فسيروا (في الارض) أي جنسها (فانظروا) أي اذا سرتهم ومررتهم  
 بديار المكذبين وآثارهم ثم اشارة تعالى بالاستدلال بالحوالهم مما يجب ان يستدل عنه  
 للاعانة فقال (كيف كان عقبة) أي آخر أمر (المكذبين) أي من عاد ومن بعدهم  
 من الذين تلقيت اخبارهم عن قلدتموهم في الكفر من أسلافكم اعلمكم تعتبرون \* ولما كان  
 من المحقق انه ليس بعد الايصال في الاستدلال الى الامر المحسوس الا العناد اعرض عنهم  
 ملتفتا الى الرؤف بهم الشفيق عليهم محمد صلى الله عليه وسلم فقال مسليلا له (ان تقررص على  
 هدايم) فتطلبه بغاية جدك واجتهادك وقد أضلهم الله تعالى لا تقدر على ذلك ثم قال تعالى  
 (فان الله لا يهدي من يضل) أي من يرد ضلاله وهو معين لمن حقت عليه الضلالة وقرأ عاصم  
 وحجزة والكسائي بفتح الياء وكسر الدال والباقون بضم الياء وفتح الدال على البناء للمفعول  
 قال البيضاوي وهو أبلغ ثم قال تعالى (ومالهم) أي هؤلاء الذين أضلهم الله وجميع من يضل  
 (من ناصرين) أي وليس لهم أحد ينصرهم في الدنيا والآخرة عند مجازاتهم على الضلالة  
 لينقذوهم مما يلحقهم عليه من الوبال كما فعل بالمكذبين عن قبلهم ثم حكى الله عن هؤلاء القوم  
 انهم ينكرون الحشر والشمر بقوله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) أي غاية اجتهادهم فيها  
 (لا يبعث الله من يموت) وذلك أنهم قالوا ان الانسان ليس هو الا هذه البنية المخصوصة فاذا  
 مات وتفرقت أجزاؤه وبلى امتنع عوده بعينه لان الشيء اذا عدم فقد فنى ولم يبق له ذات ولا  
 حقيقة بعد فناءه وعدمه فكذبهم الله تعالى في قوالهم بقوله تعالى (بلى) أي يبعثهم بعد  
 الموت فان لفظة بلى اثبات لما بعد النفي والجواب عن شبهتهم ان الله تعالى خلق الانسان  
 وأوجده من العدم ولم يكن شيئا فالذي أوجده ولم يكن شيئا قادر على ايجاده بعد اعدامه لان  
 النشأة الثانية أهون من الاولى وقوله تعالى (وعدا عليه حقا) مصدران مؤكدا من منصوبان  
 بفعلهما المقدرا أي وعد ذلك وعدا وحقه حقا (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ذلك أي لاعلم لهم  
 بوصولهم لذلك لانه من عالم الغيب لا يمكن عقواهم الوصول اليه بغير ارشاد من الله تعالى ولا هم  
 يقبلون أقوال الدعاة اليه الذين أيدهم الله بروح منه لتقيدهم بما يوصل الى عقواهم انها  
 قاصرة على عالم الشهادة لا يمكنها الترقى منه الى عالم الغيب بغير واسطة منه سبحانه وتعالى  
 فلذلك ترى الانسان منهم يأبى ذلك استبعادا وهو خصم مبین وقوله تعالى (ايبينهم) الذي

يختلفون فيه) يتعلق بمادل عليه بلى اى يعثهم ليعين لهمم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين  
 والكافرين والذي اختلفوا فيه هو الحق (وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) في قولهم  
 لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ وقولهم لا يعذب الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله  
 واقدبعثنا في كل امة رسولا اى بعثناه ليعين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله  
 مفترين على الله الكذب ثم بين سبحانه وتعالى تيسر الاعادة بقوله تعالى (انما قولنا) اى بما لنا  
 من العظمة والقدرة (اشئ) ابداء واعادة (اذا اردنا ان نقول له كن فيكون) اى يتسبب عن  
 ذلك القول انه يكون \* (تنبيه) \* قوله تعالى قولنا مبتدا وان نقول خبره فيكون وكن من كان  
 التامة التى بمعنى الحدوث والوجود اى اذا اردنا حدوث شئ فليس الا ان نقول له احدث  
 فيحدث عقب ذلك من غير توقف (فان قيل) قوله تعالى كن ان كان خطابا مع المعدوم فهو محال  
 وان كان خطابا مع الموجود فكان امر ايتحصيل الحاصل وهو محال (اجيب) بان هذا تمثيل  
 لنتى الكلام والغايات وخطاب مع الخلق بما يعقلون ليس هو خطاب المعدوم لان ما اراد فهو  
 كائن على كل حال وعلى ما اراده من الاسراع ولو اراد تعالى خلق الدنيا والاخرة بما فيها من  
 السموات والارض في قدر لمح البصر اقدر على ذلك ولكن خاطب تعالى العباد بما يعقلون وعن  
 ابي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى  
 يشتمنى ابن آدم وما ينبتى له ان يشتمنى ويكذبى وما ينبتى له اما شتمه اياى فيقول انى ولدا واما  
 تكذبه فيقول ليس يعيدنى كما بدانى وفي رواية كذبى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له  
 ذلك فاما تكذبه اياى فقوله لن يعيدنى وايس اول الخلق باهون على من اعادته واما شتمه  
 اياى فقوله اتخذ الله ولدا وانا لله الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وقرا  
 ابن عامر والكسافى بفتح النون من يكون عطفا على يقول اوجوا باللامر والباقون بالرفع  
 ولما حكى الله تعالى عن الكفار انهم اقسوا بالله جهد ايمانهم على انكار البعث والقيامة دل  
 ذلك على انهم عمادوا فى النقي والجهالة والجهل والضلال وفي مثل هذه الحالة لا يعقد اقدمهم  
 على ايداء المسلمين وانزال العقوبة بهم - وحينئذ يلزم على المؤمنين ان يهاجروا من تلك الديار  
 والمساكن فبين تعالى حكم تلك الهجرة وما لهؤلاء المهاجرين من الحسنة فى الدنيا والاخرة  
 بقوله تعالى (والذين هاجروا فى الله) اى فى حقه ولوجهه لا طامة دينة (من بعد ما ظلموا) وهم  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله تعالى عنهم ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى  
 الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع الله تعالى بين الهجرة بين هاجر الى  
 المدينة او المحبوسون المعذبون ~~بمكة~~ بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال  
 وصهيب وخباب وعمار وعابس وابوجندل وسهيل اخذهم المشركون بمكة يهدبونهم  
 ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر فاما بلال فكان اصحابه يخرجونه الى بطناء مكة فى شدة الحر  
 ويشدونهم ويجعلون على صدره الحجارة وهو يقول احدى احدى فاشتراه منهم ابو بكر رضى الله عنه  
 واعتقه واشترى معه ستة نفر اخر واما صهيب فقال انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفصمكم

وان كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم بحاله وهاجر فلما راه أبو بكر قال له ربح البيع يا صهيب  
وقال عمر له نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نار الاطاعة  
(لنبوتهم) أي لنزلهم (في الدنيا) دارا (حسنة) وهي المدينة وقيل لنصن اليهم في الدنيا بأن  
نفتح لهم مكة ونعسكنهم من أهلها الذين ظلوههم وأخرجوهم منها وقيل أراد بالحسنة في الدنيا  
التوفيق والهداية الى الدين (ولاجرا الآخرة) وهي الجنة والنظر الى وجهه الكريم (أكبر) أي  
أعظم (لو كانوا يعلمون) أي الكفار والمتخلفون عن الهجرة مالمهاجرين من الكرامة لو افقوهم  
وقيل انه راجع الى المهاجرين أي لو كانوا يعلمون ذلك لزدوا في اجتهادهم وصبروا وروى أن  
عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان اذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول له خذ  
بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله به في الدنيا وما ادخلك في الآخرة أفضل ثم يقرأ هذه الآية  
وقوله تعالى (الذين صبروا) أي على الشدائد وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله وعلى  
المجاهدة وبذل الاموال والانفس في سبيل الله محله رفع على تقديرهم أو نصب على المدح ويجوز  
أن يكون تابعا للموصول قبله نعتا أو بدلا أو يانا فعمله محله (وعلى ربهم يتوكلون) أي منقطعين  
اليه مفوضين الامر كله اليه \* (تنبيه) \* ذكر الله تعالى في هذه الآية الصبر والتوكل وهما  
مبدأ السلوك الى الله تعالى ومنتهاه أما الصبر فهو تهر النفس وحبها على اعمال البر وسائر  
الطاعات واحتمال الاذى من الخلق وأما التوكل فهو الانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه  
الى الحق كما مرت الاشارة اليه فالاول هو مبدأ السلوك والثاني هو آخر الطريق ومنتهاه \* ونزل  
لما أنكره مشركو مكة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله أعظم وأجل ان يكون رسوله  
بشرا فها - لا بعث ملكا اليها (وما أرسلنا من قبلك) يا محمد الى الامم من طوائف البشر  
(الارجالا) لا ملائكة بل آدميين هم في غاية الاقدار على الصبر والتوكل الذي هو محط  
الرجال (نوحى اليهم) بواسطة الملائكة فعادة الله جارية مستمرة من أول بيته الخلق الى الآن  
لم يبعث رسولا الا من البشر (فاسألوا أهل الذكر) أي أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى  
وانما أمرهم الله تعالى بسؤالهم لان كفار مكة كانوا يعتقدون ان أهل الكتاب أهل علم وقد  
أرسل اليهم رسلا مثل موسى وعيسى عليهم السلام من البشر وكانوا يبشرونهم فاذاسألوهم  
فلا بد أن يخبروهم أن الرسل الذين أرسلوا اليهم كانوا يبشرونهم بذلك فربما زالت هذه  
الشبهة وقال ابن عباس يريد أهل التوراة والدليل عليه قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد  
الذكر يعنى التوراة والذكر هو التوراة وقال الزجاج معناه اسألوا كل من يذكر بعلم وتحقيق  
\* ولما كان عندهم أحسن من ذلك سماع أخبار الامم قبلهم أشار اليه بقوله تعالى (ان كنتم)  
أي جبلة وطبعا (لاتعلمون) ذلك فانهم يعلمونه وانتم الى تصديقه أقرب من تصديق المؤمنين  
محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (بالبينات) متعلق بمحذوف أي أرسلناهم بالطبج الواضحة  
وقيل التقدير ان كنتم لاتعلمون بالبينات (والزبر) أي الكتب فاسألوا أهل الذكر وقيل انه  
متعلق بمحذوف جواب لسؤال مقدر كأنه قيل بم أرسلوا فقيل أرسلوا بالبينات والزبر وقوله



تعالى (وأزلنا الذك الذي ذكر) خطاب النبي صلى الله عليه وسلم والذك هو القرآن وانما سمي ذكرا  
 لانه موعظة وتذكير (لتبين للناس) كافة أى أعطاك الله تعالى من القهس الذي فقت فيه  
 جميع الخلق واللسان الذي هو أعظم الالسنه وأفصها وقد أوصلك الله تعالى فيه الى رتبة  
 لم يصل اليها أحد (ما نزل) أى ما وقع تنزيهه (اليهم) من هذا الشرع المؤدى الى سعادة الدارين  
 بتبيين المجمل وشرح ما أشكل من علم أصول الدين الذي رأسه التوحيد ومن البعث وغيره  
 فان القرآن فيه محكم وفيه متشابه فالحكم يجب أن يكون مينا والمتشابه هو المجمل فيطلب بيانه  
 من السنه (ولاهم يتفكرون) فيما أنزل اليهم اذا نظروا أساليبه الفاتقة ومعانيه العالية الراتقة  
 فيعتبرون (فان قيل) ان هذه الآيه تدل على أن الميز لكل التكليف والاحكام هو النبي صلى  
 الله عليه وسلم فالقياس ليس بحجة (أجيب) بأنه صلى الله عليه وسلم لما بين أن القياس حجة فمن  
 رجع في تبين الاحكام والتكليف الى القياس كان ذلك في الحقيقة رجوعا الى بيان النبي صلى  
 الله عليه وسلم وقوله تعالى (أفأمن الذين مكروا السيئات) فيه اضمارة تقديره المكرات  
 السيئات وهم كفار قريش مكروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبالقرآن في أذيتهم  
 والمكر عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الاخفاء ثم انه تعالى ذكر في تهديدهم أربعة أمور  
 الاوّل قوله تعالى (أن يحسف الله بهم الارض) كما خسف بقارون وأصحابه فاذا هم في  
 بطنها لا يقدرّون على نوع تقلب بمتابعة ولا غيرها الثاني قوله تعالى (أربأيتهم العذاب) على  
 غير تلك الحال (من حيث لا يشعرون) به فبأيتهم بغتة فيهلكهم كما فعل بقوم لوط عليه السلام  
 الثالث قوله تعالى (أربأأخذهم) أى الله بعذابه (في) حالة (تقلبهم) ومشاعرهم حاضرة وقواهم  
 مستجبة وفي تفسير هذا التقلب وجوه أولها أنه تعالى يأخذهم بالعقوبة في أسفارهم فانه  
 تعالى قادر على اهلاكهم في السفر كما أنه قادر على اهلاكهم في الحضر (فاهم بهجزيين)  
 أى بفنائين العذاب بسبب ضربهم في البلاد البعيدة بل يدركهم الله تعالى حيث كانوا ثانيا  
 أنه تعالى يأخذهم بالليل والنهار وفي حال اقبالهم وادبارهم وذهابهم ومجيئهم وثالثها أن الله  
 تعالى يأخذهم في حال ما يتقلبون في قضايا أفكارهم فيجول الله بينهم وبين انعام تلك الحيل  
 وحل لفظ التقلب على هذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى وقلوبك الامور فانهم اذا قلبوا فقد  
 تقلبوا فيها الامر الرابع قوله تعالى (أربأأخذهم على تخوف) وفي تفسير التّخوف قولان الاول  
 التّخوف تفعل من الخوف يقال خفت الشيء وتخوفته والمعنى أنه تعالى لا يأخذهم بالعذاب  
 أولا بل يخفيهم أولا ثم يعذبهم بعده وتلك الاخافة هو أنه تعالى يهلك قرية قضاف التي قلبها  
 فبأيتهم العذاب والثاني التّخوف بمعنى التقص أى أنه تعالى ينقص شيئا بعد شيئا في أنفسهم  
 وأموالهم حتى يهلكوا من تخوفه اذا تنقصه روى أن عمر رضي الله تعالى عنه قال على المنبر  
 ما تقولون في هذه الآية فسكنوا فقال شيخ من هذيل هذه لغتنا التّخوف التقص فقال عمر هل  
 تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم قال شاعرنا أبو كبير  
 تخوف (أى تقص) الرجل (أى رجل ناقته) منها تامكا (أى سينا ما) قردا

(أى متراكماً أو مرتفعاً وهو يسكون الراء) كما تخوف عود التبعة السفن  
 والتبعة بالضم واحدة النبع وهو شجر يخدمه السفن والسفن بفتح السين والقام ما ينحت به  
 الشيء وهو فاعل تخوف ومفعوله عود فقال عمر عليه السلام يدوانكم قالوا وما يدواننا قال شعر  
 الجاهلية فيه تفسير كما بكم ومعاني كلامكم ومعنى البيت أن رسلى ناقته ينقص سنامها  
 المتراكم أو المرتفع كما ينقص السفن عود التبعة (فان ربكم) أى المحسن اليكم باهلاك من يريد  
 وإبقاء من يريد وقوله تعالى (لرؤف) قرأه أبو عمرو وشعبة وحزرة والكسائي بقصر الهـ مزة  
 والباقون بالمد ومعناه بليغ الرحمة لمن يتوسل اليه بنوع وسيله وكذا من قاطعه أتم مقاطعة واليه  
 أشار بقوله تعالى (رحيم) أى حيث لم يعاجلهم بالعذاب \* ولما خوف سبحانه وتعالى المشركين  
 بالانواع الاربع المذكورة من العذاب أردفه بذكر ما يدل على كمال قدرته في تدبير أحوال  
 العالم العلوى والسفلى وتدبير أحوال الارواح والاجسام ليظهر لهم أنه مع كمال هذه القدرة  
 الباهرة والقوة الغير المتناهية لا يهجز عن إيصال العذاب اليهم على أحدثك الاجسام الاربعه  
 بقوله تعالى (أولم يروا الى ما خلق الله من شئ) أى من الاجرام التى لها ظل كشجر وجبل  
 (تفويق) أى تميل (ظلاله عن اليمين والشمال) جمع شمال أى عن جاني كل واحد منهما وشقيه  
 وقرأه الكسائي بالتاء على الخطاب على نسق ما قبله والباقون بالياء على الغيبة الى ما خلق  
 استعاره من يمين الانسان وشماله الجاني الشئ أى ترجع الظلال من جانب الى جانب منقاداً لله  
 غير ممتعة عليه فيما مضره له وقال قتادة والغمامك أما اليمين فأقول النهار وأما الشمال فاستخرو  
 لان الشمس وقت طلوعها الى وقت انتهائها الى وسط الفلك تقع الظلال الى الجانب الغربي  
 فاذا انحدرت الشمس من وسط الفلك الى الجانب الغربي وقعت الظلال فى الجانب الشرقى  
 والظلال فى أول النهار تبدى من يمين الفلك على الربع الغربى من الارض ومن وقت انحدار  
 الشمس من وسط الفلك تبدى من شمال الفلك واقعة على الربع الشرقى من الارض (فان قيل)  
 ما السبب فى ذكر اليمين بلفظ الواحد والشمال بصيغة الجمع (أجيب) بأشياء الاول انه وحد  
 اليمين والمراد الجمع ولكنه اقتصر فى اللفظ على الواحد كقوله تعالى ويولون الدبر الثانى قال  
 القراء كأنه اذا وحدهم الى واحد من ذوات الظلال واذا جمع ذهب الى كلها وذلك لان قوله  
 الى ما خلق الله من شئ لفظه واحد ومعناه الجمع على ما مر فيتمم كلا الامرين الثالث أن العرب  
 اذا ذكرت صيغة جمع عبرت عن أحدهما بلفظ الواحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور  
 وقوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم \* (تنبيه) \* الهمزة للاستفهام وهو استفهام  
 انكار أى قدراً وأمثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته وقهره  
 فيضافوا منه وما موصولة مبهمه بمعنى الذى ومن شئ بيان لها (فان قيل) كيف بين الموصول  
 وهو مبهم شئ وهو مبهم بل أجهم بما قبله (أجيب) بأن شئاً قد اتضح وظهر بوصفه بالجملة بعده  
 وهو تفويق وظلاله وقيل الجملة بيان لما وقوله تعالى (مجداً لله) حال من الظلال جمع ساجد  
 كشاهد وشهدوا كع وركع واختلف فى المراد من السجود على قولين أحدهما أن المراد منه

الاستسلام والانقياد يقال سجد البعير اذا طأ طأ رأسه ليركب وسجدت النخلة اذا ماتت لكثرة  
الجل ويقال اسجد للقر في زمانه أي اخضع له وقال الشاعر • ترى الا كم فيها سجد السوافر  
أي متواضعة والثاني أن هذه الظلال واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد فلما  
كانت الظلال يشبه شكلها شكل الساجدين أطلق الله تعالى عليها هذا اللفظ وكان الحسن  
يقول أما ظلك فيسجد لربك وأما أنت فلا تسجد لربك بئس ما صنعت وعن مجاهد ظل الكافر  
يصلي وهو لا يصلي وقيل ظل كل شيء يسجد لله سواء أكان ذلك الشيء ساجدا أم لا قال الرازي  
والاول أقرب الى الحقائق العقلية والثاني أقرب الى الشبهات الظاهرة وقوله تعالى (وهم  
دانرون) أي صاغرون حال أيضا من الظلال فينتصب عنه حالان وقيل حال من الضمير المستتر  
في سجد فهي حال متداخلة (فان قيل) الظلال ليست من العقلاء فكيف جازعها بالواو  
والنون (أجيب) بأنه تعالى لما وصفها بالطاعة والدخور أشبهت العقلاء أو ان في جملة ذلك  
من يعقل فغلب • ولما حكم على الظلال بما يعي أصحابها من جماد وحيوان وكان الحيوان أشرف  
من الجماد رقى الحكم اليه بخصوصه فقال (ولله يسجد ما في السموات وما في الارض) وقوله  
تعالى (من دابة) يجوز أن يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على أن في السموات  
خلق الله يدبون فيها كما تدب الاناس في الارض وأن يصكون بيانا لما في الارض وحده ويراد  
بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وأن يكون بيانا لما في الارض ويراد بما في السموات  
الملائكة وكرز كرههم بقوله تعالى (والملائكة) خصوصا من بين الساجدين لانهم أطوع  
الخلق وأعبدهم ويجوز أن يراد بما في السموات ملائكتهم ويقول تعالى والملائكة ملائكة  
الارض من الحفظة وغيرهم (فان قيل) سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف  
سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد (أجيب) بأن المراد بسجود المكلفين طاعتهم  
وعبادتهم وسجود غيرهم انقياده لارادة الله تعالى وأنه غير ممنوع عليه وكلا السجودين يجمعهما  
معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد (فان قيل) هلاحي • بمن دون  
ما تغلب للعقلاء من الدواب على غيرهم (أجيب) بأنه لو جى • بمن لم يكن فيه دليل على التغلب  
فكان متساولا للعقلاء خاصة في • بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة للعموم (وهم) أي الملائكة  
(لا يستكبرون) عن عبادته ثم علل تخصيصهم بقوله تعالى دلالة على أنهم كغيرهم في الوقوف بين  
الخطوف والرجاء (يخافون ربهم) أي الموجد لهم المدبر لهم المحسن اليهم خوفا مبتدأ  
(من فوقهم) اشارة الى علو الخطوف عليهم وغلبته لهم أو ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم  
أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده وقوله تعالى وانا فوقهم  
قاهرون والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون أو بيان له أو تقرير لان من خاف الله لا يستكبر  
عن عبادته (ويفعلون ما يؤمرون) أي من الطاعة والتدبير وفي ذلك دليل على أن الملائكة  
مكلفون مداولون على الامر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وأنهم بين الخطوف  
والرجاء كما مرت الاشارة اليه وأنهم معصومون من الذنوب لان قوله تعالى وهم لا يستكبرون يدل

على أنهم منقادون لتعالقهم وانهم ما خالفوا في أمر من الأمور كما حال تعالى لا يسبقونه بالقول  
وهم بأمره يعملون. ولما بين تعالى أن كل ما سوى الله تعالى سواء كان من عالم الأرواح أم  
من عالم الأجساد فهو منقاد خاضع لجلال الله تعالى وكبريائه أتبعه بالنهي عن الشرك وبالامر  
بأن كل ما سواه فهو ملكه وأنه غني عن الكل بقوله تعالى (وقال الله) فعبر لاجل تعظيم المقام  
بالاسم الاعظم الخاص (لا تتخذوا) أي لا تكلفوا فطر تكلم الاولى السليمة الجبولة على معرفة  
أن الاله واحد أن تأخذ في اعتقادها (الهين اثنين) (فان قيل) انما جمعوا بين العدد والمعدود  
فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندى رجال ثلاثة وأفراس أربعة لان المعدود عار عن الدلالة  
على العدد انما هو فأتار رجل ورجلان وفرس وفرسان فعدودان فيهما دلالة على العدد فلا  
حاجة الى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله تعالى الهين اثنين (أجيب) باجوبة  
أولها قال الرازي وهو الاقرب عندي ان الشئ اذا كان مستنكرا مستقبلا فن أراد  
المبالغة في التنفير عنه عبر عنه بعبارات كثيرة ليصير تو الى تلك العبارات سببا لوقوف العقل  
على ما فيه من القبح والقول بوجود الهين مستقيم في العقول فان أحد من العقلاء لم يقل  
بوجود الهين متساويين في الوجود والقدم وصفات الكمال فالمقصود من تكرار اثنين تا كيد  
التنفير عنه وتوقيف العقل على ما فيه من القبح الثاني أن قوله تعالى الهين لفظ واحد يدل  
على أمرين ثبوت الاله وثبوت التعدد فاذا قيل لا تتخذوا الهين لم يعرف من هذا اللفظ ان  
النهي وقع عن اثبات الالهين أو عن اثبات التعدد وعن مجموعهما فلما حال لا تتخذوا الهين  
اثنين ظهر أن قوله لا تتخذوا نهى عن اثبات التعدد فقط الثالث في الآية تقديم وتأخير  
والتقدير لا تتخذوا اثنين الهين الرابع أن الاسم الحامل للمعنى الافراد والتثنية دال على  
شئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا أريدت الدلالة على ان المعنى به منهما والذي يساق  
اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت  
انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت الالهية لا الوجدانية ثم حال تعالى ذلك  
النهي بما اقتضاه السياق من الوجدانية فقال جل ذكره (انما هو) أي الاله المفهوم من لفظ  
الهين الذي لا يستحق غيره أن يطلق عليه هذا الضمير الامجاز لانه لا يطلق اطلاقا حقيقيا الاعلى  
من وجوده من ذاته (اله) أي مستحق هذا الوصف على الاطلاق (واحد) لا يمكن أن يثنى بوجه  
ولا أن يجزأ بغاية وغير غاية لغناء المطلق عن كل شئ واحتياج كل شئ اليه ولما دلت الدلائل على  
أنه لا بد للعالم من اله وثبت أن القول بوجود الهين محال وثبت أنه لا اله الا الواحد الاحد  
الفردي الصمد قال تعالى بعده (فاياي فارهبون) أي خافون دون غيري والرهبة مخافة مع حزن  
واضطراب وانما نقل الكلام من الغيبة الى خطاب الحضور وهو من طريقة الالتفات لانه أبلغ  
في الترهيب من قوله فاياه فارهبوه ومن أن يجي ما قبله على لفظ المتكلم ولما ثبت بالدليل  
الصحيح والبرهان الواضح أن اله العالم لا شريك له في الالهية وجب أن يكون جميع المخلوقات  
عبيده وفي ملكه وتصرفه وتحت قهره وذلك قوله تعالى (وله) أي الله وأعاد الضمير في قوله تعالى له

على الله الاسم الاعظم العلم الجامع لجميع الاسماء الحسنى (ما في السموات والارض) أى  
 ما تعبدونه وغيره فكيف يتصور أن يكون شئ من ذلك الها وهو ملكه مع كونه محتاجا الى  
 الزمان والمكان وغيرهما (وله الدين) أى الطاعة وقوله تعالى (واصبا) أى دائما حال من الدين  
 والعامل فيه ما في الطرف من معنى الفعل قال ابن قتيبة ليس من أحد يدان له ويطاع الا  
 انقطع ذلك لسبب في حال الحياة أو بالموت الا الحق سبحانه وتعالى فاطاعته واجبة أبدا ولانه  
 المنعم على عباده المالك لهم فكانت طاعته واجبة دائما أبدا وقوله تعالى (أقبر الله) أى الذى له  
 العظمة كلها (سقون) استفهام انكار والمعنى أنكم بعد ما عرفتم ان الله العالم واحد وعرفتم أن  
 كل ما سواه محتاج اليه في وقت دوامه وبقائه فبعد العلم بذلك كيف يعقل أن يكون للانسان  
 رغبة في غير الله تعالى أو رهبة من غير الله تعالى \* ولما بين تعالى أن الواجب على العاقل أن لا يتق  
 غير الله بين أنه يجب عليه أن لا يشكر أحدا الا الله تعالى بقوله تعالى (وما بكم من نعمة) أى من  
 نعمة الاسلام ورحمة الأبدان وسعة في الارزاق وكل ما أعطاكم من مال أو ولد أو جاه (فإن الله) هو  
 المتفضل على عباده فيجب عليكم شكره على جميع انعامه لان الشكر انما يجب على النعمة فنبت  
 بهذا أن العاقل يجب عليه أن لا يخاف وأن لا يشكر الا الله تعالى \* (تنبيه) \* احتج أصحابنا بهذه  
 الآية على أن الايمان حصل بخلق الله فقالوا الايمان نعمة وكل نعمة فمن الله ينتج أن الايمان  
 من الله وأيضا النعمة عبارة عن كل ما يكون منتفعا به وأعظم الاشياء في النفع هو الايمان فنبت  
 أن الايمان نعمة والمسلمون مطبقون على قولهم الحمد لله على نعمة الايمان والتم امانه واما  
 دنيوية امانه النعم الدينية فهي اتمام معرفة الحق لذاته واما معرفة الخير لاجل العمل به والتم الدنيوية  
 امانه سانية واما دنيوية واما خارجية وكل واحد من هذه الثلاثة جنس تحتها أنواع خارجة عن  
 الحصر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ووقدمت الاشارة الى ذلك عند ذكر هذه  
 الآية \* ولما كان اخلاصهم له مع ادعائهم الوهية غيره أمر استبعدا عبر بأداة التراخي والبعد  
 في قوله تعالى (ثم اذا مسكم) أى أصابكم أدنى من (الضر) بزوال نعمة مما أنعم به عليكم  
 وقال ابن عباس يريد الاسقام والامراض والحاجة (فاليه) أى لا الى غيره (تجارون) أى  
 ترفعون أصواتكم بالاستغاثه لما ذكر في فطرتمكم الاولية السليمة من أنه لا ملجأ ولا منجى منه  
 الا اليه (ثم اذا كشف) سبحانه وتعالى (الضر) أى الذى مسكم (عنكم) ونبه على مسارعة  
 الانسان في الكفران فقال (اذا فريق) أى جماعة هم أهل فرقة وضلال (منكم) أى أيها  
 العباد (برجم) الذى تفرق بالانعام عليهم (يشركون) أى يوقعون الاشرار في عبادة غيره (ليكفروا  
 بما آتيناهم) أى من النعم \* (تنبيه) \* في هذه اللام وجهان الاول انها لام كي فيكون المعنى  
 على هذا أنهم انما أشركوا بالله ليحمدوا نعمة عليهم في كشف الضر الثاني أنها لام العاقبة  
 كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا والمعنى عاقبة أمرهم هو كفرهم  
 بما آتيناهم من النعماء وكشفنا عنهم الضر والبلاء ثم انه تعالى توعدهم بعد ذلك بقوله تعالى  
 (فتمتوا) أى باجتماعكم على عبادة الاصنام وهذا الفظه أمر والمراد منه التهديد كقوله تعالى

قل آمنوا به أو لا تؤمنوا وقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر (فسوف تعلمون) عاقبة  
 أمركم وما ينزل بكم من العذاب • ولما بين تعالى بالدلائل القاهرة فساد قول أهل الشرك والتشبيه  
 شرح تفاصيل أقوالهم وبين فسادها بأنواع الأول قوله تعالى (ويجعلون) أي المشركون  
 (لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم) من الحرث والانعام بقولهم هذا لله وهذا لشركائنا  
 • (تنبيه) • الضمير في قوله تعالى لما لا يعلمون عائد على الأصنام أي إن الأصنام لا تعلم شيئا البتة  
 لأنها جاد والجاد لا يعلمه وقبل عائد إلى المشركين ومعنى لا يعلمونها أنهم يسمونها آلهة فيعتقدون  
 فيها جهالات مثل أنها تنفعهم وتنفع لهم وليس الأمر كذلك • ثم أقسم سبحانه وتعالى بنفسه  
 على نفسه أنه يسألهم يوم القيامة بقوله تعالى (تالله لتسئلن) سؤال توبيخ وفيه التفات من  
 الغيبة إلى الحضور وهو من بديع الكلام وبلغه (عما كنتم تكفرون) على الله من أنه أمركم  
 بذلك • (تنبيه) • في وقت السؤال احتمالان الأول أنه يقع عند القرب من الموت الثاني أنه  
 يقع في الآخرة قال الرازي وهذا أولى النوع الثاني قوله تعالى (ويجعلون لله البنات) ونظيره  
 قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إنا ما كنا نؤمنهم بقولون الملائكة  
 بنات الله قال الرازي أظن أن العرب إنما أطلقوا لفظ البنات على الملائكة لاستنساخهم عن  
 العيون فأشبهوا النساء في الاستنساخ فأطلقوا عليهم البنات قال ابن عادل وهذا الذي ظنه ليس  
 بشئ فإن الجن أيضا مستترون عن العيون ولم يطلقوا عليهم لفظ البنات • ولما حكى الله تعالى  
 عنهم هذا القول قال تعالى (سبحانه) وفيه وجهان الأول أن يكون المراد تنزيه ذاته عن نسبة الولد  
 إليه الثاني تعجب الخلق من هذا الأمر والجهل الصريح وهو وصف الملائكة بالانوثة ثم نسبتها  
 بالولدية إلى الله تعالى قيل في التفسير معناه معاذ الله وذلك مقارب للوجه الأول • ولما ذكر  
 الله تعالى ما جعلوا له مع الغنى المطلق بين ما نسبوا لأنفسهم مع لزوم الحاجة والضعف بقوله تعالى  
 (ولهم ما يشتهون) من البتين وقد يكونون أعداء أعدائهم • ثم انه تعالى ذكر أن الواحد من  
 هؤلاء المشركين لا يرضى بالولد البنت لنفسه فكيف يشتهه تعالى فقال (وإذا بشر أحدهم  
 بالأنثى) أي أخبر بولادتها (نظ وجهه) أي صار أودام النهار كله (مسودا) من الكآبة  
 والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتخجيل كما أن يياض الوجه واشراقه  
 كناية عن الفرح والسرور (وهو كظيم) أي مملوء غيظا على المرأة ولا ذنب لها بوجهه والبشارة في  
 أصل اللغة الخبر الذي يغير البشرة من حزن أو سرور ثم خص في عرف اللغة بالسرور ولا يكون إلا  
 بالخبر الأول فالمراد بالبشارة هنا الاخبار كما مر وقول الرازي إن إطلاقه على الخبر والشردا خل  
 في التصديق خلاف المشهور (يتوارى) أي يستحي (من القوم) أي من الرجال الذين هو فيهم  
 (من سوء ما يبشرونه) خوفا من التعبير وذلك أن العرب كانوا في الجاهلية إذا قرب ولادة زوجة  
 أحدهم توارى عن القوم إلى أن يعلم ما ولد له فان ولد له ذكرا ابتهج وسر بذلك وظهر  
 وإن كانت أنثى حزن ولم يظهر أباما مترددا ما إذا يفعل بذلك الولد (أيمسكه) أي يتركه بغير قتل  
 (على هون) هوان وذل (أم يدسه في التراب) وذكر الضمير في يمسكه ويدسه تطرا للفظ الولد أو

لكون الاثني ولدا كما علم محمدا قال ابن معلق قال المفسرون كانت المرأة اذا ادركها الخنازير  
 احتفرت حفرة وجلست على شفيرها فان وضعت ذكرا اظهرته وظهر السرور على اهلها وان  
 وضعت اثنى استأذنت مستولدها فان شاء أمسكها على هون وان شاء أمرها بالقائها في الحفرة  
 وردت التراب عليها وهي حية لتموت انتهى وعن قيس بن عاصم أنه قال يا رسول الله انى واريت  
 ثمان بنات في الجاهلية فقال صلى الله عليه وسلم اعتق عن كل واحدة منهن رقبة فقال يا نبي الله  
 انى ذوابل قال اهد عن كل واحدة منهن هديا وروى أن رجلا قال يا رسول الله والذي بعثك  
 بالحق ما أجد حلاوة الاسلام مذقة أسلت فقد كانت لى في الجاهلية ابنة فأمرت امرأتى أن  
 تزيتها فأخرجتها فلما انتهت الى واد فيه بئر بعيدة القمر ألقيتها فيها فقالت يا أبت قتلتنى فكلمنا  
 ذكرت قولها لم ينفعنى شئ فقال صلى الله عليه وسلم ما كان في الجاهلية فقد هدمه الاسلام  
 وما في الاسلام يهدمه الاستغفار وكانوا في الجاهلية مختلفين في قتل البنات فمنهم من يحضر  
 الحفرة ويدفن فيها الى أن تموت ومنهم من يرميها من شاهق جبل ومنهم من يفرقها ومنهم من  
 يذبحها وكانوا يفعلون ذلك تارة للغيرة والحمة خوفا من أن يطمع فيهن غير الاكفاء وتارة خوفا  
 من الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة وكان الذى منهم يريد أن يحيى ابنته تركها حتى  
 تكبر ثم يلبسها جبة من صوف أو شعر ويجعلها ترضع الابل والغنم في البداية قال الله تعالى  
 (الاسماء) أى ينس (ما يحكمون) حكمهم هذا وذلك لانهم بلغوا في الاستنكاف من البنت  
 الى أعظم الغايات فارتلها أنه يسود وجهه وثانيها أنه يحتقن من القوم من شدة نفرتة عن البنت  
 وثالثها ان الولد محبوب بحسب الطبيعة ثم انه بسبب نفرتة عنها يقدم على قتلها وذلك يدل على  
 أن النفرة عن البنت والاستنكاف عنها قد بلغ مبلغا لا يزد عليه فكيف يليق بالعاقل أن يثبت  
 ذلك لاله عالم مقدس عال عن مشابهة جميع المخلوقات وتطير هذه الآية قوله تعالى ألكم  
 الذى كرهه الاثني تلك اذا قسمة ضيزى ثم قال تعالى (لذين لا يؤمنون بالآخرة) وهم الكفار  
 (مثل السوء) أى الصفة السوء بمعنى القبيحة وهي قتلهم البنات مع احتياجهم اليهن للنكاح  
 (ولله المثل الأعلى) أى الصفة العليا وهي انه لا اله الا هو وان له جميع صفات الجلال والكمال  
 من العلم والقدرة والبقاء السرمدى وغير ذلك من الصفات التى وصف الله بها نفسه وقال ابن  
 عباس مثل السوء النار والمثل الأعلى شهادة أن لا اله الا الله (فان قيل) كيف جاء الله المثل  
 الأعلى مع قوله تعالى فلا تضربوا الله الامثال (أجيب) بأن المثل الذى يضربه الله تعالى حق  
 وصدق والذى يذكره غيره باطل (وهو العزيز) الذى لا يتبع عليه شئ فلا تطيره (الحكيم) الذى  
 لا يوقع شئ الا فى محله وما حكى الله تعالى عن القوم عظيم كفرهم وقبيح قولهم بين أنه تعالى يعهل  
 هؤلاء الكفار ولا يعاملهم بالعقوبة انظارا للفضل والرحمة والكرم بقوله تعالى (ولو يؤاخذ  
 الله الناس بظلمهم) أى بسبب كفرهم ومعاصيهم (ما تزل عليهم) أى على الارض وانما أضمر  
 ذكرها من غير ذكر دلالة الناس والداية عليها (من دابة) أى ان الله تعالى لو أخذ الناس  
 بظلمهم لاهلك جميع الدواب التى على وجه الارض (فان قيل) اسم الناس جنس يشمل الكل

فيدخل في ذلك الانبياء فيدل ذلك على عدم عصمتهم (أجيب) بأن ذلك عام مخصوص بقوله  
 تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا منهم ظالم انفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق  
 بالخيرات باذن الله فالمدكور في هذه الآية اما كل العصاة المستحقين العقاب أو الذين تقدم  
 ذكرهم من المشركين ومن الذين أثبتوا لله البنات أو جميع الكفار بدليل قوله تعالى ان شر  
 الدواب عند الله الذين كفروا وقال قتادة قد فعل الله تعالى ذلك في زمن نوح عليه السلام  
 فأهلك جميع الدواب التي على وجه الارض الا من كان في السفينة مع نوح عليه السلام روى  
 أن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه سمع رجلا يقول ان العالم لا يضر انفسه فقال بش ما قلت  
 ان الخباري يموت هزا لمن ظلم الظالم وقال ابن مسعود ان الجعل تعذب في حجرها بذب ابن آدم  
 والجعل بضم الجيم وقع العين دووية قاله الجوهري وقيل في معنى الآية ولو يؤاخذ الله  
 الآباء الظالمين بسبب ظلمهم لانقطع النسل ولم توجد الابناء ولم يبق في الارض أحد (ولكن  
 يؤخرهم) أي يمهلهم بفضله وكرمه وحلمه (الى أجل مسمى) أي الى انتهاء آجالهم وانقضاء  
 أعمارهم (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة) عنه (ولا يستقدمون) أي لا يؤخرون ساعة  
 من الاجل الذي جعله الله تعالى لهم ولا ينتقصون منه \* (تنبيه) \* ههنا همزتان مفتوحتان  
 من كلمتين فقرأ قالون والبري وأبو عمرو وباسقاط احدى الهمزتين مع المد والقصر وقرأ ورش  
 وقيل بتسهيل الثانية وابدالها حرف مد والباقون بتحقيق الهمزتين النوع الثالث من  
 الاقوابيل الفاسدة التي كان يذكرها الكفار وحكاها الله تعالى عنهم قوله (ويجعلون لله  
 ما يكرهون) لانفسهم من البنات وأراذل الالوال والشركاء في الرياسة ثم وصف الله تعالى  
 جراتهم مع ذلك بقوله تعالى (وتصف) أي وتقول (ألستهم الكذب) أي مع ذلك مع أنه قول  
 لا ينبغي أن يتخيله عاقل ثم بينه بقوله تعالى (أن لهم الحسنى) أي عنده أي الجنة كقوله تعالى  
 ولئن رجعت الى ربي انى عنده للحسنى ولا جهل أعظم ولا أحكم سوا من أن تقطع بأن من  
 يجعل له ما تركه أن يجعل لك ما تحب فكانه قيل ما لهم عنده فقيل (لا جرم) أي لا ظن ولا تردد في  
 (أن لهم النار) أي هي جزاء الظالمين وقيل لا جرم بمعنى حقا (وأنهم مضطرون) أي متركون  
 فيها أو مقدمون اليها وقرأ نافع بكسر الراء أي متجاوزون الحد والباقون بالفتح (فان قيل) انهم  
 لم يقرؤا بالبعث فكيف يقولون ان لنا الحسنى عند الله (أجيب) بأنهم قالوا ان كان محمدا صادقا  
 في البعث بعد الموت فان لنا الجنة وقيل انه كان في العرب جمع يقرؤن بالبعث والقبلة وانهم  
 كانوا يربطون البعير النعيس على قبر الميت ويتركونه الى أن يموت ويقولون ان ذلك الميت اذا  
 حشر فانه يحشر معه من كويته ثم بين تعالى أن مثل هذا الصنيع الذي يصدر من مشركي قريش  
 قد صدر من سائر الامم السابقين في حق الانبياء المة الذين بقوله تعالى (تالله) أي الملك الاعلى  
 (لقد أرسلنا) أي بما لنا من القدرة رسلا من الماضين (الى امم من قبلك) كما أرسلنا  
 الى هؤلاء (فزين لهم الشيطان) أي المحترق بالفضم المطرود باللعنة (أعمالهم) الخبيثة  
 من الكفر والتكذيب كما زين لهؤلاء فضلا كما ضلوا فاهلكناهم وهذا يجري مجرى التولية



للنبي صلى الله عليه وسلم فيما كان يتأله من الغم بسبب جهالات القوم والمزيرين في الحقيقة هو الله  
 تعالى هذا مذهب أهل السنة وانما جعل الشيطان آفة باللقاء للوسوسة في قلوبهم وليس له  
 قدرة على أن يضل أحداً أو يهدي أحداً وانما له الوسوسة فقط فمن أراد الله تعالى شقاوته وسلطه  
 الله عليه حتى يقبل وسوسته (فهو وليهم اليوم) أي في الدنيا وانما عبر باليوم عن زمانها أي فهو  
 وليهم حين كان يزيرين لهم أو يوم القيامة على أنه حكاية حال ماضية أو آتية أي لا ولي لهم غيره وهو  
 عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصرهم وقيل الضمير لقريش أي زير الشيطان للكفرة المتقدمين  
 أعمالهم وهو ولي هؤلاء القوم بغيرهم وبغيرهم وقيل يجوز أن يقدر مضاف أي فهو ولي أمثالهم  
 والولي القرين والناصر فيكون نعمتا للناصر لهم على أبلغ الوجوه (ولهم عذاب أليم) أي مؤلم  
 في الآخرة \* ثم ذكر تعالى أنه مع هذا الوعد الشديد قد أقام الحجج وأزاح العلة بقوله تعالى (وما  
 أنزلنا) أي بما لنا من العظمة من جهة العلو (عليك) يا أشرف المرسلين (الكتاب) أي القرآن  
 (الآتئين لهم) أي للناس (الذي اختلفوا فيه) من أمر الدين مثل التوحيد والشرك واثبات  
 المعاد ونفيه فانه كان فيهم من ينكر البعث ومنهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب ومنهل تحريم  
 الحلال كالبحيرة والسائبة وتحليلهم أشياء محترمة كالبيتة (فان قيل) اللام في تبيين لهم تدل  
 على أن أفعال الله تعالى معللة بالأغراض كقوله تعالى كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس وقوله  
 وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون (أجيب) بأنه لما ثبت بالعقل امتناع التعليل وجب صرفه  
 إلى التأويل وقوله تعالى (وهدي ورحمة) أي واكراما بحجة معطوفان على محل تبيين الاثنان  
 اتصبا على أنهم ما مفعول لهم لانهم ما فعلا الذي أنزل الكتاب ودخلت اللام على تبيين لانه فعل  
 مخاطب لا فعل المنزل وانما يقصد مفعولا لما كان فعل فاعل الفعل المعلل ولما كان ذلك ربما  
 شملهم وهم على ضلالهم نفاء بقوله تعالى (لقوم يؤمنون) وتطيره قوله تعالى في أول البقرة  
 هدى للمتقين وانما خص المؤمنين بالذكر من حيث أنهم قبلوه وانفعوا به كما في قوله تعالى انما  
 أنت منذر من يخشاها لانه انما اتفق بانذاره هذا القوم فقط \* ولما انقضى الدليل على أن  
 قلوبهم منكرة استكبارا وما يتعلق به وختمه بما أحياه القلوب في الايمان والعلم بعد موتها  
 بالكفر والجهل وكان المقصود الاعظم من القرآن تقرير اصول أربعة الالهيات والنبوات  
 والمعاد واثبات القضاء والقدر والفعل بالاختيار وكان أجل هذه المقاصد الالهيات شرع  
 في ذكر الوحدانية والقدرة والفعل بالاختيار والمستلزم للقدرة على البعث على وجه غير المتقدم  
 ليعلم أن أدلة ذلك أكثر من أوراق الاشجار وأجلى من ضياء النهار فعطف على قوله والله يعلم  
 ما تسرون وما تعلنون قوله جامعاً في الدليل بين العالم العلوي والعالم السفلي (والله) أي الذي  
 له الامر كله (أنزل من السماء) في الوقت الذي يريد (ماء) بالمطر والثلج والبرد (فأحياه)  
 أي بذلك الماء (الأرض) بأفواج النبات (بعد موتها) أي يسما (أن في ذلك) المذكور (آية)  
 أي دلالة واضحة على كمال قدرته تعالى (لقوم يسمعون) أي سماع تدبر وانصاف وتطير لآن  
 سماع القلوب هو النافع لاسماع الاذان فمن سمع آيات القرآن بقلبه وتدبرها وتفكر فيها

اتفع ومن لم يسمع بقلبه فكأنه أصم لم يسمع ولم ينتفع بالآيات ومن الدلائل المذكورة في هذه  
 الآية الاستدلال بعجائب أحوال الحيوانات وهو قوله (وإن لكم في الأنعام لعبرة) أي اعتبارا  
 إذا تفكرتم فيها وعرفتم كمال قدرتنا وقوله تعالى (نستفيكم بما في بطونه) استئناف بيان للعبرة وإنما  
 ذكر لفظ الضمير لأنه لفظ الأنعام مفرد وضع لإفادة الجمع كالرط والقوم ولا من اللبس والدلالة  
 على قوة المعنى لكونها سورة التم وأشهد في سورة المؤمنون للمعنى فإن الأنعام اسم جمع ولذلك  
 عدته سيبويه في باب ما لا ينصرف في الأسماء المفردة الواردة على أفعال كقولهم ثوب أيكاش بياء  
 تحية وشين معجمة ضرب من الثياب يغزل مرتين ومن قال انه جمع ثم جعل الضمير لبعض فان  
 اللبن لبعضها دون جميعها وقرأ نافع وابن عامر وشعبة بفتح النون تقول سقيته حتى روى قال  
 تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا والباقون بضمها من قولك اسقاه اذا جعل له شرابا كقوله  
 تعالى وأسقيناكم ماء فراتا ولما كان في موضع العبرة تخليص اللبن من غيره قدم قوله تعالى (من  
 بين فرث) وهو النفل الذي نزل الى الكرش فاذا خرج منه لم يسم فرثا (ودم لبناخالصا) أي  
 صافيا خلقه الله وسطا بين القرث والدم يكسفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي عليه  
 أحدهما بلون أو رائحة أو طعم روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما اذا أكلت البهيمة  
 العلف واستقر في كرشها طبعته فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعله دما والكبد متسلطة  
 على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى القرث في  
 الكرش فسبحان الله ما أعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر وتأمل وسئل شقيق عن  
 الإخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم (سأغفل للشاربين) أي سهل  
 المرور في الخلق وقيل لم يغص أحد باللبن قط \* (تنبيه) \* قال أهل التحقيق اعتبار حدوث اللبن  
 كما يدل على وجود الصانع المختار فكذلك يدل على إمكان الحشر والتشرو ذلك لأن هذا العشب  
 الذي يأكله الحيوان انما يتولد من الماء والارض فخالق العالم دبترديرا آخر بقلب ذلك  
 الدم لبنا ثم دبترديرا آخر فحدث من ذلك اللبن السمن والجبن فهذا الاستقرار يدل على انه  
 تعالى قادر على أن يقلب هذه الاجسام من صفة الى صفة ومن حالة الى حالة فاذا كان كذلك  
 لم يمنع أيضا أن يكون قادرا على أن يقلب أجزاء أبدان الاموات الى صفة الحياة والعقل كما  
 كانت قبل ذلك فهذا الاعتبار يدل من هذا الوجه على أن البعث والقيامة أمر ممكن غير ممنوع  
 وفي حدوث اللبن في الثدي واتصافه بالصفات التي باعتبارها يكون موافقا للتغذية الطفل  
 مشقولة على حكمة عجيبة يشهد صريح العقل بأنها لا تحصل الا بتدبير الفاعل الحكيم المدبر  
 وبيانه من وجوه الاقل انه تعالى خلق في أسفل المعدة منفذ يخرج منه ثقل الغذاء فاذا  
 تناول الانسان غذاء أو شربا انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليلا يخرج منه شيء من ذلك الماء كور  
 والمشروب الى أن يكمل انضمامه في المعدة ويجذب ما صفي منه الى الكبد ويبقى الثقل هناك  
 بحيث ينفخ ذلك المنفذ وينزل منه ذلك الثقل وهذا من العجائب التي لا يمكن حصولها الا  
 بتدبير الفاعل الحكيم لانه متى كانت الحاجة الى خروج ذلك الجسم من المعدة انفتح فحصل

الانطباق تارة والانفتاح تارة أخرى بحسب الحاجة وبقدر المنفعة مما لا يتأقى الابتعاد الفاعل  
الحكيم الثاني عند تولد اللبن في الضرع يحدث الله تعالى في حمة الثدي ثقباً صغيرة ومسام  
ضئيلة وجعلها بحيث اذا اتصل المص والحلب تلك الحمة انفصل اللبن عنها ولما كانت تلك  
المسام ضيقة جداً كان لا يخرج منها الا ما كان في غاية الصفاء واللطافة وأما الاجزاء الكثيفة  
فانه لا يخرج منها الا ما كان في تلك المنافذ الضيقة فتبقى في الداخل فالحكمة في احداث تلك  
الثقب الصغيرة والمنافذ الضيقة في رأس حمة الثدي انها تكون كالصفاء فكل ما كان لطيفاً  
خرج وكل ما كان كثيفاً احتبس في الداخل ولم يخرج فهذا الطريق بقصر اللبن خالصاً موافقاً  
لبدن الطفل ساتغاً للشاربين الثالث انه تعالى ألهم ذلك الطفل الى المص فان الام كلما ألقت  
حمة الثدي في فم الطفل فذلك الطفل في الحال يأخذ في المص ولو ان الفاعل المختار  
الرحيم ألهم ذلك الطفل الصغير ذلك العمل المخصوص والام يحصل الانتفاع بتطبيق ذلك  
اللبن في الثدي وقوله تعالى (ومن ثمرات النخيل والاعناب) متعلق بمحذوف تقديره  
ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب أي من عصيرهما وحذف دلالة نسقيكم عليه وقوله تعالى  
(تخذون منه سكرًا) بيان وكشف عن كنه الاسقاء قال الواحدى الاعناب عطف على الثمرات  
لا على النخيل لانه يصير التقدير ومن ثمرات الاعناب والعنب نفسه ثمرة وليس له ثمرة أخرى  
(ورزقاً حسناً) كالتمر والزبيب والدبس والخل \* (تبيينه) \* في تفسير السكر وجوه الاوّل هو  
التمر سميت بالمصدر من سكر سكر او سكر انحور شد رشدا ورشدا فان قيل التمر محرمة فكيف  
ذكرها الله تعالى في معرض الانعام (أجيب) عن ذلك بوجهين أحدهما ان هذه السورة مكية  
وتحرّم التمر نزل في سورة المائدة فكان نزول هذه الآية كان في الوقت الذي كانت الحرة فيه غير  
محرمة وعن قال بنفسها النخعي والشعبي الثاني أن الآية جامعة بين العناب والمنة فالعناب  
بالنسبة الى السكر والمنة بالنسبة الى رزقنا الحسنا الوجه الثاني أن السكر هو النبيذ وهو  
عصير العنب والزبيب والتمر فاذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد فهو حلال عند  
أبي حنيفة رحمه الله تعالى الى حد السكر ويحجج بهذه الآية بقوله صلى الله عليه وسلم التمر  
حرام لعينها وهذا يقتضى أن يكون السكر شيئاً غير التمر وكل من أثبت هذه المقابلة قال انه  
النبيذ المطبوخ الوجه الثالث أن السكر هو الطعام طاله أبو عبيدة واحتج عليه بقول الشاعر  
\* جعلت اعراض الكرام سكرًا \* أى تقلب باعراضهم بان جعلتها نقلاً وتناولتم والنقل  
ما يتقل به على الشراب قال البغوي وأولى الاوائل ان قوله تعالى تخذون منه سكرًا منسوخ  
انتهى ويدل له قول الحسن ذكر الله نعمته عليهم في التمر قبل أن يحرمها عليهم وروى عن ابن  
عباس قال السكر ما حرم من ثمرها والرزق الحسن ما أحل من ثمرها وروى عنه أيضاً السكر  
الحرام منه والرزق زيبه وعنه ومنافعه \* ثم قال تعالى (ان في ذلك) المذكور (لاية) أى  
دلالة على قدرته تعالى (اقوم يعقلون) أى يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل في الآيات  
فيعلمون ان هذه الاحوال لا يقدر عليها الا الله تعالى فيصيح بمجملها على وجود الاله القادر

الحكيم • ولما بين تعالى أن اخراج الالبان واخراج السكر والرزق الحسن من غرات النخل  
 والاعناب دليل قاطع وبرهان ساطع على ان لهذا العالم الها قادرا محتا واحكما ذكرا أن اخراج  
 العسل الذي جعله الله تعالى شفا للناس من دابة ضعيفة وهي النحل دليل قاطع وبرهان  
 ساطع على اثبات هذا المقصود بقوله تعالى (وأوحى ربك إلى النحل) ونحو الهمام قال الفصحاء  
 الهمها ولم يرسل اليها رسولا والمراد من الالهام انه تعالى قدر في أنفسها هذه الاعمال العجيبة  
 التي بهجز عنها العقلاء من البشر ويانه من وجوه الاقل ما ذكر الله بقوله تعالى (أن اتخذى) أى  
 بأن اتخذى ويجوز أن تكون مفسرة لأن في الاصحاح معنى القول (من الجبال بيوتا) تأويل  
 اليها وانما سمي ما تبنى لتعسل فيه بيتا تشبها بيت الانسان فتبنى البيوت المستدسة من اضلاع  
 متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طبيعتها والعقلاء من البشر لا يمكنهم مثل تلك البيوت  
 الابالات وانظار دقيقة الثانية انه ثبت في الهندسة ان تلك البيوت لو كانت مشكلة بأشكال  
 سوى المستدسات كانت مدورة أو مثلثة أو مربعة أو غير ذلك من الاشكال فانه تبنى  
 بالضرورة فيما بين تلك البيوت فرج خالية ضائعة فاهتداه هذا الحيوان الضعيف الى هذه  
 الحكمة الخفية والدقيقة اللطيفة من الاعاجيب الثالث ان النحل يحصل بينها واحد كالرئيس  
 للبقية وذلك الواحد يكون أعظم جثة من الباقى ويكون ناقد الحكم على تلك البقية وهم  
 يخدمونه ويحملونه عند تعبهم وذلك أيضا من الاعاجيب الرابع انها اذا انفردت عن وكرها  
 ذهبت مع الجمعية الى موضع آخر فاذا أرادوا عودها الى وكرها ضربوا الطبول وآلات  
 الموسيقى فبواسطة تلك الالمان يقدررون على ردها الى أوكارها وهذه أيضا حالة عجيبة فلما  
 امتاز هذا الحيوان بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الذكاء والكياسة كان ليس الاعلى  
 سبيل الالهام وهو حالة شبيهة بالوحى والوحى قد ورد في حق الانبياء كقوله تعالى وما كان لبشر  
 أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب وفي حق الاولياء قال تعالى واذا وحيت الى الحوارين  
 ويعنى الالهام في حق البشر قال تعالى وأوحينا الى أم موسى وفي حق سائر الحيوانات خاص  
 قال الزجاج يجوز أن يقال سمي هذا الحيوان نحل لان الله تعالى نحل الناس العسل الذى  
 يخرج من بطونها وقال غيره النحل يذ كر ويؤث وهي مؤثثة في لغة الجاهز ولذلك أنشأ الله تعالى  
 وكذلك كل جمع ليس بينه وبين واحد الالهاء (و) اتخذى (من الشجر) أى الصالحة بيوتا  
 (و) اتخذى (مما يعرشون) أى الناس فيبنون تلك الاماكن وذلك أن النحل منه وسعشى  
 وهو الذى يسكن الجبال والشجر والكهوف ومنه أهلى وهو الذى يأوى الى البيوت وترى به  
 الناس عندهم وقد جرت العادة أن الناس يبنون للنحل الاماكن حتى يأوى اليها وذلك  
 بحرف التبعيض لانها لا تبنى في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من الكرم أو سقف ولا في كل  
 مكان منها وقرأ ابن عامر وشعبة بضم الراء والبالقون بكسرهما • (تنبيه) • ظهر قوله تعالى  
 اتخذى أمر وقد اختلفوا فيه فن الناس من يقول لا بعد أن يكون لهذه الطيور انات عقول  
 ولا بدع أن يتوجه عليها من لقه أمر ونهى وقال آخرون بل المراد منه أنه تعالى خلق فيها

غرائز وطباع توجب هذه الاحوال وسيأتي الكلام على ذلك ان شاء الله في سورة النمل عند  
قوله تعالى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم \* ولما كان اهم شئ للحيوانات بعد الراحة من هتم  
المقيل اكل شئ نخبى به فقال (ثم كل من كل الثمرات) اى من كل ثمرة يشتهيها مثرها وحلوها وذكر  
ذلك بحرف التراخي اشارة الى عجب الصنع في ذلك وتيسيره لها \* (تنبيه) \* لفظ من هذا  
للتبعض اولا ابتداء الغاية \* ولما اذن لها في ذلك كله وكان من المعلوم عادة ان تعاطيه لا يكون  
الابشقة عظيمة في معاناة السير اليه نبيه على خرقة العادة في تيسيره لها بقوله تعالى (فاسلكي  
سبل ربك) اى الطرق التى ألهمك الله تعالى ان تسلكيها وتدخلي فيها لاجل طلب الثمار  
وقوله تعالى (ذلا) جمع ذلول حال من السبل اى مسخرة لك فلا تعسر عليك وان توعدت  
ولا تضلي عن العود فيها وان بعدت وقيل من الضمير فى اسلكي اى منقادة لاربابها حتى انهم  
ينقلونها من مكان الى مكان آخر حيث شاؤوا و ارادوا الاستعصى عليهم وقوله تعالى (يخرج  
من بطونها) فيه عدول عن خطاب النمل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود  
من خلق النمل والهامة لاجلهم (شراب) اى عسل (مختلف ألوانه) ما بين ابيض واحمر  
واصفر وغير ذلك من ألوان العسل وذلك على قدر ما تأكل من الثمار والازهار ويستعمل  
في بطونها عسلا بقدرة الله تعالى ثم يخرج من أفواهها يسيل كاللعاب وقال الرازي انه  
رأى في بعض كتب الطب ان العسل طل من السماء ينزل كالترنجبين فيقع على الازهار وأوراق  
الشجر فتجمعه النمل فتأكل بعضه وتدخر بعضه في بيوتها لانفسها لتغذى به فاذا اجتمع في  
بيوتها من تلك الاجزاء الطيبة شئ كثير فذلك هو العسل وقال هذا القول اقرب الى العقل  
لان طبيعة الترنجبين تقرب من طبيعة العسل وايضا اننا شاهدنا النمل يتغذى بالعسل  
وأجاب عن قوله تعالى يخرج من بطونها شراب ان كل تجويف داخل البدن يسمى بطنا  
فقوله يخرج من بطونها اى من أفواهها انتهى والاقول كما قال ابن الخازن وغيره اظهر لانا  
نشاهد ان العسل يوجد فيه طعم تلك الازهار التى يأكلها النمل وكذا توجد لذتها ويريحها  
وطعمها فيه ايضا ويعضد هذا قول بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم له اكلت مغافير  
قال لا قالت ما هذه الرياح التى أجد منك قال سقني حفصة ثمر به عسل قالت جرت نخلة  
العرفط والعرفط ثمر الطلع له صبغ يقال له المغافير كرهه الرائحة فعسى جرت نخلة العرفط  
أكلت وردت من العرفط الذى له الرائحة الكريهة فثبت بهذا انه يوجد في طعم العسل ولونه  
ويريح طم ما يأكله النمل ولونه ويريح لا ما قاله الاطباء من انه طل لانه لو كان طلالا لكان على  
لون واحد وقوله كل تجويف فى داخل البدن يسمى بطنا خلاف الظاهر لان لفظ البطن اذا  
أطلق لم يرده الا العضو المعروف بطن الانسان وغيره (فيه) اى الشراب الذى يخرج من بطون  
النمل (شقاء الناس) من الاوجاع كما قال ابن عباس وابن مسعود اما بعضها كما دل عليه تنكير  
شقاها وما لى لكها يضممته الى غيره اذ قل مجنون من المعاجين لبيد ذكر الاطباء فيه العسل  
أو يدونه بنيته وبهذا سقط ما قيل انه يضرب بأصماب الصقراء ويهيج الحرارة ويضرب بالشباب

المحرورين ويعطش قال ابن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور  
 وفي رواية عنه عليكم بالشفاء من القرآن والعسل وروى نافع أن ابن عمر ما كانت قرحة ولا شيء  
 الا لطح الموضع بالعسل ويقرأ يخرج من بطونهم شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس وعن أبي  
 سعيد الخدري رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أخي يشتكي  
 بطنه فقال صلى الله عليه وسلم اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب  
 فاسقه العسل فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ فكانما نشط من عقاب  
 فقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم علم بنور  
 الوحي الالهي أن العسل الذي أمر به بشره سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه في الحال  
 قال صدق الله يعني فيما وعده من أن فيه شفاء للناس وكذب بطن أخيك يعني باستحجالكم  
 للشفاء في أول مرة وقال مجاهد الضمير في فيه شفاء للناس راجع للقرآن لان فيه شفاء من  
 أمراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة للناس وعلى هذا تمت قصة تولد العسل  
 من النحل عند قوله تعالى يخرج من بطونهم شراب مختلف ألوانه ثم ابتداء وقال فيه شفاء للناس  
 أي في هذا القرآن قال الرازي وهذا قول ضعيف وبدل عليه وجهان الاول أن الضمير في قوله  
 تعالى فيه شفاء للناس يجب عوده الى أقرب المذكورات وما ذالك الا قوله تعالى شراب مختلف  
 ألوانه وأما الحكم بعود هذا الضمير الى القرآن مع أنه غير مذكور فيما سبق فهو غير مناسب  
 والثاني حديث أبي سعيد الخدري المتقدم \* ثم انه تعالى ختم الآية بقوله تعالى (ان في ذلك) أي  
 المذكور (لاية لقوم يتفكرون) أي في اختصاص النحل بتلك الطعوم الرقيقة واللطائف  
 الخفية مثل بناء البيوت المسدسة وغير ذلك فيعتبرون ويستدلون بما ذكرنا على وحدانيتنا  
 وقد تناوذة كثيرا في هذه السورة اضافة الآيات الى مخاطبين تارة بالافراد وتارة بالجمع وتوعها  
 تارة بالعقل وتارة بالفكر وتارة بالذكور وتارة بغيرها \* ثم انه تعالى لما أيقظهم من رقدهم ونبههم  
 على عظيم غفلتهم شي ببعض ما في أنفسهم من الأدلة على ذلك فقال (والله) أي المحيط بكل شيء  
 قدرة وعلما (خلقكم) أي أوجدكم من العدم وأخرجكم الى الوجود ولم تكونوا شيئا (ثم يوفاكم)  
 أي عند انقضاء اجالكم على اختلاف الانسان فلا يقدر الصغیر أن يؤخر ولا الكبير على أن  
 يقدم فتم من يموت على حال قوته (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أي أخسه من الهرم  
 والخرف قال بعض العلماء عمر الانسان له أربع مراتب سن الطفولية والنمو وهو من أول العمر  
 الى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الاشد ثم المرتبة الثانية سن الوقوف  
 وهو من ثلاثة وثلاثين سنة الى أربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل والمرتبة الثالثة سن  
 الكهولة وهو من الأربعين الى الستين وهذه المرتبة يشرع فيها الانسان في النقص لكنه يكون  
 نقصا خفيا لا يظهر ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والافطاط من الستين الى آخر العمر  
 خمسة وستون سنة تبين النقص ويكون الهرم والخرف قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه  
 أرذل العمر خمسة وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة وعن أنس رضي الله

تعالى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى أعوذ بك من العجز والهرم والبخل  
وأعوذ بك من عذاب القبر وقتنة الحيا والممات وفي رواية عنه كان يقول اللهم انى أعوذ بك  
من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وقتنة الحيا والممات (لكيلا يعلم بعد علم شيئا)  
أى ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في نقصان القوة والعقل وسوء الفهم (تنبيه) • هل  
ذلك عام في المسلم والكافر أو مختص بالكافر فيه قولان أحدهما انه عام والقول الثانى انه مختص  
اذ المسلم لا يزداد بطول العمر الاكرامة على الله تعالى ولا يقال في حقه انه رذالى أرذل العمر قال  
الرازى والدليل عليه قوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيبين  
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ما رددوا الى أسفل السافلين وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر  
الى هذه الحالة وقال في قوله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الذين قرؤوا القرآن  
وقال ابن عباس قوله ثم رددناه أسفل سافلين يريد الكافرين ثم استثنى المؤمنين فقال الا الذين  
آمنوا وعملوا الصالحات وهذا يؤيد ما مر (ان الله عليم) بمقادير أعمارهم (قدير) بميت الشاب  
النشط ويبقى الهرم القانى وفي ذلك تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم  
ركب أبنيتهم وعدل أمر جنتهم على قدر معلوم ولو كان مقتضى الطباع كما يقول الطبائعيمون  
لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ • ولما ذكر تعالى المفاوطة في الأعمار المنادية بإبطال الطباع الموجبة  
للمساواة الى الاعتبار ولا ولى الابصار للخوف كل لحظة من مصيبة الموت أتبعها بالمفاوطة  
في الارزاق فقال (وان الله) أى الذى له الامر كله (فضل بعضكم) أيها الناس (على بعض في  
الرزق) فنكم فنى ومفكم فقير ومنكم مالك ومنكم مملوك كل ذلك بتقدير العزيز الحكيم  
فيجعل الضعيف العاجز الجاهل أغنى من القوى المحتال العالم فتري أكيس الناس وأكثرهم  
عقلاء يفنى عمره في طلب القليل من الدنيا ولا يتيسر له ذلك ونرى أجلف الخلق وأقلهم عقلا  
وفهما تفتح له أبواب الدنيا لكل شئ خطر بياله أودار في خياله فانه يحصل له بسهولة ولو كان  
السبب في ذلك هو جهل الانسان وعقله لوجب أن يكون الأعدل أفضل في هذه الاحوال  
فلمارأينا ان الأعدل أقل نصيبا وان الأجهل الاخس أو فر نصيبا علنا ان ذلك بسبب قسمة  
القسام كما قال تعالى أهدم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فاتقوا  
الله وأجلوا في طلب الرزق وأقبلوا في جمع قلوبكم على ما ينفعكم من الاستبصار وأنشد  
سفيان بن عيينة يقول

كم من قوى قوى في قلبه • مهذب الرأى عنه الرزق منصرف

ومن ضعيف ضعيف العقل مختلط • كأنه من خليج البحر يغترف

(وحكى) أن سليمان المهلبى أرسل الى الخليل بن أحمد بعائة ألف درهم فردها الخليل وكتب

اليه هذه الايات

أبلغ سليمان انى عنه في سعة • وفي غنى غير انى لست ذامال

شخصى بنفسى انى لا أرى أحدا • يموت جوعا ولا يبق على حال

فالعجز عن قدرها العجز تنقصه \* ولا يزيدك فيه حول محتمل  
والفقر في النفس لا في المال تعرفه \* ومثل ذلك الغنى في النفس لا المال

وقال الشافعي رحمه الله تعالى

ومن الدليل على القضاء وكونه \* بؤس اللبيب وطيب عيش الاحق

\* (تنبيه) \* هذا التفاوت ليس محتصا بالمال بل هو حاصل في الذكاء والبلاغة والحسن والقبح  
والعقل والحق والصحة والسقم والاسم الحسن والاسم القبيح وهذا بحر لا ساحل له قال الرازي  
وقد كنت مصاحبا لبعض الملوك في بعض الاسفار وكان ذلك الملك كثيرا المال والجاه فكانت  
الجنائب الكثيرة تقاد بين يديه وما كان يمكنه ركوب واحد منها وربما حضرت الاطعمة  
الشهية والفواكه الكثيرة العطرة عنده وما كان يمكنه أن يتناول شيئا منها وكان من الفقراء من  
هو صحيح المزاج وقوى البنية كامل القوة وما كان يجدمل محبته طعاما فذلك الملك وان كان  
يفضل هذا الفقير في المال الا أن هذا الفقير كان يفضل ذلك الملك في الصحة والقوة وهذا باب  
واسع اذا اعتبره الانسان عظم نعمة فيه فقل الله تعالى أن يغنيننا من فضله وأن يرضينا بما  
قسم لنا انه كريم جواد \* ثم ضرب الله تعالى مثلا للذين جعلوا الله شركاء بقوله تعالى (فما الذين  
فضلوا) أي في الرزق وهم الموالى (برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم) أي يجيء على  
ما رزقناهم من الاموال وغيرها بينهم وبين عماليكهم (فهم) أي المماليك والموالى (فيه سواء)  
أي شركاء يقول الله تعالى هم لا يرضون أن يكونوا هم وعماليكهم فيما رزقناهم سواء فكيف  
يجعلون بعض عبيدى شركا في ملكي وسلطاني وقيل معنى الآية أن الموالى والمماليك الله  
رازقهم جميعا فهم في رزقهم سواء فلا تحسب بن الموالى يردون أرزاقهم على عماليكهم من عند  
أنفسهم بل ذلك رزق الله اجراه على أيدي الموالى للمماليك والمقصود منه بيان أن الرزق هو  
الله تعالى لجميع خلقه وأن الموالى والمماليك في ذلك الرزق سواء وأن المالك لا يرزق المملوك  
وانما ذلك رزق أجرته اليهم على أيديهم فالرزق للمالك والمملوك هو الله تعالى \* ولما قرر  
سبحانه وتعالى هذه الدلائل وبينها وأظهرها بحيث يفهمها كل عاقل كان ذلك انعاما عظيما منه  
على الخلق فعند هذا قال (أفبعمة الله) في تقرير هذه البيانات وايضاح هذه الينات  
(يجحدون) أي يكفرون وفي ذلك انكار على المشركين حيث جحدوا نعمته وعبدوا غيره وجعلوا  
له شركاء يضيفون اليهم بعض ما أنعم به عليهم فيستوون بينهم وبينه في ذلك وقر أشعبة بالنساء على  
الخطاب والباقون بالياء على القبيبة ثم انه تعالى ذكر فوعا آخر من أحوال الناس ليستدل به على  
وجوه الاله المختار الحكيم وتنبها على انعام الله تعالى على عبيده بمثل هذه النعم بقوله تعالى  
(والله) أي الذي له تمام القدرة وكال العلم (جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أي من جنسكم  
لتستأنسوا بها ولتكون أولادكم منكم فخلق حواء من ضلع آدم وسائر الناس من نطف الرجال  
والنساء فهو خطاب عام فخصيصا آدم وحواء فقط خلاف الدليل والمعنى أنه تعالى خلق  
النساء لتزوج بهن الذكور ومعنى من أنفسكم كقوله تعالى فاقبلوا أنفسكم فسلوا على



أنفسكم أي بعضكم بعضا وتظيره قوله تعالى ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا (وجعل  
لكم من أزواجكم بنين وحفدة) والحفدة جمع حافد وهو المسرع بالخدمة المسارع الى الطاعة  
ومنه قول القانت واليك نسى ونسعى أي نسرع الى طاعتك هذا أصله في اللغة واختلف فيه  
أقوال المفسرين فقال ابن مسعود والنسعى الحفدة أختان الرجل على بنائه وعن ابن مسعود  
انهم أصهاره فهو عني الاول وعلى هذا يكون معنى الآية وجعل لكم من أزواجكم بنين  
وبنات تزوجوهن فيحصل لكم بسبب الاختان والأصهار وقال الحسن وعكرمة والضمائم  
الخدم وقال مجاهد هم الأعوان وكل من أعانك فهو حفيدك وقال عطاءهم ولد الرجل الذين  
يعينونه ويخضعون له وقال الكلبي ومقاتل البنون هم الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين  
يعينون الرجل الذين ليسوا منه أي أولاد المرأة من الزوج الاول قال الرازي والاولى  
دخول الكل فيه لان اللفظ محتمل للكل بحسب المعنى المشترك قال الزمخشري ويجوز ان  
يراد بالحفدة البنون أنفسهم كانه قيل جعل لكم منهن أولادهم بنون وهم حافدون أي جامعون  
بين الامرين انتهى ومع هذا فالمتهور ان الحافد ولد الولد من الذكور والاناث (فائدة) \*  
قال الاطباء وأهل الطبيعة المتى اذا انصب الى الخصية اليمنى من الذكر ثم انصب منه الى  
الجانب الايمن من الرحم كان الولد ذكرا تاما في الذكورة واذا انصب من الخصية اليسرى ثم  
انصب الى الجانب الايسر من الرحم كان الولد أنثى تاما في الانوثة واذا انصب الى الخصية اليمنى  
وانصب منها الى الجانب الايسر من الرحم كان ذكرا في طبيعة الاناث واذا انصب الى الخصية  
اليسرى ثم انصب منها الى الجانب الايمن من الرحم كان هذا الولد أنثى في طبيعة الذكور  
وحاصل كلامهم ان الذكور الغالب عليهم الحرارة واليبوسة والغالب على الاناث البرودة  
والرطوبة وهذه العلة ضعيفة فان في النساء من مزاجها في غاية السخونة وفي الرجال من  
مزاجه في غاية البرودة فخالف الذكور والانثى هو الاله القادر الحكيم \* ولما ذكر تعالى انعامه على  
عبده بالتمكوح وما ينه فيه من المنافع والمصالح ذكر انعامه عليهم بالمطعمات الطيبة فقال  
(ورزقكم من الطيبات) سواء كانت من النبات وهي الثمار والحبوب والاشربة أو كانت من  
الحيوان والمراد بالطيب المستلذ أو الحلال ومن في من الطيبات للتبعض لان كل الطيبات  
في الجنة وما طيبات الدنيا الا تمزوج منها واختلف في تفسير قوله تعالى (أفبالباطل يؤمنون)  
فقال ابن عباس يعني بالاصنام وقال مقاتل يعني بالشیطان وقال عطاء يصدقون ان لى شريكا  
وصاحبة وولدا (ويعت الله هم يكفرون) أي بأن يضيفوها الى غير الله تعالى ويتركون  
اضافتها الى الله تعالى وقيل الباطل ما سؤل لهم الشيطان من تحريم البعيرة والسائبة  
وغيرها ونعمة الله ما أحل لهم من هذه الطيبات وتحريم الخبائث \* (فائدة) \* رعت نعمت  
هنا بالتاء ووقف عليها ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالتاء والكسائي يقرأ  
بالامالة \* ولما شرح الله تعالى الدلائل على صحة التوحيد واتبعها بذكر أقسام النعم العظيمة  
اتبعا بالرد على عبدة الاصنام فقال (ويعبدون من دون الله) أي غيره (مالا يملك لهم رزقا)

أى تاركين عبادتهم سيده جميع الارزاق وهو ذوالعلو المطلق الذى رزقهم من الطيبات  
 ويعبدون غيره ثم بين تعالى جهة الرزق بقوله تعالى (من السموات والارض) اما الرزق  
 الذى ياتي من جانب السماء فالمطر واما الذى من جانب الارض فالنبات والثمار التى تخرج  
 منها وقوله تعالى (شياً) فيه ثلاثة أوجه أحدها أنه منصوب على المصدر أى لا يملك لهم ملكاً  
 أى شيئاً من الملك والثانى أنه بدل من رزق أى لا يملك لهم شيئاً قال ابن عادل وهذا غير مقيد  
 اذ من المعلوم أن الرزق شئ من الاشياء ويؤيد ذلك أن البدل لا يأتي الا لخدمة معين البيان  
 أو التأكيد وهذا ليس فيه بيان لأنه أعم ولا تأكيد والثالث أنه منصوب برزقاً على أنه اسم  
 مصدر واسم المصدر يعمل عمل المصدر على خلاف في ذلك ولما كان من لا يملك شيئاً قد يكون  
 موصوفاً باستطاعة أن يملك بطريق من الطرق تقي الله تعالى عنهم ذلك بقوله تعالى (ولا  
 يستطيعون) أى وليس لهم نوع استطاعة أصلاً (فان قيل) انه تعالى قال ويعبدون من  
 دون الله ما لا يملك فعبر عن الاصنام بصيغة ما وهى لغیر الماقل ثم جمع بالواو والنون فقال ولا  
 يستطيعون وهو مختص بمن يعقل (أجيب) بأنه عبر عنها ثانياً باعتبار باعتبارها إلهة وفى  
 تفسير قوله تعالى (فلا تضر بوالله الامثال) وجهان الاول قال أكثر المفسرين لا تشبهوا  
 الله بخلقته فانه واحد لا مثل له ولا شبه ولا شريك من خلقه لان الخلق كلهم عبده وفى ملكه  
 فكيف يشبه الخالق بالخلق والارزاق بالرزوق والقادر بالعاجز الثانى ان عبدة الاوثان  
 كانوا يقولون ان اله العالم أجل وأعظم من ان يعبدوا الواحد منا بل نحن نعبد الكواكب  
 أو نعبد هؤلاء الاصنام ثم ان الكواكب والاصنام عبدة الاله الاكبر الاعظم كما ان أصغر  
 الناس يخدمون أكبر حفدة الملك وأولئك الاكبر كانوا يخدمون الملك فكذا ههنا (ان الله)  
 أى الذى له الامر كله ولا امر لغيره (يعلم) أى خطأ ما أنتم عليه من ضرب الامثال له (وأنتم  
 لا تعلمون) ذلك وقيل معناه وأنتم لا تعلمون ما عليكم من العقاب العظيم بسبب عبادة هذه  
 الاصنام ولو علمتموه لتركتم عبادتها \* ولما ختم تعالى ابطال مذهب عبدة الاصنام بسبب  
 العلم الذى هو مناط السداد عنهم أكد ذلك بضرب مثل بقوله تعالى (ضرب الله) أى الذى له  
 كمال العلم وتمام القدرة (مثلاً) بالاحرار والعبيد ثم أبدل من مثلاً (عبداً) وقيد بقوله تعالى  
 (مملوكاً) ليضرح الحر لان العبد يطلق على الحر بالنسبة الى الله تعالى وقيد بقوله تعالى (لا يقدر  
 على شئ) ليضرح المكاتب ومن فيه شائبة حرية وهذا مثل شركائهم ثم عطف على عبداً قوله  
 (ومن) أى وحر انتهى نكرة موصوفة لطابق عبداً (رزقناه منا رزقاً حسناً) أى واسعاً طيباً  
 (فهو يتق منه) دائماً وهو معنى قوله تعالى (سراً وجهراً) أى يتصرف فيه كيف يشاء وهذا  
 مثل الاله وله المثل الاعلى ثم بكتهم انكاراً عليهم بقوله تعالى (هل يستون) أى هذان  
 القريقان الممثل بهما لان المراد الجنس فاذا كان لا يسوغ فى عقل أن يسوى بين مخلوقين  
 أحدهما حر مقتدر والاخر مملوك عاجز فكيف يسوى بين حمر من صوان أو غيره وبين الله  
 تعالى الذى له القدرة التامة على كل شئ وقيل ذلك تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق

(تنبيه) \* جواب هل يستون هو لا يستون وقوله تعالى (المدد لله) قال ابن عباس المدد  
 على ما فعل يا ولياته وأنتم عليهم بالتوحيد وقيل المعنى ان كل المدد لله وليس شئ من المد  
 للاصنام لانه لانعمة لها على أحد لانها جاد عاجز أى انما المدد لله لا لغيره فيجب على جميع العباد  
 حمد الله لانه تعالى أهل المحامد والثناء الحسن فكأنهم قالوا نحن نعلم ذلك فقيل (بل أكثرهم)  
 أى الكفار (لا يعلمون) لكونهم يسوونه غيره ومن نقي عنه أصل العلم الذى هو أعلى صفات  
 الكمال وكان فى عدد الانعام فهم لذلك يشبهون به ما ذكر ويضربون له الامثال الباطلة  
 ويضيفون نعمه الى غيره ثم انه تعالى ضرب لعبدة الاوثان مثلا آخر بقوله تعالى (وضرب الله  
 مثلا) ثم أبدل منه (رجلين) ثم استأنف البيان لما أجل فقال (أحدهما أبكم) وهو الذى  
 ولد أخرس فكل أبكم أخرس وليس كل أخرس أبكم وروى ثعلب عن ابن الاعرابى الابكم  
 الذى لا يسمع ولا يبصر وصف الله تعالى هذا الرجل بصفة ثانية بقوله تعالى (لا يقدر على شئ)  
 لانه لا يفهم ولا يفهم وفى ذلك اشارة الى العجز التام والنقصان الكامل ثم وصفه الله تعالى  
 بصفة ثالثة بقوله تعالى (وهو) أى ذلك الابكم العاجز (كل على مولاة) أى ثقيل على من ولى  
 أمره ويعوله قال أهل المعانى أصله من الغلط الذى هو نقيض الحدة يقال كل السكين اذا  
 غلظت شفرته فلم تقطع وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على الكلام وكل فلان عن الامر اذا ثقل  
 عليه فلم ينهض فيه ثم وصفه تعالى بصفة رابعة بقوله (أيتما يوجهه) أى يرسله ويصرفه ذلك المولى  
 (لايات بحير) لانه عاجز لا يحسن ولا يفهم قيل هذا من مثل شركائهم الذين هم عيال ووبال على  
 عبدتهم ووجههم الله تعالى بقوله (هل يستوى هو) أى هذا الموصوف بهذه الصفات الاربعة  
 (ومن) أى ورجل آخر على ضد صفته فهو ناطق قادر عالم فطن قوى خبير مبارك ميمون (يا امرئ)  
 أى ورجل آخر يا امرئ من العلم والقدرة (بالعدل) أى يذل النصيحة لنفسه (وهو) فى نفسه  
 ظاهر او باطنا (على صراط) أى طريق واضح (مستقيم) أى عامل فيه بما يأمر به قيل هذا مثال  
 المعبود بالحق الذى يكنى عابديه جميع المون وهو ال على كمال علمه وتمام قدرته وقيل المراد  
 من هذا الابكم عبد لعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه كان ذلك العبد يكره الاسلام وما كان  
 فيه من روم ومولاه وهو عثمان يأمر بالعدل وكان على الدين القويم والصراط المستقيم وقيل  
 المراد كل عبد موصوف بهذه الصفات المذمومة وكل من موصوف بتلك الصفات الحميدة  
 وهذا القول كما قال الرازى أولى من الاول لان وصفه تعالى اياهما أبكونهما راجلين يمنع من  
 حمل ذلك على الوثن وكذلك بالكم وبالكل وبالتوجه فى جهات المنافع وكذلك وصف الآخر  
 بأنه على صراط مستقيم يمنع من حمله على الله تعالى وأيضا المقصود تشبيه صورة بصورة فى أمر  
 من الامور وذلك التشبيه لا يتم الا عند كون احدى الصورتين مقابلة للآخرى وأما القول  
 الثانى فضعيف أيضا لان المقصود ابانة التفرقة بين رجلين موصوفين بالصفات المذكورة وذلك  
 غير مختص بشخص معين بل اذا حصل التفاوت فى الصفات المذكورة فانه يحصل المقصود  
 ثم وصف سبحانه وتعالى نفسه بكامل العلم بقوله تعالى (وقه) أى لا لغيره (غيب السموات)

والارض) وهو ما غاب فيه ما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل الغيب  
هنا هو قيام الساعة فان علمه غائب عن أهل السموات والارض ثم وصف سبحانه وتعالى كمال  
قدرته بقوله تعالى (وما أمر الساعة) وهو الوقت الذي يكون فيه البعث (ألا كلح البصر)  
أى الا كرجع الطرف من أعلى الحدقة الى أسفلها والمعنى وما أمر قيام الساعة في السرعة  
والسهولة الا كطرف العين والمراد منه تقدير كمال القدرة ومعنى قوله تعالى (أو هو أقرب)  
ان لمح البصر عبارة عن انتقال الجسم المسمى بالطرف من أعلى الحدقة الى أسفلها ولا شك  
أن الحدقة مؤلفة من أجزاء فمح البصر عبارة عن المرور على جملة تلك الأجزاء التي منها تألف  
الحدقة ولا شك أن تلك الأجزاء كثيرة والزمان الذي يحصل فيه لمح البصر مركب من  
آيات متعاقبة والله تعالى قادر على إقامة القيامة في آن واحد من تلك الآيات فلذلك قال  
أو هو أقرب لأنه لما كان أسرع الاحوال والحوادث في عقولنا وأفكارنا هو لمح البصر لا جرم  
ذكره ثم قال أو هو أقرب تنبيها على ما مر ولا شبهة في أنه ليس المراد طريقة الشك فالمراد اذا  
بل هو أقرب وقال الزجاج المراد به الأجزاء على المخاطبين لأنه تعالى يأتي بالساعة اما بقدر  
لمح البصر أو بما هو أسرع وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخي فهو عند الله كالشيء  
الذي تقولون فيه هو كلح البصر أو هو أقرب مبالغة كقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف  
سنة مما تعدون (ان الله) أى الملك الاعظم (على كل شيء قدير) فيقدر على أن يحيي الخلائق  
دفعه واحدة كما قدر على احيائهم فانه تعالى مهما أراه كان في أسرع ما يكون ثم انه تعالى عاد  
الى الدلائل الدالة على وجود الصانع المختار فعطف على قوله تعالى والله جعل لكم من أنفسكم  
أزواجا قوله عز وجل (والله) أى الذى له العظمة كلها (أخرجكم) بقدرته ~~من بطون~~ (من بطون  
أمتها تكلم) حال كونكم عند الاخراج (لا تعلمون شيئا) من الأشياء قبل أو جل فالذى  
أخرجكم منها قادر على اخراجكم من بطون الارض بلافراق بل بطريق الاولى وقرأ حزة  
والكسافي بكسر الهزة والباقون بضمها وقرأ حزة بكسر الميم والباقون بفتحها ثم عطف على  
أخرجكم قوله تعالى (وجعل لكم السمع والابصار والافتدة) آلات لازالة الجهل الذى وقعت  
الولادة عليه وقتق مواضعها وسواها وعدلها وأنتم فى البطون حيث لاتصل اليه يد ولا تمسك  
من شئ منه بآلة فالذى قدر على ذلك فى البطن ابداعا قادر على اعادته فى بطن الارض بل  
بطريق الاولى قال البقاعى وله تعالى جمعها أى الابصار والافتدة دون السمع لان التفاوت  
فيهما أكثر من التفاوت فيه بما لا يعلمه الا الله والافتدة هى القلوب التي هيأها الله تعالى للفهم  
واصلاح البدن بما أودعها من الحرارة اللطيفة للمعاني الدقيقة (لعلكم تشكرون) لتصبروا  
بمعارف القلوب التي وهبكموها اذا سمعتم المواعظ وأبصرتم الآيات في حال يرجى فيها شكركم  
لما أفاض عليكم من لطائف صنعه بأن تعرفوا ما له من العلم والقدرة فانه انما أنعم عليكم بهذه  
الحواس لتستعملوها في شكر من أنعم بها عليكم (فان قيل) عطف وجعل لكم السمع على  
أخرجكم يقتضى أن يكون جعل السمع والبصر متأخرين عن الاخراج من البطون مع أن

الامر ليس كذلك (أجيب) بأن حرف الواو لا يوجب الترتيب وأيضا اذا جلتنا السمع على  
 الاستماع والابصار على الرؤية زال السؤال ثم انه تعالى ذكر دليلا آخر على كمال قدرته وحكمته  
 بقوله تعالى (ألم يروا الى الطير مسجرات) أى مذلات للطيران (فى جوار السماء) أى فى الهواء  
 بين الخافقين مما لا يقدرون عليه بوجه من الوجوه مع مشاركتكم لها فى السمع والبصر  
 وزيادتكم عليها بالعقول فعلم قطعا أنه تعالى خلق الطير خلقه معها يمكنه الطيران فيها والامان  
 أمكن ذلك لانه تعالى أعطى الطير جناحا يبسطه مرة ويكسره مرة أخرى مثل ما يعمل  
 السابح فى الماء وخلق الجو خلقه لطيفة رقيقة يسهل خرقه والنفاذ فيه ولولا ذلك لما كان  
 الطيران ممكنا ومع ذلك (ما يسكنون) فى الجوع عن الوقوع (الآلهة) أى الملك الاعظم فان جسد  
 الطير جسم ثقيل والجسم الثقيل يتنجس ببقاؤه فى الجو معلقا من غير دعامة تحته ولا علاقة فوقه  
 فوجب أن يكون المسك له فى ذلك الجو هو الله تعالى وقرأ ابن عاصم وحزرة بالهاء على أنه  
 خطاب العامة والباقون بالياء على الغيبة (آن فى ذلك) المذكور (لايات) أى دلالات  
 (لقوم يؤمنون) وخصهم بذلك لانهم هم المستمعون بها وان كانت هذه الايات آيات لكل  
 العقلاء ثم ذكر تعالى نوعا آخر من دلائل التوحيد بقوله تعالى (واتلوا) أى الذى له الحكمة  
 البالغة (جعل لكم من بيوتكم) وأصل البيت المأوى ليلا ثم اتسع فيه (سكنا) أى موضعا  
 لتسكنوا فيه \* (تنبيه) \* البيوت التى يسكن الانسان فيها على قسمين أحدهما البيوت المتخذة  
 من الخشب والطين والآلات التى بها يمكن تسقيف البيوت واليها الاشارة بقوله تعالى والله  
 جعل لكم من بيوتكم سكنا وهذا القسم من البيوت لا يمكن نقلها بل الانسان يتقل اليها  
 والقسم الثانى القباب والخيام والفساطيط واليها الاشارة بقوله تعالى (وجعل لكم من  
 جلود الانعام بيوتا) المتخذة من الادم ويجوز أن يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر  
 فانها من حيث انها ثابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها (تسكنونها) أى تسكنونها  
 خفيفة يحتمل عليكم حملها ونقلها (يوم نطفنكم) أى وقت ترحالكم وعبر باليوم لان الترحال  
 فى النهار (ويوم آفانكم) أى وقت الحضر أو وقت النزول وهذا القسم من البيوت يمكن  
 نقلها وتحويلها من مكان الى مكان وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو يفتح العين والباقون  
 بالسكون وأضاف قوله تعالى (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) الى ضمير الانعام لانها  
 من جلتها قال المفسرون وأهل اللغة الاصواف للضأن والاوبار للابل والاشعار للمعز (أنا) أى  
 أى ما يلبس ويفرش (ومتاعا) أى ما يتجر به وقيل الاثنا ما يكتسب به المرء ويستعمله فى الغطاء  
 والوطاء والمتاع ما يفرش فى المنازل ويتزين به واختلف فى معنى قوله تعالى (الى حين) فقيل الى  
 حين تلبى وقيل الى حين الموت وقيل الى حين بعد حين وقيل الى يوم القيامة \* (تنبيه) \* فى نصب  
 أنا وأوجهان أحدهما أنه منصوب عطفا على بيوتنا أى وجعل لكم من أصوافها وأنا والثانى  
 أنه منصوب على الحال واعلم أن الانسان اما أن يكون مقبلا أو مسافرا والمسافر اما أن يكون  
 غنيا يستحب معه الخيام أولا فالقسم الاول أشار اليه بقوله تعالى جعل لكم من بيوتكم سكنا

وأشار إلى القسم الثاني بقوله تعالى وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا وأشار إلى القسم الثالث بقوله تعالى (وآلله) أي الذي له الجلال والاکرام (جعل لكم) أي من غير حاجة منه تعالى (بما خلق) من شجر وجبال وأبنية وغيرها وقوله تعالى (ظلالا) جمع ظل تقون به شدة الحر وقوله تعالى (وجعل لكم) مع غناه المطلق (من الجبال أكنانا) جمع كن موضع تسكنون فيه من الكهوف والبيوت المنصوتة فيها (وجعل لكم) أي امتنا فامنه عليكم (سرايل) جمع سربال قال الزجاج كل ما لبسته فهو سربال من قيص أودرع أو جوشن أو غيره أي وسواء كان من صوف أو كان أو قطن أو غير ذلك (تقيكم الحر) ولم يقل تعالى والبرد لتقدمه في قوله تعالى فيها داف وقيل انه اکتني بأحد المتقابلين وقيل كان المخاطبون بهذا الكلام العرب وبلادهم حارة فكان حاجتهم إلى ما يدفع الحر فوق حاجتهم إلى ما يدفع البرد كما قال تعالى ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أسننات أنوع الثياب أنشرف الآية تعالى ذكر ذلك النوع لانه كان القهم بها أشد واعتيادهم للبهاء أكثر ولما كانت السرايل نوعا واحدا لم يرد لفظ جعل فقال (وسرايل) أي دروعا من حديد وغيرها (تقيكم بأسكم) أي حربكم أي في الطعن والضرب فيها ولما عدد الله تعالى أنواع نعمه قال (كذلك) أي كتمام هذه النعمة المتقدمة (يتيم نعمته عليكم) في الدنيا والدين بالبيان والهداية لطريق النجاة والمنافع والتنبية على دقائق ذلك (اعلمكم) يا أهل مكة (تسلمون) أي تخلصون لله الربوبية وتعلمون أنه لا يقدر على هذه الانعامات أحد سواه وقيل تسلمون من الجراح بلبس الذروع (فإن تولوا) فلم يقبلوا منك وآثروا لذات الدنيا ومتابعة الآباء والمعاداة في الكفر (فإنما عليك) يا أفضل المخلوق (البلاغ المبين) هذا جواب الشرط وفي الحقيقة جواب الشرط محذوف أي فقد تم عهد عذرك بعد ما أدت ما يجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب وذلك لأن تبليغه سبب في عذره فأقيم السبب مقام المسبب وهذا قبل الأمر بالقتال ثم انه تعالى ذمهم بأنهم (يعرفون نعمة الله) أي الملك الأعظم التي تقدمت بعضها في هذه السورة وغيرها (ثم ينكرونها) بعبادتهم غير المنتم بها وقال السدي نعمة الله يعني محمد صلى الله عليه وسلم أنكروه وكذبوه وقيل نعمة الله هي الاسلام وهو من أعظم النعم التي أنعم الله تعالى بها على عباده ثم إن كفار مكة أنكروه ومحدوه واختلف في معنى قوله تعالى (وأكثرهم الكافرون) مع أنهم كلهم كانوا كافرين على وجوه الأول انما قال تعالى وأكثرهم لان فيهم من لم تقم عليه الحجة عن لم يبلغ حد التكليف أو كان ناقص العقل فأراد بالأكثر البالغين الاحصاء الثاني أن يكون المراد بالكافر الجاحد المعاند وكان فيهم من لم يكن معاندا بل كان جاهلا بصدق الرسول وما ظهر له كونه نبيا حقا فمن عند الله الثالث انه ذكر الأكثر والمراد بالجميع لان أكثر النسخ يقوم مقام الكل فذكر الأكثر كذا في الجميع وهذا كقوله تعالى الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ولما بين تعالى من حال القوم انهم عرفوا نعمة الله ثم أنكروها وذكر أيضا من حالهم أن أكثرهم كافرون اتبعوا بالوعيد فذكر حال يوم القيامة بقوله تعالى (ويوم) أي وغنوفهم

يوم أو واذكر لهم يوم (تبعث) بعد البعث (من كل أمة شهيدا) هونبها كما قال تعالى  
فكيف اذا اجتمعنا من كل أمة بشهيد وجاتك على هؤلاء شهيدا يشهدنيها والها وعليها يوم  
القيامة ليحكم تعالى بقوله اجراء الامر على ما يتعارفون وان كان تعالى غنيا عن شهيد وقوله  
تعالى (ثم لا يؤذن للذين كفروا) فيه وجوه أحدها لا يؤذن لهم في الاعتذار بقوله تعالى ولا  
يؤذن لهم فيعتذرون ثانيا لا يؤذن لهم في كثرة الكلام ثالثا لا يؤذن لهم في الرجوع الى  
دار الدنيا والى التكليف رابعا لا يؤذن لهم في حال شهادة الشهود بل يسكت أهل الجمع كلهم  
ليشهد الشهود (فان قيل) ما معنى ثم ههنا (أجيب) بأن معناها أنهم يتعذرون أى يتلون بغير  
شهادة الانبياء عليهم السلام بما هو أطم منها وانهم يتعذرون الكلام فلا يؤذن لهم في القاء معذرة  
ولا ادلاء بحجة (ولا هم يستعجبون) أى لا تزال عتابهم وهى ما يعجبون عليها ويلامون يقال  
استعبت فلانا بمعنى اعتبه أى ازلت عتبه (واذ رأى الذين ظلموا) أى ظلموا أنفسهم بالكفر  
والمعاصي (العذاب) أى عذاب جهنم بعد الموقف وشهادة الشهداء (فلا يخفف عنهم)  
ذلك العذاب (ولا هم ينظرون) أى لا يجهلون \* ولما بين تعالى حاصل أمرهم في البعث وما بعده  
وكان من أهم المهم أمرهم في الموقف مع شركائهم الذين كانوا يرجونهم عطف على ذلك بقوله  
تعالى (واذ رأى) أى بالعين يوم القيامة (الذين أشركوا شركاءهم) أى الآلهة التي كانوا  
يدعونها شركاء من الشياطين وغيرها (قالوا ربنا) أى يا من أحسن اليانور بانا (هؤلاء شركاؤنا)  
أضافهم الى أنفسهم لانه لا حقيقة لشركتهم سوى تسميتهم لها الموجبة لضررهم ثم بينوا  
المراد بقولهم (الذين كاندعوا) أى نعبدهم (من دونك) ليقر بونا اليك فأكرمنا لاجلهم جريا  
على منا هجمهم في الدنيا في الجهل والغبوة تخاف شركاؤهم من عواقب هذا القول والاقرار  
عليه سطوات الغضب (فألقوا) أى الشركاء (اليهم) أى المشركين (القول) أى بادروا به حتى  
كان اسراعهم اليه اسراع شئ ثقيل يلقى من علوا وكذا قولهم فقالوا (أنكم لكاذبون)  
في جعلنا شركاء أو أنكم عبدة ونا حقيقة وانما عبادتم أهواءكم كقوله تعالى كلا سيكفرون  
بعبادتهم ولا يعبدون تنطق الاصنام بذلك يومئذ في انهم ظلوه على الكفر والرموه اياه  
كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي (والقوا) أى الشركاء  
(الى الله) أى الملك الاعلى (يومئذ) أى يوم القيامة (السلام) أى الاستسلام بحكمه بعد  
الاستكثار في الدنيا (وضل) أى غاب (عنهم) أى الكفار (ما كانوا يفترون) أى من أن  
آلهتهم تشفع لهم \* ولما ذكر تعالى وعيد الذين كفروا أتبعه بوعيد من ضم الى كفره صد الغير  
عن سبيل الله بقوله تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) أى ضوامع كفرهم انهم  
منعوا الناس عن الدخول في الايمان بالله وبرسوله (زدناهم عذابا) لصدتهم (فوق العذاب)  
المستحق بكفرهم (بما كانوا يفسدون) أى بكونهم مفسدين بصدتهم وقيل زدناهم عذابا باجساد  
وعقارب كأمثال الجنة يستغيثون بالهرب منها الى النار ومنهم من ذكر أن لكل عقرب سقاة  
تقرق في كل فترة ثلثائة قلة من سم وقيل عقارب لها آنياب كالنخل الطوال ثم كرر سبحانه

وتعالى التهذير من ذلك اليوم على وجه يزيد على ما أفهمته الآية السابقة وهو أن الشهادتين تقع  
على الامم لالهم وتكون بحضورهم فقال (ويوم) أي وخوفهم أو واذكر لهم يوم (نبت) أي  
بما لنا من القدرة (في كل أمة) من الامم والامة عبارة عن القرن والجماعة (شهيد اعليهم)  
قال ابن عباس يريد الانبياء قال المفسرون كل نبي شاهد على أمته وهو عدل شاهد عليها  
(من أنفسهم) أي منهم لأن كل نبي انما بعث من قومه الذين بعث اليهم ليشهدوا عليهم بما فعلوا  
من كفر وإيمان وطاعة وعصيان (وجئنا) بما لنا من العظمة (بك) يا خير المرسلين (شهيدا  
على هؤلاء) أي الذين بعثناك اليهم وهم أهل الارض وأكثرهم ليس من قومه صلى الله عليه وسلم  
ولذلك لم تقيد بعنته بشئ وقال ابو بكر الاصم المراد بذلك الشهيد هو أنه تعالى ينطق عشرة من  
أعضاء الانسان حتى انها تشهد عليه وهو الاذان والعينان والرجلان واليدان والجلد  
واللسان قال والدليل عليه ما قاله في صفة الشهيد أنه من أنفسهم وهذه الاعضاء لا شك أنها من  
أنفسهم ورد بأنه تعالى قال شهيد اعليهم فيجب أن يكون غيرهم وأيضا قال من كل أمة فيجب  
أن يكون ذلك الشهيد من الامة وآحاد هذه الاعضاء لا يصح وصفها بأنهم من الامة ثم بين تعالى  
أنه أراح علمهم فيما كفوا به فلا حجة لهم ولا معذرة بقوله تعالى (ونزلنا) أي بعظمنا بحسب  
التدريج والتنجيم (عليك) يا خير خلق الله (الكتاب) أي القرآن الجامع لهدي (تبياننا) أي  
بياننا بليغا (لكل شئ) (فان قيل) كيف كان القرآن تبيان لكل شئ (أجيب) بأن المعنى من كل  
شئ من أمور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث أمر فيه باتباع النبي  
صلى الله عليه وسلم وطاعته وقد قال تعالى وما ينطق عن الهوى وحشا على الاجماع في قوله  
تعالى ويبتغ غير سبيل المؤمنين وقد رضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لامة اتباع أصحابه  
والاقتداء بآثارهم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة  
والاجماع والقياس والاجتهاد مسندة الى تبيان الكتاب فمن كان تبيان لكل شئ (وهدي)  
أي من الضلالة (ورحة) لمن آمن به وصدق به (وبشرى) بالجنة (للمسلمين) أي الموحدين  
خاصة \* ولما استقصى سبحانه وتعالى في شرح الوعد والوعيد والرغبة والترهيب أتبعه  
بقوله (إن الله) أي الملك المستجمع لصفات الكمال (يا أمر بالعدل) قال ابن عباس  
في بعض الروايات العدل شهادة أن لا اله الا الله (والاحسان) أداء الفرائض وقال  
في رواية أخرى العدل خلع الانداد والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وأن تحب للناس  
ما تحب لنفسك فان كان مؤمنا أحببت له أن يزداد إيمانا وان كان كافرا أحببت له أن يكون  
أخاك في الاسلام وقال في رواية ثالثة العدل هو التوحيد والاحسان هو الاخلاص فيه  
وقال آخرون يعني بالعدل في الافعال والاحسان في الاقوال فلا تفعل الا ما هو عدل ولا تقل  
الا ما هو احسان وأصل العدل المساواة في كل شئ من غير زيادة ولا نقصان فالعدل  
هو المساواة في المكافاة ان خيرا غير وان شرا فشر والاحسان أن تقابل الخير بأكثر  
منه والشربان تعذبه وعن الشعبي قال عيسى بن مريم انما الاحسان أن تحسن



الى من أساء اليك ليس الاحسان أن تحسن الى من أحسن اليك وقيل العدل الانصاف  
والانصاف أعديل من الاعتراف للمنعم باذعامه والاحسان ان تحسن الى من أساء اليك  
وعن محمد بن كعب القرظي قال دعاني عمر بن عبد العزيز فقال صف لي العدل فقلت يج نسأت  
عن أمر جسيم كن لصغير الناس أبا ولكبيرهم ابنا وللمثل منهم أخا وللنساء كذلك (وايتاء)  
أي ومن الاحسان ايتاء (ذی القربى) أي اقربا القربى والبعدى فيندب أن تصلهم من فضل  
ما رزقك الله فان لم يكن لك فضل فدعاه حسن وتودد وروى أبو سلمة عن أبيه أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم لم قال ان أجعل الطاعة ثوابا لمة الرحم ان أهل هذا البيت ليكونون تجارا  
فتنتى أموالهم ويكثر عددهم اذا وصلوا رحامهم \* ولما أمر تعالى بالكارم نهى عن المساوى  
بقوله تعالى (وينهى عن الفحشاء) قال ابن عباس أى الزنا فانه اقبح احوال الانسان  
وأشنعها وقال غيره الفحشاء ما قبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع  
الاقوال والافعال المذمومة جميعها (والمكفر) قال ابن عباس يعنى الشرك والكفر وقال غيره  
المكفر ما لا يعرف في شريعة أو سنة (والبغى) هو الاستيلاء على الناس والتجبر عليهم قيل ان  
أجعل المعاصى عقابا للبغى ولو أن جبلين بغى أحدهما على الآخر ذلك البغى ونص تعالى على  
البغى مع دخوله في المنكر اهتما بما به كابد أبا الفحشاء لذلك وقال ابن قتيبة في هذه الآية العدل  
استواء السر والعلانية والاحسان أن تكون سريره خيرا من علانيته والفحشاء والمذكر  
والبغى أن تكون علانيته أحسن من سريره وقال بعض العلماء ان الله تعالى ذكر من  
المأمورات ثلاثة أشياء ومن المنهيات ثلاثة أشياء فذكر العدل وهو الانصاف والمساواة  
في الاقوال والافعال وذكر في مقابله الفحشاء وهو ما قبح من الاقوال والافعال وذكر  
الاحسان وهو ان يعفو عن ظلمه ويحسن الى من أساء اليه وذكر في مقابله المنكر  
وهو أن ينكر احسان من أحسن اليه وذكر ايتاء ذى القربى والمراد به صلة القربى  
والتودد اليهم والشفقة عليهم وذكر في مقابله البغى وهو أن يتكبر عليهم أو يظلمهم  
حقوقهم ولما كان هذا المذكور من أبلغ المواظبة عليه بقوله تعالى (به ظمكم) أى بأمركم  
بما يرقق قلوبكم من مصاحبة الثلاثة الاول وهى العدل والاحسان وايتاء ذى القربى ومجانبة  
الثلاثة الاخيرة وهى الفحشاء والمنكر والبغى (لعلكم تذكرون) أى لكي تتعظوا فتعملوا بما  
فيه رضا الله تعالى وقرأ أحد من وجزة والكسافى بتخفيف الذال والباقون بالتشديد وفيه ادغام  
التاء في الاصل في الذال وروى البيهقي في شعب الايمان عن ابن مسعود انه قال أعظم آية  
في كتاب الله تعالى الله لا اله الا هو الحى القيوم وأجمع آية في كتاب الله للغير والشر الآيات التى  
في التحلل ان الله يأمر بالعدل والاحسان وأكثرت آية في كتاب الله تفويضاً ومن يتق الله يجعل له  
مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب وأشد آية في كتاب الله تعالى رجاء قل يا عبادى الذى أسرفوا  
على أنفسهم الآية وقال أهل المعاني لما قال الله تعالى في الآية الاولى ونزلنا عليك الكتاب  
تبيانا لكل شئ بين في هذه الآية المأمورية والمنهى عنه على سبيل الاجال فما من شئ يحتاج

اليه الناس في أمر دينهم مما يجب أن يؤتى به أو يترك الا وقد اشتمت عليه هذه الآية وعن  
 قتادة ليس من خلق حسن كان من أهل الجاهلية يعملون به ويعظمونه ويخشونه الأمر الله  
 تعالى به وليس من خلق سيئ كانوا يتعايرونه بينهم الا نهى الله عنه وعن عكرمة ان النبي صلى الله  
 عليه وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة ان الله يأمر بالعدل والاحسان الى آخر الآية فقال له يا ابن  
 أخي أعد علي فاعادها عليه فقال الوليد والله ان له لخلوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمخرؤان  
 أسفل لمغدق وما هو بقول البشر ولما تقررت هذه الجمل التي جمعت بجمعها للمأمورات والمنهيات  
 ما تضيق عنه الدفاتر والصدور وشهد لها المعاندون من بلغاء العرب انها بلغت من البلاغة  
 مبلغا يصعب به غاية السرور ذكر بعض تلك الاقسام وبدأ بها هو مع جمعه أهم وهو الوفاء بالعهد  
 بقوله تعالى (وأوفوا) أي أوفوا الوفاء الذي لا وفاء في الحقيقة غيره (بهدها لله) أي الملك  
 الاعلى الذي عاهدكم عليه بآية العقل من التوحيد والبيع والايان وغيرهما من أصول الدين  
 وفروعه (إذا عاهدتم) بتقبلكم له باذعانكم لامتثاله (ولا تنقضوا الايمان) واحترز عن لغو اليمين  
 بقوله تعالى (بعدهن وكيدهن) أي تشديدها فتحنثوا فيها وفي ذلك دليل على أن المراد بالعهد غير  
 اليمين لانه أعم منه رقرأ أبو عمرو وبأدغام الدال في التاء بخلاف عنه (والاحمال انكم) قد جعلتم  
 الله أي الذي له العظمة كلها (عليكم كفيلا) أي شاهدا ورقيبا وقرأ نافع وابن كثير وابن  
 ذكوان وعاصم باظهار دال قد عند الجيم والباقون بالأدغام وعن جابر رضى الله عنه قال نزلت  
 هذه الآية في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم كان من أسلم بايع على الاسلام فقال تعالى وأوفوا  
 بهدها لله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعدتوكيدها فلا تحملكم قلة محمد وأصحابه وكثرة  
 المشركين أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الاسلام (ان الله) أي الذي له الاحاطة الكاملة  
 (يعلم ما تفعلون) من وفاء العهد ونقضه ثم ضرب الله تعالى له في العهد مثلا فقال (ولا تكونوا)  
 أي في نقض العهد (كألقى نقضت غزلها) أي ما غزله فهو صدر بمعنى المفعول (من بعد قوة)  
 أي ابرام واحكام وقوله تعالى (أنكأنا) جمع نكث وهو ما ينقض من الغزل والحبل قال مقاتل  
 هذه امرأة من قريش يقال لها راتمة وقيل ربيعة وتلقب بجمعوا وكانت خرقا حقا لها وسوسة  
 اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وناكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل من الصوف  
 والشعر والوبر هي وجواربها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن وكان هذا أباها  
 وقال السدي كانت امرأة بككة تسمى خرقاء مككة تغزل فاذا برمت غزلها انقضته وقال مجاهد  
 نقضت حبلها بعد ابرامها اياه وقال قتادة لو سمعت يا امرأة نقضت غزلها من بعد ابرامه لقلتم  
 ما أحق هذه وهذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده وقال في قوله تعالى (تخذون ايمانكم دخلا  
 يتذكركم) خيانة وغررا انتهى والدخل ما يدخل في الشيء على سبيل الفساد وقيل الدخل والدخل  
 أن يظهر الرجل الوفاء بالعهد ويظن نقضه وانما كاتوا يظنون ذلك (أن) أي بسبب  
 أن (تكون) أو مخافة أن تكون وتكون يجوز أن تكون ناقصة فتكون (أمة) أي جماعة  
 فاعلموا وأن تكون ناقصة فتكون أمة اسمها (هي) مبتدأ و(أبقي) أي أكثر (من أمة)

خبزه وبالجملة في محل نصب على الحال على الوجه الاقل وفي موضع الخبر على الثاني وأرى مأخوذ  
 من ربنا النبي ربوا اذا زاد وهذه الزيادة قد تكون في العدد وفي القوة وفي الشرف قال مجاهد  
 وكانوا يحالفون الحلفاء ثم يجردون من كان أعز منهم وأشرف فينقضون حلف الاولين  
 ويحالفون هؤلاء الذين هم أعز فنهأهم الله تعالى عن ذلك (انما يلوكم الله) الذي له الملك كله أي  
 يختبركم (به) أي يعاملكم معاملة المختبر ليظهر للناس عسكركم بالوفاء وانخلاصكم عنه اعتمادا  
 على كثرة أنصاركم وقلة أنصار من نقضتم عهدهم من المؤمنين أو غيرهم مع قدرته سبحانه وتعالى  
 على ما يريد فيوشك أن يعاقب بالمخالفة فيضعف القوى ويقال الكثير ويكثر القليل (وليبين  
 لكم) أي اذا تجلبى لفصل القضاء (يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) أي اذا اجازاكم على  
 أعمالكم بالثواب والعقاب فاحذروا يوم العرض على مالك السموات والارض وأن من  
 نوقس الحساب يهلك (ولو شاء الله) أي الملك الاعلى الذي لا أثر لاحد معه أن يجعلكم أمة  
 واحدة لا خلاف بينكم في أصول الدين ولا فروعه (لجعلكم أمة واحدة) أي متفقة على أمر  
 واحد وهو دين الاسلام (ولكن) لم يشأ ذلك بل شاء اختلافكم فهو تعالى (يضل من يشاء)  
 عدل الله تعالى لانه تام الملك ولو كان الذي أضله على أحسن الحالات (ويهدى) بفضله (من  
 يشاء) ولو كان على أخس الحالات والاحوال فبذلك تكونون مختلفين لا يستل عماء يفعل  
 سبحانه وتعالى (ولتسئلن عما كنتم تعملون) في الدنيا فيجازي المحسن بإحسانه ويعاقب المبدى  
 بعدله تعالى • ولما حذر سبحانه وتعالى عن نقض العهد والايمان مطلقا قال تعالى (ولا تنقضوا  
 أيمانكم دخلا) أي فسادا ومكرا وخديعة (بينكم) وليس المراد منه التهذير عن نقض مطلق  
 الايمان والالزم التكرار الخالي عن الفائدة في موضع واحد بل المراد نهى أولئك الاقوام  
 المخاطبين بهذا الخطاب عن بعض أيمان مخصوصة أقدموا عليها فلهذا المعنى قال المفسرون  
 المراد نهى الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم عن نقض العهد لان قوله تعالى (قتل) أي  
 فيكون ذلك سبباً لان تزل (قدم) هي في غايه العظمة (بعدهن بوثها) أي عن مركزها التي كانت به  
 من دين أو دنيا فلا يصير لها قرار فتسقط عن مرتبتها لا يلبق بنقض عهد قبله وانما يلبق بنقض عهد  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به وبشرائه • (تنبيه) • فتزل منصوب باضمار أن على  
 جواب النهى وزلل القدم مثل يذ كر لكل من وقع في بلاء بعد عافية أو سقط في ورطة بعد سلامة  
 أو محنة بعد نعمة (وتذوقوا السوء) أي العذاب في الدنيا (بما) أي بسبب ما (صددتم) أي أنفكم  
 ومنعتم غيركم بأيمانكم التي قد أردتم بها الافساد وخفاء الحق (عن سبيل الله) أي دينه وذلك  
 أن من نقض العهد سهل على غيره طرق نقض العهد فيستن به (ولكم) مع ذلك (عذاب عظيم)  
 أي ثابت غير منقذ اذا متم على ذلك ثم أكد سبحانه وتعالى هذا التهذير بقوله تعالى (ولا تشتروا)  
 أي ولا تكفوا أنفسكم بما جاؤوا تر كالتنظر أن تأخذوا وتستبدلوا (بعهد الله) الذي له الكمال  
 كله (ثمنا قليلا) أي من حطام الدنيا وان كنتم ترونه كثيرا ثم علل قلبه بقوله تعالى (انما عهد الله)

أى الذى له الجلال والاكرام من ثواب الدارين (هو خير لكم) ولا يعدل عن الخير الى غيره  
 الا بلوج ناقص العقل ثم شرط علم خيريته لكونهم من ذوى العلم بقوله تعالى (ان كنتم تعلمون)  
 أى ان كنتم من أهل العلم والتمييز فتعلمون فضل ما بين العوضين ثم بين ذلك بقوله تعالى (ما عندكم)  
 أى من متاع الدنيا ولذاتها (يتقد) أى يفتى فصاحبه منغص العيش أشد ما يكون به اغتباطا  
 بانقطاعه (وما عند الله) أى الذى له الامر كله من ثواب الآخرة ونعيم الجنة (ياق) أى دائم روى  
 عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب ديناه  
 أضرب آخرة ومن أحب آخرة أضرب ديناه فأثر وما يفتى على ما يفتى وقرأ ابن كثير باقى  
 فى الوقف بالياء والباقون بغير ياء وأما فى الوصل فالجميع بالتسوين (وليجزين الذين صبروا) على  
 الوفاء بما يرضيه من الاوامر والنواهي فى السراء والضراء (أجرهم) أى ثواب صبرهم  
 (بأحسن ما كانوا يعملون) أى يجزأه أحسن من أعمالهم أو يجزيهم على أحسن أعمالهم  
 وذلك لان المؤمن قديان بالمباحات وبالندوبات وبالواجبات ولا شك أن الواجبات والندوبات  
 مما يثاب على فعلها لا على فعل المباحات وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون قبل الجيم أى ولنجزين  
 نحن والباقون بالياء أى ولنجزين الله ثم انه تعالى رغب المؤمنين فى الايمان بكل ما كان من  
 شرائع الاسلام بقوله تعالى (من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن) اذ لا اعتداد بأعمال  
 الكفار فى استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العذاب (فان قيل) من عمل صالحا يفيد  
 العموم فماذا من ذكرا أو أنثى (أجيب) بأنه ذكر دفعا للتخصيص بأحد الفريقين واختلاف فى  
 قوله تعالى (فلنجزيه حياة طيبة) فقال سعيد بن جبير وعطاءه هى الرزق الحلال وقال مقاتل هى  
 العيش فى الطاعة وقال الحسن هى القناعة لان عيش المؤمن فى الدنيا وان كان فقيرا أطيب من  
 عيش الكافروان كان غنيا لان المؤمن لما علم أن رزقه من عند الله تعالى وذلك بتقديره وتديره  
 تعالى وعرف أن الله تعالى محسن كريم حكيم يضع الاشياء فى محلها فكان المؤمن راضيا  
 بفضاء الله وبما قدره له ورزقه اياه وعرف أن مصلحته فى ذلك القدر الذى رزقه فاستراحت نفسه  
 من الكدر والحرص فطاب عيشه بذلك وأما الكافر والجاهل بهذه الاصول فدائم الحرص  
 على طلب الرزق فيكون أبدا فى حزن وغم وعناء وحرص فى الدنيا ولا يناله من الرزق  
 الا ما قدر له فظهر بهذا أن عيش المؤمن القنوع أطيب من غيره وقال السدى الحياة الطيبة  
 انما تحصل فى القبر لان المؤمن يستريح بالموت من كد الدنيا وتعبها وقال مجاهد وقتادة هى  
 الجنة لانها حياة بلا موت وغنى بلا فقر ورحمة بلا سقم ومك بلا هلك وسعادة بلا شقاوة فأثبت بهذا  
 أن الحياة الطيبة لا يمكن الا فى الجنة ولا مانع من أن المؤمن الكامل يحصل جميع ذلك ثم  
 ان الله تعالى ختم الآية بقوله تعالى (ولنجزيهم أجرهم) أى فى الدنيا والآخرة (بأحسن  
 ما كانوا يعملون) أى من الطاعة وقد سبق تفسيره ولما قال تعالى ولنجزيهم أجرهم بأحسن  
 ما كانوا يعملون أرشده الى العمل الذى به تخلص أعماله من الوسواس بقوله تعالى (فأذا قرأت  
 القرآن) أى أردت قراءته (فاستعد) أى ان شئت جهرا وان شئت سرا قال الشافى رضى الله

تعانى عنه والاسرار اولى فى الصلاة وفى قول يجهر كما يفعل خارج الصلاة (بالله) أى سئل الذى له  
 الكمال كله أن يعينك (من الشيطان) أى المحترق باللعة (الرجيم) أى المطرود عن الرحمة من  
 أن يصتلك بوساوسه عن اتباعه ويدخل فى ذلك جميع المردة من الشياطين لأن لهم قدرة على  
 القاء الوسوسة فى تلويح بنى آدم باقدار الله تعالى على ذلك وقيل المراد ابليس خاصة والاستعاذة  
 بالله تعالى هى الاعتصام به والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غير من أمته وظاهر  
 الآية وجوب الاستعاذة واليه ذهب عطاء سواء كانت القراءة فى الصلاة أم فى غيرها  
 وافترق سائر الفقهاء على أنها سنة فى الصلاة وغيرها والصارف لهذا الامر عن الوجوب  
 أحاديث كثيرة منها القراءة بدون ذكر تَعَوَّذْ كحديث البخارى وغيره عن أبى سعيد بن العلاء  
 رضى الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما منعك أن تتجيبني قال كنت أصلى قال  
 ألم يقل الله استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم ثم قال لا علمك سورة هى أعظم سورة فى القرآن  
 الحمد لله رب العالمين وفى رواية الموطأ أنه صلى الله عليه وسلم نادى أيا وأنه قال له كيف تقرأ  
 إذا افتتحت الصلاة قال أبى فقرأت الحمد لله رب العالمين حتى أتيت الى آخرها وظاهر الآية يتبدل  
 على أن الاستعاذة بعد القراءة واليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول أبى هريرة  
 واليه ذهب مالك وداود والظاهرى قالوا لا تقرأ القرآن يستحق ثوابا عظيما وربما حصل  
 الوسواس فى قلب القارئ هل حصل له ذلك الثواب أو لا فإذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك  
 الوسواس وبقي الثواب مخلصا والذي ذهب اليه الاكثرون من الصحابة والتابعين ومن بعدهم  
 من الأئمة وفقهاء الامصار أن الاستعاذة مقدمة على القراءة قالوا ومعنى الآية إذا أردت أن  
 تقرأ القرآن فاستعذ بالله وتبعتهم على ذلك فلهذا قدرت ذلك فى الآية الكريمة ومثل ذلك قوله  
 تعالى إذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم ومثله من الكلام إذا أكلت فسم أى إذا أردت  
 أن تأكل فقل بسم الله الرحمن الرحيم وإذا سافرت فتأهب أى إذا أردت السفر فتأهب وأيضا  
 الوسوسة انما تحصل فى أثناء القراءة فتقديم الاستعاذة على القراءة تذهب الوسوسة عنه  
 اولى من تأخيرها عن وقت الحاجة اليها \* ولما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم  
 بالاستعاذة من الشيطان وكان ذلك يوهم أن للشيطان قدرة على التصرف فى اتيان  
 الانسان أزال الله تعالى ذلك الوهم وبين أنه لا قدرة له البتة الاعلى الوسوسة بقوله تعالى  
 (انه ليس له سلطان) أى بحيث لا يقدر المسلم عليه على الانفكاك عنه (على الذين آمنوا) أى  
 يتوفيق ربهم لهم (وعلى ربهم) وحده (يتوكلون) أى على أولياته المؤمنين به والمتوكلين  
 عليه فانهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته وعن سفيان الثورى  
 قال ليس له سلطان على أن يهزم لهم على ذنب لا يغفر لهم ثم وصل تعالى بذلك ما أفهمه من أن  
 له سلطانا على غيرهم بقوله (انما سلطانه) أى الذى يتمكن به غاية التمكّن بما كان الله  
 تعالى له (على الذين يتولونه) أى يجيبونه ويطيعونه (والذين هم به) أى بالله تعالى (مشركون)  
 وقيل الضمير راجع الى الشيطان والمعنى هم بسببه شركون بالله ولما كان المشركون إذا

نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية ناصحة لها يقولون ان محمدا يستهزئ بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر  
 وينهاهم عنه غدا ما هو الا مقتري تقوله من تلقا نفسه نزل (وَأَذِ ابْدَلْنَا) أى بقدرتنا بالفسخ  
 (آية) سهلة كالعادة بأربعة شهور وعشرو قتال الواحد من المسلمين لاثنتين من الكفار أو شاقة  
 كتصريم النحر وإيجاب الصلوات الخمس فجعلناها (مكان آية) شاقة كالعادة بجول ومصابة  
 عشرة من الكفار أو سهلة كالأيات المتضمنة لباحة النحر والتبديل ورفع الشيء ووضع غيره  
 مكانه (والله) أى الذى له الاحاطة الشاملة (أعلم بما ينزل) من المصالح بحسب الاوقات  
 والاحوال بنسخ أو غيره (قالوا) أى الكفار (انما أنت) يا محمد (مقتر) أى متقول على الله  
 تعالى تأمر بشئ ثم يدولك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله أعلم بما ينزل اعتراض والمعنى  
 والله أعلم بما ينزل من الناسخ والمسخ والتغليظ والتخفيف أى هو أعلم بجميع ذلك ومصالح  
 العباد وهذا توبيخ للكفار على قولهم انما أنت مقتراى اذا كان هو أعلم بما ينزل فما لهم  
 ينسبون محمدا الى الافتراء لاجل التبديل والفسخ (بل أكثرهم) وهم الذين يستترون  
 على الكفر (لا يعلمون) حكمة فائدة النسخ والتبديل ولا يعجزون الخطأ من الصواب  
 فان الله تعالى أعلم بمصالح العباد كما أن الطبيب يأمر المريض بشربة ثم بعد مدة ينهاه عنها  
 ويأمره بغيرها بضد تلك الشربة ثم أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالرد عليهم بقوله  
 تعالى (قل) لمن واجهك بذلك منهم (نزله) أى القرآن بحسب التدرج لاجل اتباع  
 المصالح باحاطة علم المتكلم به (روح القدس) أى جبريل عليه السلام وازافة الروح الى  
 القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزياد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزياد  
 الخير والمقدس المطهر من المآثم (من ربك بالحق) أى متلبسا بالحكمة (ليثبت الذين  
 آمنوا) أى ليثبت بالقرآن قلوب الذين آمنوا فيزدادوا ايمانا ويقينا (وهدى) أى يانا واخفا  
 (وبشرى للمسلمين) أى المنقادين لحكمك (فان قيل) ظاهر الآية ان القرآن لا يفسخ  
 بالسنة لقوله تعالى واذا بدلنا آية مكان آية اذمتقضاء أن الآية لا تفسخ الا بأخرى (أجيب) بأن  
 هذه الآية دلت على أنه تعالى يبدل آية بآية ولا دلالة فيها على أنه لا يبدل آية الا بآية وأيضا  
 جبريل عليه السلام ينزل بالسنة كما ينزل بالآية ولما كان المشركون يقولون ان محمدا انما  
 يتعلم هذه القصص وهذه الاخبار من انسان آخر وهو آدمى مثله وليس هو من عند الله كما يزعم  
 نزل قوله تعالى (واقعدن علم) أى علماء مستترا (أنهم يقولون انما يعلمه بشر) واختلف في البشر الذى  
 قال المشركون ان النبي صلى الله عليه وسلم يتعلم منه فقيل هو عبد بنى عامر بن لؤى يقال له  
 يعيش كان يقرأ الكتب وقيل عداس غلام عتبة بن ربيعة وقيل عبد بنى الحضرمي صاحب  
 كتب وكان اسمه خيرا فكانت قريش تقول عبد بنى الحضرمي يعلم خديجة وخديجة تعلم محمدا  
 وقيل كان بمكة نصراني أعجمي اللسان اسمه بلعام ويقال ابن ميسرة يتكلم بالرومية وقيل سلمان  
 الفارسي وبالجملة فلا فائدة في تعداد هذه الاسماء والحاصل أن القوم اتهموه بأنه يتعلم هذه  
 الكلمات من غيره ثم انه يظهرها من نفسه ويزعم أنه انما عرفها بالوحى وهو كاذب فيه فأجاب

الله تعالى عنه تكذيباً لهم فيما روي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب بقوله تعالى  
 (لسان الذي يلدون) أي يميلون إليه أو يشيرون (إليه) أي أنه يعلمه (أبجمي) أي لا يعرف لغة  
 العرب وهو مع ذلك الكن في التأدية غير مبين (وهذا) أي القرآن (لسان عربي مبين) أي ذبيان  
 وفصاحة فكيف يعلمه أبجمي وروي أن الرجل الذي كانوا يشيرون إليه أسلم وحسن إسلامه  
 (إن الذين لا يؤمنون) أي لا يصدقون كل تصديق معترفين (بآيات الله) أي الذي له العظمة  
 كلها (لا يهديهم الله) أي لا يرشدهم ولا يوقفهم للايمان (ولهم عذاب أليم) أي مؤلم في الآخرة  
 ثم أخبر الله تعالى أن الكفار هم المقترون بقوله تعالى (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون  
 بآيات الله) أي القرآن بقولهم هذا من قول البشير (وأولئك) أي البعداء البغضاء (هم  
 الكاذبون) أي الكاملون في الكذب لأن تكذيب آيات الله أعظم من الكذب أولئك  
 هم الذين عادت لهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا يحجبهم عنه مرواة ولادين ولما ذكر تعالى  
 الذين لا يؤمنون مطلقاً أنهم من صفاتهم هم أشد كفرًا بقوله تعالى (من) أي أي مخلوق  
 وقع له أنه (كفر بالله) أي الذي له صفات الكمال بأن قال أو عمل ما يدل على الكفر (من بعد  
 ايمانه) بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم (الامن أكره) أي على التلذذ بالكفر فلتظبه (وقابه  
 مطمئن بالايمن) فلا شيء عليه لأن محل الايمان هو القلب روي أن قريشاً كرهوا عماراً وأباه  
 ياسراً وأمه سمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين وقالوا انك أسلمت من أجل الرجال فقتلت  
 وقتل ياسراً وهما أول قبيل في الاسلام وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا كرها وهو كاره بقلبه  
 فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه كفر فقال صلى الله عليه وسلم كلاً ان عمار امتلاً ايماناً من  
 قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلمه ودمه فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه ويقول مالك ان عادوا لك فقل لهم مثل ما قلت  
 (نفسه) في الآية دليل على اباحة التلذذ بالكفر وان كان الافضل أن يتجنب عنه اعزازاً  
 للدين كما فعله أبواه ولما روي ان مسيلة أخذ رجلين فقال لاحدهما ماتقول في محبة فقال  
 رسول الله قال فماتقول في قال أنت أيضاً غلام وقال للآخر ماتقول في محبة فقال رسول الله  
 قال فماتقول في قال أنا أصم فأعاد عليه ثلاثاً فأعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم فقال أما الاول فقد أخذ برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيأله واختلف الأئمة  
 في وقوع الطلاق بالاكراه فقال الشافعي وأحد وجهي الله تعالى لا يقع طلاق المكروه وقال  
 أبو حنيفة رحمه الله تعالى يقع واستدل الشافعي بقوله تعالى لا اكراه في الدين ولا يمكن أن يكون  
 المراد نفي ذاته لأن ذاته موجودة فوجب حمله على نفي آثاره أي لا أنزله ولا عبرة به وقال عليه  
 الصلاة والسلام رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وقال أيضاً الطلاق في  
 اغلاق أي اكراه وتمسك أبو حنيفة بقوله تعالى فان طلقها فلا تحل له وهذا قد طلقها وأوجب  
 بأن الآية مخصوصة بغير ذلك جمعاً بين الأدلة (ولكن من شرح بالكفر صدراً) أي قصه ووسعه  
 لقبول الكفر واختاره ورضى به (فعلهم غضب) أي غضب لم تبين جهة عظمه لكونه (من الله)

أى الملك الاعظم (ولهم) أى بطواهرهم وبواطنهم (عذاب عظيم) فى الآخرة لا تردادهم  
 على أعقابهم (ذلك) أى الوعيد العظيم (بأنهم) أى بسبب أنهم (استحبوا) أى أحبوا حبا عظيما  
 (الحياة الدنيا) الكائنة الحاضرة الغائبة فآثروها (على الآخرة) الباقية الفارقة لانهم رأوا  
 ما فيه المؤمنون من الضيق والكافرون من السعة (وأن الله) أى الذى له الغنى المطلق  
 (لا يهدى القوم الكافرين) أى لا يرشدهم الى الايمان ولا يوفقهم للعمل (أو أوتك) أى البعداء  
 البغضاء (الذين طبع الله) أى الملك الذى لا أمر لاحد معه (على قلوبهم) أى ختم عليها واستوثق  
 \* ولما كان التفاوت فى السمع نادرا ووحده بقوله تعالى (وسمعهم) أى بمعنى اسماعهم ليناسب  
 قوله تعالى (وأبصارهم) فصاروا بعدم انتفاعهم بهذه المشاعر كأنهم لا يفهمون ولا يسمعون  
 ولا يصرون (وأوتك) أى الابعاد من كل خير (هم الغافلون) عما يراد بهم من العذاب  
 فى الآخرة (لأجرم) أى لاشك (انهم فى الآخرة هم الخاسرون) أى أكل الناس خسارة  
 لان الله تعالى وصفهم بست صفات الاولى أنهم استوجبوا غضب الله تعالى الثانية أنهم  
 استوجبوا العذاب الاليم الثالثة أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة الرابعة أن الله تعالى  
 حرمهم من الهداية الخامسة أنه تعالى طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم السادسة أنه  
 جعلهم من الغافلين عن العذاب الشديد يوم القيامة اذ كل واحدة من هذه الصفات من أعظم  
 الاحوال المانعة من الفوز بالخيرات والسعادات ومعها لوم أنه تعالى انما أدخل الانسان  
 فى الدنيا ليكون كالتاجر الذى يشتري بطاعته سعادات الآخرة فاذا حصلت هذه الموانع  
 العظيمة عظم خسراته فلهذا السبب حكى تعالى عليهم بالخسران \* ولما ذكر تعالى حال من كفر  
 بالله من بعد ايمانه وحال من أكره على الكفر ذكر بعده حال من هاجر من بعد ما قن به وقوله تعالى  
 (ثم ان ربك) أى المحسن اليك (للذين هاجروا) الى المدينة الشريفة بالولاية والنصر وقوله تعالى  
 (من بعد ما قنوا) قرأ ابن عامر بفتح الفاء والتاء على استناد الفعل الى الفاعل والباقون بضم  
 الفاء وكسر التاء على فعل ما لم يسم فاعله ووجه القراءة الاولى انه عاد الضمير على المؤمنين فالعنى  
 قنوا أنفسهم بما أعطوا المشركين من القول ظاهرا وأنهم لما صبروا على عذاب المشركين  
 فكأنهم قنوا أنفسهم وان عاد على المشركين فهو ظاهر أى قنوا المؤمنين لان أولئك  
 المفتونين هم المستضعفون الذين جملهم أقوياء المشركين على الردة والرجوع عن الايمان فبين  
 تعالى أنهم هاجروا (ثم جاهدوا وصابروا) على الطاعة (ان ربك من بعدها) أى الفتنة  
 (لغفور) أى بليغ الاكرام (رحيم) فهو يفضلهم ويرحمهم \* (تنبيه) \* حذف خبر ان الاولى  
 لدلالة خبر الثانية عليه أو مقتدر بعامر (يوم) أى اذ كرم يوم (تأتى كل نفس) أى وان عظم  
 جرمها (تبادل) أى تتحاجج (عن نفسها) أى لا يهتمها غيرها وهو يوم القيامة (فان قيل) ما معنى  
 النفس المضافة الى النفس (أجيب) بأنه يقال امين الشيء وذاته نفسه وفى نقيضه غيره والنفس  
 الجملة كما هى فالنفس الاولى هى الجملة والثانية عينها وذاتها فكأنه قيل يوم يأتى كل انسان  
 يجادل عن ذاته لا يهتمه شأن غيره كل يقول نفسى نفسى ومعنى الجملة عنها الاعتذار عنها



كقولهم هؤلاء الذين أضلونا وما كنا مشركين (وقوفي كل نفس) سالحة أو غير سالحة (ما علمت)  
 أي جزاء من نفسه (وهم لا يظنون) أي شيئاً \* ولما هدته تعالى الكفار بالوعيد الشديد في  
 الآخرة هددهم أيضاً فان الدنيا وهي الوقوع في الجوع والخوف بقوله تعالى (وضرب الله)  
 أي المحيط بكل شيء (مثلاً) ويبدل منه (قرية) هي مكة والمراد أهلها (كانت آمنة) أي ذات أمن  
 ويأمن بها أهلها في زمن الخوف قال تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من  
 حولهم والأمن في مكة كان كذلك لأن العرب كان يغرب بعضهم على بعض دون أهل مكة  
 فانهم كانوا أهل حرم الله والعرب كانوا يحترمونها ويخصونهم بالتعظيم والتكريم (مطمئنة)  
 أي قارة بأهلها لا يحتاجون فيها إلى شجعة وانتقال بسبب زيادة الأمن بكثرة العدد وقوة المدد  
 وكف الله تعالى الناس عنها ووجود ما يحتاج إليه أهلها (فان قيل) الاطمئنان هو الأمن فيلزم  
 التكرار (أجيب) بأن قوله تعالى آمنة إشارة إلى الأمن وقوله تعالى مطمئنة أي لا يحتاجون  
 فيها إلى شجعة كما مر وقيل أشار تعالى بذلك إلى الصحة لأن هواء ذلك البلد كان ملائماً لا من جتهم  
 فذلك اطمأنوا إليه واستقرت العقلاء ثلاثة تليها نهاية الأمن والصحة والكفاية  
 (يأتينا) أي على سبيل التجدد والاستمرار (رزقها رزقاً) أي واسعاً طيباً (من كل مكان)  
 برزقها بتيسير الله تعالى \* ولما كانت السعة تجر إلى الباطر غالباً تبينه تعالى على ذلك بقوله  
 تعالى (فكفرت بأنتم الله) أي الذي له الكمال كله وأنتم جمع نعمة قال الزمخشري على ترك  
 الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع وقال قطرب هي جمع نعم وأنتم النعمة يقال هذه أيام نعم وطعم  
 فلا تصوموا وقيل جمع نعماء مثل بأساء وأبؤس (فان قيل) الانتم جمع قلة فكانت تلك القرية  
 كفرت بأنواع قليلة من نعم الله فعذبها الله تعالى فلم يبق له تعالى كفر وإنهم عظيمة فاستوجبوا  
 العذاب (أجيب) بأن المقصود التنبية بالادنى على الأعلى فان كفران النعم القليلة لما أوجب  
 العذاب فكفران النعم الكثيرة أولى وبأن الله تعالى أنعم عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد صلى  
 الله عليه وسلم فكفروا به وبالغوا في إيذائه (فأذاقها الله) أي المحيط بكل شيء (لباس الجوع)  
 بعد رزق العيش سبع سنين وقطعت العرب عنهم الميرة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى  
 جهدوا وأصكوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة وقيل إن القرية غير مكة لأنها  
 ضربت مثلاً لمكة ومثل مكة يكون غير مكة (والخوف) بسرايا النبي صلى الله عليه وسلم  
 \* (تنبية) \* استعير الذوق لادراك أثر الضرر واللباس لما غشيهم واشقل عليهم من الجوع  
 والخوف وأوقع الأذاقة عليه بالنظر إلى المستعاره كقول كثير عزة

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكاً \* غلقت لضحكته رقاب المال

فإنه استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه وأضاف إليه  
 الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظر إلى المستعار وهو لولوت نظر إلى المستعار  
 لقال ضاع في الرداء أي ساقطه ومعنى البيت إذا ضحك المسئول ضحكة أيقن السائل بذلك التبسم  
 استرقاق رقاب ماله وأنه يعطى بلا خلاف وقد ينظر إلى المستعاره كقوله

ينازعني وداني عبد عمرو • رويدك يا أخا عمرو بن بكر  
 في الشطر الذي ملكت يعني • ودونك فاعتبر منه بشرط  
 استعار الرداء للسيف ثم قال فاعتبر تطرا إلى المستعار ولو تطرا إلى المستعار منه لقال تعالى في  
 الآية وكساهم لباس الجوع والخوف وقال كثير ضاقي الرداء إذا تبسم ضاحكا وهذا نهاية  
 ما يقال في الاستعارة وقال ابن عطية لما باشرهم ذلك صار كاللباس وهذا كقول الاعشى  
 إذا ما الضجيع نحي جديها • تثنت عليه فكانت لباسا  
 ومثله قوله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن ومثله قول الشاعر

وقد لبست بعد الزبير مجاشع • لباس التي حاضت ولم تغسل الدما

كان العار لما باشرهم ولصق بهم كأنهم نسوة وقوله تعالى فإذا قمنا نظير قوله تعالى ذق انك أنت  
 العزيز الكريم ونظير قول الشاعر دون ما جنيت فاحس وذق • وقوله تعالى (بما كانوا  
 يصنعون) يجوز أن تكون ما مصدرية أي بسبب صنعهم أو بمعنى الذي والعاثد محذوف أي  
 بسبب الذي كانوا يصنعونه والواو في يصنعون عائد على أهل البلد وقيل قرية تطير قوله تعالى  
 أو هم قائلون بعد قوله تعالى وكم من قرية أهلكناها • ولما ذكر الله تعالى المثل ذكر الممثل له فقال  
 تعالى (ولقد جاءهم) أي أهل هذه القرية (رسول منهم) من نسبهم يعرفونه بأصله ونسبه وهو محمد  
 صلى الله عليه وسلم (فكذبوه فأخذهم العذاب) قال ابن عباس يعني الجوع الذي كان بحكة وقيل  
 القتل الذي كان يوم بدر (وهم ظالمون) أي في حال تلبسهم بالظلم كقوله تعالى الذين تتوفاهم  
 الملائكة ظالمي أنفسهم فعوذ بالله من مآجاة النعمة والموت على الغفلة وقرأ نافع وابن كثير  
 وابن ذكوان وعاصم بإظهار دال قد عند الجيم والباقون بالادغام ثم قال تعالى (فكلوا)  
 أي أيها المؤمنون (مما رزقكم الله) قال ابن عباس يريد من الغنائم وقال الكلبي إن رؤسائه  
 مكة كلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهدوا وقالوا عادت الرجال فما بال النساء  
 والصبيان وكانت الميرة قد قطعت عنهم فأذن في الحل اليوم فحمل الطعام اليهم فقال الله تعالى  
 كلوا مما رزقكم الله قال الرازي والقول ما قال ابن عباس يدل عليه قوله تعالى بعد هذه الآية  
 انما حرم عليكم الميتة يعني اذكم لما آمنتم وتركت الكفر فكلوا مما رزقكم الله (حلالا طيبا)  
 وهو الضئمة وارتكوا الخبائث وهي الميتة والدم • ولما أمرهم تعالى بأكل الحلال أمرهم  
 بشكر النعمة بقوله تعالى (واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون) أي تطيعون • (تنبية) •  
 رسمت نعمت بالتاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبالهاء والباقون بالتاء والكسائي يقف بالأمانة  
 وتقدم تفسير قوله تعالى (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن  
 اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم) في سورة البقرة فلا افادة في تفسير ذلك وقرأ  
 أبو عمرو وعاصم وحزة فمن اضطر في الوصل بكسر النون والباقون بالضم • (تنبيه) • حصر  
 المحرمات في هذه الاشياء الاربعة مذكورا أيضا في سورة الانعام عند قوله تعالى قل  
 لا أجد فيما أوحى إلي محرما على طاعم يطعمه الآية وفي سورة المائدة في قوله تعالى أحلت

لكم بهيمة الانعام الاما يتلى عليكم واجمعوا على أن المراد بقوله تعالى الاما يتلى عليكم هو قوله تعالى في سورة البقرة حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله وقوله تعالى في المائدة والمنجزة والموقوفة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الاما ذكرتم فهذه الاشياء داخلة في الميتة ثم قال تعالى وما ذبح على النصب وهو أحد الاشياء الداخلة تحت قوله تعالى وما أهل به لغير الله فثبت أن هذه السور الاربعة دالة على حصر الحرمات في هذه الاربعة سورتان مكيتان وسورتان مدينتان فان سورة البقرة مدينة وسورة المائدة من آخر ما أنزل الله بالمدينة فمن أنكر حصر التحريم في هذه الاربعة الاما خصه الاجماع والدلائل العقلية القاطعة كان في محل أن يحشى عليه لان هذه السورة دلت على أن حصر الحرمات في هذه الاربعة كان مشروعا ثابتا في أول زمان مكة وآخره وأول زمان المدينة وأنه تعالى أعاد هذا البيان في هذه السور الاربعة قطعاً للاعذار وازالة للشبهة \* ولما حصر تعالى الحرمات في هذه الاربعة بالغ في تأكيد ذلك الحصر وزيف طريقة الكفار في الزيادة على هذه الاربعة تارة وفي النقصان عنها أخرى بقوله تعالى (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) لما لم يجعله الله ولم يحرمه فانهم كانوا يحرمون البعيرة والسائبة والوصيلة والحام وكانوا يقولون ما في بطون هذه الانعام خالصا لذكورنا ومحرم على أزواجنا فقد زادوا في الحرمات وزادوا أيضا في المحللات لانهم حللوا الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فبين تعالى أن الحرمات هي هذه الاربعة وبين أن الاشياء التي يقولون هذا حلال وهذا حرام ككذب واقترام على الله تعالى \* (تنبيه) \* في اتصاب الكذب وجهان أحدهما قال الكسائي ما مصدرية والتقدير ولا تقولوا لاجل وصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام نظيره أن يقال لا تقولوا الكذا وكذا كذا وكذا (فان قيل) حمل الآية على هذا يؤدي الى التكرار لان قوله تعالى (لتفتروا على الله الكذب) عين ذلك (أجيب) بأن قوله تعالى لما تصف ألسنتكم الكذب ليس فيه بيان أنه كذب على الله فأعاده ليحصل فيه هذا البيان الزائد وتظيره في القرآن كثير وهو أنه تعالى يذكر كلاما ويعيبه بعينه مع فائدة زائدة الثاني أن تكون ما موصولة والتقدير ولا تقولوا الذي تصف ألسنتكم الكذب فيه هذا حلال وهذا حرام وحذف لفظ فيه لكونه معلوما وقيل اللام في لتفتروا لام العاقبة كما في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا (فان قيل) ما معنى وصف ألسنتهم الكذب (أجيب) بأن ذلك من فصيح الكلام وبلغه جعل قولهم ككأنه عين الكذب ومحضه واذا انطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بجائسته ومصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال أي هي جميلة وعينها تصف السحر أي هي ساحرة فلما أوردوا المبالغة في وصف الوجه بالجمال ووصف العين بالسحر عبروا بذلك ثم انه تعالى أوعد المفتريين بقوله تعالى (ان الذين يفترون على الله أي النبي الملك كله (الكذب) منكم ومن غيركم (لا يظنون) أي لا يفوزون بجبرلان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب فتنى الله تعالى عنه الفلاح لانه الفوز بالخير والتجاح ثم بين

تعالى ان ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب بقوله تعالى (متاع قليل) أى منقعة قليلة  
تقطع عن قرب لقنائه وان امتد ألف عام (ولهم) بعده (عذاب أليم) أى مؤلم فى الآخرة \* ولما  
بين تعالى ما يحصل ويحرم لاهل الاسلام اتبعه إيمان ما يخص اليهوديه من المحرمات بقوله  
تعالى (وعلى الذين هادوا) أى اليهود (حزمتنا) عليهم عقوبة لهم بعد اوتهمم وكذبهم على  
ربهم (ما قصصنا عليك) بأجل المرسلين (من قبل) أى فى سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى  
الذين هادوا حزمنا كل ذى نظر الآية (وما ظلمناهم) أى بصريم ذلك عليهم (ولكن كانوا)  
أى داعيا طبعناهم وخلقناهم (أنفسهم) خاصة (يظلمون) بالبغي والكفر فضيقنا عليهم  
معاملة بالعدل وعاملناكم أنتم حيث ظلمتم بالفضل فاشكروا النعمة واحذروا عوائل  
النقمة \* ولما بين تعالى هذه النعمة الدنيوية عطف عليها نعمة هى أكبر منها جدا استجابا  
لكل ظالم وبين عظمتها بحرف التراخي فقال تعالى (ثم ان ربك) أى المحسن اليك (للذين  
عملوا السوء) وهو يتناول كل ما لا ينبغى فعله فيشمل الكفر وسائر المعاصي (بجهالة) أى  
بسيها أو ملتبسين به اليم الجهل بالله وبقضائه وعدم التدبير فى العواقب فبكل من عمل سوءا  
انما يضعه بالجهالة أما الكفر فلان أحد الارضى به مع العلم بكونه كفر لانه لو لم يعتقد كونه  
حقا فانه لا يحتاره ولا يرتضيه وأما المعصية فلان العالم تصد منه المعصية ما لم تصر الشهوة  
غالبة للعقل فثبت أن كل من عمل السوء فأنما يقدم عليه بسبب الجهالة (ثم تابوا من بعد ذلك)  
أى الذنب ولو كان عظيما واقتصروا على ما أذن فيمخالفتهم (وأصلحوا) بالاستمرار على ذلك  
(ان ربك) أى المحسن اليك بتسهيل دينك وتيسيره (من بعدها) أى التوبة (لغفور) أى بليغ  
الستر لما عملوا من السوء (رحيم) أى بليغ الرحمة محسن بالاكرام فضلا منه ونعمة \* ولما  
دعاهم الله تعالى الى مكارم الاخلاق ونهاهم عن مساوئها بقبوله لمن أقبل اليه وكان ابراهيم  
عليه الصلاة والسلام رئيس الموحدين لاجرم ذكره الله تعالى فى آخر هذه السورة ووصفه  
بتسع صفات الصفة الاولى قوله تعالى (ان ابراهيم كان أمة) أى لكماله واستجماعه فضائل  
لانكاد توجد الامتفرقة فى أشخاص كثيرة كقول القائل

وليس لله (أى من الله) يستنكر \* أن يجمع العالم فى واحد

أى أن يجمع صفاتهم فى شخص واحد وقال مجاهد كان مؤسنا وحده والناس كلهم كانوا كفارا  
فلهذا المعنى كان وحده أمة واحدة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فى زيد بن عمرو بن  
نضيل يعثه الله أمة وحده وعن شهر بن حوشب لم تبق الارض الا وفيها أربعة عشر يدفع الله  
تعالى بهم عن أهل الارض الا زمن ابراهيم فانه كان وحده وقيل أمة فعله بمعنى مفعول كالدخلة  
والخبة من أمة اذا قصدته واقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقصدون بسيره كقوله  
تعالى انى جاءك للناس اماما وقرأ هشام ان ابراهيم وملة ابراهيم بالالف بعد الهاء فيها وقرأ  
الباقون بالياء فيها الصفة الثانية قوله تعالى (فاتالله) أى مطيعا له فأنما بأوامره الصفة  
الثالثة قوله تعالى (حنيفا) أى ما تلاحن الباطل قال ابن عباس انه أول من اختن وأقام

مناسبك الحج وضحي وهذه السنة الخفيفة الصفة الرابعة قوله تعالى (ولم يك من المشركين) أي  
 انه عليه الصلاة والسلام كان من الموحدين في الصغر والكبر وقد أبطل عبادة الاصنام  
 والكواكب بقوله لأحب الآفلين ثم كسر تلك الاصنام حتى آل الامر الى أن القوم ألقوه  
 في النار وذلك دليل اثبات الصانع مع ملك زمانه وهو قوله ربني الذي يحيي ويميت ثم طلب من  
 الله تعالى أن يرني كيف يحيي الموتى ليحصل له زيادة العلم أئينة قال الرازي ومن وقف على علم  
 القرآن علم أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان غريقا في بحر علم التوحيد الصفة الخامسة  
 قوله تعالى (شكرا لنعمة) فان قيل لفظ الانعم جمع قلته ونعمة الله تعالى على إبراهيم عليه السلام  
 كانت كثيرة فلم قال شكرا لانه (أجيب) بأنه ذكر القلة للتنبية على أنه كان لا يخل بشكر  
 القليلة فكيف بالكثيرة وروى أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يتغذى الامع ضيف فلم يجد  
 ذات يوم ضيفا فأمر غداه فاذا هو يقوم من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فقبلوا  
 له ان بهم جدا ما فقال لهم الآن وجبت مؤاكتكم شكر الله على انه عافاني وايسلاكم بهذا  
 البلاء الصفة السادسة قوله تعالى (اجتباها) أي امطفاها للتبوة واختاره لخلقه الصفة  
 السابعة قوله تعالى (وهدها الى صراط مستقيم) أي وهدها الى دين الاسلام لانه الصراط  
 المستقيم والدين القويم ونظيره قوله تعالى وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه الصفة الثامنة  
 قوله تعالى (واتيناهم في الدنيا حسنة) قال قتادة حبيبه للناس حتى ان أرباب الملل يتولونه  
 ويشنون عليه أما المسلمون واليهود والنصارى فظاهر وأما كفار قريش وسائر العرب فلا يفر  
 لهم الا به وتحقق القول ان الله تعالى أجاب دعاه في قوله واجعل لي اسان صدق في الآخريين  
 وقال آخرون هو قول المصلي منا كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وقيل أولاد ابرار  
 على الكبر الصفة التاسعة قوله تعالى (وانه في الآخرة لمن الصالحين) في الجنة (فان قيل)  
 لم يقل تعالى في أعلى مقامات الصالحين (أجيب) بأنه تعالى حكى عنه أنه قال رب هب لي حكما  
 وألحقني بالصالحين فقال تعالى هنا انه في الآخرة لمن الصالحين تنبيه على أنه تعالى أجاب  
 دعاه ثم ان كونه من الصالحين لا يتقى أن يكون في أعلى مقامات الصالحين فان الله تعالى بين  
 ذلك في آية أخرى وهي قوله تعالى وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ترفع درجات من نشاء  
 • ولما وصف الله تعالى إبراهيم عليه السلام بهذه الصفات العالية الشريفة أمر نبيه محمدا  
 صلى الله عليه وسلم في اتباعه مشيرا الى علو مرتبته بحرف التراخي بقوله تعالى (ثم أوحينا اليك)  
 يا أشرف الرسل وقيل التي يتم للتراخي أي لتراخي أيامه عن أيام إبراهيم عليه ما أفضل الصلاة  
 والسلام (أن اتبعه إبراهيم) في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وابراد اللاتل مرة بعد  
 أخرى والمجادلة مع كل أحد على حسب فهمه ولا بعد في أن يفهم ذلك الهجرة أيضا وقيل  
 كان النبي صلى الله عليه وسلم مأمورا بشريعة إبراهيم عليه الصلاة والسلام الامتناع  
 منها وما لم يفسح صا شرع الله وقوله تعالى (حنيفا) حال من النبي صلى الله عليه وسلم ويصح أن  
 يكون حالا من إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى (وما كان من المشركين) كثره

ردا على من زعم من اليهود والنصارى أنهم على دينه وقوله سبحانه وتعالى (انما جعل السبت على  
 الذين اختلفوا فيه) فيه قولان الاول روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما  
 أنه قال أمرهم موسى عليه السلام بالجمعة وقال تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوما واحدا وهو  
 يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئا من أعمالكم فأبوا أن يقبلوا ذلك وقالوا لا نريد الا اليوم الذي  
 فرغ الله تعالى فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل عليهم السبت وشدد عليهم فيه ثم جاء عيسى  
 عليه السلام أيضا بالجمعة فقالت النصارى لا نريد أن يكون عيدهم أي اليهود بعد عيدنا فاختذوا  
 الأحد وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى كتب يوم الجمعة على من كان  
 قبلكم فاختلفوا فيه وهذا ان الله لهم لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد (فان قيل) هل  
 في العقل وجه يدل على أن الجمعة أفضل من السبت والاحد فان أهل الملل اتفقوا على أنه  
 تعالى خلق العالم في ستة أيام وبدأ تعالى بالخلق والتسكوير في يوم الاحد وتعم في يوم  
 الجمعة فكان يوم السبت يوم الفراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك الاعمال فعينوا يوم  
 السبت لهذا المعنى وقالت النصارى مبدأ الخلق والتكوين يوم الاحد فجعل هذا اليوم عيدنا  
 فهذا ان الوجهان معقولان لنا فوجه جعل يوم الجمعة عيدا (أجيب) بأن يوم الجمعة هو يوم  
 التمام والكامل وحصول التمام والكامل يوجب الفرح الكامل والسرور فجعل يوم الجمعة يوم  
 العيد أولى من هذا الوجه القول الثاني اختلافهم في السبت هو أنهم أحلوا الصيد فيه تارة  
 وحرموه تارة وكان الواجب عليهم أن يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة (وان ربك) أي المحسن  
 اليك بطواعية أصحابك لك (ليحكم بينهم) أي هؤلاء المختلفين (يوم القيامة) وهو يوم اجتماع  
 جميع الخلائق (فمما كانوا فيه مختلفون) فيحكم للمعقنين بالثواب والمبطلين بالعقاب \* ولما  
 أمر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بتباعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام بين النبي الذي أمره  
 بتابعته فيه بقوله تعالى (ادع) أي كل من تمكن دعوته عن بعثت اليه (الى سبيل ربك) أي  
 المحسن اليك بتسهيل السبيل الذي تدعو اليه واتساعه وهو الاسلام الذي هو الملة الحنيفة  
 (بالحكمة) أي المعاملة المحكمة وهو الدليل الواضح المزيل للشبهة (والموعظة الحسنة) أي  
 بالدعاء الى الله تعالى بالترغيب والترهيب بالخطابات المنقنة والعبارات النافعة والاولى  
 لدعوى خواص الامة الطالبين للعقائد والثانية لدعوى عوامهم (وجادلهم) أي وجادل  
 معانديهم (بالتى) أي بالمجادلة التي (هى أحسن) كالدعاء الى الله تعالى بآياته والدعاء الى حجه  
 بالطريقة التي هى أحسن طرق الجهادة من الرفق واللين من غير غلظ ولا تعسف فان ذلك أنفع  
 في تسكين لهم وتبيين شبههم وقيل المراد بالحكمة القرآن أي ادعهم بالقرآن والموعظة الحسنة  
 الرفق واللين في الدعوة وفي الامر بالمجادلة التي هى أحسن الاعراض عن أذاهم وعدم التقصير  
 في تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق وعلى هذا القول قال بعض علماء التفسير هذا منسوخ بآية  
 المسيف وقيل ان الناس خلقوا وجبلوا على ثلاثة أقسام القسم الاول العلماء الكاملون وهم  
 أصحاب العلوم العصرية والبصائر الشافية الذين يطلبون معرفة الاشياء على حقائقها فهؤلاء

هم المشار اليهم بقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة أى ادعهم بالدلائل القطعية اليقينية  
 حتى يعملوا الاشياء بحقائقها ويتقوا الناس وهم خواص العلماء من العصاة وغيرهم  
 القسم الثاني أصحاب القطرة السليمة والخلقة الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يطفوا احد  
 الكمال ولم ينزلوا الى حضيض النقصان فهم اوسط الاقسام وهم المشار اليهم بقوله تعالى  
 والموعظة الحسنة أى ادع هؤلاء بالموعظة الحسنة القسم الثالث أصحاب جدال وخصام  
 ومعاودة وهؤلاء هم المشار اليهم بقوله تعالى وجادلهم بالتى هي احسن أى حتى يتقادوا الى  
 الحق ويرجعوا اليه (ان ربك) المحسن اليك بالتخفيف عنك (هو أعلم) أى من كل من يتوهم  
 فيه علم (بين ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أى فهو سبحانه وتعالى أعلم بالفرقيين فن كان  
 فيه خير كفاء الوعظ والتصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه بهزئت عنه الحيل وكأنت تضرب  
 في حديد بارد فاعليك الا البلاغ والدعوة وأما حصول الهداية والضلال والجهالة عليهما  
 فليس ذلك اليك وهذا قبل الامر بالقتال وذكر في قوله تعالى (وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل  
 ما عاقبتهم به) أقوال أحدها وهو قول ابن عباس رضى الله عنهم فى رواية عطاء وأبى بن كعب  
 والشعبي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى عمه حمزة بن عبدالمطلب وقد جردوا أنفه وأذنه  
 وقطعوا مفاكيره وبقروا بطنه وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فضغمتها ثم استرطبتها  
 لتأكلها فلم تلبث فى بطنها حتى رمت به فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال أما انما لوأكاته  
 لم تدخل النار أبدا حرة أكرم على الله من أن يدخل شيئا من جسده النار فلما نظر رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم اليه نظر الى شئ لم ينظر الى شئ قط أوجع لقلبه منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم  
 رحمة الله عليك فانى ما علمتك الا فعلا للخيرات وصولا للرحم ولولا حزن من بعدك عليك لسرتنى  
 أن أدعك حتى تحشر من أقواج شتى أما والله لئن نظرتنى الله بهم لاملن بسبعين منهم مكانك  
 فزلت فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أراد وكفر عن يمينه وقال المسلمون أيضا لما  
 رأوا ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد من تقير البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق أحد من  
 قتلى المسلمين الا مثل به الاحتفلة بن الراهب فأتى أبا عامر الراهب كان مع أبى سفيان فتركوا  
 جنظله لذلك فقال المسلمون حين رأوا ذلك لئن ظفرتنا عليهم لتزيدن عليهم يعنى على صنيعهم ولئن  
 بهم مثله لم يفعله أحد من العرب بأحد القول الثانى أن هذا كان قبل الامر بالسيف  
 والجهاد حتى كان المسلمون قد أضرروا بالقتال مع من يقاتلهم ولا يتدوا بالقتال وهو قوله تعالى  
 وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا وفى هذه الآية أمر الله تعالى أن يعاقبوا بمثل  
 ما يصيبهم من العقوبة ولا يزيدوا القول الثالث أن المقصود من هذه الآية تنهى المظلوم عن  
 استيفاء الزيادة من الظالم وهذا قول مجاهد والنخعي وابن سيرين قال الرازى وحل هذه الآية  
 على قصة لا تعلق لها بما قبلها يوجب حصول سوء القريب فى كلام الله وهو فى غاية البعد بل  
 الاصول عندي أن يقال انه تعالى أمر محمدا صلى الله عليه وسلم بدعوة الخلق الى الدين الحق  
 بأحدى الطرق الثلاثة وهى الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالطريق الاحسن ثم ان تلك

الدعوة تتضمن أمرهم بالرجوع عن دين آبائهم وأسلافهم والحكم عليهم بالكفر والضلالة وذلك مما يشوش قلوبهم ويوحش صدورهم ويحمل أكثرهم على قصد ذلك الداعي بالقتل تارة وبالضرب تانياً وبالشم ثالثاً ثم إن ذلك الداعي المحق إذا سمع تلك السفاهات لابد وأن يحمله طبعه على تاديب أولئك السفهاء تارة بالقتل وتارة بالضرب فعند هذا أمر المحققين في هذا المقام برعاية العدل والانصاف وترك الزيادة فهذا هو الوجه الصحيح الذي يجب حمل الآية عليه (فان قيل) فهل تقدحون فيما روي أنه عليه الصلاة والسلام ترك العزم على ترك المثلثة وكفر عن عيینه بسبب هذه الآية (أجيب) بأنه لا حاجة الى القدح في تلك الرواية لأن تلك الواقعة داخله في عموم هذه الآية فيمكن التمسك في تلك الواقعة بعموم هذه الآية وذلك لا يوجب سوء الترتيب في كلام الله تعالى \* (تنبيه) \* أمر الله تعالى برعاية العدل والانصاف في هذه الآية ورتب ذلك على أربع مراتب المرتبة الاولى قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به أى ان رغبتهم في استيفاء القصاص فاقدموا بالمثل ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه في عدل الله تعالى ورحمته وفي قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به دليل على ان الاولى له أن لا يفعل كما أنك اذا قلت للمريض ان كنت تأكل الفاكهة فكل التفاح كان معناه أن الاولى بك أن لا تأكله فذكر تعالى بطريق الرمز والتعريض أن الاولى ترك المرتبة الثانية الانتقال من التعريض الى التصريح وهو قوله تعالى (واتن صبرتم له وخير للصابرين) وهذا تصريح بأن الاولى ترك ذلك الانتقام لان الرحمة أفضل من القسوة والانتفاع أفضل من الانتقام وقرأ أهلها وقالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون برفعها المرتبة الثالثة هو الامر الجازم بالترك وهو قوله تعالى (واصبر) لانه في المرتبة الثانية ذكر أن الترخير وأولى وفي هذه المرتبة الثالثة صرح بالامر بالصبر في هذا المقام ولما كان الصبر في هذا المقام شديداً شاقاً ذكر بعده ما يفيده سهولته بقوله تعالى (وما صبرك الا بالله) أى الملك الاعظم الذى شرع لك هذا الشرع الاقوم فذلك بتوفيقه ومعونته وهذا هو السبب الكلى الاصلى ثم ذكر بعده ما هو السبب الجزئى القريب بقوله سبحانه وتعالى (ولا تحزن عليهم) أى في شدة كفرهم قبائحهم في الحرص الباطح للنفس (ولانك في ضيق) ولو قل كما لوح اليه بتثوين التصغير (مما يكرون) أى من استمرار مكرهم بك واعجب دربك حتى يأتبك اليقين وكانك به وقد أتى قاصبر فان الله معزك ومظهر دينك وقرأ ابن كثير بكسر الضاد والباقون بنصبها \* (تنبيه) \* هذا من الكلام المقلوب لان الضيق صفة والصفة تكون حاصلة في الموصوف ولا يكون الموصوف خاصاً في الصفة فكان المعنى ولا يكن الضيق فيك الا أن الفائدة في قوله تعالى ولا تنك في ضيق هو أن الضيق اذا عظم وقوى صار كالشيء المحيط بالانسان من كل الجوانب وصار كالقصر المحيط به فكانت الفائدة في ذكر هذا اللفظ هذا المعنى المرتبة الرابعة قوله تعالى (ان الله) أى انبئنا مع لصفات الكمال بلفظه ومعونه (مع الذين اتقوا) أى وجد منهم الخوف من الله تعالى واجتنبوا المعاصي (والذين هم محسنون) في أعمالهم والثقة على خلقه وهذا يعبرى بحجى



التهديلان في المرتبة الاولى رغبة في ترك الانتقام على سبيل الرمز وفي الثانية عدل عن الرمز الى التصريح وهو قوله تعالى ولئن صبرتم لهو خيرا للصابرين وفي المرتبة الثالثة أمر بالصبر على سبيل الجزم وفي هذه المرتبة الرابعة كانه ذكر الوعيد على فعل الانتقام فقال ان الله مع الذين اتقوا أى عن استيفاء الزيادة والذين هم محسنون أى في ترك أصل الانتقام فكانه تعالى قال ان أردت أن أكون معك فكن من المتقين ومن المحسنين وهذه المعية بالرحمة والفضل والترسية وفي قوله تعالى اتقوا اشارة الى التعظيم لامر الله وفي قوله والذين هم محسنون اشارة الى الشفقة على خلق الله تعالى قيل لهم بن حبان عند قرب وفاته أوص فقال ان الوصية في المال ولا مال لي ولكن أوصيكم بخواتيم سورة النحل \* (تنبيه) \* قال بعضهم ان قوله تعالى وان عاقبتهم الى اهو خيرا للصابرين منسوخ بآية السيف قال الرازي وهذا في غاية البعد لان المقصود من هذه الآية تعليم حسن الادب في كيفية الدعوى الى الله تعالى وترك التعدي وطلب الزيادة ولا تعلق لهذه الاشياء بآية السيف وما رواه البيضاوي تبعه اللز مخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما أتم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاحها أوليته كان له من الاجر كالذي مات وأحسن الوصية حديث موضوع قال الرازي في آخر هذه السورة يقول مصنف الكتاب الحق عزيز والطريق بعيد والمركب ضعيف والقرب بعد والوصل هجر والحقائق مصونة والمعالي في غيب الغيب ~~مكونة~~ والاسرار فيما وراء أقفال العزة مخزونة ويبدأ الخلق القيل والقال والكمال ليس الا الله تعالى ذي الاكرام والجلال

﴿ سورة الاسراء ونسب سبحان وبني اسرائيل ملكية ﴾

الاوان كادوا الايات الثمان مائة وعشر آيات أو احدى عشرة وألف وخمسمائة وثلاث وثلاثون كلمة وعدد حروفها ستة آلاف واربعمائة وستون حرفا

(بسم الله) الملك المالك لجميع الامور (الرحمن) لكل ما أوجده بما رياه (الرحيم) ان خصه بالتزام العمل بما يرضاه وقوله تعالى (سبحان) اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمتنع من الصرف للعلمية وزيادة الالف والنون قال الاعشى في مدحه عامر بن الطفيل

قد قلت لما جاءني نغره \* سبحان من علقمة الفاخر

أى العجب منه اذ يفخر والعرب تقول سبحان من كذا اذا تعجبوا منه الشاهد في سبحان حيث جعله علما على التنزيه فذمه الصرف وعلقمة المذكور صابى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شيخ فأسلم وباع واستعمله عمر بن الخطاب رضى الله عنه على حوران فلبت بها (الغنى أسرى بعبده) هو محمد صلى الله عليه وسلم الذى هو أشرف عباده على الاطلاق وأحقهم بالاضافة اليه وقرأ أبو عمرو ووجزة والكسائي أمرى بالامالة محضة وورش بين بين

والباقون بالفتح وقوله تعالى (لبلا) نصب على الظرف والاسراء سير الليل وفائدة ذكره  
 الاشارة بتكثيره الى تقليل مدته فكان هذا الامر الجليل في جرم يسير من الليل والى انه عليه  
 الصلاة والسلام لم يحتج في الاسراء والعروج الى سدره المنتهى وسماع الكلام من العلي الاعلى  
 الى رياضة بصيام ولا غيره بل كان مهيا لذلك متأهلا له فأقامه تعالى من الفرض الى العرش  
 (من المسجد الحرام) أى بعينه وهو الذى يدل عليه ظاهر لفظ القرآن وروى أنه صلى الله  
 عليه وسلم قال يئنا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذا أتانى جبريل  
 بالبراق وقيل كان نائما فى الحطيم وقيل فى بيت أم هانئ بنت أبي طالب قال البقاعي وهو قول  
 الجمهور والمراد بالمسجد حينئذ الحرم لانه فناء المسجد (الى المسجد الاقصى) أى بيت المقدس  
 الذى هو بعيد المسافة حينئذ وأبعد المسجدين الاعظمين مطلقا من مكة المنرفة بينهما  
 أربعون ليلة فصلى بالانبياء كلهم ابراهيم وموسى ومن سواهما على جميعهم أفضل الصلاة  
 والسلام ورأى من آياتنا الكبرى ما قدرناه كما سيأتى فى حديث المعراج ورجع بين أظهركم الى  
 المسجد الاقرب منكم فى ذلك الجزء اليسير من الليل وأنتم تضربون أكباد الابل فى هذه  
 المسافة شهرا ذهابا وشهرا ايابا ثم وصفه تعالى بما يقتضى تعظيمه وانه أهل للقصد بقوله تعالى  
 (الذى باركنا حوله) أى بما التامن العظمة بالماء والاشجار وقال مجاهد سماه مباركا لانه مقر  
 الانبياء ومهبط الملائكة والوحى ومنه يحشر الناس يوم القيامة وموطن العبادات ومعدن  
 الفواكه والارزاق والبركات وباركنا تعالى حوله لاجله فما ظنك به نفسه فهو أبلغ من باركنا فيه  
 ثم منه الى السموات العلا الى سدره المنتهى الى ما لم ينله بشر غيره صلى الله عليه وسلم قال البقاعي  
 ولعل حذف ذكر المعراج من القرآن هنا لقصور افهامهم عن ادراك أدلته لو أنكروه بخلاف  
 الاسراء فانه أقام دليلا عليهم بما شاهدوه من الامارات التى وصفها لهم وهم طاعون بانة صلى  
 الله عليه وسلم لم يرها قبل ذلك فلما بان صدقه بملأكم من الامارات أخبر بعد ذلك من أراد  
 الله تعالى بالمعراج ثم ذكر سبحانه وتعالى الغرض من الاسراء بقوله تعالى (لتريه) بعينه وقلبه  
 (من آياتنا) أى بمخائب قدرتنا السماوية والارضية كما أرى آياه الخليل عليه السلام  
 ملكوت السموات والارض (انه) أى الله (هو السميع) لجميع الاقوال (البصير) أى  
 العالم بأحوال عباده فيكرم ويقرب من شاء منهم وقيل انه أى هذا العبد الذى اختصصناه  
 بالاسراء هو أى خاصة السميع أى أذنا وقلبا بالاجابة لنا والاذعان لاواحرنا البصير بصرا  
 وبصيرة بدليل ما أخبر به من الآيات وصدق من الدلالات حتى نعت ما سألو عنه من بيت  
 المقدس ومن أمر غيرهم وغيرهما مما هو مشهور فى قصة الاسراء واختلف هل أسرى بروحه  
 أو بجسده صلى الله عليه وسلم فمن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها كانت تقول ما فقدت جسده  
 النبى صلى الله عليه وسلم ولكن أسرى بروحه والا كثرون على أنه أسرى بجسده فى البقعة  
 ونوازل الاخبار العجيبة على ذلك منها قوله صلى الله عليه وسلم أتيت بالبراق وهو دابة أبيض  
 فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار به حتى أتيت بيت المقدس

قوله الذى هو الخ  
 كلام غير مستقيم

فربطت الدابة بالحلقة التي تربط فيها الانبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني  
 جبريل باناء من خرواناء من لبن فاخترت اللبن قال جبريل عليه السلام اصبت الفطرة قال  
 صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي الى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل  
 فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال قد ارسل اليه ففتح لنا فاذا انا يا آدم فرحب بي  
 ودعالي بخير ثم عرج بي الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت فقال جبريل فقيل  
 ومن معك قال محمد قيل قد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا يا يحيى وعيسى  
 فرحباني ودعوا لي بخير ثم عرج بي الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من انت قال  
 جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد ارسل اليه قال قد ارسل اليه ففتح لنا فاذا  
 انا يوسف واذا هو قد اعطى شطر الحسن فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بي الى السماء الرابعة  
 فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل وقد ارسل اليه قال  
 قد ارسل اليه ففتح لنا فاذا انا يا دريس فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بي الى السماء الخامسة  
 فاستفتح جبريل فقيل من انت فقال جبريل فقيل ومن معك قال محمد فقيل قد ارسل اليه  
 قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا يا هرون فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بي الى السماء السادسة  
 فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال  
 قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا يا موسى فرحب بي ودعالي بخير ثم عرج بي الى السماء السابعة فاستفتح  
 جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث  
 اليه ففتح لنا فاذا انا يا ابراهيم فاذا هو مستند الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم  
 سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى السدرة المنتهى فاذا ورقها كاذان الفضة  
 واذا غرها كالقلال فلما غشيها من امر الله ما غشيها تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع  
 ان يصفها من حسناتها قال صلى الله عليه وسلم فاوحى الى عبده ما اوحى وفرض علي في كل يوم  
 وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهت الى موسى فقال ما فرض ربك علي اتمت قلت خمسين  
 صلاة في كل يوم وليلة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان اتمت لا تطيق ذلك واني قد بلوت  
 بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت له اي رب خفف عن امتي فخط عني خمسا  
 فرجعت الى موسى فقال ما فعلت فقلت قد خط عني خمسا قال ان اتمت لا تطيق ذلك فارجع الى  
 ربك فاسأله التخفيف لان اتمت لا تطيق ذلك قال فلم ازل ارجع بين ربي وبين موسى ويخط عني  
 خمسا حتى قال يا محمد هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فقلت خمسون صلاة  
 ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر او من هم بسنة فلم يعملها  
 لم تكتب فان عملها كتبت سنة واحدة فنزلت حتى انتهت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى  
 ربك فاسأله التخفيف لان اتمت فان اتمت لا تطيق فقلت قد رجعت الى ربي حتى استجبت رواء  
 الشيطان وروى انه قال بعد ذلك ولكن ارضى واسلم فلما جاوزت نادى مناد ارضيت فربضتي  
 وخففت عن عبادي ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنازة اللؤلؤ واذا ترابها المسك وروى انه لما

وصل الى سدرة المنتهى فاذا اربعة اناهار نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت ما هذان  
 يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والنرات ثم رفع الى البيت  
 المعمور ثم اوتيت بانام من حجر واتاه من لبن واتاه من غسل فاخترت اللبن فقال هي القطرة التي  
 انت عليها وامتدك قال ثم فرضت صلى الصلاة خمسين صلاة يوم فرضت فررت على موسى وساق  
 الحديث ومنها ما رواه الحاكم في المستدرک عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم رأيت ربي عز وجل قال هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ليلة أسرى به الى بيت المقدس قال والشجرة الملعونة في القرآن هي شجرة الرقوم ومنها  
 ما رواه قتادة عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم  
 عن ليلة الاسراء به قال يذأ نافي الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع ومنهم من قال بين النائم  
 واليقظان وذكر بين رجلين وأتيت بطشت من ذهب مملوءة حكمة وإيمان فاشق من النحر  
 الى مراق البطن واستخرج قلبي فغسل ثم حشي ثم أعيد وقال سعيد وهشام ثم غسل البطن  
 بماء زمزم ثم ملئ إيمانا وحكمة ثم أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل  
 يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته وساق بقية الحديث ومنها ما روى أنه صلى الله عليه  
 وسلم كان نائما في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة على أم  
 هانئ وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبت أم هانئ بثوبه فقال  
 مالك قالت أخشى أن يكذبك الناس وقومك ان أخبرتهم قال وان كذبوني فخرج اليهم  
 وروى أنه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به فكان بنى طوى قال يا جبريل  
 ان قومى لا يصدقونى قال يصدقك أبو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعائشة عن رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم لما كانت ليلة أسرى بي فأصبحت بمكة قطعت بأمرى وعرفت أن  
 الناس يكذبونى فروى أنه عليه الصلاة والسلام قدم معتزلا حزينا فتر به أبو جهل فجلس  
 اليه فقال كالمستزى هل استفتدت من شئ قال نعم أسرى بي الليلة قال الى أين قال الى بيت  
 المقدس قال ثم أصبحت بين ظهراينا قال نعم فقال أبو جهل يا معشر بني كعب بن لؤى  
 هلوا فاتقضت اليه المجالس فجأوا حتى جلسوا اليهما قال حدثت قومك بما حدثتني قال نعم  
 انى قد أسرى بي الليلة قالوا الى أين قال الى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم  
 فن بين مصفق ووضع يده على رأسه تجمبا وانكارا وانتداس عن كان آمن به وسعى رجال الى  
 أبي بكر رضى الله عنه فقالوا له هل لك في صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة الى بيت المقدس قال  
 أوقد قال قالوا نعم قال ان كان ذلك لقد صدق قالوا ان صدقه على ذلك قال انى لا صدقه على  
 أبعد من ذلك أستدقه على خبر السماء في غدوة أو وروحة فسمى الصديق قال وفي القوم من كان  
 يأق المسجد الاقصى فقالوا فهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد الاقصى قال نعم قال فذهبت  
 أنعت وأنعت فماتت أنعت حتى التيس على قال فجيء بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع دون  
 دار عقيل فنعت المسجد وأنا أنظر اليه فقال القوم أما انعت فوالله لقد أصاب ثم قالوا يا محمد

أخبرنا عن غيرنا فهي أهم الينا هل لقيت منها شيئا قال نعم مررت على عير بني فلان وهي بالروحاء  
 وقد أضلوا بعير الهيم وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ماء فعضت فأخذته وشربته ثم  
 وضعت كما كان فاسألواهم هل وجدوا الماء قالوا قدح حين رجعوا إليه قالوا هذه آية قال ومررت  
 بعير بني فلان وفلان وفلان وكان قصود الهما فنظر بعيرهما مني فرى بفلان فأنكسرت  
 يده فاسألواهما عن ذلك قالوا وهذه آية قالوا فأخبرنا عن عيرنا مني تجبي قال مررت به بالنعيم  
 قالوا فما عدتها وما حملها وما أجالها ومن فيها فقال هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها  
 جل أ ورق عليه غرار تان مخيطان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه آية ثم خرجوا  
 يشتمون نحو النخبة وهم يقولون والله لقد قص محمد شيئا وبينه حتى أتوا كداء فجلسوا عليه  
 فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه اذ قال قائل منهم هذه الشمس والله قد أشرقت فقال  
 آخر والله وهذه العير قد أقبلت يقدمها جل أ ورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر  
 مبيح والادوق من الابل الذي في لونه بياض الى سواد وهو أطيب الابل لما قاله الجوهري ومنها  
 ما روى عن أنس بن مالك قال كان أبو ذؤيب يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج  
 سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل فقرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم وجاء بطشت من ذهب  
 ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدرى ثم أطبقه ثم أخذ بيدي وعرج بي الى السماء فلما  
 جئنا الى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح قال ومن هذا قال جبريل قال هل معك  
 أحد قال نعم منى محمد قال فأرسل الى اليه قال نعم ففتح قال فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل  
 عن يمينه وأسوده وعن يساره أسوده فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا  
 بالابن الصالح والنبي الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة التي  
 عن يمينه وعن شماله نسمة فيه فأهل البين منهم أهل الجنة والاسودة التي عن شماله أهل النار  
 واذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى ثم عرج بي جبريل حتى أتى الى السماء الثانية  
 فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال لخازن السماء الدنيا فقال أنس بن مالك فذكر أنه  
 وجد في السموات آدم وادريس وموسى وعيسى و ابراهيم ولم يبين كيف منازلهم غير أنه ذكر  
 أنه وجد آدم في السماء الدنيا و ابراهيم في السماء السادسة قال فلما مر جبريل ورسول الله صلى  
 الله عليه وسلم بادريس فقال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح قال فقلت من هذا قال انه  
 ادريس قال ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال قلت من هذا قال  
 هذا موسى فقال ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال قلت من هذا  
 قال عيسى ثم مررت بابراهيم فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح قال قلت من هذا قال  
 هذا ابراهيم قال ابن شهاب أخبرني ابن حزم ان ابن عباس كان يقول كان النبي صلى الله  
 عليه وسلم يقول ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صرير الاقلام وروى معمر عن قتادة  
 عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة أسرى به مسرياً لم يبق ما استصعب عليه  
 فقال جبريل يا محمد تفعل هذا فراكبك أحداً كرم على الله من قاضى عن قاضى قال ابن زيد

عن آية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهيت الى بيت المقدس قال جبريل يا صبيحة  
 نخرق بها حجرا وشذبه البراق وفي رواية أنه جاء جبريل بالبراق الى النبي صلى الله عليه وسلم  
 وقال له يا محمد اركب فركبه صلى الله عليه وسلم وركب جبريل وطار به البراق في الهواء فاخترق  
 به الجوف فعبس صلى الله عليه وسلم واحتاج الى الشراب فأناه جبريل باناء من انا من لبن واناء من  
 خمر وذلك قبل تحريم الخمر عرضهما عليه فتناول اللبن فقال له جبريل عليه السلام أصبت  
 الفطرة أصاب الله تعالى بك أمتك ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يتأول اللبن بالعلم فلما وصل  
 الى السماء الدنيا استفتح الى أن قال ثم عرج بي الى سدرة المنتهى وأخبره جبريل أن أعمال  
 بني آدم تنتهي الى تلك السدرة وانها مقر الارواح فهي نهاية لما ينزل مما فوقها ونهاية لما يعرج  
 اليها مما هو دونها وبها مقام جبريل عليه السلام فنزل صلى الله عليه وسلم عن البراق وحي اليه  
 بالرفرف وهو نظير الحفنة عندنا فقعده عليه وسله جبريل الى الملك النازل بالرفرف فسأله العصابة  
 لئأس به فقال له لا أقدر لو خطوت خطوة لاحترقت فإنا الاله مقام معلوم وما أمرى الله بك  
 يا محمد الا ليريك من آياته فلا تغفل فودعه وانصرف مع ذلك الملك والرفرف والملك يمشي به الى  
 أن ظهر لمستوى مع فيه صرير الاقلام في الألواح وهي تكتب ما يجر به الله تعالى في خلقه  
 وما تنسخه الملائكة من أعمال عباده قال تعالى انا كنا ننسخ ما كنتم تعملون ثم زجج في النور  
 زججة فأقرده الملك الذي كان معه وتأخر عنه فلم يره معه فعلم أن الرفرف ما تدلى الا لكون البراق  
 له مكان لا يتعداه كجبريل لما بلغ الى المكان الذي لا يتعداه وقف وكذلك الرفرف لما وصل الى  
 مقام لا يتعداه زجج به في النور فغمره النور من جميع نواحيه وأعطى علما آخر لم يكن يعلمه  
 قبل ذلك عن وحى من حيث لا يدري وجهته وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم لقد رأيتني وأنا في الجحيم وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس  
 لم أيتها فكرت كربة ما كرت مثلها قط فرفعه الله الى لا نظر اليه فاسألوني عن شيء الا أبيتهم  
 به وقد رأيتني في جماعة من الانبياء فاذا بموسى قائم يصلي فاذا رجع كانه من رجال شواة  
 واذا عيسى بن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شبا عروة بن مسعود الثقفي واذا ابراهيم قائم  
 يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني به نفسه صلى الله عليه وسلم فخانت الصلاة فأمتمهم فلما فرغت  
 قال قاتل يا محمد هذا مالك خازن النار صلى الله عليه فالتفت اليه فبدأني بالسلام وعن جابر أنه سمع  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبني قريش قت الى الحجر فجعل الله لي بيت المقدس  
 وذكر الحديث وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آتيتهم موسى  
 ليلة أسرى بي عند الكتيب الاحمر وهو قائم يصلي في قبره (فان قيل) رأى رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم موسى يصلي في قبره وكيف تصلى الانبياء بعد الموت وهم في دار الآخرة (أجيب) بأن  
 صلواته صلى الله عليه وسلم بالانبياء عليهم السلام يبيت المقدس يحتمل أن الله تعالى جمعهم له  
 ليصلي بهم ويعرفوا فضلهم وتقدمه عليهم ثم ان الله تعالى أراه اياهم في السموات على مراتبهم  
 ليعرف هو مراتبهم وفضلهم وأما موسى وهو قائم يصلي في قبره عند الكتيب الاحمر

فيصطل انه كان بعد رجوعه من المعراج وأما حكم صلاة الانبياء وهم في الدار الآخرة فهم في  
 حكم الشهداء بل هم أفضل منهم وقد قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل  
 أحياء فالانبياء بعد الموت أولى وأما حكم ضلالتهم فيصطل أنها بالذکر والدعاء وذلك من أعمال  
 الآخرة قال تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وورد في الحديث أنهم يلهمون التسييح كما  
 يلهمون النفس ويحتمل أن الله تعالى خصهم بخصائص في الآخرة كما خصهم في الدنيا بخصائص  
 لم يخص بها غيرهم منها أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أنه رأىهم يلبون ويحجون فكذلك الصلاة  
 والله أعلم بمقتضى الأمور وروى عن شريك بن عبد الله قال سمعت أنس بن مالك يقول ليلة  
 أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاء ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه  
 وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو قال أوسطهم هو خيرهم قال آخرهم خذوا  
 خبرهم وساق حديث المعراج بقصته قال فإذا هو في السماء الدنيا نهرين يطردان قال ما هذان  
 يا جبريل قال هذان النيل والفرات عنهما ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه نهر من  
 لؤلؤ ووزبرجد فضرب يده فاذا هو مسك أذفر قال ما هذا يا جبريل قال هو الكوثر الذي نبأ لك  
 ربك وذكرك في آخر حديثه أنه صلى الله عليه وسلم قال في آخر الحديث ثم علابي حتى جاء صدره  
 المنتهي ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان منه كقاب قوسين أو أدنى فأوحى إليه وذكر عائشة  
 أن الذي دنا فتدلى جبريل عليه السلام وسيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى في سورة  
 النجم (فان قيل) قوله تعالى ليريه من آياتنا يدل على أنه تعالى ما أراه البعض الآيات لأن كلمة  
 من تقييد التبعض وقال في حق إبراهيم عليه الصلاة والسلام وكذلك نرى إبراهيم ملكوت  
 السموات والأرض أي ملكهما فيلزم أن يكون معراج إبراهيم أفضل من معراج محمد عليهما  
 السلام (أجيب) بأنه لما أضيفت تلك الآيات إلى الله تعالى دل على أنها أفضل مما رآه  
 إبراهيم (تنبيه) قال النوري في شرح مسلم قد جاء في رواية شريك في حديثه أو هام أنكر  
 عليه العلماء فيها ما قوله وذلك قبل أن يوحى إليه وهو غلط لم يوافق عليه وإن الإسراء أقل ما قيل  
 فيه أنه كان بعد بعثته صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال الطبراني كان ليلة سبع  
 وعشرين من ربيع الآخرة قبل الهجرة بسنة وقال الزهري كان بعد بعثته صلى الله عليه  
 وسلم بخمسة سنين قال ابن اسحق أسرى به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل  
 وقيل كان الإسراء في رجب ويقال في رمضان قال النووي وأشبهه الأقوال قول الزهري وابن  
 اسحق وعمل يدل على أنه أسرى بجسده صلى الله عليه وسلم قوله تعالى أسرى به عبده ولقظ العبد  
 عبارة عن مجموع الروح والجسد وقوله صلى الله عليه وسلم أتيت بالبراق وهو اسم للدابة وهي  
 التي ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به واشتقاقه من البرق لسرعته أولشدة  
 صفائه وبياضه ولعانه وتلا لؤلؤره والحلقة بأسكان اللام ويجوز قصها والمراد بربط البراق  
 بالحلقة الأخذ بالاحتياط في الأمور وتعاطي الأسباب وإن ذلك لا يقدح في التوكل إذا كان  
 الاعتماد على الله تعالى وقوله جاءني جبريل باناء من نحر واناء من ابن فاخترت اللبن فيه اختصار

قوله عليه نهر الخ هكذا في النسخ ولعله محرف عن قوله عليه خضاب من لؤلؤ ووزبرجد

والتقدير قال لي اخترت الملبس وقول جبريل اخترت الفطرة يعني فطرة الاسلام وجعل الملبس  
 علامة الفطرة الصالحة لكونه سهلا طيبا سائغا للشاويين وانه سليم العاقبة بخلاف  
 الخمر فانهم انجسوا وبالبسة لانواع الشر وقوله ثم عرج بي حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح  
 جبريل فقيل من أنت قال جبريل فيه بيان الادب لمن استأذن أن يقول أنا فلان ولا يقول أنا  
 فقط فانه مكروه وفيه أن للسماء أبوابا وبواب السماء وقد أرسل اليه  
 وفي الرواية الاخرى وقد بعث اليه معناه للاستواء وصعود السماء وليس مراده الاستفهام  
 عن أصل البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفى عليه الى هذه المدة وقوله فاذا أنا بآدم وذو  
 جماعة من الانبياء فيه استحباب لقاء أهل الفضل والصلاح بالبشر والترحيب والكلام الحسن  
 وان كان الزائر أفضل من المزور وفيه جواز مدح الانسان في وجهه اذا أمن عليه من الاعجاب  
 وغيره من أسباب الفتنة وقوله فاذا أنا بابراهيم مستند ظهره الى البيت المعمور فيه دليل على  
 جواز الاستناد الى القبلة وتحويل ظهره اليها وقوله ذهب بي الى السدرة المنتهى هكذا وقع  
 في هذه الرواية بالالف واللام وفي باقي الروايات الى سدرة المنتهى قال ابن عباس وغيره من  
 المفسرين سميت بذلك لان علم الملائكة ينتهي اليها ولم يجاوزها أحد غير رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم وقال ابن مسعود سميت بذلك لكونه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من  
 تحتها من أمر الله عز وجل وقوله واذا نمرها مثل القلال هو بكسر القاف جمع قلبه بضمها وهي  
 الجزيرة الكبيرة التي تسع قريتين أو أكثر وقوله فرجعت الى ربي قال النووي معناه رجعت  
 الى الموضع الذي ناجيته منه أو لانا نجيته فيه ثانيا وقوله فلم أنزل أرجع بين موسى وبين ربي  
 معناه بين موضع مناجاة ربي وقوله ففرض علي أمي خمسين صلاة الى قوله فوضع عني خمسا  
 وفي رواية شطرها وفي رواية عشر ليس بين هذه الروايات منافاة لان المراد بالشرط الجزء وهو  
 الخمس وليس المراد منه التنصيف وأما رواية العشر فهو رواية شريك ورواية الخمس رواية قتادة  
 وهو أثبت من شريك والمراد حط عني خمسا الى آخره ثم قال هي خمس وهن خمسون يعني  
 خمسين في الاجر والثواب لان الحسنه بعشر أمثالها واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز نسخ  
 الشيء قبل فعله وفي الحديث انه شق صدره ليلة المعراج وقد شق صدره أيضا في صغره وهو عند  
 حلية التي كانت ترضعه فالمراد بالشق الثاني زيادة التطهير لما يراد به من الكرامة ليلة المعراج  
 وقوله أتيت بطشت من ذهب قديتهم انه يجوز استعمال الذهب لنا وليس الامر كذلك لان  
 هذا الفعل من فعل الملائكة وهم مباح لهم استعمال الذهب أو لعل هذا كان قبل تحريمه وقوله  
 عتلى حكمة واما ما فرغها في صدرى قدي قال الحكمة والايمن من المعاني والاعراض  
 صفة الاجسام فاعني ذلك أجيب بأنه محتمل انه جعل في الطشت شي يحصل به كمال الايمان  
 والحكمة وزيادتهم حانسي ايمانا وحكمة لكونه سببا لها وهذا من أحسن الجاز وقوله  
 في صفة آدم فاذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة هو جمع مواد وقد فسره في الحديث  
 بأنه نسم فيه يعني أرواح فيه (فان قيل) أرواح المؤمنين في السماء وأما أرواح الكفار فمقت



الارض السفلى فكيف تكون في السماء (أجيب) بأنه يحتمل ان ارواح الكفار تعرض على  
 آدم عليه السلام وهو في السماء فوافق وقت عرضها على ادم مرور النبي صلى الله عليه وسلم  
 فأخبر بما رأى وقوله اذا انظر عن يمينه ضحك واذا انظر عن شماله بكى فبصه شفقة الوالد على أولاده  
 وسروره وفرحه بحسن حال المؤمن منهم وحزنه على حال الكافر منهم وقوله في ادريس مرحبا  
 بالاخ الصالح والنبي الصالح قد اتفق المؤرخون انه هو اخ نوح جسد نوح فيكون جسد النبي  
 صلى الله عليه وسلم كما أن ابراهيم جده فكان ينبغي أن يقول بالنبي الصالح والابن الصالح كما  
 قال آدم و ابراهيم (وأجيب) بأنه قيل ان ادريس المذكور هنا هو الياس وهو من ذرية  
 ابراهيم فليس هو جسد نوح فانه القاضي عياض وقال النووي ليس في هذا الحديث ما يمنع  
 كون ادريس ابائنا صلى الله عليه وسلم وان قوله الاخ الصالح يحتمل أن يكون قاله تطلقا  
 وتأدبا وهو أخ وان كان ابنا لاق الانبياء اخوة والمؤمنون اخوة انتهى وانما اطلقت في بيان  
 ذلك لان الكلام مع الاحبة يحلو ولولا خوف الملل ما اقتضت على ذلك فقد قال بعض  
 المفسرين لأعلم في الكتاب العزيز سورة تضمنت من خصائصه التي فضل بها كافة الانبياء ما  
 تضمنته هذه السورة ولكن في هذا القدر كفاية لاولى الالباب \* ولما ثبت بهذه الغارقة ما أخبر  
 به صلى الله عليه وسلم عن نفسه المقدسة من عظيم القدرة وما جاءه صلى الله عليه وسلم من الآيات  
 البينات في هذا الوقت اليسير أتبعه ما منح في السير من مصر الى الارض المقدسة من الآيات  
 في مدد طول موسى عليه الصلاة والسلام الذي كان أعظم الانبياء بركة على هذه الامة ليله  
 الاسراء لما أرشد النبي صلى الله عليه وسلم اليه من مراجعة الله تعالى في تحقير الصلاة حتى  
 رجعت من خمسين الى خمسين مع أجر خمسين فقال (وآتيننا) أي بعظمتنا (موسى الكتاب)  
 أي التوراة (وجعلناه) أي الكتاب بما لنا من العظمة (هدى لبني اسرائيل) بالهمل على العدل  
 في التوحيد والاحكام وأسرى بنو موسى عليه السلام ويقومه من مصر الى بلاد المسجد  
 الاقصى فأقاموا سائرين اليها أربعين سنة ولم يصلوا ومات كل من خرج الا المتقين الموفين  
 بالعهد فقد بان الفضل بين الاسراءين كما بان الفضل بين السكاين فذكر الاسراء أولاد ليل على  
 حذف مثله أولاد فالآية من الاحتياط ثم شبه على ان المراد من ذلك كلمة التوحيد اعطاء قادا  
 وعبادة بقوله تعالى (أن لا) أي لئلا (تخذوا) على قراءة أبي عمرو والياء على الغيبة وقرأ غيره  
 بالتاء على أن لا اتخذوا كقولك كتبت اليه أن افعل كذا (من دوني وكيلًا) أي ربان تكون  
 اليه أموركم وذلك هو التوحيد فلا معراج أعلى ولا درجة أشرف ولا نعمة أعظم من أن يصير  
 المرء غريبا في بحر التوحيد وأن لا يعول في أمر من الامور الا على الله تعالى فان نطق نطق  
 بذكر الله وان تفكر تفكر في دلائل تنزيهه الله وان طلب طلب من الله فيكون كاه الله وبالله والى الله  
 وقوله تعالى (ذرية) نصب على الاختصاص في قراءة أبي عمرو وعلى النداء عند الباقي أي  
 يا ذرية (من حملنا) أي في السفينة بعظمتنا على ظهر ذلك الماء الذي طبق ماتحت اديم السماء  
 وبه تعالى على شرفهم وتمام نعمتهم بقوله تعالى (مع نوح) فني ذلك تذكريا نعم الله تعالى

عليهم وانجيا آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح لانه كان معه في السفينة ثلاث بنين سام وحام ويافت فالناس كلهم من ذرية اولئك قال البقاعي لان الصحيح أن من كان معه من غير ذريته ماتوا ولم يعقبوا ولم يقل ذرية نوح ليعلم انهم عقب اولاده المؤمنين لتكون تلك منة أخرى \* ثم انه تعالى اثني على نوح خنا على الاقتداء به في التوحيد كما اقتدى به آباؤهم في ذلك بقوله تعالى (انه كان عبدا شكورا) أي مبالغا في الشكر الذي هو مصرف العبد لجميع ما أنعم الله تعالى به عليه لما خلق له روى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا أكل قال الحمد لله الذي أطعمني ولوشاء أجاجني وفي رواية انه يسمي اذا أكل ويحمد اذا فرغ واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولوشاء أظماني واذا ااكسني قال الحمد لله الذي كساني ولوشاء أعراني واذا احتدي قال الحمد لله الذي حداني ولوشاء أحقاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي أخرج عني أذاه في عافية ولوشاء حبسه وفي رواية انه كان يقول الحمد لله الذي اذا قى لذته وأبقي منفعته في جسدي وأخرج عني أذاه وفي رواية انه كان اذا أراد الافطار عرض طعامه على من مر به فان وجده محتاجا آثره به \* ولما ذكر تعالى انعامه على بني اسرائيل بانزال التوراة عليهم وبأنه جعل التوراة هدى لهم بين انهم ما اهدوا وجاهداهم بل وقعوا في الفساد بقوله تعالى (وقضينا) أي أوحينا (الى بني اسرائيل) أي الى بني عبدنا يعقوب عليه السلام الذي كان أطوع أهل زمانه وحياء مقطوعا مشبوتا (في الكتاب) أي التوراة التي قد أوصلناها اليهم على لسان موسى عليه السلام وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ وقوله تعالى (لتفسدن) جواب قسم محذوف ويجوز أن يجري القضاء المثبوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا لله كأنه قال وأقسمنا لتفسدن (في الارض) أي أرض الشام قاله السيوطي وقال الرازي أرض مصر ويوافق الاول قول البقاعي أي المقدسة التي كانت لها لشرفها هي الارض (مرتين) أي افسادتين قال في الكشف اولاهما قتل زكريا عليه السلام وحبس أرميا حين أنذرهم بسخط الله تعالى والآخرى قتل يحيى بن زكريا وقد قتل عيسى بن مريم وقال البيضاوي الاولى مخالفة أحكام التوراة وقتل شعيا أو قتل أرميا وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقد قتل عيسى عليهم السلام (ولتعلقن) أي بما صرتم اليه من النظر لتسيان المنم (علوا كبيرا) بالظلم والتمرد لانه يقال لكل متخير قد علا وتعلم (فاذا جاء وعد اولاهما) أي أولى مرتي الفساد وهو الوقت الذي جددنا لهم الانتقام فيه (بعثنا عليكم عبادا لنا) أي لا يدان لكم بهم كما قال تعالى (أولى بأس شديد) أي أصحاب قوة في الحرب واختلف فيهم فقال في الكشف سحاريب وجنوده وقيل يجتنصرون وقال ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخرّبوا المساجد وسبوا منهم سبعين ألفا وقال البيضاوي عبادا لنا يجتنصرون عامل لهم اسف على يابل وجنوده وقيل جالوت الحزري وهو بجاه فزاي مفتوحين فراء نسبة الى الحزري وهو ضيق العين وصغرها وهو الذي قتله داود أو جليل من الناس وذكر الرازي في ذلك قولين الاول ان الله تعالى سلط عليهم يجتنصرون فقتل منهم أربعين ألفا من يقرأ التوراة وذهب

بالبقية الى ارض نفسه فبقوا هنالك في المذل الثاني أن الله تعالى ألقي الرعب من بني اسرائيل  
 في قلوب الجوس فلما كثرت المعاصي فيهم أزال الله ذلك الرعب عن قلوب الجوس فقصدهم  
 وبالغوا في قتلهم وافتنائهم واهلاكهم وأخرج ابن أبي حاتم عن عطية قال أفسدوا المرة الاولى  
 فأرسل الله عليهم جم جالوت فقتلهم وأفسدوا المرة الثانية فقتلوا يحيى بن زكريا فبعث الله عليهم  
 بختنصر وعن ابن مسعود قال كان أول الفساد من قتل زكريا فبعث الله عليهم ملك القبط  
 وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال الاولى قتل زكريا والاخرى قتل يحيى قاله الرازي  
 واعلم أنه لا يتعلق كثير غرض في معرفة أولئك الاقوام بأعيانهم بل المتصور وهو أنهم  
 لما كثروا من المعاصي سلط الله عليهم أقواما فقتلوهم وافنؤهم ثم قال الله تعالى (فجاسوا) أي  
 ترددوا والطلبكم (خلال الديار) أي وسطها للقتل والغارة قال البيضاوي فقتلوا كبارهم وسبوا  
 صغارهم وحرقوا التوراة وخرّبوا المسجد والمستزلة لما منعوا تسلط الله الكافر على ذلك  
 أولوا البعث بالتخلية انتهى وفي ذلك تعريض بالرحمى فانه قال في كشفه (فان قلت) كيف  
 جاز أن يعث الله تعالى الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه (قلت) معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم  
 تمنعهم على ان الله عز وجل أسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو وكفوله تعالى وكذلك نولي بعض  
 الظالمين بعضا كما نولي كسبون (وكان) أي ذلك البعث ووعد العقاب به (وعدا  
 مقعولا) أي قضاء كاتنا لازما لاشك في وقوعه ولا بد أن يفعل (ثم رددنا لكم الكفرة) أي  
 الدولة والغلبة (عليهم) حتى تبيتم عن ذنوبكم ورجعتم عن الفساد في زمن داود بقتله جالوت  
 وذلك بعد مائة سنة (وأمددناكم بأموال) تستعينون به على قتال عدوكم (وبين) يتقنون  
 بهم (وجعلناكم أكثر) من عدوكم (نفيرا) أي عشيرة تنفر معكم عند ارادة القتال وغيره من  
 المهمات والنفير من يفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو  
 \* ولما حكى الله تعالى عنهم أنهم لما عصوا سلط الله عليهم أقواما قصدوهم بالقتل والنهب والسبي  
 ولما تابوا أزال عنهم تلك المحنة وأعاد عليهم الدولة فعند ذلك ظهر أنهم ان أطاعوا الله فقد  
 أحسنوا الى أنفسهم وان أصروا على المعصية فقد أساؤا على أنفسهم وقد تقرّر في العقول  
 أن الاحسان الى النفس حسن مطلوب وان الاساءة اليها قبيحة فلهذا المعنى قال تعالى (ان  
 أحسنتم) أي بفعل الطاعة على حسب الامر في الكتاب الداعي الى العدل والاحسان (أحسنتم  
 لانفسكم) أي لان نوابيها (وان أسأتم) بارتكاب المحرمات والافساد (فلها) أي الاساءة  
 لان وبالها عليها قال التحويون وانما قال وان أسأتم فلها للثقابل والمعنى فاليها أو فعلها كما مر  
 مع أن حروف الاضافة يقوم بعضها مقام بعض كقوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك  
 أوحى لها أي اليها \* (تنبيه) \* قال أهل الاشارات هذه الآية تدل على ان رجة الله غالبية  
 على غضبه بدليل أنه تعالى لما حكى عنهم الاحسان ذكره مرتين فقال تعالى ان أحسنتم أحسنتم  
 لانفسكم ولما حكى عنهم الاساءة اقتصر على ذكرها مرة واحدة فقال تعالى وان أسأتم فلها  
 ولولا ان جانب الرجة غالب والالما كان كذلك ثم قال (فاذا جاء وعد الآخرة) أي نائية في

الانساد وهو الوقت الذي حددنا له الانتقام فيه (ليسووا) أي بعثنا عليكم عبادنا ليسووا  
 (وجوهكم) أي يجعل آثار الاساءة بائنة فيها وحذف متعلق اللام لدلالة الألف عليه وقرأ  
 الكسائي بعد اللام بنون مفتوحة على التوحيد والضمير فيه لله والباقون بالياء مفتوحة وأما  
 الهمزة التي بعد الواو التي بعد السين فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص بضم الهمزة ومدّها  
 والباقون بفتح الهمزة ولا مد وقوله تعالى (وايدخلوا المسجد) عطف على ليسووا والمراد  
 بالمسجد الأقصى الذي سقناكم اليه من مصر في تلك المدد الطوال وأعطيناكم بلادها بالتدرج  
 وجعلناه محل عزكم وأمنكم ثم جعلناه محلا لآرام أشرف خلقنا بالاسراء به اليه وجع أرواح  
 النبيين كاهم فيه وصلاته بهم وهذا تعرض بتمديد قریش بأنهم ان لم يرجعوا بدل الله آمنهم في  
 الحرم خوفا وعزهم ذلا وأدخل عليهم جنود الا قبل لهم بها وقد فعل ذلك عام الفتح ولكنه فعل  
 اكرام لا اهانة بركة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم (كما دخلوه) أي الاعداء (أول مرة)  
 بالسيف ويقهروا جميع جنودكم دفعة واحدة (وليتبروا) أي يهلكوا ويدمروا مع التقطيع  
 والتفريق (ما حلوا) أي عليه من ذلك وقيل ما مصدرية أي مدة علوهم (تتبرا) أي اهلاكا  
 قال الزجاج وكل شيء جعلته مكسرا مفتتا فقد تبرته ومنه قيل تبر الزجاج وتبر الذهب لمكسره  
 ومنه قوله تعالى ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال الرازي وهذه المرة  
 الاخيرة هي اقدامهم على قتل زكريا ويحيى عليهم ما السلام قال البيضاوي وذلك بأن سلط عليهم  
 الفرس مرة أخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه حردون وقيل جردوس قيل  
 دخل صاحب الجيوش مذبح قرآينهم جمع قربان فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان  
 لم يقبل منا فقال ما صدقتموني فقتل عليه ألوف منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ماتركت  
 منكم أحدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى أي خطا بالدمه  
 قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك فأهدأ بأذن الله قبل أن لا يبقى أحد منهم فهدأ  
 أي سكن وقال الواحدى فبعث الله تعالى عليهم بجنصر البابلي المجوسى أبغض خلقه اليه  
 فسبى بنى اسرائيل وخرّب بيت المقدس قال الرازي أقوال التواريخ تشهد أن بجنصر كان  
 قبل وقت عيسى ويحيى وزكريا بسنين متطاولة ومعالم ان الملك الذي انتقم من اليهود ملك  
 الروم يقال له قسطنطين الملك والله أعلم بأحوالهم ولا يتعلق غرض من اغراض تفسير القرآن  
 بعرفة أعيان هؤلاء الاقوام انتهى ولما انقضى ذلك كان كأنه قيل هل بقي لهم نصرة  
 على عدوهم فقال تعالى (عسى ربكم أن يرجحكم) يا بنى اسرائيل بعد انتقامه منكم فتعد الدولة  
 اليكم ثم بعد أن أطمعهم فزعهم بقوله تعالى (وان عدتم) أي الى المهصية (عدنا) أي الى صب  
 البلاء عليكم في الدنيا مرة أخرى قال القفال انما جعلنا هذه الآية على عذاب الدنيا لقوله  
 تعالى في سورة الاعراف خبرا عن بنى اسرائيل واذ تأذن ربك ليعتق عليهم الى يوم القيامة  
 من يسومهم سوء العذاب ثم قال وانهم قد عادوا الى فعل ما لا ينبغي وهو التكذيب بحمد  
 صلى الله عليه وسلم وكان ما ورد في التوراة والانجيل فعاد الله تعالى عليهم بالتكذيب على أيدي

العرب فجرى على بن النضير وقرينة وبنى فينتقاع ويهود خيبر ما جرى من القتل والجلاء  
ثم الباقي منهم مقهورون بالجزية لامتلاك لهم ولا سلطان ثم قال تعالى (وجعلنا) أي بعد ذلك  
بعظمتنا (جهنم) أي التي تلتى داخلها بالتجهيم والكراهة (للكافرين) وذكر الوصف الظاهر  
موضع الضمير لبيان تعلق الحكم به على سيدل الرسوخ سواء في ذلك هم وغيرهم وقوله تعالى  
(حصيرا) يحتمل أن يكون فعلا بمعنى الفاعل أي جعلنا جهنم حاصرا لهم ويحتمل أن يكون  
بمعنى مفعول أي جعلناها موضعا محصورا لهم والمعنى أن عذاب الدنيا وإن كان شديدا  
قويا إلا أنه قد يتقلب بعض الناس عنه والذي يقع في ذلك العذاب يتخلص منه أما بالموت وأما  
بطريق آخر وأما عذاب الآخرة فإنه يكون حاصرا للإنسان محبطا به لارجاء في الخلاص عنه  
فهؤلاء الأقسام لهم من عذاب الدنيا ما رصفناه ويكون لهم بعد ذلك من عذاب الآخرة  
ما يكون محبطا بهم من جميع الجهات ولا يتخلصون منه أبدا \* ولما بين سبحانه وتعالى كتاب  
موسى عليه السلام الذي أنزل عليه في ما بين مصر وبيت المقدس في تلك المدة المتطاولة وجعله  
هدى لبني إسرائيل صادق الوعد والوعيد بين تعالى كتاب محمد صلى الله عليه وسلم الذي أنزل  
عليه منه في سبب مسيره اليه في ذلك ووصفه بثلاثة أنواع من الصفات الأولى قوله تعالى  
(إن هذا القرآن) أي الجامع لكل حق والفاارق بين كل ملتبس (يهدى للتي) أي إلى الطريق  
التي (هي أقوم) أي أصوب من كل طريق فقوله تعالى للتي هي أقوم نعت لموصوف محذوف  
كما تقرر ويصح أن يقدر الملة والشريعة أي يهدي إلى الملة والشريعة التي هي أقوم الملل  
والشرائع ومثل هذه الكفاية كثيرة الاستعمال في القرآن كقوله تعالى ادفع بالتي هي أحسن  
وقيل إلى الكفاية التي هي أعدل وهي شهادة أن لا إله إلا الله \* (تنبيه) \* لفظ افعل قد جاء بمعنى  
الفاعل كقولنا الله أكبر أي الله الكبير وكقولنا الشيخ والناقص أعدا لبني مروان فأقوم يحتمل  
أن يكون كذلك وأن يبقى على ظاهره الصفة الثانية قوله تعالى (ويبشر المؤمنين) أي الراشدين  
في هذا الوصف ولهذا قيدهم بآنا لهم بقوله (الذين) أي يصدقون إيمانهم بأنهم (يعملون)  
أي على سبيل التجديد والاستمرار والبناء على العلم (الصالحات) من التقوى والاحسان (أن لهم  
أجرا كبيرا) هو الجنة والنظر إلى وجه الله تعالى وقرأ جزء والكسائي بفتح الباء وسكون الباء  
الموحدة وضم الشين مخففة والباقون بضم الباء وفتح الباء الموحدة وكسر الشين مشددة (فإن  
قيل) قال هنا أجرا كبيرا وفي الكهف أجرا حسنا (أجيب) بوقوع ذلك لموافقة الفواصل قبل  
وبعد في كل منهما الصفة الثالثة قوله تعالى (وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعدنا) أي أحضرنا  
وهي آنا (لهم عذابا أليما) وهو النار في الآخرة وهو عطف على أن لهم أجرا كبيرا والمعنى أنه  
تعالى بشر المؤمنين بنوعين من البشارة بثوابهم وبعقاب أعدائهم تظهير قولك بشرت زيد بأنه  
سيعطى وبأن عدوه سيمنع (فإن قيل) كيف يليق لفظ البشارة بالعذاب (أجيب) بأن هذا  
مذكور على سبيل التكميل أو أنه من باب إطلاق أحد الضدين على الآخر كقوله تعالى وجزاء  
سنة سنة مثلها وعلى يشر بإضمار يخبر (فإن قيل) هذه الآية واردة في شرح أحوال اليهود

وهم ما كانوا ينكرون الايمان بالآخرة (أجيب) بأن أكثر اليهود ينكرون الثواب والعقاب  
 الجسامين وبأن بعضهم قال لن تمسنا النار الا أيام معدودات فهم بذلك صاروا كالمسكرين  
 للآخرة \* ولما بين سبحانه وتعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والانسان قد يقدم على حلال  
 فائدة فيه بينه بقوله تعالى (ويدع الانسان بالشر) عند شجره على نفسه وأهله وماله (دعاه) أي  
 مثل دعائه (بالخير) ولو استجيب له في الشر كما يستجاب له في الخير لهلك روى أنه صلى الله عليه وسلم  
 دفع الى سودة بنت زمعة أسيراً فأقبلت في الليل فقالت له مالك فبكي وشكافرحته فارخت كفاه  
 فهرب فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فاعلم بشأنه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اقطع  
 يدها فرفعت سودة يدها تتوقع أن يقطع الله تعالى يدها فقدم النبي صلى الله عليه وسلم وقال  
 اللهم انما أنا بشر اغضب كما يغضبون فغن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له وقيل المراد النضر  
 ابن الحرث حيث قال اللهم انصر خير الخزيين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الى آخره  
 فأجاب الله تعالى دعاءه وضربت رقبته يوم بدر صبراً وكان بعضهم يقول اتنا به ذاب الله  
 وآخرون يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وانما فعلوا ذلك للجهل ولاعتقاد أن محمداً  
 كاذب فيما يقول وقيل المراد أن الانسان قد يبالغ في الدعاء طالبا للشيء قد يعتقد أن خير فيه مع  
 ان ذلك الشيء منبوع لشره وضرره وهو يبالغ في طلبه لجهله بحال ذلك الشيء وانما يقدم على مثل  
 هذا العمل لكونه محمولا مفتراً بطواهر الامور غير متفحص عن حقائقها وأسرارها كما قال  
 تعالى (وكان الانسان) أي الجنس (عجولاً) أي يسارع الى كل ما يخطر بباله ولا ينتظر الى عاقبته  
 وقيل المراد آدم عليه السلام لما انتهى الروح الى سرتة ذهب لينهض فسقط \* (تنبه) \* حذف  
 واو ويدع أي التي هي لام الفعل خطا في جميع المصاحف ولا موجب لحذفها لفظاً في العربية  
 لكنها لما كانت لا تظهر في اللفظ حذفت في الخط وتظيره قوله تعالى سندع الزبانية وسوف  
 يؤت الله المؤمنين ويوم يناد المنادي فنادت النذر قال القراء ولو كان ذلك بالواو والياء  
 لكان صواباً وقال الرازي أقول هذا يدل على انه سبحانه وتعالى قد عظم هذا القرآن المجيد  
 عن التحريف والتغيير فان اثبات الواو والياء في أكثر ألفاظ القرآن وعدم اثباتها في هذه  
 المواضع المعدودة يدل على ان هذا القرآن نقل كما سمع وان أحد الم يتصرف فيه بمقدار فهمه  
 وقوة عقله \* ولما بين تعالى ما وصل من نعم الدين وهو القرآن اتبعه بما وصل اليهم من نعم الدنيا  
 فقال (وجعلنا الليل والنهار آيتين) دالتين على تمام العلم وشمول القدرة آية الليل كآيات  
 المتشابهة وآية النهار كالمهكمة فكان المقصود من التكليف لا يتم الا بذكر المحكم  
 والمتشابه فكذلك الزمان لا يتيسر الانتفاع به الا بهاتين الآيتين (فمخونا) أي بعظمنا الباهرة  
 (آية الليل) أي طمسنا نورها بالظلام ليسكنوا فيه فجعلناها لا يصرف فيها المرئيات كما لا يصرف  
 الكتاب اذا محى (وجعلنا) بمثلنا من القدرة (آية النهار مبصرة) أي مبصر فيها بالضوء  
 فلا تزال هذه الدار الناقصة في تنقل من نور الى ظلمة ومن الظلمة الى النور كما ان الانسان يعمله  
 التي يدعو اليها طبعه وقاينه الداعي اليه عقله من انتقال من نقصان الى كمال ومن كمال الى

نقصان كما ان القمر الذي هو أنقص من الشمس كذلك قال ابن عباس جعل الله نور الشمس  
 سبعين جزءاً ونور القمر كذلك فحسب من نور القمر تسعة وستين جزءاً فجعلها مع نور الشمس وحكى  
 ان الله تعالى أمر جبريل فأمر بجناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي  
 فيه النور وسأل ابن ذكوان علياً رضي الله عنه عن السواد الذي في القمر قال هو أثر ما هو  
 \* (تنبيه) \* المراد من الآيتين بعض الليل والنهار فالإضافة للبيان أي انه تعالى جعلهما  
 دليلين للخلق على مصالح الدين والدنيا أما الدين فلان كل واحد منهما ما ضللاً ثم مغاير له  
 مع كونهما متعاقبين على الدوام وهو من أقوى الدلائل على انه ما غير موجودين بذاتهما  
 بل لا بد لهما من فاعل يديرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة وأما في الدنيا فلان مصالح الدنيا  
 لا تتم الا بالليل والنهار فلولا الليل ما حصل السكون والراحة ولولا النهار لما حصل الكسب  
 والتصرف وقيل الليل والنهار نظر فان والتقدير وجعلنا آيتين في الليل والنهار والمراد بالآيتين  
 على هذا أما الشمس والقمر وأما تكوير هذا على هذا وهذا على هذا ثم ذكر تعالى بعض المنافع  
 المرتب على ذلك بقوله تعالى (لتبتغوا) أي تطلبوا طلباً شديداً (فضلاً من ربكم) أي المحسن  
 اليكم فيهما ما بضيائه هذا تارة ونوره هذا أخرى (ولتعلموا) بفصل هذا عن هذا (عدد السنين  
 والحساب) لان الحساب يبنى على أربع مراتب الساعات والايام والشهور والسنين والعدد  
 للسنين والحساب لما دون السنين وهي الشهور والايام والساعات وبعده هذه المراتب الأربعة  
 لا يحصل الا التكرار كما أنهم رتبوا العدد على أربع مراتب الآحاد والعشرات  
 والمئات والالوف وابتدأ بها التكرار \* ولما ذكر تعالى أحوال آتي الليل والنهار  
 وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه آخر نعمتان عظيمتان من الله تعالى  
 على أهل الدنيا وقد ذكر تعالى في آيات كثيرة منافعهما كقوله تعالى وجعلنا الليل لباساً وجعلنا  
 النهار معاشاً وكقوله تعالى جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه وتبتغوا من فضله وشرح  
 تعالى حالهما وفصل ما فيهما من وجوه الدلالة على الخالق ومن وجوه النعم العظيمة على الخلق  
 كان ذلك تفصيلاً نافعاً وتبياناً كاملاً فلا جرم قال تعالى (وكل شيء) أي لكم اليه حاجة في مصالح  
 دينكم ودنياكم (فصلناه تفصيلاً) أي بيناه تبييناً وهو كقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء  
 وكقوله تعالى وزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وقوله تدمر كل شيء بأمر ربها وانما ذكر  
 تعالى تفصيلاً لاجل تأكيد الكلام وتقديره فكانه قال فصلناه حقاً \* ولما بين تعالى انه أوصل  
 الى الخلق أصناف الأشياء النافعة لهم في الدنيا والدين مثل آتي الليل والنهار وغيرهما كان منعماً  
 عليهم بوجود النعم وذلك يقتضى وجوب اشتغالهم بخدمته وطاعته فلا جرم كل من ورد عرصة  
 إقامة فانه يكون مسؤولاً عن أعماله وأقواله كما قال تعالى (وكل انسان أزمانه) أي بعظمتنا  
 (طائره) أي عمله الذي قدرناه عليه من خير وشر لان العرب صكوا اذا أرادوا الاقدام  
 على عمل من الاعمال وأرادوا أن يعرفوا ان ذلك العمل يسوقهم الى خيراً أو الى عمل شر اعتبروا  
 أحوال الطير وهو انه يطير بنفسه أو يحتاج الى ازعاجه واذا طار فهو يطير متيامناً أو متياسراً

أو ساعد إلى الجوالى غير ذلك من الاحوال التى كانوا يعتبرونها ويستدلون بكل واحد  
 منها على أحوال الخير والشر والسعادة والخوسة فلما كثر ذلك منهم سمو انفس الخير والشر  
 بالطائر تسمية للشيء باسم لازمه فقوله تعالى وكل انسان أزمانه طائره فى عنقه أى وكل انسان  
 أزمانه عمله (فى عنقه) الذى هو محل التزين بالقلادة ونحوها ومحل الشين بالغل ونحوه فان كان  
 عمله خيرا كان كالقلادة والحلى فى العنق وهذا مما يزينه وان كان عمله شرا كان كالغل  
 فى عنقه وهو مما يشينه وقال مجاهد ما من مولود يولد الا وفى عنقه ورقة مكتوب فيها شئ أو سعيد  
 قال الرازى والتصديق فى هذا الباب أنه تعالى خلق الخلق وخص كل واحد منهم بمقدار  
 مخصوص من العقل والفهم والعلم والعمل والرزق والسعادة والشقاوة والانسان لا يمكنه  
 أن يتجاوز ذلك المقدار وان كان ينحرف عنه بل لا بد وأن يصل اليه ذلك القدر بحسب الكمية  
 والكيفية فتلك الاشياء المقدرة كأنها تطير اليه وتصير اليه فلهذا المعنى لا يعد  
 أن يعبر عن تلك الاحوال المقدرة بلفظ الطائر فقوله تعالى أزمانه طائره فى عنقه كناية عن  
 كل ما قدره الله ومعنى فى عنقه حصوله له فهو لازم له واصل اليه غير منحرف عنه واليه  
 الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة انتهى ملخصا ثم قال  
 تعالى (ونخرج له يوم القيامة كتابا) أى مكتوب يافيه عمله لا بغادر صغيرة ولا كبيرة  
 الأحصاها قال الحسن بسطت لك صحيفة و وكل بك ملكان فهما عن عينك وعن  
 شمالك فأما الذى عن عينك فيحفظ حسناتك وأما الذى عن شمالك فيحفظ لك سيئاتك حتى  
 اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك فى قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة وقوله تعالى (يلقاه  
 منشورا) صفتان لك تابا وقرأ ابن عامر بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف على البناء للمفعول  
 من لقيته كذا أى استقبلته به والباقون بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف واما  
 الالف بعد القاف جزء والكسائي محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح ثم انه اذا  
 لقي كتابه يوم القيامة يوم العرض قيل له (اقرأ كتابك) أى بنفسك (كنى بنفسك اليوم) الذى  
 تكشف فيه الستور وتظهر جميع الامور (عليك حسيبا) أى حاسب بالبلغا فانك تعطى  
 القدرة على قراءته أميا كنت أو قارئاً ولا ترى فيه زيادة ولا نقصانا ولا تقدر أن تنكر منه حرفا  
 وان أنكروه لسانك شهدت عليك اركانك فيما لها من قدرة باهرة وقوة فاهرة ونسفة ظاهرة  
 قال الحسن عدل والله فى حقتك من جعلك حاسب نفسك وقال السدى يقول الكافر يومئذ  
 انك قضيت انك لست بظلام للعبيد فاجعلنى أحاسب نفسى فيقال له اقرأ كتابك كنى بنفسك  
 اليوم عليك حسيبا (فان قيل) قد قال تعالى وكنى بنا حاسبين فكيف الجمع فى ذلك (أجيب)  
 بأن المراد بالحاسب هنا الشهيد أى كنى بنفسك اليوم شاهد عليك أو ان القيامة مواقف  
 مختلفة ففى موقف بكل الله تعالى حاسبهم الى أنفسهم وعلمه محيط بهم وفى آخر محاسبهم  
 هو وقوله تعالى (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه) لان ثواب اهتدائه له لا يفتى غيره (ومن ضل  
 فانما يضل عليها) أى اثم عليها فلا يضرب فى ضلاله سواء كما قال الكلبي دلالة على ان العبد ممكن



من الخير والشرّ وأنه غير مجبور على عمل بعينه أصلاً لأن قوله تعالى من اهتدى إلى آخره إنما يليق بالقادر على الفعل المتمكن منه كيف شاء وأراد أمّا المجبور على احد الطرفين المنزوع عن الطرف الثاني فهذا لا يليق به هذا مذهب أهل السنة والجماعة فاتبعه ترشد ثم انه تعالى أعاد تقرير ان كل أحد مختص بأثر عمل نفسه بقوله تعالى (ولا تزر) أي نفس (وازر) أي أمة أي لا تحمل (وزر) نفس (أخرى) بل انما تحمل وزرها فقط (فان قيل) ورد أن المظلوم يأخذ من حسنات الظالم فاذا لم يوف يؤخذ من سيئات المظلوم وتطرح على الظالم (أجيب) بأن ذلك بسببه فهو كفعله (فان قيل) قد ورد أن الميت يعذب ببكاء أهله (أجيب) بأن ذلك محمول على ما اذا أوصى بذلك وكان ذلك الفعل كقول طرفة بن العبد

اذامت فانعيني بما أنا أهله \* وشقي على الجيب يا ابنة عبيد

وعليه حل الجهور والابخار الواردة بتعذيب الميت على ذلك (فان قيل) ذنب الميت فيما اذا أوصى أو أمر بذلك فلا يختلف عذابه بامثالههم وعدمه (أجيب) بأن الذنب على السبب به عظيم بوجود المسبب وشاهده من سن سنة سينة الخ وقال الشيخ أبو حامد ان ما ذكر محمول على الكافر وغيره من أهل الذنوب ثم قال تعالى (وما كنا) أي على ما لنا من القدرة (معذبين) أبداً (حتى نبعث رسولا) يبين له ما يجب عليه فن بلغته دعوته فخالف أمره واستكبر عن اتباعه عذبا بما يستحقه وهذا أمر قد تحقق بإرسال آدم عليه السلام ومن بعده من الانبياء الكرام عليهم السلام في جميع الامم قال تعالى ولقد أرسلنا في كل أمة رسولا وقال تعالى وان من أمة الا خلا فيها نذير فان دعوتهم الى الله تعالى قد انتشرت وعمت الاقطار واشتهرت (فان قيل) الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسول لان معهم أدلة العقل التي بها يعرف الله تعالى وقد أغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستحقاقهم العذاب لا غفالههم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا اغفال الشرائع التي لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها الا يصح الا بعد الايمان (أجيب) بأن بعثة الرسول من جملة التنبية على النظر والايضاظ من رقة الغفلة لئلا يقولوا انا كنا عن هذا غافلين فهـ لا بعثت النار رسولا يبينها على النظر في أدلة العقل وفي الآيات دليل على أن لا وجوب قبل الشرع \* (فائدة) في حكم أهل القترتين بين نوح وادريس وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهم ثلاثة عشر قسما ستة بعداء وأربعة أشقياء وثلاثة تحت المشيئة فأما السعداء فقسم واحد الله تعالى بنور وجوده في قلبه كقسم بن ساعدة فانه كان يقول اذا سئل هل لهذا العالم اله قال البعرة تدل على البعير وأثر الاقدام يدل على المسير وقسم واحد الله تعالى بما تجل لقلبه من النور الذي لا يقدر على دفعه وقسم ألقي في نفسه وأطلع من كشفه على منزلة محمد صلى الله عليه وسلم فأمن به في عالم الغيب وقسم اتبع له حق من تقدمه وقسم طالع في كتب الانبياء فعرف شرف محمد صلى الله عليه وسلم فأمن به وقسم آمن بنبيه الذي أرسل اليه وأدرك رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وأمن به فله أجران وأما الاشقياء فقسم عطل لاعن تطربل عن تقليد وقسم عطل بعدما ثبت لاعن استقصاء بنظر وقسم أشرك عن

تقليد محض وقسم علم الحق وعائده وأما الذي تحت المشيئة فقسم عطل فلم يقر بوجوده عن نظر  
 قاصر لضعف في مزاجه وقسم أشرك عن نظر أخطأ فيه وقسم عطل بعدما أثبت لا عن نظر  
 بلغ فيه أقصى القوّة هكذا قسم محيي الدين بن عربي في الباب العاشر من القوتوحات المكّية نقل  
 ذلك عنه شيخ وقته الشيخ عبد الوهاب الشعراني ونقل عن السيوطي أن أبوي النبي  
 صلى الله عليه وسلم لم تبلغه الدعوة والله تعالى يقول وما كنا معذّبين حتى نبعث رسولا  
 وحبكم من لم تبلغه الدعوة أنه يموت ناجيا ولا يعذب ويدخل الجنة قال وهذا مذهب  
 لا خلاف فيه بين المحققين من أئمتنا الشافعية في الفقه والاشاعرة في الأصول ونص على ذلك  
 الإمام الشافعي رضي الله عنه وتبعه على ذلك الأصحاب قال السيوطي وقد ورد في الحديث  
 أن الله تعالى أحبّ أبو به حتى أمناه وعلى ذلك جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البغدادي  
 وأبو القاسم بن عساكر وأبو حفص بن شاهين والسهيلي والقرطبي والطبري وابن المنير وابن  
 سيد الناس وابن ناصر الدين البمشقي والصفدي وغيرهم والاولى لنا الامساك عن ذلك فان  
 الله تعالى لم يكلفنا بذلك ونكل الامر في ذلك الى الله تعالى ونقول كما قال النووي لما سئل  
 عن طائفة ابن عربي تلك أمة قد دخلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا  
 يعملون \* ولما أشارت تعالى الى عذاب المخالفين قرأ أسبابه وعرف أنها بقدره وان قدره  
 لا يمنع حقوق العذاب بقوله تعالى (واذا أردنا) أن نحبي قرية الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة  
 ألقينا في قلوب أهلها الامتثال أو أمرنا بالتصديق باتباع رسلنا واذا أردنا (ان نهلك قرية) في  
 الزمن المستقبل (أمرنا) أي بما لنا من القدرة التامة الشاملة (مترفيا) أي منعمين الذين  
 لهم الامر والنهي قال الاكثرون أمرهم الله تعالى بالطاعة والخير على لسان رسوله (ففسقوا  
 فيها) أي خرجوا عن طاعة الله ورسوله وقال صاحب الكشاف ظاهر اللفظ يدل على أنه تعالى  
 يأمرهم بالفسق فيفسقون الا أن هذا مجاز ومعناه أنه يفتح عليهم أبواب الخيرات والراحات  
 فعند ذلك تمردوا واطغوا وابتغوا قال والدليل على أن ظاهر اللفظ يقتضي ما ذكرناه ان المأمور به  
 انما حذف لان قوله ففسقوا يدل عليه يقال أمرته فقام وأمرته فقرأ لا يفهم منه الا أن المأمور  
 به قيام وقراءة فكذا هنا لما قال أمرنا مترفيا ففسقوا فيها واجب أن يكون المعنى أمرنا هم  
 بالفسق ففسقوا لا يقال يشكل هذا بقولهم أمرته فعصاني وخالفني فان هذا كلام لا يفهم  
 منه أني أمرته بالمعصية والمخالفة لاننا نقول ان المعصية منافية للامر ومناقضة له فيكون كونها  
 مأمورا بها مخالفا لها هذه الضرورة تركا لهذا الظاهر انتهى قال الرازي ولقائل أن يقول كما  
 أن قوله أمرته فعصاني يدل على أن المأمور به شيء غير المعصية من حيث ان المعصية منافية  
 للامر ومناقضة له فكذلك قوله أمرته ففسق يدل على ان المأمور به غير الفسق لان الفسق عبارة  
 عن الايمان به فكونه فسقا ينافي كونه مأمورا به كما أن كونه معصية ينافي كونها مأمورا بها  
 فوجب أن يدل هذا اللفظ على أن المأمور به ليس بفسق وهذا الكلام في غاية الظهور ولم أدر لم  
 أصر صاحب الكشاف على قوله مع ظهور فساده فثبت أن الحق ما ذكر الكل وهو أن المعنى

أمرناهم بالأعمال الصالحة وهي الإيمان والطاعة والقوم خالفوا ذلك الأمر عناداً أو أقدموا  
 على الفسق (حقق عليها القول) أي الذي توعدناهم به على لسان رسولنا (قدمناها تدميراً)  
 أي أهلكناها باهلاك أهلها وتخريب ديارهم وخص المترفين بالذكر لأن غيرهم تبعهم ولا نهم  
 أمرع إلى الجحافة وأقدر على الفجور وقيل معناه كثرتنا وروى الطبراني وغيره حديثاً خيراً المال  
 سكة مأبورة ومهرة مأبورة أي كثيرة النتاج والسكة بكسر السين وتشديد الكاف الطريقة  
 المصطفة من النخل والمأبورة الملقحة قال ذلك الجوهري وروى أن رجلاً من المشركين  
 قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني أرى أمر لك هذا حقيراً فقال صلى الله عليه وسلم  
 انه سيأمر أي سيكثر وسيكبر وعن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنها أن النبي  
 صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم  
 من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بين اصبعيه الابهام والتي تليها قالت زينب قلت  
 يا رسول الله أنهم لك وفينا الصالحون قال نعم اذا ~~كثرت~~ كثرت الخبيث أي الشر وويل يقال لمن وقع  
 في مهلكة أو أشرف أن يقع فيها وقوله تعالى (وكم أهلكنا) أي بما لنا من العظمة ويعني مدلول كم  
 بقوله تعالى (من القرون) أي المكذبين (من بعد نوح) كعاد وعود من الام الماضية يخوف  
 به الكفار أي كفار مكة قال عبد الله بن أبي أوفى القرن عشرون ومائة سنة وقيل مائة سنة  
 روى عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بشر المازني ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على  
 رأسه وقال سيعيش هذا الغلام قرناً قال محمد بن القاسم مازلنا نعد له حتى تمت له مائة سنة ثم مات  
 وقال السكبي القرن ثمانون سنة وقيل أربعون ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (وكني  
 بربك) أي المهسن اليك (بذنوب عباده خيراً بصيراً) أي عالمياً يواظبها وظواهرها فكم من  
 انسان كنتم ترونه من أكابر الصالحين ثم استقرت عاقبته على خلاف ذلك وكم من شخص ترونه  
 مجتهداً في العبادة فاذا اخلا بارز به بالعظائم وتقدم الخبر لتقديم متعلقه \* ولما قرأ أنه سبحانه  
 ودمالى عالم يواظب عباده وظواهرهم قسهمهم الى قسمين الاقل قوله تعالى (من كان يريد  
 العاجلة) أي الدنيا مقصوراً عليها هم (بجعلنا فيها) أي العاجلة بأن نقيض عليه من منافقها  
 (مانشاء) أي من البسط والتقدير (لمن يريد) أي ان نفعه به ذلك فقيد تعالى الامر بقيد  
 أحدهما تقييد المجهل بإرادته ومشيتته والثاني تقييد المجهل له بإرادته وهكذا الحال ترى كثيراً  
 من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضاً منه وكثير منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه  
 فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة \* (تنبيه) \* لمن يريد بدل بعض من كل من الضمير في له  
 باعادة العامل تقديره لمن يريد تعجيله له ويقال ان الآية في المنافقين كانوا يراون المسلمين  
 ويقرون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونصوها وهذا هو المناسب لقوله تعالى  
 (ثم جعلنا وجههم ثم يصلها) أي في الآخرة (مذموماً) أي مقعولاً به الذم (مدحوراً) أي  
 مدفوعاً مطروداً مبعداً وان ذكره البيضاءى بصيغة قبل \* ثم ذكر تعالى القسم الثاني وشرط فيه  
 ثلاثة شروط الاقل قوله تعالى (ومن أراد الآخرة) أي أراد بعمله ثواب الآخرة فإنه ان لم ينو

ذلك لم ينتفع بذلك العمل لقوله تعالى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وقوله صلى الله عليه وسلم انما  
الاعمال بالنيات الثاني قوله تعالى (وسعى لها سعيها) وذلك يقتضى أن يكون ذلك العمل من  
باب القرب والطاعات وكثير من الضلال يتقربون بعبادة الاوثان ولهم فيها تأويلات أحدها  
انهم يقولون الله العالم أجل وأعظم من أن يقدر الواحد منا على اظهار عبوديته وخدمته  
ولكن غاية قدرتنا أن نشغل بعبادة بعض المقتر بين من عباد الله بأن نشغل بعبادة كوكب  
أو ملك من الملائكة ثم ان الملك أو الكوكب يشغل بعبادة الله تعالى فهو لا يتقربون الى  
الله تعالى بهذا الطريق وهذه طريقة فاسدة فلا جرم أنه لم ينتفع بها ثانياً انهم قالوا اتخذنا هذه  
التماثيل على صورة الانبياء والاولياء والمراد من عبادتها أن تصير تلك الانبياء والاولياء شفعا  
لنا عند الله وهذا الطريق أيضا فاسد فلا جرم لم ينتفع بها ثالثاً أنه نقل عن أهل الهند أنهم  
يتقربون الى الله بقتل أنفسهم تارة وبأحراق أنفسهم أخرى وهذه الطريقة أيضا فاسدة فلا  
جرم لم ينتفع بها وكذا القول في جميع الفرق المبطلين الذين يتقربون الى الله تعالى بعبادتهم  
الباطلة الثالث قوله تعالى (وهو مؤمن) لان الشرط في كون أعمال البر مقتضية للشواب هو  
الايان فان لم يوجد لم يحصل المشروط وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلاث لم ينتفع عمله  
ايان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية ثم انه تعالى أخبر عن وجود هذه  
الشروط بقوله تعالى (فاولئك) أى العالو الرتبة لجمعهم الشرائط الثلاثة (سعيهم  
مشكورا) أى مقبولا مثابا عليه بالتضعيف وبعضهم يفتح له أبواب الدنيا مع ذلك كداود  
وسليمان عليهما السلام ويستعمله فيها بما فيه مرضاة الله تعالى وبعضهم يزويها عنه كرامة  
له لاهوانابه فربما كان الفقر خيرا له وأعون على مراده فالحاصل أنها ان وجدت عند الولي  
لم تشرفه وان عدمت عنه لم تحقره وانما التشریف وغيره عند الله تعالى بالأعمال \* (تنبيه) \*  
كل من أتى بفعل اما أن يقصد به تحصيل خيرات الدنيا واما أن يقصد به خيرات الآخرة واما أن  
يقصد به مجموعهما واما أن لا يقصد به واحدا منهما فان قصد به تحصيل الدنيا فقط أو تحصيل  
الآخرة فقط فانه ذكر حكم هذين القسمين في هذه الآية وأما القسم الثالث فيقسم الى ثلاثة  
اقسام اما أن يكون طلب الآخرة واجها أو مرجوحا أو يسكون الطالبان متعادلين فان كان  
طلب الآخرة واجها فهل يكون هذا العمل مقبولا عند الله تعالى فيه رأيان أحدهما أنه غير  
مقبول لقوله صلى الله عليه وسلم حايك عن الله تعالى أنه قال أنا أغنى الأغنياء عن الشرك من عمل  
عملا أشرك فيه غيرى تركته وشركه وأيضا طلب رضوان الله اما أن يكون سببا مستقلا لكونه  
باعثا لهم على ذلك الفعل وداعيا اليه واما أن لا يكون فان كان الاقل امتنع أن يكون لغیره  
مدخل في ذلك البعث والدعاء لان الحكم اذا أسند لسبب تام كامل امتنع أن يكون لغیره مدخل  
فيه وان كان الثاني فيكون الداعي الى ذلك الفعل هو المجموع وذلك المجموع ليس هو طلب  
رضوان الله لان المجموع الحاصل من الشئ ومن غيره يجب أن يكون مغاير الطلب ورضوان  
الله فوجب أن لان يكون مقبولا الراى الثاني أنه مقبول لان طلب الآخرة لما كان واجها على

طلب الدنيا تعارض المثل بالمثل فبقى القدر الزائد داعية خالصة لطلب الآخرة فوجب كونه مقبولاً وأما إذا كان طلب الدنيا وطلب الآخرة متعادلين أو كان طلب الدنيا راجحاً فقد اتفقوا على أنه غير مقبول إلا أنه على كل حال خير مما إذا كان طلب الدنيا خالياً بالكلمة عن طلب الآخرة وأما القسم الرابع وهو الأقدام على الفعل من غير داع فهذا مبني على أن صدور الفعل من القادر هل يتوقف على حصول الداعي أم لا فالذين يقولون أنه يتوقف على حصول الداعي قالوا هذا القسم ممنوع الحصول والذين قالوا لا يتوقف قالوا هذا الفعل لا أثر له في الباطن وهو محرم في الظاهر لانه عبث \* ثم انه تعالى قال (كَلَّا) أي من الفريقين مرید الدنيا ومرید الآخرة (عَدَّ) أي بالعطاء ثم أبدل من كَلَّا قوله تعالى (هَوَلَاءَ) أي الذين طلبوا الدنيا ثم (وهو لاء) أي الذين طلبوا الآخرة ثم (من عطاء ربك) أي المحسن اليك ان ضيق على مؤمن فبالحماية من الدنيا الفانية التي انما هي لعب ولهو وان وسع فبالاستعمال فيها على حسب ما يرضيه (وما كان عطاء ربك) أي الموجد لك المدبر لامرك (مخظورا) أي ممنوعاً في الدنيا عن مؤمن ولا كافر بل هو ملء السهل والجبل من الذهب والفضة والحديد والنحاس والجواهر والخمير وأقوات الناس والبهائم وغير ذلك مما لا يحصى الا الله تعالى حتى لو اجتمع كل الناس على جمعه ليلاً ونهاراً ولم يكن لهم شغل سوى ذلك لأعيانهم ولم يقدروا عليه فسبحان الجواد المعطي المانع ثم انه تعالى أمر بالنظر في عطائه هذا على وجهه مرغب في الآخرة من همد في الدنيا بقوله تعالى (انظر) أي أيها الانسان أو يا محمد (كيف فضلنا بعضهم على بعض) فأوسعنا على مؤمن وقترنا على مؤمن آخر وأوسعنا على كافر وقترنا على كافر آخر وبين سبحانه وتعالى وجه الحكمة في التفاوت في سورة الزخرف بقوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات الآية وقال تعالى في آخر سورة الانعام ورفع بعضكم فوق بعض درجات \* (تنبيه) \* كيف نصب اتماماً على التشبيه بالظرف واما على الحال وهي معلقة لانظر بمعنى فكروا وأبصر \* ولما نبه تعالى على ان ما تراه من التفضيل انما هو بمحض قدرته أخبر ان ما بعد الموت كذلك بقوله تعالى (وللاخرة أكبر) أي أعظم (درجات وأكبر تفضيلاً) من درجات الدنيا ومن تفضيلها فان نسبة التفاضل في درجات الآخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الآخرة الى الدنيا فان كان الانسان تشتد رغبته في طلب فضيلة الدنيا قبل ان تقوى رغبته في طلب الآخرة أخرى لانها دار المقامة روى أن قوماً من الاشراف فن دونهم اجتمعوا يباب عمر رضى الله تعالى عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على أبي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما أوتينا من قبلنا انهم دعوا دعياناً يعني الى الاسلام فأمرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة \* ولما بين تعالى ان الناس فريقان منهم من يريد بعمله الدنيا فقط وهم أهل العذاب ومنهم من يريد طاعة الله وهم أهل الثواب ثم شرط في ذلك ثلاثة شروط فصل تلك المجالات وبدأ أولاً بشرح حقيقة الايمان وأشرف أجزاء الايمان هو التوحيد ونفي الشريك والاضداد بقوله تعالى (لا تجعل مع الله)

أى الذى له جميع صفات الكمال (الها آخر) قيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم  
 والمراد غيره والاولى أنه للانسان فيكون خطابا عامًا لكل من يصلح أن يخاطب به (فتقدم)  
 أى فيسبب عن ذلك أن تقدم أى تصير في الدنيا قبل الآخرة (مذمومًا مخذولًا) لأن المشرك  
 كاذب والكاذب يستوجب الذم والخذلان ولأنه قد ثبت بالدليل أنه لا اله ولا مدبر الا الله تعالى  
 فحينئذ تكون جميع النعم حاصله من الله تعالى فمن أشرك بالله فقد أضف بعض تلك النعم الى  
 غير الله فاستحق الذم والخذلان \* (تنبيه) \* قال الواحدى قوله تعالى فتقدم انتصب لانه وقع  
 بعد الفاء جوابا للنهي وانتصابه باضمان ان كقولك لا تنقطع عنا فنجفوك والتقدير لا يكن منك  
 انقطاع فيحصل أن نجفوك فابعد الفاء متعاقبا بالجملة المتقدمة بحرف الفاء وانما سماء الخويون  
 جوابا لكونه مشابها للجزء وأن الثانى مسبب عن الاقل كما تقرّر \* وما ذكر تعالى ما هو الركن  
 الاعظم في الايمان أتبعه بذكر ما هو من شعائر الايمان وشرائعه وذلك أنواع الاقل أن يشتغل  
 الانسان بعبادة الله تعالى ويتحرز عن عبادة غيره وهذا هو المراد من قوله تعالى (وقضى) أى  
 أمر (ربك) أى المحسن اليك وقوله تعالى (أن لا تعبدوا) أى أنت وجميع أهل دعوتك وهم  
 جميع الناس (الاياه) فيه وجوب عبادة الله تعالى والمنع من عبادة غيره لأن العبادة عبارة  
 عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا تليق الا بمن له الانعام والافضال على  
 عباده ولا منم الا الله تعالى فكان هو المستحق للعبادة لا غيره \* (تنبيه) \* روى سيون بن مهران  
 عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية كان الاصل ووصى بك فالتصقت احدى الواوين  
 بالصاد فقرأ وقضى بك ثم قال ولو كان على القضاء ما عصى الله أحد قط لان خلاف قضاء  
 الله ممنوع وهذا القول كما قاله الرازى بعيد جدا اذ لو فتح هذا الباب لارتفع الامان عن القرآن  
 وذلك يخرج عن كونه حجة ولا شك أنه طعن عظيم في الدين ويندفع ما قاله بما فسر قضى به  
 \* وما أمر تعالى بعبادة نفسه اتبعه بالامر ببر الوالدين بقوله تعالى (وبالوالدين) أى وأحسنوا  
 أى وأوقعوا الاحسان بهما (احسانا) أى بأن تبرؤهما اليك كون الله معكم فإنه مع الذين  
 اتقوا والذين هم محسنون \* (تنبيهان) \* أحدهما المناسبة بين الامر بعبادة الله تعالى والامر  
 ببر الوالدين من وجوه الاقل أن السبب الحقيقي لوجود الانسان هو تخليق الله تعالى وابعاده  
 والسبب الظاهر هو الابوان فأمر الله تعالى بتعظيم السبب الحقيقي ثم اتبعه بالامر بتعظيم  
 السبب الظاهري الثانى ان الموجودات اقدم واما محدث ويجب أن تكون معاملته الانسان  
 مع الموجودات القديم بالتعظيم والعبودية ومع المحدث باظهار الشفقة وهو المراد من قوله صلى  
 الله عليه وسلم التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وأحق الخلق بالشفقة الابوان لكثرة  
 انعامهم على الانسان فقوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه اشارة الى التعظيم لامر  
 الله تعالى وقوله تعالى بالوالدين احسانا اشارة الى الشفقة على خلق الله الثالث ان الاشتغال  
 بشكر المنعم واجب ثم المنعم الحقيقي هو الخالق سبحانه وتعالى وقد يكون بعض المخلوقين منعمًا  
 عليك وشكره أيضا واجب لقوله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله وليس لاحد

من الخلائق نعمة على الانسان مثل الابوين لان الولد قطعة من الوالدين قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني وايضا ثقة الوالدين على الولد عظيمة وايصال الخير الى الولد منها امر طبيعي واحترازها ما عن ايصال الضرر اليه امر طبيعي ايضا فوجب أن تكون نعم الوالدين على الولد كثيرة بل هي أكبر من كل نعمة تصل من الانسان الى الانسان وايضا حال ما يكون الانسان في غاية الضعف ونهاية العجز يكون انعام الابوين في ذلك الوقت واصلا الى الولد واذا وقع الانعام على هذا الوجه كان موقعه عظيما وايضا فايصال الخير الى الغير قد يكون لداعية ايصال الخير اليه وايصال الخير الى الولد ليس لهذا الغرض فكان الانعام فيه أتم وأكمل فثبت بهذه الوجوه أنه ليس لاحد من المخلوقين نعمة على غيره مثل مال الوالدين على الولد فلهذا بدأ الله بشكر نعمة الخالق وهو قوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه ثم أردفه بشكر نعمة الوالدين وهو قوله تعالى وبالوالدين احسانا (فان قيل) الوالدان انما يطلبان تحصيل اللذة لانفسهما فلزم منه دخول الولد في الوجود ودخوله في عالم الآفات والمخالفات فأى انعام للابوين على الولد حتى ان بعض المتسمين بالحكمة كان يضرب أباه ويقول هو الذي أدخلني في عالم الكون والفساد وعرضني للموت والفقر والعمى والزمانة وقيل لابي العلاء المعري ماذا نكتب على قبرك فقال اكتبوا على قبري هذا جنانية أبي علي وما جنيت على أحد وقال في ترك التزوج والولد

وتركت فيهم نعمة العدم التي \* فيهم لقد سبقت نعيم العاجل

ولو أنهم ولدوا العاونا شدة \* ترحم بهم في موبقات الآجل

وقيل لاسكندر استاذك أعظم منة عليك أم والدك فقال أستاذي أعظم منة لانه تحمل أنواع الشدائد عند تعليمي فأوقعني في نور العلم وأما الوالد فانه طاب تحصيل لذة الوقاع لنفسه فأخرجني الى آفات عالم الكون والفساد ومن الكلمات المأثورة المشهورة خير الآباء من علمك (أجيب) بأنه وان كان له في أول الامر طلب لذة الوقاع الا أن الاهتمام بايصال الخيرات اليه ودفع الآفات عنه من أول دخوله في الوجود الى وقت بلوغه الكبر أليس أنه أعظم من جميع ما يصل اليه من جهات الخيرات والمبرات فسقطت تلك الشبهات (التبسيه الثاني) ان لفظ الآية يدل على معان كثيرة كل واحد منها يوجب المبالغة في الاحسان الى الوالدين منها أنه تعالى قال في الآية المتقدمة ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ثم أردفه بهذه الآية المشتملة على الاعمال التي بواسطتها يحصل الفوز بسعادة الآخرة وجعل من جعلها البر بالوالدين وذلك يدل على أن هذه الطاعة من أصول الطاعات التي تفيد سعادة الآخرة ومنها أنه تعالى بدأ بذكر الامر بالتوحيد وثى بطاعة الله تعالى وثالث ببر الوالدين وهذه درجة عالية ومبالغة عظيمة في تعظيم هذه الطاعة منها أنه تعالى لم يقل واحسانا بالوالدين بل قال وبالوالدين احسانا لتقديم ذكرهما يدل على شدة الاهتمام بهما ومنها أنه تعالى قال احسانا بلفظ التنكير والتسكير يدل على التعظيم أي احسانا عظيما كما دلالات احسانها اليك

قد بلغ الغاية العظيمة فوجب أن يكون احسانك اليهما كذلك ثم على جميع التقديرات لا تحصل  
 المكافأة لان انعامهما عليك على سبيل الابتداء وفي الامثال المشهورة ان البادئ بالبر لا يكافأ  
 • ولما كان سبحانه وتعالى عليهما بما في الطباع من ملال الولد لهما عند أخذهما في السن قال  
 تعالى (اما) مؤكدا بادخال ما على ان الشرطية لزيادة التقرير للمعنى اهتما ما بشأن الوالدين  
 (يلغز عندك الكبر) أي كان يضطر اليك في حالة الضعف والعجز فلا يكون لهما كافل غيرك  
 فصبرا عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في أوله (أحدهما أو كلاهما) وقرأ حمزة والسكاساني  
 بألف بعد العين وكسر النون فالالف ضمير الوالدين لتقدم ذكرهما وأحدهما بدل منه أو كلاهما  
 عطف عليه فاعلا أو بدلا (فان قيل) هلا كان كلاهما تو كيدا ابدا أجيب بأنه معطوف على  
 ما لا يصح أن يكون تو كيدا لاتنين فوجب أن يكون مثله (فان قيل) لم لا يجوز أن يكون أحدهما  
 بدلا وكلاهما ما تو كيدا ويكون ذلك عطفًا للتوكيد على البديل (أجيب) بأن العطف يقتضي  
 المشاركة فجعل أحدهما بدلا والآخر تو كيدا لخلاف الاصل وقرأ الباقر وغير ألف وفتح النون  
 والاعراب على هذا ظاهر وجميع القراء يشددون النون ثم انه تعالى أمر الانسان في حق  
 والديه بخمسة أشياء الأول منها قوله تعالى (فلا تقل لهما - ما أف-) أي لا تتضجر منهما قال  
 الزجاج أف معناه التنن وهذا قول مجاهد لانه قال معنى قوله فلا تقل لهما - ما أف أي لا تتقدراهما  
 كما انهم ما كانوا يتقدرا ان منك حين كنت تخرا وتبول وفي رواية أخرى عن مجاهد اذا وجدت  
 منهم مائة توديك فلا تقل لهما أف فلقد بالغ سبحانه وتعالى بالوصية بهما حيث شفع  
 الاحسان اليهما بتوحيده وتطمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في مراعاتهم - ما  
 حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من التضجر مع موجبات الضجر ومقتضى يانه ومع أحوال  
 لا يكاد يدخل صبرا لانسان معها في الاستطاعة وقد قال صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق  
 الوالدين فان الجنة يوجد ويحجم مع مسيرة أف عام ولا يجدر ويحجم عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ  
 زان ولا جازازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين  
 فقال لا يقوم الى خدمتهما عن كسل وقرأ نافع وحفص بالتنوين في القاء مع الكسر وابن  
 كثير وابن عامر بفتح القاء من غير تنوين والباقر بكسر القاء من غير تنوين الثاني  
 قوله تعالى (ولا تنهرهما) أي لا تزجرهما عما يطيبانه مما لا يوجبك يقال نهره وانهره اذا  
 استقبله بكلام يزجره قال تعالى وأما السائل فلا تنهر (فان قيل) المنع من التأنيف يدل على  
 المنع من الانتهاز بالاولى فما فائدة ذكره (أجيب) بأن المراد بالمنع من التأنيف المنع من  
 اظهار الضجر بالقليل والكثير والمراد من منع الانتهاز المنع من اظهار المخالفة في القول  
 على سبيل الرد عليهما والتكذيب لهما الثالث قوله تعالى (وقل لهما قولا كريما) أي حسنا  
 جيلاطيا لينا كما يقتضيه حسن الادب معهما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أن يقول  
 يا أبتاه يا أمه وسئل سعيد بن المسيب رضي الله عنه عن القول الكريم فقال هو قول العبد  
 المذنب للسيد القظ الغليظ وعن عطاء أنه قال هو أن يتكلم معهما بشرط أن لا يرفع اليهما بصره



ولا يشتد اليهما نظره وذلك أن هذين القطعين يتأفان القول الكريم (فان قيل) ابراهيم الخليل عليه السلام قال لا يبه انى أراك وقومك فى ضلال مبين مع أنه عليه السلام من أعظم الناس أدبا وحلما وكرما (أجيب) بأن حق الله تعالى مقدم على حق الأبوين فأقدام ابراهيم عليه السلام على ذلك الايذاء انما كان تقديما لحق الله تعالى والرابع قوله تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) أى لا من أجل الامتثال للامر وخوف العار فقط بل من أجل الرحمة لهما بأن لا تزال تذكر نفسك بالاوامر والنواهي وبما تقدم لهم من الاحسان اليك والمقصود بالمبالغة فى التواضع وهذه استعارة بليغة قال القفال وفى تقريره وجهان الاول ان الطائر اذا أراد ضم فرخه اليه للتربيه خفض له جناحه فلهذا صار خفض الجناح كناية عن جنس التربيه فكأنه قال للولدا كقل والديك بأن تضمهما الى نفسك كما فعل ذلك بك حال صغرك والثانى أن الطائر اذا أراد الطيران نشر جناحيه ورفعهما اليرتفع واذا أراد ترك الطيران خفض جناحيه ولم يرفع جعل خفض الجناح كناية عن التواضع واللين (فان قيل) كيف أضاف الجناح الى الذل والذل لا جناح له (أجيب) بوجهين الاول أنه أضيف الجناح الى الذل كما يقال حاتم الجود فكأن المراد هنالك حاتم الجواد فكذا هنا المراد اخفض لهما جناحك الذليل الثانى أن مدار الاستعارة على الخيلان فهما تخيل للذل جناحا خفيا كما جعل ليد الشمال يدا وللقررة زماما فى قوله وغداة ربح قد كشفت وقررة \* اذا صبحت بيد الشمال زمامها فأثبتت للشمال يدا وللقررة زماما ووضع زمامها فى يد الشمال فكذا هنا ومن ظريف ما حكى أن أبا تمام لما نظم قوله

لا تسقى ماء الملام فانى \* صب قد استعذبت ماء بكاني

جاءه رجل بقصعة وقال له اعطنى شيئا من ماء الملام فقال له حتى تأتىني بريشة من جناح الذل يريد أن هذا مجاز استعاره لذلك وقال بعضهم

راشوا جناحي ثم بلوه بالندى \* فلم أستطع من حبهم أن أطيرا

الخامس قوله تعالى (وقل رب ارحهما كما ربياني مغفرا) أى لا تكف برحمتك عليهما ما التى لابقاءهما واودع الله أن يرحهما برحمته الباقية واجعل ذلك جرا طرحته ما عليك فى صغرك وتربيتهم مالك هذا اذا كانا مسلمين فان كانا كافرين فان الدعاء لهما بالرحمة منسوخ بقوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي بل يدعو الله تعالى لهما بالهداية والارشاد فاذا هداهما فقد رحهما وسئل بعضهم عن بر الوالدين فقال لا ترفع صوتك عليهما ولا تنتظر اليهما شزرا ولا يريامنك مخالفة فى ظاهر ولا باطن وأن تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة أودائهم من بعدهما لما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من أبر البر أن يصل الرجل أهل وذآبيه \* (تنبيه) \* قد ورد فى بر الوالدين أحاديث كثيرة منها ما روى عن أبي هريرة انه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحسن الناس بهيبتى فقال أمتك ثم أمتك ثم أبوك ثم أبوك ثم أدناك فأدناك

ومنها عنه أيضا أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أرغم الله أنفه أرغم الله أنفه أرغم الله أنفه قيل من يا رسول الله قال من أدرك والديه أو أحدهما لم يدخل الجنة ومنها ما روى عنه أيضا أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يجزي ولد والده الآن يجده مملوكا فبشتره فبعثته ومنها ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد فقال أحى والدك قال نعم قال فقيم ما جاهد ومنها ما رواه الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم قال رضا الرب في رضا الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين ومنها ما روى عن أبي الدرداء أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فحافظ ان ثبت أو ضيع ومنها ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العمل أحب إلى الله تعالى قال الصلاة على وقتها قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال ذلك وأصل إليه ولا شئ أنفع لهم من الاستغفار ولو كان شئ أفضل منه لا مركبه فى الوالدين واقدركم الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز الوصية بالوالدين ومنها ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال رضا الله فى رضا الوالدين وسخطه فى سخطهما ومنها ما روى عن سعيد بن المسيب أن البارئ والديه لا يموت مئة سوء ومنها ما روى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبوى باغما من الكبر أنى إلى منهما ما وليا منى فى الصغر فهل قضيتما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحببان بقاء الوالدين ففعل ذلك وأنت تريد موتهما ومنها ما رواه أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رغبتم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ورغبتم أنف رجل أتى عليه شهر رمضان فلم يغفر له ورغبتم أنف رجل أدرك أبوه الكبر فلم يدخله الجنة ومنها ما روى أن رجلا شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أباه وأنه يأخذ ماله فدهاه فاذا هو شيخ يتوكأ على عصاه فسأله فقال انه كان ضعيفا وأناقوى وفقيرا وأنا غنى فكنت لا أمنعه شئاً من مالى واليوم أنا ضعيف وهو قوى وأنا فقير وهو غنى ويصل على بماله فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما من حجر ولا مدر يسبح بهذا الابكى ثم قال للولد أنت ومالك لايك وشكا إليه أنرسوه خلق أمته فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر قال انه سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أرضعتك - ولين قال انه سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها واظمات لك نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال سمجت بها على عنقى قال ما جزيتها

وعن ابن عمر أنه رأى رجلا فى الطواف يحمل أمته ويقول

أنا لها مطية لا تذعر • إذا الر كائب نفرت لا تنقر

ما حلت وأرضعتنى أكثر • الله ربى ذوا الجلال الأكبر

تظننى جزئها يا ابن عمر قال لا والله ولا زفرة واحدة • ولما كان ما ذكر فى حق الوالدين عسرا جدا يهذر من التهاون به أشار بقوله تعالى (ربكم) أى المحسن اليكم فى الحقيقة فإنه هو الذى عطف عليكم من ربكم وهو الذى أعانهم على ذلك (أعلم) أى من كل أحد (بمافى نفوسكم)

قوله أنفع لهم كذا  
فى الاصول ولوجرى  
على ما قبله لا فرد  
ولعله راجع الى  
الاموات المة هو مين  
من الميت اه

من قصد البرّين ما وغيره فلا يظهر أحدكم غير ما يظن فان ذلك لا ينفعه ولا ينصيه الا أن يحمل  
 نفسه على ما يصحكون سبيل رحمتها (ان تكونوا صالحين) أي متقين محسنين في نفس الامر  
 والصلاح استقامة الفعل على ما يدعو الدليل اليه \* وأشار تعالى الى أنه لا يكون ذلك الا  
 بعاجلة النفس وترجيحها كربة بعد كربة بقوله تعالى (فانه كان للاولين) أي الرجاعين الى  
 الخير مرة اثر مرة بعد جراح أنفسهم عنه (عفوراً) أي بالغ التبرين وقع منه تقصير فرجع عنه  
 فانه مغفور له \* ولما حدث تعالى على الاحسان للوالدين بالخصوص عم بالامر بالاحسان لكل ذي  
 قرابة ورحم وغيره بقوله تعالى (وات ذا القربى) من جهة الاب والام وان بعد (حقه) والخطاب  
 لكل أحد أن يوقى أقاربه حقوقهم من صلة الرحم والمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمعاودة  
 ونحو ذلك وقيل ان كانوا محتاجين ومحاويج وهو موسر لزمه الاتفاق عليهم عند الامام  
 أبي حنيفة وقال الشافعي لا يلزم الانفقة الوالد على والده والولد على والده فقط وقيل المراد  
 بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم (و) آت (المسكين) حقه وان لم يكن قريباً (و) آت  
 (ابن السبيل) وهو المسافر المنقطع عن ماله ليكون متقياً محسناً \* ولما رغب تعالى في البذل  
 وكانت النفس كلما يصحكون فعلها تقوا ما بين الافراط والتفريط اتبع ذلك بقوله تعالى  
 (ولا تبذر) بتفريق المال سرفاً وهو بذله فيما لا ينبغي وقد كانت الجاهلية تبذر أموالها  
 في الفخر والسعة وتذكر ذلك في أشعارها فامر الله تعالى بالنفقة في وجوهها بما يقرب منه  
 ويزلف اليه وفي قوله تعالى (تبذيراً) تنبيه على أن الارتفاع نحو ساحة التبذير أولى من الهبوط  
 الى مضيق الشح والتقتير والتبذير بسط اليد في المال على حسب الهوى وقد سئل ابن  
 معود عن التبذير فقال انفاق المال في غير حقه وأما الجود فهو اتباع أمر الله تعالى في حقوق  
 المال وعن مجاهد لو أنفق الانسان ماله كله في الحق ما كان تبذيراً ولو أنفق مدياً باطل كان  
 تبذيراً وقد أنفق بعضهم نفقة في خيراً كما نفي له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف  
 في الخير وعن عبد الله بن عمر قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم يسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا  
 السرف يا سعد قال أوفى الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ثم نبه تعالى على قبح التبذير  
 بإضافته آياه الى أفعال الشياطين بقوله تعالى (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أي  
 على طريقتهم أو هم اخوانهم واصدقائهم لانهم يطيعونهم فيما يأمر ونهيه من الاسراف أو هم  
 قرنائهم وهم في النار على سبيل التواعد ثم انه تعالى بين صفة الشيطان بقوله تعالى (وكان  
 الشيطان) أي هذا الجنس البعيد من كل خير المحترق بكل شر (ربه) أي الذي أحسن اليه  
 بإيجاده وتربيته (كفوراً) أي ستورا لما يقدر على ستره من آياته الظاهرة ونعمته الباهرة  
 مع الحجة فلا ينبغي أن يطاع لانه لا يدعو الا الى مثل فعله قال بعض العلماء خرجت هذه الآية  
 على وفق عادة العرب وذلك لانهم كانوا يجمعون الاموال بالنهب والغارة ثم كانوا ينفقونها  
 في الخيلاء والتفاخر وكان المشركون من قريش وغيرهم ينفقون أموالهم ليصدقوا الناس عن  
 الاسلام وتوهين أهله واعانته أعدائه فنزلت هذه الآية تنبيها على قبح أفعالهم في هذا الباب

وقوله تعالى (وَمَا تَعْرَضُونَ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رِجْتِهِ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا) نزل في مهجع وبلال وصهيب  
 وسالم وخباب وكانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم في الايامين ما يحتاجون اليه ولا يجد  
 فيه عرض عنهم حياء منهم ويمسك لانتظار رزق من الله يرجوه أن يأتيه فيعطيه (فقل لهم) أي في  
 حالة الاعراض (قولاً ميسوراً) أي ذابسه يشرح صدورهم ويسيطر بجاههم لأن ذلك أقرب  
 الى طريق المتقين المحسنين قال أبو حيان روى أنه عليه الصلاة والسلام كان بعد نزول هذه  
 الآية اذالم يكن عنده ما يعطى وسئل يقول يرزقنا الله تعالى واياكم من فضله انتهى وقد وقع  
 هذا الابتغاء موضع الفقد لأن فاقد الرزق ميتغ له فكان الفقد سبباً للابتغاء والابتغاء سبباً عنه  
 فوضع المسبب موضع السبب ثم أمر تعالى نبيه بما وصف له عباده المؤمنين في الاتفاق في سورة  
 الفرقان بقوله تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً فقال تعالى  
 (ولا تجعل يدك) أي بالجل (مغلولة) أي كأنها بالمنع مشدودة بالغل (الى عنقك) أي  
 لا تستطيع مدها أي لا تمسك عن الاتفاق بحيث تضيق على نفسك وأهلك في وجوه صالحة  
 الرحم وسبيل الخيرات والمعنى لا تجعل يدك في انقباضها كالمغلوله الممنوعة من الاتساع  
 (ولا تبسطها) بالبذل (كل البسط) فتبذر بحيث لا يبقى في يدك شيء ذكر الحكاه في كتب  
 الاخلاق أن لكل خلق طرفي افراط وتفریط وهما مذمومان والخلق القاضل هو العدل  
 والوسط فالبذل افراط في الامسالك والتبذير افراط في الانفاق وهما مذمومان والمعتدل هو  
 الوسط وعن جابر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبي فقال يا رسول الله ان أي تستكسبك  
 درعا أي قيصا ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قيصه فقال للصبي من ساعة الى ساعة  
 هذا متعلق بمخروف أي آخر سؤالك من ساعة ليس لنا فيها درع الى ساعة يظهر لنا فيها درع فعند  
 الينا فذهب الى أمه فقالت له قل له ان أي تستكسبك الدرع الذي عليك فدخل رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم وزرع قيصه فأعطاه وقعد عريانا أي في ازار ونحوه فأذن بلال بالصلاة  
 فانتظره فلم يخرج فشغل قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فراءه عريانا فأنزل الله تعالى ولا تجعل  
 يدك مغلوله الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتعطي جميع ما عندك • (تنبيه) • ما ذكرته  
 عن جابر تبعاً للكشاف والبيضاوي والرازي وغيرهم قال الولي العراقي لم أوقف عليه وكذا  
 قال الحافظ ابن حجر وقد يقال من حفظ حجة على من لم يحفظ (فتعقد) أي توجد كالتعقد  
 (ملوما) أي يبلغ الرسوخ فيما يلام بسببه عند الله لأن ذلك مما نهى الله عنه عند نفسك  
 وعند الناس لأنه يلوم نفسه وأصحابه أيضا يلومونه على تضييع المال بالكفاية (مخسورا)  
 أي منقطعاً بك لذهب ما تقوى به قال القفال شبه حال من أنفق كل ماله بمن انقطع في سفره  
 بسبب انقطاع مطيته لأن ذلك المقدار من المال كأنه مطية تحمل الانسان الى آخر الشهر  
 والستة كما أن ذلك البعير يظلمه ويلقه الى آخر المنزل فإذا انقطع ذلك البعير بقي في وسط الطريق  
 عاجزاً مضيراً فكذلك الانسان اذا أنفق مقدار ما يحتاج اليه في مدة شهر في أقل منه بقي في وسط  
 ذلك الشهر عاجزاً مضيراً ومن فعل ذلك لحقه اللوم من أهله والمحتاجين الى انفاقه عليهم بسبب

سوء تدبيره وترك الحزم في مهمات معاشه ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (ان ربك) أي  
المحسن اليك (يسط الرزق) أي يوسع (لمن يشاء) البسطون غيره (ويقدر) أي يضيقه سواء  
قبض يده أم بسطها لان الرب هو الذي يربي المربوب ويقوم باصلاح مهماته ورفع درجاته  
على مقدار الصلاح في الصواب فيوسع الرزق على البعض ويضيقه على البعض لان ذلك  
هو الصلاح قال تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء  
(انه كان بعباده خبيراً) أي بالغ الخبر (بصيراً) أي بالغ البصر بما يكون من كل من القبض  
والبسط لهم مصلحة ومفسدة فالتفاوت في انه ربي العباد ليس لاجل بخل بل لاجل رعاية مصلحة  
لا يلم بها العبد فسبحان المتصرف في عباده كيف يشاء \* ولما أتم سبحانه وتعالى الوصية بالاصول  
وما يتبع ذلك أوصى بالفروع بقوله تعالى (ولاتقتلوا اولادكم) فذكرهم بلفظ الولد الذي هو  
داعية الى الخنوع والعطف (خشية اطلاق) أي فقر متوقع لم يقع بعد ثم وصل بذلك استثناء فاف  
بقوله تعالى (نحن نرزقهم واياكم) مقدماً ضميراً الاولاد لكون الاملاق مترقباً من الاتفاق عليهم  
ثم علل تعالى ذلك بما هو أعم منه فقال تعالى (ان قتلهم) أي مطلقاً لهذا وغيره (كان خطأ) أي  
انما (كبيراً) أي عظيماً وقرأ ابن كثير بفتح الطاء ومتبعتها متصلاً وقرأ ابن ذكوان بفتح  
الخاء والطاء ولا متبعتها الطاء والباقون بكسر الخاء وسكون الطاء قال الرماني الخطاء بكسر  
ثم سكون لا يكون الا تعمد الى خلاف الصواب والخطأ أي محر كما قد يكون من غير تعمد وانما  
وجب بر الاولاد لاموراً أحدها أنهم في غاية الضعف ولا كافل لهم غير الوالدين وانما وجب  
بر الوالدين مكافأة لما صدر منهم من أنواع البر الى الولد الثاني أن امتناع الآباء من البر بالاولاد  
يقضي خراب العالم الثالث أن قرابة الولادة قرابة الجزئية والبعضية وهي من أعظم الموجبات  
للمحبة فلولم تحصل المحبة دل ذلك على غلط شديد في الروح وقسوة في القلب وذلك من أعظم  
الاخلاق الذميمة فرغب الله تعالى في الاحسان الى الاولاد اذ اراد الهذه الخصلة الذميمة وبر تعالى  
بالاولاد ليشمل الاناث فان العرب كانوا يقتلون البنات لعجز البنات عن الكسب وقدرة البنين  
عليه بسبب اقدمهم على النهب والغارة عليهم وأيضاً كانوا يخافون أنهم بعد كبرهن تفقد  
أكفأهن فيحتاجون الى انكاحهن من غير أكفأ وفي ذلك عار شديد فنهاهم الله تعالى عن ذلك  
فان الموجب للرحمة والشفقة هو كونه ولداً وهذا المعنى وصف مشترك بين الذكور والاناث  
وأما ما يخاف من الفقر في البنات فقد يخاف مثله في الذكور في حال الصغر وقد يخاف أيضاً  
في العاجزين من البنين وكما أنه سبحانه وتعالى يفتح أبواب الرزق على الذكور فكذلك على  
الاناث \* ولما كان في قتل الاولاد حظ من البخل وفي فعل الزناداع من الاسراف أتبعه به فقال  
تعالى (ولاتقربوا الزنا) أدنى قرب ولو يفعل شيء من مقدماته وانما أتى تعالى بالقربان تعظيماً له  
لمخفيه من المفاسد الجارية الى الفتن بالقتل وتضييع النسب والتسبب في ايجاد نفس بالباطل  
وغير ذلك ثم علل تعالى النهي عن ذلك بقوله تعالى مؤكداً ابلاغاً في التنفير عنه لما للنفس من  
شدة الداعية اليه (انه كان فاحشة) أي فعله ظاهرة القبح زائدة وقد نهاكم الله تعالى عن

الفحشاء في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايته ذى القربى وينهى عن الفحشاء  
 الاية (وسا) أى وبش الزنا (سبيلا) أى طريقا طريقه ثم نهى سبحانه وتعالى عن القتل مطلقا  
 عن التقييد بالاولاد بغير حق بقوله تعالى (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله) أى بالاسلام والعهد  
 (الابالحق) وهو المبيع للقتل من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى  
 ثلاث رجل كفر بالله بعد ايمانه أو زنى بعد احصانه أو قتل نفسا بغير حق ومثل انتقال المسلم  
 من دين الاسلام الى دين الكفر انتقال كافر من دين الى دين آخر سواء كان ذلك الدين يقر عليه  
 أم لا ومن ذلك قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وقوله تعالى انما جزاء  
 الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا واختلف الفقهاء  
 في أشياء غير ذلك منها أن تارك الصلاة كسأهل يقتل فعند الشافعي يقتل بشرط معلومة  
 وعند أبي حنيفة لا يقتل التارك كالزاني ومنها أن عمل اللواط هل يوجب القتل فعند الشافعي  
 يوجب قتل الفاعل كالزاني وعند أبي حنيفة لا يوجبها ومنها أن السارق اذا قاتل قتل فلانا  
 بسرى عمدا هل يوجب القتل فعند الشافعي يوجبها وعند أبي حنيفة لا يوجبها ومنها أن القتل  
 بالثقل هل يوجب القصاص فعند الشافعي يوجب وعند أبي حنيفة لا يوجب ومنها الامتناع  
 من أداء الزكاة هل يوجب القتل اختلفوا فيه في زمان أبي بكر رضى الله عنه ومنها أن اتيان  
 البهيمة هل يوجب القتل فعند أكثر الفقهاء لا يوجب وعند قوم يوجبها ولكل ممن ذكر أدلة  
 يستدل بها رضى الله تعالى عنهم أجمعين ثم قال تعالى (ومن قتل مظلوما) أى بأى ظلم كان من  
 غير أن يرتكب ما يبيح قتله (فقد جعلنا لولييه) أى سواء كان قريبا أم بعيدا (سأطانا) أى أمرا  
 متسلطابه وقوله تعالى (فلا يسرف في القتل) قرأ جزء والكسافي بالتاء على الخطاب أى أيها  
 الولي والباقون بالياء على الغيبة أى الولي وفسر الاسراف بوجوه الاول أن يقتل القاتل وغير  
 القاتل وذلك ان أولياء المقتول كانوا اذا قتل واحد من قبيلة شريفة قتلوا خلقا من القبيلة  
 الدنيئة فنهى الله تعالى عنه وحكم بقتل القاتل وحده الثاني ان الاسراف هو أن لا يرضى بقتل  
 القاتل فان الجاهلية كانوا يقصدون أشرف القبائل ثم يقتلون منهم قوما معينين ويتركون  
 القاتل الثالث أن الاسراف هو أن لا يكتفى بقتل القاتل بل يقتله ثم يمثل به ويقطع أعضائه قال  
 القفال ولا يعد حمله على الكل لان حمله على هذه المعاني مشترك في كونها اسرافا واختلف  
 في رجوع الهاء الى ماذا في قوله تعالى (انه كان منصورا) فقال مجاهد راجعة الى المقتول في قوله  
 تعالى ومن قتل مظلوما أى ان المقتول منصور في الدنيا بايجاب القود على قاتله وفي الآخرة  
 بتكفير خطايا واجباب النار لقاتله وقال قتادة راجعة لولي المقتول أى انه منصور على القاتل  
 باستيفاء القصاص أو الدية فليكتف بهذا القدر ولا يطمع في الزيادة وقيل راجعة الى القاتل  
 الظالم أى ان القاتل يكتفى منه باستيفاء القصاص ولا يطلب منه زيادة لانه منصور من عند الله  
 تعالى في تحريم طلب الزيادة منه وأنه اذا عوقب في الدنيا بأزيد مما فعل نصر في الآخرة وقيل  
 راجعة الى الدم وقيل الى الحق \* ولما ذكر تعالى النهي عن اتلاف النفوس أتبعه بالنهي

عن اتلاف الاموال لان اعز الاشياء بعد النفوس الاموال واحق الناس بالنهي عن اتلاف  
 أموالهم هو اليتيم لانه لصغره وضعفه وكال عجزه يعظم ضرره باتلاف ماله فلهذا السبب خصهم  
 الله تعالى بالنهي عن اتلاف أموالهم بقوله تعالى (ولا تقر بامال اليتيم) عبر بالقربان الذي هو  
 قبل الاخذ ذت عظيما للمقام فهو ابلغ من قوله تعالى ولانا كلوها اسرافا ويداها وفي تفسير قوله  
 تعالى (الابالقي هي احسن) وجهان الاول الابالتصرف الذي ينمي ويكثره الثاني روى  
 مجاهد عن ابن عباس انه قال اذا احتاج كل بالمعروف واذا ايسر قضاء فان لم يوسر فلا شيء  
 عليه والولى تبي ولايته على اليتيم (حتى يبلغ أشده) وهو ايتام الرشد منه بعد بلوغه كما بين تعالى  
 ذلك في آية أخرى وهي قوله تعالى وايتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا  
فادفعوا اليهم أموالهم \* ولما نهى سبحانه وتعالى عن ثلاثة أشياء وهي الزنا والقتل وأكل مال  
 اليتيم أتبعها بثلاثة أوامر الاول قوله تعالى (وأوفوا بالعهد) أى اذا عاهدتم الله تعالى على فعل  
 الأمور واتركت المنهيات أو الناس على فعل أو قول جائز وفي تفسير قوله تعالى (ان العهد كان  
 مسؤلا) وجوه الاول أن يراد ان صاحب العهد كان مسؤولا فحذف المضاف وأقيم المضاف  
 اليه مقامه كقوله تعالى واسأل القرية ثانياً ان العهد كان مسؤلا أى مطلوبوا يطلب من  
 المعاهد أن لا يضيعه ويبنى ثالثاً أن يكون هذا تحميلاً كان يقال للعهد لم نكثت وهلا أو في بك  
 تكيتا لنا كك كما يقال للموودة بأى ذنب قتلت وكقوله تعالى لعيسى عليه السلام أنت  
 قلت للناس اتخذوني وأمي الهين والخطاطبة لعيسى عليه السلام والانكار على غيره الامر  
 الثاني قوله تعالى (وأوفوا الكيل اذا كتمت) أى لغيركم فان كتمت لانفسكم فلا جناح عليكم ان  
 نقصتم عن حقكم ولم تفرو الكيل الامر الثالث قوله تعالى (وزنوا) أى وزنا متلبسا (بالقسطناس)  
 أى ميزان العدل الذى هو أقوم الموازين وزاد فى تأكيده معناه فقال (المستقيم) دون شئ من  
 الحيف \* (تنبيه) \* القسطناس روى عرب ولا يقدر ذلك فى عريية القرآن لان الاجمى اذا  
 استعملته العرب وأجرته مجرى كلامهم فى الاعراب والتعريف والتسكير ونحوها صارعياً  
 وقرأ حفص والكسافى وحزرة بكسر القاف والباقون بضمها (ذلك) أى الامر العالى الرتبة  
 الذى أخبرناكم به من الايقاف بالتمام والكمال (خير) لكم فى الدارين الدنيا والآخرة من  
 التطفيف بالكيل أو الوزن من حيث ان الانسان يتخلص بواسطته عن الذكر القبيح فى الدنيا  
 والعذاب الشديد فى الآخرة وان تراهى لكم ان التطفيف خير (وأحسن تأويلاً) أى عاقبة  
 فى الدارين اما فى الدنيا فلانه اذا اشتهر بالاحتراف عن التطفيف عول الناس عليه ومالت  
 القلوب اليه وحصل له الاستغناء فى الزمان القليل وكما رأينا من الفقراء من اشتهر واعند الناس  
 بالامانة والاحتراف عن الخيانة انقلب القلوب عليهم وحصلت الاموال الكثيرة لهم واما فى  
 الآخرة فالقوز بالنواب العظيم والخلاص من العقاب الاليم والتأويل وهو تعطيل من الاول  
 وهو الرجوع أو أفعال التفضيل هنا الاستعمال النصفة بارخاء العنان أى على تقدير أن يكون  
 فى كل منهما خير فهذا المعنى الذى ذكرناه أزيد خيراً والعاقلة لا يرضى لنفسه بالدون \* ولما شرح

الله تعالى الاوامر الثلاثة عاد الى ذكر النواهي فنهى عن ثلاثة اشياء اولها قوله تعالى (ولا تقف) أى لا تتبع أيها الانسان (ما ليس لك به علم) من قول أو فعل وحاصله يرجع الى النهى عن الحكم بما لا يكون معلوما وهو قضية كلية يندرج تحتها أنواع كثيرة واختلف المقصرون فيها فقال ابن عباس لانه هذا الابعار انه عينك وسمعه أذنك ووعاه قلبك وقال قتادة لانقل سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم وقيل المراد النهى عن القذف وقيل المراد النهى عن الكذب وقيل المراد النهى المشركين عن اعتقاداتهم وتقليد أسلافهم لان الله تعالى نسبهم في تلك العقائد الى اتباع الهوى فقال تعالى ان هي الا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس وقيل القفوه هو البهت وأصله من القفا كأنه يقال خلفه وهو في معنى الغيبة قال صلى الله عليه وسلم من قفنا مؤمنا بما ليس فيه حبه الله تعالى في ردغة الخيال رواه الطبراني وغيره ورددغة بسكون الدال وقفها عصابة أهل النار وقال الكميت

ولا أرى البرى بغير ذنب \* ولا أقتو الحواصن ان قفينا

ببناء قفينا للمفعول والحواصن النساء العفاف واللفظ عام يتناول الكل فلامعنى للتصديد \* (تنبيه) \* يقال قفوت اتر فلان أقتوا اذا اتعت أثره وسميت قافية الشعر قافية لان البيت يقفوا البيت وسميت القبيلة المشهورة بالقافة لانهم يتبعون آثار أقفاء الناس أو آثار أقدامهم ويستدلون بها على أحوال الناس وقال تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا ونسبح القفا قفا لانه مؤخر يردن الانسان فان شئ يتبعه ويقفوه (فان قيل) ان هذه الآية تدل على منع القياس فانه لا يقيد الا الظن والظن مغاير للعلم (أجيب) بأن ذلك عام دخله التخصيص فان الحكم في الدين بمجرد الظن جائز باجماع الامة وبأن المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعيا أم ظاهريا واستعماله بهذا المعنى شائع ذائع وقد استعمل في مسائل كثيرة منها ان العمل بالقصوى عمل بالظن ومنها ان العمل بالشهادة عمل بالظن ومنها الاجتهاد في طلب القبلة ولا يقيد الا الظن ومنها قيم التلقات وارش الجنائيات لاسيما ميل اليه ما لا بالظن ومنها القصد والحجامة وسائر المعالجات ينبنى على الظن ومنها بعث الحكمين في الشقاق قال تعالى وان خضتم شقاق بينت ما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها وحصول ذلك الشقاق مظنون لامدلولوم ومنها الحكم على الشخص المعين بكونه مؤمنا مظنون وينبنى على هذا الظن أحكام كثيرة مثل حصول التوارث ومثل الدفن في مقابر المسلمين ومنها الاعتماد على صدق الاصدقاء وعداوة الاعداء كلها مظنونة وبناء الامر على تلك الظنون وقال صلى الله عليه وسلم فمن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر وذلك تصريح بأن الظن معتبر فبطل قول من يقول انه لا يجوز بناء الامر على الظن ثم قال تعالى النهى محققا بقوله تعالى (ان السمع والبصر) وهما طريقا الادراك (والفؤاد) الذي هو آلة الادراك ثم عول تعالى الامر بقوله تعالى (كل أو تلك) أى هذه الاشياء العظيمة العالية المنافع البديعة التكوينية \* (تنبيه) \* اولاه وجميع أسماء



الإشارة يشار به للعاقل وغيره كقول الشاعر

ذم المنازل بعد منزلة اللوى • والعيش بعد أولئك الأيام

يجوز في ذم فتح الميم وكسرها وضربها وقوله بعد منزلة اللوى أي بعد مفارقتها والاضافة في منزلة اللوى للبيان وهو محذوف ولكن قصره هنا للضرورة والعيش عطف على المنازل والأيام صفة لامم الإشارة أو عطف بيان له (صكان عنه) أي بوعده لا خلف فيه (مسؤولاً) بسؤال يخصه \* (تبيينه) \* ظاهر الآيات يدل على أن الجوارح مسؤولة وفيه وجوه الأول أن معناه أن صاحب السمع والبصر والقوادح هو المسؤول لأن السؤال لا يصح إلا بمن كان عاقلًا وهذه الجوارح ليست كذلك بل العاقل القاهم هو الإنسان كقوله تعالى وأسأل القرية أي أهلها والمعنى أنه يقال للإنسان لم سمعت ما لم يحل سماعه ولم تطرت ما لم يحل نظره ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه الثاني أن تقدير الآية أن أولئك الأقوام كلهم مسؤولون عن السمع والبصر والقوادح فيقال لهم استعملتم السمع فيما ذأ في الطاعة أم في المعصية وكذا القول في بقية الأعضاء وذلك لأن الحواس آلات النفس والنفس كالأعضاء والمستعملها في مصالحها فان استعملها في الخسرات استوجب الثواب وان استعملها في المعاصي استحق العقاب الثالث أن الله تعالى يخلق الحياة في الأعضاء ثم إنهم يسأل لقوله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فكذلك لا يعد أن يخلق العقل والحياة والنطق في هذه الأعضاء ثم إنهم يسأل روى عن شكل بن حديد قال آتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله علمني تعويذاً أتعوذ به فأخذ بيدي ثم قال قل أعوذ بك من شر عمي وشر بصري وشر لساني وشر قلبي وشر مني قال فحفظتها قال سعد المني مأوه النهي الثاني قوله تعالى (ولا تأمش في الأرض) أي جنسها (مرحاً) أي ذامرح وهو شدة الفرح والمراد من الآية النهي عن أن يعيش الإنسان مشياً يدل على الكبرياء والعظمة قال الزجاج ولا تأمش في الأرض محتملاً تخوراً وتظهيره قوله تعالى في سورة الفرقان وعباد الرحمن الذين يعيشون على الأرض هونا وقال تعالى في سورة لقمان واقصد في مشيك واغضض من صوتك وقال تعالى فيها ولا تأمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور ثم علل تعالى النهي عن ذلك بقوله تعالى (إنك إن تخرق الأرض) أي تشقها حتى تبلغ آخرها يكبرك (ولن تبلغ الجبال طولاً) أي بتطاولك وهو تمكهم بالمختمال لأن الاختيال حياقة مجردة لا تفيد شيئاً ليس في التذلل وفي ذلك إشارة إلى أن العبد ضعيف لا يقدر على خرق أرض ولا وصول إلى جبال فهو محاط به من فوقه ومن تحته بنوعين من الجمادات وهو أضعف منهما بكثير والضعيف المحصور لا يليق به التكبر فكانه قيل له تواضع ولا تتكبر فانك خلق ضعيف من خلق الله محصور بين حجارة وتراب فلا تفعل فعل المقتدر القوي وقيل ذكر ذلك لأن من مشى خيلاً يعيش مرة على عقبه ومرة على صدره وقدميه فقيل له إنك إن تشق الأرض إن مشيت على عقبك ولن تبلغ الجبال طولاً إن مشيت على صدره وقدميك قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى تكفأ تكفأ كأنما ينهط من صب وروى

أبو هريرة رضي الله عنه قال ما رأيت أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس  
 تجرى في وجهه وما رأيت أحدا أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الأرض  
 تطوى له أنا لجهده أنفسنا وأنه غير مكثر وقوله تعالى (كل ذلك) إشارة إلى ما نهى عنه  
 مما تقدم فإن الذي تقدم منبهات ومأمورات وجملة ذلك من قوله تعالى لا تجعل مع الله الها  
 آخر إلى هنا خمسة وعشرون وها أنا سردها لك تسهلا عليك فأولها لا تجعل مع الله الها  
 آخر وثانيها وثالثها وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه لا شتمه على تكليفين الامر بعبادة الله  
 تعالى والنهي عن عبادة غيره رابعها وبالوالدين احسانا خامسها فلا تقل لهما أف سادسها  
 ولا تنهرهما سابعها وقل لهما اقولا كريما ثامنها واخفض لهما جناح الذل من الرحمة تاسعها وقل  
 رب ارحمهما كما ربياني صغيرا عاشرها وآت ذا القربى حقه حادي عشرها والمسكين ثاني  
 عشرها وابن السبيل ثالث عشرها ولا تبذر تبريرا واربع عشرها فقل لهم قول لا يسور خامس  
 عشرها ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك سادس عشرها ولا تبسطها كل البسط سابع عشرها  
 ولا تقتلوا اولادكم ثامن عشرها ولا تقتلوا النفس تاسع عشرها ومن قتل مظلوما فقد جعلنا  
 لوليه سلطانا عاشرها فلا يسرف في القتل حادي عشرها وأوفوا بالعهد ثاني عشرها وأوفوا  
 الكيل ثالث عشرها وزوا بالقسط اس المستقيم رابع عشرها ولا تقف ما ليس لك به علم  
 خامس عشرها ولا تمس في الأرض مرفقا بكل هذه تكليفات بعضها أوامر وبعضها نواها فالنهي  
 عنه هو الذي قال تعالى فيه (كان سيئه عند ربك مكروها) أي يغضه والعاقلة لا يفعله  
 ما يكرهه المحسن اليه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وفتح الهمزة وبالتاء منضوية وقرأ  
 الباقر بن بضم الهمزة والهاء مضمومة من غير تنوين والمعنى على هذا ظاهر أي ان سي تلك  
 الاقسام يكون مكروها وأما على القراءة الاولى فسيئة خبر كان وأنت جلا على معنى كل ثم  
 قال مكروها جلا على لفظها وقال الزنجشري ان السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاسم  
 زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيته ولا فرق بين سيئة وسيأ الا ترى انك تقول الزنا سيئة كما  
 تقول السرقة سيئة فلا فرق بين اسنادها الى مذكر ومؤنث وفي نصب مكروها وجه أحدها  
 أنه خبر ثان لكان الثاني أنه بدل من سيئة وضعف بأن البدل بالمشتق قليل الثالث أنه حال من  
 الضمير المستتر في عند ربك لو وقع صفة لسيئة الرابع أنه نعت لسيئة وانما ذكر وصف سيئة لان  
 تأنيته وتأنيث موصوفه مجازي ورد بان ذلك انما يجوز حيث أسند الى المؤنث المجازي اما  
 اذا أسند الى ضميره فلا نحو الشمس طالعة فلا يجوز طالع وقوله تعالى (ذلك) إشارة الى الاحكام  
 المتقدمة في الاوامر والنواهي (مما أوحى اليك) يا أشرف الخلق (ربك) أي المحسن اليك (من)  
 الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وانما سميت هذه الامور حكمة لوجوه  
 الاول ان حاصلها يرجع الى الامر بالتوحيد وأنواع الطاعات والخيرات والاعراض عن الدنيا  
 والاقبال على الآخرة قالوا في مثل هذه الشريعة لا يكون داعيا الى دين الشيطان بل القطرة  
 الاصلية تشهد بأنه يكون داعيا الى دين الرحمن الثاني ان هذه الاحكام المذكورة في هذه

الآيات شرائع واجبة الرعاية في جميع الأديان والملل ولا تقبل النسخ والإبطال فكانت  
 محكمة وحكمة من هذا الاعتبار الثالث أن الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته والخير  
 للعمل به كما مرت الإشارة إليه فالامر بالتوحيد عبارة عن القسم الأول وسائر التكليف عبارة  
 عن تعليم الخيرات حتى يواظب عليها ولا يتخرف عنها فثبت أن الأسماء المذكورة من هذه  
 الآيات عين الحكمة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما إن هذه الآيات كانت في ألواح  
 موسى عليه السلام وجعل سبحانه وتعالى فاتحتها قوله تعالى لا تجعل مع الله الها آخروا خاتمتها  
 قوله تعالى (ولا تجعل مع الله الها آخر) تنبيهها على أن التوحيد مبسداً للأمور ومنتهاه وأن من  
 قصد بفعل أو ترك غيره ضاع سعيه وأنه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه ما هو عائدة  
 الشرك في قوله تعالى أو لا تجعل مع الله أي في الدنيا ونياماً ما هو تنبيهه في العقبى فقال  
 (قتلني) أي في فعل بك في الآخرة في الحشر (في جهنم) من الإسراع فيه وعدم القدرة على  
 التدارك فعمل من ألقى من عال حال كونك (ملوماً) أي تلوم نفسك (مدحوراً) أي مبعداً  
 من رجة الله \* (تنبيه) \* ذكره سبحانه وتعالى في الآية الأولى بقوله تعالى مذموماً مخذولاً  
 وفي هذه الآية ملوماً مدحوراً والفرق بين الذم واللوم هو أن يذكر له أن الفعل الذي أقدم  
 عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموماً ثم يقال له فعلت هذا الفعل القبيح وما الذي جعلك  
 عليه فهو ذاهو اللوم فأقول الأمر يصير مذموماً وآخره يصير ملوماً والفرق بين المخذول  
 والمدحور هو أن المخذول عبارة عن الضعيف يقال تخذلت أعضاؤه أي ضعفت والمدحور هو  
 المطرود والطرود عبارة عن الاستخفاف والأهانة فكونه مخذولاً عبارة عن ترك أعاليه وتفويضه  
 إلى نفسه وكونه مدحوراً عبارة عن أهائه فيصير أول الأمر مخذولاً وآخره مدحوراً وقوله  
 تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبنين) خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهزيمة للانكار أي  
 أنخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون ولم يجعل فيهم نصيباً  
 لنفسه (واتخذ من الملائكة أناثاً) أي بنات لنفسه وهذا خلاف ما عليه معقولكم وعادتكم  
 فإن العبيد لا يستأثرون بأجود الأشياء وأصفاها من الشوائب ويكون أودوها وأودونها  
 للسادات (أنكم تقولون قولاً عظيماً) بإضافة الأولاد إليه لأن إثبات الولد يقتضي كونه تعالى  
 مركباً من الأبعاض والأجزاء وذلك يقدح في كونه قديماً واجب الوجود لذاته وأيضاً بتقدير  
 ثبوت الولد فقد جعلوا أشرف القممين لأنفسهم وأخص القممين لله تعالى وهذا جهل عظيم  
 وأيضاً جعلوا الملائكة الذين هم من أشرف خلق الله الذين منهم من يقدر على حمل الأرض وقلب  
 أسفلها على أعلاها أناثاً في غاية الرخاوة \* ولما كان في هذا من البيان ما لا يخفى على إنسان  
 ولم يرجعوا أشار إلى أن لهم مثل هذا الأعراض عن أمثال هذا البيان فقال تعالى (ولقد  
 صرقتنا) أي بينا بنا عظيماً بأشرف طرق البيان من العبر والحكم والأمثال والأحكام والحجج  
 والأعلام في قوالب الوعد والوعيد والامر والنهي والمحكم والمتشابه إلى غير ذلك (في هذا  
 القرآن) أي في مواضع منه من الأمثال كما طلل تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل

مثل قبل لفظة في زائدة كما في قوله تعالى وأصلح لي في ذريتي وورد بأن في لاتزاد وما ذكر متأول  
 كما يأتي ان شاء الله تعالى في الاحقاف والتصريف لغة صرف الشيء من جهة الى أخرى ثم صار  
 كناية عن التبيين قاله أبو حيان وقوله تعالى (أيذكروا) متعلق بصرفنا وقرأ حزة والكسائي  
 بسكون الذال ورفع الكاف من غير تشديد من الذكر الذي هو بمعنى التذكر والباقون بفتح  
 الذال والكاف مع تشديدهما (وما يزيدهم) أي التصريف (الانقورا) أي تباعدوا عن الحق  
 وقلة طمأنينة اليه وعن سفيان كان اذا قرأها قال زادني ذلك لخضوعا ما زاد أعداءك نفورا  
 \* ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل) أي لهؤلاء المشركين ولا تباؤس من رجوع  
 بعضهم (لو كان معه الهة كما تقولون) من هذه الاقوال التي لوقالها أعظمكم في حق أدناكم وهو  
 يريد بها حقيقة تها الصارضحكة للعباد (اذا لا تبغوا) أي طلبوا واطلبوا عظيما (إلى ذي العرش) أي  
 صاحب السرير الاعظم المحيط الذي من ناله كان منفردا بالتدبير (سبيلا) أي طريقا سالكا  
 يتوصلون به اليه ليه تهروه ويزيلوا ما كره كما ترون فعل ملوك الدنيا بعضهم مع بعض أو ليتخذوا  
 عندهم يد اقربهم اليه وقرأ ابن كثير وحفص بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب  
 وأدغم أبو عمرو والشين من العرش في السين بخلاف عنه ثم نزه سبحانه وتعالى نفسه فقال عز من  
 قائل (سبحانه) أي تنزه التنزه الاعظم عن كل شائبة نقص (وتعالى) أي علا أعلى العلو بصفات  
 الكمال (بمباية ولون) أي من هذه النقائص التي لا يرضاها لنفسه أحد من عقلاء خلقه (علوا)  
 أي تعاليا (كبيرا) أي متباعدة غاية البعد عما يقولون فانه تعالى في أعلى مراتب الوجود  
 وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته \* (تنبه) \* جعل العلو مصدر التعالى ومصدره  
 تعاليا كما قدرته فهو المراد وتطيره قوله تعالى والله أنبتكم من الارض نباتا (فان قيل) ما الفائدة  
 في وصف ذلك العلو بالكبير (أجيب) بأن المنافاة بين ذاته وصفاته سبحانه وبين ثبوت الصاحبة  
 والولد والشركاء والاضداد والانداد منافاة بلغت في القوة والكمال الى حيث لا تعقل الزيادة  
 عليها لان المنافاة بين الواجب لذاته وبين الممكن لذاته وبين القديم والحديث وبين الغنى والمحتاج  
 منافاة لا تعقل الزيادة عليها فلهذا السبب وصف الله تعالى ذلك العلو بالكبير وقرأ حزة  
 والكسائي بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة ثم استأنف تعالى بيان عظمة هذا  
 التنزيه مقرونا بالوصف بالكمال فقال (تسبح) أي توقع التنزيه الاعظم (له) أي الاله الاعظم الذي  
 تقدم وصفه بالجلال والاکرام خاصة (السموات السبع والارض) أي السبع (ومن فيهن)  
 أي من ذوى العقول (وان) أي وما وأغرق في النقي فقال (من شيء) أي ذى عقل أو غيره  
 (الابسبح بحمده) أي يقول سبحانه الله العظيم وبحمده أو يقول سبحانه الله وبحمده وقال ابن  
 عباس وان من شيء حتى الابسبح بحمده وقال قتادة يعنى الحيوانات والناميات وقال عكرمة  
 الشجرة تسبح والاسطوانة تسبح وعن المقداد بن عدى التراب يسبح ما لم يتسل فاذا ابتل ترك  
 التسبيح والورقة تسبح مادامت على الشجرة فاذا سقطت ترك التسبيح والماء يسبح مادام  
 جاريا فاذا ركبت التسبيح والثوب يسبح مادام جديدا فاذا وسخ ترك التسبيح وقال السيوطي

## في جواب سؤال عن ذلك

قد خصت آية الاسرى بمتصف \* وصف الحياة كرتب الزرع والشجر  
 فيابس مات لا تسبيح منه كذا \* مازال عن موضع كالقطع للحجر  
 وقال ابراهيم النخعي وان من شئ جادوسى الا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف  
 وقال مجاهد كل الاشياء تسبح لله تعالى حيوانا كانت أو جادا وتسيحها سبحانه الله وبحمده يدل  
 على ذلك ما روى عن ابن مسعود كأنه قال آيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا كما مع رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم في سفره فقل الماء فقال صلى الله عليه وسلم اطلبوا فضله من ماء فجاءوا باناء فيه ماء  
 قليل فأدخل يده صلى الله عليه وسلم في الاناء ثم قال صلى الله عليه وسلم اطلبوا المباركة والمباركة من الله  
 فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يأكل  
 وعن جابر بن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بمكة حجرا كان يسلم على ليالى بعثت انى  
 لا عرفه الا ان وعن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان يخطب الى جذع فلما اتخذ له المنبر تحوّل  
 اليه فحن الجذع فأناه فسمع يده عليه وفي رواية فنزل فأحضنه وساره بشئ ففى هذه الاحاديث  
 دليل على ان الجمادات تسبح وأنه يسبح وقال بعض أهل المعاني تسبيح السموات والارض والجمادات  
 والحيوانات سوى العقلاء بلسان الحال حيث تدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته  
 فكانها تنطق بذلك ويصير لها بمنزلة التسبيح قال البغوى والاول أصح وهو المنقول عن السلف  
 وقال ابن الخازن القول الاول أصح لما دلت عليه الاحاديث وأنه منقول عن السلف قال  
 البغوى واعلم ان الله تعالى علم فى الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغى أن يوكل علمه اليه (ولكن  
 لا تفقهون) أى لا تفهمون (تسبيحهم) أى لا نه ليس بلغتكم (أنه كان حلما غفورا) وما ذكر  
 سبحانه وتعالى اثبات الالهية اتبعه بذكر تقرير النبوة بقوله تعالى (واذا قرأت القرآن) أى الذى  
 لا يدانيه واعظ ولا يساويه مفهم وهو تبيان لكل شئ (جعلنا) أى بما لنا من العظمة (بينك وبين  
 الذين لا يؤمنون بالآخرة جبابه مستورا) أى يحجب قلوبهم عن فهم ما تقرؤ عليهم والانتفاع به  
 قال قتادة هو الالكه فالاستور بمعنى الساتر كقوله تعالى كان وعدنا أيام فاعول بمعنى فاعل  
 وقيل مستورا عن أعين الناس فلا يرونه وفسره بعضهم بالجاب عن الاعين الظاهرة كما روى  
 عن سعيد بن جبير أنه لما نزلت تبى ابي لهب جاءت امرأة ابي لهب ومعها حجر والنبي صلى  
 الله عليه وسلم مع ابي بكر رضى الله عنه فلم تره فقالت لابي بكر اى صاحبك لقد بلغنى أنه  
 هباني فقال والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهى تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لارض  
 به رأسه فقال أبو بكر ما رأيتك يا رسول الله قال لالم يزل ملك يبنى وينهاى بترنى (وجعلنا) أى  
 بما لنا من العظمة (على قلوبهم أكنة) أى أعطية كراهة (أن يفقهوه) أى يفهموه أى يفهموا  
 القرآن حق فهمه (وفى آذانهم وقرا) أى شبها تقبلا يمنع سمعهم وعن أسماء كان رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم جالسا ومعه أبو بكر اذا قبلت امرأة ابي لهب ومعها فهر تزيد الرسول صلى  
 الله عليه وسلم وهى تقول مذمما بينا ودينه قلينا وأمره عسينا فقال أبو بكر يا رسول الله معها

فها خشاها عليك قتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية بغامت ومارأت رسول صلى الله  
 عليه وسلم وقالت اني رأيت قريشا قد علمت اني ابنة سيدها وان صاحبك هجاني فقال أبو بكر  
 لا ورب الكعبة ورب هذا البيت ما هجالك وروى ابن عباس ان أباسفيان والنضر بن الحرث وأبا  
 جهل وغيرهم كانوا يجالسون النبي صلى الله عليه وسلم ويسمعون حديثه فقال النضر يوما  
 ما أرى ما يقول محمد غير اني أرى شفقيه يتحرق كأن بشي وقال أبوسفيان اني لأرى بعض ما يقوله  
 الاحتيا وقال أبو جهل هو مجنون وقال أبو الهيثب هو كاهن وقال حويطب بن عبد العزى  
 هو شاعر فنزلت هذه الآية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد تلاوة القرآن قرأ  
 قبله ثلاث آيات وهي في سورة الاسراء وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي اذانهم وقرأوا في  
 سورة النحل أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وفي حم الجاثية أفرايت من اتخذوا الهه هواه الى  
 آخر الآية فكان الله تعالى يحجبه ببركة هذه الآيات عن عيون المشركين (واذا ذكرت ربك) أي  
 المحسن اليك واليه (في القرآن وحده) أي مع الاعراض عن آلهتهم كان قلت وأنت تتلو القرآن  
 لا اله الا الله \* (تنبيه) \* في نصب وحده وجهان أحدهما أنه منصوب على الحال وان كان  
 معرفة لفظا لانه في قوة النكرة اذ هو في معنى منفردا والثاني أنه منصوب على الظرف (ولو اعلى  
 أدبارهم نفورا) أي هربا من استماع التوحيد \* (تنبيه) \* في نفورا وجهان أحدهما مصدر من  
 غير اللفظ مؤكدا لالتولى والنفور بمعنى والثاني أنه حال من فاعل ولوا وهو حينئذ جمع نافر  
 كقاعده وعود وشاهد وشهود والضمير في ولوا يعود الى الكفار وقيل يعود الى الشيطان وان لم  
 يجز لهم ذكر قال المفسرون ان القوم كانوا عند استماع القرآن على أقسام منهم من كان يلهو  
 عند استماعه روى أنه عليه الصلاة والسلام كان كلما قرأ القرآن قام عن يمينه ويساره اخوان من  
 ولد قصي يصفقون ويصفرون ويخبطون عليه بالاشعار ومنهم من كان اذا سمع من القرآن  
 ما فيه ذكر الله تعالى بقوام بهوتين لا يفهمون منه شيئا ومنهم من اذا سمع آيات فيها ذكر الله  
 تعالى وذم المشركين ولوا نفورا وتر كوا ذلك المجلس \* ولما كانوا رعا اذ عوا السمع والفهم  
 فشككوا بعض من لم يربح ايمانه أتبعه تعالى بقوله تعالى (نحن أعلم) أي من كل عالم (بما  
 يستمعون) أي يبالغون في الاصغاء والميل لقصد السمع (به) من الاذان والقلوب أو بسببه  
 ولا جله من الهزء بك وبالقرآن (اذ يستمعون) أي يصغون بجهدهم (اليك) أي الى قراءتك (واذ)  
 أي حين (هم) ذو (نجوى) أي يتناجون بأن يرفع كل منهم بصره الى صاحبه بعد اعراضهم  
 عن الاستماع ثم ذكر تعالى ظرف النجوى بقوله تعالى (اذ) وهو يدل من اذ قبله (يقول الظالمون)  
 وقولهم (ان) أي ما (تتبعون الا رجلا مسحورا) أي محمد وعام مغلوبا على عقله روى أن رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم أمر عليا أن يتخذ طعاما ويدعو اليه أشرف قريش من المشركين ففعل  
 ذلك ودخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى التوحيد وقال  
 قولوا لا اله الا الله حتى تطيعكم العرب وتدين لكم الجمع فابوا عليه ذلك وكانوا عند استماعهم من  
 النبي صلى الله عليه وسلم القرآن والدعوى الى الله تعالى يقولون ان تتبعون الا رجلا مسحورا

(فان قيل) انهم لم يتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يصح أن يقولوا ان تتبعون الا  
 رجلا مسجورا (أجيب) بأن معناه ان اتبعتموه فقد اتبعتم رجلا مسجورا وقرأ أبو جهم ووابن  
 ذكوان وعاصم وحزرة بكسر التسين في الوصل والباقون بالضم ثم قال تعالى (انظر كيف  
 ضربوا) أي هؤلاء الضلال (لك الامثال) التي هي أهدى من صفتك من قولهم كاهن وساحر  
 وشاعر ومعلم ومجنون (فضلوا) عن الحق في جميع ذلك (فلا) أي فتسبب عن ذلك أنهم  
 لا (يستطيعون سبيلا) أي وصولا الى طريق الحق \* ولما جرت عادة القرآن بإثبات التوحيد  
 والنبوة والمعاد وقدم الدلالة على الاولين وختم بإثبات جهلهم في النبوة مع ظهورها أتبع ذلك  
 أمرا جليا في ضلالهم عن السبيل في أمر المعاد وقتره غاية التقرير وحره أتم تحرير قال تعالى  
 مهجبا منهم (وقالوا) أي المشركون المنكرون للتوحيد والنبوة والبعث مع اعترافهم بأننا بدأنا  
 خلقهم ومشاهدتهم في كل وقت اننا نحيا الارض بعد موتها وقولهم (أئذا) استقهاهم انكارى  
 كانهم على ثقة من عدم ما ينكرونه والعامل في اذا فعل من لفظ مبعوثون لاهو فوات ما بعد ان  
 لا يعمل فيما قبلها فالعنى أنبعث اذا (كأ) أي بجملة أجسامنا كوننا لازما (عظما مورفانا) أي  
 حطاما مكسرا مفضتأ وغبارا وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد ويؤيده أنه قد يكرر في  
 القرآن ترابا وعظما ويقال للتين الرفات لانه دقاق الزرع (أئنا لمبعوثون) حال كوننا مخلوقين  
 خلقا جديدا \* (تنبيه) \* تقرير شبهة هؤلاء الضلال هي أن الانسان جفت أعضاؤه وتناثرت  
 وتفرقت في جوانب العالم واختلطت تلك الاجزاء بسائر اجزاء العالم فالاجزاء المائية  
 مختلطة بمياه العالم والاجزاء الترابية مختلطة بالتراب والاجزاء الهوائية مختلطة بالهواء فكيف  
 يعقل اجتماعها بأعيانها مرة أخرى وكيف يعقل عود الحياة اليها بأعيانها مرة أخرى هذا تقرير  
 شبهتهم (أجيب) عنها بأنهم لا يتم الا بالقدح في كمال علم الله تعالى وفي كمال قدرته فانه تعالى قادر  
 على كل الممكنات فهو قادر على اعادة التآليف والتركيب والحياة والعقل الى تلك الاجزاء  
 بأعيانها فمن سلم كمال علم الله تعالى وكمال قدرته زالت عنه هذه الشبهة بالكلية \* ولما كان كانه قيل  
 فماذا يقال لهم في الجواب فقال (قل) لهم يا أشرف المخلوق لا تكونوا رفاتا بل (كونوا) أصلب من  
 التراب (سجارة) أي هي في غاية اليبس (أوحديدا) أي زائدا على ييس الحجارة لشدة اتصال  
 الاجزاء \* (تنبيه) \* ليس المراد به أمر الزام بل المراد انكم لو كنتم كذلك لما أعجزتم الله تعالى عن  
 الاعادة وذلك كقول القائل أتطمع في وأنا فلان فيقول كن من شئت كن ابن الخليفة فـ أطلب  
 منك حتى (أو خلقا) غير ذلك (مما يكبر) أي يعظم عظمة كبيرة (في صدوركم) أي مما يكبر عنكم عن  
 قبول الحياة لكونه أبعد شئ منها فان الله تعالى قادر على اعادة الحياة اليها وقال ابن عباس  
 ومجاهد وعكرمة وأكثر المفسرين انه الموت فانه ليس في نفس ابن آدم شئ أكبر من الموت أي  
 لو كنتم الموت بعينه لا ميتتكم ولا بعثتكم وقيل السموات والارض والجبال لانها من أعظم  
 المخلوقات (فسيقولون) تماديا في الاستهزاء (من يعيدنا) اذا كنا كذلك (قل الذي قطركم)  
 أي ابتداء خلقكم (أول مرة) ولم تكونوا شيئا يعيدكم بالقدرة التي ابتداءكم بها فكم لم تعجزتلك

عن البداهة فهي لا تعجز عن الاعادة (فسيغضون) أي يحركون (اليك رؤسهم) تعجبا واستهزاء  
 كأنهم في شدة جهلهم على غاية البصيرة من العلم بما يقولون والنفذ والانفاض تحريك  
 بارتفاع وانخفاض (ويقولون) استهزاء (مقي هو) أي البعث والقيامة قال الرازي واعلم  
 أن هذا السؤال فاسد لانهم حكموا بامتناع الحشر والذمير بناء على الشبهة التي تقدمت  
 ثم إن الله تعالى بين بالبرهان الباهر كونه ممكنا في نفسه فقوله هم مقي هو كلام لا يتعلق له بالمبحث  
 فإنه لما ثبت بالدليل العقلي كونه ممكنا الوجود في نفسه وجب الاعتراف بإمكانه فأمّا أنه متى  
 يوجد فذلك لا يمكن اثباته من طريق العقل بل انما يمكن اثباته بالدليل السمعي فان أخبر الله  
 تعالى عن ذلك الوقت المعين عرف والافلاسيب الى معرفته لانه تعالى بين في القرآن أنه  
 لا يطلع أحدا من الخلق على وقته المعين فقال تعالى ان الله عنده علم الساعة وقال انما علمها  
 عند ربّي وقال تعالى ان الساعة آتية أكاد أخفيها فلا جرم قال تعالى (قل عسى أن يكون  
 قريبا) قال المفسرون عسى من الله واجب ومعناه أنه قريب اذ كل آت قريب وأمال متى  
 وعسى جزء والكسائي امالة محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وقوله تعالى  
 (يوم يدعونكم) بدل من قريبا والمعنى عسى أن يكون البعث يوم يدعونكم أي بالنداء الذي  
 يسمعكم وهو النفخة الاخيرة كما قال تعالى يوم ينادى المنادى من مكان قريب روى أن اسرافيل  
 ينادى أي بالاجسام البالية والعظام النخرة والاجزاء المنفرقة عودى كما كنتي (قتسحيبون)  
 أي تجيبون والاستجابة موافقة الداعي فيما دعا اليه وهي الاجابة الا أن الاستجابة تقتضي  
 طلب الموافقة فهي أكد من الاجابة واختلف في معنى قوله تعالى (بجمدته) فقال ابن  
 عباس بأمره وقال سعيد بن جبير يخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن رؤسهم  
 ويقولون سبحانك اللهم وبجمدته فيجمدونه حين لا ينفعهم الحد وقال قتادة بمعرفته وطاعته  
 وقال أهل المعاني تستجيبون بجمدته أي تستجيبون حامدين كما تقول جاء بغضبه أي جاء  
 غضبان وركب الأمير بسيفه أي وسيفه معه وقال الزمخشري بجمدته حال منهم أي حامدين  
 وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركب ما يشق عليه فيأبى ويتنحى ستره  
 وأنت حامد شاكر يعني أنك تحمل عليه وتقسر عليه قسرا حتى أنك تلبس ليلين المستحج الراغب  
 فيه الحامد عليه (وتظنون ان) أي ما (لبئس الا قليلا) أي مع استجابتكم وطول لبسكم  
 وشدة ماترون من الهول فعندها تستصرون مدة لبسكم في الدنيا وتحسبون يوما أو بعض يوم  
 وعن قتادة صحاقت الدنيا في أنفسهم سم حين عاينوا الآخرة وقال الحسن معناه تقريب وقت  
 البعث فكأنك بالدنيا ولم تكن وبالآخرة ولم تزل فهذا يرجع الى استقلال مدة اللبث في الدنيا  
 وقيل المراد استقلال مدة لبسهم في برزخ القیامة لانه لما كان عاقبة أمرهم الدخول في النار  
 استقصروا البسهم في برزخ القیامة وقرأ نافع وابن كثير وعاصم باظهار الراء المثلثة عند التاء  
 المثناة والباقون بالادغام ولما ذكر تعالى الطهة اليقينية في صفة المعاد وهو قوله تعالى قل الذي  
 فطرکم أول مرة قال تعالى (وقل) يا محمد (لعبادى) أي المؤمنین لان لفظ العباد في أكثر



آيات القرآن مختصر بالمؤمنين قال تعالى فبشر عبادي الذين يستمعون القول وقال تعالى  
 فادخلني في عبادي وقال تعالى عينا يشرب بها عباد الله (يقولوا) للكفار الذين كانوا يؤذونهم  
 الكلمة (التي هي أحسن) ولا يكافؤهم على سفههم بل يقولون يهديكم الله وكان هذا قبل  
 الاذن بالقتال وقيل نزلت في عمر بن الخطاب شقه بعض الكفار فأمره الله تعالى بالعفو وقيل  
 أمر المؤمنين بأن يقولوا ويفعلوا الخلة التي هي أحسن وقيل الاحسن قول لا اله الا الله ثم علل  
 بقوله تعالى (ان الشيطان) أي البعيد عن الرحمة المحترق باللعة (ينزع بينهم) أي يفسد  
 ويفرغ بعضهم على بعض ويوسوس لهم لتقع بينهم المشارة والمشاقة وأصل النزغ الطعن وهم غير  
 معصومين فيوشك أن يأتوا بما لا يناسب الحال ثم علل تعالى هذه العلة بقوله تعالى (ان  
 الشيطان كان) أي في قديم الزمان وأصل الطبع كونه هو محبوب عليه (للإنسان عدوا)  
 أي بليغ العداوة (مبيناً) أي بين العداوة ثم فسر تعالى التي هي أحسن مما علمهم  
 ربهم من النصفة بقوله تعالى (ربكم أعلم بكم) فعلم أن قوله تعالى ان الشيطان الى آخره جملة  
 اعتراضية بين المفسر والمفسر وسكن أبو عمر والميم واخفاها عند الباء بخلاف عنه وكذا أعلم  
 بمن ثم استأنف تعالى (ان يشأ) أي رحمتكم (يرحكم) أي يهديكم (أو ان يشأ) تعذيبكم  
 (يعذبكم) أي باضلالكم فلا تفتقروا أي المؤمنون المشركين فتقطعوا بأنهم  
 من أهل النار فتعبروهم بذلك فانه يجزى الى غيظ القلوب فلا فائدة لان الحاجة مجهولة ولا  
 تجاوزوا فيهم ما أمركم الله به من قول وفعل \* ثم رقى الله الخطاب الى أعلى الخلق ورأس أهل  
 الشرع ليكون من دونه أولى بالمعنى منه فقال تعالى (وما أرسلناك) أي مع ما لنا من العظمة  
 الغنية عن كل شيء (عليهم وكيلاً) أي حفیظاً وكفيلاً تقصرهم على ما رضى الله وانما أرسلناك  
 على حسب ما نأمر لثبه بشيراً ونذيراً فدارهم وعر أصحابك بداراتهم وقد مر أن هذا قبل  
 الاذن بالقتال \* ولما أمرهم بأن ينسبوا الاعلية بهم اليه تعالى أخبر بما هو أعم من ذلك فاصرا  
 الخطاب على أعلم خلقه بقوله تعالى (وربك) أي المحسن اليك بأن جعلك أكمل الخلق (أعلم عن  
 في السموات والارض) فعلمه غير متصور عليكم بل متعلق بجميع الموجودات والعدومات  
 ومتعلق بجميع ذات الارض والسموات فيعلم تعالى حال كل أحد ويعلم ما يليق به من المفسد  
 والمصالح ويعلم اختلاف صورهم وأديانهم وأخلاقهم وأحوالهم وجميع ما هم عليه سبحانه  
 وتعالى لا تخفى عليه خافية فيفضل بعض الناس على بعض على حسب احاطة علمه وشمول قدرته  
 وبعض النبيين على بعض كما قال تعالى (واقدر فضلنا) بما لنا من العظمة (بعض النبيين) - واه  
 كانوا رسلاً أم لا (على بعض) بعد أن جعلنا كل فضلة تقوى كل منهم واحسانه نخصنا كلاً  
 منهم بفضيلة كوسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمد صلى الله عليه وسلم بالاسراء فلا يشكر أحد  
 من العرب أو بنى اسرائيل أو غيرهم تفضيلنا لهذا النبي الكريم الذي صدرنا السورة بتفضيله  
 على جميع الخلائق فاذا فعل ما نشاء بما لنا من القدرة التامة والعلم الشامل وقرأ نافع بالهمزة  
 والباقون بالياء وورش على أصله يمد على الهمزة ويوسط ويقصر (وآتيناً) موسى التوبة

و (داود زبوراً) وعيسى الانجيل فلم يعد أيضاً نوثى محمد صلى الله عليه وسلم القرآن ولم  
يعد أن تفضله على جميع الخلق (فان قيل) ما السبب في تخصيص داود عليه السلام بالذكر هنا  
(أجيب) بأوجه الاوّل انه تعالى ذكره انه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال وآتينا داود  
زبوراً يعني ان داود أوتي ملكاً عظيماً ثم انه تعالى لم يذكر ما آتاه من الملك وذكر ما آتاه من  
الكتاب تنبيهاً على أن الفضل الذي ذكره قبل ذلك المراد منه التفضيل بالعلم والدين لا بالمال  
الثاني انه تعالى كتب في الزبور أن محمد خاتم الانبياء وأن أمة محمد خير الامم قال تعالى ولقد  
كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون وهم محمد صلى الله عليه وسلم  
وأمة (فان قيل) هلا عرفه كقوله ولقد كتبنا في الزبور (أجيب) بأن التنكير هنا يدل على تعظيم  
حاله لان الزبور عبارة عن المزبور فكان معناه الكتاب وكان معنى التنكير أنه كامل في كونه  
كتاباً ويجوز أن يكون زبوراً علمياً فاذا دخلت عليه أل كقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور كانت  
للصح الاصل كعباس والعباس وفضل والفضل الثالث ان كفار قريش ما كانوا أهل نظر  
وجدل بل كانوا يرجعون الى اليهود في استخراج الشبهات واليهود كانوا يقولون انه لاني بعد  
موسى ولا كتاب بعد التوراة فنقض الله عليهم كلامهم بانزال الزبور على داود وروى البخارى  
في التفسير عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خفف على داود القرآن فكان يأمر  
بدوايه لتسرح فكان يقرأ قبل أن يضرغ أى القرآن قال البقاعى ومن أعظم المناسبات  
لتخصيص داود عليه السلام وزبوره بالذكر هنا ذكر البعث الذى هدام قمامه فيه ضريحاً  
وكذا ذكر النار مع خلوات التوراة عن ذلك أما البعث فلا ذكره فيها أصلاً وأما النار فلم يذكر شيئاً  
يميدل عليها الا الجحيم في موضع واحد وأما الزبور فذكر فيه النار والهواية والجحيم في غير  
موضع انتهى وقرأ حمزة بضم الزاى والباقون بالفتح واختلف في سبب نزول قوله تعالى (قل  
ادعوا الذين زعمتم أنهم آلهة من دونه) أى من سواه كالملائكة وعزير والمسج وقرأ نافع  
وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائى بضم اللام من قل وكسر ها عاصم وحمزة كل  
هذا في حال الوصل وأما الابتداء فالجميع ابتداءً بجملة مضمومة (فلا يكون كشف الضر)  
أى البؤس الذى من شأنه أن يعرض الجسم كله (عنكم) حتى لا يدعوا شيئاً منه (ولا تحويلاً)  
له الى غيركم فقال ابن عباس انه انزلت في الذين عبدوا المسج وعزيراً والملائكة والشمس  
والقمر والنجوم وقيل ان قوماً عبدوا نضراً من الجن فأسلم النضر من الجن وبقي أولئك القوم  
متمسكين بعبادتهم فزلت فيهم هذه الآية وقيل ان المشركين أصابهم قحط شديد حتى أكلوا  
الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليدعولهم فنزل قل للمشركين ادعوا الذين  
زعمتم أنهم آلهة من دونه وليس المراد الاصنام لانه تعالى قال في وصفهم (أولئك الذين يدعون)  
أى يدعونهم الكفار ويتألهونهم (يتبعون) أى يطلبون طلباً عظيماً (الى ربهم) أى المحسن  
اليهم (الوسيلة) أى المنزلة والدرجة والقربة لآعمالهم الصالحة وابتغاء الوسيلة الى الله  
تعالى لا يلبق بالاصنام البتة وقرأ أبو عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم وحمزة والكسائى بضم

الهام والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم \* (تنبيه) \* أولئك مبتدأ وخبره يتبعون ويكون  
 الموضوع لفتاؤنا أو بدلا والمراد باسم الإشارة الانبياء أو الملائكة الذين عبدوا من دون  
 الله والمراد بالواو العباد لهم ويكون العائد على الذين محذوفاً والمعنى أو تلك الانبياء الذين  
 يدعونهم المشركون لكشف ضررهم يتبعون الى ربهم الوسيلة (أيهم أقرب) أي يتسابقون  
 بالاعمال مسابقة من يطلب كل منهم أن يكون اليه أقرب ولديه أفضل (ويرجون رحمته)  
 رغبة فيما عنده (ويخافون عذابه) فهم كغيرهم موصوفون بالمعجز والحاجة فكيف  
 يدعونهم آلهة وقيل معناه ان الكفار ينظرون أيهم أقرب الى الله تعالى فيتوسلون به ثم  
 على خوفهم بأمرعاه بقوله تعالى (ان عذاب ربك) أي المحسن اليك برفع اتقام الاستئصال  
 منه عن امتك (كان) أي كونا لازما (محذورا) جديرا بأن يحذر لكل أحد من ملك مقرب ونبي  
 مرسل فضلا عن غيرهم لما شوهد من اهلا كه للقرون الماضية \* ولما قال تعالى ان عذاب  
 ربك كان محذورا بين بقوله تعالى (وان) أي وما (من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة  
 أو معدنوها عذابا شديدا) أن كل قرية أي أهلها لا بد وان يرجع حالهم الى أحد  
 أمرين اما الاهلاك بالموت والاستئصال واما العذاب بالقتل وأنواع البلاء وقال مقاتل  
 أما الصالحة بالموت وأما الطالحة فبالعذاب وقال عبد الله بن مسعود اذا ظهر الزنا والربا  
 في قرية أذن الله تعالى في هلاكها (كان ذلك) أي الامر العظيم (في الكتاب) أي اللوح  
 المحفوظ (مسطورا) أي مكتوبا قال عبادة بن الصامت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 يقول ان أول ما خلق الله القلم فقال اكتب فقال وما أكتب قال القدر ما كان وما هو كان  
 الى أبد الابد أخرجه الترمذي \* ولما كان كفار قريش قد تكفروا اقتراحهم للآيات وكان  
 صلى الله عليه وسلم لشدة حرصه على ايمان كل أحد يحب أن الله تعالى يجيبهم الى مقترحهم  
 طمعا في ايمانهم فأجاب الله تعالى بقوله (وما منعنا) أي على ما لنا من العظمة التي لا يعجزها شيء  
 ولا يمنعها مانع (أن نرسل بالآيات) أي التي اقترحوها كما حكى الله تعالى عنهم ذلك في قولهم  
 فأتنا بآية كما أرسل الأولون وقال آخرون لن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات  
 وقال سعيد بن جبيرانهم قالوا انك تزعم انه كان قبلك أنبياء منهم من حضرت له الريح ومنهم من  
 أحيا الموتى فأتنا بشيء من هذه المعجزات فكان كأنه لا آيات عندهم سوى ذلك (الا) علمنا في عالم  
 الشهادة بما وقع من (أن كذب بها) أي المقترحات (الأولون) وعلمنا في عالم الغيب ان هؤلاء  
 مثل الأولين ان الشئ منهم لا يؤمن بالمقترحات كما لم يؤمن بغيرها وانه يقول فيها ما قال في غيرها  
 من انها حصر ونحو ذلك والسعيد لا يحتاج في ايمانه اليها فكم أجينا أمة الى مقترحها فما زاد  
 ذلك أهل الضلالة منهم الا كفرا فأخذناهم لان سنتنا جرت اننا لا نعمل بعد الاجابة الى المقترحات  
 من كذب بها قال ابن عباس سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهب  
 وان ينقى الجبال عنهم ليزرعوا تلك الاراضي فطلب صلى الله عليه وسلم ذلك من الله تعالى  
 فأوحى الله تعالى اليه ان شئت فطت ذلك لكن بشرط ان لم يؤمنوا أهلكتهم فقال صلى الله

عليه وسلم لا يريد ذلك ففضل الله تعالى برحمته هذه الأمة وتشریفها على الامم السالفة بعدم  
استصالها لما يخرج من أصلاب كفرتها من خلص عباده فهذا السبب ما أجابهم الله تعالى  
الى مطلوبهم فقال جل ذكره بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ثم ذكر تعالى من تلك  
الآيات التي اقترحها الأقولون ثم كذبوا بها ما ارسلت اليهم فأهلكوا ما ذكره تعالى بقوله تعالى  
(وآتيناهم الناقة) حالة كونها (مبصرة) أي مضنة بنت جدرة بأن يستبصر بها من كل  
شاهد ما يستدل بها على صدق قول ذلك النبي (فظلوا بها) أي ظلوا أنفسهم بتكذيبها وقال  
ابن قتيبة مجدوا بأنهم آمن بالله تعالى فأهلكناهم فكيف يتناهاها هؤلاء على سبيل الاقتراح  
والتحكيم على الله تعالى وخص تعالى هذه الآية بالذكر لأن آثارها هلاكهم في بلاد العرب قريبة  
من حدودهم يصرفها صادرهم وواردهم ثم قال تعالى (وما ترسل بالآيات) أي المقترحات وغيرها  
(الأنفوس) للمرسل اليهم بها فان خافوا نجوا والاهلكوا بعذاب الاستتصال من كذب  
بالآيات المقترحات وبعباب الآخرة من كذب بغيرها كالمعجزات وآيات القرآن فأمر من بعث  
اليهم مؤخر الى يوم القيامة (فان قيل) المقصود الا اعظم من اظهار الآيات أن يستدل بها  
على صدق المدعى فكيف حصل المقصود من اظهارها في التوفيق (أجيب) بأنه لما كان  
هو الحامل والغالب على التصديق فكانه هو المقصود ولما طلب القوم من النبي صلى الله عليه  
وسلم تلك الآيات المقترحات وأجاب الله تعالى بأن اظهارها ليس بمصلحة صار ذلك سببا لمجراة  
أولئك الكفار بالظعن فيه وأن يقولوا له لو كنت رسولا حقما من عند الله لآتيت بهذه المعجزات  
التي اقترحناها كما أتى بها موسى وغيره من الانبياء فعند هذا قوى الله تعالى قلبه وبين له أنه ينصره  
ويؤيده فقال تعالى (و) اذكريا أشرف الخلق (اذ قلنا لك ان ربك) أي المتفضل بالاحسان اليك  
بالرفق لا تمتك (أحاط بالناس) علما وقدرة تفهم في قبضته وقدرته لا يقدرون على الخروج من  
مشيئته فلا يقدرون على أمر من الامور لا بقضائه وقدره وهو حافظك ومانعك منهم فلا تهم  
باقتراحهم وامض فيما أمرك به من تبليغ الرسالة فهو ينصرك ويقويك على ذلك كما وعدك بقوله  
تعالى والله يعصمك من الناس وقيل ان المراد بالناس أهل مكة بمعنى أنه يغلبهم ويقهرهم وروى  
أنه لما تراخى الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش مع أبي بكر رضي  
الله عنه كان يدعو ويقول اللهم اني أسألك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحترض الناس  
ويقول سيمزم الجمع ويولون الدبر وكان صلى الله عليه وسلم يقول حين وودبدا والله كافي  
أنظر الى مصارع القوم وهو يومئ الى الارض ويقول هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان  
فتسامعت قريش عما أوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم عطف تعالى على وما ترسل بالآيات  
قوله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك) أي التي شاهدتها ليلة الاسراء (الاقننة) أي امتحانا  
واختبارا (للناس) لانه صلى الله عليه وسلم لما ذكر لهم قصة الاسراء كذبوه وكفروا كثير من  
كان قد آمن به وازداد المخلصون ايمانا فلذلك السبب كانت امتحانا وروى البخاري في التفسير  
عن ابن عباس انه قال هي رؤيا عيسى أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به وتقدم

أنه قول الاكثر منهم سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج وما قاله بعضهم من ان الرؤيا تبدل على أنها رؤيا منام ضعيف اذ لا فرق بين الرؤيا والرؤيا في اللغة يقال رأيت به يعني رؤية ورؤيا (قائدة) قال بعض العلماء كانت اسرا آتته صلى الله عليه وسلم أربعاً وثلاثين مرة واحدة بجمده والباقي بروحه رؤيا رآها قال ومما يدل على أن الاسراء ليلة فرض الصلاة كانت بالجسم ما ورد في بعض طرق الحديث انه صلى الله عليه وسلم استوحش لما زج به في التور ولم يرمعه أحدا اذ الارواح لا توصف بالوحشة ولا بالاستحشاء قال ومما يدل على أن الاسراء كان يجسمه ما وقع له من العطش فان الارواح المجردة لا تعطش ولما كان صلى الله عليه وسلم قد وصل الجحيم وأخبر صلى الله عليه وسلم ان شجرة الزقوم تنبت في أصل الجحيم وكان ذلك في غاية الغرابة ضمها الى الاسراء في ذلك بقوله تعالى ( والشجرة الملعونة في القرآن ) لان فيها امتحانا أيضا بل قال بعض المفسرين هي على التقديم والتأخير والتقدير وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة في القرآن الا فتنة للناس واختلاف في هذه الشجرة فالأكثر قالوا انها شجرة الزقوم المذكورة في قوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم فكانت الفتنة في ذكر هذه الشجرة من وجهين الاول أن أبا جهل قال زعم صاحبكم ان نار جهنم تحرق الحجارة حيث قال وقودها الناس والحجارة ثم يقول في النار شجرة والنار تأكل الشجر فكيف يولد فيها الشجر والثاني قال ابن الزبير ما نعلم الزقوم الا التمر والزبد فتزقوا منه فأنزل الله تعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجرة اناجعنا فتنة للظالمين الايات وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك فان الله تعالى قادر على أن يجعل الشجرة من جنس لا تأكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة يبلاد الترك يتخذ منه مناديل اذا استخدت طرحت في النار فيذهب الوسخ وبقيت سالمة لا تعمل فيها النار وترى النعام تلع الجمر وتلع الحديد الجمر باجاء النار فلا يضرها ثم أقرب من ذلك انه تعالى جعل في الشجر نارا فاكثره قال تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا (فان قيل) ليس في القرآن لعن هذه الشجرة (أجيب) عن ذلك بوجوه الاول المراد لعن الكفار الذين ياكلونها لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن أصحابها على الجواز الثاني ان العرب تقول لكل طعام ضار انه ملعون الثالث اللعن في اللغة الابعاد ولما كانت هذه الشجرة مبعدة عن صفات الخير سميت ملعونة وقيل ان الشجرة الملعونة في القرآن هي اليهود لقوله تعالى لعن الذين كفروا الآية وقيل هي الشيطان وقيل أبو جهل وعن ابن عباس هي الكشوث التي تتلوى بالشجر تجعل في الشراب ولما ذكر سبحانه وتعالى أنه يرسل بالآيات تخويفا قال هنا أيضا (وتخوفهم فإيزيدهم) أي الكافرين والتخويف بالقرآن (الاطفيانا كبيرا) أي تجاوز المعدوه في غاية العظم فبتقدير أن يظهر الله تعالى لهم المعجزات التي اقترحوها لم يزدادوا بها الا تماديا في الجهل والعناد فاقتضت الحكمة أن لا يظهر الله لهم ما اقترحوه من الآيات والمعجزات فانهم قد دخلوا في العذاب الدنيا وهو القتل يوم يدو وتخوفوا بعذاب الآخرة وشجرة الزقوم فما أثر فيهم فكيف يخاف قوم هتفه سالمهم برسائل

ما يقترحون من الآيات \* ولما نازع القوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاندوه واقتروا عليه الاقتراحات الباطلة لأميرين الكبر والحسد أما الكبر فلأن تكبرهم كان يمنعهم من الاتقياد وأما الحسد فلأنهم كانوا يحسدونه على ما آتاه الله من النبوة فينبغي تعالى أن هذا الكبر والحسد هما اللذان جلا إبليس على الخروج عن الإيمان والدخول في الكفر بقوله تعالى (وَأَذَى) أى واذا كراذ (قلنا) بما لنا من العظمة التي لا ينقض مرادها (للملائكة) حين خلقنا أبا آدم وفضلناه (أسجد والادم) أى امثالا لأمري (فسجدوا للإبليس) أى أبى أن يسجد لكونه ممن حقت عليه الكرامة ولم يتفعه ما يعلمه من قدرة الله وعظمته وذلك معنى قوله تعالى (قال) أى منكرا متكبيرا (أأسجد) أى خضوعا (لمن خلقت) حال كون أصله (طينا) فكفر بنسبته لنا إلى الجور تخيلا أنه أفضل من آدم عليه السلام من حيث أن الفروع ترجع إلى الأصول وأن النار التي هي أصله أكرم من الطين الذي هو أصل آدم وذهب عنه أن الطين أنفع من النار وعلى تقدير التنزل فالجواهر كلها من جنس واحد والله تعالى هو الذي أوجدها من العدم بفضل بعضها على بعض بما يحدث فيها من الاعراض وقد ذكر الله تعالى هذه القصة في سبع سور وهي البقرة والاعراف والجر وهذه السورة والكهف وطه وص والكلام المستقصى فيها قد تقدم في البقرة ولعل هذه القصة انما كررت تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم فانه كان في محنة عظيمة من قومه وأهل زمانه فكأنته تعالى يقول ألا ترى أن أول الانبياء هو آدم عليه السلام ثم انه كان في محنة شديدة من إبليس وأن الكبر والحسد كل منهما بلية عظيمة ومحنة عظيمة للخلق وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبه تحقيق الأولى وتسهيل الثانية وأدخل قالون وأبو عمرو بينهما ألفا ولم يدخل ورش وابن كثير بينهما ألفا ولورش أيضا بدل الثانية ألفا وإذا وقف جزء سهل الثانية كقراءة ابن كثير وقرأ هشام بالتحقيق في الثانية والتسهيل وادخل ألف بينهما وقرأ الباقر بتصحيحهما بلا إدخال \* ولما أخبر تعالى بتكبره كان كانه قيل ان هذه الواقعة عظيمة واجترأ على الجناب الاعلى فهل كان منه غير ذلك قيل (قال أ رأيتك) أى أخبرني وقرأ نافع بتسهيل الهمزة بعد الراء ولورش وجه ثان وهو أن يدها ألفا وأسقطها الكسائي والباقر بالتحقيق (هذا الذي كرمته على) لم كرمته على مع ضعفه وقوتى فكأنته قيل لقد أتى بالغاية في اساءة الادب فما كان بعد هذا قيل قال مقسم لاجل استبعاد أن يجترأ أحد هذه الجرأة على الملك الاعلى (لئن أخرت) أى أيها الملك الاعلى فأخبر امتدا (اليوم القيامة) حيا متمكنا وجواب القسم الموطأه باللام (لا تحسبنك) أى بالاعواء (ذريته) أى لاستولين عليهم استيلاء من جعل في حنك الدابة الأسفل جلا يقودها به فلا تأنى عليه وقرأ نافع وأبو عمرو ويزادة ياء بعد النون في أخرتى عند الوصل وحذفها في الوقف وأثبتها ابن كثير وصلوا ووقفوا وحذفها المباقر ووقفوا وصلوا اتباعا للرسم \* ولما علم أنه لا يقدر على الجميع قال (الأقليات) وهم أوليا أولئك الذين حفظتهم منى كما قال تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان (فان قيل) كيف ظن إبليس هذا الظن الصادق بذرية آدم (أجيب) بأوجه الأول انه سمع الملائكة يقولون أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء

فعرف هذه الاحوال الثاني انه وسوس الى آدم ولم يجده عزمًا فقال الظاهر ان اولاده يكونون  
 مثله في ضعف العزم الثالث انه عرف انه مركب من قوة بهيمية شهوية وقوة وهمية شيطانية  
 وقوة عقلية ملكية وقوة سبعية غضبية وعرف ان بعض تلك القوى تكون هي المستولية في بعض  
 اول الخلق ثم ان القوة العقلية انما تكمل في آخر الامر ومن كان كذلك كان ماذكرا ابليس لازما  
 له ثم كانه قيل لقد اطال عدو الله الاجترار فما حال له ربه بعد ذلك فقيل (قال) مداله (اذهب) أي  
 امض لما قصدته وهو طرد وتخليه بينه وبين ما سوات له نفسه وتقدم في الحجر أنه انما يؤخر الى يوم  
 الوقت المعلوم وهو يوم ينفخ في الصور لانه يؤخر الى يوم القيامة كما طلب وقرأ أبو عمرو وخلاص  
 والكسائي بادغام الباء الموحدة في الفاء وأظهرها الباقون \* ولما حكمتعالى بشقاوته وشقاوة  
 من اراد طاعته له تسبب عنه قوله تعالى (فمن تبعك منهم) أي اولاد آدم عليه السلام (فان  
 جهنم) أي الطبقة النارية التي تصبهم داخلها (جزاؤكم) أي جزاؤك وجزاء أتباعك تجزون  
 ذلك (جزاء موفورا) أي مكملًا وافيا بما تستحقون على أعمالكم الخبيثة \* ولما طلب ابليس  
 اللعين من الله تعالى الامهال الى يوم القيامة لاجل أن يحسب ذرية آدم ذكر الله تعالى له أشياء  
 الاوّل اذهب أي امض كما مرّ فاني أمهلتك هذه المدة وليس من الذهاب الذي هو ضد المجيء  
 الثاني قوله تعالى (واستقرز) أي استخف (من استطعت منهم) أن تستقرزه وهم الذين سلطناك  
 عليهم (بصوتك) قال ابن عباس معناه بدعائك الى معصية الله وكل داع الى معصية الله تعالى فهو  
 من جنس ابليس وقيل أراد بصوتك الغناء واللهو واللعب الثالث قوله تعالى (وأجلب) أي  
 صم (عليهم) من الجلبة وهي الصباح (بخيلك ورجلك) واختلفوا في الخيل والرجل على أقوال  
 الاوّل روى أبو الضمّي عن ابن عباس انه قال كل راكب أو راجل في معصية الله تعالى وعلى  
 هذا فخياله ورجله كل من شارك في الدعاء الى المعصية الثاني يحتمل أن يكون لابليس جيش من  
 الشياطين بعضهم راكب وبعضهم راجل الثالث ان المراد منه ضرب المثل كما يقال للرجل  
 الجهد في الامر جتبا الخيل والرجل قال الرازي وهذا أقرب وقال الزمخشري هو كلام ورد  
 مورد التمثيل مثل في تسلطه على من يغويه بغوار وقع على قوم فصوت بهم صوتا يستقرزهم  
 من أما كنهم ويقلقلهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجنده من خياله ورجاله حتى استأصلهم  
 والخيل تقع على الفرسان قال صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي وقد تقع على الافراس خاصة  
 وقرأ حفص عن عاصم بكسر الجيم وسكنها الباقون جمع راجل كصاحب وصاحب وراكب  
 وركب ورجل بالكسر والضم لغتان مثل حدث وحدث وهو مفرد أريد به الجمع الرابع قوله  
 تعالى (وشاركهم في الاموال والاولاد) أما المشاركة في الاموال فقال مجاهد هو كل ما أصيب  
 من حرام أو أنفق في حرام وقال قتادة هو جعلهم الخيرة والسائبة والوصيلة والحام وقال  
 الضحاك هو ما يذبحونه لآلهتهم وقال عكرمة هو تبتكهم آذان الانعام وقيل هو جعلهم من  
 أموالهم شيئا لغير الله كقولهم هذا لله وهذا لشركاننا ولا منافاة بين جميع هذه الاقوال  
 وأما المشاركة في الاولاد فقال عطاء عن ابن عباس هو تسمية الاولاد بعبد شمس وعبد العزى

وعبد الحرث وعبد الدار ونحوها وقال الحسن هو أنهم هودوا أولادهم ونصروهم ومجسومهم  
وروى عن جعفر بن محمد أن الشيطان يعقد ذكره على ذكر الرجل فاذا لم يقل بسم الله أصاب معه  
امرأته وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل ويقال في جميع هذه الأقوال أيضا ما تقدم وروى  
أن رجلا قال لابن عباس ان امرأتي استيقظت وفي فرجها شعله نار قال ذلك من وطء الجن  
وفي الآيات ان ابليس لما خرج الى الارض قال يا رب اخرجني من الجنة لاجل آدم فسلطني  
عليه وعلى ذريته قال أنت مسلط قال لا أستطيعه الا بك فزدني قال استغفر من استغفرت منهم  
بصوتك قال آدم يا رب سلط ابليس علي وعلى ذريتي واني لا أستطيعه الا بك قال لا يولد لك  
ولدا الا وكت به من يحفظونه قال زدني قال الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها قال زدني قال  
التوبة مفروضة مادام الروح في الجسد فقال زدني فقال يا عبادي الذين أسرفوا الآية وفي  
الخبر ان ابليس قال يا رب بعثت أنبياء وأنزلت كتبنا فقرأني قال الشعر قال فما كافي قال الوشم  
قال ومن رسولي قال الكهنة قال فاطعاعى قال ما لم يذكر عليه اسمي قال فاشرابي قال كل  
مسكر قال وأين مسكني قال الحمامات قال وأين مجلسي قال الاسواق قال وما حباتي  
قال النساء قال وما أذاني قال المزمار الخامس قوله تعالى (وعدهم) أي من المواعيد الباطلة  
ما يستخفهم ويفترهم من ذلك وعدهم بأن لا الجنة ولا نار ومن ذلك شفاعة الآلهة والكرامة على  
الله تعالى بالانساب الشريفة وتسويق التوبة وإيثار العاجل على الآجل ونحو ذلك وقوله  
تعالى (وما يعدهم الشيطان) من باب الالتفات وإقامة الظاهر مقام الضمير ولو جرى على سنن  
الكلام الاوّل لقال وما تعدهم بالتاء من فوق وقوله تعالى (الاعرورا) فيه أوجه أحدها  
أنه نعت مصدر محذوف وهو نفسه مصدر والاصل الاوعدا غرورا الثاني أنه مفعول به على الاتساع أي  
أي ما يعدهم من الاماني الكاذبة الا لاجل الغرور الثالث أنه مفعول به على الاتساع أي  
ما يعدهم الا الغرور نفسه والغرور تزين الباطل بما يظن أنه حق (فان قيل) كيف ذكر الله  
تعالى هذه الاشياء لابليس وهو يقول ان الله لا يأمر بالفحشاء (أجيب) بان هذا على طريق  
التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وكنقول القائل اعمل ما شئت فسوف ترى وكما يقال اجهد  
بهذا فسوف ترى ما ينزل بك \* ولما قال الله تعالى له اعمل ما تقدر عليه قال تعالى (ان  
عبادي) أي الذين أهلتم للاضافة الى فقاموا بحق عبوديتي بالتمسك والاحسان (ليس لك عليهم  
سلطان) أي فلا تقدر ان تعويهم وتحملهم على ذنب لا يغفر فاني وفقتهم للتوكل على فكفيتهم  
أمرك (وكفى بربك) أي الموجدك (وكيلا) أي حافظا لهم منك \* ولما ذكر تعالى انه الوكيل  
الذي لا كافي غيره أتبعه بعض أفعاله الدالة على ذلك بقوله تعالى (ربكم) أي المتصرف فيكم هو  
(الذي يزجي) أي يجري (لكم الفلك) ومنها التي جعلكم فيها مع أيكم فوح عليه الصلاة والسلام  
(في البحر لتبتغوا) أي لتطلبوا (من فضله) الربح وأنواع الامتعة التي لا تكون عندكم ثم انه  
تعالى علل ذلك بقوله عز وجل (انه) أي فعل سبحانه وتعالى ذلك لانهم (كان) أي أزلوا أبدأ (بكم  
رحيما) حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يسر من أسبابه \* (تنبيه) \* ان طلب



في قوله وبكم وفي قوله تعالى انه كان بكم عام في حق الكل والمراد من الرحمة منافع الدنيا ومصالحها  
وأما قوله تعالى (واذا مسكم الضر) أي الشدة (في البحر) خطاب للكفار بدليل قوله تعالى  
(ضل) أي غاب عن ذكركم وخواطركم (من تدعون) أي تعبدون من الآلهة (الآياه) وحده  
فأخلصتم له الدعاء علما منكم أنه لا ينجيكم سواه (فلا تنجاكم) من الفرق وأوصلكم بالتدريج  
(إلى البر) أعرضتم عن الاخلاص له ورجعتم إلى الاشرار (وكان الانسان) أي هذا  
النوع (كفورا) أي بحود اللذم بسبب أنه عند الشدة تمسك بفضله ورجته وعند الرخاء  
والراحة يعرض عنه وتمسك بغيره وقوله تعالى (أفأمنتم) الهزئة فيه اللانكار والفاء للعطف  
على محذوف تقديره أنجوتكم من البحر فأمنتم بعد خروجه منكم منه (أن تخسف بكم جانب البر)  
فنجيكم في أي جانب كان منه لأن قدوتنا على التغييبين في الماء والتراب على السواء فعلى العاقل  
أن يستوى خوفه من الله تعالى في جميع الجوانب (أو) أمنتم ان (ترسل عليكم) من جهة  
الفوق شيئا من أمرنا (حاصبا) أي نطر عليكم حجارة من السماء كما أمطرناها على قوم لوط قال الله  
تعالى انا أرسلنا عليهم حاصبا وقيل الحاصب الريح (ثم لا تجدوا لكم) أيها الناس (وكيلا)  
ينجيكم من ذلك ولا من غيره كما لم تجدوا في البحر وكيل غيره (أم أمنتم) أي جاوزت بكم  
الغياوة حذاه فلم تجوزوا ذلك (أن نعيدكم فيه) أي البحر الذي يضطركم إلى ذلك فنفسركم عليه  
وان كرهتم (تارة أخرى) بأسباب تضطركم إلى أن ترجعوا فتركبوه (فترسل عليكم قاصفا من  
الريح) أي ريحا شديدة لا تترى بشئ الا قصفته فتكسر فللكم (فنفركم) في البحر الذي  
أعدنا لكم فيه بقدرتنا (بما كفرتم) أي بسبب اشراركم وكفرانكم نعمة الانجاء (ثم لا تجدوا  
لكم علينا نبيعا) أي مطالبنا بباطلنا بما فعلنا بكم \* (نبيه) \* تارة بمعنى مرة وكثرة فهي  
مصدر وتجمع على تير وتارات قال الشاعر

وانسان عيني يحسر الماء تارة \* فيبدو وتارات يحجم فيفرق

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو أن تخسف أو ترسل أن نعيدكم فنرسل فنفرركم جميع هذه الخمسة  
بنون العظيمة والباقون بياء الغيبة والقراءة الأولى على سبيل الالتفات من الغائب في قوله  
تعالى ربكم إلى آخره والقراءة الثانية على سنن ما تقدم من الغيبة \* ثم إن الله تعالى ذكر نعمة  
أخرى رفيعة جليلة على الانسان وذكر فيها أربعة أنواع النوع الأول قوله تعالى (ولقد  
كرمنا) أي بعظمنا تكريما عظيما (بني آدم) وحذف متعلق التكريم فلذا اختلف المفسرون  
فيه فقال ابن عباس كل شيء يأكل بفيه الا ابن آدم فإنه يأكل بيده وعن الرشيد أنه أحضر  
طعاما عنده فدعا بالملاعق وعند أبي يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس ولقد كرمنا  
بني آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردها وأكل بأصابعه وروى عن ابن  
عباس أنه قال بالعقل وقال الضحاك بالنطق والتميز وقيل على سائر الطين بالتقوى وعلى الناحي  
بالحياة وعلى سائر الحيوان بالنطق وقال عطاء بتعديل القامة وامتدادها والدواب منكسة  
على رجولها قال بعضهم ونبتني أن يشترط مع هذا شرط وهو طول القامة مع استكمال الصورة

العقابة والحسية والحركية والافالاشجار أطول قامة من الانسان وقيل الرجال بالعنى والنساء بالذوات وقيل بأن هضراهم سائر الاشياء وقيل بأن منهم خير أمة أخرجت للناس وقيل بحسن الصورة قال تعالى وصوركم فأحسن صوركم ولما ذكر الله تعالى خلقه الانسان وهى ولقد خلقنا الانسان الآية قال قتيب بن الله أحسن الخالقين قال الرازى فان شئت فتأمل عضوا واحدا من أعضاء الانسان وهى العين فخلق الحدقة سوداء ثم أحاط بذلك السواد بياض العين ثم أحاط بذلك البياض سواد الاشفا ثم أحاط بذلك السواد بياض الاجفان ثم خلق فوق بياض الجفن سواد الحاجبين ثم خلق فوق ذلك السواد بياض الجبهة ثم خلق فوق ذلك البياض سواد الشعر وليكن هذا المثال الواحد نموذجا لك في هذا الباب انتهى واستدل أيضا الشرف الانسان بأن الموجود اما أن يكون أزليا وأبديا وهو الله تعالى واما أن لا يكون لأزليا ولا أبديا وهو عالم الدنيا مع كل ما فيه من المعادن والنبات والحيوان وهذا أحسن الاقسام واما أن يكون أزليا ولا يكون أبديا وهذا ممنوع الوجود لان ما ثبت قدمه امتنع عدمه واما أن لا يكون أزليا ولكنه يكون أبديا وهو الانسان والملك ولا شك أن هذا القسم أشرف من الثانى والثالث وذلك يقتضى كون الانسان أشرف من أكثر المخلوقات \* النوع الثانى قوله تعالى (وجعلناهم في البر) على الدواب وغيرها (و) في (البحر) على السفن وغيرها من جعلته جلا اذا جعلته ما ركبها أو جعلناهم فيها حتى لم نخسف بهم الارض ولم نفرقهم في الماء \* النوع الثالث قوله تعالى (ورزقناهم من الطيبات) أى المستلذات من الثمرات والاقوات وذلك لان الاغذية اما حيوانية واما نباتية وكلا القسمين فان الانسان انما يتغذى بالطف انواعها وأشرف أقسامها بعد التنقية التامة والطبخ الكامل والنضج البالغ وذلك مما لا يحصل الا للانسان \* النوع الرابع قوله تعالى (وفضلناهم) في أنفسهم باحسان الشكل وفي صفاتهم بالعلم المنتج لسعادة الدارين (على كثير من خلقنا) أى بعظمنا التي خلقناهم بها \* وأكدا الفعل بالمصدر إشارة الى اعراقهم في الفضيلة فقال تعالى (تفضيلا) \* (تنبيه) \* ظاهر الآية يدل على فضلهم على كثير من خلقه لا على الكل وقال قوم فضلا وعلى جميع الخلق الاعلى الملائكة وهو قول ابن عباس واختيار الزجاج على ما رواه الواحدى في بسطه وقال الكلبي فضلا وعلى جميع الخلائق كلهم الاعلى طائفة من الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وأشباههم وقال قوم فضلا على جميع الخلق وعلى جميع الملائكة كلهم وقد بوضع الاكثر موضع السكك كقوله تعالى هل أنبئكم على من تنزل الشياطين الى قوله تعالى وأكثرهم كاذبون أى كلهم وروى جابر يرفعه قال لما خلق الله تعالى آدم وذريته قالت الملائكة يا رب خلقتهم يا كاون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال تعالى لا أجعل من خلقته يسدى وتفخت فيه من روجى كمن قلت له كن فكان والاولى كما قاله بعض المفسرين كالبعوض وابن عادل أن يقال عوام الملائكة أفضل من عوام المؤمنين وخواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة قال تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وروى عن أبي هريرة رضى الله تعالى

عنه قال المؤمن أكرم على الله من الملائكة عنده رواد البغوى ورواد الواحدى فى بسطه  
 (فان قيل) قال تعالى فى أول الآية ولقد كرمنا بنى آدم وقال فى آخرها وفضلناهم فلا بد من  
 الفرق بين التكريم والفضل والالزم التكرار (أجيب) بأنه تعالى فضل الانسان على سائر  
 الحيوانات بأمر وخلقية طبيعية ذاتية كالعقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة  
 المديدة ثم انه سبحانه وتعالى عرّضه بواسطة العقل والفهم لاكتساب العقائد الحقة والاخلاق  
 الفاضلة \* ولما ذكر تعالى أنواع كرامات الانسان فى الدنيا شرح أحوال درجاته فى الآخرة  
 بقوله تعالى (يوم) أى اذ كرم يوم (ندعو) أى بتلك العظمة (كل أناس) أى منكم (يا مأمهم)  
 الامام فى اللغة كل من اتم به قوم كانوا على هدى أو ضلالة فالنبي امام أمته والخليفة امام  
 رعيته والقرآن امام المسلمين وامام القوم هو الذى يقتدون به فى الصلاة وذكر وفى تفسير  
 الامام هنا أقوالا أحدها امامهم نبيهم روى ذلك من فروع عن أبي هريرة عن النبي صلى الله  
 عليه وسلم فينادى يوم القيامة يا أمة ابراهيم يا أمة موسى يا أمة عيسى يا أمة محمد صلى الله عليه  
 وسلم فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الانبياء فيأخذون كتبهم بأيمانهم ثم ينادى الاتباع يا تابع  
 ثمود يا تابع فرعون يا تابع فلان وفلان من رؤساء الضلال وأكبر الكفر الثانى أن امامهم  
 كتابهم الذى أنزل عليهم فينادى فى القيامة يا أهل القرآن يا أهل التوراة يا أهل الانجيل الثالث  
 امامهم كتاب أعمالهم قال تعالى وكل شئ أحصيناه فى امام مبين فسمى الله تعالى هذا الكتاب  
 اماما قال الزمخشري ومن بدع التفاسير ان الامام جمع أم وان الناس يدعون يوم القيامة  
 بأمتهم دون آباؤهم وان المحكمة فيه رعاية حق عيسى واطهار شرف الحسن والحسين وأن لا  
 تفتضح أولاد الزنا قال وليت شعري أيهما أبداع البدع أحسنه أم بهاء حكمته قال ابن عادل  
 وهو معذور لان أتما لا يجمع على امام هذا قول من لا يعرف الصناعة ولالغة العرب (قن أو قى)  
 أى من المدعوقين (كأبه) أى كتاب عمله (بمينه) وهم السعداء أو لوال البصائر فى الدنيا (فأولئك  
 يقرؤن كتابهم) ابتهاجا وتجباجبارون فيه من الحسنات (ولا يظلمون) ينقص حسنة تامن ظالم ما  
 (قبيلا) أى شيا فى غاية القلة والحقارة بل يزدادون بحسب اخلاص النيات وطهارة الاخلاق  
 وزكاه الاعمال \* (قبيه) \* القليل القشرة التى فى شق النواة تسمى بذلك لانه اذا رام الانسان  
 اخراجه انقتل وهذا مثل يضرب للشئ الحقيق التافه ومثله القطمير وهو الغلالة التى فى ظهر  
 النواة والنقير وهى النقرة التى فى ظهر النواة وروى مجاهد عن ابن عباس قال القليل هو  
 الوسخ الذى يقتله الانسان بين سبائه وابهامه (فان قيل) لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم  
 مع أن أهل الشمال يقرؤنه (أجيب) بان أصحاب الشمال اذا طالعوا كتابهم وجدوه منسوخة  
 على المهلكات العظيمة والقبائح الكاملة فيستولى الخوف على قلوبهم ويتقل لسانهم فيجهزون  
 عن القراءة الكاملة وأما أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك لا جرم أنهم يقرؤن كتابهم  
 على أحسن الوجوه ثم لا يقتنعون بقراءتهم وحدهم بل يقول القارى لأهل المشركه اقرؤا  
 كتابه جعلنا الله تعالى وجميع أحبائنا منهم \* ثم قال الله تعالى (ومن كان منهم) (فى هذه)

أى الدار (أعمى) أى ضالا يعمل فى الافعال فعل الاعمى فى أخذ الاعيان لا يهتدى الى أخذ  
 ما يتفقه وترك ما يضره ولا يعيزين حسن وقبح (فهو فى الآخرة أعمى) أى أشد عمى مما كان عليه  
 فى هذه الدار لا ينجح له قصد ولا يهتدى لصواب ولم يقل تعالى أشد عمى كما يقال فى الخلق  
 اللازمة لحالة واحدة مثل العور والعمرة والسواد ونحوها لان هذا مراد به عمى القلب الذى  
 من شأنه التزايد والحدوث فى كل لحظة شيا بعد شئ (وأضل سبيلا) لان هذه الدار دار  
 الاكتساب والترقى فى الاسباب وأما تلك فليس فيها شئ من ذلك وقال عكرمة جاء فقر من أهل  
 اليمن الى ابن عباس فسأله رجل عن هذه الآية فقال اقرؤا ما قبلها فقرؤا ربكم الذى يزجى لكم  
 القلك الى قوله تفضيلا فقال ابن عباس من كان أعمى فى هذه النعم التى قدر أى وعابن فهو  
 فى الآخرة التى لم يعابن ولم ير أعمى وأضل سبيلا وعلى هذا فالاشارة فى قوله هذه الى النعم  
 المذكورة فى الآيات المتقدمة وجل بعضهم العمى الثانى على عمى العين والبصر كما قال تعالى  
 ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا  
 قسيتها وكذلك اليوم تنسى وقال تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عيا وبكيا وصما  
 وهذا العمى زيادة فى عقوبتهم \* ولما عددتعالى فى الآيات المتقدمة أقسام نعمه على خلقه  
 وآتبعها بذكر درجات الخلق فى الآخرة وشرح أحوال السعداء أردفه بما يجرى مجرى تحذير  
 السعداء عن الاغترار بوسواس أرباب الضلال والانخداع بكلماتهم المشتملة على المكر  
 والتلبيس فقال تعالى (وإن كادوا) أى قاربوا فى هذه الحياة الدنيا العماهم فى أنفسهم  
 عن عصمة الله تعالى لك ولما كانت ان هذه هى المحققة من الثقلية أتى باللام الفارقة بينها وبين  
 النافية بقوله تعالى (ليفتنونك) أى ليخالطونك مخالطة تميلك الى جهة قصدهم لكثرة خداعهم  
 واختلف فى سبب نزول هذه الآية فروى عطاء عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية فى وفد  
 ثقف أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال قال وما هن  
 قالوا أن لا نجبي فى الصلاة بفتح الجيم والباء الموحدة المشددة أى لا نتحنى فيها ولا نكسر  
 أصنامنا الا بأيدينا وأن لا تمنعنا من اللات والعزى سنة من غير أن نعبدها فقال النبي صلى  
 الله عليه وسلم لا خير فى دين لا ركوع فيه ولا سجود وأما أن تكسروا أصنامكم بأيديكم فذلك  
 لكم وأما الطاغية بمعنى اللات والعزى فأنى غير متمكن بها وفى رواية وحرم وادينا كما حترمت  
 مكة ثم جرها وطيرها ووحدها فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجيبهم فقالوا  
 يا رسول الله انما نحب أن نسمع العرب أنك أعطيتنا ما لم تعط غيرنا فان خشيت أن تقول العرب  
 أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرنى بذلك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فطمع القوم فى سكوته  
 أن يعطيهم ذلك فصاح عليهم عمر وقال أما ترون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمسك  
 عن الكلام كراهة لما ذكره فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال سعيد بن جبيرة كان النبي  
 صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الأسود فخره فريش وقالوا لاندعك حتى تلم يا لهتنا وتمسها  
 فحدث صلى الله عليه وسلم نفسه بما على أن أفعل ذلك والله يعلم انى لها الكلام بعد أن يدعوفى

حتى استلم الحجر فأنزل الله تعالى هذه الآية . وروى ان قريشا قالوا له اجعل آية رحمة آية عذاب  
 وآية عذاب آية رحمة حتى تؤمن بك فنزلت وان كادوا ليقتنونك (عن الذي أوحينا إليك)  
 من أوامرنا ونواهيها وهدانا ووعيدنا (لتفتري) أي لتقول (علينا غيره) أي ما لم نقله (وإذا) أي  
 لو ملت إلى ما دعوك إليه (لا تتخذوك) أي بغاية الرغبة (خميلا) أي لو الولد وما فولد وأظهروا  
 للناس أنك موافق لهم على كفرهم وراض بشركهم ومن يكن خليل الكفار لم يكن خليل الله  
 تعالى ولكنك أبصرت رشدك فلزمت أمر الله واستمروا على مما هم اتعنا لتفضيلنا لك على كل  
 مخلوق (ولو لأن يتنالك) أي على الحق بعصمتنا إليك (أقد كدت) أي قاربت (تركن) أي عدل  
 (اليهم) أي إلى الأعداء (شيأ) أي ركونا (قليلًا) لمحببتك في هدايتهم وحرصك على منفعتهم ولكنا  
 عصمتك فنحن نالك أن تقرب من الركون فضلنا من أن تركن اليهم لأن كلمة لولا لا تفيد انتفاء  
 الشيء الثبوت غيره تقول لولا زيد لهلك عمرو ومعناه ان وجود زيد يمنع من حصول الهلاك لعمرو  
 فكذلك همنا قوله تعالى ولو لا أن يتنالك لقد كدت تركن اليهم معناه لولا حصول تثبيت الله  
 لمحمد صلى الله عليه وسلم فكان تثبيت الله مانعًا من حصول قرب الركون وهذا صريح في أنه  
 عليه الصلاة والسلام ما هم بأجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على أن العصمة توفيق الله  
 وحفظه (إذا) أي لو قاربت الركون الموصوف اليهم (لأذقناك ضعف) عذاب (الحياة وضعف)  
 عذاب (الممات) أي مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة وكان أصل الكلام عذابا ضعفا  
 في الحياة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ثم أضيفت كما  
 يضاف موصوفها وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وضعف الممات عذاب القبر  
 والسبب في تضعيف هذا العذاب ان أقسام نعمة الله تعالى في حق الانبياء عليهم الصلاة  
 والسلام أكثر فكانت ذنوبهم أعظم فكانت العقوبة المستحقة عليهم أكثر وتظيره قوله تعالى  
 يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وقيل الضعف من أسماء  
 العذاب (ثم لا تجد لك) أي وان كنت أعظم الخلق وأعلامهم مرتبة وهمة (علينا نصيرا) أي  
 مانعًا عنك من عذابنا واختلقوا في سبب نزول قوله تعالى (وان) أي وان هم (كادوا)  
 أي الأعداء (ليستفزونك) أي ليزججونك بمعاداتهم (من الأرض ليخرجولم منها) فقال  
 ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة حسدته اليهود وكرهوا قربه  
 منهم فقالوا يا أبا القاسم ان الانبياء انما يبعثوا بالشأم وهي بلاد مقدسة وكانت مسكن ابراهيم  
 فلو خرجت إلى الشأم آمنابك وآتبعناك وقد علمنا أنه لا يبعثك من الخروج الا خوف الروم فان  
 كنت رسول الله فانه يبعثك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أميال من  
 المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجمع اليه أصحابه ويراه الناس عانما على الخروج إلى الشأم  
 فدخلون في دين الله فأنزلت هذه الآية فرجع وهذا قول الكلبي وعلى هذا فالآية مدينة  
 والمراد بالأرض أرض المدينة وقال قتادة ومجاهد الأرض أرض مكة والآية مكة هم  
 المشركون أن يخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكفهم الله تعالى عنه حتى أمره

بالهجرة فخرج بنفسه قال ابن عادل تبع للرازي وهذا اليتق بالآية لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية وهذا اختيار الزجاج وكثير في التزيل ذكر الأرض والمراد منها مكان مخصوص كقوله تعالى أو يتقوا من الأرض أي من مواضعهم وقوله تعالى حكايته عن أخى يوسف فلن أبرح الأرض بمعنى الأرض التي كان قصد ها الطلب الميرة (فان قيل) قال تعالى وكان من قرينيه أشد قوة من قرينك التي أخرجتك بمعنى أهل مكة فالمراد أهلها فاذكر تعالى أنهم أخرجوه وقال تعالى وان كلدوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها فكيف الجمع بينهما على القول الثاني (أجيب) بأنهم هموا بانراجه وهو صلى الله عليه وسلم ما خرج بسبب إخراجهم وانما خرج بأمر الله تعالى وحسن تدفلا تناقض (واذا) أي واذا أخرجوك (لا يلبثون خلفك) أي بعد إخراجك لو أخرجوك (الآن) زمنا (قليلًا) وقد كان كذلك على القول الثاني فانهم أهل كوايد بعد هجرته وعلى القول الأول قتل منهم بنى قريظة وأجلى بنى النضير بقليل وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وشعبة بفتح الخاء ويسكون اللام والباقيون بكسر الخاء وفتح اللام وبعدها ألف قال الشاعر

عفت الديار (أي اندست) خلفهم (أي خلفهم) فكأنما \* بسط الشواطئ بينهن حصيرا  
الشواطئ النساء اللاتي يشقن الجريد ليعملن منه الحصير والشطب والشواطئ بسف النخل  
الأخضر يصف دروس ديار الاحبة بعدهم وانما غير مكتوسة كأنما بسط فيها سف النخل  
ولما أخبر بذلك أعلم أنه سنة في جميع الرسل بقوله تعالى (سنة) أي كسنة أو سنة سنة  
(من قد أرسلنا قبلك) أي في الأزمان الماضية كلها (من وسلنا) أنان لك كل أمة أخرجوا  
رسولهم من بين أظهرهم والسنة لله واضافها الى الرسل لانها من أجلهم ويدل عليه قوله  
تعالى (ولا تجادلنا ممن يتبعونك بحسب الظن ولا يحملون أوزار من غير علم) ولما قررتعالى لنيه صلى الله عليه وسلم الالهيات  
والمعاد والنبوات أورد فيها ذكر الامر بالطاعة وأشرف الطاعة بعد الايمان الصلاة فذلك قال  
تعالى لنيه محمد صلى الله عليه وسلم (أقم الصلاة) بفعل جميع أركانها وشراطينها بحيث تصير  
كأنها فاعمة بنفسها فانها باب العبادة لما فيها من المناجاة والاعراض عن كل غير وفنا عن كل  
سوى بما أشرق من أوار الحضرة التي قد اضمحل اليها صكل فان وفي ذلك اشارة عظيمة الى  
ان الصلاة أعظم ناصر على الاعداء الذين يريدون بمكرهم استقزاز الاولياء ولذلك كان صلى الله  
عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة ثم عين له الاوقات بقوله تعالى (للولك الشمس) في هذه  
اللام قولان أحدهما انما بمعنى بعد أي بعد لولك الشمس ومثله قول ميم

فلما تفرقتا كافي ومالك \* لطلول اجفاج لم يبت ليله معا

والثاني انما على بابها لانها لا تجب بزوال الشمس واللولك مصدر داصكت الشمس وفيه  
أقوال أحدها انه الزوال وهو قول ابن عباس وابن عمر وجابر وأكثر التابعين ويدل لذلك قوله  
صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل للولك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقول أهل اللغة معنى  
اللولك في كلام العرب الزوال ولذلك قيل للشمس لقاؤا لمت نصف النهار النكته والثاني انه

الغروب وهو قول ابن مسعود ونقله الواحدى في البسيط عن علي رضي الله عنه وبه قال  
 ابراهيم النخعي والفضال والسدي وهو اختيار الفراء وصححه ما يقال للشمس اذا زالت  
 نصف النهار الكفة يقال لها أيضا اذا غربت الكفة لانها في الحالين زائلة قال الازهري  
 والثالث انه من الزوال الى الغروب وقال في القاموس دلكت الشمس غربت أو اصقرت  
 أو ماتت أو زالت عن كبد السماء فحتمت في هذه اللفظة دلالة على الظهر والعصر والمغرب من  
 استعمال المشترك في معانيه أما في الظهر والمغرب فواضح للمعنى وأما العصر فلان أول وقتها  
 قول أخذ الشمس في الاصرار وأدل دليل على ذلك أنه تعالى فيها الاقامة لوقت العشاء بقوله  
 تعالى (الى غسق الليل) أي ظلمته وهو وقت صلاة عشاء الآخرة والغاية أيضا هنا داخله للمسياق  
 وقد أجمعوا على أن المراد من قوله تعالى (وقرآن الفجر) أي صلاة الصبح وهو منصوب قبل على  
 الاغراء أي وعليك بقرآن الفجر ورد بأن أسماء الافعال لا تعمل مضرة وقال الفراء انه منصوب  
 بالعطف على الصلاة في قوله تعالى أقم الصلاة والتقديراً أقم الصلاة وأقم قرآن الفجر وحينئذ  
 تدخل الصلوات الخمس في هذه الآية قال ابن عادل كالرازي وجل كلام الله تعالى على ما يكون  
 أكثر فائدة أولى انتهى وسميت صلاة الصبح قرآناً لاشتمالها عليه وان كانت بقية الصلوات  
 أيضا مشتملة عليه لانه يطول فيها في القراءة ما لا يطول في غيرها فالقصد من قوله تعالى وقرآن  
 الفجر الحث على طول القراءة فيها أكثر من غيرها لان التخصيص بالذكر يدل على كونه أكمل  
 من غيره ولما كان القيام عن المنام يشق على من غاب منظره غير مضمحل لان المقام مقام تعظيم  
 فقال (ان قرآن الفجر كان مشهودا) أي تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار  
 ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار قال الرازي ثم ان  
 ملائكة الليل اذا صعدت طالت يارب ان اتركنا عبادك يصلون لك وتقول ملائكة النهار وبنينا  
 اننا آتينا عبادك وهم يصلون فيقول الله تعالى ملائكتنا اشهدوا بانى قد غفرت لهم وقال  
 أبو هريرة رضى الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجمع صلاة  
 أحدكم وحده بخمسة وعشرين درجة وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر  
 ثم يقول أبو هريرة اقرأوا ان شئتم ان قرآن الفجر كان مشهودا وهذا يدل على ان التخليس أولى  
 من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من أول الوقت في ذلك الوقت ظلمة باقية فتكون  
 ملائكة الليل حاضرة ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيب القراءة وتكثيرها زالت الظلمة وظهر  
 الضوء وحضرت ملائكة النهار وأما اذا ابتدأ بهذه الصلاة في وقت التنوير فهناك لم يبق أحد  
 من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور فقولنا كان مشهودا يدل على ان التخليس أفضل  
 وأيضا الانسان اذا شرع في صلاة الصبح من أول هذا الوقت فكانت الظلمة القوية في العالم  
 فإذا امتدت القراءة في أثناء هذا الوقت ينقلب العالم من الظلمة الى الضوء والظلمة مناسبة  
 للموت والعدم والظلمة مناسبة للحياة والوجود فالانسان لما قام من منامه فكانت انتقل  
 من الموت الى الحياة ومن العدم الى الوجود ومن السكون الى الحركة وهذه الحالة العجيبة

تشهد العقول بأنه لا يقدر على هذا التقلب الا الخلق المدير بالحكمة البالغة فحينئذ يستنير  
 العقل بتورده هذه المعرفة ويتخلص من مرض قلبه فان أكثر الخلق وقعوا في امراض القلوب  
 وهي حب الدنيا والحرم والحسد والتفاخر والتكاثر وهذه الدنيا مثل دار المرضى اذا كانت  
 مملوءة من المرضى والانبيا كالاطباء الحاذقين والمرضى ربما كان قد يقوى مرضه فلا يعود الى  
 الصحة الا بمعالجات قوية وربما كان المريض جاهلا فلا ينقاد للطبيب ويضالقه في أكثر الامرات  
 الطبيب اذا كان مشفقا حاذقا فانه يسعى في ازالة ذلك المرض بكل طريق يقدر عليه وان لم يقدر  
 على ازالته فانه يسعى في تقليده وفي تحقيقه فلما كان مرض الدنيا مستوليا على الخلق ولا علاج له  
 الا بالدعوى الى معرفة الله سبحانه وتعالى وخدمته وطاعته وهذا علاج شاق على النفوس وقل  
 من يقبله ويتقاده لاجرم أن الانبياء اجتهدوا في تقليل هذا المرض فعملوا الخلق على الشروع  
 في الطاعة والعبودية من اول وقت القيام من النوم لانه مما ينقع في ازالة هذا المرض ثم حث  
 سبحانه وتعالى على التهجدا لفضليته وارشدته بقوله عز من قائل (ومن الليل) أي وعليك أو  
 وقم بعض الليل (فتجد به) أي واترك الهجود للصلاة يقال هجد وتمجد نام ليلا وهجد وتمجد  
 سهر فهو من الاضداد ومنه قيل لصلاة الليل التهجدا قاله في الصحاح والضمير في به لمطلق  
 القرآن والمراد من الآية قيام الليل لصلاة النافلة فلا يحصل التهجدا الا بصلاة نفل بعد نوم  
 وكانت فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أمته في الابتداء بقوله تعالى يا أيها المرسل قم  
 الليل الا قليلا ثم نسخ بما في آخرها ثم نسخ بما في الصلوات الخمس وبقي قيام الليل على الاستحباب  
 بقوله تعالى فاقروا ما تيسر منه وبقي الوجوب في حقه صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى  
 (نافلة لك) أي زيادة لك مختصة بك وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه  
 وسلم قال ثلاث هن علي فريضة وهن سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل والصحيح أنه نسخ  
 في حقه أيضا ودليل النسخ رواه مسلم وقد وردت أحاديث كثيرة في قيام الليل منها ما روى عن  
 المغيرة بن شعبه أنه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفضت قدماه فقيل له أتتكلف هذا  
 وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ومنها ما روى عن  
 زيد بن خالد الجهني أنه قال لا رمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة فتوسدت عنته  
 أو فسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين طويلتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين  
 طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم أوتر فذلك ثلاثة عشر ركعة فلهذا قيل انه أكثر الوتر  
 وهو أحد قولين الشافعي والمرجح عنده ان أكثره إحدى عشرة ركعة لما رواه أبو سلمة أنه سأل  
 عائشة رضي الله تعالى عنها عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما كان يزيد في رمضان  
 ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة أي وتر يصلي أربعها فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي  
 أربعها فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا قالت عائشة رضي الله تعالى عنها نقلت  
 يا رسول الله أتمنام قبل أن توتر فقال يا عائشة ان عيني تنام ولا ينام قلبي ومنها ما روى عن أنس  
 ابن مالك قال ما كنا نشاء أن نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليل مصليا الا رأيناه وماتناه



أن نراه نائماً إلا رأيناه وفي رواية غيره قال وكان يصوم من الشهر حتى تقول لا يفطر منه شيئاً  
 ويفطر حتى تقول لا يصوم منه شيئاً ثم قال تعالى (عسى أن يعثرك ربك) أي المحسن اليك (مقاماً  
 محموداً) اتفق المفسرون على أن كلمة عسى من الله واجب قال أهل المعاني لأن لفظة عسى  
 تفيد الاطماع ومن أطمع انساناً في شيء ثم حرمه كان عاراً والله أكرم من أن يطمع احدنا في  
 شيء ثم لا يعطيه ذلك وأما المقام المحمود فقال الواحدى أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة كما  
 قال صلى الله عليه وسلم في هذه الآية هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي وقال حذيفة يجمع الناس  
 في صعيد واحد فلا تسكلم نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبك وسعديت والشر  
 ليس اليك والمهدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا اليك  
 تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فقال هذا هو المراد من قوله تعالى عسى أن يعثرك ربك  
 مقام محمود ويدل للأول أحاديث منها ما روى عن أبي هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي وهي نائلة منكم إن شاء الله  
 تعالى من مات لا يشرك بالله شيئاً ومنها ما روى عن جابر أنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 قال من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة  
 والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة ومنها ما روى عن  
 أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهيموا بذلك فيقولون  
 لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده  
 وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء أشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من  
 مكاننا هذا فيقول لست هنا كم ويدكر خطيئته التي أصاب أكله من الشجرة وقد نهي عنها  
 ولكن اتوا نوحاً أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون نوحاً فيقول لست هنا كم ويدكر  
 خطيئته التي أصاب بسؤال ربه بغير علم ولكن اتوا إبراهيم خليل الرحمن فيأتون إبراهيم  
 فيقول لست هنا كم ويدكر ثلاث كذبات كذبت ولكن اتوا موسى عبداً آتاه الله التوراة  
 وكلمه وقربه نجيباً قال فيأتون موسى فيقول لست هنا كم ويدكر خطيئته التي أصاب قتله النفس  
 ولكن اتوا عيسى عبداً لله وكلمته قال فيأتون عيسى فيقول لست هنا كم ولكن اتوا محمداً  
 عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال فيأتوني فأستأذن علي ربي فيؤذن لي فإذا رأيت  
 وقعت ساجداً فمدعني ما شاء الله أن يدعني فيقول ارفع رأسك يا محمد وقل تسمع واشفع تشفع  
 وسل تعطه قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلني قال ثم أشفع فيحدي حداً  
 فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجداً فمدعني ما شاء الله أن يدعني  
 ثم يقول ارفع يا محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء  
 وتحميد يعلني قال ثم أشفع فيحدي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة قال فلا أدري  
 في الثالثة أو الرابعة فأقول يا رب ما بقي إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود وعن  
 ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مقام محمود أي مدك فيه الأولون والآخرون وتشرف

فيه على جميع الخلائق سل فتعطي واشفع فتشفع ليس أحد الا تحت لوائك والاعبار في  
 الشفاعة كثيرة وفي هذا القدر كفاية لا ولي البصائر جعلنا الله تعالى وجميع احبابنا من  
 اهلها الداخلين تحت شفاعته سيد الانبياء والمرسلين امين واختاف اهل التفسير في قوله  
 تعالى (وقل رب ادخلى مدخل صدق واخرجني مخرج صدق) فقال ابن عباس والحسن  
 ادخلى مدخل صدق المدينة واخرجني مخرج صدق مكة نزل حين امر النبي صلى الله عليه  
 وسلم بالهجرة وقال النخعي اخرجني مخرج صدق من مكة آمنان المشركين وادخلى  
 مدخل صدق ظاهر اعليها بالفتح وقال مجاهد ادخلى في امرك الذي ارسلتني به من النبوة  
 مدخل صدق واخرجني من الدنيا وقدت بما وجب علي من حقها مخرج صدق وقيل ادخاله  
 الغار واخرجه منه سالما وقيل ادخلى مدخل صدق الجنة واخرجني مخرج صدق من  
 مكة وقيل ادخلى في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا واخرجني منه عند البعث مخرج صدق  
 اخر اجاملي بالكرامة والجامع لهذه الاقوال ما جرى عليه البقاعى في تفسيره بقوله  
 في كل مقام تريد ادخلى فيه حتى ومعنوى دنيا واخرى مدخل صدق يستحق الداخل فيه ان  
 يقال له انت صادق في قولك وفعلك فان ذا الوجهين لا يكون عند الله وجهيا واخرجني من كل  
 ما اخرجني منه مخرج صدق انتهى والمراد من المدخل والمخرج الادخال والاخراج ومعنى  
 اضافة المدخل والمخرج الى الصدق مدحه ما كانه سأل الله تعالى ادخالا حسنا واخرجا  
 حسنا لا يرى فيهما ما يكره ثم سأل الله تعالى ان يرزقه التقوية بالجنة وبالقهر والقدرة فقال  
 (واجعل لي من لدنك) أي عندك (سلطانا نصيرا) أي حجة ظاهرة تنصرفني بها على جميع من  
 خالفني وقد اجاب الله تعالى دعاءه واعلمه أنه يعصمه من الناس بقوله تعالى والله يعصمك من  
 الناس وقال تعالى ألا ان حرب الله هم الغالبون وقال تعالى ليظهره على الدين كله وقال تعالى  
 ليستخلفنهم في الارض ووعده تعالى ليظهره على الدين ووعده تعالى لينزع من ملك فارس والروم  
 فيجعلله وعنه صلى الله عليه وسلم أنه استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال انطلق فقد  
 استعملت على أهل الله فكان شديدا على المرائين المنافقين لبنا على المؤمنين وقال والله  
 لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة الامانة فقال أهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على أهل  
 الله عتاب بن أسيد اعرايا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم اني رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب  
 ابن أسيد أتى باب الجنة فاخذ بجملقة الباب فقلها قلها قلها لاشد اشد حتى فتح له فدخلها فأعز الله  
 تعالى الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير ثم أمره الله تعالى أن  
 يخبر بالاجابة بقوله تعالى (وقل) أي لا واماك وأعدائك (جاء الحق) وهو ما أمرني به ربي وأنزله  
 الي (وزهق) أي اضمحل وبطل وهلك (الباطل) وهو كل ما يخالف الحق ثم علل زهوقه بقوله  
 تعالى (ان الباطل) أي وان ارتفعت له دولة وصوله (كان) في نفسه بجبلته وطبعه (زهوقا) أي  
 لا يبقى بل يزول على أسرع الوجوه وقت وأسرع رجوع قضاء قضاء الله تعالى من الازل روى  
 البخاري في التفسير عن ابن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول

قوله على أسرع  
 الوجوه وقت الخ  
 هكذا في جميع  
 النسخ وله على  
 أسرع الوجوه  
 كل وقت ويرجع اه

الكعبة ثلثمائة وستون صنماً من كل قوم بجبالهم فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق  
 وزهق الباطل فجعل الصنم ينكب لوجهه وعن ابن عباس كانت لقبايل العرب أصنام يحجون  
 اليها ويحزون لها فشكى البيت الى الله تعالى فقال أي رب الى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك  
 فأوحى الله تعالى الى البيت اني سأحدث لك نوبة جديدة فاملوك خذ دودا سجدا يدقون اليك  
 دغيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم يحجج حولك بالتلبية \* ولما زلت هذه  
 الآية يوم الفتح جاء جبريل عليه السلام وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ منصرتك ثم  
 ألقها فجعل يأتى صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب  
 الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعا وبقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفرة فقال يا على  
 الزم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد ورمى به فكسره فجعل أهل مكة يتعجبون  
 ويقولون ما رأينا رجلا أسعره من محمد قال الزمخشرى وشكايه البيت والوحى اليه تخيل وتخييل  
 \* ولما بين سبحانه وتعالى الالهيات والنبوات والحشر والتشر والبعث واثبات القضاء والقدر  
 ثم أتبعه بالامر بالصلاة ونبه على ما فيها من الاسرار وكان القرآن هو الجامع لجميع ذلك أتبعه  
 ببيان كونه شفاء ورحمة بقوله تعالى (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) أي ما هو  
 شفاء في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمريض \* (تبيينه) \* في من هذه ثلاثة  
 أوجه أحدها انه لبيان الجنس قاله الزمخشرى والبيضاوى وابن عطية وأبو البقاء ورد عليهم  
 أبو حيان بأن التي للبيان لا بد أن تتقدمها ما تبينه لأن تتقدم عليه وهناك وجه قد تقدمها عليه  
 الثاني أنها للتبويض وأنكره الحوفي لانه يلزم أن لا يكون بعضه شفاء وأجاب أبو البقاء بأن منه  
 ما يشفي من المرض وهذا قد وجد دليل رقيقه بعض الصحابة سيد الخي الذي لدغ بالفاحة  
 فشفى من المرض فيكون التبويض بالنسبة للأمراض الجسمانية والافهوكه شفاء للأبدان  
 والقلوب من الاعتقادات وغيرها الثالث أنها لا بد أن الغاية وهو كما قال ابن عادل واضح (و) من  
 العجيب ان هذا الشفاء (لا يزيد الظالمين) وهم الذين يرضون الشيء في غير موضعه بأعراضهم  
 عما يجب قبوله (الاحساروا) أي نقصانها لانه اذا جاءهم وقامت به الحجة عليهم أعرضوا عنه فكان  
 أعراضهم ذلك زيادة في كفرهم كما ان قبول المؤمنين له واقبالهم على تدبره زيادة في ايمانهم  
 وفي الدارمي عن قتادة قال ما جالس أحد القرآن فقام عنه الا بزيادة أو نقصان ثم قرأ هذه الآية  
 ثم انه تعالى ذكر السبب الاصل في وقوع هؤلاء الكافرين الجاهلين الضالين في أودية الضلال  
 ومقامات الخزي والتكال وهو حب الدنيا والرغبة في المال والجاه واعتقادهم أن ذلك انما يحصل  
 بسبب جدهم واجتهادهم فقال تعالى (واذا أنعمنا) أي بالنا من العظمة (على الانسان) أي  
 هذا النوع هؤلاء وغيرهم وقال ابن عباس ان الانسان ههنا هو الوليد بن المغيرة قال الرازي  
 وهذا يعيد بل المراد أي نوع الانسان اذا أنعمنا عليه (أعرض) أي عن ذكرنا ودعائنا  
 اذ شأن نوع الانسان أنه اذا فاز بمقصوده ووصل الى مطلوبه اغتر وصار غافلا عن عبودية الله  
 مفردا عن طاعة الله كما قال تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى (وبئى) عن ذكر الله

(بجانبه) أي لوى عطفه وبعد نفسه كأنه مستغنى بأمره ويجوز أن يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين ومعنى النأي في اللغة البعد والاعراض عن الشيء أن يولى عرض وجهه وقرأ ابن ذكوان بألف ممدودة بعد النون وتأخير الهمزة مثل جاءه وفي هذه القراءة تنجز يجان أحدهما من ناهي ينوه أي نهض والثاني انه مقلوب من نأى فيكونان بمعنى قال ابن عادل ولكن متى أمكن عدم القلب فهو أولى وقرأ الباقرن بالهمزة بعد النون وألف بعد همزة وآمال الالف بعد الهمزة السوسى وشعبة وخلاصة بخلاف عن السوسى وآمالها ورش بين بين وآمال الهمزة والنون محضة خالف والكسائي وفتح الباقرن (وإذا مسه الشر) أي هذا النوع وان قل (كان يؤسا) أي شديد اليأس عما عهد من رحمة ربه والحاصل أنه ان فاز بالنعمة والدولة اغتربها ونسى ذكر الله وان بقي في الحرمان عن الدنيا استولى عليه الاسف والحزن ولم يتفرغ لذكر الله فهذا المسكين محروم أبدا عن ذكر الله تعالى وتظيره قوله تعالى فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمى وأما اذا ما ابتلاه فقد رعبه رزقه فيقول ربى أهاننى وكذلك ان الانسان خلق هلو عا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا من حفظه الله وشرقه بالاضافة اليه فليس للشيطان عليه سلطان ثم قال تعالى لئنيتي محمد صلى الله عليه وسلم (قل كل) من الشاكر والكافر (يعمل على شاكته) أي طريقته التي تشاكل روحه وتشاكل ما طبعناه عليه من خيرا وشررا (قر بكم) أي فتسبب عن ذلك ان الذي خلقكم وصوكم (أعلم) من كل أحد (بن هو) منكم (أهدى سبيلا) أي أوضح طريقا واتباعا للحق فيشكروا بصيرا احتسابا فيعطيه الثواب ومن هو منكم أضل سبيلا فيجعل له العقاب لانه يعلم ما طبعهم عليه في أصل الخلق وغيره تعالى انما يعلم أمور الناس في طرائقهم بالتجربة وقد روى الامام أحمد لكن بسند منقطع عن أبي الدرداء رضى الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم يجبل زال عن مكانه فصدقوا واذا سمعتم برجل تغير عن طبعه فلا تصدقوا فانه يصير الى ما جبل عليه واختلف في سبب نزول قوله تعالى (ويستلونك) أي تعناوا متصافا (عن الروح) فعن عبد الله بن سعد قال بينما أنا ماشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنجر من اليهود فقال بعضهم لبعض اسألوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه لا يجيب بنجرهم فقلنا انهم اتسألون فقال رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح فسكت فقلت انه يوحى اليه فقمت فلما انجلت عنه قال ويستلونك عن الروح (قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا) قال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه وقال ابن عباس ان قريشا اجتمعوا فقالوا ان محمدا نشأ فينا بالصدق والامانة وما اتهمناه بكذب وقد ادعى ما ادعى فابعدوا نقرأ الى اليهود بالمدينة واسألوهم عن فانهم أهل كتاب فبعثوا جماعة اليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة أشياء فان أجاب عن كلها ولم يجيب عن شئ منها فليس بنبي وان أجاب عن اثنين فهو نبي فسالوه عن قية فقدوا في الزمن الاول ما كان أمرهم فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل يبلغ مشرق الارض

ومغربها وعن الروح فسألو النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخبركم بما سألتكم عنده ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحي قال مجاهد اثنى عشر ليلة وقيل خمسة عشر يوما وقيل اربعين يوما وأهل مكة يقولون وعدهنا محمد عنده وقد أصحنا لا يخبرنا بشيء حتى حزن صلى الله عليه وسلم من مكث الوحي وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك عنده الا ان يشاء الله ونزل في القبية أم حنبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ المشرق والمغرب ويستأثرونك عن ذى القرنين ونزل في الروح ويستأثرونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وقول الرازي ومن الناس من طعن في هذه الرواية من وجوه وذكر من جله ذلك كيف يليق به أن يقول اني لأعرف هذه المسئلة مع أنهم من المسائل المنهورة المذكورة مع جهور الخلق غير لائق لان ذلك علامة على نبوته قال الزمخشري فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم انتهى واختلفوا في الروح الذي وقع السؤال عنه فروى عن ابن عباس أنه جبريل عليه السلام وهو قول الحسن وقتادة وروى عن علي أنه قال ملك له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله تعالى بكلماتها وقال مجاهد خالق على صورة بنى آدم لهم أيد وأرجل ورؤس وليسوا بعلائكة ولا ناس يأكلون الطعام وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله تعالى خلقا أعظم من الروح غير العرش لو شاء أن يتلعب السموات السبع والارضين السبع ومن فيهن بلقمة واحدة لفعل صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة وجه الادميين يقوم يوم القيامة على عرش العرش وهو أقرب الخلق الى الله تعالى عند الحجب السبعين وأقرب الى الله تعالى وهو ممن يشفع لاهل التوحيد ولولا أن بينه وبين الملائكة ستر من نور لا حترق أهل السموات من نوره وقيل الروح هو القران وقيل المراد منه عيسى فانه روح الله تعالى وكلمته ومعناه أنه ليس كما تقوله اليهود ولا كما تقوله النصارى وقال بعضهم هو الروح المركب في الخلق الذي يحيا به الانسان قال البغوي وهو الاصح وتكلم فيه قوم فقال بعضهم هو الدم ألا ترى أن الحيوان اذا مات لا يفتن منه الا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل أنه يموت باحتباس النفس وقال قوم عرض وقال قوم هو جسم لطيف وقال بعضهم الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلم والعلو والبقاء ألا ترى أنه اذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا بجميع هذه الصفات واذا خرج ذهب الكل قال البغوي وأولى الاقاويل أن يوكل علمه الى الله عز وجل وهو قول أهل السنة قال عبد الله بن بريدة ان الله تعالى لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلًا بدليل قوله تعالى قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا أي في جنب علم الله تعالى \* (تنبيه) \* اختلف في الخطاب بقوله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل اليهود فانهم يقولون أوتينا التوراة وفيها العلم الكبير وقيل عام روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن محتصون بهذا الخطاب أم أنت معناه فقال نحن وأنتم لم نوت من العلم الا قليلا فقالوا ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيرا



له دوى تحت العرش كدوى النحل فيقول الرب مالك فيقول يا رب اقل لي ولا يعمل بي وفي رواية  
 لابن مسعود اول ما تفقدون من دينكم الامانة و آخر ما تفقدون الصلاة وليصلين قوم ولادين  
 لهم وان هذا القرآن تصحون يوما وما فكم منه شئ فقال رجل كيف ذلك وقد استناه في قلوبنا  
 واستناه في مصاحنا وتعلمه ابناءونا ويعلمه ابناءونا فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه  
فقرأت رفع المصاحف ويتزع ما في القلوب وقوله تعالى (ان فضله كان) أي ولم يزل (عليك  
كبرا) فيه قولان أحدهما المراد منه ان فضله كان عليك كبيرا بسبب ابقاء العلم والقرآن  
عليك ثانيهما ان المراد ان فضله كان عليك كبيرا بسبب أنه جعلك سيد ولد آدم وختمك النبيين  
وأعطاك المقام المحمود وقد أتم عليك أيضا ابقاء العلم والقرآن عليك وزل حين قال الكفار  
لنبي صلى الله عليه وسلم لو نشاء لقلنا مثل هذا القرآن (قل) أي لهؤلاء البعداء (لئن اجمعت  
الانس) الذين تعرفونهم وتعرفون ما أتوا من البلاغة والحكمة والذين لا تعرفونهم (والجن)  
الذين يأتون كهانهم ويعلمونهم ببعض المغيبات عنهم وغيرهم وترك الملائكة لانهم لا عهد لهم  
بشئ من التصدي ولانهم كانوا وسائط (على أن يأتوا مثل هذا القرآن) في البلاغة وحسن  
النظم وكمال المعنى (لا يأتون بمثله) أي لا يقدر على ذلك فالقرآن مجزى النظم والتأليف  
والاخبار عن الغيوب وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق ولو كان مخلوقا لآتوا  
بمثله \* (تنبيه) \* في قوله تعالى لا يأتون بمثله قولان أظهرهما أنه جواب للقسم الموطأ باللام  
والثاني أنه جواب للشرط واعتذروا عن رفعه بأن الشرط ماض فهو كقوله

\* وان أتاه خليل (أي فقير) يوم مسغبة \* يقول لا غائب مالي ولا حرم

لان الشرط وقع ماضيا وناقشه أبو حيان بأن هذا ليس مذهب سيبيويه ولا الكوفيين والمبرد  
 لان مذهب سيبيويه في مثله ان النية به التقديم ومذهب الكوفيين والمبرد أنه على حذف الفاء  
 وهذا مذهب ثالث قال به بعض الناس (ولو كان بعينهم لبعض ظهيرا) أي معينا يضم أقوى  
 ما فيه الى أقوى ما في صاحبه \* (تنبيه) \* قد تقدم في سورة البقرة أن الله تعالى قال فأتوا  
 بسورة من مثله وقد سما الكلام على ذلك وفي وجه كون القرآن مجزأ قولان أحدهما أنه  
مجزأ في نفسه والثاني أنه ليس في نفسه مجزأ الا أنه تعالى لما صرف دواعيهم عن الايمان  
بمعارضته وكانت الدواعي متوفرة على الايمان بهذه المعارضة مع التقديرات المذكورة يكون  
نقضا للعادة فيكون مجزأ والقول الاول أظهر (ولقد صرفنا) أي بينا بوجوه مختلفة زيادة في  
التقرير والبيان (للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي من كل مـ شئ هو كالمثل في غرابته  
ووقوعه متوقعا في الانفس وقيل معناه من كل وجه من العبر والاحكام والوعيد والوعيد  
والنقص وغيرها وقيل صفة لهذوف أي مثلا من جنس كل مثل ليتعظوا (فأبى أكثر  
الناس) وهم من هم في صورة الناس ككفار قريش وقد سلبوا معانيهم (الأكفورا) أي بحدودا  
(فان قيل) كيف جازفأبى أكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الازيادا (أجيب) بأن أبى  
متأول بالنبي كأنه قيل فلم يرضوا الا كفورا \* ولما سئى بالدليل اجماز القرآن على وفق دعوى محمد

صلى الله عليه وسلم ولزمتهم الحجّة وغلبوا وأخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعمل المهوت المهبوج  
 المتعترف أذبال الحيرة وذكر وامن ذلك ستة أنواع من المعجزات أولها (وقالوا) أى كفار قريش  
 ومن والاهم (لن تؤمن لك حتى تفجير) أى تفجيرا عظيما (انامن الارض ينبوعا) أى عينها  
 غزيرة الماء من شأنها ان تنبع بالماء ولا ينضب ماؤها وقصر أعاصم وحزة والكسائي بفتح التاء  
 وسكون الفاء وضم الجيم مخففة والباقون بضم التاء وفتح الياء وكسر الجيم المشددة ثانيها قولهم  
 (أو تكون لك) أنت وحدك (جنة من نخيل وعنب) أى وأشجار عنب عبر عنه بالتمر لانه لان  
 الانتفاع منه بغيرها قليل (فتفجر الانهار) الجارية (خلالها) أى وسطها (تفجيرا) أى  
 تشقيقا والتفجر شق الظلام عن عود الصبح والتفجور شق جلاباب الحياة بما يخرج الى الفساد  
 ثالثها قولهم (أو تسقط السماء) أى نفسها (كما زعمت) فيما توعدنا به (علينا كسفا) أى قطعا  
 جمع كسفة وهى القطعة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بنصب السين مثل قطعة وقطع وسدره  
 وسدر والباقون بسكونها مثل دمنة ودمن وسدره وسدر وهو نصب على الحال فى القراءة تين جميعا  
 كأنه قيل أو تسقط السماء علينا قطعة رابعها قولهم (أو تأتى) معك (بالله) أى الملك الاعظم  
 (والملائكة قبلا) أى عيانا ومقابله تنظر اليه لا يخفى علينا شئ منه وقال الضمالي هو جمع  
 قبيلة أى أصناف الملائكة قبيلة قبيلة قال ابن هاني كقبلا أى يكفلون بما تقول خامسها  
 قولهم (أو يكون لك) أى خاصتك (بيت من زخرف) أى ذهب كامل الحسن والزينة سادسها  
 قولهم (أو ترقى) أى تصعد (فى السماء) درجة درجة ونحن ننظر اليك صاعدا (ولن تؤمن)  
 أى تصدق مدعين (لرقبك) أى أصلا (حتى تنزل) وحققوا معنى كونه من السماء بقولهم  
 (علينا كتابا) ومعنى كونه فى رق أو نحوه بقولهم (نقرؤه) يأمر نافية باتباعك روى عكرمة عن  
 ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وايا الجعفي بن هشام وعبد الله بن أمية وأمية بن خلف  
 والوليد بن المغيرة وأباجهله بن هشام والعاصم بن وائل ونبها ناومنها بنى الحجاج اجتمعوا بعد  
 غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعدوا الى محمد فكموه وخاصهوه حتى  
 تعذروا فيه فبعثوا اليه ان أشرف قومك قد اجتمعوا لك يكلمونك فجاءهم رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم سريعا وهو يظن أنهم بدأهم فى أمره بدأه وكان عليهم حرصا يجب رشدهم حتى جلس  
 اليهم فقالوا يا محمد انابعثنا اليك لتعذر فيك وانا والله لانعلم أن رجلا من العرب أدخل على قومه  
 ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعيبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآهة وفرقت  
 الجماعة فما بقى أمر قبيح الا وقد جثته فيما بيننا وبينك فان كنت جئت بهذا الحديث فطلب به  
 ما لا جعلنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تريد الشرف فسودناك علينا وان  
 كنت تريد ملكا ملكنا علينا وان كان هذا الذى بك وياتراه قد غلب عليك لانه لا يستطيع  
 ربه بدلنا أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك وكانوا يسمون التلبيع من الجن  
 الرقى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي مما تقولون مما جثتكم بما جثتكم به لطلب  
 أموالكم ولا للشرف عليكم ولا للملك عليكم ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل على كتابا



وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا قبل فتكم رسالة ربي وأصحت لكم فان تقبلوا مني فهو حفظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه الى أصبر لامر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد أضيق بلادا وأشد عيشا منا قسلا لتأربك الذي بعثك فليس يرعنا هذه الجبال التي قد ضيقت وبيسط لنا بلادنا ويغفر فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضي من آياتنا ولكن منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخا صدوقا فسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فان صدق قولنا صدقناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما أرسلت به وان تقبلوه فهو حفظكم وان تردوه أصبر لامر الله فالواقان لم تفعل قسلا ربك أن يعث ملكا يصدقك وسله أن يجعل لك جناحا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما ترال فان انقوم بالاسواق وتلقم المعاش كما تلتمسه فقال صلى الله عليه وسلم ما بعثت بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا فالواقان سقط السماء كما زعمت ان ربك ان شاء ففعل فقال ذلك الى الله ان شاء ففعل ذلك بكم فقال قائل منهم لن قوم لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن أمية وهو ابن عاتكة بنت عبد المطلب وقال له عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوه أن يجعل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله لا أومن بك أبدا حتى تتخذ الى السماء سلما ترقى به وأنا أنظر حتى تأتيها وانأى بنسخة نشورة معك ونفوس الملائكة يشهدون لك عما تقول وايم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لأصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حزينا لما رأى من مبعدهم فأنزل الله هذه الآية وفيها اشارة الى أنه ليس من شرط كونه نبيا ما صدقاته المعجزات الكثيرة وتواليها اذ لو فتح هذا الباب لزم أن لا ينتهي الامر فيه الى منقطع وكذا أتى النبي صلى الله عليه وسلم بمعجز اقترحوا عليه بمعجز آخر ولا ينتهي الامر فيه الى حد ينقطع عنه عناد المعاندين وتغنت الجاهلين مع أنه صلى الله عليه وسلم أعطى من الآيات والمعجزات ما أغنى عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر وتغيير العيون من بين الاصابع وما أشبه ذلك ولما تم تغنتهم وكان لسان الحال طالبا من الله تعالى الجواب عنه أمر الله تعالى بجوابهم بقوله تعالى (قل) أي لهؤلاء البعداء والاشقياء (سبحان ربي) أي تعجبوا من اقترحاتهم وتنزيها لله من أن يأتي أو يصكم عليه أو يشاركه أحد في القدوة وقرأ ابن كثير وابن عاصم بصيغة الماضي والباقون قل بصيغة الامر و (هل كنت الا بشرا) لا يقدر على غير ما يقدر عليه البشر (رسولا) كما كان من قبلي من الرسل وكانوا الا يوثقون قومهم الا بما يظهره الله تعالى على أيديهم بما يلائم حال قومهم ولم يكن أمر الآيات اليهم ولا لهم أن يتحكموا على الله حتى يتصورها هذا هو الجواب الجميل وأما التفصيل فقد ذكر في آيات أخر كقوله تعالى ولوزنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم ولو فطنا عليهم بإبنا ونحن ذلك ولما أمر بما تضمن أنه كل خوانه من الرسل في كونه بشرا أتبعه قوله عطف على ثاني أو قالوا (وما منع الناس) أي قرينا ومن قال يقولتم لله من الاضطراب (أن يؤمنوا) أي لم يبق لهم ما منع من الايمان والجملة مفعول

منع (أذباهم الهدى) أى الدليل القاطع على الايمان وهو القرآن وغيره من الادلة وقرأ  
 أبو عمرو وهشام بادغام ذال اذ عند الجيم والباقون بالانطهار وأمال الالف بعد الجيم حجة وابن  
 ذكوان محضة وأذا وقف حجة على جاءهم سهل الهمزة مع المد والقصر (الأأن قالوا) فاعل  
 منع أن قالوا أى منكرين عليه غاية الانكار متعجبين متكلمين (أبعث الله بشرا رسولا) لأن  
 الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لأنك بشر ولو بعث الله تعالى رسولا الى الخلق لوجب أن  
 يكون ذلك الرسول من الملائكة فأجابهم الله تعالى بقوله (قل) أى لهؤلاء المطرودين من الرحمة  
 (لو كان في الارض ملائكة يمشون) عليها كالأدميين (مطمئنين) أى مستوطنين فيها  
 كالشجر (لترتقا عليهم) مرة بعد مرة كما فعلنا في تنزيل جبريل عليه السلام على الانبياء من البشر  
 وحقق الامر بقوله تعالى (من السماء ملكا رسولا) يعلمهم الخير ويهديهم المرشد لتتمكنهم  
 من التلقى منه لما كتبتهم له بخلاف البشر كما هو مقتضى الحكمة لأن رسول كل جنس ينبغى  
 أن يكون منهم اذ الشئ عن شكله أفهم وبه آنس واليه أحسن وله آلف الامن فضله الله تعالى  
 تغلب روحه على نفسه وتغلب عقله على شهوته فأقدره بذلك على التلقى من الملك كالمرسلين  
 ثم أجابهم الله تعالى جوابا آخر بقوله عز وجل (قل كفى بالله) أى المحيط بكل شئ قدوة وعلمنا  
 وأمال الالف حجة والكسافي محضة وورث بالفتح وبين اللظنين والباقون بالفتح (شهدا بيني  
 وبينكم) على أنى رسوله اليكم ليظهر المعجزات على وفق دعواهم وانى بلغت ما أرسلت به اليكم  
 وانكم عاندتم ومن يشهد الله على صدقه فهو صادق فعند ذلك قول القائل بأن الرسول يجب  
 أن يكون ملكا لانسانا فتحكم فاسد لا يلتفت اليه \* (تنبيه) \* شهيد انصب على الحال  
 أو التمييز ثم انه تعالى ذكر ما هو كالتهديد والوعيد بقوله تعالى (انه كان بعباده خيرا بصيرا)  
 يعلم ظواهرهم وبواطنهم ويعلم من قلوبهم أنهم لا ينكرون هذا الاخص الحسد وحب الرياسة  
 والاستنكاف من الاتقياء للحق \* ولما تقدم أنه تعالى أعلم بالمهتدى والضال عطف عليه قوله  
 تعالى (ومن يهد الله) بأن يخلق الهداية في قلبه (فهو المهتدى) لا يمكن أحده غيره أن يضل  
 \* (تنبيه) \* أثبت نافع وأبو عمرو والياء بعد الدال مع الوصل دون الوقف وحذفها الباقون  
 وقفار وصلوا (ومن يضل فلن تجد لهم) أى الضالين (أولياء) يهدونهم (من دونه) ولا يتفعونهم  
 بنى أراد الله تعالى غيره ولما كان يوم القيامة يظهر الله فيه لكل أحدا ما كان يعمل به على  
 ذلك بقوله تعالى (ونحشرهم) بنون العظمة أى نجتمعهم بكرة (يوم القيامة) الذى هو محط  
 الحكمة (على وجوههم) مسحوبين عليها اهانة لهم فيها كالم يذلوها بالسجود لنا قال تعالى  
 يوم يحسبون فى النار على وجوههم أى يمشون عليها روى أبو هريرة قيسل يا رسول الله كيف  
 يمشون على وجوههم قال ان الذى يمشون على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم قال  
 حكاه الاسلام ان الكفار أرواحهم شديدة التعلق بالدينا ولذا اتبها وليس لها تعلق بعالم الانوار  
 وحضرة الاله سبحانه وتعالى فلما كانت وجوه قلوبهم وأرواحهم متوجهة الى الدنيا لاجرم كان  
 حشرهم على وجوههم وأما قوله تعالى (عيا ويكأوصما) فقد استشكله شخص على ابن عباس

فقال ألميس قد قال الله تعالى ورأى المجرمون النار وقال تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا وقال  
 تعالى دعوا ههنا لا تبورا وقال تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقال تعالى حكاية  
 عن الكفار والله ربنا ما كنا مشركين فثبت بهذه الآيات أنهم يرون ويسمعون ويتكلمون  
 فكيف قال تعالى هنا عما وبكوا وصما أجاب ابن عباس وتلامذته عنه من وجوه الأول قال ابن  
 عباس عيال يرون شيئا يسرهم صمعا لا يسمعون شيئا يسرهم بكلا ينطقون بحجة الثاني قال في  
 رواية عطاء عيا عن النظر أي عما جعله الله تعالى لأولياته وبكوا عن مخاطبة الله تعالى ومخاطبة  
 الملائكة المقربين صما عن ثناء الله تعالى عليهم الثالث قال مقاتل انه حين يقال لهم اخذوا  
 فيها ولا تكلمون يصيرون عيا بكصما أما قبل ذلك فهم يرون ويسمعون وينطقون الرابع  
 أنهم يكونون راين سامعين ناطقين في الموقف ولولا ذلك لما قدروا أن يظالموا كتبهم ولأن  
 يسمعون والزام حجة الله تعالى عليهم إلا أنهم إذا أخذوا يذهبون من الموقف إلى النار جعلهم  
 الله تعالى عيا بكصما قال الرازي والجواب الأول أولى لأن الآيات السابقة تدل على أنهم  
 في النار يصرون ويسمعون ويعيرون ثم بين تعالى مكانهم بقوله عز وجل (مأواهم جهنم)  
 نسر عليهم (كلمات خبت) أي أخذ لها في السكون عند أهل الحومهم وجلودهم (زدناهم  
 سعيرا) توقدا باعادة الجلود واللحوم ملتبة مسعرة كأنهم لما كذبوا بالاعادة بعد الاقناء  
 جزاهم الله تعالى بأن لا يزالوا على الاعادة والافتناء وقرأ نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر  
 باظهار تاء التانيث عند الرازي وأدغمها الباقر ثم بين علة تعذيبهم ليرجع منهم من قضى  
 بسعادته بقوله تعالى (ذلك) أي العذاب العظيم (جزاؤهم بأنهم) أي أهل الضلالة (كفروا  
 بآياتنا) القرآنية وغيرها وكانوا كل يوم يزدادون كفرا وهم عازمون على الدوام على ذلك  
 ما بقوا (وقالوا) انكارا لقدرتنا (أنذا كنا عظاما ورقانا) ممزقين في الارض ثم كرروا الانكار  
 كأنهم على ثقة من أمرهم هذا الذي بطلانه أوضح من الشمس بقولهم (أنا نالبعوثون  
 خلقا جديدا) فمن جزاءهم جزاء على هذا الانكار المكثرا والخلق الجديد في جلودهم ولحومهم  
 مكثرا كل لحظة قال تعالى كلما نضجت جلودهم بدلتناهم بجلودا غيرها ليدوقوا العذاب ثم أتبعه  
 بقاطع في بيان جهلهم بقوله تعالى (أولم يروا) أي يعلموا بعيون بصائرهم على ما هو كل روية يعيرون  
 أبصارهم لما قام عليه من الدلائل بصرته من الشواهد الجلائل (أن الله الذي خلق السموات)  
 جمعها لما دل على ذلك من الحسن ولما لم تكن الارض مثل ذلك أفرد لها مريدا الجنس الصالح  
 للجميع بقوله تعالى (والارض) على كبر أجزائها وعظم احكامها وقوله تعالى (قادر على أن  
 يخلق مثلهم) فيه قولان الأول المعنى قادر على أن يخلقهم ثانيا فعبر عن خلقهم ثانيا بلاقظة المثل  
 كما يقوله المتكلمون ان الاعادة مثل الابتداء الثاني أن المراد قادر على أن يخلق عبدا آخرين  
 يوجدونه ويعترون بكال حكمته وقدرته ويتركون ذكر هذه الشبهات القاسدة وعلى هذا  
 فهو كقوله تعالى ويأت بخلق جديد وقوله تعالى ويستبدل قوما غيركم قال الواحدى والقول  
 هو الأول لانه أشبه بما قبله ولما بين الله تعالى بالدليل المذكور ان البعث والقيام أمر ممكن

الوجود في نفسه أرفده بيان أن لوقوعه في الوجود وقتا معلوما عند الله وهو قوله تعالى  
 (وجعل لهم أجالا ريب) أي لاشك (فيه) وهو الموت أو القيامة (فأبى الظالمون إلا كفورا)  
 أي بعده هذه الدلائل الظاهرة أبوا إلا الكفر والجهود \* ولما قال الكفار لنؤمن لك حتى  
 تغرب لنا من الأرض ينبوعا فطلبوا إجراء الأنهار والعيون في بلدتهم لتكثر أموالهم ويتسع  
 عيشهم بين تعالى أنهم لو ملكوا خزائن راحة الله أبغوا على بخلهم وشبههم بقوله تعالى (قل) أي  
 لهؤلاء المتعنتين (لو أنتم) أي دون غيركم (تملكون خزائن) عبر بصيغة منتهى الجموع لأن المقام  
 جدير بالمبالغة (رحمة ربي) أي خزائن رزقه وسائر نعمه وذلك غير متناه (إذا لامسكم) أي  
 لوقع منكم الأمساك عن الاتفاق في بعض الوجوه التي تحتاجونها (خشية) أي مخافة عاقبة  
 (الاتفاق) أي الموصل إلى الفقر فكان المعنى انكم لو ملكتم من الخير والنعم خزائن لانها يابئها  
 ابقيت على الشح والدناءة وهذا مبالغة عظيمة في وصفهم بهذا الشح وقول البيضاوي تبعا  
 للزمخشري أنتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده قال الزمخشري تقديره لو ملكون جرى فيه على  
 مذهب الكوفيين من أن لو يليها الفعل مضرا كما يليها ظاهر والبصريون يمنعون ايلاء لها  
 مضمرا الا في شذوذ كقول حاتم لو ذات سوار لطمتنى وأصل هذا المثل ان امرأة عطلاء من الحلي  
 والهيئة لطمت حاتم على شعر الناقة وقالت له بقسوة انما أردناك بفصدها وافصده عندهم  
 أن يقطع عرق من عروق ثم يجمع دمه فيشري وقيل أصله ان المرأة المذكورة لطمت رجلا  
 فقال لو ذات سوار لطمتنى لاحققتها فصار مثيلا يضرب لكريم يلطمه الذي ثم استدل على صحة  
 هذا المقروض بالشاهد من مضمون قولهم (وكان) أي جيلة وطبعا (الانسان) أي الذي من  
 شأنه الانس بنفسه فهو لذلك لا يعقل الامور حتى عقلها (قتورا) أي بخيلا \* (تنبية) فتح الياه  
 في ربي نافع وأبو عمرو وسكنها الباقون وهم على مراتبهم في المد (فان قيل) قد يوجد في جنس  
 الانسان من هو جواد كريم (أجيب) من وجوه الاقل ان الاصل في الانسان البخل لانه خلق  
 محتاجا والحجاج لا بد وأن يحبس ما به يدفع الحاجة وأن يحسكه لنفسه الا أنه قد يوجد به لاسباب  
 من خارج فنبت أن الاصل في الانسان البخل الثاني أن الانسان انما يبذل لطلب الثناء والحمد  
 ويخرج عن عهدة الواجب فهو في الحقيقة ما أنفق الا لياخذ العوض فهو في الحقيقة بخيل  
 الثالث أن المراد بهذا الانسان المعهود السابق وهم الذين قالوا لنؤمن لك حتى تغرب لنا من  
 الارض ينبوعا \* ولما قدم سبحانه وتعالى أن أكثر الناس جهودوا الايات لكونه تعالى حكم  
 بصلاحهم ومن حكم بصلاحه لا يمكن هداه شرع يسلي نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بما اتفقوا  
 قبله من الانبياء بقوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) أي واضحات واختص في هذه  
 الايات فقال ابن عباس والفضالهي العصا واليد البيضاء والعقدة التي كانت بلسانه فخلها  
 وخلق البصر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال مجاهد وعطاءهي الطوفان  
 والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد والسنون ونقص من الثمرات وقال البيضاوي  
 وهي كافي التوراة العصا ثم الدم ثم الضفادع ثم القمل ثم موت البهايم ثم البرد السكار التي انزلها

الله تعالى مع النار المضطربة فكانت تمك كل ما مرت عليه من نبات وحيوان ثم الجراد  
 ثم الظلة ثم موت الأبيكار من الأدميين وجميع الحيوان ثم قال وقد نظمتمها اليون حفظها فقلت  
 عصا قتل موت البهائم ظلة \* جراد دم ثم الضفادع والبزد  
 وموت بكور الأدمى وغيره \* من الحى آتاه الذى عزوان فرد  
 قال وكانه عذ اليد مع العصا آية ولم تغرد اليد لانه ليس فيها ضرر عليهم اه وقال البيضاوى هي  
 العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الجراد وانفلاق الجراد وتوق  
 الطور على بنى اسرائيل وذكر محمد بن كعب القرظى الطمس والجر يدل السنين ونقص  
 من الثمرات وقال كل الرجل منهم مع أهله في فراشه وقد صاروا حجرين والمرأة منهم قائمة تحب  
 وقد صارت حجرا وقال بعضهم هي آيات الكتاب وهي أحكام يدل عليها ما روى عن صفوان  
 ان يهوديا قال لصاحبه تعالى نسأل هذا النبي فقال الآخرة لا تقل نبي فانه لو جمع صارت له  
 أربعة أعين فأتياه فسألاه عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لا تشركوا  
 بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الألباحق ولا تزنا ولا تأكلوا الربا ولا تسهروا ولا تشموا  
 بالبرى الى سلطان لقتله ولا تسرقوا ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وعلبكم خاصة  
 اليهود أن لا تعدوا فى السبت فقبلوا بيده وقالوا نشهد انك نبي قال فما منعكم أن تتبعوني قالوا  
 ان داود عاربه أن لا يزال في ذريته نبي وانما نضاف ان اتبعناك أن تقتلنا اليهود وقال الرازى  
 علم أنه تعالى ذكر في القرآن أشياء كثيرة من معجزات موسى عليه السلام أحدها أنه تعالى أزال  
 العقدة من لسانه قبل في التفسير ذهب أنهم وجاه فصحا ثانيا ان انقلاب العصا حية بالهاتلقف  
 الحية جبالهم وعصيم مع كرتها رابعها اليد البيضاء وخمس أخرى وهي الطوفان والجراد  
 والقمل والضفادع والدم والعاشر شرق البحر وهو قوله تعالى واذا فرقنا بينكم البحر والحادى  
 عشر الجبر وهو قوله تعالى أن اضرب بعصاك البحر والثاني عشر اظلال الجبل وهو قوله  
 تعالى واذا نتقنا الجبل فوهمهم كأنه ظلة والثالث عشر ازال المن والسلوى عليه وعلى قومه  
 والرابع عشر والخامس عشر قوله تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات  
 والسادس عشر الطمس على أموالهم جبار من الضل والدقيق والاطعمة والدراهم والذنانير  
 روى أن عمر بن عبد العزيز سأل محمد بن كعب عن قوله تعالى تسع آيات بينات فذكر محمد  
 ابن كعب في جملة التسع حل عقدة اللسان والطمس فقال عمر بن عبد العزيز هكذا يجب  
 أن يكون الهيبه ثم قال يا غلام أخرج ذلك الجراب فأخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور ونصفين  
 وجوز مكسور وفوم وعدس وحصى كلها حجارة وقوله تعالى (فأسال) أى يا أعظم خلقنا  
 (بنى اسرائيل) يجوز أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقرأ ابن كثير  
 والنكسائى بفتح السين ولا همزة بعدها والباقون بسكون السين وهمزة مفتوحة بعدها ويجوز  
 أن يكون الخطاب خاصة وأمر بالسؤال لهم ليعينه كنسبهم مع قومهم أى فاسأل بنى اسرائيل  
 خاصة الذين نهبوا قرى على السؤال عن الروح كما في بعض الروايات وعن أهل الكهف وفى

القرنين وعن حديث موسى عليه السلام والمؤمنين منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه (اذ) أي عن ذلك حين (جاءهم) أي جاء آباءهم فوقع له من التكذيب بعد اظهار المعجزات الباهرات ما وقع لك (فقال) أي فذهب الى فرعون فأمره بارسالهم معه فأبي فأظهر له الآيات واحدة بعد أخرى فتسبب عن ذلك صدق ما يقتضيه الحال وهو أن قال (لفرعون) عتوا واستكبارا (أني لاظنك يا موسى مسهورا) أي مخدوعا مغلوبا على عقلك فكل ما ينشأ عنك فهو من آثار السحر وهذا كما قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم ان تتبعون الا رجلا مسهورا وقال في موضع آخر ساحر وانهم ربما أطلقوا اسم المفعول مردين اسم الفاعل مبالغة لانه كان مخبر عن الفعل وفي الامر بسؤال اليهود تنبيه على ضلالهم ولما لم يؤمن فرعون على تواتر تلك الآيات وعظمتها فكانه قيل فما قال موسى عليه السلام فقيل (قال) لفرعون (أقد علمت) بفتح التاء قراءة غير الكسائي وقرأ الكسائي بضمها على اخباره عن نفسه (ما أنزل هؤلاء) أي الآيات (الارب السموات والارض) أي خالقهما ومدبرهما حال كون هذه الآيات (بصائر) أي بينات يصيرها صدق وأما السحر فانه لا يخفى انه خيال لاحقيقة له ولكنك تعاند \* (تنبيه) \* قوله تعالى هؤلاء الكلام عليه من جهة المهزئين كالكلام على هؤلاء ان كنتم في البقرة وقد تقدم الكلام على ذلك \* ثم حكى الله تعالى ان موسى قال لفرعون (واني) أي وان ظننتني يا فرعون مسهورا (لاظنك يا فرعون مسهورا) أي ملعوننا مطرودا ممنوعا من الخير فاسد العقل فعارضه موسى بذلك وشتان بين الظنين فان ظن فرعون كذب صرف لعناده لرب العالمين لوضوح مكابرتة للبصائر التي كشف عنها ربه بالغطاء فهي أوضع من الشمس وظن موسى عليه السلام قريب الى العصمة واليقين من نظائر أماراته لان هذه الآيات ظاهرة وهذه المعجزات قاهرة ولا يرتاب العاقل أنهم من عند الله وفي أنه تعالى أظهرها لاجل تصديقي وأنت منكرها فلا يحتملك على هذا الانكار الا الحسد والعناد والبغى والجهل وحب الدنيا ومن كان كذلك كانت عاقبته الدمار والنبور (فأراد) أي فما تسبب عن هذا الذي هو موجب للايمان في العادة الا أن فرعون أراد (أن يستفزهم) أي يستخف بموسى وبين آمن معه ويخرجهم فيكفونوا كالماء اذا سال من قولهم فزال طرح اذا سال (من الارض) بالنبي والقتل للتمكن منهم كما أراد هؤلاء أن يستفزوا ولهم منها مما هم عليه من الكفر والعناد ثم أخذ تعالى يحذرهم سطواته بما فعل بين كان قبلهم فأكثر منهم وأشد بقوله تعالى (فأغرقناه) أي فتسبب عن ذلك ان رددنا كيدنا في نحره كما قال تعالى ولا يبين المكر السي الأباهله أراد فرعون أن يخرج موسى من أرض مصر لتخلص له تلك البلاد والله تعالى أهلك فرعون وجعل تلك الارض خالصة لموسى ولقومه فأدخله البحر حين أدخل بنى اسرائيل فأنجاهم وأغرق آل فرعون (ومن معه جميعا) كما جرت به سنة الله تعالى فيمن عاند بعد أن رأى الخوارق وكفر النعمة وأفرط في البغي بعد ظهور الحق فليحذر هؤلاء مثل ذلك ولا سيما اذا خرج رسولنا من بين أظهرهم ففي هذه الآية وأمثالها بشارة له صلى الله عليه وسلم في ان الله تعالى يسلك به في النصرة والتمكين سبيل اخوانه من الرسل عليهم الصلاة

والسلام (وقلنا من بعده) أي الاغراق (لبني اسرائيل) الذين كانوا تحت عبده أذل من العبيد  
 لتقواهم واحسانهم (استكنوا الارض) أي التي أراد أن يستقرزكم منها (فأذا جاءه) أي مجيأ  
 محققا (وعدا الآخرة) أي القيامة بعد ان سكنتم الارض أحياء ودقتم فيها أمواتا (جئنا)  
 أي بالنامن العظمة والقدرة (بكم) منها (لغيفا) أي بعثناكم وآياهم مختلفين لاحكم لاحد  
 على آخر ولا دفع لاحد عن آخر على غير الحالة التي سكنت في الدنيا ثم ميزنا بعضكم عن بعض  
 ثم عطف سبحانه وتعالى على قوله تعالى ولقد صرنا قوله عز وجل (وبالحق) أي من المعاني الثابتة  
 التي لا مريبة فيها لاغيره (أنزلناه) فمن أي القرآن فهو ثابت لا يزول كما أن الباطل هو الذاهب  
 الزائل وهذا القرآن الكريم مشغل على أشياء لا تزول وذلك لأنه مشغل على دلائل التوحيد  
 وصفات الجلال والاكرام وعلى تعظيم الملائكة وتقرير نبوة الانبياء واثبات الحشر والنشر  
 والقيامة وكل ذلك مما لا يقبل الزوال ويشغل أيضا على شريعة باقية لا يتطرق اليها النقص  
 والتغيير والتحريف وأيضا هذا القرآن تكفل الله تعالى بحفظه من تحريف الزائغين وتبديل  
 الجاهلين كما قال تعالى انما نحن نزلنا الذكروا ناله الحافظون (وبالحق) لاغيره (نزل) هو ووصل  
 اليهم على لسانك بعد انزاله عليك كما أنزاهم سواء غضا طاريا محفوظا لم يطرأ عليه طارئ فليس فيه  
 من تحريف ولا تبديل كما وقع في كتاب اليهود الذين سألهم قومك ثم قال تعالى (وما أرسلناك  
 يا أفضل الخلق بالنامن العظمة (الامبشرا) للمطيع (ونذيرا) للعاصي من العقاب فلا عليك الا  
 التبشير والانذار لا ما يقترحونه عليك من المعجزات فان قبلوا الدين الحق اتفوعوا به والافليس  
 عليك من كفرهم شيء ثم ان الله تعالى أخبر أن الحكمة في انزال القرآن مفترقا بقوله عز وجل  
 (وقرآنا) أي وقصدا أو وانزلنا قرآنا (فرقناه) أي أنزلناه منجما في أوقات متطاولة قال سعيد  
 ابن جبير نزل القرآن كله ليلة القدر من السماء العليا الى السماء السفلى ثم فصل في السنين التي  
 نزل فيها قال قتادة كان بين أوله وآخره عشرون سنة وقيل ثلاث وعشرون سنة والمعنى قطعناه  
 آية آية وسورة سورة ولم ينزل جملة (لتقرأ على الناس) أي عامة (على مكث) أي مهل وتؤدة  
 ليفهموه (ونزلناه) من عندنا بالنامن العظمة (تنزيلا) بعضه اثر بعض مفترقا بحسب الوقائع  
 لأنه أتقن في فصلها وأعون على الفهم لطول التأمل لما نزل من نجومه في مدة ما بين التجمين  
 لغزارة ما فيه من المعاني ثم ان الله تعالى هددهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى  
 (قل) أهؤلاء المظلمين (آمنوا به) أي القرآن (أولا تؤمنوا) فالإيمان به غير محتاج اليكم  
 ولا موقوف عليكم لانكم ان آمنتم به كان الخط لكم والالم تضروا الا أنفسكم فاختروا  
 ما تريدون فان إيمانكم بالقرآن لا يزيدكم كالا وامتناعكم منه لا يورثه نقصا با وقوله تعالى (ان الذين  
 آمنوا العلم من قبله) أي من قبل انزاله عن آمن به من بني اسرائيل تعليل له أي ان لم تؤمنوا به  
 وانتم أهل جاهلية وشرك فان خيرا منكم وأفضل وهم العلماء الذين قرؤا الكتب وعلموا ما الوحي  
 وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم أنه النبي العربي الموعود في كتبهم (أذابتلى  
 عليهم) أي القرآن (يمحرون للاذقان) منهم زيد بن عمرو بن نفيل ووردقة بن نوفل وعبد الله بن سلام

قال الزجاج الذقن جمع اللعين وكما يتدنى الانسان بالخروج الى السجود فأقرب الاشياء من وجهه الى الارض الذقن وقيل ان الاذقان كناية عن اللعي والانسان اذا بالغ عند السجود في الخشوع والخضوع ربما سمع لحيته على التراب فان العجبة يبالغ في تنظيفها فاذا عقرها الانسان بالتراب في حوض المبالغة فقد أتى بغاية التعظيم وقيل ان الانسان اذا استولى عليه خوف الله تعالى فربما سقط على الارض في معرض السجود كالمغشى عليه فيكون حينئذ خروجه على الذقن فقوله يخترون للاذقان كناية عن غاية واهمه وخوفه وخشيته (فان قيل) لم قال يخترون للاذقان هجا ولم يقل يسجدون (أجيب) بأن المقصود من ذكر هذا اللفظ مسارعتهم الى ذلك حتى كانوا يقطعون (فان قيل) لم قال يخترون للاذقان ولم يقل على الاذقان (أجيب) بأن العرب تقول اذا ختر الرجل فوقه لوجهه ختر للذقن ثم بين أن ذلك ليس سقوطا اضطراريا من كل جهة بقوله تعالى (سجدا) أي يفعلون ذلك لما يعلمون من خيفته بما أتوا من العلم السالف وما في قلوبهم من الاذعان والخشية للرحمن (ويقولون) أي على وجه التجديد المستمر (سجدا ربنا) تنزيها له عن خلف الوعد (ان) أي انه (كان) أي كونا لا يتفك (وعد ربنا) أي المحسن اليها بالايان وما به من وجوه العرفان (لمفعولا) أي دون خلف ولا بد أن يأتي جميع ما وعد به في الكتب المنزلة وبشربه من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال الفرقان عليه ومن الثواب والعقاب وهو تعريض به ريش حيث كانوا يستهزؤن بالوعيد في قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ونحوه مما في معناه الطعن في قدرة الله تعالى القادر على كل شيء وقوله تعالى (ويخترون للاذقان يكون) كثره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشك عند انجاز الوعد والثاني لما أثر فيهم من مواظبة القرآن حال كونهم ياكين من حشية الله (ويزيدهم) أي سماع القرآن (خشوعا) أي خضوعا وتواضعا ولين قلب ورطوبة عين \* ولما طالت الكلمات في المناظرة مع المشركين ومنكري النبوات والجواب عن شبهاتهم أتبعها ببيان كيف يدعون الله ويطيعونه وكيف يذكرونه في وقت الاشتغال بأداء العبودية فقال تعالى لذبيته محمد صلى الله عليه وسلم (قل) لهم (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) واختلف في سبب نزول هذه الآية فقال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات ليلة وهو ساجدا يا الله يا رحمن فسمعها أبو جهل وهم لا يعرفون الرحمن فقال ان محمدا ينهانا أن نعبد الهين وهو يدعو الها آخر مع الله تعالى يقال له الرحمن فأنزل الله تعالى هذه الآية أي ان شئتم قولوا يا الله وان شئتم قولوا يا رحمن وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر بالدعاء يقول يا الله يا رحمن فسمعته أهل مكة فأقبلوا عليه فأنزل الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن الآية وعن ابن عباس ان ذكر الرحمن كان في القرآن قليلا في أول ما أنزل وكان الذين قد أسلموا من اليهود يسومهم قلة ذلك لكثرة في التوراة كابن سلام وابن يامين وابن صوريا وغيرهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فنزل قوله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فقال قريش ما بال محمد كان يدعو الها واحدا وهو الاثنان يدعو الهين ما تعرف الرحمن



الاصلح الصلاة فنزل وهم يذكر الرحمن هم كافرون ونزل أيضا قوله تعالى قالوا وما الرحمن  
 وفرح المؤمنواهل الكتاب وهو قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك  
 ومن الاحزاب أي مشركي قريش من ينكر بعضه وعن ابن عباس سئل رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم عن قول الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن إلى آخر الآية فقال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم هو أمان من السرقة فان رجلا من المهاجرين تلاه حين أخذ من خبجه فدخل عليه  
 سارق فجمع ما في البيت وحمله والرجل ليس بناثم حتى انتهى إلى الباب فوجد الباب مردودا  
 فوضع الكارفة ففعل ذلك ثلاث مرات فضحك صاحب الدار فقال اني أحصن بيتي (فان قيل) اذا  
 قال الرجل ادع زيدا أو عمر افهم منه كون زيد غير العمر وفيهم كون الله تعالى غير الرحمن  
 وحينئذ تقوى شبهة أبي جهل لعنه الله تعالى (أجيب) بأن الدعاء هنا معنى التسمية لا معنى النداء  
 والتسمية تتعدى إلى مفعولين يقال دعوت زيد اثم يترك أحدهما استغناء عنه فيقال دعوت  
 زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم للمسمى والتخفيف عن الآية ادعوا باسم الله أو ادعوا  
 باسم الرحمن أي اذكروه بهذا الاسم أو اذكروه بذلك الاسم فقوله ادعوا الله ينسب على ما لزم في  
 كرمه بحكم الوعد من افاضة الرحمة والكرم وأيضا تخصيص هذين الاسمين بالذكور يدل على  
 أنهم أشرف من سائر الاسماء وتقديم اسم الله على اسم الرحمن يدل على أن قوانا الله أعظم الاسماء  
 وتقدم الكلام على ذلك في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم والتنوين في قوله تعالى (أيامات دعوا)  
 عوض عن المضاف إليه وماصلة للإبهام المؤكد والمعنى أيات دعوا فهو حسن فوضع موضعه  
 قوله تعالى (فله الاسماء الحسنى) لانه اذا حسنت أسماءه كلها حسن هذان الاسمان لانها  
 منها ومعنى كونها أحسن الاسماء أنها مستقلة بمعنى التمجيد والتقدیس والتعظيم وقد قدمنا  
 ذكر الاسماء الحسنى في الاعراف عند قوله تعالى والله الاسماء الحسنى فادعوه بها وبعض  
 الاحاديث الواردة في فضلها فليراجع ووقف جزء والكسائي على الاف بعد الياء ووقف  
 الباقر على الاف بعد الميم واختلف في تفسير ونزل قوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا  
 تخافت بها) فروى عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم كان يرفع صوته بالقراءة فاذا سمعه  
 المشركون سبوه وسبوا من جاءه فأوحى الله تعالى اليه ولا تجهر بصلاتك فيسمعه المشركون  
 فيسبوا والله تعالى عدوا بغير علم ولا تخافت بها فلا تسمع أصحابك (وايتبع بين ذلك سبيلا) وروى  
 أنه صلى الله عليه وسلم طاف بالليل على دور الصحابة فكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يفتي  
 صوته بالقراءة في صلاته وكان عمر يرفع صوته فلما جاء النهار وجاء أبو بكر وعمر فقال رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم لا يبكر لم تخفى صوتك فقال أنا جحرى ربي وقد علم حاجتى وقال لعمر لم ترفع صوتك  
 فقال أزعير الشيطان وأوقف الوستان فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع صوته قليلا  
 وهم أن يخفض صوته قليلا وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وايتبع بين ذلك  
 سبيلا بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وقيل ان المراد بالصلاة الدعاء وهذا قول  
 عائشة رضي الله تعالى عنها وأبي هريرة ومجاهد قالت عائشة هي الدعاء وروى هذا من فروع عائشة

النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية انما ذلك في الدعاء والمسئلة قال عبد الله بن شداد كان  
 اعراب من بني نعيم اذا سلم النبي صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم اوزقنا ما لا اولادنا يجهرون قائل  
 الله تعالى هذه والخافتة خفض الصوت والسكون يقال صوت خفيت أى خفض ويقال  
 للرجل اذا مات قد خفت أى انقطع كلامه وخفت الزرع اذا ذبل والمستحب من ذلك التوسط  
 وهو ان يسمع نفسه كما روى عن ابن مسعود أنه قال من لم يخافت لم يسمع أذنيه وقد مدح الله تعالى  
 المؤمنين بقوله تعالى والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وأمر الله تعالى  
 رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال عز من قائل ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها  
 كل البسط وبعضهم قال الآية منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال الرازي  
 وهو بعيد \* ولما أمر الله تعالى أنه لا يذكر ولا يتأدى الا بأسمائه الحسنى علم كيفية التحميد  
 بقوله تعالى (وقل الحمد لله) أى الملك الاعظم ثم ذكر سبحانه وتعالى من صفات التنزيه والجلال  
 وهي السلوب ثلاثة أنواع الاول قوله تعالى (الذى لم يتخذ) أى لكونه محيطا بالصفات الحسنى  
 (ولدا) والسبب فيه وجوه الاول أن الولد هو الشئ المتولد من جزء من أجزاء ذلك الشئ فكل  
 من له ولد فهو مركب من الاجزاء والمركب محدث والمحدث محتاج والمحتاج لا يقدر على كمال  
 الانعام فلا يستحق كمال الحمد الثاني أن كل من له ولد فانه يمسك جميع النعم لولده فاذا لم يكن له  
 ولد فأفاض تلك النعم على عبده الثالث أن الولد هو الذى يقوم مقام الوالد بعد انقضائه وقبائه  
 فلو كان له ولد لكان منقضا ومن كان كذلك لم يقدر على كمال الانعام فى كل الاوقات فوجب  
 أن لا يستحق الحمد على الاطلاق النوع الثانى من الصفات السلبية قوله تعالى (ولم يكن له) بوجه  
 من الوجوه (شريك فى الملك) والسبب فى اعتبار هذه الصفة أنه لو كان له شريك لم يعرف حينئذ  
 أن هذه النعم والمنافع حصلت منه أو من شريكه فلا يعرف كونه مستحقا للحمد والشكر النوع  
 الثالث قوله تعالى (ولم يكن له ولي من الدنل) أى ولم يواله من أجل مذلة به يدفعها بوالائه  
 والسبب فى اعتباره أنه لو جاز عليه ولي يلى أمره كان مستوجباً لا اعظم أنواع الحمد ومستحقاً  
 لاقسام الشكر فتنى عنه أن يكون له ما يشاؤك من جنسه ومن غير جنسه اختياراً  
 أو اضطراراً أو ما يعاونه ويقويه وترتب الحمد عليه للدلالة على أنه الذى يستحق جنس الحمد لانه  
 كامل الذات المنفرد بالاجداد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة أو منعم عليه ولذلك  
 عطف عليه قوله تعالى (وكبره تكبيراً) أى وعظمه تعظيماً على نقي اتخاذ الولد والشريك والذل  
 وكل ما لا يليق به وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على أنه المستحق لجميع المحامد لكمال ذاته وتفرد  
 فى صفاته روى الامام أحمد فى مسنده عن معاذ الجهنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 انه كان يقول آية العز الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك الى آخر السورة وعن  
 ابن عباس أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين  
 يحمدونى فى السراء والضراء وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد  
 رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم أن أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكر لا اله الا الله ومن سمعه بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الكلام الى الله تعالى أربع لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضر لك بأية من بدأت أخرجه مسلم وروى أن قول العبد الله أكبر خير له من الدنيا وما فيها وعن عمرو بن شعيب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه وقل الحمد لله الآية يقال أفصح الصبي في منطقه فهم ما يقول وعن عبد الله بن كعب قال اقتحت التوراة بفاتحة سورة الانعام وختمت بخاتمة هذه السورة وأما مرواه البضاوى تبعه اللرحشري وتبعهما ابن عادل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار ألف أوقية وما تثنأ أوقية فحديث موضوع

### (سورة الكهف مكية)

الا واصبر نفسك الآية وهي مائة وعشر آيات وألف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة وعدد حروفها ستة آلاف وثلاثمائة وستون حرفا

(بسم الله) الذي لا كف له ولا شريك (الرحمن) الذي أقام عباده على أرضح الطرق بانزال هذا الكتاب (الرحيم) بتفضيل من اختصه بالصواب وهو قوله تعالى (الحمد لله) تقدم الكلام عليه مستقصى في أول الفاتحة (الذي أنزل على عبده الكتاب) أي القرآن رتب تعالى استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على أنه أعظم انعامه وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر لان انزال القرآن نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم أما كونه نعمة عليه فلان الله تعالى أطاعه بواسطة هذا الكتاب الكريم على أسرار علوم التوحيد والتنزيه وصفات الجلال والاکرام وأسرار أحوال الملائكة والانبياء وأحوال القضاء والقدر وتعلق أحوال العالم السفلي بأحوال العالم العلوي وتعلق أحوال عالم الآخرة بعالم الدنيا وكيفية نزول القضاء من عالم الغيب وكيفية ارتباط عالم الجسمانيات بعالم الروحانيات ولا شك أن ذلك من أعظم النعم وأما كون هذا الكتاب نعمة علينا فلانه مشتغل على التكليف والاحكام والوعود والوعيد والعقاب وبالجملة فهو كتاب كامل في أقصى الدرجات فكل أحد ينتفع به بقدار طاقته وفهمه فوجب عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته أن يحمده على هذه النعم الجزيلة وقال تعالى على عبده لما في ذلك من الوصف بالعبودية والاضافة اليه سبحانه وتعالى من الاعلام بتشريفه وإشارة الى أنه الذي أسرى به الى حضرات مجده ليريه من آياته ثم انه تعالى وصف الكتاب بوصفين الأول قوله تعالى (ولم يجعل له) أي فيه (عوجا) أي اختلافا وتناقضا كما قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا والجملة حال من الكتاب الوصف الثاني قوله تعالى (قيما) قال ابن عباس يريد مستقيما أي معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط قال الرازي وهذا عندى مشكل لانه لا معنى لثني الاعوجاج الا حصول الاستقامة فتفسير القيم بالمستقيم

يوجب التكرار بل الحق أن المراد من كونه قيما كونه سببا لهداية الخلق وأنه يجري مجرى  
 من يكون قيما للاطلاق فالارواح البشرية كالاطفال والقرآن كالقسم المشفق القائم  
 بحالهم وقال قبل ذلك ان الشيء يجب أن يكون كاملا في ذاته ثم يكون مكملا لغيره ويجب  
 أن يكون تاما في ذاته ثم يكون فوق التمام بأن ينشئ عنه كمال الغير فقوله تعالى ولم يجعل له عوجا  
 اشارة الى كونه كاملا في ذاته وقوله قيما اشارة الى كونه مكملا لغيره وتظهيره قوله تعالى  
 في سورة البقرة في صفة الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين فقوله لا ريب فيه اشارة الى كونه  
 في نفسه بالغافي الصمة وعدم الاخلال الى حيث يجب على العاقل أن لا يرتاب فيه وقوله  
 هدى للمتقين اشارة الى كونه سببا لهداية الخلق ولكال حالهم فقوله تعالى ولم يجعل له عوجا  
 قائم مقام قوله تعالى لا ريب فيه وقوله تعالى قيما قائم مقام قوله تعالى هدى للمتقين واختلف  
 الخويون في نصب قوله تعالى قيما على الوجه الاول قال في الكشاف لا يجوز جعله حالا من  
 الكتاب لان قوله تعالى ولم يجعل له عوجا معطوف على قوله تعالى أنزل فهو داخل في حيز الصلة  
 وانه لا يجوز قال ولما بطل هذا وجب أن يمتص بمضمرة والتقدير ولم يجعل له عوجا جعله قيما  
 لانه تعالى اذا نفي عنه العوج فقد أثبت له الاستقامة حال فان قلت فاقاعدة الجمع بين نفي العوج  
 واثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر قلت فاقاعدة التأكيد ورب مستقيم مشهود له  
 بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السبر والتصفح الوجه الثاني انه حال ثانية والجملة  
 المنصبة قبله حال أيضا كما مر وتعدد الحال لذى حال واحد جائز والتقدير أنزله غير جاعل له عوجا  
 قيما الوجه الثالث أنه حال أيضا ولكنه بدل من الجملة قبله لانه حال وابدال المفرد من الجملة  
 اذا كانت بتقدير مفرد جائز \* ولما ذكر تعالى أنه أنزل على عبده هذا الكتاب الموصوف بما ذكر  
 أردفه بيان ما لاجله أنزله بقوله عز وجل (لينذر) أي يخوف الكتاب الكافرين (بأسا) أي  
 هذا يا (شديدا من لدنه) أي صادرا من عنده وقرأ شعبة بأسكان الدال وكسر التون والهاء وصله  
 الهاء ياء والباقون بضم الدال وسكون التون وضم الهاء وابن كثير على أصله بضم الهاء  
 في الوصل بواو (ويشير المؤمنون) أي الراضين في هذا الوصف وقرأ حزة والكسائي  
 بفتح الياء التسمية وسكون الموحدة وضم الشين مخففة والباقون بضم التسمية وفتح الموحدة  
 وكسر الشين مشددة (الذين يعملون الصالحات) وهي ما أمر به خالصا وذاتك الشبان مفتاح  
 الايمان (أن لهم) أي بسبب أعمالهم (أجر احسنا) هو الجنة حال كونهم (ما كثير فيه أبدا)  
 بلا انقطاع أصلا فان لا بد زمان لا آخر له وقوله تعالى (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا)  
 معطوف على قوله تعالى لينذر يا سائديدا من لدنه والمعطوف يجب كونه مغايرا للمعطوف  
 طلبه فالأول عام في حق كل كافر والثاني خاص بمن أثبت لله ولدا وعادة القرآن جارية بانه  
 اذا ذكر قضية كلمة عطف عليها بعض جزئياتها تنبها على كونه أعظم جزئيات ذلك الكلي  
 كقوله تعالى وملائكته ورسله وجريل وميكال فكذا ههنا هذا العطف يدل على أن أفصح  
 أنواع الكفر اثبات الولد لله تعالى \* (تنبيه) \* الذين آمنوا لله ولدا ثلاث طوائف الاولى

كفار العرب الذين قالوا الملائكة بنات الله الثانية النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله الثالثة  
 اليهود الذين قالوا عزير ابن الله \* ثم أتت تعالى أنكروا على الصائين ذلك من وجهين الأول قوله  
 تعالى (مالهم به) أى القول (من علم) أى أصلا لأنه مما لا يمكن أن يتعلق العلم به لأنه لا وجوده  
 ولا يمكن وجوده ثم قررتعالى هذا المعنى وأكده بقوله (ولولا بأنهم) الذين يغتبطون بتقليدهم  
 في الدين حتى في هذا الذي لا يتضاه عاقل ولو أخطوا في تصرف ذنوبهم لم يتبعوهم فيه (فان قيل)  
 اتخذ الله ولدا محال في نفسه فكيف قيل مالهم به من علم (أجيب) بأن انتفاء العلم بالشيء قد  
 يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد لا يكون لأنه في نفسه محال لا يمكن تعلق العلم به وتظيره  
 قوله تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به الوجه الثاني (كبرت) أى مقاتلهم (كلمة)  
 أى ما أكبرها من كلمة وصورفظاظة اجترأتهم على التعلق بها بقوله تعالى (تخرج من أفواههم)  
 أى لم يكفهم خطورها في أنفسهم وترددها في صدورهم حتى تلفظوا بما أوصوا كان صدورهم  
 بها على وجه التكرير كما يشير إليه التعبير بالمضارع \* (تنبيه) \* سميت هذه كلمة كما يسمون  
 القصيدة كلمة \* ثم بين تعالى ما أفهمه الكلام من أنه كما أنهم لا علم لهم بذلك لا علم لاحد به أصلا  
 لأنه لا وجوده فقال تعالى (ان) أى ما (يقولون الاكذبا) أى قولوا لا حقيقة له بوجه من  
 الوجوه \* ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على ايمان قومه شفقة عليهم وغيره  
 على المقام الالهى الذى ملا قلبه تعظيما خفض عليه سبحانه وتعالى بقوله تعالى (فلعلك باخع)  
 أى قائل (نفسك) من شدة الغم والوجد وأشار تعالى الى شدة غمهم وسرعة مفارقتهم وعظيم  
 مباعدهم بقوله عز من قائل (على آتارهم) أى حين تولوا عن التوحيد وعن اجابتك (ان لم  
 يؤمنوا بهذا الحديث) أى القرآن المتجدد تنزيهه على حسب التدرج (أسفا) منك على ذلك  
 والاسف شدة الحزن والغضب (فان قيل) ذلك يدل على حدود القرآن (أجيب) بأنه محمول  
 على اللفاظ وهى حادثة \* ثم بين سبحانه وتعالى علة ارشاده الى الاعراض عنهم بغير ما يقدر عليه  
 من التبليغ للبشارة والندارة بأنهم لم يخرجوا عن مراده تعالى وأن الايمان لا يقدر على  
 ادخاله قلوبهم غيره بقوله عز وجل (انا) أى انا لانفعل ذلك لانا (جعلنا ما على الارض) من  
 الحيوان والنبات والشجر والانهار والمعادن وغير ذلك وقال بعضهم بل المراد الناس فهم زينة  
 الارض وبالجملة فليس في الارض الا المواليد الثلاثة وهى المعادن والنبات والشجر  
 والحيوان وأشرف أنواع الحيوان الانسان (زينةاها) أى الارض قبل المراد أهلها  
 أى زينة لاهلها قال الرازى ولا يمنع أن يكون ما تحسن به الارض زينة لها كما جعل الله السموات  
 زينة بالكواكب \* ولما أخبر تعالى بزينة اخبر تعالى بعلة بقوله تعالى (تلبوهم) أى  
 تعاملهم معاملة الخبير (أيهم أحسن هملا) باخلاص الخدمة مقربة فيصير ما كانوا عليه منهم  
 ظاهرا فان الله تعالى يعلم السر وأخفى لتقام به عليهم العجلة على ما يتعارفونه بينهم بأن من أظهر  
 موافقة الامر فيما قال من الزينة حاز المنوبة ومن اجترأ على مخالفة الامر بما آتاه منها استحق  
 العقوبة فكانه تعالى يقول يا محمد أتى خلقت الارض وزينتها وأخرجت منها أنواع المنافع

والمصالح والمقصود من خلقها بما فيها من المنافع ابتلاء الخلق بهذه التكاليف ثم انهم يكفرون  
 ويتمرّدون ومع ذلك فلا قطع عنهم مواهب هذه النعم فأتى أيضا يا محمد لا ينبغي أن تنتهي في الحزن  
 بسبب كفرهم إلى أن تترك الأشغال بدعوتهم إلى الدين الحق \* ثم انه تعالى لما بين أنه انما زين  
 الارض لاجل الامتحان والابتلاء لا لاجل أن يبقى الانسان فيها متنعها أبدا زهد فيها  
 بقوله تعالى (وانالجماعلون ما عليها) من جميع تلك الزينة لا يصعب علينا شيء منه (صعيدا)  
 أي فماتا (جزا) أي يابسا لا ينبت ونظيره قوله تعالى كل من عليها فان وقوله تعالى فيذرها  
 قاعا مضمضا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وتخصيص الاهلاك بما على الارض يؤهم ببقاء الارض  
 الا أن سائر الآيات على أن الارض أيضا لا تبقى كما قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض  
 \* ولما أتى القوم نجبوا في قصة أصحاب الكهف وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل  
 الامتحان قال تعالى (أم حسبت) أي ظننت على مالك من العقل الرزين والرأي الرصين (أن  
 أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) على ما رزيم من تهويل الساتلين من الكفرة  
 من اليهود والعرب والواقع أنهم كانوا من العجائب ليسوا بالمعجب بالنسبة إلى كثرة آياتنا فان  
 من كان قادرا على تخلق السموات والارض كيف يستبعد من قدرته وحفظه ورحمته حفظ  
 طائفة مدة ثلثمائة سنة وأكثر في النوم والكهف الغار الواسع في الجبل واختلف في الرقيم  
 فقيل هو اسم كلهم قال أمية بن أبي الصلت

\* وليس بها الا الرقيم مجاورا \*

وصيدهم (وهو بكسر الصاد مفعول مجاورا أي قناههم) والقوم في الكهف هجد (أي نوم)  
 وقيل هولوح من رصاص رقت فيه أسماؤهم وقصصهم جعل على باب الكهف قال البغوي  
 وهذا أظهر الاقارب وقيل ان الناس رقاؤهم نقر في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه  
 الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل أصحاب الرقيم قوم آخرون غير أصحاب الكهف  
 كانوا ثلاثة يطلبون الكلاب وتصوره لاهلهم فأخذهم المطرفا ووا إلى الكهف فانحطت حضرة  
 وسدت عليهم بابه فقال أحدهم اذكروا أيكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ويركنه فقال واحد  
 استعملت أجراء ذات يوم فجاء رجل منهم وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فأعطيته مثل  
 أجرهم فغضب أحدهم وترك أجره فوضعه في جانب البيت فترى بقر فاشتريت فصيلة والقصيلة  
 ولد الناقة اذا انفصل عن أمه فبلغت ماشاء الله فرجع إلى بهد من شيخا ضعيفا لا أعرفه وقال  
 انقلني عندك حقا وذكروا حتى عرفته فدفعته اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج  
 عنا فانصدع عنهم الجبل حتى رأوا الضوء والصدع الشق والصداع وجع الرأس وقال آخر  
 كان في فضل وأصاب الناس شدة فجاءتني امرأة تطلب مني معروفا فقلت والله ما هودون نفسك  
 فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت ذلك لزوجها فقال أجيبني له وأعيني عيالك فأنت وصلت  
 إلى نفسها فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت لها مالك فقالت أخاف الله تعالى فقلت لها  
 خفيته في الشدة ولم أخفه في الرخاء فتركتها وأعطيتها ما ملقها اللهم ان كنت فعلت لوجهك

فأفرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث ~~كان~~ لي أبوان هرمان وكان لي غنم وكنت  
أطعمهما وأسقيهما ثم أرجع إلى غنمي فحبسني ذات يوم غيم فلم أرجع حتى أمسيت فاتيت أهلي  
وأخذت محلي فخلبت فيه ومضيت إليهما فوجدتهما نائمين فشق علي أن أوقظهما فوقف  
حابساً محلي على يدي حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما ما اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك الكريم  
فأفرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك النعمان بن بشير وقد قدمنا سبب نزول قصة  
أصحاب الكهف عند قوله تعالى ويستلونك عن الروح وذكر محمد بن اسحق سبب نزول هذه  
القصة مشروحا فقال كان النضر بن الحرث من شياطين قريش وكان يؤذي رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها الأحاديث رستم واسقنديار وكان رسول  
الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس مجلسا ذكر فيه الله تعالى وحذر قومه ما أصاب من كان قبلهم  
من الأمم وكان النضر يخلفه في مجلسه إذا قام وقال أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه  
فهلوا فأنأ حديثكم بأحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ثم قال إن قريشاً به توه  
ويعتوا معه عقبه بن أبي معيط إلى أخباريه وديلمدينة وقالوا لهم اسلاهم عن محمد وصفته فانهم  
أهل الكتاب الأول وعندهم من العلم ما ليس عندنا من علم الانبياء فخرجوا حتى قدما المدينة  
فسألوا أخبار اليهود عن أحوال محمد فقال لهم اليهود سلوه عن ثلاثة عن قبية ذهبوا في الدهر  
الأول فان حديثهم عجيب وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها وسلوه عن  
الروح وما هي فان أخبركم فهو نبي والافه ومنتقول فلما قدم النضر وصاحبه مكة فالأقد  
بجئناكم بفصل ما بيننا وبين محمد وأخبرناهم بما قاله اليهود فخاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وسألوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبركم بما سألتكم عنه عداؤكم يستثنى فانصرفوا عنه  
فكثرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكر من خمسة عشرة ليلة لم ينزل عليه وحى وشق عليه  
ذلك ثم جاءه جبريل عليه السلام من عند الله بسورة أهل الكهف وفيها معاتبة الله تعالى آياه  
على جراته عليهم وفيها خبراً وثائق القبية وخبر الرجل الطواف ثم بدأ بالقبية فقال (اد)  
أي واذا كراذ (أوى القبية) وهم أصحاب الكهف المسؤول عنهم جمع قبي وهو الشاب الكامل  
والشباب أقبل إلى الحق وأهدى للسبيل من الشيوخ (إلى الكهف) خاتمين على إيمانهم  
من قومهم الكفار واختلفوا في سبب مصرهم إلى الكهف فقال محمد بن اسحق بن يسار مريج  
أهل الانجيل وكثرت فيهم الخطايا وطفقت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت  
وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكين بعبادة الله وتوحيده وكان من ملوكهم  
ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالقه وكان ينزل قري  
الروم فلا يترك في قرية ترزلهما أحدا الاقنه عن دينه حتى يعبد الاصنام أو يقتله ثم نزل مدينة  
أهل الكهف وهي افسوس فلما نزل بها كبر على أهل الايمان فاستضعفوا منه وهربوا في كل  
وجه واتخذ شرطاً من الكفار وأمرهم أن يتبعوهم في أما كنهم ويخرجوهم إليه فيضروهم  
بين القتل وبين عبادة الاوثان والذبح للطواغيت ففهم من يرغب في الحياة ومنهم من يأبى أن

يعبد غير الله تعالى فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في الإيمان جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب  
 والقتل فيقتلون ويقطعون ثم جعل ما قطع من أجسامهم على سور المدينة من نواحيها وعلى كل  
 باب من أبوابها حتى عظمت الفتنة فلما رأى ذلك القتيبة خرجوا حزنوا حزننا شديد افتقروا واشتغلوا  
 بالصلاة والصيام والدعاء والتسبيح وكانوا من أشرف المدينة ومن أشرف الروم وكانوا  
 تحانية فتركوا وتضرعوا إلى الله تعالى وجعلوا يقولون ربنا اكشف عن عبادك المؤمنين  
 هذه الفتنة وارفع عنهم هذا البلا حتى يعادوا عبادك فيبنيهم على ذلك وقد دخلوا مصل  
 لهم أدركهم الشرط فوجدوهم سجودا على وجوههم يكون ويتضرعون إلى الله تعالى فقالوا  
 لهم ما خلفكم عن أمر الملك انطلقوا إليه ثم خرجوا فرجعوا أمرهم إلى دقيانوس فقالوا لجمع  
 الناس للذبح لا تهتك وهو لاء القتيبة من أهل بيتك يستزرون بك ويعصون أمرنا فلما سمع ذلك  
 بعث إليهم فأتى بهم تقيض أعينهم من الدمع معفرة وجوههم في التراب فقال لهم ما منعكم  
 أن تشهدوا والذبح لا تهتنا التي تعبد في الأرض وتجعلوا أنفسكم بأسوة سراة أهل مدنتكم  
 اختاروا أمانا تذبجوا لا تهتنا وأمانا أن أقتلكم فقال له كبيرهم واسمه مكلمينا ان لنا الهامل  
 السموات والأرض عظمته لن ندعوه ونه الهأبدا له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا  
 خالصا أبدا لياه نعبد وياه نسأل النصاة والخير وأما الطواغيت فلن نعبدها أبدا اصنع ما بدالك  
 وقال أصحابه مثل ما قال فلما قالوا ذلك أمر الملك بنزع لباسهم وحلوة كانت عليهم من  
 الذهب والفضة وقال سأفرغ لكم وأخجز لكم ما وعدتكم من العقوبة وما يعني أن أجعل لكم  
 ذلك إلا أني أراكم شبيا حديثا أسنانكم فلا أحب أن أهلكم حتى أجعل لكم أجلا  
 تذكرون فيه وترجعون إلى عقولكم ثم أمر بهم فأخرجوا من عنده وانطلق إلى مدينة أخرى  
 قريبة منهم لبعض أموره فلما رأى القتيبة خروجهم يادروا قدومه وخافوا إذا قدم مدنتهم أن  
 يذكرهم فاتهموا بينهم أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها ويتزودوا  
 بما بقي ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة فيكثروا فيه ويعبدوا الله تعالى حتى إذا جاء  
 دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما يشاء فلما قال ذلك بعضهم لبعض عد كل فتى منهم  
 إلى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقي معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى إذا أتوا  
 ذلك الكهف فلبثوا فيه وقال كعب الاحبار مزايا بكتاب فتبعهم فطردوه فعاد قتلوا ذلك  
 مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا جناني أنا أحب أحب الله عز وجل فناموا  
 حتى أحرسكم وقال ابن عباس هربوا إلى بلاد من دقيانوس وكانوا سبعة فزوا براخ معه كلب  
 فتبعهم على دينهم وتبعه كلبه فخرجوا من البلاد إلى الكهف وهو قريب من البلاد قال ابن  
 اسحق فلبثوا فيه ليس لهم عمل غير الصلاة والصيام والتسبيح والتجسيدا بتجاه وجه الله تعالى  
 وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يقال له غليظ فكان يتباع لهم أرباقهم من المدينة سرا وكان من  
 أجلهم وأجلدهم وكان إذا دخل المدينة يضع مياها كانت عليه حلسا يأخذها بأصابعه  
 المساكين الذين يستطعمون فيها ثم يأخذ ورقه وينطلق إلى المدينة فيشتري لهم طعاما وشرابا



ويحبس لهم الخبر هل ذكره وأصحابه بشي ثم يرجع الى أصحابه فلبثوا في ذلك ما شاء الله أن  
 يلبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة وأمر عظماء أهلها أن يذبحوا للطواغيت ففرغ من ذلك أهل  
 الايمان وكان تلميذا يشترى لأصحابه طعامهم فرجع الى أصحابه وهو يبكي ودهه طعام قليل  
 فأخبرهم أن الجبار قد دخل المدينة وأنهم قد ذكروا والقسماء المدينة ففرغوا  
 ووقعوا سجودا يدعون ويتضرعون ويتعوذون من الفتنة ثم ان تلميذا قال لهم يا اخوتاه  
 ارفعوا رؤسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع فطعموا  
 ذلك مع غروب الشمس ثم جعلوا يصعدون ويتدارسون ويذكرون بعضهم بعضا فيمناهم كذلك  
 اذ ضرب الله على آذانهم في الكهف وكلمهم باسط ذراعيه بباب الكهف فأصابهم ما أصابهم وهم  
 مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤسهم فلما كان من الغد تفقدتهم دقيانوس فالتهمهم فلم يجدهم  
 فقال لبعض عظمائه وعظماء المدينة لقد ساء في شأن هؤلاء القسية الذين ذهبوا القدا كانوا ظنوا  
 ان بي غضبا عليهم لجهلهم ما جهلوا من أمرى ما كنت لا تجهل عليهم انهم تابوا وعبدوا  
 الهى فقال عظماء المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوما جرة مردة عصاة فقد كنت أجلت لهم  
 أجلا ولوشا والرجعوا في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا ثم  
 أرسل الى آياتهم فاتي بهم فسألهم عنهم وقال أخبروني عن آياتكم المردة الذين عصوني فقالوا له  
 أما نحن فلم نصلك فلم تقبلنا بقوم مردة قد ذهبوا بأموالنا وأهلنا كوهنا في أسواق المدينة ثم  
 انطلقوا فانفقوا الى جبل يدعى بنجلوس فلما قالوا ذلك خلا سيطهم وجعل ما يدري ما يصنع  
 بالقسية فألقى الله تعالى في قلبه أن يستد باب الكهف عليهم وأراد الله تعالى أن يكرمهم بذلك  
 ويجعلهم آية لامة تستخلف من بعدهم وأن يبين لهم ان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث  
 من في القبور فأمر دقيانوس بالكهف أن يستد عليهم وقال دعوهم كما هم في الكهف يعنون  
 جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذى اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أبقاوا يعلمون ما يصنع بهم  
 وقد توفي الله أرواحهم وفاة النوم وكلمهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ما غشيهم يتقانون  
 ذات العيون وذات الشمال ثم ان رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهم اتقرا أن  
 يكتبان بشأن القسية وخبرهم في لوحين من رصاص ويجعلاهما في تابوت من نحاس ويجعلاه  
 التابوت في البقيان وقال لعل الله يظهر على هؤلاء القسية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من  
 يفتح عليهم خبرهم حين يقرأ الكتاب ففعلوا ذلك وبنوا عليه وبنى دقيانوس ما بنى ثم مات وقومه  
 وقرون بعده كثيرة وقد حكى الله تعالى عنهم أنهم لم آووا الى الكهف (فقالوا) أى عقب  
 استقرارهم فيه (ربنا آتانا من لدنك) أى من عندك (رحمة) توجب لنا المغفرة والرزق والامن  
 من عدوك (وهي لنا من أمرنا) أى من الامر الذى نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) الرشدا  
 والرشد والرشاد تقيض الضلال وفي تفسير اللفظ وجهان الاول أن التقدير هي لنا أمر اذ ارشد  
 أى حتى نصير بسببه راشدين مهتدين الثاني اجعل أمرنا رشدا كله كقولك رأيت منك  
 رشدا \* ولما أجابهم سبحانه وتعالى عبر عن ذلك بقوله تعالى (فصبرنا) أى عقب هذا القول

قوله بنجلوس هذا  
 في النسخ والذ  
 في حيلة الحيا  
 منجلوس ٥١

وبسببه (على آذانهم) مما يجمع السماع أى اغتنامهم فومة لا تنبهم الاصوات الموقطة مخدق  
 المفعول الذى هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عايم القبة ثم بين تعالى أنه انما  
 ضرب على آذانهم (فى الكهف) أى اليهود وهو ظرف مكان وقوله تعالى (سنين) ظرف  
 زمان وقوله تعالى (عددا) أى ذوات عدد يحتمل التكمير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم  
 عنده كقوله تعالى لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج اذا قل الشئ فهم مقدار عدده فلم  
 يخرج الى أن يعد و اذا كثر احتاج الى أن يعد (ثم بعثناهم) أى أيقظناهم من ذلك النوم  
 (لتعلم) أى علم مشاهدة وقد سبق نظير هذه الآية فى القرآن كثيرا منها ما سبق فى سورة البقرة  
 الا نعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبه وفى آل عمران ولما علم الله الذين جاهدوا منكم  
 وقد نبهنا على ذلك فى محله (أى الحزبين) أى الفريقين المختلفين فى مدة لبثهم (أحصى  
 لما ابتوا أمدا) واختلافوا فى الحزبين المختلفين فقال عطاء عن ابن عباس المراد بالحزبين الملوك  
 الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك وأصحاب الكهف وقال مجاهد الحزبان من القبة أصحاب  
 الكهف لما يقظوا واختلفوا فى أنهم كم لبثوا ويدل له قوله تعالى قال قائل منهم كم لبثتم  
قالوا لئننا يومنا وأربعين يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فالحزبان هما هذان وكان الذين قالوا  
 ربكم أعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول وقال الفراء ان طائفتين من المسلمين فى زمان  
 أصحاب الكهف اختلفوا فى مدة لبثهم \* (تنبيه) \* أحصى فعل ماض أى أيهم ضبط  
 أمر أوقات لبثهم واتمان جعله أفعل تفضيل فقال فى الكشاف ليس بالوجه الشديد  
 وذلك ان بناءه من غير الثلاثى المجرد ليس بقياس ونحو أعدى من الحرب وأفلس من ابن المذلق  
 شاذ والقياس على الشاذ فى غير التران متمنع فكيف به ثم قال الله تعالى (تحن) أى  
 يالئامن العظمة والقدرة الباهرة (نقص عليك) يا أشرف الخلق (نبأهم) أى خبرهم العظيم  
 قصا لم تبس (بالحق) أى الصدق (انهم قمية) أى شبان (أمنوا برهم) أى المحسن اليهم الذى  
 تفرد بخلقهم ورزقهم ثم وصفهم الله تعالى بقوله (وزدناهم) بعد أن آمنوا (هدى) بما قد ناهى فى  
 قلوبهم من المعارف (وربطنا على قلوبهم) أى قوياها فصار ما فيها من القوى مجتمعا غير مبدد  
 فكانت ساهم فى الجلوة حالهم فى الخلوة (اذ قاموا) أى وقت قيامهم بين يدي الجبار دقيه افس  
 من غيره بالآلة به حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام (فقالوا ربنا رب السموات والارض) وذلك  
 لانه كان يدعو الناس الى عبادة الطواغيت فثبت الله تعالى هؤلاء الفتيمة حتى عصوا ذلك الجبار  
 وأقروا برؤية الله تعالى وصرحوا بالبراءة من الشرك والانداد بقولهم (لن ندعومن دونه الها)  
 لان ما سواه عاجز والله (لقد قلنا اذا) أى اذا دعوتنا من دونه غيره (شططا) أى قولوا اذا بعد عن  
 الحق جدا وقال مجاهد كانوا أبناء عظماء مدينهم فخرجوا واجتمعوا وروا المدينة من غير معاد  
 فقال رجل منهم هو أكبر القوم انى لا جد فى نفسى شيئا ما أظن أن أحد ايجده قالوا ما تجدد قال  
 أجد فى نفسى أن ربي رب السموات والارض قالوا نحن كذلك فى أنفسنا فقاموا جميعا فقالوا  
 وبنار السموات والارض وقال عطاء قالوا ذلك عند قيامهم من النوم قال الرازى وهو بعيد

لان الله تعالى استأنف قصتهم بقوله تعالى فمن نقص عليك وقال عبيد بن عمير كان أصحاب  
 الكهف قتيبا نامطوقين مسورين ذوى ذواب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم  
 عظيم في زى وموكب وأخرجوا معهم ألهمم التي يعبدونها وقد قذف الله تعالى في قلوب  
 القية الايمان وكان أحدهم وزير الملك فآمنوا وأخفى كل واحد ايمانه فقالوا في أنفسهم نخرج  
 من بين أظهر هؤلاء القوم لا يصيبنا عقاب بجرهمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة  
 فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر ذلك ثم  
 خرج آخر فخرجوا كلهم جميعا فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم صاحبه  
 مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل قيتين فيضلوا ثم يفشى كل واحد سره الى صاحبه ففعلوا  
 فاذا هم جميعا على الايمان واذا بكهف في الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض (هؤلاء قومنا)  
 وان كانوا أسن منا وأقوى وأجل في الدنيا (اتخذوا من دونه آلهة) أشركوهم معه تعالى  
 لشبهة واهية (لولا) أى هلا (يأتون عليهم بسلطان) أى دليل (بين) أى ظاهر مثل ما نأتى نحن  
 على تقرير معبودنا بالأدلة الظاهرة فتسبب عن بجزهم عن دليل أنهم أظلم الظالمين فلذلك قالوا  
 (فن أظلم) أى لا أحد أظلم (من افترى) أى تعمد (على الله) أى الملك الاعظم (كذبا) بنسبة  
 الشريك اليه تعالى ثم قال بعض القية لبعض (واد) أى وحين (اعتراقوهم) أى قوهم  
 (وما يعبدون) أى واعتزلتم معبودهم وقولهم (الا الله) يجوز أن يكون استثناء منه متصلا على  
 ما روى أنهم كانوا يقرنون بالخالق ويشركون معه كما كان أهل مكة وأن يكون منقطعا وقيل  
 هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن القية بأنهم لم يعبدوا غير الله تعالى (قأورا الى  
 الكهف) أى الغار الذى فى الجبل (ينشر) أى ييسط (لكم) ويوسع عليكم (ربكم) أى المحسن  
 اليكم (من رحته) ما يكفيكم به المهم من أمركم فى الدارين (ويهي لكم من أمركم) أى الذى  
 من شأنه أن يهكم (مرفقا) أى ما ترنفقون به وتتقنون وجزمهم بذلك لخلوص نيتهم وقوة  
 وثوقهم بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء والباقون بكسر الميم وفتح الفاء  
 قال الفراء وهم الغتان واشتقاقهم من الارتفاق وكان الكسائي لا يذكر فى مرفق الانسان  
 الذى فى اليد الا كسر الميم وفتح الفاء والفراء يجيزه فى الامر وفى اليد وقيل هما الغتان الا أن الفتح  
 أقدس والكسر أكثر والخطاب فى قوله تعالى (وترى الشمس) للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل  
 أحد وليس المراد أن من خطوب بهذا يرى هذا المعنى ولكن العادة فى مخاطبة تكون على هذا  
 النحو ومعناه انك لو رأيت على هذه الصورة (اذا طلعت تزاور) أى تميل (عن كهفهم ذات  
 اليمين) أى ناحيته (واذا غربت تقرضهم) أى تعدل فى سيرها عنهم (ذات الشمال) أى فلا يقع  
 شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الله تعالى زواها عنهم وقيل ان باب ذلك الكهف كان مفتوحا  
 الى جانب الشمال فاذا طلعت الشمس كانت على يمين الكهف واذا غربت كانت على شماله وقرأ  
 السوسى بامالة ألف ترى المنقلبة بعد الراء فى الاصل بخلاف عنه والباقون بالفتح فى الوصل وهم  
 على أصولهم فى الوقف وأبو عمرو وحزرة والكسائي بالامالة محضة وورش بين اللظنين والباقون

بالفتح وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ورتزاور بتشديد الزاي وتخفيف الراء مضمومة وابن عامر  
 بسكون الزاي ولا ألف بعدها وتشديد الواو على وزن فحمر والباقون وهم عاصم وحجزة  
 والكسائي بتخفيف الزاي والواو ولا خلاف في ضم الراء \* ولما بين أنه تعالى حفظهم من حر  
 الشمس من أنه أنعشهم بروح الهواء وألطفهم بسعة الموضع في فضاء الغار فقال تعالى (وهم  
 في فجوة منه) أي في وسط الكهف ومتسع يناله هم برد الريح ونسيمها ثم بين تعالى نتيجة هذا  
 الامر الغريب في النبأ العجيب بقوله تعالى (ذلك) أي المذكور العظيم (من آيات الله) أي  
 دلائل قدرته (من يهد الله) أي الذي له الملك كله يخلق هذه الهداية في قلبه كأصحاب الكهف  
 (فهو المهتد) في أي زمان كان فلن تجده مضلًا مغويًا في ذلك إشارة إلى أن أهل الكهف  
 جاهدوا في الله وأسفلوا له وجوههم فلطف بهم وأعانهم وأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة  
 السنية والاختصاص بالآية العظيمة وأن كل من سلك طريق المهتدين الراشدين فهو الذي  
 أصاب الفلاح واهتدى إلى السعادة وقرأ نافع وأبو عمرو وزيادة ياء بعد الدال في الوصل دون  
 الوقف والباقون بحذفه أو قفا ووصلا (ومن يضل) أي يضل الله تعالى ولم يرشده كدقيانوس  
 وأصحابه (فلن تجد له وليا) أي معنا (مرشدا) أي يرشده للعق ثم انه تعالى عطف على  
 ما مضى بقية أمرهم بقوله تعالى (وتحسبهم) أي لورايتهم أيها المخاطب (أيقاظا) أي منتبهين  
 لأن أعينهم مفتحة للهواء لانه يـكون أبى لها جمع يقط بكسر القاف (وهم رقاد) أي  
 نيام جمع رقاد قال الزجاج لكثرة تقلبهم يظن أنهم أيقاظ والدليل عليه قوله تعالى (وتقلبهم) أي  
 في ذلك حال نومهم تقلبا كثيرا بحسب ما ينفعهم كما يكون الغائم (ذات) أي في الجهة التي هي  
 صاحبة (اليمين) منهم (وذات الشمال) لينال روح النسيم جميع أبدانهم ولا يتأثر ما يلي الارض  
 منها بطول المكث \* (تنبيه) \* اختلف في مدة دارمدة التقلب فعن أبي هريرة أن لهم في كل عام  
 تقلبتين وعن مجاهد يمكثون رقادا على أيمانهم تسع سنين ثم يتقلبون على شمائلهم فيمكثون  
 رقادا تسع سنين وقيل لهم تقلبية واحدة في يوم عاشوراء قال الرازي وهذه التقديرات لاسبيل  
 للعقل اليها ولفظ القرآن لا يدل عليها وما جاء فيه خبر صحيح فكيف يعرف انتهى واهذا قلت  
 بحسب ما ينفعهم وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم فائدة تقلبهم لثلاثا تأسكل الارض  
 لحومهم ولا ثيابهم اه قال الرازي وهذا أعجب من ذلك لانه تعالى لما قدر على أن يسلك  
 حياتهم ثلثمائة سنة وأكثر فلا يقدر على حفظ أجسادهم أيضا من غير تقلب اه وهذا  
 ليس بحجيب لان القدوة سالحة لذلك وأكثر بحسب العادة وأما مسالك أرواحهم فهو خرق  
 للعادة فلا يقاس عليه (وكلبهم باسط ذراعيه) أي يديه أي ملقيا ماء على الارض مبسوطتين  
 غير مقبوضتين ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اعتدلوا في اليهود ولا يبسط أحدكم ذراعيه  
 انبساط الكلب قال المفسرون كان الكلب قد يبسط ذراعيه وجعل وجهه عليهما \* (تنبيه) \*  
 باسط اسم فاعل ماض وانما عمل على حكاية الحال والكسائي بعينه ويستشهد بالآية الكريمة  
 وأكثر المفسرين على أن الكلب من جنس الكلاب وروى عن ابن جرير أنه كان أسدا

ويسمى الاسد كلبا فان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن ابي لهب فقال اللهم سلط عليه  
 كلبا من كلابك فاقتربه الاسد وقال ابن عباس كل كلبا أغتر واسمه قطمير وعن علي اسمه ريان  
 واختلف في قوله تعالى (بالوصيد) فقال ابن عباس هو باب الكهف وقيل العتبة قال السدي  
 والكهف لا يكون له باب ولا عتبة وانما أراد موضع الباب والعتبة وقال الزجاج الوصيد فناء  
 البيت وفناء الدار قال الشاعر

بأرض فضاء لا يستو صيدها \* على ومعروفى بها غير منكر

وقال مجاهد والضحك الوصيد الكهف (لواطلعت عليهم) بكسر الواو على أصل التقاء  
 الساكنين أى وهم على تلك الحالة (لوليت منهم) حال وقوع بصرك عليهم (فرارا) لما ألبسهم  
 الله تعالى من الهبة وجعل لهم من الجلالة تدبيراً منه لما أراد منهم حتى لا يصل اليهم أحد  
 حتى يبلغ الكتاب أجله (ولمئت منهم رعبا) أى فزعاً واختلف في ذلك الرعب كان لما ذاق فقال  
 الكلبي لأن أعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل من وحشة الكلام  
 وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم وتقلبهم من غير حس كالمستيقظ وقيل ان الله تعالى  
 منعهم بالرعب حتى لا يراهم أحد وروى عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال غزو نافع  
 معاوية نحو الروم فررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف  
 لنا عن هؤلاء فغظرتنا اليهم فقال ابن عباس قد منع ذلك من هو خير منك لو اطلعت عليهم لوليت  
 منهم فرارا فبعث معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم  
 ريحا فخرجتهم وقرأ نافع وابن كثير بتشديد اللام بعد الميم والباقون يخفون فيها والسوي  
 يابدال الهمة زقيا على أصله وقتا وصلوا وحزة في الوقف فقط وقرأ ابن عامر والكسائي  
 رعبا يضم العين والباقون يسكونها (وكذلك) أى كما فعلنا بهم ما ذكرنا آية (بعثناهم) أى  
 أيقظناهم آية (ليتساءلوا بينهم) أى ليسأل بعضهم بعضا عن أحوالهم في نومهم ويقظتهم  
 فيتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى وليستبصروا  
 بدأمر البعث ويشكروا ما أنعم الله به عليهم (قال قائل منهم) مستفهما من اخوانه (كم لبثتم)  
 ناعمين في ذا الكهف من ليلة أو يوم وهذا يدل على ان هذا القائل استشعر طول لبثهم مما  
 رأى من هيبتهم أو بغير ذلك من الامارات (قالوا لبتنا يوما أو بعض يوم) لانهم دخلوا  
 الكهف طلوع الشمس وبعثوا آخر النهار فلما رأوا الشمس باقية قالوا أو بعض يوم فلما نظروا  
 الى طول أظفارهم وشعورهم (قالوا ربكم أعلم بلبثتم) فأحالوا العلم على الله تعالى قال ابن  
 عباس القائل ذلك هو رئيسهم فليخاردهم ذلك الى الله تعالى وعلم أن مثل هذا التفسير لا يحصل  
 الا في الايام الطويلة وقرأ نافع وابن كثير وعاصم باظهار الراء المثلثة عند المثناة والباقون  
 بالادغام ثم لما علموا أن الامر ملتبس عليهم لا طريق لهم الى عمله أخذوا فاعياهم منهم وقالوا  
 (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه) أى بفضتكم وقرأ أبو عمرو وشعبة وحزرة بسكون الراء والباقون  
 بكسرها والورق اسم للفضة سواء كانت مضروبة أم لا ويدل عليه ما روى أن غر خفة اتخذ

أنفاس من ورق ويقال لها الرقة وفي الحديث في الرقة ربع العشر (إلى المدينة) أي التي خرجت  
 منها وهي مدينة طرسوس وهذه الآية تدل على أن السعي في أمسالك الزاد أمر مهم مشروع  
 وأنه لا يبطل التوكل على الله تعالى إذ حقيقة التوكل على الله تعالى تهتبه الأسباب واعتقاد  
 أن لا سبب للأسباب إلا الله تعالى فحمل النفقة وما يصلح المسافر هو رأي المتوكلين على الله دون  
 المتوكلين على الانفاقات على ما في أوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة رضي الله تعالى  
 عنها لمن سألها عن محرم يشد عليه هميانه أو وثق عليك نفقتك وما حكى عن بعض صحابك العلماء  
 أنه كان شديد الحب إلى أن يرزق حج بيت الله الحرام وعلم منه ذلك فكانت مياسير أهل بلده كلها  
 عزم قوم على حج أتوه أن يحجوا به وألحوا عليه فيعتذر إليهم ويصعد إليهم بذلهم فإذا انقضوا عنه  
 قال لمن عنده ما لهذا السفر الأشيا أن شد الهميان والتوكل على الرحمن (فليتظروا أيها أزكي  
 طعاما) قال ابن عباس يريد ما حل من الذبائح لأن عامة أهل بلدهم كانوا مجوسا وفيهم قوم يحقون  
 إيمانهم وقال مجاهد كان ملكهم ظلما فقولهم أيها أزكي طعاما أي أيها أبعده عن الغصب وكل  
 سبب حرام وقيل أيها أطيب وألذ وقيل أيها أرخص قال الزجاج قولهم أيها أرفع بالابتداء  
 وأزكي خبره وطعاما تميز ولا يدهن من حذف أي أي أهلها أزكي أي أحل وقيل لا حذف  
 والضمير عائدة عن الاطعمة المدلول عليها من السياق (قلبا أتكلم) ذلك الاحد (برزق منه)  
 لنا كل (وليأطف) أي وليكن في ستر وكتمان في دخول المدينة وشراء الاطعمة حتى لا يعرف  
 (ولا يشعرون) أي ولا يخبرن (بكم أحدا) من أهل المدينة (أنهم) أي أهل المدينة (ان يظهروا)  
 أي يظهروا عاين (عليكم برجوكم) أي يقتلوكم والرجم بمعنى القتل كثير في القرآن كتوله  
 ولولا رهطك لرجمناك وقوله لا يرجنك وقوله أن ترجون وقال الزجاج أي يقتلوكم بالرجم  
 والرجم أخص أنواع القتل (أو يعيدوكم في ملتهم) ان لنتم لهم (ولن تفلحوا اذا) أي ان  
 رجعت إلى ملتهم (أبدا) بل تكونوا خاسرين قال بعض العلماء ولا خوف على المؤمن الفاتر  
 بدينه أعظم من هذين الأمرين أحدهما ما فيه هلاك النفس وهو الرجم الذي هو أخص أنواع  
 القتل والآخر هلاك الدين (فان قيل) أليس انهم لو أكرهوا على الكفر حتى أظهروا الكفر  
 لم يكن عليهم مضرة فكيف قالوا ولن تفلحوا اذا أبدا (أجيب) بأنهم خافوا أنهم لو بقوا على الكفر  
 مظهرين له فسيديميل بهم ذلك إلى الكفر الحقيقي فكان خوفهم بسبب هذا الاحتمال (فان قيل)  
 ما النكته في العدول عن واحدكم إلى أحدكم وكل ذلك دال على الوحدة (أجيب) بأن النكته فيه  
 أن العرب اذا قالوا أحد القوم أرادوا به فردا منهم وإذا قالوا واحد القوم أرادوا رئيسهم  
 والمراد في القصة أي واحد كان والقرآن الكريم أنزل بلغتهم فراعى ما راعوا (وكذلك)  
 أي ومثل ما فعلنا بهم ذلك الأمر العظيم من الربط على قلوبهم والستر والحماية من الطالبين لهم  
 والحفظ لأجسادهم على عمر الزمان وتعاقب الحدثان وغير ذلك (أعترنا) أي أطلعنا غيرهم  
 (عليهم) يقال عثرت على كذا علمته وأصله أن من كان غافلا عن شيء فعثر به نظر إليه فعرفه فكان  
 العثر سببا لحصول العلم فأطلق السبب على السبب بقوله تعالى (ليعلموا) متعلق بأعترنا

والضخيم قيل يعود على مفعول أعثرنا المحذوف تقديره أعثرنا الناس وقيل يعود الى أهل الكهف وهذا هو الظاهر (أن وعد الله) الذي له صفات الكمال بالبعث للروح والجثة معا (حق) لأن قيامهم بعد نومهم يتقلبون نيفا والثمانمائة سنة مثل من مات ثم بعث قال بعض العارفين علامة البقظة بعد النوم علامة البعث بعد الموت \* ولما كان من الحق ما قديدا خله شك قال تعالى (وَأَنْ) أي وليعلموا أن (الساعة) أي آتية (لأريب) أي لاشك (فيها) \* (تنبيه) \* اختلف في السبب الذي عرف الناس واقعة أصحاب الكهف فقال محمد بن اسحق إن ملك تلك البلاد رجل صالح يقال له تندوسيس فلما ملك بقي في ملكه ثمانية وستين سنة فحزب الناس في ملكته فكانوا أحزابا منهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فبكى وتضرع الى الله تعالى وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ويقولون لاحياة الدنيا وانما تبعث الارواح ولا تبعث الاجساد وجعل الملك يرسل الى من يظن فيهم خيرا وأنهم أمم في الخلق فلم يقبلوا منه وجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا يخرجون الناس عن الحق وملة الحوارين فلما رأى ذلك الملك دخل بيته وأغلق بابه عليه وليس مسحا وجعل تحته وماذا اجلس عليه ودأب ليله ونهاره زمانا يتضرع الى الله تعالى ويكفي أي رب قدرتي اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم ثم إن الله تعالى الذي يكره هلكة عباده أراد أن يظهر على القبة أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ويستجيب لعبده تندوسيس ويتم نعمته عليه وأن يجمع من كان يتقدم من المؤمنين وألقى الله في نفس رجل من تلك البلاد الذي فيه الكهف أن يهدم ذلك البنيان الذي على قم الكهف فيبني به حظيرة اغنمه فاستأجر غلامين فجعل لا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان تلك الحظيرة حتى اذا انزعاما على قم الكهف وفتح باب الكهف أذن الله تعالى ذوالقدرة والساطان محيي الموق للقتية أن يجلسوا بين ظهري الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون لها اذا أصبحوا من ليلتهم ثم قاموا الى الصلاة فصلوا كالذي كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا في ألوانهم شي يكرهونه كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون أن ملكهم دقيانوس في طلبهم فلما قضاوا صلاتهم قالوا التملينا صاحب نفقتهم اتنا بما قال الناس في شأننا عشيبة أمس عند الجبار وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد تخيل لهم أنهم قد ناموا أطول ما كانوا ينامون حتى نساء لولا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم نياما قالوا البثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بالبنتم وكل ذلك في أنفسهم ليسير فقال لهم تملينا ألتستم بالمدينة وهو يريد أن يوتئى بكم اليوم فتذبحون للطواغيت أو يقتلكم فاشاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكسلينا يا اخوتنا اعلوا أنكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا دعاكم عدو الله ثم قالوا لتملينا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال لنا وما الذي يذكركم عند دقيانوس وتلطف ولا تشعرك بك أحدا وابسع لنا طعاما واتنا به وزدنا على الطعام الذي جثتنا به فقد أصبحنا

قوله يقال له تندوسيس الذي في حياة الجوارح يقال داودوسوس فيلتر اه

جينا ما فعل تليضا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتكرفها وأخذورها  
 من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كعفاف الربيع فانطلق تليضا  
 خارجا فلما مر باب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فحجب منها ثم لم يبال بها  
 حتى أتى باب المدينة مستخفيا يصعد عن الطريق مخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه ولا يشعر  
 أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلاثمائة سنة فلما أتى تليضا باب المدينة رفع بصره فرأى  
 فوق ظهر الباب علامة تهكون لاهل الايمان اذا كان أمر الايمان ظاهرا فلما رأى عجب  
 وجعل ينظر اليها مستخفيا وينظر يينا وشمالا ثم ترك الباب وتحوّل لباب آخر من أبوابها فرأى  
 مثل ذلك فجعل يخيل اليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرفها ورأى ناسا كثيرا محدثين لم يكن  
 رأيهم قبل ذلك فجعل عشي ويتعجب ويخيل اليه أنه حيران ثم رجع الى الباب الذي أتى منه  
 فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول يا ليت شعري ما هذا اما عشيبة أمس فمكان المسلمون  
 يخبئون هذه العلامة ويستخفون بها رأيا ما اليوم فانها ظاهرة لعلي حالم ثم يرى أنه ليس بنائم  
 فأخذ بكسائه فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل عشي بين ظهري سوقها فيسمع ناسا يحلقون  
 باسم عيسى بن مريم فزاده فرقا ورأى أنه حيران فقام مسندا ظهره الى جدار من جدران  
 المدينة ويقول في نفسه والله ما أدري ما هذا اما عشيبة أمس فليس على وجه الارض انسان  
 يذكر عيسى بن مريم الا قتل وأما اليوم فأسمع كل انسان يذكر عيسى ولا يخاف ثم قال في نفسه  
 لعل هذه ليست المدينة التي أعرف والله ما أعلم مدينة بقرب مدينتنا وقام كالحيران ثم اتى فتى  
 فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى فقال اسمها أفسوس فقال في نفسه لعل بي مسأ وأمر  
 أذهب عقلي والله يحق لي أن أسرع الخروج منها قبل أن أخزى فيها أو يصدق شر فأهلك ثم  
 انه أفاق فقال والله لو عملت الخروج من هذه المدينة قبل أن يقطن بي لكان أكيس فدنا من  
 الذين يبسعون الطعام فأخرج الورق التي كانت معه فأعطاها رجلا منهم فقال يعني بهذا  
 الورق طعاما فأخذها الرجل فنظر الى ضرب الورق ونقشها فحجب منها ثم طرحها الى رجل من  
 أصحابه فنظر اليها ثم الى آخر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل ويتعجبون منها ثم  
 جعلوا يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا أصاب كثيرا محبا في الارض منذ زمان  
 ودهر طويل فلما رأهم تليضا يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا وجعل يرتعد ويظن أنهم  
 فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون أن يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس وجعل أناس آخرون  
 يأتونه فيتعرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق أفضلوا علي قد أخذتم وورقي فأمسكوها وأما  
 طعامكم فليس لي حاجة به فقالوا من أنت يا فتى وما شأنك والله لقد وجدت ككزما من كنوز  
 الاولين وأنت تريد أن تخفيه انطلق معنا وأرنا وشاركنا فيه فنحن عليك ما وجدت وانك ان لم  
 تفعل نأت بك السلطان ففلسك اليه فمقتلك فلما سمع قولهم قال ما وجدت شيئا وقال قد  
 وقعت في كل شيء أحذر منه فالوا يا فتى انك والله لا تستطيع أن تكتم ما وجدت فجعل تليضا  
 لا يدري ما يقول لهم وخاف حتى انه لم يرد اليهم جوابا فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه وطرحوه



في عنقه وجعلوا يقودونه في سكك المدينة حتى سمع من فيها فقيل أخذ رجل عنده كوز واجتمع  
 عليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم فجعلوا يتطرون اليه ويقولون والله ما هذا الفتى من أهل  
 هذه المدينة وما رأينا قط وما نعرفه فجعل تليخا ما يدرى ما يقول لهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة  
 وكان متيقنا أن أباه واخوته في المدينة وأنه من عظماء أهلها وانهم سيأوتونه إذا سمعوا به فبينما  
 هو قائم كالخيران ينظر متى يأتيه بعض أهله فيخلصه من بين أيديهم إذا اختطفوه وانطلقوا به إلى  
 رئيسي المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما اريوس واسم  
 الآخر اسطيوس فلما انطلقوا به اليهما ظن تليخا أنه ينطق به إلى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت  
 يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من المجنون وجعل تليخا يكي ويرفع رأسه  
 إلى السماء وقال اللهم إله السماء وإله الأرض أفرغ اليوم على صبرا وأولج معي روحا منك  
 تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يقول في نفسه فترق ما بيني وبين اخوتي باليتهم يعلمون ما لقيت  
 وباليتهم يأوتوني فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا كنا توافقنا على الايمان بالله سبحانه وتعالى  
 وأن لا نشرك به شيئا ولا نفرق في حياة ولا موت فلما انتهى به إلى الرجلين الصالحين ورأى أنه لم  
 يذهب به إلى دقيانوس أفاق وسكن عنه البكاء فأخذ اريوس واسطيوس الورق فنظرا إليها وعجبا  
 منها ثم قال أحدهما أين الكنز الذي وجدت يا فتى فقال تليخا ما وجدت كنزا ولكن هذا ورق  
 ابائي ونقش المدينة وضربها ولكن والله ما أدري ما شأنى وما أقول لكم فقال أحدهما من أنت  
 فقال تليخا أما أنا فكننت أرى أنى من أهل هذه المدينة قالوا نحن أولئك ومن يعرفك بها فأبأهم  
 باسم أبيه فلم يجدوا أحدا يعرفه ولا أباه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تأتينا بالحق فلم يدر  
 تليخا ما يقول لهم غير أنه تكسر بصره إلى الأرض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون وقال  
 بعضهم ليس مجنون ولكنه يحقق نفسه عمدا حتى ينقل منكم فقال له أحدهما ونظر إليه نظرا  
 شديدا أتظن أننا نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أهلك ونقش هذه الورق وضربها أكثر من ثلثمائة  
 سنة وأنت غلام شاب وتظن أنك تأفكنا وتسخرنا ونحن شيوخ وشعث كما ترى وحولك سراة هذه  
 المدينة وولاية أمرها وخزائن هذه البلدة بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب دوهم ولا دينار  
 وانى لا تظننى سأمرك فتعذب عذابا شديدا ثم أوثقت حتى تعترف بهذا الكنز الذى وجدته  
 فلما قال ذلك قال لهم تليخا أنتونى عن شئ أسألكم عنه فان فعلتم صدقتكم عما عندى فقالوا  
 سل لانكمتك شيئا قال ما فعل الملك دقيانوس قالوا ليس نعرف اليوم على وجه الأرض ملكا  
 يسمى دقيانوس ولم يكن الاملكا هلك منذ زمان ودهر طويل وهلكت بعده قرون كثيرة فقال  
 تليخا انى إذا خيران وما هو عصمتى أحد من الناس بما أقول لقد كاذبتى وان الملك أكرهنا على  
 عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فهر بنا منه عشية أمس فمنا فلما اتبنا خرجت لا تشتري طعاما  
 وأتجسس الاخبار فاذا أنا كما ترون فانطلقوا معى إلى الكهف الذى فى جبل بعلوس أريكم  
 أخصابى فلما سمع اريوس ما يقول تليخا قال يا قوم لعل هذه آية من آيات الله تعالى جعلها الله  
 تعالى لكم على يد هذا الغلام فانطلقوا بسامعه ليرينا أخصابه فانطلق معه اريوس واسطيوس

ومعها جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا اليهم فلما رأى  
القتية أصحاب الكهف تليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتي فيه  
فظنوا أنه قد أخذ وذهب به إلى ملكهم دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويحققونه إذ سمعوا  
الاصوات وجلبة الخيل مصعدة عندهم فظنوا أنهم رسل الجبار دقيانوس بعث اليهم لياتوا بهم  
فقاموا إلى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا بنا نأت أختانا تليخا  
فانه الآن بين يدي الجبار وهو ينتظرنا حتى نأتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس على هذه  
الحالة إذا هم ياربوس وأصحابه وقوف على باب الكهف فسبقهم تليخا ودخل وهو يبكي فلما  
رأوه يبكي بكوا معه ثم سألوه عن خبره فقص عليهم الخبر كما هو معروفوا أنهم كانوا يساميا أمر الله  
تعالى ذلك الزمن الطويل وانما أوقفوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث ويعلم الناس أن  
الساعة آتية لا ريب فيها ثم دخل على اثر تليخا ياربوس فرأى تابوتا من نحاس محتوما بجانب من  
فضة فقام يباب الكهف ثم دعا رجلا من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت عندهم فوجد فيه  
لوحين من رصاص مكتوب فيهما مكلمتنا ومخشلينا وتليخا وطرونس وكشطونس وبيرونس  
ويطونس كانوا قسمة هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يقتلهم عن دينهم فدخلوا  
هذا الكهف فلما أخذ خبر مكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالخيارة وانا ككتبتنا أسماءهم  
وخبرهم ليعلم من بعدهم ان عندهم فلما قرؤه عجبوا ووجدوا الله تعالى الذي أراهم آية البعث  
فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله تعالى وتسيبته ثم دخلوا على القسمة الكهف فوجدوهم جلوسا  
مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر ياربوس وأصحابه سجودا ووجدوا الله تعالى الذي أراهم  
آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأنبأهم القسمة عن الذي لقوه من ملكهم دقيانوس ثم ان ياربوس  
وأصحابه بعثوا يريدوا إلى ملكهم الصالح تندوسيس أن يعمل لعلك تنظر إلى آية من آيات الله  
جعلها الله تعالى على ملكك وجعلها آية للعالمين ليكون لهم نورا وضياء وتصديقا للبعث فأعمل  
إلى قسمة بعثهم الله تعالى وكان قد توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة فلما أتى الملك الخبر قام ورجع  
إليه عقله وذهب همه فقال أجد الله رب السموات والأرض وأعبدك وأسبح لك تطولت  
عليّ ورجحتني فلم تطفئ النور الذي جعلته لآبائي وللعباد الصالح قسطينوس الملك فلما نبى به  
أهل المدينة ركبوا إليه وساروا معه حتى أتوا مدينة افسوس فلتقاها أهل المدينة وساروا معه  
نحو الكهف فلما صعد الجبل ورأى القسمة تندوسيس فرحوا به وخرروا سجدا على وجوههم وقام  
تندوسيس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله تعالى  
ويحمدونه ثم قالوا له نستودعك الله السلام عليك ورحمة الله وبركاته وحفظك وحفظ ملكك  
ونعبدك يا الله من شر الانس والجن فبينما الملك قائم اذ رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وتوفي الله  
أنفسهم وقام الملك تندوسيس اليهم فجعل ثيابه عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من  
ذهب فلما أمسى ونام أتوه في المنام وقالوا له انالم تخلق من ذهب ولا فضة ولكن خلقنا من تراب  
وإلى التراب نصير فارتكنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يعثنا الله تعالى منه فأمر الملك

حينئذ بناوت من ساج فجعلوا فيه وجبههم الله تعالى حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد  
 على أن يدخل عليهم وقيل إن تليخا لما حل إلى الملك الصالح قال له الملك من أنت قال أنا رجل من  
 أهل هذه المدينة وذكر أنه خرج أمر أو منذ أيام وذكروا من له وأقواما لم يعرفهم أحد وكان الملك  
 قد سمع أن قتيبة فقدوا في الزمان الأول وإن أسماءهم مكتوبة على لوح في خزائنه فدعا بالوحي  
 فنظر في أسماءهم فإذا اسمه مكتوب في ذكر أسماء الآخرين فقال تليخا هم أصحابي فلما سمع الملك  
 ذلك ركب هو ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال تليخا دعوني حتى أدخل على أصحابي  
 وأبشرهم فانهم سمعوا أن رأواكم معي أربعتوهم فدخل فبشرهم فقبضت روحه وأرواحهم وأغشى  
 على الملك وأصحابه اثرهم فلم يهتدوا عليهم ثم وقع التنازع في أمرهم بين أهل المدينة كما قال  
 تعالى (اذتنازعون) أي أهل المدينة (بينهم أمرهم) أي أمر القتيبة في البناء حولهم (فقالوا)  
 أي الكفار (ابنوا عليهم) أي حولهم (بنيانا) يسترهم فانهم كانوا على ديننا وقوله تعالى  
 (ربهم أعلم بهم) يجوز أن يكون من كلام الله تعالى وأن يكون من كلام المتنازعين فيهم (قال  
 الذين غلبوا على أمرهم) أي أمر القتيبة وهم المؤمنون (لنتخذن عليهم) أي حولهم (مسجدا)  
 يصلى فيه وفعل ذلك على باب الكهف وقيل إن بعضهم قال الأولى أن نستبأب الكهف عليهم  
 لئلا يدخل أحد عليهم ولا يقف على أحوالهم انسان وقال الآخرون بل الأولى أن نبني على باب  
 الكهف مسجدا وهذا القول يدل على أن أولئك الاقوام كانوا عارفين بالله ومعترفين بالعبادة  
 والصلاة وقيل تنازعوا في مقدار مكنتهم وقيل في عددهم وأسمائهم \* (تنبيه) \* بنيانا يجوز  
 أن يكون مفعولا به جمع بنيانة وأن يكون مصدرا \* ولما ذكر أصحاب الكهف عند النبي صلى  
 الله عليه وسلم وقع الاختلاف في عددهم كما قال تعالى (سيقولون) أي الخائضون في قصتهم من  
 أهل الكتاب والمؤمنين فقال بعض أهل الكتاب (ثلاثة رابعهم كلهم) أي هم ثلاثة رجال  
 ورابعهم كلهم بانضمامهم (ويقولون) أي بعضهم (خمس سادسهم كلهم) فهذا ان القولان  
 لنصارى نجران وقيل الاول قول اليهود والثاني قول النصارى (فان قيل) لم جاءت سبعين  
 الاستقبال في الاول دون الاخيرين (أجيب) بأن في ذلك وجهين أن تدخل الاخيرين في حكم  
 السبعين كما تقول قد اكرم وأنتم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وأن تريد بفعل معنى الاستقبال  
 الذي هو صالح له \* ولما كان قولهم ذلك بغير علم كان (رجعا بالغيب) أي ظنا في الغيبة عنهم  
 فهو وراجع إلى القولين معا ونصب على المفعول له أي لظنهم ذلك (ويقولون) أي المؤمنون  
 (سبعة وثامنهم كلهم) قال أكثر المفسرين هذا الاخير هو الحق ويدل عليه وجوه الاول انه  
 تعالى لما حكى قوله ويقولون سبعة وثامنهم كلهم قال بعده (قل ربي أعلم بعتهم ما يعلمهم الا قليل)  
 وأتبع القولين الاولين بقوله تعالى رجعا بالغيب وتخصيص الشيء بالوصف يدل على أن الحال  
 في الباقي بخلافه فوجب أن يكون المخصوص بالظن الباطل هو القولان الاولان وأن يكون  
 القول الثالث مخالفا لهما في كونه رجعا بالغيب الوجه الثاني أن الواو في قوله تعالى وثامنهم هي  
 الواو التي تدخل على الجملة الواقعة مفعولا للشكركة كما تدخل على الواقعة حالا من المعرفة في نحو

قوله جاء في رجل ومعه آخر توكد للصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر فكانت هذه الواو والهاء على أن الذين كانوا في الكهف كانوا سبعة وثامنهم كلهم وقول محمد بن اسحق انهم كانوا ثمانية مرد ودفع أن الله تعالى حكى اختلافهم وتم الكلام عند قوله ويقولون سبعة ثم حقق هذا القول بقوله تعالى وثامنهم كلهم والثامن لا يكون الا بعد السبع وهذه الواو يسمونها واو الثمانية لان العرب تعد فتقول واحداً ثانياً ثلاثاً أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية لان العقد كان عندهم سبعة كما هو اليوم عندنا عشرة ونظير هذه الآية في ثلاث آيات وهو قوله تعالى والناهون عن المنكر وقوله تعالى حتى اذا جاؤها وقفت أبوابها لان أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة وقوله تعالى ثيبات وأبكارا قال القفال وقولهم واو الثمانية ليس بشئ يدل قوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهين العزيز الجبار المتكبر ولم يذكر الواو في النعت الثامن اه وقد يجاب بأن ذلك جرى على الغالب الوجه الثالث أنه تعالى قال ما يعلمهم الا قليل وهذا يقتضى أنه حصل العلم بعدتهم لذلك القليل وكان ابن عباس يقول أنا من أولئك العدد القليل وكان يقول انهم سبعة وثامنهم كلهم وكان على رضي الله تعالى عنه يقول كانوا سبعة قال الرازي وأما وهم غليظا مكشيبنا مشيبنا وهؤلاء الثلاثة كانوا أصحاب عيين الملك وعن يساره مرنوش وديرنوش وشاذنوش وكان الملك يستشير هؤلاء الستة ليتصرفوا في مهماته والسابع كسفتطيوش وهو الراعي الذي وافقهم لما هربوا من ملكهم وروى عن ابن عباس انه قال هم مكشيبنا وغلبيخا ومرطونس وديرنوش ودونواقس وكسفتطيوش وهو الراعي واسم كلهم قطير واسم مدينتهم أفسوس \* (تنبيه) في الآية حذف والتقدير يقولون هم ثلاثة كما تقدم تقديره فحذف المبتدأ للدلالة الكلام عليه وقيل الاقوال الثلاثة لأهل الكتاب والقليل منهم أي ولا علم بذلك الا في قليل منهم وأكثرهم على الظن ثم انه تعالى لما ذكر هذه القصة أتبعها بأن نهى رسوله صلى الله عليه وسلم عن شيئين عن المراء وعن الاستفتاء أما النهي عن المراء فبقوله تعالى (فلا تعجلوا) أي تجادل (فيهم) أي في شأن القضية (الامراء) أي جدالا (ظاهراً) أي غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما في القرآن من غير أن تكذبهم في تعيين ذلك العدد ونظيره قوله تعالى ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن وأما النهي عن الاستفتاء فقوله تعالى (ولا تستفت فيهم) أي ولا تسأل (منهم) أي من أهل الكتاب اليهود (أحداً) عن قصتهم سؤال مسترشد لانه لما ثبت أنه ليس عندهم علم في هذا الباب وجب المنع من استفتائهم وفيما أوحى اليك مندوحة عن غيره ولا سؤال متعنت يزيد تفضيح المسؤل عنه وتزييف ما عنده فانه يحل بمكارم الاخلاق \* ولما سأل أهل مكة عن خبر أهل الكهف فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخبركم به غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر يوماً وفي رواية أخرى أربعين يوماً نزل (ولا تقولن لشيء) أي لاجل شئ تعزم عليه (اني فاعل ذلك) الشيء (غداً) أي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغدا خاصة (الا أن يشاء الله) أي الامتلاء بحبيته بأن تقول ان شاء الله والسبب في ذلك ان الانسان اذا قال سأفعل الفعل

الفلاني غدا لم يعد ان يموت قبل مجي الغد ولم يعد أيضا ان يبق حيا أن يعيقه عن ذلك الفعل سائر  
 العوائق فاذا لم يقل ان شاء الله صار كاذبا في ذلك الوعد والكذب منفر لا يليق بالانبياء عليهم  
 الصلاة والسلام فلهذا السبب وجب عليه أن يقول ان شاء الله حتى اذا تعذر عليه الوفاء بذلك  
 الوعد لم يصر كاذبا ولم يحصل التنفير \* (تنبيه) \* قال كثير من الفقهاء اذا قال الرجل لامرأته  
 أنت طالق ان شاء الله لم يقع عليه الطلاق لانه لما علق وقوع الطلاق على مشيئته تعالى لم يقع  
 عليه الطلاق الا اذا علمنا حصول المشيئة ومشيئة الله تعالى غيب لا سبيل لنا الى العلم بحصولها  
 الا اذا علمنا أن متعلق المشيئة وقع وهو الطلاق وعلى هذا لا يعرف حصول المشيئة الا اذا وقع  
 الطلاق ولا يعرف وقوع الطلاق الا اذا عرفت المشيئة فيتوقف العلم بكل واحد منهما على العلم  
 بالآخر وهو دور فلهذا لا يقع الطلاق وقيل المراد الا أن يشاء الله أي الا أن يأذن لك الله تعالى  
 في ذلك القول والمعنى أنه ليس لك أن تخبر عن نفسك بأنك تفعل الفعل الفلاني الا أن يأذن لك  
 الله تعالى في ذلك الاخبار وقد احتج القائلون بأن المعدوم شيء بهذه الآية لان الشيء الذي  
 سيفعله غدا معدوم في الحال فوجب تسمية المعدوم بأنه شيء (وأجيب) بأن هذا الاستدلال  
 لا يفيد الا ان المعدوم يسمى بكونه شيئا وعندنا ان السبب فيما سطر شيئا يجوز تسميته بكونه  
 شيئا في الحال كما قال تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه والمراد شيئا في أمر الله واختلف في معنى  
 قوله تعالى (واذ كر ربك اذا نسيت) فقال ابن عباس ومجاهد والحسن معناه اذا نسيت الاستثناء  
 ثم ذكرت فاستثنى وعند هذا اختلفوا فقال ابن عباس لو لم يحصل التذكار الا بعد مدة طويلة  
 ثم ذكر ان شاء الله كفي في رفع الحنث وعن سعيد بن جبيرة مدسفة أشهر وأوسع أو يوم وعن  
 طاوس لا يقدر على الاستثناء الا في مجلسه وعن عطاء يستثنى على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند  
 عامة الفقهاء انه لا أثر له في الكلام ما لم يكن موصولا واحتج ابن عباس بأن قوله اذا نسيت غير  
 مختص بوقت غير معين بل هو متناول لكل الاوقات وظاهره ان الاستثناء لا يجب أن يكون  
 متصلا بما عاقبه الفقهاء فقالوا الوجود ناذلك للزم أن لا يستقر شيء من العقود والايان يحكي ان  
 المنصور يبلغه ان اباحنية خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال  
 له الامام ابوحنيفة هذا يرجع عليك لانك تأخذ البيعة بالايان اترضى أن يخرجوا من عندك  
 فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن المنصور كلامه ورضى عنه واستدل بأن الآيات  
 الكثيرة دلت على وجوب الوفاء بالعقد والعهد قال تعالى أو فوا بالعقود وقال تعالى أو فوا  
 بالعهد فاذا أتى بالعقد والعهد وجب عليه الوفاء بمقتضاه لاجل هذه الآيات خالفنا الدليل  
 فيما اذا كان الاستثناء متصلا لان الاستثناء مع المستثنى منه كالكلام الواحد دليل أن  
 الاستثناء وحده لا يفيد شيئا فهو جار مجرى بعض الكلمة الواحدة فجملة الكلام كالكلمة  
 الواحدة المضادة فاذا لم يكن متصلا أفاد الالتزام التام فوجب الوفاء بذلك الملتزم وقيل ان  
 قوله تعالى واذا كر ربك اذا نسيت كلام مستأنف لاتعلقه بما قبله قال عكرمة واذا كر ربك اذا  
 غضبت وقال وهب مكتوب في الانجيل ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرني حين أغضب وقال

الضحك والسدى - هذا في الصلاة المنسية قال الرازي وتعلق هذا الكلام بما قبله يفيد اتعلم  
 الكلام في هذه القصة وجعله مستأنفا يصير الكلام مبتدأ منقطعا وذلك لا يجوز وفي قوله تعالى  
 (وقل عسى أن يهدين ربي لا أقرب من هذا رشا) وجوه الأول أن يكون قوله تعالى الا ان يشاء  
 الله ليس يحسن تركه وذكره أولى من تركه وهو قوله لا أقرب من هـ - ذارشا والمراد منه ذكر هذه  
 الجملة الثاني أنه لما وعدهم بشئ وقال معه ان شاء الله فيقول وعسى أن يهدين ربي اشئ  
 أحسن وأكمل مما وعدتكم به الثالث أن قوله عسى أن يهدين ربي لا أقرب من هذا رشا  
 اشارة الى قصة أصحاب الكهف أي لعلى الله يوفقني من البيئات والدلائل على صحة نبوتي  
 وصدقني ادعاء النبوة ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشا من قصة أصحاب الكهف وقد فعل  
 الله تعالى ذلك حين آتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك \* ثم شرع  
 تعالى في آية هي آخر الآيات المذكورة في قصة أصحاب الكهف بقوله تعالى (ولبثوا في كهفهم)  
 أي نياما (ثلثمائة) أي مدة ثلثمائة (سنتين) قال بعضهم وهذه السنون الثلثمائة عند أهل  
 الكتاب شمسية وتزيد القمرية عليها تسع سنين وقد ذكرت في قوله (وازدادوا تسعا) أي تسع  
 سنين لأن التفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مائة سنة ثلاث سنين لأن السنة الشمسية تزيد  
 على السنة القمرية عشرة أيام واحد وعشرين ساعة وخمس ساعة فالثلثمائة سنة الشمسية  
 ثلثمائة وتسع قمرية قال الرازي وهذا مشكل لأنه لا يصح بالحساب هذا القول ويعني  
 أن يقال لعلمهم لما استكملوا الثلثمائة سنة قرب أمرهم من الانتباه ثم اتفقوا وأوجب بقاؤهم  
 في النوم بعد ذلك تسع سنين وقرأ حذرة والكسافي بغير تنوين في الوصل والبقون بالتنوين  
 فسنتين عطف بيان لثلثمائة لأنه لما قال ولبثوا في كهفهم ثلثمائة لم يعرف انها أيام أو شهور  
 أو سنون فلما قال سنين صار هذا بيانا لقوله ثلثمائة فكان ذلك عطف بيان له وقيل هو على التقديم  
 والتأخير أي لبثوا سنين ثلثمائة وأما وجه القراءة الاولى فهو أن الواجب في الاضافة أن يقال  
 ثلثمائة سنة الا أنه يجوز وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله تعالى بالاخسرين أعمالا  
 وحذف مما تسمع لدلالة ما تقدم عليه اذ لا يقال عندي ثلثمائة درهم وتسعة اذ أنت تعني تسعة  
 دراهم ولو أردت مائة أو نحوها لم يجز لأنه الغار ثم ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم اذا  
 نازعوه في مدة لبثهم في الكهف بقوله تعالى (قل الله أعلم بما لبثوا) أي فهو أعلم منكم وقد أخبر  
 بمدة لبثهم وقيل ان أهل الكتاب قالوا ان المدة من حين دخلوا الكهف الى يومنا هذا وهو  
 اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ثلثمائة سنين وازدادوا تسع سنين فرد الله تعالى عليهم ذلك  
 وقال الله أعلم بما لبثوا يعني بعد قبض أرواحهم الى يومنا هذا لا يعلمه الا الله (له غيب السموات  
 والارض) أي ما غاب فيهما وخبئ من أحوال أهلها ما غاب ما يغيب عن ادراكك والله عز  
 ذكره لا يغيب عن ادراك شئ فيكون عالما بهذه الواقعة لا محالة وقوله تعالى (أبصر به وأسمع)  
 كلمة تذكروني التعجب أي ما أبصر الله تعالى بكل موجود وما أسمع بكل مسموع (مالهم) أي  
 أهل السموات والارض (من دونه) أي الله (من ولي) أي ناصر (ولا يشر لنا في حكمهم) أي في

قضائه (أحدا) منهم ولا يجعل له فيه مدخلا لانه غنى بذاته عن كل أحد وقيل الحكم هنا علم  
 الغيب أى لا يشركنى علم غيبه أحدا وقرأ ابن عامر بالمتناة فوق قبل التين ويسكون الكاف  
 على نحو كل أحد عن الاشرار والباقون بالتحية وضم الكاف \* (تبيه) \* احتج أصحابنا  
 رحمه الله تعالى بهذه القصة على صحة القول بالكرامة للاولياء وقد قدمنا معرفة الولى  
 فى سورة يونس عند قوله تعالى ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فما يدل على جواز  
 كرامات الاولياء القرآن والاخبار والآثار والمعقول أما القرآن فالمعتمدين عندنا آيات الحجية  
 الاولى قصة مريم عليها السلام وقد شرحناها فى سورة آل عمران فلان عبدنا الحجة الثانية قصة  
 أصحاب الكهف وبقاؤهم فى النوم سالمين من الآفات مدة ثلثمائة سنة وتسع سنين وأن الله  
 تعالى كان يعصمهم من حر الشمس ومن الناس من تمسك أيضا فى هذه المسئلة بقوله تعالى قال  
 الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك على أنه غير السيد سليمان  
 والسيد جبريل وأما الاخبار فكثيرة منها ما أخرج فى الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى  
 الله عليه وسلم أنه قال لم يتكلم فى المهدي الا ثلاثة عيسى بن مريم وصبي فى زمن جريج وصبي  
 آخر أما عيسى فقد عرفتموه وأما جريج فكان رجلا عبدا فى بنى اسرائيل وكانت له أم فكان  
 يوما يصلى اذا شأقت اليه أمه فقالت يا جريج فقال يا رب أمتى وصلاتى الصلاة خير أم رؤيتهم  
 يصلى فدعته ثانيا فقال مثل ذلك حتى تم ثلاث مرآت وكان يصلى ويدعها فاشتد ذلك على أمه  
 فقالت اللهم لا تقم حتى تربه المومسات وكانت زانية فى بنى اسرائيل فقالت لهم أنا أقتن جريجيا  
 حتى يرثى بنى فأتته فلم تقدر على شئ وكان هناك راع يأوى بالليل الى صومعته فلما أعياها جريج  
 راودت الراعى على نفسها فأتاها فولدت ثم قالت ولدى هذا من جريج فاتاه بنو اسرائيل وكسروا  
 صومعته وشمته ثم نحس الغلام قال أبو هريرة كأنى أنظر الى النبي صلى الله عليه وسلم حين قال  
 بيده يا غلام من أبوك فقال الراعى فقدم القوم على ما كان منهم واعتذروا اليه وقالوا نبي لك  
 صوه منك من ذهب أو فضة فأبى عليهم وبنهاها كما كانت وأما الصبي الآخر فأت امرأة كان  
 معها صبي لها ترضعه اذ مر بها شاب جميل ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابني مثل هذا فقال  
 الصبي اللهم لا تجعلنى مثله ثم مر بها امرأة ذكروا أنها سرق وزنت وعوقبت فقالت اللهم  
 لا تجعل ابني مثل هذه فقال الصبي اللهم اجعلنى مثلها فقالت له أمه فى ذلك فقال ان الركب  
 جبار من الجبابرة فكبرت أن أكون مثله وان هذه قيل لها زنت ولم ترن وقيل لها سرق ولم  
 تسرق وهى تقول حسبي الله فأحبت أن أكون مثلها ومنها خبر الغار وهو مشهور فى الصحيح  
 عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق ثلاثة رهط من كان  
 قبلكم فأواهم البيت الى غار فدخلوه فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم باب الغار  
 وقد ذكرت ذلك عند قوله تعالى كانوا من آياتنا عجبا ومنها قوله صلى الله عليه وسلم رب اشعث  
 أغبرذى طمرين لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره ولم يفرق من شئ وشئ فيما يقسم به على الله تعالى  
 ومنها ما روى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل

يسوق بقره قد حمل عليها التفتت البقرة وقالت اني لم اخلق لهذا وانما خلقت للعثر فقال  
الناس سبحان الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنت بهذا وأبو بكر وعمر ومنها ما روى  
عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا رجل يسمع رعدا أو صوتا في السحاب ان  
اسق حديقة فلان قال فغدوت الى تلك الحديقة فاذا رجل قائم فيها فقلت له ما اسلك قال فلان  
ابن فلان قلت فما تصنع بحديثك هذه اذا صرمتها قال ولم تسأل عن ذلك قلت لاني سمعت صوتا  
في السحاب ان اسق حديقة فلان قال اما اذ قلت فاني اجعلها أثلاثا فاجعل لنفسى ولاهلي  
ثلثا واجعل للمساكين وأبناء السبيل ثلثا وأنفق عليها ثلثا وأما الاثارة فكثيرة أيضا ولنبدأ  
منها ببعض ما نقل انه ظهر على يد الخلفاء الراشدين من الكرامات ثم ببعض ما ظهر على يد بعض  
الصحابية اما أبو بكر رضي الله تعالى عنه فمن كراماته أنه لما حلت جنازته الى باب قبر النبي صلى الله  
عليه وسلم ونودي السلام عليك يا رسول الله هذا أبو بكر بالباب فاذا بالباب قد فتح واذا به اتف  
يهتف من القبر ادخلوا الحبيب الى الحبيب وأما عمر رضي الله تعالى عنه فقد ظهرت أنواع  
كثيرة من كراماته النوع الاول ما روى أنه لما بعث جيشا وأمر عليهم رجلا يدعى سارية بن  
الحسين فبينما عمر يوم الجمعة يخاطب جعل يصيح في خطبته وهو على المنبر يا سارية الجبل الجبل قال  
علي بن أبي طالب رضي الله عنه كتبت تاريخ هذه الكلمة فلما قدم رسول ذلك الجيش فقال  
يا أمير المؤمنين غدونا يوم الجمعة في وقت الخطبة فهزمونا فاذا بانسان يصيح يا سارية الجبل  
فأسندنا ظهرنا الى الجبل فهزم الله تعالى الكفار وظفرنا بالغنائم العظيمة ببركة ذلك الصوت  
قال الرازي قلت سمعت بعض المذكرين قال كان ذلك معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه  
قال لاني بكر وعمر أتممتي بمنزلة السمع والبصر فلما كان عمر بمنزلة البصر لمحمد صلى الله عليه  
وسلم لا جرم قدر على أن يرى من ذلك البعد العظيم النوع الثاني ما روى أن نيل مصر كان  
في الجاهلية يقف في كل سنة مرة واحدة فكان لا يجرى حتى تلقى فيه جارية حسناء فلما جاء  
الاسلام كتب عمرو بن العاص الى عمر فكتب عمر على خرقة أيها النيل ان كنت تجري بأمر الله  
فاجروا ان كنت انما تجري بأمرك لا حاجة بنا اليك فألقيت تلك الخرقة في النيل فجري ولم يقف  
بعد ذلك النوع الثالث لما وقعت الزلزلة في المدينة فضرب عمر بالدرة على الارض وقال  
اسكني باذن الله فسكنت وما حدثت الزلزلة بالمدينة بعد ذلك الوقت النوع الرابع وقعت النار  
في بعض دور المدينة فكتب عمر على خرقة يا نار اسكني باذن الله فألقوها في النار فانطفأت  
في الحال النوع الخامس ما روى أن رسول ملك الروم جاء الى عمر وطلب داره فظن أن داره  
مثل قصور الملوك فقالوا ليس له ذلك وانما هو في الصحراء يضرب اللبن فلما ذهب الى الصحراء رأى  
عمر وضع درته تحت رأسه ونام على التراب فتعجب الرسول من ذلك وقال أهل المشرق والمغرب  
يخافون هذا الانسان وهو على هذه الصفة ثم قال في نفسه ان وجدته خاليا فاقته وأخلص  
الناس منه فلما رفع السيف أخرج الله تعالى من الارض أسدين فقصداه مخاف وألقى السيف  
من يده واقبه عمر ولم ير شيئا فسأله عن الحال فذكر له الواقعة وأسلم قال الرازي وأقول هذه



الواقعة ورويت بالأحد وهما ما هو معلوم بالتواتر وهو أنه مع بعده عن زينة الدنيا واختراجه  
 عن التكلفات والنهويلات ساس الشرق والغرب وقلب الممالك والدول ولو قطرت في كتب  
 التواريخ علمت أنه لم يتفق لاحد من أول عهد عمر إلى الآن ما تبسره فإنه مع غاية بعده عن  
 التكلفات كيف قدر على تلك السياسات ولا شك أن هذا من أعظم الكرامات وأما عثمان  
 رضي الله تعالى عنه فأشياء كثيرة منها ما روى عن أنس قال سرت في الطريق فوَقعت عيني  
 على امرأة ثم دخلت على عثمان فقال مالي أرا كم تدخلون علي وآثار الزنا ظاهرة عليكم فقلت  
 أبا الوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن قراءة صادقة ونهايته لما طعن  
 بالسيف فأول قطرة من دمه سقطت وقعت على المحصف على قوله تعالى فسيفكفهم الله وهو  
 السميع العليم ومنها أن جهباها الغفاري اتزع العصا من يد عثمان فكسرها على ركبته  
 فوَقعت الأكلة في ركبته وأما علي رضي الله تعالى عنه فأشياء كثيرة أيضا منها ما روى أن واحدا  
 من محبيه مرق وكان عبدا أسود فأتى به إلى علي فقال أسمرقت فقال بل فقطع يده فأنصرف من  
 عنده على فلقه سلمان الفارسي وابن الكواء فقال ابن الكواء من قطع يدك فقال له أمير المؤمنين  
 وبصوب المسلمين وخدتن الرسول وزوج البتول فقال له سلمان قطع يدك وغدحه فقال ولم  
 لأمدحه وقد قطع يدي بحق وخلصني من النار فسمع سلمان ذلك فأخبر به عليا فدعا الأسود  
 ووضع يده على ساعده وغطاه بمنديل ودعا بدعوات فسمعنا صوتا من السماء أرفع الرداء عن اليد  
 فرفعناه فإذا اليد قد برئت وأما ما روى عن بعض الصحابة فشيء كثير ونذكر منها شيئا قليلا منها  
 ما روى محمد بن المنكدر عن سفينة قال ركبت البحر فأنكسرت سفينتي التي كنت فيها وركبت  
 لوحا من ألواحها فطرحتني اللوح في خبيسة فيها أسد فخرج الأسد إلى يريدي فقلت  
 يا أبا الحرث أتأمنوني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتقدم الأسد إلى ودلني على الطريق  
 ثم فهمم فظننت أنه يودعني ويرجع ومنها ما روى ثابت عن أنس أن أسيدا بن حضير ورجلا  
 آخر من الأنصار تجمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة لهما حتى ذهب من الليل  
 زمان ثم خرجا من عنده وكانت الليلة شديدة الظلمة وكان في يدهما عصا فاضامت  
 عصا أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها فلما افتترقت بينهما الطريق أضاعت للآخر عصاه فمشى  
 حتى بلغ منزله ومنها ما روى أنه قيل لخالد بن الوليد إن في عسكرك من يشرب الخمر فركب فرسه  
 ليلة فطاف بالعسكر فلقى رجلا على فرس ومعه خمر فقال ما هذا قال خال خالد اللهم اجعله  
 خلا فذهب الرجل إلى أصحابه فقال أتيكم بخمر ما شربتم العرب مثله فلما اقتصوا فإذا هو خال  
 فقالوا والله ما جئتنا إلا بخل فقال والله هذا دعاء خالد ومنها الواقعة المشهورة وهي أن خالد بن  
 الوليد كل كفا من السم على اسم الله وماضره ومنها ما روى أن ابن عمر كان في بعض  
 أسفاره فلقى جماعة وقصوا على الطريق من خوف السبع فطرد السبع من طريقهم ثم قال  
 انما يسلط على ابن آدم ما يضافه ولو أنه لم يجتنب غير الله لما سلط عليه شيء ومنها ما روى أن النبي  
 صلى الله عليه وسلم بعث العلاء الحضرمي في غزاة فجال بينهم وبين المطلب فطعمه من الجرف فبدا

باسم الله الاعظم ومشيوا على الماء وفي كتب الصوفية من هذا الباب روايات متجاوزة عن  
 الحد والحصر فن أرادها طالعها وأما الدلائل العقلية على جواز الكرامات فن وجوه الأول  
 أنه صلى الله عليه وسلم قال ما يكاف عن رب العزة من آذى لي وليا فقد بارزته بالمحاربة فجعل ايذاء  
 الولي قائما مقام ايذائه وتأكد هذا بالخبر المشهور أنه تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم  
 مرضت فلم تعدني استسقيتني فاستطعمتني فاستطعمتني فقلت لو عدته لوجدت  
 هذا وانت رب العالمين فيقول ان عبيدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدت  
 ذلك عندي وكذا في السقي والاطعام فدللت هذه الاخبار على أن أولياء الله يبلغون هذه  
 الدرجات العالية والمراتب الشريفة فاذا اجاز اتصال العبد الى هذه الدرجات فأى بعد أن  
 يعطيه الله تعالى كسرة خبز أو جرعة ماء أو يحضره كلبا أو دودة الوجه الثاني أنه صلى الله  
 عليه وسلم قال عن رب العزة ما تقرب الى عبيدي بمثل أداء ما افترض عليه ولا يزال يتقرب الى  
 بالتواقل حتى أحبه فاذا أحبته كنت له سمعا وبصرا وقلبا ولسانا ويذاور جلافي يسمع  
 وبني يصرون بي ينطق وبني يعيش وهذا الخبر يدل على أنه لم يبق في سمعهم نصيب لغير الله تعالى لما  
 قال أناس معه وأنا بصره وهذا المقام أشرف من تضرع الحية والسبع واعطاء عنقود من العنب  
 أو شربة من الماء فإلما أرسل برحمته عبده الى هذه الدرجات العالية فأى بعد في أن يعطيه وغفا  
 واحدا أو شربة من الماء في مقاراة الوجه الثالث لو امتنع اظهار الكرامة لكان ذلك أمنا  
 لاجل أن الله تعالى ليس أهلا لان يفعل مثل هذا الفعل أو لاجل أن المؤمن ليس أهلا لان  
 يعطيه الله هذه العطية والأول قدح في قدرة الله تعالى وهو كفر والثاني باطل فان معرفة  
 الله تعالى ومحبته وطاعته والمواظبة على ذكره تقديسه وتعبده وتهليله أشرف من اعطاء  
 وغنى واحد في مقاراة وتضريحه أو أسد فان اعطاه المحبة والذكر والشكر من غير وقال  
 أولى من أن يعطيه شربة ماء في مقاراة فأى بعد فيه واحتج المذكر للكرامات بوجوه الأول أن  
 ظهور الفعل الخارق للعادة جعله الله تعالى دليلا على النبوة فلو حصل لغير النبي لبطلت هذه  
 الدلالة الوجه الثاني أن الله تعالى قال وتحمل أنقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق  
 الاقنص والقول بأن الولي ينتقل من بلد الى بلد بعيدا على هذا الوجه ط من في هذه الآية  
 وأيضا ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل من مكة الى المدينة الا في أيام كثيرة مع التعب الشديد  
 فكيف يعقل أن يقال ان الولي ينتقل من بلد نفسه الى الحج في اليوم الواحد الوجه الثالث  
 أن هذا الولي الذي يظهر عليه الكرامات اذا ادعى على انسان درهما واحدا فهل يطلب  
 بالينة أم لا فان طالبها بها كان عبثا لان ظهور الكرامة عليه يدل على أنه لا يكذب ومع قيام  
 الدليل القاطع كيف يطلب الدليل التلوي وان لم يطالب بها فقد تركا قوله صلى الله عليه وسلم  
 البينة على المدعى فهو هذا يدل على ان القول بالكرامة باطل وأجيب عن الأول بأن الناس  
 يختلفوا هل يجوز للولي دعوى الولاية فقال قوم من المحققين انه لا يجوز فعلى هذا الفرق بين  
 المهجزة والكرامة أن المهجزة تكون مسبوقه بدعوى الولاية والكرامة لا تكون مسبوقه

يدعى الولاية وعلى القول بالجواز الفرق بينهما أن النبي يدعى المهجزة ويقطع بها والولي إذا  
 ادعى الكرامة لا يقطع بها لأن المجزى يجب ظهوره والكرامة لا يجب ظهورها وأجيب عن  
 الثاني بأن قوله تعالى ويحمل أثقالكم إلى آخره محمول على المعهود المتعارف وكرامات الأولياء  
 أحوال نادرة فتصير كالمستثنيات من ذلك العموم المتعارف وأجيب عن الثالث بأن التمسك  
 بالأمور النادرة لا يعول عليه في الشرع فلا ينافي ذلك قوله صلى الله عليه وسلم البينة على  
 المدعى ومع هذا فصاحب الكرامة يجب عليه أن يكون خاتقا وجلالوا لهذا قال المحققون أكثر  
 ما حصل الانقطاع عن حضرة الله انما وقع في مقام الكرامات فلا جرم ترى المحققين يخافون  
 من الكرامات كما يخافون من أشد أنواع البلاء والذي يدل على أن الاستئناس بالكرامة  
 قاطع عن الطريق وجوه الأول أن الكرامات أسماء مغايرة للحق سبحانه وتعالى فالفرح  
 بالكرامة فرح بغير الحق والفرح بغير الحق حجاب والمحبوب عن الحق كيف يليق به الفرح  
 والسرور الوجه الثاني أن من اعتقد في نفسه أنه صار مستحقا للكرامة بسبب عمله حصل  
 لعمله وقع عظيم في قلبه ومن كان لعمله وقع عظيم في قلبه كان جاهلا اذ لو عرف ربه لعلم أن كل  
 طاعات الخلق في جنب جلاله تقصير وكل شكر في جنب آلائه ونعمائه قصور وكل معارفهم  
 وعلومهم فهي في مقابلة عزته حيرة وبجهل وجدت في بعض الكتب أنه قرئ في مجلس الاستاذ  
 أبي علي الدقاق قوله تعالى إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فقال علامة أن  
 الحق رفع عملك أن لا يبقى عندك مرتقى عملك في نظرك فان بقي عملك في نظرك فهو غير مرفوع  
 وان لم يبق عملك في نظرك فهو مرفوع مقبول الوجه الثالث أن صاحب الكرامة انما  
 وجد الكرامة لانظهار الذل والتضرع في حضرة الله تعالى فاذا ترفع وتكبر وتجبر بسبب  
 الكرامات فقد بطل ما به وصل إلى الكرامات فهذا طريق يؤدى بثوته إلى عدمه فكان  
 مردودا ولهذا المعنى لما ذكر صلى الله عليه وسلم مناقب نفسه وفضائلها كان يقول في آخر كل  
 واحد منها ولا تخف أي لا تخف من هذه الكرامات وانما تخف بالمكرم والماعطى الوجه الرابع أنه  
 تعالى وصف عباده المخلصين بقوله تعالى ويدعوننا رغبا أي في ثوابنا ورهبا أي من عذابنا وقيل  
 رغبا في وما لنا ورهبا من عقابنا قال بعض المحققين والاحسن أن يقال رغبا فيساور رهبا عنا وفي  
 هذا القدر كفاية لأولى الالباب جعلنا الله تعالى وأحبنا من أهل ولايته بمحمد صلى الله  
 عليه وسلم وآله وصحبه ثم لادل اشتمال القرآن على قصة أصحاب الكهف من حيث انها من  
 المقربات بالاضافة إلى النبي صلى الله عليه وسلم على أنه وحى مهيأ أمره أن يداوم دوسه ويلزم  
 أصحابه بقوله تعالى (واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك) أي القرآن واتبع ما فيه واعمل بما فيه  
 (لا تبدل الكلامه) أي لا أحد يقدر على تبديلها وتفسيرها غيره وقال بعضهم مقتضى هذا أن  
 لا يتطرق التسخيب إليه وأجاب بأن النسخ في الحقيقة إما من تبديلا لأن المتسوخ ثابت في وقته إلى  
 وقت طر بان النسخ فالتاسخ كالمغايير فكيف يكون تبديلا وهذا لا يحتاج إليه مع التفسير  
 المذكور (ولن يجرد من دونه) أي الله (ملتصدا) أي ملجا في البيان والارشاد وقيل ان لم تبس

القرآن \* وزي في عينه بن حسن القرظاري لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده  
 جماعة من الفقراء فيهم سلمان الفارسي وعليه ثوب قد عرق فيها ويده خوص يشقه ثم يشبهه  
 فقال له أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر واشرافها فان أئمتنا أسلم الناس وما يمنعنا من  
 اتباعك الا هؤلاء أي كما قال قوم نوح أنؤمن لك واتبك الا وذلون فضهم حتى تبعك أو اجعل لنا  
 مجلسا واجعل لهم مجلسا (واصبر نفسك) أي احبسها ونبتها (مع الذين يدعون ربهم) وتطير هذه  
 الآية قد سبق في سورة الانعام وهو قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي  
 يريدون وجهه ففي تلك الآية نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طردهم وفي هذه الآية  
 أمره بمجانبتهم والمصابرة معهم وفي قوله تعالى (بالغداة والعشي) وجوه الاول انهم  
 مواظبون على هذا العمل في كل الاوقات كقول القائل ليس لفلان عمل بالغداة والعشي  
 الا شتم الناس الثاني المراد صلاة الفجر والعصر الثالث أن المراد الغداة وهو الوقت  
 الذي ينتقل فيه الانسان من النوم الى اليقظة وهذا الانتقال شبيه بالانتقال من الموت الى  
 الحياة والعشي هو الوقت الذي ينتقل الانسان فيه من الحياة الى الموت ومن اليقظة الى النوم  
 والانسان العاقل يكون في هذين الوقتين كثير الذكركر الله تعالى عظيم الشكر لا اله الا الله ونعمائه  
 وقرأ ابن عامر بضم العين المهجمة وسكون الدال وبعدها واو مفتوحة والباقون بفتح العين  
 والدال وألف بعدها والرسم في المصحف بالواو هنا وفي سورة الانعام (يريدون) بعبادتهم  
 (وجهه) تعالى أي رضاه وطاعته لاشياء من اعراض الدنيا (ولا تعد) أي تنصرف  
 (عينك عنهم) الى غيرهم وعبر بالعنين عن صاحبهما نهى صلى الله عليه وسلم أن يصرف بصره  
 ونفسه عنهم لاجل رغبته في مجالسة الاغنياء لعلهم يؤمنون وقوله تعالى (تريد زينة الحياة  
 الدنيا) في موضع الحال أي انك ان فعلت ذلك لم يكن اقدامك عليه الا لرغبتك في زينة الحياة  
 الدنيا وللمبالغ تعالى في أمره في مجالسة الفقراء من المسلمين بالغ في النهي عن الالتفات الى  
 أحوال الاغنياء والتكبرين بقوله تعالى (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أي جعلنا قلبه  
 غافلا عن ذكرنا أي عينه بن حسن وقيل أمية بن خلف (واسبع هواه) أي في طلب الشهوات  
 (وكان أمره فرطا) أي اسرافا وباطلا وهذا يدل على أن أشرف أحوال الانسان أن يكون قلبه  
 خاليا عن ذكر الحق ويكون مملوا من الهوى الداعي الى الاشتغال بالخلق لان ذكر الله تعالى  
 نور وذكروه ظلمة لان الوجود طبيعة التور والعدم منبع الظلمة والخلق تعالى واجب الوجود  
 لذاته فكان التور الحق هو الله تعالى وما سواه فهو ممكن الوجود لذاته والامكان طبيعة عدمية  
 فكان منبع الظلمة فالقلب اذا أشرف فيه ذكر الله تعالى فقد حصل فيه النور والوضوء والاشراق  
 واذا توجه القلب الى الخلق فقد حصل فيه الظلم والظلمة بل الظلمات فلهذا السبب اذا عرض  
 القلب عن الحق وأقبل على الخلق فهو الظلمة الخالصة التامة والاعراض عن الحق هو المراد  
 بقوله تعالى أغفلنا قلبه عن ذكرنا والاقبال على الخلق هو المراد بقوله تعالى واسبع هواه روى  
 أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال كنت جالسا في عصابة من صحابة المهاجرين وان بعضهم

ليستري بعض من العري وقارى يقرأ من القرآن بل جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال  
 ما الذى كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان واحد يقرأ من القرآن ونحن نسمع فقال رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعل من أمى من أمرت أن أصبر نفسي معهم ثم جلس  
 وسطنا وقال أبشروا يا مهاجرين بالنور التام يوم القيامة فقد دخلون الجنة قبل الاغنياء  
 بعد اربعة مائة سنة ولما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأن لا يلتفت الى أولئك  
 الاغنياء الذين قالوا ان طردت القراء آمنابك قال تعالى بعده (وقل الحق) أى وقل لهؤلاء  
 وغيرهم هذا الذى بختكم به فى أمر أهل الكهف وغيرهم من هذا الوجه العربى العري عن  
 العوج الظاهر الاعمزاز الباهر الحج الحق كائنا (من ربكم) الحسن اليكم فى أمر أهل الكهف  
 وغيرهم من صبر نفسي مع المؤمنين والاعراض عن سواهم وغير ذلك لا ما قلتموه فى أمرهم  
 ويجوز أن يكون الحق مبتدأ وخبره الجار بعده (من شاء) أى منكم ومن غيركم (فليؤمن) بهذا  
 الذى قصصناه فيهم وفى غيرهم فهو مقبول مرغوب فيه وان كان فقير ارث الهيشة ولم ينفع  
 الانفسه (ومن شاء) منكم ومن غيركم (فليكفر) فهو أهل لان يعرض عنه ولا يلتفت اليه وان  
 كلن أغنى الناس وأحسنهم هيشة وان تعاطفت هيشته وهذا لا يقتضى استقلال العبد بفعلة كما  
 تقول المعتزلة فمن ابن عباس فى معنى الآية من شاء الله الايمان آمن ومن شاء الكفر كفر  
 ونقل عن على رضى الله عنه أنه قال هذه الصيغة تهديد ووعيد أى فهى كقوله تعالى اعملوا  
 ما شئتم فان الله تعالى لا يتنفع بايمان المؤمنين ولا يستضر بكفر الكافرين بل نفع الايمان يعود  
 على المؤمن وضرر الكفر يعود على الكافر كما قال تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان  
 أسأتم فلها ولما هدد السامعين بما حاصله ليختار كل امرئ لنفسه ما يجده عند الله أتبعه  
 بذلك الوعيد والافعال الباطلة وبذكر الوعد على الايمان والاعمال الصالحة أما الوعيد فقوله  
 تعالى (انما أعتدنا) أى هيا بنا بما لنا من العظمة والقدرة (للتظالمين) أى لمن أنف عن قبول الحق  
 لاجل ان الذين قبلوه فقراء ومساكين وكذا كل من لم يؤمن (نارا) وهى الجحيم ثم وصف الله  
 تعالى تلك النار بصفتين الاولى قوله تعالى (أحاط بهم) كلهم (سرادقها) أى قسطاطها شبه به  
 ما يحيط بهم من النار وقيل هو الحجر التى تكون حول القسطاط وقيل حائط من نار والمراد أنه  
 لا يخلص لهم منها ولا فرجة تنترجون بالنظر الى ما وراءها من غير النار بل هى محيطة من كل  
 الجوانب وقيل هو دخان يغشاهاهم قبل دخولهم النار يحيط بهم كالسرادق حول القسطاط  
 الصفة الثانية قوله تعالى (وان يستغيثوا) أى يطلبوا الفوت (يقاوتوا بما) ووصف هذا الماء  
 بصفتين الاولى قوله تعالى (كالمهل) وهو كما فى حديث مرفوع دردى الزيت وعن ابن مسعود  
 أنه دخل بيت المال وأخرج نقاعة كانت فيه وأوقد عليها النار حتى تالأت ثم قال هذا هو  
 المهل وقال أبو عبيدة والاحتقش كل شئ أذبتة من نحاس أو ذهب أو فضة فهو المهل وقيل أنه  
 الحديد والقيح وقيل أنه ضرب من القطران ثم يحتمل أن تكون هذه الاستغاثة لانهم طلبوا ما  
 لتسرب فيعطون هذا المهل قال تعالى صلى ناراً حامية تسقى من عين آية فيحتمل أن يستغيثوا

من حرجهم فيطلبوا ما يبصرونه على أنفسهم للتبريد فيعطون هذا الماء قال تعالى حكاه عنهم  
أفمضوا علينا من الماء وقال تعالى في آية أخرى سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار  
فأذا استغاثوا من حرجهم صب عليهم القطران الذي يم كل أبدانهم كالقميص والصفة  
الثانية للماء قوله تعالى (يشوي الوجوه) أي إذا قرب إلى القم لشرب فكيف بالقم والجوف ثم  
ومل تعالى بذلك ذمه فقال تعالى (بئس الشراب) أي ذلك الماء الذي هو كالهلل لأن المقصود  
من شرب الشراب تسكين الحرارة وهذا يلدخ في أحراق الانسان بلقاء طيما ثم عطف عليه ذم  
النار المعدة لهم بقوله تعالى (وساءت) أي النار وقوله تعالى (مرتفقا) تمييزا نقول من القاع  
أي قبح مرتفقا وهو مقابل لقوله تعالى الآتي في الجنة وحسنت مرتفقا والافأى ارتفاعا  
في النار ولما ذكر تعالى وعيد المبطلين أردفه بوعيد المحقين فقال تعالى (إن الذين آمنوا)  
ولما كان الايمان هو الاذعان للاوامر عطف عليه ما يحقق ذلك بقوله تعالى (وعملوا الصالحات)  
ثم عظم جزاءهم بقوله تعالى (إنما لنضيق) أي بوجه من الوجوه (أجر من أحسن عملا) وهذه  
الجملة خبران الذين وفيها إقامة الظاهر مقام المضمرة والمعنى أجرهم أي شيمهم بما تضمنه (أولئك  
لهم جنات عدن) أي إقامة فكانه قيل فإلهم فيها قيل (تجري من تحتهم) أي من تحت  
سنانهم (الأنهار) وذلك لأن أفضل المساكن ما كان تجري فيه الأنهار والماء فكانه قيل  
ثم ماذا قيل (يحلون فيها) وفي الفعل للمجهول لأن المقصود وجود التحلية وهي لزمتها  
انما يوفق بها من القيب فضلا من الله تعالى • ولما كانت نعم الله لا تحصى نوعا قال تعالى  
مبعضا (من أساور) جمع أسورة كحجرة جمع سوار كما يلبس ذلك ملوك الديان من جبابرة الكفرة  
في بعض الآماليم كاهل فارس وقيل من زائدة وقيل للابتداء ومن في قوله تعالى (من ذهب)  
للبيان صفة لأساور وتنكيرها لتعظيم جنبها عن الاطاعة به وقيل للتبويض • ولما صكك  
اللباس جزاء العمل فكان موجودا عندهم أسند الفعل اليهم فقال (ويلبسون ثيابا خضرا)  
لأن الخضرة أحسن الالوان وأكثرها طراوة ثم وصفها بقوله تعالى (من سندس) وهو مارق  
من الدياج (واسحقق) وهو ما غلط منه جمع بين النوعين للدلالة على أن فيها ما تشبه  
الاقنس وتلد العين وفي آية أخرى بطائنها من اسحقق فيكون الغليظ بطانة للرقيق ثم استأنف  
الوصف عن حال جلوسهم فيها بأنه جلوس الملوك المتكئين من النعيم فقال تعالى (متكئين فيها)  
أي لانهم في غاية الراحة (على الأرائك) جمع أريكة وهي السرير في الجملة وهي يتزين  
بالسباب والستور والعروس ثم مدح هذا بقوله تعالى (ثم الثواب) أي الجزاء الجنة لو لم يكن لها  
وصف غير ما سمعتم فكيف ولها من الاوصاف ما لا يعلم حق عمله الا الله تعالى والى ذلك أشار  
بقوله تعالى (وحسنت) أي الجنة كلها وبين ذلك بقوله تعالى (مرتفقا) أي مرتقا ومرتقا  
ويجلبسوا ولما افتقر الكفار بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين بين الله تعالى أن ذلك مما  
لا يوجب الاقتضار لاحتمال أن يبصر الفقير ضيما والغني فقيرا وأما الذي يجب الاقتضار به  
فطاعة الله تعالى وعبادته وهي حاصله لفقراء المؤمنين وبين ذلك بضرب هذا المثل المذكور

جوه

بقوله تعالى (واضرب لهم) أي لهؤلاء الاغنياء المتعبرين الذين يستكبرون على المؤمنين  
ويطلبون طردهم لضعفهم وفقيرهم (مثلا) لما آتاهم الله من زينة الحياة الدنيا واعتمدوا عليه  
وزكروا الله ولم يشكروا من آتاهم اياه عليه بل آذاهم الى الافتقار والتكبر على من زوى ذلك  
عنه اكرام الله وصيانة عنه (رجلين) الى آخر الآية واختلف في سبب نزولها فقيل نزلت في رجلين  
من اهل مكة من بني مخزوم أحدهما مؤمن وهو أبو سلمة وكان زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى  
الله عليه وسلم والاخر كافر وهو الاسود بن عبدالمطلب وهما ابنا عبد الاسد بن عبدالمطلب وقيل  
مثال لعينينة بن حصن وأصحابه مع سلمان وأصحابه شبههم بـرجلين من بني اسرائيل أخوين  
أحدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس وقال مقاتل غلبنا والاخر كافر واسمه فطروس  
وقال وهب قطرفوهما الاذان وصفهما الله تعالى في سورة والصفات وكانت قصتهما على ما حكى  
عبدالله بن المبارك عن معمر بن عطاء الخراساني قال كانا رجلين شركين لهما ثمانية آلاف  
دينار وقيل كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقسماها فاشتري أحدهما أرضا  
بألف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى أرضا بألف دينار واني مشتر منك أرضا في  
الجنة بألف دينار فصدق بها ثم ان صاحبه بنى دارا بألف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا  
بنى دارا بألف دينار واني اشتريت منك دارا في الجنة بألف دينار فصدق بها ثم تزوج  
صاحبه امرأة فأنفق عليها ألف دينار فقال هذا اللهم اني أخطب اليك من نساء الجنة  
بألف دينار فصدق بها ثم ان صاحبه اشترى خدما ومتاعا بألف دينار فقال هذا اللهم اني  
اشترى خدما ومتاعا من الجنة بألف دينار فصدق بها ثم أصابته حاجة شديدة فقال  
لوايت صاحبى لعل ينالني منه معروف فجلس على طرفه حتى مرت به في حشمه فقام اليه  
فنظر اليه الاخر فعرفه فقال له فلان قال نعم قال ما شأنك قال أصابني حاجة بعدك فأيت  
لتمينني بغير قال فاعمل مالك وقد اقسمتنا مالا وأخذت شرطه فقص عليه قصته فقال وانك  
لمن المصدقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيئا فطرده وروى انه لما أتاه أخذ يديه فجعل يطوف  
به ويريه أموال نفسه فنزل فيهما واضرب لهم مثلا رجلين أي اذكرهم خير رجلين (جعلنا  
لأحدهما جنتين) أي بستاتين يسرهما فيهما من الاشجار من يدخلهما (من اعناب) لانها من  
اشجار البلاد الباردة وتصبر على الحر وهي فاكهة وقوت بالعنب والزبيب والخل وغيرها  
ثم انه تعالى وصف الجنتين بصفات الصفة الاولى قوله تعالى (وجنناهما) أي أطفناهما  
من جوانبهما (بخل) لانها من اشجار البلاد الحارة وتصبر على الحر وربما صنعت عن الاعناب  
بعض أسباب الصاعات وغيرها فاكهة بالبسر والرطب وقوت بالتمر والخل فكان الخل  
كالاكليل من رواء العنب (تنبه) الحفاف الجانب وجهه أحنه يقال أحن به القوم أي  
أطافوا بجوانب الصفة الثانية قوله تعالى (وجعلنا بينهما) أي أرضي الجنتين (وربما) ليعبر  
شعور الآفة لكل لان زمان الزرع ومكانه غير زمان ثمار العنب ومكانه وذلك هو الصفة في  
القوت فكانت الجنتان أرضا جامعة نظرا لهما كفاة وأفضل الاقوات وعملتهما متواصلة

متشابهة لم توسطها ما يقطعهما ويوصل بينهما مع سعة الاطراف وتساعد الاكاف وحسن  
 الهيئات والاصناف المصفة الثالثة قوله تعالى (كلتا) أى كل واحدة من (الجنيتين) المذكورتين  
 (آتتأ كلهما) أى ما يطلب منها ويؤكل من غروب كما لا غير منسوب شئ منهما الى نقص  
 ولا رداة وهو بمعنى (ولم تظلم) أى ولم تنقص (منه شياً) يعهد في سائر البساتين فان الثمار  
 تتم في عام وتنقص في عام غالباً والظلم النقصان تقول الرجل ظلمني حتى أى نقصني \* (تنبيه) \*  
 كلا اسم مفرد معرفة يؤكده مذكران معرفتان وكلتا اسم مفرد معرفة يؤكده مؤنثان  
 معرفتان وانما اذا أضيف الى المظهر كانا بالالف في الاحوال الثلاثة كقولك جاءني كلا أخويك  
 ورأيت كلا أخويك ومررت بكلا أخويك وجاءني كلتا أختيك ورأيت كلتا أختيك ومررت  
 بكلتا أختيك واذا أضيف الى المضمرة كانا بالرفع بالالف وفي الجز والنصب بالياء وبعضهم يقول  
 مع المضمرة بالالف في الاحوال الثلاثة أيضاً فقوله تعالى آتتأ كلاهما حمل على اللفظ لان كلتا  
 لفظ مفرد ولو قيل آتتأ على المعنى لجاز الصفة الرابعة قوله تعالى (وجرنا خلالهما نهرأ) أى  
 وسطهما ما بينهما ومنه قوله تعالى ولا وضعا واخلالكم ومنه يقال خللت القوم أى دخلت  
 القوم وذلك ليدوم شربهما ويستغنيا عن المطر عند القحط ويزيد بها وهما الصفة الخامسة  
 قوله تعالى (وكان له) أى صاحب الجنيتين (عمر) أى أنواع من المال سوى الجنيتين قال ابن  
 عباس من ذهب وفضة وغير ذلك من أغرماله اذا كثر وعن مجاهد الذهب والفضة خاصة أى كان  
 مع الجنيتين أشياء من الاموال ليكون متمكناً من العمارة بالاعوان والآلات وجميع ما يريد  
 وقرأ أبو عمرو وعمرها وعمره الآتى بسكون الميم فيها ما بعد ضم الناء المثناة وقرأ عاصم بفتح  
 المثناة والميم فيها والباقون بضم المثناة والميم فيها ما ذكر أهل اللغة ان الضم أنواع المال  
 من الذهب والفضة وغيرهما وبالفتح حمل التجر قال قطرب وكان أبو عمرو بن العلاء يقول التجر  
 المال والولد وأنشد للعرث بن حنزة

ولقد رأيت معاشرأ • قد أغروا مالا وولدا

وقال النابغة مهلا فدا لك الاقوام كلهم • وما أغرم من مال ومن ولد

(فقال) أى هذا الكافر (لصاحبه) أى المسلم المجعول مثلاً للفقراء المؤمنين (وهو) أى صاحب  
 الجنيتين (بجواره) أى يراجع الكلام من جار مجهور اذا رجع اقتضار عليه وتقبيل حاله بالنسبة  
 اليه والمسلم بجواره بالوعظ وتقبيل الركون الى الدنيا (أنا أكثر منك مالا) لما ترى من جناتي  
 وقماري وقرأ نافع عد الالف بعد النون والباقون بالتصريح في الوصل وأتاني الوقف في الالف  
 للسمع وسكن قالون وأبو عمرو والكسائي هاء وهو ضمها الباقون ورقق ودرش راء بجواره  
 (وأعز نضراً) أى ناسا يقومون معي في المهمات وينفعون عند الضرورات لان ذلك لانهم لكثرة  
 المال غالباً وترى أكثر الاغنيا من المسلمين وان لم يطلقوا جعل هذا السنتم فان السنة  
 أحوالهم ناطقة به منادية عليه (ودخل جنته) بصاحبه بطوف به فيها ويقامر بها وأفرد  
 الجنة لارادة الجنس ودلالة ما أفاده الكلام من أنهم ما لا اتصالهما كما كلفه الواحدة واشارة



الى أنه لاجنة له غيرها لانه لاحظ له في الآخرة (وهو) أي والحال أنه (ظالم لنفسه) لاعتماده على ماله والاعراض عن ربه ثم استأنف بيان طلبه بقوله تعالى (قال ما أظن أن تبديد) أي تتعدم (هذه) أي الجنة (أبداً) لطول أمه وتعمادي غفلة واعتباره بجهله ثم زاد في الطغيان والبطر بقصر النظر على الحاضر فأنكر البعث بقوله (وما أظن الساعة قائمة) أي كأنه استلذذاً بما هو فيه وإخلاداً اليه واعتماداً عليه وقوله (ولئن رددت إلى ربي) الحسن إلى في هذه الدار في الساعة أقسام منه على أنه ان رداً إلى ربه على سبيل القرض والتقدير وعلى ما يزعم صاحبه أن الساعة قائمة (لاجدن خيراً منها) أي من هذه الجنة (منقلباً) أي مرجعاً لانه لم يعطى الجنة في الدنيا الا ليعطيني في الآخرة أفضل منها قال ذلك طمعا وتغنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكاته عنده وانه ما أولاه الجنة الا لاستحقاقه واستثاله وأن معه هذا الاستحقاق أينما توجه كقوله ان لي عنده الحسن لا وتين ما لا وولدا (قال له صاحبه) أي المؤمن (وهو) أي والحال أن ذلك الصاحب (يحاورة) أي يراجهه منكر اعليه (أكفرت بالذي خلقك من تراب) أي خلق أصلك آدم من تراب لان خلق أصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقاً (ثم من نطفة) متولدة من أغذية أصلها تراب هي مادتك القرية (ثم سواك) أي عدك بعد أن أولدك وطورك في أطوار النشأة (رجلاً) أي كملك انساناً ذكراً بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفر بالله تعالى لان منشأ الشك في كمال قدرة الله تعالى ولذلك ترتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه مرة قدر على أن يعيده منه ولما أنكر على صاحبه أخبر عن اعتقاده بما يصاد اعتقاد صاحبه فقال مؤكداً لاجل انكار صاحبه مستدر كالأجل كفرانه (لكنا) أصله لكن أنما قلت حركة الهمزة الى التون وحذفت الهمزة ثم أدغمت التون في مثلها كما قال القائل

وترميني بالطرف أي أنت مذنب \* وتقليني لكن اياك لأقل

أي لكن اننا لأقل لك \* ولما كان سبحانه وتعالى لاشئ أظهر منه ولاشئ أبطن منه أشار الى ذلك جميعاً باضماره قبل الذكرفقال (هو) أي الظاهر أتم ظهوره فلا يخفى أصلاً ويجوز أن يكون الضمير الذي خلقك (الله) أي المحيط بصفات الكمال (ربي) وحده لم يحسن الى خلقه ورزقا أحد غيره وهذا اعتقادي في الماضي والحال وقرأ ابن عامر بإثبات الالف بعد التون وقفا ووصلها لاتباع المرسوم والباقون بإثبات الالف بعد التون وقفا وحذفها وصلها (فان قيل) قوله لكنا استدراك لماذا (أجيب) بأنه لقوله أ كفرت فكأنه قال لاخيه أ كفرت بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمر وحاضر وذكر القفال في قول المؤمن (ولا أشرك بربي) أي المحسن الى في عبادتي (أحدًا) وجوهاً أحدها اني لا أرى الفقر والغنى الامنة فأحدها اذا أعطى وأصبر اذا ابتلى ولا أ كفر عندما ينم على ولا أرى كثرة الاموال والاصوات من نفسي وذلك لان الكافر لما اغتر بكثرة المال والجاه فكأنه قد أثبت لله شريكاً في اعلاء الهز والغنى وثابت لعل ذلك الكافر مع كونه منكر البعث كان عابداً صم فبين هذا

المؤمن فساد قوله بإثبات الشركاء وثالثها ان هذا الكافر لما هجر الله تعالى عن البعث والحشر  
 فقد جعله مسلوا بالخلق في هذا العجز واذا أثبت المساواة فقد أثبت الشريك ثم قال المؤمن  
 للكافر (ولولا اذ) أي وهلاجين (دخلت - جنتك قلت) عند اجماع بلثبها ما يدل على تقويمك  
 الامر فيها وفي غيرها الى الله تعالى وهو (ما شاء الله) أي الامر ما شاء الله أو ما شاء الله كما ثبت على  
 ان ماموسولة أي وأي شيء شاء الله كان على أنها شرطية والجواب محذوف أي اقرارا بأنها  
 ولفها بعيشة الله تعالى ان شاء أيضا وان شاء أهلكتها وقرأ ابن ذكوان وحزرة بالامالة  
 والباقون بالفتح واذا وقف حزمة وهشام على شاء أبدل الهزمة القامع المد والتوسط والقصر  
 وأظهر اذ عند الدال نافع وابن كثير وعاصم والباقون بالادغام وهلا قلت (لا قوة الا بالله)  
 اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وأن ما تسرك من عمارتها وتديرها من هاجمونه الله تعالى  
 واقداره أو لا يقوى أحد في بدنه ولا في غير ذلك الا بالله وفي الحديث من أعطى خيرا من أهل  
 أموال فيقول عند ذلك ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يرفيه مكرها ثم ان المؤمن لما أصل الكافر  
 بالايمن أجابه عن افتخاره بالمال والنفس فقال (ان ترفي أنا أقل منك ما لا اولاد) أي  
 من جهة المال والولد ويحتمل أن يكون أمافصلا وأن يكون تأكيدا للمفعول الاول  
 وقرأ قالون وأبو عمرو وبائيات الباء وصلوا وحذفها وقفوا وابن كثير بإثباتها وصلوا ووقفا  
 والباقون بالحذف وقفوا وصلوا وقوله تعالى (فمسي ربي) أي المحسن الى (ان يوتيني) من  
 خزائن رزقه (خيرا من جنتك) أمافي الدنيا و أمافي الآخرة لا يجاني جواب الشرط (ويزمل  
 عليها) أي جنتك (حسابنا) جمع حسبانة أي صواعق (من السماء تصب) بعد كونها اقترانين  
 عاتقها من الاشجار والزرع (صعيدا زلقا) أي أرضا مليسا باستتصال بنيانها واشجارها  
 فلا يثبت فيها ثبات ولا يثبت عليها قدم وقوله (أو يصبح ماؤها غورا) أي غائرا في الارض لا تراه  
 الايدي والدلا مصدر وصف به كالزلق (فلن تستطيع) أنت (له) أي للماء الغائر (طلبيا) يصير  
 بحيث لا تقدر على رده الى موضعه ثم انه أخبر الله تعالى أنه حقق ما قدره هذا المؤمن فقال  
 (وأحيط) أي وقعت الاحاطة بالهالكين للمفعول لان التكدي حاصل باحاطة الهالكين من غير  
 نظر الى فاعل مخصوص والدلالة على سهولته (بقره) أي الرجل المشرك كاه واستوصل هالكنا  
 مافي السهل منه ومافي الجبل وما يصبر منه على البرد والحمل وما لا يصبر قال بعض المفسرين ان  
 الله تعالى أرسل عليها نارا فاهلكتها وغار ماؤها (فأصبح يقلب كفيه) نهما ويضرب احد لهما  
 على الاخرى تصيرا فقلب الكفين كناية عن الندم والتعسر لان الندم يقلب كفيه نظيرا  
 لبطن كما يكفي عن ذلك بعض الكف والسقوط في البدلانه في معنى الندم فعلى تعديته كما  
 قيل فأصبح ندم (على ما أنفق فيها) أي في عمارتها وعمارها (وهي حاوية) أي ساقطة (على  
 عروشها) أي دعائمها التي كانت تحتمل سقطت على الارض وسقطت هي فوقها وقوله تعالى  
 (وقول) عطف على يقلب أو حال من ضميره (يا) للتنبيه (ليتقن) تخيلا لما قلته بطريقه وذل  
 عقله ودهشته وعدم اعتماد على الله تعالى من غير ان يترك بالاعتماد على الغنى (لم أشرك بربي

لشداد كماله صاحب مقدم حيث لا يتفقه السدم على ما قرط في الماضي لاجل ما فانه على  
 الدنيا لحرمان على الايمان لحصول القوز في العنقي لقصور عقله ووقوفه مع المحسوسات  
 المشاهدة (فان قيل) ان هذا الكلام يوهم ان جنته انما هلكت بشوم شركه وليس مراد الا ان  
 انواع البلاء اكثرها انما يقع للمؤمنين قال تعالى ولو لا ان يكون الناس امة واحدة لجلنا  
 لمن يكفر بالرحن لبيوتهم سقما من فضة ومعارض عليها يظفرون وقال صلى الله عليه وسلم خص  
 البلاء بالانية ثم الاولياء ثم الامثل فالمثل وايضا لما قال باليتنى لم اشرك بربي احدا فقد قدم  
 على الشرك ورغب في التوحيد فوجب ان يصير مؤمنا قل قال تعالى بعده (ولم تكن له فئة)  
 اى جماعة من تقوا الذين اغتربهم ولا من غيرهم (ينصرونه) مما وقع فيه (من دون الله) عند  
 هلاكها (وما كان) هو (منصرا) بنفسه بل ليس الامر في ذلك الا الله وحده (أجيب)  
 عن الاول بأنه لما عظمت حسراته لاجل أنه اتفق عمره في تحصيل الدنيا وكان معرضا في عمره  
 كله عن طلب الدين فلما ضاعت الدنيا بالكيفية بقي محروما من الدنيا والدين وعن الثاني بأنه انما  
 قدم على الشرك لاعتقاده أنه لو كان موحدا غير مشرك ابقيت عليه جنته فهو وانما رغب  
 في ذلك لاجل طلب الدنيا فلذلك لم يقبل الله توحيدته وقرأ حمزة والكسائي يكن بالتحنية على  
 التذكير والباقون بالفوقية على التانيث «ولما أتج هذا المثل قطعاً أنه لا أمر لغير الله تعالى  
 المرجو لتصرأ ولياً بعد ذلهم ولا غنائم بعد فقرهم ولا ذلال أعدائهم بعد عزهم وكبرهم  
 وافقارهم بعد اغنائمهم وحده وان غيره انما هو كالحبال لاجل حقيقة له صرح بذلك في قوله تعالى  
 (هنالك) اى في مثل هذه الشدائد العظيمة (الولاية لله) اى الذى له الكمال كله وقرأ حمزة  
 والكسائي بكسر الواو اى الملك والباقون بقصها اى النصره وقوله تعالى (الحق) قرأه أبو عمرو  
 والكسائي برفع القاف على الاستئناف والقطع تعليلاً تنبيهاً على ان فزعهم في مثل هذه الازمان  
 اليه تعالى دون غيره برهان قاطع على أنه الحق وما سواه باطل وان الضمير بالعرض الزائل من  
 الجهل الجهل وان المؤمنين لا يصيبهم فقر ولا يسوغ طردهم لاجله وأنه يوشك أن يعود فقرهم  
 غنى وضعفهم قوة وقرأه الباقر بخفضها على الوصف اى التانيث الذى لا يحول يوماً ولا يزول  
 ولا يفقل ساعة ولا ينام ولا ولاية لغيره بوجه (هو خير نواباً) من نواب غيره لو كان شيب (وخير  
 عقبا) اى عاقبة للمؤمنين وقرأه اعاضم وجزء بسكون القاف والباقون بضمها ونصب على التمييز  
 ولما تم المثل لدنياهم الخاصة بهم التى انظرتهم فكانت سبباً لشقاوتهم وهم يحسبون أنها  
 عين اسعادهم ضرب لدار الدنيا العامة لجميع الناس في قلبه نوابهم او سرعة فنائهم وان من تكبر  
 كان أخس منها فقال (واضرب) اى صير (لهم) اى لهؤلاء الكفار المغترين بالعرض القانى  
 المقصرين بكثرة ذكرا الاموال والاولاد وعزة النفس وقوله تعالى (مثل الحياة الدنيا) مفعول  
 اول ثم ذكر المثل بقوله تعالى (كأما) وهو المفعول الثانى (انزلناه) بعظمتنا وقد رتنا  
 وقال تعالى (من السماء) قسيها على بليغ القدرة فى امساكها فى العلو وانزاله فى وقت الحاجة  
 (فاختلط) اى قصب وقسب عن انزاله أنه اختلط (به نبات الارض) اى القصب بسببه حتى

خالط بعضه بعضاً من كثرة وتكاثفه كما قال تعالى فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وقبل  
 اختلط ذلك الماء بالنبات حتى روى واهتز ونما وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط  
 نبات الارض لكن لما كان كل من المحتلطين موصوفاً بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرة  
 ثم اذا انقطع ذلك بالمطر ممتدة جف ذلك النبات (فأصبح هشياً) أي يابساً متفرقة أجزاءه  
 (تذروه) أي تنثره وتفرقه (الرياح) فذهب به والمعنى أنه تعالى شبه الدنيا بنبات حسن فيبس  
 فتكسر ففرقه الرياح حتى يصير عماليل كأنه بقدره الله تعالى لم يكن وقراً حمزة والكسائي  
 بالتوحيد والباقون بالجمع (وكان الله) أي المختص بصفات الكمال (على كل شيء) من  
 دون ذلك وغيره انشاء وافتاء واعادة (مقتدوا) أزلا وأبداً بتكوينه أو لا وتبينه وسطاً وابطاله  
 آخر أحوال الدنيا أيضاً كذلك تظهر أولاً في غاية الحسن والنضارة ثم تتزايد قليلاً قليلاً  
 ثم تأخذ في الانحطاط إلى أن ينتهي إلى الهلاك والفتناء ومثل هذا الشيء ليس للعاقل أن يبتهج به  
 • (تبيه) • قوله تعالى فأصبح يجوز أن يكون على يابه فان أكثر ما يطرق من الآفات صباحاً  
 كقوله تعالى فأصبح قلب كفيه ويجوز أن يكون بمعنى صار من غير تقييد بصباح كقول القائل  
 أصبحت لأجل السلاح ولا • أملك رأس البعيران نعرا

• ولما بين سبحانه وتعالى أن الدنيا سريعة الانقراض والاتقضاء مشرفة على الزوال والبوار  
 والفتناء بين بقوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) ادخال هذا الجزئي تحت هذا الكلّي  
 فينعقد به قياس بين الانتاج وهو أن المال والبنون زينة الحياة الدنيا ولما كانت زينة  
 الحياة الدنيا سريعة الانقضاء والاتقراض أنتج اتساجاً بديهاً أن المال والبنون سريع  
 الانقضاء والانقراض وما كان كذلك فانه ينتج بالعقل أن لا يقضيه أو يفرح بسببه أو يقيم له  
 في نظره وزناً وهذا برهان ظاهر باهر على فساد قول أولئك المشركين الذين اقتضوا على فقراء  
 المؤمنين بكثرة الاموال • ثم ذكر تعالى ما يدل على رجحان أولئك الفقراء على أولئك الكفار  
 من الاغنياء فقال (والباقيات الصالحات خير) أي من الزينة الطائفة لان خيرات الدنيا  
 منقرضة منقضية وخيرات الآخرة دائمة باقية والدائم الباقي خير من المنقرض المنقضى وهذا  
 معلوم بالضرورة لاسيما وقد ثبت أن خيرات الدنيا حقيرة خسيسة وأن خيرات الآخرة رفيعة  
 شريفة والمفسرون ذكروا في الباقيات الصالحات أقوالاً أحدها أنها سبحانه الله والمهددة  
 ولا اله الا الله والله أكبر وزاد بعضهم ولا حول ولا قوة الا بالله وللغزالي في تفسيره غير الزيادة  
 وجه لطيف فقال روى أن من قال سبحانه الله حصل له من الثواب عشر حسنات فإذا قال  
 الحمد لله صارت عشرين فإذا قال ولا اله الا الله صارت ثلاثين فإذا قال والله أكبر صارت  
 أربعين وتحقق القول فيه أن مراتب الثواب أعظمها هو الاستغراق في معرفة الله تعالى  
 وفي محبته فإذا قال سبحانه الله فقد عرف كونه تعالى منزهاً عن كل ما لا يليق به وكل ما لا ينبغي  
 لحصول هذا العرفان سعادة عظيمة وبهجة كاملة فإذا قال مع ذلك الحمد لله فقد أقرب إلى الحق  
 سبحانه وتعالى مع كونه منزهاً عن كل ما لا ينبغي فهو المبتدئ لكل ما ينبغي ولا فاضة كل خير وكال

فقد تضاعفت درجات المعرفة فلاجرم قلنا بمضاعفة الثواب فاذا قال مع ذلك لا اله الا الله فقد اقر  
 بأن الذي تنزه عن كل ما لا ينبغي وهو المبتدئ لكل ما ينبغي ليس في الوجود موجوده كذا  
 الا هو الواحد فقد صارت مراتب المعرفة ثلاثة فلاجرم صارت درجات الثواب ثلاثة فاذا قال  
 العبد والله أكبر فعنى انه أكبر أنه أعظم من ان يصل العقل الى كنه كبريائه وجلاله فقد صارت  
 مراتب المعرفة أربعة فلاجرم صارت درجات الثواب أربعة وعن أبي هريرة قال قال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الى مما طلعت  
 عليه الشمس وعن أبي سعيد الخدري أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استكثروا من  
 الباقيات الصالحات قيل وما هن يا رسول الله قال التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول  
 ولا قوة الا بالله ثانياً أنها الصلاة الخس ثالثاً أنها الطيب من القول رابعاً وهو أعمها  
 وأولها أنها أعمال الخيرات التي تبقى عمراتها أبداً لا يادفيندرج في ذلك الصلاة وأعمال الحج  
 وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله والكلام  
 الطيب وغير ذلك من كل عمل وقول دعاء لمحبة الله تعالى ومعرفته وخدمته وأما ما دعاك من قول  
 أو عمل الى الاشتغال بأحوال الخلق فهو خارج عن ذلك لأن كل ما سوى الحق فهو فان لذاته  
 فكان الاشتغال به والاتفاق عليه باطلا وسعياً ضائعاً وأما الحق لذاته فهو الباقي الذي لا يقبل  
 الزوال لاجرم كان الاشتغال بمحبته ومعرفته وطاقته وخدمته هو الذي يبقى بقاء لا يزول ولما  
 كان أهم ما الى من حصل البقاء ليس لكفايته بل لمن يحفظها له لوقت حاجته قال تعالى (عند ربك)  
 أي الجليل المواهب العالم بالعواقب وخير من المال والبنين في العاجل والآجل (نوابا وخير) من  
 ذلك كله (أملاً) أي من جملة ما يرجوه فيها من الثواب ويرجوه فيها من الأمل لأن ثوابه الى بقاء  
 أملاً كل ساعة في تحقق وعلو وارتقاء وأمل المال والبنين يخان أحوج ما يكون اليهما وعن  
 قتادة كل ما أريد به وجه الله تعالى خير ثواباً أي ما يتعلق به من الثواب وما يتعلق به من الأمل  
 لأن صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الآخرة \* ولما بين سبحانه وتعالى خسارة الدنيا  
 وشرف الآخرة أردفه بأحوال يوم القيامة وذكر منها أنواعاً النوع الاقل قوله تعالى (ويوم)  
 أي واذكر لهم يوم (نسير) بآيسر أمر (الجبال) عن وجه الارض بعواصف القدرة كإسیر نبات  
 الارض بعد أن صار هسهباً بالرياح كما قال تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرز  
 السحاب \* (تنبيه) \* ليس في لفظ الآية ما يدل الى أين تسير قال الرازي ويحتمل أن يقال ان الله  
 يسيرها الى الموضع الذي يريد ولم يبين ذلك تطلقه والحق ان المراد ان الله تعالى يسيرها الى العدم  
 لقوله تعالى ويستلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعاً صفصفا لا ترى فيها عوجاً  
 ولا أمتاً وقوله ويست الجبال يسافكت هباء منبثاً وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بضم  
 التاء القوقية وفتح الباء التحتية بعد السين على فعل مالم يسم فاعله ورفع الجبال بإسناد تسير اليها  
 كما في قوله تعالى واذا الجبال سيرت والباقون بالنون المضمومة وكسر الباء التحتية بعد السين  
 بإسناد فعل التسير اليه تعالى نفسه ونصب الجبال لكونه مفعول تسير والمعنى نحن نفضل بها ذلك

اعتبار بقوله تعالى وحشرناهم والمعنى واحد لانها اذا سيرت فسيرها ليس الا الله تعالى والتمويه  
 الثاني قوله تعالى (وترى الارض) بكالها (بارزة) لانها فيها ولا صدع ولا جبل ولا بيت ولا شجر  
 ولا ظل فبقيت بارزة ظاهرة ليس عليها ما يسترها وهو المراد من قوله تعالى لا ترى فيها عوجا  
 ولا أمتا وقبل انما ابرزت ما في بطنها وقد نقت الحرق المقبورين فيها فاذا هي بارزة الجوف والبطن  
 فخذ كرا الجوف كما قال تعالى وألفت ما فيها وتخلت وقال تعالى وأخرجت الارض أنفاسها  
 النوع الثالث قوله تعالى (وحشرناهم) أي الخلائق قهر الى الوقت الذي تنكشف فيه الغيبات  
 وتظهر القبائح والغيبيات ويقع الحساب فيه على النقيض والقطيع والناقد فيه بصير (فلم نقادوا)  
 أي تتركوا (منهم) أي الأولين والآخرين (أحدا) لانه لا ذهول ولا عجز وتطيره قوله تعالى قل ان  
 الأولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم (فان قيل) لم يجر بحشرناهم ما ضل بعد نسي  
 وترى (أجيب) بأن ذلك يقال للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك  
 الأحوال العظام كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك ولما ذكر تعالى حشرهم وكان من المعلوم  
 أنه للعرض ذكر كيفية ذلك العرض فقال بآيات الفعل للمفعول على طريقة كلام القاديين ولأن  
 الخوف العرض لا لكونه من معين (وعرضوا على ربك) المحسن اليك برفع أولياتك وخفض  
 أعدائك وقوله تعالى (صفا) حال أي مصطفين واختلف في تفسيره على وجوه الأول أن تعرض  
 الخلق كلهم صفا واحدا لاتساع الارض ظاهرين لا يحجب بعضهم بعضا ثانيها لا يعد أن يكونوا  
 صفايتف بعضهم ورا بعض مثل الصقوف المحيط بالكرة التي تكون بعضها خاف بعض  
 وعلى هذا المراد بقوله تعالى صفا صفا كقوله تعالى يخرجكم طفلا أي أطفالا ثالثها المراد  
 بالصفا القيام كما في قوله تعالى فاذكروا اسم الله عليها صواف أي قياما وقيل كل أمة صفا  
 ويقال لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة) أي فرادى حفاة عراة غرلا وليس المراد حصول  
 المساواة من كل وجه لانهم خلقوا صغارا ولا عقل لهم ولا تكليف عليهم بل المراد ما مر ويقال  
 لشكري البعث (بل زعمتم أن) أي انا (ان يجعل لكم موعدا) أي مكانا ووقتا فجمعكم فيه هذا  
 الجمع فتميز لكم ما وعدناكم به على السنة رسلنا فكنتم مع التعزز على المؤمنين بالاموال  
 والانسار منكرين البعث والقيامة فالآن قدرتم الاموال والانسار في الدنيا وشاهدتم ان  
 القيامة والبعث حق وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 بموضحة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نفسه  
 وعدا علينا انا كنا هالين الأوان أول خلق يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام الأوانه  
 صفا صفا رجال من امتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقول انك لا تدري  
 ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما ادمت فيهم الى قوله العزيز  
 الحكيم حال فيقال لي انهم لم ير الوامدين على أصحابهم منذ فارقتهم وفي رواية فأقول صفا  
 صفا وقوله غرلا أي قلنا الغرلة الغرلة التي تنقطع من جلد الذكر وهو موضع الختان وقوله صفا  
 أي بعد الحال بعض العلم المراد به هؤلاء الذين ارتدوا من العرب بعثه وعن عائشة رضي الله تعالى

عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا خلقت  
 الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض فقال الامر أشد من ان يهيمهم ذلك زاد الناس  
 في رواية لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس على ثلاث طوائف راغبين واهبين واثان على بعير  
 وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقبل معهم حيث قالوا  
 وتبيت معهم حيث باتوا وتصعدهم حيث أصبوا وتسمى معهم حيث أمسوا (ووضع) بعد  
 العرض المستعقب للجمع بأدنى إشارة (الكتاب) المصنوع فيه دقائق الاعمال وجلالاتها على  
 وجه بين لا يخفى على قارئ ولا غيره شيء منه فيوضع كتاب كل انسان في يده اما في العيز واما  
 في الشمال والمراد الجنس وهو وصف الاعمال (قري البحر من مشفقين) أي خائفين خوف  
 العقاب من الحق وخوف القضيحة من الخلق (عما فيه) من قبائح أعمالهم وسي أفعالهم  
 وأقوالهم (ويقولون) عندما يفتهم ما فيه من السيئات وقولهم (يا للنتية) (ويلتنا) أي  
 عليك كنا وهو مصدر لافعل له من لفظه كناية عن انه لا ندب لهم اذ ذلك الالهلاك (مال هذا  
 الكتاب) أي أي شيء له حال كونه على غير حال الكتب في الدنيا (لا يفادر) أي لا يترك (صغرة  
 ولا كبيرة) من ذنوبنا وقال ابن عباس الصغرة التيسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن  
 جبیر الصغرة اللهم والميس والقيلة والكبيرة الزنا (الأحصاها) أي عذها وأنتها في هذا  
 الكتاب ونظيره قوله تعالى وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تضعون وقوله تعالى انا كنا  
 نستنسخ ما كنتم تعملون \* (تبيه) \* ادخال التاء في الصغرة والكبيرة على تقدير أن المراد الفعلة  
 الصغرة والكبيرة قال بعض العلماء احتجوا من الصغرة قبل الكبار لان الصغرة هي التي  
 جرتهم الى الكبار واحترزوا من الصغرة حذرا من أن تقعوا في الكبار وعن سهل بن سعد  
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب مثل  
 قوم نزلوا بطن وادفجاء هذا يعود وجاء هذا يعود فطخوا خبزهم وإن محقرات الذنوب بلوبات  
 (ووجدوا ما هموا حاضرا) أي مشتتافي كتابهم (ولا يظلم ربك) أي الذي ربك بخلق القرآن  
 (أحدآ) منهم ولا من غيرهم في كتاب ولا عقاب ولا ثواب بل يجازى الاعداء بما يستحقونه  
 تعذبا لهم ويجازى أولياءه الذين عادوهم بما يستحقون تعذبا لهم روى الامام أحمد  
 في المستدرج جابر بن عبد الله أنه سافر الى عبد الله بن أنس مسيرة شهر يستأذن فاستأذن عليه  
 قال نفرج ببطأ ثوبه فاعتقني واعتنقه قلت حديث بلغني عنك أنك سمعت من رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم في القصص نكسيت أن عوت قبل أن أسعه فقال سمعت رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم يقول يحشر الله عز وجل الناس أو قال العباد حفاة عراة يهيمهم ما يهيمها قال ليس  
 منهم شيء ثم ينادى بصوت يسمع من بعد كما يسمع من قرب أنا الملك أنا الذي لا ينفي لاحد  
 من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق ولا ينفي لاحد من أهل الجنة أن  
 يدخل الجنة ولا يحق من أهل النار عليه حق حتى أقتن منه حتى للطمعة قال فقلنا كيف وانا

تأتي حقا عراة بم حاقا بالحسنات والسيئات وروى الرازي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 أنه قال يحاسب الله الناس في القيامة على ملة يوسف وأيوب وسليمان فيدعو المملوك فيقال  
 ما شغلتني فيقول جعلتني عبد الأدي فلم يفرغني فيدعو يوسف فيقول كان هذا عبدا  
 مثلك فلم يمنعه ذلك أن عبدني فيؤمر به إلى النار ثم يدعو المبتلى فإذا قال شغلتني بالبلاء دعا  
 أيوب فيقول قد ابتليت هذا بأشد من بلاءك فلم يمنعه ذلك من عبادتي ثم يؤتى بالملك في الدنيا  
 مع ما آناه الله تعالى من الغنى والسعة فيقول ما عملت فيما آتيتك فيقول شغلتني الملك عن ذلك  
 فيدعي سليمان فيقول هذا عبدي آتيتك أكثر مما آتيتك فلم يشغله ذلك عن عبادتي أذهب  
 فلا عذر لك ويؤمر به إلى النار وعن معاذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لن يزول  
 قدم العبد يوم القيامة حتى يستل عن أربع عن جسده فيم أبلاه وعن عمره فيم أفناه وعن ماله  
 من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن علمه كيف عمل به \* ولما كان المقصود من ذكر الآيات  
 المتقدمة الرد على القوم الذين افتخروا بأموالهم وأعوانهم على فقراء المسلمين وهذه الآية  
 المذكورة في قوله تعالى (وَأَذِذْ لِي أَهْلِي مِنَ الْكُلُوبِ) الذين هم أطوع شيء لا وأمرنا  
 المقصود من ذكرها عين هذا المعنى وذلك لأن إبليس انحأ تكبر على آدم لأنه افتخر بأصله ونسبه  
 وقال خلقتني من نار وخلقته من طين وأنا أشرف منه في الأصل والنسب فكيف أسجد له  
 وكيف أتواضع له وهو لا المشركون عاموا فقراء المساكين بمعنى هذه المعاملة فقالوا كيف  
 نجبال هؤلاء الفقراء مع أننا أناس من أنساب شريفة وهم من أنساب باذلة ونحن أغنياء وهم  
 فقراء ذكر الله تعالى هذه القصة تنبيها على أن هذه الطريقة هي نفسها طريقة إبليس حين أمره  
 الله تعالى في سجدة الملائكة بقوله تعالى (اسجدوا لآدم) سجودا فخما بلي وضع جبهة تحية له  
 (فسجدوا لإبليس كان من الجن) قيل هم نوع من الملائكة فالاستثناء متصل وقيل  
 هو منقطع وإبليس أبو الجن فله ذرية ذكرت معه بعد والملائكة لا ذرية لهم وكررت  
 هذه القصة لهذا المقصود المذكور قال البيضاوي وهكذا ذهب كل تكرير في القرآن  
 أي انما يذكر لنا سببه ذلك المحل الذي يذكر فيه (ففسق) أي خرج بتركه العبود (عن أمر  
 ربه) أي سيده ومالكه المحسن إليه والفاء للسببية وفيه دليل على أن الملك لا يعصى البتة وانما  
 عصى إبليس لأنه كان خبيثا في أصله والكلام المستقصى فيه تقدم في سورة البقرة ثم انه تعالى  
 جدر عن اتباعه بقوله تعالى (أفتخذونه) الخطاب لآدم وذريته والهاء هنا وفيما سياتي  
 لإبليس والهمزة لانكار والتعجب أي يفسق باستحقاقكم فنظرده لاجلكم فيكون ذلك سبب لان  
 تخذوه (وذريته) شركاء في (أولياء) لكم (من دوني) تطيعونهم بدل طاعتي وقوله تعالى  
 (وهم لكم عدو) أي أعداء حال ولما كان هذا الفعل أجدر شيء بالذم وصل به قوله تعالى  
 (بئس للظالمين بدلا) من الله إبليس وذريته وكان الأصل لكم ولكنه أبرز الضمير لعلق الفعل  
 بالوصف لافادة التعصيم روى مجاهد عن الشعبي قال اني لقا عبدا يوما اذا قيل بحال فقال  
 أخبروني هل لإبليس زوجة قلت ان ذلك لم يسمع من ما شهدته ثم ذكرت قوله تعالى أفتخذونه



وذريته أو ليأمن دوني فقلت أن لا تكون ذرية الامن زوجة فقلت نعم وقال قتادة يتوالدون  
 كما يتوالد بنو آدم وقيل انه يدخل ذنبه في دبره فيبيض البيضة فتسقط عن جماعة من الشياطين  
 قال مجاهد من ذرية ابليس لاقيس وولهان وهما صاحب الطهارة والصلاة والتهافت ومرة وبه  
 يكتفى وزلنيور وهو صاحب الاسواق يزين اللغو والايمن الكاذبة ومدح السلع ونيزو هو  
 صاحب المصاب يزين خمش الوجوه ولطم الحدود وشق الجيوب والاعور وهو صاحب الزنا يتخ  
 في احليل الرجل ويحز المرأة ومطوس وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها في أفواه الناس  
 لا يجردون لها أصلا وداسم وهو الذي اذا دخل الرجل بيته ولم يسم الله ولم يذكر الله دخل معه  
 واذا أكل ولم يسم الله أكل معه قال الاعمش ربحا دخلت البيت ولم أذكر الله ولم أسلم قرأيت  
 مطهرة فقلت ارفعوا وخصصتم ثم اذكرفا قول داسم داسم وعن عثمان بن أبي العاص قال قلت  
 يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي فقال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم ذلك شيطان يقال له خرب فاذا أحسسته فتعوذ بالله واتقل عن يسارك ثلاثا  
 قال ففعلت ذلك فاذهب الله عني وعن أبي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للوضوء  
 شيطان يقال له الولهان فاقوا رساوس الماء وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ان ابليس يضع فرشته على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يبي أحدهم  
 فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا قال ثم يبي أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت  
 بينه وبين امرأته قال فيسدي منه ويقول نعم أنت قال الاعمش أراه قال فيلتزمه واختلفوا  
 في عود الضمير في قوله تعالى (ما أشهدتهم) على وجوه أحدها وهو الذي ذهب اليه الا كثرون  
 ان المعنى ما شهدت الذين اتخذوهم أولياء (خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم)  
 أي ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى اقتلوا أنفسكم نبي احضار ابليس وذريته  
 خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتقاد بهم في ذلك  
 كما صرح به بقوله تعالى (وما كنت متخذ المضلين) أي الذين يضلون الناس ووضع الظاهر  
 موضع المضمرا ظاهرا لاضلالهم وذلما لهم (عضدا) أي اعوانا وثانيتها قال الرازي وهو  
 الاقوى عندي ان الضمير عائد الى الكفار الذين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان لم تطرد  
 عن مجلسك هؤلاء الفقراء من عندك فلانؤمن بك فكانه تعالى قال ان هؤلاء الذين اتوا  
 بهذا الاقتراح الفاسد والتعنن الباطل ما كانوا شركاءي في تدبير العالم بدليل اني  
 ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم ولا اعتضدت بهم في تدبير الدنيا  
 والآخرة بل هم قوم كسان اخلق فلم أقدموا على الاقتراح الفاسد قال والذي يؤكد  
 هذا ان الضمير يجب عوده الى أقرب المذكورات فالأقرب في هذه الآية هو أولئك  
 الكفار وهو قوله تعالى يس للظالمين بدلا والمراد بالظالمين أولئك الكفار وثانيتها أن يكون المراد  
 من قوله ما أشهدتهم الى آخره دون هؤلاء الكفار جاهلين بما جرى به القلم في الازل من أحوال  
 السعادة والشقاء فكانه قيل لهم السعيد من حكم الله بسعادته والشقي من حكم الله بشقاوته

في الازل وانتم غافلون عن احوال الازل فانه تعالى قال ما أشهدتهم الى آخره واذا جهلتم هذه  
 الحالة فكيف يمكنكم ان تحكموا لانفسكم بالرفعة والعلو والكمال واغيركم بالذل والذناء بل  
 ربما صار الاهل في الدنيا والاخرة على العكس مما حكمتهم به \* ولما قررتعالى ان القول الذي قالوه  
 في الافتخار على الفقراء اقتدوا فيه بابليس عادبعده الى التهويل بأحوال القيامة فقال (ويوم)  
 التقدير واذا ذكر لهم يا محمد يوم عطف على قوله واذ قلنا للملائكة (يقول) أى الله يوم القيامة  
 لهؤلاء الكفار تم كجهم وقرأ جزء بالتون والباقون بالياء (نادوا شركائهم) أى ما عبد من دوني  
 وقيل ابليس وذريته ثم بين تعالى ان الاضافة ايسر على حقيقة تابل توبخ لهم فقال تعالى (الذين  
 زعمتم) انهم شركائى أو شفعاءوكم ليعنوكم من عذابى (فدعوهم) تماديا في الجهل والضلال  
 (فلم يستجيبوا لهم) أى فلم يغشوهم استهانة بهم واشتغالا بأنفسهم فضلا عن ان يعينوهم  
 (وجعلنا بينهم) أى المشركين والشركاء (موبقا) أى واديا من أودية جهنم يهلكون فيه جميعا  
 وهو من وبقى بالفتح هلك نقل ابن كثير عن عبد الله بن عمر انه قال هو واد عميق فرق به يوم القيامة  
 بين أهل الهدى وأهل الضلال وقال الحسن البصرى عداوة أى يؤل بهم الى الهلاك والتلف  
 كقول عمر رضى الله تعالى لا يكون حبك كذا ولا بغضك تلقا أى لا يكن حبك يجر الى الكلف  
 ولا بغضك يجر الى التلف وقيل الموبق البرزخ البعيد أى وجعلنا بين هؤلاء الكفار وبين  
 الملائكة وعيسى برزخا بعيدا يهلك فيه السارى لقرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في أعلى الجنان  
 \* ولما قررت سبحانه وتعالى ما لهم مع شركائهم ذكر حالهم في استمرار جهلهم فقال تعالى (ورأى  
 الجرمون) أى العرب يقون في الاجرام (النار) من مكان بعيد (فظنوا) ظنا (انهم واقعوها)  
 أى مخالطوها في تلك الساعة من غير تأخير ومهلة لشدة ما يسمعون من تعذيبها وزفيرها كما قال  
 تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها نغيظا وزفيرا فان مخالطة الذى لغيره اذا كانت قوية  
 تامة يقال لها واقعة (ولم) أى والحال انهم لم (يجدوا عندهم صرفا) أى مكانا ينصرفون اليه  
 لان الملائكة تسوقهم اليها والموضع موضع التحقق ولكن ظنهم جريا على عادتهم في الجهل  
 كما قالوا اتخذ الله ولدا بغير علم وما أظن ان تبده هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ان نظن الاظنا  
 وما نحن بمستيقنين مع قيام الادلة القوية لاشك فيها وقيل الظن هنا بمعنى العلم واليقين \* ولما افتخر  
 هؤلاء الكفار على فقراء المسلمين بكثرة أموالهم وأتباعهم وبين الله تعالى الوجوه الكثيرة  
 ان قولهم فاسد وشبههم باطله ذكر فيه المثلىين المتقدمين ثم قال بعده (ولقد صرفنا) وأظهر  
 نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم الدال وأدغمها الباقون (في هذا القرآن) أى القيم الذى  
 لا عوج فيه مع جمعه للمعاني (للناس) أى المزلزلين والثابتين وقوله (من كل مثل) صفة لمخدوف  
 أى مثلا من جنس كل مثل ليتعظوا أو انا حولنا الكلام وصرفناه في كل وجه من وجوه المعاني  
 والبسنا من العبارات الرائقة والاساليب المتناسقة ما صار يها في غرابته كالمثل يقبله كل  
 من سمعه وتضرب به آباط الابل في سائر البلاد بين العباد فتسرى بقلوبهم وتلهج به ألسنتهم  
 فلم يقبلوه ولم يتركوا المجادلة الباطلة كما قال تعالى (وكان الانسان أكثر شقا) يتأتى منه الجدال

وميزالا كثرية بقوله تعالى (جدلا) أى خصومة قال بعض المحققين والآية دالة على أن الانبياء  
 عليهم الصلاة والسلام جادلوه في الدين لأن المجادلة لا تحصل الا من الطرفين ولهذا قيل أراد  
 بالانسان الكافر وقيل الآية على العموم قال ابن الخازن وهو الاصح وكذا قال البغوى فعن  
 على رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقة وفاطمة بنت رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم ورضى الله تعالى عنها ليلة فقال الاتصيان فقلت يا رسول الله انفسنا بيد الله فاذا شاء  
 ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع الى شيأ ثم  
 سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول وكان الانسان أكثر شئ جدلا وقال ابن عباس أراد  
 التضرب بالحرث وجداله في القرآن وقال الكلبي أراد به خلفا للمجى \* ولما بين سبحانه وتعالى  
 اعراضهم بين موجه عندهم فقال تعالى (وما منع الناس) أى الذين جادلوا بالباطل الايمان  
 هكذا كان الاصل ولكنه عبر عن هذا المفعول الثانى بقوله (ان يؤمنوا) ليضيد التجديد  
 وذتهم على الترك (اذ) أى حين (جاءهم الهدى) أى القرآن على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم  
 وعطف على المفعول الثانى معبرا بمثل ماضى لماضى قوله تعالى (ويستغفروا ربهم) أى  
 لامانع لهم من الايمان ولا من الاستغفار والتوبة \* ولما كان الاستثناء مفرغا أى بالفاعل فقال  
 (الآن) أى طلب أن (تأتيهم سنة الاوئين) أى سنتنا فيهم وهى الاهلاك المقدر عليهم (أو)  
 طلب أن (يأتيهم العذاب قبلا) أى مقابلة وعيانا وهو القتل يوم بدر وقيل عذاب الآخرة وقرأ  
 الكوفيون برفع القاف والباء الموحدة والباقون بكسر القاف وفتح الباء الموحدة \* ولما كان  
 ذلك ليس الى الرسول وانما هو الى الله تعالى نبه بقوله تعالى (وما ترسل المرسلين الا مبشرين  
 بالثواب على أفعال الطاعة (ومندرين) بالعقاب على أفعال المعصية فطلب منهم الظالمون من  
 أممهم ما ليس اليهم (ويجادل الذين كفروا) أى يجتدون الجدال كطأ تأهم أمر من قبلنا (بالباطل)  
 من قولهم ما أنتم الا بشر مثلنا ولو كنتم صادقين لا تثبتهم بما يطلب منكم مع ان ذلك ليس كذلك  
 اذ ليس لاحد غير الله من الامر شئ (ليدحضوا به) أى ليبطلوا بجدالهم (الحق) أى القرآن  
 والمجربات المثبتة لصدقهم (واتخذوا آياتى) أى القرآن (وما أذروا) أى وانذارهم أو والذي  
 أنذروا به من العقاب (هزوا) أى استهزاء وقرأ حفص بالواو ووقفا ووصلا وحزاة بالواو ووقفا  
 لاوصلا وسكن الزاى حزة ورفعها بالباقون ولحزة فى الوقف أيضا النقل \* ولما حكى الله تعالى عن  
 الكفار أحوالهم الخبيثة ومقهم بما يوجب الخزي بقوله تعالى (ومن أظلم) أى لا احد أظلم وهو  
 استفهام على سبيل التقرير (من ذكر آيات ربه) أى المحسن اليه بها وهى القرآن (فأعرض  
 عنها) تارك لما يعرف من تلك العلامات العجيبة وما يوجب ذلك الاحسان من الشاكر (ونسى  
 ما قدمت يداه) من الكفر والمعاصى فلم يفتكر فى عاقبتها ثم علل تعالى ذلك الاعراض بقوله  
 تعالى (اناجعلنا على قلوبهم) فجمع رجوعا الى أسلوب واتخذوا آياتى لانه أنص على ذم كل  
 واحد (اكتة) أى أغطية مستعملية عليها استعلام يدل سياق العظمة على أنه لا يدع شيأ  
 من التعبير الى اليها فهى لانتى شيأ من آياتنا وذل منذ كبر الضمير وافراد على أن المراد بالآيات

القرآن فقال (أن) أي كراهة أن (يفقهوه) أي يفهموه (وفي آذانهم وقرا) أي ثقلا فهم لا يسمعون حق السمع ولا يعون حق الوعي (وان تدعهم) أي تكثر دعاءهم كل وقت (إلى الهدى) لتصحيحهم بما عندك من الحرص والجد على ذلك (فلن يهتدوا) أي بسبب دعائك (إذا) أي إذا دعوتهم (أبدا) لأن الله تعالى حكم عليهم بالضلال فلا يقع منهم إيمان ثم قال تعالى (وربك) مشيراً بهذا الاسم إلى ما اقتضاه حال الوصف من الاحسان (الغفور) أي البليغ المغفرة الذي يستر الذنوب أتمامها وأما بالحلم عنها إلى وقت آخر (ذو الرحمة) أي الموصوف بالرحمة الذي يعامل وهو قادر مع موجبات الغضب معاملة الراحم بالأكرام ثم استشهد تعالى على ذلك بقوله تعالى (لو يؤاخذهم) أي هؤلاء الذين عادوك وهو عالم أنهم لا يؤمنون أو يعاملهم معاملة المؤاخذة (بما كسبوا) من الذنوب (لجعل لهم العذاب) أي في الدنيا (بل لهم موعد) وهو أتم يوم القيامة وأتم في الدنيا وهو يوم بدر وسائر أيام الفتح (لن يجدا من دونه) أي الموعد (موتلاً) أي ملجأً ينجيهم منه فإذا جاء موعدهم أهلكناهم فيه بأول ظلمهم وآخره وقوله تعالى (وتلك) مبتدأ وقوله تعالى (القرى) أي الماضية من عاد وثمود ومدين وقوم لوط وأشكالهم صفة لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الاجناس والخبر (أهلكناهم) والمعنى وتلك أصحاب القرى أهلكناهم (لما ظلموا وجعلنا المهلكهم موعداً) أي وقتاً معلوماً لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون وقرأ شعبة بفتح الميم واللام أي أهلاكهم وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام والباقون بضم الميم وفتح اللام أي لاهلاكهم ثم عطف سبحانه وتعالى على قوله تعالى واذقنا للاملائكة (وآذ) أي واذكركم حين (قال موسى لقناه) يوشع ابن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم الصلاة والسلام وانما قال قناه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يخدمه العلم وقيل قناه عبده وفي الحديث ليقبل أحدكم فتاى وقتاى ولا يقبل عبدي وأمتي \* (تنبيه) \* أكثر العلماء على أن موسى المذكور في هذه الآية هو موسى بن عمران صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن كعب الاحبار أنه موسى بن ميشاب بن يوسف بن يعقوب وهو قد كان نيا قبل موسى بن عمران قال البغوي والاول أصح واحتج له القائل بأن الله تعالى لم يذكر في كتابه موسى إلا أراد به صاحب التوراة فاطلاق هذا الاسم يوجب الانصراف اليه ولو كان المراد شخصاً آخر يسمى موسى غيره لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز وازالة الشبهة كما انه لما كان المشهور في العرف عن أبي حنيفة هذا الرجل المعين فلوزكرناه هذا الاسم وأردناه رجلاً سواه لقميدنا مثله ل أن نقول قال أبو حنيفة الدينوري وعن سعيد بن جبيرة قال قلت لابن عباس ان نوحاً ~~بسم~~ إلى يزعم ان موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بن اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله ونوف البكالي هو نوف بن فضالة الحسيري الشامي البكالي ويقال انه دمشق وكانت أمه فوجدة كعب الاحبار نقله ابن كثير ووجه الذين قالوا موسى هذا غير صاحب التوراة انه يقال بعد أن أنزل عليه التوراة وكلمه بلا واسطة وخصه بالمعجزات الباهرة العظيمة التي لم يتفق مثلها لأكبر أكابر الانبياء بعد أن يعنه بعد ذلك إلى التعلم

والاستفادة (وأجيب) بأنه لا يعد أن يكون العالم الكامل في كثرة العلوم مجهول بعض العلوم  
فيحتاج في تعلمها إلى من هو دونه وهو أمر متعارف روى البخاري حديث أن موسى قام خطيباً  
في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم قال أنا فعتب الله تعالى عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى  
الله تعالى إليه أن لي عبداً يجمع البحرين هو أعلم منك قال يا رب فكيف لي به قال تأخذ حوتاً  
فتجعلها في مكمل فيشما فقدت الحوت فهو ثم تأخذ حوتاً تجعله في مكمل ثم قال (لأبرح) أي  
لأزال أسير في طلب العبد الذي أعلمني ربي بفضل (حتى أبلغ مجمع البحرين) أي ملتي بحر الروم  
وبحر فارس مما يلي الشرق قاله قتادة أي المكان الجامع لذلك فالقاء هناك (أو أمضى حباً)  
أي دهر الطويل في بلوغه إن لم أنظر به بمجمع البحرين الذي جعله ربي موعداً لي في لقائه  
والحقب قال في القاموس ثمانون سنة أو أكثر والدهر والسنة والسنون انتهى فساروا وترؤدا  
حوتاً مشويان في مكمل كما أمر به فكانا ياباً كلان منه إلى أن بلغا المجمع كما قال تعالى (فلما بلغا مجمع  
بينهما) أي بين البحرين قال لفتاه إذ افتقدت الحوت فأخبرني وإنما واضطرب الحوت في المكمل  
وخرج وسقط في البحر فلما استيقظا (نسيما حوتهما) أي نسي يوشع حله عند الرحيل ونسي  
موسى عليه السلام تذكيره وقيل الناسي يوشع فقط وهو على حذف مضاف أي نسي أحدهما  
كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (فاتخذ) الحوت (سبيلاً في البحر) أي جعله يجعل الله  
(سرباً) أي مثل السرب وهو الشق الطويل لا تفضاذه وذلك أن الله تعالى أمسك عن الحوت  
جري الماء فاتجاب عنه فبقى كالكة لم يلتئم وجهه ما تحته وقد ورد في حديثه في الصحيح أن الله  
تعالى أحياء وأمسك عن موضع جريه في الماء فصارت أقاليلتئم وكان المجمع كان تمتد اقلن عليه  
السلام أن المطلوب امامه أو ظن المراد مجمع البحرين آخر افسارا (فلما جاوزا) ذلك المكان  
بالسريقية يومها ووليلتهما واستمرتا إلى وقت الغداء من ثاني يوم (قال) موسى عليه السلام  
(لقتاه آتنا) أي أحضر لنا (عداءنا) وهو ما يؤكل أول النهار لتقوى به على ما حصل لنا من  
الاعياء ولذلك وصل به قوله (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) أي تعباً ولم يجد موسى النصب حتى  
جاوزا المكان الذي أمره الله تعالى به فقوله هذا الإشارة إلى السفر الذي وقع بعد رجوعهم مما  
الموعدا وجمع البحرين ونصباً مفعول بـلقينا (قال) له قناه (أرأيت) أي مادها في  
وقرأ نافع بتسهيل الهمزة التي هي عين الكلمة ولورش وجه آخر وهو ابد الهاء حرف متد وأسقطها  
الكسائي والباقون بالتحقيق (إذا وينا إلى الصخرة) التي يجمع البحرين (فأني نسيت  
الحوت) أي نسيت أن أذكر لك أمره ثم علل عدم ذكره بقوله (وما أنسانيه إلا الشيطان)  
بوساؤه وقرأ حفص بضم الهاء وأمال الالف الكسائي تحضة وورش بين بين وبالفتح  
والباقون بالفتح وقوله (أن أذكره) للثقي محل نصب على البدل من هاء أنسانيه بدل اشتغال أي  
أنساني ذكره (واتخذ سبيلاً) أي طريقه الذي ذهب فيه (في البحر حبياً) وهو كونه كالسرب  
مجهزاً لموسى أو الخضر وذكره إلا أن مانع من أن يكون للشيطان عليه سلطان على أن هذا  
التسبان ليس مفعولاً بالطاعة بل فيه ترقية لهما في معراج المقامات العالية لوجدان التعب بعد

المكان الذي فيه البغية وحفظ الماء منجبا على طول الزمان وغير ذلك من الآيات الظاهرة  
 وقوله تعالى انما سلطاننا على الذين يتولونه مبين ان السلطان الحمل على المعاصي وقوله وما  
 أنسانيه الا الشيطان أن أذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقد كان في هذه القصة  
 خوارق منها حياة الطوت ومنها ايجاد ما كان أكل منه ومنها امساك الماء عن مدخله  
 وقد اتفق لنيبنا على الله عليه وسلم نفسه وأتباعه ببركته مثل ذلك أما إعادة ما أكل من الطوت  
 المشوى وهو جنبه فقد روى البيهقي في أو آخر دلائل النبوة عن اسامة بن زيد رضي الله تعالى  
 عنه انه صلى الله عليه وسلم أتى بشاة مشوية فقال لبعض أصحابه ناولني ذراعها وكن أحب  
 الشاة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدمها ثم قال ناولني ذراعها فناولني ذراعها  
 فقال يا رسول الله انما ذراعان وقد ناولتك فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو سكت  
 ما زلت تناولني ذراعها ما قلت لك ناولني ذراعها فقد أخبر صلى الله عليه وسلم انه لو سكت أو جدد الله  
 تعالى ذراعها ثم ذراعها وهكذا وأما حياة الطوت المشوى ففي قصة الشاة المشوية المسهومة ان  
 ذراعها أخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه مسموم فهذا أعظم من عود الحياة من غير نطق وكذا  
 حين الجذع وتسليم الحجر تسبيح الحصى ونحو ذلك أعظم من عود الحياة الى ما كان حيا وروى  
 البيهقي في الدلائل عن عمرو بن سواد قال قال الشافعي ما أعطى الله تعالى نبيا ما أعطى محمدا  
 صلى الله عليه وسلم قلت أعطى عيسى عليه السلام احياء الموتى فقال أعطى محمد صلى الله عليه  
 وسلم احياء الجذع الذي كان يخطب الى جنبه حين هي له المنبر وحق الجذع حتى سمع صوته فهذا  
 أكبر من ذلك انتهى وقد ورد أشياء كثيرة من احياء الموتى له صلى الله عليه وسلم ولبعض أمته  
 وروى عن أنس رضي الله تعالى عنه انه قال كفى الصفة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فأتته امرأة ومعها ابن لها فأضاف المرأة الى النساء وأضاف ابنها اليها فلما لم يلبث ان أصابه  
 وباء المدينة فرض أياما ثم قبض فغمضه النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بجهازه فلما أوردنا ان تغسله  
 قال انت أمته فأعلمها فجاءت حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما ثم قالت اللهم اني أسئلتك  
 تطورا وخلعت الاوثان زهدا وهاجرت اليك رغبة اللهم لا تشمت بي عبدة الاوثان ولا تحملي  
 من هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحملها قال فوالله ما انقضى كلام المرأة حتى حرك قدميه وألقى  
 الثوب عن وجهه وعاش حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم وحتى هلكت أمته  
 وأما آية الماء فارجعها الى صلاته ولا فرق بين جهوده بعدم الاتمام بعد الانخراق وبين جهوده  
 وصلاته بالامتناع من الانخراق وقد جهز عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه جيشا واستعمل  
 عليه العلاء بن الحضرمي فحصل لهم حر شديد ووجههم العطش قال بعض الجيش فلما مات  
 الشمس لغروبها صلى بنا ركعتين ثم مقبده وما ترى في السماء شيئا فوالله ما حظ يدته حتى بعث الله  
 تعالى ريحا وأنشأها بانما فرغت حتى ملأت القصور والشعاب فشرينا وسقينا واستقينا  
 ثم اتينا عدونا وقد جاوزنا خليجا في البحر الى جزيرة فوقف على الخليج وقال يا علي يا عظيم يا حلیم  
 يا كريم ثم قال أجزوا بسم الله فاجزنا ما ميل الماء حوافرنا فأسبنا العدو عليه فقتلنا وأسرننا

وسميناهم ائينا الخليج فقال مثل مقالته فاجزنا وما بل الماء حوا فرودوا بنا والاخبار في ذلك  
كثيرة \* ولما قال فتاه ذلك كانه قيل فما قال موسى عليه السلام حيث قد (قال) له (ذلك) أي  
الامر العظيم من فقد الحوت (ما كنا نبغ) أي زريد من هذا الامر المغيب عنا فان الله تعالى  
جعله وعدا في لقاء الخضر وقرأ نافع وأبو عمرو والكسائي بإثبات الياء وصلالا وقفوا وابن كثير  
يثبتها وصلالا وقفوا والباقون بالحذف (فارتدا على آثارهما) أي فرجعنا في الطريق الذي جا  
فيه يتصانها (قصصا) أي يتبعان اثرهما اتباعا ومقتضين حتى يأتيا الصخرة قال البقاعي يدل على  
ان الارض كانت رملا لا علم فيها فالظاهر والله أعلم انه جمع النيل والملح عند مياط أورشيد من  
بلاد مصر ويؤيده نقر العصفور في البحر الذي ركب في سفينه للتعدي كفا في الحديث فان الطير  
لا يشرب من الملح ومن المشهور في بلاد ريشيد ان الامر كان عندهم وان عندهم سمكا ذاهب  
الشيء يقولون انه من نسل تلك السمكة والله أعلم انتهى وتقدم عن قتادة أنه ملتحق ببحر فارس  
والروم وقال محمد بن كعب طنجة وقال أبي بن كعب افريقية وقيل البحران موسى والخضر  
لانهم ما كانا بحري علم قال ابن عادل وليس في اللفظ ما يدل على تعيين هذين البحرين فان صح في  
الخبر الصحيح شي فذالوا لاقالوا في السكوت عنه انتهى ثم استمر ايقصان حتى انتهى الى موضع  
فقد الحوت (فوجد اعبدا من عبادنا) مضافا الى حضرة عظيمنا قيل كان ملكا من الملائكة  
والصحيح الذي جاء في التواريخ وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه الخضر واسمه يليان  
ملك كان وكنيته أبو العباس قيل كان من بني اسرائيل وقيل من أبناء الملوك الذين تنزهوا  
وتركوا الدنيا والخضر لقب سمي بذلك لانه جلس على فروة يضا فاذا هي تهترجته خضراء والفروة  
قطعة نبات مجتمعة يابسة وقيل سمي خضرا لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله روى ان موسى  
عليه السلام رأى الخضر مسجيا موسى كما سلم عليه فقال الخضر وأني بأرضك السلام  
قال اناموسى آيتك تعلمي مما علمت رشد اوفي رواية لقيه مسجيا ثوب مستلقيا على قضاء بعض  
الثوب تحت رأسه وبعضه تحت رجله وفي رواية لقيه وهو يصلي ويروي لقيه وهو على طنفسة  
خضراء على كبد البحر وروى أن موسى عليه السلام لما وصل اليه قال السلام عليك  
فقال وعليك السلام يا بني اسرائيل فقال موسى ما عرفك هذا فقال الذي بعثك الي وكان  
الخضر في أيام افريدون وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقي الى أيام موسى وقيل  
ان موسى سأل ربه أي عبادك أحب اليك قال الذي يذكركني ولا ينساني قال فأى عبادك أقضى  
قال الذي يقضى بالحق ولا يتبع الهوى فقال فأى عبادك أعلم قال الذي يتتبع علم الناس الى علمه  
عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك أفضل مني فادلني  
عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على ساحل عند الصخرة قال كيف لي به قال تأخذ  
حوتاني مكلت بحيث فقدته فهو هناك (آتيناه) بعظمتنا (رجة من عندنا) أي وحيانا ونبوة  
وكونه نبيها وقول الجمهور وقيل انه ليس بنبي قال البغوي عند أكثر أهل العلم أي فعندهم  
انه ولي (وعلمنا من لدنا) أي عمالم يجر على قوائن العادات على أنه ليس مستغرب عند أهل

الاصطفاة (علما) قد قنناه في قلبه بغير واسطة وأهل التصوف سمو العلم بطريق المكاشفة العلم  
 اللدني فاذا سعى العبد في الرياضات بتزير الظاهر بالعبادات وتخلي النفس عن العلائق وعن  
 الاخلاق الرذيلة بتخليتها بالاخلاق الجميلة صارت القوى الحسية والخيالية ضعيفة فاذا ضعفت  
 قويت القوى العقلية واشرفت الانوار الالهية في جوهرة العقل وحصلت المعارف وكتبت  
 العلوم من غير واسطة سعى وطلب في التفكير والتأمل وهذا هو المسمى بالعلوم اللدنية ثم اورد سبحانه  
 وتعالى القصة على طريق الاستئناف على تقدير سؤال سائل عن كل كلام يرشد اليه ما قبله وذلك  
 انه من المعلوم ان الطالب للشخص اذا قيده كلمة لكن لا يعرف عين ذلك الكلام فقال لمن كانه سأل  
 عن ذلك (قال له موسى) طالبا منه على سبيل التأديب والتلطف باظهار ذلك في قالب الاستئذان  
 (هل أتبعك) أي اتباعا بلا غما حيث توجهت والاتباع الايمان بمثل فعل الغير بمجرد كونه  
 آتيا به وبين انه لا يطلب منه غير العلم بقوله (علي أن تعلمني) أثبت الياء نافع وأبو عمرو وصلالا وقفا  
 وابن كثير وصلاو وقفا والباقون بالحذف وزاد في التعطف بالاشارة الى أنه لا يطلب جميع  
 ما عنده ليطول عليه الزمان بل جوامع منه يسترشد بها الى باقيه فقال (مما علمت) وبناء للمفهوم  
 لعلم المتخاطبين لكونهم ممن المخلصين بأن الفاعل هو الله تعالى وللإشارة الى سهولة كل أمر الى  
 الله تعالى (رشدًا) أي علما يرشدني الى الصواب فيما أقصده وقرأ أبو عمرو وفتح الراء والشين  
 والباقون بضم الراء وسكون الشين \* ولما أتت موسى عليه السلام العبارة عن السؤال (قال) له  
 الخضر عليه السلام (انك) يا موسى (ان تستطيع معي صبرا) نفي عنه استطاعة الصبر معه  
 على وجوه من التأكيدها لاتصح ولاتستقيم وفتح الياء من معي صبرا في المواضع الثلاثة  
 هنا حفص وسكنها الباقون ثم علل عدم الصبر معه واعتذر عنه بقوله (وكيف تصبر) يا موسى  
 (على ما لم تحط به خبرا) أي وكيف تصبر على أمور وأنت نبي تظاهرها منا كبر والرجل الصالح  
 لا يتالك أن يصبر اذا رأى ذلك بل يبادر ويأخذ في الانكار وخبر ما صدق لم تحط به  
 أي لم تخبر حقيقته (قال) له موسى عليه السلام آتيا بنهاية التواضع لمن هو أعلم منه ارشادا لما  
 ينبغي في طلب العلم رجاء تسهيل الله تعالى له النفع به (ستجدني) فأكد الوعد بالسين ثم أخبر تعالى  
 انه قوى تأكيده بالتبرك بذكر الله تعالى لعلمه بصعوبة الأمر على الوجه الذي تقدم الحث عليه  
 في هذه السورة في قوله تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ليعلم أنه منهاج  
 الايمان فقال (ان شاء الله) أي الذي له صفات الكمال (صابرا) على ما يجوز الصبر عليه ثم زاد  
 التأكيده بقوله عطفًا بالواو على صابرا البيان التمكن في كل من الموضعين (ولا أعصى) أي  
 وغير عاص (لك أمرا) تأمرني به غير مخالف لظاهر أمر الله تعالى \* (تنبيه) \* ذات هذه الآية  
 الكريمة على ان موسى عليه السلام راعى أنواعا كثيرة من الادب والالطف عندما أراد أن يتعلم  
 من الخضر منها انه جعل نفسه تبعه بقوله هل أتبعك ومنها انه استأذن في اثبات هذه التبعية  
 كأنه قال هل تأذن لي أن أجعل نفسي تبعك وهذه مبالغة عظيمة في التواضع ومنها قوله  
 صلى الله عليه وسلم على أن تعلمني وهذا اقرار منه على نفسه بالجهل وعلى أسأذه بالعلم ومنها قوله



مما علمت وصيغة من التبويض وطلب منه تعليم بعض ما علم وهذا أيضا اقرار بالتواضع كانه  
 يقول لا اطلب منك أن تجعلني مساويا لك في العلم بل اطلب منك أن تعطيني جزأ من أجزاء  
 ما علمت ومنها ان قوله مما علمت اعتراف منه بان الله تعالى علمه ذلك العلم ومنها قوله رشدا  
 طلب منه الارشاد والهداية ومنها قوله ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا  
 ومنها انه ثبت بالاشعار ان الخضر عرف أولا أن موسى صاحب التوراة وهو الرجل الذي  
 كله الله من غير واسطة وخصه بالمجزات القاهرة الباهرة ثم انه عليه السلام مع هذه المناصب  
 الرفيعة والدرجات العالية الشريفة أتى بهذه الأنواع الكثيرة من التواضع وذلك يدل على  
 كونه عليه السلام آتيا في طلب العلم بأعظم أبواب المبالغة في التواضع وذلك يدل على أن هذا  
 هو اللائق به لان كل من كانت احاطته بالعلوم التي علم ما فيها من البهجة والسعادة أكثر كان  
 طلبه لها أشد فكان تعظيمه لارباب العلم أكمل وأرشد وكل ذلك يدل على أن الواجب على  
 المتعلم انظها والتواضع بكل الغايات وأما المعلم فان رأى ان في التغلظ على المتعلم ما يفيد نفعه  
 وارشاده الى الخير فالواجب عليه ذكره فان السكوت عنه بوقوع المتعلم في الغرور وذلك عينه من  
 التعلم وروى أن موسى عليه السلام لما قال هل أتبعك على أن تعلمي رشدا قال له الخضر  
 كني بالتوراة علما وبني اسرائيل شغلا فقال له موسى الله أمرني بهذا (قال) له الخضر (فان  
 اتبعني) أي صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن جعل الاختيار اليه الا أنه شرط عليه شرطا فقال  
 (فلا تستلني عن شيء) أقوله أو أفعله (حق أحدث لك) خاصة (منه ذكرا) أي حتى أبدأ بوجه  
 صوابه فاني لا أقدم على شيء الا وهو صواب جائز في نفس الامر وان كان ظاهره غير ذلك فقبل  
 موسى شرطه رعاية لادب المتعلم من العالم وما اشار طو ارضيا على الشرط تسبب عن ذلك  
 قوله تعالى (فانطلقا) أي موسى والخضر عليهما السلام على الساحل فانهما الى موضع احتاجا  
 فيه الى ركوب السفينة فازالا يطلبان سفينة يركبان فيها واستمرا (حتى اذاركا في السفينة)  
 التي صرت بهما وأجاب الشرط بقوله (خرقها) أي أخذ الخضر فأسانقرق السفينة بأن قلع  
 لوحا ولوحين من ألواحها من جهة البحر لما بلغت اللجة ولم يقترن خرق بالقضاء لانه لم يكن مسببا  
 عن الركوب ثم استأنف قوله (قال) أي موسى عليه السلام منكر ذلك لما في ظاهره من  
 الفساد باقلاف المال المقضى الى فساد أكبر منه باهلا لا النفوس ناسيا لما عقد على نفسه على  
 انه لو لم يسر لم يترك الانكار كما فعل عند قتل الغلام لان مثل ذلك غير داخل في الوعد لان المستثنى  
 شرعا كالمستثنى وضعا (أخرقتها) وبين عذره في الانكار لما في غاية الخرق من القضاة فقال  
 (لغرق أهلها) فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المقضى الى غرق أهلها وقر أحزرة والكسائي  
 بالراء التحتية مفتوحة وفتح الراء ورفع اللام من أهلها والباقون بالراء الفوقية مضمومة وكسر  
 الراء ونصب لام أهلها ثم قال له موسى والله (أقد جئت شيئا أمرا) أي عظيما منكرا (قال)  
 الخضر (ألم أقل انك) يا موسى (لن تستطيع معي صبرا) فذكره بما قال له عند الشرط (قال)  
 موسى (لا تأخذني) يا خضر (بما نسيت) أي غفلت عن التسليم لك وترك الانكار عليك قال ابن

عباس انه لم يفس ولكنه من معاريض الكلام أي وهي التورية بالشئ عن الشئ وفي المشل ان  
 في المعاريض لدوحه عن الكذب أي سعة فكانه نسي شيئا آخر وقيل معناه بما تركت من  
 عهدك والنسيان الترتك وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كانت الاولي من موسى  
 نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمدا (ولا ترهقني من أمرى عسرا) أي لا تكلفني مشقة يقال  
 أرهقه عسرا وأرهقته عسرا أي كلفته ذلك يقول لا تضيق علي أمرى ولا تعسر متابعتك علي  
 ويسرها علي بالأعضاء وترك المناقشة وعاملني باليسر ولا تعاملني بالعسر وعسرا مفعول ثان  
 لترهقني من أرهقه كذا اذا حله اياه وغشاه به وما في بما نسبت مصدريه أو بمعنى الذي والعائد  
 محذوف وروى أن الخضر لما حرق السفينة لم يدخلها الماء وروى أن موسى لما رأى ذلك أخذ  
 ثوبه فغشاه بالحرق وروى أن الخضر أخذ قدحا من زجاج وورقه به حرق السفينة (فان قيل)  
 قول موسى عليه السلام آخرته التفرق أهلها ان كان صادقا في هذا دل ذلك علي صدور ذنب  
 عظيم من الخضر ان كان نبيا وان كان كاذبا دل ذلك علي صدور الذنب من موسى وأيضا فقد التزم  
 موسى أن لا يعترض عليه وجرى العهود المذكورة بذلك ثم انه خالف تلك العهود وذلك ذنب  
 (أجيب) بأن كلامه ما صادق فيما قاله موف بحسب ما عنده أما موسى عليه السلام فإنه  
 ما خطر له قط أن يعاهد علي أن لا ينهبي بما يعتقد منكر أو ما الخضر فإنه عقد علي ما في نفس  
 الامر أنه لا يقدم علي منكر (فانطلقا) بعد نزولهما من السفينة وسلامتهما من الفرق  
 والعطب (حتى اذا القيما غلاما) قال ابن عباس لم يبلغ الخنث (فقتله) حين لقيه كما دات عليه  
 الفاء العاطفة علي الشرط قال البغوي في القصة انه ما خرجا من البحر عثميا فترا بغلمان يلعبون  
 فأخذ غلاما نظريا قاضيا الوجه فأضجعه ثم ذبحه بالسكين قال السدي كان أحدهم وجها  
 كان وجهه يتوقد حسنا قال البغوي وروينا أنه أخذ رأسه فاقتلعه بيده وروى عبد الرزاق  
 هذا الخبر وأشار بيده بأصابعه الثلاثة الابهام والسبابة والوسطى وقلع رأسه وروى أنه  
 رضع رأسه بالحجارة وقيل ضرب رأسه بالجدار فقتله وكونه لم يبلغ الخنث هو قول الاكثرين  
 وقال الحسن كان رجلا قال شعيب الخيماني وكان اسمه جيسور وقال الكلبي كان فتى يقطع  
 الطريق ويأخذ المئاع ويلتجئ الي أبيه وقال الضمالي كان غلاما يعمل بالفساد ويتأذى منه  
 أبواه وعن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع  
 كافرا ولو عاش لارهق أبويه طفيا نابوا وكفرا قال الرازي وليس في القرآن كيف لقياء هل كان  
 يلعب مع جمع من الغلمان أو كان منقردا وهل كان مسلما أو كافرا وهل كان بالغيا أو صغيرا وكان  
 اسم الغلام بالصغير أليق وان احتمل الكبير الا أن قوله بغير نفس أليق بالبالغ منه بالصبي لان  
 الصبي لا يقتل وان قتل قال البقاعي الا أن يكون شرعهم لا يشترط البلوغ وقال ابن عباس  
 ولم يكن نبي الله يقول أقتلت نفسا زكية بغير نفس الا وهو صبي قال الرازي أيضا وكيفية قتله  
 هل قتله بان حرزاسه أو بان ضرب رأسه بالجدار أو بطريق آخر فليس في القرآن ما يدل علي شئ  
 من هذه الاقسام انتهى ثم أجاب الشرط بقوله مشعرا بأن شروعه في الانتكار في هذه أسرع

(قال) موسى (أقتلت) يا خضر (تفساراً كية بغير نفس) قتلها ليكون قتلها لها قوداً وقرأ نافع  
 وابن كثير وأبو عمرو وبالف بعد الزاي وتخفيف الياء التحتية والباقون بغير ألف بعد الزاي وتشديد  
 التحتية قال الكسائي الزاكية والزكية لغتان ومعنى هذه الطهارة وقال أبو عمرو والزاكية  
 التي لم تذب والزاكية التي اذبت ثم ثابت ثم استأنف قوله (لقد) أظهر الدال نافع وابن كثير  
 وابن ذكوان وعاصم وأدغمها الباقون (جئت) في قتلك ياها (شياً) وصرح بالانكار في قوله  
 (نكراً) لأن مباشرة الخرق سبب وله - هذا قال بعضهم النكر أعظم من الامر في القبح لأن قتل  
 الغلام أعظم من خرق السفينة لأنه يمكن أن لا يحصل الفرق وأما هنا فقد حصل الاتلاف  
 قطعاً والنكر ما أنكرته العقول ونفرت منه النفوس فهو أبلغ في القبح من الامر وقيل الامر  
 أعظم لأن خرق السفينة يؤدي إلى اتلاف نفوس كثيرة وهذا القتل ليس الاتلاف مخصص  
 واحد وقرأ نافع وابن ذكوان وشعبة برفع الكاف والباقون بسكونها ولما كانت هذه ثانية  
 (قال) له الخضر (ألم أقل لك انك) يا موسى (ان تستطيع معي صبراً) وهذا عين ما ذكره في المسئلة  
 الاولى لأنه هنا زاد لفظ لك (فان قيل) لم زادا هنا (أجيب) بأنه زادا مكافئة بالعقاب  
 على رفض الوصية ووسما بقله الصبر والثبات لما تم كرمه الاشمزاز والاستكثار ولم يرعو  
 بالتذكير أول مرة قال ابن الاثير المكافئة المدافعة والمضاربة والاشمزاز من اشماز الرجل  
 أي انقبض قلبه قال البغوي وفي القصة ان يوشع كان يقول لموسى يا بني الله اذكر العهد الذي  
 أنت عليه (قال) موسى حياؤه لما أفاق بتذكيره ما حصل من فرط الوجد لامر الله تعالى  
 فذكر أنه ما تبعه الا بأمر الله تعالى (ان سألتك عن شي بعدها) أي بعد هذه المرة واعلم بشدة  
 ندمه على الانكار بقوله (فلا تصاحبني) أي لا تتركني أسعك بل فارقتي ثم علل ذلك بقوله (قد  
 بلغت) وأشار إلى أن ما وقع منه من الاخلال بالشرط من أعظم الخوارق التي اضطر اليها فقال  
 (من لدني) أي من قبلي (عذراً) باعتراض مرتين واحتمالك لي فيهما وقد أخبر الله بحسن حاله  
 في غزارة علمك فدحه بم هذه الطريقة من حيث انه احتمله مرتين أولاً وثانياً مع قرب المدة روى  
 عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله أخى موسى استجباً فقال ذلك ولولبت مع صاحبه  
 لا بصر أعجب الاعاجيب وعن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعة الله  
 علينا وعلى موسى وكان اذا ذكر أحد من الانبياء بدأ بنفسه لولا أن يجعل لرأى العجب ولكنه  
 أخذته من صاحبه ذمامة أي حياء واشفاق فقال ان سألتك إلى آخره وقرأ نافع بضم الدال  
 وتخفيف النون وقرأ شعبة كذلك لأنه يشم الدال فتصير ساكنة قريبة من الضم والباقون  
 بضم الدال وتشديد النون (فانطلقاً) أي موسى والخضر عشيان لينظر الخضر أمره في نفسه  
 ما عنده من علمه وورش يغلط اللام في لفظ انطلقاً على أصله بعد قتل الغلام (حتى اذا أتيا أهل  
 قريه) قال ابن عباس هي انطاكية وقال ابن سيرين هي الالية وهي أبعد أرض الله من السماء  
 وعبر عنها بالقريه دون المدينة لأنه أدل على الذم وقيل برقة وعن أبي هريرة بلدة بالاندلس  
 (استطعما أهلها) أي طلباً من أهل القريه أن يطعموهما وفي الحديث انهما كانا يشيمان على

بجائز أولئك القوم يستطعمانهم (فأبو أن يضيفوهما) أي أن ينزلوهما ويطعموهما يقال ضافه إذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض وضيفه وأضافه أنزله وجعله ضيفا (فان قيل) الاستطعام ليس من عادة الكرام وكيف قدم عليه موسى والخضر وقد حكى الله تعالى عن موسى أنه قال عند ورود ما مدين رب اني لما أنزلت الي من خير فقير (أجيب) بأن اقدام الخاتم على الاستطعام أمر مباح في كل الشرائع بل ربما وجب ذلك عند الخوف من الضرر الشديد (فان قيل) لم قال حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها ولم يقل استطعماهم (أجيب) بأن التكرير قد يكون للتأكيد كقول الشاعر

ليت الغراب غدا يبعث دأبا \* كان الغراب مقطوع الاوداج

وعن قتادة شرا القرى التي لا تضيف الضيف (فائدة) قال الرازي وفي كتب الحكايات ان أهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الآية استحيوا وجاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمل من الذهب وقالوا يا رسول الله جئناك بهذا الذهب لتجعل الباء تا حتى تصير القراءة هكذا فأبوا أن يضيفوهما أي أتيناهم لاجل الضيافة حتى يتدفع عنا هذا اللوم فامتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تغيير هذه النقطة يوجب دخول الكذب في كلام الله تعالى وذلك يوجب القدح في الالهية فعلنا أن تغيير النقطة الواحدة من القرآن يوجب بطلان الربوبية والعبودية \* ولما أبوا أن يضيفوهما انصرفوا (فوجد فيها) أي القرية ولم يقل فيهم ايذانا بأن المراد وصف القرية بسوء الطبع (جدارا) أي حائطها مثل مشرفا على السقوط ولذا قال مستعير المالم يعقل صفة من يفعل (يريد أن ينتقض) أي يسقط وهذا من مجاز كلام العرب لأن الجدار لا ارادة له وانما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول العرب داري تنظر الى دار فلان اذا كانت تقابلها فاستعير الارادة للمشاركة كما استعير لها الهم والعزم في قوله

يريد الرمح صدر أبي براء \* ويعدل عن دماء بني عقيل

وقول الآخر ان دهر ايلف صدرى يجمل \* لزمان بهم بالاحسان

ففي البيت الاقل دليل على استعارة الارادة للمشاركة وفي الثاني دليل على استعارة الهم لها وجعل اسم محبوبته يقول ان دهر ايجمع بيني وبينها زمان قصده الاحسان لا الاساءة وتظهر ذلك من القرآن قوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب وقوله تعالى ان يقول له كن فيكون وقوله تعالى فالتأينا طائعين قال الزمخشري ولقد بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله تعالى عن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر وقيل ان الله تعالى خلق للجدار حياة و ارادة كالحيوان (فأقام) أي سواه وفي حديث أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال الخضر بيده فأقامه وقال ابن عباس هدمه وقعد بينه وقال سعيد بن جبيرة سمع الجدار بيده فاستقام وذلك من مجازاته وقال السدي بل طينا وجعل بيني الحائط فشق ذلك على موسى عليه السلام (فان قيل) الضيافة من المنذوبات فتركها تر لمندوب وذلك غير منكر فكيف يجوز من موسى عليه السلام مع علو منصبه أنه غضب عليهم الغضب الشديد الذي لا جعله ترك العهد الذي التزمه في

قوله ان سألتك عن شيء بعد هافلا تصاحبي وأيضاً مثل الغضب لاجل ترك الاكل في ليلة واحدة لا يليق بأدون الناس فضلا عن كليم الله تعالى (أجيب) بأن تلك الحالة كانت حالة افتقار واضطرار الى الطعام فلاجل تلك الضرورة نسي موسى عليه السلام ما طاله فلاجرم (قال) موسى (لو شئت لا تخضت عليه أجرا) أي لطلبت على عملي أجره تصرفها في تحصيل المطعوم وتحصيل سائر المهمات وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وتخفيف التاء بعد اللام وكسر الخاء وأظهر ابن كثير الخال عند التاء على أصلها وأدغمها أبو عمرو والباقون بتشديد التاء مفتح الخاء وأظهر حفص الخال على أصله وأدغمها الباقون. ولما كان كلام موسى هذا متضمنا للسؤال (قال) له الخضر (هذا) أي هذا الانكار على ترك الاجر (فراق بيني وبينك) وقيل ان موسى عليه السلام لما شرط أنه ان سأله بعد ذلك هو الآخر حصل به الفراق حيث قال ان سألتك عن شيء بعد هافلا تصاحبي فلما ذكر هذا السؤال فارقه وهذا فراق بيني وبينك أي هذا الفراق المعهود والموعود (فان قيل) كيف ساع إضافة بين الى غير متعدد (أجيب) بأن متوع ذلك تكريه بالعطف بالوار الأتري أنك لو اقتضت على قولك المال بيني لم يكن كلاما حتى تقول بيننا وبين فلان ثم قال له الخضر (سأبتك) أي سأخبرك يا موسى قبل فراقك لك (تأويل) أي بتفسير (حالم تستطع عليه صبرا) لان هذه المسائل الثلاثة مشتركة في شيء واحد وهو أن أحكام الانبياء عليهم الصلاة والسلام مبنية على الظواهر كما قال صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظواهر والله يتولى السرائر والخضرا كانت أموره وأحكامه مبنية على ظواهر الامور بل كانت مبنية على الاسباب الخفية الواقعة في نفس الامر وذلك لان الظاهر في أموال الناس وفي أرواحهم أنه يحرم التصرف فيها والخضر تصرف في أموال الناس وفي أرواحهم في المسئلة الاولى وفي الثانية من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف لان الاقدام على خرق السفينة وقتل الانسان من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف محرم والاقدام على اقامة ذلك الجدار المائل في المسئلة الثالثة تجعل للذهب والثقة من غير سبب ظاهر ثم أخذ الخضر في تأويل ذلك مبتدئا بالمسئلة الاولى بقوله (أما السفينة) أي التي أحسن الينا أهلها فخرقتها (فكانت لمساكين) عشرة اخوة خمسة زمني وخمسة (يعملون في البحر) أي يؤجرون ويكسبون واحتج الشافعي رضي الله عنه به هذه الآية على أن حال الفقير أشد في الحاجة والضرر من حال المسكين لان الله تعالى ما هم مساكين مع أنهم كانوا يعملون تلك السفينة (فأردت أن أعينها) أي ان أجعلها ذات عيب بأن تقوت منفعتها بذلك ساعة من نهار وتكف أهلها لوجها أو لوجين بسدونها بذلك أخف عليهم من أن تقوتهم منفعتها بالكيفية كما يعلم من قوله (وكان وراءهم) أي أمامهم كقوله تعالى ومن وراءهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم في ربوعهم عليه (ملك) كان كافرا واسمه الجلندي وقال محمد ابن ابي اسحق اسمه سولة بن خليل (٣) الازدى وقيل اسمه هدد بن بدر (ياخذ كل سفينة) أي صالحة ويحذف التقييد بالنظر اليه (حسبا) من أصحابها ولم يكن عند أصحابها علم به فاذا مرت به تركها لغيرها فاذا جاوزته لم يسلطوا عليها فالتصوابها قبل سدوها بقاورة وقيل بالقاد (فان قيل) قوله

(٣) قوله سولة بن خليل الخ هكذا في النسخ والذي في السضاوي مشورا بن جلندي الازدى فليقرراه

فأردت أن أعيها بسبب عن خوف الغضب عليا فكان حقه أن يتأخر عن السبب فلم يقدم عليه  
(أجيب) بأن النية به التأخير وانما قدم للعناية ولأن خوف الغضب ليس هو السبب وحده  
ولكن مع كونها للمساكين فلما كان كل من الغضب والمسكنة سبب الغضب فقدمها على الغضب  
إشارة إلى أن أقوى السببين الحاملين على فعله الرأفة بالمساكين \* ثم شرع في تأويل المسئلة الثانية  
بقوله (وأما الغلام) الذي قتلته (فكان أبواه مؤمنين) التثنية للتغليب يريد أباه وأمه فغلب  
المذكور وهو شائع ومنه العمران قيل أن ذلك الغلام كان بالغاً وكان يقطع الطريق ويقدم  
على الأفعال المنكرة وكان أبواه يحتاجان إلى دفع شر الناس عنه والتعصب له وتكذيب من  
يرميه بشئ من المنكرات وكان يصير سبباً لوقوعهما في الفسق وربما فاد ذلك الفسق إلى الكفر  
وقيل أنه كان صيلاً إلا أنه علم منه أنه لو صار بالغاً حصلت فيه هذه المفاصد وفي الحديث أنه طبع  
كافراً ولو عاش لأرهنهما ذلك كما قال (نخسنا) أي خفنا والخشية خوف يشوبه تعظيم (أن  
يرهنهما) أي يفيهما ويلحقهما (طغيانا وكفرا) أي لمحبتهما له يتبعانه في ذلك (فان قيل) هل  
يجوز الأقدام على قتل الإنسان بمثل ذلك (أجيب) بأنه إذا تآكد ذلك بوحى من الله تعالى جاز  
وعن ابن عباس أن فجة الحروري كتب إليه كيف قتلته أي كيف قتل الخضر الغلام وقد  
نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكذب إليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم  
موسى فلك أن تقتل رواه بعناه مسلم \* ولما ذكر ما يلزم على تقدير بقاءه من الفساد بسبب عنه قوله  
(فأردنا) أي بقتله وراحتهما من شره (أن يبدلها ربهما) أي المحسن إليهما باعطائه وأخذه  
قال مطرف فرح به أبواه حين ولدوا وحرنا عليه حين قتل ولويق كان فيه هلاكهما فليرض كل  
امرء بقضاء الله تعالى فان قضاء الله تعالى للمؤمن فيما يكره خيره من قضاءه فيما يحب ولهذا  
أبدلها الله تعالى (خيرامته زكاة) أي طهارة وبركة من الذنوب والاخلاق الرديئة وصلاحا  
وتقوى (وأقرب رحماً) أي رحمة وعطفاً عليهما وقيل هو من الرحم والقرباة قال قتادة أي  
أوصل للرحم وأبر للوالدين قال الكلبي أبدلهما الله تعالى جارية فتزوجها نبي من الأنبياء  
فولدت له نبياً فهدى الله تعالى على يديه أمة من الأمم وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال أبدلهما الله  
تعالى جارية ولدت سبعين نبياً وقال ابن جريج أبدلهما بغلام مسلم وقرأ نافع وأبو عمرو أن يبدلها  
بفتح الباء الموحدة وتشديد الدال والباقون بسكون الموحدة وتخفيف الدال وقرأ ابن عاصم  
رحماً برفع الحاء والباقون بالسكون \* ثم شرع في تأويل المسئلة الثالثة بقوله (وأما الجدار)  
أي الذي أشرت بأخذ الجرع عليه (فكان لغلامين) ودل على كونهما دون البلوغ بقوله  
(يتيمين) وكان اسم أحدهما أصرم والآخر ضرباً \* ولما كانت القرية لا تنافي التسمية  
بالمدينة وكان التعبير بالقرية أولاً ليق عبر بها لأنها مشتقة من معنى الجمع فكان أليق بالذم في  
ترك الضيافة ولما كانت المدينة بمعنى محل الإقامة عبر بها فقال (في المدينة) فكان التعبير بها  
أليق للإشارة به إلى أن الناس يعملون فيها فيندم الجدار وهم مقيمون فيها أخذون الكثر كما قال  
(وكانت قصته كقولهما) فلذلك أقره احتساباً واختلف في ذلك الكثر فمن أبي البرداء أن

النبي صلى الله عليه وسلم قال كان ذهباً وفضة رواء البخاري في تاريخه والترمذي والحاكم  
 وصححه والزم على كثرهما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤتى زكاتها  
 وما يتعلق بهما من الحقوق وعن سعيد بن جبيرة قال كان الكنز محققاً فيها علم رواء الحاكم وصححه  
 وعن ابن عباس قال كان لوطاً من ذهب مكتوباً فيه عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجباً  
 لمن أيقن بالقدر كيف يغضب عجباً لمن أيقن بالرزق كيف يتعب عجباً لمن يؤمن بالحساب كيف  
 يغفل عجباً لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأدائها كيف يطمئن إليها لاله الا الله محمد رسول الله  
 وفي الجانب الآخر مكتوب أنا الله لا اله الا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى  
 لمن خلقته للخير وأجرته على يديه والويل لكل الويل لمن خلقته للشر وأجرته على يديه  
 قال البغوي وهذا قول أكثر أهل التفسير وروى أيضاً ذلك مرفوعاً قال الزجاج الكنز اذا  
 أطلق ينصرف الى كنز المال ويجوز عند التقييد أن يقال عنه كنز علم وهذا اللوح كان جاءه  
 لهما وقوله (وكان أبوهما صالحاً) فيه تبيه على أن سعيه في ذلك كان لصلاحه في راعي  
 ذريته وكان سياحاً واسمه كاسم قال ابن عباس حفظاً للصالح أيهما وقيل كان بينهما وبين  
 الأب الصالح سبعة أبناء قال محمد بن المنكدر ان الله تعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده  
 وعشيرته وأهل دورات حوله خير اللون في حفظ الله مادام فيهم قال سعيد بن المسيب اني أصلي  
 فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي وعن الحسن أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ  
 الله الغلامين فان بصالح أيم - ما قال فأبي وجدى خير منه قال قد أنبأنا الله أنكم قوم خصمون  
 وذكروا أيضاً أن ذلك الأب الصالح كان من الذين تضع الناس الودائع عنده فيردها اليهم (فأراد  
 ربك أن يبلغنا أي الغلامان) (أشد هما) أي الحلم وكال الرأي (ويستخرجاً كثرهما) لينتفعابه  
 وينتفعوا الصالحين \* (تبيه) \* أسند الإرادة في قوله فأردت أن أعيها الى نفسه لانه المباشر  
 للتعييب وثاني في قوله فأردنا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وإيجاد الله تعالى  
 بدله وثالث في قوله فأراد ربك الى الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين أو لان الأول في  
 نفسه شر والثالث خير والثاني ممتزج أو لانه لما ذكر العيب أضافه الى ارادة نفسه ولما ذكر  
 القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تبيهها على أنه من العظماء في علوم الحكمة فلم يقدم على هذا  
 القتل الا الحكمة عالية ولما ذكر رعاية مصالح اليتيمين لاجل صلاح أيهما أضافه الى الله تعالى  
 لان التكفل بصلاح الابناء رعاية حق الآباء ليس الا الله تعالى أو لاختلاف حال العارفين في  
 الالتفات الى الوسائط (فان قيل) اليتيمان هل أحدهم ما عرف حصول ذلك الكنز تحت ذلك  
 الجدار أم لا فان كان الأول امتنع أن يتركوا سقوط ذلك الجدار وان كان الثاني فكيف يمكنهم  
 بعد البلوغ استخراج ذلك الكنز ومعرفة والاتقاع به (وأجيب) لعلهما كانا جاهلين به الآن  
 وصيها كان عالماً به ثم ان ذلك الوصي غاب وأشرف ذلك الجدار في غيبته على السقوط ولما  
 قررا نضر هذه الجوابات قال (رجة من ربك) أي انما فعلت هذه الافعال لغرض أن تظهر رجة  
 الله لانها باسرها ترجع الى حرف واحد وهو تحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى كما تقرّر

(وما فعلته) أي شيأ من ذلك (عن أمرى) أي عن اجتهادى ورأى بل بأمر من له الأمر وهو الله تعالى \* (تنبيه) \* احتج من ادعى نبوة الخضر بأمر وأحدها قوله تعالى آتينا رحمة من عندنا والرحمة هي النبوة قال تعالى وما كتب ترجوا أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك والمراد من هذه الرحمة النبوة قال الرازى ولقائل أن يقول مسلم ان النبوة رحمة ولكن لا يلزم أن تكون كل رحمة نبوة الثاني قوله تعالى وعلما من لدنا علما وهذا يقتضى أن الله تعالى علمه بلا واسطة تعليم معلم ولا ارشاد مرشد وكل من علمه الله تعالى بلا واسطة البشر ويجب أن يكون نبيا يعلم الامور بالوحي من الله تعالى قال الرازى وهذا الاستدلال ضعيف لان العلوم الضرورية تحصل ابتداء من الله وذلك لا يدل على النبوة الثالث أن موسى عليه السلام قال هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت والنبي لا يتبع غيري في التعلم قال الرازى وهذا أيضا ضعيف لان النبي لا يتبع غيري في العلوم التي باعتبارها صانعيها ما غير تلك العلوم فلا الرابع أنه أظهر على موسى الترفع حيث قال وكيف تصبر على ما لم تحط به خيرا وأما موسى فإنه أظهر له التواضع حيث قال ولأعصى لك أمرا وهذا يدل على أنه كان فوق موسى ومن لا يكون نبيا لا يكون فوق نبي قال الرازى وهذا أيضا ضعيف لانه يجوز أن يكون غير النبي فوق النبي في علوم لا تتوقف نبوته عليها الخامس قوله وما فعلته عن أمرى وفي المعنى أني فعلته بوحي من الله وهذا يدل على النبوة قال الرازى وهذا أيضا ضعيف ظاهر الحجة السادس ما روى أن موسى عليه السلام لما وصل اليه قال السلام عليك قال وعليك السلام يا بني بنى اسرائيل فقال موسى من عرفك هذا قال الذي بعثك الى وهذا يدل على أنه انما عرف ذلك بالوحي والوحي لا يكون الا مع النبوة قال الرازى ولقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون ذلك من باب الكرامات والالهامات انتهى وبالجملة فالجمهور على أنه نبي كما مر واختلفوا هل هو حي أو ميت فقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم قال البغوي وكان سبب حياته فيما يحكى أنه شرب من عين الحياة وذلك أن ذا القرنين دخل الطلبة لطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمة فوقع الخضر على العين فنزل فاعتسل وشرب وشكر الله تعالى وأخطأ ذا القرنين الطريق وذهب آخرون الى أنه ميت لقوله تعالى وما جعلنا البشر من قبلك الخلد وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العشاء ليلة أرايتكم ليلتكم هذه فان رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض أحد ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيب بعده \* ولما بين لموسى سر تلك القضايا قال له (ذلك) أي هذا التأويل العظيم (تأويل ما لم تسطع) يا موسى (عليه صبرا) وحذف تاء الاستطاعة هنا تخفيفا فان استطاع واستطاع بمعنى واحد \* (تنبيه) \* من فوائد هذه القصة أن لا يجب المرء بعمله ولا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه فلهل فيه سر الا يعرفه وأن يداوم على التعلم ويتذلل للعلماء ويراعى الاحب في المقال وأن ينبه المجرم على جرمه ويعضو عنه حين يتحقق اصراره ثم يهاجره روى أن موسى لما أراد أن يفارق الخضر قال له أرسنى قال لا تطلب العلم لتحديثه واطلبه للعمل به \* ولما فرغ من هذه القصة التي حاصلها أنها طواف في الارض لطلب العلم



عقبها بقصة من طاف الارض لطلب الجهاد وقدم الاول اشارة الى علو درجة العلم لانه أساس كل سعادة وقوام كل امرئ فقال عاطفا على ويجادل الذين كفروا بالباطل (ويستلونك) أي اليهود وقيل مشركو مكة يا أشرف الخلق (عن ذي القرنين) وذكروا في سبب تسميته بذلك وجوها الاول قال أبو الطفيل سئل على رضى الله عنه عن ذي القرنين أكان نبيا أم ملكا قال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا صالحا أمر قومه بتقوى الله تعالى فضربوه على قرنه الايمن فمات ثم بعثه الله تعالى فأمرهم بتقوى الله تعالى فضربوه على قرنه الايسر فمات ثم بعثه الله تعالى فسمى ذا القرنين فيكم مثله يعنى نفسه الثاني أنه انقرض في وقته قرنان من الناس الثالث أنه كان صفحتا رأسه من نحاس الرابع كان على رأسه ما يشبه القرنين الخامس كان لتاجه قرنان السادس أنه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها السابع كان له قرنان أي ضربتان الثامن ان الله تعالى سخر له النور والظلمة فاذا سرى يهدى النور من أمامه وتمتد الظلمة من ورائه التاسع أنه لقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع ككباشه ينطح أقرانه العاشر أنه رأى في المنام كأنه صعد الفلك وتعلق بطرفي الشمس وقرنيها أي جانبيها فسمى بذلك لهذا السبب الحادي عشر أنه كان له قرنان تواريهما العمامة الثاني عشر أنه دخل النور والظلمة وذكروا في اسمه أيضا وجوها الاول اسمه مرزبان اليوناني من ولد يونان بن باقت ابن نوح الثاني اسمه اسكندر بن فيلقوس الرومي اشتهر في كتب التواريخ أنه بلغ ملكه أقصى المشرق والمغرب وأمعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر وبني الاسكندرية وسماها باسم نفسه الثالث شهر بن عمر بن افرقيس الحيرى وهو الذي بلغ ملكه مشارق الارض ومغاربها واقتضبه أحد الشعراء من حير حيث قال

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما \* ملكا علا في الارض غير مضند

بلغ المشارق والمغارب يمتحنى \* أسباب ملك من كريم سيد

واختلفوا في نبوته مع الاتفاق على ايمانه فقال بعضهم كان نبيا واحتجوا على ذلك بوجوده الاول قوله تعالى انما كآله في الارض وحمل على التمكين في الدنيا والتمكين الكامل في الدين هو النبوة الثاني قوله تعالى وآتيناهم من كل شئ سبيبا وهذا يدل على أنه تعالى آتاهم من النبوة سبيبا الثالث قوله تعالى يا ذا القرنين اما أن تعذب الخ والذي يتكلم الله معه لا بد أن يكون نبيا ومنهم من قال انه كان عبدا صالحا ملكه الله تعالى الارض وأعطاه الله سبحانه وتعالى الملك والحكمة وألبسه الهيبة وقد قالوا ملك الارض مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران عمروذو بختنصر ومنهم من قال انه كان ملكا من الملائكة عن عمر رضى الله تعالى عنه انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا أما رضيتم أن تتسوا بأسماء الانبياء حتى تسميتهم بأسماء الملائكة والاكثر على القول الثاني ويدل له قول على رضى الله تعالى عنه المتقدم \* (تبيينه) \* قد قدمنا ان اليهود امروا المشركين أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة أصحاب الكهف وعن قصة ذي القرنين وعن الروح والمراد من قوله تعالى ويسألونك عن ذي القرنين

هو ذلك السؤال ثم قال الله تعالى (قل) أي هؤلاء المعتنين (سأتلو) أي أقص قصصنا بما في مستقبل الزمان أعلمني الله تعالى به (عليكم) أي أيها البعداء والضمير في قوله تعالى (منه) لذات القرنين وقبل الله تعالى (ذكرا) أي خيرا كما في الكرم في تعريف أمره جامعاً لمجامع ذكره (أنا مكاله في الأرض) أي مكاله أمره من التصرف فيها مكنة يصل بها إلى جميع مسالكها ويظهر بها على سائر ملوكها (وآتيناه) بعظمتنا (من كل شيء) يحتاج إليه في ذلك (سبباً) أي وصلة توصله إليه من العلم والقدرة والآلة (فأتبع سبباً) أي سلك طريقاً نحو المغرب قال البقاعي ولعله بدأ به لأن باب التوبة فيه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو أتبع في المواضع الثلاثة بتشديد التاء الفوقية ووصل الهمزة قبل الفوقية والباقون بقطع الهمزة وسكون التاء الفوقية واستمر متبعاله (حتى إذا بلغ) في ذلك السير (مغرب الشمس) أي موضع غروبها (وجدها تغرب في عين حنة) أي ذات حاة وهي الطين الأسود أي بلغ موضعاً في الغرب لم يبق بعده شيء من العمران ووجد الشمس كأنها تغرب في وهدة مظلمة وغروبها في رأي العين كما أتت راكب البحر يرى الشمس كأنها تغرب في البحر إذا لم ير الشط وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر والافهسي أكبر من الأرض مرات كثيرة فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض قال البيضاوي ولعله بلغ ساحل المحيط فرأى ذلك إذ لم يكن في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقرأ شعبة وجزء والكسائي وابن عامر بألف بعد الحاء وياء مفتوحة بعد الميم عن أبي ذر قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل فرأى الشمس حين غابت فقال أتدرى يا أبا ذر أين تغرب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال فأنها تغرب في عين حنة وقرأ الباقر بن غير ألف بعد الحاء وبعد الميم همزة مفتوحة واتفق أن ابن عباس كان عندما وية فقرأ معاوية حامياً فقال ابن عباس حنة فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرأ قال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه إلى كعب الأحبار وسأله كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطن كذلك تجد في التوراة (ووجد عندها) أي عند تلك العين على الساحل المتصل بها (قوما) أي أمة قال ابن جرير مدينتها اثنا عشر ألف باب ولا يخرج أهلها السمعت وجبة الشمس حين يحجب أي تغرب قبل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما يافظه البحر كانوا كفاراً خيره الله تعالى بين أن يعذبهم أو يدعوهم إلى الإيمان كما حكى ذلك بقوله تعالى (قلنا يا ذا القرنين) أما بواسطة الملك أن كان نبياً أو بواسطة نبي زمانه أن لم يكن أو باجتهاد في شريعته (أما أن تعذب) بالقتل على كفرهم (وأما أن تتخذ) أي بغاية جهدهم (فيهم حسناً) بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره بين القتل والأسر وسماه حسناً في مقابلة القتل ويؤيد الأول قوله (قال أما من ظلم) باستمراره على الكفر فأنارت فرق به حتى نياس منه ثم نقله إلى ذلك أشار بقوله (فسوف تعذبه) بوعد لا خلف فيه بعد طول الدعاء والترفق وقال قتادة كان يطبخ من كفر في القدر وهو العذاب المنكر (ثم يرد إلى ربه) في الآخرة (فيعذبه عذاباً نكراً) أي شديد اجتهاد في النار وتقدم في نكر اسكون الكاف وضمها (وأما من آمن وعمل صالحاً) تصديقاً لما أخبر به من تصديقه

(فله) في الدارين (جزء الحسنى) أى الجنة وقرأ حفص وحزرة والكسائي بفتح الهمزة بعد  
 الزاى منونة وتكسر في الوصل لالتقاء الساكنين قال القراء نصبه على التفسير أى بلجهة  
 النسبة وقيل منصوب على الحال أى فله المثوبة الحسنى مجزئياً وبالباقون بضم الهمزة من غير  
 تنوين فالإضافة للبيان قال المفسرون والمعنى على قراءة النصب فله الحسنى جزاء كما تقول له  
 هذا الثوب هبة وعلى قراءة الرفع وجهان الأول فله جزاء الفعل الحسنى والفعله الحسنى هى  
 الايمان والعمل الصالح والثانى فله جزاء المثوبة الحسنى وإضافة الموصوف الى الصفة مشهورة  
 كقوله ولدا را الآخرة وأمال ألف الحسنى حزة والكسائي محضة وأبو عمرو بين بين وورش  
 بالفتح والامالة بين بين (وسنقول) بوعدا خلف فيه بعد اختياره بالاعمال الصالحة (له) أى  
 لاجله (من أمرنا) أى ماناً أمره به (يسرا) أى قولاً غير شاق من الصلاة والزكاة والخراج  
 والجهاد وغيرها وهو ما يطيقه ولا يشق عليه مشقة كثيرة (ثم أتبع) لارادة طلوع مشرق  
 الشمس (سبياً) من جهة الجنوب يوصله الى المشرق واستتر فيه لاييل ولا تغلبه أمة متر عليها  
 (حتى إذا بلغ) فى مسيره ذلك (مطلع الشمس) أى الموضع الذى تطلع عليه أولاً من المعمور من  
 الارض (وجدها تطلع على قوم) قال الجلال المحلى هم الزنج وقوله تعالى (لم نجعل لهم من دونها)  
 أى الشمس (سترا) فيه قولان الأول انه لاشئ لهم من سقف ولا جبل يمنع من وقوع شعاع  
 الشمس عليهم لان أرضهم لا تحمل بنينا قال الرازى ولهم سروب يغيبون فيها عند طلوع الشمس  
 ويظهرون عند غروبها فيكونون عند طلوع الشمس يتعذر عليهم التصرف فى المعاش وعند  
 غروبها يشتغلون بحصيل مهمات المعاش وأحوالهم بالضد من أحوال سائر الخلق وقال قتادة  
 يكونون فى أسراب لهم حتى اذا زالت الشمس عنهم خرجوا فرعوا كالبهائم والثانى ان معناه  
 لاثياب لهم ويكونون كسائر الحيوانات عراة أبداً وفى كتب الهيئة ان أكثر حال الزنج كذلك  
 وحال كل من سكن البلاد القريية من خط الاستواء كذلك قال الكلبي هم عراة يقرش  
 أحدهم احدى أذنيه ويلتصق بالآخرى وقال الزمخشري وعن بعضهم قال خرجت حتى جاؤت  
 الصين فسألت عن هؤلاء القوم ف قيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم واذا أحدهم يقرش  
 احدى أذنيه ويلبس الأخرى فلما قرب طلوع الشمس سمعت صوتاً كهيئة الصلصلة فغشى على  
 ثم أفقت فلما طلعت الشمس فاذا هى فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلوني سرباً لهم فلما ارتفع  
 النهار جعلوا يصطادون السمك ويطرحونه فى الشمس فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس  
 الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الارض وقوله تعالى (كذلك)  
 فيه وجوه الأول ان معناه كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها الثانى ان أمره كما  
 وصفناه من رفعة المكان وبسطة الملك قال البغوى والصحيح ان معناه كما حكم فى القوم الذين هم  
 عند غروب الشمس كذلك فى القوم الذين هم عند مطلعها (وقد أحطنا بما لديه) أى عند ذى  
 القرنين من الآلات والجنود وغيرهما (خبراً) أى علماتعلق بطواهره وخفاياه والمعنى ان كثرة  
 ذلك بلغت مبلغاً لا يحيط به العلم اللطيف الخبير (ثم) ان ذا القرنين لما بلغ المغرب والمشرق

(أصبح سبياً) آخر من جهة الشمال في ازارنة ناحية السد مخرج بأجوج وه أجوج واستقر  
أخذافيه (حتى إذا بلغ) في مسيره ذلك (بين السدين) أي بين الجبلين وهما جبلا أرمينية  
وأذربيجان وقيل جبلان في أواخر الشمال وقيل هذا المكان في منقطع بلاد الترك من ورائهما  
يأجوج ومأجوج قال الرازي والظاهر أن موضع السد في ناحية الشمال سد الاسكندر  
ما بينهما كما سيأتي وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ووحفص بفتح السين والباقون بضمها وهما الغتان  
معناها واحد وقال عكرمة ما كان من صنع بني آدم فهو السد بالفتح وما كان من صنع الله فهو  
بالضم وقاله أبو عمرو وقيل بالعكس (وجد من دونهما) أي بقربهما من الجانب الذي هو أدنى  
منهما إلى الجهة التي أتى منها ذو القرنين (قوماً) أي أمة من الناس لغتهم في غاية البعد من  
لغات بقية الناس لبعد بلادهم عن بقية البلاد فهم كذلك (لا يكادون) أي لا يقربون  
(يفقهون) أي يفهمون (قولا) ممن مع ذي القرنين فهما جيداً كما يفهم غيرهم لغرابه لغتهم  
وقله فظنتهم وقرأ حمزة والكسائي بضم الياء وكسر القاف والباقون بفتحهما وقال ابن عباس  
لا يفقهون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم واستشكل بقولهم (قالوا إذا ذا القرنين)  
وأجيب بأنه تكلم عنهم مترجم عن هومجاورهم وبنهم كلامهم (ان يأجوج ومأجوج) وهما  
اسمان أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا وقرأ أعاصم بهمزة ساكنة بعد الياء والميم والباقون  
بالالف فيهما وهما الغتان أصلهما من أجيح النار وهو ضوءها وشررها شبهوا به لكثرة  
وشدة نيرانهم وهم من أولاد نوح عليه السلام قال الضحاك هم جبل من الترك قال  
السدى الترك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة  
فجميع الترك منهم وعن قتادة انهم اثنان وعشرون قبيلة بنى ذو القرنين السد على  
احدى وعشرين قبيلة وبقيت قبيلة واحدة فهم الترك سموا الترك لانهم تركوا خارجين  
قال أهل التواريخ أولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافت فسام أبو العرب  
والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ويافت أبو الترك والخزر والصقالبة  
ويأجوج ومأجوج وقال ابن عباس في رواية عطاءهم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم  
جزء وروى عن حذيفة مرفوعاً ان يأجوج أمة ومأجوج أمة وكل أمة أربع مائة ألف  
أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم  
من ولد آدم يسرون في خراب الارض وقالهم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الارض  
شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم طوله وعرضه سواء عشرون  
ومائة وهؤلاء لا تقوم لهم الجبال ولا الحديد وصنف منهم يفرس احدى أذنيه ويلتحف  
بالانحرى لا يبرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام  
وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية ومنهم ان ثبت لهم محالب في  
أظفارهم وأضراسهم كأضراس السباع وعن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال منهم من طوله  
شبر ومنهم من هو مفرط في الطول وقال كعب هم نادوة في ولد آدم وذلك أن آدم احتلم ذات

يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم يتصلون بناس من  
جهة الابدون الامة وذكر وهب بن منبه أن ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ  
كان عبدا صالحا قال الله تعالى اني باعثك الى امة مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما طول  
الارض احدها ما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والآخرى عند مطلعها يقال لها منسك  
وأمتان بينهما عرض الارض احدهما في القطر الايمن يقال لها هاويل والآخرى في قطر  
الارض الايسر يقال لها ناويل وأم في وسط الارض منهم الجن والانس ويأجوج ومأجوج  
فقال ذو القرنين بأى قوة أكثرهم وبأى لسان أناطقهم قال الله تعالى اني سأطوقك وأبسط  
لك لسانك وأشد عضدك فلا يهولنك شيء وألنك الهبة فلا يروعنك شيء وأسخر لك النور والظلمة  
وأجعلهما من جنودك يمد يدك النور من أمامك وتحفظك الظلمة من ورائك فانطلق حتى أتى  
مغرب الشمس فوجد جمعاً وعدداً لا يحصيه الا الله تعالى فكأثرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان  
واحد فدعاهم الى الله تعالى والى عبادته فمنهم من آمن ومنهم من كفر ومنهم من صد عنه فعمد  
الى الذين تولوا عنه وأدخل عليهم الظلمة فدخلت أجوافهم وبيوتهم فدخلوا في دعوته فخدم من  
أهل المغرب جنوداً عظيماً فانطلق يقودهم بالظلمة تسوقهم حتى أتى هاويل فعمل فيهم كعمله  
في ناسك ثم مضى حتى انتهى الى منسك عند مطلع الشمس فعمل فيها وخدم منها جنوداً كفعله  
في الامتين ثم أخذ بساحبة الارض اليسرى فأتى ناويل فعمل فيها كعمله فيما قبلها ثم عمداً الى  
الامة التي وسط الارض فلما كان مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحه من  
الانس يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقاً أشباه البهائم أى وهم يأجوج ومأجوج  
(مفسدون في الارض) يفترسون الدواب والوحوش والسباع ويأكلون الحيات والعقارب  
وكل ذى روح خلقه الله في الارض وليس يزداد خلق كزيادتهم فلا يشك أنهم سيملكون  
الارض ويظهرون عليها ويفسدون فيها وقال الكلبى فسادهم انهم كانوا يخرجون أيام الربيع  
الى أرضهم فلا يدعون فيها شيئاً أخضر الا كلوه ولا يابسا الا احتملوه وأدخلوه أرضهم وقد  
بالقوا ولقوا منهم أذى شديداً وقتلوا وقيل فسادهم انهم كانوا يأكلون الناس وقيل معناه انهم  
سيفسدون في الارض بعد خروجهم (فهل يجعل لك خراجاً) أى جعل من المال وقرأ حمزة  
والكسائي بفتح الراء وألف بعدها والباقون بسكون الراء ولا ألف بعدها فقل هما جمعنى وقيل  
الخروج ما تبرعت به والخراج ما لزمك (على أن يجعل) فى جميع ما (بيننا وبينهم) من الارض  
التي يمكن توصلهم اليها منها بما آتاك الله من المكنة (سداً) أى حاجر بين هذين الجبلين فلا  
يصلون اليها وقرأ نافع وابن عامر وشعبة برفع السين والباقون بالنصب (قال) لهم ذو القرنين  
(ما مكنى فيه ربى) أى المحسن الى مما تزونه من الاموال والرجال والتوصل الى جميع الممكن  
لنخلوق (خير) من خراجكم الذي تريدون بذله كما قال سليمان عليه السلام فما آتاني الله خير  
مما آتاكم وقرأ ابن كثير بنون مفتوحة بعد الكاف وبعدها نون مكسورة والباقون بنون  
واحدة مكسورة مشددة (فأصنوني بقوة) أى انى لا أريد المال بل أعينوني بأيديكم وقوتكم

وبالآلات التي أتقوى بها في فعل ذلك فإن مامعى انما هو للقتال وما يكون من أسبابه لا مثل هذا  
(أجعل بينكم) أى بين ما تختصون به (وبينهم ردماً) أى حاربوا حصينا موثقاً بعضه فوق بعض  
من التلاصق والتلاحم وهو أعظم من السدم من قولهم ثوب ردم إذا كان رقاعاً فوق رقاع قالوا  
وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء قالوا وما تلك الآلات قال (آتوني) أى اعطوني  
(زبر الحديد) أى قطعه وهو جمع زبرة ككفرقة وغرف قال الخليل الزبرة من الحديد القطعة  
الضخمة فأتوه به وبالخطب حفر له الأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس  
المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الخطب والقعم (حتى إذا ساوى) أى بذلك البناء  
(بين الصدفين) أى بين جانبي الجبلين أى سوى بين طرفي الجبلين سمي بذلك لانهما يتصادقان أى  
يتقابلان من قولهم صادفت الرجل لاقيته وقابلته وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر برفع  
الصاد والادل وشعبة برفع الصاد وسكون الادل والباقون بنصب الصاد والادل ثم وضع المناقب  
وأطلق النار في الخطب والقعم و(قال) أى للعملة (انفخوا) فنفخوا (حتى إذا جعله) أى  
الحديد (ناراً) أى كالنار (قال آتوني) أى اعطوني (أفرغ عليه قطراً) أى أصب النحاس  
المذاب على الحديد المحمى فصبه عليه فدخل في خلال الحديد مكان الخطب لأن النار أكلت  
الخطب حتى لزم الحديد النحاس فاختلف والتصق ببعضه ببعض وصار جبلاً صلداً قال  
الريخشمرى قيل ما بين السدين مائة فرسخ وروى أن عرضه كان خمسين ذراعاً وارتفاعه مائتي  
ذراع وعن قتادة قال ذكر لنا أن رجلاً وفي رواية عن رجل من أهل المدينة قال يا رسول الله قد  
رأيت سدياً جوج وما جوج قال انعمت لي قال كالبرد المحرطريقة سوداء وطريقة جراه وهذه  
معجزة عظيمة ان كان نيباً أو كرامة ان لم يكن لأن هذه الزبرة الكبيرة اذا نفخ عليها حتى صارت  
كالنار لم يقدر الحيوان ان يقرب منها والنفخ عليها لا يكون الا بالقرب منها فكأنه تعالى صرف  
تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أوائل الناسخين عليها حتى تمكنوا من العمل فيها \* (تنبيه) \*  
قطر اهو المتنازع فيه وهذه الآية اشهر أمثلة النحاة في باب التنازع وبها تمسك البصريون  
على ان أعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد أولى اذ لو كان قطراً مفعول  
آتوني لاضر مفعول أفرغ حذرا من الالباس ثم قال تعالى (فما) أى، فتسبب عن ذلك  
انه لما أكمل عمل الردم وأحكمه ما (اسطاعوا) أى يأجوج وماجوج وغيرهم (أن يظهره)  
أى يعلاوا ظهره لعلوه وملاسته وقرأ حجة بتشديد الغاء والباقون بالتخفيف (وما استطاعوا له  
نقياً) أى خرقا صلابته وسمكه وزيادة التناءهنا تدل على أن العلو عليه أصعب من نقبه  
لارتفاعه وصلابته والتحام بعضه ببعض حتى صار سبيكة واحدة من حديد ونحاس في علو  
الجبل فانهم ولو احتالوا بيناهم درج من جانبهم أو وضع تراب حتى ظهروا عليه لم يقنعهم ذلك  
لانهم لا حيلة لهم على النزول من الجانب الآخر ويؤيده أنهم انما يخرجون في آخر الزمان بنقبه  
لا يظهرهم عليه ولا ينافي في الاستطاعة لنقبه مارواه الامام أحمد والترمذي في التفسير وابن  
ماجه في الفتن عن أبي رافع عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان يأجوج

وما جوج ليحضرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا  
 فستحضرونه غدا فيعودون اليه كما شئنا كان حتى اذا بلغت مدتهم واراد الله تعالى ان يعثمهم  
 على الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحضرونه  
 غدا ان شاء الله تعالى فيستثنى فيعودون اليه وهو كهيتته حين تركوه فيحضرونه ويخرجون  
 على الناس الحديث وفي حديث الصحيجين عن زينب بنت جحش عن النبي صلى الله عليه وسلم فتح  
 اليوم من ردم يا جوج وما جوج مثل هذا وخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه عن  
 أبي هريرة وفيه مثل هذا وعقدت سبعين لان هذا في آخر الزمان ثم انه قيل لما قال حين فراغه قيل  
 (قال هذا) أي السديعني الاقدار عليه (رجة) أي نعمة (من ربي) أي المحسن الي باقداري  
 عليه ومنع العادية (فاذا جاء وعد ربي) بقرب قيام الساعة أو بوقت خروجهم (جعله دكا)  
 أي مدمكا ومبسوطا روى أنهم يخرجون على الناس فيتبعون المياه ويتحصن الناس  
 في حصونهم منهم فيرمون بسهامهم الى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من في  
 الارض وعلونا من في السماء قسوة وعلوا فيبعث الله تعالى عليهم نغفا في رقابهم وفي رواية  
 في آذانهم فيملكون قال صلى الله عليه وسلم فوالذي نفسي بيده ان دواب الارض لتسمن  
 وتشكر من لحومهم شكرا أخرجه الترمذي قوله قسوة وعلوا أي غلظة وفظاظة وتكبرا  
 والنغب دود يخرج في أنوف الابل والغنم وقوله وتشكر من لحومهم شكرا يقال شكرت  
 الشاة شكرا حين امتلأ ثمرها البنا والمعنى أنها امتلأ أجسادها الحماوتسمن وعن النواس بن  
 سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخض فيه ورفع حتى ظنناه  
 في طائفة من النخل فلما رحلنا اليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال  
 غداة فخضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفني عليكم ان يخرج  
 وأنا فيكم فأناجيهم دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل امرئ محجج نفسه والله خليفتي على كل  
 مسلم وانه شاب ققط أي شديد العودة وقيل حسن العودة عينه طافية أي بارزة وقيل مخسوفة  
 كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن فبن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج  
 من حله بين الشام والعراق فعاش أي أفسد عينا وعات شعا لا يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله  
 وما مكته في الارض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهرو ويوم كجمعة وسائر أيامه كما يامكم  
 قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أي يكفي نفيه صلاة يوم قال لا اقدر وواله قدره أي واليوم  
 الثاني والثالث كذلك وسكت عن ذلك للعلم به من الاول قلنا يا رسول الله وما اسرعه في الارض  
 قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر  
 السماء فتمطر والارض فتنب وتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت دروا واسعة ضروعا  
 وأملاها واصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصحبون محملين  
 ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويعتر بالخرية فيقول لها أخرجي كركك فيتبعه كنوزها كيما سيب  
 النخل ثم يدعور رجلا مملتا شابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتيين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل

ويتهلل وجهه يصحك فيبينها هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء  
في دمشق بين مهرودتين أي حلتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأ طأ رأسه قطر واذا  
رفعه تحدر منه مثل جان كاللؤلؤ فلا يصل لكافر يجدر به نوح نفسه الامات ونفسه ينتهي حيث  
ينتهي طرفه حتى يدركه باب لدقريه بالشام قرية من الرملة فيقتله ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد  
عصمهم الله منه فيسمع عن وجوههم ويخبرهم بدرجاتهم في الجنة فيبينها هو كذلك اذ أوحى الله  
تعالى الى عيسى عليه السلام اني قد اخرجت عبادي لا يدان لاحد بقتالهم فجوز عبادي  
الى الطور ويبعث يا جوج وما جوج وهم من كل حدب ينسلون فيمراً واتاهم على بحيرة  
طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان به ذم مرة ماء ويحصرني الله وأصحابه حتى  
يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغبني الله عيسى  
وأصحابه الى الله تعالى فيرسل الله تعالى عليهم النخف في رقابهم وهو بالتحريك دودي يكون في  
أنوف الابل والغنم كما مر واحدهم بانفة فيصبحون فرسا أي قتلوا الواحد فريس ثم يهبط  
نبي الله عيسى وأصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبرا الا ملأه من عظمهم وتنتهم  
فيرغبني الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله تعالى عليهم طيرا كما عناق البخت فتحملهم  
حيث شاء الله تعالى ثم يرسل الله تعالى مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض  
حتى يتركها كالزلفة وهي بالتحريك جمعها زلف مصانع الماء ويجمع على المزلف أيضا أي تقصير  
الارض كأنها مصنعة من مصانع الماء وقيل كالمرأة وقيل الزلفة الروضة وقيل بالقاف  
أيضا ثم يقال للارض انبى ثمرك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستطلون  
بقحفها ويبارك في الرسل وهو بتحريك الراء والسين من الابل والغنم من عشرة الى خمسة  
وعشرين حتى ان اللقحة من الابل لتكني القمام من الناس وهو مهجوز الجماعة الكثيرة  
واللقحة من البقر لتكني القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكني الفخذ من الناس  
فيبيناهم كذلك اذ بعث الله تعالى عليهم ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل  
مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحرف عليهم تقوم الساعة (وكان  
وعديني) الذي وعده في خروج يا جوج وما جوج واحراقهم الارض وافسادهم لها قرب  
قيام الساعة (حقا) كائنا لا محالة فلذلك أعان تعالى على هدمه هذا آخر حكاية ذي القرنين  
وفي القصة ان ذا القرنين دخل الظلمة فلما رجع توفي بشير زور وذكر بعضهم ان عمره كان نيفا  
وثلاثين سنة سبحان من يدوم عزه وبقاؤه ثم انه تعالى قال عاطفا على ما تقديره فقد بان أمر ذي  
القرنين أي بيان وصدق في قوله فاذا جاء وعد ربني فانه اذا جاء وعدنا جعلناه بقدرتنا التي  
نؤتيها يا جوج وما جوج دكفا فخرجناهم على الناس بعد خروج الدجال (وتركنا بعضهم) أي  
يا جوج وما جوج (يومئذ) أي حين يخرجون (يوج) أي يضطرب (في بعض) كوج البحر  
أو يوج بعض الخلق في بعض فيضطربون ويحتلطون انفسهم وجنهم حيارى ويؤيده (ونفخ في  
النبور) أي القرن النفخه الثاني ليقول تعالى (جمعناهم) أي الخلائق في مكان واحد يوم



القمامة قال البقاعى ويجوز أن تكون هذه القمامة الفصيحة فيكون المراد النخعة الاولى أى  
 وتفتح فمات الخلائق كلهم فبليت أجسامهم وتفتت عظامهم كما كان من تقدمهم ثم تفتح الثانية  
 فجمعناهم من التراب بعد تمزقهم فيه وتفرقتهم فى أقطار الارض بالسيول والرياح وغير ذلك  
 (بجما) فأمتناهم دفعة واحدة كلج البصر وحشرناهم الى الموقف الحساب ثم الثواب والعقاب  
 (وعرضنا) أى أظهرنا (جهنم يومئذ) أى اذ جمعناهم لذلك (للكافرين عرضا) ظاهرة لهم بكل  
 ما فيها من الالهوال وهم لا يجدون لهم عنها مضربا \* ثم وصفهم بما أوجب لهم ذلك بقوله تعالى  
 (الذين كانت) كونا كانه جبله لهم (أعينهم) وهو يدل من الكافرين (فى غطاء عن ذكرى)  
 أى عن القرآن فهم لا يهتدون به وعما جعلنا على الارض من زينة دليل على الساعة باقناته  
 ثم احيائه واعادته بعد ابداده (وصكناوا) بما جعلناهم عليه (لايتطهون سمعا) أى  
 لا يقدرون أن يسمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم ما يلو عليهم بفضاله فلا يؤمنون به \* ولما  
 بين تعالى أمر الكافرين أنهم أعرضوا عن الذكر وعن اسقاع ما جاء به النبي صلى الله عليه  
 وسلم أتبعه بقوله تعالى (أغضب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى) من الاحياء كالملائكة  
 وعزير والمسبح والاموات كالاصنام (من دونى) وقوله تعالى (أولياء) أى أربابا مفعول ثان  
 ليتخذوا والمفعول الثانى لحسب محذوف والمعنى أظنوا أن الاتخذوا المذكور يتعهم  
 ولا يغضبني ولا أعاقبهم عليه كذا وقرأ نافع وأبو عمرو بفتح الياء والباقون بسكونها وهم على  
 مراتبهم فى المقد \* ولما كان معنى الاستفهام الانكارى ليس الامر كذلك حسن جدا قوله  
 تعالى مؤكدا لاجل انكارهم (انا اعتدنا جهنم) التى تقدم أن أعرضناها لهم (للكافرين) أى  
 هؤلاء وغيرهم (ترلا) أى هى معدة لهم كالمنزلة المعد للضعيف وهذا على سبيل التكميم ونظيره  
 قوله تعالى فيشرهم بعذاب اليم \* ثم ذكر تعالى ما فيه تنبيه على جهل القوم فقال تعالى  
 لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) لهم (هل تشككم) أى تخبركم وأدغم الكسافى لام  
 هل فى النون والباقون بالاظهار (بالاخرين أعمالا) أى الذين أتعبوا أنفسهم فى عمل  
 يرجون به فضلا ونوالا قنوا اهلا كأبو ارا واختلفوا فيهم فقال ابن عباس وسعد بن أبى  
 وقاص هم اليهود والنصارى وهو قول مجاهد قال سعد بن أبى وقاص أما اليهود فكذبوا  
 بمحمد صلى الله عليه وسلم وأما النصارى فكفروا بالجنة فقالوا لا طعام فيها ولا شراب انتهى  
 قال البقاعى وكذا قال اليهود لان الفريقين أنكروا الحشر الجسماني وخصوه بالروحاني  
 وقيل هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم فى الصوامع \* (تنبيه) \* أعمالا تميز للاخرين جمع  
 عمل وان كان مصدرا لتتوع أعمالهم ثم وصفهم تعالى بضد ما يدعونه لانفسهم من نجاح السعي  
 واحسان الصنع فقال تعالى (الذين ضل) أى ضاع وبطل (سعيهم فى الحياة الدنيا) لكفرهم  
 \* (تنبيه) \* محل الموصول الجر نعتا أو بدلا أو بياناً والنصب على النظم أو الرفع على الخبر  
 المحذوف فانه جواب السؤال ومعنى خسرانهم أنه متلهم بمن يشتري سلعة يرجو فيها رجحا  
 خسر وخاب سعيه كذلك أعمال هؤلاء الذين أتعبوا أنفسهم مع ضلالهم فيبطل جدتهم

واجتهادهم في الحياة الدنيا (وهم يحسبون) أي يظنون وقرأ ابن عاصم وعاصم وحزرة بفتح  
السين والباقون بالكسر (أنهم يحسنون صنعا) أي عملا يجازون عليه لا عقادهم انهم على  
الحق \* ثم بين تعالى السبب في بطلان سعيهم بقوله تعالى (أولئك) أي البعداء البغضاء (الذين  
كفروا بآياتهم) أي بدلائل توحيدهم من القرآن وغيره (ولقائه) أي رؤيته لأنه يقال اقيت  
فلانا أي رأيته (فان قيل) اللقاء عبارة عن الوصول قال تعالى فالتقى الماء على أمر قد قدر وذلك  
في حق الله تعالى محال فوجب حمله على لقاء ثواب الله تعالى كما قال بعض المفسرين (أجيب)  
بأن لفظ اللقاء وان كان عبارة عن الوصول الآن استعمله في الرؤية مجازا ظاهره مشهور  
والذي يقول ان المراد لقاء ثواب الله قال لا يتم الا بالاضمار وحمل اللفظ على المجاز المتعارف  
المشهور وأولى من حمله على ما يحتاج الى الاضمار ثم قال تعالى (خبطت) أي فسبب بجدهم  
الدلائل بطلت (أعمالهم) فصارت هباء منثورا فلا يثابون عليها وفي قوله تعالى (فلا نقيم لهم يوم  
القيامة وزنا) قولان أحدهما اننا ندرى بهم وليس لهم عندنا وزن ومقدار تقول العرب  
ما فلان عندي وزن أي قدر لحسته وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال  
لبأق الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا وزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤا ان شئتم فلا  
نقيم لهم يوم القيامة وزنا الثاني لان نقيم لهم ميزانا لان الميزان انما يوضع لاهل الحسابات  
والسيئات من الموحدين ليميز مقدار الطاعات ومقدار السيئات وقال أبو سعيد الخدري تأتي  
ناس بأعمالهم يوم القيامة عندهم في التعظيم كبحال تهمامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فذلك قوله  
تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا \* ولما كان هذا السبب في الدلالة على ان لهم جهنم أوضح  
من الشمس قال تعالى (ذلك) أي الامر العظيم الذي يبناه من وعيدهم (بجراؤهم) ثم بين ذلك  
الجزء بقوله تعالى (جهنم) وصرح بالسيئة بقوله تعالى (بما كفروا) أي بما وقعوا التغطية  
للدلائل (واتخذوا آياتي) الدالة على وحدانيتنا (ورسلي) المؤيدين بالمعجزات الظاهرات  
(هزوا) أي هزوا بهم ما فلم يكن قوا بالكفر الذي هو طعن في الالهية حتى ضموا اليه الهزو  
الذي هو أعظم احتقارا \* ولما بين سبحانه وتعالى ما لاحد قسمي أهل الجمع تنفير عنهم بين  
مالا تخرين على تقدير الجواب لسؤال يقتضيه الحال ترغيبا في اتباعهم والافتداء بهم بقوله  
(ان الذين آمنوا) أي باسروا الايمان (وعملوا) تصديقا لايمانهم (الصالحات) من الخصال  
(كانت لهم) أي في علم الله قبل أن يخلقوا البناء أعمالهم على الاساس (جنات) أي بساتين  
(الفردوس) أي أعلى الجنة وأوسطها والاضافة اليه للبيان روى عن أبي هريرة رضي الله تعالى  
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا سألت الله تعالى فاسأله الفردوس فإنه أوسط  
الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة وقال كعب ليس في الجنان جنة  
أعلى من جنة الفردوس فيها الآحرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال قتادة الفردوس  
ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها وقال كعب الفردوس هو بستان الجنة الذي فيه  
الاعناب وقال مجاهد هو البستان الرومية وقال الزجاج هو بالرومية منقول الى لفظ العربية

وقال عكرمة هي الجنة بلسان الحبش وقال الضمالي هي الجنة الملتفة الاشبجار (نزلاً) أي منزلاً كما كان السعير والاعلال لاؤلك نزلا وقوله تعالى (خالدين فيها) حال مقدرة (لا يغون) أي لا يريدون أدنى ارادة (عنها حولا) أي تحويلا الى غيرها قال ابن عباس لا يريدون أن يتحولوا عنها كما يتقل الرجل من دار اذا لم توافقه الى دار أخرى \* ولما ذكر تعالى في هذه السورة أنواع الدلائل والبيانات وشرح فيها أفاصيص الاولين والآخرين نبه على حال كمال القرآن بقوله لنبه صلى الله عليه وسلم (قل) يا أشرف الخلق للخلق (لو كان البحر) أي ماؤه على عظمته عندكم (مدادا) وهو اسم لما يعده الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج (الكلمات) أي لكاتب كلمات (ربي) أي المحسن الى (تفقد) أي فنى مع الضعف فناء لا تدارك له (البحر) لانه جسم متناه (قبل أن تفقد) أي تفنى وتفرغ (كلمات ربي) لان معلوماته تعالى غيره متناهية والمتناهي لا ينفى البتة بغير المتناهي وقرأ حمزة والكسائي بالياء التهنية على التذكير والباقون بالفوقية على التأنيث \* ولما لم يكن أحد غيره يقدر على امداد البحر قال تعالى (ولو جئنا بمثله) أي بمثل البحر الموجود (مددا) أي زيادة ومعونة ونظيره قوله تعالى ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله واختلف فى سبب نزول هذه الآية فقال البغوى وابن عباس قالت اليهود تزعم يا محمد ان اقدأوتينا الحكمة وفى كتابك ومن يؤت الحكمة فقد أوفى خيرا كثيرا ثم تقول وما أوتيتم من العلم الا قليلا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال البيضاوى وسبب نزولها أن اليهود قالوا فى كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوفى خيرا كثيرا وتقرؤن وما أوتيتم من العلم الا قليلا انتهى وقال فى الكشف يعنى ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله وقيل لما نزل وما أوتيتم من العلم الا قليلا قالت اليهود أوتينا التوراة وفيها علم كل شئ فأنزل الله تعالى هذه الآية \* ولما كانوا ربما قالوا مالك لا تحدث من هذه الكلمات بكل ما سألتنا عنه قال الله تعالى (قل) يا خير الخلق لهم (أعما أنبشمر) فى استبداد القدرة على ايجاد المعدوم والاخبار بالغيب (مثلكم) أي لأمرى ولا قدرة الا ما يقدر فى ربي عليه ولكن (بوحى الى) أي من الله تعالى الذى خصنى بالرسالة كالوحى الى الرسل قبلى (أعما الحكم) الذى يجب أن يعبد (الله الواحد) لا ينقسم بمجانسة ولا غيرهما قادر على ما يريد لانه لا ينازع له لم يؤخر جواب ما سألتونى عنه من عجز ولا من جهل هذا الذى يعنى كل أحد علمه وأما ما سألتكم عنه فى أمر الروح والقصتين فعننا فى أمر لوجهتموه ما ضربكم جهله (فن) أي فتسبب عن وحدته المستلزمة لقدرة أنه من (كان يرجو لقاء ربه) أي يخاف المصير اليه وقيل يأمل رؤية ربه والرجاء يكون بمعنى الخوف والامل جميعا قال الشاعر

فلا كل ما ترجو من الخير كائن \* ولا كل ما ترجو من الشر واقع

فجمع بين المعنيين (فليعمل عملا) ولو قليلا (صالحا) يرضيه الله (ولا يشرك) أي وليكن ذلك العمل مبنيا على الاساس وهو أن لا يشرك ولو بالربا (بعبادة ربه أحدا) فاذا عمل ذلك حاز نفاذ علوم الدنيا والاخرة روى أن جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى لا عمل

العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا وروى أنه قال له لك أجران أجر السر وأجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا منه بريء هو الذي عمله وعن سعيد بن فضالة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع الله تبارك وتعالى الناس ايوم لا ريب فيه نادى مناد من كان يشركني في عمل عمله فليطلب نوابه منه فان الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك والآية جامعة للخلاص في العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة \* (خاتمة) \* روى في فضائل سورة الكهف أحاديث كثيرة منها ما رواه الترمذي وغيره من قرأها عند مضجعه ~~كان له نور يتلأ~~ في مضجعه إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نور يتلأ من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من قسنة الدجال وقال البيضاوي وعنه عليه السلام من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه إلى قدمه ولكنه الذي رواه الامام أحمد من قرأ أول سورة الكهف كانت له نورا من فرقه إلى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض إلى السماء وروى البغوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نورا من قدمه إلى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض إلى السماء أن يتورق قلبنا وأبصارنا وان يغفر لنا ولايتنا ولا يؤاخذنا بسوء أفعالنا وان يفعل ذلك بوالدينا وأولادنا وأهلبنا وأصحابنا ومشايخنا وجميع اخواننا المسلمين وأحبائنا آمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين

(سورة مريم عليها السلام مكية)

وهي ثمان وتسعون آية وسبع مائة واثنان وستون كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة حرف وحرفان

(بسم الله) المنزه عن كل شائبة نقص القادر على كل ما يريد (الرحمن) الذي عم فواله سائر مخلوقاته (الرحيم) بسائر خلقه واختلف في تفسير قوله تعالى (كهيعص) قال ابن عباس هو اسم من أسماء الله تعالى وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن وقيل هو اسم الله الاعظم وقيل هو اسم السورة وقيل قسم أقسم الله به وعن الكلبي هو ثناء أثنى الله به على نفسه وعنه معناه كاف خلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم يبرئته صادق في وعده وعن ابن عباس قال الكاف من كريم وكبير والهائم من هاد والبايم من رحيم والعين من عليم وعظيم والصادق من صادق وقيل انه من المشابهة الذي استأثر الله تعالى بعلمه وقد تقدم الكلام على ذلك في أول سورة البقرة

وقرأ نافع بامالة الهاء والياء بينين وأمالهما محضة شعبة والكسائي وأمال الهاء محضة أبو عمرو  
 وابن عامر وحزة والسوسي في الياء خلاف في الامالة محضة والفتح والباقون وهم ابن كثير  
 وحفص يقتحهما بلا خلاف ولجميع القراء في العين المد والتوسط وقوله تعالى (ذكر) مبتدأ  
 محذوف الخبر تقديره مما يلي عليكم أو خبر محذوف المبتدأ تقديره المتلوه كراً وهذا ذكر  
 (رحمت ربك) وقوله تعالى (عبده) مفعول رجة لانها مصدر بني على التاء لانها دالة على  
 الوحدة ورسمت بتاء مجرورة ووقف عليها بالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ووقف بالتاء على  
 الرسم الباقون وقوله تعالى (زكريا) بيان له \* (تنبية) \* اعلم أنه تعالى ذكر في هذه  
 السورة قصص جلة من الانبياء \* الاولى هذه القصة وهي قصة زكريا فيجتمل أن المراد من  
 قوله تعالى رجة بك أنه عني عبده زكريا ثم في كونه رجة وجهان أحدهما أنه يكون رجة  
 على أمته لانه هداهم الى الايمان والطاعة والثاني أن يكون رجة على نبينا محمد صلى الله عليه  
 وسلم لان الله تعالى لما شرع له صلى الله عليه وسلم طريقته في الاخلاص والابتهاال في جميع  
 الامور الى الله تعالى صار ذلك لطفاد اعماله ولامته الى تلك الطريقة فكان زكريا رجة  
 ويحتمل أن يكون المراد أن هذه السورة فيها ذكر الرحمة التي برحم بها عبده زكريا (اذ نادى  
 ربه نداه) مشتق على دعاء (خفياً) أي سراجوف الليل لانه أسرع الى الاجابة وان كان الجهر  
 والاختفاء عند الله سيان وقيل أخفاء ثلاثيلا م على طلب الولد في زمن الشيخوخة وقيل  
 أسرته من مواليه الذين خافهم وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته  
 خفات وسمعه تارات (فان قيل) من شرط النداء الجهر فكيف الجمع بين كونه نداه وخفياً  
 (أجيب) بوجهين الاول أنه أتى بأقصى ما قدر عليه من رفع الصوت الا ان صوته كان ضعيفاً  
 لنهاية ضعفه بسبب الكبر فكان نداه نظراً الى القصد خفياً نظراً الى الواقع الثاني أنه دعا  
 في الصلاة لان الله تعالى أجابه في الصلاة لقوله تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب  
 ان الله يشرك و يكون الاجابة في الصلاة يدل على كون الدعاء فيها يكون النداء فيها خفياً  
 \* (تنبية) \* في ناصب اذ ثلاثة أوجه أحدها أنه ذكر ولم يذكر الحوفي غيره والثاني رجة  
 ولم يذكر الجلال المحلى غيره وذكر الوجهين أبو البقاء والثالث أنه بدل من زكريا بدل اشتمال  
 لان الوقت مشتق عليه ثم كانه قبل ما ذلك النداء فقيل (قال رب) بحذف الاداة للدلالة على  
 غاية القرب (الى وهن) أي ضعف جداً (العظم منى) أي هذا الجنس الذي هو أقوى ما في  
 بدني ولوجع لا وهم أنه وهن مجموع عظامه لاجمعها وقوله (واشعل الرأس) أي منى (شيباً)  
 تميز محمول عن الفاعل أي انتشر الشيب في شعره كما ينتشر شعاع النار في الحطب وانى أريد أن  
 أدعوك (ولم أكن بدعائك) أي بدعائي اياك (رب شقياً) أي خائباً فيما مضى فلا تخيبني فيما  
 يأتي وان كان ما أدعوه به في غاية البعد في العادة لكنت فعلت مع أبي ابراهيم مثله فهو ودعاء  
 وشكروا استعطف ثم عطف على قوله انى وهن قوله (وانى خفت الموالى) أي الذين يلوونى  
 في النسب كبنى العم أن يسبوا الخلافة (من ورائى) أي في بعض الزمان الذي بعدى (وكانت

امرأى عاقراً) لاتأدأ أصلاً بما دل عليه فعل الكون (فهب لي) أى فسبب عن شيخوختي  
 وضعني وتعود لي بالاجابة وخوفي من سوء خلافة أقرابي ورأسي عن الودعادة بعمامرأى  
 وبلوغى من الكبر حد الاحر الذى معه أنى أقول لك يا قادر على كل شئ هب لي (من لدنك) أى من  
 الامور المستبطنة المستغربة التى عندك لم تجرها على مناهج العادات والاسباب المطردات (وليا)  
 أى ابنا من صلبى (يرثى) فى جميع ما أنافيه من العلم والنبوة والعمل (ويرث) زيادة على ذلك  
 (من آل يعقوب) جزأ مما خه صتهم به من المنخ وفضلتم به من النعم ومحاسن الاخلاق ومعالي  
 الشيم فان الانبياء لا يورثون المال وقيل يرثى الحبورة أى العلم بتجسير الكلام وتحسينه فانه كان  
 حبراً هو بالفتح والكسر وهو أفصح يقال للعالم بتجسير الكلام وتحسينه وهو يعقوب  
 ابن اسحق عليهم السلام وقيل يرثى العلم فيرث من آل يعقوب النبوة وانفط الارث يستعمل  
 فى المال وفى العلم والنبوة أمافى المال فلقوله تعالى وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم  
 وأمافى النبوة فلقوله تعالى وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب الآية وقال صلى الله عليه وسلم العلماء  
 ورثة الانبياء ولان الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما يورثون العلم وخص اسم يعقوب اقتداء  
 به نفسه اذ قال ليوسف عليه السلام ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب ولان اسرائيل قد صار  
 علماً على الاسباط كلهم وكانت قد غلبت عليهم الاحداث وقرأ أبو عمرو والكسائى يجزم الثاء  
 المثلثة فيهما على أنهم ما جواب الامر اذ تقديرهما ان تهب يرث والباقون بالضم فيهما على أنهم ما  
 صفة (واعترض) بأن زكريا دعا الله تعالى أن يهبه ولداً يرثه مع أن يحيى قتل قبله فلم يجبه الى ارثه  
 منه (وأجيب) بأن اجابة دعاء الانبياء غالبية لا لازمة فقد يخالف لقضاء الله تعالى بخلافه كما فى  
 دعاء ابراهيم عليه السلام فى حق أبيه وكافى دعاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى قوله وسألته  
 أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فذهنها ولما كان من قضاء الله تعالى وقدره أن يوجد يحيى نبياً  
 صالحاً ثم يقتل استحيب دعاء زكريا فى ايجاده دون ارثه \* ولما ختم دعاءه بقوله (واجعله رب)  
 أى أيتها المحسن الى (رضياً) أى مرضياً عندك أجاهه الله تعالى بقوله تعالى (يا زكريا اننا نبشرك  
 بغلام) يرث كما سألت (اسمه يحيى) وقرأ حجة بفتح النون وسكون الباء الموحدة وضم الشين  
 مخففة والباقون بضم النون وفتح الموحدة وكسر الشين مشددة وكذلك فى آخر السورة  
 \* (تنبية) \* يحيى اسم أعجمى ممنوع من الصرف للعلمية والهجمة وقيل منقول من الفعل  
 المضارع كما سمو ايعمر وانما تولى تعالى تسميته تشر يفاله قال تعالى (لم نجعل له من قبل سمياً)  
 أى مسمى يحيى قال قتادة والكلى لم يسم أحد قبله يحيى \* (تنبية) \* سمياً مأخوذة من السموات  
 وفيه دلالة لقول البصريين ان الاسم من السموات ولو كان من الوسم لقبل وسمياً وقال سعيد  
 ابن جبير وعطاء لم نجعل له شهياً ومثلاً كما قال تعالى هل تعلم له سمياً أى مثلاً والمعنى انه لم يكن له مثل  
 لانه لم يبعث ولم يبعثه قط ورده هذا لان هذا يقتضى تفضيله على الانبياء قبله كابراهيم وموسى  
 وليس كذلك وقيل لم يكن له ميل الى امر النساء لانه كان سيداً وحسوراً وعن ابن عباس لم تلد  
 العواقر مثله ولذا ثم كانه قيل فما قال فى جواب هذه البشارة العظيمة فقيل (قال) عالماً

قوله يرث كما سألت  
 هذا يناقض ما قدمه  
 من أنه لم يجب الى  
 ارثه لتخلفه بكونه  
 قتل قبل والده  
 وعبارة الجمل قوله  
 يرث كما سألت  
 قد يستشكل بأنه  
 سأل ولداً يرث منه  
 ولم يفعل ذلك لقتل  
 يحيى فى حياة زكريا  
 والجواب ان المراد  
 وراثته العلم والنبوة  
 ولو فى حياة زكريا  
 لذى  
 ٥١٤

بصدقها طالبا لئلا يكدها وللتلذذ بتريدها وهل ذلك من امر آتة أو من غيرها وهل إذا كان منها  
 يكونان على حالتهم من الكبر أو غيرها غير طائش ولا مجمل (رب) أيها المحسن إلى باجابة الدعاء دائما  
 (أنت) أي من أين وكيف وعلى أي حال (يكون لي غلام) يولد لي في غاية القوة والنشاط والكمال  
 في الذكورة (وكانت) أي والحال أنه كانت (امرأتي) إذ كانت شابة (عاقرا) غير قابله للولد  
 وأنا وهي شايان فلم يأتنا ولدا لاختلال أحد السيلين فكيف بهما وقد آيست قال الجلال المحلى  
 بلغت ثمانا وتسعين سنة (وقد بلغت) أنا (من الكبر عتيا) من عتاييس أي نهاية السن قال الجلال  
 المحلى مائة وعشرين سنة وبما تقر سقط ما قبل لم تعجب زكريا عليه السلام بقوله أن يكون لي غلام  
 مع أنه هو الذي طلب الغلام وقرأ حفص وحزرة والكسائي عتيا واصليا وحنيا بكسر عين  
 الاوّل وصاد الثاني وجيم الثالث وضم الباقون وأما بكاف كسر الباء الموحدة حزة والكسائي  
 وضعا الباقون وأصل عتي عتو وكسرت التاء تحقيرة وقلبت الواو الاوّل إلى ياء لمناسبة الكسرة  
 والثانية ياء لمدغم فيها وانما استعجب للولد من شيخ فان وعجز عاقرا فإبان المؤثر فيه كامل  
 القدرة وأن الوسائط عند المحققين ملغاة ولذلك (قال) أي الله تعالى كما قال الاكثرون لأن زكريا  
 انما كان يخاطب الله ويسأله بقوله رب انى وهن العظم منى أو الملك المبلغ للشارة تصديقه  
 لقوله تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلى في المحراب ان الله يبشرك بيحيى وأيضا فانه لما قال وقد  
 بلغت من الكبر عتيا قال (كذلك) أي الامر كذلك فهو خبر مبتدأ محذوف ثم علله بقوله (قال  
 ربك) أي الذي عودك بالاحسان فدل ذلك على أنه كلام الملك قال ابن عادل ويمكن أن يجاب  
 بأنه يحتمل أن يحصل النداء أن نداء الله تعالى ونداء الملك ثم ذكر مقول القول فقال (هو) أي  
 خالق يحيى منكما على هذه الحالة (على) أي خاصة (هين) أي بأن أرد عليك قوة الجماع وافترق  
 رحم امرأتك للعقوق (وقد خلقتك) أي قدرتك وصورتك وأوجدتك (من قبل ولم) أي والحال  
 أنك لم (تكن شيئا) بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على أن المعدوم ليس بشئ ولاظهار الله تعالى  
 هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بما يدل عليهم او قرأ حزة والكسائي بعد القاف بنون  
 بعدها ألف والباقون بعد القاف تاء مضمومة ولما تافت نفسه إلى سرعة المشربه (قال رب  
 اجعل لي) على ذلك (آية) أي علامة تدانى على وقوعه (قال آيتك) على وقوع ذلك (أن لا تكلم  
 الناس) أي لا تقدر على كلامهم بخلاف ذكر الله تعالى (ثلاث ليال) أي بأيامها كما في آل  
 عمران ثلاثة أيام حال كونك (سويا) من غير خرس ولا مرض وجعلت الآية الدالة عليه سكوت  
 ثلاثة أيام ولياليهن من غير ذكر الله دلالة على اخلاصه وانقطاعه بكليته إلى الله تعالى  
 دون غيره (تخرج) عقب اعلام الله تعالى له بهذا (على قومه من المحراب) أي من المسجد  
 وهم ينتظرونه أن يفتح لهم الباب متغيرا لونه فأنكروه وهو منطلق اللسان بذكر الله تعالى  
 منحبه عن كلام الناس فتسألوا مالك يا نبي الله (فأوحى اليهم) أي أشار بشفتيه من غير نطق  
 وقال مجاهد كتب لهم في الارض (أن سبحوا) أي أوجدوا والتزيه والتقديس لله تعالى بالصلاة  
 وغيرها (بكرة وعشيا) أي أوائل النهار وأواخره على العادة فعلم بمنعه من كلامهم حل امر آتة

يحيى قال الجلال المحلى وبعد ولادته بسنين قال الله تعالى له (يا يحيى خذ الكتاب) أى التوراة  
 (بقوة) أى - ثم إن الله تعالى وصفه بصفات الأولى قوله تعالى (وآتيناه الحكم) قال ابن  
 عباس النبوة (صيا) قال الجلال المحلى تبع البغوى ابن ثلاث سنين أى أحكم الله عقله  
 في صباه واستنبأه وقبلى المراد بالحكم الحكمة وفهم التوراة فقرأ التوراة وهو صغير قال  
 البغوى وعن بعض السلف من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو من أوفى الحكم صيا \* الصفة الثانية  
 قوله تعالى (وحنانا) أى وآتيناه رحة وهيبة ووقارا ورقة قلب ووزقا وبركة (من لدنا) أى من  
 عندنا بلا واسطة تعليم ولا تجربة \* الصفة الثالثة قوله تعالى (وزكاة) أى وآتيناه طهارة في دينه  
 قال ابن عباس يعنى بالزكاة الطاعة والاخلاص وقال قتادة هى العمل الصالح وقال الكلبي  
 يعنى صدقة تصدق الله بها على أبويه \* الصفة الرابعة قوله تعالى (وكان) أى جلة وطبعاً (تقياً)  
 أى مخلصاً طبعاً روى أنه لم يعمل خطيئة ولم يمت بها \* الصفة الخامسة قوله تعالى (وبرّ الوالديه)  
 أى بارّ الطيفاهما محسناً إليهما لأنه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى أعظم من برّ الوالدين يدل عليه  
 قوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه وبالوالدين احسانا \* الصفة السادسة قوله تعالى  
 (ولم يكن جبّاراً) أى متكبراً والمراد وصفه بالتواضع واين الجانب وذلك من صفات المؤمنين قال  
 تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى ولو كنت فظاً غليظ القلب  
 لانفضوا من حولك ولأت رأس العبادة معرفة الانسان نفسه بالنذل ومعرفة ربه بالعظمة والكمال  
 ومن عرف نفسه بالنذل وعرف ربه بالكمال كيف يليق به التجر والترفع ولذلك لما تجبر ابلدس  
 وتتردد صار بعدا عن رحة الله تعالى وعن المؤمنين وقيل الجبار هو الذى لا يرى لاحد على نفسه  
 حقا وهو من التعظيم والذهاب بنفسه من أنه لا يلزمه قضاء حق لاحد وقيل هو كل من عاقب على  
 غضب نفسه \* الصفة السابعة قوله تعالى (عصياً) أى عاقاً وعاصى ربه وهو أبلغ من العاصي  
 كما أن العليم أبلغ من العالم \* الصفة الثامنة قوله تعالى (وسلام عليه) منا (يوم ولد ويوم يموت  
 ويوم يعث حياً) \* فان قيل لم خص هذه الاوقات الثلاثة (أجيب) بوجوه الاول قال محمد بن  
 جرير الطبرى وسلام عليه يوم ولد أى أمان من الله تعالى عليه يوم ولد من أن يناله الشيطان  
 كما ينال سائر بني آدم ويوم يموت أى أمان من الله من عذاب القبر ويوم يعث أى ومن عذاب  
 الله يوم القيامة الثانى قال ابن عيينة أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن يوم ولد فيرى نفسه  
 خارجاً مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوما ما شاهدتهم قط ويوم يعث فيرى في محشر عظيم  
 فاكرم الله تعالى يحيى عليه السلام فخصه بالسلم في هذه المواطن الثالث قال عبد الله بن  
 نبطوية وسلام عليه يوم ولد أى أقول ما يرى في الدنيا ويوم يموت أى أقول يوم يرى فيه أمر الآخرة  
 ويوم يعث حياً أى أقول يوم يرى فيه الجنة والنار وهو يوم القيامة وانما قال حياً تيمناً على كونه  
 من الشهداء لأنه قتل وقد قال تعالى أحياهم عند ربهم يرزقون \* (فروع) \* الاول هذا السلام  
 يمكن أن يكون من الله وأن يكون من الملائكة وعلى التقديرين فحقيقه دلالة على تشريفه لان  
 الملائكة لا يسلمون الا عن أمر الله تعالى \* الثانى ليجي منزلة في هذا السلام على ما سائر الانبياء



لقوله تعالى سلام على نوح سلام على ابراهيم لانه تعالى قال يوم ولد وليس كذلك سائر الانبياء  
الثالث روى ان عيسى عليه السلام قال يحيى عليه السلام أنت أفضل منى لان الله تعالى قال  
سلام عليه وانا سلمت على نقي قال الرازى وهذا ليس بقوى لان سلام عيسى على نفسه يجرى  
مجرى سلام الله تعالى على يحيى لان عيسى معصوم لا يفعل الا ما امر الله تعالى انتهى ولكن  
بين السلامين مزية \* (تنبيه) \* هذه القصة قد ذكرت في آل عمران بقوله تعالى كلما دخل  
عليها ذكر يا المحراب وجد عند هارز قال ان قال هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي  
من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم لان ذكر با عليه السلام لما رأى  
نرق العذرة في حق مريم طمع في حق نفسه فدعا وقد وقعت المخالفة في ذكر ما هنا وهناك في  
الالفاظ من وجوه الاقل منها ان الله تعالى صرح في آل عمران بان المنادى هو الملائكة بقوله  
تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب وفي هذه السورة الاكثر على ان المنادى بقوله  
يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى هو الله تعالى (واجيب) بان الله تعالى هو المبشر سواء كان  
بواسطة أم لا الثاني انه قال تعالى في آل عمران انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى  
عاقرفذ كرأولا كبر سنه ثم عقر امرأته وفي هذه السورة قال انى يكون لى غلام وكانت امرأتى  
عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا واجيب بان الواو لا تقتضى الترتيب الثالث قال في آل  
عمران وقد بلغنى الكبر وقال هناء وقد بلغت من الكبر عتيا واجيب بان ما بلغك فقد بلغته  
الرابع قال في آل عمران ايتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام الا مزرا وقال هناء ثلاث ليال سوايا  
واجيب بان الايتين دلتا على ان المراد ثلاثة ايام بلياليهن كما مر \* القصة الثانية قصة مريم  
وابنها عيسى عليهما السلام ولما كانت قصة عيسى عليه السلام أغرب من قصة يحيى لان خلق  
الولد من شخصين فانيين أقرب الى مناهج العادات من خلق الولد لامن أب البتة وأحسن  
طرق التعليم والفهم الاخذ من الاقرب فالاقرب من تقيالى الاصعب فالاصعب أشار الى  
ذلك بتغير السياق فقال عاطفا على ما تقديره اذ كره ذلك لهم (واذ كر) بلفظ الامر (في الكتاب)  
أى القرآن (مريم) أى قصتها وهى ابنة عمران خالة يحيى كما فى الصحيح من حديث أنس بن  
مالك بن صعصعة الانصارى فى حديث الاسراء فلما خلصت فاذا يحيى وعيسى وهما ابنا خالة  
ثم أبدل من مريم بدل اشتمال فقال (اذ) أى اذ كرماتفق لها حين (اتخذت) أى كلفت نفسها  
ان اعترت وانفردت (من أهلها) حالة (مكنا شرفيا) أى شرفى بيت المقدس وقال الرازى  
شرفى دارها وعن ابن عباس انى لا علم خلق الله تعالى لى شى اتخذت النصارى الشرق قبلة  
لقوله تعالى مكنا شرفيا فاتخذت ميلاد عيسى قبلة واقتصر الجلال المحلى على الشرق من  
الدار وتردد البضاوى بينهما فقال شرفى بيت المقدس أو شرفى دارها انتهى ويحتمل أن  
يكون شرفى بيت المقدس هو شرفى دارها فلا مخالفة (فاتخذت) أى اخذت بقصد وتكلف  
ودل على قرب المكان بالابيان بالجار فقال (من دونهم) أى أدنى مكان من مكانهم (حجابا) أى  
أرسلت سترانستتر به لقرض صحيح وليس عذ كور واختلف المفسرون فيه على وجوه أحدها

أنها طلبت الخلوه كيلا تشتغل عن العبادة تأتيها انها عطشت فخرجت الى المقارفة تستقي ثلثها  
 أنها كانت في منزل زوج أختها ذكر يوفيه محراب على حدة تسكنه وكان يذكر يا اذا خرج أخلق  
 عليها الباب فتمت أن تجدد خلوته في الجبل لتغلي رأسها وتؤبها فافتحمت لها الشمس فخرجت  
 فجلست في المشرقة وراء الجبل فأناها الملك كما قال تعالى (فأرسلنا) لا امر يدل على عظمتنا (الها  
 روحنا) أي جبريل عليه السلام ليعلمها بما يريد من الكرامة بولادة عيسى عليه السلام من  
 غير أب لثلايشته عليها الامر فقتل نفسها غما (فتمثل لها) أي تشجع بشين مجة ثم يامر وحده  
 شها مهمله وهو روحاني بصورة الجسماني (بشراسويا) في خلقه حسن الشكل رابعها  
 أنها أعدت في مشرفة للاغتسال من الخيض متحبة بشي يسترها وكانت تحول من المسجد الى  
 بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت فيبينها في مغتسلها أتاها جبريل بعد لبسها ثيابها  
 متمثلا بصورة شاب أمر دسوى الخلق تستأنس بكلامه اذ لو أتاها في الصورة الملكية لفررت  
 منه ولم تقدر على استماع كلامه قال السضاوي ولعله لتتج شهو تها فتحدو نطقها الى رجاها أي  
 مع أمنها القننة لعفتها قال الرازي وكل هذه الوجوه محتملة وليس في اللفظ ما يدل على ترجيح  
 واحد منها \* ولما رأت مريم جبريل قحوها (قالت اني أعوذ) أي أعتصم (بالرحمن) ربي  
 الذي رحته عامة لجميع خلقه (منك) أي أن تقربني وفتح يا اني نافع وابن كثير وأبو عمرو وسكنها  
 الباقون وهم على مراتبهم في المدو لما تفرست فيه بما أنار الله تعالى من بصيرتها وأصني من  
 سريرتها التقوى قالت (ان كنت تقيا) أي مؤمنا مطيعا وجواب الشرط محذوف دل عليه  
 ما قبله أي فاني عانتك ذلك دل تعوذها من تلك الصورة الحسنة على عفتها وورعها  
 (فان قيل) انما يستعاذ من الفاجر فكيف قالت ان كنت تقيا (أجيب) بأن هذا كقول  
 القتال ان كنت مؤمنا فلا تظلمني أي ينبغي أن يكون ايمانك مانعا لك من الظلم كذلك هنا ينبغي  
 أن تكون تقوا المانعة لك من الفجور وهذا في نهاية الحسن لانها علمت أنها لا تؤثر الاستعاذة  
 الا في التقى وهو كقوله تعالى وذروا ما بقى من الربان  $\llcorner$  كنتم مؤمنين أي ان شرط الايمان  
 بوجبه هذا لأن الله تعالى يحثي في حال دون حال وقيل كان في ذلك الزمان انسان فاجر  
 يتبع النساء اسمه تقي فظنت مريم ان ذلك الشخص المشاهد هو ذلك فاستعاذت منه قال الرازي  
 والاول هو الوجه \* ولما علم جبريل عليه السلام خوفها (قال) مجيبا لها بما علمناه اني لست بمن  
 تخشين أن يكون مني ما تؤكد الاجل استعاذتها (انما أنا رسول ربك) أي الذي عمدت به فأنا  
 لست ممن ما بل متصف بمذكرت وزيادة الرسالة وعب باسم الرب المقتضى للاحسان لطفها ولان  
 هذه السورة مصدر بالرحمة ومن أعظم مقاصدها تعداد التمس على خالص عباده وقوله (ليهب لك)  
 قرأ ورض وأبو عمرو وقالون بخلاف عنه بالياء أي ليهب الله تعالى لك وقرأ الباقون بالهمز أي  
 لاهب أمالك وفي مجازة وجهان الاول أن الهبة لما جرت على يده بأن كان هو الذي ينخ في جيها  
 بأمر الله تعالى يحصل نفسه كانه هو الذي وهب لها واضافة الفعل اليمن هو سبب مستعمل  
 تطل الله تعالى في الامتنان رب انهن أضللن كثيرا من الناس الثاني أن جبريل عليه السلام لما

بشرها بذلك كانت البشارة الصادقة جارية بحجى الهبة ثم بين الموهوب بقوله (غلاماً) أى ولداً  
 ذكر فى غاية القوة والرجولية ثم وصفه بقوله (وكيف) أى نبيا طاهرا من كل ما يدنس البشر  
 ناميا على الخير والبركة (قالت) مريم (أنى) أى من أين وكيف (يكون لى غلام) الله (علم  
 عيسى بشر) بنكاح (ولم أنبيا) أى زانية فتعجبت مما بشرها به جبريل عليه السلام لأنها  
 قد عرفت بالعادة أن الولادة لا تكون الا من رجل والعادة عند أهل المعرفة معتبرة فى الامور  
 وان يجوزوا خلاف ذلك فى القدرة فليس فى قولها هذا دلالة على أنها لم تعلم أنه تعالى قادر على  
 خلق الولد ابتداء وكيف وقد عرفت أنه تعالى خلق أبى البشر على هذا الحد ولأنها كانت منفردة  
 للعبادة ومن يكون كذلك لا بد أن يعرف قدرة الله تعالى على ذلك وبما تقر به قط ما قيل قولها  
 ولم عيسى بشر يدخل تحته قولها ولم أنبيا ولهذا اقتصر عليه فى سورة آل عمران بقولها قالت  
 رب أنى يكون لى ولد ولم عيسى بشر فلم تذكر البغي ويجوز أن يقال انها أفردت ذكر البغي مع  
 دخوله فى الكلام الاوّل لانه أعظم ما فى بابها فهو نظير قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة  
 الوسطى وقوله تعالى وملائكته ورسوله وجبريل وميكال (قال) لها جبريل عليه السلام  
 الامر (كذلك) من خلق غلام منك بغير أب وما كان لسان الحال قائلا كيف يكون بغير سبب  
 أجاب جبريل بقوله (قال ربك هو) أى المذهب وهو ايجاد الولد على هذه الهبة (على)  
 وحدى لا يقدر عليه غيرى (هين) أى بأن ينفع بأمرى جبريل فيك فحصل به ولكون  
 ما ذكر فى معنى العلة عطف عليه (ولجعلها) بما للنامن العظيمة (آية للناس) أى علامة على كمال  
 قدرتنا على البعث أدل من الآياتة فى يحيى عليه السلام وبه تمام القصة الرباعية فى خلق البشر  
 فانه أو جده من أنى بلا ذكر وحواء من ذكر بلا أنى وآدم عليه السلام لا من ذكر ولا أنى وبقيّة  
 أولاده من ذكر وأنى معا (ورحمة منا) على العبادية تدون به (وكان) ذلك كله (أمرا  
 مقضيا) به فى على وقوله تعالى (حملته) فيه حذف تقديره فنحننا فيها فحملته دل على ذلك  
 قوله تعالى فى سورة الصريم ومريم ابنت عمران التى أحصت فرجها فنحننا فيه من روحنا  
 واختلف فى النافع فقال بعضهم كان النفع من الله تعالى لهذه الآية ولانه تعالى قال ان مثل  
 عيسى عند الله كمثل ادم ومقتضى التشبيه حصول المشابهة الا فيما أخرجه الدليل وفى حق آدم  
 النافع هو الله تعالى قال تعالى فنحننا فيه من روحى فكذا همنا وقال بعضهم النافع جبريل  
 لأن الظاهر من قول جبريل عليه السلام لا هب لك على أحد القراءتين أنه النافع واختلف  
 فى كيفية نفعه فقيل ان جبريل عليه السلام رفع درعها فنفع فى جنبها فحملت حين لبسته وقيل  
 مد إلى جنب درعها أصابعه ونفع فى الجيب وقيل نفع فى كم قميصها وقيل فى فيها وقيل نفع  
 جبريل قمحان بعيد فوصل النفع اليها فحملت بعيسى فى الحال وقيل نفع فى ذيلها فدخلت  
 النعنة فى صدرها فحملت بغات أختها امرأة زكريا تزورها فلما التزمها عرفت أنها حبلى  
 وذكرت مريم حالها فقالت امرأة زكريا انى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله  
 تعالى مصدقا بكلمة من الله وقيل حملت وهى بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشرين وقد

كانت حاضت حيضتين قبل أن تحصل قال الرازي وليس في القرآن ما يدل على شيء من هذه  
 الاقوال المذكورة ثم عقب بالمثل قوله (فأقبلت به) أي فاعتزات به وهو في بطنها حالة (مكثاً  
 قصياً) أي بعيداً من أهلها أو من المصكان الشرقي وأشار إلى قرب الولادة من الحمل بقوله  
 التعقيب في قوله (فأجابها) أي فأقربها وأجأها (المخاض) وهو تحرك الولد في بطنها للولادة  
 (إلى جذع النخلة) وهو ما برز منها من الأرض ولم يبلغ الاخصان وكان تعريتها لانه لم يكن في  
 تلك البلاد الباردة غيرها فكانت كالعلم لما فيها من العجب لان النخل من أقل الاشجار صبراً على  
 البرد ولعلها ألحنت اليها دون غيرها من الاشجار على كثرتها المناسبة حال النخلة لها لانها لا تحمل  
 الا باللقاح من ذكر النخل فحملها بمجرد هزها أنسب شيء ياتيها بولدها من غير والد فكيف اذا كان  
 ذلك في غير وقتها وكانت يابسة مع ما لها فيها من المنافع بالاستناد اليها والاعتماد عليها أو ككون  
 رطبها حرسه للنساء وغاية في نفعها وغير ذلك والحرسه بجناه مجبة مضمومة طعام النساء وهو  
 مراد الجوهري بقوله طعام الولادة قال ابن عباس الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل  
 ثلاث ساعات جلته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وقيل  
 كانت مدته تسعة أشهر كحمل سائر النساء وقيل كانت مدة حملها ثمانية أشهر وذلك آية أخرى له لانه  
 لا يعيش من ولد الثمانية أشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولد ستة أشهر ولما كان  
 ذلك أمراً اصعباً عليها جداً كان كانه قيل باليت شعري ما كان حالها فقيل (قالت) لما حصل  
 عندها من خوف العار (باليتنى مت) وأشارت إلى استغراق الزمان بالموت بمعنى عدم الوجود  
 فقالت من غير جارية (قبل هذا) أي الامر العظيم وقرأ نافع وحفص وحزرة والكسائي مت بكسر  
 الميم والباقون بالضم (وكنيت نسياً) أي شيئاً من شأنه أن يطرح وينسى (منسياً) أي متروكاً  
 بالفعل لا يخطر على بال (فان قيل) لم قالت ذلك مع أنها كانت تعلم ان الله تعالى بعث جبريل  
 عليه السلام اليها ووعداها بان يجعلها وولدها آية للعالمين (أجيب) عن ذلك بأجوبة الاقول  
 أنها كتبت ذلك استخياء من الناس فأبساها الاستخياء بشارة الملائكة بعيسى الثاني أن عادة  
 الصالحين اذا وقعوا في بلاء أن يقولوا ذلك كما روى عن أبي بكر رضي الله عنه أنه نظر إلى  
 طائر على شجرة فقال طوبى لك يا طائر تقع على الشجر وتناكل من الثمر وددت أني ثمرة ينقرها  
 الطائر وعن عمر رضي الله عنه أنه أخذ تبن من الأرض فقال باليتنى هذه التبنة ولم أكن شيئاً  
 وعن علي رضي الله عنه يوم الحمل ليتنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال ليت  
 بلال لم تلده أمه فثبت ان هذا الكلام يذكره الصالحون عند اشتداد الامر عليهم الثالث  
 لعلها قالت ذلك للتلايقع في المعصية من يتكلم فيها والافهسي راضية بما بشرت به وقرأ حفص  
 وحزرة نسياً يفتح النون والباقون بالكسر وقوله تعالى (فناداها من تحتها) قرأه نافع  
 وحفص وحزرة بكسر من وجر التاء من تحتها والباقون يفتح من ونصب تحتها وأمال ألف ناداها  
 حمزة والكسائي امالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللقطين والباقون بالفتح وفي المنادى أوجه  
 أحدها أنه عيسى عليه السلام وهو قول الحسن وسعيد بن جبير نائياً أنه جبريل عليه

السلام وأنه كالقابلة للولد نالها ان المنادى على القرامه بالفتح هو عيسى وعلى القرامه بالكسر  
 هو جبريل وهو مروي عن ابن عيينة وعاصم قال الرازي والاول اقرب وصدر به البيضاوي  
 واقتصر الجلال المحلى على الثاني والمعنى على الاول ان الله تعالى أنطقه لها حين ولده تطيبا  
 لقلبها وازالة للوحشة عنها حتى تشاهد في أول الامر ما بشرها به جبريل من علوشان ذلك الولد  
 وعلى الثاني ان الله تعالى أرسله اليها ليناديها بهذه الكلمات كما أرسل اليها في أول الامر  
 تذكيرا للنشرات المقدمة والضمير في تحتها للسيدة مريم وعلى تقدير أن يكون المنادى هو  
 عيسى فهو ظاهر وان كان جبريل فقبل انه كان تحتها يقبل الولد كالقابلة وقيل تحتها أسفل من  
 مكانها وقيل الضمير فيه للنخلة أي ناداها من تحتها (أن لا تحزني) يجوز في أن تكون مفسرة  
 لتقدمها ما هو معنى القول ولا على هذا ناهية وحذف النون للجزم وأن تكون الناصبة ولا  
 حينئذ نافية وحذف النون للنصب ومحل أن اما نصب أو جز لانها على حذف حرف الجر أي  
 فناداها بكذا (قد جعل ربك) أي المحسن اليك (تحتك) في هذه الارض التي لاماء جار فيها  
 (سريا) أي جردولا من الماء تطيب به نفسك قال الرازي اتفق المفسرون الا الحسن وعبد  
 الرحمن بن زيد أن السرى هو النهر والجدول سمي بذلك لان الماء يسرى فيه وأما الحسن وابن  
 زيد فانهما جعلوا السرى هو عيسى والسرى هو النيل الجليل يقال فلان من سروات قومه أي  
 أشرفهم واحتج من قال هو النهر بأن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن السرى فقال هو  
 الجدول وبقوله تعالى فكلني واشربي فدل على أنه النهر حتى يضاف الماء الى الرطب فتا كل  
 وتشرب واحتج من قال انه عيسى بأن النهر لا يكون تحتها بل الى جنبها ولا يجوز أن يجاب  
 عنه بأن المراد انه جعل النهر تحت أمرها يجري بأمرها ويقف بأمرها كقول فرعون وهذه  
 الانهار تجري من تحتي لان هذا اجل للفظ على مجازته ولو جلتنا على عيسى لم يمتج الى هذا المجاز  
 وأيضا فانه موافق لقوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية (وأجيب) بأن المكان المستوي اذا  
 كان فيه مبدأ معين فكل من كان أقرب منه كان فوق وكل من كان أبعد منه كان تحت  
 • (تبيه) • اذا قيل بأن السرى هو النهر ففيه وجهان الاول قال ابن عباس ان جبريل  
 ضرب برجله الارض وقيل عيسى فظهر عين ماء عذب وجرى وقيل كان هناك ماء جار قال  
 ابن عادل والاول اقرب لان قوله قد جعل ربك تحتك سري يدل على الحدوث في ذلك الوقت ولان  
 الله تعالى ذكره تعظيما لها وقيل كان هناك نهر يابس أجرى الله فيه الماء وحيث  
 النخلة اليابسة وأوردت وأثمرت وأرطبت قال أبو عبيدة والقراء السرى هو النهر مطلقا  
 وقال الاخفش هو النهر الصغير (وهزي اليك) أي أوقعي الهز وهو جذب بصريك (بمذبح  
 النخلة) أي التي أنت تحتها مع يسها وكون الوقت ليس وقت حملها (تساقط عليك) من أعلاها  
 (رطبا جنيا) طريا آية أخرى عظيمة روى أنها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان  
 الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأسا وثمرتها ورطبها وقرأ حزة بفتح التاء والسين  
 مخففة وفتح القاف وخص بضم التاء وفتح السين مخففة وكسر القاف والباقون بفتح التاء

وتشد يد السب مفتوحة وفتح القاف \* (تنبيه) \* الباء في جذع زائدة والمعنى هزى اليك  
 جذع النخلة كما في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم قال القراء تقول العرب هزه وهزبه وخذ  
 الخطام وخذ بالخطام وزوجتك فلانة وبفلانة وقال الاخفش يجوز أن يكون على معنى هزى  
 اليك رطباً يجذع النخلة أي على جذعها ورطباً يميز وخبياً صفته والرطب اسم جنس لرطوبة  
 بخلاف تضم فإنه جمع لتخمة والفرق أنهم التزموا تذكيره فقالوا هو الرطب وتأنيت ذلك فقالوا  
 هي التضم فذكروا الرطب باعتبار الجنس وأثروا التضم باعتبار الجمعية قال ابن عادل وهو فرقة  
 لطيف والرطب ما قطع قبل يسه وجصافه وخص الرطب بالذكور قال الريح بن خيثم ما للنفساء  
 عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وهذه الأفعال الخارقة للعادة ككرامات  
 لمريم وارهاس لعيسى وفي ذلك تنبيه على أن من قدر أن يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر أن  
 يجعلها من غير فحل وتطيب لنفسها فذلك قال (فكلى) أي من الرطب (واشرب) من السرى  
 أو كلي من الرطب واشرب من عصيره (وقزى عينا) أي وطبى نفسك وارضى عنها ما أحرزها  
 وقدم الأكل على الشرب لأن حاجة النفساء إلى الرطب أشد من احتياجها إلى شرب الماء  
 ككرة ما سال منها من النم (فان قيل) ان مضرة الخوف أشد من مضرة الجوع والعطش لأن  
 الخوف ألم الروح والجوع ألم البدن وألم الروح أقوى من ألم البدن روى أنه أجيبت شاة فقدم  
 إليها علف وعند هاذب فبقيت الشاة مدة مديدة لا تتناول العلف مع جوعها خوفاً من الذئب  
 ثم كسر رجلها وقدم إليها العلف فتناولت العلف مع ألم البدن فدل ذلك على أن ألم الخوف أشد  
 من ألم البدن وإذا كان كذلك فلم يقدّم ضرر الجوع والعطش على دفع ضرر الخوف (أجيب)  
 بأن هذا الخوف كان قليلاً لأن بشاره جبريل عليه السلام كانت قد تقدمت فما كانت تحتاج  
 إلا إلى التذكير مرة أخرى وقيل قزى عينا بولد لعيسى وقيل بالنوم فإن المهموم لا ينام  
 وقوله (فأما) فيه ادغام نون ان الشرطية في ما الزائدة (ترين) حذفته منه لام الفعل وعينه  
 وألقيت حركتها على الراء وكسرت ياء الضمير لا لتقاء الساكنين (من البشر أحدا) ينكر عليك  
 (فقول) يا مريم لذلك المنكر جواً بالله مع التأكيد تنبيهاً على البراءة لأن البرى يكون ساكناً  
 لا طمثنانه والمرتاب يكثر كلامه وحلقه (ان نذرت للرحمن) أي الذي عت رحته (صوما) أي  
 أي امساك عن الكلام في شأنه وغيره مع الاناسي بدليل (فلن أكلم اليوم انسيا) فان كلامي  
 يقبل الرد والمجادلة ولكن يتكلم عنى المولود الذي كلامه لا يقبل الدفع وأما أنا فأنز نفسي  
 عن مجادلة السفهاء قالوا ومن أخذ الناس سفهم لم يجد مسافها فلا أكلم إلا الملائكة أو الخلق  
 بالتسبيح والتقدير وسائر أنواع الذكر وقيل صيا ما لانهم كانوا لا يتكلمون في صياهم فعمل  
 هذا كان ذكر الصوم دالاً على الصمت وهذا النوع من النذر كان جائزاً في شرعهم وهل يجوز  
 مثل هذا النذر في شرعنا قال النفال لعله يجوز لأن الاحتراز عن كلام الآدميين وتجريد  
 الفكر بذكر الله تعالى قرينة ولعله لا يجوز لما فيه من التضييق وتعذيب النفس كنذر القيام  
 في الشمس وروى أنه دخل أبو بكر رضي الله عنه على امرأته فنذرت أن لا تتكلم فقال

أبو بكر أن الإسلام قد هدم هذا فتكلمى • (تنبيه) • اختلفوا في أنها هل قالت لهم انه نذرت  
 للرحمن صوما فقال قوم انها ما تكلمت معهم بذلك لانها كانت مأمورة بأنها تأتي بهذا النذر  
 فلم تكلمت معهم بعد ذلك لوقعت في المناقضة ولكنها ساكتت وأشارت برأسها وقال آخرون  
 انها ما نذرت في الحال بل صبرت حتى أتاها القوم فذكرت لهم أنها نذرت للرحمن صوما فلن  
 أكلم اليوم انسي بعد هذا الكلام (فأنت) أي فلما سمعت هذا الكلام اشتد قلبها و زال  
 حزنها فأنت (به) أي عيسى (قومها) وان كان فيهم قوة المحاولة لكل ما يريدون اتيانه البري  
 الموقن بأن الله معه حالة كونها (تحملة) غير مبالية بأحد ولا مستحسبة واختلفوا في أنها  
 كيف أنت به فقيل ولدته ثم جلته في الحال الى قومها وقيل احتمل يوسف التجار مريم وابنها الى  
 غار ومكثت فيه أربعين يوما حتى طهرت من نقاسها ثم جلته الى قومها فكلما في الطريق فقال  
 يا أمه أبعثي فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل  
 بيت صالحين قال الرازي وليس في القران ما يدل على التعيين ثم كأنه قيل فلما أنت به قومها  
 ماذا قالوا لها فقيل (قالوا يا مريم) ما هذا الولد لان حالها في اتيانها به أمر عجيب (لقد جئت  
 شيئا فريا) أي عظيما منكرا فيكون ذلك منهم على وجه الدم فهو من أفرى الجلد يقال أفريت  
 الاديم اذا قطعته على جهة الافساد لان من فريته يقال فريته قطعته على جهة الاصلاح ويدل  
 على أن مرادهم الاقل قولهم بعده (يا أخت هرون ما كان أبولدا امراسوه) أي زانيا (وما  
 كانت أمتك بغيا) أي زانية فمن أين لك هذا الولد لان هذا القول ظاهره التوبيخ وفي هرون هذا  
 أربعة أقوال أحدها أنه رجل صالح من بني اسرائيل ينسب اليه كل من عرف بالصلاح  
 والمراد أنك كنت في الزهد كهرون فكيف صرت هكذا وروى أن هرون هذا الملمات تبع  
 جنازته أربعون ألفا كلهم يسمى هرون من بني اسرائيل تبركا باسمه سوى سائر الناس شبهوها به  
 على معنى انا ظننا أنك مثله في الصلاح وليس المراد منه الاخوة في النسب كقوله تعالى ان  
 المبذرين كانوا اخوان الشياطين وروى المغيرة بن شعبه قال لما قدمت نجران سألتوني فقالوا  
 انكم تفرقون يا أخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم سألته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون بأبياتهم والصالحين قبلهم قال ابن كثير  
 وأخطأ محمد بن كعب القرظي في زعمه أنها أخت موسى وهرون نسباقان بينهما من الدهور  
 الطويلة ما لا يحصى على من عنده أدنى علم وكانه غزوه في أول التوراة ان مريم أخت موسى وهرون  
 ضربت بالدف يوم نجي الله تعالى موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه وجنوده فاعتقد أن  
 هذه هي تلك وهذا في غاية البطلان والمخالفة للحديث الصحيح المتقدم الثاني أنه هرون أخو  
 موسى لانها كانت من نسله كما يقال للتسمي يا أختي وللحمد اني يا أختي حمدان أي يا واحدا  
 منهم الثالث انه كان فاسقا في بني اسرائيل فنسبت اليه أي شبهوها به الرابع انه كان لها أخ  
 من أبيها يسمى هرون من ضلحاء بني اسرائيل فصرته قال الرازي وهذا هو الاقرب لوجهين  
 الأول ان الأصل في الكلام الحقيقة فيصم الكلام على أخيها المسمى بهرون الثاني انها

أضفت اليه ووصف أبواها بالصلاح فحينئذ يصير التوبيخ أشد لان من كان حال أبويه وأخيه  
بهذا الحال يكون صدور الذنب منه أخف (فأشارت اليه) أي لما بالغوا في توبيخها سكت  
وأشارت الى عيسى عليه السلام انه هو الذي يجيبكم قال ابن مسعود لما لم يكن لها حجة  
أشارت اليه ليكون كلامه حجة لها وعن السدي لما أشارت اليه غضبوا وقالوا اضريتها بنا  
أشد من زناها ثم (قالوا كيف تكلم من كان في المهد صبيا) لم يبلغ سن هذا الكلام الذي لا يقوله  
الا الاكابر العقلاء بل الانبياء والتعبير بكان يدل على أنه عند الاشارة اليه لم يحوجهم الا أن  
يكلموه بل حين سمع المحاورة ورأى الاشارة بدامنه قول خارق لعادة الرضعا بل الصبيان  
روى انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاعة وأقبل عليهم بوجهه وانكأ على يساره وأشار  
بسبابة يمينه وقيل كلهم ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان (تنبيه) في كان هذه  
أقوال أحدها انها زائدة وهو قول أبي عبيد أي كيف تكلم من في المهد وصيا على هذا نصب  
على الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور الواقع صلة ثانيها أنها تامة بمعنى حدث  
ووجد والتقدير كيف تكلم من وجد صبيا وصيبا حال من الضمير في كان قال الرازي وهذا هو  
الاقرب الثالث انها بمعنى صار أي كيف تكلم من صار في المهد صبيا وصيبا على هذا خبرها  
(فان قيل) كيف عرفت مريم من حال عيسى انه يتكلم (أجيب) بأن جبريل أو عيسى عليه  
السلام لما ناداهما من تحتها أن لا تحزني وأمرها عند رؤية الناس بالسكوت صار ذلك كالتنبيه  
لها على أن الجيب هو عيسى عليه السلام أو لعلها عرفت ذلك بالوحي الى زكريا واليهما على سبيل  
الكرامة واختلفوا في المهد فقيل هو حجرها لما روى أنها أخذته عليه السلام في خرقة فأتت  
به قومها فلما رأوها قالوا الهامات قالوا فأشارت اليه وهو في حجرها ولم يكن لها منزل بعد حتى  
يعدها المهد وقيل هو المهد بعينه والمعنى كيف تكلم صبياسيله أن ينام في المهد وقال وهب أي  
زكريا مريم عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فوصف نفسه  
بثمان صفات \* الصفة الاولى (قال اني عبد الله) أي الملك الاعظم الذي له صفات الكمال لا تعبد  
لغيره وفي ذلك اشارة الى أن عبد الله لا يتخذها من دونه ولا يستعبده شيطان ولا هوى \* الصفة  
الثانية قوله تعالى (أتاني الكتاب) واختلف في ذلك الكتاب فقال بعضهم هو التوراة لان الالف  
واللام في الكتاب تنصرف للمعهود والكتاب المعهود لهم هو التوراة وقال أبو مسلم هو الانجيل  
لان الالف واللام ههنا للجنس وقال قوم التوراة والانجيل لان الالف واللام تفيد الاستغراق  
(٣) واقتصر البيضاوي على الاول والباقى على الثالث وزاد عليه والزبور وغيرها من الصحف  
الصفة الثالثة قوله (وجعلني نبيا) واختلف في معنى ذلك فقيل معناه سيوتيني الكتاب ويجعلني نبيا  
وأي يلقظ الماضي يجعل المحقق وقوعه كالواقع كما في قوله تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه وقيل هو  
اخبار عما كتب في النوح المحفوظ كما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا قال كنت وآدم  
بين الروح والجسد وقال الاكثرون أوتى الانجيل وهو صفيير طفل وكان يعقل عقل الرجال وقال  
الحسن أنهم التوراة وهو في بطن أمه \* الصفة الرابعة قوله (ويخلق مباركاً) بأنواع البركات

(٣) قوله واقتصر البيضاوي على الاول الذي في البيضاوي تفسير الكتاب بالاقتضيل وهو الثاني هنا فقل من ادب الاول جعل الجنس ام

(انها)



(أيضا) أي في أي مكان (كنت) وذكر وافي تفسير المبارك وجوها أحدها أن البركة في اللغة هي الثبات وأصله من برولذ البعر ومعناه وجعلني ثابتا على دين الله تعالى مستمرا عليه ثابتهما إنما كان مباركا لأنه كان يعلم الناس دينهم ويدعوهم إلى طريق الحق فان ضلوا فن قبل أنفسهم لا من قبله زوى الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سألت أم عيسى عيسى إلى الكتاب فقالت للمعلم أذفعه إليك على أن لا تضربه فقال له المعلم اكتب فقال أي شيء أكتب فقال اكتب أبجد فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال هل تدري ما أبجد فعلاه بالدره لضربه فقال يا مؤذّب لا تضربني ان كنت لا تدري فاسألني فأنى أعلمك الا لث من آلاء الله والباء من بهائه والجم من جماله والذال من أداء الحق إلى الله تعالى ثابته البركة الزيادة والعلو فكانت قال جعلني في جميع الاحوال منجما مفلحا لاني مادمت أتق الله في الدنيا أكون مستعليا على الغير بالحجة فاذا جاء الوقت المعلوم أكرمني الله تعالى بالرفع إلى السماء رابعها مباركا هي الناس من حيث يحصل بسبب دعائه احياء الموتى وبراء الاكهم والابصر وعن قتادة أن امرأة رآته وهو يحيي الموتى ويبرئ الاكهم والابصر فقالت طوبى لبطن حلت وثدى أرضعت به فقال عيسى محييا لها طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يكن جبارا شقيا \* (تبيه) \* قوله أي إنما كنت يدل على أن حاله لم يتغير كما قيل انه عاد إلى حال الصغور و زوال التكليف الصفة الخامسة قوله (وأوصاني بالصلاة) له طهارة للنفس (والزكاة) طهارة للعالم فعلا في نفسي وأمر الغيري (مادمت حيا) ليكون ذلك حجة على من ادعى أنه اله لانه لا شبهة في أن من يصلى إلى اله ليس باله (فان قيل) كيف يؤمر بالصلاة والزكاة مع أنه كان طفلا والقلم مرفوع عن الصغرة لقوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث الحديث (أجيب) بوجهين الاول أن ذلك لا يدل على أنه تعالى أو صاه بأدائهما في الحال بل بعد البلوغ فيكون المعنى أو صاني بأدائهما في وقت وجوبهما على وهو وقت البلوغ الثاني أن عيسى لما انفصل صيره الله بالغاعا قلاتام الخلقه ويدل عليه قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم فكما أنه تعالى خلق آدم تاما كاملا دفعة فكذا القول في عيسى عليه السلام قال الرازي وهذا أقرب إلى ظاهر اللفظ لقوله مادمت حيا فهذا يفيد أن هذا التكليف متوجه عليه في جميع زمان حياته (فان قيل) لو كان الامر كذلك لكان القوم حين رأوه رأوا شخصا كامل الاعضاء تام الخلقه ومسدورا الكلام عن مثل هذا الشخص لا يكون عجبا فكان ينبغي أن لا يتعجبوا (أجيب) بأنه تعالى جعله مع صغر جسده قوى التركيب كامل العقل بحيث كان يمكنه أداء الصلاة والزكاة والآية دالة على أن تكليفه لم يتغير حين كان في الارض وحين رفع إلى السماء وحين ينزل \* الصفة السادسة قوله (وبرا) أي وجعلني بارا وهذا كان السياق لبراء والدته قال (بوالهني) أي التي أكرمها الله تعالى باحصان الفرج والحلبي من غير ذكر وفي ذلك اشارة إلى تنزيه أمته عن الزنا اذ لو كانت زانية لما كان الرسول المعصوم مأمورا بتعظيمها الصفة السابعة قوله (ولم يجعلني جبارا) متعاطفا (حقيا) أي عاصيا بأن أفعل فعل الجبارين بغير استحقاق إنما أفعل ذلك لئلا يستحق وروى عن عيسى عليه السلام أنه قال لبيز واني ضعيف في نفسي وعن بعض العلماء

لا أجد العاق الا جبارا شقيا ولا اجد سيء الملكة الا محملا لا نفورا وتلا وما ملكت أيمانكم ان الله  
 لا يحب من كان محملا لا نفورا المصفة الثامنة قوله (والسلام) من الله (على) فلا يقدر أحد على  
 ضري (يوم ولدت) فلا يضرنى شيطان (ويوم أموت) فلا يضرنى أيضا ومن يولد ويموت فليس باله  
 (ويوم أبعث حيا) يوم القيامة كما تقدم في يحيى عليه السلام وفي ذلك إشارة الى أنه في النشأة  
 مثله سواء لم يقارقه أصلا الا في كونه من غير ذكر واذا كان جنس السلام عليه كان اتباعه كذلك  
 ولم يبق لاعدائه الا اللعن وتطيره قول موسى عليه السلام والسلام على من اتبع الهدى بمعنى  
 ان العذاب على من كذب وتولى (ذلك) أي الذي تقدم نعتة بقوله اني عبد الله الى آخره هو  
 (عيسى بن مريم) لا ما يصفه النصارى بقولهم انه الله أو ابنه أو اله ثالث فهو تكذيب لهم  
 فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهاني حيث جعل الموصوف باضداد ما يصفونه  
 وفي ذلك تنبيه على أنه ابن هذه المرأة وقوله تعالى (قول الحق) قرأ عاصم وابن عامر بنصب  
 اللام على أنه مصدر مؤكد والباقون بالرفع على أنه خبر محذوف أي هو قول الحق الذي لا ريب  
 فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق أو لتعلم القصة ثم عجب تعالى من ضلالهم فيه  
 بقوله تعالى (الذي فيه يعترفون) أي يشكون شكيا كلفونه ويجادلون فيه فتقول اليهود ساحر  
 وتقول النصارى ابن الله مع ان أمه امرأة في غاية الوضوح ليس موضع الشك أصلا ثم دل على  
 كونه حقا في كونه ابنا لأمه مريم لا غيرها بقوله رد اعلى من ضل (ما كان) أي ما صح  
 ولا يتأتى ولا يتصور في العقول ولا يصح ولا يأتى لانه من المحال لكونه يلزم منه الحاجة (لله)  
 الغنى عن كل شيء (ان يتخذ من ولد) وأكدهم لان المقام يقتضي النفي العام ولما كان  
 اتخاذ الولد من النقائص أشار الى ذلك بالتنزيه العام بقوله تعالى (سبحانه) أي تنزه عن كل نقص  
 أي من احتياج الى ولد أو غيره ثم علل ذلك بقوله عز وجل (اذ قضى أمرا) أي أي أمر كان  
 أي أراد ان يحدته (فانما يقول له كن) أي يريده ويعلق قدرته به وقوله تعالى (فيكون) قرأه  
 ابن عامر بنصب النون بتقدير أن اوعلى الجواب والباقون بالرفع بتقدير هو وقوله (وان الله  
 ربي وربكم) اخبار عن عيسى عليه السلام انه قال ذلك وقرأ ابن عامر والكوفيون بكسر  
 الهمزة على الاستئناف والباقون بفتحها بفتح تقدير حذف حرف الجر متعلق بما بعده والتقدير ولان  
 الله ربي وربكم (فأعبدوه) وحده لتفرده بالاحسان كما أعبده كقوله تعالى وان المساجد لله فلا  
 تدعوا مع الله أحدا والمعنى لو حدا فته أطبعوه وقيل انه عطف على الصلاة والتقدير وأوصاني  
 بالصلاة وبأن الله واليه ذهب القراء (هذا) أي الذي أمرتكم به (صراط) أي طريق (مستقيم)  
 أي يقود الى الجنة وقرأ قبل بالسين وخلف بالهمام الصاد والباقون بالصاد الخالصة واختلف  
 في قوله تعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم) فقيل هم النصارى واختلفا في عيسى أهوا بن الله  
 أو اله معه أو ثالث ثلاثة وسوا أحزابا لانهم تحزبوا ثلاث فرق في أمر عيسى التسطورية  
 والملكانية واليعقوبية وقيل هم اليهود والنصارى فجعل بعضهم ولدا وبعضهم كذا بابا وقيل هم  
 الكفار الشامل لليهود والنصارى وغيرهم من الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال

ابن عادل وهذا هو الظاهر لانه لا تخصيص فيه ويؤيده قوله تعالى (فويل للذين كفروا) أى  
شدة عذاب لهم (من مشهد يوم عظيم) أى حضور يوم القيامة وأهواله وقوله تعالى (أسمع  
بهم وأبصر) أى بهم صيغتا تعجب بمعنى ما أسمعهم وما أبصرهم (يوم يأتوننا) فى الآخرة لأن  
حالمهم فى شدة السمع والبصر جدية بأن يتعجب منها فيندمون حيث لا يتقهم الندم ويتمنون  
المحال من الرجوع الى الدنيا ليتداركوا فلا يجابون الى ذلك بل يسلك بهم فى كل ما يؤذهم  
وويلكهم ويردبهم - وقوله تعالى (لكن الظالمون) من أهامة الظاهر مقام المضمر اشعراوا  
بأنهم ظلوا أنفسهم حيث أغفلوا الاستماع والنظر والاصل ولكنهم (اليوم) أى فى الدنيا  
(فى ضلال مبين) أى بين ذلك الضلال صموا عن سماع الحق وعوا عن ابصاره أى اعجب منهم  
يا مخاطب فى سمعهم وابصارهم فى الآخرة بعد ان كانوا فى الدنيا صمما وعميا وقيل معناه التهديد  
بما سيسمعونه وسيبصرون ما يبصرون وهم ويصدق قلوبهم ثم ان الله تعالى أمر نبيه محمد صلى الله  
عليه وسلم أن يندرقومه بقوله (وأنذرهم) أى خوفهم (يوم الحسرة) هو يوم القيامة يتحسرفيه  
المسى على ترك الاحسان والمحسن على عدم الازدياد من الاحسان لقول رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ما من أحد يموت الا ندم قالوا وما ندمه يا رسول الله قال ان كان محسنا ندم أن لا يكون  
ازداد وان كان مسيئا ندم أن لا يكون نزع وفى قوله تعالى (اذقضى الامر) وجوه أحدها اذ  
قضى الامر ببيان الدلائل وشرح أمر الثواب والعقاب ثانيا اذقضى الامر يوم الحسرة بفضاء  
النسب وزال التكليف ثالثا اذقضى الامر فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل  
النار النار ويح الموت كما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى اذقضى الامر  
فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش أملح فيذبح والفريقان يتظران فيزداد أهل الجنة فرحا الى  
فرح وأهل النار غما الى غم وقوله تعالى (وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون) جلتان حالتان وفيهما  
قولان أحدهما انهما حالان من الضمير المستتر فى قوله فى ضلال مبين أى استقرتوا فى ضلال مبين  
على هاتين الحالتين السئتين والثانى انهما حالان من مفعول أنذرهم أى أنذرهم على هذه الحالة  
وما بعد ها وعلى الاول يكون قوله وأنذرهم اعتراضا والمعنى وهم فى غفلة عما يفعل بهم -  
فى الآخرة وهم لا يصدقون بذلك اليوم - ولما كان الارث هو حوز الشئ بعد موت أهله وكان  
صحابه وتعالى قد قضى بموت الخلائق أجمعين وانه تعالى يتق وحده عبر عن ذلك بالارث مقترابه  
مضمون الكلام السابق فقال مؤكدا تكذبا لقولهم ان الدهر لا يزال هكذا حياة لناس وموت  
لا تخرين (انا نحن) بعظمتنا التى اقتضت ذلك (نرت الارض) فلاندع بم اشيا من عاقل ولا غيره  
ولما كان العاقل أقوى من غيره صرح به بعد دخوله فقال (ومن عليها) أى من العقلاء بأن  
نسلبهم جميع ما فى أيديهم (والبنا) لا الى غيرنا (يرجعون) فنجاز بهم بأعمالهم - القصة الثالثة  
قصة ابراهيم عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (وآذ كرى فى الكتاب ابراهيم) أى خبره وقرأ  
هشام ابراهيم بالف بعد الهاء والباقون بالياء وانما أمر الله تعالى نبيه بالذكر لئلا يظن لانه صلى  
الله عليه وسلم ما كان هو ولا قومه ولا أهل بلده مشتغلين بالتعليم ومطالعة الكتب فاذا أخبر

عن هذه القصة كما كانت من غير زيادة ولا نقصان كان ذلك اخبارا عن الغيب ومهجزا  
 باهراد الاعلى نبوته وانما ذكر الاعتبار بقصة ابراهيم عليه السلام لوجوه الاول ان  
 منكري التوحيد والذين اثبتوا توحيداً ومعبوداً سوى الله تعالى فريقان منهم من اثبت  
 معبوداً غير الله تعالى حياً عاقلاً وهم النصارى ومنهم من اثبت معبوداً غير الله تعالى جماً  
 ليس بحي ولا عاقل وهم عبدة الاوثان والفريقان وان اشتركا في الضلال الا ان ضلال  
 عبدة الاوثان اعظم فلما بين الله تعالى ضلال الفريق الاول تكلم في ضلال الفريق الثاني  
 وهم عبدة الاوثان الثاني ان ابراهيم عليه السلام كان ابا العرب وكانوا مقربين به  
 شأنه وطهارته دينه على ما قال تعالى ابيكم ابراهيم وقال تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم  
 الا من سفه نفسه فكانه تعالى قال للعرب ان كنتم مقلدين لا يكم على قولكم انا وجدنا آياتنا  
 على امة فاشرف آياتكم واعلامهم قدرا هو ابراهيم عليه السلام فقلدوه في ترك عبادة الاصنام  
 والاثان وان كنتم مستدلين فانظروا في هذه الدلائل التي ذكرها ابراهيم عليه السلام لتعرفوا  
 فساد عبادة الاوثان وبالجملة فاتبعوا ابراهيم ائمة تقليداً واما استدلال الثالث ان كثيراً من  
 الكفار في زمان النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون نترك دين آباءنا وابداننا فاذكر الله  
 تعالى قصة ابراهيم عليه السلام وهو انه ترك دين آبيه وابطل قوله بالدليل ورجح متابعه الدليل  
 على متابعه آبيه ثم قال تعالى في صفة ابراهيم (انه كان) جبلة وطبعاً (صديقاً) أي بليغ  
 الصدق في نفسه في اقواله وافعاله أي كان من اول وجوده الى انتهائه وصوفاً بالصدق  
 والصفاته وسماً في الكلام على قوله بل فعله كبيرهم هذا واني سقيم في محله ولما كانت مرتبة  
 النبوة ارفع من مرتبة الصديقية قال تعالى (نبياً) أي استنبأه الله تعالى اذ لارفعة اعلى  
 من رتبة من جعله الله واسطة بينه وبين عباده وقوله تعالى (اذ قال) بدل من ابراهيم وما بينهما  
 اعتراض او متعلق بكان او بصديقاً نبياً أي كان جامعاً لخصائص الصديقين والانبيا حين  
 قال (لايه) آزره اذ ياله من تبه الضلال بعبادة الاصنام مستعطفاله في كل جملة بقوله (يا ابي)  
 والثناء عوض عن ياء الاضافة ولا يجمع بينهما ما قرأ ابن عامر بفتح التاء في الوصل والباقون  
 بكسرها واما الوقت فوقت ابن كثير وابن عامر بالهاء والباقون بالياء ثم ان الله تعالى حكى عنه  
 أيضاً انه تكلم مع آبيه بأربعة انواع من الكلام النوع الاول قوله (لم تعبد) مردياً بالاستفهام  
 الجملية واللفظ والرفق واللين والادب الجميل في نصحه كاشفاً لامر غاية الكشف بقوله  
 (ما لا يسمع ولا يبصر) أي ليس عنده قاطبة لشي من هذين الوصفين ليري ما أنت فيه من  
 خدمته او يجيبك اذا ناديت به طالاً او ما لا (ولا يفتي عنك شيئاً) في جلب نفع ودفع ضرر فوصف  
 الاوثان بصفات ثلاث كل واحدة منها قاذحة في الالهية وبيان ذلك من وجوه احدها  
 ان العبادة غاية التعظيم فلا تستحق الا لمن له غاية الانعام وهو الاله الذي منه اصول النعم  
 وفرعها على ما تقر في تفسير قوله وان الله وبى وربكم وكانه لا يجوز الاشتغال بشكره لم تكن  
 متعممة ويجب ان لا يجوز الاشتغال بعبادتها وثانيها انها اذا لم تسمع ولا تبصر ولا تفتي من يطعمها  
 عن يمينها في فائدة في عبادتها وهذا تنبيه على ان الاله يجب ان يكون عالمياً بكل المخلوقات

وثالثها أن الدعاء مع العبادة فاذا لم يسمع الوثن دعاء الداعي فأى منفعة في عبادته واذا لم يبصر  
 تقرب من يتقرب اليه فأى منفعة في ذلك التقرب ورابعها أن السامع المبصر الضار النافع  
 أفضل من كان عارياً عن كل ذلك والانسان موصوف بهذه الصفات فيكون أفضل وأكمل من  
 الوثن فكيف يليق بالافضل عبودية الاخر وخامسها ان كانت لا تنفع ولا تضر فلا يربح بها  
 منفعة ولا يخاف من ضررها فأى فائدة في عبادتها وسادسها اذا كانت لا تحفظ نفسها عن  
 الكسر والافساد حين جعلها ابراهيم عليه السلام جذاً اذا فإى رجا فيها للغير فكانه عليه السلام  
 قال ليست الالهة الا الرب يسمع ويبصر ويجب دعوة الداعي اذا دعاه النوع الثاني قوله  
 (يا آبت انى قد جاني) من المعبود الحق (من العلم ما لم يأتك) منه (فاتبعنى) اى فتسبب من  
 ذلك انى أقول لك وجوبا على النهى عن المنكر ونصيحة لما لك على من الحق اجتهد فى تبغى  
 (أهدك صراطا) أى طريقا (سويا) أى مستقيما كما انى لو كنت معك فى طريق محسوس  
 وأخبرت ان أمامنا مهلكا لا ينجم منه أحد وأمرتك أن تسلك مكانا غير ذلك لا طعتنى ولو  
 عصيتنى فيه عدك كل أحد غاويا النوع الثالث قوله (يا آبت لا تعبد الشيطان) فان الاصنام ليس  
 لها دعوة أصلا والله تعالى قد حرّم عبادة غيره مطلقا على لسان كل ولى فتعين أن يكون الآخر  
 بذلك الشيطان فكانه هو المعبود بعبادتها فى الحقيقة ثم علل هذا النهى بقوله (ان الشيطان)  
 البعيد من كل خير المحترق باللعة (كان للرجن عصيا) بالقوة من حين خلق وبالفعل من حين أمره  
 بالسجود لا يك آدم عليه السلام فأبى فوه وعدو لله وله والمطيع للعاصى لشي عاص لذلك الشئ  
 لان صديق العدو وعدو (فان قيل) هذا القول يتوقف على اثبات أمور أحدها اثبات الصانع  
 وثانيها اثبات الشيطان وثالثها ان الشيطان عاص ورابعها أنه لما كان عاصيا لم تجز طاعته  
 وخامسها أن الاعتقاد الذى كان عليه آزر مستقام من طاعة الشيطان ومن شأن الدلالة التى  
 تورد على الشخص أن تكون مركبة من مقدمات معلومة ليس لها الخصم ولعل ابراهيم كان  
 متازعا فى هذه المقدمات وكيف والمحكى عنه انه ما كان يثبت الها سوى نمر وذك كيف يعلم وجود  
 الرجن واذا لم يعلم وجوده فكيف يعلم أن الشيطان عاص للرجن ويتقدر تسليم ذلك فكيف  
 يعلم الخصم مجرد هذا الكلام ان مذهبه مقتبس من الشيطان بل اعلم يغلب ذلك على خصمه  
 (وأجيب) بأن الحجية المعقول عليها فى ابطال مذهب آزر هو قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر  
 ولا يفنى عنك شيئا وهذا الكلام جرى مجرى التوضيف والتحذير الذى يحمله على النظر فى تلك  
 الدلالة فيسقط السؤال النوع الرابع قوله (يا آبت انى أخاف) لمحبتى لك وعزتى عليك (ان  
 يسلك عذاب) أى كائن (من الرجن) الذى هو مولى كل من تولاه لعصيانك اياه (فتكون) أى  
 فتسبب عن ذلك أن تكون (للسيطان وليا) أى ناصر او قرين فى النار ولما دعا ابراهيم  
 عليه السلام اياه الى التوحيد وذكر الدلائل على فساد عبادة الاوثان وأردف تلك الدلائل  
 بالوعظ البليغ وأورد كل ذلك مقرونا بالرفق والالطف قابله أبوهم بجواب يضاد ذلك فقابل بحجته  
 بالثقل فانه لم يذكر فى مقابلة حجته الا أن (قال أراغب أنت عن الهى) باضافتها الى نفسه

فقط اشارة الى مبالغته في تعظيمها والرغبة عن الشيء تركه هذا قاصر على ادعاء الهيتاجهلا  
وتقليدا وقابل قوله بالرفق يا ايت بالعنف حيث لم يقبل ياخي بل قال (يا ابراهيم) وقابل وعظه  
بالسفاهة حيث هدده بالضرب والشم بقوله مقسما (لئن لم تنته) عما أنت عليه (لا رجنتك)  
أى لاقتلتك أو لا رجنتك بالجحارة حتى عوت أو تبعد عنى أو بالكلام القبيح فاحذرنى (واهجرتنى)  
أى ابعد عنى بالمفارقة من الدار والبلد وهى كهجرة النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أى  
تبعد عنى (مليا) أى دهر اطويلا لى لا أراك وقيل اهجرتنى بالقول ولا تخاطبني دهر اطويلا  
لأجل ما صدر منك من هذا الكلام وفى ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتأسية فيما كان  
يلقى من الأذى ويقاسى من قومه من العناد ومن عمه أى لهب من الشدايد بأعظم آياته  
وأقربهم به شها قلم سمع ابراهيم عليه السلام كلام آية أجاب بأمرين أحدهما أن (قال) له مقابلا  
لما كان منه من طيش الجهل بما يحق لمثله من رزاة العقل والعلم (سلام عليك) توديع  
ومتاركة أى سلمت منى لا أصيبك بمكروه مالم أؤصرك بشئ فإنه لم يؤمر بقتاله على كفره  
كقوله لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا  
سلاما وهذا يدل على جواز متاركة المنصوح إذا ظهر منه اللجاج وعلى انه يحسن مقابلة الاسامة  
بالاحسان ويجوز أن يكون دعاءه بالسلامة استمالة الأتري أنه وعده بالاستغفار فيكون سلام  
بر واطف وهو جواب الخليم للسفيه كقوله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ثم استأنف  
قوله (سأستغفر لك ربى) أى المحسن الى بأن أطاب لك منه غفران ذنوبك بأن يوفقك للاسلام  
(أنه كان نبى حقا) أى مبالغى الكرامى مرة بعد مرة وكررة فى اثر كرتة وقد وفى بوعدته بقوله  
المذكور فى الشعراء واغفر لى وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكره فى برائة وثانيهما  
أنه قال له انقاد الامراء به (وأعترلكم) أى جميعا بترك بلادكم وأشار الى ان من شرط المعبود  
أن يكون أهلا للمناداة فى الشدايد بقوله (وما تدعون) أى تعبدون (من دون الله) الذى له  
الكمال كله فن أقبل عليه وحده أصاب ومن أقبل على غيره ولو طرفة عين فقد خاب وخسر  
(وادعو) أى اعبد (ربى) وحده لاستحقاقه ذلك منى ولم يقيد الاعتزال بزمن بل أشار الى أنهم  
ماداموا على هذا الدين فهو معتزل لهم ثم دعا نفسه بما ينهم به على خسة معاهم فقال غير  
جازم باجابة دعوته وقبول عبادته اجلالا لربه وهضمها لنفسه (عسى أن لا أكون بدعاه ربى)  
المتنرد بالاحسان الى (شقى) أى كما تنصيم بعبادة الاصنام فانها لا تجيب دعاءكم ولا تنفعكم  
ولا تنصركم ولما رأى من آية وهما شرته ما رأى عزم على غربة مشقة النوى محتسار للغربة  
فى البلاد على غربة الاضداد فكان كما قال الامام أبو سليمان الخطابى

وما غربة الانسان فى شقة النوى \* ولكنها والله فى عدم الشكل

وانى غريب بين يست وأهلها \* وان كان فيها أسرقى وبها أهلى

وحقق ما عزم عليه فبين سبحانه وتعالى تحقيق رجائه واجابة دعائه فقال (فلما اعتزلهم) أى  
بالهجرة الى الارض المقدسة (وما يعبدون من دون الله) لم يضره ذلك دينا ولا دينا بل نفعه

وهو ضه الله أولاداً كما قال تعالى (وهيئنا له) كما هو الشأن في كل من تولى شياؤه (اسحق) ولداً  
 له لصلبه من زوجته العاقرة العقيم بعد تجاوزه حسن الياس وأخذه هو في السنن إلى حد لا يولد  
 لمنه (وبعقوب) ولداً لاسحق وخصه بما بالذ كر لآزومه ما محل أقامته وقيامهما بعد موته بخلافته  
 فيه وأما اسم عيل عليه السلام فكان الله سبحانه وتعالى هو المتولى لتربيته بعد نقله رضيعاً  
 إلى المسجد الحرام وأحياته تلك المشاعر العظام فأفرد به بالذ كر جاعلاً له أصلاً برأسه بقوله بعد  
 واذكر في الكتاب اسم عيل فترت ذكره مع اسحق الذي هو أخوه لذلك ثم صرح بما ذهب لآولاده  
 جزاء على هجرته بقوله تعالى (وكلاً) أي منهما (جعلنا نبياً) على المقدار ويجزى بالآخبار والعظيمة  
 كما جعلنا إبراهيم عليه السلام نبياً (وهيئنا لهم) كلهم (من رحمتنا) أي شياً منها عظيماً من النسل  
 الطاهر والذرية الطيبة واجابة الدعاء واللفظ في القضاء والبركة في المال والاولاد وغير ذلك  
 من خيرى الدنيا والآخرة (وجعلنا لهم لسان صدق علياً) وهو الثناء الحسن وعبر باللسان  
 عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهو العطفية واستجاب الله تعالى دعوته  
 في قوله تعالى واجعل لى لسان صدق فى الآخرة فصيحة قدوة حتى ادعاه أهل الايمان  
 كلهم فقال تعالى مله أيبكم إبراهيم وقد اجتمعت فيه خصال لم تجتمع فى غيره اولها انه  
 اعترل عن الخلق على ما قال وأعتزلكم وما تدعون من دون الله فلا جرم بارك الله له فى اولاده  
 فقال ووهيئنا له اسحق وبعقوب وكلاً جعلنا نبياً ثانياً انه تبرأ من آبيه كما قال عز وجل فلما  
 تبين له انه عدو لله تبرأ منه لاجرم سماه الله أباً المسلمين فقال مله أيبكم إبراهيم ثالثها انه ولد  
 للجبين ليدبجه فى الله على ما قال تعالى وتله للجبين لاجرم فداء الله تعالى على ما قال وقد ينسأه  
 بذبج عظيم وابعها أسلم نفسه فقال أسلمت رب العالمين فجعل الله تعالى النار برداً وسلاماً  
 عليه فقال يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم خامسها أشفق على هذه الامة فقال ربنا  
 وأبعت فيهم رسولا منهم لاجرم أشركه الله تعالى فى الصلوات فى قوله تعالى كما صليت على  
 إبراهيم وعلى آل إبراهيم سادسها وفى حق سارة فى قوله تعالى وإبراهيم الذى وفى لاجرم جعل  
 موطن قدميه مباركا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى سابعها عادى كل الخلق فى الله فقال  
 فانهم عدوا لى الأرب العالمين فاتخذ الله خليلاً كما قال واتخذ الله إبراهيم خليلاً ليعلم صحة قولنا  
 ما خبر على الله أحداً القصة الرابعة قصة موسى عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (واذكر  
 فى الكتاب) أى الذى لا كتاب مثله فى الكمال (موسى) أى الذى أنقذ الله به بنى اسرائيل  
 من العبودية ثم ان الله تعالى وصفه بأمر أحدها قوله تعالى (انه كان مخلصاً) قرأه عامص  
 وحزة والكسافى بفتح اللام أى مختار اختاره الله تعالى واصطفاه وقيل أخلصه الله تعالى من  
 الدنس والباقون بالكسر أى أخلص التوحيد لله والعبادة ومتى ورد القرآن بقراءتين فكل  
 منهما ثابتة مقطوع به فجعل الله تعالى من صفة موسى عليه السلام كلاً الامرين ثانياً بقوله  
 تعالى (وكان رسولا) إلى بنى اسرائيل والنبط (نبياً) يشبهه الله بما يريد من وجهه لى به المرسل  
 اليهم فيرفع بذلك قدره فلذلك صرح به بعد دخولها فى الرسالة فمنا اذ كل رسول نبى وليس

كل نبي رسولاً خلافاً له معتزلة فانهم زعموا كونهم متلازمين فكل رسول نبي وكل نبي رسول  
وسياق الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى في سورة الحج عند قوله وما أرسلنا من قبلك من  
رسول ولا نبي . قالها قوله تعالى (وناديناه) أي بما لنا من العظمة (من جانب الطور) هو  
اسم جبل (الايمن) أي الذي يلي عين موسى حين أقبل من مدين فأبناؤه هناك حين ضحك  
متوجهاً الى مصر بأنه رسولنا ثم واعدناه اليه بعد اغراق آل فرعون فكان لبني اسرائيل  
به من العجايب في رحمتهم بانزال الكتاب والالذاب الخطاب من جوف الصحاب وفي اماتهم  
لماطلبوا الرؤية ثم احياهم وغير ذلك مما يجبل عن الوصف رابعها قوله تعالى (وقربناه) بما لنا من  
العظمة تقرب تشریف حاله كونه (نجياً) تخبره من أمر نايلا واسطة من التجوى وهي السر  
والكلام بين اثنين كالسر وقيل قرب مكان أي مكانا عالياً عن أي العالوية أنه قرب حتى سمع صرير  
القلم حيث يكتب التوراة في الألواح وقيل أفحيناه من أعدائه خامسها قوله تعالى (وهبنا له)  
أي هبة تليق بعظمتنا (من رحمتنا) أي من أجل رحمتنا وبعض رحمتنا (أخاه) أي معاضدة  
أخيه وموازرتة لانخصه واخوته وذلك اجابة لدعوته واجعل لي وزيراً من أهلي هرون فإنه  
كان أسن من موسى \* (تنبيه) \* أخاه مفعول أو بدل على تقدير أن تكون من للتبويض وقوله  
(هرون) عطف بيان وقوله (نجياً) حال منه هي المقصودة بالهبة \* القصة الخامسة قصة اسمعيل  
عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (واذكر في الكتاب اسمعيل) بن ابراهيم عليهما السلام  
الذين هم معترفون بنبوته ومقضرون برسالته وأبوتهم فلزم من ذلك فساد تعليلهم انكار نبوتك  
بأنك من البشر ثم ان الله تعالى وصف اسمعيل بأمر أوله اقوله تعالى (أنه كان) أي جبلة وطبعاً  
(صادق الوعد) في حق الله وفي حق غيره لمعونة الله على ذلك بسبب أنه لا يعدو وعد الامقرون  
بالاستثناء كما قال لا ييه حين أخبره بأمر ذبحه سبحانه ان شاء الله من الصابرين وخصه بالمدح به  
وان كان الانبياء كلهم كذلك لقصة الذبح فلا يلزم منه تفضيله مطلقاً وروى عن ابن عباس أنه  
وعد صاحبه أنه ينتظره في مكان فانتظره سنة وروى أن عيسى عليه السلام قال له رجل  
انتظرني حتى آتيك فقال عليه السلام نعم وانطلق الرجل ونسى الميعاد فجاء الى حاجته الى ذلك  
المكان وعيسى عليه السلام هناك للميعاد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه واعد رجلاً  
ونسى ذلك الرجل فانتظره من النجى الى غروب الشمس وسئل الشعبي عن الرجل يوعده معاداً  
الى أي وقت ينتظره قال فان واعدته نهاراً فكل النهار وان واعدته ليلاً فكل الليل وسئل  
ابراهيم بن زيد عن ذلك فقال اذا واعدته في وقت الصلاة فانتظره الى وقت صلاة أخرى فانها  
قوله تعالى (وكان رسولاً نبياً) قد مر تفسيره وثالثها قوله تعالى (وكان يأمر أهله بالصلاة)  
أي التي هي طهرة البدن وقرة العين وخير العون على جميع المآرب (والزكاة) أي التي  
هي طهرة المال كما وصي الله تعالى بذلك جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمراد بالاهل  
قومه وقيل أهل جميع أمته وكان رسولاً الى جرحهم قاله الامصهاني والى أهل تلك البراري  
يدين أيه ابراهيم والمراد بالصلاة قال ابن عباس يريد التي افترضها الله تعالى عليهم قال



اليعقوبى وهى الخفيفة التى اقتضت علينا قبل كان يبدأ بأهله فى الامر بالعبادة ليجعلهم قدوة  
 لمن سواهم كما قال تعالى وأندر عشرين وأمر أهلك بالصلاة قوا أنفسكم وأهليكم  
 نارا وبالزكاة قال ابن عباس انها طاعة الله والاخلاص فكانه تأوله على ما يزكوه الفاعل  
 عند ربه تعالى والظاهر كما قال ابن عادل ان الزكاة اذا قرنت بالصلاة أن يراد بها الصدقات  
 الواجبة رابعها قوله تعالى (وكان عند ربه) بعبادته على حسب ما أمر به (مرضيا)  
 وهذا فى نهاية المدح لان المرضى عند الله هو الصائز فى كل طاعة بأعلى الدرجات فاقدمت أنت  
 به فانه من أجل آياتك لتجمع بين طهارة القول والبدن والمال فتنال رتبة الرضا فى القصة  
 السادسة قصة ادريس عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (واذ كفى الكتاب) أى  
 الجامع لكل ما يحتاج اليه حتى ما يحتاج اليه من قصص المتقدمين والمتأخرين (ادريس)  
 وهو جد نوح عليه السلام قيل سمي ادريس لكثرة دراسته الكتب واسمه أحنوخ  
 بهملة ونون وآخره خاء موحدة وصفه الله تعالى بأمر أحدها وثانيها قوله تعالى (انه كان  
 صديقا نبيا) أى صادق فى أفعاله وأقواله ومصداقا بما آتاه الله من آياته وعلى السنة الملائكة  
 ثالثها قوله تعالى (ورفعناه مكانا عليا) وفيه قولان أحدهما انه من رفع المنزلة كقوله تعالى  
 للنبي صلى الله عليه وسلم ورفعناك ذكرك فان الله تعالى شرفه بالنبوة وأنزل عليه ثلاثين  
 صحيفة وهو أول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب وأول من خاط الثياب ولبسها  
 وكانوا من قبله يلبسون الجلود وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار وثانيها أنه من  
 رفعة المكان ثم اختلفوا فقال بعضهم رفعه الله تعالى الى السماء الرابعة وهى التى رآه النبي  
 صلى الله عليه وسلم به ليلة الاسراء وقيل الى الجنة وهو حى لا يموت وقالوا أربعة من الانبياء  
 احياء اثنان فى الارض الخضر والياسر واثنان فى السماء عيسى وادريس وقال وهب كان  
 يرفع لادريس كل يوم من العبادة ما يرفع لجميع أهل الارض فى زمانه فمحببت منه الملائكة  
 واشتاق له ملك الموت فاستأذن ربه فى زيارته فأذن له فأتاه فى صورة بنى آدم وكان ادريس يصوم  
 الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فأبى أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره  
 ادريس وقال له الليلة الثالثة انى أريد أن أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استأذنت ربي أن  
 أصحبك فقال لى اليك حاجة قال ما هى قال تقبض روحى فأوحى الله تعالى اليه أن اقبض  
 روحه فقبض روحه وردها اليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما الفائدة فى سؤالك قبض الروح  
 قال لا ذوق كرب الموت ونعته فأكون أشد استعدادا له ثم قال له ادريس ان لى اليك حاجة  
 أخرى قال وما هى قال ترفعى الى السماء لا تنظريها والى الجنة والنار فأذن الله تعالى له فى ذلك  
 فرفعه فلما قرب من النار قال لى اليك حاجة قال وما تريد قال تسأل مالكا أن يفتح أبوابها فردها  
 ففعل ثم قال كما أريدنى النار فأرني الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتح ففتح أبوابها فدخله الجنة  
 ثم قال له ملك الموت اخرج لتعود الى مكانك فتعلق بشجرة وقال ما أخرج منها فبعث الله تعالى  
 ملكا يحكي بينهم ما قال له الملك مالك لا تخرج قال ان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد

ذقته وقال وان منكم الاواردها وقد وردتها وقال وما هم منها بخير حين قلت أنخرج فأوحى  
الله تعالى الى ملك الموت بأذني دخل الجنة وبأذني لا يخرج فهو حي هناك وقال آخرون بل رفع  
الى السماء وقبض روحه وقال كعب الاخبار ان ادريس سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج  
الشمس فقال يارب اني مشيت يوما فكيف عشتي من يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد  
اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرفه فقال  
يارب خفف عنى حر الشمس فالذي قضيت فيه فقال تعالى ان عبدى ادريس سألنى ان أخفف  
عنى حرها وحرها فأجبتة قال يارب اجعل بينى وبينه خلة فأذن له حتى أتى ادريس فكان  
ادريس يسأله فكان مما سأله ان قال له انى أخبرت أنك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت  
فأشفع لى ليؤخر أجلي فأزاد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسه اذا جاء أجلها وانما كلمه  
فرفعه الى السماء ووضع عند مطلع الشمس ثم أتى ملك الموت فقال لى حاجة اليك لى صديق من  
بنى آدم تشفع بى اليك لتؤخر أجلي فقال ليس ذلك لى ولكن ان أحببت أعلمه أجليه فقدم لنفسه  
قال نعم فنظر فى ديوانه فقال انك كلتنى فى انسان ما أراه يموت أبدا قال وكيف ذلك قال لأجله  
يموت الا عند مطلع الشمس قال انى أتيتك وتركته هناك قال فانطلق فلأراك تجده الا وقدامات  
فوالله ما بقى من أجل ادريس شى فوجع الملك فوجده ميتا ولما انقضى كشف هذه الاخبار  
العلية المقدار الجليله الاسرار شرع سبحانه وتعالى ينسب أهلها بأشرف نسبهم ويذكر المنن  
بينهم فقال عز من قائل (أولئك) أى العالو الرتبة الشرفاء النسب المذكورون فى هذه  
السورة من لدن زكريا الى ادريس وهو مبتدا وقوله (الذين أنعم الله عليهم) بما خصهم به من  
مزيد القرب اليه وعظيم المنزلة لديه صفته وقوله تعالى (من النبيين) أى المصطفين بالنبوة  
الذين أنبأهم الله تعالى بدقائق الحكم ورفع محالهم بين الامم بيان لهم وهو فى معنى الصفة  
وما بعده الى جلة الشرط صفة للنبيين فقوله (من ذرية آدم) أى ادريس لقربه منه لانه جد  
أبى نوح (ومن حملنا مع نوح) فى السفينة أى ابراهيم ابن ابنه سام (ومن ذرية ابراهيم) أى  
اسماعيل واسحق ويعقوب (ومن ذرية اسرائيل) وهو يعقوب أى موسى وهرون وزكريا  
ويحيى وكذا عيسى لان مريم من ذريته (ومن هدينا) الى اقوام الطرق (واجتبتنا) للنبوة  
والكرامة أى من جانتهم وخبر أولئك (اذا تتلى عليهم) من أى تال كان (آيات الرحمن) خروا  
سجدا) للمنع عليهم تقربا اليه لما لهم من البصائر النيرة فى ذكر نعمه عليهم واحسانه  
اليهم (وبكيا) خوفا منه وشوقا اليه فكونوا مثلهم (تنبيه) سجدا حال مقدرة قال الزجاج  
لانهم وقت الخرو ليسوا سجدا وهو جمع ساجد وبكيا جمع بك وائس بقياس بل قياس جمعه  
على فعلة كقاض وقضاة ولم يسمع فيه هذا الاصل وأصل بكيا بكوي اقلت الواو اياء والضممة  
كسرة واختلف فى هذا السجود فقال بعضهم انه الصلاة وقال بعضهم سجود التلاوة على  
حسب ما تعبدوا به قال الرازى ثم يحتمل أن يكون المراد سجود القرآن ويحتمل أنهم عند  
الخلوف كانوا قد تعبدوا بسجود فيقه لون ذلك لاجل ذكر السجود فى الآية انتهى وروى ابن

ماجه وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتلوا القرآن واكروا فان لم تبكوا فانتبا كوا  
وعن صالح المزني قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه  
القرائة فاين البكاء وعن ابن عباس اذا قرأت سجدة سبحان فلا تجلوا بالسجود حتى تبكوا  
فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ما غرغرت عين بجماء الاحرم  
الله تعالى على النار جسدها وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان القرآن نزل محزنا فاذا قرأتموه  
فحازنوا وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يبلغ النار من بكى من خشية الله وقال  
العلماء يدعون في سجدة التلاوة بما يليق بآياتها فان قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من  
الساجدين لوجهك المسجين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المتكبرين عن أمرك واذا قرأ  
سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الأسفين لك وان قرأ هذه قال اللهم  
اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين بالباكين عند تلاوة آيات كتابك وقرأ حمزة والكسائي  
يكابكسر الباء والباقون بضمها \* ولما وصف سبحانه وتعالى هؤلاء الانبياء بصفة المدح ترغيبا لنا  
في التأسى بهم ذكر بعضهم من هو بالضد منهم فقال (خلف من بعدهم) أى في بعض الزمان  
الذي بعدهم هؤلاء الاصفياء سريعا (خلف) في غاية الرداءة من أولادهم يقال خلفه اذا عقبه  
خلف سواه باسكان اللام والخلف يفتح اللام الصالح كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان  
الشر وفي الحديث في الله خلف من كل هالك وفي الشعر

ذهب الذين يعاش في أكافهم \* وبقيت في خلف كجلد الاجرب

وقال السدي أراد بهم اليهود ومن لحق بهم وقال قتادة في (أضاعوا الصلاة) تركوا الصلاة  
المفروضة وقال ابن مسعود وابراهيم أخرهما عن وقتها وقال سعيد بن المسيب هو أن لا يبصلى  
الظهر حتى يأتي العصر ولا يبصلى العصر حتى تغرب الشمس (وآبىعوا الشهوات) أى المعاصى  
قال ابن عباس هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا انكاح الاخت من  
الاب وقال مجاهد هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزوب بعضهم على بعض في الاسواق  
والازقة (فسوف يلقون غيا) وهو كما قال وهب وابن عباس واد في جهنم بعيد قعره تستعبد منه  
أوديتها كما رواه الحاكم وصححه وقيل هو الخسران وقيل هو الشر كقول القائل

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره \* ومن يغول لا يعدم على الغي لا غما

على الغي متعلق بلا غما وقيل يلقون جزاء الغي كقوله يلق أئاما أى مجازاة الآثام \* (تنبيه) قوله  
تعالى يلقون ليس معناه يرون فقط بل معناه الاجتماع والملازمة مع الرؤية \* ولما أخبر تعالى  
عن هؤلاء بالخيبة فتح لهم باب التوبة وحدهم الى غسل هذه الخبوة بقوله (الامن تاب) أى  
عما هو عليه من الضلال وبأدب الاعمال وحفاظ على الصلوات وكف نفسه عن الشهوات (وآمن)  
بما أخذ عليه به العهد (وعمل) بعد ايمانه تصديقا له (صالحا) من الصلوات والذكوات وغيرها  
(فأولئك) العالوا اللهم الطاهر والشيم (يدخلون الجنة) التي وعد المتقون (ولا يظلمون)  
من ظالم ما (شيأ) من أعمالهم (فان قيل) الاستثناء يدل على أنه لا بد من التوبة والايمان والعمل

الصالح وليس الامر كذلك لان من تاب عن كفره ولم يدخل وقت الصلاة أو كانت المزاة حائضا  
 فانه لا يجب عليهم الصلاة والزكاة أيضا غير واجبة وكذلك الصوم فهذا الومات في ذلك الوقت  
 كان من أهل النجاة مع أنه لم يصدر منه عمل فلم يجز توقف الاجر على العمل الصالح (أجيب)  
 بأن هذه الصورة تاديرة والاحكام انما تانا بالاعم الاغلب \* (تنبيه) \* في هذا الاستثناء وجهان  
 قال ابن عادل أظهرهما انه متصل وقال الزجاج هو منقطع وهذا بناء منه على أن المضيع للصلاة  
 من الكفار ووافق الزجاج الجلال المحلى \* ولما ذكر تعالى في التائب انه يدخل الجنة وصفها  
 بأمرأ حدها قوله تعالى (جنات عدن) أي اقامة لا يظعن عنها بوجه من الوجوه وصفها بالدوام  
 على خلاف وصف الجنان في الدنيا التي لاتدوم ثم بين تعالى انها (التي وعد الرحمن عباده) الذين  
 هو أرحم بهم وقوله (بالغيب) فيه وجهان أحدهما أن الباء حالية وفي صاحب الحال احتمالان  
 أحدهما ضمير الجنة وهو عائد الموضوع أي وعدا وهي غائبة عنهم لا يشاهدونها والثاني عباده  
 أي وهم غائبون عنها لا يرونها انما آمنوا بها بمجرد الاخبار منه والوجه الثاني أن الباء ميبية أي  
 بسبب تصديق الغيب وسبب الايمان به \* ولما كان من شأن الوعود الغائبة على ما يتعارفه  
 الناس بينهم احتمال عدم الوقوع بين أن وعده ليس كذلك بقوله تعالى (انه كان) أي كونا هو سنة  
 ماضية (وعده ما أتت) أي مقصودا بالفعل فلا بد من وقوعه فهو كقوله ان كان وعد ربنا لمفعولا  
 ثانيا قوله تعالى (لا يسمعون فيها الغوا) وهو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر  
 على تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله تعالى عنه الدار الآخرة التي لا تكليف فيها وقد مدح الله  
 تعالى أقواما بقوله واذا أمرتوا باللغو منكم واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنأعمالنا  
 واكم أعمالكم سلام عليكم لا يفتخى الجاهلين نعوذ بالله من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنينا  
 وقوله تعالى (الاسلام) استثناء منقطع أي ولكن يسمعون قولوا يسلمون فيه من العيب والتقصية  
 أو سلاما من الله أو من الملائكة أو من بعضهم على بعض ويجوز أن يراد باللغو مطلق الكلام قال  
 في القاموس لغوا تكلم فيكون الاستثناء متصلا أي لا يسمعون فيها كلاما الا كلاما يدل على  
 السلامة أو سلاما من الله أو من الملائكة أو من بعضهم على بعض ثالثا قوله تعالى (ولهم  
 رزقهم فيها) أي على ما يتخونه ويشتهونه على وجه لا يقض ايمانهم ولا كافة عليهم فيه ولامنة  
 عليهم به (بكرة وعشيا) أي على قدرهما في الدنيا وليس في الجنة نهان ولا ليلي بل ضوء وفور ابدأ  
 وقيل انهم يعرفون النهار برفع الحجب والليل بارخامها (فان قيل) المخصوص من هذه الآيات وصف  
 الجنة بأحوال مستعظمة ووصول الرزق اليهم بكرة وعشيا ليس من الامور المستعظمة (أجيب)  
 بوجهين الاول قال الحسن أراد الله تعالى أن يرغب كل قوم عما أحبه في الدنيا فذلك  
 ذكر أساور الذهب والفضة ولبس الحرير التي كانت عادة العجم والارثاق التي هي الحال المضروبة  
 على الاسرة وكانت عادة أشرف اليمن ولا شيء كان أحب الي العرب من القساء والعشاء  
 فوعدهم بذلك الثاني أن المراد دوام الرزق تقول أنا عند فلان صياطوسه وبكرة وعشيا  
 تريد الدوام ولا تصد الوقتين المعلومين وقيل المراد رفاة العيش وسعة الرزق أي لهم رزقهم

متى شأوا \* ولما بينت بهذه الاوصاف دار الباطل أشار الى علو مرتبتهم او ما هو سببها بقوله تعالى  
 (تلك الجنة) باداة البعد لعلو قدرها وعظم أمرها (التي نورث من عبادنا) أي نعطي عطاء الارث  
 الذي لا كد فيه ولا استرجاع وتبقى له الجنة كما يبقى للوارث مال الموروث وقيل تنقل تلك المنازل  
 عن لو أطلع لكانت له الى عبادنا الذين اتقوا ربهم فجعل النقل ارثنا قاله الحسن (من كان  
 تقيا) أي المتقين عن عباده (فان قيل) الفاسق المرتكب للكبائر لم يوصف بذلك الوصف  
 فلا يدخلها (أجيب) بأن الآية تدل على أن الجنة يدخلها المتقى وليس فيها دلالة على أن غير المتقى  
 لا يدخلها وأيضا صاحب الكبيرة متقى عن الكفر ومن صدق عليه انه متقى عن الكفر فقد  
 صدق عليه أنه متقى واذا كان صاحب الكبيرة يصدق عليه أنه متقى وجب أن يدخل الجنة  
 فدلالة الآية على أن صاحب الكبيرة يدخلها أولى من أن تدل على أنه لا يدخلها \* واختلف في  
 سبب نزول قول جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم (وما تنزل الابرار ربك) فقال ابن عباس قال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فترت الآية وقال  
 مجاهد أبطأ الملك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليله فقال لعلي أبطأت قال قد فعلت قال  
 ولم لأفعل وأنتم لا تسوكون ولا تقصون أظفاركم ولا تتقون براجمكم وقال وما تنزل  
 الابرار ربك فترت وقال قتادة والكلبي احتبس جبريل عليه السلام عن النبي صلى الله عليه  
 وسلم حين سأله قومه عن قصة أصحاب الكهف وذى القرنين والروح وسبب سؤالهم عن  
 ذلك ما روى ان قريش بعثت خمسة رهط الى يهود المدينة يسألونهم عن صفة النبي صلى الله  
 عليه وسلم وهل يجذونه في كتابهم وسألوا النصارى فزعموا أنهم لا يعرفونه وقالت اليهود نجده  
 في كتابنا وهذا زمانه وقد سألنا رجن اليمامة عن ثلاث فلم يعرف فسلوه عنهن فان أخبركم عن  
 خصلتين فاتيهوه فسألوه عن قصة أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فلم يدركيف  
 يجيب فوعدهم أن يجيبهم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عنه أربعين يوما وقيل خمسة  
 عشر يوما فتق ذلك عليه مشقة عظيمة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل عليه  
 السلام قال له النبي صلى الله عليه وسلم أبطأت حتى ساء ظني واشتقت اليك قال اني اليك أشوق  
 ولكني عبد حامورا اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فترت هذه الآية وأنزل قوله تعالى  
 ولا تقولن اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وسورة الغصن (فان قيل) قوله تلك الجنة  
 التي نورث من عبادنا من كان تقيا كلام الله وقوله وما تنزل الابرار ربك كلام غير الله فكيف جاز  
 عطف هذا على ما قبله من غير فصل (أجيب) بأنه اذا كانت القرينة ظاهرة لم يقبح كقوله تعالى  
 اذا قضى أمرنا فاقم اية قول له كن فيكون وهذا كلام الله تعالى ثم عطف عليه قوله وان الله ربي  
 وربكم فاعبدوه ثم عطف جبريل قوله ذلك بقوله (له ما بين أيدينا) أي امامنا من أمور الآخرة  
 (وما خلفنا) أي من أمور الدنيا (وما بين ذلك) أي ما يكون من هذا الوقت الى قيام الساعة  
 أي له علم ذلك جميعه وقيل ما بين ذلك ما بين النقيضين وبينهم ما أربعون سنة وقيل ما بين أيدينا  
 ما بين من الدنيا وما خلفنا ماضى منها وما بين ذلك مدة حياتنا وقيل ما بين أيدينا بعد أن يموت

وما خلقنا قبل أن نخلق وما بين ذلك مدة الحياة وقيل ما بين أيدينا الأرض إذا أردنا النزول  
إليها وما خلقنا السماء وما ينزل منها وما بين ذلك الهواء يريد أن ذلك كله لله فلا نقدر على شيء  
إلا بأمره (وما كان ربك) المحسن إليك (تسبيحاً) بمعنى ناسياً أي تاركاً لك تأخير الوحي عنك لقوله  
تعالى ما ودعك ربك وما قلى أي وما كان امتناع النزول إلا امتناع الأمر به وما كان ذلك عن  
ترك الله تعالى لك وتوديعه إياك ثم استدل على ذلك بقوله (رب السموات والأرض وما بينهما)  
فلا يجوز عليه التسبيح إذا لا بد أن يسكهم ما حالاً بعد حال واللبطل الأمر فيهما وفيه يتصرف  
والآية دالة على أن الله تعالى رب لكل شيء حصل بينهما ففعل العبد مخلوق له تعالى لأن فعل  
العبد حاصل بين السماء والأرض \* (تسبيحاً) \* يجوز في رب أن يكون بدلاً من ربك وأن يكون  
خبر مبتدأ مضمراً أي هو رب وقوله تعالى (فاعبده واصطبر لعبادته) خطاب للنبي صلى الله عليه  
وسلم مرتب على ما تقدم أي لما عرفت أن ربك لا ينسأ فاعبده بالمراقبة الدائمة على ما ينبغى من  
مثلك واصطبر عليها ولا تتشوش بإبطاء الوحي وهزء الكفار ربك (فان قيل) لم يقل واصطبر على  
عبادته لأنها صلتها فكان حقه تعدي به على (أجيب) بأنه ضمن معنى الثبات لأن العبادة ذات  
تكاليف قل من ثبت لها فكانه قيل أثبت لها اصطبراً كقولك للمعاريب اصبراً قرنتك ثم علل  
ذلك بقوله (هل تعلم له سمياً) قال ابن عباس هل تعلم له مثلاً أي نظيراً فيما يقتضى العبادة والذي  
يقتضىها كون منة ما بأصول النعم وفروعها وهي خلق الأجسام والحياة والعقل وغيرها فإنه  
لا يقدر على ذلك أحد سواه سبحانه وتعالى وإذا كان قد أنعم عليك بغاية الانعام وجب أن تعظمه  
بغاية التعظيم وهي العبادة وقال الكلبي هل تعلم أحد اسمي الله غيره فأنهم وإن كانوا يطلعون  
لقط الأله على الوثن فما أطلقوا لفظ الله تعالى على شيء \* ولما أمر تعالى بالعبادة والمصابرة عليها  
فكانت سائلين وقال هذه العبادة لا منقعة فيها في الدنيا وأما في الآخرة فقد أنكروا بعضهم  
فلا بد من ذكر الدلالة على القول بالحشر حتى يظهر أن الاشتغال بالعبادة يفيد فلهذا حكى الله  
سبحانه وتعالى قول منكري الحشر فقال تعالى (ويقول الإنسان أن إذا مات لسوف أخرج  
حياً) قال الكلبي نزلت في أبي بن خلف حين أخذ عظاماً بالية فنتها بيديه ويقول زعم لكم محمد  
أنما بعث بعد ما نوت وقيل نزلت في أبي جهل وقيل المراد جنس الكفار القائلين بعدم البعث  
ثم إن الله تعالى أقام الدليل على صحة البعث بقوله (أولادكم الذين) أي المجترى به هذا  
الإنكار على ربه (أنا خلقناه من قبل) أي من قبل جدله (ولم يكن شيئاً) أصلاً وإنما يقتضى  
ذلك قادرون على إعادته فلا ينكر ذلك قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على إيراد حجة  
في البعث على هذا الاختصار ما قدروا عليه إذ لا شك أن إعادة نبياً أهون من الإيجاد أولاً  
ونظيره قوله تعالى قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وقوله تعالى وهو الذي يبدأ النطق ثم يعيدهم  
وهو أهون عليه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم يسكون الذال وضم الكاف محققة والباقون  
فتح الذال مشددة وكذا الكاف (فان قيل) كيف أمر الله الإنسان بالتذكير مع أن  
التذكير هو العلم بما عمله من قبل ثم تحللها سهواً (أجيب) بأن المراد أولاً بتفكير في علم خصوصاً

اذا قرئ اولها كرمثدا أما اذا قرئ مخففا فالمراد ألا يعلم ذلك من حال نفسه لأن كل أحد  
 يعلم أنه لم يكن حيا في الدنيا ثم صار حيا ثم انه تعالى لما قرئ المطلوب بالدليل أردفه بالتهديد من  
 وجوه أولها قوله تعالى (فوربك) أي المحسن اليك بالانتقام منهم (لنحضرنهم) بعد البعث  
 (والشياطين) الذين يضلونهم بأن نحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة وقائدة القسم أمران  
 أحدهما ان العادة جارية بنا كمد الخبر باليمين والثاني في اقسام الله باسمه مضافا الى رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لشأنه ورفع منته كما رفع من شأن السماء والارض في قوله تعالى  
 فووب السماء والارض انه لحق والواو في والشياطين يجوز أن تكون للعطف ومعنى مع  
 وهو أولى ثانيا قوله تعالى (ثم لنحضرنهم) بعد طول الوقوف (حول جهنم) من خارجها  
 ليشاهد السعداء الاحوال التي نجاهاهم الله تعالى منها وخلصهم فيزدادوا ذلك غبطة الى غبطتهم  
 وسرورا الى سرورهم ويشمتوا بأعداء الله وأعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما يغبطهم  
 من سعادة أولياء الله وشماقتهم بهم وقوله تعالى (جثيا) حال مقدرة من مفعول لنحضرنهم وهو  
 جمع جاث جمع على فعول نحو قاعد وقعود وجالس وجلوس وأصله جنو وبواوين أو جنوى من  
 جثا يجنوو ويجثى لغتان (فان قيل) هذا المعنى حاصل لكل بدليل قوله تعالى وترى كل أمة جاثية  
 ولأن العادة جارية بأن الناس في مواقف مطالبات الملوك يتجاثون على ركبهم لما في ذلك من  
 القلق أولها يدهمهم من شدة الامر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم واذا كان هذا  
 حاصله لكل فكيف يدل على مزيد ذلك الكفار (أجيب) بأنهم يكونون من وقت الحشر الى  
 وقت الحضور على هذه الحالة وذلك يوجب مزيد ذلهم وقرأ حفص وحزرة والكسافي جثيا  
 وعتيا وصليا بكسر أولها والباقون بضمه ثالثا قوله تعالى (ثم لننزعن) أي لناخذن أخذاب شدة  
 وعنف (من كل شعبة) أي فرقة مرتبطة بذهب واحد (أيهم أشد على الرحمن) الذي عمرهم  
 بالاحسان (عتيا) أي تكبرا مجاوزا للحد والمعنى ان الله تعالى يحضرهم أولا حول جهنم ثم يميز  
 البعض من البعض فمن كان أشد منهم عزدا في كفره خص بعذاب عظيم لأن عذاب الضال المضل  
 يجب أن يكون فوق عذاب من يضل بعالفيره وليس عذاب من يتردو ويصير كعذاب المقلد  
 فثابتة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص باصل العذاب ولذلك قال تعالى  
 في جميعهم (ثم انحن أعلم) من كل عالم (بالذين هم) بظواهرهم وبواطنهم (أولى بها) أي بجهنم  
 (صليا) أي دخولا واحترافا فنبدا بهم ولا يقال أولى الامع اشتراكهم وأصله صلوى من صلى  
 بكسر اللام وقتحها (تنبيه) في اعراب أيهم أشد أقوال كثيرة أظهرها عند جمهور العربين وهو  
 مذهب سيبويه ان أيهم موصولة بمعنى الذي وان حركتها حركة بناء بنيت عند سيبويه نظروجهما  
 عن النظائر وأشد خبر مبتدأ مضمرة والجملة صلة لا بهم وأيهم وصلتها في محل نصب مفعول  
 به اولاي أحوال أربعة ذكرتها في شرح القطر \* ولما كانوا بهذا الاعلام المؤكدا بالاقسام  
 من ذى الجلال والاکرام جديرين باصغاء الافهام الى ما توجه اليها من الكلام التفت الى  
 مقام الخطاب افهاما للعموم فقال تعالى (وان) أي وما (منكم) أيها الناس أحد (الاولادها)

كان ذلك الورد (على ربك) الموجود لك الحسين اليك (حتماً مقضياً) أي حتمه وقضى به  
 لا يتحرك والورد موافاة المكان فاختلصوا في معنى الورد هنا فقال ابن عباس والاصكثرون  
 الورد ههنا هو الدخول والكفاية راجعة الى النار وقالوا يدخلها البر والقاهر ثم ينفي الله  
 المتقين فيخرجهم منها ويدل على أن الورد هو الدخول قوله تعالى يقدم قومه يوم القيامة  
 فأوردهم النار وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار أن نافع بن الأزرق ماري ابن عباس  
 في الورد فقال ابن عباس هو الدخول وقال نافع ليس الورد الدخول فقلنا ابن عباس انكهم  
 وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون أدخلها هؤلاء أم لا ثم قال يا نافع أما  
 والله أنا وأنت ستردها وأنا أرجو أن يخرجني الله منها وما أرى الله يخرجك منها بتكذيبك  
 ويدل عليه أيضاً قوله تعالى (ثم نفي الذين اتقوا) أي الكفر منها ولا يجوز أن يقول ثم نفي الذين  
 اتقوا (ونذر الظالمين) بالكفر (فيها جثياً) على الركب الا والكل واردون والاصح المروية  
 دالة على هذا القول يروى أن عبد الله بن رواحة قال أخبر الله تعالى عن الورد ولم يخبر بالصدر  
 فقال صلى الله عليه وسلم يا ابن رواحة اقرأ ما بعد هاتم نبي الذين اتقوا فدل على أن ابن رواحة  
 فهم من الورد الدخول ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وعن جابر أنه سأل عن هذه  
 الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورد الدخول ولا يبقى بر ولا فاجر الا  
 دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً حتى ان للنار ضجيجاً من بردها ولان حرارة النار ليست  
 بطبعا فالاجزاء الملاصقة لا بد ان الكفار يجعلها الله تعالى محرقة مؤذية والاجزاء الملاصقة  
 لاجزاء المؤمنين يجعلها برداً وسلاماً كما في حق ابراهيم عليه السلام وكان الملائكة الموكلين بها  
 لا يجدون لها وكافي الكوز الواحد من الماء كان يشربه القبطى فيكون دماً ويشربه الاسرائيلي  
 فيكون ماء عذبا وعن جابر بن عبد الله أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال اذا دخل  
 أهل الجنة الجنة وقال بعضهم لبعض أليس وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردت وهما وهى  
 خامدة وخامدة بخاء مجة أى ساكنة وروى بالجيم أى باردة ولا بد من ذلك في الملائكة  
 الموكلين بالعذاب حتى يكونوا في النار مع المعاقبين (فان قيل) فاذا لم يكن على المؤمنين عذاب في  
 دخولهم فما الفائدة في ذلك الدخول (أجيب) بوجوه أحدها ان ذلك مما يزيدهم سروراً اذا علموا  
 الخلاص منها ثانياً ان فيه مزيد غم على أهل النار حيث يرون المؤمنين الذين هم أعداؤهم  
 يتخلصون منها وهم يبقون فيها ثالثاً ان فيه مزيد غم على أهل النار حيث تظهر فضيحتهم عند  
 المؤمنين رابعاً انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب صار سبباً للمزيد التذادهم بنعيم الجنة وقيل  
 المراد بالذين يردونها من تقدم ذكرهم من الكفار فكفى عنهم أولاً كفاية الغيبة ثم خاطب  
 خطاب المشافهة وعلى هذا القول فلا يدخل النار مؤمن واستدل بقوله تعالى ان الذين  
 سبق لهم منا الحسنى أولئك عنهما بعدون لا يسمعون حسيبها والمبعد عنها لا يوصف بأنه  
 واردها ولو وردوا جهنم لسمعوا حسيبها بقوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون وروى  
 عن مجاهد من سمع من المؤمنين فقد وردوا في النيران كير من جهنم وهى حظ المؤمنين



من النار وفي رواية الحمي من فيج جهنم فأبردوها بالماء وقوله من فيج جهنم أي وجهها وحزنها  
 وقال ابن مسعود وان منكم الاواردها يعني القيامة والكفاية راجعة اليها قال البغوي  
 والاول أصح وعليه أهل السنة وروى أنه يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن  
 شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن بر من خير ويخرج من النار  
 من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير وفي رواية من ايمان وعن ابن مسعود قال  
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا أعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة  
 دخولا الجنة رجل يخرج من النار حيا وفي قوله الله له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيضيل  
 اليه أنها ملائكة فيرجع فيقول وجدتها ملائكة فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فان للمثل  
 الدنيا وعشر أمثالها فيقول له أنسخري وأنت الملك فلقدرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 ضحك حتى بدت نواجذته فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة وقوله حتى بدت نواجذته أي أنيابه  
 وأضراسه وقيل هي أعلى الاسنان وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذب  
 ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا جما ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون  
 على باب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت الغناء في حالة السيل الحميم النجم  
 والغناء كل ما جاء به السيل وقرأ الكسائي نفي بسكون النون الثانية وتخفيف الجيم والباقون  
 يفتح النون الثانية وتشديد الجيم \* وإنا أنعمنا على المشركين قريش المنكرين للبعث  
 قال تعالى عطفاء على قوله ويقول الانسان (واذا تنلى عليهم) أي الناس من المؤمنين والكفار  
 من أي تنال كان (آياتنا) أي القرآن حال كونهما (بينات) أي واضحات وقيل مرتبات  
 الالفاظ ملصقات المعاني وقيل ظاهرات الالغاز (قال الذين كفروا) بآيات ربهم البينة  
 جهلا منهم ونظر الى ظاهر الحياة الدنيا الذي هو مبلغهم من العلم (للذين آمنوا) أي لاجلهم  
 أو مواجهاة لهم اعراضا عن الاستدلال بالآيات بالاقبال على هذه الشبهة الواهية وهي المفارقة  
 بالمكاثرة في الدنيا من قولهم (أي الفريقين) نحن بما لنا من الاتساع أم أنتم بما لكم من خشونة  
 العيش ورثاة الحال ولو كنتم أنتم على الحق وكأعلى الباطل لكان حالكم في الدنيا أحسن  
 من حالنا إن الحكيم لا يليق به أن يقع أولياءه المخلصين في الذل وأعداءه المعرضين عن خدمته  
 في العز والراحة وانما كان الامر بالعكس فان الكفار كانوا في النعمة والراحة والاستعلاء  
 والمؤمنين كانوا في ذلك الوقت في الخوف والقله هذا حاصل شبهتهم والقائل ذلك هو النضر بن  
 الحرث وذوهم من قريش للذين آمنوا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيهم قشافة  
 وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثانة وكان المشركون يجلون شعورهم ويلبسون خير ثيابهم  
 فقالوا للمؤمنين أي الفريقين (خير مقاما) أي موضع قيام أو إقامة على قراءة ابن كثير يضم الميم  
 والباقون يفتحها في كلتا القراءتين يحتمل أن يكون اسم مصدرا واسم مكان اما من قام ثلاثيا  
 أو من أقام (تنبيه) قالوا اني خير من عمرو مشرك من بكر ولم يقولوا خير منه ولا أشرف منه  
 لأن هاتين اللفظتين كراستهما لهما فحذفت هزتا هما ولم يشبنا الا في فعل التجب فقالوا

أخير زيد وأشر بعمر وروما أخير زيد أو ما أشر عزا والدة في اثباتهما في فعلي التهجيب ان استعمال  
 هذين اللغتين اسما أكثر من استعمالهما فعلا فحذفت الهمزة في موضع التكررة وبقيت  
 على أصلها في موضع القلة (وأحسن ندبا) أي مجعوا ومحدنا والندي المجلس يقال ندى وناد  
 والجمع الاندية ومنه وتأتون في ناديكم المنكر وقال تعالى فليدع ناديه ويقال ندوت القوم أندوهم  
 اذا جمعتم في مجلس ومنه دار الندوة وكانت تجتمع القوم فجعلوا ذلك الامتحان بالانعام  
 والاحسان دليلا على رضا الرحمن مع التكذيب والكفران وغفلوا عن أن في ذلك مع  
 التكذيب بالبعث تكذيبا بما يشاهدون منا من القدرة على العقاب باحلال النقم وسلب التم  
 ولو شئنا لاهلكناهم وسلبنا جميع ما يفتخرون به (وكم أهلكنا قبلهم) ثم بين اجسام كم بقوله (من  
 قرن) شاهد واديارهم وروا وأتارهم (هم) أي أهل تلك القرون (أحسن) من هؤلاء (أناثا)  
 أي أمتعة (ورثيا) أي ومنظر افلودل حصول نعم الدنيا للانسان على كونه حبيب الله لوجب  
 أن لا يصل الى هؤلاء غم في الدنيا وقرأ قالون وابن ذكوان ببدال الهمزة ياء وادغامها في الياء  
 وقفا ووصلا واذا وقف جزء أبدا الهمزة ياء وله فيها الادغام والاظهار (تنبيه) كم مفعول  
 أهلكنا مقدم واجب التقديم لان له صدر الكلام لانها اما استفهامية أو خبرية وهى محمولة  
 على الاستفهامية أي كثيرا من القرون أهلكنا ومن قرن تمييز لكم بين لها وانما سمي أهل كل  
 عصر قرنا لانهم يتقدمون من بعدهم وقول البيضاوي وهم أحسن صفة لكم تبع فيه  
 الزمخشري وغيره ورد بأن كم الاستفهامية والخبرية لا توصف ولا يوصف بها فهم أحسن في  
 محل جر صفة لقرن وجمعه نظر الله - عنى لان القرن مشتمل على أفراد كثيرة ثم قال تعالى لتبني  
 صلى الله عليه وسلم (قل) لهؤلاء المبعدين رداعليهم وقطعا المعاذيرهم وهتكال شبههم هذا الذي  
 اقتضرت به لا يدل على حسن الحال في الآخرة بل على عكس ذلك فقد جرت عادة تعالى أنه (من  
 كان في الضلالة) مثلكم كون نار اصبايط له في الدنيا وطيب عيشه في ظاهر الحال فيها وهم  
 بأنواع الملاذ وقوله (فليمدده الرحمن مدا) أمر بمعنى الخبر معنا: فنذعه في طغيانه ونهله في كفره  
 بالبسط في الآثار والسعة في الديار والطول في الاعمار وانفاقها فيما يستلذ به من الاوزار  
 ولا يزال يذله استدرابا (حتى اذا رآوا) أي كل من كفر بأعينهم (ما يوعدون) من قبل الله (أما  
 العذاب) في الدنيا بأيدي المؤمنين وغيرهم اوفى البرزخ (وأما الساعة) أي القيامة التي هم بها  
 مكذبون وعن الاستعداد لها معرضون ولا شئ يشبه أهوالها وخزيها وفكالتها (فسيعلون)  
 اذا رآوا ذلك (من هو شر مكانا) أي من جهة المكان الذي قوبل به المقام في قولهم خير مقاما  
 (وأضعف جندا) أي أقل ناصرا أهم أم المؤمنون أي أضعف من جهة الجند أي الذي أشير  
 به الى الندي في قولهم وأحسن ندبا لانهم في النار والمؤمنون في الجنة فهذا رداعليهم في قولهم  
 أي الفريقين خير مقاما وأحسن ندبا (ويزيد الله الذين اهتدوا) الى الايمان (هدى) بما ينزل  
 عليهم من الآيات عوض ما زوى عنهم من الدنيا الكرامتهم عنده مما يبسط للضلال لهوانهم  
 عليه وأشار الى أن مثل ما خذل أولئك بالتوال وفق هؤلاء المحاسن الاعمال باقلال الاموال

فقال عزمن قائل (والبقيات الصالحات) أى الطاعات والمعارف التى شرحت لها الصدور  
وأبارت بها القلوب وأوصلت الى علام الغيوب (خير صدر بك) مما منع به الكفرة والخيرية هنا  
فى مقابلة قولهم أى الفريقين خير مقاما وقيل البقيات الصالحات هى الصلوات وقيل التسبيح  
روى أبو الدرداء قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وأخذ عودا يابساً وأزال  
الورق عنه ثم قال ان قول لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله تحط الخطايا كما يحط ورق هذه  
الشجرة الریح خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن البقيات الصالحات وهى من  
كنوز الجنة فكان أبو الدرداء يقول لا عملن ذلك ولا أكثرن عمله حتى اذا رأى الجهال حسبوا  
أنى مجنون قال الرازى والقول الاقل أولى لانه تعالى انما وصفها بالبقيات الصالحات من  
حيث يدوم ثوابها فلا تختص ببعض العبادات فهى باسرها باقية صالحة تظر الى أثرها الذى هو  
الهداية ثم بين تعالى خيرتها بقوله تعالى (ثواباً) أى من جهة الثواب (وخير مرداً) أى من جهة  
العاقبة يوم الحسرة (فان قيل) لا يجوز أن يقال هذا خيراً الا والمراد انه خير من غيره والذى عليه  
الكفار لا خير فيه أصلاً (أجيب) بأن المراد خير مما ظنه الكفار بقولهم خير مقاماً وحسن ندياً  
وقيل هو كقولهم الصيف أحزن من الشتاء بمعنى أنه فى حرته أبلغ منه فى برده فالكفرة يردون الى  
فناء وخسارة والمؤمنون الى ربح وبقاء \* ولما ذكر تعالى الدلائل أو لا على صحة البعث ثم أورد  
شبهة المنكرين وأجاب عنها أورد عليهم الا ان ما ذكروه على سبيل الاستهزاء طعناً فى القول  
بالحشر فقال تعالى (أفأيت الذى) أى الذى يعرض عن هذا اليوم ويزيد على ذلك بأن  
(كفراً ياتنا) الدالات على عظمتنا بالدالات اليينات (وقال) جراً منه وجهلاً (لا وتين)  
أى والله لا وتين فى الساعة على تقدير قيامها (مالا وولدا) أى عظيمين فلم يكفه فى جهله تميز القادر  
حتى ضم اليه اقدار العاجز وقرأ حزة والكسائى وولدا وكذا ولدا فى جميع ما فى هذه السورة  
بضم الواو وسكون اللام والباقون بفتح الواو واللام فى الجميع يقال ولد وولد كما يقال عرب  
وعرب وعدم وأما القراءة بفتحة الواو وهى مفردها مقام الجمع وأما قراءة الضم  
والاسكان ففعل هى كالتى قبلها فى المعنى وقيل بل هى جمع لولد نحو أسد وأسود وأنشدوا على  
ذلك ولقد رأيت معاشراً \* قد أغروا مالا وولدا

وأنشدوا شاهداً على أن الولد والولد مترادفان قول الآخر

فليت فلانا كان فى بطن أمه \* وايت فلانا كان ولد حاره

\* ولما كان ما ادعاه لاعلم به الاباء امرين لاعلم بهواحد منهما أن ذكر قوله ذلك بقوله تعالى  
(أطلع الغيب) الذى هو غائب عن كل مخلوق فهو فى بعد عن الخلق كالعالى الذى لا يمكن أحداً  
منهم الاطلاع اليه وتقرده الواحد القهار (أم اتخذ) أى بغاية جهده (عند الرحمن عهداً)  
عاهده عليه بأن يؤتبه ما ذكر بطامة فعلها على وجهها يقف سبحانه فيه عند قوله وقيل  
فى العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن الكلبي  
هل عهد الله اليه أن يؤتبه ذلك وعن الحسن رحمه الله تعالى نزلت فى الوليد بن المغيرة والمشهور

انتهى المعاصى بن وائل قال حباب بن الارت كان لي عليه دين فاقترضته فقال لا والله حتى تكفر  
 بعمد فقلت لا والله لا أكفر بعمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فاني اذا مت بعثت قلت نعم  
 قال اذا بعثت جئني وسيكون لي ثم مال وولدا فاعطيتك وقيل صاغ له حباب حليا فاقترضاه  
 الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبهثون وان في الجنة ذهاب وفضة وحرير افانا افضيك ثم فاني اوفى  
 مالا وولدا فاعطيتك حينئذ ثم انه سبحانه وتعالى بين من حاله ضد ما ادعاه فقال تعالى (كلا) وهي  
 كلمة ردع وتبنيه على الخطا أي هو مخلى فيما يقول ويتناه (سكتب) أي تحفظ عليه (ما يقول)  
 فصار به في الآخرة وقيل نأمر الملائكة حتى يكتبوا عليه ما يقول (وعذله من العذاب  
 متدا) أي زعيده بذلك عذابا فوق عذاب كفره وقيل نطيل مدة عذابه (وزنه) بونه (ما يقول)  
 أي ما عنده من المال والولد (وبأيتنا) يوم القيامة (فردا) لا يصعبه مال ولا ولد كان له في  
 الدنيا فضلا أن يوفى ثم زائد اقال تعالى واقعد جثمتون افرادى وقيل فردا رافضاله هذا القول  
 منفردا عنه \* ولما تكلم سبحانه وتعالى في مسئلة الحشر والنشر تكلم الان في الرد على عباد  
 الاصنام فقال (واتخذوا) أي كفار قريش (من دون الله) أي الاوثان (الهة) يعبدونها  
 (ليكونوا لهم عزا) أي منقعة بحيث يكرنون لهم شفعا وأنصارا ينقذونهم من الهلاك ثم  
 اجاب تعالى بقوله تعالى (كلا) ردع وانكارا تعززه بهم (سيكفرون بعبادتهم) أي تستجد  
 الالهة بعبادتهم ويقولون ما عبدتمونا كقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وفي آية  
 أخرى ما كانوا ايانا يعبدون وقيل أراد بذلك الملائكة لانهم كانوا يكفرون بعبادتهم ويتبرون منهم  
 ويخصمونهم وهو المراد من قوله تعالى أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقيل ان الله تعالى يحيى  
 الاصنام يوم القيامة حتى يوجوا عبادهم ويتبرأ منهم فيكون ذلك أعظم لحسرتهم ويجوز أن  
 يراد الملائكة والاصنام (ويكونون عليهم ضدأ) أي أعوانا وأعداء (فان قيل) لم وحده وهو خبر  
 عن جمع (أجيب) بأنه اما مصدر في الاصل والمصدر موحدة مذكرة واما لانه مفرد في معنى الجمع  
 قال الزمخشري والظن العون وحد توحيد قوله عليه الصلاة والسلام وهم يدعى من سواهم  
 لاهاق كلمتهم وأنهم كشي واحد لفرط تضلتهم وتوافقهم انتهى والحديث برواه أبو داود وغيره  
 والشاهد فيه قوله حديث لم يقل أبدا ولما ذكر تعالى مال هؤلاء الكفار مع التهم في الآخرة ذكر  
 بعده ما لهم مع الشياطين في الدنيا وأنهم يتولونهم وينقادون اليهم فقال تعالى مخاطبا لنيه صلى  
 الله عليه وسلم (الم تر) أي تنظر (أنا أرسلنا) أي سلطانا (الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا)  
 الازوالهز والاستفزاز اخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج أي تغريهم على المعاصى  
 وتهيجهم لها بالوسوس والتسويلاث (فلا تجعل عليهم) أي تطلب عقوبتهم بأن يهلكوا  
 ويبيدوا حتى تستريح أنت والمسلمون من شرورهم (انما نعتلهم عذبا) أي ليس بينك وبين  
 ما تطلب من هلاكهم الا أيام محصورة وأنفاس معدودة وقيل قوله تعالى ولا تستهجل لهم  
 كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ وعن ابن عباس كان اذا قرأها  
 بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد دخول قبرك آخر العدد فراق أهلك وعن

ابن السعدي أنه كان عند المؤمن فقرا فقال إذا كانت الانقاس بالعدد ولم يكن لها مدد بما  
 أمرع ما تنقد وقيل نعد أنقاسهم وأعمالهم فجاز بهم على قليلها وكثيرها وقيل نعد  
 الاوقات الى وقت الاجل المعين لكل أحد الذي لا يتطرق اليه الزيادة والنقصان ثم بين تعالى  
 ما سيظهر في ذلك اليوم من الفصل بين المتقين والمجرمين في كيفية المشرفة قال (يوم) أي  
 واذ كر يوم (فحشر المتقين) بإيمانهم (الى الرحمن) أي الى محل كرامته وقوله تعالى (وفدا) حال  
 أي وافدين عليه كما يفد الوفاة على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم والوفد الجماعة  
 الوافدون يقال وفدي وفدا وفودا ووفودا أي قدم على سبيل التكرمة فهو في الاصل  
 مصدر ثم أطلق على الانقاص كالصف وقال أبو البقاء وفد جمع وافد مثل ركب وراكب  
 وصحب وصاحب وهذا الذي قاله ليس بذهب سيبويه لان فاعلا لا يجمع على فعل عند سيبويه  
 واجازه الاخفش وحري عليه الجلال المحلى فقال وفد جمع وافد بمعنى ركب انتهى وقال ابن  
 عباس وفد اركبنا وقال أبو هريرة على الابل وقال علي رضي الله تعالى عنه والله ما يحشرون  
 على أرجلهم ولكن فوق نوق رحالها الذهب ونجائب سرورها واوقات ان هموا به اسارت  
 وان هموا بها طارت (ونسوق المجرمين) بكفرهم (الى جهنم) وقوله تعالى (وردا) حال أي مشاة  
 باهانة واستخفاف كأنهم نم عطاش تساق الى الماء وقيل عطاش قد تقطعت أعناقهم من شدة  
 العطش لان من يرد الماء لا يرد الا بعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء وقوله تعالى (لا يملكون  
 الشفاعة) الضمير فيه للعباد المدلول عليهم بذكر المتقين والمجرمين وقيل للمتقين وقيل للمجرمين  
 وقوله تعالى (الامن اتخذ عند الرحمن عهدا) استثناء متصل على القولين الاولين منقطع على  
 الثالث والمعنى أن الشافعين لا يشفعون الا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا كقوله تعالى ولا  
 يشفعون الا لمن ارتضى ويدخل في ذلك أهل الكفار من المسلمين اذ كل من اتخذ عند الرحمن  
 عهدا وجب دخوله فيه وصاحب الكعبة اتخذ عند الرحمن عهدا وهو التوحيد فوجب  
 دخوله تحته وبؤيده ما روى عن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال لا صحابه ذات يوم  
 أبيض أحدكم أن يتخذ عند كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل  
 صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني أعهد اليك باني أشهد  
 ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك فلا تكن لي الى نفسي فانك ان  
 تكن لي الى نفسي تقرني من الشر وتباعدي من الخير واني لا أتق الا برحمتك فاجعل لي عندك  
 عهدا توحيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع الله عليه بطابع ووضع تحت  
 العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عهد عند الرحمن عهد فمدخلون الجنة  
 فظهر أن المراد من العهد كلمة الشهادة وظهر وجه الدلالة على ثبوت الشفاعة لاهل الكفار  
 ولما رده سبحانه وتعالى على عبدة الاوثان عاد الى الرد على من أثبت له ولدا بقوله تعالى (وقالوا  
 اتخذ الرحمن ولدا) أي قالت اليهود وعزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب  
 الملائكة بنات الله (فتدبطن شيئا اذا) قال ابن عباس أي متكررا وقال قتادة أي عظيما وقال

ابن خالويه الاذوالاذ العجب وقيل العظيم المنكر والاداة الشدة وأدنى الامر وأدنى أطلق وعظم  
 على وقرأ (تكاد السموات) نافع والكسائي بالياء على التذكير والباقون بالتاء على التأنيث  
 وقرأ (تفطرن منه) أبو عمرو وابن عامر وشعبة وحزرة بعد الياء بنون ساكنة وكسر الطاء مخففا  
 والباقون بعد الياء تاء وفتح الطاء مشددة يقال انفطر الشيء وتفطرت أي تشقق وقرأه التشديد  
 أبلغ لأن الفعل مطاوع فعمل والانفعال مطاوع فعل ولأن أصل الفعل التكلف (وتشقق  
 الأرض) أي تنصف بهم (وتحتر الجبال هذا) أي تسقط وتنطبق عليهم (أن) أي من أجل  
 ان (دعوا للرحمن ولدا) قال ابن عباس وكعب فزعت السموات والأرض والجبال وجميع  
 الخلائق الا الثقلين وكدت أن تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا اتخذ  
 الله ولدا (فان قيل) كيف يؤثر القول في انقطاع السموات وانشقاق الأرض وخرور الجبال  
 (أجيب) بوجوه الاقول ان الله تعالى يقول كدت أفعل هذا بالسموات والأرض والجبال  
 عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه به الولا حلي واني لأعجل بالعقوبة الثاني  
 أن يكون استعظاما للكلمة وتهويلا وتصويرا لاثرها في الدين وهو دمها لقواعده وأركانها  
 الثالث ان السموات والأرض والجبال تكاد أن تفعل كذلك لو كانت تعقل هذا القول  
 ثم نفي الله تعالى عن نفسه الولد بقوله تعالى (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) أي ما يليق به اتخاذ  
 الولد لأن ذلك محال أما الولادة المعروفة فلا مقابلة في امتناعها وأما التبني فان الولد لا بد وأن  
 يكون شبيها بالوالد ولا يشبهه الله تعالى لأن اتخاذ الولد انما يكون لا غرض اتمام سرور  
 أو استعانة أو ذكركر جميل وكل ذلك لا يصبغ في حق الله تعالى (ان) أي ما (كل من في السموات  
 والأرض) أي ان كل معبود من الملائكة في السموات والأرض من الناس منهم العزير  
 وعيسى (الآتي الرحمن) أي ملتجئ الى ربوبيته (عبدا) منقادا مطيعا ذليلا خاضعا كما يفعل  
 العبيد ومن المفسرين كالجلال الهلي من حمله على يوم القيامة خاصة والاولى أولى لانه  
 لا تخصيص في الآية (لقد أحصاهم) أي حصرهم وأحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة وعلمه  
 وقبضته وقدرته وكلهم تحت تدبيره وقهره (وعندهم عدا) أي عداً تخصمهم وأيامهم وأنفسهم  
 وأفعالهم فان كل شيء عندهم بقدر لا يخفى عليه شيء من أمورهم (وكلهم آتية) أي كل واحد  
 منهم يأتيه (يوم القيامة فردا) أي وحيدا ليس معه من الدنيا شيء من مال أو نصير يمنعه ولما  
 رد سبحانه وتعالى على أصناف الكفرة وبالغ في شرح أحوالهم في الدنيا والاخرة ختم السورة  
 بذكر أحوال المؤمنين فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أي  
 سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها من قرابة أو صداقة أو اطمئنان  
 معروف وغير ذلك روى الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبدا يقول بليريل  
 أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء قد أحب الله فلانا فأحبه فيحبه  
 أهل السماء ثم توضع له المحبة في الأرض واذا أبغض الله العبد قال مالك لا أحسبه الاقل في  
 البغض مثل ذلك والسيز في سيجل اما لان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ محموتين بين

المكفرة فوعدهم الله تعالى ذلك اذا قوى الاسلام والمعنى سيحدث لهم في القلوب مودة واما  
 ان يكون ذلك يوم القيامة يحبيهم الله الى خلقه بما يظهر من حسناتهم وروى عن كعب قال  
 مكتوب في التوراة لا محبة لاحد في الارض حتى يكون ابتداءها من السماء من الله عز وجل  
 ينزلها على أهل السماء ثم على أهل الارض ومصداق ذلك في القرآن قوله سبحانه لهم الرحمن وذا  
 وقال أبو مسلم معناه يجب لهم ما يحبون والود والمحبة سواء \* ولما ذكر سبحانه وتعالى في هذه  
 السورة التوحيد والنبوة والحشر والرد على فرق المبطلين بين تعالى أنه يسر ذلك بلسان نبيه  
 صلى الله عليه وسلم بقوله (فانما يسرناه) أي القرآن (بلسانك) أي العربي أي لولا أنه تعالى  
 نقل قصصهم الى اللغة العربية لما تسر ذلك لك (لتبشيرة المتقين) أي المؤمنين (وتندر) أي  
 تخوف (به قوم الذا) جمع الذا أي جدل بالباطل وهم كفار مكة ثم انه تعالى ختم السورة بموعظة  
 عظيمة بليغة فقال تعالى (وكم) أي كثيرا (أهلكنا قبلهم من قرن) أي أمة من الامم الماضية  
 بتكذيب الرسل لانهم اذا تأملوا وعلما أنه لا بد من زوال الدنيا وانه لا بد فيها من الموت وخافوا  
 سوء العاقبة في الآخرة كانوا الى الحد من المعاصي أقرب \* ثم أكد ذلك بقوله تعالى (هل  
 تحسن) أي ترى وقيل تجدد (منهم من أحد) وتسمع لهم ركزا) أي صوتا خفيا لا قال الحسن يادوا  
 جميعا فلم يبق منهم عين ولا أثر أي فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء \* (تنبيه) \* الركا الصوت الخفي  
 دون نطق بحروف ولا فم ومنه ركزا أي غيبه في الارض وأخفاء ومنه الركا وهو المال  
 المدفون خلفه واستتاره والحديث الذي ذكره البيضاوي به اللزخ مشرى وهو من قرأ سورة  
 مريم أعطى عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر  
 الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع الله تعالى حديث موضوع

### ﴿سورة طه عليه الصلاة والسلام مكتة﴾

وهي مائة وخمس وثلاثون آية وعدد كلماتها ألف وثلثمائة واحدى وأربعون كلمة وعدد حروفها  
 خمسة آلاف ومائتان واثنان وأربعون حرفا وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم قال أعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر الاقل وأعطيت طه وبس  
 والطواسين من ألواح موسى وأعطيت ذواتهم القرآن وخواتيم السورة التي ذكرت فيها البقرة  
 من تحت العرش وأعطيت المفضل نافلة

(بسم الله) الملك الحق المبين (الرحمن) الذي عمّ نعمه على خلقه أجمعين (الرحيم) الذي خص  
 بحبته عباده المؤمنين وقرأ (طه) شعبة وحزرة والكسائي بأماله الطاه والهاء ووافقه ورش  
 وأبو عمرو على امالة الهاء محضة ولم يعمل ورش محضة الالهة الهاء وقد تقدم الكلام في الحرف  
 المقطعة في أول سورة البقرة وفي هذه ههنا قولان الصحيح أنها من تلك وقبل انها كلمة مفيدة  
 اما على القول الاقل فقد تقدم الكلام فيه في أول سورة البقرة والذي زادوه هنا أمور  
 أحدها قال الثعالبي الطاه شجرة طوبى والهاء الهاوية فكانه أقسم بالجنة والنار ثانيها يحكى

عن جعفر الصادق الطاهر طهارتها أهل البيت والهامة هدايتهم ثالثها قال سعيد بن جبيرة هذا  
 افتتاح اسمه الطيب الطاهر الهادي رابعها منطع الشفاعة للامة وهادي الخلق الى الملة  
 خامسها الطاء من الطهارة والهامة من الهداية فكانه قيل باطاهر من الذنوب يا هادي الى  
 علام الغيوب سادسها الطاء طول القراءة والهامة هيبتهم في قلوب الكفار قال تعالى  
 سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب سابعها الطاء تسعة في الحساب والهامة بخمسة تكون  
 اربعة عشر ومعناها يا ايها البدور اقم على القول الثاني فقبل معنى طه يا رجل وهو يروي  
 عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبيرة وقتادة وعكرمة والكلبي ثم قال سعيد بن  
 جبيرة بالنبطية وقال قتادة بالسريانية وقال عكرمة بالحشبية وقال الكلبي بلغة عك وهو  
 بتشديد الكاف ابن عدنان اخو معد وحكي الكلبي انك لو قلت في عك يا رجل لم تجب حق  
 تقول طه وقال السدي معناه يا فلان وقيل انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجدته على  
 احدى رجله فامر ان يطأ الارض بقدميه معا وقال الكلبي لما نزل على رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم الوحي بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان  
 يصلي الليل كله فانزل الله عليه هذه الآية وامره ان يخفف على نفسه فقال تعالى (ما أنزلنا عليك  
القرآن لتشقى) أي لتعب بما فعلت بعد نزولهم من طول قيامك بصلاة الليل أي خفف عن نفسك  
 فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم صلى الليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل عليه السلام ابق  
 على نفسك فان لها عليك حقا ما أنزلناه لئلا تنفك بالصلاة وتذيقها المشقة وما بعثت الا  
 بالحنيفية السعدة وروى أنه كان اذا قام من الليل ربط صدره بجمل حتى لا ينام وقيل لما رأى  
 المشركون اجتهاده في العبادة قالوا انك لتشقى حيث تركت دين آباءك أي لتتعب وتتعب وما  
 أنزل عليك القرآن يا محمد الا لشقائك فنزلت وأصل الشقاء في اللغة العناء وقيل المعنى انك  
 لا تلام على كفر قومك كقوله تعالى است عليهم عيسى طر وقوله تعالى وما أنت عليهم بوكيل أي  
 انك لا تأخذ بذنبهم وقيل ان هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة وكان رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم في ذلك الوقت مقهورا تحت ذل الاعداء فكانه تعالى قال لا تظن أنك تبقى أبدا على هذه  
 الحالة بل يعلو أمرك ويظهر قدرك فانما أنزلنا عليك القرآن لتبقي شقيا فيما ينهم بل لتصير  
 معظما مكرما وقرأ حزة والكسافي بالامالة وأبو عمرو بين وبين وورش بين اللفظين والفتح عنده  
 ضعيف جدا وكذلك جميع رؤس أي هذه السورة من ذوات الباء وقوله تعالى (الاتذكرة)  
 استثناء منقطع أي لكن أنزلناه تذكرة قال الزجاج شري فان قلت هل يجوز أن يكون تذكرة بدلا  
 من محل لتشقى قلت لا لاختلاف الجنس ولكن نصب على الاستثناء المنقطع الذي الافية بمعنى  
 لكن (لمن يخشى) أي لمن في قلبه خشية ورقية يتأثر بالانذار أولن علم الله تعالى منه أن يخشى  
 بالتصريف منه فانه المستمع به وقوله تعالى (تنزيلا) بدل من اللفظ يفعله الناصب له (من خلق  
الارض) أي من الله الذي خلق الارض (والسموات العلى) أي العلية الرفيعة التي لا يقدر  
 على خلقها في عظمها غير الله تعالى والعلی جمع عليا كقولهم كبرى وكبر وصغرى وصغرى وقلم



الأرض على السموات لأنها أقرب إلى الجنس وأظهر عند من السموات ثم أشار إلى وجوب  
 احداث الكائنات وتدبيراً من هابان قصد العرش وأجرى منه الاحكام والتقاير وأرسل منه  
 الاسباب على ترتيب ومقادير حسب اقتضاه حكمته وتعلقته به مشيئته فقال تعالى (الرحمن  
 على العرش) وهو سرير الملك (استوى) أي استواء يليق به فانه سبحانه وتعالى كان ولا عرش  
 ولا مكان واذا خلق الله الخلق لا يحتاج إلى مكان فهو بالصفة التي كان لم يزل عليها وتقدم  
 الكلام على ذلك في سورة الاعراف مستوفى فراجعه ثم استدل سبحانه وتعالى على كمال قدرته  
 بقوله تعالى (له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى) فهو مالك لما في  
 السموات من ملك وقبجيم وغيرهما وما لك لما في الأرض من المعادن والقلوات وما لك لما بينهما  
 من الهواء وما لك لما تحت الثرى وهو التراب التدي والمراد الأرضون السبع لانها تحتها وقال  
 ابن عباس ان الأرضين على ظهر النون والنون على بحر ورأسه وذنبه يلقيان تحت العرش  
 والبر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهي الصخرة التي ذكر الله تعالى في قصة لقمان فتكن  
 في صخرة والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى وما تحت الثرى لا يعلمه الا الله عز وجل وذلك  
 الثور فاتح فاه فاذا جعل الله تعالى البحار بحرا واحدا سالت في جوف ذلك الثور فاذا وقعت في  
 جوفه يبست وقرأ أبو عمرو ووحدة والكسائي بالامالة وورش بين اللفظين وكذا جميع رؤس  
 أي السورة من ذوات الراء \* ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك  
 بما طاعة علمه تعالى بعمليات الامور وخفياتها على حدسوا فقال تعالى (وان تجهر بالقول) أي  
 تعلن بالقول في ذكر أو دعاء فالتعالى غنى عن الجهر به (فانه يعلم السر وأخفى) قال الحسن  
 في السر ما أسر الرجل الى غيره وأخفى من ذلك ما أسر في نفسه وعن ابن عباس السر ما أسر  
 في نفسك وأخفى من السر ما يلقى الله تعالى في قلبك من بعد ولا تعلم انك ستحدث به نفسك  
 لانك تعلم ما أسر اليوم ولا تعلم ما أسر غدا والله يعلم ما أسررت اليوم وما أسر غدا وقال علي بن  
 أبي طلحة عن ابن عباس السر ما أسر ابن آدم في نفسه وأخفى ما أخفى عليه مما هو فاعله قبل أن  
 يعلمه وقال مجاهد السر العمل الذي يسر من الناس وأخفى الوسوسة وقيل السر هو العزيمة  
 وأخفى ما يخطر على القلب ولم يعزم عليه وقال زيد بن أسلم يعلم أسرار العباد وأخفى سره من  
 عباده فلا يعلمه أحد \* ولما ذكر صفاته وحد نفسه فقال تعالى (الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى)  
 التسعة والتسعون الوارد في الحديث والحسنى تأنيث الاحسن وفضل أسماء الله تعالى على  
 سائر الاسماء في الحسن لدها على معان هي أشرف المعاني وأفضلها روى ان الله تعالى أربعة  
 آلاف اسم ألف لا يعلمها الا هو وألف لا يعلمها الا الله والملائكة وألف لا يعلمها الا الله والملائكة  
 والانبيا وأما الالف الرابعة فالمؤمنون يعلمونها فلثماتة في التوراة ولثماتة في الانجيل ولثماتة  
 في الزبور ولثماتة في القرآن تسعة وتسعون منها ظاهرة وواحد مكنون من أحصاها دخل الجنة  
 وذكر في لاله الا الله فضائل كثيرة إذ ذكر بعضها وأسأل الله تعالى أن يجعلنا ومحبينا من أهلها  
 يعني أنه صلى الله عليه وسلم قال أفضل الذكر لاله الا الله وأفضل المعاد استغفر الله ثم تلا رسول

الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وروى أنه  
 صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى خلق ملكا من الملائكة قبل أن يخلق السموات والارض  
 وهو يقول أشهد أن لا اله الا الله ما دابها صونه لا يقطعها ولا يتنفس فيها ولا يتماها فاذا أتمها أمر  
 اسرافيل بالنفخ في الصور وقامت القيامة تعظيما لله وعن أنس قال صلى الله عليه وسلم ما زلت  
 أشفع الى ربي ويشفعني واشفع اليه ويشفعني حتى قلت يا رب شفعني فيمن قال لا اله الا الله فقال  
 يا محمد ايسر لك ولا احد وعزتي وجلالي لا أدع أحدا في النار قال لا اله الا الله وقال سفيان  
 الثوري سألت جعفر بن محمد عن حم عسق فقال الحاء حله والميم ملكه والعين عظمته والسين  
 سناؤه والقاف قدرته يقول الله عز وجل يحلى وملكي وعظمتي وسناني وقدرتي لأعذب بالنار  
 من قال لا اله الا الله محمد رسول الله وروى عن موسى عليه السلام أنه قال يا رب علمني شيئا  
 أذكر لبي قال قل لا اله الا الله قال انما أردت شيئا تخصني به قال يا موسى لو أن السموات السبع  
 ومن فوقهن في كفة ولا اله الا الله في كفة المالت بهن لا اله الا الله وقال بعض المفسرين في قوله  
 تعالى ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة انها لا اله الا الله اليه يصعد الكلم  
 الطيب لا اله الا الله وتواصل بالحق لا اله الا الله قل انما أعظمكم بواحدة لا اله الا الله وقضوهم  
 انهم مسؤولون عن قول لا اله الا الله بل جاء بالحق وصدق المرسلين هو لا اله الا الله ثبت الله الذين  
 آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة هو لا اله الا الله ويضل الله الظالمين عن قول  
 لا اله الا الله وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في السوق لا اله الا الله  
 وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف  
 ألف حسنة ومحامته ألف ألف سيئة وبني له بيتا في الجنة قال الرازي وفي النكت فيبني لاهل  
 لا اله الا الله أن يخلصوا في أربعة أشياء حتى يكونوا من أهل لا اله الا الله التصديق والتعظيم  
 والجلالة والحرمة فمن ليس له التصديق فهو منافق ومن ليس له التعظيم فهو مبتدع ومن ليس له  
 الجلالة فهو مرء ومن ليس له الحرمة فهو فاجر وكذاب وحكى أن بشر الحافي رأى كاعدا  
 فيه بسم الله الرحمن الرحيم فرفعه وطيبه بالمسك فرأى في النوم كأنه نودي يا بشر طيب اسمنا  
 فنحن نطيب اسمك في الدنيا والآخرة وذكر أن صيادا كان يصيد السمك وكانت ابنته تطرحها  
 في الماء وتقول انما وقعت في الشبكة لغفلتها الهنا تلك الصيبة كانت ترحم عقلتها وكانت تلقاها  
 مرة أخرى في البحر ونحن قد اصطادتنا وسوسة الشيطان وأخرجنا من بحر رحمتك فارحنا  
 بفضلك وخلصنا مناه والقنا في بحار رحمتك مرة أخرى وعن محمد بن كعب القرظي قال قال  
 موسى الهي أي خلقتك أكرم عليك قال الذي لا يزال لسانه رطبا من ذكرى قال فأى خلقتك  
 أعظم قال الذي يلقى الى علمه علم غيره قال فأى خلقتك أعدل قال الذي يقضي على نفسه كما  
 يقضي على الناس قال وأى خلقتك أعظم جرما قال الذي يتهمني وهو الذي يسألني ثم لا يرضى بما  
 قسمت له الهنا انما الاتهمك فاننا تعلم ان كل ما أحسنت به فهو فضل وكل ما لا نفع له فهو عدل فلا  
 تؤاخذنا بسوء أفعالنا وأعمالنا وعن الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد يعلم الجمع من

أولى بالكرم أين الذين كانت تجباني جنوبهم - م عن المضاجع فيقومون فيتخطون رقاب الناس  
ثم يقال أين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ثم نادى مناد أين الحمدون الله  
كثيرا على كل حال ثم يكون الحساب على من بقي الهنا نحن حمدناك وأثنينا عليك بمقدار طاعتنا  
ومنتهى قدرتنا فاعف عنا بفضلك ورحمتك يا رحيم الرحمن \* ولما عظم الله تعالى حال القرآن  
وحال رسوله صلى الله عليه وسلم بما كلفه أتبع ذلك بما يقوى قلب رسوله صلى الله عليه وسلم من ذكر  
أحوال الانبياء تقوية لقلبه في الابلاغ كقوله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت  
به فؤادك وبدأ موسى عليه السلام لأن قنته كانت أعظم الفتن لبنتي قلب الرسول صلى الله  
عليه وسلم ويصبر على حمل المكارة فقال تعالى (وهل أتاك حديث موسى) وهذا محتمل لأن يكون  
هذا أول ما أخبر به من أمر موسى فقال وهل أتاك أي لم يأتك إلى الآن قنته له وهذا قول  
الكلبي ومحتمل أن يكون قد أتاه ذلك في الزمان المتقدم فكانه قال أليس قد أتاك وهذا قول  
مقاتل والضحاك عن ابن عباس وهذا وإن كان على لفظ الاستهفام الذي لا يجوز على الله تعالى  
لكن المقصود منه تقرير الخبر في نفسه وهذه الصورة أبلغ في ذلك كقولك لصاحبك هل بلغك  
عني كذا فيطلع السامع إلى معرفة ما يؤمنى إليه ولو كان المقصود هو الاستهفام لكان الجواب  
يصدر من قبل موسى لأمس قبل الله تعالى وقيل إن هل بمعنى قد وجرى على ذلك الجلال المحلى  
بعبارة بغوى وقوله تعالى (أذراى) يجوز أن يكون منصوبا بالحديث وهو الظاهر ويجوز أن  
ينصب باذ كرمقدرا أى واذا ذكر أذراى (نارا) وذلك أن موسى عليه السلام استأذن شعبا عليه  
السلام في الرجوع من مدين إلى مصر لزيارة والدته وأخيه فأذن له فخرج بأهله وماله وكانت  
أيام شتاء وأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وأمر أنه حامل في شهرها لا تدرى ليلا تضع  
أونهارا فسار في البرية غير عارف بطرقها فألحاه المير إلى جانب الطور الغربي الأيمن في ليلة  
مظلمة منطبة شديدة البرد قيل كانت ليلة جمعة وأخذت أمر أنه في الطلق وتفرقت ماشيته ولأما  
عنده وجعل يقدر زنده فلا يورى فأبصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور  
(فقال لا اله الا هو) أى أقيموا في مكانكم والخطاب لامرأته وولدها والخادم ويجوز أن يكون  
للمرأة وحدها خرج على ظاهر لفظ الأهل فان الأهل يقع على الجمع وأيضاً قد يخاطب الواحد  
بلفظ الجمع تفضيلاً وقرأ جزء بضم الهاء في الوصل والباقون بالكسر (أنى أنت) أى أبصرت  
(نارا) والأيناس الأبخار الذين لا يشبهة فيه ومنه انسان العين لأنه يتبين به الشيء والانس  
لظهورهم كما قيل الجن لا يستنارهم وقيل إصار ما يؤنس به ولم يوجد عنه الأيناس وكان  
متيقنا حقه اهـ - بكلمة انى ليوطن أنفسهم \* ولما كان الاتيان بالقبر ووجود الهدي  
مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع مع فقال (لعلى آتاكم منها بقبر) أى  
شعلة في رأس قنبله أو عوداً ونحو ذلك وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وفتح الياء في انى والهـ على  
الآتية والبالقون بالسكون الابن عامر ففتح لعلى مع من ذكر وهم على مراتبهم في المتد  
(أو أجد على النار هدى) أى هادي يدي على الطريق ومعنى الاستعلاء في على النار أن أهل

النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيدانه لصوق بمكان يقرب من  
زيداً ولأن المصطلين بها إذا حاطوا بها كانوا مشرفين عليها وقال بهضهم النار أربعة أقسام  
نارتاً كل ولا تشرب وهي نار الدنيا ونار تشرب ولا تا كل وهي التي في الشجر الأخضر كما قال  
تعالى الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً وانار تا كل وتشرب وهي نار المعدة ونار  
لا تا كل ولا تشرب وهي نار موسى عليه السلام وقيل أيضاً النار أربعة أحدها نار إلهانور  
بلا حرقه وهي نار موسى عليه السلام ثانيها الها حرقه بلا نور وهي نار جهنم أعادنا الله تعالى  
منها ثالثها الها حرقه والنور وهي نار الدنيا رابعها الحرقه ولا نور وهي نار الانهار (تنبيه) \*  
ان وصلت هـ دى بقلما فليس فيها الا التنوين للجمع وان وقف عليها فهم على أصولهم في الفتح  
والامالة وبين اللفظين (فلما أتاهما) أي النار قال ابن عباس وأي شجرة خضراء من أسفلها إلى  
أعلىها أطلقت بها نار بيضاء تنقد كاضوا ما يكون فوق متجهاً من شدة ضوء تلك النار وشدة  
خضرة تلك الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة يغير ضوء النار قال ابن مسعود  
كانت الشجرة مثمرة خضراء وقال مقاتل وقتادة والكلي كانت من العوسج وقال وهب كانت  
من العليق وقيل من العناب قال أكثر المفسرين ان الذي رآه موسى لم يكن ناراً بل كان من نور  
الرب تعالى وهو قول ابن عباس وعكرمة وغيرهما ذكر بافظ النار لان موسى عليه السلام  
حسبه ناراً فلما دنا منها سمع تسيج الملائكة ورأى نوراً عظيماً قال وهب فلن موسى أنها نار  
أوقدت فأخذ من دفاق الحطب وهو الحشيش اليابس ليقتبس من إلهها فالت إليه كأنها تريد  
فتأخر عنها وهاجها ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها ثم لم يكن بأسرع من خودها كأنهم لم تكن ثم رى  
موسى يبصره إلى فروعها فاذا خضرتها ساطعة في السماء واذا نور بين السماء والارض له شعاع  
تسلك عنه الابصار فلما رأى موسى عليه السلام ذلك وضع يديه على عينيه وألقيت عليه السكينة  
(فودى يا موسى انى أنار بك) قال وهب فودى من الشجرة فتقبل يا موسى فأجاب سريراً ولم يدر  
من دعاه فقال انى أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأبى أنت فقال أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك  
وأقرب اليك منك فعلم أن ذلك لا ينبغي الا لله تعالى فأيقن به وقيل انه سمع بكل أجزائه حتى ان  
كل جارحة منه كانت أدنا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبفتح الهمزة من انى على تقدير الباء أى بانى  
لان النداء يوصل بها تقول ناديت بكذا وأنشد الفارسي قول الشاعر

ناديت باسم ربيعة بن مكدم \* ان المنوم باسمه الموثوق

وجوزان عطية أن تكون بمعنى لاجل وايس يظهر والباقون بالكسر اء على اضمار القول  
كما هو رأى البصريين أى فليل وامالات النداء فى معنى القول عند الكوفيين وقوله تعالى أنا  
يجوز أن يكون مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبران ويجوز أن يكون توكيد للضمير المنصوب  
ويجوز أن يكون فضلاً ويروى ابن مسعود عن فروعاً في قوله تعالى (فاخلقناك) أنهم ما كانوا  
من جلد سماء ريت ويروى غير مدبوغ فأخرجها ما صبأه للوادي المقدس وقال عكرمة  
ومجاهد انما أمر بذلك لئلا يشرب منه تراب الارض المقدسة فيناله بركتها ويدل لذلك انه قال

تعالى عقبه (انك بالوادي المقدس) أي المطهر أو المياودة فخلعهما وألقاهما من وراء الوادي  
هـ إذا ما قاله أهل التفسير وذكروا أهل الإشارة في ذلك وجوها أحدها أن النعل في النوم يعبر  
بالزوجة وقوله فاخضع نعلك إشارة إلى أنه لا يلتفت بخاطره إلى الزوجة والولد وأن لا يلقى  
مشغول القلب بأمرهما ثانيها المراد بخلع النعلين ترك الالتفات إلى الدنيا والآخرة كأنه  
أمره أن يصير مشغوق القلب بالكلية في معرفة الله تعالى فلا يلتفت إلى الخلق فالتفتان  
الانسان حال الاستدلال على وجود الصانع لا يمكنه أن يتوصل إليه إلا بقدمتين مثل أن يقول  
العالم الخبوس محدث وكل ما كان كذلك فله مؤثر ومدبر وصانع فهاتان المقدمتان شيبتان  
بالنعلين لأنهما يتوصل العقل إلى المقصود وينقل من النظر في الخلق إلى معرفة الخالق  
ثم بعد الوصول إلى معرفة الخالق وجب أن لا يبقى ملتفتا إلى تلك المقدمتين فكأنه قيل لا تكن  
مشغول الخاطر بتلك المقدمتين فانك وصلت إلى الوادي المقدس الذي هو بحر معرفة الله تعالى  
وقوله تعالى (طوى) بدل أو عطف بيان وقرأه هنا وفي النزاعات نافع وابن كثير وأبو عمر وغير  
ثنوين فهو ممنوع من الصرف باعتبار البعثة مع العلية وقيل لأنه معدول عن طأوفه ومثل عمر  
للعديل عن عامر وقيل انه اسم أجنبي ففيه العلية والبعثة والباقون بالثنوين فهو مصروف باعتبار  
المكان ففيه العلية فقط وعند هؤلاء ليس بأعجمي وقوله تعالى (وأنا اخترناك) أي اصطفيتك  
للمرسالة من قومك قرأه جزء بثبديد النون من أنا وقرأه آخرناك بالثنوين بعد ها ألف بلفظ الجمع  
والباقون بناء مضمومة وقوله تعالى (فاستمع لما يوحى) أي اليك مني فيه نهاية الهيبة والجلالة كأنه  
تعالى قال لقد جاءك أمر عظيم فتأهب له واجعل كل عقلك وخاطر لك مصروفا إليه وفي قوله تعالى  
وأنا اخترناك نهاية اللطف والرحمة فيحصل له من الأول نهاية الرجاء ومن الثاني نهاية الخوف  
\* (تنبيه) \* يجوز في لام لما أن تتعلق فاستمع وهو أولى وأن تكون مزيدة في المفعول على حد  
قوله تعالى رد في لكم ويجوز الزمخشري أن يكون ذلك من باب التنارع ونازعه أبو حيان بأنه  
لو كان كذلك لا عاذا الضمير مع الثاني فكان يقول فاستمع له لما يوحى وأجيب عنه بأن مراده  
التعلق المعنوي من حيث الصلاحية وأما تقدير الصناعة فلم يعنه وقوله تعالى (انني أنا الله  
لا اله الا أنا فاعبدني) بدل مما يوحى دال على أنه مقصود على تقرير التوحيد الذي هو منتهى  
العلم والامر بالعبادة التي هي كمال العمل وفي هذه الآية دلالة على أن علم أصول الدين مقدم  
على علم الفروع وأيضا فالقاء في قوله تعالى فاعبده في تدل على أن عبادته انما زمت لالهيته  
لان التوحيد من علم الاصول والعبادة من علم الفروع وخص الصلاة بالذكر وأفردها في قوله  
تعالى (وأقم الصلاة لذكري) للعلة التي أناط بها اقامها وهو تذكير المعبود وشغل القلب  
واللسان بذكره وقيل لذكري لاني ذكرتها في الكتب وأمرت بها وقيل لاوقات ذكري وهي  
مواقيت الصلاة وأول ذكري لما روى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال من نام عن صلاة  
أو نسيها فليقضها اذ ذكرها ان الله يقول وأقم الصلاة لذكري وقيل لان ذكرك بالشأن والمدح  
فاجعل لك عليهما لسان صدق علينا وقيل لذكري خاصة لا تشويه بذكر غيره ولما ساطبها

تعالى موسى عليه السلام بقوله تعالى فاعبدني وأقم الصلاة لذكري أتبعه بقوله تعالى (إن الساعة آتية) أي كأنه (أكد أخفيها) قال أكثر المفسرين معناه أكد أخفيها من نفسي فكيف يعلمها غيري من الخلق وكيف أظهرها لكم ذكر تعالى على عادة العرب إذا بالافوا في كتمان الشيء يقول الرجل كتمت سرى من نفسي أي أخفيته غاية الاخفاء والله تعالى لا يخفي عليه شيء والمعنى في اخفائها التويل والتخريف لانهم اذالم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وكذلك المعنى في اخفاء وقت الموت لان الله تعالى وعد قبول التوبة فاذا عرف وقت موته وانقضاء أجله اشتغل بالمعاصي الى أن يقرب ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل فيخلص من عتاب المعاصي بتعريف وقت موته فتعريف وقت الموت كالأغراء بفعل المعصية فاذا لم يعلم وقت موته لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك المعاصي أو يتوب منها في كل وقت خوف معاجلة الاجل وقال أبو مسلم أكد بمعنى أريد وهو كقوله تعالى كذلك صدنا لبوسف ومن أمثالهم المتداوله لا أفعل ذلك ولا أكاد أي لا أريد أن أفعله وقال الحسن ان أكاد من الله واجب فمعنى قوله تعالى أكاد أخفيها أي أنا أخفيها عن الخلق كقوله تعالى عسى أن يكون قريبا أي هو قريب وقيل أكاد صلة في الكلام والمعنى أن الساعة آتية أخفيها قال زيد الخليل سريع الى الهيجا مثل سلاحه \* فإنا يكاد قرنه يتنفس

أي فإنا يتنفس قرنه وقوله تعالى (لنجزي كل نفس بما تسعى) أي تعمل من خير أو شر متعلق بآتية واختلف في الخطاب بقوله تعالى (فلا يصدنك) أي يصرفنك (بها من لا يؤمن بها) فقيل وهو الاقرب كما قاله الرازي انه موسى عليه السلام لان الكلام أجمع خطاب له وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم واختلف أيضا في عود هذين الضميرين على وجهين أحدهما قال أبو مسلم لا يصدنك عنها أي عن الصلاة التي أمرتكم بها من لا يؤمن بها أي بالساعة فالضمير الاول عائد الى الصلاة والثاني الى الساعة ومثل هذا جائز في اللغة فالعرب تلف الضميرين ثم ترمي بجوابها ما جله ليرد السامع الى كل خبر حقه ثانيهما قال ابن عباس فلا يصدنك عن الساعة أي عن الايمان بها من لا يؤمن بها فالضميران عائدان الى يوم القيامة وهذا أولى لان الضمير يعود الى أقرب المذكورات وههنا الاقرب هو الساعة وما قاله أبو مسلم انما يصار اليه عند الضرورة ولا ضرورة ههنا \* (تنبيه) \* المقصود من ذلك نهى موسى عليه السلام عن التكذيب بالبعث ولكن ظاهر اللفظ يقتضي نهى من لم يؤمن عن صدق موسى وفيه وجهان أحدهما أن صدق الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليبدل على حمله على المسبب الثاني أن صدق الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين فذكر المسبب ليبدل على السبب كقولهم لا اريتك ههنا المراد نهى الخطاب عن حضوره له لأن يراه هو فالرؤية مسببة عن الحضور كما أن صدق الكافر مسبب عن الرخاوة والضعف في الدين فقيل لا تكن رخو ابل كن شديدا صلبا حتى لا يلوح منك لمن يكفر بالبعث أنه يطمع في صدق عماتك عليه (واتبع هواه) أي ميل نفسه الى اللذات المحبوبة المندرجة لتصرف نظره عن غيرها وخالف أمر الله (فتردى) أي فتهاكت ان انصدت عنها وما في قوله

تعالى (وما تلك بيمينك) مبتدأ استهلامية وتلك خبره ويمينك حال من معنى الإشارة وقوله  
 تعالى (يا موسى) تكرر لانه ذكره قبل في قوة تعالى نودي يا موسى وبعد في مواضع كلقها يا موسى  
 لزيادة الاستئناس والتبسيه (فان قيل) السؤال انما يكون لطلب العلم وهو على الله تعالى محال  
 لها الفائدة في ذلك (أجيب) بأن في ذلك فوائد الاولي توقيفه على انها عاصي اذا قلبها حية علم  
 انها معجزة عظيمة وهذا على عادة العرب يقول الرجل لغيره هل تعرف هذا وهو لا يشك انه يعرفه  
 ويريد أن يضم اقراره بلسانه الى معرفته بقلبه الثانية ان يقر رغبته انها خشية حتى اذا قلبها  
 ثعبانا لا يخافها الثالثة انه تعالى لما أراه تلك الانوار المتصاعدة من الشجرة الى السماء وأسمعه  
 كلام نفسه ثم أورد عليه التكليف الشاق وذكر له المعاد وختم ذلك بالتهديد العظيم فقصر موسى  
 عليه السلام ودهش فقيل له وما تلك بيمينك يا موسى وتكلم معه بكلام البشر ازالة تلك الدهشة  
 والحيرة (فان قيل) هذا خطاب من الله تعالى لموسى بلا واسطة ولم يحصل ذلك لمحمد صلى  
 الله عليهما وسلم (أجيب) بالتمنع فقد خاطبه في قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى الا أن الذي  
 ذكره مع موسى عليه السلام أفشاه الى الخلق والذي ذكره مع محمد صلى الله عليه وسلم كان  
 سرا لم يؤول له أحد من الخلق وأيضا ان كان موسى تكلم معه فامة محمد يخاطبون الله  
 تعالى في كل يوم من اوعلى ما قاله صلى الله عليه وسلم المصلى يتاجى به والرب يتكلم مع  
 آحاد أمة محمد يوم القيامة بالتسليم والتكريم لقوله تعالى سلام قولا من رب رحيم \* (تبسيه) \*  
 قوله تعالى وما تلك اشارة الى العصا وقوله تعالى بيمينك اشارة الى اليد وفي هذا انك ذكرها  
 الرازي رحمه الله تعالى الاولي أنه تعالى لما أشار اليها جعل لكل واحدة منهما معجزة  
 قاهرة وبرهاننا ساطعا ونقله من حد الجهادية الى مقام الكرامة فاذا صار الجهاد بالنظر الواحد  
 حيوانا صار الجسم الكثيف نورانيا لطيفا ثم انه تعالى ينظر كل يوم ثلثمائة وستين مرة الى  
 قلب العبد فأى عجب لو انقلب قلبه من موت العصيان الى السعادة بالطاعة ونور المعرفة  
 فانها ان بالنظر الاول الواحد صار الجهاد ثعبانا فبلغ سحر السحرة فأى عجب لو صار القلب  
 ثعبانا فبلغ سحر النفس الامارة بالسوء ثالثها ان العصا كانت في يمين موسى عليه السلام  
 فبببركته انقابت ثعبانا وبرهاننا وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فاذا حصلت  
 ليد موسى عليه السلام هذه المنزلة فأى عجب لو انقلب قلب المؤمن بسبب اصبعي الرحمن من  
 ظلمة المعصية الى نور العبودية \* ولما سأل تعالى موسى عليه السلام عن ذلك أجاب بأربعة  
 أشياء ثلاثة على التفصيل وواحد على الاجمال اولها (قال هي عصا) وقد تم الجواب بذلك  
 الا أنه عليه السلام ذكر الوجوه الاخر لانه كان يجب المكالمة مع ربه فجعل ذلك كالوسيلة الى  
 تحصيل هذا الغرض ثانياها قوله (أتوكا) أى أعتمد عليها) اذا مشيت واذا عبيت واذا وقفت  
 على رأس القطيع وعند الطفرة ثالثها قوله (وأهش) أى أخطط ورق الشجر (بها) ليسقط على  
 عني) لتأكله فبدأ عليه السلام أولا بمصالح نفسه في قوله أتوكا عليها ثم بمصالح رعيته في قوله  
 أهش بها على عني وكذلك في القيامة يقول نفسى نفسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يشتغل في

الدنيا الا باصلاح امر الامة وما كان الله ليُعذبهم وانتم فيهم اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون فلا  
 جرم يوم القيامة يبدأ أيضا بآمتهم فيقول آمتي آمتي رابعها قوله (ولي فيها ما رب) جمع ما روية  
 بثلاث الراء حواتج ومنافع (أخرى) تحمل الزاد والسي في وطرد الهوام وانما أجل في الماء رب  
 رجاء أن يسأله ربه عن تلك الماء رب فيسمع كلام الله تعالى مرة أخرى ويطول أمر المكلمة بسبب  
 ذلك وقيل انقطع لسانه بالهيبه فاجل وقيل اسم العصا نبعة وقيل في الماء رب كانت ذات شعبتين  
 ومججج فاذا طال الغصن حناء بالمججج واذا طلب كسره لواء بالشعبتين واذا سارا لقاها على عاتقه  
 فعلق بها اداوته من القوس والكثانة والحلاب وغيرها واذا كان في البرية ركزا وعرض  
 الزندين على شعبتها وألقى عليها الكساء واستظل والزندين بفتح الزاي ثنية زند وزندة والزند  
 العود الاعلى الذي تقده به النار والزندة السفلى فيها ثقب فاذا اجتمعا قبل زندان ولم نقل  
 زندان واذا قصر رشاقه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غمه وقيل كان فيها من المهجرات  
 أنه كان يستقي بها فتطول بطول البر وتصبح شعبتها هادوا ويكونان شعبتين بالليل واذا ظهر عدو  
 حاربت عنه واذا اشتمى ثمرة ركزا فأورقت وأثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقامه فجعلت تماشيه  
 ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيمه الهوام وروى عن ابن عباس أنها كانت  
 تماشيه وتتحدثه ولما ذكر موسى هذه الجوابات لربه (قال) له (ألقها) أي انبذها (يا موسى فألقها  
 فاذا هي حية) أي ثعبان عظيم (تسمى) أي تسمى على بطنها سريعا وهنا نكت خفية احداها  
 أنه عليه السلام لما قال ولي فيها ما رب أخرى أراد الله تعالى أن يعرفه ان فيها ما رب لا يظن  
 لها ولا يعرفها وانها أعظم من ساورها وأربى ثابتها كان في رجله شيء وهو النعل وفي يده شيء  
 وهو العصا فالرجل آلة الهرب واليد آلة الطلب فقال أولا فاخلع نعليك اشارة الى ترك الهرب  
 ثم قال القها وهو اشارة الى ترك الطلب كأنه تعالى قال انك مادمت في مقام الهرب والطلب  
 كنت مشتغلا بنفسك طالبا لخطك فلا تكن خالفا لعرفتي فكن تاركا للهرب والطلب تكن  
 خالصا الى ثالثها أن موسى عليه السلام مع علو درجته وكمال صفته لما وصل الى الحضرة ولم  
 يكن معه الا النعلان والعصا أمره بالقائم حتى أمكنه الوصول الى الحضرة فانت في ألف وقر من  
 المعاصي فكيف يمكنك الوصول الى جنبه (فان قيل) كيف قال هنا حية وفي موضع آخر جان  
 وهي الحية الخفيفة الصغيرة وقال في موضع آخر ثعبان وهو أكبر ما يكون من الحيات  
 (أجيب) بأن الحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والكبير وأما الثعبان والجان  
 فيبينها تناف لان الثعبان العظيم من الحيات كما مر والجان الدقيق وفي ذلك وجهان أحدهما  
 انها كانت وقت انقلابها حية صغيرة دقيقة ثم تورمت وتزايد جلدتها حتى صارت ثعبانا فأريد  
 بالجان أول حالها وبالثعبان ما آلتها الثاني أنها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان  
 لقوله تعالى فلما رأاهم تركها جان قال وهبنا ألقى العصا على وجه الارض نظرا اليها فاذا هي  
 حية تسمى صغرا من أعظم ما يكون من الحيات تسمى بسرعتها عرف كعرف القوس وكلين  
 يترجمها أربعون ذراعا صارت شعبتها شديقا لها والمججج عنقا وعرفها بهز وعينها تتقد ان



كالنار عثر بالعضرة العظيمة مثل الخلفة من الابل فتلقمها وتقف الشجرة العظيمة بأنيابها  
 ويسمع لانيابها صريرها عظيما فلما عين ذلك موسى ولي مدبرا وهرب ثم نودي يا موسى ارجع حيث  
 كنت فرجع وهو شديد الخوف (قال) تعالى له (خذها) أي بينك (ولا تخف) وكان على موسى  
 مدرعة من صوف قد دخلها بديدان فلما قال تعالى له خذها فطرف المدرعة على يده فأمره الله  
 أن يكشف يده وذكر بعضهم أنه لما انفك المدرعة على يده قاله الملك أرايت ان أذن الله بما تحاذر  
 أنك كانت المدرعة تغني عنك شياً قال لا ولكنني ضعيف ومن ضعف خلقت وكشف عن يده  
 ثم وضعها في قم الحية فاذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتها في الموضع الذي كان يضعها اذا نوكا  
 عليها كما قال تعالى (سنعيدها سيرتها الاولى) وقد أظهر الله تعالى في هذه العصا معجزات لموسى  
 عليه السلام منها انقلاب العصا حية ومنها وضع يده في فمها من غير ضرر ومنها انقلابها  
 خشبة مع الامارات التي تقدمت \* (تنبية) \* في نصب سيرتها أوجه أحدها أن تكون منصوبة  
 على الظرف أي في سيرتها أي طريقتهما ثانياً على البدل من هاـ سنعيدها بدل اشتمال لأن السيرة  
 الصفة أي سنعيدها صفتها وشكلها ثالثاً على اسقاط الخافض أي الى سيرتها وقيل غير ذلك  
 (فان قيل) لما نودي يا موسى وخص بتلك الكرامات العظيمة وعلم أنه مبعوث من عند الله تعالى  
 الى الخلق فلماذا خاف (أجيب) عن ذلك بأوجه أحدها أن ذلك الخوف كان من نفرة الطبع  
 لانه عليه السلام ما شاهد مثل ذلك قط وهذا معلوم بدلائل العقول ثانياً انما خافها لانه عليه  
 السلام عرف ما نقي آدم عليه السلام منها ثالثاً أن مجرد قوله ولا تخف لا يدل على حصول  
 الخوف كقوله تعالى ولا تطع الكافرين لا يدل على وجود تلك الطاعة لكن قوله فلما رآها تهتز كأنها  
 جان ولي مدبر لا يدل عليه ولكن ذلك الخوف انما ظهر ليظهر الفرق بينه وبين أفضل الخلق محمد  
 صلى الله عليه وسلم فإظهار الرغبة في الجنة ولا النفرة عن النار وقوله تعالى (واضع يديك) أي  
 اليمنى (الى جناحك) أي جنبك الايسر تحت العضد في الابط (تخرج بيضاء) أي نيرة مشرقة  
 تضيء كشمس الشمس تعشى البصر لا يتدفق من حذف والتقدير واضع يديك تنضم وأخرجها  
 تخرج فحذف من الاول والثاني وأبقى مقابليهما ليدل على ذلك ايجازاً واختصاراً وانما احتج  
 الى هذا لانه لا يترتب على مجرد الضم الخروج وبيضاء حال من فاعل تخرج وقوله تعالى (من  
 غير سوء) متعلق بتخرج وروى عن ابن عباس الى جناحك الى صدرك والاول أولى كما قال  
 الرازي لانه يقال لكل ناحيتين جناحاً كجناحي العصفور لطرفيه وجناحاً الانسان باتباء  
 والاصل المستعار منه جناح الطائر سمياً بذلك لانه يجنحهما أي يميلهما عند الطيران وجناح  
 الانسان عضداه فعضداه يثنى بهان جناحي الطير ولانه قال تخرج بيضاء ولو كان المراد بالجناح  
 الصدر لم يكن لقوله تخرج معنى والسوء الرداءة والقبح في كل شيء فكفى به عن البرص كما كفى  
 عن العورة بالسوء والبرص أبغض شيء الى العرب ولهم عنه نفرة عظيمة واسمعا هم لاسمه  
 بحاجة فكان جديراً بأن يكفى عنه ولا ترى أحسن ولا أطرف ولا أخف للمفاصل من كتابات  
 القرآن وآدابه يروى أن موسى عليه السلام كان شديد الادمة فكان اذا أدخل يده اليمنى

في جيبه فأدخلها في ابطنه الايسر وأخرجها فكانت تبرق مثل البرق وقيل مثل الشمس من  
 غير مرض ثم اذارتها عادت الى لونها الاقلم من غير نور وقوله تعالى (آية أخرى) أي معجزة  
 نابتة حال من ضمير تخرج كبيضاء وقوله تعالى (لتريك) متعلق بما دل عليه آية أي دللتها  
 لتريك وقوله تعالى (من آياتنا الكبرى) أي العظمى على رسالتك متعلق بمحذوف على أنه حال  
 من الكبرى والكبرى مفعول ثان لتريك والتقدير لتريك الكبرى حال كونها من آياتنا أي  
 بعض آياتنا واختلف أي الآيتين أعظم في الاعجاز فقال الحسن البدلانه تعالى قال لتريك من  
 آياتنا الكبرى والذي عليه الاكثر أن العصا أعظم اذ ليس في اليد الا تغير اللون وأما العصا  
 ففيها تغير اللون وخلق الزيادة في الجسم وخلق الحياة والقدرة والاعضاء المختلفة وإسلاخ  
 الحجر والشجر ثم اعادتها عصابه بذلك فقد وقع التغير في كل هذه الامور فكانت العصا أعظم  
 وأما قوله تعالى لتريك من آياتنا الكبرى فقد ثبت انه عائد الى الكلام وانه غير مختص باليد (فان  
 قيل) لم يقل تعالى من آياتنا الكبرى (أجيب) بأن ذلك ذكر لرؤس الآي وقيل فيه اضممار  
 معناه لتريك من آياتنا الآية الكبرى وهذا التقدير يقوى قول القائل بأن اليد أعظم آية \* ولما  
 أظهر سبحانه وتعالى لموسى هذه الآيات عقبها بأمره بالذهاب الى فرعون بقوله تعالى (أذهب)  
 أي رسولاً (الى فرعون) وبين تعالى العلة في ذلك بقوله تعالى (انه طغى) أي جاوز الحد في كفره  
 الى أن ادعى الالهية ولهذا خصه الله تعالى بالذكر مع أنه عليه السلام مبعوث الى الكل قال  
 وهب قال الله تعالى لموسى عليه السلام اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتى فانك بعينى  
 وصمى وان معك يدي ونصرى وانى ألبسك جبة من سلطاني تستكمل بها القوة في أمرك أبعدك  
 الى خلق ضعيف من خلقي بطرنته متى وأمن مكرى وغرته الدنيا حتى يحد حتى وأنكر ربوبيتى  
 أقسم بعزتي لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن هان على وسقط  
 من عيني فبلغه رسالتى وادعه الى عبادتي وحذره نعمتي وقل له قولنا لا يغتر بلباس الدنيا فان  
 ناصيته يدي لا يطفرف ولا يتنفس الا بعلي في كلام طويل قال فسكت موسى عليه السلام سبعة  
 أيام لا يتكلم ثم جاءه ملك فقال أجب ربك فيما أمرك فعند ذلك (قال رب اشرح لي صدري)  
 أي وسعه لتحمل الرسالة قال ابن عباس يريد حتى لا أخاف غيرك والسبب في هذا السؤال ما حكى  
 الله تعالى عنه في موضع آخر بقوله قال رب انى أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطق  
 لساني وذلك أن موسى عليه السلام كان يخاف فرعون اللعين خوفاً شديداً شدة شوكته وكثرة  
 جنوده وكان يضيق صدره بما كاف من مقاومة فرعون وحده فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه  
 حتى يعلم ان أحدا لا يقدر على مضرتة الا باذن الله تعالى واذا علم ذلك لم يخف فرعون وشدة  
 شوكته وكثرة جنوده وقيل اشرح لي صدري بالفهم عنك ما أنزلت على من الوحي (ويسر)  
 أي سهل (لى أمرى) أي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون وذلك لان كل ما يصدر من  
 العبد من الافعال والاقوال والحركات والسكات فالتعالى هو الميسر له (فان قيل) قوله لى  
 في اشرح لي صدري ويسر لى أمرى ما جدواه والامر مستتم مستتب بدونه (أجيب) بأنه

قد أجهم الكلام أولاً فقال اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الاجسام  
بذكرهما فكان أكد لطلب الشرح لسدوره والتيسير لامره من أن يقول اشرح صدري ويسر  
امري على الايضاح الساذج لانه تكرر لله معنى الواحد من طريق الاجال والتفصيل (واحلل  
عقدة من لسانى) قال ابن عباس كان في لسانه عليه السلام رنة وذلك أن موسى عليه السلام  
كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون اطمة وأخذ بلحيته فقال فرعون لا سمى  
امراة ان هذا عدوى وأراد أن يقتله فقالت له آسية انه صبي لا يعقل ولا يعز وفي رواية ان أم  
موسى لما فطمته ردتته الى فرعون فنشأ موسى في حجر فرعون وامراة ته بريانه واتخاذ ولدا فيها  
هو ذات يوم يلعب بين يدي فرعون ويبيده قضيب يلعب به اذ رفع القضيب فضر به رأس  
فرعون فقضب فرعون وتطير بضره وهم يقتله فقالت آسية أيتها الملك انه صغير لا يعقل جربه ان  
شئت بخات بطشتين في أحدهما اجر وفي الآخر جوهر فاراد أن يأخذ الجوهر فأخذ جبريل يد  
موسى عليه السلام فوضعها على النار فأخذ جرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه وصارت عليه  
عقدة وقيل قربا اليه ثمرة وجمرة فأخذ الجرة فجعلها في فيه فاحترق لسانه وروى أن يده احترقت  
وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما دعاها قال الى أى رب تدعونى قال الى الذى أبرأيدى  
وقد عجزت عنها وعن بعضهم انها لم تبرأ يده لثلايد دخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتسعدت بينهما  
حرمة المواكلة وقيل كان ذلك اتعقد خلقة فسأل الله تعالى ازالته واختلفوا في أنه لم يطلب حل  
تلك العقدة فقبل لتلايق خلل في أداء الوحي وقيل لتلايخف بكلامه فينفروا عنه ولا  
يلتفتوا اليه وقيل لاطهارا المعجزة كما أن حبس لسان زكريا عليه السلام عن الكلام كان معجزا  
في حقه فكذا اطلاق لسان موسى معجز في حقه واختلفوا في زوال العقدة بكلامها قبل بقى  
بعضها لقوله وأخى هرون هو أفصح منى لسانا وقول فرعون ولا يكاديين وكان في لسان الحسين  
ابن على رضى الله تعالى عنهما رنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثهما من عمه موسى وقال  
الحسن زالت بالكلية لقوله تعالى قد أوتيت سؤلثك يا موسى وضعف هذا الرازي بأنه عليه  
السلام لم يقل واحلل العقد من لسانى بل قال واحلل عقدة من لسانى فاذا حل عقدة واحدة  
فقد آتاه الله سؤلته قال والحق أنه انحل أكثر العقد وبقى منها شئ وقال الزمخشري وفي تنكير  
العقدة ولم يقل واحلل عقدة لسانى انه طلب حل بعضها ارادة أن يفهم عنه فهما جيدا أى ولذا  
قال (يفقهوا) أى يفهموا (قولى) عند تبليغ الرسالة ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لسانى  
صفة للعقدة كأنه قيل عقدة من عقد لسانى \* (تنبيه) \* استدل على أن في النطق فضيلة عظيمة  
بوجوه أولها قوله تعالى خلق الانسان علمه البيان فإهمية الانسان هي الحيوان الناطق فانها  
اتفاق العقلاء على تعظيم أمر اللسان قال زهير

لسان الفسى نصف ونصف فؤاده \* فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وقالوا ما الا انسان لولا اللسان الابهية مرسله أى لو ذهب النطق للسان لم يبق من الانسان  
الا القدر الحاصل في البهائم وقالوا المرء بأصغره قلبه ولسانه وقالوا المرء محبوس لسانه

ثالثها ان في مناظرة آدم عليه السلام مع الملائكة ما ظهرت الفضيلة الا بالنطق حيث قال يا آدم  
 انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض \* ولما  
 رأى موسى عليه السلام ان التعاون على الدين والتظاهر عليه مع مخالفة الوعد وزوال التهمة  
 قربة عظيمة في الدعاء الى الله تعالى طلب المعاونة على ذلك بقوله (واجعل لي وزيراً) أي معيناً  
 على الرسالة ولذلك قال عيسى بن مريم عليه السلام من أنصاري الى الله قال الحواريون فمن  
 أنصاري الله وقال محمد صلى الله عليه وسلم ان لي في السماء وزيرين وفي الارض وزيرين فاللذان  
 في السماء جبريل وميكائيل والذان في الارض أبو بكر وعمر وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد  
 الله تعالى بملك خيراً قبض له وزيراً صالحاً انسى ذكره وان نوى خيراً أعانه وان أراد شراً كفه  
 وقال أنوشروان لا يستغنى أجود السيف عن الصقل ولا أكرم الدواب عن السوط ولا أعلم  
 الملوك عن الوزير \* ولما كان التعاون على الدين منقبة عظيمة أراد ان لا تحصل هذه الدرجة الا  
 لاهله فقال (من أهلي) أي أهلي وقوله (هرون) قال الجلال المحلى مفعول ثان وقوله (أخي)  
 عطف بيان وذكر غيره أعاريب غير ذلك لاجابة لنا بذكرها \* (تنبية) الوزير مشتق من الوزر  
 لانه يتحمل عن الملك أوزاره وموته أومن الوزر لان الملك يعتمده برأيه ويلجئ اليه أموره  
 أومن الموازنة وهي المعاونة قال الرازي وكان هرون مخصوصاً بأمر منها الفصاحة لقول  
 موسى هو أفصح مني لساناً ومنها الرفق لقول هرون يا ابن أم لا تأخذ بطيقي ولا برأسي ومنها  
 انه كان أكبر سنانه وقال ابن عادل كان أكبر سنانه موسى بأربع سنين وكان أفصح لساناً  
 منه وأجل وأسم ابيض اللون وكان موسى آدم اللون ألقى جعداً \* ولما طلب موسى عليه  
 السلام من الله تعالى ان يجعل هرون وزيراً له طلب منه ان يشتد أزره بقوله (أشد دبه أزري)  
 أي أقوى به ظهري (وأشركه في أمرى) أي في النبوة والرسالة وقرأ ابن عامر بسكون الياء  
 من أخي وهمزة مفتوحة من أشدد وهو على مرتبته في المدوهمزة مضمومة من أشركه وابن  
 كثير وأبو عمرو يفتح الياء من أخي وهمزة وصل من أشدد وأشركه بهمزة مفتوحة والباقون  
 بسكون الياء من أخي وهمزة وصل من أشدد وفتح الهمزة من أشركه ثم انه تعالى حكى عنه  
 ما لاجله دعا بهذا الدعاء فقال (كي نسبحك) نسيحاً (كثيراً) قال الكلبي نصلي لك كثيراً  
 فحمدك وثني عليك والتسبح تنزيه الله تعالى في ذاته وصفاته عما لا يليق به (ونذكرك) ذكرنا  
 (كثيراً) أي نصفك بصفات الكمال والجلال والكبرياء وجوزاً بالبقاء أن يكون كثيراً نعمتنا  
 لزمان محذوف أي زماناً كثيراً (انك كنت نبياً بصيراً) أي عالماً بالان لا تريد من هذه الطاعات  
 الا وجهك ورضاك أو بصيراً بأن الاستعانة بهذه الاشياء لاجل حاجتي في النبوة اليها أو بصيراً  
 بوجوه مصالحنا فأعطانا ما هو الاصلح لنا \* ولما سأل موسى عليه السلام به تلك الامور المتقدمة  
 وكان من المعالوم ان قيامه بما كلف به لا يتم الا باجابه اليها لاجرم (قال) الله تعالى (قد أوتيت  
 سؤلك يا موسى) أي أعطيت جميع ما سألته منك لما قبله من وجوه المصالح (ولقد مننا عليك  
 مرة أخرى) أي أنعمنا عليك في وقت آخر وفي ذلك تنبيه على أمور أحدها كانه تعالى قال اني

واعيت مصطلحك قبل سؤالك فكيف لا أعطيك مرادك بعد السؤال ثانيها اني كنت  
ريبتك فلو منعتك الان كان ذلك ردا بعد القبول واساءة بعد الاحسان فكيف يليق بك رمي  
ثالثها اننا اعطينا في الازمنة السالفة كل ما احتجت اليه ورقنا في الدرجة العالية وهي منصب  
النبوة فكيف يليق بمثل هذه التريبة المنع عن المطلوب (فان قيل) لم ذكر تلك النعم بلفظ المنة  
مع ان هذه اللفظة مؤذية والمقام مقام تल्प (أجيب) بأنه انما ذكر ذلك ليعرف موسى  
عليه السلام ان هذه النعم التي وصل اليها ما كان مستحقا لشي من اهل انما خصه الله تعالى بها  
لمحض فضله واحسانه (فان قيل) لم قال مرة أخرى مع أنه تعالى ذكرنا كثيرة (أجيب) بأنه  
لم يعن بمرّة أخرى واحدة من المنزلات لان ذلك قد يقال في القليل والكثير ثم بين تلك المنة وهي غناية  
أولها قوله تعالى (أذأوحينا الى أمك) وحيا لاعلى وجه النبوة اذ المرأة لا تصلح للقضاء ولا للإمامة  
ولا تلي عندها كثر العلماء تزويج نفسها فكيف تصلح للنبوة ويدل على ذلك قوله تعالى وما  
أرسلنا قبلك الا رجالا يوحي اليهم والوحي جاء ليعني النبوة في القرآن كثير اقال تعالى وأوحى  
ربك الى النحل واذأوحيت الى الخواريين ثم اختلفوا في المراد من هذا الوحي على وجوه أحدها  
أنه رؤيا رأتها أم موسى وكان تأويلها وضع موسى في التابوت وقذفه في البحر وأن الله تعالى يرده  
عليها ثانيها انه عزيمه جائزة وقعت في قلبها دفعة واحدة ثالثها المراد خطور الببال وغلبته على  
القلب (فان قيل) هذه الوجوه الثلاثة يعترض عليها بأن الالتقاء في البحر قريب من الاهلاك وهو  
مسا والخوف الحاصل من القتل المعتاد من فرعون فكيف يجوز الاقدام على أحدهما لاجل  
الصيانة عن الثاني (أجيب) بأن العلمها عرفت بالاستقراء صدق رؤياها فكان الالتقاء في البحر  
الى السلامة أغلب على ظنهما من وقوع الولد في يد فرعون وابعها لعله أوحى الى بعض الانبياء  
في ذلك الزمان كشعب عليه السلام أو غيره ثم ان ذلك النبي عرفها تماما شفاهة أو مر اسئلة  
واعترض على هذا بأن الامر لو كان كذلك لما لحقها الخوف (وأجيب) بأن ذلك الخوف كان  
من لوازم البشرية كما ان موسى عليه السلام كان يخاف فرعون مع ان الله تعالى كان أمره  
بالذهاب اليه مرارا خامسها العل بعض الانبياء المتقدمين كبراهيم واسحق ويعقوب عليهم  
السلام أخبروا بذلك الخبر وانتهى ذلك الخبر الى امه سادسها العل الله تعالى بعث اليها ملكا  
لاعلى وجه النبوة كما بعث الى مريم في قوله فتمثل لها بشرا سويا وأما قوله تعالى (ما يوحى) فعناه  
مالا يعلم الا بالوحي أو ما ينبغي أن يوحى ولا يحصل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام ويبدل منه  
(ان اقدفيه) أي ألقبه (في التابوت) أي ألهمناها أن اجعله في التابوت (فاقدفيه) أي  
موسى بالتابوت (في اليم) أي نهر النيل (فليلقه اليم بالساحل) أي شاطئه والامر عني الخبر  
والضمائر كلها لموسى فالمقذوف في البحر والملقى الى الساحل هو موسى في جوف التابوت  
حتى لا تفرق الضمائر فتتنافر النظم الذي هو أم اجاز القرآن والقانون الذي وقع عليه التحدى  
ومراعاته أهم ما يجب على المفسر (تنبيه) اليم البحر والمراد به هنا مصر في قول الجميع  
واليم اسم يقع على النهر والبحر العظيم قال الكسائي والساحل فاعل بمعنى مفعول سمى بذلك

لان الماء يسهل أي يحسره اذا علاه وقوله تعالى (ياخذة عدوتي وعدوتله) أي فرعون جواب  
 فليقله وتكرير عدو للمبالغة أولان الاول باعتبار الواقع والثاني باعتبار المتوقع أي سيصير  
 عدو له بعد ذلك فانه لم يكن في ذلك الوقت بحيث يعادي روى أنها اتخذت تابوتاً قال مقاتل  
 ان الذي صنع التابوت حزقيل مؤمن آل فرعون وجعلت في التابوت قطناً محلوها فوضعت فيه  
 وجصسته وقبرته ثم ألقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فيبنيها هو جالس  
 على رأس بركة مع آسية بنت مزاحم اذا تابوت يجري به الماء فأمر فرعون الغلمان والحواري  
 بانزاجه فأخرجوه وقصوا رأسه فاذا صبي أصبح الناس وجهاً فأحبه عدو الله حبا شديدا  
 لا يتمالك أن يصبر عنه كما قال تعالى (وألقيت عليك محبة مني) وهذه هي المنة الثانية قال  
 الرمنشري مني لا يخلو أما أن يتعلق بالقيت فيكون المعنى على أني أحببتك ومن أحبه الله أحبه  
 القلوب وأما أن يتعلق بمحذوف وهو صفة لمحبة أي محبة خالصة أو واقعة مني قدر كزتها  
 أنا في القلوب وزدتها فيها فلذلك أحبك فرعون وآسية حتى قالت قرّة عين لي ولك لا تقتلوه روى  
 أنه كان على وجهه مسحة جمال وفي عينه ملاحه لا يكاد يصبر عنه من يراه وهو كقوله تعالى  
 سيجعل لهم الرحمن وذا المنة الثالثة قوله تعالى (ولتصنع على عيني) أي تربي على رعائي  
 وحفظي لك فأنا مرأعيتك ومرأعيتك كما يراعى الرجل الشيء بعينه اذا اعتنى به ويقول للصانع  
 اصنع هذا على عيني أنظر اليك لانه لا تخالف به عن مرادى وبغيتي \* (تسبيه) \* ولتصنع معطوف  
 على علامه مضمرة مثل ليلتطف بك ولتصنع أو على الجملة السابقة باضمار فعل مهمل مثل فعلت ذلك  
 وقرأ يفتح الياء نافع وابن كثير وأبو عمرو وسكنها الباقون المنة الرابعة قوله تعالى (اذغشي  
 أختك) والعامل في اذ غشي أختك وتصنع ويجوز أن يكون بدلا من اذأ وحينا واستشكل بأن  
 الوقتين مختلفان متباعدان (وأجيب) بأنه يصح مع اتساع الوقت كما يصح أن يقول لك الرجل  
 لقيت فلانا سنة كذا فتقول وأما لقيته اذ ذلك ورجع اليه هو في أولها وأنت في آخرها فتقول  
 هل أدلكم على من يكفله) يروى أن أخته واسمها مريم جاءت متعرفة خيرة فصادفتهم يطلبون له  
 مرضعة يقبل ثديها وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة فقالت لهم ذلك فقالوا نعم فجاءت بالأم  
 فقبل ثديها فذلك قوله تعالى (فارجعناك الى أمك كي تقر عينها) بلقائك ورؤيتك (ولا تحزن)  
 أي هي بفراقك وأنت بفراقها وقد اشفاقها ويروي أن آسية استوهبت من فرعون وثبته  
 وهي التي أشفت عليه وطلبت له المراضع المنة الخامسة قوله تعالى (وقلت نفسا) قال ابن  
 عباس هو الرجل القبطي الذي قتله خطأ بأن وصكه حين استغاثه الاسرائيلي اليه قال  
 الكسائي كان عمره اذ ذلك اثني عشرة سنة (فهيئناك من النعم) أي من نعم قتلته خوفا من  
 اقتصاص فرعون كما قال تعالى في آية فأصبح في المدينة خائفا يترقب بالمهاجرة الى مدين المنة  
 السادسة قوله تعالى (وقتلنا قنونا) قال ابن عباس اختبرناك اختبارا وقيل ابتليناك ابتلاء  
 قال ابن عباس الفتون وقوعه في محنة بعد محنة وخلصه الله تعالى منها أولها ان أمه جلته  
 في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاؤه في البحر في التابوت ثم منعه الرضاع

الامن ندى أمته ثم أخذ بطيخة فرعون حتى هم يقتله ثم تناوله الجفرة بدل الجوهرة ثم قتله القبطي  
 وخروجه الى مدين خاتفا (فان قيل) انه تعالى عدد أنواع منته على موسى في هذا المقام  
 فكيف يليق بهذا الموضع وقتنا لفتونا (أجيب) بجوابين الأول فتنا لك أي خلاصنا لك تخلصنا  
 من قواهم فنتت الذهب اذا أردت تخلصه من الفضة أو نحوها الثاني ان الفتنة تشديد المحنة  
 يقال فتن فلان عن دينه اذا اشتدت عليه المحنة حتى يرجع عن دينه قال تعالى فاذا أودى  
 في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله وقال تعالى ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا  
 وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ولما كان  
 التشديد في المحنة يوجب كثرة الثواب عده الله تعالى من جملة النعم وتقدم تفسير ابن عباس  
 وهو قريب من ذلك (فان قيل) هل يصح اطلاق الفتان على الله تعالى اشتهقا فان قوله تعالى  
 وقتنا لفتونا (أجيب) بأنه لا يصح لانه صفة ذم في العرف وأسماء الله تعالى توقيفية لا سيما فيما  
 يوهم ما لا ينبغي المنة السابعة قوله تعالى (فلبث سنين في أهل مدين) والتقدير وقتنا لفتونا فخرجت  
 خاتفا الى أهل مدين فلبث سنين فيهم عند شعيب عليه السلام وتروجت بابنته وهي اما عشر  
 أو ثمان لقوله على أن تأجرني ثمانى حجج فان أتمت عشر افن عندك وقال وهب لبث موسى  
 عند شعيب عليه السلام ثمانا وعشرين سنة منها عشر سنين مهورا مراهته فانه قضى  
 أو في الاجلين والآية عادلة على انه لبث عشر سنين وليس فيها ما ينفي الزيادة على العشر كما قاله  
 الزاوي وان قال ابن عادل يردده قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل أى الاجل المشروط عليه  
 في تزويجه وسار بأهله ومدين بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر (ثم جئت على قدر) أى  
 على القدر الذى قدرت أنك تحي فيه لان أكلت وأسستبئك غير مستقدم وقته المعين  
 ولا مستأخر وقال عبدالرحمن بن كيسان على رأس أربعين سنة وهو القدر الذى يوحى فيه  
 للأنبياء وهذا قول أكثر المفسرين أى على الموعد الذى وعد الله وقد رآه يوحى اليه بالرسالة  
 وهو أربعون سنة وكثر تعالى قوله (يا موسى) عقب ما هو غاية الحكاية للتنبية على ذلك المنة  
 الثامنة قوله تعالى (واصطنعتك) أى اخترتك (لنفسى) لاصرفك فى أوامرى لثلاث شغل  
 الاجامرتك به وهو اقامة حجتي وتبليغ رسالتى وأن تكون فى حركاتك وسكانتك لى لانفسك  
 وللغيرك ثم بين تعالى ماله اصطنعه وهو الابلاغ والاداء بقوله تعالى (أذهب أنت وأخوك  
 يا ياق) أى عجزانى وقال ابن عباس الآيات التسع التى بعث بها موسى وقيل انها العصا  
 واليد لانهما اللذان جرى ذكرهما فى هذا الموضع ولم يذكرانه عليه السلام أو فى قبل مجيئه الى  
 فرعون ولا بعد مجيئه حتى لى فرعون فالتس منه آية غير هاتين الآيتين قال تعالى حكاية عن  
 فرعون ان كنت جنت يا آية قات بها ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين  
 ونزع يده فاذا هى ييضاء للناظرين وقال تعالى فذالك برهانك من ربك الى فرعون ومثته (فان  
 قيل) كيف أطلق لفظ الجمع على الاثنين (أجيب) بأن العصا كانت آيات انقلابها حيوانا  
 ثم انها فى أول الامر كانت صغيرة لقوله تعالى تهتز كأنهم جان ثم كانت تعظم وهذه آية أخرى ثم

كانت تصير تعبانا وهذه آية أخرى ثم انه عليه السلام كان يدخل يده في فمها كما كانت تضرمه  
 فهذه آية أخرى ثم كانت تنقلب خشبة فهذه آية أخرى وكذلك المدقات بياضها آية وشعاعها  
 آية أخرى ثم زوالها بعد ذلك آية أخرى فدل ذلك على انها كانت آيات كثيرة وقيل الآيات  
 العصا واليد وحل عقدة لسانه وقيل معناه أمد كما يأتي وأظهر على أيديكم من الآيات  
 ما تفزع به العلل من فرعون وقومه (ولانتيا) أي لا تقترأ ولا تقصرا (في ذكرى) أي بتسبيح  
 وغيره فان من ذكر جلال الله استخف غيره فلا يخاف أحدا وتقوى روحه بذلك الذكر فلا  
 تضعف في مقصوده ومن ذكر الله لا بد وأن يكون ذا كرامة وذا كرامة لا يقتر في أداء  
 أو أمره وقيل لا تني في ذكرى عند فرعون بأن تذكر لفرعون وقومه أن الله لا يرضى منهم  
 الكفر وذكرا لهم أمر النواب والعقاب والترغيب والترهيب وقيل المراد بالذكري تبليغ الرسالة  
 (اذها إلى فرعون انه طغي) أي بادعاء الربوبية \* (تنبيه) \* ذكر الله تعالى المذهب اليه هنا وهو  
 فرعون وحذفه في قوله اذهب أنت وأخوك باي اختصارا في الكلام وقال القفال فيه  
 وجهان أحدهما أن قوله اذهب أنت وأخوك باي يأتي محتمل أن يكون كل واحد منهما أمورا  
 بالذهاب على الانفراد فقيل مرة أخرى اذهب بالعرفان المراد منه أن يشتغل بذلك جميعا لأن  
 يتقرب به أحدهما دون الآخر والثاني أن قوله اذهب أنت وأخوك باي يأتي أمر بالذهاب إلى كل  
 الناس من بني اسرائيل وقوم فرعون ثم ان قوله تعالى اذهب إلى فرعون أمر بالذهاب إلى فرعون  
 وحده واستبعد هذا بل الذهابان متوجهان لشي واحد وقد حذف من كل من الذهابين ما أثبتته  
 في الآخر وقيل انه حذف المذهب اليه من الاول وأثبتته في الثاني وحذف المذهب به وهو  
 باي يأتي من الثاني وأثبتته في الاول (فقولاه قولنا) أي مثل هل لك إلى أن تتركى وأهديك إلى  
 ربك فتخشي فانه دعوة في صورة عرض ومشورة (فان قيل) لم أمر الله تعالى باللين مع الكافر  
 الجاحد (أجيب) بأن عادة الجبار اذا أغلظ عليه في الوعظ يزداد عتوا وتكبرا فأمر باللين  
 حذرا من أن تحمله الحماقة على أن يسطو عليهم ما واحتراما لله من حق التريسة وقيل كناية  
 وكان له ثلاث كنى أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة وقيل عداه شيئا بالاهرم بعده ومطكا  
 لا يزول الا بالموت وأن تبقى له لذة المظم والمشرب والمنكح إلى حين موته واذا مات دخل الجنة  
 فأعجبه ذلك وكان لا يقطع أمر ادون هامان وكان غاميا فلما قدم أخبره بالذي دعاه اليه موسى  
 وقال أردت أن أقبل منه فقال له هامان كنت أرى ان لك عقلا ورأيا أنت رب تريد أن تكون  
 مربوبا وأنت تعبد تريد أن تعبد فقلبه على رأيه وقوله تعالى (لعله يتذكر أو يخشى) متعلق بأذها  
 أو قولاً أي باشرا الأمر على رجائك كما وطمعك كما مباشرة من يرجو ويطمع أن يثمر عمله ولا يخيب  
 سعيه فهو يجتهد بطوقه ويسعى باقصى وسعه قال الزمخشري ولا يستقيم أن يراد ذلك في حق  
 الله تعالى اذ هو عالم بعواقب الامور وعن سيبويه كل ما ورد في القرآن من لعل وعسى فهو  
 من الله واجب بمعنى انه يستحيل بقاء معناه في حق الله تعالى وقال الفراء ان لعل بمعنى كى فتفيد  
 العلية كما تقول اعمل لعلك تأخذ أجرتك \* (فائدة) \* قرأ رجل عندي يحيى بن معاذ فقولا له قولاً



لينا فبكي يحيى وقال الهى هذا برك من يقول أنا الاله فكيف برك من يقول أنت الاله (فان قيل)  
 ما الفائدة في ارسالهما والمبالغة عليهم ما في الاجتهاد مع علمه تعالى بأنه لا يؤمن (أجيب) بأن ذلك  
 لالزام الحجية وقطع المعذرة واظهار ما حدث في تضاعيف ذلك من الآيات والتذكير للمحقق  
 والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاقول أى ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا أقل من أن يتوهمه  
 فيخشي ويروى عن كعب انه قال والذي يحلف به كعب انه لم يكتب في التوراة فقولا له  
 قولنا وسأقضى قلبه فلا يؤمن ولقد تذكر فرعون وخشى حين لم تنفعه الذكري والخشية  
 وذلك حين أبلغه الفرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين  
 ثم ان موسى وهرون (قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط) أى يعجل (علينا) بالعقوبة (أو أن يطغى)  
 أى يتجاوز الحد في الاساءة علينا (فان قيل) لما تكررا الامر من الله تعالى بالذهاب فعدم  
 الذهاب والتعلل بالخوف هل يدل على معصية (أجيب) بأن الامر ليس على الفور فسقط  
 السؤال وهذا من أقوى الدلائل على أن الامر لا يقتضى الفور (فان قيل) قوله تعالى قال  
 ربنا يدل على أن المتكلم موسى وهرون ولم يكن هرون هناك حاضرا (أجيب) بأن الكلام كان  
 مع موسى الا أنه كان متبوع هرون فجعل الخطاب معه خطبا مع هرون وكلام هرون على سبيل  
 التقدير في تلك الحالة وان كان موسى وحده الا أنه تعالى أضافه اليهما كما في قوله تعالى  
 واذ قلتم نضافا ذارآتم فيها وقوله لنرجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روى أن  
 القائل عبد الله بن أبى وحده (فان قيل) ان موسى عليه السلام قال رب اشرح لى صدرى  
 فأجابته الله تعالى بقوله قد أوتيت سؤلك يا موسى وهذا يدل على أنه تعالى قد شرح صدره وبسرله  
 ذلك الامر فكيف قال بعده اننا نخاف فان حصول الخوف يمنع من حصول شرح الصدر  
 (أجيب) بأن شرح الصدر عبارة عن تقويته على ضبط تلك الاوامر والنواهي وحفظ تلك  
 الشرائع على وجه لا يتطرق اليها البهو والتعريف وذلك شئ آخر غير الخوف (قال) الله  
 تعالى لهما (لا تخفا فإني معكما) حافظكما وناصركما (أسمع وأرى) أى ما يجرى بينكما وبينه  
 من قول وفعل فأفعل ما يوجب حفظي ونصري وقال ابن عباس اسمع دعاء كما فأجيبه وأرى  
 ما يرادبكما فامنع فليست بغافل عنكما فلا تهتما وقال القفال قوله تعالى أسمع وأرى يحتمل أن  
 يكون مقابلا لقوله تعالى يفرط علينا أو أن يطغى يفرط علينا بأن لا يسمع منا أو أن يطغى بأن  
 يقتلنا قال تعالى انى معكما أسمع كلامكما فأخضره للاستماع منك كما وأرى أفعاله فلا أتركه حتى يفعل  
 بكما ما تكرهانه ثم انه سبحانه وتعالى أعاد ذلك التكليف فقال (فأنبأه) لانه سبحانه وتعالى قال  
 في المرة الاولى اذها الى فرعون وفي الثانية قال اذهب أنت وأخوك وفي الثالثة قال اذهب  
 الى فرعون وفي الرابعة قال ههنا فأنبأه (فان قيل) انه تعالى أمرهما في الثانية بأن يقولاه  
 قولنا وسأقضى قلبه فلا يؤمن (فقولا أنا رسول ربك فأرسل معنا بنو اسرائيل) أى الى  
 الشام (ولا تعذبهم) أى خل عنهم من استعمالك ايامهم في اشغالك الشاقة كالخمر والبناء وحمل  
 الثقل وقطع الحضور وكان فرعون يستعملهم في ذلك مع قتل الاولاد وفي هذا تغليب من وجوه

الاول قوله انارسلوك وهما يقتضى اقتياده لهما والتزامه لطاعتهم ما وذلك يعظم على الملك  
 المتبوع الثانى قولهما فأرسل معنا بنى اسرائيل فيه ادخال النقص على ملكه لانه كان محتاجا  
 اليهم فيما يريد من الاعمال أيضا الثالث قولهما ولا تعذبهم الرابع قولهما (قد جئناك بآية من  
 ربك) فما الفائدة في التليين أولا والتغليظ ثانيا (أجيب) بأن الانسان اذا ظهر لحاجه فلا بد له  
 من التغليظ حيث لم ينفع التليين (فان قيل) أليس الاولى أن يقول انارسلوك ولربك قد جئناك  
 بآية فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم لان ذكر المعجزمقرون بالادعاء للرسالة الاولى من تأخير  
 عنه (أجيب) بأن هذا أولى لانهما ذكر مجموع الدعوى ثم استدلا على ذلك المجموع بالمعجز  
 وقولهما قد جئناك بآية من ربك قال الزمخشري هذه الجملة جارية من الجملة الاولى وهى انا  
 رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا بينتهما التى هى مجرى الآية  
 (فان قيل) ان الله تعالى قد أعطاها آيتين هما العصا واليد ثم قال تعالى اذهب أنت وأخوك  
 بآياتى وذلك يدل على ثلاث آيات وقالاهنا قد جئناك بآية من ربك وذلك يدل على أنها كانت  
 واحدة فكيف الجمع (أجاب) القفال بأن معنى الآية الإشارة الى جنس الآيات كما أنهم قالوا  
 قد جئناك بينات من عند الله ثم يجوز أن يكون ذلك حجة واحدة أو حججا كثيرة وتقدم الجواب  
 عن التنبيه والجمع وأن في العصا واليد آيات وقوله تعالى (والسلام على من اتبع الهدى) يحتمل  
 أن يكون من كلام الله تعالى كأنه تعالى قال فقولا انارسلوك ولربك وقولاه والسلام على من اتبع  
 الهدى ويحتمل أن يكون كلام الله قد تم عند قوله قد جئناك بآية من ربك وقوله تعالى بعد  
 ذلك والسلام على من اتبع الهدى وعدم من قبله ما لمن آمن وصدق بالسلامة له من عقوبات  
 الله فى الدنيا والآخرة أو أن سلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتمدين وقال بعضهم ان على بمعنى  
 اللام أى والسلام لمن اتبع الهدى كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وقال  
 تعالى فى موضع آخر ان أحسنتم أحسنتم لا نفسكم وان أسأتم فلها (انقاد وحى الينان  
 العذاب على من كذب) ما جئنا به (وتولى) أعرض عنه قال البيضاوى ولعل تغيير النظم  
 والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد فى أول الامر أهم وأنجع وبالواقع أليق ولما  
 أتياه وقال انارسلوك وبلغاهما أمرابه (قال) له ما (فن ربك يا موسى) انما نادى موسى  
 وحده بعد مخاطبته لهما معا المالات موسى هو الاصل فى الرسالة وهرون تبع ورده ووزير واما  
 لان فرعون كان نجسه يعلم الرتبة التى كانت فى لسان موسى عليه الصلاة والسلام ويعلم فصاحة  
 أخيه بدليل قوله هو أفصح منى لسانا فاذا رأى ان يفهمه ويدل عليه قول فرعون ولا يكاديين واما  
 لانه حذف المعطوف للعلم به أى يا موسى وهرون قاله أبو البقاء ثم ان فرعون لم يشتغل مع  
 موسى بالبطش والايذاء لما دعاه الى الله تعالى مع أنه كان شديدا القوة عظيم الغلبة كثير العسكر  
 بل خرج معه فى المناظرة لانه لو أذاه لسب الى الجهل والسفاهة فاستكف من ذلك وشرع  
 فى المناظرة وذلك يدل على ان السفاهة من غير حجة لم يرضه فرعون مع كمال جهله وكفره فكيف  
 يليق ذلك بمن يدعى الاسلام والعلم (تنبيه) قال ههنا فن ربك يا موسى وقال فى سورة الشعراء

وماربه العالمين وهو سؤال عن الماهية فهما سؤالان مختلفان والواقعة واحدة قال ابن عادل  
والاقرب أن يقال سؤال من كان مقدما على سؤال مالانه كان يقول انى أنا الله والرب فقال نحن  
ربكنا فلما أقام موسى الدلالة على الوجود وعرف أنه لا يمكنه أن يقاومه في هذا المقام لتطوره  
وجلاله عدل الى طلب الماهية لان العلم بماهية الله تعالى غير حاصل للبشر (فان قيل) لم قال نحن  
ربكنا ولم يقل نحن الهكنا (أجيب) بأنه أثبت نفسه ربا في قوله ألم نربك قينا وليند افذ ك ذلك على  
سبيل التعجب كأنه قال أنا ربك فلم تدع ربا آخر وهذا يشبه كلام عمرو ذحين قال له ابراهيم ربي  
الذي يحيى ويميت قال له عمرو ذنا أنا حي وأميت فلم تكن الامانة التي ذكرها ابراهيم هي الامانة  
مع الاحياء التي عارضه عمرو ذمها الا في اللفظ فكذا ههنا لما ادعى موسى ربوية الله تعالى ذكر  
فرعون هذا الكلام أى أنا الرب الذي ربيتك ومعلوم ان الربوية التي ادعاها موسى عليه  
السلام غير الربوية في المعنى وأنه لا مشاركة بينهما ثم كأنه قيل فما أجاب به موسى فقيل  
(قال) مستدلا على اثبات الصانع بأحوال المخلوقات (ربنا الذي أعطى كل شىء) أى من الانواع  
(خلقه) أى صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما أعطى العين الهيئة التي تطابق  
الابصار والاذن الشكل الذي يوافق الاسماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل  
واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير بناء عنه أو أعطى ككل حيوان نظيره  
في الخلق والصورة حيث جعل الحسان والحجرة زوجين والبعير والناقة كذلك والرجل والمرأة  
كذلك فلم يزوج منهم شيئا غير جنسه وما هو على خلاف خلقه (ثم هدى) أى ثم عرف الله تعالى  
الحيوان الكائن من المخلوق كيف يرتفق بما أعطى وكيف يتوصل اليه قال الزمخشري وقدر  
هذا الجواب ما أحضره وما أجمعه وما أبينه لمن ألقى الذهن ونظره بين الانصاف وكان طالبا  
للحق \* ولما خاف فرعون أن يزيد موسى في اظهار تلك الحججة فيظهر للناس صدقه (قال) لموسى  
(فيا بال) أى حال (القرون) أى الامم (الاولى) كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم  
الاوثان فانها كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث فمن شقى منهم ومن سعدا أراد أن يصرفه عن  
ذلك الكلام ويشغله بهذه الحكايات فلم يلتفت اليه فلذلك (قال) علمها عند ربي) استأثر به لا يعلمه  
الا هو وما أنا الا عبد مثلكم لا أعلم منه الا ما أخبرني به علام الغيوب وعلم أحوال هذه القرون  
مشيت عند ربي (في كتاب) هو اللوح المحفوظ ويجوز أن يكون ذلك تحيلا لتمكنه في علمه تعالى  
بما استخفظه العالم وقيدته بالكتابة ويؤيده قوله (لا يضل ربي ولا ينسى) والضلال أن يخطئ  
الشيء في مكانه فلم يهتد اليه والنسيان أن يذهب عنه بحيث لا يحطريه الله وهما محالان على علام  
الغيوب بخلاف العبد الذليل والبشر الضئيل أى لا يضل تعالى ولا ينسى كما تنصل أنت  
وتنسى يا مدعى الربوية بالجهل والوقاحة ثم عاد الى تيمم كلامه الاول وابرأ الدلائل الظاهرة على  
الوحدانية فقال (الذي جعل لكم) في جملة المخلوق (الارض مهلدا) أى فراشا  
\* (تبيه) \* هذا الموصول في محلي رفع صفة لربي وخبره محذوف تقديره هو أو منصوب  
على المدح وقرأ عاصم وحجزة هنا وفي سورة الزمخرف مهلدا بفتح الميم وسكون الهاء أى

مهداهمهدا أو تهديونها فهي لهم كالمهاد وهو ما عهد للصبي وقرأ الباقر بكسر الميم وفتح  
 الهاء وألف بعدها وهو اسم ما عهد كالقراش أو جمع مهد (وسلك) أي سهل (لكم فيها  
 سهلا) أي طرقا بين الجبال والودية والبراري تساهلونها من أرض إلى أرض لتبلغوا  
 منافعها (وأنزله من السماء ماء) أي مطرا وعدل بقوله (فأخرجنا به) عن لفظ القصة إلى صيغة  
 التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال قدرته  
 والحكمة وايدنا بأنه مطاع تقاد الأسماء المختلفة لمشيته وعلى هذا نظيره كقوله تعالى  
 ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أم من خلق السموات والأرض  
 وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق (أزواجا) أي أصنافا سميت بذلك لأنها مزدوجة  
 مقترنة بعضها مع بعض وقوله تعالى (من نبات) بيان وصفه لازواجا وكذلك (شقي) وهو جمع  
 شتيت من شت الأمر تفرقت فهو مرضي جمع مريض وجرحي جمع جريح فأنه للتأنيث أي  
 أزواجا متفرقة ويجوز أن يكون صفة للنبات فإنه من حيث أنه مصدر في الأصل يستوي فيه  
 الواحد والجمع أي أنها مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل بعضها يصلح للناس  
 وبعضها للبهائم فلذلك قال تعالى (كاوا وارعوا أنعامكم) والانعام جمع نم وهي الأبل والبقر  
 والغنم يقال رعيت الانعام ورعيتها والامر للاباحة وتذكير النعمة والجملة حال من ضمير أخرجنا  
 أي مبيحين لكم الأكل ورعى الانعام أي وبقيت الحيوانات (إن في ذلك) أي فيما ذكرنا من هذه  
 النعم (آيات) أي لعبرا (لأولي النهي) أي أصحاب العقول جمع نهية كعرفة وغرف سمى به  
 العقل لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح \* ولما ذكر سبحانه وتعالى منافع الأرض والسماء  
 بين أنها غير مطلوبة لذاتها بل هي مطلوبة لكونها وسائل إلى منافع الآخرة فقال (منها) أي  
 الأرض (خلقناكم) \* فان قيل انما خلقنا من النطفة على ما بين في سائر الآيات (أجيب)  
 بأوجه أحدها انه لما خلق أصلنا آدم عليه السلام من تراب كما قال تعالى كمثل آدم خلقه من  
 تراب حسن الطلاق ذلك علينا ثلثها أن تولد الانسان انما هو من النطفة ودم الطمث وهما  
 متولدان من الأغذية والغذاء اما حيواني أو نباتي والحيواني ينتهي إلى النباتي والنبات انما  
 يحدث من امتزاج الماء والتراب فصح انه تعالى خلقنا منها وذلك لا يتنافى كوننا مخلوقين من  
 النطفة ثالثها روى ابن مسعود ان ملك الارحام يأتي إلى الرحم حين يكتب أجل المولود ورزقه  
 والأرض التي يدفن فيها فإنه يأخذ من تراب تلك البقعة وينثره على النطفة ثم يدخلها في الرحم  
 وأخرج ابن المنذر عن عطاء الخراساني قال ان الملك ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذي يدفن  
 فيه فيذره على النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة (وفيها نعيديكم) أي مقبورين بعد الموت  
 (ومنها نخرجكم) أي عند البعث (تارة) أي مرة (أخرى) أي بتألف أجزاءكم المتفتنة  
 المختلطة بالتراب ونرددهم كما كانوا أحياء ونخرجهم إلى المحشر يوم يخرجون من الأجساد  
 سراعا ولما كان المقام لتعظيم القدرة عطف عليه قوله تعالى (ولقد أريناه) أي أبصرناه  
 (آياتنا كلها) أي التسع المختصة بعيسى عليه السلام وهي العصا واليد وقلوب البحر والحجر

قوله وهي العصا الخ  
 فيه أن الحجر وتلق  
 الجبل كما بعد غرق  
 فرعون وعبارة  
 الجبل وتقدم أن ثمانية  
 منها في الأعراف  
 الأولى والثانية قوله  
 فالتقى عصاه فاذا هي  
 ثعبان ميين ونزع يده  
 الخ والثالثة قوله  
 ولقد أخذنا آل  
 فرعون بالسنين  
 ونقص من الثمرات  
 وخسة في قوله  
 فأرسلنا عليهم  
 الطوفان والجراد  
 والقمل والضفادع  
 والدم وواحدة  
 في سورة يونس قوله  
 ربنا اطمس على  
 أموالهم واشدد على  
 قلوبهم اه

والجزاد والقمل والضفادع والدم وتتق الجبيل (فكذب) بما اوزعم أنها محر (وأبي)  
أن يسلم (فان قيل) قوله تعالى كما هي يفيد العموم والله تعالى ما أراه جميع الآيات فان من جملة  
الآيات ما أظهرها على أيدي الأنبياء قبل موسى عليه السلام وبعده (أجيب) بأن لفظ الكل  
وان كان للعموم قد يستعمل في الخصوص مع القرينة كما يقال دخلت السوق فاشترت كل  
شيء أو يقال ان موسى عليه السلام أراه آياته وعدد عليه آيات غيره من الأنبياء فكذب فرعون  
بالكل أو يقال تكذيب بعض المعجزات يقتضي تكذيب الكل فحكي سبحانه وتعالى ذلك على  
الوجه الذي يلزم ثم كأنه قيل كيف صنع في تكذيبه وإبائه فقيل (قال) حين علم حقيقة ما جاء به  
موسى وظهوره وخاف أن يتبعه الناس ويتركوه ووهن في نفسه وهننا عظيما (أجبتنا لخرجنا  
من أرضنا) أي الأرض التي نحن مالكوها ويكون لك الملك فيها فصارته فرائصه ترعد خوفا  
عما جاء به موسى لعلمه وإيقانه أنه على الحق وأن الحق لو أرا قدود الجبال لانقادت له وان مشله  
لا يخذل ولا يذل ناصره وأنه غالبه على ملائكته لا محالة ثم خيل لانباعه أن ذلك هو بقره  
(بسحرك يا موسى) فكان ذلك مع ما ألفوه من عادتهم في الضلال صار فالهم عن اتباع ما رأوه  
من البيان ثم أظهر لهم أنه يعارضه بمثل ما أتى به بقوله (فلنأتينك بسحر مثله) أي مثل سحرك  
يعارضه (فاجعل بيننا وبينك موعدا) أي من الزمان والمكان (لا تخافه) أي لا تجعله خلفنا  
(نحن ولأنت) أي لا تتجاوزنا ولما كان كل من الزمان والمكان لا ينقل عن الآخر قال  
(مكانا) وأثر ذلك المكان لاجل وصفه بقوله (سوى) أي عدلا وقال ابن عباس نصفا  
تستوى مسافة القرينين اليه فأنظر الى هذا الكلام الذي زوقه ونغمه وصنعه بما وقف به قومه  
عن السعادة واستمر يقودهم بعناده حتى أوردتهم البحر فأغرقهم ثم في غمرات النار أحرقتهم  
وقيل معنى سوى أي سوى هذا المكان وقر أشعبة وابن عامر وجزءة والكسائي بضم السين  
والباقون بكسرها وأمال شعبة وجزءة والكسائي في الوقف محضة والباقون بالفتح وقيل  
المراد بالموعد الوعد لان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان أي بل الوعد هو الذي يصح وصفه  
بانطلق وعدمه والى هذا احتجاج جماعة مختارين له ورد عليهم بقوله (قال موعدكم يوم الزينة)  
فانه لا يطابقه \* (تنبيه) \* يحتمل ان قوله قال موعدكم يوم الزينة أن يكون من قول فرعون  
فبين الوقت وأن يكون من قول موسى عليه السلام وهذا أظهر كما قال الرازي لوجه الاقول  
أنه جواب لقول فرعون فاجعل بيننا وبينك موعدا الثاني وهو ان تعيين يوم الزينة يقتضي  
اطلاع الكل على ما سيقع فتعيينه انما يليق بالحق الذي يعرف ان البطل الذي يعرف  
انه ليس معه الا التلبيس ثالثها ان قوله موعدكم خطاب للجمع فلو جعلناه من فوعون لموسى  
وهرون لزم اما أن نحمله على التعظيم أو ان أقل الجمع اثنان فالاول لا يليق بجمال فرعون معهما  
والثاني غير جائز فاذا جعلناه من موسى عليه السلام استقام الكلام واختلف في يوم الزينة  
فقال مجاهد وقتادة النيروز وقال ابن عباس وسعيد بن جبير هو يوم عاشوراء وقيل كان  
يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون في كل سنة وقيل يوم كانوا يتخذون فيه سوقا ويتزينون

ذلك اليوم وبني قوله (وأن يحشر) لأنه فعول لأن القصد الجمع لا كونه من معين (الناس) أي يجتمعوا (ضحى) أي وقت الضحوة فيكون أظهر لما يعمل وأجلى فلا يأتى الليل الا وقد قضى الامر وعرف المحق من المبطل ويكثر التحديد بذلك في كل بدو وحضر وبشيع في جميع أهل الوبر والمدر (فتولى) أي أعرض (فرعون) عن موسى الى تهينة ما يريد من الكيد بعد تولىه عن الانقياد لامر الله تعالى (جمع كيدته) أي مكره وحيلته وخداعه الذي دبره على موسى عليه السلام بجمع من يجعل بهم الكيد وهم السحرة حشرهم من كل فج وكان أهل مصر أهل الأرض وأكثرهم ساحرا وكانوا في ذلك الزمان أشد اعتناء بالسحر وأمهرا ما كانوا وأكثر (ثم أتى) للميعاد الذي وقع القرار عليه بين حشره من السحرة والجنود ومن تبعهم من الناس مع توفّر الدواعى على الاتيان للعبد والنظر الى تلك المغالبة التي لم يكن مثلها \* ولما تشوق السامع الى ما كان من موسى عليه السلام عند ذلك استأنف تعالى الخبر عنه بقوله تعالى (قال لهم) أي لاهل الكيد والعناد وهم السحرة وغيرهم (موسى) حين رأى اجتماعهم ناصحا لهم (ويهلككم) يا أيها الناس الذين خلقكم الله تعالى لعبادته (لا تقفروا) أي لا تتعمدوا (على الله كذبا) باشر الأحدث معه (فيسحتكم) قال مقاتل يهلككم وقال قتادة يستأصلكم (بعذاب) من عنده وقرأ حفص وحزرة والكسائي بضم الياء وكسر الحاء من الامصات وهو لغة نجد وتميم والباقون بقصهما والسحت لغة الحجاز (وقد خاب من اقترى) كما خاب فرعون فانه اقترى واحتمل ليسيئ الملك له فلم ينقعه (فتنازعوا) أي تنجاذب السحرة (أمرهم بينهم) لما سمعوا هذا الكلام علمنا منهم أنه لا يقدر أن يواجه فرعون بمنزله في جمع جنوده واتباعه ثم يعلم منه الامن الله تعالى معه (وأسرّوا النجوى) قال الكلبي قالوا سرا ان غلبنا موسى اتبعناه وقال محمد بن اسحق لما قال لهم موسى لا تقفروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر وبالغوا في اخفاء ذلك فان النجوى الاسرار انما يظهر فرعون واتباعه على ذلك فكأنه قيل ما قالوا حين انتهى تنازعهم فقيل (قالوا) أي السحرة (ان هذان لساحران) أي موسى وهرون وقرأ ابن كثير وحذص بسكون النون من ان وشددها بالباقون وقرأ أبو عمرو وبالياء بهد الذال والباقون بالالف على لغة من يجعل ألف المثني لازما في كل حال قال أبو حيان وهي لغة لطوائف من العرب بنى الحرث بن كعب وبعض كنانة وخشم وزييد وبني النضر وبني الجهيم ومراد وعذرة وقال شاعرهم \* تزود مني بين أذناه ضربة \* يريد أذنيه وقال آخر

ان أباه وأبأ أباه \* قد بلغاني المجد غاياتها  
وقيل تقدير الآية انه هذان فحذف الهاء وذهب جماعة الى أن حرف ان ههنا بمعنى نعم أي نعم هذان روى أن أعرابيا سأل ابن الزبير شيئا فخرمه فقال لعن الله ناقة جلتني اليك فقال ابن الزبير ان وصاحبها أي نعم وشددا بن كثير النون فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا من غلبتهما وتشبه الناس عن اتباع موسى وهرون (يريدان) أي بما يقولان من دعوى الرسالة وغيرها (أن يحرجاكم) أي يخرجكم (من أرضكم) هذه التي الصموا وهي وطنكم خلفا

عن سلف (بسرهما) الذي أظهر اه لكم وغيره \* ولما كان كل حزب بما لديهم فرحين قالوا  
 (ويذهب بطريقكم المثلى) مؤنث الامثل وهو الافضل أي بذهبكم الذي هو افضل المذاهب  
 بانظار مذهبه واعلاء دينه لقوله تعالى اني أخاف أن يبدل دينكم وقيل أراد أهل طريقكم  
 وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا أرباب علم فيما بينهم لقول موسى أرسل معناني اسرائيل وقيل  
 الطريقة اسم لوجوه القوم وأشرفهم من حيث انهم قدوة لغيرهم (فأجمعوا كيدكم)  
 أي من السحر وغيره فلا تدعوا منه شيئا الاجتمه به وقرأ أبو عمرو وبهمزة الوصل بين الفاء والجيم  
 وفتح الميم والباقون بهمزة مقطوعة وكسر الميم (ثم اتوا) أي للقاء موسى وهرون (صفا) أي  
 مصطفين لانه أهيب في صدور الرائيين \* (تنبية) \* اختلفوا في عدد السحرة فقال الكلبي كانوا  
 اثنين وسبعين ساحرا اثنين من القبط وسبعون من بنى اسرائيل وقال عكرمة كانوا تسعمائة  
 ثلثمائة من الفرس وثلثمائة من الروم وثلثمائة من الاسكندرية وقال وهب خمسة عشرة ألفا  
 وقال السدي بضعة وثلاثون ألفا وقال القاسم بن سلام كانوا سبعين ألفا وقيل اثني عشر ألفا  
 مع كل منهم على كل قول جبل وعصا وأقبلوا عليه اقبالة واحدة وظاهر القرآن لا يدل على شي  
 من هذه الاقوال \* ولما كان التقدير غن أي كذلك فقد استعلى عطف عليه مذوله (وقد أفلح  
 اليوم) في هذا الجمع الذي ما اجتمع مثله قط (من استعلى) أي فاز بالمطلوب من غلب فلما أتى  
 السحرة موسى (قالوا) له متأتين لان لذين القول مع الخصم ان لم ينفع لم يضرب بل نفعهم قال  
 بعضهم ولذلك رزقهم الله تعالى الايمان ببركته (ياموسى امان تلقى) أي مامعك عما تناظرنا به  
 أولا (واما أن تكون) نحن (أول من ألقى) مامعه (قال) لهم موسى عليه السلام مقابلا  
 لا دينهم بأحسن منه ولانه فهم أن مرادهم الابتداء وليكون هو الآخر فتكون له العاقبة  
 بتسليط معجزته على سحرهم فلا يكون بعدها شك لا ألقى أنا أولا (بل ألقوا) أنتم أولا فانتهزوا  
 الفرصة لان ذلك كان مرادهم بما أفهموه من تغير السياق والتصریح بالاول فالقوا  
 مامعهم من الحبال والعصى (فاذا احبالهم وعصيم) أي التي ألقوها قد فاجت أنه (يجبل اليه)  
 تخيلا مبتدأ (من سحرهم) أي الذي قد فاقوا به أهل الارض (أنها) لشدة اضطرابها  
 (تسمى) (فان قيل) كيف يجوز أن يقول موسى عليه السلام بل ألقوا فيما سحرهم بما هو سحر  
 (أجيب) بأن ذلك الامر كان مشروطا والتقدير ألقوا ما أنتم ملقون ان كنتم محققين  
 كما في قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله أي ان كنتم صادقين وفي القصة انهم لما ألقوا الحبال  
 والعصى أخذوا أعين الناس فرأى موسى والقوم كأن الارض امتلأت حيات وكانت  
 قد أخذت ميلا من كل جانب ودا وأنها تسمى وقيل اطنوها بالزئبق فلما وقعت عليها  
 الشمس اضطربت تخيل اليهم انها تحرك وقرأ ابن ذكوان تخيل بالتاء القوقية على  
 التانيث والباقون بالياء على اسناده الى ضمير الحبال (فأوجس) أي أحس (في نفسه  
 خيفة موسى) عليه الصلاة والسلام (فان قيل) كيف استشعر الخوف وقد عرض  
 عليه المهزات الباهرات كالعصا واليد ثم ان الله تعالى قال له بعد ذلك اني معك أسمع وأرى

فكيف وقع الخوف في قلبه (أجيب) بأوجه أحدها أنه خاف من جهة ان سحرهم من جنس معجزته أن يلتبس أمره على الناس فلا يؤمنوا به الثاني أنه خوف طبع البشرية مثل ما خاف من عصاه أول ما رآها كذلك الثالث اعلمه كان مأمورا أن لا يفعل شيئا الا بالوحي فلما تأخر نزول الوحي عليه في ذلك الوقت خاف أن لا ينزل عليه الوحي في ذلك الجمع فيسبق الخجل ثم انه أزال ذلك الخوف بقوله تعالى (قلنا لا تخف) من شيء من أمرهم ولا غيره ثم علل ذلك بقوله تعالى وأكده أنواعا من التأكيد لاقتضاء الجمال انكار أن يغلب أحدهما أظهر وأمن سحرهم لعظمه (انك أنت) خاصة (الاعلى) أى الغالب غلبة ظاهرة لاشبهة فيها (وألوماني عيبك) أجهمه ولم يقل عصاك تحقير لها أى لا تنال بكثرة حبالهم وعصيم وألقى العويد الذى في يدك أو تعظيم لها أى لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمتها فان في عيبك ما هو أعظم منها أى العصا وهى التى قلنا لك أول ما شرفناك بالمناجاة وما تلك بيمينك يا موسى ثم أريناك منها ما أريناك (تلقف) أى تبتلع بقوة واجتهاد مع سرعة لا تكاد تدرك (ما صنعوا) أى فعلوه بعد تدرب كثير وممارسة طويلة فلما ألقاها صارت أعظم حية من حياتهم ثم أخذت تزداد عظمه حتى ملأت الوادى ثم صعدت حتى عاقت ذنبها بطرف الذئبة ثم هبطت وأكات ~~ك~~ كل ما عملوه فى الملبين والناس ينظرون اليها لا يحسبون الا أنه سحر ثم أقبلت نحو فرعون لتبتلعه فاتحة فاه نحو ثمانين ذراعا فصاح بموسى فأخذها فاذا هى عصا كما كانت ونظرت السحرة فاذا هى لم تدع من حبالهم وعصيم شيئا الا أكلته وعرفوا أنه ليس بسحر وأصل تلقف تلقف حذفت احدى التامين وتاء المضارعة فتعمل التأييد على اسناد الفعل الى العصا والخطاب على اسناد الفعل الى السبب وقرأ ابن ذكوان برقع الفاء على الجمال والاستئناف والباقون بسكونها وحذف بسكون اللام وتخفيف القاف على أنه من تلقفته بمعنى تلقفته (انما) أى الذى (صنعوا) أى زوروا وافتعلوا وهالك أمره (كيد ساحر) أى كيد سحرى لاحقيقة له ولا ثبات وقرأ حوزة والكسافى بكسر السين وسكون الحاء بمعنى ذى سحر أو بتسمية الساحر سحر على المبالغة أو باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه والباقون بفتح السين وكسر الحاء وألف بينهما (فان قيل) لم وحد الساحر ولم يجمع (أجيب) بأن المقصد من هذا الكلام معنى الجنسية لا معنى العدد فلوجب خيل ان المقصود هو العدد الا ترى الى قوله تعالى (ولا يقلح الساحر) أى هذا الجنس (حيث أتى) أى كيفما سار وقال ابن عباس لا يسعد حيث كان وقيل معناه حيث احتال فانه انما يفعل ما لاحقيقة له (فان قيل) لم نكر أولاً ثم عرف ثانياً (أجيب) بأنه قال هذا الذى أتوا به قسم واحد من أقسام السحر لا فائدة فيه ولا شك ان الكلام على هذا الوجه أبلغ ثم انه امثل ما أمر به ربه من القاء العاصف كان ما وعده به سبحانه من تلقفها لما صنعوا من غير أن يظهر عليها زيادة فى مخن ولا فى غيره مع أن حبالهم وعصيم كانت شيئا كثيرا فعلم كل من رأى ذلك حقيقته وبطلان ما فعل السحرة فبادر السحرة منهم الى الخضوع لأمر الله تعالى ساجدين مبادرة من كآته ألقاهم على وجهه ولذلك قال تعالى بعد ان ذكر مكرهم واجتهادهم فى معارضة موسى عليه السلام وحذف ذكر اللقاء وما سببه من التلقف



لان مقصود السورة القدرة على تليين القلوب القاسية (فألقى السحرة) أي فالتقاهم ماراً وأمن  
 أمر الله تعالى بغاية السرعة وبأيسر أمر (سجداً) على وجوههم لله تعالى توبة مما صنعوا  
 وأغبا فالفرعون بسجودهم وتعظيماً لماراً وأوذلك لانهم كانوا في الطبقة العليا من علم السحر فلما  
 رأوا فعل موسى عليه السلام خارجاً عن صناعتهم عرفوا انه ليس من السحر البتة ويقال قال  
 ربي هم كانوا يغلب الناس بالسحر وكانت الآلات تبقى علينا فلو كان هذا صرافاً من الذين ألقيناه  
 فاستدلوا بتغيير أحوال الاجسام على الصانع القادر وبظهورها على يد موسى عليه السلام  
 على كونه رسولا صادقا من عند الله لاجرم تابوا وأمنوا وأتوا بما هو النهاية في الخضوع  
 وهو السجود قال الاصبهاني سبحان الله ما أعظم شأنهم القوا حبالهم وعصيم للكفر والنجود  
 ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الالفانين فكان ثالثاً قال هذا  
 فعلهم فماذا قالوا فاقيل (قالوا آمنارب هرون وموسى) ولم يقولوا آمنارب العالمين لان  
 فرعون ادعى الربوبية في قوله انار بكم الاعلى والالهية في قوله ما علمت لكم من اله غيري  
 فلو أنهم قالوا ذلك لكان فرعون يقول انهم آمنوا بي لا بغيري فلقطع هذه التهمة اختاروا  
 هذه العبارة والدليل على ذلك أنهم لم يقتصروا على موسى بل قدموا هرون لان فرعون ربي  
 موسى في صغره فلو اقتصروا على موسى أو قدموا واذكروه فربما توهم ان المراد فرعون وذكر  
 هرون على الاستتباع وقيل قدموه لكبر سنه أو لروى الآية فسبحان الله ما أعظم أمرهم  
 كانوا أول النهار سحرة يقرون لفرعون بالربوبية وآخره شهداء بررة زوى أنهم لم يرفعوا رؤسهم  
 حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها وعن عكرمة لما خروا سجداً أراهم الله تعالى في  
 سجودهم منازلهم التي بصيرون اليها في الجنة فكانت قبيل ما قال لهم فرعون حينئذ فاقيل (قال)  
 لهم (آمنتم) أي بالله (له) أي مصدقين أو متبعين لموسى (قبل أن أذن لكم) في ذلك قال  
 ذلك ايها ما بأنه سيأذن فيه ليقف الناس عن المبادرة الى الاتباع بين خوف العقوبة ورجاء  
 الاذن ثم استأنف قوله معللاً بخيالات اتباعه صدقهم عن الاقتداء بالسحرة (انه) أي موسى  
 (الكبير) أي معلمكم (الذي علمكم السحر) أي فلم تتبعوه لظهور الحق بل لارادتكم شيئاً من  
 المكر وافقتوه عليه قبل حضوركم في هذا الموطن وهذا على عادته في تخييل أتباعه بما يوقعهم  
 عن اتباع الحق ولما خيلهم شرع يزيدهم حيرة تهديد السحرة فقال مقسماً (فلا قطعن) أي  
 بسبب ما فعلتم (أيديكم) على سبيل التوزيع (وأرجلكم) أي من كل رجل يدا ورجلا وقوله (من  
 خلاف) حال يعنى مختلفة أي الايدي اليمنى والارجل اليسرى (ولأصليبتكم) وعبر عن  
 الاستعلاء بالظرف اشارة الى تمكينهم في المصوب عليه تمكين المطروف في ظرفه فقال (في جذوع  
 النخل) تشبيهاً لقتلكم وردعاً لمانالكتم (ولتعلمن آياتنا) يريد نفسه اعنه الله وموسى عليه السلام  
 بدليل قوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله كقوله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين  
 وفيه تبيح باقتداره وقهره وما ألفه وضرى به من تعذيب الناس بأنواع العذاب وتوضيح لموسى  
 عليه السلام واستضعاف له مع الهزيمة لان موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء وقيل يريد تعذيب

موسى الذي امنوا به (أشد عذابا وأبقي) أي أذوم على مخالفته (فان قبيل) ان فرعون مع قري  
 عهده بعشادة انقلاب العصا حية وقصد هاله وآل الامر أن استغاث بموسى من شرها وبجزءه عن  
 دفعها كيف يعقل أن يهدد السحرة ويبالغ في وعيدهم الى هذا الحد ويستهي بموسى في قوله أي بنا  
 أشد عذابا وأبقي (أجيب) بأنه كان في أشد الخوف في قلبه الا أنه يظهر الجلادة والوقاحة تمشية  
 لنا موسى وترويح الامر قال الرازي ومن استقرى أحوال العالم علم ان الفاجر قد يفعل أمثال  
 هذه الاشياء ومما يدل على معانده قوله انه لكبيركم الذي علمكم السحر لانه كان يعلم ان موسى  
 ما خالطهم البتة ومالقيهم وكان يعلم من سحرته استاذ كل واحد من هو وكيف حصل ذلك العلم ثم  
 انه كان يقول مع ذلك هذه الاشياء ثم كانه قيل فما قالوا له فقيل (قالوا) له (لن نؤثرك) أي فختارك  
 (على ما جانا) على لسان موسى (من البيئات) التي عايناها وعلما أنه لا يقدر أحد على مضادتها  
 \* ولمبادوا بما يدل على الخالق من الفعل ترقوا الى ذكره بعدم معرفته بفعله اشارة الى علو قدره  
 فقالوا (والذي) أي ولا نؤثرك بالاتباع على الذي (فطرنا) أي ابتدأ خلقنا اشارة الى شمول  
 ربوبية الله تعالى لهم وله وجميع الناس وتبنيها على عجز فرعون عندهم من استخفه وفي جميع  
 أقوالهم هذه من تعظيم الله تعالى عبارة واشارة وتحقير فرعون أمر عظيم \* (تبيينه) \* قد علم مما  
 تقرران والذي معطوف على ما وانما أخر واذكر الباري تعالى لانه من باب الترقى من الأدنى الى  
 الأعلى وقيل الواو قسم والموصول مقسم به وجواب القسم محذوف أي وحق الذي فطرنا  
 لا نؤثرك على الحق \* ولما تسبب عن ذلك انهم لا يبالون به وعلوا أن ما يفعله بهم هو باذن الله تعالى  
 قالوا له (فاقض) أي فاصنع في حكمك الذي تمضيه (ما أنت قاض) أي فاقض الذي أنت قاضيه  
 ثم عللوا ذلك بقولهم (انما تقضى) أي تصنع بما تريد ان قدرك الله عليه (هذه الحياة الدنيا)  
 انصب على الاتساع أي انما حكمك فيها على الجسد خاصة فهي ساعة تعقبها راحة ونحن لا نحاف  
 الا من يحكم على الروح وان في الجسد فذلك هو العذاب الشديد الدائم ثم عللوا تعظيم الله تعالى  
 واسمهاتهم بفرعون بقولهم (انا انما برينا) أي المحسنين البناطول أعمارنا مع اساءتنا بالكفر  
 وغيره (ليغفر لنا) من غير نفع يلحقه بالفعل أو ضرر يدركه بالترك (خطايانا) التي قابلنا بها احسانه  
 ثم خصوا بعد العموم فقالوا (وما أكرهنا عليه) وبينوا ذلك بقولهم (من السحر) لنعارض  
 المعجزة فانه كان الاكل لنا عصيانك فيه لان الله تعالى أحق بأن يتق (فان قبيل) كيف قالوا  
 ذلك وقد جاؤا مختارين يظنون بعزة فرعون ان لهم الغلبة (أجيب) بأنه قدرى ان رؤساء  
 السحرة كانوا اثنين وسبعين اثنان من التبط والباقون من بني اسرائيل أكرههم فرعون على تعلم  
 السحر وروى أنهم رأوا موسى عليه السلام ناعوا وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون ان الساحر اذا  
 نام بطل سحره فهذا لا تقدر على معارضته فأبى عليهم وأكرههم على المعارضة وقيل ان الملوك في  
 ذلك الزمان كانوا يأخذون البعض من رعيتهم ويكلفونه تعلم السحر فاذا شاخ بعثوا اليه احدا  
 ليعلمهم ليكون في كل وقت من يحسنه \* ولما كان التقدير فر بنات أهل التقوى وأهل المغفرة  
 عطفوا عليه مستخضرين لكاله (والله) أي الجامع لمغات الكمال (خير) جزاء منك فيما وعدتنا

به (وأبى) ثوابا وعقابا قال أبو حيان والظاهر أن الله تعالى سلمهم من فرعون ويؤيده قوله تعالى  
 ومن اتبعكم الغالبون وقال الرازي ليس في القرآن أن فرعون فعل بأولئك القوم المؤمنين  
 ما وعدهم ولم يثبت في الاخبار وقال البقاعي سأتى في آخر الحديد ما هو صريح في نجاتهم ثم  
 عللوا هذا الحكم بقولهم (أنه) أي الامر والشأن (من يأت ربه) أي الذي ربه وأحسن  
 إليه بأن أوجده وجعل له جميع ما يصلحه (مجرما) بأن يموت على كفره (فإن له جهنم) دارا لا هامة  
 (لا يموت فيها) فيستريح من عذابه بخلاف عذابك فان آخره الموت وان طال (ولا يحيى) فيها  
 حياة مهنتا وبها يندفع ما قبل ان الجسم الحى لا بد أن يبقى اما حيا أو ميتا مخلوقه عن الوصفين  
 محال وقال بعضهم ان لنا حالة ثالثة وهي كحالة المذبوح قبل أن يهدأ فلا هو حى لانه قد ذبح  
 ذبحا لا تبقى الحياة معه ولا هوميت لان الروح لم تفارقه بعد فهي حالة ثالثة (ومن يأت ربه) أي ربه  
 الذي قد أوجده ورباه (مؤمنا) أي مصدقا به (قد) ضم الى تصديق الايمان أنه (عمل) أي في  
 الدنيا (الصالحات) أي التي أمر بها فكان صادق الايمان مستلزما صالح الاعمال (فأولئك) أي  
 العالو الرتبة (لهم الدرجات العلى) جمع علياء مؤنث أعلى التي لانسبة لدرجاتك التي أوعدتناها  
 اليها ثم ينوها بقولهم (جنات عدن) أي أعدت للاقامة وهيئت فيها أسبابها (تجري من تحتها  
 الانهار) أي من تحت غرفها وأسرتها وأرضها فلا يراى موضع منها لان يجري فيه نهر الاجرى  
 وقولهم (خالدين فيها) حال والعامل فيها معنى الاشارة والاستقرار (وذلك جزاء) كل  
 (من تزكى) أي تطهر من أدناس الكفر \* (تنبيه) \* هذه الآيات الثلاث وهي من قوله انه من  
 يأت ربه مجرما الى هنا يحتمل أن تكون من كلام الصحرة كما تقرروا أن تكون ابتداء كلام من  
 الله تعالى وقوله تعالى (ولقد أوحينا الى موسى ان أسر بعبادي) عطف على قوله ولقد أريناه  
 آياتنا وفيه دليل على أن موسى عليه السلام كثر مستجيبوه فأراد الله تعالى تمييزهم من طبقة  
 فرعون وخلصهم فأوحى اليه أن يسرى بهم ليلا والسرى اسم لسير الليل والأسراء منسلة  
 والحكمة في السرى بهم لثلاث اهدم العدو فمينعهم عن مرادهم أو ليكون ذلك عاقبا  
 لفرعون عن طلبه وتبعه أو ليكون اذا تقارب العسكران لا يرى عسكر موسى عليه الصلاة  
 والسلام عسكر فرعون لعنه الله فلا يهايونهم وقرأ نافع وابن كثير بكسر النون وهمزة وصل  
 بعدها من سرى والباقون بسكون النون وهمزة قطع بعدها من أسرى لغتان أي أسرى بني  
 اسرائيل من أرض مصر التي لبنت قلب فرعون لهم حتى أذن لهم في مسيرهم بعد ان كان قد  
 أبي أن يطلقهم أو يكف عنهم العذاب فاقصد بهم ناحية بجم القلزم (فأضرب) أي اجعل (لهم)  
 بالضرب بعصاك (طريقا في البحر) والمراد بالطريق الجنس فانه كان لكل سبط طريق وقوله  
 (يبسا) صفة لطريقا وصف به لما يؤول اليه لانه لم يكن يبسا الا بعد ان مرت عليه الصبا فحقيقته كما  
 روى وقيل في الاصل مصدر وصف به مبالغة وقيل جمع يابس كخادم وخدم وصف به الواحد  
 مبالغة فلما امتثل ما أمر به وأيسس الله تعالى له الارض وأراد المرور بها قال الله تعالى له  
 (لا تخاف دركا) أي ان يدركك فرعون (ولا تخشى) غرقا وقرأ حزم الفاء ولا ألف بينها وبين

الخلاء على أن يكون نهياً مستأنفاً والباقون برفع القاء وألف بينها وبين الخلاء على أنه مستأنف  
 فلا محل له من الاعراب أو أنه في محل نصب على الحال من فاعل اضرب أى اضرب غير خائف  
 (فاتبهم فرعون بجنوده) أى وهو معهم على كثرتهم وعلوهم وقوتهم وعزتهم فكانوا كالتابع  
 الذى لا معنى له بدون متبوعه والمتبوع بنو اسرائيل وذلك ان موسى خرج بهم أول الليل فأخبر  
 فرعون بذلك فقص أثرهم والمعنى فاتبهم فرعون نفسه ومعه جنوده مخذف المفعول الثانى  
 وقبل ان الباء زائدة (فغشيتهم) أى فرعون وقومه (من اليم) أى البحر (ماغشيتهم) أى أمر  
 لا تشمل العقول وصفه فأهلكهم وقطع دابرهم ولم يبق منهم أحد أو ما شاك أحد من عبادنا  
 المستضعفين شوكة (وأضل فرعون قومه) أى بدعائهم الى عبادته (وما هدى) أى ما أرشدهم  
 وهذا تكذيب لفرعون وتهكم به في قوله وما أهدىكم الا سبيل الرشاد (تنبيه) \* لا بأس بذكر شئ  
 من هذه القصة فنقول \* قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم لما أمر الله تعالى موسى أن يقطع  
 بقومه البحر وكان بنو اسرائيل استعاروا من قوم فرعون الخلى والدواب ليعيد يخرجون اليه  
 فخرج بهم ليلاً وكان يوسف عليه الصلاة والسلام عهد اليهم عند موته أن يخرجوا بعظامة  
 معهم من مصر فلم يعرفوا مكانها حتى دلتهم عجوز على موضع العظم فأخذوه وقال موسى عليه  
 السلام للمعجوز احتكمتى أى انظرى لك شيئاً اطلبه فقالت أكون معك فى الجنة فلما خرجوا  
 تبعهم فرعون وعلى مقدمته ألف وخمسمائة ألف سوى الجنين والقب قلا انتهى موسى  
 الى البحر قال هنا أمرت فأوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعصا البحر فضر به فانقلب فقال لهم  
 موسى ادخلوا فيه فقالوا كيف وهى رطبة قد طاربه فهبت عليها الصبا لجلت فقالوا تخاف الفرق  
 فى بعضنا فعمل بينهم كوى يرى بعضهم بعضاً ثم دخلوا حتى جاوزوا البحر وأقبل فرعون الى تلك  
 الطرق فقال له قومه ان موسى قد هصر البحر كما ترى وكان على فرس حصان فأقبل جبريل عليه  
 السلام على فرس أمى فى ثلاثة وثلاثين من الملائكة فسار جبريل بين يدي فرعون فأبصر الحصان  
 الفرس فاقحم بفرعون على اثرها فصاحت الملائكة فى الناس الحقوا حتى اذا لحق آخرهم وكاد  
 أولهم أن يخرج التقي البحر عليهم ففرقوا وارجع بنو اسرائيل حتى ينظروا اليهم وقالوا يا موسى  
 ادع الله يخرجهم لنا حتى ننظر اليهم فلفظهم البحر الى الساحل وأصابوا من سلاحهم وذكر ابن  
 عباس أن جبريل قال يا محمد لو رأيتنى وأنا أؤدس فى فرعون الماء والطين مخافة أن يتوب فهذا  
 معنى قوله تعالى فغشيتهم من اليم ما غشيتهم \* ولما أنعم الله تعالى على قوم موسى عليه السلام  
 بأنواع النعم ذكر أولادهم تلك النعم فناداهم بقوله تعالى (يا بنى اسرائيل) والمنادى من وجد من  
 اليهود فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم وخطبوا بما أنعم به على أجدادهم زمن موسى عليه  
 السلام ولا شك أن ازالة الضرر يجب تقديعها على اىصال المنفعة وايصال المنفعة الدينية أعظم  
 من اىصال المنفعة الدنيوية فلماذا ايد الله تعالى بازالة الضرر بقوله (قد أقميناكم من عدوكم) فإن  
 فرعون كان ينزل بهم من أنواع الظلم كثيراً من القتل والاذلال والخراج والاعمال الشاقة ثم شئ  
 بذكر المنفعة الدينية بقوله تعالى (وواعدناكم جانب الطور الايمن) أى الذى على أيمنكم فى

توجهكم هذا الذي وجوهكم فيه الى بيت أبيكم ابراهيم عليه السلام وهو جايه الذي يلي البحر  
وناحية مكة واليمن ووجه المنفعة فيه أنه أنزل في ذلك القرب عليهم كتاب فيه بيان دينهم وشرح  
شريعهم ثم ثلث بذكر المنفعة النبوية بقوله (وأنزلنا عليكم) بعد انزال هذا الكتاب في هذه  
المواعيد لانعاش أرواحكم (المن) أي الترنجيم (والسلوى) أي الطير السمانى بتخفيف الميم  
والقصر وقوله تعالى (كلا وامن طبيبات مارزقنا كم) أمر اباحة ان فسر الطبيب بالذي لان المن  
والسلوى من لذائذ الاطعمة وان فسر بالحلال لان الله تعالى أنزله اليهم ولم تمسه يد الا دمين  
فهو أمر ايجاب وقرأ حمزة والكسائي قد أنجينا كم ووعدنا كم مارزقنا كم بتاء مضمومة بعد  
التحنية من أنجينا وبعد الدال من وعدنا وبعد القاف من رزقنا ولا ألف في الثلاثة والباقون  
بالنون وألف بعدها في الثلاثة وأسقط أبو عمر والالف قبل العين من وعدنا وأثبتها الباقون \* ثم  
زجرهم عن العصيان بقوله تعالى (ولا تطغوا فيه) أي فيما رزقنا كم بالاخلاق بشكره والتعدي بما  
حد الله لكم فيه من السرف والبطر والمنع عن المستحقين وقرأ الكسائي (فيصل) بضم الحاء أي  
ينزل والباقون بكسرها أي يجب (عليكم غضبي) أي عقوبتي (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى)  
أي هلك وقيل شقي وقيل وقع في الهاوية وقرأ الكسائي بضم اللام الاولى وكسرها الباقون  
\* ولما كان الانسان محل الزلل وان اجتهد وجاه واستعطفه بقوله سبحانه (وانى لغفار) أي  
ستاريا سبال ذيل العقوب (لمن تاب) أي رجع عن ذنوبه من الشرك وما يقابره (وآمن) بكل ما يجب  
الايمان به (وعمل صالحا) تصديقا لايامه (ثم اهتدى) باستمراره على ذلك الى موته \* (فائدة) \* اعلم  
أنه تعالى وصف نفسه بكونه غافرا وغفورا وغفورا وغفارا وبأن له غفرا نا ومغفرة وعبر عنه بلفظ الماضي  
والمستقبل والامر أما وصف كونه غافرا فقوله تعالى غافر الذنب وأما كونه غفورا فقوله  
تعالى وربك الغفور وأما كونه غفارا فقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وأما لغفران فقوله  
تعالى غفرانك ربنا وأما المغفرة فقوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس وأما صيغة الماضي  
فقوله تعالى فى حق داود عليه السلام فغفرنا له وأما صيغة المستقبل فقوله تعالى ويغفر  
مادون ذلك لمن يشاء وقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وقوله تعالى فى حق نينا صلى الله عليه  
وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وأما لفظ الاستغفار فقوله تعالى استغفروا ربكم  
ويستغفرون لمن فى الارض ويستغفرون للذين آمنوا (وههنا نكتة لطيفة) وهى ان العبد له  
أسماء ثلاثة الظالم والظالم والظلام اذا كثر منه الظلم ولله تعالى فى مقابلة كل واحد من هذه  
الاسماء اسم فكانه تعالى قال ان كنت ظالما فأنا غافر وان كنت ظلوما فأنا غفور وان كنت ظالما  
فأنا غفار فيجب على كل من ارتكب معصية كبيرة أو صغيرة أن يتوب منها لهذه الآية ودلت على  
أن العمل الصالح غير داخل فى الايمان لانه تعالى عطف العمل الصالح على الايمان والمعطوف  
يفضل المعطوف عليه \* ولما أمر تعالى موسى عليه السلام بحضور الميثاق مع قوم مخصوصين  
قال المفسرون هم السبعون الذين اختارهم الله تعالى من جملة بنى اسرائيل ليذهبوا معه  
الى القور لياخذوا التوراة فصار بهم موسى ثم جعل موسى عليه السلام من بينهم شوقا الى ربه

وخلف السبعين وأمرهم أن يتبعوه الى الجبل فقال تعالى له (وما أعجلك عن قومك) أي لمجي  
 مساعداً أخذ التوراة (يا موسى قال) مجيباً لربه تعالى (هم أولاء) أي بالقرب مني ياتون (على أثرى)  
 أي ماشين على آثار مشي قبل أن ينظمس وما تقدمتم الا بخطا يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بيني  
 وبينهم الامسافة قريبة يتقدم بها الرفقة بعضهم على بعض (وعجلك اليك رب لترضى) أي لتزداد  
 عني رضافات المسارعة الى امتثال أمرك والوفاء بعهدك يوجب مرضاتك \* (تنبيه) \* في  
 الآية سوالات الاول قوله تعالى وما أعجلك استفهام وهو على الله تعالى محال وأجيب عنه بأنه  
 كان في صورة الاستفهام ولا مانع منه الثاني أن موسى عليه السلام لا يخلو اتماماً أن يكون ممنوعاً  
 من ذلك التقدم أو لم يكن فان كان الاول كان التقدم معصية وان لم يكن فلا انكار وأجيب  
 عنه بأنه عليه السلام له ما وجد نصافي ذلك فاجتهد فأخطأ في اجتهاده فاستوجب العتاب  
 الثالث قوله وعجلك والمجمل مذمومة أجيب عنه بأنها مدوحة في الدين قال تعالى وسارعوا الى  
 مغفرة من ربكم الرابع قوله لترضى يدل على أنه انما فعل ذلك ليحصل الرضا واذالم يكن راضياً عنه  
 وجب أن يكون ساخطاً عليه وذلك لا يليق بحال الانبياء عليهم السلام أجيب عنه بأن المراد  
 تحصيل دوام الرضا وزيادته كما مر الخامس قوله اليك يقتضى كون الله تعالى في جهة لان الى  
 لانتها الغاية وأجيب عنه بأننا انفقنا على أن الله تعالى لم يكن في الجبل فالمراد مكان وعدك  
 السادس قوله تعالى ما أعجلك عن قومك سؤال عن سبب العجلة فكان جوابه اللائق به أن  
 يقول طلب زيادة رضاك أو التشوق الى كلامك وأما قوله هم أولاء على أثرى فغير منطبق عليه  
 كما ترى أجيب عنه بأن سؤال الله تعالى يتضمن شيئين أحدهما انكار نفس العجلة والثاني  
 السؤال عن سبب التقدم فأجاب عن السؤال عن العجلة لانها أهم فقال وعجلك اليك رب  
 لترضى (قال) تعالى (فانا) أي تسبب عن عجلتك عنهم أنا (قد قننا) أي ابتلينا (قومك من بعدك)  
 أي بعد فراقت لهم بعبادة العجل وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف وما نجح من  
 عبادة العجل منهم الا اثنا عشر ألفاً (وأضلهم السامري) باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته  
 فأطاعه بعضهم وامتنع بعضهم والسامري مذموب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لهم  
 السامرة وقيل كان عليهما من أهل كرمان وقع الى مصر وقيل كان من قوم يعبدون البقر  
 جيران لبني اسرائيل ولم يكن منهم واسمه موسى بن ظفرو كان منافقاً (فرجع موسى) لما أخبره ربه  
 بذلك (الى قومه) بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ليل من ذى الحجة وأخذ التوراة  
 (غضبان) عليهم (أسفاً) أي مزينا بما فعلوا (قال) أي لقومه لما رجع اليهم مستعظماً لهم (يا قوم)  
 وأنكر عليهم بقوله (لم يعددكم ربكم) أي الذي أحسن اليكم (وعدا حسناً) أي بأنه ينزل  
 عليكم كما باحفظاً ويكفر عنكم خطاياكم وينصركم على أعدائكم الى غير ذلك من اكرامه \* ولما  
 جرت العادة بأن طول الزمان ناقض للعزائم مغير للعهود كما قال أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري  
 لأنسبك ان طال الزمان بنا \* وكم حبيب تجادى عهده فنسى  
 قال لهم (أخطأ عليكم العهد) أي زمن لطف الله تعالى بكم فتغيرتم ها فارتقم عليه كما تغير أهل

الرذائل والافتحلال في العزائم لضعف العقول وقلة التدبر (أم أردتم) أي بالنقض مع قرب  
 العهد وذكر الميثاق (أن يجعل) أي يجب (عليكم) بسبب عبادة العجل (غضب من ربكم) المحسن  
 إليكم أي وكلا الأمرين لم يكن أما الأول فواضح وأما الثاني فلا يظن بأحد ارادته والحاصل  
 أنه يقول فعلتم ما لا يفعله عاقل (فأخلفتم) أي فتسبب عن فعلكم ذلك أن أخلفتم (موعدى) أي  
 وعدكم أي بالثبات على الإيمان بالله والقيام على ما أمركم به ولما تشوف السامع إلى جوابهم  
 استأنف ذكره فقال (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) أي بأن ملكنا أمرنا إذ لو خلتنا وأمرنا ولم  
 يسؤل لنا السامري لما أخلفنا وأخلفنا في هذا الجيب على وجهين الأول هم الذين لم يعبدوا  
 العجل فكانهم قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا أي بأمرنا كما نملكه وقد يضيف الرجل فعل قرينه إلى  
 نفسه كقوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر واذ قتلتم نفسا و إن كان الفاعل لذلك أباهم لاهم  
 فكانهم قالوا الشبهة قوية على عبدة العجل فلم تقدر على منعهم عنه ولم تقدر أيضا على مفارقتهم  
 لاناخفنا أن يصير ذلك سببا لوقوع النفرة وزيادة الفتنة الثاني أن هذا قول عبدة العجل والمراد  
 أن غيرنا أوقع الشبهة في قلوبنا وفاعل السبب فاعل المسبب فخلف الوعد هو الذي أوقع الشبهة  
 فانه كان كالمالك لنا (فان قيل) كيف كان رجوع قريب من ستمائة ألف إنسان من العقلاء  
 المكافين عن الدين الحق دفعة واحدة إلى عبادة عجل يعرف فسادها بالضرورة (أجيب) بأن  
 هذا غير ممنوع في حق البله من الناس وقرأ عاصم ونافع بفتح الميم وحزة والكسائي بضمها  
 والباقون بكسرها وثلاثها في الأصل لغات في مصدر ملكت الشيء ثم إن القوم فسروا الضرر  
 الحامل لهم على ذلك الفعل فقالوا (ولكنا جملنا) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وخص بضم  
 الحاء وكسر الميم مشددة وأبو عمرو وشعبة وحزة والكسائي بفتح الحاء والميم مخففة (أوزارا)  
 أي أنقالا (من زينة القوم) أي حلى قوم فرعون استعارها منهم بنوا إسرائيل بسبب عرس  
 وقيل استعاروها العيد كان لهم ثم لم يردوها عند الخروج مخافة أن يعطوا به وقيل هي ما ألقاه البحر  
 على الساحل بعد اغراقهم فاخذه وقال البيضاوي ولعلهم سمعوا أوزارا لانها تام فان الغنائم  
 لم تكن تحمل بعد ولا أنهم كانوا مستأمنين وليس للمستأمن أن يأخذ من ماله الحربى (فقد فناها)  
 أي في النار (فكذلك ألقى السامري) أي ما كان معه ائمان المال أو من أثر الرسول روى  
 أن موسى عليه السلام لما وعده ربه أن يكلمه استخلف على قومه أخاه هرون وأجاهم ثلاثين  
 يوما وذهب فصامها ليلها ونهارها ثم كره أن يكلم ربه وريح فيه متغير فضع شيئا من نبات الأرض  
 فقال له ربه أو ما علمت أن ريح الصائم أطيب من ريح المسك ارجع فصم عشرين ليلة وقيل أنهم  
 أقاموا بعد مفارقتهم عشرين ليلة وحسبوا أربعين أيامها وقالوا قد كملت العدة فلما رأى  
 قوم موسى أنه لم يرجع إليهم ساءهم ذلك وكان هرون قد خطبهم وقال انكم خرجتم من مصر  
 ولقوم فرعون عندكم عوارف احضروا حفرة والقوها فيها ثم أوقدوا عليها نارا فلا يكون لنا  
 ولا لهم وكان السامري قد رأى أثر قبض منه قبضة فترهبون فقال له يا سامري ألا تلتقي ما في  
 يدك فقال هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر ولا ألقيا على شيء إلا أن تدعوا الله

اذا اُلقيتم ان يكون ما أريد فالتقاها ودعا له هرون فقال أريد أن يكون عجلا فاجتمع ما في الحضرة  
 وصار عجلا فهذا معنى قوله تعالى (فأخرج لهم عجلا جسدا) من ذلك الحلي المذاب له جوف  
 ليس فيه روح (له خوار) أي صوت يسمع قال ابن عباس لا والله ما سكان له صوت قط وانما  
 كان الريح يدخل في دبره فيخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك وقيل انه صاعه ووضع  
 التراب بعد صوغه في فمه (فقالوا) أي السامري ومن اقتن به أول مارأوه مشيرين الى  
 العجل (هذا الهكم والله موسى فنسى) أي نفسه موسى وذهب يطلبه عند الطور وأفنى  
 السامري أي ترك ما كان عليه من الايمان (أفلا يرون) أي قالوا ذلك فتسبب عن قولهم علمهم  
 عن روية (أن) أي انه (لا يرجع اليهم قولا) والاله لا يكون ابكم (ولا يملك لهم ضرا) فيضافوه كما  
 كانوا يخافون فرعون فيقولون ذلك خوفا من ضرره (ولانفعا) فيقولون ذلك رجاء له (ولقد قال  
 لهم هرون من قبل) أي قبل رجوع موسى مستعظف لهم (يا قوم انما اقتنتم) أي وقع اختباركم  
 فاخترتم في صحة ايمانكم وصدقكم فيه وثباتكم عليه (به) أي بهذا العجل في اخراجه لكم  
 على هذه الهيئة الخارقة للعادة وأكذبا لجل انكارهم فقال (وان ربكم) أي الذي أخرجكم من  
 العدم ورباكم بالاحسان (الرحمن) وحده الذي فضله عام ونعمه شاملة فليس على رب ولا فاجر نعمة  
 الا وهي منه تعالى قبل أن يوجد العجل وهو كذلك بعده ومن رحته قبول التوبة فخافوا نزاع نعمه  
 بعصيته وارجوا اسبابها بطاعته (فاتبعوني) بغاية جهدكم في الرجوع اليه (وأطيعوا أمرى)  
 أي في الثبات على الدين (قالوا لن نبرح عليه) أي العجل (عا كفيين) أي مقيين (حتى يرجع  
 الينا موسى) فدافعهم فهو اياه وكان معظمهم قد ضل فلم يكن معه من يقوى بهم فخاف أن يجاهد  
 بهم الكفار فلا يقصد ذلك شيأ مع ان موسى لم يأمره بجهاذ من ضل وانما قال له وأصلح ولا تتبع  
 سبيل المفسدين قرأى من الاصلاح اعتزلهم الى أن يأتي \* (تنبيه) \* انما قال هرون ذلك شفقة  
 على نفسه وعلى الخلق أما شفقتة على نفسه فلا أنه كان مأمورا من عند الله بالامر بالمعروف  
 والنهي عن المنكر وكان مأمورا من عند أخيه بقوله اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل  
 المفسدين فلولم يشتغل بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لكان مخالفا لامر الله تعالى ولا امر  
 موسى وذلك لا يجوز وأوحى الله تعالى الى يوشع بن نون اني مهلك من قومك أربعين ألفا من  
 خيارهم وماتت ألف من شرارهم فقال يا رب هؤلاء الاشرار فبال الاخير قال انهم لم يغضبوا  
 لغضبي وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح وهمه غير الله فليس من الله في شيء  
 ومن أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم وعن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل  
 المؤمنين في توادهم وتراحهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد  
 ومن عبد الله بن أبي أوفى قال خرجت أريد النبي صلى الله عليه وسلم فاذا أبو بكر وعمر عنده  
 فجاه صغير يبكي فقال لعمر ضم الصبي اليك فانه ضال فأخذه عمر واذا أم الصبي تولول كاشفة  
 عن رأسها جزعا على ايها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أدبوا المرأة فناداها بخوات وأخذت  
 ولدها وجعلت تبكي والصبي في حجرها فالتفت فرأت النبي صلى الله عليه وسلم فاستحييت فقال



النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك أتروا هذه رحمة بولدها والوايا رسول الله كفى بهذه رحمة فقال  
 والذي نفسي بيده إن الله أرحم بأؤمنين من هذه بولدها ولقد سلك هرون في موغظته أحسن  
 الوجوه لأنه زبرهم عن الباطل أولاً بقوله انما فتنتم به ثم دعاهم الى معرفة الله تانياً بقوله وان ربكم  
 الرحمن ثم دعاهم ثالثاً الى النبوة بقوله فاتبعوني ثم دعاهم رابعاً بقوله وأطيعوا أمرى وهذا هو  
 الترتيب الحسب لأنه لا يتقبل كل شئ من امامة الاذى عن الطريق وهو ازالة الشبهات ثم معرفة  
 الله تعالى فانها هي الاصل ثم النبوة ثم الشريعة فثبت أن هذا الترتيب أحسن الوجوه لأنه  
 زبرهم عن الباطل أولاً ولما ذكر تعالى ما قال هرون تشوقت النفس الى علم ما قال موسى  
 فقيل (قال ياهرون) أنت نبي الله وأخي ووزيري وخليفتي فانت أولى الناس بأن ألومه  
 وأخفهم بأن أعاتبه (مامنعك اذ) أي حين (وأيتهم ضلوا) عن طريق الهدى واتبعوا سبيل  
 الردى (أن لا تتبعني) في سبقي من الاخذ على يد الظالم طوعاً أو كرهاً (تنبية) لا من زيادة للتأكيد  
 لأن الثاني اذا زيد في كلام كان ناقماً للضمة ضمونه فينمدا ثباتاً للمضمون ونصباً لضده فيكون ذلك  
 في غاية التأكيد وأثبت الياء بعد التون ابن كثير ووقفاً ووصلاً وأثبتها نافع وأبو عمرو ووصلاً ووقفاً  
 وحذفها الياقون ووصلاً ووقفاً (أفصيت) أي فتكبرت عن اتباعي فتسبب عن ذلك أنك عصيت  
 (أمرى) وأخذ بلميته برأسه يجتره اليه غضبا لله تعالى فكانه قيل ما قال له فقيل (قال) مجيباً له  
 مستعظفاً بذكر أول وطن ضمهما بعد فتح الروح مع ماله من الرقة والشفقة (يا ابن أم) فذكره بها  
 خاصة وان كان شقيقه لأنها يسوءها ما يسوء وهى أرق من الاب وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو  
 وحفص بفتح الميم وكسرها ابن عامر وشعبة وحزرة والكسائي (لا تأخذ بلميتي ولا برأسي) أي  
 بشعرهما ثم علل ذلك بقوله (انى خشيت أن تقول) اذا شدت عليهم حتى يصل الامر الى  
 القتال (فرقت بيني وبين اسرائيل) بهتلك هذا الذي لم يجسد شيئا لقله من كان معك وضعفك  
 عن ردهم (ولم ترقب قولى) اخلقتني في قولى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولم تقل واردهم  
 ولو أدت الامر الى السيف ولما فرغ من نصيحة أقرب الناس اليه وأحقهم بنصيحته  
 وحفظه على الهدى اذ كان رأس الهداة تشوف السامع الى ما كان من غيره فاستأنف تعالى  
 ذكره بقوله (قال) أي موسى عليه السلام لرأس أهل الضلال معرضاً عن أخيه بعد قبول عذره  
 باعلاماً ينسب اليه سبباً لسؤاله عن الحامل له عليه (فما خطبتك) أي أمر لك هذا المحجب العظيم  
 الذى حالك على ما صنعت وأخبرني ربي أنك أضللتهم به (يا سامرى قال) السامرى مجيباً له  
 (بصرت) من البصرو البصيرة (بمالم يبصروا به) أي رأيت مالم يربوا اسرائيل وعرفت مالم يعرفوا  
 وقال ابن عباس علمت مالم يعلموا ومنه قولهم رجل بصير أي عالم قاله أبو عبيدة واد أنه رأى  
 جبريل عليه السلام فأخذ من موضع حافر دابته قبضة من تراب كما قال (فقبضت) أي فكان  
 ذلك سبباً لأن قبضت (قبضة) أي مرة من القبض أطلقها على المقبوض تشبيهاً لله فعول بالمصدر  
 (من أنزل) قرآن ذلك (الرسول) أي المعهود (فنبذتها) أي فى الحلى الملقى فى النار وفى الجهل  
 (وكذلك) أي وكما سئلتنى نفسي أخذاً نزهة (سئلت) أي حسنت وزينت (لى نفسي) نبذها لى

الخليل فبذمتها وكان منها ما كان ولم يدعى الى ذلك داع ولا حثي عليه حامل غير التسويل  
 (تنبيه) كون المراد بالرسول جبريل عليه السلام هو ما عليه عامة المفسرين وأراد بآثره  
 التراب الذي أخذ من موضع حافر دابته لما رآه يوم فلق البحر وعن علي رضي الله تعالى عنه  
 ان جبريل عليه السلام لما نزل ليذهب بموسى الى الطور أبصره السامري من بين الناس  
 واختلفوا في أنه كيف اختص السامري برؤية جبريل عليه السلام ومعرفة من بين  
 الناس فقال ابن عباس في رواية الكلبى انما عرفه لانه رباة في صفرة وحفظه من القتل حين أمر  
 فرعون بدمج أولاد بني اسرائيل فكادت المرأة اذا ولدت طرحت ولدها حيث لا يشعر به آل  
 فرعون فتأخذ الملائكة الولدان ويربونهم حتى يتعرعوا ويختلطوا بالناس فكان السامري  
 ممن أخذ به جبريل عليه السلام وجعل ككف نفسه في فيه وارتنع عنه العسل واللبن فلم يزل  
 يختلف اليه حتى عرفه فلما رآه عرفه قال ابن جريج فعلى هذا قوله بصرت بعالم يبصر وابه يعني  
 رأيت ما لم يروه ومن فسر الابصار بالعلم فهو صحيح ويكون المعنى علمت أن تراب فرس جبريل  
 عليه السلام له خاصية الاحياء قال أبو مسلم ليس في القرآن تصريح بهذا الذي ذكره المفسرون  
 فهنا وجه آخر وهو أن يكون المراد بالرسول موسى عليه السلام وبآثره سفته ورسمه الذي أمر  
 به فقد يقول الرجل ان فلانا يقفوا أثر فلان ويقص أثره اذا كان يمثل رسمه والتقدير أن موسى  
 عليه السلام لما أقبل على السامري باللوم والمستله عن الامر الذي دعاه الى اضلال القوم في  
 العجل قال بصرت بعالم يبصر وابه أى عرفت أن الذى أنتم عليه ليس بحق وقد كنت قبضت قبضة  
 من أثرك أيها الرسول أى شيا من دينك فقدفته أى طرحته فعند ذلك أعلمه موسى عليه السلام  
 بماله من العذاب في الدنيا والآخرة وانما أورد لفظ الاخبار عن غائب كما يقول الرجل لرئيسه  
 وهو مواجه له ما يقول الامير في كذا أو بماذا يأمر الامير وأما ادعاؤه أن موسى رسول  
 مع عبده وكفره فعلى مذهب من حكى الله فيه قوله يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا ان موسى لم يؤمنوا  
 بالانزال قال الرازى وهذا القول الذى ذكره أبو مسلم ليس فيه الا أنه مخالف للمفسرين  
 ولكنه أقرب الى التحقيق لوجوه أحدها أن جبريل عليه السلام ليس معهودا باسم الرسول  
 ولم يجبر له فيما تقدم ذكره حتى يجعل لام التعريف اشارة اليه فاطلاق لفظ الرسول لا رادة جبريل  
 لأنه تكليف بعلم الغيب وثانيها أنه لا بد فيه من الاضمار وهو قبضة من أثر حافر دابة  
 الرسول والاضمار خلاف الأصل وثالثها أنه لا يتم التعسف في بيان أن السامري كيف  
 اختص من بين جميع الناس برؤية جبريل ومعرفة وكيف عرف أن تراب حافر فرسه له هذا  
 الاثر والذى ذكره من أن جبريل هو الذى دباه فيعد لان السامري ان عرف أنه جبريل حال  
 كمال عقله عرف قطعا ان موسى نبى صادق فكيف يحاول الاضلال وان كان ما عرفه حال  
 البلوغ فاني ينقعه كون جبريل مرييا له حال الطفولية في حصول تلك المعرفة ثم ان موسى  
 عليه السلام لما سمع من السامري ما ذكر (قال) له (فأذهب) أى فتسبب عن فعلك ان أقول  
 لك اذهب من بيتنا وحيث ذهبت (فان لك في الحياة) أى مادمت حيا (أن تقول) لكل من

رأيت (الأماس) أي لا تمسني ولا أمسك فلا تقدر أن تتكلم عن ذلك فكان يهيم في البرية مع  
 الوحوش والسباع وإذا مس أحد أومسه أحد جاجيعا عقبه الله تعالى بذلك وكان  
 إذا التقى أحد يقول لأماس أي لا تقربني ولا تمسني وقال ابن عباس لأماس لك ولولدك حتى  
 أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك وإذا مس أحد من غيرهم أحد منهم جاجيعا في ذلك الوقت  
 (وإن لك) بعد الممات (موعدا) للنواب إن تبث والعقاب إن أبيت (لن تخلفه) قرأ ابن كثير وأبو  
 عمرو بكسر اللام أي لن تغيب عنه والباقون بفتحها أي بل تبث إليه فلا انفكالك عنه كما أنك  
 في الحياة لا تقدر أن تتكلم عن النقرة من الناس فاخترتك ما يحلو \* ولما ذكر مال الله الحق  
 من القدوة التامة في الدارين أتبعه عجز العجل فقال (وانظر إلى الهك) أي بزعمك (الذي ظلت)  
 أي دمت في مدة يسيرة جدا بما أشار إليه تخفيف التضعف فان أصله ظلت بلامين وأولها  
 مكسورة حذفت تخفيفا (عليه عا كفا) أي مقبها تبعده (لنحرقه) أي بالنار وبالبرد قال البقاعي  
 كما سلف عن نص التوراة وكان معنى ذلك أنه أجهأ حتى لان فهان على المبارد انتهى  
 (ثم لتسفنه) أي لنذرينه إذا صار بحالة (في اليم) أي في البحر الذي أغرق الله تعالى فيه آل  
 فرعون ثم يجمع الله تعالى سبحانه التي هي من حلهم فيجملها في نار جهنم ويكون بهم بها ويجعلها  
 من أشد العذاب عليهم وأكدا الفعل اظهار العظمة الله تعالى الذي أمره بذلك وتحمه يقا للصدق  
 في الوعد فقال (نسفا) قال الجلال المحلى وقيل موسى عليه السلام بعد ذبحه ما ذكره انتهى وعلى  
 هذا لا يصح أن يبرد بالمبرد قال الرازي ويمكن أن يقال صار للحاود ما وذيح ثم بردت عظامه بالمبرد  
 حتى صارت بحيث يمكن نسفها \* ولما أراههم بطلان ما هم عليه بالعيان أخبرهم بالحق على  
 وجه الحصر فقال (انما الهكم الله) أي الجامع لصفات الكمال ثم كشف المراد من ذلك  
 وحقيقته بقوله (الذي لا اله الا هو) أي لا يصلح لهذا المنصب أحد غيره لانه (وسمع كل شئ) وقوله  
 (علما) تمييز محمول عن الفاعل أي أحاط علمه بكل شئ فكل شئ إليه مقتدر وهو غني عن كل شئ وأما  
 العجل الذي عبده فلا يصلح للالهية بوجه ولا في عبادته شئ من حق \* ولما شرح الله تعالى قصة  
 موسى عليه السلام مع فرعون أتوا ثم مع السامري ثانيا على هذا الاسلوب الاعظم والسبيل  
 الاقوم كان كانه قيل هل يعاد شئ من القصص على هذا الاسلوب البديع والمثال الرفيع  
 فقيل نعم (كذلك) أي مثل هذا القصص العالي في هذا النظم العزيز الغالي كقصة موسى ومن  
 ذكر معه (نقص عليك من أنباء) أي أخبار (ما قد سبق) من الامم زيادة في علمك واجلالا  
 لمقدارك وتسلية لقلبك واذها بالحزن كما اتفق للرسول من قبلك وتكثير البيئاتك وزيادة في  
 مهجراتك وليعتبر السامع ويزداد المتبصر في دينه بصيرة وتأتا كدا لجة على من عاند وكابر (وقد  
 اتفقت) أي أعطينا لتشر يفالك وتعظيما لقدرك (من لدنا) أي من عندنا (ذكرنا) أي كتاباهو  
 القرآن وفي تسمية القرآن بالذكر وجوه أحدها أنه كتاب فيه ذكر ما يحتاج إليه الناس من أمور  
 دينهم ودنياهم وثانيها أنه يذكر فيه أنواع الآلاء الله ونعماته وفيه التذكير والموعظة وبالنهاية  
 الذكر والشرف لك ولقومك كما قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وسمى الله تعالى كل كتاب

أنزله ذكر فقال فاستلوا أهل الذكروا التكبير فيه العظيم فإنه مشتمل على أسرار كتب الله تعالى  
 المنزلة (من أعرض عنه) فلم يؤمن به (فإنه يحمل يوم القيامة وزناً) أي حلالاً نصيلاً من الأثم (خالدين  
 فيه) أي في عذاب الوزر (وساء) أي وبئس (لهم) أي ذلك الحمل (يوم القيامة) وقوله (حلالاً) تبين  
 مفسر للضمير في ساء والمخصوص بالذم محذوف تقديره وزرهم واللام للبيان ومن أقبل عليه كان  
 مذكراً بكل ما يريد من العلوم النافعة ويبدل من يوم القيامة (يوم ينفخ في الصور) أي القرن  
 النفخة الثانية وقرأ أبو عمرو وبنو قين الأولى مفتوحة وضم الفاء على استناد الفعل إلى الأمر به  
 تعظيمه أو إلى النافخ والباقون يساء مضمومة وفتح الفاء (وتحشر الجرمين) أي الكافرين  
 (يومئذ زرقاً) أي عيونهم مع سواد وجوههم لأن زرقه العيون أبغض شيء من ألوان  
 العيون إلى العرب لأن الروم أعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو وأسود  
 الكبد أصهب السبيل أزرق العين وقيل المراد العمى لأن حدقة من يذهب نور بصره تزرق  
 وقيل عطاشاً حال كونهم (يتخافتون) أي يخفون أصواتهم (بينهم) لما يلاصدورهم من الرعب  
 والهول وانخفضت خفض الصوت واخفاؤه (إن) أي يقول بعضهم لبعض ما (لبئتم) أي مكنتم  
 (الاعشرا) أي من الليالي بأيامها في الدنيا وقيل في القبور وقيل بين النفختين وهو مقدار أربعين  
 سنة قالوا ذلك إما استقصاراً للمدة الراحة في جنب ما بداهم من الخواف لأن أيام السرور قصار  
 وإما لأنها ذهبت عنهم وانقضت والذاهب وان طال مدته قصيرة بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله  
 ابن المعتز أطال الله تعالى بقاءك كفى بالانتهاء قصراً وإما الاستطاعتهم الآخرة فإنه يستقصر إليها  
 عمر الدنيا ويقال لبث أهلها فيم بالقياس إلى لبثهم في الآخرة كما قال تعالى كم لبثتم في الأرض  
 عدد سنين قالوا البتة يوماً وبعض يوم فاسئل العادين وما غلطا ودهتة قال الله تعالى (نحن  
 أعلم) أي من كل أحد (بما يقولون) في ذلك اليوم أي ليس كما قالوا (أذ يقول أمثلهم) أي أعد لهم  
 (طريقة) أي رأياً وعملاً في الدنيا فيما يجبون (إن) أي ما (لبئتم الا يوماً) أي مبدأ الآحاد  
 لا مبدأ العقود كما قال تعالى في آية أخرى يقسم الجرمون ما ابتوا غير ساعة كذلك كلوا  
 يوفكون فلا يزالون في أفك وصرف عن الحق في الدارين لأن الإنسان يموت على ما عاش عليه  
 ويعت على ما مات عليه ولما وصف سبحانه وتعالى أمر يوم القيامة حكى سؤال من لا يؤمن  
 بالحشر فقال تعالى (ويستأثرون) يا أشرف الخلق (عن الجبال) كيف تكون يوم القيامة  
 قال الضحالك نزلت في مشركي مكة قالوا يا محمد كيف تكون الجبال يوم القيامة وكان  
 سؤالهم على سبيل الاستهزاء ولما كان مقصودهم من هذا السؤال الطعن في الحشر والنشر  
 فلا جرم أمره الله تعالى بالجواب مقرراً بما جرف التعقيب بقوله (فقل) لهم (بفسهاري نسفاً)  
 لأن تأخير البيان في مثل هذه المسئلة الأصولية غير جائز وأما المسائل الضرورية فجاز فلذلك  
 ذكر هناك في نحو قوله تعالى يستأثرونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله تعالى ويستأثرونك عن  
 البتة قل إصلاح لهم خير فيحرف التعقيب والنسب التذرية وقيل القلع الذي يقطعها  
 من أصلها ويجعلها هباء منثوراً قال الخليل يفسها يذهبها ويطيرها وفي ضمير (فبذرهما) قولان

أحدهما أنه ضمير الأرض أضمرت للدلالة عليها كقوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة والثاني  
ضمير الجبال وذلك على حذف مضاف أي فيذومرا كرها ومقارها ويذو رجا أن يكون بمعنى  
يخليا فيكون (قاعا) حالا وأن يكون بمعنى يترك التصيرية فيتعدي لاشين فقاعا مائة والقاع  
هو المكان المستوي وقيل الأرض التي لا بناء فيها ولا نبات وفي قوله تعالى (صفصفا) قولان  
أحدهما الأرض الملاء والثاني المستوية والقاع والصفصف قرينان من الترادف وجمع  
القاع أقوع وأقواع وقيعان (لا ترى فيها) أي الأرض أو مواضع الجبال (عوجا) أي انخفاضا  
(ولأمتنا) أي ارتفاعا بوجه من الوجوه وعبرنا في العوج بالكسر وهو للمعاني ولم يعبر بالفتح  
الذي توصف به الأعيان فإن الأرض أو مواضع الجبال أعيان لا معان نفي اللاحق عوجا على  
أبلغ وجه بمعنى أنك لو جئت أهل الخبرة بتسوية الأرض لا تفقوا على الحكم باستوائها ثم  
لو جئت أهل الهندسة فحكموا بما يسيهم العلمية فيها الحكموا بمثل ذلك (يومئذ) أي يوم  
اذننت الجبال (يتبعون) أي الناس بعد القيام من القبور بغاية جهدهم (الداعي) أي إلى  
المحشر وهو امر أقبل يضع الصور على فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول أيتها العظام  
البالية والجلود المتفرقة واللحوم المتفرقة هلموا إلى عرض الرحمن (لا عوج له) أي الداعي في شيء  
من قصدهم إليه لأنه ليس في الأرض ما يحوجهم إلى التعويج ولا يمنع الصوت من النفوذ على  
السواء وقيل لا عوج لدعائه وهو من القلوب أي لا عوج له عن دعاء الداعي لا يزيغون عنه مينا  
ولا شمالا ولا يقدرون عليه بل يتبعونه سراعا (وخشعت الأصوات) أي سكنت وذات وقطامت  
لخشوع أهلها (للرحمن) الذي عت نعمه فبرجى كرمه وتخشى نفسه (فلا) أي فتسبب عن  
خشوعها أنك لا (تسمع الأهصا) أختي ما يكون من الأصوات وقيل أختي شيء من أصوات  
الأقدام في ظلها إلى المحشر كصوت أخفاف الأبل في مشيها (يومئذ) أي إذا كان ما تقدم (لا تنفع  
الشفاعة) أحدا (الامن أذن له الرحمن) أن يشفع له (ورضى له قولا) ولو الإيمان المجرّد قال ابن  
عباس يعني قال لا اله الا الله فهذا يدل على أنه لا يشفع غير المؤمن \* ولما نفي أن تنفع شفاعة غيره  
اذنه طل ذلك كما سلف في آية الكرسي بقوله (يعلم ما بين أيديهم) أي الخلائق من أمور الآخرة  
(وما خلفهم) من أمور الدنيا وقيل ما بين أيديهم ما قدموا وما خلفهم ما خلفوا من الأعمال  
ولا يحيطون به علما) أي لا يحيط علمهم بما علمه الله وقيل الضمير إلى ما أي يعلم ما بين أيديهم وما  
خلفهم وهم لا يعلمونه وقيل راجع إلى الله تعالى أي ولا يحيطون بالله علما \* ولما ذكر خشوع  
الأصوات أتبعه خشوع ذورها فقال (وعنت الوجوه) أي ذلت وخضعت في ذلك اليوم وبصير  
الملائكة والقهر لله تعالى دون غيره وخص الوجوه بالذكر مع أن المراد الاثناس لشرف الوجوه  
ولأنها أول ما ينظر فيها الذل (للحي) الذي هو مطلع على الدقائق والجلائل (القيوم) الذي  
لا ينفذ عن التدبير ومجازاة كل نفس بما كسبت روي ابن أسامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه  
وسلم أنه قال اطلبوا اسم الله الأعظم في هذه السور الثلاث البقرة وآل عمران وطه قال الرازي  
فوجدنا المشتق في السور الثلاث الله لا اله الا هو الحي القيوم (وقد خاب) أي خسر خسارة

ظاهرة (من جل ظلمها) فالابن عباس خسر من أشرك بالله والظلم الشرك \* ولما شرح الله تعالى  
 أحوال القيامة ختم الكلام فيها بشرح أحوال المؤمنين فقال (ومن يعمل من الصالحات)  
 أى التى أمره الله تعالى بها بحسب طاقته لانه لن يقدر الله أحد حق قدره ولن يشاد الدين أحد  
 الاغلبه (وهو مؤمن) ليكون بناؤها على الاساس كما فى قوله تعالى ومن يأتهم مؤمنا قد عمل  
 الصالحات (فلا يخاف ظلما) أى بزيادة فى سيئاته (ولا هضمها) أى بنقص من حسناته قاله ابن  
 عباس وقيل لا يؤاخذ بذنب لم يعمل ولا تبطل حسنة عملها وعبر تعالى بالقاء اشارة الى قبول  
 الاعمال وجعلها سببا لذلك الحال وأما غير المؤمن فلو عمل أمثال الجبال لم يكن لها وزن وقوله  
 تعالى (وكذلك) معطوف على قوله تعالى وكذلك نقص أى ومثل انزال ما ذكر (انزلناه)  
 أى القرآن (قرآنا) جامع لجميع المعاني المقصودة ثم وصفه تعالى بأمرين أحدهما قوله  
 تعالى (عربيا) أى بلسان العرب ليفهموه ويقفوا على اعجازه وحسن نظمه وخروجه عن كلام  
 البشر الثانى قوله تعالى (وصرفناه من الوعيد) أى كثرناه وفصلناه ويدخل تحت الوعيد  
 بيان الفرائض والمحارم لان الوعيد بهما يتعلق بتكريره وتصريفه يقتضى بيان الاحكام  
 فذلك قال تعالى (لعلهم يتقون) أى يجتنبون الشرك والمحارم وتركة الواجبات فتصير  
 التقوى لهم ملكة (أو يحدث لهم ذكرا) أى عظة واعتبارا حين يسمعونها فينبطهم عنها ولهذا  
 النكتة أسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن (فتعالى الله) فى ذاته وصفاته عن مماثلة  
 المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته وصفاته ذاتهم وصفاتهم (الملك) الذى  
 لا يهجزه شئ فلاملك فى الحقيقة غيره (الحق) أى الثابت الملك فلا زوال لكونه ملكا فى زمن ما  
 ولعظمة ملكه وحقية ذاته وصفاته صرف خاقه على ما هم عليه من الامور المتباينة \* ولما  
 شرح الله تعالى كيفية نفع القرآن للمكلفين وبين أنه سبحانه وتعالى متعال عن كل ما لا ينبغي  
 موصوف بالاحسان والرحمة ومن كان كذلك صان رسوله عن السهو والنسيان فى امر الوحي  
 فلذلت قال تعالى (ولا تجعل بالقرآن) أى بقراءته (من قبل أن يقضى اليك وحيه) من الملك  
 النازل به اليك من حضرتنا كما اننا لم نجعل بانزاله عليك جملة بل رتلناه لك ترتيبا ونزلناه اليك  
 تزيلا مفصلا تفصيلا وموصلا توصيلا فاستمع له مليا جميع تأملك اليه ولا تساققه بالقراءة  
 فاذا فرغ فاقرأه فانما يجمعه فى قلبك ولا تكلفك المساققة بتلاوته (وقل رب) أيها المحسن الى  
 بافاضة العلوم على (زدنى علما) أى سئل الله بزيادة العلم بدل الاستجمال فان ما أوحى اليك تناله  
 لا بما جالته روى الترمذى عن أبى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انفعني  
 بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما والمجد لله على كل حال وأعوذ بالله من حال أهل النار وكان  
 ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال اللهم زدنى علما ويقيننا ولما قال تعالى كذلك نقص عليك من  
 انباء ما قد سبق ذكر هذه القصة انجاز الوعد فقال تعالى (ولقد عهدنا) بالتامن العظمة الى  
 آدم) أبى البشر أى وصيناه أن لا يأكل من الشجرة وانما عطفها على قوله تعالى وصرفنا قبض من  
 الوعيد للدلالة على أن انما من بن آدم على النسيان وعرفهم راسخ بالنسيان (من قبل) أى فى

زمن من الأزمان الماضية قبل هؤلاء الذين تقدم في هذه السورة ذكر نسيانهم واعراضهم  
 (فنسى) عهدنا وأكل منها (ولم نجده عزمًا) أي نصميم رأى وثبات على الأمر أذلو كان ذاعزعة  
 وتصلب لم يزل الشيطان ولم يستطع تغيره قال البيضاوي ولعل ذلك كان في بدء أمره قبل أن  
 يجرب الأمور ويذوق أربها وشرها انتهى والارزى العسل والشرى الخنظل قال البغوي قال  
 أبو أمامة الباهلي لو وزن حلم آدم بحلم ولده لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجده عزمًا وقال  
 البيضاوي وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو وزنت أحلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال تعالى  
 ولم نجده عزمًا قال ابن الأثير والحلم بالكسرة الأناة والتثبت في الأمور (فان قيل) ما المراد  
 بالنسيان (أجيب) بأنه يجوز أن يراد بالنسيان الذي هو نقيض الذكر وأنه لم يعن بالوصية العناية  
 الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان ولم يكن  
 النسيان في ذلك الوقت من فوعا عن الإنسان بل كان يؤاخذ به وانما رفع عنا وكان الحسن يقول  
 ما عصى أحد قط إلا نسيان وان يراد الترك وأنه ترك ما أوصى به من الاحتراز عن الشجر قوا كل  
 ثمها وقيل نسي عقوبة الله تعالى وظن أنه نهى تنزيهه \* (تنبيه) \* هذا هو المرة الخامسة من قصة  
 آدم في القرآن أولها في البقرة ثم في الاعراف ثم في الحجر ثم في الكهف ثم ههنا وقوله تعالى (وإذ قلنا  
 للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس) تقدم الكلام على ذلك مفصلا في سورة البقرة  
 وقوله تعالى (أبى) بجملة مستأنفة لأنها جواب سؤال مقدر أي ما منعه من السجود فأجيب بأنه  
 أبى ومفعول الأباء يجوز أن يكون مرادا وقد صرح به في الآية الأخرى في قوله تعالى أبى أن  
 يكون من الساجدين وحسن حذفه هنا كون العامل رأس فاصله ويجوز أن لا يراد أصلا وات  
 المعنى أنه من أهل الأباء والعصيان من غير نظر إلى متعلق الأباء ما هو (فقلنا) بسبب امتناعه بعد  
 أن حلنا عليه ولم نعاجله بالعقوبة (يا آدم ان هذا) الشيطان الذي تكبر عليك (عدوك ولزوجك)  
 حوا بالمد لأنهما منك وسبب تلك العداوة من وجوه الأول ان إبليس كان حسودا فلما رأى آثارهم  
 الله في حق آدم حسده فصارع عدو له الثاني ان آدم عليه السلام كان شايبا عالما لقوله تعالى وعلم آدم  
 الاسماء كلها وإبليس كان شيئا جاهلا لانه أنبت فضيلته بفضيلة أصله وذلك جهل والشيخ الجاهل  
 أيد يكون عدو للشاب العالم الثالث ان إبليس مخلوق من النار وادم مخلوق من الماء والتراب  
 فين أصلهما عداوة فنبتت تلك العداوة (فان قيل) لم قال تعالى (فلا يخرجنكم من الجنة) مع  
 أن المخرج لهما منها هو الله تعالى (أجيب) بأنه لما كان هو الذي فعل بوسوسته ما ترتب عليه  
 الخروج صح ذلك (فان قيل) لم قال تعالى (فتشقى) أي فتعب وتنصب في الدنيا ولم يقل فتشقى  
 (أجيب) بوجهين أحدهما أن في ضمن شقاء الرجل وهو قيم أهله وأميرهم شقاءهم كما أن  
 في ضمن سعادته سعادتهم فاختص الكلام بإسناده اليه دونها مع المحافظة على كونه رأس فاصله  
 وعن سفيان بن عيينة قال لم يقل فتشقى لأنها داخله معه فوقع المعنى عليهم ما جميعا وعلى  
 أولادهم جميعا كقوله تعالى يا أيها النبي إذا طلقتم النساء ويا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك  
 قد فرض الله لكم تحله أي ما كانكم قد دخلوا في المعنى معه وانما كالم النبي وحده الثاني أريد

بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة لأن الرجل هو المساعي على زوجته  
 زوى أنه اهبط الى آدم تو را حرق فكان يحترث عليه ويمسح العرق عن جبينه ويحتاج بهذا الحرق  
 الى الحصد والطمع والخير وغير ذلك مما يحتاج اليه وعن الحسن قال عني به شقاء الدنيا فلا تلتني  
 ابن آدم الا شقيا ناصبا أي ولو أراد شقاوة الاخرة ما دخل الجنة به وذلك ولما كان الشبع  
 والري والكسوة والكن هي الامور التي يدور عليها كفاف الناس ذكر تعالى حصول هذه  
 الاشياء في الجنة من غير حاجة الى الكسب والطلب وذكرها بلفظ النبي لا زادها بقوله تعالى  
 (ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تضل) أي تعطش (فيها ولا تضحي) أي لا يحصل لك  
 حر شمس الضحى لا تنفاه الشمس في الجنة بل أهلها في ظل محدود وهذه الاشياء كانت تفسير للشقاء  
 المذكور في قوله تعالى فتشقى (فوسوس) أي فتهب فتهذرنها هذا من غير بعد في زمان أن وسوس  
 (اليه الشيطان) المحترق المطرود وهو ابليس أي أنهى اليه الوسوسة وأما وسوس له فمعناه لاجله  
 فلذلك عدى تارة باللام في قوله تعالى فوسوس له ما وتارة بالي ثم بين تعالى تلك الوسوسة ما هي  
 بقوله تعالى (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أي على الشجرة التي ان أكلت منها بقيت  
 مخلدا (وملك لا يبلى) أي لا يبلى ولا يفنى قال الرازي واقعة آدم مجيبة وذلك لان الله تعالى ورغبه  
 في دوام الراحة وانتظام المعيشة بقوله تعالى فلا يخرجنكم من الجنة فتشقى ان لك ان لا تجوع  
 فيها ولا تعرى وانك لا تضل فيها ولا تضحي ورغبه ابليس أيضا في دوام الراحة بقوله تعالى هل  
 أدلك على شجرة الخلد وفي انتظام المعيشة بقوله وملك لا يبلى فكان الشيء الذي رغب الله تعالى فيه  
 آدم هو الذي رغبه ابليس فيه الآن الله تعالى وقف ذلك الامر على الاحتراس عن تلك الشجرة  
 وابليس وقفه على الاقدام عليها ثم ان آدم عليه السلام مع كمال عقله وعلمه بأن الله مولاه وناصره  
 ومريه وعلمه بأن ابليس عدوه حيث امتنع من السجود له وعرض نفسه للعنة بسبب عداوته  
 كيف قبل في الواقعة الواحدة والمقصود الواحد قول ابليس مع علمه بعداوته له وأعرض عن  
 قول الله تعالى مع علمه بأنه الناصر له والمربي ومن تأمل هذا الباب طال تبحره وعرف آخر الامر  
 ان هذه القصة كالتنبه على انه لا دافع لقضاء الله ولا مانع له منه وان الدليل وان كان في غاية  
 الظهور ونهاية القوة فانه لا يحصل النفع به الا اذا قضى الله ذلك وقدره انتهى ويدل على ذلك  
 ما ثبت في الحديث الصحيح روى البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال احنج آدم وموسى  
 عند ربهما لحنج آدم موسى قال موسى أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه  
 وأصدلك ملائكته وأسكنك في جنته ثم أهبطت الناس بخطيئتك الى الارض فقال آدم أنت  
 موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها بيان كل شئ وقررتك نبييا فيكم  
 ووجدت الله كتب التوراة قبلي أن يخلقني قال موسى بأربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها  
 وعصى آدم به فغوى قال نعم قال أقتلوني على ان عمت عملا كتب الله على ان أعمله قبل أن  
 يخلقني بأربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحنج آدم موسى وروى مسلم عن عبد الله  
 ابن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الله لمقادير الخلائق قبل أن



يطاق السموات والارض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء وقال كل شئ بقدر حتى العجز  
 والكيس ثم كان ابليس قال لا آدم بلسان الحال أو المصالح مشير الى الشجرة التي نهى عنها  
 ما بينك وبين الملك الدائم الآن تأكل منها (فأكل) أى فتسبب عن قوله وتعقب ان أكل  
(منها) هو وزوجته متبعين لقوله ناسين ما عهد اليهما لامر قدره الله في الازل (فبدت لهما  
 سوا) هما قال ابن عباس عريامن النور الذي كان الله ألبسهما حتى بدت فروجهما وانما جمع  
 سواهما كما قال صفت قلوبكما أى فظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودره وسعى كل منهما سوءاً  
 لان انكشافه يسوء صاحبه (وظفقا يخلصان) أى أخذوا يلزقان (عليهما من ورق الجنة) ليسترا  
 به قال ابن عادل وهو ورق التين (وعصى آدم) بالاكل من الشجرة وان كان انما فعل المنهى  
 نسياناً لان عظم مقامه وعلو مرتبته يقتضيان له مزيد الاعتناء ودوام المراقبة (ربه) المحسن اليه  
 بما لم ينله أحد من بنيه من تصويره له بيده واسجاد ملائكته له ومعاداة من عاداه (فغوى) أى  
 فعل ما لم يكن له فعله وقيل أخطأ طريق الحق وقيل حيث طلب الخلد بأكل ما نهى عنه فخاب  
 ولم يتل مراده وصار من العزالي الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز أن يقال عصى  
 آدم ولا يجوز أن يقال آدم عاص لانه انما يقال عاص لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخطئ ثوبه  
 فيقال خاطئ ثوبه ولا يقال هو خاطئ حتى يعاوده ويعتاده \* (تنبيه) \* تمسك بعضهم بقوله تعالى  
 وعصى آدم ربه فغوى في صدور الكبيرة عنه من وجهين الاول ان العاصي اسم للذم فلا يطلق  
 الاعلى صاحب الكبيرة لقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نارجهم خالدا فيها ولا معنى  
 لصاحب الكبيرة الا من فعل فعلا يعاقب عليه الثاني ان القواية والضلالة اسمان مترادفتان  
 والتي ضد الرشاد ومثل هذا لا يتناول الا الناسق المنهك في فسقه وأجيب بأن المعصية مخالفة  
 الامر والامر قديكون بالواجب وقد يكون بالمندوب فانك تقول امرته فعصاني وامرته  
 بشرب الدواء فعصاني واذا كان كذلك لم يتنع اطلاق اسم العصيان على آدم بكونه للمندوب  
 وان كان وصف تارك المندوب بأنه عاص مجاز وأجاب أبو مسلم الاصبهاني بأنه عصى في مصالح  
 الدنيا لا فيما يتصل بالتكاليف وكذا القول في غوى قال الرازي والاولى عندي في هذا الباب أن  
 يقال هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد تقدم شرح ذلك في البقرة وقيل بل أكل من الشجرة  
 متأقلاً وهو لا يعلم أن الشجرة التي نهى الله عنها شجرة مخصوصة لاعلى الجنس ولهذا قيل انما  
 كانت التوبة من ترك التصرف لامن المخالفة فهو كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين أى  
 يرونها بالاضافة الى علو احوالهم كالسيئات (ثم اجتباها ربه) أى اختاره واصطفاه (فتاب  
 عليه) أى قبل توبته وأعاد عليه بالعفو والمغفرة (وهدى) أى هداه ارشده حتى وجع الى الندم  
 والاستغفار \* ولما كانت دار الملوك لا تتحمل مثل ذلك وان كان قد هياها بالاجتباها لها قال على  
 طريق الاستئناف (قال) الرب سبحانه وتعالى الذي انتهكت حرمة داره (اهبطاً) أى آدم  
 وحواء بما اشتقما عليه من ذريتكما (منها) أى الجنة (جميعاً) وقيل الخطاب لآدم ومعه ذريته  
 ولا بليس فقوله تعالى (بعضكم لبعض عدو) يكون على التفسير الاقل بعض الذرية لبعض عدو

من ظلم بعضهم لبعض وبغى الثاني آدم وذريته وإبليس وذريته وقوله تعالى (فأما) فيه  
 ادغام نون ان الشرطية في ما المزيدة (يأتينكم مني هدى) أي كتاب ورسول (فمن اتبع هداي)  
 الذي أسهفته به من أوامر الكتاب والرسول (فلا يضل) أي بعد ذلك عن طريق السداد في  
 الدنيا (ولا يشقى) في الآخرة قال ابن عباس من قرأ القرآن واتبع ما فيه هدايا الله تعالى من  
 الضلالة ووفاء الله تعالى يوم القيامة سواء الحساب وذلك ان الله تعالى يقول فمن اتبع هداي  
 فلا يضل ولا يشقى ولما وعد تعالى من اتبع الهدى اتبعه بوعيد من أعرض فقال تعالى (ومن  
 أعرض عن ذكرى) أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه (فإن له معيشة ضنكا) والحنك أصله  
 الضيق والشدة وهو مصدر فكأنه قال له معيشة ذات ضنك واختلاف في ذلك فقال أبو هريرة  
 وأبو سعيد الخدري وابن مسعود المراد بالمعيشة الضنك عذاب القبر وروى أبو هريرة أن  
 عذاب القبر للكافر قال قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليسلط عليه في قبره تسعة  
 وتسعون تينا هل تدرون ما التسعين تسعة وتسعون حبة لكل حبة تسعة رؤس يخذشونه  
 ويلسعونه وينفخون في جسمه الى يوم يبعثون وقال الحسن وقتادة والكبي هو الضيق في  
 الآخرة في جهنم فإن طعمه هم الضريع والزقوم وشرا بهم الحميم والغسلين فلا يموتون فيها ولا  
 يحيون وقال ابن عباس المعيشة الضنك هي أن يضيق عليه أبواب الخير فلا يهتدى لشيء  
 منها وعن عطاء المعيشة الضنك هي معيشة الكافر لأنه غير موقن بالثواب والعقاب وروى  
 عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عقوبة المعصية ثلاثة ضيق  
 المعيشة والعسر في الشدة وان لا يتوصل الى قوته الا بمعصية الله وذلك ان مع الدين التسليم  
 والقناعة والتوصل كل على الله تعالى وعلى قسمة فهو يتفق ما رزقه الله تعالى بسماح  
 وسهولة فيعيش عيشا رقيعا كما قال تعالى فلنجينه حيلة طيبة والمعرض عن الدين مستول  
 عليه المرض الذي لا يزال يطعم به الى الازدياد من الغيما سلط عليه الشح الذي يقبض يده  
 عن الاتفاق فعيشه ضنك وحاله مظلة قال صلى الله عليه وسلم لو كان لابن آدم واد من ذهب  
 لا تبقى اليه ثابا ولو كان له واديان لا تبقى لهما ثالثا ولا يعلو جوف ابن آدم الا التراب ويتوب  
 الله على من تاب متفق عليه قال بعض الصوفية لا يعرض أحد عن ذكر ربه الا ظلم عليه  
 وقته وتشوش عليه رزقه وقال تعالى استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم  
 مدرارا الآية وقال تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا ثم ذكر حال  
 المعرض في الآخرة بقوله تعالى (ومحشره يوم القيامة أعمى) قال ابن عباس لذا خرج من القبر  
 خرج بصيرا فاذا سبق الى المحشر عى ولعل جمع بذلك بين هذا وبين قوله تعالى أجمع بهم  
 وأبصر يوم يأتوننا وقال عكرمة عى عليه كل شيء الا جهنم وفي لفظ قال لا يبصر الا النار ومن  
 يجاهد المراد بالعمى عدم الحجة ويؤيد الاول قوله تعالى (قال رب لم حشرتني أعمى) في هذا  
 اليوم (وقد كنت بصيرا) أي في الدنيا وفي أول هذا اليوم فكأنه قيل بما أجيب فقبل (قال)  
 له ربه (كذلك) أي مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال (أتلك آياتنا) وأضحى نعمة (فأبصرت) فصيرت

عنها وترضكها غير منظور إليها (وكذلك) أي ومثل تركك إياها (اليوم قنبي) أي تترك في  
 العمى والعذاب (وكذلك) أي ومثل هذا الجزاء الشديد (فجزى من أسرف) في متابعة هواه  
 فتكبر عن متابعة أوامرنا (ولم يؤمن) بل كذب (بآيات ربه) وخالفها (ولعذاب الآخرة  
 أشد) مما نعذبهم به في الدنيا والقبر لعظمه (وأبقي) فإنه غير منقطع \* ولما بين الله تعالى أن من  
 أعرض عن ذكره كيف يحشر يوم القيامة اتبعه بما يعتبر به المكلف من الأفعال الواقعة  
 في الدنيا عن كذب الرسل فقال (أفلم يهد) أي بين بيانه وهداياه إلى المقصود (لهم) أي هؤلاء  
 الذين أرسلت إليهم أعظم رسلي وفاعل يهد مضمون قوله (كم أهلكنا) وقال أبو البقاء الفاعل  
 ما دل عليه أهلكنا أي أهلا كما وأهلا كالأهلا مفسرة له وقال الزمخشري فاعل لم يهد الجملة بعده  
 يريد ألم يهد لهم هذا بعنايه ومضمونه وتظيره قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرة من سلام على  
 نوح في العالمين أي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز أن يكون فيه ضمير الله أو الرسول انتهى  
 وكم خبرية مفعول أهلكنا (قبلهم من القرون) أي تكذيبهم لرسلائنا حال كونهم (يمشون)  
 أي هؤلاء العرب من أهل مكة وغيرهم (في حساكنهم) أي في سفرهم إلى الشام ويشاهدون  
 آثارها لهم (أن في ذلك) أي الأهللاك العظيم الشأن المتوالي في كل أمة (آيات) عظيمة  
 بينات (لأولي النهي) أي لذوي العقول الناهية عن التغافل والتعالي \* ولما هددهم بأهلاك  
 الماضين ذكروا سبب التأخير عنهم بقوله تعالى (ولولا كلمة) أي عظيمة قاضية نافذة (سبقت) أي  
 في أزل الآزال (من ربك) الذي عود لنا بالاحسان بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة فإنه يعامل  
 بالحلم والائتاء (لكان) أي العذاب (لزاما) أي لازما أعظم لزوم لهم في الدنيا مثل ما نزل به عاد وعود  
 ولكن عدلهم لتردد من شتمنا منهم ونخرج من أصلاب بعضهم من يؤمن وإنما فعلنا ذلك لكراما  
 لك ورحمة لا متك فيكثر اتساعك فيعملوا الخيرات فيكون ذلك زيادة في شرفك وإلى ذلك الإشارة  
 بقوله صلى الله عليه وسلم وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلى قارئه وأن أكون  
 أكثرهم تابعا وفي رفع قوله تعالى (وأجل مسمى) بوجهان أظهرهما أعطفه على كلمة أي ولولا أجل  
 مسمى لكان العذاب لازما لهم وهذا ما صدر به البيضاء والى الثاني أنه معطوف على الضمير المستتر  
 في كان وقام الفاعل بخبرها مقام التأكيده واقصر الجلال المحلى على هذا وجوز الزمخشري  
 والبيضاوي وفي هذا الأجل المسمى قولان أحدهما ولولا أجل مسمى في الدنيا لذلك العذاب  
 وهو يوم بدر والثاني ولولا أجل مسمى في الآخرة لذلك العذاب وهذا كما قال الرازي أقرب  
 قال أهل السنة له تعالى بحكم المالكية أن يخص من شاء بفضله ومن شاء بهذابه من غير علة  
 إذ لو كان فعله لعله لكانت تلك العلة أما قديمة فيلزم قدم الفعل وأما حادثة فيلزم اقتقارها  
 إلى فعله أخرى ويلزم التسلسل ثم انه تعالى لما أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه لا يهلك أحدا  
 قبل استيفاء أجله أمره بالصبر فقال (فاصبر على ما يقولون) لك من الاستهزاء وغيره وهذا  
 كان في أول الأمر ثم نسخ بآية القتال (وسبح) أي صل وقوله تعالى (بصمدربك) حال أي  
 وأنت حامد لربك على أنه وفقت لذلك وأعانك عليه (قبل طلوع الشمس) صلاة الصبح (وقبل)

غروبها) صلاة العصر (ومن آناه الليل) أى ساعاته (فسبح) أى صل المغرب والعشاء وقوله  
 تعالى (وأطراف النهار) معطوف على محل من آناه المنصوب أى صل الظهر لأن وقتها يدخل  
 بزوال الشمس فهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني قال ابن عباس دخلت الصلوات  
 الخمس فى ذلك وقيل المراد الصلوات الخمس والتوافق لأن الزمان إما أن يكون قبل طلوع الشمس  
 أو قبل غروبها فالليل والنهار داخلان فى هاتين العبارتين وأوقات الصلوات الواجبة دخلت  
 فيها فبقي قوله ومن آناه الليل فسبح وأطراف النهار للتوافق وقال أبو مسلم لا يعدل التسبيح  
 على التنزيه والاجلال والمعنى اشتغل بتزيه الله تعالى فى هذه الأوقات (فان قيل) النهار له  
 طرفان فكيف قال وأطراف النهار ولم يقل طرفى النهار (أجيب) بوجهين أظهرهما أنه انما جمع  
 لأنه يلزم فى كل نهار ويعود والثانى ان أقل الجمع اثنان وقرأ قوله تعالى (لعلك ترضى) أبو بكر  
 والكسائى بضم التاء أى ترضى بما تنال من الثواب كقوله تعالى وكان عند ربه مرضياً وقرأ  
 الباقر بقصها أى ترضى بما تنال من الشفاعة قال تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال  
 تعالى عسى أن يعينك ربك مقام محمود والمعنى على القراءتين لا يختلف لأن الله تعالى اذا  
 أَرْضاه فقد رَضيه واذا رَضيه فقد أَرْضاه ولما كانت النفس ميالة الى الدنيا مرهونة بالحاضر  
 من فاني العطايا وكان تخليها عن ذلك هو الموصل الى حريتها المؤذن بعلوهمتها قال تعالى مؤكدا  
 اذا نابصه وبذلك (ولا تمدن) مؤكدا بالنون الثقيلة (عينك) أى لا تطول تطرهما بعد  
 النظرة الاولى المعنوية (الى ما تمناه) فى هذه الحياة الفانية (أزواجاً) أى أصنافاً (منهم)  
 أى الكفرة استحسنانه وتمنياً أن يكون لك مثله والامتناع الا اذا بدا يدرك من المناظر الحسنة  
 ويسمع من الاصوات المطربة ويشم من الروائح الطيبة وغير ذلك من الملابس والمناجيح وقوله  
 تعالى (زهرة الحياة الدنيا) أى زيتها وبهجتها منصوب بمحذوف دل عليه متعناً وبه على تضمه  
 معنى أعطينا فأزواجاً مفعول أول وزهرة هو الثاني وذكر ابن عادل غير هذين الوجهين سبعة  
 أوجه لا حاجة لنا بذكرها ثم علل تعالى تمتعهم بقوله تعالى (لنفتنهم فيه) أى لنفعل بهم فعل  
 المختبر فيكون سبب عذابهم فى الدنيا بالعيش الضنك للمضى وفى الآخرة بالعذاب الاليم  
 فصورته تغز من لم يتأمل معناه حق التأمل فما أنت فيه خير مما هم فيه (ورزق ربك) فى الجنة  
 (خير) مما أوتوه فى الدنيا (وأبقى) أى أدوم وأما رزقه من نعمة الاسلام والنبوة أولان  
 أموالهم الغالب عليها الغصب والسرقه والحرمه من بعض الوجوه والحلال خير وأبقى قال  
 الزمخشري لأن الله تعالى لا يقب الى نفسه الا ما حل وطاب دون ما حرم وخير والحرام  
 لا يسمى رزقاً انتهى وهذا جار على مذهبه المخالف لاهل السنة من أن الحرام لا يسمى رزقاً وقال  
 أبو مسلم الذى نهى عنه بقوله ولا تمدن عينك ليس هو التطويل هو الاسف أى لا تأسف على  
 ما فاتك مما نالوه من حظ الدنيا وقال أبو رافع نزلت هذه الآية فى ضيق نزل بالنبي صلى الله عليه  
 وسلم فبعثنى الى يهودى يبيع أو يستلف الى مدة فقال والله لا أتفعل الا برهن فأخبرته بقوله  
 فقال صلى الله عليه وسلم انى لا مين فى السماء وانى لا مين فى الارض اجعل اليه درعى الحديد

فنزل قوله ولا تمدن عينيك وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم  
 ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم وقال أبو الدرداء الدنيا دار من لادارته وماله من لا مال له  
 ولها يجمع من لا عقل له وعن الحسن لولا حق الناس نزلت الدنيا وعن عيسى ابن مريم عليه  
 السلام لا تتخذوا الدنيا دارا فتتخذكم لها عبدا \* ولما أمر الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه  
 وسلم بتزكية النفس أمره بأن يأمر أهله بالصلاة بقوله عز وجل (وامرأهك بالصلاة) أى أمر  
 أهل بيتك والتابعين لك من أمتك بالصلاة كما كان أبوك - اعيل عليه السلام يدعوهم الى كل  
 خير اذا الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا  
 يهتوا بأمر المعيشة ولا يفتنوا الفت أرباب الثروة وكان صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية  
 يذهب الى فاطمة وعلى رضى الله عنهما كل صباح ويقول الصلاة (واصطبر) أى دائم (عليها  
 لأنسالك) أى نكفك (رزقا) لنفسك ولا تغيرك (نحن نرزقك) وغيرك كما قال تعالى وما خلقت  
 الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق  
 ذو القوة المتين فقرغ بالك لامور الآخرة وفى معناه قول الناس من كان فى عمل الله كان الله  
 فى عمله وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أصاب أهله ضراً أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية  
 وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلطان قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم نادى الصلاة  
 الصلاة رجكم الله وعن بكر بن عبد الله المزنى كان اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا  
 فصلاوا بهذا أمر الله رسوله ثم تلا هذه الآية (والعاقبة) أى الجميلة المحمودة (للتقوى)  
 أى لاهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوا واتبعوا واتقوا ويؤيده قوله تعالى  
 فى موضع آخر والعاقبة للمتقين ولا معونة على الرزق وغيره بنى يوازى الصلاة فقد كان صلى  
 الله عليه وسلم اذا حزبه أمر أى بالبلاء الموحدة أى اذا أحرزته فزع الى الصلاة قال ثابت وكان  
 الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا نزل بهم أمر فزعوا الى الصلاة وعن أبي هريرة رضى الله عنه  
 قال قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى فقرغ لعبادى املاء صدرك غنى وأسدفقرك وان لم  
 تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسدفقرك وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال سمعت رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم يقول من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله هم دنياه ومن  
 تشعبت به هموم أحوال الدنيا لم يبال الله فى أى أوديتها هلك وعن زيد بن ثابت قال سمعت  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه  
 ولم يأت منه من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت الآخرة همه جمع الله له أمره وجعل غناه فى قلبه  
 وأتته الدنيا وهى راعمة \* ثم انه تعالى بعد هذه الوصية حكى عنهم شيها بقوله تعالى (وقالوا  
 لولا يا نبينا يا من ربه) فكانه من لوازم قوله تعالى فاصبر على ما يقولون وهو قواهم لولا أى  
 هلا يا نبينا يا من ربه وقال فى موضع آخر لوما فاتنا نبيا آية كما أرسل الاولون \* ثم أجاب الله تعالى عن  
 رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله (أولم تأتهم بينة) أى بيان (ما فى الصحف الاولى) من التوراة  
 والانجيل وسائر الكتب السماوية المستقل عليه القرآن من انباء الامم الماضية واهلاكهم

بـ كذيب الرسل فبايؤمنهم أن يكون حالهم في سؤال الآيات كحال أولئك وقرأ ما فتح وأبو عمرو - فص بالفوقية على التأنيث والباقون بالصنعة على التذكير (ولو أنما أهلكتهم) معاملة لهم في عصيانهم (بعذاب من قبله) أي هذا القرآن المذكور في الآية الماضية وما قاربها وفي قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن وفي منى السورة في ما أنزلنا عليك القرآن لتشتق أو من قبل محمد صلى الله عليه وسلم (لقالوا) أي يوم القيامة (ربنا) يا من هو متصف بالاحسان البنا (لولا) أي هلا ولم لا (أرسلت البنا رسولا) يا من نابطاعتك (فتتبع) أي فمتسبب عنه أن تتبع (آياتك) التي تصيغها (من قبل أن نزل) بالعذاب هذا الذل (وتحزى) بالمعاصي التي عملناها على جهل فلاجل ذلك أرسلناك اليهم وأقنابك الخجة عليهم \* ولما علم بهذا أن إيمانهم كالمستنع وجد الهضم لا ينقطع بل ان جاءهم الهدى طعنوا فيه وان عذبوا قبله تطلوا كان كأنه قبل فما الذي أفعل معهم فقيل (قل) لهم (كل) أي كل منكم (متربص) أي منتظر ما يؤول اليه أمرى وأمركم (فتربصوا) فأنتم كالبيهاثم ليس لكم تأمل (فستعلمون) أي عما قريب بوعد لا خلف فيه وهو يوم القيامة (من أصحاب الصراط) أي الطريق (السوى) أي المستقيم (ومن اهتدى) أي من الضلال فحصل على جميع ما يتقعه واجتنب جميع ما يضره أفهن أم أنتم قال ابن عادل عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بالنبي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالوا طوي لامة ينزل عليها هذا وطوي لالسن تتكلم بهذا وطوي لاجواف تحمل هذا وعن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقرأ أهل الجنة من القرآن الا يس وطه انتهى ولم يذكر ذلك سندا وأما ما رواه البيضاوى تعالى لا يخشى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ طه أعطى يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار

حديث موضوع

### ﴿ سورة الأبياء عليهم الصلاة والسلام مكية ﴾

قال الرازي باجماع وهي مائة واحدى أو ثنتا عشرة آية وألف ومائة وستون كلمة وأربعة آلاف وثمان وتسعون حرفا

(بسم الله) الحكيم العدل الذي تمت قدرته وصم أمره (الرحمن) الذي ساوى بين خلقه في رحمة إيجاده (الرحيم) الذي نجى من شاء من عباده في معاده قال أبو جعفر بن الزبير في برهانه لما تقدم قوله تعالى ولا تعتد عينيكَ الى قوله فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى قال تعالى (اقرب) أي قرب (للناس حسابهم) أي في يوم القيامة أي فلا تعتد عينيكَ الى ذلك فاني جعلته قسنة وأشار بصيغة الافتعال الى مزيد القرب لانه لا أمة بعد هذه ينتظر أمرها وأخر الفاعل تهو يلا تذهب النفس في تعيينه كل مذهب (فان قيل) فكيف وصف ذلك اليوم بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول أكثر من تسعمائة عام (أجيب) بأنه مقرب عنده الله والدليل عليه قوله تعالى ويستجلبونك بالعذاب وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ولان كل آت وان طالت أوقات استقبله وترقبه قريب وانما البعيد هو الذي وجد وانقرض

فلا زال ما تهواه أقرب من غد \* ولا زال ما تخشاه أبعد من أمس

ولأن ملحق من الدنيا أقصر وقل محاسن من مبدل ليل انبعث خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه الموعود ببعثه في آخر الزمان وقال بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعه وقال صلى الله عليه وسلم ختمت النبوة بي كل ذلك لاجل ان الباقي من مدة التكليف أقل من الماضي وعن ابن عباس ان المراد بالناس المشركون وهو من اطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وهو قوله تعالى (وهم) أي والحال أنهم (في غفلة) أي عن الحساب (معرضون) عن التأهب لهذا اليوم لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما يرجع اليه خاتمة أمرهم مع اقتضاء قولهم أنه لا بد من جزاء الحسن والمسيء وأيضا ان هذه الآية نزلت في كفار مكة ولما أخبر تعالى عن غفلتهم واعراضهم دل على ذلك بقوله (ما يأتهم) وأغرق في النفي بقوله (من ذكر) أي وحى فيهم عن سنة الغفلة والجهالة وقوله تعالى (من ربه) صفة ذكر أو صلة لياتهم (محدث) انزاله أي ما يحدث الله تعالى من تنزيل شيء من القرآن يذكرهم ويعظهم به وبمذا سقط احتجاج المعتزلة بأن القرآن حادث لهذه الآية وقيل معناه ان الله تعالى يحدث الامر بعد الامر فينزل الآية بعد الآية والسورة بعد السورة في وقت الحاجة لبيان الاحكام وغيرها من الامور والوقائع وقيل الذكر المحدث ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواعظ سوى ما في القرآن وأضافه اليه لان الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (الاستعوه) أي قصدهوا اسماعه وهو أجد الجحد وأحق الحق (وهم) أي والحال أنهم (يلعبون) أي يفعلون فعل اللاعبين بالاستهزاء والسخرية لتماهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب (لا هية) أي غفلة معرضة (قلوبهم) عن ذكر الله \* (تبييه) \* قوله تعالى وهم يلعبون لاهية قلوبهم - حالان مترادفتان أو متداخلتان \* ولما ذكر تعالى ما يظهر منه في حالة الاستماع من الله واللعب ذكر ما يخفونه بقوله تعالى عطف على استعوه (وأسروا) أي الناس المحدث عنهم (التجوى) أي بالغوا في اسرار كلامهم وقوله تعالى (الذين ظلموا) بدل من واو وأسروا للايعاء بأنهم ظلمون فيما أسروا به أو مبتدأ أو الجملة المتقدمة خبره والمعنى وهو لاء أسروا التجوى فوضع المظهر موضع المضمرة تسجيلا على فعلهم بأنه ظلم وقيل جاء على لغة من قال أكلوني البراغيث وقيل منصوب المحل على الذم ثم بين تعالى ما تناجوا به بقوله تعالى (هل) أي فقالوا في تناجيهم هذا عجيب من ادعائه النبوة مع مماثلته لهم في البشرية هل (هذا) الذي اتاكم بهذا الذكر (الابشر منكم) أي في خلقه واخلاقه من الاكل والشرب والحياة والممات فكيف يختص عنكم بالرسالة ما هذا الذي جاءكم به مما لا تقدرُونَ على مثله الاسعير لا حقيقة له فينبذ نسب عن هذا الافتكار قرأهم (أقتاتون السحروا نتم) أي والحال انكم (تبصرون) بأعينكم انه بشر مثلكم فكأنهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعائه النبوة والرسالة

لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الاملكاواستلزموا منه ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن صرح  
فانكروا حضوره (فان قيل) لم أسروا هذا الحديث وبالغوا في اختفائه (أجيب) بأن ذلك كان  
يشبه التشاور فيما بينهم والتحاوري في طلب الطريق الى هدم أمره وعادة المتشاورين في خطب  
أن لا يشركوا أعداءهم في مشورتهم ويجهتدوا وافي طي سرهم عنهم ما أمكن واستطيع  
ومنه قول الناس استمعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان قال البقاعي في الله العجيب من قوم  
رأوا ما أعجزهم فلم يجوزوا أن يكون ذلك عن الرحمن الداعي الى الفوز بالجنان ويحرموا أنه من  
الشیطان الداعي الى الهوان باصطلاء النيران والعجب أيضا أنهم أنكروا الاختصاص بالرسالة  
مع مشاهدتهم بما يخص الله تعالى به بعض الناس عن بعض من الذكاء والفتنة وحسن  
الخلايق والاخلاق والقوة والصحة وطول العمر وسعة الرزق ونحو ذلك انتهى ولا عجب فانها  
عقول أضلها باريها ثم كانه قيل فماذا يقال لهؤلاء فقال (قل) لهم (ربي) المحسن الى (يعلم القول)  
سواء كان سرا أم جهرا كأننا (في السماء والارض) على حد سواء لانه لا مسافة بينه وبين شئ  
من ذلك (وهو السميع العليم) فلا يخفى عليه ما يسرون ولا ما يصررون (فان قيل) هلا قيل يعلم  
السرا لقوله تعالى وأسروا النجوى (أجيب) بأن القول عام يشمل السرو والجهر فكان في العلم  
به العلم بالسرو وزيادة فكان اكد في بيان الاطلاع على نجواهم من أن يقول يعلم السرا كما أن  
قوله يعلم السرا اكد من أن يقول يعلم سرهم (فان قيل) لم ترك هذا الا كد في سورة الفرقان في  
قوله تعالى قل أنزله الذي يعلم السرا في السموات والارض ولم يقل يعلم القول كما هنا (أجيب)  
بأنه ليس بواجب أن يأتي بالاسرا كد في كل موضع ولكن يجي بالوكيد تارة وبالاسرا كد أخرى  
كما يجي بالحسن في موضع وبالاحسن في غيره ليفتن الكلام افتنانا ويجمع الغاية ومادونها  
على أن أسلوب تلك الآية خلاف أسلوب هذه من قبل أنه قدم ههنا ثم أسروا النجوى  
فكانه أراد أن يقول ان ربي يعلم ما أسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة ثم قصد وصف  
ذاته بأنه أنزله الذي يعلم السرا في السموات والارض فهو كقوله تعالى علام الغيوب عالم الغيب  
لا يعزب عنه مثقال ذرة وقرأ حفص وحزرة والكسائي قال بصيغة الماضي بالانخبار عن  
الرسول والباقون قل بصيغة الامر ثم انه تعالى بين أن المشركين اقتسموا القول في النبي صلى  
الله عليه وسلم وفيما يقوله بقوله تعالى (بل قالوا) أي قال بعضهم هذا الذي قال لكم (أضغاث  
أحلام) أي اخلاط أحلام رآها في النوم وقال بعضهم (بل افتراء) أي اختلقه من عند نفسه  
ونسبه الى الله تعالى وقال بعضهم (بل هو) أي النبي صلى الله عليه وسلم (شاعر) فاجاءكم به  
شعر والشاعر يخيل ما لا حقيقة له لغيره أو أنهم كاهم أضربوا عن قولهم هو صر الى أنه تخالط  
أحلام ثم الى أنه كلام مقترى من عنده ثم الى أنه قول شاعر وهكذا المبتل متحير رجاع غير ثابت  
على قول واحد قال الزمخشري ويجوز أن يكون تنزيلا من الله تعالى لا قولهم في درج  
الفساد وأن قولهم الثاني أقدم من الاول والثالث أقدم من الثاني وكذا الرابع أقدم من  
الثالث ثم انهم لما قد حوا في أعظم المعجزات طلبوا آية غيره فقالوا (فليأتنا) دليل على



رسالته (بآية كما) أي مثل ما (أرسل الأولون) بالآيات كتسبيح الجبال وتسخير الريح  
وتغيير الماء وحياء الموق وبراء الأكمة والبرص وصحة التشبيه من حيث أن الأرسال يتضمن  
الآيات بالآية قال الله تعالى مجيباً لهم (ما آمنت قبلهم) أي قبل مشركي مكة (من قرينة) أي  
من أهل قرينة آتتهم الآيات (أهلكها) باقتراح الآيات لما جاءتهم (أفهم يؤمنون)  
أي لو جنتهم بها وهم أغنى منهم وفيه دليل على أن عدم الآيات بالماقترح للإبقاء عليهم إذ لو أتى به  
لم يؤمنوا واستوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم \* ولما بين تعالى بطلان ما اقترحوا به  
في رسوله صلى الله عليه وسلم بكونه بشراً قال تعالى عاطفاً على آمنت مجيباً عن قواهم هل  
هذا إلا بشر مثلكم (وما أرسلنا قبلك) أي في جميع الزمان الذي تقدم زمانك في جميع  
طوائف البشر (الأرجالا) أي لم نرسل الملائكة إلى الأولين إنما أرسلنا رجلاً (نوحى إليهم)  
مثلك ثم إنه تعالى أمر المشركين أن يسألوا أهل الكتاب بقوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر)  
وإنما أحالهم على هؤلاء لأنهم كانوا لا ينكرون أن الرسل كانوا بشراً وإنكروا نبوة محمد صلى  
الله عليه وسلم وقيل المراد بالذكر القرآن أي فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن وقرأ  
ابن كثير والكافي بفتح السين ولا همزة بعدها وكذا يفعل حمزة في الوقف والباقون  
يسكون السين وهمزة مفتوحة بعدها \* ثم نبه تعالى على أنهم غير محتاجين فيه إلى السؤال  
بما قد كان بلغهم على الأجل من أحوال موسى وعيسى وإبراهيم وإسماعيل وغيرهم عليهم السلام  
بقوله تعالى معبراً بأداة الشك محرراً لهم على المعالي (إن كنتم) أي يجبلاتكم (لا تعلمون) أي  
لا أهلية لكم في اقتناص علم بل كنتم أهل تقليد محض وتبع صرف \* ولما بين تعالى أنه صلى  
الله عليه وسلم على سنة من مضي من الرسل في كونه رجلاً بين أنه على سنتهم في جميع الأوصاف  
التي حكم بها على البشر في العيش والموت فنبه على الأول بقوله تعالى (وما جعلناهم) أي الذين  
اخترنا بعثتهم إلى الناس ليأمرهم بأمرنا (جسداً) أي ذوى جسد ولحم ودم متصفين  
بأنهم (لآيات كون الطعام) بل جعلناهم أجساداً باكون ويشربون وليس ذلك بما نع من  
أوصالهم \* (فائدة) قال ابن فارس في المجمل وفي كتاب الخليل إن الجسد لا يقال لغير الإنسان  
وتوحيد الجسد لا وادة الجنس كآته قيل ذوى ضرب من الأجساد أو على حذف المضاف  
أي ذوى جسد كما ترأوت وأويل الضمير لكل واحد وهو جسم ذولون قال البيضاوي ولذلك أي  
ولكون الجسد جسماً ذا اللون لا يطلق على الماء والهواء وهو في الماء مبنى على أنه لا لون له وإنما  
يلون بلون طرفه أو مقابله لأنه جسم شفاف لكن قال الامام الرازي بل له لون ويرى ومع ذلك  
لا يجيب عن رؤية ما وراءه \* ثم نبه على الثاني بقوله تعالى (وما كانوا خالدين) أي بأجسادهم  
بل ماتوا كما مات الناس قبلهم وبعدهم وإنما تميزوا عن الناس بما يأتى بهم عن الله تعالى  
ورسولكم صلى الله عليه وسلم ليس بخالد فترصوا كما أشار إليه ختم طه فانه مترص بكم  
وأنتم عاصون الملك الذي اقترب حسابه خلقة وهو مطيع له (ثم صدقناهم الوعد) أي الذي  
وعدناهم بأهلاكم وهذا مثل قوله تعالى واختار موسى قومه في حذف الجار والاصل

في الوعد ومن قومه ومنه صدقهم القتال وصدقني سن بكره والاصل في هذا المثل أن أعرايا  
 عرض بعيرا للبيع فقل له المشتري ما سئنه قال بكر فاتفق أنه ند فقال صاحبه هددع هددع وهذه  
 اللفظة مما يسكن به اصغار الابل لا الكار فقال المشتري صدقني سن بكره وأعرض فصار مثلا  
 \* (تنبيه) \* أشارت على باداة التراخي الى أنهم طال بلاؤهم بهم وصبرهم عليهم ثم أحل بهم  
 سطوته وأراهم عظمتهم (فأنهييناهم) أي الرسل (ومن نشاء) وهم المؤمنون أو من في ابقائه  
 حكمة كمن سيؤمن هو أو واحد من ذريته ولذلك حجت به العرب من عذاب الاستتصال  
 (وأهلكا المسرفين) أي المشركين لأن المشرک مسرف على نفسه (لقد أنزنا اليكم) بامعشر  
 قريش (كتابا) أي القرآن (فيه ذكر كم) أي شرفكم ووصيتكم كما قال تعالى وانه لذكر لك  
 واقومك أو فيه مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها الثناء وحسن الذكر لحسن الجوار والوفاء  
 بالهدى وصدق الحديث وأداء الامانة والهداء وما أشبه ذلك وقيل فيه ذكر ما تحتاجون اليه  
 من أمر دينكم أولانه نزل بلفظكم وقيل فيه تذكرة لكم لتحذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد  
 والوعيد (أفلا تعقلون) فتؤمنوا به وفي ذلك حث على التدبر لأن الخوف من لوازم العقل  
 (وكم قصصنا) أي أهلكتنا (من قرية) أي أهلها بغضب شديد لأن القصم أقطع الكسر وهو  
 الكسر الذي بين تلاقم الاجزاء بخلاف القصم وقوله تعالى (كانت ظالمة) أي كفره صفة  
 لاهلها ووصفت بها لما أقيمت مقامها ثم بين الغنى عنها بقوله تعالى (وأنشأنا بعدها) أي بعد  
 اهلاك أهلها (قوما آخرين) مكانهم \* ثم بين حالها عند احلال البأس بها بقوله تعالى (فلما  
 أحسوا) أي أدرك أهلها بصوامهم (بأسنا) أي عذابنا (إذا هم منها) أي القرية (يركضون)  
 هاربين منها سرعين يا كضين دوايم لما أدركتم - م مقدمة العذاب والر كض ضرب الدابة  
 بالرجل وهنه اركض برجلك أو مشبهين بهم من فرط اسراعهم بعد تجبرهم على الرسل وقولهم  
 لهم لتخرجنكم من أرضنا ولتعودن في ملتنا فناداهم لسان الحال تقريرا وتثنيها لخالهم  
 (لا تركضوا) أو المقاتل والقائل ملك أو من ثم من المؤمنين (وارجعوا) الى قريتهم (الى ما أتوتم)  
 أي تمسستم (فيه) من التسم والتلذذ والارتاف ابطار النعمة والترفه \* ولما كان أعظم  
 ما يؤسف عليه بعد العيش الناعم المسكن قال (ومسا كنكم) أي التي كنتم تقتضون بها على  
 الضعفاء بما أوسعتم من فنائها وعليت من بنائها وحسنتم من مشاهدتها (لعلكم تستلون) وفي  
 هذا تمكيمهم وتوبيخ أي ارجعوا الى نعمكم ومسا كنكم لعلكم تستلون غدا عما يجري  
 عليكم وينزل بأموالكم ومسا كنكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة أو ارجعوا وابطسوا  
 كما كنتم في مجالسكم وترتوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون أمره  
 وينفذ فيه أمركم ونهيتكم فية ولولا لكم ثم تأمرون وماذا أتوتمون أو شبأ من دنياكم على العادة  
 أو تستلون في الايمان كما كنتم تستلون فتأبوا بجمع عندكم من الانفة والحمية والظلمة أو في  
 المهومات كما يكون الرضا في قاعدتهم العلية ومراتبهم السنية فيجيبون سائلهم ما شأوا  
 \* ولما كان كما قيل لهم أجابوا هذا القائل قيل (قالوا) حين لانفع لقولهم عند نزول البأس

(ياويلدا) إشارة إلى أنه حل بهم لأنه يتأدى إلى القريب ترفقابه كما يقول الشخص لمن يضره  
يا سيدي كأنه يستغيت به ليكف عنه وذلك غباوة منهم وعي عن الذي أحلهم لانهم  
كالبهايم لا يتفكرون الا السبب الاقرب ثم عللوا حلوه بهم تأ كيدا لترفقهم بقولهم (أما كنا)  
جيلة وطبعا (ظالمين) حيث كذبنا الرسل وعصينا أمر ربنا فاعترفوا حيث لا يتفهم الاعتراف  
لقوات محله. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه القرية حضور بفتح الحاء وبالضاد  
المجبة وهي وصول قرينان قرينتان من اليمن تنسب اليهما الثياب وفي الحديث كفن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم في ثوبين - حويلين وروى حضور بين بعث الله لهم نبيا فقتلوه فسلط الله  
تعالى عليهم يختصر كما سلطه الله على أهل بيت المقدس فاحتأصلهم وروى انه لما أخذتهم  
السيفوف نادى مناد من السماء يا ثارات الانبياء وهي بفتح اللام وبثلاثة وهمزة سا كنة أى  
بالأهل ناراتهم أى الطالبة بدمهم فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فندموا وقالوا  
ذلك (فما) أى فتسبب عن احلالنا بهم ذلك البأس أنه ما (زالت تلك) الدعوى البعيدة عن  
الخبر والسلامة وهي قولهم ياويلنا (دعواهم) يرددونها الادعوى لهم غيرها لان الويل ملازم  
لهم غير منفك عنهم وترفقهم له غير نافعهم (حق جعلناهم حصيدا) كالزرع المحصود بالمناجل  
بأن قتلوا بالسيف \* (تنبه) \* حصيد على وزن فعيل بمعنى مفعول واذلك لم يجمع لأنه يستوى  
فيه الجمع وغيره (خامدين) أى ميتين كخمود النار اذا طفت وصارت رمادا (فان قيل) كيف  
ينصب جعل ثلاثة مفاعيل (أجيب) بأن حكم الاثنين الاخيرين حكم الواحد لان معنى  
قولك جعلته طواحا ماضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لماثلة  
المحصود والخمود أو خامدين صفة لخصيدا أو حال من ضميره ثم نبههم سبحانه وتعالى على النظر  
في خلق السموات والارض وما بينهما ليحسبوا فقال تعالى (وما خلقنا السماء) على علوها  
واحكامها (والارض) على عظمها واتساعها (وما بينهما) مما درناه لتمام المنافع من أصناف  
البدائع وخرائب الصنائع (لاعين) أى عابثين كما تسقى الجبارة سقوفهم وفرشهم وسائر  
زخارفهم للهو واللعب وانما خلقناها مشحونة بضر وبالبدائع تبصرة للظان وتذكير للذوى  
الاعتبار وتسيبنا لتنظيم به أمر العباد في المعاش والمعاد \* ولما نفي عنه اللعب أتبعه دليله  
فقال عز وجل (لو أردنا) أى بما لنا من العظمة (أن نتخذها) أى ما يتلوه به ويلعب وقيل  
هو الود بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد الرد على النصارى (لا نتخذنا من لدنا) أى من عندنا  
بما يليق أن ينسب لخصرتنا من الحور العين والملائكة بما لنا تمام القدرة وكمال العظمة (أن كنا  
فاعلين) ذلك لكلام نفعله لأنه لا يليق بجناينا فلم نرده وقوله تعالى (بل نقذف) أى نرمي (بالحق)  
أى الايمان (على الباطل) أى الكفر اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته عن اللعب بل شائنا  
أن نرمي بالحق الذى من جملة الجد على الباطل الذى من عداد اللهو (فيدمغه) أى يذهب  
واستعاره حض الباطل بالحق القذف والدمغ تصوير الابطال به واهدائه ومحضه بفعله كأنه  
جرم صلب كالصخرة ووجه استعارة القذف والدمغ لما ذهبوا أن أصل استعمالهما في

الاجسام ثم استعير القذف لدحض الباطل بالحق والدمغ لاذهاب الباطل فالاستعار منه حتى  
والمستعار له عقل (فاذا هو) في الحال (واحق) أي ذاهب والزهوق ذهاب الروح وذكره  
لترشيح المجاز من اطلاق القذف على دحض الباطل ثم عطف على ما أفادته اذ اقوله تعالى  
(ولسكنم) أي واذا لكم أيها المبطلون (الويل) أي العذاب الشديد (عما تصفون) الله تعالى به بما  
تهوى أنفسكم كل زوجة والولد (تنبيه) ما اما مصدرية أو موصولة أو موصوفة \* ولما حكى  
الله تعالى كلام الطاعنين في النبوات وأجاب عنها بأن أغراضهم من تلك المطاعن التردد وعدم  
الانقياد بين بقوله تعالى (وله من في السموات) أي الاجرام العالية وهي ما تحت العرش وجمع  
السماء هنا لاقتضاء تغذيم الملك ذلك ولما كانت عقولهم لا تدرك تعقد الارض وحدها فقال  
(والارض) أي له ذلك خلقا وملكاً أنه منزّه عن طاعتهم لانه هو المالك لجميع المحدثات والمخلوقات  
وعبر عن تغليب العقلاء وقوله تعالى (ومن عنده) أي وهم الملائكة باجماع الامة ولان الله تعالى  
وصفهم بأنهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهذا لا يليق بالبشر مبتدأ خبره (لا يستكبرون  
عن عبادته) بنوع كبر طلباً ولا ايجاداً وخصهم بالذكر لكرامتهم عليه تزيلاً لهم منزلة المقربين  
عند الملك (تنبيه) هذه العندية للشرف والرتبة لا عندية المكان والجهة فكانه تعالى قال  
الملائكة مع كمال شرفهم وعلو مراتبهم ونهاية جلالتهم لا يستكبرون عن عبادته فكيف يليق  
بالبشر الضعيف التردد عن طاعته (و) مع ذلك أيضاً (لا يستخسرون) أي لا يعيرون وانما يحى  
بالاستحسان الذي هو ابلغ من الحسود تنبيهاً على أن عبادتهم من ثقلها ووداها حقيقة بأن  
يستخسر منها ولا يستخسرون ولا يطلبون أن ينقطعوا عنها فأتى ذلك قوله تعالى (يسبحون) أي  
ينزهون المستحق للتنزيه بأنواع التنزيه من الاقوال والافعال (الليل والنهار) أي جميع آناهما  
دائماً (لا يفترون) أي عن ذلك وقتاً من الاوقات فهو منهم كالنفس منا لا يشغلنا عنه شاغل \* ولما  
كانوا عند هذا البيان جديرين بأن يادروا الى التوحيد فلم يفعلوا كانوا حقيقين بعد الاعراض  
عنهم بالتوبيخ والتهكم والتعنيف فقال تعالى (أم اتخذوا) أي بل اتخذوا فقام بمعنى بل للاتقال  
والهمزة لانكار اتخذاهم (آلهة من الارض) ومعنى نسبتها الى الارض الايدان بأنها  
الاصنام التي تعبد في الارض لان الآلهة على ضربين ارضية وسماوية ومن ذلك حديث  
الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ربك فأشارت الى السماء فقال انها مؤمنة  
لانه فهم منها أن مراد هاتني الآلهة الارضية التي هي الاصنام لا اثبات أن السماء مكان الله  
تعالى ويجوز أن يراد آلهة من جنس الارض لانها آتما أن تخت من بعض الجبارة أو تعمل من  
بعض جواهر الارض (هم ينشرون) أي يحجبون الموقى لا يقدرّون على ذلك وهم وان لم يصرخوا  
بذلك لزم من ادعائهم لها آلهة أنهم يقدرّون على ذلك فان من لوازمها الاقتدار على جميع  
الممكنات فالمراد به تجهيلهم والتهكم بهم والمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص  
الانتشار بهم ثم انه سبحانه وتعالى أقام البرهان القطعي على نقي الضمير ببرهان التامع وهو أشد  
برهان لاهل الكلام فقال (لو كان فيهما) أي السموات والارض أي في تدبيرهما (آلهة الاثمة)

أي غير الله تعالى (لفسدتنا) أي نخرجنا عن نظامهما المشاهد لوجود التمانع بينهم على وفق العادة  
 عند تعدد الحاكم وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق وكان والله  
 أعز على من دم ناظري ولكن لا يجمع فلان في شول وهذا ظاهر وأما طريقة التمانع فقال  
 المتكلمون القول بوجود الهين مفض الى المحال لا فالو فرضنا وجود الهين فلا بد أن يكون  
 كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على  
 تحريك زيد ونسكينه ولو فرضنا أن أحدهما أراد تحريكه والاخر أراد نسكينه فإما أن يقع  
 المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين أو لا يقع واحد منهما وهو محال لأن المانع من  
 وجود مراد كل واحد منهما امراد الاخر فلا يمنع مراده هذا الا عند وجود مراد ذلك  
 وبالعكس أو يقع مراد أحدهما دون الاخر وذلك أيضا محال لأن الذي وقع مراده يكون  
 قادرا والذي لم يقع مراده يكون عاجز والعجز نقص وهو على الاله محال فثبت أن الفساد لازم  
 على ككل التقديرات وإذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت أن جميع ما في العالم العلوي  
 والسفلي من المخلوقات دليل على أن وحدانية الله تعالى والدلائل السمعية على الوحدانية  
 كثيرة في القرآن • ولما أفاد هذا الدليل أنه لا يجوز أن يكون المدبر للسوات والارض  
 الا واحدا وأن ذلك الواحد لا يكون الا الله تعالى قال (فسبحان الله) أي فتسبب عن ذلك  
 تنزه المتصف بصفات الكمال (رب) أي خالق (العرش) أي الكرسي المحيط بجميع الاجسام  
 الذي هو محل التدبير ومنشأ التقادير (عباصفون) أي الكفار الله به من الشريك له وغيره  
 ثم بين تعالى ذلك بقوله عز وجل (لا يستل) أي من سائل ما (عبافعل) لعظمته وقوة سلطانه  
 وإذا كانت عادة الملوك والجبارة أن لا يسألهم من في مملكتهم عن أفعالهم وعبادتهم  
 ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا مع جوار الخطا والزلل وأنواع الفساد عليهم كان  
 ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم أولى بأن لا يستل عن أفعالهم ما علم واستقر  
 في العقول من أن ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه تعالى الخطأ (وهم يسألون)  
 لانهم ملوك مستعدون خطاؤون فما خلقهم بأن يقال لهم لم تعلم في كل شيء فعلوه ولما تام  
 الدليل ووضع السبيل واضمحل كل قال وقيل وانحقت الاباطيل كزرتعالى  
 (أم اتخذوا من دونه آلهة) كثره استغفعا عالشانهم واستغفعا ما لكفرهم وانظها راجلههم  
 • ولما كان جوابهم اتخذوا ولا يرجع أمر الله تعالى بيه بجوابهم فقال (قل ها تو ابرهانكم) على  
 ما اذعمتموه من عقل أو نقل كما أتيت أن ابرهان النقل المؤيد بالعقل • ولما كان تعالى لا يؤخذ  
 بمخالفة العقل ما لم ينضم اليه دليل النقل اتبعه قوله مشيرا الى ما بعث الله تعالى به الرسل من  
 الكتب (هذا ذكر) أي موعظة وشرف (من معي) ممن آمن بي وهو القرآن الذي هجرت عن  
 معارضته (وذكر) أي وهذا ذكر (من قبلي) من الامم الماضية وهو التوراة والانجيل  
 وغيرهما من الكتب السماوية فانظروا اهل تجدون فيها الا الامم بالتوحيد والنهي عن الاشرار  
 • ولما كانوا لا يجدون شبهة لهم فضلا عن حجة ذمهم الله تعالى على جهلهم بمواضع الحق

قوله أي الكرسي  
 تبع فيه الجلال  
 المحلى وكتب عليه  
 الجمل قوله الكرسي  
 لا حاجة لهذا بل  
 الاولى ابقاء العرش  
 على ظاهره لان  
 التصديق انه جسم  
 مغاير للكرسي اه

فقال تعالى (بل أكثرهم) أي هؤلاء المدعون (لا يعلمون الحق) فلا يعجزون عنه وبين الباطل بل أكثرهم جهلة والجهل أصل الشر والفساد (فهم) أي فتسبب عن جهلهم ما اقتضاه السورة من أنهم (معرضون) عن التوحيد واتباع الرسل \* ولما كان الإرسال بالفعل غير مستغرق للزمان المتقدم كما أن الرسالة لا يقوم بها كل واحد فكذلك الإرسال لا يصلح له كل زمن أثبت الجار في قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك) وأغرق في النبي فقال (من رسول) في شيع الأولين (الأيوحى إليه) من عندنا (أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وهذا مقترن لما سبقه من أي التوحيد وقال تعالى إلا أن أولم يقل نحن اثلا يجعلوا ذلك وسيلة إلى ما ادعوه من تعبد الآلهة ولذلك قال فاعبدون بالافراد وقرأ حفص وحزرة والكسائي بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء \* ولما بين سبحانه وتعالى بالدلائل الباهرة كونه منزها عن الشريك والضد والتدأ رد ذلك ببراءته عن اتخاذ الولد بقوله (وقالوا اتخذ) أي تكلف كما يتكلف من لا يكون له ولد (الرحمن) أي الذي كل موجود من قبض نعمه (ولدا) نزل في خراعة حيث قالوا الملائكة بنات الله وقيل نزل ذلك في اليهود حيث قالوا انه تعالى صاهر الجن فكانت منهم الملائكة كما حكى الله تعالى عنهم قولهم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ثم انه سبحانه وتعالى نزه نفسه عن ذلك بقوله تعالى (سبحانه) أي تنزه عن أن يكون له ولد فان ذلك يقتضي المجانسة بينه وبين الولد ولا تصح مجانسة النعمة للحق (بل) أي الذين جعلوهم له ولدا وهم الملائكة (عباد) من عباده أنهم عليهم بالابحاد كما أنهم على غيرهم لا أولاد فان العبودية تنافي الولدية (مكرمون) بالعصمة من الزلل ولذلك فسر الأكرام بقوله تعالى (لا يسبقونه) أي لا يسبقون اذنه (بالقول) أي لا يقولون شيئا حتى يقوله كما هو شأن العبيد المؤدبين (وهم بأمره) إذا أمرهم (يعملون) لا يغيره لانهم في غاية المراقبة له تعالى فجمعوا في الطاعة بين القول والفعل وذلك غاية الطاعة ثم علل اخباره بذلك بعلمه بما به هذا الخبر به من درج فيه بقوله تعالى (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما علموا وما هم عاملون لا تخفى عليه تعالى خافية مما قدموا وأخروا ثم صرح تعالى بلازم الجملة الأولى فقال (ولا يشفون) أي لا في الدنيا ولا في الآخرة (الامن ارتضى) فلا تطمعوا في شفاعتكم لكم بغير رضاه تعالى قال ابن عباس والفضائل الامن ارتضى أي لمن قال لا إله إلا الله فسقط بذلك قول المعتزلة ان الشفاعاة في الآخرة لا تكون لاهل الكبار ثم صرح بلازم الجملة الثانية فقال (وهم من خشيته) أي لامن غيرها (مشفقون) أي خائفون وأصل الخشية خوف تعظيم ولذلك خص به العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدى بمن فعنى الخوف فيه أظهر وان عدى بعلى فبالعكس ولما نعى تعالى الشريك مطلقا ثم مقيدا بالولدية أتبعه التهديد على ادعائه بتعذيب المتبوع الموجب لتعذيب التابع بقوله تعالى (ومن يقل منهم) أي من الخلائق حتى العباد المكرمين الذين وصف كرامتهم وتربيت منزلهم عنده وأتى عليهم (اني لمن دونه) أي الله أي غيره والنبي قال ذلك كما قال الجلال المحلى هو ابليس دعاه إلى عبادة نفسه وأمر بطاعتها (فذلك) أي اللعين

الذي لا يصلح للتقريب أصلاً (فجزيه جهنم) اظلمه (كذلك) أي مثل هذا الجزء الفطيم جدا  
(فجزى الظالمين) أي المشركين ثم انه سبحانه وتعالى شرع الآت في الدلائل الدالة على وجود  
الصانع فذكر منها ستة أنواع النوع الاول قوله تعالى (أولم ير) أي يعلم (الذين كفروا) علماهو  
كالشاهدة (أن السموات والارض كانتا) ولم يقل كن لأن المراد جماعة السموات وجماعة  
الارض (رتقا) قال ابن عباس والضحالك كاتاشياً واحداً مترقتين زبدة واحدة (ففتقناهما)  
أي فصلنا بينهما بالهواء والرتق في اللغة السد والفتق الشق قال كعب خلق الله السموات  
والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحاً توسطتهما ففتحهما بها وقال مجاهد والسدى كانت  
السموات رتقاً طبة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت رتقاً طبة ففتقها  
فجعلها سبع أرضين وقال عكرمة وعطية كانت السموات رتقاً لا تمطر والارض رتقاً لا تنبت  
ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق  
أو السموات بأسرها على أن لها مدخل في الامطار وانما قال تعالى رتقاً على التوحيد وهو  
نعت للسموات والارض لانه مصدر والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم بالنظر  
أو باستفسار من العلماء أو مطالعة الكتب وقرأ ابن كثير لم يغيروا بين الهمزة ولم والباقون  
بالواو بين الهمزة واللام النوع الثاني من الدلائل قوله تعالى (وجعلنا) أي خلقنا بما اقتضت  
عظمتنا (من الماء) الماء هو الدافق وغيره (كل شيء حتى) مجازاً في النبات وحقيقة في الحيوان  
(فان قيل) قد خلق الله تعالى بعض ما هو حتى من غير الماء كآدم وعيسى والملائكة (أجيب)  
بأن هذا خرج مخرج الاغلب والاكثر أي ان أكثر ما خلق الله خلق من الماء ويقاؤه بالماء  
وقيل المراد بالماء ما نزل من السماء أو نبع من الارض (أفلا يؤمنون) مع ظهور هذه الآيات  
الواضحات بتوحيدى النوع الثالث من الدلائل قوله تعالى (وجعلنا في الارض رواسي)  
أي جبالاً ثوابت كراهة (أن تميد) أي تتحرك (بهم) قيل ان الارض بسطت على الماء فكانت  
تتحرك كما تتحرك السفينة في الماء فأرساها الله وأثبتها بالجبال النوع الرابع من الدلائل قوله  
تعالى (وجعلنا فيها) أي في الرواسي (نجاباً) أي مسالك واسعة سهلة ثم أبدل منها (سبلاً) أي  
مذلة للسلوك ولولا ذلك لتعسر أو تعذر الوصول الى بعض البلاد (لعلهم يهتدون) الى  
مناقعهم من ديارهم وغيرها والى ما فيها من دلائل الوحدانية النوع الخامس من الدلائل قوله  
تعالى (وجعلنا السماء) وأفردها مع ارادة الجنس لان أكثر الناس لا يشاهدون منها  
الا السماء الدنيا ولان الحفظ للشيء الواحد أتقن (سقفاً) أي للارض كالسقف للبيت  
(محفوظاً) أي عن السقوط بالقدرة وعن الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بالمشيئة وعن  
الشياطين بالشهب (وهم) أي أكثر الناس (عن آياتها) أي من الكواكب والكواكب والصغار  
والرياح والامطار وغير ذلك من الدلائل التي تفوت الانحصار الدالة على قدرتنا على كل  
ما نريد من البعث وغيره وعلى عظمتنا بالتفرد بالالهية وغير ذلك من أوصاف الكمال من الجلال  
والجمال (معرضون) لا يتفكرون فيما فيها من السيرة والتدبير وغير ذلك فيعلمون أن خالقها

لا شريك له النوع السادس من الدلائل قوله تعالى (وهو) أى لا غيره (الذى خلق الليل والنهار) ثم أتبعهما أعظم آيتيهما بقوله تعالى (والشمس) التى هى أعظم آية النهار (والقمر) الذى هو أعظم آية الليل (كل) أى من الشمس والقمر وتابعه وهو النجوم (فى فلك) أى مستدير كالطاحونة فى السماء (يسبحون) أى يسبحون بسرعة السابح فى الماء وللتشبيه به أى بضمير جمع من يعقل والمراد بالفلك الجنس كقولك كساهم الاميرحله وقلدهم سيفاً أى كل واحد منهم أو كساهم وقلدهم هذين الجنسيتين فاكتفى بما يدل على الجنس اختصاراً ولأن الغرض الدلالة على الجنس ونزل لما قال الكفار ان محمداً سموت (وما جعلنا البشر من قبلك انقلد) أى البقاء فى الدنيا (أفان) أى أيتنون موتك فان (مت فهم الخالدون) فيها لا والله ليسوا بخالدين فالجمله الاخيرة هى محل الاستفهام الانكارى وفى معنى ذلك قول فروة بن مسيك الصحابي وقل للشامتين بنا أفيقوا \* سلبق الشامتون كما لقينا

وقرأ نافع وحفص وحزرة والكسائي بكسر الميم والباقون بضمها ثم بين تعالى أن أحد الايتى فى هذه الدنيا بقوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) أى ذائقة مرارة الموت أى مرارة مفارقة روحها جسدها فلا يفرح أحد ولا يحزن لموت أحد بل يشغل بما به -مه واليه الاشارة بقوله (وتبلوكم) أى نعاملكم معاملة المبلى المتخبر ليظهر فى عالم الشهادة الشاكر والصابر والمؤمن والكافر كما هو عندنا فى عالم الغيب بأن نخالطكم (بالشر) وهو المضار الدنيوية من الفقر والام وسائر الشدائد النازلة بالما كافرين (والخير) وهو نعم الدين من الصحة واللذة والسرور والتمكن من المرادات وقوله تعالى (فتنة) مفعول له أى لتنتظروا تصبرون وتشكرون أم لا كما يفتن الذهب اذا أريد تصفيته بالنار عما يخالطه من الغش فبين تعالى أن العبد مع التكليف يترددين هاتين الحالتين لكى يشكر على المنح ويصبر على المحن فيعظم ثوابه اذا قام بما يلزم (والينا) بعد الموت لالى غيرنا (ترجعون) فنجازيكم بما فعلتم ثم عطف تعالى على قوله وأسروا النجوى قوله تعالى (واذاران) أى وأنت أشرف الخلق (الذين كفروا ان) أى ما (يتخذونك) أى حال الرؤية (الاهزوا) أى مهزوا به يقولون انكاراً واستصغاراً (أهدأ الذى يذكر آلهتكم) أى بسوء والدكر يكون بالخبر والشر فاذا دلت القرينة على أحدهما أطلق عليه وذكر العدو ولا يكون الا بسوء (وهم) أى والحال أنهم (بذكر الرحمن) أى اذا ذكر لهم الرحمن (هم كفرون) وذلك أنهم كانوا يقولون لانعرف الرحمن الامسيلة وهم الثانية للتأكيده ونزل فى استعجالهم العذاب (خلق الانسان من عجل) كأنه خلق منه لقرط استعجاله وقلة شباهه والعرب تقول لاذى يكثر منه الشئ خلقت منه كقولك خلق زيد من الكرم فجعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة فى لزومه له ولذلك قيل انه على القلب أى خلق العجل من الانسان ومن جعلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعد وقال سعيد بن جبير والسدى لما دخل الروح فى رأس آدم وعينيه نظرت الى ثمار الجنة فلما دخل الروح فى جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح الى رجله فجعل الى ثمار الجنة فوقع فقبل خلق الانسان



من جعل والمراد بالانسان آدم وأورث أولاده العجلة وقال قوم معناه خلق الانسان يعني آدم عليه السلام من تعجيل في خلق الله تعالى اياه لان خلقه كان بعد خلق كل شئ في آخر النهار يوم الجمعة فأسرع في خلقه قبل مغيب الشمس قال مجاهد فلما أحيى الروح رأسه قال يا رب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس وقيل بسرعة وتعجيل على غير ترتيب خلق سائر آدميين من النطفة ثم العلقة ثم المضغة وغيرها وقال قوم من جعل أى من طين قال الشاعر  
والسبع في الحضرة الصماء منبته \* والتخل ينبت بين الماء والعجل

ثم قال تعالى مهتد للمكذبين (سأريكم آياتى) أى مواعيدى بالعذاب (فلا تستعجلون) أى تطلبون أن أوجد العجلة بالعذاب أو غيره فانى منزّه عن العجلة التى هى من جلة تقاضكم لانها ارادة الشئ قبل أوانه (فان قيل) لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل وقوله تعالى وكان الانسان عجولاً أليس هذا من تكليف ما لا يطاق (أجيب) بأن هذا كإركاب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها لانه أعطاه القدرة التى يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقد أراههم بعض آياته وهو القتل بيد (ويقولون) فى استهزائهم (متى هذا الوعد) أى باتيان الآيات من الساعة ومقدّماتها وغيرها (ان كنتم) فيما توعدون به (صادقين) أى عريقين فى هذا الوصف يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزاء ثم بين تعالى أنهم يقولون ذلك لجهلهم بقوله تعالى (لويلم الذين كفروا) وذكر المقعول به بقوله تعالى (حين) أى وقت (لا يكفون) أى لا يدفعون (عن وجوههم) التى هى أشرف أعضائهم (النار) استسلاماً وعجزاً (ولاعن ظهورهم) التى هى أشد أجسامهم السياط (ولاهم ينصرون) أى لا ينعون من العذاب فى القيامة وجواب لو محذوف والمعنى لو علموا أقاموا على كفرهم ولما استعجلوا العذاب ولا قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (بل تأتيتهم) أى القيامة (بغتة) أى فجأة (فتبتهتهم) أى تحيرهم يقال فلان مبهوت أى تحير (فلا يستطيعون ردّها) أى لا يطلبون طوع ذلك لهم فى ذلك الوقت لياأسهم منه (ولاهم ينظرون) أى يجهلون لتوبه أو معذرة \* ولما كان التقدير حاق بهم - هذا باستهزائهم بك أتبعه ما يدل على أن الرسل فى ذلك شرع واحد تسلية له صلى الله عليه وسلم فقال عاطفاً على واذا رأيتك (ولقد استهزئ برسل من قبلك) أى كثيرين فلك بهم أسوة وقرأ أبو عمرو وعاصم وحزرة فى الوصل بكسر الدال والباقون بالضم واذا وقف حزة أبدل الهمزة ياء ساكنة (فخاق) أى نزل (بالذين حضروا منهم ما كانوا به يستهزئون) وهو العذاب فكذا يحق بمن استهزأ بك \* ولما أعلم الله تعالى أن الكفار فى الآخرة لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم يسأروا وصفهم به أتبعه بأنهم فى الدنيا أيضاً لولا أن الله تعالى يحرسهم ويحفظهم لما جفوا فى السلامة فقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم

(قل) يا أشرف المرسلين للمستهزئين (من يكفرتم) أى يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) أى من عذابه ان نزل بكم أى لأحد يفعل ذلك (بل هم من ذكر ربهم) أى القرآن (معرضون) لا تفكرون فيه ولا يخطر ونهيبا لهم فضلاً أن يجافوا بأسه (أم) فيها معنى الهزيمة للانكار

أى (ألهم آلهة) موصوفة بأنها (تغتهم) مما يسوؤهم (من دعوتنا) ليس لهم ذلك ثم وصف آلهتهم  
 بالضعف فقال تعالى (لا يستطيعون) أى الآلهة (نصر أنفسهم) فكيف ينصرون عابديهم  
 (ولاهم) أى الكفار (منا) أى من عذابنا (يحبسون) أى يجارون يقال صحبك الله أى حفظك  
 وأجارك (بل معنا هؤلاء) أى الكفار على حقارتهم (وآبائهم) من قبلهم بالنعم استدرأجا  
 (حق) طال عليهم العمر) أى امتدت بهم أيام الدنيا بالروح والطما أنينة فحسبوا أن لا يزالوا على  
 ذلك لا يعلبون ولا ينزع عنهم توب أمتهم واستماعتهم فاغتروا بذلك وذلك طمع فارغ وأمل كاذب  
 وغلط ورش اللام بخلاف عنه (أفلا يرون) أى يعلمون علماءهونى وضوحه مثل الرؤية بالبصر  
 (أنا نأت الأرض) أى أرض الكفرة (تتصها من أطرافها) بتسليط المسلمين عليهم واظهارهم  
 على أهلها بقتل بعض ورد بعض عن دينه الى الاسلام فهم فى نقص وأولياؤنا فى زيادة (أفهم  
 القالبون) أى مع مشاهدتهم لذلك أم أولياؤنا \* ولما كرر سبحانه وتعالى فى القرآن الأدلة وبالغ  
 فى التنبيه عليها على ما تقدم أتبعه بقوله تعالى (قل) يا أشرف الخلق لهؤلاء المشركين (أنا  
 أنذركم) أى أخوفكم (بالوحى) أى بالقرآن الذى هو كلام ربكم فلا تنظروا انه من قبل نفسى  
 (ولا يسمع الصم الدعاء) أى من يدعوهم (أذما يندرون) أى يخوفون فهم لترك العمل بما سمعوه  
 كالصم (فان قيل) الصم لا يسمعون دعاء البشر كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل اذا  
 ما يندرون (أجيب) بأنه وضع الظاهر موضع المضمرة للدلالة على تصاتهم وسدتهم أسماعهم اذا  
 أنذروا أى هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة وعلى التصام عن آيات الانذار وقرأ ابن  
 عامر ولا تسمع بالتاء الفوقية مضمومة وكسر الميم ونصبهم الصم على الخطاب النبوى  
 والباقون بالياء التحتية وفتح الميم ورفع ميم الصم وفى الدعاء واذا همزتان مختلفتان من كلمتين  
 الاولى مفتوحة والثانية مكسورة قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية بين  
 الهمزة والياء والباقون بتحقيق الهمزتين وهذا فى حال الوصل فان وقف على الهمزة الاولى  
 فالجميع يتدقون الثانية بالتحقيق ويقف جزء وهشام بإبدال الهمزة ألفا مع المد والتوسط  
 والقصر (ولئن سمعتم) أى أصابتهم (نقعة) أى دفعة خفيفة وفى ذلك مبالغات ذكر المس وما فى  
 النقعة من معنى القلة فان أصل النقع هبوب رائحة الشئ والتاء الدالة على المرة (من عذاب  
 ربك) المحسن اليك بنصرك عليهم من الذى يندرون به (ليقوان) وقد أذهلهم أمرها (يا ويلنا)  
 الذى لا نرى بمحضرتنا الآن غيره (أنا كنا ظالمين) دعوا على أنفسهم بالويل بعدما أقرروا بالتلم  
 ثم ذكر تعالى بعض ما يفعل فى حساب الساعة من العدل فقال عاطفا على قوله تعالى بل تأتيتهم  
 بغتة (وتضع الموازين القسط) أى ذوات العدل (أيوم القيامة) أى فيه وانما جمع الموازين  
 لكثرة من توزن أعمالهم ويجوز أن يرجع الى الوزنات وقيل وضع الموازين تمثيلا لارصاد  
 الحساب السوى والجزاء على حسب الاعمال بالعدل والصحح الذى عليه أئمة السلف ان الله  
 تعالى يضع ميزانا حقيقة توزن به أعمال العباد وعن الحسن هو الميزان له كفتان ولسان ويروى  
 ان داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فأراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فغشى عليه

ثم أفاق فقال الهي من الذي يقدر أن يعلو كفته حسنات قال يا داود اني اذا رضيت عن عبدى  
ملائتها بقره (فان قيل) كيف توزن الاعمال مع أنها أعراض (أجيب) بأن فيه طريقتين  
أحدهما أن توزن صحائف الاعمال فتوضع صحائف الحسنات في كفة وصحائف السيئات  
في كفة والثاني أن توضع في كفة الحسنات جواهر يرض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر  
سود مظلمة (فان قيل) هذه الآية يناقضها قوله تعالى في الكفار فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا  
(أجيب) بأن المراد منه ان لا تكرمهم ولا نعظمهم (فلا تظلم نفس شيئا) أي من نقص حسنة  
أو زيادة سيئة (وان كان) أي العمل (منقال) أي وزن (حبة من خردل) أو أصغر منه وانما مثل به  
لانه غاية عندنا في القلة وقرأ نافع برفع اللام على أن كان تامة والباقون بالنصب وكذا  
في اقصان (أئنيابها) أي بوزنها ولما كان حساب الخلائق كلهم في كل ما صدر منهم أمرا  
باهر للعقل حقره عند عظمته فقال (وكفى بنا) أي بما لنا من العظمة (حاسبين) أي محصين  
في كل شيء فلا يكون في الحساب أحد مثلنا فقيهه وتوعد من جهة أن معناه أن لا يروج عليه شيء  
من خداع ولا يقبل غلطا ولا يضل ولا ينسى الى غير ذلك من كل ما يلزم منه نوع لبس وشوب  
منقص ووعد من جهة أنه مطلع على حسن قصد وان دق وخفي \* ولما تكلم سبحانه وتعالى  
في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد شرع في قصص الانبياء عليهم السلام تسلية لرسوله صلى الله  
عليه وسلم فيما يئله من قومه وتقوية لقلبه على أداء الرسالة والصبر على كل عارض وذكرة منها  
هشرا \* القصة الاولى قصة موسى عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (ولقد آتينا موسى  
وهرون) أي أخاه الذي سأل ربه أن يشد أزره به (الفرقان) أي التوراة الفارقة بين الحق  
والباطل وبين الحلال والحرام (وضيياء) بهم الاطلام معه أي ليستضاء بهم في ظلمات الحيرة  
والجهل وقرأ قبل بعد الضاد بهمزة مفتوحة مدودة والباقون بياء بعدها ألف (وذكرنا) أي  
عظة (للمتقين) أورد كما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر  
ويراد بالضيياء على هذين التوراة ثم بين المتقين بوصفهم بقوله تعالى (الذين يخشون) أي  
يخافون خوفا عظيما (ربهم) أي المحسن اليهم بعد الايجاد بالتربية وأنواع الاحسان (بالغيب)  
عن الناس أي في الخلاء عنهم وبالغيب قبل أن يكشف لهم الحجاب في الجنة (وهم من الساعة)  
التي توضع فيها الموازين وقد أعرض عنها الجاهلون مع كونها أعظم حامل على كل خير ومباعد  
عن كل ضير (مشفقون) أي خائفون لانهم لقيامها متحققون وانصب الموازين قيم العالمون  
\* ولما ذكر تعالى فرغان موسى عليه السلام وكان العرب يشاهدون تمسك اليهود به منهم على  
كتابهم الذي هو أشرف منه بقوله تعالى (وهذا) أي القرآن وأشار اليه بأداة القرب ايماء الى  
سهولة تناوله عليهم (ذكرنا) أي موعظة (مباركة) أي كثيرة (أنزلناه) على أشرف الرسل محمد  
صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (أفأنتم له منكرون) أي جاحدون استفهام توبيخ \* القصة الثانية  
قصة ابراهيم عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (ولقد آتينا) بما لنا من العظمة (ابراهيم  
رشداه) أي صلاحه وهداه (من قبل) أي من قبل موسى وهرون ومحمد صلى الله عليه وسلم عليهم وقيل

من قبل استلبانه أو بلوغه حيث قال انى وجهت وجهي (وكتابه) ظاهرا وباطنا (عالمين) بأنه  
 أهل لما آتينا لانه جبهه خير جامع لمحسن الاوصاف ومكارم الاخلاق والخصال يدوم على الرشده  
 ويرتقى فيه الى أعلى درجاته لما طبعناه عليه وفي ذلك إشارة الى أنه فعله تعالى باختيار وحكمة  
 وانه عالم بالجزئيات وتعليق (أذقال) أى ابراهيم (لايه وقومه) بعالمين إشارة الى أن قوله  
 لما كان باذن منا ورضائنا نصرناه وهو وحده على قومه كاهم ولو لم يكن رضينا المنعناه منه بنصر  
 قومه عليه وتمكين النار منه ثم ذكر مقول القول في قوله منكر اعليهم محقر الاصنامهم (مأهذه  
 التماثيل) أى الصور التى صنعتموها مما تلبس بها ما فيه روح الله جاعلين لها ما لا يكون الا لمن  
 لا مثل له وهى الاصنام (التي أنتم لها) أى لأجلها وحدها مع كثرة ما يشابهها وما هو أفضل منها  
 (عاكفون) أى مقيمون على عبادتها (فان قيل) هلا قال عليها عاكفون كقوله تعالى يعكفون  
 على أصنام لهم (أجيب) بأن اللام للاختصاص لا للتعدية ولو قصد التعدية لعداه بصلته التى  
 هى على ثم انه تعالى ذكر جوابهم له بجملة الاستفهام عن السؤال بأنهم (قالوا وجدنا آباءنا لها  
 عابدين) فاقديناهم لاجحة لنا غير ذلك فانتظر ما قبح التقليد وما أعظم كيد الشيطان للمقلدين  
 حتى استدرجهم الى أن قلدوا آباءهم فى عبادة التماثيل وعقروا الهاجباهم وهم معتقدون أنهم  
 على شئ وجاتون فى نصره مذهبهم ومجادلون أهل الحق عن باطلهم وكفى أهل التقليد مسبة أن  
 عبدة الاصنام منهم والتقليد ان جازفانما يجوز لمن علم فى الجملة أنه على حق ولذا (قال) ابراهيم  
 عليه السلام (لقد كنتم) وأكده بقوله (أنتم) لاجل صحة العطف لان الضمير المرفوع المتصل  
 حكمه حكم جزء الفعل والعطف على ضميره وفى حكم بعض الضمير ممنوع وقوه اسكن أنت  
 وزوجك الجنة (وأباؤكم) أى من قبلكم (فى ضلال مبين) فبين ان المقلدين والمقلدين جميعا  
 منحطون فى سلك ضلال لا يخفى على من به أدنى مسكة لاستناد الفريقين الى غير دليل بل الى  
 هوى متبع وشيطان مطاع لاستبعادهم أن يكون ما هم عليه ضلالا بقوام متبعين من تضليله  
 اياهم فلذا (قالوا) ظننا منهم أنه لم يقل لهم ذلك على ظاهره (أجبتنا) فى هذا الكلام (بالحق)  
 الذى يطابقه الواقع (أم أنت من اللاعين) أى تقوله على وجه المزاح والملاعبة لاعلى وجه  
 الجد (قال) عليه السلام بانى على ما تقديره ليس كلامى لعبابيل هو جد وهذه التماثيل ليست  
 أربابا (بل ربكم) أى الذى يستحق منكم اختصاصه بالعبادة (رب السموات والارض) أى  
 مدبرهن القائم بما لم يخطر على بالهن (الذى فطرهن) أى خلقهن على غير مثال سبق وأنتم وتماثيلكم  
 بما فيه ما من مصنوعاته أنتم تشهدون بذلك اذار جعلتم الى عقولكم مجردة عن الهوى وقيل  
 الضمير فى فطرهن للتماثيل قال الرخشى وكونه للتماثيل أدخل فى تضليلهم وأنت للاحتجاج  
 عليهم (وأنا على ذلكم) أى الامر البين من انه ربكم وحده فلا تجوز عبادة غيره (من  
 الشاهدين) أى الذين يقدرون على إقامة الدليل على ما يشهدون به لم يشهدوا الاعلى ما هو  
 عندهم مثل الشمس لا كما فعلتم أنتم حين اضطركم السؤال الى الضلال \* ولما أقام البرهان على  
 اثبات الله الحق أتجه البرهان على ابطال الباطل بقوله (وتالله) وهو قسم والاصل فى القسم

البهاء الموحدة والواو بدل منها والتاء بدل من الواو وفيها مع كونها بدلا لزيادة على التاء كيد  
 التعجب (لا كيدن أصنامكم) أي لاجتهد في كسرها والتاء كيد وما في التاء من التعجب  
 من تسهيل الكيد على يده وتأنيبه لأن ذلك كان أمرا مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري  
 أن مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن عمرو ذمعتوه واستكباره وقوة سلطانه  
 وتهالكه على نصر دينه ولكن \* إذا الله سنى عقد شئ يسرا \* ولما كان عزمه على إيقاع  
 الكيد في جميع الزمان الذي يقع فيه توليهم في أي جزء يسره منه أسقط الجار فقال (بعد أن  
 نولوا مدبرين) أي بعد أن تدبروا منطلقين إلى عيدكم قال مجاهد وقتادة إنما قال إبراهيم  
 هذا من قومه ولم يسمع ذلك إلا رجل واحد فأفشاء عليه وقال أنا معنفتي يذكرهم يقال له  
 إبراهيم وقال السدي كان لهم في كل سنة مجمع عيد فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على  
 الأصنام فسجدوا لها ثم عادوا إلى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو إبراهيم له يا إبراهيم  
 لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم إبراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه  
 وقال اني سقيم أشد كفى رجلى فلما ضوا نادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس تالله  
 لا كيدن أصنامكم فسمعوا منه ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة وهي فيهم وعظيم استقبال  
 باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه والأصنام بعضها إلى جنب بعض كل صنم يليه أصغر  
 منه إلى باب البهو وإذا هم قد جعلوا طعاما فوضعه بين يدي الآلهة وقالوا إذا رجعنا وقد  
 بركت الأصنام الآلهة عليه أكلنا منه فلما نظر إبراهيم إليهم وإلى ما بين أيديهم من الطعام  
 قال لهم على طريق الاستهزاء ألتا كون فلما لم يجيبوه قال لهم ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم  
 ضربا باليمين وجعل يكسرهن بقأس في يده حتى لم يبق إلا الصنم الأكبر علق القأس في عنقه  
 ثم خرج فذلك قوله عز وجل (فجعلهم جذاذا) أي فتاتا وقرأ الكسائي بكسر الجيم والباقون  
 بعضها (الأكبر الهيم) فانه لم يكسره ووضع القأس في عنقه وقيل ربطه بيده وكانت اثنين  
 وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد ورمصاص وخشب وعجر  
 وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا بالجواهر في عينيه باقوتان تتقدان (لعلهم) أي هؤلاء  
 الضلال (إليه) أي إبراهيم (يرجعون) عند الزامه بالسؤال فتقوم عليهم الحجة فلما عادوا إلى  
 أصنامهم فوجدوها على تلك الحال (قالوا من فعل هذا) الصعل الفاحش (يا لهتنا ان لمن  
 الظالمين) حيث وضع الإهانة في غير موضعها فان الآلهة حقها الأكرام لا الإهانة والانتقام  
 (قالوا) أي الذين سمعوا قول إبراهيم وتالله لا كيدن أصنامكم (معنفتي) أي شايا من الشباب  
 (يذكرهم) أي يعيهم ويسبهم (يقال له إبراهيم) أي هو الذي تظن أنه صنع هذا فلما بلغ ذلك  
 عمرو الجبار وأشرف قومه (قالوا فتوابه) إلى بيت الأصنام (على أعين الناس) أي  
 جهرة والناس ينظرون إليه نظر الإخفاء معه حتى كأنه ماش على أبطارهم متمكن منها تمكن  
 الرّاكب على المرصكوب (لعلهم يشهدون) عليه بأنه الذي فعل بالآلهة هذا الفعل كرهوا  
 أن يأخذوه بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون عذابه وما يصنع به فلما أتوا به (قالوا) منكبين

عليه (أأنت فعلت هذا) الفعل الفاعل (يا أهتيا يا ابراهيم) \* (تنبية) \* هنا هم مرتان  
مفتوحان من كلمة فالتراه الجميع على تحقيق الاولى وأما الثانية فيسهلها نافع وابن كثير وأبو  
عمرو وهنالك بخلاف عنه وأدخل بينهما الفاعلون وأبو عمرو والباقون بتحقيقه ما وعد  
الادخال بينهما ثم (قال) ابراهيم متكلماً بهم وولمزمنا بالجملة (بل فعله كبيرهم) غيره أن يعبد معه من  
هودونه وتقييده بقوله (هذا) إشارة الى الذي تركه من غير كسر \* ولما أخبرهم ولم يكن  
احد رآه حتى يشهد على فعله وكانوا قد أحلوه بعبادتهم ووضع الطعام لهم محل من يعقل  
تسبب عنه أمرهم بسؤالهم فقال (فاسألوهم) أي عن الفاعل ليخبروكم به وقوله (ان كانوا  
ينطقون) أي على زعمكم انهم آلهة يضرون وينفعون فيه تقديم جواب الشرط أي فان قدروا  
على النطق أمكنت عنهم القدرة والافلا فأراهم عجزهم عن النطق وفي ضمنه أنا فعلت ذلك  
روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات  
ثنتين منهن في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله لسارة هذه أختي وقال  
في حديث الشفاعة ويذكر كذباته أي انه لم يتكلم بكلمات صورتها صورة الكذب وان كان  
حقاً في الباطن الا هذه الكلمات وقيل في قوله اني سقيم أي سأسقم وقيل سقيم القلب أي مغتم  
بضلاتكم وقوله لسارة هذه أختي أي في الدين وقوله بل فعله كبيرهم هذا روى عن  
الكسائي أنه كان يقف عند قوله بل فعله ويقول معناه بل فعله من فعله وقوله كبيرهم هذا مبتدأ  
وخبر قال البغوي وهذه التأويلات لنفي الكذب والاولى هو الاوّل للحديث فيه ويجوز  
أن يكون الله تعالى قد أذن له في ذلك لقصد الإصلاح وتوبيتهم والاحتجاج عليهم كما أذن ليوסף  
عليه السلام حتى نادى مناديه فقال أيتها العير انكم لسارقون ولم يكونوا سارقوا وقال الرازي  
الحديث محمول على المعاريض فان فيها مندوحة عن الكذب أي تسمية المعاريض كذبا لما  
اشبهت صورتها صورته وقرأ ابن كثير والكسائي بفتح السين وترتل الهمزة وكذا يفعل  
جزء في الوقف والباقون بسكون السين وبعدها همزة مفتوحة وقيل الوقف على بل فعله  
ثم يتبدى بقوله كبيرهم هذا \* ولما اضطرتهم الدليل أن يحقوا أنهم على محض الباطل  
(فرجعوا الى أنفسهم) بالتفكير (فقالوا) أي بعضهم لبعض (انكم أنتم الظالمون) لكونكم  
وضعتم العبادة في غير موضعها لابراهيم فانه أصاب باهانتها (تم نكسوا على رؤسهم) أي  
انقلبوا غير مستحيين مما يلزمهم من الاقرار بالسفه الى المجادلة له بعدما استقاموا بالمراجعة من  
قولهم نكس المريض اذا عاد الى حاله الاوّل شبه عودهم الى الباطل بصورة جعل أسفل الشيء  
مستعلياً على اعلاه ثم انهم قالوا في مجادلته عن شركائهم والله (لقد علمت) يا ابراهيم (ما هؤلاء)  
لا يحصيهم ولا جريحهم (ينطقون) أي فكيف تأمرنا بسؤالهم \* ولما تسبب عن قولهم هذا  
اقرارهم بأنهم لا فائدة فيهم اتجه لابراهيم عليه السلام الجملة عليهم (قال) منكر اعليهم  
موجباً لهم (أفتعبدون من دون الله) أي بدله (مالا يتعبدكم شيئاً) من رزق وغيره لترجوه  
(ولا يضركم) شيئاً اذا لم تعبدوه لتخافوه (أف) أي تباوقها (لكم ولما تعبدون من دون الله)

أي غيره وقرأ نافع وحفص بتوين القاء مكسورة وابن كثير وابن عامر بفتح القاء من غير تنوين  
 والباقون بكسر القاء من غير تنوين \* ولما تسبب عن فعلهم هذا وضوح انه لا يقربه عاقل  
 أنكر عليهم ووجهه بقوله (أفلا تعقلون) قبح صنيعكم وأنتم شيوخ قد مرت بكم الدهور  
 وحذرتكم التجارب \* ولما حضرت حجتم وبيان مجزهم وظهر الحق وان دفع الباطل (قالوا) عادلين  
 الى العناد واستعمال القوة الحسية (حرقوه) بالنار لتكونوا قد فعلتم فيه فعلا أعظم مما فعل  
 بالهتكم (وانصروا آلهتكم) التي جعلها جذاذا (ان كنتم فاعلين) نصرتها قال ابن عمر ان  
 الذي قال هذا رجل من الاكراد قيل اسمه هيتون فحسب الله تعالى به الارض فهو يتجمل فيها  
 الى يوم القيامة وقيل قاله عمرو بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام وروى ان عمرو وقومه  
 حين هموا باحراقه حبسوه في بيت ثم بنوا عليه بيتا كالحظيرة بقرية يقال لها كوني ثم جمعوا له  
 أصلاب الخشب من اصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يرض فيقول لئن عوفيت  
 لاجعت حطب ابراهيم وكانت المرأة تغزل وتشترى بغزلها الخشب احتسابا في دينها وكان  
 الرجل يوصي بشراء الخشب والقائه فيه فلما جمعوا ما أرادوا وأشعلوا في كل ناحية من الخشب  
 نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى كان الطير يتربها فيحترق من شدة وهبها وحرها وأوقدوا  
 عليه سبعة أيام فلما أرادوا أن يلقوا ابراهيم لم يعلموا كيف يلقوه فجاءهم ابليس عليه اللعنة  
 فعلهم عمل المتجنيق فعملوا ثم عمدوا الى ابراهيم فقيده ورفعوه على رأس البنيان ووضعوه  
 في المتجنيق مقبدا مغلولا فصاحت السماء والارض ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق  
 الا الثقلين صيحة واحدة ربنا خلقت يلقى في النار وليس في أرضك من يعبدك غيره فأذن لنا  
 في نصرته فقال عز وجل انه خليلي وليس لي خليل غيره وأنا الهه ليس له اله غيره فان استغاث  
 بأحد منكم أودعاه فلينصره فقد أدت له في ذلك وان لم يدع أحدا غيره فأنا أعلم به وأنا وليه  
 فقلوا بيني وبينه فلما أرادوا القاءه في النار أتاه خازن الماء فقال ان أردت أخذت النار وأتاه  
 خازن الرياح فقال ان شئت طيرت النار في الهواء فقال ابراهيم عليه السلام لا حاجة لي اليكم  
 حسبني الله ونعم الوكيل وروى عن كعب الاحبار ان ابراهيم قال حين أوثقوه ليقوموا في النار  
 لا اله الا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رواه في المتجنيق الى النار  
 فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم ألك حاجة قال اما ليك فلا فقال جبريل فاسأل ربك فقال ابراهيم  
 عليه السلام حسبني من سؤالي علمه بحالي وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وقالوا  
 حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه السلام حين ألقى في النار وقالها أصحاب محمد صلى الله  
 عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم قال كعب الاحبار جعل  
 كل شيء يطفى النار عنه الا الوزغ فانه كان ينفض في النار وعن أم شريك ان رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم أمر بقتل الوزغ وقال كان ينفض على ابراهيم \* ولما أراد الله تعالى الذي له القوة  
 جميعا سلامته منها قال تعالى (قلنا يا نار كوني) بارادتنا التي لا يتصف عنها امراد (بردا) قال ابن  
 عباس لو لم يقل (ولما) لما مات ابراهيم من بردها وفي الآثار انه لم يبق يومئذ نار في الارض

الاطقت فلم ينتفع في ذلك اليوم بنا في العالم ولولم يقل تعالى (علي ابراهيم) لبقيت ذات برد أبدا  
والمعنى كوني ذات برد وسلام على ابراهيم فبولغ في ذلك حتى كان ذاتها برد وسلام والمراد  
ابردى فيسلم منك ابراهيم أو ابردى بردا غير ضار قال السدي فأخذت الملائكة بضبعي ابراهيم  
فأقعدوه على الارض فاذا بعين ماء عذب ووردا حرا وزجر من قال كعب ما أحرقت النار من  
ابراهيم الا وثاقه قالوا و... ان ابراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام قال المنهال بن عمرو قال  
ابراهيم ما كنت أياما قط أنعم مني في الايام التي كنت في النار وقال ابن يسار وبعث الله تعالى  
ملك الظل في صورة ابراهيم فقعدها الى جنب ابراهيم يؤنسه قال وبعث الله تعالى جبريل عليه  
السلام يقيمه من حر الجنة وطفنسة فألبسه القميص وأجلسه على الطنفسة وقدمه  
يحدثه وقال جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول أمعات أن النار لا تضر أحبابي ثم نظر غرود  
وأشرف على النار من صرح له فرآه جالساً في روضة والملك فاعدا الى جنبه وما حوله نار تحرق  
الحطب فناداه يا ابراهيم بالهك الذي بلغت قدرته ان حال بينك وبين ما أرى هل تستطيع أن  
تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان قت فيها أن تضرك قال لا قال قم فخرج منها فقام ابراهيم  
يتشى فيها حتى خرج منها فلما خرج اليه قال له من الرجل الذي رأيت معك في مثل صورتك فاعدا  
الى جنبك قال ذلك ملك الظل أرسله الى ربي ليؤنسني فيها فقال غرود اني مقرب الى الهك  
قربا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين آيت الاعدادته وتوحيدته اني ذابح له أربعة  
آلاف بقرة قال اذا لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفارقه الى ديني فقال لا أستطيع  
ترك ملكي ولكن أذبحها له فذبحها له غرود ثم كف عن ابراهيم ومنعه الله تعالى منه وكان  
ابراهيم اذ ذاك ابن ست عشرة سنة واختاروا المعاقبة بالنار لانها أهول ما يعاقب به واقطعه  
ولذلك جاء في الحديث لا يعذب بالنار الا خالقها وقيل ان الله تعالى نزع عنها طبعها الذي طبعها  
عليه من الحرو والاحراق وابقاها على الاضائة والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء  
قدير فذفع عن ابراهيم حرها كما يدفع ذلك عن خرقة جهنم (وأرادوا به كيدا) أي مكرافي اضارته  
بالنار وبعد خروجه منها (بجعلناهم) أي بما لنا من الجلال (الاخسرين) أي أخسر من كل  
خاسر عا دسعيهم برهاننا فاطعنا على انهم على الباطل و ابراهيم على الحق وموجب الزيادة درجته  
واستحقاقهم أشد العذاب وقد أرسل الله تعالى على غرود وعلى قومه البعوض فأكث لحومهم  
وشربت دماءهم ودخلت في دماغه بعوضة فأهلكته \* (قائدة) \* وقع مثل هذه القصة لبعض  
اتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو أبو سلم الخولاني طلبه الاسود العنسي لما ادعى النبوة  
فقال له اشهد اني رسول الله قال ما أسمع قال اشهد ان محمد رسول الله قال نعم فأمر بنار فألق  
فيها ثم وجده قائما يصلي فيها وقد صارت عليه بردا وسلاما وقدم المدينة بعد موت النبي صلى الله  
عليه وسلم فأجلسه عمر بينه وبين أبي بكر رضي الله عنهم وقال عمر الحمد لله الذي لم يمتني حتى  
أراني من أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل يا ابراهيم خليل الله (ونجيناها ولو طأ)  
من غرود وقومه من أرض العراق (الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) وهي الشام باركنا



الله فيها بالخصب وكثرة الانتصار والثمار والامن ارو منها بعث أكثر الانبياء قال أبي بن كعب بارك  
الله فيها وسماها مباركة لان ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التي بييت المقدس أي  
يهبط من السماء الى الصخرة ثم يتفرق في الارض قاله أبو العالصة وعن قتادة ان عمر رضى الله  
تعالى عنه قال لكعب الاحبار لا تصول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره  
فقال كعب اني وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين ان الشام كثر الله في أرضه وبها كثره  
من عباده وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول  
ستكون هجرة بعد هجرة فخير الناس الى مهاجر ابراهيم قال محمد بن اسحق استجاب لابراهيم  
رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله عز وجل به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من  
نمرود وماتهم وآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارح وهاران هو أخو ابراهيم  
وكان له سمان أخ ثالث يقال له ناحور بن تارح وآمنت به أيضا سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت  
هاران الا كبر عم ابراهيم فخرج من كوثى وهي بضم الكاف ومثلثة قال ابن الاثير هي كوثى  
العراق وهي سرّة السواد وبها ولد ابراهيم الخليل عليه السلام وخرج مهاجرا الى ربه ومعه لوط  
وسارة كما قال تعالى فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي فخرج يلتمس القرار بدينه والامان  
على عبادة ربه حتى نزل حران فكثرت بها مشاء الله ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج  
من مصر الى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين وهي بيرة الشام ونزل لوط بالموتفكة وهي  
على مسيرة يوم وليس له من السبع فبعثه الله تعالى نبيا الى أهلها وما قرب منها فذلك قوله تعالى  
ونجيناه و لوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين أي كما أنجينالك أنت يا أشرف الخلق ويا أفضل  
أولاده وصدقتك أبا بكر رضى الله تعالى عنه الى طيبة التي شرفناها بك وبشئنا من أنوارها في  
أرجاء الارض وأقطارها الم بنيت مثله قطوبيا ركنها للعالمين بالخلفاء الراشدين وغيرهم من العلماء  
والصالحين الذين انبتت خيراتهم العملية والعلمية والمالية في جميع الاقطار ولما ولد لبراهيم  
عليه السلام في حال شيخوخته وعجز امرأته مع كونها عقيما وكان ذلك الدال على الاقتدار على  
البعث الذي السياق كله له قال تعالى (ووهبنا له) دال على ذلك بنون العظيمة (اسحق) أي من  
شبه العدم وترل شرح حاله لتقدمه أي فكان ذلك دليلا على اقتدارنا على ما نريد لاسيما من اعادة  
الخلق في يوم الحساب ثم انه قد يظن أنه لتولده بين شيخ فان ويجوز تقسيم كان على حالة من الضعف  
لا يولد مثله معه اني ذلك بقوله تعالى (ويعقوب ناقة) اي ولدا لاسحق زيادة على مادعا به  
ابراهيم عليهم السلام ثم نبي سبحانه وتعالى أولاد يعقوب وهو اسرائيل وذرياتهم الى أن ساموا  
النجوم عدة وباروا الجبال شدة (وكلا) من هؤلاء الاربعة وهم ابراهيم ولوط واسحق ويعقوب  
وعظم رتبهم بقوله تعالى (جعلنا صالحين) أي مهينين لطاعتهم لله تعالى لكل ما يروونه أو يراون  
له أو يراون منهم ثم لما ذكر انه تعالى أعطاهم رتبة الصلاح في أنفسهم ذكر انه تعالى أعطاهم  
رتبة الاصلاح لغيرهم فقال تعالى معظما لامتهم (وجعلناهم أئمة) أي اعلاما ومقاصد  
يقمدي بهم في الدين لما آتيناهم من العلم والنبوة وقرأ نافع وابن كثير وأبوهريرة بن سهل

الهمزة الثانية المكسورة بين الهمزة والياء ويجوز ابدالها عندهم ياء خالصة ولا يدخلون  
 بينهما شيئا وقرأ هشام بتحقيق الهمزتين وادخال ألف بينهما بخلاف غيره في الادخال  
 وعدمه والباقون بتحقيق الهمزتين من غير ادخال بلا خلاف (يهدون) أي يدعون اليانا  
 من وقضاء الهداية (يا صرنا) أي باذتنا (وأوحينا اليهم) أيضا (فعل) أي أن يفعلوا (الخيرات)  
 ليصنوهم عليها فيتم ~~ص~~ كما لهم بانضمام العلم الى العمل قال البقاعي ولعله تعالى عبر بالفعل  
 دلالة على أنهم امتثلوا كل ما وصى اليهم وقال الزمخشري أصله أن تفعل الخيرات ثم فعلا  
 الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك أقام الصلاة وابتاء الزكاة انتهى وقوله تعالى (واقام الصلاة  
 وابتاء الزكاة) من عطف الخاص على العام تعظيما لشأنهما لان الصلاة تقرب العبد الى  
 الحق تعالى والزكاة احسان الى الخلق قال الزجاج الاضافة في الصلاة عوض من تاء التأنيث  
 يعنى فيكون من الغالب لان القليل (وكانوا لنا) دائما جبلة وطبيعة (عابدين) أي موحدين  
 مخلصين في العبادة ولذلك قدم الصلاة \* القصة الثالثة قصة لوط عليه السلام المذكورة  
 في قوله تعالى (ولوطا) أي وابتا لوطا واذكر لوطا ثم استأنف قوله تعالى (انينا محكما) أي  
 نبوة وعملا محكما بالعلم وقيل فصلايين الخ صوم (وعلمنا) من يناب العمل مما ينبغي عمله للانبياء  
 (ونجيناهم من القرية) أي قرية سدوم (التي كانت) قبل انجذابها اليها (تعمل) أي أهلها الاعمال  
 (النجيات) من الاواط والرى بالبندق واللعب بالطيور والتضارط في انديتهم وغير ذلك وانما  
 وصف القرية بصفة أهلها وأسندها اليها على حذف المضاف واقامته مقامه وبدل عليه (انهم  
 كانوا) أي بما جبلوا عليه (قوم سوء) أي ذوى قدرة على الشر بانهم كهم في الاعمال السيئة  
 (فاسقين) أي خارجين من كل خير (وأدخناهم) دونهم (في رحمتنا) أي في الاحوال السنية  
 والاقوال العلية والافعال الزكية التي هي سبب للرحمة العظمى ومسيبة عنهم على ذلك بقوله  
 تعالى (انه من الصالحين) أي الذين سبقت لهم منا الحسنى أي لما جبلا له عليه من الخير \* القصة  
 الرابعة قصة نوح عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (ونوحا) أي واذكر نوحا (اذ) أي حين  
 (نادى) أي دعا الله تعالى على قومه بالهلاك بقوله رب لا تدع على الارض من الكافرين ديارا  
 ونحوه من الدعاء (من قبيل) أي من قبيل لوط ومن تقدمه (فاستجبنا) أي أردنا الاجابة  
 وأوجدناها بعظمتنا (له) في ذلك النداء ثم تسبب عن ذلك قوله تعالى (فجييناه وأهله) أي الذين  
 دام ثباتهم على الايمان وهم من كان معه في السفينة (من الكرب العظيم) أي من أذى قومه  
 ومن الفرق والكرب الغم الشديد قاله السدي وقال أبو حيان الكرب أقصى الغم والاخذ  
 بالنفس وهو هنا الفرق عبر عنه بأول احوال ما أخذ الفريق (فأنصرناه) أي منعناه (من القوم)  
 أي المتصفين بالقوة (الذين كذبوا باياتنا) من أن يصابوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على (انهم  
 كانوا قوم سوء) أي لا عمل لهم الا ما يسوء (فأغرقناهم أجمعين) لاجتماع الامرين تكذيب الحق  
 والانهمال في الشر لم يجتمعا في قوم الا وأهلكهم الله تعالى \* القصة الخامسة قصة داود وسليمان  
 عليهما السلام المذكورة في قوله تعالى (وداود وسليمان) ابنه أي اذكرهما واذكر

شأنهما (أذ) أي حين (يحمكان في الحرث) الذي أنبت الزرع وهو من اطلاق اسم السبب  
على المسبب كالسما على المطر والنبت قال ابن عباس وأكبر المفسرين كان ذلك كرمًا  
قد تدلت عنائده وقال قتادة كان زرعًا قال ابن الخازن وهو أشبه للعرف (أذنفشت)  
أي انتشرت أسلاب غير راع (فيه غنم القوم) فرعته قال قتادة النفس في الليل والعمل في  
النهار (وكأن الحكمة بهم) أي الحكيمين والمحاكين اليهما (شاهدين) أي كان ذلك بعلمنا  
ومرأى منا لا يخفى علينا علمه وقال الشرايع جمع الاثنين فقال لحكمهم ويريد داود وسليمان  
لأن الاثنين جمع وهو مثل قوله تعالى فان كان له اخوة فلا تمه السدس وهو يريد أخوين  
قال ابن عباس وقاتلة وذلك ان رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث  
والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان هذا انقلت غنمه ايلا فوقت في حرثي  
فأفسدته فلم يتبق منه شيئاً فأعطاه داود رقاب الغنم بالحرث فخرجا فقرأ على سليمان عليه السلام  
فقال كيف قضى بينكما فأخبراه فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة لو وليت أمرهما  
لقضيت بغير هذا وروى أنه قال غير هذا أرفق بالفريقين فأخبر بذلك داود فدعا فقال كيف  
تقضى وروى انه قال بحق النبوة والايوة الاما أخبرتنى بالذي هو أرفق بالفريقين قال ادفع  
الغنم الى صاحب الحرث فينتفع بذرها ونسلها ووصوفها ويذكر صاحب الغنم لصاحب الحرث  
مثل حرثه فاذا صار الحرث كهنته دفع الى أهله وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء  
ما قضيت كما قال تعالى (فقهمناها) أي الحكومة (سليمان) أي علمناه القضية وألهمناها له  
\* (تنبه) \* يجوز أن تكون حكومتهم ما بوحى الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمان  
ويجوز أن تكون باجتهاد الا ان اجتهاد سليمان أشبه بالصواب (فان قيل) ما وجه كل واحدة  
من الحكومتين (أجيب) بأن وجه حكومة داود ان الضرر وقع بالغنم فسلبت بيميناتها الى  
الجنى عليه كما قال أبو حنيفة في العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك أو يفديه وعند  
الشافعي يبيعه في ذلك أو يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه  
حكومة سليمان انه جعل الاتقاع بالغنم بازاء ما فات من الاتقاع بالحرث من غير أن يزول ملك  
المالك عن الغنم وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان  
مثاله ما قال أصحاب الشافعي فيمن غصب عبداً وأبق من يده انه يضمن بالقيمة فينتفع بها  
المغضوب منه بازاء ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر تراذا (فان قيل) لو وقعت  
هذه الواقعة في شريعتنا ما حكمها (أجيب) بأن أبا حنيفة وأصحابه لا يرون فيها ضمانا  
بالليل أو بالنهار الا أن يكون مع البهية سابق أو قائدا لقوله صلى الله عليه وسلم جرح البهائم  
جباراً أي هدر رواء الشيطان وغيره ما والشافعي وأصحابه يوجبون الضمان بالليل اذا المعتاد  
ضبط الدواب ليلا ولذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطاً وأفسدته  
فقال على أهل الاموال حفظها بالنهار وعلى أهل المشية حفظها بالليل وما كان ذلك  
ربما وهم شيئاً في أمر داود ونفاه بقوله تعالى (وكلا) أي منهما (آتيناهم) أي نبوة وعلا

مؤسسا على حكمة العلم (وعلميا) مؤيدا بصالح العمل وعن الحسن لولا هذه الآية لرأيت القضاة  
 قد هلكوا ولكنه تعالى أثنى على سليمان عليه السلام لصوابه وعلى داود باجتهاده انتهى  
 وهذا على الرأي الثاني وعليه أكثر المفسرين وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد  
 فأخطأ فله أجر وهل كل مجتهد مصيب أو المصيب واحد لا يعينه رأيان أظهرهما الثاني وإن  
 كان مخالفا لمفهوم الآية اذ لو كان كل مجتهد مصيبا لم يكن للتقسيم في الحديث معنى وقوله  
 صلى الله عليه وسلم وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر لم يرد به أنه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على  
 اجتهاده في طلب الحق لأن اجتهاده عبادة والائتمار في الخطأ عنه موضوع \* (فائدة) \* من أحكام  
 داود وسليمان عليهما السلام ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم يقول كانت امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب فذهب بابن احداهما فقالت لصاحبتها  
 انما ذهب بابني وقالت الاخرى انما ذهب بابني فقاما الى داود فقضى به للكبرى فخر جتا على  
 سليمان فأخبرناه فقال اتوني بالسكين أشقه بينكما فقالت الصغرى لا تفعل برجل الله هو ابنا  
 فقضى به للصغرى أخرجاه في الصحيحين ثم انه تعالى ذكر داود وسليمان بعض معجزات فن بعض  
 معجزات الاقل ما ذكره بقوله تعالى (وسفرنا مع داود الجبال) مع صلابتها وعظمتها (يسجن)  
 معه أي يقدر الله تعالى ولو شئنا لجعلنا الحث والغنم تكلمه بصواب الحكم وقال ابن عباس  
 كان يفهم تسبيح الحجر والشجر وقوله تعالى (والطير) عطف على الجبال أو مفعول معه وقال  
 وهب كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذا الطير وقال قتادة يسجن أي يصلين معه اذا صلى وقيل  
 كان داود اذا قرأ يسبح الله تعالى تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق اليه وقيل  
 يسجن بلسان الحمال وقيل يسبح من رآها تسبى به بتسبيح الله تعالى فلما جبلت على التسبيح  
 وصفت به (وكافاعلين) أي من شأنا الفعل لامثال هذه الافاعيل ولكل شئ يزيد فلا تستكثروا  
 علينا امرأوان كان عندكم حيا وقد اتفق نحو هذا الخبر واحد من هذه الامة كان مطرف  
 ابن عبد الله بن الشخير اذا دخل بيته سجدت معه أبيته وأما النبي صلى الله عليه وسلم فكان  
 الطعام يسبح بحضرتة والحصى وغيره (وعلمناه صنعة لبوس) أي صنعة الدروع التي تلبس  
 في الحرب قال قتادة أول من صنع هذه الدروع وسردها واتخذها حقا داود وكانت من قبل  
 صفة نح و قد ألان الله تعالى لداود الحديد فكان يعمل منه بغير نار كأنه طين قال البيهقي وهو  
 أي اللبوس في اللغة اسم لكل ما يلبس ويستعمل في الاسلحة كلها وهو بمعنى اللبوس كالحلوب  
 والر كوب وقوله تعالى (لكم) متعلق بعلم أو صفة اللبوس وقوله تعالى (لتحصنكم من بأسكم)  
 بدل منه بدل اشتمال باعادة الجار ومراجع الضمير يختلف باختلاف القراءات فقرأ أشعة بالنون  
 فالضمير لله تعالى وقرأ ابن عامر وحفص بالتاء على التأنيث فالضمير للصنعة أو اللبوس على تاويل  
 الدرع وقرأ الباقرن بالياء التحية فالضمير لداود أو اللبوس وقوله تعالى (فهل أتمم شاكرون)  
 أي لنا على ذلك أمر أخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة أو التقرير ومن بعض معجزات

الثاني ما ذكره بقوله (واسلميان) أي وسفرنا سليمان (الريح) قال البغوي وهو هو ويتحرك وهو  
 جسم لطيف يمنع بلطفه من القبض عليه ويظهر للعس بجر كته والريح تذكروثوث (عاصفة)  
 أي شديدة الهبوب (فان قبيل) قد قال تعالى في موضع آخر تجرى بأمره رشاء والرياء اللين  
 (أجيب) بأنها كانت تحت أمره ان أراد ان تشتد اشتدت وان أراد ان تلين لانت وقيل كانت  
 في نفسها رغبة طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه أبعثت به في مدة يسيرة على ما قال تعالى  
 غدوها شهر ورواحها شهر وقوله تعالى (تجري بأمره) أي بشيئته حال ثابة أو يدل من الاول  
 أو حال من ضميرها (الى الارض التي باركنا فيها) أي الشام وذلك أنها كانت تجري بسليمان  
 وأصحابه الى حيث شاء سليمان ثم يعود الى منزله بالشام قال وهب بن منبه كان سليمان عليه  
 السلام اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام اليه الجن والانس حتى يجلس على سريره  
 وكان امرأ غزاه قلوبا يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الارض بلك الا أتاه حتى يذله فكان  
 اذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له بخشب ثم نصب له على الخشب ثم جعل عليه النامس والدواب  
 وآلة الحرب فاذا جعل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتلته  
 حتى اذا استقلت به أمر الرشاء فزت به شهراني روحته وشهراني غدوته الى حيث أراد وكانت تمر  
 بعسكره الريح الرشاء بالمرزعة فماتت كها ولا تثير ترابا ولا تؤذي طائرا وقال مقاتل نسبت  
 الشياطين لسليمان بساطا فرسخا في فرسخ ذهباني ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط  
 البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة تقعد الانبياء عليهم السلام على  
 كرسي الذهب والعلماء على كرسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتطله  
 الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى  
 الراح ومن الراح الى الغروب وقال سعيد بن جبير كان يوضع لسليمان ستمائة ألف كرسي  
 تجلس الانس مما يليه ثم تليهم الجن ثم تظلمهم الطير ثم تحملهم الريح وقال الحسن بن المنكث  
 الخليل نبى الله سليمان حتى فاتته صلاة العصر غضب الله فعقر الخيل فأبدله الله مكانها خيرا منها  
 وأسرع وهي الريح تجرى بأمره كيف يشاء فكان يغدو من ايلياء فيقبل باصطخر ثم يروح منها  
 فيكون رواحا يابل وقال ابن زيد كان له مركب من خشب وكان فيه ألف ركن في كل ركن  
 ألف بيت تركب معه فيه الجن والانس تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك الركن فاذا  
 ارتفعت أتت الريح الرشاء فسارت به وبهم يقبل عند قوم يئسه وبينهم شهر ولا يدري القوم  
 الا وقد أظلمهم معه الجيوش (وكذا) أي أزلا وأبدا باحاطة العظمة (بكل شيء) أي من هذا  
 وغيره من أمره وغيره (عالمين) ومن علمنا ان ذلك لا يزيدهم الا تواضعا وكما مضى لنا الريح له ضررها  
 للنبي صلى الله عليه وسلم ايالى الاحزاب قال حذيفة رضي الله عنه حتى كانت تغدوهم بالبحارة  
 ما تجاوز عسكرهم فهزمهم الله تعالى بها وردوا بغنظهم لم ينالوا خيرا وأعطى صلى الله عليه  
 وسلم أعم مما أعطى جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقد أعطى صلى الله عليه وسلم التصرف  
 في العالم العلوي الذي جعل الله تعالى منه الفيض على العالم السفلي بالاحتراق لطباقة

بالاسراء ناره وبامسالك المطر لما دعا بسبع كسبع يوسف عليه السلام وبارسالة أخرى كما في أحاديث  
 كثيرة وأتى مع ذلك بمفاتيح خزائن الأرض كلها فتردها صلى الله عليه وسلم (ومن) أي وسخرنا  
 سليمان من (الشياطين) الذين هم أكثر شئ تمردا وعتوا (من يفوضون له) أي يدخلون في البحر  
 فيخرجون منه الجواهر وغيرها من المنافع وذلك بأن أكتفنا أجسامهم مع لطافتها لتقبل  
 الغوص في الماء معجزة في معجزة وقد خلق نينا صلى الله عليه وسلم العقرية التي جاءه بشهاب  
 من نار وأسر جماعة من أصحابه رضي الله تعالى عنهم عقاريت أتوا إلى عمر الصدقة وأمكنهم  
 الله تعالى منهم (ويعملون عملا دون ذلك) أي سوى الغوص كبناء المدن والقصور واختراع  
 الصنائع الغربية كقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الآية (وكانهم حافظين)  
 أي حتى لا يخرجوا عن أمره وقال الزجاج معناه حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا وكان من عادة  
 الشياطين إذا عملوا عملا بالتهار وفرغوا منه قبل الليل أفسدوه وخربوه وفي القصة أن سليمان كان  
 إذا بعث شيطانا مع إنسان ليعمل له عملا قال له إذا فرغ من عمله قبل الليل فاشغله بعمل آخر لئلا  
 يفسد ما عمل ويخرجه \* القصة السادسة قصة أيوب عليه السلام المذكورة في قوله تعالى  
 (وأيوب) أي واذكر أيوب ويبدل منه (أذ نادى ربه) قال وهب بن منبه كان أيوب عليه السلام  
 رجلا من الروم وهو أيوب بن أموص بن وزاح بن روم بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم وكانت  
 أمته من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه وتبأه وبسط عليه الدنيا وكانت له الثنية من  
 أرض البلقاء من أعمال حوران من أرض الشام كلها سهلهما وجبلها وكان له فيها من أصناف  
 المال كله من الأبل والبقر والغنم والخيول والحمر ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدة والكترة  
 وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبدا امرأة وعبد وولد ومال ويحمل آلة كل  
 فدان أتان لكل أتان من الولد اثنان أو ثلاث أو أربع أو خمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد  
 أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان برًا تقيا رحيما بالمساكين يطعمهم ويكفل الأيتام  
 والأرامل ويكرم الضيف ويلبغ ابن السبيل وكان شاكرًا أنعم الله مؤديا لخلق الله تعالى قد امتنع  
 من عبدة الله ابليس أن يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من الغرة والفقلة والتشاغل عن  
 أمر الله بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من اليمن يقال له  
 اليفن ورجلان من بلده يقال لاحدهما بلدد والآخر صبر وكانوا كهولا وكان ابليس  
 لا يحب عن شئ من السموات وكان يقف فيهن حينما أراد حتى رفع الله تعالى عيسى عليه  
 السلام فحب من أربع فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن السموات كلها إلا من استرق  
 السمع فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب عليه السلام وذلك حين ذكره الله تعالى  
 وأثنى عليه فأدركه النبي والحسد فعدس ريعا حتى وقف من السماء موقفا كان يقفه فقال  
 الهي تطرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرت وعافيته فحمدت ولو  
 اتلته بنزع ما أعطيت له لحال عما هو عليه من شكرت وعبادتك ونظرت من طاعتك قال الله  
 تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله ابليس حتى وقع على الأرض ثم جمع عقاريت

الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني قد سلطت على مال أيوب وهي المصيبة  
 القادحة والمقتنة التي لا تصبر عليها الرجال فقال عفریت من الشياطين أعطيت من القوة ما اذا  
 شئت تحولت اعصارا من نار واحرق كل شيء أتى عليه قال له ابليس فأت الابل ورعاتها فأتى  
 الابل وقد وضعت رؤوسها ورعت في مراعيها فلم يشعر الناس حتى نار من تحت الارض اعصار  
 من نار لا يدنو منها أحد الا احترق فأحرق الابل ورعاتها حتى أتى على آخرها ثم جاء عدو الله  
 ابليس في صورة قبيحة على قعود الى أيوب فوجدته قائما يصلي فقال يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت  
 اهلك فأحرقتها ومن فيها غيري فقال أيوب الحمد لله الذي أعطانيها وهو أخذها وانها مال الله  
 أعارنيها وهو أولى بها اذا شاء تركها واذا شاء نزعها وقديما كنت وطلت نفسي ومالي على الفناء  
 قال ابليس فان الله ربك أرسل عليها نار من السماء فاحترقت فتركت الناس مهوتين يتعجبون  
 منها منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيئا وما كان أيوب الا في غرور ومنهم من يقول لو كان  
 اله أيوب يقدر على أن يصنع شيئا يمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ليشتت به عدوه  
 ويقمع صديقه فقال أيوب الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن أمي  
 وعريانا أعود في التراب وعريانا أحشر الى الله عز وجل ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعطاك  
 الله وتجزع حين قبض الله على عاريتك الله أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله تعالى فيك أيها العبد  
 خيرا النقل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرًا فأخرجك فرجع  
 ابليس الى أصحابه خاسئا ذليلا فقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني لم أكلم قلبه قال عفریت  
 عندي من القوة ما اذا شئت صحت صيحة لا يسمعها ذور روح الا خرجت روحه قال ابليس فأت  
 الغنم ورعاتها فأنطلق حتى توسطها ثم صاح صيحة فتجتمت أمواتا من عند آخرها وماتت رعاتها  
 ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة الى أيوب وهو يصلي فقال له مثل القول الاول فرد عليه  
 أيوب مثل الرد الاول ثم رجع ابليس الى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فاني لم أكلم قلب  
 أيوب فقال عفریت عندي من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شيء أتى عليه  
 قال فأت القسادين والحراث فانطلق حين شرع القسادون في الحراث والزرع فلم يشعر واحق  
 هبت ريح عاصف فنسفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمان  
 الحراث الى أيوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الاول فرد عليه أيوب مثل رده الاول وجعل  
 ابليس يهلك أمواله مالا مالا حتى مر على آخره كلما انتهى اليه هلاك مال من أمواله حمد الله  
 تعالى وأحسن الثناء عليه ورضى عنه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى لم يبق له مال  
 فلما رأى ابليس انه قد أفنى ماله ولم ينتج منه بشي صعد سر يعا حتى وقف في الموقف الذي يقف  
 فيه وقال الهی ان أيوب يرى انك ما متعته بولده فأنت تعطيه المال فهل أنت مسلط على  
 ولده فانها المصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ولده  
 فانقض عدو الله ابليس حتى جاء بني أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من  
 قواعدهم وجعل يجرده يضرب بعضها بعضا ويرميهم بالخشب والحجارة حتى مثل بهم كل مثله

ورفع القصر فقلبه فصار وامنكبين وانطلق الى أيوب ممثلاً بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة  
 وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه ودماغه فأخبره وقال لورايت بيديك كيف عذبوا  
 وقلبو افكانوا منكبين على رؤسهم تسيل دماؤهم ولورايت كيف شقت بطونهم قناترت  
 امعاؤهم لقطع قلبك فلم يزل يقول هذا وأضحوه حتى رق قلب أيوب وبكى وقبض قبضة من  
 التراب فوضعهما على رأسه وقال ليت أمتي لم تلدني فاعتنم ابلين ذلك فصعد سر يعابا الذي كان  
 من جزع أيوب مسرورا به ثم يلبث أيوب ان قام وأبصر واستغفر فصد قرناؤه من الملائكة  
 بتوبته فسبقت توبته الى الله عز وجل وهو أعلم فوقف ابلين خاسئا ذليلا وقال الهى  
 انما هو ن على أيوب المال والولد انه يرى انك مامتعه بنفسه فانك تعبد له المال والولد فهو ل  
 أنت مسلط على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك  
 سلطان على لسانه ولا على قلبه ولا على عقله وكان الله عز وجل أعلم به لم يسلطه عليه الارحمة  
 لا يوب لي عظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكري للعالمين في كل بلاء نزل بهم ليتساوا به في  
 الصبر ورجاء الثواب فاتقض عدو الله سر يعاب فوجد أيوب في مصلاه ساجدا فاجل قبل  
 أن يرفع رأسه فأتاه من قبل وجهه فنفتح في منخره نفخة اشتعل منها ساثر جسده فخرج من قرنه  
 الى قدمه نابل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها  
 بالمسوح الخسنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخسنة فلم يزل يحكها حتى يقل لحمه  
 وتقطع وتغير وأتت وأخرجته أهل القرية وجعلوه على كاسة وجعلوا له عريشا فرضه خلق الله  
 كلهم غير امرأته وهي رجة بنت افراتيم بن يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة  
 والسلام فكانت تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه ولما رأى الثلاثة من أصحابه وهم اليقن  
 وبلدد وصابر ما ابتلاه الله تعالى به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوادينه فلما طال به  
 البلاء انطلقوا اليه فبكتوه ولاموه وقالوا له تب الى الله تعالى من الذنب الذي عوقبت عليه  
 قال وحضره معهم فتي حديث السن قد آمن به وصدقته فقال لهم انكم تكلمتم أيها الكهول  
 وانتم أحق بالكلام مني لاسنانكم ولكنكم تركزتم من القول أحسن من الذي قلتم ومن  
 الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الامر أجمل من الذي أتيتم وقد كان لا يوب عليكم من الحق  
 والذمام أفضل من الذي وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انقصتم وحرمة من  
 اتهمكم ومن الرجل الذي عبت واتهمتم ألم تعلموا انه أيوب نبي الله وخيرته وصفوته من أهل  
 الارض الى يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على انه قد مضى شيئا من أمره منذ ما آناه الله  
 ما آناه الى يومكم هذا ولا انه نزع شيئا منه من الكرامة التي أكرمها بها ولا ان أيوب قال على الله  
 غير الحق في طول ما صيتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي ازرى به عندكم ووضعه  
 في انفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يتلى المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين وليس  
 بلاؤه لا وانك على حظه عليهم ولا هو انه لهم ولكن اكرامة وخبرة لهم ولو كان أيوب ليس من  
 الله بهذه المنزلة الا انه أخ خيموه على وجه العصبة لكان لا يجمل بالحكيم أن يعذل أخاه عند



البلاء ولا يعبره بالصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين وانكته يرحمه ويبيكي معه  
 ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على أرشده أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله  
 الله أي الكهول فقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم  
 ألم تعلموا ان الله عبادا أسكتهم خشيته من غير عي ولا يكتم وانهم لهم الضعفاء البلاء  
 الالباء العالمون بالله ولكنهم اذا ذكر واعظومة الله انقطع ألسنتهم واقشعرت جلودهم  
 وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظما الله واجلاله فاذا استفاقوا من ذلك استبقوا  
 الى الله بالاعمال الراسية يعتدون أنفسهم مع الظالمين والخاطئين وانهم لا يراروا مع  
 المقصرين المفرطين وانهم لا يكاس أقدوا فقال أيوب ان الله سبحانه وتعالى يزرع الحكمة  
 بالرحمة في قلب الصغير والكبير فتي ثبتت في القلب يظهرها الله تعالى على اللسان وليست  
 تكون الحكمة من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة واذا جعل الله العبد حكما  
 في الصب لم تنقط منزلته عند الحكماء وهم يرون عليه من الله تعالى نور الكرامة ثم أعرض عنهم  
 أيوب عليه السلام يعني الثلاثة وقال أتيتوني غضابا رهبت قبل أن تسترهبوا وبكيت قبل  
 أن تضربوا فكيف بي لو قلت تصدقوا على بأموالكم لعل الله أن يخلصني أو قربوا قربا لعل  
 الله أن يقبله ويرضى عني وانكم قد أعجبتم أنفسكم وطمنتم انكم عوضتم باحسانكم  
 ولو نظرت فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوباً قدسترها الله تعالى بالعافية التي  
 ألبسكم وقد كنتم فيما خلا توفرونني وأنامسوع كلامي معروف حتى منتصف من خصمي  
 فأصحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام وأنتم كنتم أشد علي من مصيبي ثم أعرض عنهم أيوب  
 وأقبل على ربه مستعينا به مستغفرا متضرعا اليه فقال يا رب لا ي شي خلقني لبتني اذ كرهتني  
 لم تخلقني باليتيم عرفني الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني  
 لو كنت أمتني فألحقني بآبائي فال موت كان أجمل بي ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا  
 ولليتيم وليا وللارملة قريبا الهى أنا عبدك ان أحسنت الي فالمت لك وان أسأت فيبدلك عقوبي  
 جعلتني للبلاء غرضا وللقتنة نصبا وقد وقع بي بلاء لوساطته على جبل ضعف عن حمله فكيف  
 يحمله ضعفي فان قضاءك هو الذي أذلني وان سلطانك هو الذي أسقمني وأنجح جسمي ولو ان  
 بي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكم بمل عني فأدلي بعذري وأتكم ببراهني  
 وأخاصم عن نفسي لرجوت أن يعاقبني عند ذلك مما بي ولكنه ألقاني وتعالى عني فهو يراني  
 ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه  
 هذاب ثم نودي يا أيوب ان الله تعالى يقول ها أنا قد دونت منك ولم أزل منك قريبا قم فأدل بعذرك  
 وتكلم بحجتك وخاصم عن نفسك واشدد أوزرك وقم مقام جبار يخاصم جبارا ان استطعت  
 فانه لا ينبغي أن يخاصمني الاجبار مثلي لقد مننتك نفسك يا أيوب أمر اما بلغ مثله قوتك أين  
 أنت حتى يوم خلقت الارض فوضعتها على أساسها هل كنت معي عند باطرافها هل أنت عمت بأبي  
 مقدار قدرتها أم على أي شي وضعت أكتافها ابطاعتك حمل الماء الارض أم بحكمتك كانت

الارض للماء غطاء أين كنت متى يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا  
 يقلها دعم من تحتها هل تبلغ من حكمته ان تجرى نورها أو تسير نجومها أو يختلف بأمر ليلها  
 ونهارها أين أنت متى يوم انبعث الانهار وسكرت البحار بأبطانك حبست أمواج البحار على  
 حدودها أم قدوتك فتحت الارحام حتى بلغت مدتها أين أنت متى يوم صببت الماء على التراب  
 ونصبت شواخ الجبال هل تدري على أي شيء أرسيتها أم بأي مثقال وزنتها أم هل لك من ذراع  
 تطبق جلها أم هل تدري أين خزانة الثلج أم أين جبال البرد أم أين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار  
 بالليل وأين خزانة الريح وبأي لغة تتكلم الاشجار من جعل العقول في أجواف الرجال ومن شق  
 الاسماع والابصار ومن دانت الملائكة للملك وقهر الجبارين بجبروته وقسم الارزاق بحكمته في  
 كلام كثير يدل على كمال قدرته ذكرها الايوب فقال ايوب عليه الصلاة والسلام كل شأني وكل  
 لساني وكل عقلي ورأبي وضعفت قوتي عن هذا الامر الذي تعرض لي يا الهى قد علمت ان كل  
 الذي ذكرت صنع يدك وتدبير حكمتك وأعظم من ذلك وأعجب لو شئت علمت لا يجز عنك شيء ولا  
 تخفى عليك خافية أداني البلاء يا الهى فتكلمت فكان البلاء هو الذي أنطقني فليت الارض  
 انشقت بي فذهبت فيها ولم أنكلم بشيء يسخط ربي وليتني مت بغمي في أشد بلائي قبل ذلك انما  
 تكلمت حين تكلمت لتعذرني وسكت حين سكت لترجني كلمة زلت مني فلم أعد قد وضعت يدي  
 على فمي وعضضت على لساني وألصقت بالتراب خدي أعوذ بك اليوم منك واستجير بك من  
 جهد البلاء فأجرني واستغفمت بك من عقابك فأغثنني وأستعين بك على أمري فأعني وأتوكل  
 عليك فأكفني واعتصم بك فأعصمني واستغفرك فأعقر لي فان أعوذ لشيء تكرهه مني قال الله  
 تعالى يا ايوب نفذ فيك على وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك فقال ايوب (الي) قد مسني  
 الضرر بتسلطك الشيطان على فديني وأهلي ومالي وقد طمع الآن في ديني وذلك انه زين  
 لامرأة ايوب ان تأمره أن يذبح اصنم فانه يبرأ ثم توب فقطن لذلك وحلف ليضربنهما ان  
 برأ مائة جلدة وقال وهب لبيث ايوب في البلاء ثلاث سنين وروى عن أنس يرفعه أن ايوب  
 لبيث بيلاثة ثمان عشرة سنة وقال كعب سبع سنين وقال الحسن مكث ايوب مطر وحاعلي  
 كئاسة لبيث اسرائيل سبع سنين وشهرا يمتثلون في الدواء ولا يقربه أحد غير امرأته رجلة  
 صبرت معه فحمد الله معه اذا جحد وايوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلائه  
 فلما غلب ايوب ابليس ولم يستطع منه شيئا اعترض امرأته في هشة ليست كهشة بني آدم في  
 العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مركب الناس له عظم وجماء وكما قال  
 لها انت صاحبة ايوب هذا الرجل الميتي قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا فقال لها انا اله  
 الارض وأنا الذي صنعت بصاحبك لانه أطاع اله السماء وترصفتي فاغضبني ولو صبدني  
 صيدة واحدة رددت عليه وعليك كل ما كان من مال وولد وأهالي اياهم يبطن الوادي الذي  
 لقيها فيه قال وهب وقد سمعت أنه انما قال لها لو أن صاحبك أكل طعاما ولم يسم عليه لعوفي مما  
 به من البلاء وفي بعض الكتب أن ابليس قال لها صبدني لي صيدة حتى أرد عليك المال

والاولاد وأعانى زوجك فرجعت الى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراها قال لقد أنالك عدو واقه  
ليقتنك عن دينك ثم أقسم ان الله عاقاه ليضربنهما مائة جلدة وعند ذلك قال مسنى الضر من  
طمع ابليس في سجد حرمتي ودعائه ايلها واياي الى الكفر (وأنت) أي والحال أنت (أرحم  
الراجين) فافعل بي ما يفعل الرحمن بالضرور وهذا تعريض بسؤال الرحمة حيث ذكر نفسه بما  
يوجب الرحمة وذكر به بقاية الرحمة ولم يصرح فكان ذلك اللطف في السؤال فهو أجدر بالنوال  
ويحكى أن جهوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا أمير المؤمنين مشت جردان بقي على  
العصا فقال لها ألفت في السؤال لاجرم لارتدتها ثوب وثوب اليهود وملايتها حاجبا ثم ان الله  
تعالى رحم رحمة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عليها وأراد أن يبرئ عين أيوب فأمره  
أن يأخذضة مما يشتمل على مائة عود صغار فيضرب به ضربة واحدة كما قال تعالى في آية أخرى  
وخذي يدك ضعفا فاضرب به ولا تحنث وروى أن ابليس اتخذ تابوتا وجعل فيه أدوية وجلس  
على طريق امرأة أيوب يداوى الناس فترت به امرأة أيوب فقالت ان لي مريضا أقدا و به قال  
نعم ولا أريد شيئا إلا أن يقول اذا شفيت أنت شفيتني فذكرت ذلك لايوب فقال هو ابليس قد  
خدعك وحلف ان شفاه الله تعالى ليضربنهما مائة جلدة وقال وهب وغيره كانت امرأة أيوب  
تعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليه البلاء ستمها الناس فلا يستعملها أحد فالتفت له يوما  
من الايام ما تطعمه فلوجدت شيئا فجرت قرنان من رأسها قباعته برغيف فأنتبه به فقال لها أين  
قرنك فأخبرته فحينئذ قال مسنى الضر وقال قوم انما قال ذلك حين قصد الدود الى قلبه ولسانه  
نغشى أن يمنع عن الذكر والفكر وقال حبيب بن أبي ثابت لم يدع الله تعالى بالكشف حتى  
ظهرت له ثلاثة أشياء أحدها قدم عليه صد يقان حين بلغهما خبره فخا إليه ولم يبق الا عيناه  
ورأيا امرأة عظيمة فقال لو كان عند الله لك منزلة ما أصابك هذا والثاني ان امرأة طلبت طعاما  
فلم تجد ما تطعمه فباعته ذوابتها وجلت اليه طعاما والثالث قول ابليس اني أداويه على أن  
يقول أنت شفيتني وقيل ان ابليس وسوس اليه ان امرأة زنت فقطعت ذوابتها فحينئذ عمل  
صبره وحلف ليضربنهما مائة جلدة وقيل معناه مسنى الضر من شماتة الاعداء وقيل قال ذلك  
حين وقعت دودة من نغمة فردتها الى موضعها وقال كلني جعلني الله تعالى طعامك فعضته  
عضة زادا لها على جميع ما قامى من عض الديدان (فان قيل) ان الله تعالى سماه صابرا وقد  
أظهر الشكوى والجزع بقوله اني مسنى الضر ومسنى الشيطان بنصب (أجيب) بأن هذا  
ليس بشكوى انما هو دعاء بدليل قوله تعالى (فاستجبنا له) والجزع انما هو الشكوى الى الخلق  
وأما الشكوى الى الله تعالى فلا يكون جزعا ولا ترك صبرا كما قال يعقوب عليه السلام انما أشكو  
بني وحزني الى الله وقال سفيان بن عيينة من أظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضاء الله  
تعالى لا يكون ذلك جزعا كما روى أن جبريل عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه  
وسلم فقال كيف تجدك قال أجدن مغموما أجدن في مكروبا وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي  
الله تعالى عنها حين قالت وارا ساهبل أنا وارا ساه وروى ان امرأة أيوب قالت له يوما لودعوت

الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحي من الله ان ادعوه وما بلغت  
 مدة بلائي مدة رخائي ثم تسبب عن الاجابة قوله تعالى (فكشفتنا) أي بما لنا من العظمة (ما به  
 من ضر) بأن أمرناه أن نركض برجله فتتبع له عين من ماء كما قال تعالى اركض برجلك هذا  
 مغتسل بارد وشراب فركض برجله فانفجرت له عين ماء فدخل فيها فاغتسل فأذهب الله تعالى كل  
 ما كان به من البلاء بظاهرة ثم مشى أربعين خطوة فأمره أن يضرب برجله الارض مرة أخرى  
 فعمل فتبع عين ماء بارد فأمره فشرب منها فذهب كل داء كان يسيطره فصار كاصح ما يكون من  
 الرجال وأجلهم فأقبل أمر أنه تلقته في مضجعه فلم تجده فقامت كالوالهة ثم جاءت اليه وهي  
 لا تعرفه فقالت يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتي الذي كان ههنا قال نعم ومالي لا أعرفه فتبسم  
 وقال أنا هو فعرفته بضمك فاعتنقته قال ابن عباس فوالذي نفس عبد الله بيده ما فارقه من  
 عناقه حتى ردها ما كل ما كان لهما كما قال تعالى (وآتيناه أهله) أي أولاده الذكور والانات بأن  
 أحيوا له وكل من الصنفين ثلاث أوسع (ومثلهم معهم) أي من زوجته رجة وزيد في شبابها هذا  
 ما دل عليه أكثر المفسرين وقيل اتاه الله تعالى المثل من نسل ماله وولده الذي رده اليه أي فولد  
 له من ولده نواقل وقال وهب كان له سبع بنات وثلاثة بنين وروى الضحاك عن ابن عباس رده  
 الي امرأته شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا وقال قوم آتى الله تعالى أيوب في الدنيا منسل  
 أهله الذين هلكوا فأما الذين هلكوا فانهم لم يرتدوا عليه في الدنيا وقال عكرمة قيل لايوب ان  
 أهلك لك في الآخرة وان شئت بخلناهم لك في الدنيا وان شئت كانوا لك في الآخرة وآتيناك  
 مثلهم في الدنيا فقال يكونون لي في الآخرة وأوق مثلهم في الدنيا فعلى هذا يكون معنى الآية  
 وآتيناه أهله في الآخرة ومثلهم معهم في الدنيا وروى عن أنس يرفعه كان لايوب أندران  
 أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله تعالى محابتين فأفرغت احدهما على أندر القمح الذهب  
 وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض وروى ان الله تعالى بعث اليه ملكا  
 فقال ان ربك يقربك السلام بصبرك فأخرج الي أندر فخرج اليه فأرسل عليه جرادا من ذهب  
 قيل انه لما اغتسل وخرج الدود منه جعل الله تعالى له أجنحة فطارت فبعها الله تعالى جرادا  
 من ذهب وأمطرت عليه فطارت واحده فاتبعها ووردها الي أندر فقال له الملك اما يكفيك ما في  
 أندرك فقال هذا بركة من بركات ربي ولا أشبع من بركته وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أيوب يغتسل عريا ناخرا عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يصيح  
 في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك وقوله  
 تعالى (رجة) مفعول له أي نعمة عظيمة ونخمها بقوله تعالى (من عندنا) بحيث لا يشك من ينظر  
 ذلك انما فعلناه الارجة مناله وان غيرنا لا يقدر على ذلك (وذكرى) أي عظة عظيمة (للعابدين)  
 أي كلهم ليتأسوا به فيصبروا اذا استلوا ولا يظنوا أن ذلك انما نزل بهم لهوانهم ويشكروا فيثابوا  
 كما أتيب وقيل لرحمتنا العابدين فانادى كرهتم بالاحسان ولا نساهم بالقصة السابعة قصة  
 اسمعيل وادريس وذى الصكفل المذكورة في قوله تعالى (واسمعيل) أي واذا ذكر اسمعيل بن

ابراهيم عليهما السلام الذي سخر ناله من الماء بواسطة الروح الامين ما عاش به صغيرا بعد  
 ما كان حاله كالا محالة ثم جعلناه طعام طعم وشفاء سقم دائم وصناه وهو كبير من الذبح حين رأى  
 أبوه في المنام أنه يذبحه ورؤيا الانبياء وحى وفديناه بذبح عظيم (و) اذكر (أدريس) أى ابن شيث  
 ابن آدم عليهم السلام الذي أحييناه بعد موته ورفعناه مكانا عليا وهو أول نبي بعث من نبي آدم  
 عليه السلام وتقدمت قصته في سورة مريم (و) اذكر (ذا الكفل) سمى بذلك قال عطاء لان  
 نبيا من أنبياء بنى اسرائيل أوحى الله تعالى اليه انى أريد أن أقبض روحك فاعرض ملكك  
 على بنى اسرائيل فمن تكفل لك أن يصلى بالليل لا يفتر ويصوم بالنهار لا يقطر ويقضى بين الناس  
 ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال انا تكفل لك به هذا فتكفل ووفى به  
 فشكر الله له ونبأه فسمى ذا الكفل وقال مجاهد لما كبر اليسع قال لو أنى استخلفت رجلا من  
 الناس يعمل عليهم في حياتى حتى أنظر كيف يعمل قال فجمع الناس فقال من يقبل منى ثلاثا  
 أستخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام رجل فقال انا فاستخلفه فأناه ابليس في  
 صورة شيخ ضعيف حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام بالليل والنهار الا تلك التومة فدق الباب  
 فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال ان بينى وبين قومي خصومة وانهم  
 ظلموني وفعالوا ما فعلوا وجعل يطول حتى ذهبت القائلة فقال اذا رحمت فأنتى فانى أخذ حقت  
 فانطلق وراح فكان فى مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يتبعه فلم يجده فلما كان القدر جعل  
 يقضى بين الناس وينظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وأخذ مضجعه أناه فدق الباب فقال من  
 أنت فقال الشيخ المظلوم ففتح له وقال ألم أقل لك اذا عمدت فأتى فقال انهم أخذت قوم اذا  
 عرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك حقت واذا قت بجدونى قال فانطلق فاذا جلست فأتى وفاتته  
 القائلة فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه التعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض  
 اهله لا تدعوا هذا الرجل يقرب من هذا الباب حتى أنام فانه قد شق على التعاس فلما كانت تلك  
 الساعة جاء فلم يأذن له الرجل فلما اعياه نظر فرأى كوة فى البيت فسور منها فاذا هو فى البيت  
 يدق عليه الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان ألم أمرك قال أما من قبلى فلم توت فانظر من  
 أين أتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلوق كما أغلقه واذا بالرجل معه فى البيت فقال أنام والخصوم  
 يبابك فقال أعدوا لله قال نعم أعييتنى ففعلت ما ترى لا غضبك فعصمك الله تعالى فسمى ذا الكفل  
 لانه تكفل بأمر قوفى به وقيل ان ابليس جاءه وقال انى غريما يظلمنى فأحب أن تقوم معى  
 وتستوفى جنى منه فانطلق معه حتى اذا كان فى السوق خلاه وذهب وروى أنه اعتذر اليه  
 وقال صاحبى هرب وقيل ان ذا الكفل رجل كفل أن يصلى كل ليلة مائة ركعة الى أن يقبضه  
 الله تعالى قوفى به واختلقوا فى أنه هل كان نبيا فقال الحسن كان نبيا وعن ابن عباس أنه الياس  
 وقيل هو زكريا وقيل هو يوشع بن نون وقال أبو موسى لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا ولما  
 قرن الله تعالى بين هؤلاء الثلاثة استأف مدحهم بقوله تعالى (كل) أى كل واحد منهم (من  
 الصابرين) على ما بتليناه به فآتيناهم ثواب الصابرين (وأدخلناهم فى رحمتنا) أى فعلنا بهم

من الاجناس ما يظنه الراحم عن برحه على وجه مهم من جميع جهاتهم فكان ظرفا لهم ثم  
 علل ذلك بقوله تعالى (انهم من الصالحين) أي لكل ما يرضاه تعالى منهم يعني أنهم جبالوا جيلة  
 خير فعملوا على مقتضى ذلك فكانوا من الكاملين في الصلاح وهم الانبياء لان صلاحهم  
 معصوم عن كدر الفساد القصة الثامنة قصة يونس عليه الصلاة والسلام المذكورة في قوله  
 تعالى (وذا النون) أي واذا كرم صاحب الحوت وهو يونس بن متى ويبدل منه (اذ ذهب مغاضبا)  
 واختلفوا في معنى ذلك فقال الضعفاء مغاضبا لقومه وهو رواية العوفي وغيره عن ابن عباس  
 قال كان قوم يونس يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسيب منهم تسعة أسباط ونصفا وبقى سبطان  
 ونصف فأوحى الله تعالى الى شعيب النبي عليه السلام أن سر الى حرقيل الملك وقل له بوجه نبيا  
 قويا الى هؤلاء فاني ألقى في قلوبهم الرعب حتى يرسلوا معي بنى اسرا فيل فقال له الملك فن ترى  
 وكان في مملكة خمسة أنبياء فقال يونس فانه قوي أمين فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج  
 فقال يونس هل أمرك الله باخراجي قال لا قال فهل معانيك قال لا قال فهنا أنبياء غيري أقرباء  
 فألقوا عليه فخرج من بينهم مغاضبا للنبي والملك ولقومه فأقبح الروم فركبه وقال عروة بن  
 الزبير وسعيد بن جبيرة وجماعة ذهب عن قومه مغاضبا اليه اذ كشف عن قومه العذاب بعد  
 ما وعدهم به وكره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما وعدهم واستحيامنهم ولم يعلم  
 السبب الذي رفع به العذاب عنهم وكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده وأن يسمى كذابا  
 لا كراهية الحكم لله تعالى وفي بعض الاخبار انه كان من عادة قومه أن يقتلوا من جرب عليه  
 الكذب فغشى أن يقتلوا لمالم يأتيهم العذاب للمية اذ غضب والمغاضبة ههنا من المفاعلة التي  
 تكون من واحد كالمناقرة والمعاقبة فعنى قوله مغاضبا أي غضبانا وقال الحسن انما غضب  
 ربه من أجل انه أمره بالمسير الى قوم لينذرهم بأسه ويدعوهم اليه فسأل ربه أن ينظره لينذهب  
 فقبل له ان الامر أسرع من ذلك حتى سأله أن ينظره الى أن يأخذ نعلها فقبل ينظره وكان في  
 خلقه ضيق فذهب مغاضبا وعن ابن عباس قال أتى جبريل يونس فقال انطلق الى أهل نينوى  
 فأنذرهم قال التمس دابة قال الامر أسرع من ذلك فغضب فانطلق الى السفينة وقال وهب ان  
 يونس كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حمل عليه أثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربيع  
 تحت الحمل الثقيل فتذقها بين يديه وخرج هاربا فلذلك أخرجه الله تعالى من أوى العزم فقال  
 تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبرا ولو العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت  
 اذ نادى وهو مكظوم (فظن أن لن نقدر عليه) أي لن نقضى عليه بالعقوبة قاله مجاهد وقتادة  
 والضحاك وقال عطاء وكثير من العلماء معناه فظن أن لن نقضى عليه الجبس من قوله تعالى الله  
 يسط الرق لمن يشاء من عباده ويقدر وعن ابن عباس أنه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني  
 أمواج القرآن البارحة ففرت فيها فلم أجد نفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معارية فقرأ هذه  
 الآية فقال أويظن نبي الله أن لن يقدر عليه قال هذا من القدر الذي معناه الضيق لا من  
 القدرة وقال ابن زيد هو استفهام معناه أظن أنه يجز به فلا يقدر عليه (فنادى) أي فاقبضت

حكمتنا ان عاتبنا حتى يستلم فالتى نفسه في البحر فالتقمه الحوت فكشفه أربعين من بين يوم  
 وليلة وقال عطاء سبعة أيام وقيل ان الحوت ذهب به مسيرة ستة آلاف سنة وقيل بلغ به تجوم  
 الارض السابعة ومنعناه ان يكون له طعاما فنادى (في الظلمات) ظلة الليل وظلة البحر وظلة  
 بطن الحوت وقيل في الظلة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله تعالى ذهب الله بنورهم  
 وتركهم في ظلمات وقوله يخرجهم من النور الى الظلمات وقيل ابتلع حوته حوت أكبر منه فجعل  
 في ظلي بطن الحوتين وظلمة البحر (ان لا اله الا انت) ولما زهه عن الشريك عم فقال تعالى  
 (سبحانك) أى تزهدت عن كل نقص فلا يقدر على الانجاء مما أنافه الا أنت ثم أفصح بطلب  
 الخلاص بقوله ناسبا الى نفسه من النقص ما زه الله عن مثله (انى كنت من الظالمين) أى  
 في خروجي من بين قومي قبل الاذن فاعف عني كما هي سيرة القادرين روى عن أبي هريرة  
 مرفوعا وأوحى الله تعالى الى الحوت ان خذه ولا تتخذش له لهما ولا تكسر له عظما فأخذه ثم هوى  
 به الى مسكنه في البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فاوحى  
 الله تعالى اليه ان هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح هو في بطن الحوت فسمع الملائكة تسبيحه  
 فقالوا يا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة وفي رواية صوتا معروفا من مكان مجهول فقال  
 ذلك عبدى يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذى كان يصعد اليك منه  
 في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشعروا فيه عند ذلك فأمر الحوت فقذفه فى الساحل كما  
 قال تعالى فنبذناه بالعراء وهو سقيم فذلك قوله تعالى (فاستجبنا له) أى أجبنا (ونجيناه من الغم)  
 أى من تلك الظلمات تلك الكلمات (وكذلك) أى وكما نجينا (ننبي المؤمنين) من كربهم اذا  
 استغاثوا بنا داعين قال الرازى فى اللوامع وشرط كل من يلجئ الى الله أن يبدأ بالتوحيد ثم بعده  
 بالتسبيح والثناء ثم بالاعتراف والاستغفار والاعتذار وهذا شرط كل داع اه وعن النبي صلى  
 الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه والله  
 الا اقراره على نفسه بالظلم وقرأ ابن عامر وأبو بكر بنون واحدة مضمومة وتشديد الجيم على  
 أن أصله نبي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء الثانية فى تظاهر ونهى وان كانت فاء  
 فحذفتها أو وقع من حذف حرف المضارعة الذى لمعنى وقيل هو ما مضى مجهول أسند الى ضمير  
 المصدر وهو النجاء وقرأ الباقون بنون الثانية مخففة عند الجيم \* (تنبيه) \* اختلفوا فى مق  
 كانت رسالة يونس عليه الصلاة والسلام فروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس كانت بعد أن  
 أخرجه الله تعالى من بطن الحوت بدليل قوله تعالى فى سورة والصفات فنبذناه بالعراء ثم ذكر  
 بعده وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وقال آخرون انها كانت من قبل بدليل قوله تعالى  
 وان يونس لمن المرسلين اذا بق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحفين فالتقمه الحوت  
 وهو مليح فلولا أنه كان من المسحوقين للبت فى بطنه الى يوم يعثون \* القصة التاسعة قصة زكريا  
 عليه الصلوة والسلام المذكورة فى قوله تعالى (وزكريا) أى واذا ذكر زكريا ويبدل منه (اذنادى  
 ربه) نداء الحبيب القريب فقال (رب) باسقاط أداة البعد (لا تذرني فردا) أى وحيدا من غير

ولد ذكر يرث ما آتيتني من الحكمة (وأنت) أي والحال أنك (خير الوارثين) أي الباقي بعد  
 فإنا خلقك وكثيرا ما تمنح ارث بعض عبيدك عبيدا آخرين فأنت الحقيق بأن تفعل في ارثي  
 من العلم والحكمة ما أحب فتهبني ولدا تمن علي به (فاستجبنا له) بعظمتنا وان كان في حدم من  
 السن لاجر الشبه معه وزوجه في حال من العقم لا يرضى معه حبلا فكيف وقد تجاوزت  
 سن اليأس ولذلك عبر بما يدل على العظمة فقال تعالى (ووهبنا له يحيى) ولدا وارثا نبيا حكيما  
 عظيما (وأصلحنا له) خاصة من بين أهل ذلك الزمان (زوجته) أي جعلنا لها صالحا لكل  
 خير خالصا له فأصلحناها للولادة بعد عقمها وأصلحناها لذكرها بعد ان كانت سريرة الغضب سيرة  
 الخلق فأصلحناها له ورزقناها احسن الخلق (انهم) أي الانبياء الذين سماهم في هذه السورة  
 وقيل زكريا وزوجه ويحيى (كانوا) أي جيلة وطبعا (يسارعون في الخيرات) أي الطاعات  
 يسارعون في الاسراع بها مبالغة من يسابق آخر ودل على عظيم آفة الهم بقوله تعالى (ويدعوننا)  
 مستحضرين بلالنا وعظمتنا وكالتنا (رغبا) أي طمعا في رحمتنا (ورهبنا) أي خوفا من عذابنا  
 (وكانوا) أي جيلة وطبعا (لنا) خاصة (خاشعين) أي خائفين خوفا عظيما يحملهم على الخضوع  
 والانكسار قال مجاهد الخشوع هو الخوف اللازم للقلب وقيل متواضعين وسئل  
 الاعمش عن هذه الآية فقال أما اني سألت ابراهيم فقال ألا تدري قلت أفدني قال بينه وبين الله  
 اذا أرتضى ستره عليه وأغلق بابه فلير الله منه خير العلك ترى أنه يا كل خشنا ويلبس خشنا  
 ويتطأ طي رأسه \* القصة العاشرة قصة مريم وابنها عليهما السلام المذكورة في قوله تعالى  
 (والتى) أي واذا كرم مريم التي (أحصنت فرجها) أي حفظته من الحلال والحرام حفظا يحق له  
 أن يذكر ويتحدث به كما قال تعالى حكاية عنها ولم يمسسني بشر ولم التبغي لآن ذلك غاية في العفة  
 والصيانة والتخلي عن الملاذ إلى الانقطاع إلى الله تعالى بالعبادة مع ما جعت مع ذلك من الامانة  
 والاجتهاد في متانة الديانة والعصم أنها ليست بنبية (فنفخنا فيها من روحنا) أي أمرنا جبريل  
 حتى نفخ في جيب درعها فأحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها وأضاف الروح اليه تعالى  
 تشرى يقال عيسى عليه السلام كبيت الله وناقة الله \* ثم بين تعالى ما خص مريم وعيسى من  
 الآيات فقال تعالى (وجعلناها وابنها) أي قصتهما وأصلحناهما وذلك وحده قوله (آية للعالمين)  
 من الجن والانس والملائكة وان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الله تعالى (فان قيل) هلا  
 قال تعالى آيتين كما قال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين (أجيب) بما تقدم ويأن الآية كانت  
 فيهما واحدة وهي أنها أتت به من غير خلل وههنا آخر القصص \* وللدل ما مضى من قصص  
 هؤلاء الانبياء عليهم السلام أنهم كلهم متفقون على التوحيد الذي هو أصل الدين قال تعالى  
 (ان هذه) أي ملة الاسلام (أممكم) أي دينكم أيها المخاطبون أي يجب أن تكونوا عليها حال  
 كونها (أمة) قال البغوي وأصل الأمة الجماعة التي هي على مقصد واحد اه جعل الشريعة  
 أمة لاجتماع أهلها على مقصد واحد ثم أكد سبحانه وتعالى هذا المعنى بقوله تعالى (واحدة)  
 فأبطل ما سوى الاسلام من الاديان (وانار بكم) أي المحسن اليكم لا غيري في كل زمان فاني



لا تغير على طول الدهر ولا يشغلي شأن عن شأن (فأعبدون) دون غري فانه لا كف له \* ثم ان  
بعضهم خالف الامر بالاجتماع كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله تعالى (وتقطعوا) أي بعض  
المخاطبين (أمرهم بينهم) أي تفرقوا وأمر دينهم متخالفين فيه وهم طوائف اليهود والنصارى قال  
الكبي قرؤا دينهم بينهم يلعن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض \* (تنبه) \* الاصل وتقطعتم  
الآن الكلام صرف الى القبية على طريقة الالتفات كأنه ينهي عليهم ما أفسدوه الى آخرين  
ويقبح عليهم فعلهم عندهم ويقول لهم ألا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله تعالى  
والمعنى جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً كما توزع الجماعة الشيء ويقسمونه بينهم فيصير لهذا  
نصيب ولذا التصيب تمثيلاً لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا وأحزابا شتى ثم توعدهم بقوله تعالى  
(كل) أي من هذه الفرق وان بالغ في التمرد (الينا) يوم القيامة (راجعون) فحكم بينهم  
فيتمسبب عن ذلك أنانجازهم إقامة للعدل فتعطي كلام من الحق التابع لاصفيا سنا والمبطل  
المائل الى الشياطين أعداء تاما يتحققه وذلك هو معنى قوله تعالى فارقابن المحسن والمسيء  
تحقيقا للعدل وتشويقا الى الفضل (فن يعمل) أي منهم الآن (من الصالحات وهو) أي والحال  
أنه (مؤمن) أي يأتي بعمله على الاساس الصحيح (فلا كفران) أي لا جود (لسعيه) بل يشكر  
ويثاب عليه \* (تنبه) \* قوله تعالى فلا كفران نفي الجنس ليكون أبلغ من أن يقول فلا تكفر  
سعيه (واناله) أي لسعيه (كاتبون) أي منبتون في صحيفة عمله وما استثناءه فهو غير ضائع فلا يفقد  
منه شيأ قل أو جل ومن المعلوم أن قسيه وهو من يعمل من السيئات وهو كافر فلا نقيم له وزنا  
ومن يعمل منها وهو مؤمن فهو تحت مشيئتنا قال البقاعي ولعله حذف هذين القسمين ترغيبا  
في الايمان \* ولما كان هذا غير صريح في أن هذا الرجوع بعد الموت بينه بقوله تعالى (وحرام)  
أي ممنوع (على قرية) أي أهلها (أهلكها) أي بالموت (أنهم لا يرجعون) أي الينا بأن يذهبوا  
تحت التراب باطلا من غير اجناس بل الينا بموتهم يرجعون فبئسناهم في البرزخ منعين أو  
معذيين نعيماً أو عذاباً دون النعيم والعذاب الاكبر \* (تنبه) \* ما قدرناه في الآية هو ما جرى  
عليه البقاعي والذي قدره الزمخشري أن معنى أهلكها عزمنا على اهلاكها أو قدرنا  
اهلاكها ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر الى الاسلام والاناية فتكون لامزيدة والذي قدره  
الجلال الحلبي أن لازائدة أي يمنع رجوعهم الى الدنيا فيكون الاهلاك بالموت وهذا قريب  
مما قاله ابن عباس فانه قال وحرام على قرية أهلكها أن يرجعوا بعد الهلاك فجعل لازائدة قال  
البغوي وقال آخرون الحرام بمعنى الواجب فعلى هذا يكون لانايتا ومعناه واجب على أهل  
قرية أهلكها أي حكمنا بسلامتهم أن لا تقبل أعمالهم لانهم لا يريدون أي لا يتوبون والدليل  
على هذا المعنى انه تعالى قال في الآية التي قبلها ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا  
كفران لسعيه أي تقبل عمله ثم ذكر هذه الآية عقبه وبين ان الكافر لا يقبل عمله انتهى والذي  
قدره البيضاوي قريب مما قدره الزمخشري وكل هذه التقادير صحيحة لكن الاول أظهر وقرأ  
شعبة وحزة والسكاني بكسر الحاء وسكون الراء والباقون بفتح الحاء والراء وأتبع بعد الراء

قال البخوي وهما القتان مثل حل وحلال وقوله تعالى (حتى اذا انقضت يا جوج وما جوج)  
متعلق كما قال الرمنشري بحرام وحتى غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيامة  
وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام أي فهي الابتدائية لا الجارية ولا العاطفة والمحكى هو الجمل  
الشرطية وقرأ ابن عاصم بتشديد التاء بعد الفاء والباقون بالتخفيف وما جوج وما جوج  
اسمان أجمعيان اسم لقبيلتين من جنس الأوس ويقدر قوله مضاف أي سدهما وذلك قريب  
الساعة يقال النام عشرة أجزاء تسعة منها يا جوج وما جوج وقرأهما عاصم بمزة ساكنة  
والباقون بالالف ثم عبر عن كثرتهم التي لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى بقوله تعالى (وهم) أي  
والحال أنهم (من كل حدب) أي نشز طال من الأرض (ينسلون) أي يسرعون من السلان  
وهو تقارب الخطامع السرعة كشي الذئب وفي العبارة إيحاء إلى أن الأرض كرة وقيل الضمير  
راجع إلى الناس المسوقين إلى المحشر روى عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى  
الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاك الساعة فقال صلى الله عليه وسلم ما تذاكرون قلنا نتذاكر  
الساعة قال انها ان تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدجال والدخان والداية  
وطلوع الشمس من مغربها ونزل عيسى بن مريم عليه السلام ويا جوج وما جوج وثلاثة  
خسوف خسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن  
تطرد الناس إلى محشرهم (واقرب الوعد الحق) أي يوم القيامة قال حذيفة لو أن رجلا اقتنى  
فلوا بعد خروج يا جوج وما جوج لم يركبه حتى تقوم الساعة (فاذا هي شاخصة ابصار الذين  
كفروا) قال الكلبي شخضت ابصار الكفار فلا تنكاد تطرف من شدة ذلك اليوم (تنبيه) \*  
فاذا هي اذا المفاجأة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقتطون فاذا  
جاءت الفاء معها تاء وتا على وصل الجزاء بالشرط في تأكيد ولو قيل اذا هي شاخصة أو فهي  
شاخصة كان سديدا قال سيبويه والضمير للقصة بمعنى فاذا القصة شاخصة يعنى القصة أن ابصار  
الذين كفروا تشخص عند ذلك وقال الرمنشري هي ضمير بهم توضيح ابصار وتفسره كما فسر  
الذين ظلموا وأسر والنجوى وقولهم (يا ويلنا) أي هلا كما متعلق بمعدوف تقديره يقولون  
يا ويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين كفروا وباللتبيه (قد كما) أي في الدنيا (في غفلة من  
هذا) أي اليوم حيث كذبنا وقلنا انه غير كائن ثم أضربوا عن الغفلة فقالوا (بل كنا ظالمين)  
أنفسنا بعدم اعتقاده واضعين الشيء في غير موضعه حيث أعرضنا عن تأمل دلائله والنظر  
في محايبه وكذبنا الرسل وعبدنا الاوثان وقوله تعالى (أنكم) خطاب لاهل مكة وأكده  
لانكارهم مضمون الخبر (وما تعبدون من دون الله) أي غيره من الاوثان (حصب جهنم) أي  
وقودها وهو ما يرمى به إليها وتمجج به من حصبه يحصبه اذا رما بالحصب والحصب في لغة أهل  
اليمن الحطب وقيل عكرمة هو الحطب بالحشيشة قال الفصيح يعني يرمون به في النار كما يرمى  
بالحصب وقوله تعالى (أنتم لها واردون) أي داخلون استثنافاً أو بدل من حصب جهنم واللام  
محوضة من على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها (لو كان هؤلاء) أي الاوثان

(الهمة) أي كما فرغتم (ماوردوها) أي ما دخل الاوثان وعبادها النار وقرأ نافع وابن كثير وأبو  
 عمرو وبدا الهمزة الثانية خالصة في الوصل بعد تحقيق الاوّل والباقيون بتحقيقهما (وكل)  
 أي من العابدين والمعبودين (فيها) أي في جهنم (خالدون) لانفسكاللهم عنها بل يحمي بكل  
 منهم فيما على الآخر (فان قيل) لم قرنوا بالهتهم (أجيب) بأنهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة  
 غم وحسرة حيث أصابهم ما أصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب لانهم  
 قدروا أنهم يستشفعون بهم في الآخرة وينتفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر على عكس  
 ما قدروا لم يكن شيء أبغض اليهم منهم (فان قيل) اذا عنت بما تعبدون الاوثان فامعنى قوله تعالى  
 (لهم فيها زفير) أي تنفس عظيم على غاية من الشدة والمدتكاد تخرج معه النفس (أجيب)  
 بأنهم اذا كانوا هم وأوثانهم في قرن واحد جاز أن يقال لهم زفير وان لم يكن الزفيرون الا هم  
 دون الاوثان للتغليب ولعدم الالباس (وهم فيها لا يسمعون) شيئا الشدة غلبتها وطال ابن  
 مسعود في هذه الآية اذ ابقى في النار من يظن فيها جع لولا في نوايت من نار ثم جعلت تلك  
 التوايت في نوايت أخرى عليها سامير من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى أحد منهم ان أحدا  
 يعذب في النار غيره وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش  
 في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أغمه ثم تلا عليهم انكم وما تعبدون من دون الله الا آية فأقبل  
 عبد الله بن الزبير السلمي فرآهم يتهامون فقال فيم خوضكم فأخبره الوليد بن المغيرة بقول  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله أما والله لو وجدت له نصيحتي فدعوا رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم فقال له ابن الزبير أنت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة أليس  
 اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو ملج عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم  
 بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك فأنزل الله تعالى (ان الذين سبقتم من الحسن)  
 أي الحكم بالموعظة البالغة في الحسن في الازل ومنهم من ذكر سواء أضل بأحد منهم الكفار  
 فاطروه أم لا (أو تلك) أي العالو الرتبة (عنها) أي جهنم (مبعدون) برحمة الله تعالى لانهم  
 أحسنوا في العبادة واتقوا وهل جزاء الاحسان الا الاحسان وفي رواية عن ابن عباس ان ابن  
 الزبير لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم ذلك سكت ولم يجب فضحك القوم فنزل قوله تعالى ولما  
 ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خيرا أم هو ما ضرب به ذلك الاجد لا بل  
 هم قوم خصمون ونزل في عيسى والملائكة ان الذين سبقتم من الحسن الاية وقد أسلم ابن  
 الزبير بعد ذلك رضى الله تعالى عنه ومدح النبي صلى الله عليه وسلم وادعى جماعة أن المراد  
 من الآية الاصنام لان الله تعالى قال وما تعبدون من دون الله ولو اراد الملائكة والناس  
 لقال ومن تعبدون بروى ان عليا رضى الله تعالى عنه قرأ هذه الآية ثم قال أنتم هم وأبو بكر  
 وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم أقيمت الصلاة  
 فقام يهزأ وهو يقول (لا يسمعون حسيها) أي سركتها البالغة وصوتها الشديد فكيف

بما دونه لأن الحس مطلق الصوت أو الصوت الخفي كما قاله البغوي فاذا زادت حروفه زاد معناه  
 فذكر ذلك بدلا من مبعدون أو حال من ضميره للمبالغة في ابعادهم عنها (وهم) أي الذين  
 سبقت لهم منا الحسنى (في ما استهتت أنفسهم) في الجنة كما قال تعالى وفيها ما تشتهي  
 الانفس وتلذذ الاعين والشهوة طلب النفس اللذة (خالدون) أي دائما أبدا في غاية التمتع وتقديم  
 الطرف للاختصاص والاهتمام به (فائدة) في هنام مقطوعة من ما ولما كان معنى ذلك أن  
 سرورهم ليس له زوال أكد بقوله تعالى (لا يحزنهم الفزع الأكبر) قال الحسن هوحين  
 يؤمر بالعباد إلى النار وقال ابن عباس هو التفخمة الأخيرة لقوله تعالى ويوم يتفخ في الصور  
 ففزع من في السموات ومن في الأرض وقال ابن جريج هوحين يذبح الموت وينادي بأهل  
 النار خلود بلا موت وقال سعيد بن جبير هو أن تنطبق جهنم وذلك بعد أن يخرج الله تعالى منها  
 من يريد أن يخرجهم (وتلقاهم) أي تستقبلهم (الملائكة) قال البغوي على أبواب الجنة يهنونهم  
 وقال الجلال الحلبي عند خروجهم من القبور ولا مانع أنها تستقبلهم في الحالين ويقولون لهم  
 (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) أي هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم به في الدنيا فأبشروا  
 فيه بجميع ما يسركم \* ولما كانت هذه الأفعال على غاية من الأهوال تشوف بها النفس إلى  
 معرفة اليوم الذي تكون فيه قال تعالى (يوم) أي تكون هذه الأشياء يوم (تطوى السماء)  
 طبقتكون كأنهم لم تكن ثم صور طيها بما يعرفونه فقال مشبها للمصدر الذي دل عليه الفعل  
 (كطى السجل) واختلف في السجل فقال بعضهم هو الكتاب الذي له العلو والقدرة على  
 مكتوبه (الكتاب) أي القرطاس الذي يكتبه ويرسله إلى أحد وقال السدي هو ملك يكتب أعمال  
 العباد وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذه الأقوال اسم للصحيفة  
 المكتوب فيها وقال ابن عباس ومجاهد والأكثرون السجل الصحيفة والمعنى كطى الصحيفة  
 على مكتوبها والطي هو الدرج وهو ضد التشر وانما وقع هذا الاختلاف لأن السجل يطلق  
 على الكتاب وعلى الكاتب فإله في القاموس وقرأ خص وحزوة والكساف بضم الكاف والتاء  
 على الجمع والباقون بكسر الكاف وفتح التاء وبين الكاف والتاء ألف على الأفراد فقراءة  
 الأفراد لمقابلته لفظ السامو الجمع للدلالة على أن المراد الجنس فجميع السموات تطوى روى عن  
 ابن عباس أنه قال يطوى الله تعالى السموات السبع بما فيها من الخليقة والأرضين السبع بما فيها  
 من الخليقة يطوى ذلك كله بيمنه أي بقدرته حتى يكون ذلك بمنزلة خردلة وروى عن ابن عباس  
 أنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم محشورون إلى  
 الله حفاة عراة غرلا أي غير محتونين (كأبدأ أنا أول خلق نعيده) أي كأبدأ أناهم في بطون أمهاتهم  
 عراة غرلا غير محتونين نعيدهم يوم القيامة نظيره قوله تعالى ولقد جثتونا فرادى كما خلقناكم  
 أول مرة (وعدا) وكذلك بقوله تعالى (علينا) وزاده بقوله تعالى (أنا كنا) أي أزلا وأبدا على  
 حاله لا تحول (فأعلين) أي شأنا أن تفعل ما تريد لا كلفه علينا في شيء من ذلك ثم انه تعالى حتى  
 ذلك بقوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) قال سعيد بن جبير ومجاهد الزبور جميع

كتب الله تعالى المنزلة والذكر أم الكتاب الذي عنده ومعناه من بعد ما كتب ذكره في اللوح  
 المحفوظ وقال ابن عباس والفضالة الزبور والتوراة والذكري الكتاب المنزلة من بعد التوراة  
 وقال الشعبي الزبور كتاب داود والذكري التوراة وقيل الزبور كتاب داود عليه السلام والذكري  
 القرآن وبه بمعنى قبل كقوله تعالى وكان وراءهم ملك أي أمامهم وقوله تعالى والارض بعد  
 ذلك دحاها أي قبله وقرأ حزة بضم الزاي والباقون بقصها (أن الأرض) أي أرض الجنة  
 (يرعها عبادي) وحقق ذلك ما أفادته اضافتهم اليه بقوله تعالى (الصالحون) أي المتحققون  
 باخلاق أهل الذكور المقبولون على ربهم الموحدون له المشفقون من الساعة الراهبون  
 من سطوته الراجعون في رحمة الخاشعون له فهذا عام في كل صالح وقال مجاهد يعني أمة محمد  
 صلى الله عليه وسلم دليله قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض تنبؤاً من  
 الجنة حيث نشاء وقال ابن عباس أراد ان أراضى الكفار بقصها المسلمون وهذا حكم من الله  
 تعالى بانظار الدين واعزاز المسلمين وقيل أراد بالارض الارض المقدسة وقيل أراد بجنس  
 الارض الشامل لبقاع أرض الدنيا كلها ولا أرض المحشر والجنة وغير ذلك مما يعلمه الله تعالى  
 وجرى على هذا البقاع في تفسيره وقرأ حزة بسكون الباء والباقون بقصها (ان في هذا) أي  
 القرآن كما قاله البغوي (لبلاغاً) أي وصولاً الى البغية فان من اتبع القرآن وعمل به وصل الى  
 ما يرجو من الثواب وقيل بلاغاً أي كفاية يقال في هذا الشيء بلاغ وبلاغة أي كفاية  
 والقرآن زاد الجنة كبلاغ المسافر وقال الرازي هذا الاشارة الى المذكور في هذه السورة من  
 الاخبار والوعود والوعيد والمواعظ البالغة (لقوم عابدين) أي عاملين به وقال ابن عباس عاملين  
 قال الرازي والاولى أنهم الجاهلون بين أمرين لان العلم كالشجرة والعمل كالثمر والشريدون  
 الثمر غير مفيد والثريدون الثمر غير كائن وقال كعب الاحبار هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم  
 أهل الصلوات الخمس وشهر رمضان \* ولما كان هذا مشيراً الى ارشادهم فكان التقدير  
 فما أرسلناك الا لاسعادهم عطف عليه قوله تعالى (وما أرسلناك) أي على حالة من الاحوال  
 (الا) على حال كونك (رحمة للعالمين) كلهم أهل السموات وأهل الارض من الجن والانس  
 وغيرهم طاقهم بالثواب وعاصيهم بتأخير العقاب الذي كانتأمل الامم به فخص عنهم وتترفق  
 بهم اظهار الشرفك واعلاء قدرك ثم نزلت كثير منهم الى دينك ويجعلهم من أكابر انصارك  
 وأعظم أعوانك بعد طول ارتكابهم الضلال وارتكابهم في اشرار الحال ومن أعظم  
 ما يظهر فيه هذا الشرف في عموم الرحمة وقت الشفاعة العظمى يوم يجمع الله تعالى الاولين  
 والآخرين وتقوم الملائكة صفوفاً والثقلان وسطهم ويعوج بعضهم في بعض من شدة ما هم  
 فيه يطلبون من يشفع لهم فيصدقون أكابر الانبياء نبيانيا عليهم الصلاة والسلام فيصل بعضهم  
 على بعض وكل منهم يقول لست لها حتى يأتوه صلى الله عليه وسلم فيقول أنا لها ويقوم معه لواء  
 الحمد فيثبته الله تعالى وهو المقام المحمود الذي يضبطه بالاولون والآخرين فهو صلى الله عليه  
 وسلم أفضل المخلوقين جميعاً ولما أورد تعالى على الكفار الخبيث في أن لا يسواه وبين أنه أرسل

رسوله رحمة للعالمين أتبع ذلك بأمره صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (قل إنما يوحى إلى أنما الهك  
 اله واحد) أي ما يوحى إلى في أمر الإله الأوحيد أيته وما الهكم الإله واحد لم يوحى إلى غيره  
 تدعون من الشركه غير ذلك فالأول من قصر الصفة على الموصوف والثاني من قصر الموصوف  
 على الصفة والمخاطب به من يعتقد الشركه فهو قصر قلب وقال الرخشري إنما قصر الحكم  
 على شيء أو قصر الشيء على حكم كقولك إنما زيد قائم وإنما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه  
 الآية لأن ما يوحى إلى مع فاعله بمنزلة إنما يقوم زيد وإنما الهكم الإله واحد بمنزلة إنما زيد قائم  
 وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصور على استنثار  
 الله تعالى بالوحدانية انتهى \* ولما كان الوحي الوارد على هذه السنن موجباً أن يخلص التوحيد  
 لله تعالى قال صلى الله عليه وسلم (فهل أنتم مسلمون) أي منقادون لما يوحى إلى من وحدانية الإله  
 والاستغناء بمعنى الأمر أي أسلموا (فإن تولوا) أي لم يقبلوا ما دعوتهم إليه (فقل) أي لهم  
 (أذنتكم) أي أعلمتكم بالحرب كرجل بينه وبين أعدائه هدنة فأحسن منهم بقدره فنبذ إليهم العهد  
 وأشهر النبذ وأشاعه وأذنتهم جميعاً بذلك وقوله (على سواه) حال من الفاعل والمفعول أي  
 مستويين في الإسلام به لم أطوه عن أحد منكم ولا أستبدته دونكم لتأهبوا (وإن) أي وما  
 (أدرى أقریب) جـ ذابحيت يكون قربه على ما يتعارفونه (أم بعيد ما توعدون) من غلب  
 المسلمين عليكم أو عذاب الله أبو القيامة المشتملة عليه وإن ذلك كائن لا محالة ولا بد أن يطقكم  
 بذلك الذلة والمغار وإن كنت لا أدرى متى يكون ذلك لأن الله تعالى لم يعلمني علمه ولم يطلعني عليه  
 وإنما يعلمه الله تعالى (إنه) تعالى (يعلم الجهر من القول) أي مما يجهرون به من العظام وغير ذلك  
 وبه تعالى على ذلك فإن من أحوال الجهر أن ترتفع الأصوات جذا بحيث تختلط ولا يميز بينها  
 ولا يعرف كثير من حاضرهما ما قاله أكثر القائلين فاعلم سبحانه وتعالى أنه لا يشغل صوت عن آخر  
 ولا يقونه شيء من ذلك ولو كثير (ويعلم ما تكتمون) مما تخفونه في صدوركم من الأحقاد للمسلمين  
 وتطير ذلك قوله تعالى في أول السورة قل رب يعلم القول في السماء والأرض ومن لازم ذلك  
 المجازاة عليه بما يحق لكم من تعجيل وتأجيل فستعلمون كيف تخيب ظنونكم ويحقق  
 ما أقول فتنتقون حيث تذبأني صادق ولست بأسر ولا شاعر ولا كاهن فهو من أبلغ التهديد  
 فإنه لا أبلغ من التهديد بالعلم \* ولما كان الإمهال قد يكون نعمة وقد يكون نقمة قال (وإن)  
 أي وما (أدرى) أن يكون تأخير عذابكم نعمة لكم كما تظنون أم لا (له) أي تأخير العذاب  
 (فتنة) أي اختبار (لكم) ليظهر ما يعلمه منكم من السر لغيره لأن حالكم حال من يتوقع منه  
 ذلك (ومتاع) لكم تمتعون به (الحيين) أي بلوغ مدة آجالكم التي ضربها لكم في الأزل  
 ثم يأخذكم بقتة وأنتم لا تشعرون \* ولما كان الله أن يفعل ما يشاء من عدل وفضل وكان من العدل  
 جواز تعذيب الله تعالى الطائع وتنعيم المؤمن العاصي وكان صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية  
 في اليأس لهم وهم قد بلغوا النهاية في أدبته وتمكديه أمر الله تعالى أن يفرض الأمر إليه  
 تسليته بقوله تعالى (قل رب) أي أيها المحسن إلى (أحکم) أي الجواز الحكم بيني وبين قومي (بالعقبي

أى بالامر الذى يحق لكل من آمن نصر وخذلان وقرأ حقم بفتح القاف وأقف بعدها وفتح اللام بصيغة الماضي على حكاية رسول الله صلى الله عليه وسلم والباقون بضم القاف وسكون اللام بصيغة الامر (فان قيل) كيف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم بالحق والله تعالى لا يحكم الا بالحق (أجيب) بأن الحق ههنا بمعنى العذاب فكانه استعمل العذاب لقومه فعذبوا يوم يدرى تقديره قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقال أهل المعاني معناه رب احكم بحكمك الحق فحذف الحكم وأقيم الحق مقامه والله تعالى يحكم بالحق طلب أم لم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب فى حكمه الحق (وربنا) أى المحسن الينا أجمعين (الرحمن) أى العام الرحمة لنا وانا لكم بادوارها علينا ولولا عموم رحمة لاهلكنا أجمعين وان كنا نحن أطعمنا لانا لا تقدره حق قدره ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة (المستعان) أى المطلوب منه العون (على ما تصفون) من كذبكم على الله تعالى فى قولكم اتخذ الله ولدا وعلى قولكم سار على القرآن فى قولكم شعر قال الرازى روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول ذلك فى حروبه ولم يذكره سنداً وأما رواه البيضاوى بغير سند من أن صلى الله عليه وسلم قال من قرأ اقرب حاسبه الله حساباً يسيراً وصافه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القرآن فحديث موضوع والله تعالى أعلم بالصواب

### (سورة الحج مكية)

الاومن الناس من يعبد الله على حرف الايتين والاهدان خصمان الست آيات  
فدينات وهى ثمان وقيل خمس أو ست أو سبع وسبعون آية

(بسم الله) أى الذى اقتضت عظامته خضوع كل شئ (الرحمن) الذى عم برحمته كل موجود (الرحيم) الذى خص بفضله من شاء من عباده \* ولما ختمت السورة التى قبل هذه بالترهيب من الفزع الاكبر وطى السماء واتيان ما يوعدون وكان أعظم ذلك يوم الدين اقتضت هذه السورة بالامر بالتقوى المنجية من هول ذلك اليوم بقوله تعالى (يا أيها الناس) أى الذين تقدم أول تلك أنه اقرب لهم حسابهم ان أريد ان ذلك عام والافهم وغيرهم (اتقوا) أى احذروا عقاب (ربكم) أى المحسن اليكم بأنواع الاحسان بأن يجعلوا بينكم وبين عقابه وقاية الطاعات \* ولما أمرهم بالتقوى علل ذلك مرجعاً لهم بقوله تعالى (ان زلزلة الساعة) أى حركتها الشديدة للاشياء على الاسناد المجازى فتكون الزلزلة مصدراً مضافاً الى فاعله ويعم أن يكون الى المفعول فيه على طريق الاتساع فى الطرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهى الزلزلة المذكورة فى قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف فى وقتها فعن الحسن أنها تكون يوم القيامة وعن علقمة والشعبى عند طلوع الشمس من مغربها الذى هو اقرب للساعة (شئ عظيم) أى أمر كبير وخطر جليل وحادث هائل لا تحتمل العقول وصفه وهذا الزلزلة نفسها فكيف بجميع ما يحدث فى ذلك اليوم الذى لا يدرككم من الحشر فيه

الى الله تعالى ليجازيكم على ما كان منكم لا ينسى منه تقير ولا قاطعير (يوم ترونها) أي الزلزلة  
 أو الساعة أو كل مرضعة أضرها قبل الذكرتهم ويلا للامر وترويعا للنفس (تذهل) بسبب ذلك  
 (كل مرضعة) أي بالفعل أي تنسى وتغفل حائرة مدهوشة والعامل في يوم تذهل (فان قيل)  
 لم قال تعالى مرضعة ولم يقل مرضع (أجيب) بأن المرضعة هي التي في حال الارضاع ملقمة ثديها  
 للطفل والمرضع التي شأنها أن ترضع وان لم تبشر الارضاع في حال وضعها فقال مرضعة ليدل  
 على أن ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد ألقمت ثديها تنزع من فيه لما يلقها من الدهشة  
 (عما أرضعت) عن ارضاعها أو عن الذي أرضعته وهو الطفل فاما مصدريه أو موصولة  
 (وتضع كل ذات حمل حملها) أي تسقطه قبل التمام رعبا وفضعا \* (تنبيه) \* هذا ظاهر على القول  
 الثاني وهو قول علقمة والشعبي على أن ذلك يكون عند طلوع الشمس من مغربها وأما على  
 القول الأول وهو قول الحسن على أن ذلك يوم القيامة كيف يكون ذلك فقيل هو تصوير لهولها  
 قاله البيضاوي وقال البقاعي في المرضعة هي من ماتت مع ابنها رضيعا وفي ذات الحمل من ماتت  
 حاملا فان كل أحد يقوم على ما مات عليه وهذا أولى فاني في حال كتابتي في هذا المهل حضر عندي  
 سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراي نفعنا الله تعالى ببركته فذكرت له هذين القولين فانشرح  
 صدره لترجيح هذا الثاني وذلك يوم تأسوا من شهر الله المحرم سنة ست وخمسين وتسعمائة  
 وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها بغير تمام ويؤيد أن  
 هذه الزلزلة تكون بعد البعث ما روى عن أبي سعيد الخدري أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زادني رواية والخير في يديك  
 فينادي بصوت ان الله يأمر ل أن تخرج من ذريتك بعثنا الى النار قال يارب وما بعث النار قال  
 من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فيمنئذ تضع الحوامل حملها ويشيب الوليد وساق بقية  
 الآية وهو (وترى الناس سكارى) أي لما هم فيه من الدهشة والحيرة ثم بين الله تعالى أن ذلك  
 ليس بسكر حقيقة بقوله تعالى (وما هم بسكارى) أي من الشراب ولما تاني أن يكونوا سكارى من  
 الشراب أثبت ما أوجب لهم تلك الحالة بقوله (ولكن عذاب الله) ذي العزة والجبروت (شديد)  
 فهو الذي أوجب أن يظن بهم السكر لان هول أهذه عقولهم وطير عييزهم ثم الحديث عند آخر  
 الآية فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم زادني رواية قالوا يا رسول الله أين ذلك  
 الواحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ياجوج وماجوج تسعمائة وتسعة وتسعون  
 ومنكم واحد ثم أنتم في الناس كالشجرة السوداء في الثور الأبيض أو كالشجرة البيضاء في الثور  
 الأسود وفي رواية كالرقة في ذراع الجمار واني أرجو أن تكونوا ربيع أهل الجنة فكبرنا ثم قال  
 ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا وفي رواية اني لارجو أن تكونوا ثلثي أهل  
 الجنة روى عمران بن حصين رضي الله عنه أن هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا  
 فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشوا المظي حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فلم يقرأ كثيرا كما من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا



السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا ما بين حزين وبالك  
ومفكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم  
يقول الله لا آدم قم فابعث بعث النار وذلك فهو حديث أبي سعيد وزاد فيه ثم قال يدخل من أمتي  
سبعون ألفا الجنة بغير حساب قال عمر سبعون ألفا قال نعم ومع كل واحد سبعون ألفا وقرأ حمزة  
والكسائي بفتح السين وسكون الكاف فيهما والباقون بضم السين وفتح الكاف وبعد الكاف  
ألف وأمال الألف بعد الراء أبو عمرو ووحدة والكسائي محضة وورش بين بين والباقون بالفتح  
ونزل في التضرب من الحرث وكان كثيرا للجدل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول الملائكة  
بنات الله والقرآن أساطير الأولين وكان ينكر البعث وأحياء من صارت ربا (ومن الناس) أى  
المقذبين (من) لا يسعى في اعلاء نفسه وتمذيبها فيكذب فيؤتيك بسوء عمله لانه (يجادل في الله) أى  
في قدرته على ذلك اليوم وفي غير ذلك بعد أن جاء العلم بها اجترأ على سلطانه العظيم (بغير علم) بل  
بالباطل الذي هو جهل صرف فيترك اتباع الهداة (ويتبع) بغاية جهده في جداله (كل  
شيطان) محترق بالسوء مبعث باللعن (مريد) أى متجرد للفساد ولاشغل له غيره قال البيضاوى  
وأصله العري أى عن السائر (كتب) أى قدر وقضى على سبيل الحتم الذي لا بد منه تعبيراً  
باللازم عن الملتزم (عليه) أى على ذلك الشيطان (أنه) أى الشان (من تولاه) أى فعل معه فعل  
الولى مع وليه باتباعه والاقبال على ما يزينه (فانه يضلّه) بما يغض اليه من الطاعات فيضطى سبيل  
الخير (ويهديه) أى بما يزين له من الشهوات الحاملة على الزلات (الى عذاب السعير) أى النار  
ثم ألزم الحجة منكرى البعث بقوله تعالى (يا أيها الناس) أى كافة ويجوز أن يزاويه المنكر فقط  
(ان كنتم في ريب) أى شك وتهمة وحاجة الى البيان (من البعث) وهو قيام الاجسام بأرواحها  
كما كانت قبل مما تم افتسكروا في خلقكم الاولى لتعلموا أن القادر على خلقكم أولاً قادر على  
خلقكم ثانياً ثم انه سبحانه وتعالى ذكر مراتب الخلق الاولى أموراً سبعة المرتبة الاولى قوله  
تعالى (فانا خلقناكم) بقدرتنا التي لا يتعاطها شئ (من تراب) لم يسبق له اتصاف بالحياة وفي الخلق  
من تراب وجهان أحدهما أنا خلقنا أصلكم وهو آدم عليه الصلاة والسلام من تراب كما قال  
تعالى كمثل آدم خلقه من تراب الثانى من الاغذية والاعذية اما حيوانية واما نباتية وغذاء  
الحيوان ينتهى الى الثبات قطعاً للتسلسل والنبات انما يتولد من الارض والماء فصح قوله تعالى  
انا خلقناكم من تراب المرتبة الثانية قوله تعالى (ثم من نطفة) وحالها أبعد شئ عن حال التراب  
فانما يضاء سائلة لزجة صافية كما قال تعالى من ماء دافق وأصلها الماء القليل قاله البغوى  
وأصل النطف الصب قاله البيضاوى المرتبة الثالثة قوله تعالى (ثم من علقة) أى قطعة دم حراء  
جامدة ليس فيها أهلية للسيلان ولا شك أن بين الماء وبين الدم الجامد مبانة شديدة المرتبة  
الرابعة قوله تعالى (ثم من مضغة) أى قطعة لحم صغيرة وهى فى الاصل قدر ما يخضع (مخلقة) أى  
مساواة لانقص فيها ولا عيب يقال خلق السواك والعود سواه وملسه من قولهم صخر مخلقة  
اذا كانت ملساه (وغير مخلقة) أى وغير مساواة فكان الله تعالى يخلق المضع متفاوتة منها

ما هو كامل الخلقه وأملس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت  
 تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وعمامهم ونقصانهم هذا قول قتادة  
 والضحاك وقال مجاهد الخلقه الولد الذي يخرج حيا وغير الخلقه السقط وقال قوم الخلقه  
 المصورة وغير الخلقه غير المصورة وهو الذي يبقى لها من غير تخبط وتشكيل واحتجوا بما  
 روى علقمة عن عبد الله بن مسعود موقوفا عليه قال ان النطفة اذا استقرت في الرحم أخذها  
 ملك بكفه وقال أي رب مخلقة أو غير مخلقة فان قال غير مخلقة قد فيها في الرحم وما لم تكن نسمة  
 وان قال مخلقة قال الملك أي رب ذكر أم أنثى وشقي أم سعيد ما الاجل ما العمل ما الرزق بأي  
 أرض توت فيقال له اذهب الى أم الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها في أم الكتاب  
 فينسخها فلا يزال معه حتى يأتي على آخر صفتها والذي أخرجها في العيصين عنه قال حدثنا رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة  
 ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغه مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي  
 أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا اله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه  
 وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل  
 أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها  
 فكانت تعالي يقول انما خلقناكم من حال الى حال ومن خلقه الى خلقه (لبيّن لكم) بهذا  
 التدرج قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من التراب والماء أو لا ثم من نطفة  
 ثانيا ولا تناسب بين التراب والماء وقدر على أن يجعل النطفة علقه وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل  
 العلقه مضغه والمضغه عظاما قدر على اعادة ما أبداه بل هو أدخل في القدر من تلك وأهون  
 في القياس وورد الفعل غير معدي الى المبين اعلام بأن أفعال هذه تبين به من قدرته وعلمه  
 ما لا يحيط به الوصف ولا يكتسبه الذكر (ونقر في الارحام) أي من ذلك الذي خلقناه (مانشاء)  
 اتمامه (الى أجل مسي) هو وقت الوضع وأدناه بعد ستة أشهر وأقصاه آخر أربع سنين بحسب  
 قوة الارحام وضعفها وقوة الخلق وضعفها وكثرة تغذيته من الدماء وقلته الى غير ذلك من  
 أحوال وشؤون لا يعلمها الا باريها جلّت قدرته وتعالى عظمته وما لم نشأ اقراره محجته الارحام  
 وأسقطته دون التمام أو تحرقه فيضمحل المرتبة الخامسة قوله تعالى (ثم نخرجكم طفلا) وهو  
 معطوف على تبين ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدرج لغرضين أحدهما أن تبين  
 قدرتنا والثاني أن نقتر في الارحام من نقر حتى تولدوا في حال الطفولية من صغر الجثة وضعف  
 البدن والسمع والبصر وجميع الحواس لتلا تهلكتوا أمهاتكم بكبراً بجرامكم وعظام أجسامكم  
 المرتبة السادسة قوله تعالى (ثم أي غداً جلتم) (تبلغوا) بهذا الانتقال في أسنان الاجسام  
 من الرضاع الى المراهقة الى البلوغ الى الكهولة (أشدكم) أي الكمال والقوة وهو ما بين  
 الثلاثين الى الأربعين جمع شدة كالانم جمع نعمة كأنه شدة في الامور المرتبة السابعة قوله  
 تعالى (ومنكم من يتوفى) أي عند بلوغ الاشد وأقبله (ومنكم من يرد) بالشخصونة وبنائه  
 للجهول اشارة الى سهولته عليه لاستبعاد ما لولا تكرار المشاهدة عند الناظر لتلك القوة والقنات

وحسن التواصل بين أعضائه والارتباط (التي أوذل) أي أخير (العمر) وهو سن الهرم  
 فنقص جميع قواه (للكيلا يعلم من بعد علم) كان أوتيه (شيأ) أي ليه ودكهيته الأولى  
 في أو ان الطفولية من إضافة العقل وقله الفهم فينسى ما علمه ويشكر من عرفه حتى يسأل عنه  
 من ساعته يقول لك من هذا فتقول فلان فما ليبت لحظة الاسألك عنه (فان قيل) هذه  
 الحالة لا تحصل للمؤمنين لقوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا  
 الصالحات (أجيب) بأن معنى قوله تعالى ثم رددناه أسفل سافلين هو دلالة على الذم فالمراد به  
 ما يجري مجرى العقوبة ولذلك قال تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ~~لم~~ كن قال  
 عكرمة من قرأ القرآن لم يصر الى هذه الحالة وقد علم بعود الانسان في ذهاب العلم وصغر الجسم  
 الى نحو ما كان عليه في ابتداء الخلق قطعا أن الذي أعاده الى ذلك قادر على اعادته بعد الممات  
 • ولما تم هذا الدليل على الساعة بحكم المقدمات وأصح النتائج وكان أول الابداد فيه  
 غير مشاهد ذكر الله تعالى دليلا آخر على البعث مشاهدا بقوله (وترى الارض هامدة) أي  
 يابسة ساكنة سكون الميت (فاذا أنزلنا) أي بما لنا من القدرة (عليها الماء اهتزت) أي  
 تحركت وتأهلت لخراج النبات (وربت) أي ارتفعت وذلك أول ما يظهر منها للعين وزادت  
 وغت بما يخرج منها من النبات الناشئ عن التراب والماء وقوله تعالى (وأبنت) مجاز لان  
 الله تعالى هو المنبت وأضيف الى الارض توسعا أي أبنت بتقديرنا لانها المنبتة (من كل  
 زوج) أي صنف (بهيح) أي حسن تضير من أشات النباتات في اختلاف ألوانها وطعومها  
 وروائحها وأشكالها ونافعها ومقاديرها قال الجلال المحلى من زائدة ولم أر من ذكر ذلك  
 من المفسرين • (تنبيه) \* في الآية إشارة الى أن النبات كما يتوجه من نقص الى كمال  
 فكذلك الانسان المؤمن يترقى من نقص الى كمال ففي المعاد يصل الى كماله الذي أعد له  
 من البقاء والنعيم والعلم والصفاء والخلود في دار السلام مبرأ عن عوارض هذا العالم  
 • ولما قرر سبحانه هذين الدليلين رتب عليهم ما هو المطلوب والنتيجة وذكر أمور اخسة  
 أحدها قوله تعالى (ذلك) أي المذكور من بدء الخلق الى آخر احياء الارض (بأن) أي  
 بسبب أن تعلموا أن (الله) أي الجامع لا وصف الكمال (هو) أي وحده (الحق) أي  
 الثابت الدائم وما سواه فان ثابها قوله تعالى (وأنه يحيى الموتى) أي قادر على ذلك والامنا  
 أحيا النطفة والارض الميتة ثالثها قوله تعالى (وأنه على كل شيء قدير) من الخلق وغيره (قدير)  
 انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون رابعها قوله تعالى (وأن الساعة التي تقدم  
 ذكرها وتقدم التصدير منها وهي - شر الخلائق كلهم - آية لاريب) أي لا شك (فيها) أي  
 بوجه من الوجوه مما دل عليها مما لا سبيل الى انكاره بقول من لا امره بقوله وهو حكيم لا يظف  
 مبعاده ولا يسوغ بوجه أن يترك عباده بغير حساب خامسها قوله تعالى (وأن الله يبعث  
 بالاحياء) (من في القبور) بمقتضى وعده النبي لا يقبل الخلق وقد وعد الساعة والبعث فلا بد أن  
 ينفي بمواعده ونزل في أبي جهل بن هشام كما قاله ابن عباس (ومن الناس من يجادل) أي بغاية

جهده (في الله) أي في قدرته وما يجمعه هذا الاسم الشريف من صفاته بعد هذا البيان الذي  
 لا مثل له ولا خفاء فيه (بغير علم) أتاه عن الله تعالى على لسان أحد من أوصيائه أعم من أن يكون  
 كتاباً أو غيره (ولا هدى) أرشده إليه أعم من كونه بضرورة أو استدلال (ولا كتاب منير) له نور  
 منه صح لديه انه من الله تعالى ومن المعلوم أنه بانتفاء هذه الثلاثة لا يكون جداله الا بالباطل وقيل  
 قوله تعالى ومن الناس كتر كما كرت سائر الاقاصيص وقيل الاقول في المقلدين وهذا في المقلدين  
 وقوله تعالى (ثاني عطفه) حال أي لاوى عنقه تكبرا عن الايمان كما قال تعالى واذا تبلى عليه  
 آياتنا لولى مستكبرا والعطف في الاصل الجانب عن عين أو شمال وقوله تعالى (ايضاً عن سبيل  
 الله) علة للجدال وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء والباقون بضمها (فان قيل) على قراءة  
 الضم ما كان غرضه في جداله الضلال لغيره عن سبيل الله فكيف علل به وما كان على قراءة  
 القمع مهتدياً حتى اذا جادل خرج بالجدال عن الهدى الى الضلال (أجيب) عن الاقول  
 بأن جداله لما أتى الى الضلال جعل كانه غرضه وعن الثاني بأن الهدى لما كان معترضاً لغيره  
 وأعرض عنه وأقبل على الجدال الباطل جعل كانه خارج من الهدى الى الضلال \* ولما ذكر  
 فعله وغرته ذكر ما أعد له عليه في الدنيا بقوله تعالى (له في الدنيا خزي) أي اهانة وذل وان طال زمن  
 استدراجه بتنعيمه حتى على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا الا وضعه وما أعد له عليه في الآخرة بقوله  
 تعالى (ونذيقه يوم القيامة) الذي يجمع فيه الخلائق بالا حياء بعد الموت (عذاب الحريق) أي  
 الاحراق بالنار وعن الحسن قال بلغني أن أحدهم يحرق في اليوم سبعين القمزة ويقال له  
 حقيقة أو مجازاً (ذلك) أي العذاب العظيم (بما قدمت يدك) أي بعملك ولكن جرت عادة  
 العرب أن تضيف الاعمال الى اليد لانها آلة أكثر العمل وازدادة ما يؤدى اليهما أنكى  
 (وأن) أي وبسبب ان (الله ليس بظلام) أي بذى ظلم ما (للعبيد) وانما هو مجازاهم على  
 أعمالهم أو ان المبالغة لكثرة العبيد \* ونزل في قوم من الاعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين  
 من بلادهم فكان أحدهم اذا قدم المدينة فصعبها جسمه وتعبت به ففرسه مهرا وولدت امرأته  
 غلاماً وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد أصبت به خيراً واطمأنن به وان كان الامر بخلافه قال  
 ما أصبت الا شرأ فينقلب عن دينه (ومن الناس من يعبد الله) أي يعمل على سبيل الاستمرار  
 والتصدق بما أمر الله به من طاعته (على حرف) فهو منزل كزلزل من يكون على حرف شقراً و  
 جبل أو غيره لا استقراره وكالذي على طرف من العسكر فان رأى غنمة استمر وان توهم خوفاً  
 طار وفر وذلك معنى قوله تعالى (فان أصابه خير) أي من الدنيا (اطمأنن به) أي بسببه وثبت على  
 ما هو عليه (وان أصابه فتنة) أي محنة وسقم في نفسه وماله (انقلب على وجهه) أي رجع  
 الى الكفر وعن أبي سعيد الخدري أن رجلاً من اليهود أسلم فأصابته مصائب فتشام  
 بالاسلام فأق النبي صلى الله عليه وسلم فقال ألقى فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت \* ولما كان  
 انقلابه هذا مضطرباً لا ينام ولا يترجمه قال تعالى (خسر الدنيا) بقوات ما أكله منها ويكون ذلك  
 سبب التفتير عليه قال تعالى ولو أنتم سمأتموا التوراة والانجيل فما أنزل اليهم من ربهم لا كلاً

من فوقهم ومن تحت أرجلهم وروى أن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه (والآخرة)  
 بالكفر ثم عظم مصيبته بقوله تعالى (ذلك) أي الأمر العظيم (هو) أي لا غيره (الخسران المبين)  
 أي البين إذ لا خسران مثله ثم بين هذا الخسران الذي وقده إلى ما كان فيه قبل الإيمان  
 الحرفي بقوله تعالى (يدعوا) أي يعبد حقيقة أو مجازاً (من دون الله) أي غيره من الصنم  
 (ما لا يضرمه) أن لم يعبد (وما لا يتقعه) أن عبده (ذلك) أي الدعاء (هو الضلال البعيد) عن  
 الحق والرشاد استعير الضلال البعيد من ضلال من أبعث في التيه ضالاً فالت وبعثت مسافة  
 ضلاله • ولما كان الأحسان جالباً للانسان لأن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها  
 أن ما قيل في جلب النفع انما هو على سبيل القرص فقال تعالى (يدعوا لمن) أي من (ضرمه)  
 بكونه معبوداً لأنه يوجب القتل والحزى في الدنيا والعذاب في الآخرة (أقرى من تقعه) الذي  
 يتوقع منه بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها إلى الله تعالى • (تنبه) • علم بما تقر بأن اللام  
 في لمن مزيدة كما قال الجلال المحلى (فان قيل) الضرر والنفع متقيان عن الاصنام مثبتان لها في  
 الآيتين وهذا متناقض (أجيب) بأن المعنى إذا حصل ذهب هذا الوهم وذلك أن الله تعالى سفه  
 الكافر بأنه يعبد جادا لا يملك ضراً ولا نفعاً وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله أنه يتفجع به حين  
 يستشفع به ثم يوم القيامة يقوم هذا الكافر بدعاء وصرخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله  
 النار بعبادتها ولا يرى أثر الشفاعة التي ادعاها لها وقيل الآية الأولى في الاصنام والثانية في  
 الرؤساء وهم الذين كانوا يقرعون اليهم بدليل قوله تعالى (لبئس المولى) أي الناصر هو (ولبئس  
 العشير) أي صاحب هو قال الرازي وهذا الوصف بالرؤساء أليق لأن ذلك لا يكاد يستعمل  
 في الأوثان فبين تعالى أنهم يعدلون عن عبادة الله إلى عبادة الاصنام وإلى طاعة الرؤساء  
 • ولما بين سبحانه وتعالى حال الكفار عقبه بحال المؤمنين بقوله تعالى (إن الله) أي الجامع لجميع  
 صفات الكمال المنزه عن جميع شوائب النقص (يدخل الذين آمنوا) بالله ورسوله (وعملوا)  
 تصديقاً بالإيمان (الصلوات) من الفروض والنوافل الخالصة الشاهدة بنبأتهم في الإيمان  
 (جنات تجري من تحتها) أي في أي مكان من أرضها (الأنهار) • ولما بين سبحانه وتعالى  
 حال الفريقين قال تعالى (إن الله) أي المحيط بكل شيء قدرة وعلماً (يفعل ما يريد) من أكرام من  
 يطيعه واهانة من يعصيه لادفع له ولا مانع وقوله تعالى (من كان يظن أن لن ينصره الله  
 في الدنيا والآخرة) فيه اختصار والمعنى أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن  
 خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه فالضمير راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم (فان قيل) لم يجزه  
 ذكر في هذه الآية (أجيب) بأن فيها ما يدل عليه وهو ذكر الإيمان في قوله تعالى إن الله  
 يدخل الذين آمنوا والإيمان لا يتم إلا بالله ورسوله وقيل الضمير راجع إلى من في أول الآية لأنه  
 المذموم ومن حق الكفاية أن ترجع إلى المذموم كوراذا أمكن ذلك وعلى هذا المراد بلنصر  
 الرزق قال أبو عبيدة وقف علينا سائل من بني بكر فقال من ينصر في نصره الله أي من يعطى  
 أعطاه الله فكانه قال من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة (فلم يدب سبب) أي

بجبل (الى السماء) أى سقف بيته يشد بينه وبين عنقه (ثم ليقطع) أى ليخسق به بأن يقطع نفسه  
 من الارض كما فى الصحاح وقبل فلم يدحجلا الى سما الدنيا ثم لصعد عليه فيجهد فى دفع نصر  
 النبي صلى الله عليه وسلم على الاول أو يحصل رزقه على الثاني وقرأ أورش وأبو عمرو وابن جابر  
 بكسر اللام والباقون بسكونها (فليتظر) يبصره وبصيرته (هل يذهبن) وان اجتهد (كيدته)  
 فى عدم نصره النبي صلى الله عليه وسلم وفى تحصيل رزقه (ما يغيظ) من ذلك والمعنى فليخسق  
 غيظا فلا بد من نصرته صلى الله عليه وسلم واعلاء كلمته وأن ذلك لا يقلب القسمة فان الارزاق  
 يد الله لا تتال الا بمشيئة الله سبحانه وتعالى وهذا كما يقال لمن أذبر عنه أمر فجزع انشرب  
 برأسك الجدار ان لم ترض هذامت غيظا ونحو ذلك والحاصل انه ان لم يصبر طوعا صبر كرها  
 واختلف فى سبب نزول هذه الآية على القول الاول فذكر واقعها وجوها أحدها كان قوم من  
 المسلمين لشدة غيظهم على الكفار يستبطون ما وعد الله رسوله من النصر فترت ثابتهما قال  
 مقاتل تزات فى نفر من أسد وعطفان قالوا ونخاف أن الله لا ينصر محمد أفينة طع الذى بيننا وبين  
 حلفائنا من اليهود فلا يبرونا نالها ان حساده وأعداءه كثيرة وكانوا يتوقعون أن لا ينصره  
 وأن لا يعينه على أعدائه فتنى شاهد وأن الله نصره غاظهم ذلك (وكذلك) أى ومثل ما أنزلنا  
 هذه الآيات لبيان حكمها واظهار أسرارها (أنزلناه) أى القرآن الباقى وقوله تعالى (آيات  
 بينات) أى معجزات نظمها كما كان معجزا حكمها حال وقوله تعالى (وأن الله) أى الموصوف  
 بالاكرام كما هو موصوف بالانتقام (يهدى) أى بآياته (من يريد) أى هدايته أى ينبتة على  
 الهدى معطوف على محمل أنزلناه \* ولما قال تعالى وأن الله يهدى من يريد أتبعه ببيان من  
 يهديه ومن لا يهديه وبدأ بالقسم الاول بقوله (ان الذين آمنوا) بالله ورسوله وعبر بالفعل ليشمل  
 الاقرار باللسان الذى هو أدنى وجوه الايمان ثم شرع فى القسم الثانى بقوله تعالى (والذين  
 هادوا) أى اتصلوا دين اليهودية (والصابئين) وهم فرقة من النصارى سميت بذلك قبل لتسببها الى  
 صابى عم نوح عليه السلام وقبل لخروجهم عن دين الى دين آخر واطلاق الصابئة على هذا هو  
 المشهور وتارة يوافقونهم فى أصول دينهم ففضل منا كحتم وتارة يخالفونهم فلا تحل منا كحتم  
 وتطلق أيضا على قوم أقدم من النصارى يعبدون الكواكب السبعة ويضيفون الآثار  
 اليها وينفون الصانع المختار فهو لا لا تحل منا كحتم وقد أفتى الاصطخرى والهاملى بقتلهم  
 لما استفتى القاهر الفقه ما فهم فبذلوا له أموالا كثيرة فتركهم والبلاء قديم وقرأ ناقع البلاء  
 المحنة بعد البلاء والباقون بهمزة مكسورة بعد البلاء الموحدة (والنصارى) أى الذين اتصلوا  
 دين النصرانية (والمجوس) قال قتادة هم عبدة الشمس والقمر والنيران قال (والذين أشركوا)  
 هم عبدة الاوثان قال مقاتل الاديان كلها ستة واحد للرحمن وهو الاسلام وخسة للشيطان  
 وقبل خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحمن يجعل الصابئين مع النصارى لانهم فرع منهم كما مر  
 على المشهور وقد تقدم الكلام على هذه الآية فى سورة البقرة (ان الله) الذى هو أحكم  
 الحاكمين (يفصل بينهم يوم القيامة) بإدخال المؤمنين الجنة وغيبهم النار وأدخلت ان

على كل واحد من جزأى الجملة لزيادة التأكيذ ونحوه قول جرير

ان الخليفة ان الله سر به \* سر بال ملك به تربي الخواتيم

ثم علل ذلك بقوله تعالى (ان الله) أى الجامع لجميع صفات الكمال (على كل شئ) من الاشياء كلها (شهيد) أى عالم به علم مشاهدة (المر) أى تعلم (أن الله يسجد له) أى يخضع متقاد الامر سبحانه مسجدا لما يريد منه تسخير من هو فى غاية الاجتهاد فى العبادة والاخلاص فيها (من فى السموات ومن فى الارض) ان خصصت بذلك العاقل أفهم خضوع غيره من باب أولى وان ادخلت غير العاقل فى التغليب ثم أتبعه بأشرف ما ذكر مما لا يعقل لان كلاً منها عبد من دون الله أو عبد شئ منه فقال تعالى (والشمس والقمر والنجوم) من الاجرام العلوية تعبد الشمس حير والقمر كائنة والدبران نجم والشعرى نلم والتراب طي وعطار دأسد قاله أبو حيان روى عن عمرو بن دينار قال سمعت رجلا يطوف بالبيت ويكسى فاذا هو طواس فقال أعجبت من يكأنى قلت نعم قال ورب الكعبة ان هذا القمر ليسكى من خشية الله ولا ذنب له \* ثم أتبع ذلك أعلى الذوات السفلية فقال (والجبال) أى التى قد نحتت منها الاصنام (والشجر) أى التى عبد بعضها (والدواب) أى التى عبد منها البقر كل هذه الاشياء تنقاد لامر الله ولا تأبى عن تدبيره (وكثير من الناس) وهم المؤمنون بزيادة الخضوع سجد سجودا هو منه عبادة مشروعة بحق له الثواب (وكثير) أى من الناس (حق عليه العذاب) وهم الكافرون لانهم أبو السجود المتوقف على الايمان (ومن بين الله) أى يشقه (فأله من مكرم) أى مسعد لانه لا قدرة لغيره أصلا (أن الله) أى الملك الاعظم (يفعل ما يشاء) من الاكرام والاهانة لا مانع له من ذلك نقل عن على رضى الله تعالى عنه أنه قيل له ان رجلا يتكلم فى المشيئة فقال له على يا عبد الله خلقك الله لما يشاء أو لما شئت قال بل لما يشاء قال فيمرضك اذا شاء أو اذا شئت قال بل اذا شاء قال فيشقيك اذا شاء أو اذا شئت قال بل اذا شاء قال فيمدخلك حيث شئت أو حيث يشاء قال بل حيث يشاء قال والله لو قلت غير ذلك لضربت الذى فيه عينك بالسيف \* ولما بين تعالى أن الناس قسمان منهم من يسجد لله ومنهم من حق عليه العذاب ذكر كيفية اختصاصهم بقوله تعالى (هذان خصمان) أى المؤمنون خصم والكفار الخمسة خصم وهو يطلق على الواحد والجماعة وقرأ ابن كثير بتشديد النون والباقون بالتخفيف (اختصموا) أى أوقعوا الخصومة بقاية الجهد (فأربهم) أى دينه وروى عن قيس بن عباد قال سمعت أبا ذر يقسم قسمان هذه الآية هذان خصمان اختصموا فى ربهم نزلت فى الذين برزوا يوم بدر حزة وعلى وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة أخرجاه فى الصحيين وعن ابن عباس قال لما بارز على حزة وعبيدة عتبة وشيبة والوليد قالوا اللهم اكلمنا وانعرفكم قال أبا على وهذا حزة وهذا عبيدة فقالوا أكفاه كرام فقال على أدعوكم الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال عتبة لهم للمبارزة فبارز على شيبة فلم يلبث أن قتله وبارز حزة عتبة فقتله وبارز عبيدة الوليد فصعق عليه فأتى على فقتله فنزلت وعن قتادة نزلت الآية فى المسلمين وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب

نينا قبل نبيكم وكنا قبل كآبكم ونحن أولى بالله منكم قال المسلمون كآبنا يقضى على الكيب  
 كلها ونينا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء فصن أولى بالله منكم وعن ابن عباس أنها نزلت  
 كذلك لكان قال أهل الكتاب نحن أولى بالله وأقدم بين يديكم كآبا ونينا قبل نبيكم  
 وقال المسلمون نحن أحق بالله منكم آمننا بنينا محمد صلى الله عليه وسلم وآمننا بنبيكم وبما أنزل الله  
 من كتاب وانكم تعرفون نينا وكآبنا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم وقيل  
 المؤمنون والكافرون من أى ملة كانوا فالؤمنون خصم والكفار خصم وقيل الحصان  
 الجنة والنار لما روى عن أبي هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتاج الجنة  
 والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة فالى لا يدخلنى الاضعفاء الناس  
 وسقطهم فقال الله عز وجل للجنة أنت رحى أرحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار انما أنت  
 هذا بى أعذب بك من أشاء من عبادى ولكل واحدة منكما ملوؤها وعن عكرمة فقالت النار  
 خلقنى الله لعقوبته وقالت الجنة خلقنى الله لرحمته وهذا القول بعيد عن السياق لان الله تعالى  
 ذكر جزاء الحصين بقوله تعالى (فَالَّذِينَ كَفَرُوا) وهو الفصل بينهم المعنى بقوله تعالى ان الله  
 يفصل بينهم يوم القيامة (قطعت) أى قدرت (لهم) على تقادير جثثهم (ثياب من نار) أى نيران  
 تحيط بهم احاطة الثياب سابغة عليهم كما كانوا يسبلون الثياب فى الدنيا تاخرا وتكبرا  
 وعن ابراهيم التيمي أنه قال سخان من قطع من النار شيئا وعن سعيد بن جبير قال قطعت من  
 نحاس وليس من الا نيتشى اذا حى أشد حرارة منه وقال فى قوله (يصب) أى اذا دخلوها  
 (من فوق رؤسهم الحميم) قال ابن النحاس يذاب على رؤسهم ولكن المشهور أنه الماء الحار وعن  
 ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها والجملة حال من الضمير فى لهم أو خبر ثان  
 وقرأ أبو عمرو فى الوصل بكسر الهاء والميم وقرأ جزء والكسافى بضم الهاء والميم والباقون بكسر  
 الهاء وضم الميم هذا فى الوصل فان وقف على رؤسهم فالجميع بكسر الهاء وسكون الميم وجزء  
 على أصله فى الوقف على رؤسهم يتسهل الهمزة (يصر) أى يذاب (به) من شدة حرارته  
 (ما فى بطونهم) من شحم وغيره (والجلود) فيكون أثره فى الباطن والظاهر سواء وقال ابن عباس  
 يسقون ما اذا دخل بطونهم اذا بها والجلود مع البطون (ولهم مقلع) جمع مقمعة بكسر  
 ثم فتح وهو عود حديد وقيل سوط يضرب به الوجه والرأس ليرد المضروب عن مراده وذا  
 عنيفا ثم نقى الجواز بقوله تعالى (من حديد) أى يجمعون بها روى أبو سعيد الخدرى عن رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن مقمعا من حديد وضع فى الارض فاجتمع الثقلان ما أقلوه  
 من الارض ولو ضرب الجبل بجمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان (كلما أرادوا أن يخرجوا  
 منها) أى من تلك الثياب أو من النار (من غم) أى كلما ولوا الخروج من النار لما يلحقهم  
 من الغم والكرب الذى يأخذ بانفسهم (أعيدوا فيها) أى رددوا اليها بالمقامع وعن الحسن أنهم  
 يضربون بلهب النار قترضهم حتى اذا ككانوا فى أعلاها ضربوا بالمقامع فهو وانها سبعين  
 خريفا وعن الفضيل بن عياض قال والله ما طعموا فى الخروج لان الرجل مقيدة والايدي



مؤثمة ولكن يزعمهم لها وترددهم مقامها وعن الحسن قال كان عمر يقول أكثرها ذكر النار  
 لأن حترها شديد وقعرها بعيد وأن مقامها من حديد (و) قبل لهم (ذوقوا عذاب الحريق)  
 أي البالغ ثم آية الاحراق \* ولما ذكر تعالى مالا أحد الخصمين وهم الكافرون أسبغ مالا آخر  
 وهم المؤمنون وغيره لا سبب فيه حيث لم يقل والذين آمنوا عطف على الذين كفروا وأسبغ  
 الإدخال فيه إلى الله تعالى وأكد ما بان اتحاد الحال للمؤمنين وتعليق الشأنهم فقال (إن الله) أي  
 التثنية الأمر كما (يدخل الذين آمنوا) بالله ورسوله (وعملوا) تصديقا لإيمانهم (الصالحات)  
 من القروض والتوافل الخالصة الشاهدة بشيئهم في الإيمان (جنات تجري) أي دائمات (من  
 تحتها الأنهار) أي المياه الواسعة أينما أردت من أرضها تجري للثمن في مقابلة ما يجري من فوق  
 رؤس أهل النار عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة بحر الماء وبحر  
 العسل وبحر اللبن وبحر النخلة ثم تشقق الأنهار بعد أن خرج الترمذي وقال حديث صحيح (يصلون  
 فيها) من خلت المرأة إذ البست الحل في مقابلة ما يزال من بواطن الكفرة وظواهرهم وقوله  
 تعالى (من أساور) صفة مفعول محذوف أي حلما من أساور ومن زائدة أو تبعضية وأساور جمع  
 أسورة وهي جمع سوار \* ولما كان المقصود الخث على التقوى المعلية إلى الأتعام بالفضل  
 شوق إليه بأعلى ما يعرف من الحلبة فقال (من ذهب) وقوله تعالى (وأولئك) معطوف على أساور  
 لا على ذهب لأنه لم يعهد السوار منه إلا أن يراد المرصعة وعن أبي موسى الأشعري أن رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آيتهما وما فيهما  
 وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم الأرداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وعن أبي  
 سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن عليهم التيجان أدنى لؤلؤة منها التضيء ما بين  
 المشرق والمغرب أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقرأ نافع وعاصم بنصب الهمزة الثانية  
 مع التنوين عطف على محل أساور وأضعا والنصب مثل ويوتون والباقون بالتخفيف مع  
 التنوين وابدل الهمزة الأولى الساكنة حرف مد السوسى وأبو بكر هذا حال الوصل وأما  
 الوقف فهمزة يبدل الأولى واو وكذا الثانية تبدل واو وله أيضا فيها الروم وقوله تعالى (ولباسهم  
 فيها خير) وهو الأبريس المحرم لبسه على الرجال المكلفين في الدنيا في مقابلة ثياب الكفار  
 كما كان لباس الكفار في الدنيا حريرا ولباس المؤمنين دون ذلك وقد ورد في الصحيحين عن عبد الله  
 ابن الزبير عن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تلبسوا الحرير فإن لبسه  
 في الدنيا لم يلبسه في الآخرة قال ابن كثير قال عبد الله بن الزبير ومن لم يلبس الحرير في الآخرة  
 لم يدخل الجنة قال الله تعالى ولباسهم فيها حريرا انتهى وفي الصحيحين أيضا عن عمر رضي الله  
 عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة قال القاسمي  
 فيوشك المشبه بالكفار في لباسهم أن يلطقة الله بهم فلا يموت مسلما ٥١ والأولى أن يحصل  
 ذلك على أنه لا يلبسه مع السابقين فإن من مات على الإسلام لا يقمن دخول الجنة أو على من  
 استكمل من الرجال المكلفين (وهو عدوا) أي في الدنيا (إلى الطيبين من القول) قال ابن عباس

هو شهادة أن لا إله إلا الله وقيل هو لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله وقال السدي  
 هو القرآن وقال عطاء هو قول أهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده (وهذا إلى صراط  
 الحميد) أي طريق الله المحمود ودينه فكان فعلهم حسنا كما كان قولهم حسنا فدخلوا الجنة  
 التي هي أشرف دار عند خير جبار وحلوا فيها أشرف الحلى كما تحلوا في الدنيا بأشرف الطرائق  
 عكس المكفار فانهم آثروا الثاني لحضوره وأعرضوا عن الباقي مع شرفه لغيبه فدخلوا نادوا  
 كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ثم ذكر تعالى بعد ما فصل بين الفريقين حرمة البيت  
 وعظم جرم من صدعنه فقال تعالى (ان الذين كفروا) أي أو قعوا هذا الفعل الخبيث وصح  
 عطف (ويصدون) وان كان مضارعا على الماضي لان المضارع قد لا يلاحظ منه زمان معين  
 من حال أو استقبال بل يكون المقصود منه الدلالة على مجرد الاستمرار كما يقال فلان يحسن إلى  
 القراء لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه فالصدود منهم مستمر  
 دائم للناس (عن سبيل الله) أي عن طاعته باقتسامهم طرق مكة يقول بعضهم لمن يتره يخرج فينا  
 ساحر وآخر يقول شاعروا وآخر يقول كاهن فلاتسبوا منه فانه يريد أن يردكم عن دينكم حتى  
 قال من أسلم لم ير الوابي حتى جعلت في أذني الكرسف مخافة أن أسمع شيئا من كلامهم وكانوا  
 يؤذون من أسلم إلى غير ذلك من أعمالهم (و) يصدون عن (المسجد الحرام) أن تقام شعائره  
 من الطواف بالبيت والصلاة والحج والاعتمار من هو أهل ذلك من أوليائنا ثم وصفه بما بين  
 شديد ظلمهم في الصدعنه بقوله تعالى (الذي جعلناه) بالناس العظيمة (لناس) أي كلهم  
 ثم بين جعله لهم بقوله تعالى (سواء العا كف) أي المقيم (فيه والباد) أي الطارئ من البداية  
 وهو الجاني إليه من غربة وقال بعضهم يدخل في العا كف الغريب اذا جاءه للتعبد وان لم يكن  
 من أهله قال الزمخشري وقد استشهد بهذا أصحاب أبي حنيفة فأتين ان المراد بالمسجد  
 الحرام مكة على امتناع جواز بيع دوومكة واجارتها انتهى وأيضا هو مذهب ابن عمر وعمر  
 ابن عبد العزيز واسحق الحنطلي المعروف بابن راهوية قال البيضاوي وهو مع ضعفه معارض  
 بقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم الآية وشري عمردار السجن فيها من غير تكبير انتهى  
 ووجه الرازي الضعف بقوله لان العا كف قد يراد به الملازم للمسجد المعتكف فيه على  
 الدوام أو في الاكثر فلا يلزم ما ذكره ويحتمل أن يراد بالعا كف الجاور للمسجد المتكف في كل وقت  
 من الاوقات من التعبد فيه فلا وجه لصرف الكلام عن ظاهره مع هذه الاحتمالات انتهى  
 واستدل أيضا للجواز بقوله صلى الله عليه وسلم لما قال له أسامة بن زيد يا رسول الله أنزل غدا  
 بدارك بمكة فقال وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور وكان عقيل وريث أباطالب دون علي  
 وجهنر لانهما كانا مسلمين ولا يورث الا ما كان الميت مالكه قال الرويان ويكره بيعها  
 واجارتها للخروج من الخلاف ونازعه النووي في مجموعته وقال انه خلاف الاولى لانه لم يرد فيه  
 نهى مقصود والا قول كما قال الزركشي هو المنصوص بل اعترض على النووي فانه هرج  
 بكرامة بيع المعصف والشطرنج ولم يرد في ذلك نهى مقصود (تنبيه) محل الخلاف بين العلماء

في بيع نفس الارض أما البناء فهو مملوك يجوز بيعه بلا خلاف أي اذا لم يكن من أجزاء أرضها  
 قيل إن اسحق الحنطى ناظر الشافعى رضى الله تعالى عنه بمكة في بيع دور مكة فاستدل  
 الشافعى بعمارة واستدل هو على المنع بقوله حدثني بعض التابعين بأنها لا تباع فقال له الشافعى  
 لو قام غيرك مقامك لا حرت بفرك أذنيه أقول لك قال الله وثمونه تقول حدثني بعض التابعين  
 وقال الرازى فقال اسحق فلما علمت أن الحجة لم تنى تركت قولى وقرأت أحسن سواء بالنصب على  
 أنه ثانى مفعولى جعلناه أى جعلناه مستويا للعاكف فيه والبلاد والباقون بالرفع على أن  
 الجملة مفعول ثان لجعلناه ويكون للناس حالا من الهاء ويصح أن يكون حالا من المستكرن  
 في الناس يجعله مفعولا ثانيا لجعلناه وقرأت أورش وأبو عمر والبادى بإثبات الباء بعد الدال وصلها  
 لا وقتا وأثبتها بن كثير وقتا وصلها وحذفها الباقون وقتا وصلها (ومن يرد فيه) أى المسجد  
 الحرام (بالحد بظلم) أى يميل الى الظلم والاحقاد العدل عن القصد وأصله الحد الحافر وقيل  
 الاحقاد فيه هو الشرك وعبادة غير الله وقيل هو كل شئ منى عنه من قول أو فعل حتى شتم  
 الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير احرام أو ارتكاب شئ من محظورات الاحرام من قتل صيد  
 أو قطع شجر وقال ابن عباس هو أن تقتل فيه من لا يقتلك أو تظلم فيه من لا يظلمك وقال مجاهد  
 هو تضاعف السينات بمكة كما تضاعف الحسنات وقال سعيد بن جبيرة احتكار الطعام بمكة بدليل  
 ما روى يعلى بن أمية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن احتكار الطعام في الحرم الحاد  
 وعن عطاء قول الرجل في المباينة لا والله بلى والله وعن عبد الله بن عمر أنه كان له فسطاطان  
 أحدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال  
 كما حدثت أن من الاحقاد فيه أن يقول الرجل لا والله وبلى والله (تنبيه) قوله بالحد بظلم  
 حالان مترادفان ومفعول يرد متروك ليتناول كل متناول كأنه قال ومن يرد فيه مراد ما عادلا  
 عن القصد ظالمنا (نذقه من عذاب أليم) أى مؤلم أى بعضه وخبران محذوف لدلالة جواب الشرط  
 عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام نذيقهم من عذاب أليم  
 فكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك فينبغي لمن كان فيه أن يضبط نفسه ويسلك طريق السداد  
 والعدل في جميع ما يهتم به ويقصده \* ولما ذكر تعالى القرينين وجزاء كل وختمه بذكر البيت أتبعه  
 التذكية فقال تعالى (واذ) أى واذا كراذ (بؤا بالابراهيم مكان البيت) أى جعلناه مكان البيت  
 صورا أى مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة فان البيت رفع الى السماء أيام الطوفان وكان من  
 ياقوته جزاء فأعلم الله ابراهيم عليه السلام مكانه بريح أرسلها يقال لها الخوج كشفت ما حوله  
 فبناه على اسم القديم وقيل بعث الله تعالى له سبحانه بقدر البيت فقامت بجبال البيت وفيها رأس  
 يتكلم يا ابراهيم ابن على دورى فبقي عليه وعن عطاء بن أبي رباح قال لما أهبط الله آدم عليه السلام  
 كان رجلا في الارض ورأسه في السماء يسمع نسيج أهل السماء ودعاءهم وأنس اليهم فهابت  
 الملائكة منه حتى شكت الى الله تعالى في دعائها وقيل في صلاتها فاخضه الله تعالى الى  
 الارض فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش وقيل أول من بنى البيت ابراهيم لما روى وورد

في العيصين عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أولاً قال المسجد الحرام قلت ثم  
 أي قال بيت المقدس قلت كم بينهما قال أربعون سنة ثم فسر التبوته بقوله تعالى (أن لا تشركني  
 شيئاً) فابتدأ باسم العبادة ورأسها وعطف على النهي قوله تعالى (وطهر بيتي) أي عن كل ما لا  
 يليق به من الأوثان والاقذار وطواف عريانه كما كانت العرب تفعل (للطائفين) أي الذين  
 يطوفون بالبيت (فان قيل) كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسير للتبوته  
 (أجيب) بأن التبوته لما كانت مقصودة من أجل العبادة فكانت قبل تعبدنا إبراهيم قلنا  
 لا تشركني شيئاً وطهر بيتي للطائفين وقال ابن عباس للطائفين بالبيت من غير أهله (والقائمين)  
 أي المقيمين (والركع السجود) أي المصلين من الكل وقال غيره القائمين هم المصلون لأن  
 المصلي لا بد أن يكون في صلاته جامعاً بين القيام والركوع والسجود قال البيضاوي ولعله عبر  
 عن الصلاة بأركانها للدلالة على أن كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت  
 (وأذن في الناس) أي أعلمهم ونادفهم (بالحج) وهو قصد البيت على سبيل التكرار للعبادة  
 المخصوصة بالمشاعر المنصوصة وفي المأمور بذلك قولان أحدهما وعليه أكثر المفسرين أنه  
 إبراهيم عليه السلام قالوا الملقى من بناء البيت قال الله تعالى له أذن في الناس بالحج قال يارب  
 وما يبلغ صوتي قال عليك الأذان وعلى البلاغ فصعد إبراهيم الصفا وفي رواية أخرى أبا قبيس  
 وفي أخرى على المقام قال إبراهيم كيف أقول قال جبريل قل لبيك اللهم لبيك فهو أول من لبي  
 وفي رواية أخرى صعد على الصفا فقال يا أيها الناس إن الله كتب عليكم حج هذا البيت العتيق  
 فسمعه ما بين السماء والأرض فابقى شئ مع صوته الأقبيل يلبى يقول لبيك اللهم لبيك وفي رواية  
 أخرى إن الله يدعوكم إلى حج بيته الحرام لئيبكم به الجنة ويجبركم من النار فأجابته يومئذ من كل  
 في أصلاب الرجال وأرحام النساء وكل من وصل إليه صوته من حجراً وشجراً أو آية أو تراب قال  
 مجاهد فاج انسان ولا يحج أحد حتى تقوم الساعة الا وقد سمع ذلك النداء من أجا بمرّة حج  
 مرّة ومن أجا بمرتين أو أكثر فيحج مرتين أو أكثر بذلك المقدار وفي رواية فننادي على جبل  
 أبي قبيس يا أيها الناس إن ربكم ينيبكم ويبتأوا واجب الحج عليكم إليه فأجيبوا ربكم والتفت  
 بوجهه بينا وشمالاً وشرقاً وغرباً فأجابته كل من كتب له أن يحج من أصلاب الرجال وأرحام  
 الأمهات لبيك اللهم لبيك وعن ابن عباس قال لما أمر الله إبراهيم بالأذان تواضعت له الجبال  
 وخضت وارتفعت له القرى القول الثاني أن المأمور بذلك هو النبي محمد صلى الله عليه  
 وسلم وهو قول الحسن واختاره أكثر المعتزلة واحتجوا عليه بأن ما جاء في القرآن وأمكن جملة  
 على أن محمد صلى الله عليه وسلم هو الخطاب به فهو أولى لأن قوله تعالى واذبوا أناسه  
 واذكروا بحمدنا فهو في حكم المذكور فإذا قال تعالى واذن قاله يرجع الخطاب أمر أن  
 يفعل ذلك في حجة الوداع روى عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فقال يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا وجواب الأمر (بأولئك) أي يا أيها بيتك  
 النبي ينتبه لذلك محبين لمرتك بأذننا من طائفتين محبتين ناشئين من أقطار الأرض كما

يجيبون صوت الداعي من قبله اذا دعاهم بعد الموت بمثل ذلك (رجالاً) أى مشاة على أرجلهم  
جمع راجل كقائم وقائم (و) ركبانا (على كل ضامر) أى بعير مهزول وهو يطلق على الذكور والانسى  
\* (نبيه) \* على كل ضامر حال معطوف على حال كأنه قال رجالاً وركبانا وقوله تعالى (يأتين)  
صفة لكل ضامر لانه فى معنى الجمع (من كل فج) أى طريق واسع بين جبلين (عميق) أى بعيد  
روى سعيد بن جبير بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الحاج الركب له بكل خطوة  
تخطوها راحته سبعون حسنة والمائى سبع مائة من حسنات الحرم قيل يا رسول الله فما  
حسنات الحرم قال كل حسنة بمائة ألف حسنة وفى هذا دلالة على أن المنى أفضل من الركون  
وفى ذلك خلاف بين الأئمة بحله كتب الفقهاء \* ولما كان الانسان ميالاً الى الفوائد متشرفاً الى  
جبل العوائد عل الاتيان بما يرغبه مبيحاً من فضله ما يقصده من امر المعاش يقول تعالى  
(ليشهدوا) أى ليحضروا حضوراً تاماً (منافع لهم) واختلف فى تلك المنافع فبعضهم جعلها على  
منافع الدنيا وهى أن يتجروا فى أيام الحج وبعضهم جعلها على منافع الآخرة وهى العفو والمغفرة  
وبعضهم جعلها على الامرين جميعاً وهو كما قال الرازى أولى فبأون لتلك المنافع يتقانون من مشعر  
من مشاعر الحج الى مشعرو من مشهد الى مشهد مجموعين بالدعوة خاشعين بالهيبة خاتقين  
من السطوة راجين للمغفرة ثم تفرقون الى منازلهم ومواطنهم ويتوجهون الى مساكنهم  
كالسائر الى مواقع الحشر يوم البعث والنشر المتفرقين الى دارى النعيم والحجيم فبأىها  
المصدقون بأن خليلنا ابراهيم عليه السلام نادى بالحج فأجابه بقدرتنا كرامة له من أراد  
الله تعالى حجه على بعد أقطارهم وتناسق دارهم ممن كان موجوداً فى ذلك الزمان ومن كان  
فى ظهور الآباء والآلهات الاقربين والابعدين صدقوا الداعي من قبلنا بالنفح فى الصور  
يجيبه كل من كان على ظهرها من حفظنا له جسده أو سلطانا عليه الارض فخرقناه حتى صار  
تراياً وما بين ذلك لان الكل علمنا بسير قال الزمخشري وعن أبى حنيفة رحمه الله انه كان  
يفاضل بين العبادات كلها قبل أن يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها المشاهدة من تلك  
الخصائص \* ولما كانت المنافع لا تطيب ولا تثمر الا بالتقوى وكان الحامل على التقوى ذكر الله  
تعالى قال تعالى (ويذكر واسم الله) أى الجامع لجميع الكلمات بالمكبر وغيره عند الذبح  
وغيره وقيل ~~كنى~~ بالذبح عن الذبح لان ذبح المسلمين لا ينق عنه تنبها على ان المقصود مما  
يتقرب به الى الله تعالى أن يذكر اسمه \* واختلف فى الايام المعلومات فى قوله تعالى (فى أيام  
معلومات) فالذى عليه أكثر المفسرين وهو اختيار الشافعى وأبى حنيفة أنه عشر ذى الحجة  
واختبوا بأنهم معلومة عند الناس بحرمهم على علمهم من أجل أن وقت الحج فى آخرها ثم للمنافع  
أوقات من العشر معروفة كيوم عرفة والمشعر الحرام وتلك الذبائح وقت منها وهو يوم النحر  
وعن ابن عباس أنها أيام التشريق وقيل يوم عرفة الى آخر أيام التشريق وقيل يوم النحر الى آخر  
أيام التشريق واستدل لهذا بقوله تعالى (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) وهى الابل والبقر  
والغنم من الهدايا والاضايا أى يذكر واسم الله تعالى عند نحرها ونحر الضماني والهدايا يكون  
فى هذه الايام وتقدم الكلام على الايام المعدودات فى سورة البقرة عند قوله تعالى واذكروا الله

في أيام معدودات وقوله تعالى (فكفوا منها) أي من لحومها أمر اباحة وذلك أن الجاهلية  
 كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئاً فأمر الله تعالى بمخالفتهم واتفق العلماء على أن الهدى  
 إذا كان تطوعاً يجوز للمهدي أن يأكل منه وكذلك أخصية التطوع لما روى عن جابر بن عبد الله  
 في قصة حجة الوداع فأتى على يدين من اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة  
 فصر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وستين بدنة ونحر على ما غبر أي ما بقي وأشركه في بدنه  
 ثم أمر من كل بدنة ببيعة أي بقطعة فجعلت في قدر فطبخت فأكل من لحمها وشرب من مرقتها  
 أخرجهم مسلم واختلفوا في الهدى الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقران والدم الواجب  
 بإفساد الحج وقوته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدي أن يأكل شيئاً منه قال الشافعي رضي  
 الله عنه لا يأكل منه شيئاً وكذلك ما أوجب على نفسه بالنذر وقال ابن عمر رضي الله عنهما  
 لا يأكل من جزاء الصيد والنذرية كل مما سوى ذلك وبه قال أحمد وأصح وقال مالك يأكل  
 من هدى التمتع ومن كل هدى وجب عليه إلا من فدية الأذى وجزاء الصيد والنذر وعن  
 أصحاب أبي حنيفة أنه يأكل من كل من كل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما وقوله  
 تعالى (وأطعموا البائس) أي الذي أصابه بؤس أي شدة (الفقر) أي المحتاج أمر بإيجاب وقد  
 قيل به في الأول (ثم ليقتضوا منهم) أي يزيلوا أو ساخهم وشعثهم كقصر الشارب والانظفار  
 وتف الأبط والاستعداد عند الاحلال (وليوفوا نذورهم) من الهدايا والخصايا (وليطوفوا)  
 طواف الأفاضة الذي به تمام التحلل (بالبيت العتيق) أي القديم لأنه أول بيت وضع للناس  
 وقال ابن عباس سمي عتيقاً لأن الله تعالى أعنته من تسلط الجبابرة فكسبكم من جبار سار إليه  
 ليهدمه فنعاه الله تعالى منه (فان قيل) قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع (أجيب) بأنه ما قصد التسلط  
 على البيت وإنما تحصن به ابن الزبير فاحتال لأخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه أبرهة ففعل به  
 ما فعل وقيل لأن الله تعالى أعنته من القرى فانه رفع في أيام الطوفان وقال مجاهد لأنه لم يملك قط  
 وقيل بيت كريم أي العتيق بمعنى الكرم من قولهم عناق الخيل والطيور والطواف ينقسم إلى  
 ثلاثة هذا يدخل وقته بعد الوقوف وهذا لا يجبر تركه بدم لأنه ركن الثاني طواف الوداع ووقته  
 عند إرادة السفر من مكة وهو واجب يجبر تركه بدم الثالث طواف القدوم وهو مستحب للطاح  
 والحلال إذا قدم مكة روت عائشة رضي الله تعالى عنها أن أول شيء بدأ به حين قدم النبي صلى  
 الله عليه وسلم أنه توضأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ثم حج أبو بكر وعمر مثله وقرأ ابن ذكوان وليوفوا  
 وليطوفوا بكسر اللام فيهما والباقون بإسكانها وفتح أبو بكر الواو من وليوفوا وشد الفاء وقوله  
 تعالى (ذلك) خبر مبتدأ مقدراً أي الأمر أو الشأن ذلك المذكور كما يقدم الكتاب جملة من كتابه  
 في بعض المعاني ثم إذا أراد الخوض في معنى آخر قال هذا فقد كان كذا (ومن يعظم) أي بغاية  
 جهده (حرمت الله) ذي الجلال والإكرام كلها وهي ما لا يحل انتهاكها من مناسك الحج وغيرها  
 وقيل الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها تأميتها واتمامها وعن زيد بن أسلم الحرمات خمس  
 الفصحية الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والحرم حتى يصل (فهو) أي



أشرك بالله تعالى فقد أهلك نفسه هلاكاً ليس بعده هلاكاً بأن صور حاله بصورة حال من ختر من  
 السماء فاختطفته الطير ففرق من ما في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض  
 المطاوع البعده وان كان مقرفاً قد شبه الايمان في علوه بالسماه والذي ترك الايمان وأشرك بالله  
 بالساقط من السماء والاهواء التي توزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطوح به  
 في وادي الضلالة بالريح التي تهوى بما عصفت به في بعض المهاوى المتلفة أه قوله يطوح به  
 الباء مزيدة للتأكيد قال الجوهري طوحه أي توحه وذهب به ههنا وههنا وقرأ نافع بفتح  
 الخاء وتشديد الطاء والباقون باسكان الخاء وتخفيف الطاء ثم عظم ما تقدم من التوحيد وما  
 هو سبب عنه بالاشارة بأداة البعد فقال تعالى (ذلك) أي الامر العظيم التي كبير من راعا  
 فاز ومن خادعته خاب ثم عطف عليه ما هو أعظم من هذا القدر فقال تعالى (ومن يعظم شعائر  
 الله) جمع شعيرة وهي البدن التي تهدي للحرم لانها من معالم الحج بأن يختار عظام الاجرام  
 حسناً ما بالغية الايمان ويترك المكاس في شرايتها فقد كانوا يقولون في ثلاث ويكرهون  
 المكاس فيمن الهدى والاضحية والرقبة وروى ابن عمر عن أبيه رضي الله عنهما أنه أهدى  
 نجبية طلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشترى بمنها بدناً  
 فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فيها جل لابي جهل  
 في أئفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيصدق بطوبها وجلالها  
 ويعتقد أن طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم أمر عظيم لا بد أن يقام به ويسارع  
 فيه (فانها) أي تعظيمها ناشئ (من تقوى القلوب) فمن الابتداء فان جعلت ببعضه فلا بد من  
 حذف تقديره فان تعظيمها من أفعال ذوى تقوى القلوب فحذف هذه المضافات ولا يستقيم  
 المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء الى من يرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها  
 من اكر التقوى التي اذا ثبتت فيها وعكنت ظهر أثرها في سائر الاعضاء وسميت تلك البدن  
 شعائر لاشعارها بما يعرف به أنها هدى كطعن حديدة بسنامها قال البقاعي ولعلم ما خوذ من  
 الشعر لانها اذا جرحت قطع شئ من شعرها أو أزيل عن محل الجرح فيكون من الازالة (لكم  
 فيها) أي البدن (منافع) كركوبها والحمل عليها بما لا يضرها وعن ابراهيم من احتاج الى ظهرها  
 ركب ومن احتاج الى ايمنها شرب وقال أصحاب الرأي لا يركبها الا اذا اضطر اليها (الى أجل  
 مسمى) وهو وقت نحرها (ثم محالها) أي مكان حل نحرها (الى البيت العتيق) أي عنده والمراد  
 الحرم جميعه وقيل المراد بالشعائر المناسك ومشاهد الحج وبللنافع الاجر والثواب في قضاء  
 المناسك الى انقضاء آجالها ومحلها محل الناس من احرامهم الى البيت يطوفون به طواف الزيارة  
 (ولكل أمة) أي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جعلنا منسكاً) أي متعبداً وقربانياً يتقربون  
 به الى الله تعالى وقرأ حمزة والكسائي منسكاً هنا وفي آخر السورة بكسر السين في الموضعين  
 فيكون بمعنى الموضع والباقون بقصها من مصدر بمعنى التمسك (ليذكر واسم الله) أي  
 الملك لا على وحده على ذياتهم وقرأينهم لانه اذا رزق لهم وحده فيقولون عند النصر الله



أكبر الاله الا الله والله أكبر اللهم منك واليك ثم علل الذكرا بالنعمة تبيينها على التفكر فيها  
 فقال تعالى (على ما رزقهم من بجملة الانعام) فوجب شكره لذلك عليهم وفيه تبيين على أن  
 القربان يجب أن يكون من الانعام (فألهكم) أي الذي شرع هذه المناسك كلها (الواحد)  
 وان اختلفت فروع شرائعه ونسخ بعضها بعضا واذا كان واحدا ووجب اختصاصه بالعبادة  
 فلذا قال تعالى (قله) وحده (اسلموا) أي انقادوا ويجمع ظواهركم وبواطنكم في كل ما أمر به  
 وأنها عنه (وبشر الخبتين) أي المطيعين التواضعين من الخبت وهو المظنن من الارض  
 وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا ينتصروا ثم بين علاماتهم بقوله تعالى (الذين اذا ذكر الله)  
 أي الذي له الجلال والجمال (وجلّت) أي خافت خوفا من عجا (قلوبهم) فيظهر عليها الخشوع  
 والتواضع لله تعالى (والصابرين) الذين صار الصبر عاداتهم (على ما أصابهم) من الصكف  
 والمصائب ولما كان ذلك قديشغل عن الصلاة قال تعالى (والمقبي الصلاة) في أوقاتها  
 والمحافظة عليها وان حصل لهم من المشاق بأفعال الحج وغيره ما عسى أن يحصل ولذلك عبر  
 بالوصف دون الفعل اشارة الى أنه لا يقيمها على الوجه المشروع مع تلك المشاق والشواغل  
 الا راسخ في حبه انهم لما تمكن حبه في قلوبهم والخوف من الغفلة عنها كانوا دائما في صلاة  
 (ومحارزقناهم يتفقون) في وجوه الخير من الهدايا التي يغالون في أثمانها وغير ذلك احسانا الى  
 خلق الله تعالى \* ولما قدم تعالى الحث على التقرب بالانعام كلها وكانت الابل أعظمها خلقا  
 وأجلها في أنفسهم أمر اخصها بالذكرك فقال تعالى (والبدن) أي الابل المعروفة بجمع بدنة كخشب  
 وخشبة واتصاه بفعله يضره (جعلناها لكم من شعائر الله) أي من اعلام دينه التي شرعها  
 الله تعالى وقيل لانها تشعروهي أن تطعن بحديدية في سنامها ليعلم بذلك أنها هدى (لكم فيها  
 خير) أي تنفع في الدنيا وتواب في العقبى كما قال ابن عباس دنيا وأخرى وروى الترمذي  
 وحسنه عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عمل ابن آدم يوم  
 النحر علا أحب الى الله من هراقة الدم وانه ليؤتى يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها وان  
 الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع الى الارض فطيبوا بها نفسا وروى الدارقطني في السنن عن  
 ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنفقت الورق في شيء أفضل من نخيرة في يوم  
 عيد وعن بعض السلف أنه لم يملك الا تسعة دنائير فاشتري بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت  
 ربي يقول لكم فيها خير (فأذكروا اسم الله عليها) أي على ذبحها بالتكبير حال كونها (صواف)  
 أي فاعة على ثلاث معقولة البدا يسرى لان البدنة تعقل احدي يديها فتقوم على ثلاث (فأذا  
 وجبت جنوبها) أي سقطت سقوطا بردت به بزوال أرواحها فلا حركة لها أصلا من وجب  
 الحائط وجبة سقطت ووجبت الشمس وجبة غربت قال ابن كثير وقد جاء في حديث من فروع  
 ولا يهلوا النفوس أن تزحق وقوله تعالى (فكروا منها) أي اذا كانت تطوعا من اباحة ذنوبها  
 فديظن أنه يحرم الاكل منها الا من تقر به الله تعالى (وأطعموا القانع) أي المتعرض للسؤال  
 من حوائجكم (والمعتر) أي السائل وقيل بالعكس وهو قول المتأخرين لوجه الله تعالى

قال في كتاب اختلاف الحديث القانع هو السائل والمعتز هو الزائر وقيل القانع هو الجالس  
 في بيته المتعفف الذي يقنع بما يعطى ولا يسأل ولا يترض والمعتز المتعرض وقيل القانع هو  
 المسكين والمعتز الذي ليس بمسكين ولا يتكون له ذبيحة فيبيء الى القوم فيتعرض لهم لاجل لهم  
 (كذلك) أى مثل هذا التسخير العظيم الذي وصفناه من قهرها قياما (مضرباها) بعظمتنا التي  
 لولاها ما كان ذلك (لكم) وذلكنا هاليلا ونهارا مع عظمتها وقوتها تأخذونها منقادة فتعقلونها  
 وتحبسونها ولو شئنا لجعلناها وحشية لم تطلق ولم تكن بأعجز من بعض الوحش التي هي أصغر منها  
 جرما وأقل قوة (لعلكم تشكرون) انعامنا عليكم لتعرفوا أن ما دللها لكم الا الله تعالى فيكون  
 حالكم حال من يرجو شكره فتوقعوا الشكر بأن لا تحترموا منها الا ما حترم عليكم ولا تحلوا منها الا  
 ما أحل وتهدوا منها ما حلت على اهدائه وتتصرفوا بحسب ما أمركم \* ولما حلت تعالى على  
 التقرب به اذ كورا اسمه عليها قال تعالى (لن ينال الله الذي له صفات السكال (لخومها)  
 المأكولة (ولادماؤها) المهرطقة أى لا يرفعان اليه (ولكن يناله التقوى منكم) أى يرفع اليه منكم  
 العمل الصالح الخالص له مع الايمان كما قال تعالى والعمل الصالح يرفعه أى يقبله وقيل كان  
 أهل الجاهلية اذا تحروا البدن نضحوا الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون أرادوا  
 مثل ذلك فترات \* ثم كثر سبحانه وتعالى التنبيه على عظيم تسخيرها منها على ما أوجب عليهم به  
 بقوله تعالى (كذلك) أى التسخير العظيم (مضربا لكم) بعظمته وغناه عنكم (لتكبروا الله على  
 ما هداكم) أى أرشدكم لعالم دينه ومناسك حجه كأن تقولوا الله أكبر على ما هدا بنا والحمد لله  
 على ما أولانا فاقتصر الكلام بأن ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته \* ثم وعد من امتثل  
 الامر بقوله تعالى (وبشر المحسنين) أى المتخلصين فيما يفعلونه ويذرونه كما قال تعالى من قبل  
 وبشر المحبتين والمحسن هو الذي يفعل الحسن من الاعمال ويمسك به فيصير محبتا الى نفسه  
 بتوفير الثواب عليه وقال ابن عباس الموحدين وقوله تعالى (ان الله) أى الذى لا كف له  
 (يدفع عن الذين آمنوا) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبفتح الباء وسكون الدال وفتح القاء والباقون  
 بضم الباء وفتح الدال وبعدها ألف وكسر الفاء أى يبلغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه ولم يذكرا لله  
 تعالى ما يدفع عنهم - حتى يكون أعظم وأنعم وأعم وان كان في الحقيقة أنه يدفع بأس المشركين  
 فلذلك قال تعالى بعده (ان الله) أى الذى له صفات السكال (لا يجب) أى لا يكرم كما يفعل المحب  
 (كل - وان) فى أماته (كفور) انعمته وهم المشركون قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا  
 معه شركا وكفروا نعمه فثبه بذلك على أنه يدفع عن المؤمنين كيد من هذه صفته وقال مقاتل  
 يدفع عن الذين آمنوا بمكة حين أمر المؤمنين بالنكف عن كفار مكة قبل الهجرة حين أذوهم  
 فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم فى قتلهم سرانتهاهم عن ذلك ثم أذن الله تعالى لهم فى قتلهم  
 بقوله تعالى (أذن للذين يقاتلون) أى المشركين والمأذون لهم فيه وهو فى القتال محذوف لدلالة  
 يقاتلون عليه (بأنهم) أى بسبب أنهم (قتلوا) فكانوا يأتونه صلى الله عليه وسلم بين مضروب  
 ومنصوب يتطلون اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزلت وهى أول

آية نزلت في القتال بعد ما نهى عنه في نيف وسبعين آية. وقبل نزلت في قوم بأعيانهم مهاجرين  
 من مكة إلى المدينة فاعترضهم مشركو مكة فأذن الله لهم في قتال الكفار الذين منعوهم من  
 الهجرة بأنهم ظلموا واعتدوا عليهم بالإيذاء وقرأ نافع وأبو عمرو وعاصم بضم الهمزة والباقون  
 بقصها. ولما كان التقدير فإن الله أراد أن يظهر دينه بهم عطف عليه قوله تعالى (وان الله) أي  
 الذي هو الملك الاعلى (على نصرهم لتقدير) وفي ذلك وعدم من الله بنصر المؤمنين ثم وصفهم  
 بقوله تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم) إلى الشعب والحبشة والمدينة (بغير حق) أو بجد ذلك  
 ما أخرجوا (الآن يقولوا) أي بقولهم (ربنا الله) وهذا القول حق والخراج به إخراج بغير  
 حق ونظير ذلك قوله تعالى هل تقمون منا إلا ان آمننا بالله (تنبيه) الذين أخرجوا مجرور  
 نعت للذين يقاتلون أو بذكر منه أو منصوب على المدح أو مرفوع خبر مبتدأ محذوف (ولو لا دفع  
 الله) أي المحيط بكل شيء (الناس بعضهم ببعض) أي بتسليط المسلمين منهم على الكافرين  
 بالمجاهدة لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمانهم وعلى متعبديهم كما قال تعالى  
 (لهدمت) أي خربت (صوامع) وهي معابد صغار للرهبان مرتفعة (ويبع) صكناث  
 للنصارى (وصلوات) أي كنائس اليهود وسببت بها لأنها يبلى فيها وقيل هي كلمة معربة أصلها  
 بالعبرانية صلوتا (ومساجد) للمسلمين (يذكر فيها) أي هذه المواضع المذكورة (اسم الله) العلى  
 العظيم (كثيراً) وتنقطع العبادات بخرابها وقيل الضمير يرجع للمساجد فقط تشرىفها بأن  
 ذكر الله يحصل فيها كثيراً (فان قيل) لم قدم الصوامع والبيع في الذكرك على المساجد (أجيب)  
 بأنها أقدم في الوجود وقيل آخرها في الذكر كما في قوله تعالى ومنهم سابق بالخيرات ولان الذكر  
 آخر العمل فلما كان نبينا صلى الله عليه وسلم خير الرسل وأتمنا خير الامم لاجرم كانوا آخرهم  
 ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون والسابقون وقيل آخرها لتكون بعيدة عن الهدم  
 قريبة من الذكرو وقرأ نافع دفاع بكسر الدال وفتح الفاء وألف بعدها والباقون بفتح الدال وسكون  
 الفاء وقرأ نافع وابن كثير لهدمت بتخفيف الدال والباقون بتشديد ها وأظهر الفاء عند الصاد  
 نافع وابن كثير وعاصم وأدغمها الباقون (ولينصرت الله) أي الملك الاعظم (من نصره) أي  
 نصر دينه وأولياؤه كائنا من كان منهم أو من غيرهم وقد أنجز الله تعالى وعده بأن سلط المهاجرين  
 والانصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرتهم وأورثهم أرضهم وديارهم (ان الله)  
 أي الذي لا كف له (لقوى) أي على ما يريد (عزيز) أي منيع في سلطانه وقدرته وقوله تعالى  
 (الذين ان مكاهم) أي بما لنا من القدرة (في الارض) باعلائهم على ضدهم (أقاموا الصلاة)  
 أي التي هي عماد الدين الدالة على المراقبة والاعراض عن تحصيل الفاني (وآتوا الزكاة)  
 أي المؤذنة بالزهد في الحاصل منه المؤذن بعمل النفس للرحيل (وأمرنا بالمعروف) أي الذي  
 أمر الله تعالى ورسوله به (ونها عن المنكر) أي الذي نهى الله ورسوله عنه وصف للذين  
 هاجروا وهو اخبار من الله تعالى بظهور الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين والانصار ورضى  
 الله تعالى عنهم ومن عثمان رضى الله تعالى عنه هذا والله شاء قبل بلا يريد ان الله تعالى أثنى

عليهم قبل أن يحدوثوا من الخبر ما أحدثوا (تنبيه) في ذلك دليل على صحة خلافة الأئمة الأربعة  
الخلق الراشدين إذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وإذا ثبت ذلك وجب أن يكونوا على  
الحق ولا يجوز جعل الآية على أمير المؤمنين على وحده لأن الآية دالة على الجمع وعن الحسن هم  
أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين منصوب بدل من قوله تعالى من نصره (ولله) أي الملك  
الاعلى (عاقبة الأمور) أي آخر أمور الخلق ومصيرها اليه في الآخرة فلا يكون لاحد غيرها أمر  
حتى أنه لا ينطق أحد الا بأذن منه \* ولما بين سبحانه وتعالى فيما تقدم انراج الكفار للمؤمنين  
من ديارهم بغير حق وأذن في مقاتلتهم وضمن لرسوله صلى الله عليه وسلم النصر وتبين ان الله  
عاقبة الأمور أردفه بما يجري مجرى التولية للنبي صلى الله عليه وسلم في الصبر على ما هم عليه من  
أذيتهم وأذية المؤمنين بالكذب وغيره فقال تعالى (وان يكذبوا فقد كذبت قبيلهم) أي قبل  
قومك (قوم نوح) وتأنيت قوم باعتبار المعنى وتحقير المكذبين في قدرته وان كانوا من أشية  
الناس (وعاد) أي ذور الأبدان الشداد قوم هود (وعود) أو لولا الأبيسة الطوال في السهول  
والجبال قوم صالح (وقوم ابراهيم) التجبرون المتكبرون (وقوم لوط) الانجاس بما لم يسبقهم  
اليه أحد من الناس (وأصحاب مدين) أرباب الاموال المجموعة من خراش الضلال فأنت  
يا أشرف الخلق لست بأوحدى في التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلكم قبل قومك \* ولما كان  
موسى عليه السلام قد أتى من الآيات المرئية ثم المسعومة بما لم يأت بمثله أحد من تقدمه فكان  
تكذبه في غاية البعد غير سبحانه وتعالى الاسلوب تنبيه على ذلك وعلى ان الذين أطبقوا على  
تكذبه القبط وأما قومه فما كذبه منهم الا أناس يسرفون في الكفر (وكذب موسى)  
وفي ذلك أيضا تعظيم للتأسية وتضخيم للتسليمية (فأملت للكافرين) أي أمهاتهم تأخير العقاب  
عنهم الى الوقت الذي ضربته لهم وعبر عن طول الاملاء بأداة التراخي لزيادة التأسية فقال  
تعالى (ثم أخذتهم) أخذ عزيز مقتدره ثم به سبحانه وتعالى بالاستفهام في قوله تعالى (فكيف  
كان تكبير) أي انكارى لا فعاله على أنه كان في أخذهم عبر وعجائب وأحوال وغرائب  
حيث أبدلهم بالنعمة محنة وبالحياسة هلاكا وبالعمارة خرابا والابتغهام للتقرير رأى وهو واقع  
موقعه فليحذر هؤلاء الذين أتيتهم بأعظم ما أتى به رسول قومه مثل ذلك فان لم يؤمنوا بك ففعلت  
بهم كما فعلت بهؤلاء وان كانوا أمكن الناس فلا يحزنك أمرهم \* (تنبيه) \* أثبت وريش الباء  
بعد الراء من فكيف في الوصل وحذفها الباقون وقفا ووصلا (وكاين) أي وكم (من قرينه)  
وقيل معنى كاين رب وقوله تعالى (أهلكتها) قرأ أبو عمرو وبعد الكاف بباء فوقية مخبومة  
والباقون بعد الكاف بنون وبعدها ألف والمراد أهلها بدليل قوله تعالى (وهي) أي ولما لم يأتها  
(ظلمة) أي أهلها بكفرهم ويحتمل أن يكون المراد اهلاك نفس القرية فيدخل تحت هلاكها  
هلاك من فيها لان العذاب التنازل اذا بلغ أن يهلك القرية فتصير منهمة يجعل الكليل فيها  
وان كان الاقل أقرب (فهى) أي فتسبب عن اهلاكها أنها (خاوية) أي منهمة ساقطة  
أي جردتها (على عروشها) أي سقوطها اذ كل من رفع أطلال من سقف بيت أو خيمة أو ظلمة

أو كرم فهو عرش وانما هو بالساقط من خوى النجم اذا سقط أو الخالي من خوى المنزل اذا خلا  
 من أهله وخوى بطن الحامل (تبيه) قوله على عروشها لا يتخلو من أن يتعلق بها وفيكون  
 المعنى انها بساقطة على عروشها أي سقوطها أي تصفت الاخشاب أو الامن كثرة الامطار وغير  
 ذلك من الاشرار فسقطت ثم سقط عليها الجدران فسقطت فوق القوف أو خالية مع بقا  
 عروشها وسلامتها واما أن يكون خبرا بعد خبر كما نه قيل هي خاوية وهي على عروشها أي  
 خائفة مظلة على عروشها على معنى أن السقف سقطت الى الارض فصارت في قرار المظان  
 مائلة فهي مشرفة على القوف الساقطة وقوله فهي خاوية جملة معطوفة على اهلكتها  
 لا على وهي مظلة فانها حال كما قدرته والاهلاك ليس حال خرابها فلا محمل لها ان نصبت كائين  
 بمقدر يفسره اهلكتها لانها معطوفة على جملة اهلكتها كما مر وهي مفسرة لا محمل لها وان  
 رفعت كائين بالابتداء فعملها رفع خبرا ثانيا للكائين والخبر الاول اهلكتها (و) كم بين (بئر معطلة)  
 أي متروكة يموت أهلها (وقصر مشيد) أي رفيع خال يموت أهلها (تبيه) علم مما قدرته ان  
 بئر معطوف على قرية وهو بقوى على ان عروشها بمعنى مع أوجه وروى ان هذه بئر نزل عليها  
 صالح عليه السلام مع أربعة آلاف نفر من آمن به وبجاهم الله تعالى من العذاب وهي  
 بحضرموت وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضره مات وتم بلدة عند البئر اسمها جاضوراء  
 بنا عن قوم صالح وأتروا عليهم جهلس بن جلاس وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما  
 فارسل الله تعالى اليهم حنظلة بن صفوان عليه السلام نيا فقتلوه فأهلكهم الله تعالى وعطل  
 بئرهم وخرب تصورهم وقوله تعالى (أفلم يسيرا) أي كفار مكة (في الارض) محتمل انهم  
 لم يسافروا فمخروا على السفر ليرامصارع من اهلكهم الله تعالى بكفرهم وبشاهدوا آثارهم  
 فيعتبروا وان يكونوا قد سافروا وراوا ذلك ولكن لم يعتبروا فمخروا كان لم يسافروا ولم يروا  
 (فتشكروا) أي فتسبب عن سيرهم أن تكون (لهم قلوب) واعية (يعتاون بها) جاراؤه بأبصارهم  
 مما نزل بها لكذبين قبلهم (أو) أي أو يكون لهم ان كانوا اعى الابصار كما دل عليه جعل هذا  
 قسيما (أذان يسمعون بها) أخبارهم بالاهلاك وخراب الديار فيعتبروا (فانها) أي القصة  
 (لانعمى الابصار) ويجوز أن يكون الغمير ميم ما يفسره الابصار وفي تعمي راجع اليه  
 والمعنى ان أبصارهم عميمة سالمة لا عمى فيها وانما العمى لقلوبهم كما قال تعالى (ولكن تعمي  
 القلوب التي في الصدور) ولا يعتمد بمعنى الابصار فانه ليس بمعنى بالإضافة اليه في القلوب  
 (فان قيل) خأي فأنفق ذكر الصدور (أجيب) بأن الذي قد يتعورف واعتقد أن العمى  
 على الحقيقة للبصر وهو ان تصاب المسدقة بما يطعم نورها واستعماله في القلوب استعارة  
 وتمثيل فلأريد اثباتها هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة وتبيه عن  
 الابصار احتياج هذا التصوير الى زيادة تبيين وفضل تعرف يفتقر ان مكان العمى هو  
 القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضاعف ولكنه للبيان الذي بين فكيف في قول النبي  
 فكيف تقرر لها ذهني لسانه وتبيت لان محل المضاعف هو لا غير فكما ان قولنا نصبت المضاعف

السيف وأبنته لسانك فلتة ولا سهو أمي ولكن تعمدت به أيام بعينه بعد اقبل لما نزل قوله  
 تعالى ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى فهو في الآخرة أعمى قال ابن أم مكتوم يا رسول الله أنا في الدنيا  
 أعمى أفأكون في الآخرة أعمى فنزلت (ويستجلبونك بالعذاب) الذي نؤعدتهم به تكذيبا  
 واستهزاء (والحال انه) (لن يخلف الله) أي الذي لا كف له (وعده) لا متناع الخلف فيه وفي خبره  
 سبحانه وتعالى فيصيبهم ما وعدهم به ولو من بعد حين لكنه تعالى حلیم لا يجمل بالعقوبة وقد  
 أنجزه يوم بدر (وان يوما عند ربك) أي المحسن اليك بتأخير العذاب عنهم اكرامالك من أيام  
 الآخرة بالعذاب (كألف سنة مما تعدون) في الدنيا وطول أيامه حقيقة أو من حيث ان أيام  
 الشدائد مستطالة وقرأ ابن كثير وحزرة والكسائي بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب  
 (وكأين من قرية أهلكناها) أي أهلتها كما أهلتكم (وهي ظالمة) كظلمكم بالاستهجال وغيره  
 (ثم أخذتم) أي بالعذاب والمراد أهلها (والى المصير) أي المرجع فينقطع كل حكم دون حكمي  
 فقيه وعبد وتهديد (فان قيل) لم قال فكأين من قرية أهلكتها بالفاء وقال هنا بالواو (أجيب)  
 بأن الأولى وقعت بدلا عن قوله تعالى فكيف كان تكبير وأما هذه فخكمها حكم ما تقدم  
 من الجملتين المعطوقتين بالواو وأعني قوله تعالى ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف  
 سنة مما تعدون \* ولما كان الاستهجال لا يطلب من الرسول وانما يطلب من المرسل أمره الله تعالى  
 بأن يديم لهم التضييق والانداز بقوله تعالى (قل) أي لهم ولا يصدقك عن دعائهم ما أخبرناك  
 به من عملهم (يا أيها الناس) أي جميعا من قومك وغيرهم (انما أنا لكم نذير مبين) أي بين  
 الانذار والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر القريرين لان صدر الكلام وسياقه  
 للمشركين وانما ذكر المؤمنين وتوابعهم بقوله (فالتين آمنوا) أي أقروا بالايان (وعملوا) أي  
 تصديقهم (والذین آمنوا) أي الصالحات لهم مغفرة) أي لما فرط منهم (ورزق) أي في الدنيا بالغنائم  
 وغيرها وفي الآخرة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (كريم) أي لا خسة فيه  
 ولا ذمارة بانقطاع ولا غيره زيادة في غيظهم \* ولما كان في سياق الانذار قال معبر بالماضي زيادة  
 في التضييق (والذین سعوا) أي أوقعوا السي ولو مرة واحدة (في آياتنا) أي القرآن بإبطالها  
 (مجهزين) من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم أي ينسبونهم الى العجز ويذبطونهم عن الايمان  
 أو مقتدرين يحجزنا عنهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتشديد الجيم بعد العين على انها حال مقدرة  
 والباقون بألف بعد العين وتخفيف الجيم أي سابقين مشاقين للساعين فيها بالتشبيط (أولئك)  
 البعداء البغضاء (أصحاب الجحيم) أي النار استحقاقا بما سعوا فيه ~~كنهم~~ فيها ليعلوا انهم هم  
 العاجزون \* ولما لاح من ذلك ان الشيطان ألقى شياها فخورن فيها بجدهم في دين الله الذي  
 أمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بإظهاره وتقديره واشهاره عطف عليه تسليته صلى  
 الله عليه وسلم قوله تعالى (وما أرسلنا) أي بعظمنا (من قبلك) ثم كذا الاستفراق بقوله تعالى  
 (من رسول) وهو نبي أمر بالتبليغ (ولاجي) وهو من لم يؤمر بالتبليغ وهذا هو المشهور بمعنى  
 أرسلنا \* وحينما قال النبي أعين من الرسول ويدل عليه ما رواه الامام أحمد من أنه صلى الله عليه وسلم

سئل عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قيل فكم الرسل فقال ثلثمائة وثلاثة  
عشر جماعة وقيل كما هو ظاهر الآية الرسول من جمع الى المهجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير  
الرسول من لا كتاب له وقيل يمكن جعل الآية عليه أيضا والرسول من يأتيه الكتاب والنبي يقال  
له ولن يوحى اليه في المنام (الاذا متنى) أى تلا على الناس ما أمره الله تعالى به أو حدثهم به  
واشتهى في نفسه أن يقبلوه حرصا منه على ايمانهم شفقة عليهم (ألقى الشيطان) من التشبه  
والتمثيلات (فى أمنيته) أى فيما تلاه أو حدث به واشتهى أن يقبل ما يتلقفه منه أو لياؤه  
فيجادلون به أهل الطاعة ليضلواهم وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادواهم وكذلك جعلنا  
لكل نبي عدوا وشياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا كما يفعل  
هؤلاء فيما يفترون به في وجه الشريعة أصولا وفروعا من قولهم فى القرآن شعر وسهر وكهانة  
وقولهم لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا وقولهم ان ما قتل الله تعالى بالموت حتف أنه أوى بالاكل  
مما ذبح وقولهم نحن أهل الله وسكان حرمة ولا نخرج من الحرم فننقف فى الحج بالمسعى الحرام  
وتنقف الناس بعرفة ونحن نطوف فى ثيابنا وكذا من ولدناه وأما غيرنا فلا يطوف الا عاريا ذكرا  
كان أو أنثى الا أن يعطيه أحدنا ما يلبسه ونحو ذلك مما يريدون أن يطفوا به فوالله تعالى  
وكذا تأويلات الباطنية والاعتقادية وانظارهم الى الحدوفا فيها بطل الله تعالى بها من يشاء ثم  
يعوها من أراد من عباده وما أراد من أمره (فينسخ) أى فيسبب عن القائه أنه يفسخ (الله)  
أى المحيط بكل شئ علما وقدره (ما يلقى الشيطان) فيبطله بايضاح أمره (ثم يحكم الله آياته) أى ثم  
يجعلها جليلة فيما يريد منها وأدل دليل على أن هذا هو المراد من الافتتاح بالتأخرة فى الآيات  
الختام بقوله عطف على ما تقديره قاله على ما يشاء قدير (والله عليم) باحوال خلقه (حكيم)  
فيما يفعله بهم وقيل انه صلى الله عليه وسلم حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقال ابن عباس  
ومحمد بن كعب القرظى وغيرهم ما من المفسر من لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعراض  
قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباعدهم لما جاءهم به حتى فى نفسه أن يأتيهم من الله ما يقارب  
بينه وبين قومه وذلك لحرصه على ايمانهم فجلس ذات يوم فى ناد من أندية قريش كثير أهله  
وأحب يومئذ أن يأتيه من الله تعالى شئ لم يضره وعنى ذلك فأنزل الله تعالى سورة والنجم اذا  
هوى فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ أفرأيت اللات والعزى ومناة الثالثة  
الآخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى أن قال تلك الغرائب العلى وان  
شقا عتنت لترجي ففرح به المشركون ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قراءة السورة  
كلها وسجد فى آخرها وسجد المسلمون لسجوده وسجد جميع من فى المسجد من المشركين فلم يبق  
فى المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد سوى الوليد بن المغيرة وأبو أحيحة سعيد بن العاص فانهم ما  
أخذوا حذنة من البطحاء ورفعاها على جبهتها وسجدا عليها لانها كانتا شيخين كبيرين فلم  
يسنة طبعها السجود وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا قد ذكر محمد آلهنا بأحسن  
الذكر وقالوا قد عرفنا أن الله تعالى يحيى ويميت ويرزق ولكن هذه آلهنا تشفع لنا عنده فاذا

جعل لهم محمدًا تصيبا فمن معه فلما أحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم آتاه جبريل فقال  
 يا محمد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم آتتك به عن الله عز وجل فخرن رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف من الله تعالى خوفا شديدا فأنزل الله تعالى هذه الآية تعزية له  
 وكان به رحيمًا وسجع بذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبلغهم  
 سجد قرين وقيل قد أسلمت أهل مكة فرجع أكرههم إلى عشائرهم وقالوا هم أحب إلينا  
 حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن الذي كانوا يتحدثون به من إسلام أهل مكة كان باطلا فلم يدخل  
 أحد منهم إلا يجوار مستخفيا فلما نزلت هذه الآية قالت قرين بنديم محمد على ماذا كرم من منزلة  
 آلهنا عند الله تعالى فغير ذلك قال الرازي هذه رواية عامة المفسرين الظاهرة أما أهل  
 التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا على البطالان بالقرآن والسنة والمعقول  
 أما القرآن فبوجوه أحدها قوله تعالى ولو تولى علينا بعض الآيات لآتيناهم بالبين ثم  
 اقتطعنا منه الوتين ثانياً قوله تعالى قل ما يكون لي أن أبته من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى  
 إليّ نالها قوله تعالى وما ينطق عن الهوى وأما السنة فبما روى عن محمد بن خزيمة أنه  
 سئل عن هذه القصة فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف فيه كتابا وقال البيهقي هذه القصة  
 غير ثابتة من جهة النقل فقد روى البزار في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم  
 وسجد فيها وسجد المسلمون والكفار والانس والجن وليس فيه حديث الغرائيق وأما المعقول  
 فن وجوه أحدها أن من جوز على النبي صلى الله عليه وسلم تعظيم الاوثان فقد كفر لان من  
 المعلوم بالضرورة أن النبي كان معظم سعيه في تبيح الاوثان ثانياً قوله تعالى فينسخ الله ما يلقى  
 الشيطان ثم يعكم الله آياته وازاله ما يلقى الشيطان عن الرسول صلى الله عليه وسلم أقوى من  
 نسخ هذه الآيات التي تبقى الشبهة معها فإذا أراد الله تعالى احكام الآيات لتلا يتبس  
 ما ليس بقرآن قرأنا فبان يمنع الشيطان من ذلك أصلاً ولي ثانياً هو أقوى الوجوه لوجوزنا  
 ذلك اوتقع الايمان عن شرعه ويلتوزنا في كل واحد من الاحكام والشرائع أن يكون كذلك  
 فيبطل قوله تعالى بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فخاب لغت رسالتك والله يعصمك من  
 الناس فانه لا فرق في العقل بين النقصان من الوحي وبين الزيادة فيه وزاد الرازي أدلة أخرى  
 على ذلك ثم قال وقد عرفنا أن هذه القصة موضوعة أكثر ما في الباب ان جعل من المفسرين  
 ذكرها وخبر الواحد لا يعارض الدلائل العقلية والنقلية المتواترة انتهى وهذا هو الذي  
 يطمئن اليه القلب وان أطلب ابن حجر العسقلاني في صحتها ثم قال وحينئذ فيعين تأويل ما وقع  
 فيها مما يشكر وهو قوله ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرائيق الخ انتهى وعلى القول بما قد  
 سلك العلماء في ذلك مسالك أحسنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرتل القرآن فارتدته  
 الشيطان في حكمة من السكبات ونطق بتلك الكلمات مما يكافئته بحيث سمعه من دغاليه  
 فظنهما من قوله وأشاءها وقال البيضاوي بعد أن ذكر بعض هذه القصة وهو مردود عند  
 المحققين وان صح ما يتخلله يتميزه الثابت على الايمان عن المترزل فيه انتهى قال ابن الاثير  
 والغرائيق هنا الأضداد التي في الأصل للذكور ومن طير الماء واحدها قرنوق وقرنيق سمي به



لبياضه قال وكانوا يزعمون أن الاصنام تقر بهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التي تعلق  
الى السماء وترتفع وقيل غنى أى قرأ كقول حسان في حق عثمان بن عفان  
غنى كتاب الله أول ليلة \* غنى داود الزبور على رسل

أى على تأن وتعمل \* ولما ذكر سبحانه وتعالى ما حكم به من تمكين الشيطان من هذا الالقاء  
ذكر العلة في ذلك بقوله تعالى (ليجعل ما يلقى الشيطان) أى في المتأول والمحدث به من تلك الشبهة  
في قلوب أوليائه على التفسير الاقول وعلى الثاني وغيره يؤتى بما يناسبه (فنته) أى اختبارها  
وامتحانها (للذين في قلوبهم مرض) أى شك ونفاق (والقاسية) أى الجافية (قلوبهم) عن قول  
الحق وهم المشركون (وان الظالمين) أى الواضعين لا قوالهم وأفعالهم في غير مواضعها  
كفعل من هو في الظلام (لنى شقاق) أى خلاف لكونهم في شق غير شق حزب الله بمعاجرتهم في  
الآيات بتلك الشبهة التي تلقوها من الشيطان وجادلوا به أولياء الرحمن (بعيد) عن الصواب  
لتصفي اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة ولبرضوه وليقتروا ما هم مقترفون وعلى ثبوت  
ذكر القصة وجرى عليه الجلال المحلى قال انهم في خلاف طويل مع النبي صلى الله عليه وسلم  
والمؤمنين حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم ثم أبطل ذلك (وليعلم الذين أوتوا العلم)  
باتقان حججه واحكام براهينه وضعف شبهه المعاجزين (أنه) أى الشئ الذي تلونه أو تحدثت به  
(الحق) أى الثابت الذي لا يمكن زواله (من ربك) أى المحسن اليك بتعليمك آياته (فيؤمنوا به)  
لما ظهر لهم من صحنه بما ظهر من ضعف تلك الشبهة (فخضبت) أى تطمئن وتخضع (له قلوبهم)  
وتسكن به نفوسهم (وان الله) بجلاله وعظمته (لهادى الذين آمنوا) في جميع ما يلقىه أولياء  
الشيطان (الى صراط مستقيم) أى قويم وهو الاسلام يصلون به الى معرفة بطلانه حتى لا تطغى  
حيرة ولا تغتر بهم شبهة فيوصلهم ذلك الى سعادة الدارين (ولا يزال الذين كفروا) أى وجد  
منهم الكفر وطبعوا عليه (في صريه) أى شك (منه) قال ابن جرير أى من القرآن وقيل عما  
ألقى الشيطان على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون فإياه ذكرها بخبر ثم ارتد عنها وقيل من  
الدين وهو الصراط المستقيم (حتى تأتيهم الساعة) أى القيامة وقيل أشراطها وقيل الموت  
(بغثة) أى فجأة (أوتيتهم عذاب يوم عقيم) قال عكرمة والضحاك لا ليل بعده وهو يوم القيامة  
والاصكرون على أنه يوم بدروسي عقيم لأنه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير كالريح العقيم  
التي لا تأتي بخير وقيل لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه ويقوى التفسير الاقول  
قوله تعالى (الملك يومئذ) أى يوم القيامة (لله) أى المحيط بجميع صفات الكمال وحده \* ولما  
كان كانه قبل ما معنى اختصاصه بكل الايام له قيل (يحكم بينهم) أى المؤمنين والكافرين  
بالامر الفصل الذي لاحكم فيه ظاهرا ولا باطنا غيره كما ترونه الان بل يثنى فيه الامر على آتم  
شئ من العدل (فالذين آمنوا وعملوا) أى صدقوا ودعواهم الايمان بأن عملوا (الصالحات) وهى  
ما أمرهم الله به (في جنات النعيم) فضلا منه ورحمة لهم بما رحمهم الله تعالى من توفيقهم للاعمال  
الصالحات (والذين كفروا) أى ستروا ما أعطيتهم من المعرفة بالادلة على وحدانيتنا (وكذبوا

يَا آيَاتِنَا) أى ساعين بما أعطيناهم من الفهم في تمييزها بالمجادلة بما يوحى اليهم أولياؤهم من  
 الشياطين من الشبه (فأولئك) أى البعداء عن أسباب الكرم (لهم عذاب مهين) أى شديد  
 بسبب مأسعوا في اهانة آياتنا يريدون اعزازاً أنفسهم بما التنا والتكبر عن آياتنا (فان قيل)  
 لم أدخل الفاء في خبر الثاني دون الأول (أجيب) بأن في ذلك تنبيه على أن آياتنا بالمؤمنين بالحنان  
 تفضل من الله تعالى وإن عقاب الكافرين مسبب عن أعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل  
 هم في عذاب. ولما كان المؤمنون في حصر مع الكفار رغبهم الله في الهجرة بقوله تعالى  
 (والذين هاجروا في سبيل الله) أى فارقوا أوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطلب مرضاته من  
 مكة إلى المدينة (ثم قتلوا) في الجهاد بعد الهجرة وقرأ ابن عامر بتشديد التاء والباقون  
 بالتخفيف وألحق به مطلق الموت فضلامنه بقوله تعالى (أوماتوا) أى من غير قتل (ليرزقهم الله)  
 أى الجامع لصفات الكمال (رزقا حسنا) هو رزق الجنة من حين تفارق أرواحهم أشباحهم  
 لأنهم أحياء عند ربهم (وان الله) أى الملك الأعلى القادر على الأحياء كما قدر على الامانة (لهو  
 خير الرازقين) فانه يرزق بغير حساب رزق الخلق عامة البار منهم والفاجر (فان قيل) الرازق  
 في الحقيقة هو الله تعالى لا رازق للخلق غيره فكيف قال لهو خير الرازقين (أجيب) بأن غير الله  
 يسمى رازقا على المجاز كقولهم رزق السلطان الجيش أى أعطاهم أرزاقهم وان كان الرازق  
 في الحقيقة هو الله تعالى. ولما كان الرزق لا يتم الا بحسن الدار وكان ذلك من أفضل الرزق قال  
 تعالى (والأعلى ختام التي قبل) (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) هو الجنة يكرمون فيه بما لا عين رأت  
 ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولا ينالهم فيها مكروه وقيل هو خيمة في الجنة من درة  
 يضاء لها سبعون ألف مصراع وقرأ نافع بفتح الميم أى دخولا أو مكان دخول والباقون بالضم  
 أى ادخالا أو مكان ادخال (وان الله) أى الذى عمت رحته وتمت عظمته (لعليم) أى بمقاصدهم  
 وما عملوا مما يرضيه وغيره (حليم) عما قصر واقع من طاعته وما فرطوا في جنبه تعالى فلا  
 يعاجل أحدا بالعقوبة روى أن طوائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبى  
 الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما أعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا  
 ان نمتنا معك فانزل الله تعالى هاتين الآيتين (ذلك) أى الامر المقتر من صفات الله تعالى  
 الذى قصصناه عليك (ومن عاقب) أى جازى من المؤمنين (بمثل ما عوقب به) ظلما من  
 المشركين أى قاتلهم كما قاتلوه في الشهر الحرام (ثم يبق عايه) أى نعلم باخراجه من منزله قال  
 مقاتل نزلت في قوم من المشركين أتوا قوما من المسلمين للبتين بقيتان من محرم فقال بعضهم  
 لبعض ان أصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فأجروا عليهم فناشدتهم المسلمون وكرهوا  
 قتالهم وسألوهم أن يكفوا عن القتال لاجل الشهر الحرام فأبى المشركون فقاتلوهم فذلك  
 يفهم عليهم وثبت المسلمون لهم فصرهم الله تعالى عليهم فذلك قوله تعالى (لينصرنه الله) أى  
 الذى لا كف له (ان الله) الذى أحاط بكل شىء قدرة وعلما (لعفو) عن المؤمنين (عقور) لهم  
 (فان قيل) لم يسمي ابتداء فعلهم عقوبة مع أن العقاب من العقب وهو مشتق في الابتداء

(أجيب) بأنه أطلق عليه ذلك للتعلق الذي بينه وبين الثاني كقوله تعالى وجرأ سيئة سيئة مثلها  
يخادعون الله وهو خادعهم وكما في قوله كما تدان (فان قيل) كيف طابق ذكر العفو والغفور  
في هذا الموضع مع أن ذلك الفعل جائز للمؤمنين لانهم مظلومون (أجيب) بأن المنتصر لما تبع  
هواه في الانتقام وأعرض عما ندب الله تعالى له بقوله تعالى ولن صبر وغفران ذلك لمن عزم  
الامور وبقوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وبقوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى فكان  
في اعراضه عما ندب اليه نوع اساءة أدب فكانت تعالي قال عفوت عن هذه الاساءة وغفرت له فإني  
أنا الذي أذنت له فيها وفي ذكر العفو تنبيهه على أنه تعالي قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو  
الا القادر على ضده (ذلك) أي النصر (بأن الله) أي المتصف بجميع صفات الكمال (يوليخ) أي  
يدخل لاجل مصالح العباد المسي والمحسن (الليل في النهار) فيمحو ظلامه بضائه ولو شاء الله  
تعالى مؤاخذه الناس لجعله سرمداً فتمطلت مصالح النهار (ويوليخ النهار في الليل) فيمحو  
ضياءه بظلامه ولو لا ذلك لتمطلت مصالح الليل أو بأن يدخل كلاهما في الآخر فيزيد به وذلك  
من أثر قدرته التي به النصر (وأن الله) بجلاله وعظمته (جميع) الكل ما يقال (بصير) لكل  
ما يفعل دائم الاتصاف بذلك فهو غير محتاج الى سكون الليل لسمع ولا لضياء النهار ليصير لانه  
سبحانه وتعالى منزّه عن الاغراض ولما وصف تعالي نفسه بما ليس لغيره عليه بقوله تعالى (ذلك)  
أي الاتصاف بتمام القدرة وشمول العلم (بأن الله) أي القادر على كل ما أراد (هو) وحده  
(الحق) أي الثابت الواجب الوجود (وأن ما يدعون) أي يعبد المشركون (من دونه) وهو  
الاصنام (هو الباطل) الزائل وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة بالناء على الخطاب للمشركين  
والباقون بالياء على الغيبة وأن هذه مقطوعة من ما في الرسم (وأن الله) لكونه هو الحق  
الذي لا كف له (هو) وحده (العلي) أي العالی على كل شيء بقدرته (الكبير) وكل ما سواه  
سافل حقير تحت قهره وأمره ثم انه سبحانه وتعالى استدل على كمال قدرته بأمر ستة الاقل  
قوله تعالي (ألتر) أي أيه المخاطب (أن الله) أي المحيط بقدرة وعلم (أنزل من السماء ماء) أي  
مطرا بأن يرسل رياحا فتثير سحابا فيمطر على الارض الماء (فتصبح الارض) أي بعد أن كانت  
مسودة يابسة ميتة جامدة (مخضرة) حية يانعة مهتزة نامية بما فيه رزق العباد وعمارة البلاد  
(فان قيل) لم قال تعالي فتصبح ولم يقل فأصبحت أجيب بأن ذلك لتكنة وهي افادة بقاء المطر زمانا  
بعد زمان كما تقول أنتم على فلان عام كذا فأروح وأغدو شاكره ولو قلت فرحت وغدوت  
شاكره لم يقع ذلك المرقع (فان قيل) لم رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام (أجيب) بأنه لو نصب  
لا عطي عكس ما هو الغرض لان معناه أثبتت الاخضر فينقلب بالنصب الى نفي الاخضر  
ووجه ذلك بأن النصب بتقدير أن وهو علم للاستقبال فيجعل الفعل مترقبا والرفع جزم بإثباته  
منه انه أن تقول لصاحبك ألم تر أني أنصمت عليك فتشكر فان نصبت فأنت ناف لشكره مشاك  
في تفریطه فيه وان رفعته فأنت مثبت لشكره وهذا وأمثاله مما يجب أن يتنبه له من اتسم  
بالعلم في علم الاعراب وتوقير أهله (أن الله) أي الذي له تمام النعم وكمال المعلم (لطيف) بعبادته في

اخراج النبات بالماء (خير) أى بمصالح الخلق ومناقضهم فانه مطلع على السر الروان دقت فلا  
 يستبد عليه احياء من أراد بعد موته وقال ابن عباس لطيف بأرزاق عباده خير بما فى  
 قلوبهم من القنوط الامر الثانى قوله تعالى (له ما فى السموات) أى التى أنزل منها الماء (وما فى  
 الارض) أى التى استقر فيها ملكا وخلقنا (وان الله) أى الذى له الاحاطة التامة (لهو) أى  
 وحدهم (الغنى) فى ذاته عن كل شئ (الجيد) أى المستوجب للحمد بصفاته وأفعاله الامر  
 الثالث قوله تعالى (ألم تر) أى أيها المخاطب (أن الله) ذا الجلال والاکرام (مختر لكم) فضلا منه  
 (ما فى الارض) كله من مسالكها وبخايجها وما فيها من حيوان وجماد وزرع وغمار فلو لا تسخير  
 تعالى الابل والبق مع قوتها حتى ذللهما للضعيف من الناس لما اتفح بهم ما أحد منهم الامر  
 الرابع قوله تعالى (والفلك) أى ومختر لكم الفلك أى السفن ثم بين تسخيرها بقوله (تجرى فى  
 البحر) الهجاج المتلاطم بالامواج بريح طيبة للركوب والحمل (بأمره) أى بأذنه الامر الخامس  
 قوله تعالى (ويمدك السماء) أى كراهة (أن تقع على الارض) التى تحتها مع علوها وعظمتها وكونها  
 بغير عتد فتلكوا (الاباذنه) أى بعشيتته فيقع ذلك يوم القيامة حين يريد طي هذا العالم وابتعاد  
 عالم البقاء (ان الله) أى الذى له الخلق والامر (بالناس) أى على ظلمهم (لرؤف) أى بما يحفظ من  
 سرارهم (رحيم) أى حيث هيأ لهم أسباب الاستدلال وفتح لهم أبواب المنافع ودفع عنهم أبواب  
 المضار (وهو) أى وحدهم (الذى أحياكم) أى عن الجمادى بعد أن أوجدكم من العدم (ثم يميتكم)  
 أى عند انقضاء آجالكم ليكون الموت واعظا لاولى البصائر منكم (ثم يحييكم) أى يوم البعث  
 للثواب والعقاب واظهار العدل فى الجزاء (ان الانسان) أى المشرك (للكفور) أى  
 يلبغ الكفر حيث لم يشكر على هذه النعم المحيطة به فيوحدها لله تعالى وقال ابن عباس هو  
 الاسود بن عبد الاسد وأبو جهل والعاص بن وائل وأبي بن خلف قال الرازى والاولى تعميمه  
 فى كل المنكرين (لكل أمة) أى فى كل زمان (جعلنا منسكا) قال ابن عباس شريعة يتبعون  
 بها (هم فاسقوه) أى عاملون بها وروى عنه أنه قال عبدا وقال مجاهد وقادة موضع  
 قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة وقرأ جزء والكسافى منسكا بكسر السين والساكنون  
 بقصها (فلا ينزعك فى الامر) أى أمر الدنيا ثم نزلت فى بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويزيد بن  
 خنيس قالوا لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم تأكلون مما تقتلون ولا تأكلون مما قتله الله  
 تعالى يعنون الميتة وقال الزجاج هو نهي له صلى الله عليه وسلم عن منازعتهم كما تقول لا يضاربك  
 فلان أى فلا تضاربه وهذا جائز فى الفعل الذى لا يصحكون الا بين اثنين معناه لا تنازعهم  
 أنت (وادع) أى أوقع الدعوة لجميع الخلق (المى ربك) المحسن اليك أى الى دينه ثم علل ذلك  
 بقوله (أنك) مؤكدا له بحسب ما عندهم من الانكار (لعل هدى) أى دين واضح (مستقيم)  
 هو دين الاسلام (وان جادلوك) أى فى أمر الدين بعد ان ظهر الحق ولزمت الحجة (فقل الله)  
 أى الملك المحبط بالعز والعلم (أعلم بما تعملون) من الجفالة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليه  
 وهذا وعيد فيه وفق وكان ذلك قبل الامر بالقتال ولما أمر الله تعالى بالامر ارض منهم وكان

ذلك شديدا على النفس لتسوقها الى النصره رجا في ذلك بقوله تعالى مستأنفا تحذيرا لهم (الله)  
 أى الذى لا كف له (يحكم بينكم) أى ينك مع اتباعك وبينهم (يوم القيامة) الذى هو يوم  
 التغابن (فبما كنتم فيه تختلفون) من أمر الدين ومن نصر ذلك اليوم لم يبال بما حل به فهو كقوله  
 وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون قال البغوى والاختلاف ذهاب كل واحد من الخصمين  
 الى خلاف ما ذهب اليه الآخر (ألم تعلم أن الله) بجلال عزه وعظيم سلطانه (يعلم ما فى السماء  
 والارض) فلا يخفى عليه شئ (ان ذلك) أى ما ذكر (فى كتاب) كتب فيه كل شئ حكم بوقوعه  
 قبل وقوعه وكتب جزاؤه وهو اللوح المحفوظ (ان ذلك) أى علم ما ذكر (على الله) وحده  
 (يسير) أى سهل لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على السواء (ويعبدون) أى  
 المشركون على سبيل التجدد والاستمرار (من دون الله) أى من أدنى رتبة من رتبة الذى  
 قامت جميع الدلائل على احتوائه على جميع صفات الكمال وتنزيهه عن شوائب النقص  
 (ما لم ينزل به سلطانا) أى حجة واحدة من الحجج وهو الاصنام (وما ليس لهم به علم) حصل لهم من  
 ضرورة العقل واستدلالة بالحجة (وما للظالمين) أى الذين وضعوا التعبد فى غير موضعه  
 لارتكابهم لهذا الأمر العظيم الخطروا كدالتنى واستغرق المنقى باثبات الجار فقال تعالى  
 (من نصير) أى ينصرهم من الله لا مما أشركوه به ولا من غيره فيدفع عنهم عذابه أو يقترم ذهابهم  
 (واذا اتلى) أى على سبيل التحذير والمبالغة من أى تال كان (عليهم آياتنا) أى من القرآن حال  
 كونهما (بينات) لانخفاها عندهم من له بصيرة فى شئ مما دعيت اليه من الاصول والفروع  
 (تعرف فى وجوه الذين كفروا) أى تلبسوا بالكفر (المنكر) أى الانكار الذى هو منكر فى  
 نفسه فيظهر أثره فى وجوههم من الكراهة والعبوس لما حصل لهم من الغيظ ثم بين ما لاح  
 فى وجوههم بقوله تعالى (يكادون يسطون) أى يقعون السطوة بالبطش والعنف بالذين يتلون  
 عليهم آياتنا) أى الدالة على أسماءنا الحسنى وصفاتنا العليا القاضية بوحدايتنا مع كونها  
 بينات فى غاية الوضوح فى أنها كلامنا لما فيها من الحكم والبلاغة التى عجزوا عنها ثم أمر الله  
 تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقابلهم بالوعد بقوله تعالى (قل أفأنبئكم) أى أفأنبئكم خيرا  
 عظيما (بشر من ذلكم) بأكره اليكم من القرآن المتلو عليكم وقوله تعالى (النار) كانه جواب  
 سائل قال ما هو قبيل النار أى هو النار ويجوز أن تكون مبتدأ خبره (وعدها الله الذين كفروا)  
 جزاء لهم فيشر الموعدى (وبشر المصير) أى النار وما بين تعالى أنه لاجحة لعابده غيره اتبعه  
 بأن لاجحة قائمة على أن ذلك الغير فى غاية الحقارة فقال تعالى مناديا أهل العقل منها تبيينها عاما  
 (يا أيها الناس ضرب مثل) حاصله أن من عبدتموه من الاصنام أحقر منكم (فاستمعوا)  
 أى انصتوا (له) وتدبروه ثم فسره بقوله تعالى (ان الذين تدعون) أى تعبدون وتدعونهم  
 فى حوائجكم وتجعلونهم آلهة (من دون الله) أى الملك الاعلى من هذه الاصنام التى أنتم بها  
 مفترون (لن يخلقوا ذبابا) أى لا قدرة لهم على ذلك فى زمن من الأزمان على حال من الاحوال  
 مع صغرهم فكيف بما هو أكبر منه (ولو اجتمعوا) أى الذين زعموهم شركاء (له) أى الخلق فهم

في هذا أمثالكم \* (تبيينه) \* محل ولو اجتمعوا له النصب على الحال كأنه قال تعالى يستحيل  
 أن يخلقوا الذباب مشروط عليهم اجتماعهم لخلقهم وتعاونهم عليه وهذا من أبلغ ما أنزل الله  
 تعالى في تجهيل قريش واستر كالكهولهم والشهادة على أن الشيطان قد خدعهم بخداعه  
 حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن  
 آخرها صوراً وثمائل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه الله تعالى وأذله وأصغره وأحقره  
 ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وأدل من ذلك على عجزهم واتقاء قدرتهم - ثم إن هذا الخلق الأقل  
 الأذل لو اختطف منهم شيئاً فاجتمعوا على أن يتخلصوه منه لم يقدروا كما قال تعالى (وان يسلمهم  
 الذباب) أي الذي تقدم أنهم لا قدرة لهم على خلقه وهو غاية في الحقارة (شيئاً) أي من الأشياء جل  
 أو قل (لا يستنقذونه منه) لعجزهم فكيف يجعلونهم شركاء الله هذا أمر مستغرب عبر عنه بضرب  
 مثل \* (تبيينه) \* الذباب مفرد وجهه القليل أذية والكثير ذبان مثل غراب وأغربة وغربان  
 وعن ابن عباس أنهم كانوا يطلون الاصنام بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب  
 فيدخل الذباب من الكوى فيأكله وعن ابن زيد كانوا يحلون الاصنام بالبواقيت واللاآي  
 وأنواع الجواهر وبطيونتها بأنوان الطيب فربما يسقط شيء منها فبأخذها طائراً وذباب فلا  
 تقدر الآلهة على استرداده منه (ضعف الطالب) قال الضحاك هو العابد (والمطلوب) المعبود  
 وقال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب الذي على الصنم والمطلوب هو  
 الصنم وقيل على العكس الطالب الصنم والمطلوب الذباب أي لو طلب الصنم أن يخلق الذباب  
 لعجز عنه \* ولما أتج هذا جهلهم بالله عز وجل عبر عنه بقوله تعالى (ما قدروا الله) أي الذي له  
 الكمال كله (حق قدره) أي ما عظموه وحق تعظيمه وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته  
 حيث أشركوا به ما لا يتسع من الذباب ولا يتصف منه (إن الله) أي الجامع لصفات الكمال  
 (لقوى) على خلق المكاتب بأسرها (عزير) أي لا يغلبه شيء وآلهتهم التي يعبدونها عاجزة  
 عن أفعالهم هوررة من أذلهما قال الكبي في هذه الآية وفي نظيرها في سورة الانعام انها زلت في  
 جماعة من اليهود مالك بن الصيف وكعب بن الاشرف وكعب بن أسد وغيرهم حيث قالوا إن الله  
 تعالى لما فرغ من خلق السموات والارض وأجناس خلقها استلقى واستراح ووضع إحدى  
 رجله على الأخرى فنزلت هذه الآية تكذيباً لهم ونزل قوله تعالى وما من صنم من لقوب قال  
 الرازي واعلم أن منشأ هذه الشبهة هو القول بالتشبيه فيجب تنزيه ذات الله تعالى عن مشابهة  
 سائر الذوات خلاف ما يقوله المشبهة وتنزيه صفاته عن مشابهة سائر الصفات خلاف ما يقوله  
 الكرامية وتنزيه أفعاله عن مشابهة سائر الأفعال أعني عن الغرض والدواعي واستحقاق المدح  
 والذم خلاف ما يقوله المعتزلة قال أبو القاسم الانصاري رحمه الله تعالى فهو سبحانه وتعالى خير  
 النعت عزير الوصف فالأوهام لا تصور والافكار لا تقدر والعقول لا تمثله والازمنة لا تدركه  
 والجهات لا تحويه ولا تحته صمدى الذات سرمدى الصفات \* ولما ذكر سبحانه وتعالى ما يتعلق  
 بالالهيات ذكر ما يتعلق بالنبوات بقوله تعالى (الله) أي الملك الأعلى (يصطنى) أي يختار ويختص

(من الملائكة رسلاً) بكبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم الصلاة والسلام (ومن الناس) كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم نزلت حين قالت المشركون أنزل عليه الذكر من بيننا فأخبر تعالى أن الاختيار إليه يختار من يشاء من خلقه (إن الله) أى الذى له الجلال والجمال (سميع) لمقاتلهم (بصير) بمن يتخذ رسولاً (يعلم ما بين أيديهم) أى الرسل (وما خلقهم) أى علمه محيط بما هم مطلقون عليه وبما غاب عنهم فلا يفعلون شيئاً إلا بأذنه (والى الله) أى وحده تعالى (ترجع) بغاية السهولة (الأمور) يوم تجبى أفصل القضاء فيكون أمره ظاهراً لا خفاء فيه ولا يصدر شئ من الأشياء الأعلى وجه العدل الظاهر لكل أحد ولا يكون لأحد النفقات إلى غير ذلك وقرأ ابن عامر وحزرة والكسافى بفتح التاء وكسر الجيم والباقون بضم التاء وفتح الجيم ولما أثبت سبحانه وتعالى أن الملك والأمر له وحده خاطب المقبلين على دينه وهم الخلق من الناس بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أى تابسوا بالآيمان (اركعوا) تصديقاً لما أتاكم (واسجدوا) أى صلوا الصلاة التى شرعتها لكم فانها رأس العبادة ليكون دليلاً على صدقكم فى الأقرار بالآيمان • (تنبيه) • انما خص هذين الركنين فى التعبير عن الصلاة لانهما مخالفتهما الهيات المعتادة هما الدالان على الخضوع فحسن التعبير بهما وذكر عن ابن عباس أن الناس كانوا فى أول الاسلام يركعون ولا يسجدون وقيل كان الناس أول ما أسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود حتى نزلت هذه الآية ولما خص أفضل العبادة عمم بقوله تعالى (واعبدوا) أى بأنواع العبادة (ربكم) أى المحسن اليكم بكل نعمة دينية ودنيوية • ولما ذكر يوم العبادة اتبعها ما قد يكون أعم منها مما صورته صورتها أو قد يكون بلائياً فقال (وافعلوا الخير) أى كله من القرب كصلة الأرحام وعبادة المريض ونحو ذلك من معالى الأخلاق بنية وبغير نية حتى يكون لكم ذلك عادة فيخف عليكم عمله الله تعالى قال أبو حيان بدأ تعالى بخص وهو الصلاة ثم بعام وهو واعبدوا رجعكم ثم بأعم وهو وافعلوا الخير (لعلكم تفلحون) أى افعلوا هذا كله وأنتم راجعون الفلاح وهو الفوز بالبقاء فى الجنة طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلموا على أعمالكم وقال الامام أبو القاسم الأنصارى لعل كلمة ترج تشعربان أن الانسان قلباً يخلو فى أداء فريضة من تقصير وليس هو على يقين من أن الذى أتى به مقبول عند الله والعواقب مستورة وكل ميسر لما خلق له • (تنبيه) • اختلف فى سجود التلاوة عند قراءة هذه الآية فذهب قوم الى أنه يسجد عندها وهو قول عمرو بن عبد الوهب وابن عباس وبه قال ابن المبارك والشافعى وأحمد واسحق لظاهرهما من الأمر بالسجود وقول البيضاوى ولقوله صلى الله عليه وسلم فضلت سورة الحج بسجدين من لم يسجد به ما فلا يقرأها ما حديث ضعيف رواه الترمذى وضعفه وذهب قوم الى أنه لا يسجد وهو قول سفيان الثورى وقول أبى حنيفة وأصحابه لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فى ذلك فدل ذلك على انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة • ولما كان الجهاد أساس العبادة وهو مع كونه حقيقة فى جهاد الكفار صالح لان يعم كل أمر معروف ونهى عن منكر بالمال والنفس بالقول والفعل بالسيف وغيره وكل جهاد

في تهذيب النفس واخلاص العمل ختم به فقال تعالى (وجاهدوا في الله) أي الله ومن أجله  
 أعداء دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وقول البيضاوي وعنه عليه  
 الصلاة والسلام انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعتان الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر  
 حديث رواه البيهقي وضعف اسناده وقال غيره لا أصل له قيل أراد بالاصغر جهاد الكفار  
 وبالاكبر جهاد النفس (حق جهاده) أي باستفراغ الطاقة في كل ما أمر به من جهاد العدو  
 والنفس على الوجه الذي أمر به من الحج والغزو وغيرهما (فان قيل) ما وجه هذه الاضافة  
 وكان القياس حق الجهاد في الله وأحق جهادكم في الله كما قال تعالى وجاهدوا في الله (أجيب)  
 بأن الاضافة تكون بأدنى ملازمة واختصاص فلما كان الجهاد محتصا بالله من حيث انه مفعول  
 لاجله صحت اضافته اليه وعن مجاهد عن الكلباني ان هذه الآية منسوخة بقوله تعالى فاتقوا الله  
 ما استطعتم ولما أمر الله تعالى بهذه الاوامر أتبعها ببعض ما يجب به شكره وهو كالتعليل  
 لما قبله فقال تعالى (هو اجتباكم) أي اختاركم لدينه ولنصرته وجعل الرسالة فيكم  
 والرسول منكم وجعله أشرف الرسل ودينه أشرف الاديان وكأبه أعظم الكتب وجعلكم  
 لكونكم أتباعه خير الامم (وما جعل عليكم في الدين) أي الذي اختاره لكم (من حرج) أي  
 من ضيق وشدة وهو أن المؤمن لا يتلى بشئ من الذنوب الا جعل الله تعالى له منه مخرجا بعضها  
 بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص وبعضها بأنواع الكفارات من الامراض والمصائب  
 وغير ذلك فليس في دين الاسلام ما لا يجد العبد سبيلا الى الخلاص من الذنوب والاصار  
 وفقه الله تعالى وسهله عند الضرورات كالقصر والتيمم وأكل الميتة والفطر للريض والمسافر وغير  
 ذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم رواه البخاري وعن ابن عباس  
 أنه قال الحرج ما كان على بني اسرائيل من الآصار التي كانت عليهم وضعها الله تعالى عن هذه  
 الامة وقوله تعالى (مله أياكم) نصب بنزع الخافض وهو الكاف وأعلى المصدر جعل دل عليه  
 مضمون ما قبله بحذف المضاف أي وسع دينكم توسعة ملة أياكم وعلى الاغراء أي اتبعوا ملة  
 أياكم وعلى الاختصاص أي أعني بالدين ملة أياكم كقولك الحمد لله الحميد وقوله تعالى  
 (ابراهيم) عطف بيان (فان قيل) لم كان ابراهيم أباللاتة كلها (أجيب) بأنه أبو رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم فكان أباللاته لان أمة الرسول في حكم أولاده واختلف في عود ضمير (هو)  
 على قولين أحدهما أنه يعود على ابراهيم عليه الصلاة والسلام وان لكل نبي دعوة مستجابة  
 ودعوة ابراهيم عليه السلام ربنا واجلنا مسلمين لك ومن ذرينا أمة مسلمة لك فاستجاب الله  
 تعالى له فجعلها محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته والثاني أنه يعود على الله تعالى في قوله تعالى  
 هو اجتباكم وروى عطاء بن ابن عباس أنه قال ان الله تعالى (مماكم المسلمين من قبل) أي في  
 كل الكتب المنزلة التي نزلت قبل انزال هذا القرآن (وفي هذا) أي وسماكم في هذا القرآن الذي  
 أنزل عليكم من بعد انزال تلك الكتب وهذا القول كما قال الرازي أقرب لانه تعالى قال (ليكون  
 الرسول شهيدا عليكم) أي يوم القيامة أنه بلغكم (ونكونوا شهداء على الناس) أي ان يسلمهم

قوله فليس في دين  
 الاسلام كذا في  
 التسخ وهي عبارة  
 غير مستقيمة أو فيها  
 سقط والصواب  
 في محاذاتها أن  
 يقال فليس في دين  
 الاسلام ما لا يجد  
 العبد سبيلا الى  
 الخلاص منه من  
 الذنوب والآصار  
 بل المخرج من  
 الذنوب بما سبق  
 من التوبة وما معها  
 لمن وفقه الله ومن  
 الآصار بالتسهيل  
 عند الضرورات  
 كالقصر الخ هـ



بلغتهم فبين أنه تعالى سماهم بذلك لهذا الغرض وهذا لا يليق إلا بقوله تعالى وإنما كانوا شهداء على  
الناس لسان الأبياء لأنهم لم يفرقوا بين أحد منهم وعلوا أن أخبارهم من كتابهم على لسان نبيهم  
محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك سمعت شهادتهم وقبلها الحكم العدل وعن كعب أعطيت هذا  
الامة ثلاثا لم يعطهن الا الأبياء جعلهم شهداء على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج  
وقال تعالى ادعوني استجب لكم وعن أبي حاتم عن ابن زيد أنه قال لم يذكر الله بالايان والاسلام  
غير هذه الامة ذكرها ما وكررها ما جيعا ولم يسمع بأمة ذكرت بالاسلام والايان غيرها وعن  
مكحول ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تسمى الله عز وجل باسمين سمى بهما أمتي هو السلام وسمي  
أمتي المسلمين وهو المؤمن وسمي أمتي المؤمنين \* (تنبه) \* في الآية دليل على أن شهادة غير المسلم  
ليست مقبولة \* ولما تدبهم تعالى ليكونوا خيرا لامم تسبب عن ذلك قوله تعالى (فأقيموا الصلاة)  
التي هي أركان قلوبكم وصلوة ما بينكم وبين ربكم أي داوموا عليها (وأؤا الزكاة) التي هي  
طهارة أبدانكم وصلوة بينكم وبين اخوانكم (واعصموا بالله) أي المحيط بجميع صفات الكمال  
في جميع ما أمركم به من المناسك التي تقدمت وغيرها ثم علل تعالى أهليته به قوله تعالى (هو) أي  
وحده (مولاكم) أي المتولى لجميع أموركم فهو ينصركم على كل من يعاديكم بحيث أن تتمكنوا  
من اظهاره ذا الدين من مناسك الحج وغيرها ثم علل الامر بالاعتصام وتوحيده بالولاية بقوله  
تعالى (فتم المولى) أي هو (ونعم النصير) أي الناصر لكم لانه تعالى اذا تولى أحدا كفاء كل  
ما أهمه واذا نصر أحدا أعلاء عن كل من خاصه ولا يزال العبدية تقرب الى بالنواقل حتى أحبه  
فاذا أحببت الحديث انه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت وهذا نتيجة التقوى وما قبله  
من أفعال الطاعة دليلها فقد انطبق آخر السورة على أولها ورد مقطوعا على مطلعها وقول  
البيضاوي بما للزم مشرى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحج أعطى من الاجر  
كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى حديث موضوع

### ﴿سورة المؤمنین مكية﴾

وهي مائة وعثمان وتسع عشرة آية وألف وثمانمائة وأربعون  
كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة حرف

(بسم الله) الذي له الامر كله (الرحمن) الذي علم ان علمه (الرحيم) الذي خص من اراد بالايان  
عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه  
الوحى يسمع عند وجهه دوى كدوى النحل فانزل عليه يوما فكت ساعة حتى سرى عنه فاستقبل  
القبلة ورفع يديه فقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واغننا ولا تحرمنا واثرنا ولا تؤثر  
علينا اللهم أرضنا وارض عنا ثم قال لقد أنزل على عشر آيات من آفامهن دخل الجنة ثم قرأ  
(قد أفلح المؤمنون) حتى ختم العشرة آيات قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا  
في الجنة وقيل الفلاح البقاء والنجاة روى هذا الحديث الترمذي وغيره وأنكره النسائي

وغيره (تبيه) قال الرضوي قد قضيته لما هي تثبت المتوفاة ولما تنفيه ولا شك ان المؤمنين  
 كانوا متوفاة مثل هذه البشارة وهي الاخبار بنبات الفلاح اهـ ثم نطوبوا بما يدل على ثبات  
 ما توفاهوه (فان قيل) ما المؤمن (أجيب) بأنه في اللغة هو المصدق وأما في الشريعة فقد اختلف  
 فيه على قولين أحدهما أن كل من نطق بالشهادتين موافقا لقلبه لسانه فهو مؤمن والاخر أنه  
 صفة مدح لا يستحقها الا البر التي دون الفاسق ثم انه تعالى حكم بحصول الفلاح لمن كان  
 مستجيبا لصفات سبعة الصفة الاولى كونهم مؤمنين الصفة الثانية المذكورة في قوله  
 تعالى (الذين هم) أي بضمايرهم وظواهرهم (في صلاتهم خاشعون) قال ابن عباس محبتون  
 أذلاء وقيل خائفون وقيل متواضعون وعن قتادة الخشوع الزام موضع السجود روى  
 الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي رافعا بصره الى السماء  
 فلما نزلت هذه الآية رعى بصره الى نحو مسجده أي موضع سجوده وكان الرجل اذا قام الى  
 الصلاة هاب الرجح أن يشد بصره الى شيء أو يتحدث بشئ من شأن الدنيا وقيل هو جمع الهمزة لها  
 والاعراض عما سواها ومن الخشوع أن يستعمل الادب فيتوقى ككف الثوب والعبث  
 بجسده وثيابه والتشبيك والاتفات والتطلى والتثاؤب والتغميض وتغطية القم والسدول  
 والفرقة والاختصار وتقلب الحصى روى الترمذي لكن بسند ضعيف أنه صلى الله عليه وسلم  
 أبصر رجلا يعيث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه ونظر الحسن الى  
 رجل يعيث بالحصى وهو يقول اللهم زد جنى الجور العين فقال بتس الخاطب أنت تخطب  
 وأنت تعيث وعنه أنه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة أسرع وعن معاذ  
 ابن جبل من عرف من على يمينه وشماله وهو في الصلاة فلا صلاة له وروى أنه صلى الله عليه وسلم  
 قال انما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها وقال صلى الله عليه وسلم كم من قائم حظه من قيامه  
 التعب والنصب وقال من لم تنه الصلاة عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله الا بعدا فينبغي  
 للشخص أن يحتاط في صلاته ليوقعها على التمام فان بعض العلماء اختار عدم الامامة فقيل  
 له في ذلك فقال أخاف ان تركت الفاتحة أن يعاتبني الشافعي وان قرأتها أن يعاتبني أبو حنيفة  
 فاخترت عدم الامامة طلبا للخلاص من هذا الخلاف (فان قيل) لم أضيفت الصلاة اليهم  
 (أجيب) بأن الصلاة وصله بين الله وبين عباده والمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عتده وذخيرته  
 فهي صلاته وأما الله تعالى فهو غني متعال عن الحاجة اليها والاتفاع بها الصفة الثالثة  
 المذكورة في قوله تعالى (والذين هم) أي بضمايرهم التي تتبعها ظواهرهم (عن اللغو) قال ابن  
 عباس عن الشرك (معرضون) أي تاركون وقال الحسن عن المعاصي وقال الزجاج هو كل باطل  
 ولهو وما لا يحمد من القول والفعل وقيل هو كل ما لا يعنى الشخص من قول أو فعل وهو  
 ما يستحق أن يسقط ويلغى فدحهم الله تعالى بأنهم معرضون عن هذا اللغو والاعراض عنه  
 هو بأن لا يشغله ولا يرضى به ولا يخالط من يأتيه كما قال تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما أي اذا  
 سمعوا الكلام القبيح أكرموا أنفسهم عن المشغول فيه الصفة الرابعة المذكورة في قوله تعالى

(والذين هم للزكاة فاعلون) أي مؤدون \* (تنبية) \* الزكاة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين هو  
المقدر الذي يخرج الزكاة من النصاب إلى المستحق والمعنى فعل المزكي الذي هو الزكاة وهو  
المراد هنا لأنه ما من مصدر إلا ويعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل  
الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل الزكاة ويجوز أن يراد بالزكاة العين ويقدر  
مضاف محذوف وهو الأداء وقيل الزكاة هنا هي العمل الصالح لأن هذه السورة مكية وإنما  
فرضت الزكاة بالمدينة سنة اثنتين من الهجرة قال البقاعي والظاهر أن التي فرضت بالمدينة  
هي ذات النصب وأن أصل الزكاة كان واجبا بمكة كما قال تعالى في سورة الانعام وأتوا حقه  
يوم حصاده انتهى الصفة الخامسة المذكورة في قوله تعالى (والذين هم لقروجهم) في  
الجماع ومقدماته (حافظون) أي دائما لا يتبعونها شهواتها والفرج اسم لسواة الرجل والمرأة  
وحفظه التعقب عن الحرام ثم استثنى من ذلك قوله تعالى (الاعلى أزواجهم) التي استحقوا  
أبضاعهن بعقد النكاح ولعلوا الذكربعلى ونظيره كان زياد على البصرة أي والبايع عليها ومنه  
قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المرأة فراشا وقيل على جمع من وجرى على ذلك البغوى  
(أو ما ملكت أيمانهم) رقابه من الاماء (فان قيل) هلا قال تعالى أو من ملكت (أجيب) بأنه  
انما يربى بالقرب الاماء مما لا يعقل لنقصهن عن الحررات الناقصات عن الذكرو لانه اجتمع فيها  
وصفتان أحدهما الانوثة وهي مظنة نقصان العقل والاخرى كونها بحيث تباع وتشتري كسائر  
السلع قال البغوى والآية في الرجال خاصة لان المرأة لا يجوز لها أن تستمتع بفرج عاقل  
(فانهم غير مأمونين) على ذلك اذا كان على وجه أذن فيه الشرع دون الاتيان في غير المأني  
وفي حال الحيض أو النفاس أو نحو ذلك كوطء الامة قبل الاستبراء فانه حرام ومن فعله فانه  
مأمون (فمن استغنى) أي طلب متعديا (وراء ذلك) العظيم المنفعة الذي وقع استثنائه بزنا ولو اوطأ  
أو استغنى بيدا وبهيمة أو غيرها (فأولئك) المبعوثون من الفلاح (هم العادون) أي المبالغون  
في تعدي الحدود عن سعيد بن جبير قال عذب الله تعالى أمة كانوا يعشرون بمذا كبرهم أي في  
أيديهم وقيل يحشرون وأيديهم حبلى الصفة السادسة المذكورة في قوله تعالى (والذين هم  
لاماناتهم) أي في القروج وغيرها سواء كانت بينهم وبين الله كالمصلاة والصيام أو بينهم وبين  
الخلق كالودائع والبضائع أو في المعاني الباطنة كالاخلاص والصدق (وعهدهم راعون) أي  
حافظون بالقيام والرعاية والاصلاح والعهد ما عقده الشخص على نفسه فيما يقربه إلى ربه  
ويقع أيضا على ما أمر الله تعالى به كقوله تعالى الذين قالوا ان الله عهد بيننا (تنبية) \* سمى  
الشيء الموثق عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يأمر بالحق والعدل  
الامانات إلى أهلها وقال تعالى وتصوروا اماناتكم وانما تؤدى العيون لا المعاني ويحان المؤمن  
عليه لا الامانة في نفسها وترأ ابن كثير لاماتهم بغير ألف بين النون والهاء على الافراد لمن  
الالباس أو لانها في الاصل مصدر والباقون بالالف على الجمع الصفة السابعة المذكورة في  
قوله تعالى (والذين هم على صلواتهم) التي وصفوا بالخشوع فيها (يحافظون) أي يواظبون

عليها ولا يتركون شيئا من مفروضاتها ولا مسنوناتها يجتهدون في كمالها جهدهم ويؤدونها في  
أوقاتها (فان قيل) كيف كثر الصلاة أولا وآخرها (أجيب) بأنهم ما ذكروا مختلفان فليس  
بمكثروا وصفوا أولا بالخشوع في صلاتهم وآخرها بالحافظة عليها وذلك أن لا يسهوا عنها ويؤدوها  
في أوقاتها ويقوموا أركانها ويوطنوا أنفسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي أن تتم به أوصافها وأيضا  
فقد وحدث أولا لفقاد الخشوع في جنس الصلاة أي صلاة كانت وجمعت آخرها على غير قراءة  
حزرة والكسافي فان غيرهما قرا بالجمع وأما ما فقر بالافراد لتفاد المحافظة على أعدادها وهي  
الصلوات الخمس والسنن المرتبة مع كل صلاة وصلاة الجمعة وصلاة الجنازة والعيدين  
والكسوفين والاستسقاء والوتر والضحى وصلاة التسبيح وصلاة الحاجة وغيرها من النوافل  
ولما ذكر تعالى مجموع هذه الصفات العظيمة نغم حراهم فقال تعالى (أولئك) أي البالغون  
من الاحسان أعلى مكان (هم الوارثون) أي المستحقون لهذا الوصف فيرتبون منازل أهل الجنة  
في الجنة روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا  
وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله وقال  
بجاهد لكل واحد منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فأما المؤمن فيبقى منزله الذي له في الجنة  
ويهدم منزله الذي له في النار وأما الكافر فيهدم منزله الذي في الجنة ويبقى منزله الذي له في النار  
وقال بعض المفسرين معنى الوراثة هو أن يؤل أمرهم إلى الجنة وينالوها كما يؤل أمر  
الميراث إلى الوارث (الذين يرتبون الفردوس) وهو أعلى الجنة عن عبادة بن الصامت  
رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين  
كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة منها تفجر أنهار الجنة الأربعة ومن فوقها  
يكون عرش الرحمن فاذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس اللهم بجاه محمد صلى الله عليه وسلم  
أن تجعلنا ووالدينا وأحبابنا من أهل (هم فيها خالدون) أي لا يخرجون منها ولا يموتون وأنت  
الفردوس بقوله تعالى فيها على تأييد الجنة وهو البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر روى  
أن الله تعالى بنى الجنة الفردوس ابنة من ذهب وابنة من فضة وجعل خلالها المسك الأذفر  
وفي رواية وابنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الرياح وروى أن  
الله تعالى خلق ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده  
ثم قال وعزني لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث والمراد أن الله تعالى لم يكل ذلك إلى غيره من ملك من  
الملائكة والجنة مخلوقة الآن قال تعالى أعدت للمتقين ولما أمر سبحانه وتعالى بالعبادات في  
هذه الآيات والأشياء بالعبادة الله لا يصح الا بعد معرفة الله تعالى عقبها بذكر ما يدل على وجوده  
واقصافه بصفات الجلال والوحدانية فذكر من الدلائل أنواعا الاوّل الاستدلال بتقليب  
الانسان في أدوار الخلقه وأدوار القطرة وهي تسع مراتب الاولى قوله تعالى (واقعد خلقنا  
الانسان) أي آدم (من سلالة) هي من سللت الشيء من الشيء أي استخرجته منه وهو خلاصته  
وقال ابن عباس السلالة صفرة الماء وقوله تعالى (من طين) متعلق بسلالة وقيل المراد

بالإنسان هذا النوع والسلالة قال مجاهد من بنى آدم وقال عكرمة هو الماء يسيل من الظهر  
 والعرب تسمى النطفة سلالة والولد سليلة وسلالة لانهم ما سلولان منه المرتبة الثانية قوله  
 تعالى (ثم جعلناه) أي نسله فغذف المضاف (نطفة) أي مني من الصاب والترائب بأن خلقناه  
 منها (في قرار مكين) أي مستقر حصين هو الرحم \* (تنبيه) \* مكين في الاصل صفة للمستقر في  
 الرحم وصف به المحل للمبالغة كما عبر عنه بالقرار المرتبة الثالثة قوله تعالى (ثم) أي بعد تراخ  
 في الزمان وعلو في المرتبة والعظمة (خلقنا) أي بما لنا من العظمة (النطفة) أي البيضاء جدا  
 (علقة) حرا وما غلظنا شديد الحرارة جامدا غلظنا المرتبة الرابعة قوله تعالى (خلقنا) أي بما لنا  
 من القوة والقدرة العظيمة (العلقة مضعفة) أي قطعة لحم قدر ما يعضغ لاشكل فيها ولا تخطيط  
 المرتبة الخامسة قوله تعالى (خلقنا المضعفة) أي بتقليها بما شئنا لها من الحرارة والادور اللطيفة  
 الغامضة (عظاما) من رأس ورجلين وما بينهما المرتبة السادسة قوله تعالى (فكسونا) بما  
 لنا من قوة الاختراع تلك (العظام لها) بما ولدنا منها ترجيمه الخالها قبل كونها عظاما فاستترنا  
 تلك العظام وقويتها وشدناها بالروابط والاعصاب وقرأ ابن عامر وأبو بكر عظاما والعظام  
 بفتح العين واسكان الظاء من غير ألف على التوحيد كما فاء باسم الجنس عن الجمع والباقون  
 بكسر العين وفتح الظاء وألف بعدها على الجمع قال الجلال المحلى وخلقنا في المواضع الثلاثة بمعنى  
 صيرنا المرتبة السابعة قوله تعالى (ثم أنشأناه) أي هذا المحدث عنه بعظمتنا (خلقنا آخر)  
 أي خلقنا مابيننا نتخلق الاول مابيننا ما أبعدنا حيث جعله حيوانا وكان جادا وناطقا وكان  
 أبكم وبصيرا وكان أصم وبصيرا وكان أكمه وأودع ظاهره وباطنه بل كل عضو من أعضائه  
 وكل جزء من أجزائه بحماة فطره وغرائب حكمه لاتدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح  
 الشارح وثم لما بين الخالقين من التفاوت قال الزمخشري وقد احتج به أبو حنيفة رحمه الله فيمن  
 غضب بيضة فأفرخت عنده فقال يضمن البيضة ولا يرد الفرج لانه خلق آخر سوى البيضة اه  
 ولما كان هذا التفصيل لتطور الانسان سببا لتعظيم الخالق قال تعالى (فتبارك الله) أي تنزه  
 عن كل شائبة نقص وحاز جميع صفات الكمال وأشار الى جمال الانسان بقوله تعالى (أحسن  
 الخالقين) أي المقدرين ومميزا أحسن محذوف أي خلقا روى عن عمر رضي الله تعالى عنه  
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ قوله خلقنا آخر قال فتبارك الله أحسن الخالقين وروى  
 أن عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنطق بذلك قبل  
 املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا فنزلت فقال عبد الله ان كان محمد  
 نبيا يوحى اليه فانابى يوحى الى فلحق بمكة كافر ثم أسلم يوم الفتح وروى سعيد بن جبيرة عن  
 ابن عباس أنه قال لما نزلت هذه الآية قال عمر بن الخطاب فتبارك الله أحسن الخالقين فقال  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت يا عمر وكان عمر يقول وافقني ربي في أربع الصلوة  
 خلف المقام وضرب الجباب على النوة وقولي له أن أو لا يبدلني الله خيرا منك فنزل قوله تعالى  
 عسى ربه ان طلقكن الآية والرابع قلت فتبارك الله أحسن الخالقين فقال هكذا نزل

قال العارفون هذه الواقعة كانت سبب السعادة لعمر والشقاوة لعبد الله بن سعد بن أبي  
سرح فانه قيل انه مات كافرا قال الله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا المرتبة الثامنة قوله  
تعالى (ثم انكم بعد ذلك) أي الامر العظيم من الوصف بالحياة والمد في العمر في آجال متفاوتة  
ما بين طفل ورضيع ومحتلم شديد وشاب نشيط وكهل عظيم وشيخ هرم الى ما بين ذلك من شؤون  
لا يحيط بها الا اللطيف الخبير (ليتون) أي لصاترون الى الموت لاحتمال ذلك وذكر النعت  
الذي للثبوت وهو ميت دون اسم الفاعل وهو مائت فانه للمحدث للثبوت المرتبة التاسعة  
قوله تعالى (ثم انكم يوم القيامة) أي الذي يجمع فيه جميع الخلائق (تبعثون) للساب  
والجزاء. النوع الثاني من الدلائل الاستدلال بخلق السموات وهو قوله تعالى (واقدر خلقنا  
فوقكم) في جميع جهة الفوق في ارتفاع لا تدركونه حق الادراك (سبع طرائق) أي سموات  
بجمع طريقة لانها طرق الملائكة ومرتباتهم وقيل الافلاك لانها طرائق الكواكب فيها  
مسيرها وقيل لانها طرق بعضها فوق بعض كطارقة النعل وكل شي فوقه مثله فهو طريقة  
(وما كنا) أي بما لنا من العظمة (عن الخلق) أي الذي خلقناه فحتمها (غافلين) أي ان تسقط عليهم  
فتملكهم بل نمسكها كآية وعسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه ولا مهلين أمرها بل  
نحفظها عن الزوال والاختلاف وتدبيراً أمرها حتى تبلغ منتهى أمرها وما قدرها من الكمال  
حسب ما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة. النوع الثالث من الدلائل الاستدلال بنزول  
الامطار وكيفية تأثيرها في النبات وهو قوله تعالى (وانزلنا من السماء) أي من جرمها وهو ظاهر  
اللفظ وعليه أكثر المفسرين أو من السحاب وسماها سماه لونه (ماء بقدر) أي بقدر ما يكفيهم  
لما شهم في الزرع والغرس والشرب وأنواع المنفعة ويسلمون معه من المضرة اذ لو كان فوق  
ذلك لا غرقت البصار الا قطار ولو كان دون ذلك لادى الى جفاف النبات والاشجار (فاسكاه)  
أي فجعلناه نباتاً مستقراً (في الارض) كقوله تعالى فسلكه ينابيع في الارض وعن ابن  
عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون نهر الهند  
ويحيون نهر بلخ ودرجلة والقرات نهر العراق والنيل نهر مصر أنزلها الله تعالى من عين واحدة  
من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناح جبريل فاستودعها الجبال  
وأجراها في الارض وجعل فيها نافع للناس من أصناف معاديتهم فاذا كان عند خروج  
يا جوج وما جوج أرسل الله تعالى جبريل فرقع من الارض القرآن والعلم كله والحجر الاسود  
من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى  
السماء وذلك قوله تعالى (وانا على ذهاب به لقادرون) قدرة هي في نهاية العظمة فانا كما قدرنا  
على ايجاده واختراعه نقدر على رفعه وازالته وزواله فاذا رفعت هذه الاشياء كلها من الارض  
فقد أهلهما خير الدين والدنيا قال البغوي وروى هذا الحديث الامام الحسن بن سفيان عن عثمان  
ابن سعيد عن سابق الاسكندر عن سلة بن علي عن مقاتل بن حبان (تبيه) هي تنكير ذهاب  
ايما الى تكثير طريقه وفيه ايدان باقتدار المذهب وأنه لا يتعابا عليه شيء اذا اراده وهو أبلغ

في الابداع من قوله تعالى قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بما معين فعلي العباد  
 ان يستعظموا النعمة في الماء ويقيدها بالشكر الدائم ويخافوا نفاذها اذ لم تشكروا ثم انه  
 تعالى سبحانه لما به على عظم نعمته بخلق الماء ذكر بعده هذه النعمة الخاصة به من الماء بقوله  
 تعالى (فانشأنا) أي فأخرجنا وأحيينا (لكم) خاصة لنا (به) أي بذلك الماء الذي جعلنا منه كل  
 شيء حتى (جنات) أي بساكن (من نخيل وأعناب) صرح به ذين الصنفين اشرفهما ولائهما  
 أكثر ما عند العرب من الثمار وسمى الاول باسم شجرته لكثرة ما قيمها من المنافع المقصودة بخلاف  
 الثاني فانه المقصود من شجرته وأشار الى غيرها ما بقوله تعالى (لكم) أي خاصة (فيها) أي  
 الجنات (قوا كه كثرة) تتفكرون بها (ومنها) أي ومن الجنات من غارها وزروعها (تأكلون)  
 رطبا ويايسا وتمر او زيبا وقوله تعالى (وشجرة) عطف على جنات أي وانشأنا لكم شجرة أي  
 زيتونة (تخرج من طور سيناء) وهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران عليه  
 السلام بين مصر وايه وقيل بقلسطين وفي رواية أخرى طور سينين ولا يخجلوا ما أن يضاف فيه  
 الطور الى بقعة اسمها سيناء أو سينين واما أن يكون اسم الجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه  
 كما مرى القيس وبعليك فيمن أضاف فن كسر سين سيناء وهو نافع وابن كثير وأبو عمرو وقيل منع  
 الصريف للتعريف والهمة والتأنيث لانها بقعة وفعلها لا تكون ألقه للتأنيث كعلباء وحرباء ومن  
 قرأ بفتح السين وهم الباقون لم يصرفه لان الالف للتأنيث كحمراء قال مجاهد معناه البركة أي  
 من جبل مبارك وقال قتادة معناه الحسن أي الجبل الحسن وقال الضمك هو بالقبطية ومعناه  
 الحسن وقال عكرمة بالحشيشية وقال مقاتل كل جبل فيه أشجار مثمرة فهو سيناء وسينين بلغة  
 القبط وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (تنبت) بضم التاء الفوقية وكسر الباء الموحدة من الرباعي  
 والباقون بفتح الفوقية وضم الموحدة من الثلاثي فقوله تعالى (بالدهن) تكون الباء على الاول  
 زائدة وعلى الثاني معدية قال المفسرون وانما أضافها الله تعالى الى هذا الجبل لان منه  
 تشبثت في البلاد وانتشرت ولان معظمها هناك قال بعض المفسرين وانما عرف الدهن لانه  
 أجل الادهان وأكملها وهو في الاصل مائع لزج خفيف يتقطع ولا يختلط بالماء الذي هو أصله  
 فيسرج ويدهن به وقوله تعالى (وصبغ اللآكِين) عطف على الدهن أي ادام يصبغ اللقمة  
 بغمسها فيه وهو الزيت فيل انها أول شجرة تنبت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في  
 قوله تعالى توعد من شجرة مباركة النوع الرابع من الدلائل الاستدلال باحوال الحيوانات  
 وهو قوله تعالى (وان لكم في الانعام) وهي الابل والبقر والغنم (لعبرة) عظيمة تعتبرون بها  
 وتستدلون بها على البعث وغيره (نسيكم مما في بطونها) أي اللبن فيجعل لكم شراياتا فاعال للبدن  
 موافقا للشهوة قلندون به من بين القرث والدم (وا لكم فيها) أي جماعة الانعام وقدم الجار  
 نعتا للمنافعها حتى كان غيرها عدم (منافع كثيرة) باستسلامها لما يراى منها مما لا يتيسر من  
 أصغر منها وبأولادها وأصوافها وأوبارها وأشعارها وغير ذلك من آثارها (ومنها تأكلون)  
 أي وكما تتغنون بها وهي حية تتغنون به بعد الذبح أيضا بسهولة من غير امتناع مما من شيء من

ذلك ولو شاء لمنعها وسلطها عليكم ولو شاء بل جعل لها لا ينضج أو جعله قدرا لا يؤكل ولكنه  
 بقدرته وعلمه هاها لما ذكره ذلها (وعليها) أي الانعام الصالحة للعمل وهي الابل والبقر وقيل  
 المراد الابل خاصة لانها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالثقل التي هي السفن في قوله تعالى  
 (وعلى الفلك صمّون) لانها سفائن البر فكما يحمل على الفلك في البحر فيحمل على هذه في البر قال  
 ذوالرمة في المعنى \* سفينة يرتخت خدي زمامها \* قال الزمخشري يريد صيدحه أي ناقته لان  
 اسمها كان صيدح قال

رأيت الناس يتصمون غمنا \* فقلت لصيدح اتصبي بلا

يريد بلال بن أبي بردة الأشعري والى الكوفة \* ولما بين سبحانه وتعالى دلائل التوحيد أردفها  
 بذكر القصص كما هو العادة في سائر السور مبتدئا بقصة نوح عليه السلام فقال تعالى (ولقد  
 أرسلنا) أي بالنامن العظيمة (نوحا) وهو الاب الثاني بعد آدم عليهما الصلاة والسلام وكان اسمه  
 يشكرو وسمى نوحا لوجوه أحدها الكثرة مانح على نفسه حين دعا على قومه بالهلاك فأهلكهم الله  
 تعالى بالطوفان فندم على ذلك ثانيا المرابحة ربه في شأن ابنه ثانيا أنه مرتكب مجذوم فقال له  
 احسأ يا قبيح فعوتب على ذلك (الى قومه) وهم جميع أهل الارض لتواصل ما بينهم لكونهم على  
 لغة واحدة محصورين لأنه أرسل الى الخلق كافة لان ذلك من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه  
 وسلم وعلى جميع الانبياء (فقال) أي فتسبب عن ذلك ان قال (يا قوم) ترفقا بهم (اعبدوا الله)  
 وحده لانه الهكم وحده لا شريك له بل جميع خلال الكمال واستأنف على سبيل التعليل قوله (مالكم  
 من الله) أي معبود ويحق (غيره) فلا تعبدوا سواه (أفلاتهقون) أي أفلاتخافون عقوبته ان  
 عبدتم غيره وقرأ الكسائي بكسر الراء والهاء والباقون بضمه - ما (فقال) أي فتسبب عن ذلك  
 ان كذوبه بان قال (الملائكة) أي الاشراف النبي عملا رؤيتهم الصدور عظيمة (الدين كفروا من  
 قومه) لغوامهم (ما هذا) أي نوح عليه السلام (الابشره ملككم) أي فلا يعلم ما لا تعلمون فانكروا  
 ان يكون بعض البشر نبيا ولم ينكروا أن يكون بعض الطين انسانا وبعض الماء علقمة وبعض  
 العلقمة مضغة الى آخره فكانه قيل ما جعله له على ذلك فقالوا (يريد ان يتفضل) يتكاف الفضل  
 بادعاء مثل هذا (عليكم) لتكونوا أتباعا له ولا خصوصية له دونكم (ولو شاء الله) أي الملك  
 الاعلى الارسال اليكم وعدم عبادة غيره (لا تنزل) كذلك (ملائكة) رسلا بلاغ الوحي اليها قال  
 الزمخشري وما أعجب شأن الضلال لم يرضوا للنبوة بشروا لالوهية بحجر (ما جعلنا هذا)  
 أي الذي دعا اليه نوح من التوحيد (في آياتنا الاولى) أي الامم الماضية (ان) أي ما (هو)  
 الارجل به الجنة) أي جنون ولا جله يقول ما يدعيه (فتر بصوابه) أي فتسبب عن الحكم بجنونه  
 انانا مكرم بالكف عنه لانه لا حرج على جنونه (حتى) أي الى (حين) لعلمه يفتق أو يموت فكانه  
 قيل فما قال فضيل (قال) عندما أمر من فلا حهم (رب انصرفي) أي أعني عليم - ثم (عما كذبون)  
 أي بسبب تكذيبهم لي فان تكذيب الرسول استخفاف بالمرسل (فأرجعنا) أي فتسبب عن صفاته  
 أن أوحينا (اليه أن اصنع الفلك) أي السفينة (بأعيننا) أي انه لا يقرب مناشئ من أمرك



ولا من أمرهم وأن تعرف قدرتنا على كل شيء فنشوق بحفظنا ولا تخف شأ من أمرهم روى أنه لما  
 أوحى إليه أن يصنعها على مثال جوجوا الطائر قال الجوهري جوجوا الطائر والسفينة صدرهما  
 والجمع الجاجي . ولما كان لا يعلم الصنعة قال تعالى (ووحينا) أي وأمرنا وتعلمنا كيف تصنع  
 فان جبريل علمه عمل السفينة ووصف كيفية اتخاذها له وقد تقدم الكلام عليها مستوفى في سورة  
 هود (فاذا جاء أمرنا) أي بالهلاك عقب فراغك منها أو بالركوب (وقار التنور) قال ابن عباس  
 وجه الارض وفي القاموس التنور الكانون يخبر فيه ووجه الارض وعن قتادة أنه أشرف موضع  
 في الارض أي أعلاه وعن علي تطلع القجر وعن الحسن أنه الموضع المنخفض من السفينة  
 الذي يسيل الماء اليه وقيل هو مثل كقولهم حي الوطيس والاقرب كما قال الرازي وعليه  
 أكثر المفسرين هو التنور المعروف بتور الخباز فيكون له فيه آية روى أنه قيل لنوح إذا  
 رأيت الماء يقور في التنور فاركب أنت ومن معك في السفينة فلما تبع الماء من التنور أخبرته  
 امر أنه فركب وقيل كان تنور آدم وكان من حجارة فصارت لنوح واختلف في مكانه فعن الشعبي  
 في مسجد الكوفة عن عيين الداخل مما يلي باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل  
 بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وقرأ قالون والبري وأبو عمرو بإسقاط الهمزة الاولى  
 من الهمزتين المتوحدتين من كلمتين وحقق الاولى وسهل الثانية ورش وقيل (فاسلك) أي أدخل  
 (فيها) أي السفينة (من كل زوجين) من الحيوان (اثنين) ذكر أو أنثى وقرأ حفص بتنوين  
 اللام من كل أي من كل نوع زوجين فزوجين مفعول واثنين تأكيد والباقون بغير تنوين  
 فاثنين مفعول ومن متعلق بأسلك وفي القصة ان الله تعالى حشر نوح السباع والطيور وغيرهما  
 فجعل يضرب يده في كل جمع فتقع يده اليمنى على الذكور واليسرى على الانثى فيحملها  
 في السفينة وروى أنه لم يحمل الا ما يلذ ويبيض (وأهلك) أي وأهل بيتك من زوجك وأولادك  
 (الامن سبق عليه) لاله (القول منهم) بالهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام  
 وياقت فحملهم وزوجاتهم الثلاثة وفي سورة هود ومن آمن وما آمن معه الا قليل قيل كانوا ستة  
 رجال ونساء هم وقيل جميع من كان في السفينة ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء  
 (ولا تخاطبني) أي بالسؤال في النجاة (في الذين ظلموا) أي كفروا ثم علل ذلك بقوله تعالى (انهم  
 مغرقون) أي قد حتم القضاء عليهم لغلظهم بالاشراك والمعاصي ومن هذا شأنه لا يشفع له فانه تعالى  
 بعد ان أملى لهم الدهر المتطاوول فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا أن يجعلوا عبرة  
 للمعتبرين ونحن نذكر ملك عن سؤال لا يقبل ولقد بالغ سبحانه وتعالى حيث اتبع النهي عنه  
 الامر بالجد على هلاكهم والنجاة منهم بقوله تعالى (فاذا استويت) أي اعتدلت (أنت ومن  
 معك) أي من البشر وغيرهم (على الفلك) ففرغت من امثال الامر بالجد (فقل الحمد لله) أي  
 الذي لا كف له لانه محتمر بصفات الحمد (الذي تجاننا) بجملائنا فيه (من القوم) أي الاعداء  
 الاغنياء (الكافرين) أي الكافرين لقوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب  
 العالمين . (تبيه) . انما قال تعالى قل ولم يقل قولوا لان نوح عليه السلام كان لهم نبيا واماما

فكان قوله قولاً لهم مع ما فيه من الاشعار بفضـل التوبة واظهار كبرياء الربوبية وان رتبة تلك  
 المخاطبة لا يترقى اليها الا ملكاً أو نبياً ولما أشار به هذا القول الى السلامة بالجلد أتبعه بالاشارة الى  
 الوعد باسكان الارض بقوله تعالى (وقل رب أنزاني) في الفلك ثم في الارض وفي كل منزل تنزلي  
 به وتورثني اياه (منزلاً مباركاً) أي يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين وقرأ أبو بكر بفتح  
 الميم وكسر الزاي أي مكان النزول والباقون بضم الميم وفتح الزاي صدرأ وأسم مكان ثم ان  
 الله تعالى أمره أن يشفع الدعاء بالثناء عليه المطابق لمثلته وهو قوله تعالى (وأنت خير المتزلين)  
 ما ذكر لانك تكفي نزيلك كل ملء وتعطيه كل أمره ولما كانت هذه القصة من أغرب القصص  
 حث على تدبرها بقوله تعالى (أن في ذلك) أي الامر العظيم من أمر نوح والسفينة واهلاك  
 الكفار (آيات) أي دلالات على قدرة الله تعالى وصدق الانبياء في ان المؤمن ينهم المفلحون  
 وانهم الوارثون للارض بعد الظالمين وان عظمت شوكتهم واشتدت صولتهم (وأن كلاً)  
 بما لنا من العظمة والوصف الثابت الدال على تمام القدرة (لمبتلين) أي فاعلين فعل الخير  
 المختبر لعبادنا بإرسال الرسل ليظهر في عالم الشهادة الصالح منهم من غيره ثم ينبتى الصالحين منهم  
 بما يزيد حسناتهم وينقص سيئاتهم ويعلو درجاتهم ثم يجعل لهم العاقبة كما قال تعالى والعاقبة  
 للمتقين \* (تنبيه) \* ان هي الخفقة من الثقبلة واسمها ضمير الشأن واللام هي الفارقة \* القصة  
 الثانية قصة هود وقيل صالح عليهم السلام المذكورة في قوله تعالى (ثم أنشأنا) أي أحدثنا  
 وأحيينا (من بعدهم) أي من بعد اهلاكهم (قرناً) أي قوماً (آخرين) هم عاد قوم هود  
 وقيل عاد قوم صالح (فأرسلنا) أي فتعقب انشاء نالهم وتبب عنه انا أرسلنا (فيهم رسولا  
 منهم) هو هود وقيل صالح قال البغوي والاول هو الاظهر وهو المروي عن ابن عباس ويشهد له  
 حكاية الله قول هود واذكروا اذ جعلكم خلائفاً من بعد قوم نوح ومحبي قصة هود على ارفضة  
 نوح في سورة الاعراف وسورة هود والشعراء ثم بين تعالى ما أرسل به بقوله تعالى (أن اعبدوا  
 الله) أي وحدوه لانه لا مكافئ له ثم دل على الاستغراق بقوله تعالى (مالك من الغيـره أفلا  
 تتقون) أي هذه الحالة التي أنتم عليها مخافة عقابه فتؤمنون وقرأنا فاع وابن كثير وابن عامر  
 والكسائي بضم النون في الوصل والباقون بكسرها والقراءة في غيره ذرت قريبا (وقال الملا)  
 أي الاشراف التي تلا رؤيتهم الصدور (من قومه الذين كفروا) أي غطوا وما يعرفون من أدلة  
 التوحيد والاتقام من المشركين (وكذبوا بلفظ الآخرة) أي بالمصير اليها (وأترقناهم)  
 أي والحال اننا بما لنا من العظمة نعمناهم (في الحياة الدنيا) بالاموال والاولاد وكثرة السرور  
 يخاطبون أتباعهم (ما هذا) أشاروا اليه تحقيرا له عند المخاطبين (الابشر منكم) في الخلق والحال ثم وصفوه بما يوجبهم المساواة لهم في كل وصف فقالوا (يا كل عمانا كلون منه)  
 أي من طعام الدنيا (ويشرب مما تشربون) أي من شرابها فكيف يكون رسولا دونكم وقولهم  
 (ولئن) اللام لام قسم أي وإلقلن (أطعمتم بشر مثلكم) أي فيها يأمركم به (انكم لذا) أي  
 ان أطعموه (نحاسرون) أي يخفون لكونكم فضلتم مثلهم عليكم بما يدعيه ثم بينوا

انكارهم بهولهم (أي بعدكم أنكم إذا متم) ففارقتم أرواحكم أجسادكم (وكنتم) أي وكنت  
 أجسادكم (تراباً) باستيلاء التراب على مادون عظامكم (وعظماً) مجردة عن اللحم والاعصاب  
 (أنكم مخرجون) أي من تلك الحالة التي صرتم اليها فخرجون إلى ما كنتم عليه من الحياة  
 على ما كان لكم من الأجسام • (تنبيه) • قوله تعالى مخرجون خبر انكم الأولى وانكم الثانية  
 تأكيد لها لمطال الفصل ثم استأنفوا التصريح بمادل عليه الكلام من استبعاد ذلك فقالوا  
 (هيئات هيئات) اسم فعل ماض بمعنى مصدر أي بعد بعد جدا وقال ابن عباس هو كلمة بعد أي  
 بعيد ثم كأنه قيل لا يثني هذا الاستبعاد فقيل (لما وعدون) من الانحراج من القبور  
 (فان قيل) لما وعدون هو المستبعد ومن حقه أن يرفع بهيات كما ارتفع به في قوله  
 • فهيات هيئات العقيق وأهله • فما هذه اللام (أجيب) بان الزجاج قال في تفسيره البعد  
 لما وعدون فنزل منزلة المصدر ويصح أن تكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة  
 الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به أو ان اللام زائدة للبيان • (قائدة) • وقف  
 البري والكسافي على هيئات الأولى والثانية بالهاء والباقيون بالتاء على المرسوم وقولهم (ان هي)  
 ضمير لا يعلم ما يعنى به إلا بما يتلوه من بيانه وأصله ان الحياة (الاحياءنا الدنيا) ثم وضع هي موضع  
 الحياة لان الخبر يدل عليها وبينها ومنه هي النفس تحمل ما حلت والمعنى لاحياة الا هذه الحياة  
 لان ان الثانية دخلت على هي التي بمعنى الحياة الدالة على الجنس فنقضتها فوازنت لا التي  
 نقت ما بعد هاتي الجنس (عوت ونجوي) أي عوت من من هو موجود وينشأ آخرون بعدهم  
 وقيل عوت قوم ويجيا قوم وقيل عوت الآباء ونسبوا الابناء وقيل في الآية تقديم وتأخير أي نجيا  
 وعوت لانهم كانوا ينكرون البعث بعد الموت كما قالوا (وما نحن بمبعوثين) بعد الموت فكانت  
 قيل فما هذا الكلام الذي يقوله فقيل كذب ثم حصر وأمره في الكذب فقالوا (ان) أي ما  
 (هو الا رجل افترى) أي نعوذ (على الله) أي الملك الاعلى (كذبا) فلا يلتفت اليه (وما نحن  
 له بمؤمنين) أي بصدقين فيما يخبرنا به من البعث والرسالة فكانت قيل فما قال فقيل (قال رب)  
 أي أيها المحسن الي بالرسالة وبارسالي اليهم وبغيره من أنواع النعم (انصرتي) أي أوقع لي النصر  
 (بما كذبون) فأجابه به بان (قال عما قيل) من الزمان وما زائدة وأكدت القلة بزيادتها (ايصبرن)  
 أي ليصبرن (نادمين) أي على كفرهم وتكذيبهم اذا عاينوا العذاب (فأخذتهم الصيحة) أي  
 صيحة العذاب والهلاك كأنه (بالحق) أي الامر الثابت من العذاب الذي لا يمكن مداخنته  
 لهم ولا تغيرهم غير الله تعالى فأتوا وقيل صيحة جبريل عليه السلام ويكون القوم غود على  
 الخلاف السابق (فجعلناهم) بسبب الصيحة (غثاء) أي مطروحين ميتين كما يطرح الغثاء شبهوا  
 في دمارهم بالغثاء وهو جيل السبل ما يلي واسودت من الورق والبيضان ومنه قوله فجعله غثاء  
 أحوى أي أسود يابسا • ولما كان هلاكهم على هذا الوجه سبباً له وانهم عبر عنه بقوله تعالى  
 (فبعدها) أي هلاكاً وطرداً عن الرحمة (للقوم الظالمين) الذين وضعوا قوتهم التي كان يجب  
 عليهم بذلها فنصر الرسل في خذلانهم • (تنبيه) • يحتمل هذا الدعاء عليهم والخبار عنهم ووضع

الظاهر موضع ضميرهم للتعليل وبهذا وصفا ونقرا وتخييفا ونحوها مصادر وموضوعات ومواضع  
أفعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيوريه نصبت بأفعال لا يستعمل أظهارها \* القصة  
الثالثة المذكورة في قوله تعالى (ثم أنشأنا) أي بعظمتنا التي لا يضرها تقديم ولا تأخير (من  
بعدهم) أي من بعد من قدمنا ذكره من نوح والقرن الذي بعده (قرونا) أي أقواما (آخرين)  
فهو سبحانه وتعالى تارة يقص علينا في القرآن مفصلا كما تقدم وتارة يقص مجلا كما هنا وقيل  
المراد قصة لوط وشعيب وأيوب ويوسف عليهم السلام وعن ابن عباس بنى إسرائيل ثم انه تعالى  
أخبر بأنه لم يجعل على أحد منهم قبل الاجل الذي أجل لهم بقوله تعالى (ما تسبق من أمة أجلها)  
أي الذي قدر لها بأن تموت قبله (وما يستأنسون) عنه \* (تنبيه) \* ذكر الضمير بعد تأنيته رعاية  
للمعنى ومن زائدة (ثم أرسلنا رسالتنا) أي متتابعين بين كل اثنين زمان طويل وقرأ أبو عمرو  
رسلنا يسكون السين والباقون برفعها وقرأت ابن كثير وأبو عمرو في الوصل بتنوين الراء على  
أنه مصدر بمعنى التواتر وقع حالا والباقون بغير تنوين ولما كان كأنه قيل فكان ماذا قيل (كلما  
جاء أمة رسولها) أي بما أمرناه من التوحيد (كذبوه) أي كما فعل هؤلاء لما أمرتهم بذلك  
\* (تنبيه) \* أضاف الرسول مع الارسال الى الرسل ومع الجي الى المرسل اليهم لان الارسال  
الذي هو مبدأ الامر منه والجي الذي هو منتهاه اليهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتصديق  
الاولى وتسهيل الثانية بين الهمزة والواو والباقون بتحققة قهما وهم على مراتبهم في المذ  
(فأتبعنا) القرون بسبب تكذيبهم (بعضهم بعضا) في الاهلاك فلم يبق عند الناس منهم الا  
أخبارهم كما قال تعالى (وجعلناهم أحاديث) أي أخبارا يسمعونها ويتعجب منها لكونوا عظمة  
للمستبصرين فيعلموا أنه لا يفلح الكافرون ولا ينجب المؤمنون وما أحسن قول القائل

ولا شيء يدوم فكن حديثا \* جيل الذكر فالذي حديث

والاحاديث تكون جمعا للحديث ومنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكون جمعا  
للاحادوث التي هي مثل الايجوبة والاعوية وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد هنا  
ولما تسبب عن تكذيبهم هلا كههم المقتضى لبعدهم قال تعالى (فبعدا لقوم) أي أقويا على  
ما يطلب منهم (لا يؤمنون) أي لا يوجد منهم ايمان وان جرت عليهم الفصول الاربعة لانه  
لا مزاج لهم معتدل \* القصة الرابعة قصة موسى وهرون عليهما السلام المذكورة في قوله  
تعالى (ثم أرسلنا) أي بمالنا من العظمة (موسى وأخاه هرون بإياتنا) قال ابن عباس الآيات  
التسع وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والجر والسنين ونقص الثمرات  
(وسلطان مبين) أي حجة بينة وهي العصا وأقردها بالذكر لانها قد تعلق بها مميزات متتى من  
انقلابها حية ونطقها ما أفكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضر بها  
وكونها حاربا وشجعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاه فجعلت مكانها ليست بعصا  
لما استبدت به من الفضائل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته  
ورسله وجبريل وميكال ويحوز أن يراد بالآيات نفس تلك المميزات وبالسلطان المبين كيفية

دلالتها على الصدق وذلك لانها وان شاركت آيات سائر الانبياء في كونها آيات فقد فارقتها  
 في قوة دلالتها على قول موسى عليه السلام وان يراد بالسلطان الميين المجهزات وبالآيات الطبع  
 وان يراد بها المجهزات فانها آيات النبوة ووجه بينة على ما يدعيه النبي قال الرازي واعلم ان  
 الآية تدل على أن مجهزات موسى كانت مجهزات هرون أيضا وان النبوة كما كانت مشتركة  
 بينهما فكذلك المجهزات (الى فرعون وملاته) أي وقومه ولكن لما كان الاطراف  
 لا يخالفون الاشراف عداهم عدما ومن الواضح ان التقدير ان اعبدوا الله مالكم من الغيرة  
 وأشار بقوله تعالى (فاستكبروا) الى انهم أوجدوا الكبر عن الاتباع فيما دعواهم اليه عقب  
 الابلاغ من غير تأمل ولا ثبت وطلبوا أن لا يكونوا تحت أمر من دعاهم وأشار بالكون الى  
 فساد جبلتهم بقوله تعالى (وكانوا قوما) أي أقوياء (عالمين) أي متكبرين فاهرين غيرهم بالظلم  
 ولما تسبب عن استكبارهم وعلوهم انكارهم للاتباع قال تعالى (فقالوا أنؤمن) أي بالله تعالى  
 مصدقين (لبشرين مثلنا) أي في البشرية والمأكل والمشرب وغيرهما مما يعتري البشر كما قال  
 من تقدمهم (وقومهما) أي والحال ان قومهما أي بني اسرائيل (لنا عابدون) خضوعا  
 وتذللأى في غاية الذل والانقياد كالعبيد فخص أعلى منهما بهذا أولانه كان يدعى الالهية فادعى  
 للناس العباداة وأن طاعتهم له عبادة على الحقيقة (فكذبوهما) أي فرعون وملاؤه موسى  
 وهرون (فكانوا) أي فرعون وملاؤه بسبب تكذيبهم (من المهلكين) أي بالفرق بصر القلزم  
 ولم تغن عنهم قوتهم في أنفسهم ولا قوتهم على خصوص بني اسرائيل واستعبادهم ولا ضرب بني  
 اسرائيل ضعفهم عن دفاعهم ولا ذلهم لهم وصغارهم في أيديهم ولما كان ضلال بني اسرائيل  
 بعد اقتادهم من عبودية فرعون وقومه أعجب قال تعالى تسليمة لتبنيه صلى الله عليه وسلم (ولقد  
 آتينا) أي بعظمتنا (موسى الكتاب) أي التوراة (لعلهم) أي قوم موسى وهرون عليهما  
 السلام (يهتدون) من الضلالة الى المعارف والاحكام ولا يصح عود الضمير الى فرعون وملته  
 لان التوراة انما وقيها بنوا اسرائيل بعد اغراق فرعون وملته بدليل قوله تعالى واقدا آتينا  
 موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى \* القصة الخامسة قصة عيسى عليه السلام  
 المذكورة في قوله تعالى (وجعلنا) أي بعظمتنا وقدرتنا (ابن مريم) نسبة اليها حقيقة الكونه  
 لأب له وكونه بشرا محمولا في البطن مولودا لا يصلح لرتبة الالهية وزاد في تحقيق ذلك بقوله  
 (واقمه) وقال تعالى (آية) ولم يقل آيتين لان الآية فيهما واحدة ولادته من غير حمل ويحتمل  
 ان الآية الاولى حذف لدلالة الثانية عليها والتقدير وجعلنا ابن مريم آية واقمه آية لان الله  
 تعالى جعل مريم آية لانها جلته من غير ذكر وقال الحسن قد تكلمت في صفرها كما تكلم عيسى  
 وهو قوله اهو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ولم تلتقم ثديا قط \* (تنبية) قال  
 بعض المفسرين ولعل في ذلك اشارة الى انه تكلمت به آية للقدرة على ايجاد الانسان بكل  
 اعتبار من غير ذكر ولا اثنى وهو آدم عليه السلام ومن ذكر بلا اثنى وهي حواء عليها السلام ومن  
 اثنى بلا ذكر وهو عيسى عليه السلام ومن الزوجين وهو بقية الناس (وأورثناهما) أي

بمظمتنا (الى ربوة) أى مكان عال من الارض \* (تنبيه) \* قد اختلف في هذه الربوة فقال عطية  
عن ابن عباس هي بيت المقدس وهو قول قتادة وكعب قال كعب هي أقرب الارض الى السماء  
بثمانية عشر ميلا وقال عبد الله بن سلام هي دمشق وقال أبو هريرة هي الرملة وقال السدي  
هي أرض فلسطين وقال ابن زبيد هي مصر وقرأ ابن عاصم بفتح الراء والباقون بضم الراء  
(ذات قرار) أى متسطة مستوية واسعة يستقر عليها ساكنوها (وهين) أى ماء جار ظاهر  
تراه العيون \* (تنبيه) \* قد اختلف في زيادة ميم معين واصالته فوجه من جعلها مضعولا أنه  
مدرك العين لظهوره من عانه اذا أدركه بعينه نحو ركبته اذا ضرب به بركبته ووجه من جعله فعلا  
أنه تضاع لظهوره وجره من الماعون وهو المنفعة قيل سبب الياقوت أنها مرت بابنها الى الربوة  
وبقيت بها اثنتي عشرة سنة ثم رجعت الى أهلها بمائة مائة ملكهم وههنا آخر القصر وقد  
اختلف في الخطاب بقوله تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) على وجوه أحدها أنه محمد صلى  
الله عليه وسلم وحده على مذهب العرب في مخاطبة الواحد بلفظ الجماعة ناتيها أنه عيسى عليه  
السلام لأنه روى أن عيسى عليه السلام كان يأكل من غزل أمه ناتيها أنه كل رسول خوطب  
بذلك ووصي به لأنه تعالى في الازل متكلم أمرناه ولا يشترط في الامر وجود الماء ويرين بل الخطاب  
ازلا على تقدير وجود الخطابين فقول البيضاوي لا على أنهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم أرسلوا  
في أزمنة مختلفة بل على معنى ان كلامهم خوطب به في زمانه تبع فيه الكشاف فان المعتزلة  
أثكروا قدم الكلام فحملوا الآية على خلاف ظاهرها وأنت خير بيان عدم اشتراط ما ذكر  
انما هو في التعلق المعنوي لا التخييري الذي الكلام فيه فانه مشروط فيه ذلك وانما خاطب جميع  
الرسول بذلك ليعتقد السامع ان أمر اخوطب به جميع الرسل ووصوا به حقيقا أن يؤخذ به  
ويعمل عليه وهذا كما قال الرازي أقرب لأنه روى عن ام عبد الله أخت شداد بن أوس  
أنها بعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدر من لبن في شدة الحر عند فطره وهو صائم فردت  
صلى الله عليه وسلم الرسول اليها وقال من أين لك هذا فقالت من شاة في ثم رده صلى الله عليه وسلم  
وقال من أين هذه الشاة فقالت اشتريتها من مالي فأخذه ثم انها جاءته فالتتبار رسول الله  
لم يردده فقال صلى الله عليه وسلم بذلك أمرت الرسل أن لا تأكل الا طيبا ولا تعمل الا صالحا  
والمراد بالطيب الحلال وقيل طيبات الرزق الحلال الصافي القوام فالحلال هو الذي لا يعصى  
الله تعالى فيه والصافي هو الذي لا يفسد الله فيه والقوام هو الذي يمسك النفس ويحفظ العقل  
وقيل المراد بالطيب المستلذ أى ما تتلذذ به النفس من المأكول والمشرب والقواكه ويشهده  
بجيشه على عقب قوله تعالى وآوتاهما الى ربوة ذات قرار ومعين واعلم أنه سبحانه وتعالى كما قال  
للمرسلين يا أيها الرسل كلوا من الطيبات قال لاه ومنتسبين يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات  
ما رزقناكم وذل سبحانه وتعالى على ان الحلال هو على الطاعة بقوله تعالى (واعلموا صالحا)  
قرضا ونفلا سرا وجه را غير خائفين من أحد غير الله تعالى ثم حثهم على دوام المراقبة بقوله تعالى  
(الى بما) أى بكل شئ (تصطون عليهم) أى بالغ العلم فاجاز بكم عليه وقرأ (وان هذه) بكسر

الهزيمة الكوفيون على الاستئناف والباقون بغتصها على تقدير واعلموا أن هذما أي ملة  
 الاسلام وخفف النون ساكنة ابن عامر وشدها مفتوحة الباقون (أمتكم) أي دينكم  
 أيها المخاطبون أي يجب أن تكونوا عليها حال كونها (أمة واحدة) لاشتات فيها أصلا  
 فإدامت موحدة فهي مرضية (وأنا ربكم) أي المحسن اليكم بالخلق والرزق وحدي فمن  
 وعدني نجوا من أشركني غيري هلك (فأتقون) أي فاحذرون (تقطعوا) أي الامم  
 وانما أضرهم لوضوح إرادتهم لان الآية التي قبلها قد صرحت بأن الانبياء ومن نجابهم  
 أمة واحدة لا خلاف بينهم ما فعل قطعا أن الضمير للامم ومن نشأ بعدهم ولذلك كان النظر إلى  
 الامر الذي كان واحدا أهم فقدم وقوله (أمرهم) أي دينهم بعد ان كان مجتمعاً متصلاً  
 (بينهم) وقوله تعالى (زبرا) حال من فاعل تقطعوا أي أحراباً متضالعين فصاروا فرقا  
 كاليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من الاديان المختلفة جمع زبور بمعنى الفرقة وقيل  
 معنى زبرا كتباً أي تمسك كل قوم بكتاب فآمنوا به وكفروا بما سواه من الكتب (كل  
 حزب) أي فرقة من المتحزبين (بمالديهم) أي عندهم من ضلال وهدى وقرأ حزة بضم  
 الهاء والباقون بكسرها (فرحون) أي مسرورون فضلا عن أنهم راضون وقوله تعالى  
 (قدرهم) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي اترك كفار مكة (في غرتهم) أي ضلالهم  
 شبهها بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها (حتى حين) أي إلى أن يقتلوا أو يعوقوا  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ونهى عن الاستهجال بهذابهم والجزع من تأخيرها ولما  
 كان الموجب لغرورهم ظنهم ان حالهم في بسط الارزاق من الاموال والاولاد حاله قرضا  
 عنهم أنكر ذلك عليهم تنبيها لمن سبقت له السعادة وكتبت له الحسنى وزيادة فقال تعالى  
 (أيحسبون) أي لضعف عقولهم وقرأ ابن عاصم وعاصم وحزة بفتح السين والباقون بكسرها  
 (أنما آتاهم) أي نعطيهم ونجعلهم مدد الهم (به من مال) يسره لهم (وبين) غتتهم بهم ثم أخبر عن  
 أن بقوله تعالى (نصارع) أي نهجل (لهم) أي به (في الخيرات) لان فعل ذلك (بل لا يشعرون)  
 أنهم في غاية البعد عن الخيرات فسندرجهم من حيث لا يعلمون وقال تعالى في موضع آخر  
 فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهد أنفسهم  
 وهم كافرون وروى عن زيد بن مسرة أنه قال أوحى الله تعالى إلى نبي من الانبياء أن يفرح  
 عبدي أن أبسط اليه الدنيا وهو أبعد مني ويحزن أن أقبض عنه الدنيا وهو أقرب مني  
 وعن الحسن انه لما أتى عمر رضي الله عنه بسواري كسرى فأخذها ووضعها في يد سراقه  
 ابن مالك فباغها منكبيه فقال عمر اللهم اني قد علمت ان نبيك عليه الصلاة والسلام كان يحب أن  
 يصيب ما لا ينفعه في سبيلك فزويت ذلك عنه ثم ان أبابكر كان يحب ذلك اللهم لا يكون ذلك  
 مكرامتك ثم فلا أيحسبون الآية ولما ذكر أهل الافتراق ذكر أهل الوفاق ووصفهم بأربع  
 صفات الاولى قوله تعالى (ان الذين هم) أي يواطئهم (من خشية ربهم) أي الخوف العظيم من  
 المحسن اليهم عليهم (مشفقون) أي دافعون على الجذر العضة الثانية قوله تعالى (والذين

هم يا أيها الذين آمنوا (يؤمنون) أي يصدقون الصفة الثالثة قوله تعالى (والذين هم  
 برحمتهم) أي الذي لا يحسن اليهم غيره (لا يشركون) أي شيأ من شرك في وقت من الاوقات  
 كما لم يشرك في الاحسان اليهم أحد \* ولما أثبت لهم الايمان الخاص نفي عنهم العيب بقوله  
 تعالى (والذين يؤتون) أي يعطون (مأثورا) أي ما اعطوا من الصدقة والاعمال الصالحة وهذه  
 الصفة الرابعة (وقلوبهم وجله) أي شديدة الخوف أن لا يقبل منهم ولا ينصيهم من عذاب الله  
 ثم علل ذلك بقوله تعالى (أنهم الى رحمتهم) أي الذي طال احسانه اليهم (راجعون) بالبعث  
 فيجازيهم على التقدير والقطمير ويجزيهم بكل قليل وكثير وهو الناقد البصير ولا تنفع هناك  
 الندامة وليس هنالك الا الحسبكم العدل والحكم القاطع من جهة مالك الملك قال الحسن  
 البصري المؤمن جمع ايمان وخشية والمنافق جمع اساءة وامنا \* ثم أثبت لهم ما فهم ان ضده  
 لا ضد ادهم بقوله تعالى (أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) أي يبادرون الى  
 الاعمال الصالحة قبل الموت \* ولما ذكر تعالى كيفية أعمال المؤمنين المخلصين ذكر أنه تعالى  
 لا يكلف أحد افوق طاقته بقوله تعالى (ولا تكلف نفسا الا وسعها) أي طاقتها فمن لم يستطع أن  
 يصلي الفرض فأنما فليصل قاعدا ومن لم يستطع أن يصلي قاعدا فليصل مضطجعا ومن لم يستطع  
 أن يصوم رمضان فليطهرا لان مبنى المخلوق على العجز (ولدينا) أي وعندنا (كتاب ينطق بالحق)  
 بما عملته كل نفس وهو اللوح المحفوظ تسطر فيه الاعمال وقيل كتب الحفظة وتطيره قوله  
 تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وقوله تعالى لا يفاد ر صغيرة ولا كبيرة الا حصاها فتشبه تعالى  
 الكتاب بمن يصدر عنه البيان فان الكتاب لا ينطق لكنه يعرف بما فيه كما يعرف بنطق الناطق  
 اذا كان محقا (فان قيل) ما فائدة ذلك الكتاب مع ان الله تعالى يعلم ذلك اذ لا تخفى عليه خافية  
 (اجيب) بأن الله تعالى يفعل ما يشاء وقد يكون في ذلك حكمة لا يطلع عليها الا هو تعالى (وهم)  
 أي الخلق كلهم (لا يظلمون) أي لا يتقص من حسناتهم ولا يزد في سيئاتهم \* ثم ذكر حال الكفار  
 فقال تعالى (بل قلوبهم) أي الكفرة من الخلق (في عمرة) أي جهالة قد أغرقتها (من هذا) أي  
 القرآن والذي وصف به حال هؤلاء \* ومن كآب الحفظة (ولهم أعمال من دون ذلك) المذكور  
 للمؤمنين (هم) أي الكفار (لها) أي لتلك الاعمال الخبيثة (عاملون) أي لا بد أن يعملوها  
 فيعذبون عليها لما سبق لهم من الشقاوة (حق اذا أخذنا مترفيهم) أي رؤساءهم وأغنياءهم  
 (بالعذاب) قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع دعا عليهم رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم وقال اللهم اشد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاههم الله  
 تعالى بالقطط حتى أكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والقذروا الاولاد (اذا هم يجارون)  
 أي يصيحون ويستغيثون ويجزعون وأصل الجار رفع الصوت بالتضرع قاله البغوي فكانت  
 قيل فهل يقبل اعتذارهم أو يرحم انكسارهم فقيل لا بل يقال لهم بلسان الحال أو المقال  
 (لا تجاروا اليوم) فان الجار غير نافع لكم \* ثم علل ذلك بقوله تعالى (انكم من الاكفرون) أي  
 بوجه من الوجوه ومن عدم نصرنا لم يجبه ناصر اخلاقنا لجان الاظهار الجزع ثم علل ذلك



نصر ما هم بقوله تعالى (قد كانت آياتي) أي من القرآن (تلي عليكم) أي من أوليائهم وهم الهداة  
 الذميمة (فكنتم) كونا هو كالجبله (على أعقابكم) عند تلاوتها (تنكصون) أي تعرضون  
 مدبرين عن سماعها والعمل بها والنكوص الرجوع القهقري (مستكبرين) عن الإيمان  
 واختلف في عود الضمير في (به) فقال ابن عباس بالبيت الحرام وشهرة استنكارهم واقتضارهم  
 أنهم قوامه أغنت عن سبق ذكره وذلك أنهم يقولون نحن أهل حرم الله وجزان بيته فلا يظهر  
 علينا أحد ولا نخاف أحدا فبأمنون فيه وسائر الناس في الخوف وقيل بالقرآن فلم يؤمنوا به  
 وقوله تعالى (سامرا) نصب على الحال أي جماعة يخذون باللسان حول البيت وقوله تعالى  
 (تهجرون) قرأه نافع بضم التاء وكسر الجيم من الالهجار وهو الالفخاش أي تفضشون وتقولون  
 الخناذكر أنهم كانوا يسبون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والباقون بفتح التاء وضم الجيم  
 أي تعرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الإيمان وعن القرآن وترفضونها وتسمون  
 القرآن سحرا وشعرا ثم انه تعالى لما وصف حالهم رد عليهم بأن بين أن اقدامهم على هذه الامور  
 لا بد أن يكون لاحد أمور أربعة أحدها أن لا يتأملوا في دليل نبوته وهو المراد من قوله تعالى  
 (أفلم يتدبروا القول) أي القرآن الدال على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأصل يتدبروا  
 أدغمت التاء في الدال ثانياً أن يعتقدوا ان ما جاء به الرسول أمر على خلاف العادة وهو  
 المراد من قوله تعالى (أم جاءهم) في هذا القول (مالم يأت آياتهم الاولين) الذين بعد اسمعيل  
 وقيل ثالثها أن لا يكونوا عالين بأمانته وحسن حاله قبل ادعائه النبوة وهو المراد من قوله تعالى  
 (أم لم يعرفوا رسولهم) أي الذي أتاهم بهذا القول الذي لا قول مثله وهم يعرفون نسبه  
 وصدقه وأمانته وما جاءهم به من معالي الاخلاق حتى انهم لا يجحدون فيه اذا تحققت الحقائق  
 نقيصة يذكرونها ولا وصحة يستلونها كما دلت عليه الاحاديث الصحاح منها حديث أبي سفيان  
 ابن حرب الذي في أول البخاري في سؤال هرقل ملك الروم له عن شأنه صلى الله عليه وسلم وقد  
 اتفقت كلمتهم عليه بتسميته الامين (فهم) أي فتسبب عن جهلهم به أنهم (له) أي نفسه أو القول  
 الذي أتى به (منكرون) فيكونوا ممن جهل الحق لجهل حال الآتي به وفي هذا غاية التوبيخ لهم  
 بجهلهم وبغياوتهم بأنهم يعرفون أنه أصدق الخلق وأعلامهم في كل معنى جميل ثم كذبوه رابعها  
 أن يعتقدوا فيه الجنون فيقولوا انما جعله على ادعائه الرسالة جنونه وهو المراد من قوله تعالى  
 (أم يقولون) أي بعد تدبر ما أتى به وعدم عثورهم فيه على وجهه من وجوه الطعن (به) أي  
 رسولهم (جنه) أي جنون فلا يوثق به \* ولما كانت هذه الاقسام منفية عنه فانهم أعرف  
 الناس بهذا النبي الكريم وانه أكملهم خلقا وأشرفهم خلقا وأظهرهم شيئا وأعظمهم  
 همما وأرجحهم عقلا وأمتهم رأيا وأرضاهم قولا وأصوبهم فعلا اضرب عنها وقال تعالى (بل)  
 أي لم ينكصوا عند سماع الآيات ويسمروا ويهجروا لاعتقاد شي مما مضى وانما فعلوا  
 ذلك لان هذا الرسول الكريم (جاءهم بالحق) أي القرآن المشتغل على التوحيد وشرائع  
 الاسلام وقال الجلال المحلى الاستفهام فيه للتقرير بالحق من صدق النبي ومحبي الرسول للام

الماضية ومعرفة رسولهم بالصدق والامانة وان لاجنون به وببل للاتقال (وأكثرهم) أي  
 والحال ان أكثرهم (للحق كارهون) متابعه للاهواء الرديئة والشهوات البهيمية عناداً وانما يقيد  
 تعالى الحكم بالاكثر لان بعضهم يترك جهلاً وتقليداً وخوفاً من أن يقال صباراً وبعضهم يتبعه  
 توفيقاً من الله تعالى وتأييداً ثم بين تعالى ان اتباع الهوى يؤدي الى الفساد العظيم بقوله تعالى  
 (ولو اتبع الحق أي القرآن (أهواءهم) بأن جاء بما يهوه من الشرك والولد لله تعالى الله عن  
 ذلك علواً كبيراً (لفسدت السموات) على علوها واحكامها (والارض) الى كذافتها وانتظامها  
 (ومن فيهن) على أكثرهم واتشارهم وقوتهم أي خرجت عن نظامها المشاهد بسبب ادعائهم  
 تعدد الآلهة لوجود التمانع في الشيء عادة عند تعدد الحاكم كما سبق تقريره في قوله تعالى  
 لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا (بل أتيناهم) بعظمتنا (بذكرهم) أي بالقرآن الذي فيه ذكرهم  
 وشرقهم وقيل بالذكر الذي عنوه بقولهم لو أن عندنا ذكراً من الاولين (فهم عن ذكرهم) أي  
 الذي هو شرقيهم (معرضون) لا يلتفتون اليه ثم بين تعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يطمع  
 فيهم حتى يكون ذلك سبباً لنفرتهم بقوله تعالى (أم تسألهم) أي على ما جنتهم به (خرجا) أي اجرا  
 وقرأ حزة والكسائي بفتح الراء وبعدها ألف والباقون بسكون الراء \* ولما كان الانكار معناه  
 النبي حسن موقع فاء السببية في قوله تعالى (فخرج ربك) أي رزقه في الدنيا وثوابه في العقبى  
 (خبر) لسعته ودوامه ففيه من دوحه لك عن عطائهم وقرأ ابن عامر بسكون الراء والباقون  
 بفتحها وألف بعدها قال أبو عمرو بن العلاء اخرج ما تبرعت به واخرج ما لزمك أداة قال  
 الزمخشري والوجه ان اخرج أخص من اخرج كقولك اخرج القرية وخرج الكردة أي  
 الرقبة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرأ خراجاً فخرج ربك يعني أم تسألهم  
 على هدايتك لهم قليلاً من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير وقوله تعالى (وهو خير  
 الرازقين) تقرير لخيرية خراجه \* ولما زيف سبحانه وتعالى طريق القوم اتبعه بصحة ما جاء به  
 الرسول عليه السلام بقوله تعالى (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) تشهد عقولهم السليمة  
 على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له كما تشهد له به العقول العجيبة فنسلكه أو وصله الى  
 الغرض فجاز كل شرف \* (تنبيه) \* قد أزمهم الله تعالى الخلة في هذه الآيات وقطع معاذيرهم  
 وعلمهم فان الذي أرسل اليهم رجل معروف أمره وحاله مخبور سره وعلنه خليق بأن يجتبي مثله  
 للرسالة من بين ظهريهم وأنه لم يعرض له حتى يدعى مثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل له  
 سبباً الى النيل من دينهم واستعطاء أموالهم ولم يدعهم الى دين الاسلام الذي هو الصراط  
 المستقيم الامع ابرازاً للمكنون من أدواتهم وهو اخلاصهم بالتدبر والتأمل من غير برهان (وان  
 الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي بالبعث والثواب والعقاب (عن الصراط) أي الذي لا صراط  
 غيره لانه لا موصل الى الفصد غيره (لنا كبون) أي عادلون منصرفون في سائر أحوالهم سائر  
 على غير منهج أصلا بل خبط عشواء (ولو رجناهم) أي عاملناهم معاملة المرحوم في ازالة ضرره  
 وهو معنى قوله تعالى (وكشفنا ما بهم من ضر) أي جوع أصابهم مكة سبع سنين (للبوا)

أى عادوا وتمادوا (في طغيانهم) الذى كانوا عليه قبل هذا (بعمهون) أى يترددون (ولقد أخذناهم بالاذاب) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش أن يجعل عليهم سنين كسنى يوسف فأصابهم القحط فجاء أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم أنت ترعسم أنك بعثت رجة للعالمين فقال بلى فقال قد قلت الآيات باليهف والابناء بالجوع فقد أكلوا القرث والعظام والعلهز وشكاليه الضرع فادع الله تعالى يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فأنزل الله تعالى هذه الآية \* (تنبيهه) \* العلهز ويرى خطا بدماء اللحم فيؤكل في الجذب والعلهز أيضا القراد الضخم وشكابعض الاعراب إلى النبي صلى الله عليه وسلم السنة فقال

ولاشئ مما يأكل الناس عندنا \* سوى الحنظل العامى والعلهز الغسل

وليس لنا الا اليك فرارنا \* وأين فرار الناس الا إلى الرسل

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واستسقى لرفع هذه المن فقال الله تعالى عنهم (فما استكانوا) أى خضعوا وخضوعا هو كالجبله لهم وأصله طلب السكون (لرجم) أى المحسن اليهم عقب المحنة (وما يتضرعون) أى يجتهدون الدعاء بالخضوع والذل والخشوع في كل وقت بحيث يكون لهم عادة بل هم على ما جبلوا عليه من الاستكبار والعنق (حتى اذا قضينا عليهم يا اباذا) أى صاحب (عذاب شديد) قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وهو قول مجاهد وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة (اذا هم فيه) أى ذلك الباب مطروحون لا يقدررون منه على نوع خلاص (مبلسون) متحيرون آيسون من كل خير ثم انه سبحانه التقت إلى خطابهم وبين عظيم نعمته من وجوه أحدها ما ذكره بقوله تعالى (وهو الذى أنشأ) أى خلق (لكم) يامن يكذب بالآخرة (السمع) بمعنى الاسماع (والابصار) على غير مثال سبق تحصنوا بها ما نصب من الآيات (والافتدة) أى التى هى مراكز العقول فتفكروا فى الآيات وتستدلوا بها على الوحدة اية فكنتم بها أعلى من بقية الحيوان جمع فواد وهو القلب وانما خص هذه الثلاثة بالذكر لانه يتعلق بهامن المنافع الدينية والديوية ما لا يتعلق بغيرها فمن لم يصمها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال عز وجل فما أغنى عنهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ اذ كانوا يجحدون بآيات الله \* ولما صور لهم هذه النعم وهى بحيث لا يشك عاقل فى أنه لو تصور أن يعطى آدمى شيئا منها لم يقدر على مكافئته حسن تبيكيتهم فى كفر النعم فقال تعالى (قليلما تشكرون) لمن أولاكم هذه النعم التى لا يقدر غيره على شئ منها مع ادعائكم انكم اشكر الناس لمن أسدى اليكم أقل ما يكون من النعم التى يقدر على مثلها كل أحد فكنتم بذلك مثل الحيوانات العجم مما يكافىها قال أبو مسلم ليس المراد ان لهم شكرا وان قل لكنه كما يقال للكفور الجاحد النعمة ما أقل شكر فلان ثانياها ما ذكره فى قوله تعالى (وهو) أى وحده (الذى ذرأكم) أى خلقكم وبشكم (فى الارض) للتناسل (والبه) وحده (تحترون) يوم التشور ثالثها ما ذكره بقوله تعالى (وهو) أى وحده (الذى) من شأنه أنه (يحيى)

ويمت (فلا مانع له من البعث ولا غيره مما يريد) وابها ما ذكره بتو له تعالى (وله اختلاف  
 الليل والنهار) أى التصرف فيما بالساد والبياض والزيادة والنقصان (أفلا تعقلون) أى  
 بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تم الممكات ككلها وان البعث من جملتها فاعتبرون  
 • ولما كان معنى الاستفهام الانكارى النفي حسن بعده قوله تعالى (بل قالوا) أى هؤلاء  
 العرب (مثل ما قال الاولون) من قوم نوح ومن بعدهم فقالوا ذلك تقليد للاولين ثم حكى الشبهة  
 عنهم من وجهين أحدهما ما ذكره بقوله تعالى (قالوا) أى منكرين للبعث متجهين من أمره  
 (أندامتنا وكنا) أى بالبلاء بعد الموت (ترايا وعظاما) شجرة ثم أكدوا الانكار بقولهم  
 (أنا لمبعوثون) أى لمحشورون بعد ذلك قالوا ذلك استبعادا ولم يتأملوا انهم قبل ذلك أيضا  
 كانوا ترايا فخلقوا ثانيا ما ذكره بقوله تعالى انهم قالوا (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) أى البعث  
 بعد الموت (من قبل) كأنهم قالوا ان هذا الوعد كما وقع منه صلى الله عليه وسلم فقد وقع قديما  
 من سائر الانبياء ولم يوجد مع طول العهد وظنوا ان الاعادة تكون في دار الدنيا ثم قالوا (ان)  
 أى ما (هذه الاساطير) أى أكاذيب (الاولين) كالأصاحيد والاعاجيب جمع اسطورة  
 بالضم وقيل جمع أساطير جمع سطر قال رؤبة • فى واسطار سطر سطرًا وهو ما كتبه الاولون  
 مما لا حقيقة له • ولما أنكروا البعث هذا الانكار المؤكد ونفوه هذا النفي المحتم أمره الله تعالى  
 أن يقترهم بثلاثة أشياء هم بها مقرون ولها عار فون يلزمهم من تسليمها الاقرار بالبعث قطعاً  
 أحدها قوله تعالى (قل) أى مجيباً لانكارهم البعث لمنزلهم (لمن الارض) أى على سعتها  
 وكثرة عجائبها (ومن فيها) على كثرتهم واختلافهم (ان كنتم) أى مما هو كالجبله لكم (تعلمون)  
 أى أهلا للعلم وفيه تنبيه على أنهم أنكروا شيئاً لا يتكروه عاقل • ولما كانوا مقرين بذلك أخبر  
 تعالى عن جوابهم قبل جوابهم • م يكون من دلائل النبوة واعلام الرسالة بقوله تعالى استئنفاً  
 (سيقولون) أى قطعاً ذلك كله (الله) أى المختص بصفات الكمال ثم انه تعالى أمره بقوله (قل)  
 أى لهم اذا قالوا لك ذلك منكر اعليهم (أفلا تذكرون) أى فى ذلك المر كوز فى طباعكم المقطوع  
 به عندكم ما غفلتم عنه من تمام قدرته وباهر عظمته قصدوا ما أخبر به من البعث الذى  
 هودون ذلك وتعلموا أنه لا يصلح شئ • نها وهو ملكه أن يكون شريكاً له تعالى ولا ولد وتعلموا  
 ان القادر على الخلق ابتداء قادر على الاحياء بعد الموت وأنه لا يصح فى الحكمة أصلاً أن يترك  
 البعث لان أقلكم لا يرضى بترك حساب عبيده والعدل بينهم وقرأ • فص وحزة والكسافى  
 بتخفيف الذال والباقون بالتشديد بادغام التاء الثانية فى الذال ثانياً بقوله تعالى (قل) أى لهم  
 (من رب) أى خالق ومدبر (السموات السبع) كما تشهدون من حركاتها وسيرها فلا • كها  
 (وبب العرش) أى العرشى (العظيم) كما قال تعالى وسع كرسيه السموات والارض  
 (سيقولون لله) أى الذى له كل شئ هو وبذلك لا جواب لهم غير ذلك ولما تأكد الامر وزاد  
 الوضوح حسن التهديد على القادى فقال تعالى (قل) أى منكر اعليهم (أفلا تتقون)  
 أى تحذرون عبادة غيره ثالثاً بقوله (قل) أمره الله تعالى بعد ما قرره بالعالمين العلوى والسفلى

أن يقررهم بما هو أعم وأعظم وهو قوله تعالى (من يده) أي من تحت قدرته ومشيئته (ملكوت كل شيء) من انس وجن وغيرهما والملكوت البليغ قال ابن الأثير كانت العرب إذا كان السيد فيهم أجاز أحدا لا يخضر جوارره وليس لمن دونه أن يجبر عليه لتلايعاب عليه ولو أجاز ما أفاد ولهذا قال تعالى (وهو يجبر) أي يمنع ويغيث من شاء فيكون في حرز لا يقدر أحد على الدنق من ساحته (ولا يجاز عليه) أي ولا يمكن أحدا أبدا أن يجبر جواررا يكون مستعليا عليه بأن يكون على غير مراده بل يأخذ من أراد وإن نصره جميع الخلائق ويعلى من أراد وأن تحاملت عليه كل المصائب فتبين كالشمس أنه لا شريك يمانعه ولا ولد يضارعه وأنه السيد العظيم الذي لا أعظم منه الذي له الخلق والأمر ولا معقب لحكمه وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ثم ألهمهم إلى المبادرة إلى الاعتراف به وهيبهم بقوله تعالى (ان كنتم تعلمون) أي في عداد من يعلم ولذلك استأنف قوله تعالى (سيقولون لله) أي الذي يده ذلك خاص به \* (تنبية) \* سيقولون لله الأول لا خلاف فيها وأما الثانية والثالثة فقرأ أبو عمرو وسيقولون الله بزيادة همزة الوصل مع التفضيم فيها ما ورفع الهاء والباقون بغير همزة الوصل مع التريق وكسر الهاء والتقدير ذلك كله لله \* ولما كان جوابهم بذلك يقتضي انكاره توقفهم في الاقرار بالبعث استأنف قوله تعالى (قل) أي لهم منكر اعليهم (فأني تصحرون) أي فكيف بعد اقراركم به إذا كله تصدعون وتصرفون عن الحق وكيف يخيل لكم أنه باطل \* ولما كان الانكار بمعنى النفي حسن قوله تعالى (بل) أي ليس الامر كما يقولون بل (أتيناهم بالحق) أي بالصدق من التوحيد والوعد بالفتور (وانهم لكاذبون) في كل ما ادعوه من الولد والشريك وغيرهما مما بين القرآن فسادهم ومن أعظم كذبهم قولهم اتخذ الرحمن ولدا قال تعالى رد اعليهم (ما اتخذ الله) أي الذي لا كف \* (من ولد) أي لا من الملائكة ولا من غيرهم لما قام من الأدلة على غناه وأنه لا يجانس له \* ولما كان الولد أخص من مطلق الشريك قال تعالى (وما كان معه) أي بوجه من الوجوه (من اله) يشابهه في الألوهية (إذا) لو كان معه اله آخر (لذهب كل اله بما خلق) بالتصرف فيه وحده لية زيماله مما غيره (فان قيل) اذا لا تدخل الاعلى كلامه جزاء وجواب فكيف وقع قوله تعالى لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل (أجيب) بأن الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة وانما حذف لدلالة قوله تعالى وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين (ولعلا بعضهم) أي بعض الآلهة (على بعض) اذا تخالفت أو امرهم فلم يرض أحد منهم أن يضاف ما خلقه الى غيره ولا أن يمضي فيه أمر على غير مراده كما هو مقتضى العادة فلا يكون المغلوب اله المعجز ولا يكون مجبرا غير مجاز عليه يده وحده ملكوت كل شيء \* ولما طابق الدليل الإلزامي نفي الشريك نزهة نفسه الشريفة عما هو نتيجة ذلك من قوله تعالى (سبحان الله) أي المتصف بجميع صفات الكمال المنزه عن شائبة كمال نقص (عمايصفون) من كل ما لا يليق بجنابه المقدم من الانداد والاولاد لسبق من الدليل على فسادهم ثم أقام دليلا آخر على كماله بوصفه بقوله تعالى (عالم)

الغيب والشهادة) أي ما غاب وما شوهد وقرأ ناقع وحفص وحزرة والكسافي برفع الميم على أنه  
 خبر مبتدأ محذوف تقديره هو والباقون بالخلفض على أنه صفة لله ثم وثب على هذا الدليل  
 قوله تعالى (تعالى) أي تعظم (عما يشركون) معه من الآلهة ثم إن الله تعالى أمر  
 نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (قل رب) أي أيها المحسن إلى (أما) فيه ادغام نون  
 إن الشرطية في ما الزائدة أي إن كان لا بد أن (ترخي) لأن ما والنون للتأكيد (ما يوعدون)  
 من العذاب في الدنيا والآخرة (رب فلا تجعلني) باحسانك إلى (في القوم الظالمين) أي قربنا لهم  
 في العذاب (فإن قيل) كيف يجوز أن يجعل الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم المعصوم مع  
 الظالمين حتى يطلب أن لا يجعله معهم (أجيب) بأنه يجوز أن يسأل العبد ربه ما علم أنه يفعله  
 وأن يستعذبه بما علم أنه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واختباتا له واستغفارا صلى الله  
 عليه وسلم إذا قام من مجلسه سبعين مرة أو مائة مرة لذلك وما أحسن قول الحسن في قول أبي بكر  
 الصديق رضي الله تعالى عنه وليستكم ولست بخيركم كان يعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن يهضم  
 نفسه وانما ذكره مرتين مرة قبل الشرط ومرة قبل الجزاء مبالغة في التضرع (وأنا) أي بما لنا  
 من العظمة (علي أن تريك) أي قبل موتك (مانعدهم) من العذاب (لقادرون) ~~ان~~ كنا قوتهم  
 علم بأن بعضهم أو بعض أعقابهم يؤمنون وهو صادق بالقتل يوم بدر وأفتح مكة ثم كأنه قال  
 فماذا أفعل فيما تعلم من أمرهم فقال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن) أي من الأقوال والأفعال  
 بالصق والمداراة (السيئة) إذا هم أياك وهذا قبل الأمر بالقتال فهي مذبوحة وقيل محكمة  
 لأن المداراة مبحث عليها ما لم تؤد إلى نقصان دين أو مروءة (فمن أعلم بما يصقون) في حقك  
 وحقنا فلو شئنا منعناهم منه أو عاجلناهم بالعذاب وليس أحد باغبر منا فاصبر كما صبر أولو العزم  
 من الرسل \* ولما أدب سبحانه وتعالى ربه صلى الله عليه وسلم بأن يدفع بالتي هي أحسن علمه  
 ما به يقوى على ذلك بقوله تعالى (وقل رب) أي أيها المحسن إلى (أعوذ بك) أي التحيي اليك  
 (من همزات الشياطين) أي أن يصلوا إلى بوساوتهم وأصل الله عز النفس ومنه همز ما ز  
 الرائض شبه حتم الناس على المعاصي بهم من الرائض الدواب على المشي وانما جمع همزات  
 لتتوع الوسواس أوله تعدد المضاف إليه (وأعوذ بك رب) أي أيها الربوبي (أن يحضرون)  
 في حال من الأحوال خصوصا حال الصلاة وقرائة القرآن وحلول الاجل لأنها أخرى الأحوال  
 وهم انما يحضرون بالسوء ولو لم تصل إلى مساوتهم فأن بعدهم بركة وعن جبير بن مطعم  
 قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمر ولا أدري أي صلاة هي فقال  
 الله أكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من  
 الشيطان الرجيم من نفثه ونفثه وهمزته قال نفثه الشعر ونفثه الكبر وهمزته الموتة  
 أخرجه أبو داود ولأن الشعر يخرج من القلب فيفظ به اللسان وينفثه كما ينفث الريق والمتكبر  
 ينفث ويتعظم ويجمع نفسه ويحتجج إلى أن ينفث الموتة الجنون والجنون يصير في الدنيا  
 كالهيئة ثم إن الله تعالى أخبر أن هؤلاء الكفار الذين شكروا العيش يسألون الرجعة إلى الدنيا

عندما ينة الموت بقوله تعالى (حتى) وهي هنا كما قال الجلال المحلى ابتدائية أو متعلقة  
 يصقون أو بكاذبون كما قال الرمنشري وقدم المفعول ليذهب الوهم في فاعله كل مذهب فقال  
 (إذا جاء أحدكم الموت) فكشفه الفطاء وظهر له الحق ولاحت له بوارق العذاب ولم يبق  
 في شيء من ذلك ارتباب (قال) متحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة مخاطبا للملائكة  
 العذاب على عادة جهله ووقوفه مع المحسوس من دأب البهائم (رب ارجعون) أي رددوني  
 الى الدنيا دار العمل ويجوز أن يكون الجمع له تعالى ولله لائكة أولئك العظيم على عادة مخاطبات  
 الاكابر سيما الملوك كقوله \* أأفارحوني يا الله محمد \* وقوله \* فان شئت حرمت النساء سواكم \* أو  
 القصد تكرير الفعل للتأكيده لانه في معنى ارجعني كما قيل في قفا واطرقا فانهم ما بعني قف قف  
 واطرق اطرق \* ولما كان في تلك الحالة مع وصوله الى الغرغرة ليس على القطع من اليأس  
 قال (لعلني أعمل) أي لان كون على رياء من أن اعمل (صالحا فيما تركت) أي ضيعت من  
 الايمان بالله وتوابعه فيدخل في الاعمال الاعمال البدنية والمالية وعنه صلى الله عليه وسلم  
 اذا عين المؤمن الملائكة قالوا ان رجعتك الى الدنيا فيقول الى دار الهوم والاحزان بلي قدوما  
 على الله وأما الكافر فيقول رب ارجعون اعلني أعمال صالحا فيما تركت قال قتادة ما تمنى أن يرجع  
 الى أهله ولا عشرته ولا ليجمع الدنيا ويقضى الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله  
 فرحم الله امرأ عمل فيما تمناه الكافر اذا رأى العذاب وقال ابن كثير كان العلاء بن زياد  
 يقول لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضر الموت واستقال ربه فأقاله فيعمل بطاعة الله تعالى  
 \* ولما كان القضاء قد قطع بأنه لا يرجع ولورجع لم يعمل بطاعة الله عز وجل ولورددوا  
 لما تم واعنه وانهم الكاذبون قال الله تعالى له رددنا وردة الكلامه (كلام) أي لا يكون شيء من  
 ذلك وكانه قيل فما حكم ما قال نقيل (انها كلمة) والمراد بالكلمة في اللغة الطائفة من الكلام  
 المنتظم بعضها مع بعض رب ارجعون الى آخره (هو قائلها) وقد عرف منه الخداع والكذب  
 فهي كما عهد منه لاحقة لبقها فلا يجاب اليها ولا تسمع منه وهو لا محالة لا يجليها ولا يسكت عنها  
 لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم (ومن ورائهم) أي امامهم والضمير للجماعة (برزخ)  
 أي حاجر حائل بينهم وبين الرجعة واختاف في معناه فقال مجاهد حجاب بينهم وبين الرجوع  
 الى الدنيا وقال قتادة بقية الدنيا وقال الضحالك البرزخ ما بين الموت الى البعث وقيل هو الموت  
 وقيل هو القبرهم فيه (الي يوم يعثون) وهو يوم القيامة وفي هذا القناط كلي من الرجوع الى  
 الدنيا لما علم أنه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حياة تكون في الآخرة  
 (فأذا نفخ في الصور) أي القرن روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنها النفخة الاولى ونفخ  
 في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) ثم نفخ  
 فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتسألون وعن ابن مسعود أنها  
 النفخة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والامة يوم القيامة فينصب على رؤس الاولين والآخرين  
 ثم ينادى مناد هذا فلان بن فلان فن كان له قبله حق فلبات الى حقه فيفرح المرء أن يكون له

قوله في  
 فاعله فيه  
 نظر اه

حق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فبأخذه منهم ثم قرأ ابن مسعود فلا أنساب بينهم  
 ومثذول لا يتساءلون وفي رواية عطاء عن ابن عباس أنها النغضة الثانية فلا أنساب بينهم أي  
 لا يتفخرون بالانساب ومثذ كما كانوا يتفخرون به في الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل  
 كما كانوا يتساءلون في الدنيا من أنت ومن أي قبيل أنت ولم يرد أن الإنسان ينقطع نسبه  
 (فان قيل) قد قال تعالى هنا ولا يتساءلون وقال تعالى في موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض  
 يتساءلون (أجيب) بأن ابن عباس قال إن للقيامة أحوالا ومواطن في موطن يشهد عليهم  
 الخوف فينقلهم عظم الامر عن التساؤل فلا يتساءلون وفي موطن يضيئون افاقه فيتساءلون  
 وقيل التساؤل بعد دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (فنقلت موازينه) أي  
 بالاعمال المقبولة قال الباقي ولعل الجمع لأن لكل عمل ميزانا يعرف أنه لا يصلح له غيره وذلك  
 أدل دليل على القدرة (فأولئك) أي خاصة قال أيضا ولعله جمع للبشارة بكثرة الناجي  
 بعد أن أفرد للدلالة على كثرة الاعمال أو على عموم الوزن لكل فرد (هم المقطعون) أي  
 القاتلون بالنجاة والدرجات العلى (ومن خفت موازينه) لاعراضه عن تلك الاعمال المؤسسة  
 على الايمان (فأولئك) خاصة (الذين خسروا أنفسهم) لاهلاكهم اياها بتابعها شهواتها  
 في دار الاعمال وشغلها بأهوائها عن مراتب السكالك وقوله تعالى (في جهنم خالدون) بدل  
 من الصلة أو خبر ثان لا أولئك وهي دار لا ينفك أسيرها ولا ينطق سعيها ثم استأنف قوله تعالى  
 (تلفح) أي تغشى بشدة حرها وسمومها ووهجها (وجوههم النار) فصرقها فاطنك  
 بغيرها واللفح كالتفح الا أنه أشد تأثيرا (رهم فيها كالخون) أي عابسون قد شمرت شفاههم  
 العليا والسفلى عن أسنانهم وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال  
 تشويه النار تقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخ شفته السفلى حتى تضرب سرتة  
 وقوله تعالى (ألم تكن آياتي) أي من القرآن على اضممار القول أي يقال لهم ألم تكن آياتي  
 (تلى عليكم) أي تتابع لكم قراءتها في الدنيا شأفا (فكنتم بها تكذبون) ثم استأنف  
 جوابه بقوله تعالى (قالوا ربنا) أي المسبغ علينا نعمه (غلبت علينا شقوتنا) أي ملكتنا بحيث  
 صارت أحوالنا مؤدية الى سوء العاقبة (وكنا) أي بما جبلنا عليه (قوماضلين) في ذلك عن  
 الحق أقوياء في موجبات الشقوة فكان سبيلا للضلال عن طريق السعادة (ربنا) يامن عودنا  
 بالاحسان (أخرجنا منها) أي من النار فضلا منك على عادة فضلك وردنا الى دار الدنيا لتعمل  
 ما يرضيك (فان عدنا) الى مثل ذلك الضلال (فانا ظالمون) لانفسنا ثم استأنف بجوابهم  
 بان (قال) لهم بلسان ملك بعد قدر الدنيا مرتين كما يقال للكلب (اخسوا) أي انزعروا  
 زجر الكلاب وانظروا من مخاطبتي ما كتمت سكوت هوان (فيها) أي النار (ولا تكلمون)  
 أصلا فانهم لم يستم بأهل لمخاطبتي لانكم لن تزالوا متصفين بالظلم فبأس القوم بعد ذلك  
 ولا يتكلموا بكلمة الا الرفيف والشهيق والعواء كعواء الكلاب وقال القرطبي اذا قيل لهم ذلك  
 انقطع رجاؤهم وأقبل بعضهم ينبع في وجهه بعض فانطبقت عليهم وعن ابن عباس انهم است



دعوات اذا دخلوا النار قالوا ألف سنة ربنا أبصرنا وسمعنا فيجابون حتى القول متى فينادون  
 ألقارينا أمنا أنتين فيجابون ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم فينادون ألقا بما لك لتقض  
 علينا ربك فيجابون انكم ما كنون فينادون ألقارينا أخرجنا منها فيجابون أو لم تكونوا أقسمتم  
 فينادون ألقا أخرجنا نعمل صالحا فيجابون أو لم نعمركم فينادون ألقارب ارجعون فيجابون  
 اخسوا فيها ولا تكلمون ثم لا يكون لهم الا الزفير والشهيق والعواء ثم علل ذلك بقوله تعالى (انه  
 كان) أي كونا تابنا (فريق) أي ناس قد استضعفتوهم (من عبادي) وهم المؤمنون (يقولون)  
 مع الاستمرار (ربنا) أي أيها المحسن الينا بالخلق والرزق (آمنا) أي أوقعنا الايمان بجميع  
 ما جاء تنابه الرسل (فاغفر لنا) أي استر لنا زلنا (وارحنا) أي افعل بنا فعل الراحم (وأنت خير  
 الراحمين) لانك تخلص برحمتك من كل شقاء وهو ان (فاتخذتوهم) أي فتسبب عن ايمانهم  
 ان اتخذتوهم (بضريا) أي تسخرون منهم وتستهزؤن بهم وقرأ نافع وحزة والكسافي بضم  
 السين والباقون بالكسر وهو مصدر سخر كالسخر الا أن في باء التثنية زيادة قوة في الفعل كما  
 قيل التخصوصية في الخصوص وعن الكسافي والقرء ان المكسور من الهزء والمضموم  
 من السخرية والعبودية أي تسخرونهم وتعبدهونهم قال الزمخشري والاقول مذهب الخليل  
 وسيبويه انتهى وأظهر المذال عند التاء ابن كثير وحفص والباقون بالادغام (حتى أتوكم  
 ذكرى) أي بأن تذكروني فتخافوني وأضاف ذلك اليهم لانهم كانوا السبب فيه لقرط اشتغالهم  
 بالاستهزاء بهم (وكنتم منهم تضحكون) استهزاء بهم نزات في كفار قريش كانوا يستهزؤن بالفقراء  
 من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب ولما تشوقت  
 النفس بعد العلم بما فعل بأعدائهم الى جزائهم قال الله تعالى (اقى جزيتهم اليوم) أي بالنعيم المقيم  
 (بما صبروا) أي على عبادتي ولم يشغلهم عنها تألمهم بأذاكم كما يشغلكم عنها التذاذكم بها هانتهم  
 ففازوا دونكم وهو معنى قوله تعالى (انهم هم القاهزون) أي يطولهم الناجون من عذاب النار  
 وقرأ حزة والكسافي بكسر الهمزة على الاستئناف والباقون بفتحها على أنه مفعول ثان  
 لجزيتهم ثم ان الله تعالى (قال) لهم على لسان الملك المأمور ربوا لهم بكيثاوتو ايضا لانهم  
 كانوا يظنون أن بعد الموت يدوم الضاء ولا إعادة فلما حصلوا في النار أيقنوا أنها داعة وانهم  
 فيها يخلدون سألهم (كم ابتم في الارض) على تلك الحال في الدنيا التي كنتم تعدونها فوزا (عدد  
 سنين) أنتم فيها تافرون ولاعدادكم قاهرون وقرأ ابن كثير وحزة والكسافي قل كم بضم القاف  
 وسكون اللام على الامر للملك أو لبعض رؤساء أهل النار والباقون بفتح القاف واللام وألف  
 بينها خبرا وتقدم توجيهه وأظهر التاء المثلثة عند التاء المنناة فوق نافع وابن كثير وعاصم وأدغمها  
 فيها المبتاقون (قالوا البنا يوما وبعض يوم) يشكون في ذلك (فان قيل) كيف يصح في جوابهم أن  
 يقولوا ذلك ولا يقع من أهل النار الكذب (أجيب) بأنهم نسوا ذلك لكثرة ما هم فيه من  
 الأهوال وقد اعترفوا بهذا النسيان حيث قالوا (فأسأل العاصدين) أي الملائكة المحسنين أعمال  
 انطلق واعادهم قال ابن عباس أنساعهم ما كانوا فيه من العذاب بين التفتين وقيل قالوا ذلك

تصغير اللبثهم وتحضيرها بالاضافة الى ما وقعوا فيه من دوام العذاب قال بعضهم  
 الا ان ايام الشقاء طويلة \* كما ان ايام السرور وقصار

وقرأ ابن كثير والكسائي بفتح السين وترك الهمز بعدها وكذا يفعل حمزة في الوقف والباقون  
 بسكون السين وهمزة مفتوحة بعدها ثم (قال) الله تعالى لهم على لسان الملك (ان) أي ما (لبثتم)  
 أي في الدنيا (الأقليلا) لأن الواحد وان طال مكثه في الدنيا فانه يكون قليلا في جنب ما يلبث في  
 الآخرة (لو أنكم كنتم تعلمون) أي في عدا من يعلم في ذلك الوقت لما آثرتم الفاني على الباقي  
 ولا قبلتم على ما يتفعلكم ولتركتهم أفعالكم التي لا يرضاهما عاقل ولكنكم كنتم في عداد الهائم  
 وقرأ حمزة والكسائي قل أمرا والباقون قال خبروا بئس ما تقدم مثله وتوجيه قال وقل ثم وبخهم  
 الله تعالى على تغافلهم بقوله تعالى (أخسبتم انما خلقناكم) على ما لنا من العظمة وقوله تعالى  
 (عبثا) حال أي عبثين كقوله لا عين أو مفعول له أي ما خلقناكم للعبث ولم يدعنا إلى خلقكم  
 الا حكمة اقتضت ذلك وهي أن تعبدكم وتكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصي (و) حسبتم  
 (أنكم الينا لا ترجعون) في الآخرة للجزاء وروى البغوي بسنده عن أنس أن رجلا مصابا صر به  
 على ابن مسعود فراه في أذنه أخسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون حتى ختم  
 السورة فبرئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على  
 جبل لزال وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء الفوقية وكسر الجيم والباقون بضم الفوقية وفتح  
 الجيم ثم نزه سبحانه وتعالى نفسه عما يقوله ويصفه به المشركون بقوله تعالى (فتعالى الله) أي  
 الذي له الجلال والجمال علوا كبيرا عن العبث وغيره مما لا يليق به (الملك) أي المحيط بأهل  
 مملكته علما وقدره وسياسة وحفظا ورعاية (الحق) أي الذي لا يتطرق الباطل اليه في شيء في ذاته  
 ولا في صفاته فلا زال له ولا الملك (لا اله الا هو) فلا يوجد له نظير أصلا في ذاته ولا في صفاته  
 ولا في أفعاله فهو متعال عن سمات النقص والعبث ثم زاد في التعيين والتأكيد والتفرد بوصفه  
 بسفحة لا يدعيها غيره بقوله تعالى (رب العرش) أي السمير المحيط بجميع الكائنات الذي تنزل  
 منه محكمات الأحكام والآراء وذا وصفه بالكرم فقال (الكريم) أولئيبته إلى أكرم الأكرمين  
 \* ولما بين سبحانه وتعالى أنه الملك الحق لا اله الا هو أتبعه بأن من ادعى الها آخر فقد ادعى باطلا  
 بقوله تعالى (ومن يدع مع الله) أي الملك الذي لا كف له (الها آخر) يعبده (لا برهان له) أي  
 بسبب دعائه بذلك إذا اجتمع في إقامة برهان على ذلك لم يجد ثم ذكر أن من قال ذلك فجزاؤه  
 العقاب العظيم بقوله تعالى (فانما حاسبه) أي جزاؤه الذي لا يمكن زيادته ولا نقصه (عند ربه)  
 أي الذي ربه ولم يربه أحد سواه الذي هو أعلم بسريته وعلايته فلا يخفى عليه شيء من أمره  
 \* ولما افتتح السورة بقوله قد أفلح المؤمنون ختمها بقوله (انه لا يفلح الكافرون) أي لا يسعدون  
 فستان ما بين الفاتحة والخاتمة \* ولما شرح الله تعالى أحوال الكفار في جهلهم في الدنيا  
 وعذابهم في الآخرة أمر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بالانقطاع اليه والالتجاء إلى  
 غفرته ورحمته بقوله تعالى (وقل رب) أي أيها المحسن إلى (انظروا رحم) أي أنتم من هذين

الوصفين (وأنت خير الراحمين) فمن رحمة أفلح بما وقفه له من امتثال ما أشرت إليه أول السورة فكان من المؤمنين وكان من الوارثين الذين يرتون الفردوس هم فيها خالدون فقد انطبق على الأول هذا الآخر بفوز كل مؤمن وخيبة كل كافر فسأل الله تعالى أن يكون لنا ولوالدينا ولاحبائنا إرحم وأرحم وخير عافرته المتولى للسرائر والمرجول لصلاح الضمائر وما رواه البيضاوي تبعاً للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة المؤمنون بشمته الملائكة بالروح والريحان وما تقربه عنه عند نزول ملك الموت حديث موضوع وقوله أيضاً تبعاً للزمخشري روى أن أول سورة قد أفلح وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع آيات من آخرها فقد نجح وأفلح قال شيخ شيوخنا ابن حجر حافظ عصره لم أجده

### (سورة النور مدنية)

\*(وهي ثمان وأربع وستون آية)\*

(بسم الله) الذي تمت كلمته فبهرت قدرته (الرحمن) الذي ظهرت الحقائق كلها بشمول رحمة (الرحيم) الذي شرف من اختاره بخدمته قوله تعالى (سورة) خير لابتداء محذوف تقديره هذه سورة أي عظيمة أو سورة أنزلناها مبتدأ موصوف والخبر محذوف أي فيما أوجبنا اليك سورة أنزلناها وقال الاخفش لا يبدأ بالابتداء بالنكرة فسورة مبتدأ وأنزلناها خبره ثم رغب في امتثال ما فيها مبيناً أن تنويناها للتعظيم بقوله تعالى (أنزلناها) أي بما لنا من العظمة وعمام العلم والقدرة (وفرضناها) أي قدرنا ما فيها من الحدود وقيل أوجبناها عليكم وعلى من بعدكم إلى قيام الساعة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتشديد الراء لكثرة الفروض والباقون بالتخفيف (وأنزلنا فيها آيات) من الحدود والأحكام والمواعظ والامثال وغيرها (بينات) أي واضحات الدلالة (لعلكم تذكرون) أي تتعظون وقرأ حفص وحزرة والكسائي بتخفيف الذال والباقون بالتشديد ثم انه تعالى ذكر في السورة أحكاماً كثيرة الحكم الأول قوله تعالى (الزانية والزاني) أي غير المحصنين لرحمهما بالسنة وأل فيما ذكره موصولة وهو مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو (فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) أي ضربة يقال جلده إذا ضرب جلده ويزاد على ذلك بالسنة تغريب عام والرقيق على النصف مما ذكر ولا رجم عليه لأنه لا يتنصف وأعلم أن الزنا من الكفار ويدل عليه أمور أحدها أن الله تعالى قرنه بالشرك وقتل النفس في قوله تعالى ولا يرتون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً ثانياً قوله تعالى ولا تقر بوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلاً ثالثاً ان الله تعالى أوجب المائة فيه بكلها بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه الرجم وروى حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيسه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة أما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر وأما اللاتي في الآخرة فسخط الله سبحانه وتعالى وسوء الحساب وعذاب النار ومن عبد الله قال قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم عند الله قال أن تجعل لله نداً وهو خلقك

قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك قلت ثم أي قال أن ترني بجلده جارية فأنزله  
 الله تعالى تصديقه بذلك والذين لا يدهون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله  
 الابالحق ولا يزنون والزنا ابلاج حشفة أو قدرها من مقطوعها من الذكر المتصل الاصل من  
 الاذى الواضح ولو أشل وغير منتشر وكان ملفوفاً في خرقة يقبل محرم في نفس الامر لا يمينه حال  
 عن النسبة المسقطه للعد مشتهى طبعاً بان كان فرج آدمي حتى ولا يشترط ازالة البكارة حتى  
 لو كانت غوراً وأدخل الحشفة فيها ولم يزل بكارتها ترتب عليه حد الزنا بخلاف التحليل لا بد فيه  
 من ازالة البكارة لقوله صلى الله عليه وسلم حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك واختلف في اللواط  
 هل يطلق عليه اسم الزنا ولا يقال بعضهم يطلق عليه لقوله صلى الله عليه وسلم اذا أقي الرجل  
 الرجل فلهما زانيان والذي عليه أكثر أصحابنا أنه غير داخل تحت اسم الزنا لانه لو حلف لا يزني  
 فلا ط لم يحنث والحديث محمول على الاثم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم اذا أنت المرأة المرأة فلهما  
 زانيتان وللشافعي في حده قولان أحدهما أن الفاعل ان كان محصناً فانه يرحم ولا فيجلد مائة  
 ويقرب عاماً وأما المفعول فلا يتصور فيه احصان فيجلد ويقرب والقول الثاني يقتل الفاعل  
 والمفعول به سواء كان محصناً أم لا لما روي عن ابن عباس انه قال من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا  
 الفاعل والمفعول به وأما البيان البهائم فحرام باجماع الائمة واختلف في عقوبته على أقوال  
 أحدها حد الزنا فيرحم الفاعل المحصن ويجلد غيره ويقرب والناسي أنه يقتل محصناً كان أو غير  
 محصن لما روي عن ابن عباس أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى بهيمة فاقتلوه  
 واقتلوا معه والثالث وهو الاصح أنه يعززلان الحد شرع للزجر عما تمسك النفس اليه  
 وضعفوا حديث ابن عباس اضعف اسناده وهو وان ثبت فهو معارض بما روي انه صلى الله عليه  
 وسلم نهى عن ذبح الحيوان الا لما كله وأما السحاق من النساء واثبات المرأة الميئة والاستمحاء  
 باليد فلا يشرع فيه شيء من ذلك الا التعزير والمقيم للحد هو الامام أو نائبه والسيدان يقيم الحد  
 على رقبته ولا تجوز الشفاعة في اسقاط الحد ولا تزك ولا تحقيقه كما قال تعالى (ولا تأخذكم) أي  
 على أي حال من الاحوال (بهم مارأفة) أي رجة ورقة فتعطوا الحدود ولا تقيمها وقرأ ابن كثير  
 بفتح الهمزة والباقون بسكونها والسومى على أصله من البدل وقيل معنى الرأفة أن يتحققوا  
 الضرب (في دين الله) أي الذي شرعه لكم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لو سرقت فاطمة بنت  
 محمد لقطعت يدها روى أن عمر رضى الله عنه جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها  
 ورجلها فقال له ابنه ولا تأخذكم بهم مارأفة في دين الله فقال يا بني ان الله تعالى لم يأمرنا بقتلها  
 وقد ضربت فأوجعت ثم انه سبحانه وتعالى زاد في الحض على ذلك بقوله تعالى (ان ~~كنتم~~  
 تؤمنون بالله) أي الذي هو أرحم الراحمين فانه ما شرع ذلك الا رجة للناس عموماً وللزانيين  
 خصوصاً فلا يزيدوا في الحد ولا تنقصوا منه شيئاً وفي الحديث يورثي بوال نقص من الحدود  
 سوطاً فيقول رجة لعبادك فيقال له أنت أرحم مني فيؤمر به الى النار ويورثي بمن زاد سوطاً  
 فيقول لينتموا عن معاصيكم فيؤمر به الى النار وعن أبي هريرة اقامة حد بأرض خير من مطر

أربعين ليلة ثم اتبع ذلك بما يريه بقوله تعالى (واليوم الآخر) الذي يحاسب فيه على التقدير  
 والقطمير والخفي والجل (وليشهد) أي وليحضر (عدايبهما) أي حدتهما إذا أقيم عليهما  
 (طائفة من المؤمنين) والطائفة الفرقة التي يمكن أن تكون حلقة وأقلها ثلاثة أو أربعة وهي  
 صفة غالبية كأنها الجماعة الخافة حول الشيء وعن ابن عباس في تفسيرها أربعة إلى أربعين  
 رجلاً من المصدقين بالله تعالى وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعداً وعن عكرمة  
 رجلاً فصاعداً وعن مجاهد أقلها رجل فصاعداً وقيل رجلاً وفضل قول ابن عباس لأن  
 الأربعة هي الجماعة التي يثبت بها الزنا ولا يجب على الإمام حضور رجم ولا على الشهود لأنه  
 صلى الله عليه وسلم أمر برجم ما عزو الغامدية ولم يحضر رجمها وانما خص المؤمنين بالحضور  
 لأن ذلك أفضح والفاستق بين صلحاء قومه أنجل ويشهد له قول ابن عباس إلى أربعين رجلاً من  
 المصدقين بالله (تنبيه) • الضرب يكون بسوط لاحتديد يجرح ولا خلق لا يؤلم ويفترق بين  
 السياط على أعضائه ولا يجمعهما في موضع واحد وانفقوا على أنه يتقى المهالك كالوجه والبطن  
 والفرج ويضرب على الرأس لقول أبي بكر رضي الله عنه اضرب على الرأس فان الشيطان  
 فيه ولا يشديده ويتزع الثياب التي تمتع ألم الضرب كالفرور ولو فرقت سياط الحدت تقر بقال يحصل  
 به التنكيل مثل أن يضرب كل يوم سوطاً أو سوطين فان فرقت وضرب والامم وجود كفي وان  
 يجب الحد على حامل لا يقام عليها حتى تضع وترضعه حتى ينقطع ويندب أن يحفر للمرأة إلى  
 صدرها ان ثبت زناها بالبينة لا باقرارها ولا يندب للرجل مطلقاً وان يجب الحد على المريض  
 نظراً ان كان يرجى زواله كصداع انتظراً ولا يرجى كالزمانة فلا يؤخر ولا يضرب بالسياط بل  
 بعنقال عليه مائة شمر اخ فيقوم ذلك مقام جلده وأما في حال الحر والبرد الشديدين فان كان  
 الحد رجماً يؤخر لأن النفس مستوفاة وان كان جلداً أخر إلى اعتدال الهواء ويقبل رجوع  
 الزاني عن اقراره ولو في أثناء الحد واذامات في الحد يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن في مقابر  
 المسلمين • الحكم الثاني قوله تعالى (الزاني لا ينكح) أي لا يتزوج (الارائبة أو مشركة) أي  
 المعلوم اتصافه بالزنا مقصور نكاحه على زانية أو مشركة (والزانية لا ينكحها) أي لا يتزوجها  
 (الازان أو مشركة) أي والمعلوم اتصافها بالزنا مقصور نكاحها على زان أو مشركة اذ الغالب  
 أن المائل إلى الزنا لا يرغب في نكاح الصوايح والمساخفة لا يرغب فيها الصلحاء فان المشاكلة  
 على الالفة والانضمام والمخالفة سبب النفرة والافتراق وقال بعضهم الجنسية على الضم  
 والمشاكلة سبب المواصله والمخالفة توجب المباحة وتحرم الموالفة وعن أبي هريرة رضي  
 الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال و  
 على رضي الله تعالى عنه أنه خطب أهل الكوفة بعد ثلاثة أيام من مقدمه عليهم فقال يا أهل  
 الكوفة قد علمنا شراركم من خياركم فقالوا كيف ومالك الثلاثة أيام فقال كان معنا شرار  
 وخيار فأنضم خيارنا إلى خياركم وشرارنا إلى شراركم وعن الشعبي أنه قال ان الله ملككم وكل  
 يجمع الاشكال بعضها إلى بعض وقال القائل

عن المرأة لتسأل وصل عن قرينه \* فكل قرين بالمقارن يقتدى  
فان قيل لم قدمت الزانية على الزاني أو لانه قد تم عليها ثانيا (أجيب) بأن تلك الآية سبقت  
لهن قوتيهما على ما جئنا والمرأة هي المادة التي منها نشأت الجنابة لانها لو لم تطمع الرجل ولم تمكنه  
لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلا وأولا في ذلك بدى بذكرها وأما الثانية فسوقة لذكر النكاح  
والرجل أصل فيه لانه الراغب فيه والمخاطب ومنه يد والطلب (وحرم ذلك) أي نكاح الزاني  
والزانية تحريمها لا مشوية فيه (على المؤمنين) واختلف العلماء في معنى الآية وحكمها فقال  
قوم منهم مجاهد وعطاء وقتادة والزهري والشعبي ورواية عن ابن عباس قدم المهاجرون لمدينة  
وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشاء وبالمدينة نساء بغايا هن يومئذ أخصب أهل المدينة فرغب ناس  
من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم فاستأذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك  
فنزلت هذه الآية وحرم ذلك على المؤمنين أن يتزوجوا تلك البغايا لانهن كن مشركات وقال  
عكرمة نزلت في نساء كن بمكة وبالمدينة لهن رايات يعرفن بهن منهن أم مهزول جارية السائب  
ابن أبي السائب المخزومي وكان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية يتخذها مأكلة فأراد ناس من  
المسلمين نكاحهن على تلك الصفة فاستأذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح أم مهزول  
فاشترطت أن تتفق عليه فنزلت هذه الآية وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل  
يقال له مرثد بن أبي مرثد الغنوي وكان يحمل الاسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة وكانت  
بمكة بنى يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية فلما أتى مكة دعتة عناق الى نفسها فقال  
مرثدان الله حرم الزنا فقال حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال  
فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله أنكح عناقا فأمسك رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ولم يرد على شيئا فنزل الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زانية أو مشركة  
قد عانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها على وقال لا تنكحها أخرجه الترمذي والنسائي  
وأبو داود بالفاظ متقاربة المعنى فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصا في حق أولئك دون سائر  
الناس وقال قوم منهم سعيد بن جبير والضحك ورواية عن ابن عباس المراد من النكاح هو  
الجماع ومعنى الآية الزاني لا يزني الا بزانية أو مشركة والزانية لا تزني الا بزانية أو مشركة وقال  
يزيد بن هرون ان جامعها وهو مستحل فهو مشرك وان جامعها وهو محترم فهو زانية وعن عائشة  
رضي الله عنها ان الرجل اذا زنى بامرأة ليس له أن يتزوجها لهذه الآية واذا باشرها كان زانيا  
وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول اذا تزوج الزاني الزانية فهو ما زانيا ابدا وقال  
الحسن الزاني المجلود لا ينكح الا زانية مجلودة والزانية المجلودة لا ينكحها الا زانية مجلودة وقال سعيد  
ابن المسيب وجماعة منهم الشافعي رحمه الله تعالى ان حكم الآية منسوخ وكان نكاح الزانية  
حراما بهذه الآية ففسخها الله تعالى بقوله تعالى وأنكحوا الايامي منكم وهو جمع أيم وهي من لا  
زوج لها فدخلت الزانية في ايامي المسلمين واحتج من جوز نكاح الزانية بما روى عن جابر أن رجلا  
أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امرأتى لا تمنع يد لاس قال طلقها قال فأتى

أحبها وهي جميلة قال استمتع بها وفي رواية غيره أمسكها إذا وقد أجاز ابن عباس وشبهه بمن  
 سرق غر شجرة ثم اشتراه وعنه صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ذلك فقال أوله سقاح وآخره نكاح  
 وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه ضرب رجلا وامرأة زينا ورض أن يجمع بينهما فأبى الغلام  
 \* ولما نفر سبحانه وتعالى عن نكاح من اتصف بالزنا من رجل أو امرأة نهى عن الرمي به فقال  
 تعالى (والذين يرمون) أي بالزنا (المحصنات) جمع محصنة وهي هنا المسلمة الحرة المكافئة العفيفة  
 وهذا هو الحكم الثالث والذي يدل على أن المراد الرمي بالزنا أمور أحدها تقدم ذكر الزنا  
 ثانياً أنه تعالى ذكر المحصنات وهن العفاف فدل ذلك على أن المراد بالرمي رميها بضد ذلك  
 ثالثاً انعقاد الإجماع على أنه لا يجب الجلب بالرمي بغير الزنا فوجب أن يكون المراد هو الرمي بالزنا  
 رابعاً قوله تعالى (ثم لم يأتوا) أي إلى الحكام (بأربعة شهداء) أي ذكر وروم معلوم أن هذا  
 العدم من الشهود غير شرط إلا في الزنا وشرط القاذف الذي يحدث بسبب القذف التكليف  
 والاختيار والتزام الأحكام والعلم بالتحريم وعدم اذن المقذوف وأن يكون غير أصل والفاظ  
 القذف تنقسم إلى صريح وكناية وتعريض عن الصريح قوله لرجل أو امرأة زنت أو زنت أو  
 يازاني أو يازانية ولو كسر التاء في خطاب الرجل وقحها في خطاب المرأة أو زنت في الجبل ومن  
 الكتابة زنات وزنات في الجبل بالهمز فان نوى بذلك القذف كان قذفاً والافلا ومن التعريض  
 يا ابن الحلال وأما أنا فقلت بزنا فهذا ليس بقذف وإن نواه (فان قيل) إذا كان ذلك القذف  
 يشمل الذكر والآنثى فلم كانت الآية الكريمة في الإناث فقط (أجيب) بأن الكلام في حقهن  
 أشنع وتنبها على عظيم حق أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها وحدث القاذف الحرة  
 غانون كما قال تعالى (فاجلدوهم) أي أيها المؤمنون من الأئمة ونوابهم (ثمانين جلدة) لكل واحد  
 منهم لكل محصنة وحدث القاذف الرقيق ولو بهضاً ومكاتباً أربعون جلدة على النصف من  
 الحرة الآية النساء فعلمين نصف ما على المحصنات من العذاب فهذه الآية مخصوصة بتلك  
 إذ لا فرق بين الذكر والآنثى ولا بين حد الزنا وحدث القذف ويدل على أن المراد بالآية الأحرار  
 قوله تعالى (ولا تقبلوا لهم) أي بعد قذفهم (شهادة) أي شهادة كانت (أبداً) للحكم باقتراثهم  
 لأن العبد لا يقبل شهادته وإن لم يقذف \* ولما كان التقدير أنهم قد اقترأوا عطف عليه  
 تحذراً من الأقدام عليهم من غير تثبت (وأواثك) أي الذين تقدم ذمهم بالقذف فنزلت ربيتهم  
 جداً (هم الفاسقون) أي المحكومون بنفسهم الثابت لهم هذا الوصف وإن كان القاذف  
 منهم محققاً في نفس الأمر وفي ذلك دليل على أن القذف من الكبائر لأن اسم الفسق لا يقع إلا على  
 صاحب كبيرة واختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وحكم هذا الاستثناء  
 المذكور في قوله (الذين تابوا) أي رجعوا عما وقعوا فيه من القذف وغيره وندموا عليه  
 وعزموا على أن لا يعودوا (من بعد ذلك) أي الأمر الذي أوجب إبعادهم فذهب قوم إلى أن  
 القاذف ترد شهادته بنفس القذف فإذا تاب وصلح حاله كما قال تعالى (وأصلحوا) أي بعد التوبة  
 عصى مئة يظن بها حسن الحال وهي سنة يعتبر بها حال التائب بالتصديق الأربعة التي تكشف

الطبايع (فان الله) أى الذى له صفات الكمال (غفور) أى ستور لهم ما أقدموا عليه لرجوعهم  
 عنه (رحيم) أى يفعل بهم من الاكرام فعل الراحم بالمرحوم فى قبول الشهادة وقبلت شهادته  
 سواء قبل الحد وبعده وزال عنه اسم القسق وقالوا هذا الاستثناء يرجع الى رد الشهادة والى  
 القسق ويروى ذلك عن ابن عمرو بن عباس وجمع من الصحابة وبه قال مالك والشافعى - وذهب  
 قوم الى أن شهادة الحد ودرى القذف لا تقبل أبدا وان تاب وقالوا الاستثناء يرجع الى قوله  
 وأولئك هم الفاسقون ويروى ذلك عن النخعي وشرح وبه قال أصحاب الرأى قالوا بنفس القذف  
 لا ترد شهادته ما لم يحدث قال الشافعى - هو قبل أن يحدث منه حين يحدث لان الحد وكفارات  
 فكيف يرتديها فى أحسن حاله وذهب الشافعى الى أن حد القذف يسقط بالتوبة (فان قبل)  
 اذا قلتم بالاول فامعنى قوله تعالى أبدا (أجيب) بأن معنى أبدا مادام مصر على القذف لان  
 أبدا كل انسان مدته على ما يليق بحاله كما يقال لا تقبل شهادة الكافر أبدا يراد بذلك مادام على  
 كفره فاذا أسلم قبلت شهادته \* (تنبيهان) \* الاقرار بالزنا هل يثبت بشهادة رجلين أو أربع كالزنا  
 فيه قولان أحدهما أنه يثبت برجلين بخلاف فعل الزنا لان الفعل يغمض الاطلاع عليه واذا  
 شهد على فعل الزنا يجب أن يذكر الزانى ومن زنى به لانه قد يراه على جارية لايه فيظنه زنا  
 يوجب الحد وأن يقول فى شهادته رأيت ذكره يدخل فى فرجها وان لم يقل دخول الميسل فى  
 المكحلة لكن قوله ذلك أولى فلو شهدوا مطلقا أنه زنى لم يقبلوا لانهم ربما يرون المفاخذة زنا  
 ويشترط أيضا أن يفسر فى اقراره كالشهود ويصح رجوعه عن الاقرار ولو فى أثناء الحد كما مر  
 ولا فرق فى قبول الشهادة بين أن يجيىء الشهود متفرقين أو مجتمعين كما قاله الشافعى - وقال  
 أبو حنيفة اذا شهدوا متفرقين لا يثبت وعليهم حد القذف ولو شهد على الزنا أقل من أربعة  
 أو أربعة وفيهم الزوج لم يثبت الزنا وعليهم الحد لان شهادة الزوج لا تقبل فى حق زوجته قال  
 ابن الرفعة فى الكفاية لامر من أحدهما أن الزنا تعرض لمحل حق الزوج فان الزانى يستمتع  
 بالمنافع المستحقة له فشهاده فى حقها تنقض اثبات جناية الغير على ما هو مستحق له فلم تنفع كما  
 اذا شهد أنه جنى على عبده والثانى أن من شهد برئانه زوجته فنفس شهادته دال على اظهار العداوة  
 لان زناها وغرضه بتلطيف فرائه وادخال الغير عليه وعلى ولده وهو أبلغ من مؤلم الضرب  
 وفاخت السب ولو قذف رجل وجاء بأربعة فساق شهدوا على المقذوف بالزنا لم يحدث والآن  
 شرائط الشهادة بالزنا قد وجدت عند القاضى الا أنه لم تقبل شهادتهم لاجل التهمة فكما اعتبرنا  
 التهمة فى نفي الحد عن المتهود عليه فكذلك اوجبنا اعتبارها فى نفي الحد عنهم \* ولما كان لفظ  
 المحصنات عاما للزوجات وكان لهن حكم غير ما تقدم وهو الحكم الرابع أفردهن بقوله (والذين  
 يرؤن) أى بالزنا (ازراجهم) أى من المؤمنات والكافرات الحرائر والاماء (ولم يكن لهم  
 شهداء) يشهدون على صحة ما قالوه (الا انفسهم) أى غير انفسهم وهذا ربما يفهم أنه اذا كان  
 الزوج أحد الاربعة كفى وهذا المصنوع معطل لكونه حكاية حال واقعة لا شهود فيها وقوله تعالى  
 فى الآية قبلها ثم يأتوا بأربعة شهداء فانه يقتضى كون الشهادتين الرأى بالزنا ولعله استثناء



من الشهادة لان لعانه يكون بلفظ الشهادة ومذهب الشافعي أنه لا يقبل في ذلك كما قدمناه  
(فشهادة أحدهم) أي فالواجب شهادة أحدهم على من رماها أو فعلهم شهادة أحدهم (أربع  
شهادات) من خمس في مقابلة أربعة شهداء (بالله) أي مقرونة بهذا الاسم الكريم الاعظم  
الموجب لاستحضار جميع صفات الجلال والجمال (انه لمن الصادقين) أي فيما قذفها به وقرأ حفص  
وحجرة والكسائي برفع العين على أنه خبر شهادة والباقون بنصبها على المصدر (والخامسة ان  
لعنت الله) أي الملك الاعظم (عليه) أي القاذف نفسه (ان كان من الكاذبين) فيما رماها به وقرأ  
نافع بتخفيف ان ساكنة ورفع لعنة والباقون بتشديد النون منصوبة ونصب لعنة ورسعت  
لعنة بناء مجرورة ووقف عليها بالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ووقف الباقون بالتاء واذا  
وقف الكسائي أمال الهاء هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عليه وحصول الفرقة  
بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله صلى الله عليه وسلم المتلاعنان لا يجتمعان أبدا وتقرى بق الحاكم  
فرقة طلاق عند أبي حنيفة ونفي الوالدان تعرض له فيه وثبوت حد الزنا على المرأة بقوله تعالى  
(ويدوا) أي يدفع (عنها) أي المقذوفة (العذاب) أي المعهود وهو الحد الذي أوجب عليه كما  
تقدم (ان تشهد أربع شهادات) من خمس (بالله) الذي له جميع الاسماء الحسنى والصفات العليا  
كما تقدم في الزوج (انه لمن الكاذبين) فيما قاله عليها (والخامسة) من الشهادات (ان غضب الله)  
الذي له الامر كله (عليها ان كان من الصادقين) أي فيما رماها به روى البخاري في تفسيره وغيره  
عن ابن عباس ان هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن صهما  
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم البينة أو وحد في ظهرك فقال يا رسول الله اذ رأيت أحدا على  
امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة فحمل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة أو وحد في ظهرك  
فقال هلال بن أمية والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل  
جبريل عليه السلام وأنزل عليه والذين يرمون أزواجهم حتى بلغ ان كان من الصادقين  
فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل اليهم ما يخافون هلال بن أمية فشهدوا النبي صلى  
الله عليه وسلم يقول والله يعلم ان أحدكم كاذب فهل منك كاذب ثم قامت فشهدت فلما كانت  
عند انظامسة أو قضاها وقالوا انهم اموجبة قال ابن عباس فتلك كانت ونكصت حتى ظننا انها  
ترجع ثم قالت لا أفضح قومي سائر اليوم فضت وقال النبي صلى الله عليه وسلم أبصروها فان  
جاءت به أكل العينين سايف الاليتين خديج الساقين فهو لشريك بن صهما فجاءت به كذلك  
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن وقد روى البخاري  
أيضا عن سهل بن سعد أن سبب نزولها قصة مثل هذه لعوي رضي الله عنه وقد تقدم أنه لا يمنع  
أن يكون للآية الواحدة عدة أسباب معا أو متفرقة (تنبيه) خصت المرأة بالغضب لانه  
أبلغ من الامن الذي هو الطرد لانه قد يكون بسبب غير الغضب وسبب التغليب عليه الخ على  
اعتراقها بالحق لما يصدق الزوج من القرينة من أنه لا يجشم فضيحة أهله المستلزم لفضيخته  
الا وهو صادق ولان مادة الفساد وخالطة الانساب وبشترط في اللعان أمر القاضي وتلقينه

كلماته في الجلابين فيقول قل أشهد بالله الخ لان اللعان عين واليمين لا يمتد بها قبل استخلاف  
 القاضي وان غلب فيه معنى الشهادة فهي لا تؤدى عندما لا ياتنه وان تأخر لعانها عن لعانه  
 لان لعانها لاسقاط الحد الذي وجب عليها بلعان الزوج كما علم عملا وبلاغ عن آخر من باشرة  
 مفهومة أو كتابة ويكرر كلمة الشهادة أربعاً ويكتبها مرة ويشير اليها أربعاً ويصح اللعان بالجمية  
 وان عرف العريسة ويشترط الولاية بين الكلمات الخمس فيوتر الفصل الطويل ولا يشترط الولاية  
 بين لعان الزوجين ولو أبدل لفظ شهادة بخلق ونحوه أو لفظ غضب بلعن أو عكسه أو ذكره  
 قبل تمام الشهادة لم يصح ذلك ويصح أن يتلاعنا قائمين وان يغلظ اللعان بزمان وهو بعد عصر  
 الجمعة فيوتر اليه ان لم يكن طلب الكيد والاف بعد عصر أى يوم كان ويمكن عند أشرف بلد  
 اللعان في مكة بين الحجر الاسود والمقام وهو المسمى بالحطيم والمدينة على المنبر وبيت المقدس عند  
 الصخرة وغيرها على منبر الجامع وتلاعن حائض يباب المسجد وذى بيعة للنصارى وكنيسة  
 لليهود وبيت نار الجوس لانهم يعظمونها لايت أه نام وثى لانه لا حرمة له وقرأ حفص والخامسة  
 الاخيرة بالنصب والباقون بالرفع وقرأ نافع بتخفيف النون ساكنة وكسر الصاد ورفع الهاء  
 من الاسم الجليل والباقون بتشديد النون منصوبة ونصب الصاد وخفض الهاء ولما حرم  
 سبحانه وتعالى بهذه الجمل الاعراض والانتساب فسان بذلك الدين والاموال علم أن التقدير فلولا  
 أنه سبحانه خير الغافرين وخير الراجيين لما فعل بكم ذلك ولا فصح المذنبين وأظهر سراير  
 المستخفين ففسد النظام فعطف على هذا الذى علم تقديره قوله تعالى (ولو لا فضل الله) أى عمله  
 من الكرم والاتصاف بصفات الكمال (عليكم ورحمته) أى بكم بالستر فذلت (وان الله) أى الذى  
 أحاط بكل شى قدرة وعلما (نواب) بقبوله التوبة فى ذلك وغير ذلك (حكيم) يحكم الامور فيصنعها  
 من الفساد بما يعلم من عواقب الامور لفضح كل عاص ولم يوجب أربعة شهداء ستر لكم الحكيم  
 الخامس قصة الافك المذكورة فى قوله تعالى (ان الذين جاؤا بالا فك) أى أسوأ الكذب سعى  
 افك الكونه مصر وفا عن الحق من قواهم أفك الشى اذا صرفه عن جهته وذلك أن عائشة  
 رضى الله تعالى عنها وعن أبوها كانت تستحق الشاء لما كانت عليه من الحصانة والشرف  
 والعفة والكرم فن رماها بسوء فقد قلب الامر عن أحسن وجوهه الى أقبح افضائه (فان قيل)  
 لم ترك تسميتها (أجيب) بأنه تركه تنزيها لها عن هذا القال وابعاد الصون جانبها العلى عن هذا  
 المراد وقوله تعالى (عصبة) خبر ان أى جماعة أقلهم عشرة وأكثرهم أربعون وكذا العصبة  
 وقوله تعالى (منكم) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوان ممن يعد عندكم  
 فى عداد المسلمين يريد عبد الله بن أبى وزيد بن رفاعه وحسان بن ثابت ومسطح بن أنثة وحنيفة  
 بنت جحش ومن ساعدتهم وقوله تعالى (لا تحسبوه ستر لكم) مستأنف أى لا تنشأ عنه فتنة  
 ولا يصدقه أحد (بل هو خير لكم) لا كسابكم به الثواب العظيم لانه كان بلا ميينا ومحنة  
 ظاهرة وظهور ذكر امتكم على الله تعالى بانزاله ثمان عشرة آية فى براءتكم وتعظيم شأنكم وتحويل  
 الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشأن

رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتبرئة لام المؤمنين رضوان الله تعالى عليها وتطهير لاهل  
البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم تجبه أذناه وعبدة الطاف للسامعين والتالين الى يوم  
القيامة وفوائد دينية وأحكام وآداب لا تخفى على متأملها ولما كان لاشفاء الغضا الانسان أعظم  
من اتصا بالملك الديان له علل ذلك بقوله تعالى (لكل امرئ منهم) أي الا فكين (ما اكتسب)  
أي بغيره فيسه (من الاثم) الموجب لشقائه (والذي تولى كبره) أي معظمه (منهم) أي من  
الغنائضين وهو ابن أبي قحافة بدأ به وأذاعه عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهو وحسان  
ومسطح فانهما تابعا بالتصريح به والذي بعثني الذين على هذا (له عذاب عظيم) في الآخرة  
أوفي الدنيا بأن جلدوا وصار ابن أبي مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان أعشى أشبل البدين  
ومسطح مكهوف البصر (تنبيه) قصة الافك معروفة في الصحيح والسنن وغيرهما ثم برة جدا  
ولكن نذكر منها طرقات تكايد كرا النبي صلى الله عليه وسلم وبذكر السيدة عائشة وأبوها رضي الله  
تعالى عنهم فنقول عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
إذا أراد سفر أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج به رسول الله صلى الله عليه وسلم معه  
قالت عائشة فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه  
وسلم بعدما أنزل الحجاب فكنت أحل في هودج وأنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله  
عليه وسلم من غزوته ثلاث وقفل ودنونا من المدينة فافلن فاذن لي ليلة بالرحيل فقامت حين اذفوا  
بالرحيل فخشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأنى أقبلت الى رحلي فمست صدري وإذا عتدي  
من جزع أظفار قد انقطع فخرجت فالتست عقدي فخبسني ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين  
يرحلون بي فاحتلوا هودجي فحلوه علي بهيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أني فيه  
وكان النساء إذا لاختفا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر  
القوم خفة الهودج حين رفعوه وحلوه وهكذا كانت جارية حديثة السن فبعثوا الليل وساروا  
ووجدت عقدي بعد ما سار الجيش فحنت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب فجمت منزلي  
الذي كنت فيه وظننت انهم سيفقدوني فيرجعون الي قيننا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فجمت  
وكان صفوان بن معطل السهمي ثم الذكواني رضي الله تعالى عنه قد عرس من وراء الجيش فأدبج  
فأصبح عنده منزلي فرأى سوادا انسانا ثم فعرقتني حين رأني وكان يراني قبل الحجاب فاستيقظت  
باسترجاعه حتى عرفني فخررت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير  
استرجاعه وهوى حتى أناخ راحته فوطئ علي يدها فقامت اليها فركبتا فانطلق يقودني الراحلة  
حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في شحر الظهيرة وهم نزول فهلك من هلك وكان الذي تولى  
كبرا الافك منهم عبد الله بن أبي ابن سلول فقد مننا المدينة فاشتكت بها شهر او الناس يفيضون  
في قول أصحاب الافك ولا أشعر بشئ من ذلك وهو يريدني في وجهي اني لا أعرف من رسول الله  
صلى الله عليه وسلم الاطف الذي كنت أرى منه حين أشتكى اني ليدخل فيسلم ثم يقول كيف  
تبعضكم ثم ينصرف فذلك الذي يربني فيه ولا أشعر بالشر حتى فحمت فخرجت أنا وأم مسطح

قبل المناصع وكان متبرزا وكذا لا يخرج الا لاول ذلك قبل ان تمخذ الكنف قريبا من بيوتنا  
 وامرنا من العرب الاولي في البرية وكثرت اذى بالكنف ان تمخذها عند بيوتنا فاقبلت انا وام  
 مسطح حين فرغنا من شأنا ثمسني فعمرت ام مسطح في مرطها فقالت تعسر مسطح فقلت لها بنس  
 ما قلت ان تبين رجلا شهيدا يد رافقات يا هنتاه اول تسمى ما قال قالت وما قال فأخبرتني بقول  
 اهل الافك فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم ثم قال كيف تبكم فقلت له ان تأذن لي ان آتي ابوي قالت وانا اريد ان أستيقن الخبر من قبلهما  
 قالت فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت ابوي فقلت لامي يا امه ما اذا يتحدث الناس  
 قالت يا بنية هو في عليك فوالله ما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها الهاضرا الا أكثر  
 عليها قالت فقلت سبحان الله ولقد تحدثت الناس بهذا قالت فبكت تلك الليلة حتى أصبحت  
 لا يرقأ لي دمع ولا أكحل بنوم ثم أصبحت ابكي قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن  
 أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبت الوحى يسألها ما ويستشيرهما في فراق أهله قالت فاما  
 أسامة فأشار على النبي صلى الله عليه وسلم بما يعلم من براة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود  
 فقال أسامة هم أهله يا رسول الله ولانعلم والله الا خيرا واما علي فقال يا رسول الله لم يضيئ الله  
 عليك والنساء سواها كثير ورسول الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم برة  
 فقال أي برة هل رأيت من شيء يريك قالت والذي بعثك بالحق ان رأيت عليها امرأة اقط أعصه  
 أكثر من أنما جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأني الداجن فتأكله قالت فقام  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي بن ساول فقال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي  
 والله ما علمت على أهلي الا خيرا وقد ذكر وار جلا ما علمت عليه الا خيرا ولم يدخل على أهلي الا معي  
 قالت فقام سعد أخو بني عبد الأشهل فقال انا يا رسول الله أعذر لك فان كان من الاوس ضربت  
 عنقه وان كان من أخواتنا من الخزرج أمرتنا فنعطناه امرأة فقام سعد بن عباد وهو سيد  
 الخزرج قالت وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن حمله الحمية فقال له عد كذبت لعمر الله  
 لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحبيت أن تقتله فقام أسيد بن حضير ابن عم سعد  
 فقال لسعد بن عباد كذبت لعمر الله لانه قتلته ككأنك منافق تجادل عن المنافقين قالت فثار  
 الحبان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمم على المنبر  
 فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكثوا وسكت قالت فبكت يومئذ ذلك كله  
 لا يرقأ لي دمع ولا أكحل بنوم قالت وأصبح أبو اي عندي وقد بكت لي ليلتين ويوما لا أكحل  
 بنوم ولا يرقأ لي دمع حتى اني لا ظن أن البكاء فالتق كبدى فبينما أبو اي جالس عندي وانا ابكي  
 فاستأذنت على امرأة من الانصار فأذنت لها جلست تبكي معي قالت فبينما نحن على ذلك اذ  
 دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندي منذ قبل ما قبل  
 قبلها وقد لبث شهر الا يوحى اليه في شأنى بشئ قالت فشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

جلس ثم قال أما بعد يا عائشة انه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت  
ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما  
قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمي حتى لا أحس منه بقطرة فقلت لابي أجب  
رسول الله فيما قال فقال انى والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لاهى  
أجيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال فقالت أمى والله ما أدري ما أقول لرسول الله فقلت  
وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا والله لقد علمت ما سمعتم هذا الحديث حتى  
استقر فى أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم انى بريئة لاتصدقونى ولئن اعترفت لكم بأمر والله  
يعلم انى منه بريئة لتهمدقونى فوالله لا أجدلى ولا لكم مثالا ما قال العبد الصالح أبو يوسف  
ولم اذكر اسمه حين قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحوأت واضطجعت على  
فراشى والله يعلم حينئذ انى بريئة والله مبرئى ببراءتى ولكن والله ما كنت أظن أن الله ينزل فى  
شأنى وحياتى لى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله تعالى فى بأمرى ولكن كنت أرجو  
أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها فوالله ما رام رسول الله صلى  
الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله تعالى على نبيه فأخذه ما كان  
يأخذه عند الوحى من البرحاء حتى انه لينحدر منه العرق مثل الجمان فى اليوم الشاقى من ثقل  
الذى أنزل عليه فسهى بشوب فوالله ما مررتى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت ان  
نفس أبوى ستخرجان فرأى من أن يأتى الله بتحقيق ما قال الناس فلما سرى عنه وهو يفضلك  
فكان أول كلمة تكلم بها أن قال أبشرى يا عائشة قد برأك الله فكنت أشد ما كنت غضبا فقال لى  
أبو اى قولى اليه فقلت والله لا أقوم اليه ولا أجده ولا أجد كما ولا أجد الا الله الذى أنزل براءتى  
لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه وأنزل الله تعالى ان الذين جاؤا العشر آيات كلها فقال  
أوبى بكر والله لا أنفق على مسطح بعد الذى قال لعائشة ما قال فأنزل الله ولا يأتى أولو الفضل  
منكم الى قوله غفور رحيم فقال أوبى بكر الصديق رضى الله عنه بلى والله انى لاحب أن يغفر الله لى  
فرجع النفقة الى مسطح التى كان ينفقها عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمرى فقال زينب ما علمت أو رأيت  
فقلت يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى والله ما علمت الا خيرا قالت عائشة وهى التى تساميتى  
من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع قالت عائشة والله ان الرجل الذى قيل  
له ما قيل ليقول سبحان الله فوالذى نفسى بيده ما كشفت كنف أى قط قالت ثم قتل بعد ذلك  
فى سبيل الله تعالى قالت ولما نزل عذرى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلا  
القرآن وضرب عبد الله بن أبى مسطحاً وحسان وحنمة الحداد عروة وكانت عائشة تذكركه  
أن يسب عندها حسان وتقول انه الذى قال

فان أبى ووالده وعرضى \* لعرض محمد منكم وقاه

وقال الحافظ ابن عمر بن عبد البر فى الاستيعاب وأنكر قوم أن يكون حسان خاض فى الافك

وجادقيه وروى عن عائشة أم ابرأه من ذلك انتهى وقال غيره واقه لا أظن به ذلك أصلاً  
وان جاءت تسميته في الصحيح فقد يخطئ الثقة لاسباب لا تصح كما يعرف ذلك من ماوس نقل  
الاخبار وكيف يظن به ذلك ولا شغل له الامدح النبي صلى الله عليه وسلم والمدافعة عنه والذم  
لاعدائه وقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل معه وهو القائل يدح عائشة ويكذب  
من نقل عنه ذلك

حصان رزان مازن بريية \* وتصبح غرني من لحوم الفواضل  
حليلة خير الناس دينا ومنصبا \* نبي الهدي والمكرمات الفواضل  
عقبلة حتى من اوى بن غالب \* كرام المساعي مجدها غير زائل  
مهذبة قد طيب الله خيمها \* وطهرها من كل شين وباطل  
وان كان ما بلغت عنى قلته \* فلا رفعت سوطي الى انا الى  
فكيف ووردى ما حيت ونصرني \* لآل رسول الله زين المحافل  
له ربة عال على الناس فضلها \* تقاصر عنها سورة المطاول

وفي هذا القدر كفاية لاولى الالساب فان في هذه القصة عبرة ان اعتبر فان أهل الافك استمروا في  
هذا أكثر من شهر والله تعالى عالم بما يتولون وان قولهم يكاد يقطع الاكباد في أحب خلقه اليه  
وهو قادر على تكذيبهم عند أول ما خاضوا فيه والكنه سبحانه أراد الناس رفع الدرجات  
ولا آخر ين الهلكات ولا بأس ببيان غريب هذه الالفاظ التي وقعت في هذه القصة من كلام  
عائشة وغيرها قولها اذن أي أعلم بالرحيل وقولها فعدت عقدالي من جزع أظنار هو نوع من  
الطرز وهو الحجر الباني المعروف وقولها لم يهبلن أي لم يكثر لجهن من السمن فيثقلن وقولها انما  
ياكلن العلقمة من الطعام وهو بضم العين أي البلغة من الطعام وهي قدر ما يمسك الرق  
وقولها ليس بها منهم داع ولا يجيب أي ليس بها أحد لا من يدعو ولا من يرتجوا بها وقولها  
فيمت أي قصدت وقولها قد عرس من وراء الجيش فأدلىج التعريس نزول المسافر بالليل للراحة  
والادلاج بالثديديسراً آخر الليل وبالتحفيف سير الليل كله وقولها باس ترجاعه هو قول القائل  
انا لله وانا اليه راجعون قولها خربت أي غطيت وجهي بجلبابي أي ازوى وقولها سو غرين  
في غمر الظهيرة الوغرة شدة الحر وكذلك غمر الظهيرة أي طولها وقولها والناس يفيضون أي  
يخوضون ويتعدثون وقولها وهو ربي يقال رابح الشيء يربحني أي تشككت فيه وقولها ولا  
أرى من النبي اللطف أي الرفق بها واللطف في الانفعال الرفق وفي الاقوال بين الكلام وقولها  
حين نقيت أي أقيت من المرض والمناصع المواضع الخالية تنقي فيها الحاجة من غائط وبول  
وأصله المكان الواسع الخالي والمرط كما من صوف أو خر قولها فقلت تعس مسطح أي خسر  
وقولها يا هنتاه أي يا بلهاه كنهنا نسبتها الى البله وقلة المعرفة وقولها لا يرقأ أي لا يتقطع وقول  
بريرة ان رأيت به في التي أي طارأيت منها أحمر الأنعمه عليه بالاصطاد المله حله أي أعيبه  
والداجن الشاة التي تألف البيت وتقيم به وقوله صلى الله عليه وسلم من يعذوني أي ان أنا كلفتم

على سوء صنيعه ان عاتبت أو عاقبت فلا تلموني على ذلك وقولها ولكن حلتها الحجة أي جعله  
الغضب والانفة والتعصب على الجهل للقرابة وقولها افتنار الحيات أي ثاروا وتمضوا للقتال  
والخاصة وقولها فلم يرل يفتضهم أي يهون عليهم ويسكت وقوله صلى الله عليه وسلم ان كنت  
ألمت قبيل هو من اللهم وهو صغار الذنوب قبيل معناه مقارفة الذنب من غير فعل وقولها اقلص  
دمي أي انقطع جريانه قوله ما رام أي ما برح من مكانه والبرطاء الشدة والجملة الدررة وجهه  
بحان وقولها فسرى عنه أي كشف عنه وقول ذينب أحيى سمعى وبصرى أي أمنه هما عن أن  
أخبر بعلم أسمع ولم أبصر وقولها وهي التي كانت تسامني من السموات والعلو والغلبة فصعها  
الله تعالى أي منعها الله من الوقوع في الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت كنت أي  
سترأني وقول حسان في عائشة حسان بفتح الحاء امرأة حسان أي متعفة رزان أي ثابتة  
ما تزن أي ترمى ولا تهتم بريية أي أمر يرب الناس وتصبح غرني أي خاتمة الموت والقرن الجوع  
من لحوم الغواقل جمع غافلة والمعنى انها لا تغاب أحدا ممن هو غافل وقر الألتحسبوه وتحسبونه  
ابن عامر وعاصم وحزة بفتح السين والباقون بكسرهما وما أخبر سبحانه وتعالى بعقاب أهل  
الافك وكان في المؤمنين من سمعه وسكت وفيهم من سمعه فحدث به متحجبا من قائله أو متنبها  
في أمره وفيهم من أكذبه اتعه سبحانه وتعالى بعناهم في أسلوب خطابهم مثنيا على من كذبه  
فقال سبحانه وتعالى مستأففا محرضا (لولا) أي هلا ولم لا (اذ) أي حين (سمعتهم) أيها  
المدعون للإيمان (ظن المؤمنون) أي منكم (والمؤمنات) وكان الاصل ظنتم أي أيها العصابة  
ولكنه التفت الى الغيبة تنبيها على التوبيخ وصرح بالنساء ونبه على الوصف المقتضى لحسن  
الظن نحو يقال لاني ظن السوء من سوء الخاتمة (بأنفسهم) حقيقة (خيرا) وهم دون من  
كذب عليها فقطعوا براءتها الآن الانسان لا يظن في الناس الا ما هو متصف به أو باخوانهم لان  
المؤمنين كالجسد الواحد وذلك فهو ما يروى ان أبا أيوب الانصاري قال لام أيوب الأترين  
ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان كنت تظن بجرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سوا قال لا  
قالت لو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعائشة خير مني وصفوان  
خير منك (وقالوا هذا افك بين) أي كذب بين (فان قيل) هلا قيل لولا اذ سمعتموه و ظننتم  
بأنفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب الى الغيبة وعن الضمير الى الظاهر (أجيب) بأن ذلك  
مبالغة في التوبيخ على طريقة الالتفات ولي صرح بلفظ الايمان دالا على أن الاشتراك فيه  
يقضى أن لا يصدق مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عاتب ولا طاعن وفيه تنبيه على  
أن حق المؤمن اذا سمع قالة في أخيه أن يبنى الامر فيها على الظن لا على الشك وأن يقول بملء  
فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير هذا افك مبين هكذا اللفظ المصرح ببراءة صاحبه لا يقول كما  
يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال وهذا من الادب الحسن الذي قل القاشيه والحافظه  
وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما يسمعه باخوانه ثم على سبحانه وتعالى كذب الا يمكن  
أن قال مؤمنان اختلفوا اذا دعوا لمقتل يديه الى ظن الخير (لولا) أي هلا ولم لا (جاوع عليه)

بأربعة شهداء) كك اتقدم أن القذف لا يباح الا بها (فأذ) أي حين (لم يأتوا بالشهاد) أي  
 الموصوفين (فأولئك) أي البعداء من الصواب (عند الله هم الكاذبون) قد جعل الله التفضل  
 بين الرمي الصادق والرمي الكاذب بثبوت شهادة الشهود الأربعة واتفائها والذين رموا عائشة  
 لم تكن لهم بيعة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله أي في حكمه وشريعته كاذبين  
 وهذا توبيخ وتعنيف للذين هموا الألفك فلم يجتدوا في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو  
 ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب ت كذب القاذف بغير بيعة في التكيل به اذا قذف  
 امرأة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف بأم المؤمنين الصديقة بنت الصديق حرمة  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حبيبة حبيب رب العالمين \* ولما بين الله سبحانه وتعالى الدليل  
 على كذب الخادعين في هذا الكلام وأنهم استحقوا الملام قال عاطفا على لولا الماضية التي  
 للتخصيص (ولولا) التي هي لامتناع الشيء لوجود غيره (فضل الله) أي المحبط بصفات الكمال  
 (عليكم ورحته) أي معاملته لكم بعز يد الانعام والاکرام اللازم للرحمة (في الدنيا) بقبول  
 التوبة والمعاملة بالحلم (والآخرة) بالعفو عن من يريد أن يعفو عنه منكم (لمسكم) أي عاجلكم  
 (في ما أفضتم) أي أيها العصابة أي خضتم (فيه) من حديث الألفك (عذاب عظيم) أي يحقر معه  
 اللوم والجلد \* (فائدة) في مقطوعة في الرسم من ما كاترى ثم بين تعالى وقت حلول العذاب  
 وزمان تهيئله بقوله تعالى (اذ) أي مسكم حين (تلقونه) أي تجتدون في تلقى أي قبول هذا  
 الكلام الفاحش والقائه (بألسنتكم) أي يرويه بعضكم عن بعض وذلك أن الرجل منهم كان يلقى  
 الرجل فيقول بلغني كذا وكذا يتلقونه تلقيا يلقيه بعضهم الى بعض وحذفت من الفعل إحدى  
 التاءين (وتقولون بأفواهكم) أي كلاما مختصا بالأفواه فهو كلام لا حقيقة له فلا يمكن  
 ارتسامه في القلب بنوع دليل وأ كدهذا المعنى بقوله تعالى (ما ليس لکم به علم) أي بوجه من  
 الوجوه وتشكيره للتحقير (فان قيل) القول لا يكون الا بالقلم فامعنى قوله تعالى بأفواهكم  
 (أجيب) بأن معناه أن الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الألفك ليس  
 الاقولا يجرى على ألسنتكم ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى  
 يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم (وتحسبونه) بدليل سكوتكم عن انكاره (هينا) أي لا اثم  
 فيه (وهو) أي والحال أنه (عند الله) أي الذي لا يبلغ أحد مقدار عظامته (عظيم) في الوزر  
 واستحرام العذاب فهذه ثلاثة آثام مرتبة علق بها من العذاب العظيم تلقى الألفك بألسنتهم  
 والحدث به من غير تحقق واستهغارهم لذلك وهو عند الله تعالى عظيم (ولولا) أي وهلا ولم لا (اذ)  
 أي حين (سعتهم وقلتم) من غير توقف ولا تعلم (ما يكون) أي ما ينبغي وما يصح (لنا أن نتكلم  
 بهذا) أي القول المخصوص ويجوز ان تكون الإشارة الى نوعه فان قذف آحاد الناس محرم  
 فكيف بمن اختارها العليم الحكيم لعصبة أكل الخلق (فان قيل) كيف جاز الفصل بين لولا  
 وقلتم (أجيب) بأن الظروف تنزل من الشيء منزلة نفسه لوقوعه فيها وأنها لا تفكك لها عنه  
 فلذلك يتبع فيها ما لا يتبع في غيرها (فان قيل) أي فائدة في تقديم الطرف حتى أوقع فاصلا



(أجيب) بأن الفائدة فيه بيان أنه كان الواجب عليهم أن يذنبوا أو لم يذنبوا بالافتك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم (فان قيل) ما معنى يكون والكلام بدونه ملتزم لو قيل ما لنا أن تكلم بهذا (أجيب) بأن معناه ينبغي ويصح أي ما ينبغي لنا أن تكلم بهذا وما يصح لنا كما تقدم تقريره ونحوه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق وقوله تعالى (سجئاتك) تعجب من أن يخطر ذلك بالبال في حال من الأحوال (فان قيل) ما معنى التعجب في كلمة التسيب (أجيب) بأن الأصل في ذلك أن يسبح الله تعالى عند رؤية التعجب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه وقيل تزيه فهو منزه عن أن يرضى بظلم هؤلاء القذفة وعن أن لا يعاقبهم ومن أن تكون حرمة نبيه صلى الله عليه وسلم فاجرة قال البيضاوي فان غورها ينقر عنه ويحل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فانه لا ينقر أي ولهذا كانت امرأة نوح ولو ط كافرتين وهذا يقتضي حل نكاح الكاينة مع أنها لا تحل له صلى الله عليه وسلم لانها تكفره صحتها ولانه أشرف من أن يضع مائه في رحم كافرة بنكاح ولقوله تعالى وأزواجه أمهاتهم ولا يجوز أن تكون الكافرة أم المؤمنين ونحوها سألت ربي أن لا أزوج الامن كانت معي في الجنة فأعطاني رواء الحياكم وسمع اسناده اما التسري بالكافرة فلا يحرم لانه صلى الله عليه وسلم تسري برعاية وكانت يهودية من بنى قريظة ولا يشكل تعليلهم السابق من أنه أشرف أن يضع مائه في رحم كافرة لان القصد بالنكاح اصاله التوالد فاحتط له وبأنه يلزم منه أن تكون الزوجة المشركة أم المؤمنين بخلاف الملك فيهما (هذا هتان) أي كذب يهت من يواجه به ويحيره لشدة ما يفعل في القوى الباطنة لانه في غاية الغفلة عنه لكونه أبعد الناس منه ثم هوته بقوله (عظيم) لعظمة المبهوت عليه فان حجارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها ولما كان هذا كله وعظا لهم واستصلا حاترجه بقوله (يعظكم الله) أي يرقق قلوبكم الذي له الكمال كله فيعمل بجملة ولا يهمل بحكمته (أن) أي كراهة أن (تعودوا المذلة أبدا) أي مادمت أحياء مكلفين ثم عظم هذا الوعد بطوله تعالى (ان كنتم مؤمنين) أي متصفين بالايمان واسئذ فيه فانكم لا تعودون فان الايمان ينزع عنه وهذا تهيج وتقريع لأنه يخرج عن الايمان كما تقول المعتزلة (فان قيل) هل يجوز أن يسمى الله واعظا كقوله تعالى يعظكم الله (أجيب) بأنه لا يجوز كما قاله الرازي قال كما لا يجوز أن يسمى الله معلما كقوله تعالى الرحمن علم القرآن لان أسماء الله تعالى توقيفية (ويبين الله) أي بماله من صفات الكمال والاكرام (لكم الآيات) أي الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كي تفظوا وتتأدبوا (والله) أي المحيط بجميع الكمال (عليم) أي بما يأمربه وينهى عنه (حكيم) لا يضع شيئا الا في أحكم مواضعه وان دق عليكم فهم ذلك فلا تتوقفوا في أمر من أوامره هو لما كان من أعظم الوعد بيان ما يستحق على الذنوب من العقاب بينه بقوله تعالى (ان الذين يحبون) أي يريدون وعبر بالحلب اشارة الى أنه لا يرتكب هذا مع شناعته الا يحب له ولا يحبه الا بعيد عن الاستقامة (ان تسمع) أي تتشرب بالقول أو الفعل (الفاحشة) الفعل الكبيرة القبح (في الذين آمنوا) أي ضيقت عليهم وهم العصبية وقيل المنافقون (لهم مذابح آليم في الدنيا)

أي بالحد للذنب (والاسترة) أي بالنار لخلق الله تعالى ان لم يتب (والله) أي المستجمع لصفات  
 الجلال والجمال (يعلم) أي له العلم التام فهو يعلم مقادير الاشياء ما ظهر منها وما بطن وما الحكمة  
 في اظهاره أو ستره أو غير ذلك من جميع الامور (وأنتم لاتعلمون) أي ليس لكم علم من أنفسكم  
 فاعلموا بما علمكم فلا تصاؤروه ولا تضلوا وقيل معناه يعلم ما في قلب من يجب أن تشيع الفاحشة  
 فيصاويه عليها وأنتم لاتعلمون ذلك وقيل والله يعلم اتقاء الفاحشة عنهم وأنتم أيها العصبية  
 لاتعلمون وجودها فيهم وقوله تعالى (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته) أي بكم تكثير للمنة  
 بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف عليه (وأن الله) أي الذي له القدرة  
 التامة فسبقت رحمته غضبه (رؤف رحيم) على حصول فضله ورحمته وخبواب لولا محذوف  
 كأنه قال لعذبتكم واستأصلكم لئلا يظن رؤف رحيم **ع** ابن عباس الخطاب لحسان ومسطح  
 وحنة قال الرازي ويجوز أن يكون الخطاب عاما وقيل الجواب في قوله تعالى ما زكي منكم من  
 أحد وقرأ رؤف نافع وابن كثير وابن عامر وحفص عبد الهمة والباقر بن قمرها (يا أيها الذين  
 آمنوا لاتتبعوا خطوات) أي طارق (الشيطان) بتزيينه أي لاتتسلكوا مسالكه في اشاعة  
 الفاحشة ولا في غيرها (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه) أي المتبع (يأمر بالفحشاء)  
 أي بالقبايح من الافعال (والمنكر) أي ما أنكره الشرع وهو كل ما يكرهه الله تعالى وقرأ  
 قبيل وابن عامر وحفص والكسائي بضم الطاء والباقر بن السكون (ولو لا فضل الله) أي  
 الذي لا اله غيره (عليكم ورحمته) أي بكم بتوفيق التوبة المباحية للذنوب وتشريع الحدود  
 المكفرة لها (ما زكي) أي ما طهر من ذنبها (منكم من أحد أبدا) آخر الدهر والآية عند  
 بعض المفسرين على العموم قالوا أخبر الله أنه لو لا فضل الله ورحمته ما صلح منكم من أحد  
 وقال ابن عباس الخطاب للذين خاضوا في الافك ومعناه ما طهر من هذا الذنب ولا صلح أمره  
 بعد الذي فعل بالتوبة منه (ولكن الله) أي العليم بأحوال خلقه (يزكي) أي يطهر (من  
 يشاء) من الذنوب بقبول التوبة منها (والله سميع) أي لا قاله لهم (عليم) أي بما في قلوبهم  
 (ولا ياتل) أي يحلف افعال من الآية وهو القسم (أرلو الفضل) أي أصحاب الغنى (منكم  
 والسعة أن) أي أن لا (يؤنوا أول القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليصنوا  
 وليصنوا) عنهم في ذلك (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) أي على عفوكم وصفتكم واخسانكم  
 الى من أساء اليكم قال المفسرون نزلت هذه الآية في أبي بكر رضي الله عنه حيث حلف أن  
 لا يتفق على مسطح وهو ابن خالة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وكان يتبع في حجره وكان يتفق عليه  
 فلما فرط منه ما فرط قال لهم أبو بكر قوموا والستم مني ولست منكم وكفى بذلك داعيا في المنع  
 فان الانسان اذا أحسن الى قريبه وكافأ بالاساءة كلن أشد عليه مما اذا صدرت الاساءة من  
 أجنبي قال الشاعر

وظلم ذوى القربى أشد مضامة \* على المرمن وضع الخيام المهند

فقال له مسطح نشدك الله والاسلام والقراية لانه جينا الى أحدنا كان لنا أول الامر من

ذنب فقال ألم تسكتم فقال قد كان بعض ذلك عجباً من قول حسان فلم يقبل عذره وقال انطلقوا  
أيها القوم فإن الله لم يجعل لكم عذراً ولا فرجاً يخرجوا لا يدرون أين يذهبون وأين يتوجهون  
من الأرض وناس من الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشئ من الألفك فبعث  
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وقرأ عليه الآية فلما وصل إلى قوله ألا تصبون أن يغفر  
الله لكم (والله غفور رحيم) أي مع كمال قدرته فخلقوا باخلاقه قال بلى يا رب اني أحب أن  
تغفر لي فذهب أبو بكر إلى بيته وأرسل إلى مسطح وأصحابه وقال قبلت ما أنزل الله تعالى على  
الرأس والعين وانما فعلت بكم ما فعلت اذ حفظ الله عليكم أما اذ عفا عنكم فرحبا بكم وجعل  
له مثلي ما كان له وقال والله لا أنزعها أبداً وذلك من أعظم أنواع المجاهدات ولا شك أن هذا  
أعظم من مقاتلة الكفار لأن هذا مجاهدة مع النفس وذلك مجاهدة مع الكفار ومجاهدة  
النفس أشد من مجاهدة الكفار ولهذا روي أنه صلى الله عليه وسلم قال رجعتنا من الجهاد  
الاصفر إلى الجهاد الاكبر (ان الذين يرون المحصنات) أي العفاف (العافلات) أي عن  
القواحش وهن السليمان الصدور والنفيات الصلوب بأن لا يقع في قلوبهن فعلها الثلاثي ليس  
فيهن دهاء ولا مكر لأنهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يقطن لما تقطن له المجربات  
العراقات قال في ذلك القاتل متغزلاً

واقدهوت بطفه مباله \* بلها تطلعني على أسرارها

وكذلك البله من الرجال في قوله صلى الله عليه وسلم أكثر أهل الجنة البله وقيل البله هم الراضون  
بنعيم الجنة والقطناء لم يرضوا الا بالنظر إلى وجهه الكريم (المؤمنات) بالله ورسوله (لعنوا في  
الدينا والآخرة) أي عذبوا في الدنيا بالحد وفي الآخرة بالنار (وله عذاب عظيم) لعظم ذنوبهم  
قال مقاتل هذا خاس في عبد الله بن أبي ابن سلول المناق وروي أنه قيل لسعيد بن جبير من  
قذف مؤمنة بلعنه الله في الدنيا والآخرة فقال ذلك لعائشة رضي الله تعالى عنها خاصة قال  
الزنجبيري ولو قلبت القرآن كله وقتشت عما وعد به العصاة لم تر أن الله عز وجل قد غلط في شئ  
تخلطه في أفك عائشة رضوان الله عليها ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد  
الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف واستعظام ما ركب من ذلك واستقضاع ما أقدم عليه  
ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مختلفة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم تنزل الا هذه  
الثلاث آيات لكني بها حيث جعل القدوة ملعونين في الدارين جميعاً وتوعدهم بالعذاب العظيم  
في الآخرة وبأن أسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم كما قال تعالى (يوم تشهد عليهم  
أسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) أي من قول وفعل وهو يوم القيامة بما أفكوا  
وبهتوا فانه تعالى يوفيهم جزاءهم الحق كما قال تعالى (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) أي جزاءهم  
الواجب الذين هم أهل (ويعلمون) عند ذلك (أن الله هو الحق المبين) حيث حقق لهم جزاء الذي  
كانوا يشكون فيه فأوجز في ذلك وأشبع وفصل وأجل وأكد وكرر وجاء بما لم يقع في وعيد  
المشركين ومجسدة الاوثان الا ما هو دونه في الضميمة وما ذلك الا لامر عظيم وعن ابن عباس

أنه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسئل عن تفسير القرآن حتى مشئل عن هذه الآيات فقال من  
 أذنب ذنباً ثم تاب منه قبلت توبته الأمن خاص في أمر عائشة وهذا من تعظيمها وتعظيم لأمير  
 الأفك ولقد برأ الله تعالى أربعة بأربعة برأ يوسف عليه السلام بلسان الشاهد فقال  
 تصلى وشهد شاهد من أهلها الآية وبرأ موسى عليه الصلاة والسلام من قول الميهود فيه  
 بالجحر الذي ذهب بنوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها عليه الصلاة والسلام حين نادى من تحتها إلى  
 عبد الله الآية وبرأ عائشة رضي الله تعالى عنها بهذه الآيات العظام في كتابه المجهز المتناول  
 على وجه الدهر مثل هذه التبرئة من هذه المبالغات فانتظر كيف بينها وبين تبرئة أولئك وما ذاك إلا  
 لإظهارها لومنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبنيه على أناقته محل سيدوا آدم وخيرة  
 الأولين والآخرين ووجه الله على العالمين ومن أراد أن يتحقق مظهر شأنه وتقدم قدمه  
 وأحراره لقصب السبق دون كل سابق فليستق ذلك من آيات الأفك وليتأمل كيف غضب الله  
 تعالى له في حرمة وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابيه وقال قوم ليس لمن قذف عائشة وبقيصة  
 أن يواج النبي صلى الله عليه وسلم توبة لأن الله تعالى لم يذكرك في قذفهن توبة وما ذكر من أقوال  
 السورة فذلك في قذف غيرهن (فان قيل) ان كانت عائشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات  
 (أجيب) بأنها الماكنات أم المؤمنين جمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات  
 بالاحسان والفضلة والايمان ولذا قيل ان هذا حكم كل قاذف عالم يقب (فان قيل) مامعنى قوله  
 تعالى هو الحق المبين (أجيب) بأن معناه ذوالحق المبين أى العادل الظاهر العدل الذى لا ظلم  
 فى حكمه والحق الذى لا يوصف بباطل ومن هذه صفته كان له أن يجازى الحسن على احسانه  
 والمسي على اسائه فحق مثله أن يتق ويحبتب محاربه وقرأ يشم حجرة والكسائي بالياء التحتية  
 والباقون بالفوقية ويوم ناصبه الاستقرار الذى تعلق به لهم وقرأ أبو عمر ويوفهم الله بكسر الهاء  
 والميم وحزة والكسائي بضم الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم هذا كله فى الوصل  
 وأما الوقف فالجميع بكسر الهاء وسكون الميم (الطيبات) أى من النساء والكلمات (الغيبين)  
 من الناس (والغيبون) أى من الناس (الطيبات) أى مما ذكر (والطيبات) أى مما ذكر  
 (للطيبين) أى من الناس (والطيبون) أى منهم (الطيبات) أى مما ذكر (والطيبات) أى مما ذكر  
 وبالطيب مثله (أو تلك) أى الطيبون والطيبات من النساء ومنهم صفوان وعائشة (مبتوتون  
 مما يقولون) أى الغيبون والغيبات من النساء وقيل عائشة وصفوان ذكرهما بلفظ الجمع  
 كقوله تعالى فان كان له اخوة أى اخوان (لهم) أى الطيبين والغيبات من النساء على الاول  
 وصفوان وعائشة على الثانى (مغفرة) أى عفون عن الذنوب (ورزق كريم) هو الجنة ويرى أن  
 عائشة رضي الله تعالى عنها كانت تقتر بأشياء أعطيتها لم تطلبها امرأة غيرها منها أن جبريل  
 عليه السلام أتى بصورتها فى ورقة من حرير وقال للنبى صلى الله عليه وسلم هذه زوجتك ويرى  
 أنه أتى بصورتها فى راحته ومنها أنه صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها ومنها أنه قبض  
 صلى الله عليه وسلم ورأسه الشريف فى حجرها ومنها أنه دفن فى بيتها ومنها أنه كان ينزل

عليه الوحي وهو معهما في لحاف ومنها ان نزلت من السماء ومنها انها ابنة طليقة  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصديقه وخلقت طيبة ووعدت بغفرة ورزق كريم وكان  
مسروق رحمه الله تعالى اذا روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها قال حدثتني الصديقة  
فت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبرأة من السماء \* الحكم السادس  
ما ذكره بقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتنا غير بيوتكم) أي التي تسكنونها  
فان المؤجر والمعير لا يدخلان الا باذن وقرأ أورش وأبو عمرو وحضن بضم الباء الموحدة  
والباقون بكسرها وفي قوله تعالى (حتى تستأنسوا) وجهان أحدهما أنه من الاستئناس الظاهر  
الذي هو خلاف الاستئناس لان الذي يطرق باب غيره لا يدري أي وزن له أم لا فهو كالمسوحش  
من خفاء الحال عليه فاذا أذن له فقد استأنس والمعنى حتى يؤذن لكم كقوله تعالى لا تدخلوا  
بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم وهذا من باب الكتابة والاراداف لان هذا النوع من الاستئناس  
يرد في الاذن فوضع موضع الاذن والثاني أن يكون من الاستئناس بمعنى الاستعلام  
والاستكشاف استفعال من أنس الشيء اذا أبصره ظاهرا مكشوفاً والمعنى فاستعلموا  
ونستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا ومنه قواهم استأنس هل ترى أحدا واستأنت  
فلم أر أحدا أي تعرفت واستعلمت وقال الخليل بن أحمد الاستئناس الاستبصار من قواهم  
أنت نارا أي أبصرت وقيل هو أن يتكلم بالتسوية والتكبير والتحميدة ويتنخخ يؤذن  
أهل البيت وعن أبي أيوب الأنصاري قال يارسول الله ما الاستئناس قال أن يتكلم الرجل  
(وتسلوا على أهلها) كان يقول الواحد السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فان أذن له دخل  
والاربع قال قتادة المزة الاولى للتسميع والثانية لتهيأ والثالثة ان شاء أذن وان شاورت  
وهذا من محاسن الادب فان أول مرة ربما منهم بعض الاشتغال من الاذن وفي الثانية  
ربما كان هناك مانع يقتضي المنع فان لم يجب في الثالثة يستدل بعدم الاذن على مانع ولهذا  
كان الاولى في الاستئذان ثلاثا أن لا تكون متصلة بل يكون بين كل واحدة والاخرى  
وقتها ولا بد من اذن صريح اذا كان الداخل أجنبيا أو قريبا غير محرم سواء كان الباب  
مغلقا أم لا وان كان محرما فان كان ساكنا مع صاحبه فيه لم يلزمه الاستئذان ولكن عليه  
أن يشعر بدخوله بتنخخ أو شدة وطء أو نحو ذلك ليستتر العريان فان لم يكن ساكنا فان كان  
الباب مغلقا لم يدخل الا باذن وان كان مفتوحا فوجهان والوجه الاستئذان وعن أبي موسى  
الاشعري انه أتى باب عم فقال السلام عليكم أأدخل قالها ثلاثا ثم رجع وقال سمعت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاستئذان ثلاثا واستأذن رجل على رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فقال أبلغ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة يقال لها روضة قومي الى هذا  
فعلية فانه لا يصح أن يستأذن قولي له يقول السلام عليكم أأدخل فسمع الرجل فقال أأدخل  
وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته حبيمت حبايا وحبيمت مناه ثم  
يدخل فربما أصاب صاحب البيت مع امرأته في لحاف واحد فصد الله عز وجل عن ذلك وعلم

ما هو الا حسن الاجل وكم من باب من ابواب الدين هو عند الناس كالشريعة المتسوخة قد  
 تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك قال الزمخشري بينا أنت في بيتك اذ رجع عليك  
 الباب الواحد من غير استئذان ولا تحية من تحايا السلام ولا جاهلية وهو ممن يجمع ما أنزل الله فيه  
 وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أين الاذن الواعية (ذلكم خير لكم) أي من  
 تحية الجاهلية ومن أن تدخلوا من غير استئذان روى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم  
 أستاذن على أي قال نعم قال انم اليس لها خادم غيري أستاذن عليها كلما دخلت قال أتجب  
 أن تراها عبر يانه قال الرجل لا قال فاستأذن وقوله تعالى (لهكم تذكرون) متعلق بمحذوف أي  
 أنزل عليكم وقيل بين لكم هذا ارادة أن تذكروا وتعلموا بما أمرتم به في باب الاستئذان  
 وقرأ حفص وحزة والكسائي بتخفيف الذال والباقون بالتشديد (فان لم تجدوا فيها) أي  
 البيوت (أحدًا) يآذن لكم في دخولها (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) أي حتى يأتي من يآذن  
 لكم فان المانع من الدخول فيها ليس الاطلاع على العورات فقط وانما شرع لتلايقف على  
 الاحوال التي تطويع الناس في العادة عن غيرهم ويحفظون من اطلاع أحد عليها ولانه تصرف  
 في ملك غيرك فلا بد أن يكون برضا والأشبهه الغصب والتغلب (وان قيل لكم ارجعوا) أي  
 بعد الاستئذان (ارجعوا) أي اذا كان في البيت أحد وقال لكم ارجعوا فارجعوا (هو)  
 أي الرجوع (أزكى) أي أظهر وأصلح (لكم) من الوقوف على الابواب منتظرين لان هذا  
 مما يجب الكراهة ويقدم في قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوي مروءة متاضعين للاداب  
 الحسنة واذا نهي عن ذلك لانه الى الكراهة وجب الاتهاء عن كل ما يؤذي اليها من قرع  
 الباب يعنف والتصيح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب من أكثر  
 الناس وعن أبي عبيد رجه الله تعالى ما قرعت بابا على عالم قط وكفى بقصة بن أسد ذابرة  
 وما نزل فيها من قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون وعن قتادة  
 رجه الله تعالى اذا لم يؤذن له لا يقعد وراء الباب فان للناس حاجات وان حضر ولم يستأذن وقعد  
 على الباب منتظرا جازو كان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يأتي باب الانصارى لطلب الحديث  
 فيقعد على الباب حتى يخرج ولا يستأذن فيخرج الرجل فيقول يا ابن عم رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم لو أخبرني فيقول هكذا أمرنا أن نطلب العلم فاذا وقف فلا يتظر من شق الباب  
 اذا كان الباب مردودا لماروي عن أبي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من  
 اطلع في بيت قوم فقد حل لهم أن يفتقوا عينه وفي رواية للتساق قال لو أن امرأ اطلع عليك  
 بغير إذن فخذت منة ففقت عينه ما كان عليك جناح ولو عرض أمر في دار من حريق أو هدم  
 أو هجوم سارق أو ظهور منكر يجب انكاره بازاله دخول بغير إذن (والله) أي الذي لا يخفى  
 عليه شيء (بما تعلمون) من الدخول باذن وبغير اذن (علم) فيجازيكم عليه « ولما نزلت آية  
 الاستئذان قالوا يا رسول الله كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهور الطريق ليس  
 فيها انسان فانزل الله تعالى (ليس عليكم جناح) أي انتم (أن تدخلوا بيوتنا غير مسكونة) أي

بغير استئذان منكم وذلك كبيوت الخانات والربط المسبلة (فيها متاع) أي منقعة (لكم)  
والمنقعة فيها بالتزول وأنواع المتاع والاتقاع من الحر والبرد ونحو ذلك وقال ابن زيد هي بيوت  
التجار وحوانيتهم التي بالأسواق يدخلها للبيع والشراء وهو المنقعة وقال إبراهيم التيمي ليس  
على حوائت الأسواق إذن وكان ابن سيرين رحمه الله تعالى إذا جاء إلى حانوت السوق يقول  
السلام عليكم أدخل ثم يلج وقال عطاء بن السبيعي البيوت الخريبة والمتاع هو قضاء الحاجة فيها من البول  
والفائط وذلك استثناء من الحكم السابق لشهولة البيوت المسكونة وغيرها (وأنه يعلم  
ما يدون) أي تظاهرون (وما تكفون) أي تحفظون في دخول غير بيوتكم من قصد صلاح أو غيره  
وفي ذلك وعبد من الله تعالى لمن دخل لفساد أو تطلع على عورات وسياق انهم إذا دخلوا  
بيوتهم سلوا على أنفسهم والحكم السابع حكم النظر المذكور في قوله تعالى (قل للمؤمنين  
يقضوا من أبصارهم) أي عما لا يحل لهم نظره (ويحفظوا فروجهم) أي عما لا يحل لهم فعله  
بها (تبيه) من التبويض والمراد غض البصر عما لا يحل كما مر والاقصاريه على ما يحل  
وجوز الأخص أن تكون مزينة وأباه سيويه (فان قيل) لم دخلت من في غض البصر دون  
حفظ الفرج (أجيب) بأن في ذلك دلالة على أن المراد أن أمر النظر أوسع بدليل جواز النظر  
للحمار فيما عدا ما بين السرة والركبة وأما نظر الفروج فالامر فيه ضيق وكفالكفر قال أبو يع  
النظر إلا ما استثنى منه وحظر الجماع إلا ما استثنى منه ويجوز أن يراد مع حفظها عن الإفشاء  
إلى ما لا يحل حفظها عن الإبداء وعن ابن زيد كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا إلا  
هذا فإنه أراد به الاستتار (فان قيل) لم قدم غض البصر على حفظ الفرج (أجيب) بأن البلوى  
فيه أشد وروى عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله تعالى عنه قال سألت النبي صلى الله عليه  
وسلم عن نظر الفجأة فقال اصرف بصرك وعن بريدة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم لعلي يا علي لا تتبع النظرة النظرة فان لك الأولى وليست لك الثانية أخرجه  
أبو داود والترمذي وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة ولا يفضي الرجل إلى الرجل  
في ثوب واحد ولا تفضي المرأة إلى المرأة في ثوب واحد (ذلك) أي غض البصر وحفظ الفرج  
(أزكى) أي خير (لهم) لما فيه من البعد عن الرية سئل الشيخ الشبلي رحمه الله تعالى عن  
قوله تعالى يقضوا من أبصارهم فقال أبصار الرؤس عن المحرمات وأبصار القلوب عن المحرمات  
ثم أخبر سبحانه وتعالى بأنه خير بأحوالهم وأفعالهم بقوله تعالى (إن الله) أي الملك الذي  
لا يخفى عليه شيء (خير بما يصنعون) بسائر حواسهم وجوارحهم فعملهم إذا عرفوا ذلك  
أن يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون (وقل للمؤمنات يقضن من أبصارهن)  
عما لا يحل لهن نظره (ويحفظن فروجهن) عما لا يحل لهن فعله بها روى عن أم سلمة رضي  
الله تعالى عنها أنها قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندده ميمونة بنت الحارث  
إذا قيل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بهدأ من باب الحجاب فقال صلى الله عليه وسلم احسبنا

منه فقلت يا رسول الله أليس هو أعمى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعميا وان أنتم ألبصا  
 تصرانه وقوله تعالى (ولا يدين) أي يظهرن (زينتهن) أي لغير محرم والزينة تخفية وظاهرة  
 فالخفية مثل الخفض والخصاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط في الأذن والقلائد  
 في العنق فلا يجوز للمرأة إظهارها ولا يجوز للأجنبي النظر إليها والمراد من الزينة ما وضعها  
 من البدن وذكور الزينة للمبالغة في الأمر بالصون والستر لأن هذه الزينة والمعنى على مواضع  
 من الجسد لا يحل النظر إليها (ألا ما ظهر منها) أي من الزينة الظاهرة واختلف أهل العلم  
 في هذه الزينة التي استثناها الله تعالى فقال سعيد بن جبيرة وجماعة هي الوجه والكفان وقال  
 ابن مسعود رضي الله تعالى عنه هي الثياب وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي الكحل  
 واللبائم والخصاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للأجنبي النظر إليها إن لم يحتمل  
 فتنة في أحد وجهين وعلا ما لا يكثر وانما رخص في هذا التقدير للمرأة أن تبديه من بدنها  
 لأنه ليس يعورة في الصلاة وما تر بدنها عورة فيها ولأن سترها فيه حرج فإن المرأة لا تجذبها من  
 مزاوله الأشياء بيديها ومن الحاجة إلى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة  
 والنكاح وتضطر إلى المشي في الطرقات وخاصة الفقيرات والوجه الثاني يحرم لأنه محل الفتنة  
 ودرج حسما للباب (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) أي يسترن الرؤس والاعناق والصدور  
 بالمقانع فإن جيوبهن كانت واسعة تسد منها فخورهن وصدورهن وما حوالها وكن يسدان  
 الخمر من وراءهن فتبقى مكشوفة فأمرن بأن يسترن من قدامهن حتى تغطيها ويجوز أن يراد  
 بالجيوب الصدور وتسمية لها باسم ما يليها أو يلبسها ومنه قوامهم ناصح الجيب بالنون والصاد  
 أي سليم الصدر وقولت ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت يدي على الحائط إذا  
 وضعتها عليه قالت عائشة رضي الله تعالى عنها يرحم الله تعالى نساء المهاجرات لما أنزل الله  
 وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطن فاخترن بها والمرط كما من صوف أو خز  
 أو كان وقيل هو الأزاروقيل هو الدرع وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام وعاصم بنم الجيم والباقون  
 بكسرها وكره قوله تعالى (ولا يدين زينتهن) لبيان من يحل له الإبداء ومن لا يحل له أي الزينة  
 الخفية التي لم يبع لهن كشفها في الصلاة وللأجانب وهي ما عدا الوجه والكفين (الابيعواتهن)  
 أي فأنهم المقصودون بالزينة وأهم أن يتظروا إلى جميع بدنهن حتى القرج ولو الدبر ولكنه  
 يستره وقال ابن عباس لا يضمن الجلباب والخمارتهن إلا لأزواجهن (أو آبائهن أو آباء  
 يعولتهن أو آبائهن أو أبناء يعولتهن أو أخوانهن أو بنى أخوانهن أو بنى أخواتهن) فيجوز  
 لهؤلاء أن يتظروا إلى الزينة الخفية ولا يتظروا إلى ما بين السرورة والركبة وانما سويح في الزينة  
 الخفية لا أولئك المذكورين في الآية للسابعة المضطرة إلى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة الفتنة  
 من جهتهم ولما في الطباع من النفرة من محاسن القرائب وفتح الخمر المرأة إلى صيغتهم في الأسفار  
 للترهل والركوب وغير ذلك (أو نسائهن) أي المؤمنات فإن الكافرات لا يترجمن عن وصتهن  
 للرجال فلا يجوز للمسلم أن يترجم من مسلمة عند النساء الكافرات لأنهن أجنبيات عن المؤمنين



فكن كرجال الاجانب لكن يجوز ان ترى الكافرة منها ما يبدو وعقد المهنة وقد كتب عمر بن الخطاب الى ابي عبيدة بن الجراح ان يمنع نساء اهل الكتاب ان يدخلن الحمامات مع المسلمات وقيل النساء كلهن وللعلماء في ذلك خلاف (تنبيه) العورة على اربعة اقسام عورة الرجل مع الرجل وعورة المرأة مع المرأة وعورة المرأة مع الرجل وعورة الرجل مع المرأة واما الرجل فيجوز له ان ينظر الى جميع بدنه ما عدا ما بين السرة والركبة وكذلك المرأة مع الرجل واما المرأة مع الرجل او الرجل مع المرأة فلا ينظر احدهما من الاخر شيئا وقيل يجوز للاجنبي ان ينظر الى وجهها وكفيها اذا امن الفتنة ولم تكن شهوة وقيل يجوز لها ان تنظر منه ما عدا ما بين السرة والركبة ويجوز لمن اراد ان ينظر وجهها وكفيها وهي تنظر منه اذا ارادت ان تتزوج به ما عدا ما بين السرة والركبة وان اراد ان يتزوج بامة جاز ان ينظر منها ما عدا ما بين السرة والركبة ويحرم ان ينظر بشهوة ويحرم النظر بشهوة لكل منظور اليه الا لمن اراد ان يتزوج بها والا حليته ويناح النظر من الاجنبي للمعاملة وشهادة حتى يجوز النظر الى الفرج للشهادة على الزنا والولادة والى الثدي للشهادة على الرضاع وتعليم ومداراة وتدرا الحاجة وكل ما حرم نظره متصلا حرم نظره منفصلا كشمرة عانة من رجل او قلامة ظفر من اجنبية ويحرم اضطجاع رجلين او امرأتين في ثوب واحد اذا كانا عاريين وان كان كل منهما في جانب من القرائن للخبير المتقدم ويجب التفريق بين ابن هنسر سين واخوته وَاخوانه في المصنع اذا كانا عاريين وتسن مصافحة الرجلين والمرأتين نظير ما من مسلمين يلتقيان ويتصانحان الا غفر لهما ما قبل ان يتفرقا وتكره مصافحة من به عاهة كجذام او برص والمعانقة والتقبيل في الرأس اللهم عن ذلك الاقدام من سفر او تباعد عهد ويسن تقبيل الطفل ولولغير ابويه شفقة ولا بأس بتقبيل وجه الميت المالح ويسن تقبيل يد الحى لصلاح او علم او زهدا ونحو ذلك ويكره لغنى او وجهه او نحو ذلك وقوله تعالى (او ما ملكت ايمانن) يم الاماء والعبيد فيقول نظر العبد الضيف غير المبعوض والمشتركة والمكاتب الى سيده العفيفة لما روى ابوداود انه صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة رضى الله تعالى عنها بعد وهب لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجلها واذا غطت رجلها لم يبلغ رأسها فلما رآها النبي صلى الله عليه وسلم وماتلى قال صلى الله عليه وسلم انه ليس عليك بأس انما هو أولك وغلامك وعن عائشة أنها قالت لعبد هاذ كوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فأنت حرة واما القاسق والمبعوض والمشتركة والمكاتب فكل اجنبي بل قيل ان المراد بالآية الاماء وعبد امرأة كالاجنبي وبه قال ابن المسيب آخره وقال لا تغز تنكم آية التور فان المراد بها الاماء (او التابعين) أي الذين يتبعون القوم لسيدهم ومن فضل طعامهم (غيراً ولي الأربة) أي أصحاب الحاجة الى النساء (من الرجال) أي ليس لهم حمة الى ذلك ولا حاجة لهم في النساء لانهم لا يعرفون شيئا من أمرهن وقيل هم شيوخ صلحاء اذا كانوا معهن غصوا ابصارهم وقيل هم المسجونون سواء كان حراً أم لا وهو ذهاب الذكور والانسئين أما ذهاب الذكر

قوله الا لمن اراد ان  
يتزوج بها عمومه  
يشمل الامة وقد  
قال فيها ويحرم ان  
ينظر بشهوة فليحترق  
اه

فقط أو الاثنين فقط فكالتفعل. وعن أبي حنيفة لا يحمل اسمك الخصبان واستخدمهم  
 ويعهم وشراؤهم قال الرخشمي فان قلت روى أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
 خصى تقبله قلت لا يقبل فيما تم به البلوى الاحديث مكشوف وان صح فلهه قبله ليعتقه  
 أولسبب من الاسباب انتهى وعندنا يجوز جميع ذلك اذ لا مانع منه وقيل المراد بأولى  
 الاربعة هو الخنث وقرأ ابن عامر وشعبة بنصب الراعي على الاستثناء والحال والباقون بكسرهما  
 على الوصفية وقوله تعالى (أو الطفل) بمعنى الاطفال وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد  
 الجنس ويبينه ما بعده وهو قوله تعالى (الذين لم يظهروا) أي لم يطلعوا (على عورات النساء)  
 للجماع فيجوز لهن أن يبدن لهن ما عدا ما بين السرة والركبة قال امام الحرمين رحمه الله تعالى  
 اذ لم يبلغ الطفل حدا يحكى ما يراه فكالعدم أو بلغه من غير شهوة فكالمحرم أو بشهوة فكالبالغ  
 (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) وذلك ان المرأة كانت تضرب برجلها الارض  
 ليعتق خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها على الاخرى ليعلم أنها  
 ذات خلخالين فنهين عن ذلك لان ذلك يورث ميلافى الرجال واذا وقع النهى عن اظهار صوت  
 الحلى فمواضع الحلى أبلغ في النهى وأمر الله ونواهيته في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على  
 مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك قال تعالى (وتوبوا الى الله)  
 أي الذي يقبل التوبة عن عباده ويغفر عن السيئات (جمعاً أيه المؤمنون) أي مما وقع لكم من  
 النظر المتنوع منه ومن غيره وشروط التوبة أن يقطع الشخص عن الذنب ويندم على ما مضى  
 منه ويعزم على أن لا يعود اليه ويرد الحقوق لاهلها وقرأ ابن عامر في الوصل أيه المؤمنون بضم  
 الهاء لانها كانت مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين اتبعت  
 حركتها حركة ما قبلها والباقون بقصها وأما الوقف فوقه أبو عمرو والكسائي بالالف بعد الهاء  
 ووقف الباقون على الهاء ساكنة (لعلكم تفلحون) أي تنجون من ذلك بقبول التوبة منه وفي  
 الآية تغليب الذكور على الاناث وعن ابن عباس توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم  
 تسعدون في الدنيا والآخرة (فان قيل) على هذا قد صحت التوبة بالاسلام لانه يجب ما قبله فما  
 معنى هذه التوبة (أجيب) بأن بعض العلماء قال ان من أذنب ذنباً ثم تاب منه لم يزد كرمه ان  
 يجتد التوبة لانه يلزمه أن يستمر على ندمه وعزمه على عدم العود الى أن يلقى الله تعالى والذي  
 عليه الاكثر أنه لا يلزمه تجديدها وعن أبي بردة أنه سمع الاخير يحدث ابن عمر أنه سمع رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس توبوا الى ربكم فاني أتوب الى ربي كل يوم مائة مرة وعن  
 ابن عمر قال انا كنا نعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس يقول رب اغفر لي وتب علي انك  
 أنت التواب الغفور مائة مرة وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب  
 قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يسقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة ولما نهى  
 عما سيفضي الى الشحاح الخلل بالنسب المقتضى للالفة وحسن التعرية ومنه الشفقة المؤدية

الى بقاء النوع بعد الزرع منه مبالغة فيه عقبه بالحكم الثامن وهو الامر بالنكاح المذكور  
في قوله تعالى (وأنتكحوا الايامي منكم) جمع أيام والايامى واليتامى أصلهما أيام ويتام  
فقلبا والايامى هي من ليس لها زوج بكرى كانت أو ثيبا ومن ليس له امرأة فيشمل ذلك الذكر  
والاى قال الشاعر

فان تنكحى انكح وان تتأيمى \* وان كنت أفتى منكم أنأيم

أى أقرب الى الشباب منك وأنأيم بالرفع على قلة جواب ان تتأيمى وما بينهما جملة معترضة  
والمعنى أو افقك في حالتى التزوج والتأيم وان كنت أقرب الى الشباب منك وعنه صلى الله عليه  
وسلم اللهم اننا نعوذ بك من العيبة والعيبة والايعة والقزم والقزم العيبة شهوة اللبن والغيمة العطش  
والايعة شهوة النكاح مع الخلو من الزوجية والايعة والقزم البخل والقزم شهوة اللحم وهذا فى الاحرار  
والحرار وأما غيرهم فهو قوله تعالى (والصالحين) أى المؤمنين (من عبادكم) وهو من جوع  
عبد (وأما تكلم) والخطاب للاولياء والسادة وهذا الامر أمر ندب فيستحب لمن تاقت نفسه  
للكناح ووجد أهيمته أن يتزوج ومن لم يجد أهيمته استحبه أن يكسر شهوته بالصوم لما ورد  
أنه صلى الله عليه وسلم قال يامعشر الشباب من استطاع منكم البائة فليتزوج فإنه أغض للبصر  
وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء أى قاطع لشهوته لان الوجاه يكسر  
الواو ونوع من الخصاص وهو أن ترض عروق الانثيين وتترك الخصيتان كماهما فشب الصوم فى قطعه  
شهوة النكاح بالوجاه الذى يقطع النسل والبائة بالدمون النكاح وهى المهر وكسوة فصل  
التحكين ونفقة يومه فان لم تنكسر شهوته بالصوم فلا يكسرها بالكافور ونحوه بل يتزوج ويكره  
لغير التائق ان فقد الالهة أو وجدها وكان به علة كهرم فان وجدها ولا علة به وهو غير تائق  
فالتخلى للعبادة أفضل من النكاح ان كان متعبدا فان لم يتعبد فالنكاح أفضل من تركه لقوله  
صلى الله عليه وسلم من أحب فطرقتى فليستنبتنى وهى النكاح وعنه صلى الله عليه وسلم من  
كان له مال يتزوج به فلم يتزوج فليس منا وعنه صلى الله عليه وسلم اذا تزوج أحدكم عجز شيطانه  
يا ويلاه عصم ابن آدم منى ثلثى دينه والاحاديث فى ذلك كثيرة وربما كان واجب الترك اذا أدى  
الى معصية أو مفسدة وعنه صلى الله عليه وسلم اذا أتى على مائة وعمانون سنة فقد حلت لهم  
العزوبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وفى رواية يأتى على الناس زمان لا يتال المعيشة  
فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة ويندب النكاح للمرأة الناقصة وفى معناها  
الاحتاجة الى النفقة والخطافة من اقصام العجزة ويستحب أن تكون المذكورة بكرا الا لعذر  
لقوله صلى الله عليه وسلم هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك ولودا لقوله صلى الله عليه وسلم تزوجوا  
اللود الودود فانى مكاتركم الام يوم القيامة وفى رواية يا عياض لا تتزوجن جهوزا ولا عاقرا  
فانى مكاتركم دينكم روى عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهم أنه صلى الله عليه وسلم قال الدنيا  
متاع وخير متاعها المرأة الصالحة وقيل المراد بالصالحين الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه  
وقوله تعالى (ان يكونوا) أى الاحرار (فقراء يفهم الله) أى بالتزويج (من فضله) رقتا عساه

أن يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعهم فقر الخاطب والمطلوبة من المتأكسة فإن في فضل الله غنية  
 عن المال فإنه غادر رايح أو وعد من الله تعالى بالثمن لقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الغنى  
 في هذه الآية لكن ينبغي أن تكون شريطة الله تعالى غير منسبة في هذا الوعد وظاهره وهي  
 مشيئة ولا يشاء الحكيم إلا ما اقتضته الحكمة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه  
 من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريعة منه وصة في قوله تعالى وإن خضعت عبلة فسوف يغنيكم  
 الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريعة لم ينتصب معترضاً بعزب كان  
 غنياً فافقره النكاح وبخاسق تاب واتي الله وحصكان له شيء ففق وأصبح مسكيناً وورد التسوا  
 الرزق بالنكاح وشكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم رجل الحاجة فقال عليك بالباءة أي النكاح  
 وعن عمر رضي الله عنه عجت لمن يتنى الغنى بغير النكاح والله تعالى يقول إن يكونوا فقهراً  
 يغنمهم الله من فضله وحكي عنه أنه قال عجت لمن لم يطلب الغنى بالباءة وقال طهفة بن مطرف  
 تزوجوا فإنه أوسع لكم في رزقكم وأوسع في أخلاقكم ويزيد الله في ثروتكم قال الرهخشي  
 ولقد كان عندنا رجل رازح الحال ثم رأته بعد سنين وقد اتعنت حاله وحسنت فسألته فقال  
 كنت في أول أمرى على ما علمت وذلك قبل أن أرزق ولداً فلما رزقت بكر ولدى تراخيت عن  
 الفقر فلما ولدى الثاني ازددت خيراً فلما تاملت ما أتت من الله على الخير صاباً فأصبحت إلى ما ترى  
 انتهى (والله) أي الذي له الملك كله (واسع) أي ذو وسعة مله لا تنفذ نعمه إذ لا تنهى قدرته  
 (عليم) بهم يسطر الرزق لمن يشاء ويقدره ولما ذكر تعالى تزويج الحرائر والاماء ذكر حال من  
 يجز عن ذلك بقوله (وليس تفتق الذين لا يجدون نكاحاً) أي وليجهد في طلب العفة عن الزنا  
 والحرام الذين لا يجدون ما ينكحون به من مهر ونفقة يوم التكن وكسوة فصله وقيل لا يجدون  
 ما ينكحون (- في يغنيهم الله) أي يوسع عليهم (من فضله) فينكحون ولما ذكر تعالى نكاح  
 الصالحين من العبيد والاماء حث على كتابتهم بالحكم التاسع وهو الأمر بالكتابة المذكور  
 في قوله تعالى (والذين يتغنون الكتاب) أي يطلبون الكتابة (معلمتكم أيمانكم) أي من  
 العبيد والاماء (فكتابوهم إن علمتم فيهم خيراً) أي أمانة وقدرة على الكسب لاداء مال الكتابة  
 • وسبب نزول هذه الآية ما روى أن غلاماً لحويط بن عبد العزى يقال له الصبيح مأل مولاه  
 أن يكتبه فأبى فأنزله الله هذه الآية فكتابه هو يطب على مائة دينار وذهب له منها عشرين  
 فأذاها وقتل يوم حنين في الحرب وأركانها أربعة وثلاثون وصيغة وعوض وسيد وشرط في السيد  
 كونه مختاراً أهل تبرع وولاه وكتابة المريض مرض الموت محسوبة من الثلث فإن خلف مثلي  
 قيمته صحت الكتابة في كسبه أو مثل قيمته صحت في ثلثيه أو لم يخلف غيره صحت في ثلثه وشرط  
 في الرقيق اختياره وعدم صبا وجنون وأن لا يتعلق به حق آدمي لازم وشرط في الصيغة لفظ يشعر  
 بالكتابة كأن يقول السيد للموكل كاتبتك على ألفين في شهرين كل شهر ألف فإذا أديتهم ما قانت حر  
 فيقول السيد قبلت ذلك فلا يصح عقده إلا ما وجلا منكما بنيمين فاكتر كما جرى عليه العصابة فمن  
 بعدهم فلا يقمن بيان قدر العوض وصحته وعهد العيوض وقسط كل فهم فلا يجوز عند الشافعي

رضى الله تعالى عنه بنصم واحد ولا بحمال لأن العبد لا يملك شيئا فعقدها بحمال يمنع من حصول  
 الغرض لأنه لا يقدر على أداء البدل عاجلا وعند أبي حنيفة رضى الله تعالى عنه يجوز حالا  
 وموجلا ونصما وغير منجم لأن الله تعالى لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود وهي سنة  
 لا واجبة وإن طلبها الرقيق لتسليته مطلقا للملك وتصحكم المماليك على الملاك بطلب رقيق  
 أمين قوى على الكذب وبها فسر الشافعي الخيري الآية وأصبحت الأمانة لتلايضح ما يحصله  
 فلا يعتق والطلب والقدرة على الكذب ليوثق بهصيل النجوم وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال  
 ثلاث حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الأداء والتاكيح يريد العفاف والجاهد في سبيل  
 الله فإن فقدت هذه الشروط أو بعضها فهي مباحة إذا بقوى رجاء العتق بها ولا تكره بحمال  
 لأنها عندك فقدم ما ذكر قد تفضى إلى العتق نعم إن كان الرقيق فامقابسرة أو فوهها وعلم سيده  
 أنه لو كاتبه مع العجز عن الكسب الكسب بطريق الفسق لم يعد محررا حينئذ اتفقوا  
 التمكين من الفساد ونصح على عوض قليل وكثير ويجب أن يحط عنه قبل عتقه شيئا ممتولا  
 من النجوم أو يدفعه إليه من جنسها أو من غيرها كما قال تعالى (وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ إِذَا  
 مَلَأْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا اتَّخَذْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّىٰ يَبْلُغُوا أَجَلَهمْ) وفي معنى الأمانة  
 حط شيء ممتول مما التزموه بل الحط أولى من الدفع لأن القصد بالحط الأمانة على العتق وهي  
 محققة فيه موهومة في الدفع إذ قد يصرف المدفوع في جهة أخرى ويكون ذلك في النجم الأخير  
 أولى منه فيما قبله لأنه أقرب إلى العتق يروى أن عمر رضى الله تعالى عنه كاتب عبد الله يكنى  
 أبانمة وهو أول عبد كوثب في الإسلام فأتاه بأقول بجم فدفعه إليه عمر وقال استعن به على  
 كتابك فقال لو أخرته إلى آخر نعيم فقال أخاف أن لأدرك ذلك وتكونه ربعا من النجوم أولى  
 فإن لم تسع به نفسه فكونته سبعا أو في روى حط الربع الفساق وغيره وحط السبع مائة من ابن  
 عمر رضى الله تعالى عنه وعند أبي حنيفة أمر للمسلمين على جهة الوجوب بإعتاقهم للمكاتبين  
 وأعطاهم منهم موهوم الذي جعل الله لهم من بيت المال كقوله وفي الرقاب ولما بين تعالى ما يصح  
 من تزويج العبيد والاماء أتبع ذلك بالحسك العاشر وهو الأكره على الزنا المذكور في قوله  
 تعالى (ولا تذكروا ما كنتم تعملون) أي اماءكم (على البقاء) أي الزنا كان لعبد الله بن أبي راس  
 المتألفين من جوار معاذة ومسيكة وأميمة وعجرة وأروى وقتيلة بكرههن على البقاء  
 وضرب عليهن ضربا فشكت فثان منهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وكذلك  
 كانوا يفعلون في الجاهلية يؤاجرون اماءهم فلما جاء الإسلام قالت مسيكة لمعاذة إن هذا  
 الأمر الذي نحن فيه لا يصلح من وجهين فإن يك خيرا فقد استكرنا منه وإن يك شرا فقد آن  
 لنا أن ندمه كما نزل الله هذه الآية وروى أنه جاء أحد بني الجاهليين يوما يريد وجبات الأخرى  
 به يتأخر فقال له عطاء بن رباح فإزينا فقالا والله لا تفعل قد جاء الإسلام وحرم الزنا فأبى رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم وشكيا إليه فنزلت ويكنى بالفتى والغناه عن العبد والامة وفي الحديث عن  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقل أحدكم منكم فتى وقتاف ولا يقل عبدي وأمى (إن أردت)

(تصان) أي تعفقا عنه وهذه الارادة تحمل الاكراه فلامفهوم للشرط لان الاكراه لا يتصور  
 الا عند ارادة التصن فاما اذا لم ترد المرأة التصن فانها بغنى الطبع طوعا وكلمة ان واشارها  
 على اذا ايدان بأن الباعثيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية ممنهت وأن ما وجد من معاذة  
 وسبكة من حيز الشاذ النادر ولان الكلام ورد على سبب وهو الذي ذكر في سبب نزول  
 الآية نخرج النهي على صورة صفة السبب وان لم تكن شرطافية وقال الحسين بن الفضل  
 في الآية تقديم وتأخير تقديرها واقتحموا الايامي منكم ان أردن تحصنا ولا تكرر هوا  
 قبياتكم على البغاة (لتنفوا عرض الحياة الدنيا) أي تطلبوا من أموال الدنيا بكمسبهن  
 وأولادهن (ومن يكرههن فان الله من بعدا كراهتهن غفور) أي لهتن (رحيم) بمن  
 وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية قال لهتن والله لهتن أي لا للمكره الا اذا تاب (فان قيل) ان  
 المكره غير آثم فلا حاجة الى المغفرة (أجيب) بأن الزنا لا يباح بالاكراهة فهي آثمه لكن لاحد  
 عليها للاكراهه ولما ذكر تعالى في هذه السورة هذه الاحكام وصف القرآن بصفات ثلاث أحدها  
 قوله تعالى (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبيّنات) أي الآيات التي بينت في هذه السورة وأوضحت فيها  
 الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر وحفص وحزرة والكسائي بكسر الياء التسمية والباقون  
 بقصها لانها واضحت تصدقها الكتب المتقدمة والمقول السليمة من بين بمعنى تين أولانها  
 بينت الاحكام والحدود ثانيا قولها تعالى (ومن لا من الذين خلوا من قبلكم) أي من جنس  
 أمثالهم أي وقصة عجيبه مثل قصصهم وهي قصة عائشة رضي الله تعالى عنها فانها كقصة  
 يوسف وحرير عليهم السلام ثالثها قوله تعالى (وموعظة للمتقين) أي ما وعظبه في قوله تعالى  
 ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وقوله تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون الخ وفي قوله تعالى  
 لولا اذ سمعتموه قلتم الخ وفي قوله تعالى يعظكم الله أن تعودوا الخ وتخصيصها بالمتقين  
 لانهم المنتفعون بها \* واختلف في معنى قوله تعالى (الله نور السموات والارض) فقال ابن  
 عباس الله هادي أهل السموات والارض فهم بنوره الى الحق يهتدون وهدايتهم من حيرة  
 الضلال يصبون وقال الفصحاء من نور السموات والارض فقال نور السماء باللام ككوكب ونور  
 الارض بالانبياء وقال مجاهد مدبر الامور في السموات والارض وقال أبي بن كعب والحسن  
 وأبو العالية من زين السموات والارض زين السماء بالشمس والقمر والنجوم وزين الارض  
 بالانبياء والعلماء والمؤمنين ويقال بالنبات والاشجار وقبل معناه الانوار كلها منه كما يقال فلان  
 رجة أي منه الرحمة وقديذ كرم مثل هذا اللفظ على طريق المدح كما قال القائل  
 اذا سار عبد الله من مرو ليله \* فقد سار منها نورها وجمالها  
 وسبب هذا الاختلاف ان النور في الاصل ككيفية تدركها الباصرة أو لا وبواسطتها سائر  
 المبصرات كالكيفية الفاتضة من النيران على الاجرام الكشفة المحاذية لها وهو بهذا  
 المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الاعلى ضرب من التجوز كالمثله المتقدمة أو على تقدير  
 مضاف كقولك زيد كرم وجود ثم تقول ينشئ النام بكرمه وجوده والمصنف ذو نور السموات

والارض وتورا السموات والارض الحق شبه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله تعالى الله ولي  
الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور أى من الباطل الى الحق وأضاف النور الى  
السموات والارض لاحد معنيين اما للدلالة على سعة اشراقه وفشواضاته حتى تضى له  
السموات والارض واما أن يراد أهل السموات والارض وانهم يستضيئون به واختلف  
أيضاً في معنى قوله تعالى (مثل نوره) فقال ابن عباس مثل نوره الذى أعطى المؤمن أى مثل  
نور الله في قلب المؤمن وهو النور الذى يهتدى به كما قال تعالى فهو على نور من ربه وقال  
الحسن وزيد بن أسلم أراد بالنور القرآن وقال سعيد بن جبيرة والضالك هو محمد صلى الله عليه  
وسلم وقيل أراد بالنور الطاعة سمى طاعة الله تورا وأضاف هذه الانوار الى نفسه تفضلاً  
أى صفة نوره العجيبة الشأن في الاضائة (كمشكاة) أى كصفة مشكاة وهى الكوة  
في الجدار غير النافذة (فيها مصباح) أى سراج ضخم ناقب (المصباح في زجاجة) أى قدليل  
من زجاج شامى أزهر وانما ذكر الزجاج لان النور وضوء النهار فيها أبين من كل شئ وضوءه يزيد  
في الزجاج ثم وصف الزجاج بقوله تعالى (الزجاج كأنها) أى النور فيها (كوكب درى)  
أى مضى شبهها في الضوء باحدى الدرارى من الكواكب الخمسة العظام وهى المشاهير  
المشترى والزهرة والمريخ وزحل وعطارد (فان قيل) لم يشبه بالكواكب ولم يشبه بالشمس  
والقمر (أجيب) بأنهم ما يلحقهما الحسوف والكسوف والكواكب لا يلحقها ذلك وقرأ  
أبو عمرو والكسافى بكسر الدال من الدر بمعنى الدفع لدفعه الظلام والباقون بضمها منسوب  
الى الدر أى اللؤلؤ في صفائه وحسنه وان كان الكوكب أكثر وضواً من الدر لكن يفضل  
الكواكب بصفائه كما يفضل الدر من الحلب وهمز مع المد أبو عمرو وشعبة وحجة والكسافى  
والباقون بغير همز وكل من أهل الهمز على مر تبته في المد (توقد من شجرة مباركة زيتونه)  
أى ابتداء توقده من شجرة الزيتون المتسكاتر نفعه بأن رويت قبيلة المصباح بزيت الشجرة  
وهى شجرة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لان الزيت يسرج به ويدهن به وهو ادم وهو أصنى  
الادهان وأضواها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح التاء والواو وتفتح القاف على وزن  
تفعل على الماضى أى المذباح وقرأ أبو بكر وحجة والكسافى بضم التاء القوقية وتخفيف  
القاف أى المصباح (لا شرقية ولا غربية) أى ليست بشرقية وحدها لا تصيبها الشمس اذا  
غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس اذا طلعت بل هى مصاحبة للشمس طول النهار تصيبها  
الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية وغربية تأخذ ظلها من الامرين فيكون  
زيتها أضواً وهذا كما يقال فلان ليس أسود ولا أبيض أى ليس أسود خالصاً ولا أبيض خالصاً بل  
اجتمع فيه كل واحد منهما وهذا الرمان ليس بجمل ولا حامض أى اجتمع فيه الحلاوة والحوضة  
هذا قول ابن عباس والاكرين وقال السدى وجماعة عناه أنها ليست في مقناة لا تصيبها  
الشمس ولا في مقبية لا يصيبها التطل فهى لا تضرها شمس ولا ظل والمقناة بقاف فنون فهجرة  
وهى بفتح النون وضما المكان الذى لا تطلع عليه الشمس وقول البياضى تعالى للزحمرى

وفي الحديث لا خير في شجرة مقناه ولا في نبات في مقناه ولا خير فيهما في مضي قال ابن جرير  
 الصقلاني لم أجده وقيل معناه انها معتدلة ليست في شرق يضيها الحر ولا في غرب يضرها البرد  
 وقيل معناه هي شامية لان الشام وسط الارض لا شرقي ولا غربي وقيل ليست هذه الشجرة من  
 اشجار الدنيا لانها لو كانت في الدنيا لكانت شرقية او غربية وانما هو مثل ضربه الله تعالى لنوره  
 (يكاد يريتها) أي من صفاته (يضئ ولولم تمسه نار) أي يكاد يتسلا لا ويضي بنفسه من  
 غير نار (نور على نور) أي نور المصباح على نور الزجاجة (تنبيه) • اختلاف أهل العلم في معنى هذا  
 التمثيل فقال بعضهم وقع التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الاحبار  
 أخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كشكاة قال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم  
 فالشكاة صدر من الزجاجة قلبه والمصباح فيه التبوته تتوقد من شجرة مباركة هي شجرة التبوته  
 يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وأمره يتبين للناس ولولم يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء  
 ولولم تمسه نار وروى سالم عن عوفي هذه الآية قال المشكاة جوف النبي صلى الله عليه وسلم  
 والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله تعالى فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودى ولا نصراني  
 توقد من شجرة مباركة ابراهيم نور على نور نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليهما وسلم وقال  
 محمد بن كعب القرظي المشكاة ابراهيم والزجاجة اسم عيل عليهما السلام والمصباح محمد صلى الله  
 عليه وسلم سماه الله تعالى مصباحا كما سماه سراجا فقال تعالى وسراجا نيرا توقد من شجرة مباركة  
 وهي ابراهيم عليه السلام سماه مباركا لان أكثر الانبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية يعنى  
 ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا كان حنيفا مسلما لان اليهود تصلى قبل المغرب  
 والنصارى قبل المشرق يكاد زيتها يضيء ولولم تمسه نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم  
 تظهر للناس قبل أن يوحى اليه نور على نور نبي من نسل نبي نور محمد على نور ابراهيم عليهما السلام  
 وقال بعضهم وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن روى أبو العالية عن أبي بن كعب قال هذا مثل  
 المؤمن فالشكاة نفسه والزجاجة صدره والمصباح ما جهل الله من الايمان والقرآن في قلبه توقد  
 من شجرة مباركة وهي الاخلاص لله وحده فمثل كمثل شجرة التف بها النجر فهي خضراء ناعمة  
 لا تصيبها الشمس لا اذا طلعت ولا اذا غربت فكذلك المؤمن قد احترس من أن يصيبه شيء من  
 الفتن فهو بين أربع خلال ان أعطى شكر وان ابتلى صبر وان حكم عدل وان قال صدق  
 يكاد زيتها يضيء أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يبين له لموافقته اياه نور على نور قال  
 أبي أي فهو تغلب في خمسة أنوار قوله نور وعمله نور وبداخله نور ويخرجه نور ومصيره  
 الى النور يوم القيامة قال ابن عباس هذا مثل نور الله وهدى قلب المؤمن كما يكاد الزيت  
 الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فاذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوءه كذلك يكاد قلب المؤمن  
 يعمل بالهدى قبل أن يأنيه العلم فاذا جاء العلم ازداد هدى على هدى ونور على نور وقال  
 الكلبي قوله تعالى نور على نور يعنى ايمان المؤمن وعمله وقال المسدي نور الايمان ونور القرآن  
 وقال الحسن وابن زيد هذا مثل للقرآن فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح يهتدى



بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة الوحي يكاد يزيها  
 يضيء يعني تكاد حجة القرآن تنضح وان لم يقرأ نور على نور يعني القرآن نور ومن الله خلقه مع  
 ما قام له من الدلائل والاعلام قبل نزول القرآن فازدادوا بذلك نورا على نور (يهدي الله  
 لنوره) قال ابن عباس دين الاسلام وقيل القرآن (من يشاء) فان الاسباب بدون مشيئته  
 لا غاية وقيل يوفق الله لاصابة الحق من تطروا تدبر بعين عقله والانصاف من نفسه ولم يذهب  
 عن الجادة الموصلة اليه عينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالاعمى سواء عليه يخج الليل الدامس  
 وضحوة النهار الشامس (ويضرب) أي بين (الله الامثال للناس) تقريرا للافهام وتسهيلا  
 للاكدار (والله بكل شيء عليم) معقولا كان أو محسوسا ظاهرا كان أو خفيا وفيه وعيد لمن  
 تدبرها ولم يكثر بها وقوله تعالى (في بيوت) يتعلق بما قبله أي كشكاة في بيوت الله وهي  
 المساجد كما أنه قيل مثل نوره كما ترى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت أو بما بعده  
 وهو يسبح أي يسبح رجال في بيوت وفي قوله فيها تكرر لقوله في بيوت كقوله زيد في الدار رجال  
 فيها أو محذوف كقوله تعالى في تسع آيات أي سبحوا في بيوت والبيوت هي المساجد قال  
 سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال المساجد بيوت الله في الارض وهي تضيء لاهل السماء  
 كما تضيء النجوم لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت المساجد الثلاثة وقيل المراد اربعة  
 مساجد لم بينها الانبياء الكعبة بناها ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فجعلها قبلة بيت  
 المقدس بناها داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قباء بناهما النبي صلى  
 الله عليه وسلم وأتى فيها بجميع الكثرة دون جمع القلة للتعظيم (أذن الله أن ترفع) قال مجاهد  
 تبني نظيره قوله تعالى واذرفع ابراهيم القواعد من البيت وقال الحسن تعظم أي فلا يذكر فيها  
 الفحش من القول وتطهر من الاتجاس والاقذار وقوله تعالى (ويذكر فيها اسمه) عام فيما  
 يتضمن ذكره حق المذكرة في أفعاله والمباحثة في أحكامه وقال ابن عباس يتلى فيها كتابه  
 (يسبح) أي يصلى (له فيها بالغدق والآصال) أي بالغداة والعشي قال أهل التفسير أراد به  
 الصلوات المفروضة فالتى تؤدى بالغداة صلاة الفجر والتي تؤدى بالآصال صلاة الظهر  
 والعصر والعشاء لان اسم الاصيل يقع على هذا الوقت وقيل أراد به الصبح والعصر قال صلى  
 الله عليه وسلم من صلى البردين دخل الجنة أراد صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن عباس  
 التسبيح بالغدق صلاة الضحى وروى من مشى الى صلاة مكتوبة وهو متطهر فأجره كاجر الحاج  
 المهرم ومن مشى الى تسبيح الضحى لا ينسبه الاياه فأجره كاجر المعتمر وصلاة على ان صلاة لا لغو  
 بينهما كتاب في عليين وقرأ ابن عامر وشعبة بفتح الباء الموحدة والباقون بكسرها (رجال لا تلهيهم  
 تجارة) أي معاملته رابحة وقيل المراد بالتجارة الشراء لقوله تعالى (ولا يسع عن ذكر الله) اطلاقا  
 لاسم الجنس على النوع كما تقول رزق فلان تجارة صالحة اذا تجسه له يسع صالح أو شراء وعلى  
 الاقل ذكر مبالغة للتعظيم والتعميم بعد التخصيص وقيل التجارة لاهل الجلب تقول تجر فلان  
 في كذا أي جلبه (قبيبه) قوله تعالى رجال فاعل يسبح بكسر الباء وعلى قصها نائب الفاعل

له ورجال فاعل فعل مقدر بجواب سؤال مقدر كأنه قيل من يسجده وحذف من قوله تعالى  
 (واقام الصلاة) الهاء تخضفاً أي واقامة الصلاة وأراد أداءها في وقتها لأن من أخر الصلاة عن  
 وقتها لا يكون من مقبلي الصلاة وانما ذكر أقام الصلاة مع ان المراد من ذكر الله الصلوات الخمس  
 لأنه تعالى أراد باقامة الصلاة حفظ المواقيت روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت  
 الصلاة فقام الناس وغلقوا حوانيتهم فدخلوا المسجد قال ابن عمر فيهم نزلت هذه الآية (وايتاء  
 الزكاة) قال ابن عباس اذا حضر وقت أداء الزكاة لم يحسوها أي فيخرجون ما يجب اخراجه  
 من المال للمستحقين وقيل هي الاعمال الصالحة ومع ما هم عليه (بخافون يوماً) هو يوم القيامة  
 (تقاً) أي تضطرب (فيه القلوب) بين النجاة والهلاك (والابصار) بين ناحيتي اليقين والشك  
 وقيل تقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشك الى اليقين وتنفتح الابصار من الاغشية  
 وقوله تعالى (ليجزينهم الله) متعلق بيسج أو بياتلهمهم أو بخافون (أحسن ما عملوا) في الطاعات  
 فرضها ونقاه أي ثوابه الموعود لهم من الجنة وأحسن معنى حسن (ويزيدهم من فضله) ما لم  
 يستحقوه بأعمالهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت وقوله تعالى (والله يرزق من يشاء بغير حساب)  
 تقرير للزيادة وتبنيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الاحسان وكمال جوده فكانه سبحانه  
 وتعالى لما وصفهم بالجد والاجتهاد في الطاعة ومع ذلك يكونون في نهاية الخوف فآله سبحانه  
 وتعالى يعطيهم الثواب العظيم على طاعتهم ويزيدهم الفضل الذي لا حده في مقابلة خوفهم  
 وقوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب) أي خالهم على ضد ذلك فان أعمالهم التي  
 يحسبونهم اصالحة نافعة عند الله تعالى يحدونها الاغية مخيبة في العاقبة كسراب وهو ما يرى في  
 الصلاة وقت الضحى الا كبرشيم بالماء الجاري وهو ليس بماء ولكن الذي ينظر اليه من بعيد  
 يظنه ماء جارياً وقيل هو الشعاع الذي يرى نصف النهار في شدة الحر في البراري الذي يخيل للناظر  
 انه الماء السارب أي الجاري فاذا قرب منه انقش فلم ير شيئاً وأما الآل فانهما يكون أول النهار  
 كأنه ماء بين السماء والارض وقال البغوي والآل ما ارتفع عن الارض وهو شعاع يجرى  
 بين السماء والارض بالغدوات شبه بالمرأة ترفع فيها الشخصوس يرى فيها الصغير كبيراً والقصير  
 طويلاً والرقراق يكون بالعشاء وهو ما ترقق من السراب أي جاء وذهب وقوله تعالى (بقبعة)  
 جمع قاع وهي أرض سهلة مطمئنة قد اخرجت عنها الجبال والآل كما قاله في القاموس وقيل  
 القبة بمعنى القاع وهو الارض المستوية المنبسطة وفيها يكون السراب وقال القراء جمع قاع  
 بكسر وجيمه وقال الفارسي جمع قبة وقبعان (يحسبه) أي يظنه (الطمآن) أي العطشان  
 الشديد العطش من ضعف العقل (ماء) فيقصده ولا يزال سائراً (حتى اذا جاءه) أي ما قدر أنه ماء  
 وقيل جاء الى موضع السراب (لم يجده شيئاً) مما حسبه ووجه التشبيه أن الذي جاء به الكافران  
 كان من أفعال البر فهو لا يستحق عليه ثواب مع أنه يعتقد ان له ثواباً عليه وان كان من أفعال الاثم  
 فهو يستحق عليه العقاب مع أنه يعتقد ان له ثواباً فكيف كان فهو يعتقد ان له ثواباً عند الله تعالى  
 فاذا وافى عرصة القيامة ولم يجده الثواب بل وجد العقاب العظيم عظمت حسرته وتناهى غمه

في شبه حاله حال الظمان الذي اشتدت حاجته الى الماء فاذا شاهد السراب في البر تعلق به قلبه  
 فاذا جاءه لم يجده شيئاً فكذلك حال الكافر بحسب أن عمله نافع له فاذا احتاج الى عمله لم يجده شيئاً  
 ولا ينفعه وقال مجاهد السراب عمل الكافر واثباته اياه موته ومفارقة الدنيا (فان قيل) قوله  
 تعالى حتى اذا جاءه يدل على كونه شيئاً وقوله تعالى لم يجده شيئاً مناقض له (أجيب) بأن معناه لم  
 يجده شيئاً نافعاً كما يقال فلان ما عمل شيئاً وان كان قد اجتمداً وأنه اذا جاء موضع السراب لم يجده  
 السراب يرى من بعيد بسبب الكثافة كانه ضباب وهباء فاذا قرب منه رفق وانتشر وصار  
 كالهواء (ووجد الله عنده) أي ووجد عقاب الله الذي توعد به الكفار ووجد زبانية الله  
 أو وجدته محاسباً اياه أو قدم على الله (فوقاه حسابه) أي جزاء عمله قيل نزلت في عتبة بن ربيعة  
 فإنه قد تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية ثم كفر بالاسلام قال ابن الخازن والاصح  
 أن الآية عامة في حق جميع الكفار (والله سريع الحساب) لانه تعالى عالم بجميع المعلومات  
 فلا يشغله محاسبة واحد عن واحد وفي هذا رد على المشبهة قبحهم الله تعالى لانه تعالى لو كان  
 متكلماً بالآلة كما يقولون لما صح ذلك وقوله تعالى (أو كظلمات) عطف على كسراب على حذف  
 مضاف واحد تقديره أو كذي ظلمات ودل على هذا المضاف قوله تعالى اذا أخرج يده لم يكده  
 يراها فالكتابة تعود الى المضاف المحذوف وهو قول أبي علي وقال غيره على حذف مضافين  
 تقديره أو كاعمال ذي ظلمات فتدري ليصح عود الضمير اليه في قوله تعالى اذا أخرج يده وقدر  
 أعمال ليصح تشبيه أعمال الكفار بأعمال صاحب الظلمة اذ لا معنى لتشبيه العمل بصاحب  
 الظلمة أو للتخريف فان أعمالهم لكونها لاغية لا منفعة لها كالسراب وليكونها خالية عن نور  
 الحق كالظلمات المتراكمة من لجم البحر والأمواج والسهاب أو للتشويق فان أعمالهم ان كانت  
 حسنة فكالسراب وان كانت فيجعة فكالظلمات أو للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات في  
 الدنيا وكالسراب في الآخرة وقوله تعالى (في بحر لحي) صفة لظلمات فيتعلق بمحذوف واللحي  
 منسوب الى اللج وهو معظم البحر وقيل منسوب الى اللجة بالهاء وهي أيضاً معظمه فاللحي هو  
 العميق الكثير الماء وقوله تعالى (بغشاء) أي يغطي هذا البحر ويعلاه (موج) كائن (من فوقه  
 موج) أي أمواج مترادفة متراكمة (من فوقه) أي الموج الثاني المركوم وقوله تعالى (سحاب)  
 أي غيم غطى النجوم ويجب أنوارها صفة أخرى لبحر وقوله تعالى (ظلمات) أي من البحر  
 والموجين والسهاب خبر مبتدأ مضمرة تقديره هذه ظلمات أو تلك ظلمات ويجوز أن يكون ظلمات  
 مبتدأ والجملة من قوله تعالى (بعضها فوق بعض) خبره قاله الحوفي (فان قيل) لا مسوغ  
 للإبتداء بهذه النكرة (أجيب) بأنهم موصوفة تقديراً أي ظلمات كثيرة متكاثفة وقرأ البرزى  
 سحاب بالانوين وجر ظلمات وتقبل يتون سحاب ويجر ظلمات والبرزى جعل الموج المتراكم  
 بمنزلة السحاب وأما قبيل فانه جعل ظلمات بدلاً من ظلمات الاولى والباقون بتوين سحاب  
 وظلمات بالرفع فيهما (اذا أخرج) أي الكافر في هذا البحر بدلالة المعنى وان لم يجره ذكر (يده)  
 وهي أقرب ما يرى اليه في هذه الظلمات (لم يكده) أي الكائن فيه (يراهما) أي لم يقرب من

وقيتها فضلا عن أن يراها كقول ذي الرمة

إذا غير النأي (أي البعد وفي نسخة الهجر) المحيين لم يكد\*

رئيس الهوى (أي ثابته بمعنى الهوى الثابت) من حب مية يبرح

أي يزول والمعنى لم يقرب من البراح فضلا عن أن يبرح\* (تنبية)\* في كيفية هذا التشبيه وجوه  
أحدها قال الحسن إن الله تعالى ذكر ثلاثة أنواع من الظلمة ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة  
السحاب كذا الكافر له ظلمات ثلاثة ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل ثانيا قال ابن  
عباس شبه قلبه وسمعه وبصره بهذه الظلمات الثلاث ثالثا أن الكافر لا يدري ولا يدري أنه  
لا يدري ويعتقد أنه يدري فهذه المراتب الثلاثة شبه تلك الظلمات الثلاث رابعا قلب مظلم  
في صدر مظلم في جسد مظلم خامسا إن هذه الظلمات متراكمة فكذا الكافر لثمة أصراوه على  
كفره قد تراكت عليه الضلالات حتى لو ذكر عنده أظهر الدلائل لم يفهمه (ومن لم يجعل الله)  
أي الملك الأعظم (له نورا غالا من نور) قال ابن عباس من لم يجعل الله دينا وإيمانا فلا دين له  
وقيل من لم يهده الله فلا هادي له لأنه تعالى قادر على ما يريد\* ولما وصف تعالى أنوار قلوب  
المؤمنين وظلمات قلوب الجاهلين أتبع ذلك بدلائل التوحيد بقوله تعالى (ألم تر) أي تعلم علما  
يشبه المشاهدة في اليقين والوثاق بالوحي والاستدلال (أن الله) أي الحائز لصفات الكمال  
(يسبح له) أي ينزهه عن كل شائبة نقص (من في السموات والارض) لأن التسبيح لا يرى بالبصر  
بل يعلم بالقلب وهذا استقهام والمراد به التقرير والبيان وهذا التسبيح إما أن يكون المراد منه  
دلالة بخلق هذه الأشياء على كونه تعالى منزها عن النقائص موصوفا بنعوت الجلال أو يكون  
المراد منه في حق البعض الدلالة على التنزيه وفي حق الباقيين النطق باللسان قال الرازي والاول  
أقرب لأن القسم الثاني متعذر لأن في الارض من لا يكون مكلفا لا يسبح بهذا المعنى والمكفون  
منهم من لا يسبح أيضا بهذا المعنى كالكفار وأما القسم الثالث وهو أن يقال إن من في السموات  
وهم الملائكة يسبحون باللسان وأما الذين في الارض فمنهم من يسبح باللسان ومنهم من يسبح  
على لسان الدلالة فهذا يقتضى استعمال اللفظ الواحد في الحقيقة والمجاز معا وهو غير جائز  
عند أكثر العلماء فلم يبق الا القسم الاول وهو أن هذه الاشياء مشتركة في أن أجسامها  
وصفات هاداة على تنزيه الله تعالى وقدرته والهيته وتوحيده وعدله فسمى ذلك تنزيها توسعا  
(فان قيل) فالتسبيح بهذا المعنى حاصل لجميع المخلوقات فإوجه تخصيصه ههنا بالعقلاء (أجيب)  
بأن خلقة العقلاء أشد دلالة على وجود الصانع سبحانه وتعالى لأن العجائب والغرائب في  
خلقهم أكثر وهي العقل والنطق والفهم\* ولما كان أمر الطير دلالاته أعجب ولأنها قد تكون  
بين السماء والارض فتكون خارجة عن حكم من فيها خصوصا بالذكر من جملة الحيوان بقوله تعالى  
(والطير صافات) أي باسقاط أجنحتها في جوار السماء لاشبهة في أنه لا يسكنها الا الله تعالى  
وامساكها في الجوامع أنها أجرام ثقيلة واقداره لها فيه على القبض والبسط حجة قاطعة على  
ككمال قدرته تعالى واختلاف في عود الضمائر في قوله تعالى (كل) أي من المخلوقات (قد علم

صلاته وتسميته) على قولين أحدهما أنها كلها عائنة على كل أي كل قد علم هو صلاة نفسه  
وتسميتها قال ابن عادل وهذا أولى لتوافق الضمائر ثانياً ما أن الضمير في علم عائدة إلى الله تعالى  
وفي صلته وتسميته عائدة على كل ويدل عليه قوله تعالى (والله) أي المحيط علماً وقدرة (عليه بما  
يقولون) وقيل إن ضرب أجنحة الطير صلته وتسميته وهذا يؤيد أن المراد من التسيح دلالة هذه  
الأمور على التنزيه لا النطق باللسان روى أن أبا ثابت قال كنت جالساً عند أبي جعفر الباقر  
فقال لي أتدرى ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس وبعد طلوعها قال لا قال فانهم يقدس  
الله ربهم ويسألونه قوت يومهم قال بعض العلماء إننا شاهدنا من الطيور وسائر الحيوانات أعمالاً  
لطيفة يحجز عنها كثير من العقلاء فإذا كان كذلك فلم لا يجوز أن يلهمها معرفة ودعاءه وتسميته  
وبيان أنه تعالى ألهمها الأعمال اللطيفة بوجوه أحدها أن الدب يرى بالحجارة ويأخذ العصا  
ويرى الإنسان حتى يتوهم أنه مات فيتركه وربما عاد يشمه ويتجسس نفسه ويصعد الشجرة  
أخف صعوداً ويهشم الجوز بين كفيه تقريباً بالواحدة وصدمته بالأخرى ثم يفتح فاه فينذر  
قشره ويتغذى به ويحكي عن القار في سرقة أمور عجيبة ثانياً أمر النحل وماله من الرياسة  
والسبوت المسدسة التي لا يمكن من بنائها أفاضل المهندسين ثالثاً انتقال الكركي من  
طرف من أطراف العالم إلى الطرف الآخر طالبا ما يوافقه من الأهوية ويقال من خواص  
الحيل أن كل واحد يعرف صوت الفرس الذي قاتله وقتاماً والتاسيح تفتح أفواهها الطائر يقع  
عليها يقال لها القطقاط وينظف ما بين أسنانها وعلى رأس ذلك الطائر كالشوكه فإذا هم التماسح  
بالتقام ذلك الطائر تأذى من تلك الشوكه فيفتح فاه فيخرج ذلك الطائر والسلفاة تتناول بعد  
أكل الحية سعتر اجلياً ثم تعود وقد عوفيت من ذلك وحكي عن بعض الثقات الجريين  
للصيد أنه شاهد الحباري تقاتل الافعي وتنهزم عنها إلى بقله تتناول منها ثم تعود ولا تزال كذلك  
وكان ذلك الشخص قاعداً في كين وكانت البقلة قريبة من مسكنه فلما اشتغل الحباري بالافعي  
قلع البقلة فعاد الحباري إلى منبته فلم يجد حافاً خنيداً وحول منبته دوراً نامتباعاً حتى خر ميتاً  
فعلم الشخص أنه يعالج بأكلها من اللسعة وقلت البقلة هي الجرجير البري وابن عرس يستظهر  
في مقاتله الحية بأكل السذاب فإن السكبة السذابة تنفر منها الافعي والكلاب إذا مرضت  
بطونها أكلت سنبل القمح وإذا جرحت داوت الجراحة بالسعتر الجبلي رابعها القنافذ تحس  
بالشمال والجنوب قبل الهبوب فتغير المدخل إلى جحرها وكان رجل بالقسطنطينية قد أذى  
بسبب أنه يذرب الرياح قبل هبوبها وينقع الناس بانذاره وكان السبب فيه قنفذاً في داره يفعل  
الصنيع المذكور فيستدله والخطاف صناع في اتخاذ العش من الطين وقطع الخشب فان  
أعوزه الطين ابتل وتمرغ في التراب ليصمّل جناحه قد رامن الطين وإذا فرخ بالغ في تعهد الفراخ  
وتأخذ زرقها بمنقارها وترميها من العش والغرائيق تصعد في الجوع عند الطيران فان حجب بعضها  
عن بعض سحاب أو ضباب أحدثت عن أجنحتها خفيها سموها يتبع به بعضها بعضاً وإذا ماتت  
على جبل قائم اتضع رأسها تحت أجنحتها إلا القائد فانه ينام مكشوف الرأس فيسرع اتبهاه

واذا سمع جرس اصباح وحال النمل في الذهاب الى مواضعها على خط مستقيم يحفظ بعضها بعضا  
 امر عجيب واذا كشف عن بيوتها السائر الذي كان يسيرها وكان تحتها بيض لها فان كل غلة  
 تأخذ بيضة في فيها وتذهب في امرع وقت والاستقصاء في هذا الباب مذكور في كتاب طبائع  
 الحيوان والمقصود من ذلك ان الفضلاء من العقلاء بهجرون عن أمثال تلك الحيل واذا كان  
 كذلك فلم لا يجوز ان يقال انها تسبح الله تعالى وتثنى عليه وان كانت غير عارفة بسائر الامور  
 التي تعرفها الناس ويؤيد هذا قوله تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم وقوله صلى الله عليه وسلم  
 ان نوحا عليه السلام اوصى فيه عند موته بلا اله الا الله فان السموات السبع والارضين السبع  
 لو كن في حلقة مبهمة قصصتهن وسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شئ وبها يرزق كل شئ وقال  
 الغزالي في الاحياء روى ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تولت عنى الدنيا وقلت  
 ذات يدي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها  
 يرزقون قال فقلت وما هي يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر  
 الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى أن تصلي الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله عز  
 وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله الى يوم القيامة لك ثوابه ثم نبه سبحانه وتعالى بقوله  
 (ولله ملك السموات والارض) على أن الكل منه لان كل ما سواه ممكن ومحدث والممكن  
 والمحدث لا يوجد الا عند الانتهاء الى القديم الواجب الوجود ويدخل في هذا جميع الاجرام  
 والاعراض وأفعال العباد وأحوالهم وخواطيرهم وفي قوله تعالى (والى الله) أى الذى له  
 الاساطة بكل شئ (المصير) دليل على المعاد وأنه لا بد من مصير الكل اليه بعد الفناء والرؤية  
 في قوله تعالى (الم ترى) نظرية (أن الله) أى ذا الجلال والجمال (يزجى سبحانه) أى يسوقه برفق  
 بعد أن أنشأ من العدم تارة من السفلى وتارة من العلو ضعيفا قريبا متقربا قال أبو  
 حيان وهو اسم جنس واحده صحابة والمعنى يسوق صحابة الى صحابة وهو معنى قوله تعالى (ثم  
 يولف بينهم) أى بين أجزائه بعد أن كان قطعاً في جهات مختلفة فيجعل القطع المتفرقة قطعة  
 واحدة (ثم يجعله ركاباً) فى غاية العظمة متراً كما بعضه على بعض بعد أن كان فى غاية الرقة (فترى)  
 أى فى تلك الحالة المستمرة (الودق) أى المطر (يخرج من خلاله) أى من قوقه التى حدثت  
 بالتراكم وارهاص بعضها فى بعض (فان قيل) بين انما تدخل على منى فما فوقه فلم دخلت هنا  
 على مفرد (أجيب) بأن المراد بالجنس فعاد الضمير على حكمه أو على حذفه مضاف أى  
 بين أجزائه كما مر وبين قطعه فان كل قطعة صحابة وقرأ السومى فترى فى الوصل بالامالة بخلاف  
 عنه والباقون بالفتح وأما فى الوقف فأبو عمرو وحجزة والكسائى بالامالة محضة وورش بالامالة  
 بين بين والباقون بالفتح (وينزل من السماء) أى من الغمام وكل ما علا فهو سما (من جبال فيها)  
 أى فى السماء وهى السحاب الذى صار بعد تراكمه كالجبال وقوله تعالى (من برد) بيان للجبال  
 والمفعول محذوف أى ينزل مبتدئاً من السماء من جبال فيها من بردا فمن الاولى لا بتداء  
 الغاية باتفاق والثانية للتبويض والثالثة للبيان ويجوز أن تكون الثانية لا بتداء الغاية أيضاً

ومجرورها بدل من الاولى باعادة العامل والتقدير وينزل من جبال أى من جبال فيها فهو بدل  
 اشمال والاخيرة للتبويض واقع موقع المفعول (فان قيل) مامعنى من جبال فيها من برد  
 (أجيب) بأن فيه معنيين أحدهما أن يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال  
 حجر وليس في العقل قاطع يمنع الثاني أن يراد الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا  
 من ذهب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون واخفاها عند الزاي وتخفيف الزاي  
 والباقون بفتح النون وتشديد الزاي ثم بين تعالى أن ذلك باختياره وارادته بقوله تعالى (فيمصّب  
 به) أى بكل من البرد والمطر على وجه التقمص أو الرجة (من يشاء) أى من الناس وغيرهم  
 (ويصرفه عن من يشاء) صرفه عنه (فائدة) عن مقطوعة من من في الرسم ثم نبه تعالى على ما هو  
 غاية في العجب في ذلك مما في الماء من النور الذي ربما نزل منه صاعقة فأحرقت ما لا تحرق النار  
 بقوله تعالى (يكاد) أى يقرب (سنا) أى ضوء (برقه) وهو اضطراب النور في خلاله (يذهب)  
 أى هو متبسا (بالابصار) أى الناظرة له أى يحطقها الشدة لمعانه وتلأته فتكون قوة البرق  
 دايلا على تكاثف السحاب وبشيرة بقوة المطر ونذيرا بنزول الصواعق واعلم أن البرق الذي  
 صفته كذلك لا بد وأن يكون نارا عظيمة خالصة والنار ضد الماء والبرد فقطهوره يقتضى ظهور  
 الضد من الضد وذلك لا يمكن الا بقدره قادر حكيم ثم ذكر تعالى ما هو أدل على الاختيار بقوله  
 تعالى مترجما لبشعل ماضى وزيادة (يقلب الله) أى الذى له الامر كله بتحويل الظلام ضياء  
 والضياء ظلاما والنقص تارة والزيادة أخرى مع المطر تارة والصفى وأخرى (الليل والنهار) فيفسأ  
 عن ذلك التقلب من الحر والبرد والنمو والتسويح واليبس ما يبهر العقول واهذا قال منها على  
 النتيجة (ان في ذلك) الامر العظيم الذى ذكر من جميع ما تقدم (لعبرة) أى دلالة على وجود  
 الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزيهه عن الحاجة وما يفضى اليها  
 (لاولى الابصار) أى لاصحاب البصائر على قدرة الله تعالى وتوحيده ولما استدلت تعالى أولا  
 بأحوال السماء والارض وثانيا بالانوار العلوية استدل ثالثا بأحوال الحيوانات بقوله  
 تعالى (والله) أى الذى له العلم الكامل والقدرة الشاملة (خلق كل دابة) أى حيوان (من ماء)  
 وقرأ حمزة والكسائي بألف بعد الحاء وكسر اللام ورفع القاف وكسر لام كل والباقون بفتح  
 اللام والحاء ولا ألف بينهما ونصب لام كل (فان قيل) كثير من الحيوانات لم يخلق من الماء  
 كالملائكة خلقوا من النور وهم أعظم الحيوانات عددا وكذا الجن وهم مخلوقون من النار  
 وخلق آدم من التراب كما قال تعالى خلقه من تراب وخلق عيسى من الریح كما قال تعالى  
 فنمضنا فيه من روحنا ونزى كثيرا من الحيوانات يتوالد من نطفة (أجيب) بوجوه أحسنها  
 ما قاله القفال ان من ماء صله كل دابة وليس هو من صله خلق والمعنى أن كل دابة متولدة من  
 الماء فهى مخلوقة لله تعالى ثانيا ان أصل جميع المخلوقات من الماء على ما روى ان أول  
 ما خلق الله تعالى جوهره فنظر اليها بعين الهيبة فصارت ماء ثم قسم ذلك الماء فخلق منه النار  
 والهواء والنور والتراب والمقصود من هذه الآية بيان أصل الخلق فكان أصل الخلق الماء

فلماذا ذكره الله تعالى فأنتها المراد من الدابة التي تدب على وجه الارض ومسكنها هناك فترض  
 الملائكة والجن رابعها لما كان الغالب من هذه الحيوانات كونها مخلوقة من الماء أما لانها  
 متولدة من النطفة وأما لانها لا تعيش الا بالماء أطلق عليها لفظ كل تنزيلا لغالب منزلة الكل  
 (فان قيل) لم نكر الماء في قوله تعالى من ماء وعرفه في قوله تعالى من الماء كل شئ معي (أجيب)  
 بأنه جاء ههنا من الآن المعنى خلق كل دابة من نوع من الماء مختصا بتلك الدابة وعرفه  
 في قوله تعالى من الماء كل شئ معي لأن المقصود هناك كونهم مخلوقين من هذا الجنس وههنا  
 بيان أن ذلك الجنس ينقسم الى أنواع كثيرة (فهم) أي الدواب (من يعنى على بطنه) كالحية  
 والحيتان والديدان واسمها المشي للزحف على البطن كما قالوا في الامر المستتر قد مشى هذا  
الامر ويقال فلان ماشى له أمر أو معي بذلك للمشاكل بذكر الزاحف مع الماشي (ومنهم  
 من يعنى على رجلين) أي فقط كالأدعي والطيور (ومنهم من يعنى على أربع) أي من  
 الأيدي والأرجل كالكالم والوحش (فان قيل) لم حصر القسمة في هذه الثلاثة أنواع  
 من المشي وقد نجد من يعنى على أكثر من أربع كالعناكب والعقارب والحيوان الذي له  
 أربع وأربعون رجلا الذي يسمى دخول الأذن (أجيب) بأن هذا القسم الذي لم يذكر كالتأدير  
 فكان ملحقا بالعدم وقال النقاش انه اكتفى بذكر ما يعنى على أربع عن ذكر ما يعنى على أكثر  
 من أربع لأن جميع الحيوان انما اعتمده على أربع وهي قوائم مشيه وكثرة الأرجل لبعض  
 الحيوان زيادة في الخلق لا يحتاج ذلك الحيوان في مشيه الى جميعها وبأن قوله تعالى (يخلق  
الله ما يشاء) كالتنبية على سائر الاقسام (فان قيل) لم جاءت الاجناس الثلاثة على هذا  
 الترتيب (أجيب) بأنه قدم ما هو أعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من أرجل  
 أو قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على أربع \* (تنبيه) \* انما أطلق من على غير العاقل  
 لاختلاطه بالعاقل في المفصل من وهو كل دابة وكان التعبير من أولى ليوافق اللفظ \* ولما  
 كانت هذه الأدلة ناظرة الى البعث أتم نظره وكانوا منكرين له أكد ذلك بقوله تعالى (ان الله)  
أي الذي له الكمال المطلق (على كل شئ) من ذلك وغيره (قدير) لانه القادر على الكل والعالم  
بالكل فهو المطلع على أحوال هذه الحيوانات فأى عقل يقف عليها وأى خاطر يصل الى ذرة  
من أسرارها بل هو الذي يخلق ما يشاء كيف يشاء ولا يمنعه منه مانع \* ولما اتضح بهذا  
 ما لله تعالى من صفات الكمال والتزعم عن كل شائبة نقص وقامت أدلة الوحداية على  
 ساق واتسقت براهين الألوهية أي اتساق قال تعالى ترجمنا تلك الأدلة (لقد أنزلنا) أي  
في هذه السورة وما تقدمها بما نؤمن العظيمة (آيات) أي مما لنا من الحكم والاحكام والأدلة  
والامثال (مبينات) للحقائق بأنواع الدلائل التي لا يخفاها (والله) أي الملك الأعظم (يهدي  
من يشاء) من عباده (الى صراط) طريق (مستقيم) هو دين الاسلام الموصل الى دار الحق  
والفوز بالجنة \* ولما ذكر تعالى دلائل التوحيد بدأ به بذكر قوم اعترفوا بالدين بألسنتهم  
 ولكنهم لم يفعلوا بطوبىهم فقال تعالى (ويقولون) أي الذين ذمهم الله تعالى (أمن بالله) أي



الذى أوضع لنا جلاله وعظمته وكلامه (وبالرسول) أى الذى علمنا كمال رسالته وعمومها بما تام عليها من الأدلة (وأطعنا) أى وأوجدنا الطاعة لله ورسوله ثم عظم المخالفة بين الفعل والقول بأداة البعد فقال تعالى (ثم يتولى) أى يرتد بانكار القلب ويعرض عن طاعة الله ورسوله ضلالا منهم من الحق (فريق منهم) أى ناس يقصدون الفرقة من هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة (من بعد ذلك) أى القول السيد المؤكدمع الله الذى هو أكبر من كل شئ ومع رسوله الذى هو أشرف الخلائق (وما أولئك) أى البعداء البغضاء الذين صاروا يتولاهم فى محل البعد (بالمؤمنين) أى اليهودين الموافقة قلوبهم أسنتهم (فان قيل) انه تعالى حكى عن كلهم انهم يقولون آمنا ثم حكى عن فريق منهم التولى فكيف يصح أن يقول فى جميعهم وما أولئك بالمؤمنين مع أن المتولى فريق (أجيب) بأن قوله تعالى وما أولئك بالمؤمنين راجع الى الذين تولوا الى الجملة الاولى ولورجع الى الجملة الاولى لصح ويكون معنى قوله تعالى ثم يتولى فريق منهم أى يرجع عن هذا الفريق الى الباقي فيظهر بعضهم لبعض الرجوع كما أظهره بينهم ولم يفضهم بما أخضوه من توليهم فجمع عليهم ما أظهره فقال تعالى معبرا بأداة التحقيق (واذا دعوا) أى الفريق الذين ادعوا الايمان من أى داع كان (الى الله) أى الى ما نصب الملك الاعظم من أحكامه (ورسوله) وأورد الضمير فى قوله تعالى (ليحكم) وقد تقدمه اسمان وهما الله ورسوله فهو كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه لان حكم رسوله هو حكمه قال الزجاج شري كقولك أعجبتني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله

ومنهل من القلا فى أوسطه \* غلسته قبل القطا وفرطه

أى قبل فرط القطا (بينهم) أى بما أراه الله (اذا فريق منهم) أى ناس مجبولون على الإذى (معرضون) أى فاجروا الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بأنك لا تصحكهم لهم وهو شرح للتولى ومبالغة فيه (وإن يكن لهم) أى على سبيل الفرض (الحق) أى بلا شبهة (بأنا واليه) أى الرسول (مذعنين) أى منقادين لعلمهم بأنه يحكم لهم لانهم يعلمون أنه دائر مع الحق لهم وعليهم فليس انقيادهم لطاعة الله ورسوله \* (تبيينه) \* قوله تعالى اليه يجوز تعليقه بأنا والآن أى وجاء قد يتعديان بالى ويجوز أن يتعلق بمذعنين لانه بمعنى مسرعين فى الطاعة وصحة الزجاج شري قال لتقدم صاته ودلالته على الاختصاص ومذعنين حال ثم قسم تعالى الامر فى عدولهم عن حكومته صلى الله عليه وسلم اذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب بقوله تعالى (أفى قلوبهم مرض) أى نوع فساد من أصل القطرة يحملهم على الضلال أو مرتابين فى نبوته بقوله تعالى (أم ارتابوا) أى بأن رأوا منك تهمة فزال ثقتهم وبقينهم بك أو خائفين الخيف فى قضائه بقوله تعالى (أم يخافون أن يخيف) أى يجور (الله) أى الغنى عن كل شئ لانه كل شئ (عليهم ورسوله) أى الذى لا ينطق عن الهوى \* ثم أضرىب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاقل بقوله تعالى (بل أولئك) أى البعداء البغضاء (هم الظالمون) أى الكاملون فى الظلم ووجه التقسيم أن امتناعهم اما نخلل فيهم أو فى الحاكم والثانى اما أن يكون محققا

عندهم أو متوقعا وكل منهما باطل لأن منصب نبوته وفرط أماته تمنعه فتحين الاقل فظلمهم بعم  
خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الخيف وضمير الفصل لثقي ذلك عن غيرهم (فان قيل) اذا  
خافوا أن يحيف الله عليهم ورسوله فقد ارتابوا في الدنيا واذا ارتابوا في قلوبهم مرض والكل  
واحد قأى فائدة في التعديد (أجيب) بأن قوله تعالى في قلوبهم مرض أشار به الى النفاق وقوله  
تعالى أم ارتابوا اشارة الى أنهم بلغوا في حب الدنيا الى حيث يتركون الدين بسببه (فان قيل)  
هذه الثلاثة متغايرة ولكنهما متلازمة فكيف ادخل عليها كلمة أم (أجيب) بأنه تعالى نهيهم على  
كل واحد من هذه الاوصاف فكان في قلوبهم مرض وهو النفاق وكان فيها شك وارتباب  
وكانوا يخافون الخيف من الرسول وكل واحد من ذلك كفر ونفاق واختلصوا في سبب نزول  
هذه الآية فقال مقاتل نزلت في بشر المنافق وكان قد خاصم يهوديا في أرض فقال اليهودي  
تصالحكم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق تصالحكم الى كعب بن الاشرف فان محمدا يحيف  
علينا فانزل الله تعالى هذه الآية وقدمت قصتها في سورة النساء وقال الضحاك نزلت في المغيرة  
ابن واثل كان بينه وبين علي رضي الله تعالى عنه أرض تقاسماها فوقع الى علي ما لا يصيبه الماء  
الابشقة فقال المغيرة يعني أرضك فباعه اياها وتقابضا قيل للمغيرة أخذت سبعة لائسها الماء  
فقال لعلي اقبض أرضك فانما اشتريتها ان رضيت اولم أرضها فقال علي بل اشتريتها ورضيتها  
وقبضتها وعرفت حالها لا أقبلها منك ودعاه الى أن يخاصمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فقال المغيرة أما محمد فلان تأتبه ولا آساكم اليه فانه يبغضني وأنا أخاف أن يحيف علي فنزلت الآية  
وقال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويسرون الكفر \* ولما نفي تعالى  
عنهم الايمان الكامل بما وصفهم به كان كآته سئل عن حال المؤمنين فقال تعالى (انما كان)  
أى دائما (قول المؤمنين) أى العريقين في ذلك الوصف (اذا دعوا) أى من أى داع كان  
(الى الله) أى الى ما أنزل الملك الذى لا كف له من أحكامه (ورسوله) الذى لا ينطق عن الهوى  
(ايحكم) أى الرسول (بينهم) بما أراه الله تعالى أى حكومة من الحكومات لهم أو عليهم  
(أن يقولوا سمعنا) أى الدعاء (وأطعنا) أى بالاجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وهذا ليس  
على طريق الخبر ولكنه تعليم أدب الشرع بمعنى ان المؤمنين ينبغي أن يكونوا هكذا (وأولئك)  
أى العالو الرتبة (هم المفلطون) الذين وصفهم الله تعالى في أول المؤمنين وهذا يدل على  
عادة تعالى في اتباع ذكر الحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد انكاره لما لا ينبغي \* ولما رتب  
تعالى الفلاح على هذا النوع الخاص أتبعه عموم الطاعة بقوله تعالى (ومن يطع الله)  
له الامر كله (ورسوله) أى فيما ساءه وسره (ويحس الله) أى فيما صدر عنه من الذنوب في الماضي  
ليجمله ذلك على كل خير (ويتقّه) أى الله فيما بقي من عمره بأن يجعل بينه وبين ما يسخطه وقاية  
من المباحات فيتركها ورعا (فأولئك) أى العالو الرتبة (هم القانزون) بما لا عين رأت ولا أذن  
سمعت ولا خطر على قلب بشر من النعيم المقيم وعن ابن عباس في تفسير هذه الآية ومن يطع  
الله في فرائضه ورسوله في سننه ويحس الله على ما مضى من ذنوبه ويتقّه فيما يستقبل وعن بعض

المولود أنه سأل عن آية كافية قتلت عليه هذه الآية وقرأ أبو عمرو وشعبة وخلاد وبقية بسكون الهاء بخلاف عن خلاد وقالون باختلاس كسرة الهاء وحض بسكون القاف وقصر كسرة الهاء والباقون وخلاد في احد وجهيه باشباع كسرة الهاء • ولما ذكر تعالى ما رتب على الطاعة الظاهرة التي هي دليل الاقياد الباطن ذكر حال المنافقين بقوله تعالى (وأقسموا بالله) أي الذي له الكمال المطلق وقوله تعالى (جهداً أيمانهم) مستعار من جهده نفسه اذا بلغ أقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس من قال بالله فقد بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها (لئن أمرتهم) أي أمر من الامور (ليخرجن) محامهم متلبسون به من خلافه كأنما كان وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت تكن معك لئن خرجت خرجنا ولئن أمت أمنا وان أمرتنا بالجهاد جاهدنا فقال الله تعالى (قل) أي لهم (لا تقسموا) أي لا تحلفوا فان العلم بما أنتم عليه لا يحتاج الى الاقسام وههنا قدمت الكلام ولو كان قسمهم صادقا لما نهوا عنه لأن من حلف على القيام بالبر لا ينهى عنه فثبت أن قسمهم كان لنفاقهم وكان باطنهم يخالف ظاهرهم ومن نوى الغدر لا الوفاء نفسه قبيح قال المتنبى

وفي اليمين على ما أنت واعدته • ما دل انك في المعادتهم

وفي رفع قوله تعالى (طاعة معروفة) ثلاثة أوجه أحدها انه خبر مبتدأ ضمير تقديره أمر ناطقة أو المطلوب طاعة ثانياً أنه مبتدأ والخبر محذوف أي أمثل أو أولى أو خير أي طاعة معروفة للنبى صلى الله عليه وسلم خير من قسمكم الذي لا تصدقون فيه ثالثاً طاعة مبتدأ أي هذه الحقيقة ومعروفة هو الخبر أي معروفة منكم ومن غيركم واردة الحقيقة هو الذي سوغ الابداء بهامع تشكيك لفظها لان العموم الذي تصلح له قد تخصص باردة الحقيقة كما قالوه في أعرف المعارف والمعنى ان الطاعة وان ابتهد العبد في اخفائها لا بد أن تظهر مخايلها على شمالكه وكذا المعصية لانه ما أسر عبد سريرة الألبسه الله رداءه هارواه الطبراني عن عثمان وعن عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه قال لو أن رجلاً دخل بيتي فأتى جوف بيت فأتى هنالك عملاً أو شك الناس أن يخذلوا به وما من عامل عمل عملاً الا كساه الله رداءه عمله ان كان خيراً فغير وان كان شراً ففسر وعن سعيد لو أن أحدكم يعمل في حفرة مما ليس لها باب ولا كوة فخرج عمله للناس كأنما من كان (ان الله) أي الذي له الاحاطة بكل شيء (خير مما تعملون) أي لا يخفى عليه شيء من سرايركم فانه فاضحكم لاحماله ومجازيكم على نفاقكم • ولما تبه تعالى على خداعهم وأشار الى عدم الاعتراض بايمانهم أمر بتزغيبهم وتزهييمهم مشيراً الى الاعراض عن عقوبتهم بقوله تعالى (قل) أي لهم (أطيعوا الله) أي الذي له الكمال المطلق (وأطيعوا الرسول) أي الذي له الرسالة المطلقة ظاهراً وباطناً وقوله تعالى (فان تولوا) أي عن طاعته محذوف احدى التاءين خطاب لهم أي فان تولوا فما ضررعوه وانما ضررتم أنفسكم (فانما عليه) أي محمد صلى الله عليه وسلم (ما حمل) أي ما حمله الله تعالى من أداء الرسالة واذا أتى فقد خرج من عهد التكليف (وعليكم) أي وأما

أنتم فعليكم (ما حملتم) أي ما كلفتم من التلق بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم  
 أنفسكم لضبط الله وعذابه وان أضغتموه فقد أحوزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة الى  
 الهدى فالتفح والضرع ائذ اليكم (وان تطيعوه) بالاقبال على كل ما يأمركم به (تمتعوا)  
 أي الى كل خير (وما على الرسول) أي من جهة غيره (الا البلاغ) أي وما الرسول الا فاصح  
 وهاد وما عليه الا أن يبلغ ما له تنفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليتكم والبلاغ بمعنى التبليغ  
 كالاداء بمعنى التأدية ومعنى (المبين) كونه مقررنا بالآيات والمعجزات روى أنه صلى الله عليه  
 وسلم قال على المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث  
 بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب وقال أبو امامة الباهلي عليكم بالسواد  
 الاعظم فقال رجل ما السواد الاعظم فنادى أبو امامة هذه الآية في سورة النور فان تولوا فاقما  
 عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقوله تعالى (وعدا الله) أي الذي له الاحاطة بكل شيء (الذين  
 آمنوا آمنكم وعملوا) أي تصديقاً لايمانهم (الصالحات) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم  
 وللأمة أوله ولن معه ومن للبيان ثم أكد غاية التأكيد بلام القسم لما عند أكثر الناس من  
 الريب في ذلك بقوله تعالى (ليستخلفنهم في الارض) أي أرض العرب والهمم بأن يتد زمانهم  
 وينفذ أحكامهم فيجعلهم متصرفين في الارض تصرف الملوك في ممالكهم (كما استخلف الذين  
 من قبلهم) أي من الامم من بني اسرائيل وغيرهم من كل من حصلت له مكنة وظفر على الاعداء  
 بعد الضعف الشديد كما كتب في الزبور ان الارض يرثها عبادي الصالحون وكما قال موسى عليه  
 السلام ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقرأ أبو بكر رضي الله  
 الفوقية وكسر اللام والباقون بفتح التاء واللام (ولم يكن لهم) أي في الباطن والظاهر (دينهم  
 الذي ارتضى لهم) وهو دين الاسلام وتمكينه تبيته وتوكيده واصله اليهم اشارة الى  
 وسوخ أقدامهم فيه وانه الذي لا يفسخه ولما بشرهم بالتمكين أشار لهم الى مقداره بقوله تعالى  
 (وليبذلنهم من بعد خوفهم) أي الذي كانوا عليه (آمننا) وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم  
 وأصحابه مكثوا بمكة عشرين خاتفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصجون في السلاح ويمسكون  
 فيه حتى قال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله عليه وسلم لا تصبرون  
 الا يسرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتباً ليس فيه حديدة وأنجز الله تعالى وعده  
 وأظفرهم على جزيرة العرب وافتحوا بعض بلاد المشرق والمغرب ومن قوا ملك الاكاسرة  
 وملكوا خزائهم واستولوا على الدنيا واستعبدوا أبناء القياصرة وتمكنوا واشترقا وغسرا بمكنة لم  
 تحصل قبلهم لانه من الامم كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله زوى لي الارض فرأيت مشارقتها  
 ومغارها وميبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها ولما قتلوا عثمان رضي الله عنه وخرجوا على علي  
 ثم ابنه الحسن نزع الله ذلك الامر كما أشير اليه بمن وتنكير أمنا وجاء الخوف وامتمت تطاول  
 ويرتاد قليلا قليلا الى ان صار في زماننا هذا الى أمر عظيم وذلك تصديق لقوله عليه أفضل الصلاة  
 والسلام الخليفة بعدى ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء فتصيره لمكانه نصير بيزري قطع سبيل

وسفلك دماه وأخذ أموال بغير حقها والثلثون خلافة أبي بكر سنتان وخلافة عمر عشرة  
 وخلافة عثمان اثناعشر وخلافة علي ستة واليزيدى بكسر الباء وتشديد الزاي الاولى  
 والقصر السلب والتغلب وقوله قطع سيديل ذهب اما عطف بيان لقوله بيزيدى أو بدل منه وقرأ  
 ابن كثير وأبو بكر يسكون الباء الموحدة وتخفيف الدال والباقون بفتح الموحدة وتشديد الدال  
 ثم اتبع ذلك بفتحته بقوله تعالى ثعلباً للتمكين وما معه (يعبدونى) أى وحدى وقوله تعالى  
 (لا يشركونى بشئ) حال من الواو أى يعبدونى غير مشركين (فان قيل) فما محل يعبدونى  
 (أجيب) بأنه مستأنف لا محل له كان فأتا قال ما لهم مستظفين ويؤمنون فقال يعبدونى  
 ويجوز أن يكون حاله عن وعدهم أى وعدهم الله ذلك فى حال عبادتهم وأخلافهم فعمله النصب  
 ولما كان التقدير فن ثبت على دين الاسلام واتقاد للاحكامه واستقام نال هذه البشرى عطف  
 عليه قوله تعالى (ومن كفر) أى ارتد وكفر هذه النعمة (بعذلك) أى بعد الوعد أو الخلافة  
 (فأولئك) أى البعداء من الخير (هم الفاسقون) أى الخارجون عن الدين خروجا كاملا  
 لا يقبل معهم معذرة ولا يقال لصاحبه عثرة بل تقام عليهم الاحكام بالقتل وغيره ولا يراعى منهم  
 ملام ولا تؤخذ بهم رأفة عند انتقام كما تقدم أول السورة فيمن لزمه الجلد وقيل المراد بالكفر  
 كفران النعمة لا الكفر بالله وقوله تعالى فأولئك هم الفاسقون أى العاصون لله وقوله تعالى  
 (وأطيعوا الصلاة) أى فأنها اقوام ما بينكم وبين ربكم معطوف على أطيعوا الله وأطيعوا  
 الرسول قال الزمخشري وليس يعيد أن يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال  
 لان حق المعطوف أن يكون غير المعطوف عليه (واتوا الزكاة) فانها نظام ما بينكم وبين  
 اخوانكم (وأطيعوا الرسول) أى فى كل حال يأمركم به وكررت طاعة الرسول تأكيد الوجوب  
 (لعلكم ترحمون) أى لتكونوا على رجا من الرحمة من لاراحم فى الحقيقة غيره والفاعل  
 فى قوله تعالى (لا تحسبن) ضمير الخطاب أى لا تحسبن أيها الخطاب (الذين كفروا) أى وان  
 ازدادت كفرتهم على العتد وتجاوزت عظمته الحد (مجهزين) أى لاهل ودنا وقيل لنا  
 (فى الارض) أى فانهم مأخوذون لا محالة وقرأ ابن عامر وحزرة بالياء على الغيبة قال النحاس  
 ما علمت أحدا من أهل العربية بصريا ولا كوفيا الا وهو يلحن قراءة حمزة فتم من يقول هو لحن  
 لانه لم يأت الا بفعال واحد ليحسبن وأجيب عن ذلك من وجهين أحدهما أن المفعول الاول  
 محذوف تقديره ولا يحسبن الذين كفروا أنفسهم مجهزين الا ان حذف أحد المفعولين ضعيف  
 عند البصريين ومنه قول عنتره

ولقد نزلت فلا تظنى غيره • منى بنزلة الهب المكرم

أى فلا تظنى غيره وانما والثانى ان الامة مولين هما قوله مجهزين فى الارض قاله الكوفيون وقرأ  
 الباقر بن التاء على الخطاب وفتح السين ابن عامر وعاصم وحزرة وكسرها الباقرن وقوله تعالى  
 (وماواهم النار) أى مسكنهم معطوف على لا يحسبن الذين كفروا ومجهزين كأنه قيل الذين  
 كفروا الا يقولون اهل ودنا أو لا يقولوننا وماواهم النار والمراد بهم المقصون عليه بالله جهنم

أيمانهم • ولما كانت سكنى النبی لا تكون الا بعد المصير اليه قال تعالى (ولبتس المصير)  
 أى المرجع مصيرها فكيف اذا كان على وجه السكنى واختلف في سبب نزول قوله تعالى  
 (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) الآية فقال ابن عباس وجه رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج بن عمرو الى عمر رضی الله تعالى عنه  
 وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر رجلا كره عمر رؤيته ذلك فنزلت وقال مقاتل نزلت في  
 أسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت فكرهته فأنت رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلانا يدخلون علينا في حال نكرها فنزلت واللام في ليستأذنكم  
 للامر وملك اليمين يشمل العبيد والاماء قال بعض المفسرين هذا الخطاب وان كان ظاهره  
 للرجال فالمراد به الرجال والنساء لان التمسك كبير يغلب على التأنيث قال الرازي والاولى عندي  
 ان الحكم ثابت في النساء قياس جلي لان النساء في باب العورة أشد حلالا من الرجال فهو كتحريم  
 الضرب بالقياس على حرمة التأقيف وقال ابن عباس هي في الرجال والنساء أى البالغين أو من  
 قاربوا البلوغ يستأذنون على كل حال في الليل والنهار للدخول عليكم كراهة الاطلاع على  
 عوراتكم والتطرق بذلك الى مساكنكم واختلف العلماء في هذا الامر فقيل للتدب وقيل  
 للوجوب واستظهر (والذين) أى وليستأذنكم الذين ظهر واعلى عورات النساء وليكنهم  
 (لم يبلغوا الحلم) وقدمه بقوله تعالى (منكم) ليخرج الكفار والارقاء وعبر عن البلوغ بالاحتلام  
 لانه أقوى دلالة (ثلاث مرآت) في اليوم والليله وقيل ثلاث استئذانات في كل مرة فان لم يحصل  
 الاذن رجع المستأذن كما تقدم المرة الاولى من الاوقات الثلاث (من قبل صلاة الفجر) لانه  
 وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب النوم (و) المرة الثانية (حين تضعون ثيابكم) أى التي  
 للخروج بين الناس (من الظهيرة) أى شدة الحر وهو اتصاف النهار (و) المرة الثالثة (من  
 بعد صلاة العشاء) لانه وقت الانفصال من ثياب اليقظة والاتصال بثياب النوم وخص هذه  
 الاوقات لانها ساعات الخلوه ووضع الثياب والاتصاف باللعاف وأثبت من في الموضوعين  
 دلالة على قرب الزمن من الوقت المذكور لضبطه وأسقطها في الاوسط دلالة على استغراقه لانه  
 غير منضبط ثم علل ذلك بقوله تعالى (ثلاث عورات) أى اختلالات في التستر والصفه  
 (لكم) لانهم من ساعات وضع الثياب والخلوة قال البيضاوى وأصل العورة الخلال ومنها  
 اعور المكان ورجل أعور اذا بدا فيه خلل انتهى وسميت هذه الاوقات عورات لان  
 الانسان يضع فيها ثيابه فربما يدعورته وقرأ أبو بكر وحزرة والكسائي في الوصل ثلاث  
 بالنصب بتقدير أوقات منصوباً يدل من محل ما قبله قام المضاف اليه مقامه والباقون بالرفع على  
 انها خبر مبتدأ مقدر بعده مضاف وقام المضاف اليه مقامه أى هي أوقات ويجوز أن يكون  
 مبتدأ وخبره ما بعده ثم بين سبحانه وتعالى حكم ما عدا ذلك بقوله تعالى مستأنفا (ليس عليكم)  
 أى في ترك الامر (ولا عليهم) أى المالك والسيان في ترك الاستئذان (جناح) أى اثم  
 وأصل الميل في الدخول عليكم في جميع الساعات (بعدهن) أى بعد هذه الاوقات الثلاثة اذا

هجموا عليكم ثم علل الاباحة في غيرها محمرا بالغيرهم بقوله تعالى (طوافون عليكم) أي لعمل  
 ما تحتاجون في الخدمة كما أنتم طوافون عليهم لعمل ما يصلحهم ويصلحكم في الاستخدام  
 (بعضكم) طواف (على بعض) لعمل ما يجزئ عنه الآخر ويشق عليه فلو عم الامر بالاستئذان  
 لآدى الى المخرج (فان قيل) بم رفع بعضكم على بعض (أجيب) بأنه رفع بالابتداء وخبره على  
 بعض أي طواف على بعض وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز أن يرتفع بطواف مضمرا  
 لتلك الدلالة (كذلك) أي كما بين ما ذكر (بين الله) أي بما له من احاطة العلم والقدرة (لكم)  
 أيها الامة (الآيات) في الاحكام وغيرها بعله وحكمته (والله) أي الذي له الاحاطة العامة  
 بكل شئ (عليم) بكل شئ (حكيم) فيما يريد فلا يقدر احد على نقضه وختم الآية بهذا الوصف  
 يدل على انها محكمة لم تنسخ واختلف في ذلك فقال الرمحسرى عن ابن عباس انه قال آية  
 لا يؤمن بها أكثر الناس آية الاذن وانى لا امر جارتي أي زوجتي أن تستأذن على وسأله عطاء  
 استأذن على اختي قال نعم وان كانت في حجرك تمنونها وتلا هذه الآية وعنه ثلاث آيات مجدهن  
 الناس الاذن كله وقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فقال الناس أعظمكم بيتا وقوله واذا  
 حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم أن تستأذوا على آباءكم وامهاتكم واخواتكم وعن  
 الشعبي ليست منسوخة فليل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن  
 جبيران الناس يقولون هي منسوخة والله ما هي منسوخة ولكن الناس تنهاونوا بها وقال قوم  
 هي منسوخة روى البغوى عن ابن عباس أنه قال لم يكن للقوم ستر ولا حجاب فكان الخدم  
 والولائد يدخلون فرجا يرون منهم ما لا يحبون فأمر وبالاستئذان وقد بسط الله الرزق واتخذ  
 الناس الستور فاعل الرواية اختلفت عن ابن عباس \* ولما بين تعالى حكم الصبيان والارقاء  
 الذين هم أطوع للامر وأقبل لكل خبر أتبعه حكم البالغين من الاحرار بقوله تعالى (واذا بلغ  
 الاطفال منكم الحلم) أي اذا بلغ أطفالكم الاحرار بلوغ السن الذى يكون فيه انزال المنى  
 سواها رأى منيا أم لا واختلف في ذلك السن فقال عامة العلماء هو خمس عشرة سنة أي قرية  
 تحديدية لافرق في ذلك بين الذكر وغيره وقال أبو حنيفة هو ثمانى عشرة سنة فى الغلام وسبع  
 عشرة سنة فى الجارية وعن على رضى الله عنه أنه نعتب القامة وتقدر بخمسة أشبار وبه أخذ  
 الفرزدق فى قوله

ما زال مذمعت يداه ازاره \* وهما قادر لخسة الاشبار

واعتبر غيره الالبات أى للعانة وعن عثمان رضى الله تعالى عنه أنه سأل عن غلام له فقال هل  
 اخضر ازاره أى نبت شعر عاتقه فأستند الاخضر ازار الى الازار على المجاز ولانه مما اشتمل عليه  
 الازار ونبات العانة الخشن عندنا علامة على بلوغ ولد الكافر فقط أما اذا رأى المنى فى وقت  
 امكانه وهو استكمال تسع سنين قرية فانا نصحكم ببلوغه سواء كان ذكرا أم أنثى مسلما أم كافرا  
 وأما الخنى فلا بد أن يعنى من فرجه أو يحميض بالفرج ويعنى من الذكر (فليستأذونا) أى  
 على غيرهم فى جميع الاوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) أى من الاحرار البكار الذين

جعلوا قسما للمماليك فلا يدخل في ذلك الا رقاعا فلا يستعمل بذلك على أن العبد البالغ يستأذن  
 على سيده وقيل المراد الذين كانوا مع ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام (كذلك) أي كآيين  
 لكم ما ذكر (بين الله) أي الذي له الاحاطة والقدرة (لكم) أيها الامة (آياته) أي دلالته  
 (والله) أي الذي يعلم السر وأخفى (عليم) أي بأحوال خلقه (حكيم) أي فيما يدرهم قال  
 سعيد بن المسيب يستأذن الرجل على امته فأنما أنزلت هذه الآية في ذلك لئلا يحتل حذيفة أي يستأذن  
 الرجل على والدته فقال نعم ان لم تفعل رأيت منها ما تكره وعن أنس قال لما كانت صبيحة يوم  
 احتلت دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته اني قد احتلت فقال لا تدخل على النساء  
 فما أتى على يوم كان أشد منه ولما ذكر تعالى اقبال الشباب في تعيين حكم الحجاب أتبعه الحكم  
 عند ادبار الشباب في اتقاء الظاهر من الشباب بقوله تعالى (والقواعد من النساء) أي  
 اللاتي قعدن عن الولد والحيض من الكبر فلا يلدن ولا يحضن واحدهن قاعد بلاهاة وقيل  
 قعدن عن الازواج وهو معنى قوله (اللاتي لا يرجون نكاحا) أي لا يردن الرجال لكبرهن  
 قال ابن منبه سميت المرأة قاعدا اذا كبرت لانها تكثر القعود وقال ديبعة من الهجرات الواقي  
 اذا واهن الرجل استقدوهن فأما من كان فيها بقية من جمال وهي محل الشهوة فلا تدخل  
 في هذه الآية (فليس عليهن جناح) أي حرج في (أن يضعن ثيابهن) أي الظاهرة فوق الثياب  
 الساترة بحضرة الرجال كالجلباب والرداء والقناع فوق الخمار أما الخمار فلا يجوز وضعه لما  
 فيه من كشف العورة (غير متبرجات بزينة) أي من غير أن يرين بوضع الجلباب والرداء  
 اظهار زينتهن ثم ان الزينة الخفية في قوله تعالى ولا يبدن زينتهن الالبعواتهن أو غير قاصدات  
 بالوضع التبرج والتبرج هو أن تظهر المرأة محاسن ما ينبغي لها أن تستره ولما ذكر الله تعالى  
 الجائر عقبه بالمستحب به ثابته على اختيار أفضل الاعمال وأحسنها بقوله تعالى (وأن  
 يستعففن) أي فلا ياقين الرداء أو الجلباب (خير لهن) من الالتقاء كقوله تعالى وأن تعفوا أقرب  
 للتقوى وان تصدقوا لانه أبعد عن التهمة (والله) أي الذي جلت عظمته (سميع) لقولكم  
 (عليم) بما في قلوبكم واختلاف في سبب نزول قوله تعالى (ليس على الاعمى حرج) أي في مؤاكلة  
 غيره (ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) كذلك فقال ابن عباس لما أنزل الله تعالى  
 يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل تحرج المساكين عن مؤاكلة المرضى  
 والزمنى والاعمى وقالوا الطعام أفضل الاموال وقد نهى الله تعالى عن أكل المال  
 بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطعام الطيب والاعرج لا يتمكن من الجلس ولا يستطيع  
 المزاجعة على الطعام والمريض يضعف عن تناول فلا يستوفي من الطعام حقه فأمر الله تعالى  
 هذه الآية وعلى هذا تكون على بمعنى في أي ليس في الاعمى أي ليس عليكم في مؤاكلة الاعمى  
 والاعرج والمريض حرج وقال سعيد بن جبيرة والفضل وغيرهما كان العرجان والعميان  
 والمرضى يتزهون عن مؤاكلة الاحياء لان الناس يستقدرون منهم ويكرهون مؤاكلتهم وعن  
 عكرمة كانت الإنصار في أخصها ثم اذنة فكانت لا تأكل من هذا البيوت اذا استغنوا وكان



هؤلاء يقولون الاعشى رجلاً كل أكثر ورغبنا سبقت يده الى ما سبقت عين اكلية وهو لا يشهر  
 والاعرج رجلاً أخذ في مجلسه مكان اثنين فيضيق على جلسيه والمريض مخلوم ورائحة  
 تؤذي أو جرح يبيض أو نحو ذلك فترلت وقال مجاهد نزلت الآية ترخيصاً لهم في الاكل من  
 بيوت من سمى الله في هذه الآية وذلك ان هؤلاء كانوا يدخلون محل الرجل لب الطعام فاذا  
 لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم الى بيت أبيه وبيت امه وبعض من سمى الله في هذه الآية  
 فكان أهل الزمانة يتخرجون من هذا الطعام ويقولون ذهب بنا الى بيت غير نزلت الآية وقال  
 سعيد بن المسيب كان المسلمون اذا غزوا غلقوا منازلهم ويدفعون اليهم مفااتي ابوابهم ويقولون  
 قد أحلنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتخرجون من ذلك ويقولون ندخلها وهم غيب  
 فأنزل الله تعالى هذه الآية رخصة لهم وقال الحسن نزلت رخصة لهم في التخلف عن الجهاد  
 وقال تم الكلام عند قوله تعالى ولا على المريض حرج وقوله تعالى ولا على أنفسكم أن  
 تأكلوا من بيوتكم) كلام مستأنف منقطع عما قبله (فان قيل) أي تدعى اباحة أكل الانسان  
 طعامه في بيته (أجيب) بأن المراد من البيوت التي فيها أزواجكم عيالكم فيدخل فيه بيوت  
 الاولاد لان بيت ولده كبيته قال صلى الله عليه وسلم أنت وماله لا يبئك وقال صلى الله عليه وسلم  
 ان أطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه بل لما نزل قوله تعالى ولا تأكلوا  
 أموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يصل لاحد منا أن يأكل عند احدنا فنزل الله تعالى ولا على  
 أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أي لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم (أو بيوت آبائكم)  
 أي وان بعدت أنسابهم قال البقاعي ولده جمع لذلك فانهم لم يباكم وحرمتها حرمتكم (أو بيوت  
 أمهاتكم) كذلك وقدم الاب لانه أجل وهو كما بيته دليلاً والمال له (أو بيوت اخوانكم) أي  
 من الابوين أو الاب أو الام بالنسب أو الرضاع فانهم من أولي من رضى بذلك بعد الوالدين لانهم  
 منكم وهم أولياء بيوتهم (أو بيوت اخواتكم) فانهم بعدهم من اولي البيت فان كن من وجات  
 فلا بد من اذن الزوج (أو بيوت أعمامكم) فانهم شقائق آبائكم سواء كانوا أشقاء أو اب أو ام لام  
 ولو أفراد لم تتوهم انه الشقيق فقط فانه أحق بالاسم (أو بيوت عماتكم) فانهم بعد الاعمام  
 لضعفهن ولانهم ربما كان أولياء بيوتهم الاقارب (أو بيوت أخوالكم) لانهم شقائق  
 أمهاتكم (أو بيوت خالاتكم) آخرهن لما ذكر في العمات (أو ما ملكتم مفاتيحه) قال ابن  
 عباس عن ذلك وكيل الرجل وقبحة في ضيعته وما شئته لا بأس عليه أن يأكل من غرضيعته  
 ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر وملك المفاتيح كونها في يده وحفظه وقال الضحاك  
 يعني من بيوت عبديكم ومما يملككم لان السيد يملك منزل عبده والمفتاح الخزان لقوله تعالى وعنده  
 مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويجوز أن تكون الذي يفتح به وقال عكرمة اذا ملك الرجل المفتاح  
 فهو خازن فلا بأس أن يطعم الشيء اليسير وقال السدي الرجل يولى طعام غيره ويقوم عليه فلا  
 بأس أن يأكل منه وقيل أو ما ملكتم مفاتيحه ما خرتموه عندكم وقال مجاهد وقناة من بيوت  
 أنفسكم مما خرتم وملكتم (أو وصديقتكم) أي أو بيوت اصداقكم والصديق هو الذي



وإجيب وقيل تخرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الأكل وزيادة بعضهم  
 بعض \* (تنبيه) \* جميعا حال من فاعل تأكلوا وأشتا ناعطف عليه وهو جمع شئت وشيخ  
 شيت وشتان تنبئة شت روى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا نأكل كل ولا نشبع  
 فاعلمكم تأكلون متفرقين اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه وروى  
 صلى الله عليه وسلم قال كلوا جميعا ولا تفرقوا واذكروا اسم الله فان البركة مع الجماعة \* ولما  
 تعالى مواطن الأكل وكيفيته ذكر الحال التي عليها الداخلة إلى تلك المواطن أو غيرها بقوله  
 تعالى (فإذا دخلتم) أي بسبب ذلك أو غيره (بيوتا) أي من هذه البيوت (فسلموا على أنفسكم)  
 أي على أهلها الذين هم منكم ديناً وقرابة جعل أنفس المؤمنين كالنفس الواحدة كقوله تعالى  
 ولا تقتلوا أنفسكم وقال ابن عباس إذا لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا  
 السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال قتادة إذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أخوة  
 بالسلام من سلمت عليهم وإذا دخلت بيتاً لأحد فيه فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين  
 حدثنا أن الملائكة ترد عليه (تحية من عند الله) أي ثابتة بأمره مشروعة من لئله (مباركة)  
 أي لانه يرجى بها زيادة الخير والثواب (طيبة) أي تطيب بها نفس المستمع والتحية طلب سلامة  
 وحياة للمسلم عليه والحميا من عند الله ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى  
 بها من الله تعالى زيادة الخير وطيب الرزق وعن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 عشر سنين وقيل تسع سنين فما قال لي شيء فعلته لم فعلته ولا قال لي شيء تركته لم تركته وكنت  
 واقفا على رأسه أصاب الماء على يديه فرفعه رأسه فقال ألا أعلمك ثلاث خصال تنفع بها قلت بلى  
 بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال متى لقيت من أمتي أحد فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك  
 فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الأبرار والأوابين \* (تنبيه) \* تحية  
 منصوب على المصدر من معنى فسلموا فهو من باب قعدت جلوسا فكأنه قال فسلموا تحية وقال  
 القفال وإن كان في البيت أهل الذمة فليقل السلام على من اتبع الهدى وكره قوله تعالى (كذلك  
 بين الله) أي الذي أحاط علمه بكل شيء (الآيات) بالثالث المزيد التأكيد وتفضيل الأحكام  
 المختصة به وفصل الأولين عما هو المقضى لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال تعالى (لعلكم  
 تعقلون) أي عن الله أمره ونهيه وأدبه \* ولما كان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل  
 موطن يجب الإقامة فيه ويهجر ما عداه من الأوطان قال تعالى (انما المؤمنون) أي الكاملون  
 في الإيمان (الذين آمنوا بالله) أي الملك الأعلى (ورسوله) أي ظاهره وباطنه (وإذا كانوا معه)  
 أي الرسول صلى الله عليه وسلم (على أمر جامع) أي يجمعهم من حرب حضرت أو صلاة جمعة  
 أو عيد أو جماعة أو تشاور في أمر نزل ووصف الأمر بالجمع للمباغاة أو من الاستناد المجازي  
 لانه لما كان سببا في جمعهم نسب الفعل اليه مجازا (لم يذهبوا) أي تفرقوا عنه ولم ينصرفوا  
 عما جمعوا له لعذر لهم (حتى يستأذنوه) قال الكلبى كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض في  
 خطبته بالمنافقين ويعيهم فينظر المنافقون يمينا وشمالا فإذا لم يرههم أخذوا ولوا وتخرجوا

ولم يذوا وان أبصرهم أحد لبثوا وصلوا واخوفا فنزلت هذه الآية فكان المؤمن بعد نزولها  
لا يخرج لحاجة حتى يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المنافقون يخرجون بغير إذن  
فأما هذا أن أذن الامام يوم الجمعة أن يشير بيده قال أهل العلم كذلك كل أمر اجتمع عليه  
المؤمن مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا بإذن وهذا اذا لم يكن سبب يمنعه من المقام  
فلمحدث سبب يمنعه عن المقام كأن يكونوا في المسجد فخص منهم امرأة أو يجنب الرجل  
أعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستئذان • ولما كان اعتبار الاذن كالمصدق لائحة كمال  
إيمان والمميز للمخلص فيه أعاده مؤكدا على أسلوب أبلغ بقوله تعالى (ان الذين يستأذنونك)  
تَعْظِيمًا لِلَّهِ وَرِعَايَةً لِلْإِسْلَامِ (أُولَئِكَ) أَي الْعَالَوَاتِ الرَّتَبَةِ (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) أَي الَّذِي لَهُ الْأَمْرُ  
لَهُ (وَرَسُولُهُ) فَانَّهُ يُفِيدُ أَنَّ الْمُسْتَأْذِنَ مُؤْمِنًا لِحَالَةِ وَإِنْ الذَّاهِبُ بِغَيْرِ إِذْنٍ لَيْسَ كَذَلِكَ • وَلَمَّا  
سُئِلَ عَلَى الْإِسْتِئْذَانِ تَسْبِيبَ ذَلِكَ أَعْلَامَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا يَفْعَلُ إِذْ ذَاكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى  
فَإِذَا اسْتَأْذَنُوا لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ) وَهُوَ مَا تَشْتَدُّ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ (فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ) بِالْإِنْصِرَافِ  
أَيِ انْشِئْتَ فَأُذِنَ وَإِنْ شِئْتَ فَلَا تُأْذِنُ فِي ذَلِكَ تَفْوِضُ الْأَمْرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَاسْتَدْلَ بِهِ عَلَى أَنَّ بَعْضَ الْأَحْكَامِ مَفْوضٌ إِلَى رَأْيِهِ قَالَ الضَّحَّاكُ وَمَقَاتِلُ الْمُرَادِ عَرَبِيْنَ الْخَطَابِ  
وَذَلِكَ أَنَّهُ اسْتَأْذِنَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي الرَّجُوعِ إِلَى أَهْلِهِ فَأُذِنَ لَهُ وَقَالَ انْطَلِقْ فَوَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِمُخَافِقٍ  
يُرِيدُ أَنْ يَسْمَعَ الْمُنَافِقُونَ ذَلِكَ الْكَلَامَ فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ قَالُوا مَا بَالُ مُحَمَّدٍ إِذَا اسْتَأْذَنَهُ أَصْحَابُهُ أُذِنَ  
لَهُمْ وَإِذَا اسْتَأْذَنَاهُ أُنِيَ فَوَاللَّهِ مَا تَرَاهُ يَعْدِلُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ عُمَرَ اسْتَأْذَنَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ فِي الْعَمْرَةِ فَأُذِنَ لَهُ ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا حَفْصٍ لَا تَنْسَأَنَّ مِنْ صَالِحِ دَعَائِكَ وَلَمَّا كَانَ فِي الْإِسْتِئْذَانِ  
وَلَوْ أَحْذَرُ قُصُورًا لَإِنَّ فِيهِ تَقْدِيمًا لِلَّهِ عَلَى أَمْرِ الدِّينِ أَمْرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ يَسْتَغْفِرَ لَهُمْ  
بِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ) أَي الَّذِي لَهُ الْأَمْرُ كُلُّهُ بَعْدَ الْإِذْنِ لِيَكُونَ ذَلِكَ شَامِلًا لِمَنْ صَحَّتْ  
دَعْوَاهُ وَغَيْرُهُ ثُمَّ عَلَّلَ ذَلِكَ تَرْغِيبًا فِي الْإِسْتِغْفَارِ وَتَطْيِيبًا لِقُلُوبِ أَهْلِ الْأَوْزَارِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (إِنَّ اللَّهَ)  
أَي الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ (غَفُورٌ) أَي لِقُرْطَاتِ الْعِبَادِ (رَحِيمٌ) أَي بِالسُّتْرِ عَلَيْهِمْ وَلَمَّا أَظْهَرَتْ  
هَذِهِ السُّورَةُ بَعْدَ وَمَهَا هَذِهِ الْآيَاتُ بِخُصُوصِهَا مِنْ شَرَفِ الرَّسُولِ مَا أَجْرَ الْعَشُولِ صَرَحَ بِتَفْخِيمِ  
شَانِهِ وَتَعْظِيمِ مَقَامِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (لَا تَجْعَلُوا) أَي يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا (دَعَاءَ الرَّسُولِ يَنْسِكُمْ كَدَعَاءِ  
بَعْضِكُمْ بَعْضًا) قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَجَمَاعَةٌ مَعْنَاهُ لَا تَنَادُوا بِاسْمِهِ فَتَقُولُوا يَا مُحَمَّدٌ وَلَا بِكُنْيَتِهِ فَتَقُولُوا  
يَا أَبَا الْقَاسِمِ بَلْ نَادُوهُ وَنَطْبُوهُ بِالتَّوْقِيرِ فَتَقُولُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْمَصْدَرُ  
مُضَافًا لِلْمَفْعُولِ وَقَالَ الْمُرْدُ وَالْقَطَالُ لَا تَجْعَلُوا دَعَاءَهُ أَيَاكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ فَتَبْطِئُونَ مَعَهُ كَمَا  
يَبْطِئُ بَعْضُكُمْ عَنْ بَعْضٍ إِذَا دَعَاهُ لِأَمْرٍ بَلْ يَجِبُ عَلَيْكُمْ الْمُبَادَرَةُ لِأَمْرِهِ وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فَلْيَحْذَرِ  
الَّذِينَ يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْمَصْدَرُ مُضَافًا لِلْفَاعِلِ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَحْذَرُوا دَعَاءَ  
الرَّسُولِ عَلَيْكُمْ إِذَا اسْتَضْطَمُّوا فَانْ دَعَاءَهُمْ مُوجِبٌ لَيْسَ كَدَعَائِهِمْ وَرَوَى عَنْهُ أَيْضًا لَتَرْفَعُوا  
أَصْوَاتَكُمْ فِي دَعَائِهِ وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ أَنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَقَوْلِ  
الْمُرْدِ كَمَا قَالَ ابْنُ عَادِلٍ أَقْرَبُ إِلَى تَنْظِيمِ الْآيَةِ وَلَمَّا كَانَ بَعْضُهُمْ يَظْهَرُ الْمُوَافَقَةَ وَيُنْطِنُ الْخِلَافَةَ

حذر من ذلك بقوله تعالى (قد يعلم الله) أي الذي لا تخفى عليه خافية (الذين يسألون منكم) أي يسألون قليلا قليلا ليجعلوا ذهابهم في غاية الخفاء وتظير تسلل تدرج وتدخل وقوله تعالى (لو آذا) حال أي ملاوذين واللواذ والملاوذة التستر يقال لا ذفلان بكذا إذا استتر به وقال ابن عباس أي يلوذ بعضهم ببعض وذلك أن المنافقين كان يتقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة لاسيما في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد في استتار وقد للتحقيق وتبويب عن علمه تعالى قوله تعالى (فليحذر) أي يوقع الحذر (الذين يخالفون عن أمره) أي يعرضون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصرفون عنه بغير إذنه وقال أبو بكر الرازي الضمير في أمره لله لأنه يليه وقال الجلال المحلي أي الله ورسوله وكل صحيح فإن مخالفة أمر أحدهما مخالفة أمر الآخر (أن) أي لثلاث (تصيههم فتنة) قال مجاهد بلاء في الدنيا وعن ابن عباس فتنة قتل وعن عطاء زلازل وأهوال وعن جعفر بن محمد يسلط الله عليهم سلطانا جبارا (أو يصيههم عذاب أليم) أي ويجيع في الآخرة \* (تبيه) \* الآية تدل على أن الأمر للوجوب لأن تاركه الأمر مخالف للأمر ومخالف الأمر يستحق العذاب ولا معنى للوجوب إلا ذلك ولما أقام تعالى الأدلة على أنه نور السموات والأرض وختم بالخبر لكل مخالف أنتج ذلك أنه كل شيء فقال تعالى (ألا إن لله ما في السموات والأرض) خلقا وملكا وعبيدا (فإن قيل) ما فائدة ذكر عبيد بعد ملكا (أجيب) عنه انما ذكر لئلا يتوهم أن ما لما لا يعقل فقط ولما كانت أحوالهم من جملة ما هو له وانما يخلقهم قال تعالى (قد يعلم ما أنتم) أي أيها المكلفون (عليه) أي من الموافقة والمخالفة والاختلاف والتناقض وانما أكد عمله بقدرتنا كيد الوعيد وذلك أن قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها إلى معنى التأكيد في نحو قول بعضهم

فإن تمس مهجورا القضاء فرعما \* أقام به بعد الوفود وفود

ونحو قول زهير

أخي ثقة لا تم لك الخمر ماله \* ولكنه قد جيك المال نائله

والمعنى أن جميع ما في السموات والأرض مختص به تعالى فكيف يخفى عليه أحوال المنافقين وإن كانوا يجتهدون في سترها عن العيون واخفاها وقوله تعالى (ويوم) أي ويعلم يوم (يرجعون إليه) فيه التفات عن الخطاب أي متى تكون أو يوم يرجع المنافقون إليه للجزاء (فينبئهم) أي فتسبب عن ذلك أنه يخبرهم (بما عملوا) أي من الخير والشر فيجازيهم عليه (والله) أي الذي لا تخفى عليه خافية (بكل شيء) أي من أعمالهم وغيرها (عليه) عن عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تلوهن الكتاب وعلوهن الغزل وسورة النور أخرجه أبو عبد الله في البيع في صحيحه وأما قول البيضاوي تعالى الكشاف من قرأ سورة النور أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي فهو حديث موضوع

## (سورة الفرقان مكية)

الاقوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها آخرا الى رحمتي اذنى وآيه سبع وسبعون آية وعصماته واثان وسبعون كلمة وعدد حروفها ثلاثة آلاف وسبعمائة وعشرون حرفا

(بسم الله) الذي له الحجة البالغة (الرحمن) الذي عم الخلق بنعمه (الرحيم) الذي وسعت رحمته كل شئ (تبارك) قال الزجاج تفاعل من البركة وهي كثرة الخير وزيادته ومنه تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثره أو تزايد عن كل شئ وتعالى عنه في صفاته وأفعاله وعن ابن عباس كان معناه جاء فابكل برصكة وخير وقال الضحاك تبارك تعظيم ولا يستعمل الا الله تعالى ولا يتصرف فيه ثم وصف ذاته الشريفة بما يلد على ذلك بقوله تعالى (الذي نزل الفرقان) أي القرآن والفرقان مصدر فرق بين الشئين اذا فصل بينهما وسمى به القرآن لفصله بين الحق والباطل ولانه لم ينزل بجملة واحدة ولكن مفروقا مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال الا ترى قوله تعالى وقرأنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث (على عبده) أي محمد صلى الله عليه وسلم وأضافه الى نفسه اضافة تشريف وفي عود ضمير (ليكون) ثلاثة أوجه أحدها أنه يعود على الذي نزل أي ليكون الذي نزل الفرقان نذيرا الثاني أنه يعنون على الفرقان أي ليكون الفرقان نذيرا وأضاف الانذار اليه كما وأضاف الهداية اليه في قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم قال ابن عادل وهو بعد لان المنذر والنذير في صفات الفاعل الخوف ووصف القرآن به مجاز و دخل الكلام على الحقيقة أولى الثالث أنه يعود على عبده أي ليكون عبده محمد صلى الله عليه وسلم (للعالمين نذيرا) أي وبشيرا وهذا حسن الوجوه معنى وصناعة لقربه مما يعود عليه والضمير يعود على أقرب مذكور وللعالمين متعلق بنذيرا وانما قدم لاجل الفواصل ونذيرا بمعنى منذرا أي مخوف ويجوز أن يكون مصدرا بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر \* (تنبيه) \* المراد بالعالمين قال البقاعي أي المكلفين كلهم من الجن والانس والملائكة \* ولكن في ارساله للملائكة خلاف بين العلماء فقد نقل الجلال الهلي في شرحه على جمع الجوامع الاجماع على أنه لم يرسل اليهم وغيره صرح بأنه أرسل اليهم ومن حفظ حجة على من لم يحفظ (فان قيل) قوله تعالى تبارك يدل على كثرة الخير والبركة فالمدح كورعقبه لا بد وأن يكون مينا لكثرة الخير والمنافع والانداز يوجب الغم والخوف فكيف يليق ذكره بهذا الموضوع (أجيب) بأن الانذار يجري مجرى تأديب الوالد أنه (أ) كما كلما كانت المبالغة في تأديب الوالد أكثر كان رجوع الخلق الى الله تعالى أكثر وكانت السعادة الاخرية أتم وأكثر وهذا كالتنبيه على أنه لا التفات الى المنافع العاجلة لانه تعالى لما وصف نفسه أن يعطي الخيرات الكثيرة لم يذكر الامنافع الدين ولم يذكر منافع الدنيا البتة وقوله تعالى (الذي له ملك السموات والارض) اشارة الى احتياج هذه المخلوقات اليه سبحانه وتعالى حال حدوتها وانه تعالى هو المتصرف فيها كيف يشاء فلا انكار أن يرسل رسولا الى كل من فيها \* (تنبيه) \* يجوز في

(١) قوله كما انه الخ  
كذا في التسخ ولا  
يعني ما فيه والذي  
يستفاد من أطرافه  
أن يقال فالولد كلما  
بالغ والده في تأديبه  
كان رجوعه اليه  
أكثر وأتم لسعادته  
وكذلك الخلق  
كلما بالغ خالقهم  
في انذارهم كان  
رجوعهم اليه أكثر  
وأتم لسعادتهم  
الاخرية اه

الذي الرفع نعمنا للذي الاول اوريا نانا اوبدلا او خبر المبتدأ محذوف والنصب على المدح وما  
بعده يدل على أنه من تمام الجملة فليس أجنبيا فلا يضر الفصل به بين الموصول الاول والثاني اذا  
جعلنا الثاني تابعه (ولم يتخذ ولدا) أي هو الفرد ابدأ ولا يصح أن يكون غيره تعالى معبودا  
ووارثا للملك عنه وهذا رد على النصارى (ولم يكن له شريك في الملك) أي هو المنفرد بالالهية  
واذا عرف العبد ذلك انقطع رجاؤه عن ~~ك~~ كل من سواه تعالى ولم يشغل قلبه الا برحمة  
واحسانه وفيه رد على الوثنية القائلين بعبادة النجوم والارثان \* ولما تقي تعالى الشريك  
فكان قائله يقول ههنا أقوام يعترفون بنبي الشريك والشركاء والانداد ومع ذلك يقولون  
بخلق أفعال أنفسهم فرد الله تعالى عليهم بقوله (وخلق كل شيء) أي من شأنه أن يخلق ومنه  
أفعال العباد والخلق هنا بمعنى الاحداث أي احدث كل شيء احداثا مراهي فيه التقدير  
والتسوية (فقدره تقديرا) أي هياها لم يصلح له مثاله أنه خلق الانسان على هذا الشكل  
المقدر الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان  
وجاد جاء به على الجبل المستوي ليقدره وسمى احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيئا بالحكمة  
الاعلى وجه التقدير من غير تضاروت فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك احدث وأوجد  
من غير نظر الى وجه الاشتقاق فكأنه قيل وأوجد كل شيء فقدره تقديرا في ايجاد ولم يوجد  
متقاوتها ولو جعل خلق كل شيء على معناه الاصل من التقدير لصار الكلام وقد ذكر كل شيء فقدره  
فلم يصرفه كبر فائدة وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء الى امد معلوم واختلف في  
عود الضمير في قوله تعالى (واتخذوا من دونه) أي الله تعالى أي غيره (آلهة) على ثلاثة  
أوجه أحدها أنه يعود على الكفار الذين تضمنهم لفظ العالمين ثانياً أنه يعود على من ادعى  
لله شريكاً وولد الدلالة قوله تعالى ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ثالثاً انه يعود على  
المنذرين لدلالة نذير اعليهم \* ولما وصف نفسه سبحانه وتعالى بصفات الجلال والعزة  
والعلو وأردفه بتزييف مذهب من يعبد غيره من وجوه منها أنها ليست خالقة للاشياء بقوله تعالى  
(لا يخفون شيئاً) والاله يجب أن يكون قادراً على الخلق والايجاد ومنها أنها مخلوقة بقوله تعالى  
(وهم مخلوقون) والمخلوق محتاج والاله يجب أن يكون غنياً وغلب العقلاء على غيرهم لان  
الكفار كانوا يعبدون العقلاء كعزير والمسيح والملائكة وغيرهم كالكواكب والاصنام  
التي يفتنونها ويصورونها ومنها أنها لا تمك لا تنفسها ضراً ولا نفعاً بقوله تعالى (ولا يملكون)  
أي لا يستطيعون (لا تنفسهم ضراً) أي دفعه (ولا نفعاً) أي جلبه ومن كان كذلك فليس باله ومنها  
انها لا تقدر على موت ولا حياة ولا نشور بقوله تعالى (ولا يملكون موتاً ولا حياة) أي امانة  
لاحد واحياً لاحد (ولانشورا) أي بعن اللاموات فيجب أن يكون المعبود قادراً على ايصال  
الثواب الى المطيعين والعقاب الى العصاة فمن لا يكون كذلك فيجب أن لا يصلح للالهية \* (تنبيه) \*  
احتج أهل السنة بقوله تعالى لا يخلقون شيئاً على ان فعل العبد مخلوق لله تعالى لانه تعالى عاب  
هؤلاء الكفار من حيث عبدوا ما لا يخلق شيئاً وذلك لتبديل على أن من خلق يستحق أن يعبد

فلو كان الصمد خالقاً لكان معبوداً الهاه \* ولما تكلم تعالى أولاً على التوحيد وثباتاً في الرد على  
 عبدة غيره تكلم ثالثاً في مسئلة النبوة وحكى شبه الكفار في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم  
 في الشبهة الاولى قوله تعالى (وقال الذين كفروا) أي مظهر والوصف الذي جلهم على هذا القول  
 وهو ستر ما ظهر لهم وغيرهم كالشمس والاجتهاد في اخفائه (ان) أي ما (هذا) أي القرآن  
 (الاول) أي كذب حصروف عن وجهه (افتراه) اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم (وأعانه  
 عليه) أي القرآن (قوم آخرون) أي من غير قومه وهم اليهود فانهم يلقون اليه أخبار الامم  
 وهو يعبر عنها بعبارته وقيل عداس مولى خويط بن عبد العزى ويساره مولى العلاء بن  
 الحضرمي وأبو فكيمة الرومي كانوا بمكة من أهل الكتاب فزعم المشركون أن محمداً يأخذ منهم  
 فرداً لله تعالى عليهم بقوله تعالى (فقد جاؤا) أي قاتلوه هذه المقالة (ظلمنا) وهو جعل الكلام  
 المعجز افكاً محتقماً متفقاً من اليهود وجعلوا العربي يتلقن من الجهي الرومي كلاماً عربياً أعجز  
 بفصاحته جميع فصحاء العرب (وزورا) أي بهتوه بنسبة ما هو بريء منه اليه وقرأ ابن كثير  
 وابن ذكوان وعاصم باظهار الدال والساقيون بالادغام \* (تجهيه) \* جاء وأتى يستعملان في معنى  
 فعل فيعديان تعديته وظلما مفعول به وقيل انه على اسقاط الخافض أي جاؤا وظلم \* الشبهة الثانية  
 قوله تعالى (وقالوا أساطير الاولين) أي ماسطره الاولون من أكاذيبهم جمع أسطورة بالضم  
 كأحدثة أو أسطار (اكتتبها) أي تطلب كتابتها من ذلك القوم وأخذها والمعنى ان هذا القرآن  
 ليس من الله تعالى انما هو ماسطره الاولون الاول ككأ حاد يث رسم واسقنديار استنسخها  
 محمد من أهل الكتاب (فهى) أي فتسبب عن ذلك أنها (على عليه) أي تقرأ عليه ليحفظها  
 (بكرة) قبل أن تنتشر الناس (وأصيلاً) أي عشياً حين يأوون الى مساكنهم أو دأماً لئلا يتكلف  
 حفظها بالانتساخ لانه أتمى لا يقدر أن يكسر من الكتاب أو ليكتب وهذا كما ترى لا يقوله  
 من لمسكة في عقل أو مرواة كيف وهو يدعوهم الى المعارضة ولو بسورة من مثله وفيهم  
 الكتاب والشعراء والبلغاء والخطباء وهم أكثر منه مالا وأعظم أعوانا ولا يقدررون على شيء  
 منه (فان قيل) كيف قيل اكتبها فهى على عليه وانما يقال أمليت عليه فهو يكتبها (أجيب)  
 بوجهين أحدهما أراد اكتبها او طلبه فهى على عليه الثاني انها كتبت له وهو أتمى فهى  
 على أي تلقى عليه من كتاب ليحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب  
 وقرأ فهى فالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقيون بكسرها ثم أمره الله تعالى  
 بجوابهم بقوله تعالى (قل) أي ذا العلى بطلان ما قالوه ومهدد اللهم (أنزله الذي يعلم السر)  
 أي الغيب (في السموات والارض) لانه أعجزكم عن آخركم بفصاحته وتفضله أخبارا عن  
 مغيبات مستقبله وأشياء مكنونه لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف يجعلونه أساطير الاولين مع  
 هلكنم أن ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرأته مما يهتونه  
 وهو يجازيكم على ما علم منكم وعلم منه (فان قيل) كيف يطابق هذا قوله تعالى (انه كان) أي أنزل  
 وأبدا (غفوراً رحيماً) أجيب بأننا كلنا ما يقتضيه في معنى الوعيد عقبه ما يدل على القدوة



عليه لانه لا يوصف بالرحمة والمغفرة الا القادر على العقوبة وهو تقيسه على انهم استوجبوا  
بمكابرتهم هذه أن يصب عليهم العذاب صبا ولو كان صرف ذلك عنهم لانه غفور رحيم يهمل  
ولا يعاجل. الشبهة الثالثة قوله تعالى (وقالوا مال هذا الرسول) أي مال هذا الذي يزعم الرسالة  
وفيه استهانة وتهكم وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخريه منهم كأنهم قالوا مال هذا الزاعم أنه  
رسول ونحوه قول فرعون أن رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون أي ان أصح انه رسول الله  
فما به حاله مثل حالنا (يا كل الطعام) أي كما نأكله (ويحشى) أي ويتردد (في الاسواق) اطلب  
المعاش كما يحشى فلا يجوز أن يمتاز عن النبوة يعنون انه يجب أن يكون ملكا مستغنيا عن  
الاكل والشرب والتعيش وكذلك كانوا يقولون له لست انت بملك لانك تأكل الطعام والملك  
لا يأكل ولان الملك لا يتسوق وأنت تتسوق وما قالوه فاسد لان أكله الطعام لكونه آدميا  
ومشيه في الاسواق لتواضعه وكان ذلك صفة في التوراة ولم يكن سخا في الاسواق وليس شيء  
من ذلك ينافي النبوة ولانه لم يدع أنه ملك من الملوك ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكا إلى  
اقتراح أن يكون انسانا معه ملك حتى يسانده في الانذار والتخويف فقالوا (لولا) أي هلا (أنزل  
اليه ملك) أي يصدق به ويشهد له (فيكون معه نذيرا) أي داعيا ثم نزلوا أيضا إلى أنه لم يكن مر فودا  
بملك فليكن مر فودا بكثر فقالوا (أو يلقى اليه كثر) أي ينزل عليه كثر من السماء يتفق فلا يحتاج  
إلى المشي في الاسواق لطلب المعاش ثم نزلوا فافتنعوا بان يكون رجلا له بستان فقالوا (أو تكون  
له جنة) أي بستان (يا كل منها) أي ان لم يلق اليه كثر فلا أقل أن يكون له بستان كاللياسير  
فيتعيش بريعه وقرأ حزة والكسائي بالتون أن نأكل نحن منها فيكون له مزية علينا بها  
والباقون بالياء وقوله تعالى (وقال الظالمون) وضع فيه الظاهر موضع المضمر اذا الاصل وقالوا  
تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا (ان) أي ما (تتبعون الارجال مسجورا) أي مخدوعا مغلوبا على  
عقله وقيل مصر وقاعن الحق ولما أنهى تعالى ما ذكر من أقوالهم الناشئة عن ضلالهم التفت  
سبحانه وتعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم مسابله بقوله تعالى (انظر) أي يا أفضل الخلق  
(كيف ضربوا لك الامثال) أي بالمسجور والمحتاج إلى ما يتفقه وإلى ملك يقوم معه بالامر  
(فضلوا) أي بذلك عن جميع طرق الهدى (فلا يستطيعون) أي في الحال ولا في المال بسبب  
الضلال (سيلا) أي سلوا سبيل من السبل الموصلة إلى ما يستحق أن يقصد بل هم في مجاهل  
موحشة وفيها في مهلكة. ولما أثبت انهم لا علم لهم ولا قدرة ولا يمن ولا بركة أثبت لنفسه سبحانه  
وتعالى ما يستحق من الكمال الذي يفيض به على من يشاء من عباده ما يشاء بقوله تعالى (تبارك)  
أي ثبت ثباتا مقترنا باليمن والبركة لا ثبات الا هو (الذي ان شاء) فانه لا مكر له (جعل لك) أي  
في الدنيا (خيرا من ذلك) أي من الذي قالوه على طريق التكلم من الكثر والبستان وقوله تعالى  
(جنات) بدل من خيرا ويجوز أن يكون منه وبياضها راعي ثم وصفها بقوله تعالى (تجري من  
تحته الانهار) أي تكون أرضها عيونا تابعة أي في أي موضع أريد منه اجراءه تجري فهي

لاتزال رباتني صاحبها عن كل حاجة ولا تحوجه في استمرارها الى سقي (ويجعل لك قصورا) أيضا  
وهي جمع قصر وهو المسكن الرفيع قال المفسرون القصور هي البيوت المشيدة والعرب تسمى  
كل بيت مشيد قصرا ويحتمل أن يكون لكل جنة قصر فيكون مسكنا ومنزها ويجوز أن تكون  
القصور مجموعة والجنات مجموعة وقال مجاهد ان شاء جعل جنات في الآخرة وقصورا في  
الدنيا ولم يشأ الله سبحانه وتعالى ما أشار إليه في هذه الآية الشريفة في هذه الدنيا القانية وأخره  
الى الآخرة الباقية وقد عرض عليه سبحانه وتعالى ما شاء في ذلك في الدنيا فأباه روى أنه عليه  
الصلاة والسلام قال عرض علي ربي لي جعل لي بطعام مكة ذهبا فقلت لا يارب ولكن أشبع  
يوما وأجوع يوما أو قال ثلاثا ونحو هذا فإذا جعت تضرعت اليك وإذا شبعت حمدتك  
وشكركت وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت  
لسارت معي جبال مكة ذهبا جاني ملك فقال ان ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك ان شئت  
بجبا عبدا وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل عليه السلام فأشارا لي أن ضع نفسك فقلت نبيا  
عبدا قالت وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأكل متكئا ويقول آكل كفايا كل  
العبد وأجلس كما يجلس العبد وعن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس  
وجبريل عليه السلام معه فقال جبريل عليه السلام هذا ملك قد نزل من السماء استأذن  
ربه في زيارتك فلم يلبث الا قليلا حتى جاء الملك وسلم علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال  
ان الله يخبرك أن يعطيك مفضايح كل شيء لم يعطه أحد اقبلك ولا يعطيه أحد ابعذك من غير  
أن يتصلك مما أذل الشيا فقتال صلى الله عليه وسلم بل يجمعها في الآخرة فنزل تبارك الذي  
ان شاء الآية وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة برفع اللام من يجعل وفيه وجهان  
أحدهما أنا مستأنف والثاني أنه معطوف على جواب الشرط لان الشرط اذا وقع ما ضيا جاز  
في جوابه الجزم والرفع كقوله

وان أتاه خليل يوم مسئلة • يقول لا غائب مالي ولا حرم

والباقون بالجزم ويجوز في يحصل لك اذا دغمت أن تكون اللام في تقدير الجزم والرفع • ثم  
أضرب سبحانه وتعالى عن كلامهم في حق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (بل) أي  
لا يظنوا أنهم كذبوا بما جنت به لانهم لا يعتقدون فيك كذبا بل (كذبوا بالساعة) أي القيامة  
فقصرت أنظارهم على الحطام الدنيوي وظنوا أن الكرامة انما هي بالمال فلا يرجون ثوابا ولا  
عقابا فلا يتكلفون النظر والفكر ولهذا الآية تشعرون بما يورد عليهم من الدلائل (وأعدنا) أي  
والحال انا أعدنا أي هيا بنا بما لنا من العظمة (لمن كذب) من هؤلاء وغيرهم (بالساعة سعيرا) أي  
نارا شديدة الاتقاد بما أعظموا الحريق في قلوب من كذبهم من الانبياء وأتباعهم وعن الحسن  
أن السعير اسم من أسماء جهنم • (تنبيه) • احتج أهل السنة على أن الجنة مخلوقة بقوله تعالى  
أعدت للمتقين وعلى أن النار هي دار العقاب مخلوقة بهذه الآية (إذا رأيتهم من مكان بعيد)  
وهو أقصى ما تمكن رؤيته منه وقال الكلبي والسدي من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة

روى أنه صلى الله عليه وسلم قال من كذب على متعمدا فليتبوأ بعيني جهنم مقعدا قالوا وهل  
 لها من عيين قال نعم ألم تسمع قوله تعالى إذا رأيتهم من بعد وقال البيضاوى تبعاً  
 للزمخشري إذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه الصلاة والسلام لا تراءى نارا هما أى لا تتقاربان  
 بحيث تكون احدهما بمرأى من الاخرى على الجواز انتهى وهذا تأويل للمعتزلة بناءً منهم على  
 أن الرؤية مشروطة بالحياة بخلاف الاشاعرة فانهم يجوزون رؤيتها حقيقة كتغيبها وزفيرها  
 في قوله تعالى (سمعوا لها تغيظاً) أى غلبانا كالغضب ان ادخل على صدره من الغضب (وزفيراً) أى  
 صوتاً شديداً اذا امتناع من أنها تكون رائية مغتاطة زافرة وأشار البيضاوى الى ذلك بعد  
 ما ذكر بقوله هذا وان الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبينة أمكن أن يخلق الله فيها حياة  
 قترى وتغيظ وتزفر وقال الجلال المحلى وسماع التغيظ رؤيته وعلمه انتهى قال عبد الله بن عمر  
 تزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا خر لوجهه وقيل اذا رأيتهم  
 زبانيتم تغيظوا وزفروا غضباً على الكفار للاقتحام منهم فنسب اليها على حذف مضاف (واذا  
 القوا) أى طرحوا طرح اهانة (منها) أى النار (مكائناً) ثم وصفه تعالى بقوله تعالى (ضيقاً)  
 زيادة في فظاعتها قال ابن عباس يضيق عليهم كما يضيق الزج في الريح (مقرنين) أى مصفدين  
 زيادة قد قرنت أيديهم الى أعناقهم من الأغلال وقد قيل الكرب مع الضيق كما أن الروح  
 مع السعة ولذلك وصف الله تعالى الجنة بان عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان  
 لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا واقدم جمع الله تعالى على أهل النار أنواع الضيق  
 والارهاق حيث ألقاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصاً كما مر عن ابن عباس أنه يضيق  
 عليهم كما يضيق الزج في الريح وهو منقول أيضاً عن ابن عمر وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن  
 ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم يستكروهون في النار كما يستكروه الوند في الحائط وهم مع ذلك  
 الضيق مسلطون مقرنون في السلاسل قرنت أيديهم الى أعناقهم ويقرن مع كل كافر شيطانه  
 في سلاسله في أرجلهم \* (تنبيه) \* مكاناً منصوب على الظرف ومنها في محل نصب على الحال  
 من مكاناً لانه في الاصل صفة له ومقرنين حال من مفعول ألقوا وقرأ ابن كثير ضيقاً بكون  
 الباء والباقون \* كسر الباء مشددة (دعوا هنالك) أى في ذلك المكان البغيض البعيد  
 عن الرفق (ثبورا) قال ابن عباس ويلا وقال الضمالة هلا كما يقولون واثبورا هذا حينك  
 وزمانك لانه لا مناد لهم غيره وليس يحضراً احد منهم سواء قال البغوي وفي الحديث ان أول  
 من يكسى حلة من النار بليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه  
 وهو يقول يا ثبورا وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فيقال لهمم (لا تدعوا اليوم)  
 أى أيها الكفار (ثبورا واحداً) لانكم لا تموتون اذا حلت بكم أسباب العذاب والهلاك  
 (وادعوا ثبورا كثيراً) أى هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة وادعوا أدعية كثيرة  
 وقال الكلبي نزل هذا كله في أبي جهل والكفار الذين ذكروا تلك الشبه \* ولما وصف تعالى

العقاب المعتد للمكذبين بالساعة اتبعه بما يؤكدا الحسرة والندامة بقوله تعالى (قل) أي لهؤلاء  
 البعداء البغضاء (أذلت) أي المذكور من الوعيد وصفة النار (خير أم جنة الخلد) أي الإقامة  
 الدائمة (التي وعد المتقون) أي وعدها الله تعالى لهم فالراجع إلى الموصوف وهو هاهنا وعدها  
 محذوف (فان قيل) كيف يقال العذاب خيراً أم جنة الخلد وهل يجوز أن يقول القائل السكر  
 أحلى أم الصبر (أجيب) بأنه يحسن في معرض التقرير كما إذا أعطى السيد عبده مالا  
 فتردد وأبى واستكبر فضر به ويقول له هذا خير أم ذلك قال أبو مسلم جنة الخلد هي التي لا يتقطع  
 نعيمها والخلد والخلود سواء كالشكر والشكور قال تعالى لا تريد منكم جزاء ولا شكورا  
 (فان قيل) الجنة اسم لدار الخلد فأى فائدة في قوله تعالى جنة الخلد (أجيب) بأن الإضافة  
 قد تكون للتمييز وقد تكون لبيان صفة الكمال كقوله تعالى هو الله الخالق البارئ وهذا من هذا  
 البيان أو للتمييز عن جنات الدنيا ثم حقق تعالى أمرها تأكيدياً بالبشارة بقوله (كانت لهم جزاء)  
 أي ثواباً على أعمالهم بفضل الله تعالى وكرمه (ومصيراً) أي مرجعاً (فان قيل) إن الجنة مستصير  
 للمتقين جزاء ومصير الكفرة بعد ما صارت كذلك فلم قال تعالى كانت (أجيب) من وجهين  
 الأول أن ما وعده الله تعالى فهو في حقيقة كالأواقع الثاني أنه كان مكتوباً في النوح المحفوظ  
 قبل أن يخلقهم الله تعالى بأزمته متطاوله إن الجنة جزاؤهم ومصيرهم (فان قيل) لم جمع تعالى  
 بين الجزاء والمصير (أجيب) بأن ذلك كقوله تعالى نعم الثواب وحسنت مرتبة فإذ فتح الثواب  
 ومكانه كما قال تعالى بشئ الشراب وساءت مرتبة فإذ قدم العقاب ومكانه لأن النعيم لا يتم للمتعم  
 الا بطيب المكان وسعته وواقته والمراد للشهوة والاتقص وكذلك العقاب يتضاعف  
 بغثائه الموضع وضيقه وظلمته فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء \* (تبيه) \* المتقى يشمل من  
 اتقى الكفر وان لم يتق المعاصي وان كان غيره أكمل \* ثم ذكر تعالى نعمهم فيها بعد أن ذكر  
 نعيمهم بقوله تعالى (لهم فيها) أي الجنة (ما يشاؤون) من كل ما تشتهيه أنفسهم كما قال تعالى  
 ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم وفيها ما تشتهى الأنفس (فان قيل) أهل الدرجات النازلة إذا  
 شاهدوا الدرجات العالية لا بد وأن يريدوها فإذا سألوها ربهم فإن أعطاهم لم يتق بين الناقص  
 والكامل تفاوت في الدرجة وان لم يعطها لهم قدح ذلك في قوله تعالى لهم فيها ما يشاؤون (أجيب)  
 بأن الله تعالى يزيل هذا الخاطر عن كلوب أهل الجنة ويشغلون بجماعهم فيه من اللذات عن  
 الالتفات إلى حال غيرهم وقوله تعالى (خالدين) منصوب على الحال إما من فاعل يشاؤون وإما  
 من فاعل لهم لوقوعه خيراً والمانع على ما محذوف أي لهم فيها الذي يشاؤون حال كونهم  
 خالدين وقوله تعالى (كان على ربك) أي وعدهم ما ذكر (وعداً) يدل على أن الجنة جعلت لهم  
 بحكم الوعد والتفضل لا بحكم الاستحقاق وقوله تعالى (مسؤولاً) أي مطلوباً باختلاف في السائل  
 فالأكثر على أن المؤمنين سألوهم في الدنيا حين قالوا ربنا وأنتا ما وعدتنا على رسلك روى أنه  
 صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من يدعو بدعوة ليس فيها ثم ولا قطعة رحم إلا أعطاهم بها  
 إحدى ثلاث إما أن يجعل له دعوته وإما أن يدخرها له في الآخرة وإما أن يصرف عنه من

السوء مثلها قالوا اذ انكسر قال الله تعالى **أكثر** وروى أنه يدعى بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه الله تعالى بين يديه فيقول عبدى فيقول نعم يا رب فيقول انى امرتك أن تدعونى ووعدتك أن أستجيب لك فهل كنت تدعونى اما انك لم تدعنى بدعوة الاستجيب لك أليس دعوتنى يوم كذا وكذا التم نزل بك ان أفرج عنك فقربت عنك فيقول نعم يا رب فيقول انى عملتها لك فى الدنيا ودعوتنى يوم كذا وكذا التم نزل بك ان أفرج عنك فلم تفرج قال نعم يا رب فيقول انى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا ودعوتنى فى حاجة أقضيتها لك فى يوم كذا وكذا فقضيتها فيقول نعم يا رب فيقول انى عملتها لك فى الدنيا ودعوتنى يوم كذا وكذا فى حاجة أقضيتها لك فلم تر قضاءها فيقول نعم يا رب فيقول انى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يدع الله دعوة دعاه عبده المؤمن الا يبذل له اما أن يكون يعمل له فى الدنيا واما أن يكون ادخر له فى الآخرة فيقول المؤمن فى هذا المقام باليتيم لم يكن يعمل له شئ من دعائه وروى لا تعجلوا فى الدعاء فانه لا يهلك مع الدعاء أحد وروى ادعوا لله وأنتم موقنون بالاجابة وروى يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لى وروى لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم أو قطعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت فلم يستجب لى فيستحسر أى عىل عند ذلك ويدع الدعاء فليدع الانسان وهو موقن بالاجابة وقال محمد بن كعب القرظى الطلب من الملائكة للمؤمنين سألو اربهم للمؤمنين بقولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم وقيل ان المكلفين سألوها بلسان الحال لانهم لما تحموا المشقة الشديدة فى طاعة الله كان ذلك قائما لمقام السؤال قال المتنبى

وفى النفس حاجات وفيك فطانة \* سكوتى كلام عندها وخطاب

\* ولما ذكر تعالى حالهم فى نفسهم أتبعه ذكر حالهم مع معبوداتهم من دونه بقوله تعالى (ويوم) أى واذا كرلهم يوم (فحشرهم) أى المشركين وقرأ ابن كثير وحفص بالياء والباقون بالتون واختلف فى المراد بقوله تعالى (وما يعبدون من دون الله) أى غيره فقال الاكثرون من الملائكة والجن والمسبح وعزير وغيرهم وقال عكرمة والضحاك والكلبى من الاصنام فقيل لهم كيف يخاطب الله تعالى الجاد بقوله تعالى (فيقول أنتم أضللتم عبادى هؤلاء) أى أوقعوهم فى الضلال بأمركم اياهم بعبادتكم (أم هم ضلوا السبيل) أى طريق الحق بأنفسهم فأجابوا بوجهين أحدهما انه تعالى يخلق الحياة فيها ويخاطبها فانهما أن يكون ذلك بالكلام النفسانى لا بالقول اللسانى بل بلسان الحال كما ذكره بعضهم فى تسيح الجاد وكلام الايدى والارجل ويجوز أن يكون السؤال عامالهم جميعا (فان قيل) كيف صح استعمال ما فى العقلاء (أجيب) على الاقل بأنه أريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم الاتراك تقول اذا أردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعنى أطويل أم قصر فقيه أم طيب وقال تعالى والسماء وما بناها ولا أنتم عابدون ما أعبد وأما على القول الثانى فواضح وأما على القول الثالث فغلب غير العاقل

لغلبة عبادته أو تحقيرا (فان قيل) ما فائدة هذا السؤال مع ان الله تعالى كان عالما في الازل بحال  
 المسؤل عنه (أجيب) بأن هذا سؤال تقرير للمشركين كما قال لعيسى عليه السلام أنت قلت  
 للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وقرأ ابن عامر فتنقول بالنون والباقون بالياء وقرأ  
 أنتم نافع وابن كثير بتسهيل الثانية وادخال ألف بينها وبين همزة الاستفهام وورش وابن  
 كثير بتسهيل الثانية ولا ألف بينهما وبين الأولى ولورش وجه آخر وهو ابدال الثانية ألفا  
 وهشام بتسهيل الثانية وتحقيقهما مع الادخال والباقون بتحقيقهما وقرأ هؤلاء أم هم نافع وابن  
 كثير وأبو عمرو في الوصل بابدال الهمزة من أم يا خالصة والباقون بتحقيقهما (قالوا سبحانك)  
 أي تنزيها لك عما يليق بك أو تعجبا مما قبل لهم لانهم اقاموا لك أو أنبياء معصومون فما  
 أبعدهم عن الضلال الذي هو محض بالبدن ووجه وده أو جمادات وهي لا تقدر على شيء أو اشعارا  
 بأنهم الموسومون بتسيبته وتوجيهه فكيف يليق بهم اضلال عبيده (ما كان ينبغي) أي يستقيم  
 (لنا أن نتخذ) أي نتكلف أن نأخذ باختيارنا بغير ارادة منك (من دونك) أي غيرك (من أولياء)  
 لاصحة أو لعدم القدرة فكيف يستقيم لنا أن نأمر بعبادتنا (فان قيل) ما فائدة أنتم وهم وهلاك  
 أو ضلالهم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل (أجيب) بأن السؤال ليس عن الفعل ووجوده لانه لولا  
 وجوده لما توجه هذا العتاب وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وإيلائه صرف الاستفهام  
 حتى يعلم أنه المسؤل عنه (تنبيه) \* من أولياء مفعول أول ومن زائدة لتأكيد النفي وما قبله  
 المفعول الثاني ولما تضمن كلامهم انالهم نضلهم ولم يفعله هم على الضلال حسن الاستدراك  
 بقولهم (ولكن متعتهم وآباءهم) وهو أن ذكر واسبه أي أنعت عليهم وعلى آباؤهم من قبلهم بأنواع  
 النعم والصحة وطول العمر في الدنيا فجعلوا ذلك ذريعة الى ضلالهم عكس القضية (حقنوا  
 الذكرك) أي تركوا الايمان بالقرآن وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه (وكانوا) أي في علمك  
 بما قضيت عليهم في الازل (قوما بورا) أي هلكي وهو مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه الواحد  
 والجمع أو جمع ياتر كعائد وعوذ وقوله (فقد كذبكم) فيه التفات الى العبد بالاحتجاج والالزام  
 على حذف القول والمعنى فقد كذب المعبودون العابدين (بما) أي بسبب ما (تقولون) أي أيها  
 العابدون من أنهم يستحقون العبادة وأنهم يشفعون لكم وأنهم أضلوكم ولما نسب عن  
 تخليهم عن عبادتهم أنه لا نفع في أيديهم ولا ضرر قال تعالى (فما يستطيعون) أي المعبودون  
 (صرفا) أي لشيء من الاشياء عن أحد من الناس لأنهم ولا غيركم من عذاب ولا غير وجه حيلة  
 ولا شفاعة ولا معاداة (ولانصرا) أي منعالكم من الله تعالى ان أراد بكم سوا وهذا نحو قوله  
 تعالى لا يمكن كون كشف الضر عنكم ولا تحويله ولا وقرا - فمن بالتاء على الخطاب والباقون بالياء  
 على الغيبة (ومن يظلم) أي بالشرك (منكم) أي أيها المكلفون (تذقه) أي بما التانم العظيمة  
 (عذابا كبيرا) أي شديدا في الدنيا بالقتل أو الاسر أو ضرب الجزية وفي الآخرة بتأرجحهم • روى  
 الضمالي عن ابن عباس أنه قال لما عبر المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولهم  
 ما لهذا الرسول الى آخرها أنزل الله تعالى (وما أرسلنا قبلك) أي يا أشرف الخلق أحدا (من)

المرسلين الا) وحالهم (انهم ليا كاون الطعام) كاتا كل ويا كل غيرك من الادميين) ويمشون  
 في الاسواق) كما تفعل فهم - هذه عادة مستقرة من الله تعالى في كل رسله وهم يعلمون ذلك بالسمع  
 من اخبارهم وهذا تاكيد من الله تعالى لانهم لا يكذبونه صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الآية  
 وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا قد قيل لهم مثل هذا انهم يا كاون الطعام ويمشون في الاسواق  
 كما قال تعالى في موضع آخر ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك (وجعلنا) أي بالعطاء والمنع  
 بما لنا من العظمة (بعضكم) أي أيها الناس (لبعض قننة) أي بليمة والمعنى أنه تعالى ابتلى المرسلين  
 بالمرسل اليهم وبما صبتهم والعداوة لهم وأما ويلهم الخارجة عن حد الانصاف وبمعل الغنى  
 قننة للفقير والصحيح قننة للمريض والشريف قننة للوضع يقول الثاني من كل مالى لا أكون  
 كالاول وقال ابن عباس جعلت بعضكم بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون  
 من خلافهم فتتبعوا الهدى أم لا وقال مقاتل نزلت هذه الآية في أبي جهل والوليد بن عتبة  
 والعاصي بن وائل والنضر بن الحرث وذلك أنهم رأوا الباذروا بن مسعود وعمارا وبلالا وصهيبا  
 وعامرا بن فهيرة ومن دونهم قد أسلوا قبلهم فقالوا أنسلم ونكون مثل هؤلاء وقيل جعلنا القننة  
 لهم لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز ووجنات لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدينا فتكون  
 مزوجة بالدنيا وانما به تنال فقيرا تكون طاعة من يطيعك خاصة لوجه الله من غير طمع دينوى  
 وقوله تعالى (أتصبرون) أي على ما تسمعون مما ابتليتم به استفهام بمعنى الامر أي اصبروا (وكان  
 ربك) أي المحسن اليك احسانا لم يحده الى أحد سواك لاسيما يجعلك نبيا عبدا (بصيرا) أي بكل  
 شئ فهو عالم بالانسان قبل الامتحان لم يفده ذلك علم لم يكن عنده ولكن يعلم ذلك شهادة كما يعلم  
 علم الغيب ولتقوم عليهم بذلك الحجية فلا يضيقت صدرك ولا تستفتنك آفا ويلهم فان صبرك عليها  
 سعادتك وفوزك في الدارين روى أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر أحدكم من فضل عليه في  
 المال والجسم قلينة نظر الى من هو دونه في المال والجسم وروى انظروا الى من هو أسفل منكم ولا  
 تنظروا الى من هو فوقكم حذر أن تزدروا نعمة الله عليكم \* الشبهة الرابعة لمنكري نبوة محمد صلى  
 الله عليه وسلم قوله تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يخافون البعث قال القراء الربا  
 بمعنى الخوف لغة تهامة ومنه قوله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا أي لا تخافون لله عظمة  
 (لولا) أي هلا ولم لا (أنزل) أي على أي وجه كان من أي منزل كان (علينا الملائكة) كما نزلت  
 عليه فيما يزعم وكانوا رسلا الينا وأفتخبرنا بصدقه (أوترى ربنا) بما جعلنا من الاحسان وبما لنا  
 نحن من العظمة بالقوة بالاموال وغيرها فبأمرنا من غير حاجة الى واسطة قال الله ردا  
 عليهم (لقد استكبروا) أي تعظموا (في) شأن (أنفسهم) أي أظهروا الاستكبار عن الحق  
 وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال تعالى ان في صدورهم الاكبر ما هم بيالغيه  
 (وعتوا) أي تجاوزوا الحد في الظلم (عتوا كبيرا) أي بالغا أقصى مراتب حيث عاينوا المهجزات  
 الظاهرة فأعرضوا عنها واقترحوا الانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامع النفوس القدسية  
 واللام جواب قسم محذوف وفي غوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير ان يفتخروا به

أن المعنى ما أشد استكبارهم وما أكبر عقوبتهم \* ثم بين تعالى لهم حالهم عند بعض ما طلبوا بقوله  
 تعالى (يوم يرون الملائكة) أي يوم القيامة وقال ابن عباس عند الموت (لا بشيء) أي من البشر  
 أصلا (يومئذ) وقوله تعالى (للمجرمين) أي الكافرين أما ظاهر في موضع ضمير وأما لأنه عام  
 فقد تناولهم بعمومه بخلاف المؤمنين فلهم البشري بالجنة \* (تنبيه) \* في نصب يوم أو وجه  
 أحدهما أنه منصوب باضمار فعل يدل عليه قوله تعالى لا بشيء أي ينعون البشري يوم يرون  
 الثاني إذا ذكر فيكون مفعولا به الثالث يهذبون مقدرًا ولا يجوز أن يعمل فيه نفس البشري  
 لوجهين أحدهما أنها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله والثاني أنها منضمة بلا وما بعد لا يعمل  
 فيما قبلها وقوله (ويقولون) أي في ذلك الوقت (حجر المحجور) عطف على المدلول ويقول الكفرة  
 لهم حينئذ هذه الكلمة استعانة وطلب من الله تعالى أن يمنع لقاء الملائكة عنهم مع أنهم كانوا  
 يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم إذا رأواهم عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم  
 وقرعوا منهم لأنهم لا يلقونهم إلا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو  
 والشدّة النازلة أو نحو ذلك حجر المحجور يضعونها موضع الاستعانة فهم يقولون ذلك إذا عابوا  
 الملائكة قال سيديو به يقول الرجل للرجل تفعل كذا وكذا فيقول حجر أو هي من حجره إذا منعه  
 لأن المستعبد طالب من الله أن يمنع المكروه عنه فلا يلحقه وكان المعنى أسأل الله أن يمنع ذلك  
 منعا ويحجره حجرا وقال ابن عباس تقول الملائكة حراما محترما أن يدخل الجنة الأمن قال  
 لا إله إلا الله وقيل إذا خرج الكفار من قبورهم تقول الملائكة لهم حرام محرم عليكم  
 أن تكون لكم البشري \* ولما كان المريد لا يبطال شيء لشدّة كراهته لا يقنع في إبطاله بغيره بل  
 يأتيه بنفسه فيبطله عبر تعالى بقوله (وقدمنا) أي وعمدنا بما لنا من العظمة والقدرة الباهرة في  
 ذلك اليوم الذي يرون فيه الملائكة سواء كان في الدنيا أم في الآخرة (إلى ما عملوا من عمل)  
 أي من مكارم الأخلاق من الجود وصله الرحم وإغاثة الملهوف ونحو ذلك (لجفناهم) أي كونه  
 لم يؤسس على الإيمان وانما هو للهوى والشيطان (هباء) وهو ما يرى في شعاع الشمس  
 الداخل من كوة مما يشبه الغبار (منثورا) أي مفرقا أي مثله في عدم النفع إذا ثواب فيه لعدم  
 شرطه ويجازون عليه في الدنيا فتكون النار مستقرهم ومقبلهم ولهذا بين حال اضدادهم  
 وهم المؤمنون بقوله تعالى (أصحاب الجنة يومئذ) أي يوم أذ يرون الملائكة (خير مستقرا)  
 من الكفار (وأحسن مقبلا) منهم والمستقر المكان الذي يكونون فيه في أكثر أوقاتهم  
 مستقرين يتجالسون ويتحادثون والمقبل المكان الذي يأوون إليه للاسترواح إلى أزواجهم  
 والتمتع بمغازلتهم وملاستهم كما أن المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب روي أنه يفرغ  
 من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار قال ابن سعد  
 لا يتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وقال ابن  
 عباس في هذه الآية الحساب في ذلك اليوم في قوله وقال يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى  
 يكون قد و ما بين العصر إلى غروب الشمس \* (تنبيه) \* في أنقل ههنا قولان أحدهما أنها على



بأب من التفضيل والمعنى ان المؤمنين خير في الآخرة مستقر من مستقر الكفار وأحس  
 مقبلا من مقبلاهم ولو فرض أن يكون لهم ذلك أو على أنهم خير في الآخرة منهم في الدنيا والثاني  
 أن يكون مجرد الوصف من غير مفاضلة ومن ذلك المعنى قوله تعالى ان أصحاب الجنة اليوم في  
 شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الارائك متكئون ذكر وافي تفسير الشغل اقتضاض  
 الابدان وانما سمى مكان دعوتهم واسترواحهم الحور مقبلا مع أنه لانوم في الجنة على طريق  
 التشبيه \* ثم عطف تعالى على قوله يوم يرون قوله تعالى (ويوم تشقق السماء) أي كل سماء  
 (بالغمام) أي كما تشقق الارض بالنبات فيخرج من خلال شقوقها وهو غيم أبيض رقيق مثل  
 الضباب ولم يكن الالبني اسرايل في تيههم \* (تنبيه) في هذه الباء ثلاثة أوجه أحدها انها  
 سببية أي بسبب الغمام يعني سبب طلوعه منها ونحوه السماء منظر به كأنه الذي تشقق به  
 السماء الثاني أنها الحال أي ملتبسة بالغمام الثالث أنها بمعنى عن أي عن الغمام كقوله تعالى  
 يوم تشقق الارض عنهم سراعا والباء وعن يتعاقبان تقول رميت عن القوس وبالقوس وقرأ  
 أبو عمرو والكوفيون بتخفيف الشين والباقون بتشديدها ثم أشارت تعالى الى جهل من طلب  
 نزول الملائكة دفعة واحدة بقوله تعالى (ونزل الملائكة) أي بالتدريج بأمر حتى لا يمكنهم  
 التخلف عنه بأمر من الامور وغيره من الذين طلبوا أن يروهم في حال واحد (تنزيلا) في أيديهم  
 صحائف الاعمال قال ابن عباس تشقق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر من في الارض من  
 الجن والانس ثم تشقق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر من أهل السماء الدنيا وأهل  
 الارض جنا وانسائم كذلك حتى تشقق السماء السابعة وأهل كل سما يدورون على السماء  
 التي قبلها ثم تنزل الكروبيون ثم حلة العرش (فان قيل) ثبت أن نسبة الارض الى السماء الدنيا  
 كحكمة في فلاة فكيف نسع الارض هؤلاء (أجاب) بعض المفسرين بأن الملائكة تكون في  
 الغمام والغمام يكون مقر الملائكة ويجوز ان الله تعالى يوسع الارض حتى تسع الجميع وقرأ  
 ابن كثير بنون الاولى مضمومة والثانية ساكنة وتخفيف الزاي ورفع اللام ونصب الملائكة  
 والباقون بنون واحدة والزاي مشددة ونصب اللام ورفع الملائكة ثم بين تعالى أن ذلك اليوم  
 لا يقضى فيه غيره بقوله تعالى (الملك يومئذ) أي اذن تشقق السماء بالغمام ثم وصف الملك بقوله  
 تعالى (الحق) أي النابت ثابتا لا يمكن زواله ثم أخبر عنه بقوله تعالى (للرحمن) أي العام الرحمة  
 في الدارين ومن عموم رحمة وحقية ما كنه أن يسر قلوب أهل وده تعذيب أهل عداوته  
 الذين عادوهم فيه لتضميعهم الحق باتباع الباطل ولولا اتصافه بالرحمة لم يدخل أحد الجنة (فان  
 قيل) مثل هذا الملك لم يكن قط الا للرحمن فما الفائدة في قوله تعالى يومئذ (أجيب) بأن في ذلك  
 اليوم لا مالك له سواء لافي الصورة ولا في المعنى فتخضع له المولود وتعلن له الوجود وتذل له الجارية  
 بخلاف سائر الايام (وكان) أي ذلك اليوم الذي تظهر فيه الملائكة الذي طلب الكفار رؤيتهم له  
 (يوما على الكافر بن عسيرا) أي شديد العسر والاستعمار \* (تنبيه) هذا الخطاب يدل على أنه  
 لا يكون على المؤمنين عسيرا جاء في الحديث أنه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون عليه

قوله وغيره الضمير  
 عائد على من طلب  
 باعتبار معناه هـ

أشرف من صلاة مكتوبة صلاحها في الدنيا وقوله تعالى (ويوم يعرض الظالم) أي المشرك لقرط  
 تأسفه لما يرى فيه من الأهوال المعمول لخدوف أو معطوف على يوم تشقق وأل في الظلم تحتل  
 العهد والجنس لكن قال ابن عباس أراد بالظالم عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس كان  
 لا يقدم من سفر الا صنع طعاما ودعا اليه جهرا جيرانه وأشرف قومه وكان يكثر مجالسة النبي  
 صلى الله عليه وسلم ويحبه حديته فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعا الناس ودعا النبي  
 صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال النبي صلى الله عليه وسلم ما أنا بأكل طعامك حتى تشهد  
 أن لا اله الا الله وانى رسول الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله  
 فأكل صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فلما أتى أبي بن خلف قال له  
 يا عقبة صيأت فقال لا والله ما صيأت ولكن دخل على رجل فابي أن يأكل طعامي الا أن أشهده  
 فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم والشهادة أسيت في نفسي فقال ما أنا بالذي  
 أرضى منك أبدأ الا أن تأتيه وتبصق في وجهه وتطأ قفاه وتلطم وجهه وعينه فوجده ساجدا في  
 دار الندوة ففعل ذلك عقبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ألقى خارجا من مكة الا علوت رأسك  
 بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبورا أمر عليا رضى الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن افلح  
 الانصارى وأما أبي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد طعنه في المارزة فرجع  
 الى مكة ومات قال الضعالب لما بصق عقبة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم عاد بصاقه في وجهه  
 فاحترق خده فكان أثر ذلك فيه حتى مات وقال الشعبي كان عقبة خليل أمية فأسلم عقبة  
 فقال أمية وجهي من وجهك حرام ان يابت محمدا فكفر وارتد فأنزله الله تعالى ويوم يعرض  
 الظالم أي عقبة (على يديه) قال الضعالب يا كل يديه الى المرفق ثم ثبت ولا يزال هكذا كلما  
 أكلها ثبتت وقال المحققون هذه اللفظة للتخمس والغم يقال عرض أنامله وعض على يديه وهو  
 لا يشعر حال كونه مع هذا الفعل (يقول) أي يجتد في كل لحظة قوله (يا ليتني اتخذت) أي  
 أرغمت نفسي وكلفتها أن آخذ في الدنيا (مع الرسول) أي محمدا صلى الله عليه وسلم (سيلا)  
 أي طر يقا الى الهدى \* ولما تأسف على محاربة الرسول ندم على مصادقة غيره بقوله (يا ويلتي)  
 أي يا هلاكى الذى ليس لى منادم غيره لانه ليس يحضرنى سواه (ليتني لم اتخذ فلانا) أي أيبا  
 (خليلا) أي صديقا وافقه في أعماله لما علمت من سوء عاقبتهم افكنتى عن اسمه وان أريد به الجنس  
 فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخيله اسم علم عليه لا محالة فجعله كناية عنه وقرأ أبو عمرو  
 بفتح الياء والباقون بالسكون وأظهر الذال عند التاء ابن كثير وحقق وأدغمها الباقون ثم  
 استأنف قوله الذى يتوقع كل سامع أن يقوله (أقد) أي والله لقد (أضلنى عن الذكر) أي عمى على  
 طريق القرآن الذى لا ذكر فى الحقيقة غيره وصرفتى عنه والجملة فى موضع العلة لما قبلها (بعد  
 ادجائتي) ولم يكن لى منه مانع يرتنى عن الايمان به وقرأ نافع وابن ذكوان وعاصم باظهار الذال  
 والباقون بالادغام وقوله تعالى (وكان الشيطان) إشارة الى خيله سماه شيطانا لانه أضله  
 كما يضل الشيطان أو الى كل من كان سبيلا للضلال من عتاة الجن والانس (للانسان خذولا) أي

شديد الخذلان بورده ثم يسلمه الى اكره ما يكون لا ينصره ولو اراد ما استطاع بل هو في شر من ذلك لان عليه اثم في نفسه ومثل اثم من أضله \* (تنبيه) \* حكم هذه الآية عام في كل خليلين ومتحابين اجتمعوا على معصية الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافع الكبر فحامل المسك اما ان يجديك واما ان يتناع منه واما ان تجدر يحاطب طيبة ونافع الكبر اما ان يحرق ثيابك واما ان تجدر يحاخبينه وقال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخال وقال صلى الله عليه وسلم لا تصاحب الا مؤمنا ولا ياك كل طعامك الاتقي \* وما ذكر تعالى اقوال الكفار ذكروا رسول محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وقال الرسول يا رب) أي أيها المحسن الى أنواع الاحسان وعبر باداة البعد هضمنا لنفسه ومباغضة في التضرع (ان قومي) أي قريشا الذين لهم قوة ومنعة (اتخذوا هذا القرآن) أي المقتضى للاجماع عليه والمبادرة اليه (مهجورا) أي متروكا بعيدا لم يؤمنوا به ولم يقبلوه وأعرضوا عن استماعه \* (تنبيه) \* أشار بصيغة الافعال الى أنهم عالجوا أنفسهم في تركه علاجا كثيرا المايرون من حسن نظمه ويزدقون من لذيذ معانيه ورائق أساليبه واطيف بحبابه وبديع غرائبه وأكثر المفسرين على أن هذا القول وقع من النبي صلى الله عليه وسلم وقال أبو مسلم بل المراد أنه يقوله في الآخرة كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد الآية والاولى لان قوله تعالى (وكذلك) أي كما جعلناك عدوا من مشركي قومك (جعلنا لكل نبي) من الانبياء قبلك رفعة لدرجاتهم (عدوا من الجرمين) أي من المشركين تسليته صلى الله عليه وسلم كأنه تعالى يقول له فاصبر كما صبروا ولا يكون ذلك الا اذا وقع القول منه (وكتي بربك) أي المحسن اليك (هاديا) أي يهدي بك من قضى بسعادته (ونصيرا) أي ينصرك على من حكم بشقاوته \* (تنبيه) \* احتج أهل السنة بهذه الآية على أنه تعالى خلق الخير والشر لان قوله تعالى لكل نبي عدو يدل على أن تلك العداوة من جعل الله تعالى وتلك العداوة كفر (فان قيل) قوله تعالى يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا كقول نوح عليه السلام رب اني دعوت قومي ليلادونهم اراهم يزدهم دعائي الا فرارافكا أن المقصود من هذا انزال العذاب فكذلك ما هنا فكيف يليق هذا بمن وصفه الله تعالى بالرحمة في قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (أجيب) بأن نوحا عليه السلام لما ذكر ذلك دعا عليهم وأما النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر هذا لم يدع عليهم بل انتظر فلما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا كان ذلك كالامر له بالصبر على ذلك وترك الدعاء عليهم فاقتراها الشبهة الخامسة لذكرى النبوة ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله تعالى (وقال الذين كفروا) أي الذين غطوا عداوة وصدامات شهد دعواهم بعصمتهم أن القرآن كلام الله تعالى لا يجازيه لهم مفرقا فضلا عن كونه محجما (لولا) أي هلا (نزل عليه القرآن) أي أنزل كخير معني أخير لتلا يناقض قولهم (جمله) وأكذوا بقولهم (واحدة) أي من أوله الى آخره كما أنزل التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود لصق أنهم من عند الله تعالى ويزول عن انما توهمه من أنه الذي يرتبه قليلا قليلا وهذا

الاعتراض في غاية السقوط لان الابعاز لا يتوقف بنزوله جملة أو متفرقا مع أن للتقريب فوائد  
 منها ما أشار إليه بقوله تعالى (كذلك) أي أنزلناه شيئا فشيئا على هذا الوجه العظيم الذي أنكروه  
 (لننبت) أي نقوى (به فؤادك) أي قلبك فتعبه وتحفظه لان المتلقن انما يقوى قلبه على  
 حفظ العلم شيئا فشيئا وجزأ عقب جزء ولو ألقى عليه جملة واحدة لتعبا يحفظه والرسول صلى  
 الله عليه وسلم فارت حاله حال داود وموسى عليهما السلام وعيسى حيث كان أميلا يقرأ ولا  
 يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتفظ فأنزله الله عليه مخبيا في عشرين  
 سنة وقيل في ثلاث وعشرين سنة وأيضاف كان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين  
 ولأن بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتأتى ذلك الا فيما أنزل مفرقا (فان قيل) ذاني كذلك  
 يجب أن يكون إشارة الى شيء تقدمه والذي تقدم هو انزاله جملة فكيف فسر كذلك بأنزلناه  
 مفرقا (أجيب) بأن الإشارة الى الانزال مفرقا لا الى جملة والدليل على فساد هذا الاعتراض  
 أيضا أنهم عجزوا عن أن يأتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من أقصر السور  
 فأبرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به على أنفسهم حين لا ذوا بالناصبة وفزعوا الى الهذلية ثم  
 قالوا هل أنزل جملة واحدة كأنهم قدروا على تقاريقه حتى يقدروا على جلته وقوله تعالى  
 (ورتلناه ترتيلا) معطوف على الفعل الذي تعلق به كذلك كأنه قال تعالى كذلك فرقناه ورتلناه  
 ترتيلا ومعنى ترتيله قال ابن عباس ينام بياناً والترتيل التبيين في تودة وثبت وقال السدي  
 فصلناه تفصيلا وقال مجاهد يعضه في اثر يعض وقال الحسن تقريبا آية بعد آية ووقعة عقب  
 وقعة ويجوز أن يكون المعنى وأمرنا بترتيل قراءته وذلك قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا أي  
 اقرأه بترتيل وثبت ومنه حديث عائشة رضيت الله تعالى عنها في صفة قراءته لا كسر دكم هذا  
 لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدّها وقيل هو أن تنزله مع كونه منفرقا على غمك وتعمل في مدة  
 متباعدة وهي عشرون سنة ولم تفرقه في مدة متقاربة \* ولما كان التقدير قد بطل ما أتوا به من  
 هذا الاعتراض عطف عليه (ولا يأتونك) أي بأشرف الخلق أي المشركون (بمثل) أي باعتراض  
 في ابطال أمرك يخيلون به لعقول الضعفاء يجهلون في تخيقه وتحسينه وتدقيقه حتى يصير  
 عندهم في غاية الحسن والرشاقة لفظا ومعنى (الاجتنالك) في جوابه (بالحق) أي الذي  
 لا يحيد عنه فيزهد ما أتوا به لبطانته فسمى ما يوردون من الشبه مثل ما يسمى ما يدفع به الشبه حقا  
 (وأحسن) أي من مثلهم (تفسيرا) أي بياناً وتفصيلاً \* ولما كان التفسير هو التفسير  
 عماديل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قيل معناه  
 كذا وكذا أو لا يأتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك وحالك فهو أن يقرن  
 بك ملك ينذر معك أو يلقى اليك ككثرة أو تكون لك الجنة أو ينزل عليك القرآن جملة واحدة  
 الا أعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا أن نعطاء وما هو أحسن  
 تكشفنا ما بعثت عليه ودلالة على صحته \* ثم بين تعالى حال هؤلاء المعتادين في الآخرة بقوله  
 تعالى (الذين) أي هم الذين (يحشرون) أي يجمعون قهراً ما شين مقولوبين (على وجوههم)

مسحوبين (الى جهنم) أى كما أنهم لم ينظروا فى الدنيا بعين الانصاف فان الآخرة صرارة  
 الدنيا مهما عمل هنا رآه هناك كما أن الدنيا من رعة الآخرة مهما عمل فيها حتى ثمرة هناك روى  
 البزارى ان رجلا قال يا بنى الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال الذى أمشاه  
 على الرجلين فى الدنيا فادرا أن يمشيه على وجهه يوم القيامة روى البيهقى يحشر الناس يوم  
 القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على الوجود وصنف على الاقدام \* ولما  
 وصف الله تعالى المتعنتين فى أمر القرآن بهذا الوصف استأنف الاخبار عنهم بقوله تعالى  
 (أولئك أى البعداء البغضاء (شر) أى شر الخلق (مكانا) هو جهنم (وأصل سيلا) أى أخطأ  
 طريقا من غيرهم وهو كفرهم \* ولما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين  
 وذلك فى معرض التسلية له صلى الله عليه وسلم ذكركم جماعة من الانبياء وعرفه تكذيب  
 أهمهم زيادة فى تسليته \* القصة الاولى قصة موسى عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (ولقد  
 آتينا) أى بالنامن العظيمة (موسى الكتاب) أى التوراة (وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا) أى  
 معيننا (فان قيل) كونه وزيرا كلفنا فى لكونه شريكا له فى النبوة والرسالة (أجيب) بأنه لا منافاة  
 بين النبوة والرسالة والوزارة فقد كان يعث فى الزمن الواحد أنبياء متعددون ويؤمنون  
 بأن يوازي بعضهم بعضا \* (تنبيه) \* هرون بدل أويان أو منصوب على القطع ووزير امفعول ثان  
 وقيل حال والمفعول الثانى معه ويدل على رسالة هرون عليه السلام قوله تعالى (فقلنا اذهبا  
 الى القوم) أى الذين فيهم قوة وقدرة على ما يعانونه وهم القبط فرعون وقومه (الذين كذبوا  
 بآياتنا) فذهبا اليهم بالرسالة فكذبوها (فدمرناهم تدميرا) أى أهلكناهم اهلا كما أى قانت  
 يا محمد لست أول من كذب من الرسل فلك اسوة بمن قبلك (فان قيل) الفاء للتعقيب والاهلال لم  
 يحصل عقب بعثة موسى وهرون اليهم بل بعده بعثة مديدة (أجيب) بأن فاء التعقيب محمولة هنا  
 على الحكم باهلا لهم لاعلى الوقوع أو على أنه على ارادة اختصار القصة فاقصر على حاشيتها  
 أى أولها وآخرها لانها المقصودان من القصة بطولها أعنى الزام الحجية ببعثة الرسل واستحقاق  
 التدمير بمكذبيهم \* (تنبيه) \* قوله تعالى كذبوا بآياتنا ان جعلنا تكذيب الآيات على الآيات  
 الالهية فهو ظاهر وان جعلناه على تكذيب آيات النبوة فاللفظ وان كان للماضى فالمراد به  
 المستقبل \* القصة الثانية قصة نوح عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (وقوم) أى ودمرنا  
 قوم (نوح لما كذبوا الرسل) كأنهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا أو كان تكذيبهم  
 لواحد منهم تكذيبا للجميع بالقوة لان المعجزات هى البرهان على صدقهم وهى تساوية  
 الاقدام فى كونها خوارق لا يقدر على معارضتها فالتكذيب بشئ منها تكذيب للجميع أولم يروا  
 بعثة الرسل أصلا كالبراهمة وهم قوم يمنعون بعثة الرسل نسبوا الى رجل يقال له برهام قدمهد  
 لهم ذلك وقرره فى عقولهم ولانهم علوا تكذبيهم بأنه من البشر فلزمهم تكذيب كل رسول من  
 البشر \* ثم بين تعالى تدميرهم بقوله تعالى (أغرقناهم) قال الكلبي أمطرتنا عليهم السماء أربعين  
 يوما وأخرج ماء الارض أيضا فى تلك الاربعين فصارت الارض بجزا واحدا (وجعلناهم) أى

قوم نوح في ذلك (للناس آية) أي لمن بعدهم عبرة ليعتبر كل من سلك طريقهم (وأعدنا) أي  
 هياتنا في الآخرة (لظالمين) أي للكافرين وكان الأصل لهم ولكنه تعالى أظهر تعميما  
 وتعليقا للحكم بالوصف (عذابا ألينا) أي مؤلما سوى ما يجعل بهم في الدنيا \* القصة الثالثة قصة  
 هود عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (وعادا) أي ودمرنا عاد قوم هود بالرجم \* القصة  
 الرابعة قصة صالح عليه السلام المذكورة في قوله (وعمودا) أي ودمرنا عمودا قوم صالح  
 بالصيحة \* القصة الخامسة المذكورة في قوله تعالى (وأصحاب الرس) أي البئر التي هي غير مطوية  
 أي بنية قال ابن جرير والرس في كلام العرب كل محفور مثل البئر والقبر أي ودمرناهم  
 بالهسف واختلف في نبيهم فقيل شعيب وقيل غيره كانوا قعودا حولها فأنهارت بهم وبخنازلهم  
 فهلكوا جميعا وقال الكلبي الرس بئر بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله تعالى وفلج بفتح الفاء  
 واللام والجيم قرية عظيمة بناحية اليمن من مساكن عاد وبسكون اللام واد قريب من البصرة  
 وقيل الرس الاخدود وقيل بئر بانطاكسية قتلوا فيها حبيبا التجار وقيل أصحاب حنظلة بن  
 صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي أعظم ما يكون من الطير سميت بذلك لطول عنقها وكانت  
 تسكن جبلهم الذي يقال له تخم قبيل هو بناء فوقية نغاه مجة أو مهمله وبياء تية وجيم وهي  
 تنقض على صبيانهم فتخطههم ان أعوزها الصبي فدعا عليها احتظلة فأصابتها الصاعقة ثم انهم  
 قتلوا حنظلة فأهلكوا (وقرونا) أي ودمرنا قرونا (بين ذلك) أي الامر العظيم المذكور وهو  
 بين كل أمتين من هذه الامم وقديذ كذا ذكر أشياء مختلفة ثم يشر إليها بذلك ويحسب الحساب  
 أعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب أو المعدود ثم قال الله  
 تعالى (كثيرا) وناهيك بما يقول فيه سبحانه وتعالى انه كثير وأسد البغوى في تفسير أمة  
 وسطاني البقرة عن أبي سعيد الخدري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد صلاة  
 العصر فارتل شيئا الى يوم القيامة الاذكرة في مقامه ذلك حتى اذا كانت الشمس على رؤس  
 النخل وأطراف الجيطان قال انه لم يبق من الدنيا فيما مضى الا كباقي من يومكم هذا الا وان هذه  
 الامة توفى سبعين أمة هي آخرها وكرمها على الله عز وجل ثم انه تعالى قال تسليمة لنييه محمد  
 صلى الله عليه وسلم وتأسية وبيان للشريعته بالعفو عن أمتيه (وكلا) أي من هذه الامم  
 (ضربنا) أي بما لنا من العظمة (له الامثال) حتى وضع له السيل وقام من غير شبهة الدليل  
 (وكلا قبرنا تبيرا) أي أهلكنا اهلاكا وقال الاخفش كسرنا تكسيرا وقال الزجاج كل  
 شيء كسرتة وقتته فقد تبرته (ولقد أنوا) أي هؤلاء المكذبون من قومك (على القرية التي  
 أمطرت) أي وقع امطارها ممن لا يقدر على الامطار سواها بالجحارة واذا قال تعالى (مطر السوء)  
 مصدر ساء وهي قرى قوم لوط قال البغوى كانت خمس قرى فأهلك الله تعالى أربعها منها  
 لعمالهم الفاحشة وبجنتصر واحدة منهم وهي صغر وكان أهلها لا يعملون العمل الخبيث (فان  
 قيل) لم عبرتعالى بالقرية وهي قرى (أجيب) بأنه تعالى قال ذلك تحقيرا للشأنها في جنب قدرته  
 تعالى واهانة لمن يريد عذابه ولان ما كرمهم على الفاحشة جميعهم حتى كانوا كأنهم شيء واحد

وقوله تعالى (أفلم يكونوا يرون هابل كافر الا يرجون) أي لا يخافون (نشورا) أي بعثنا  
 بعد الموت لانه استقر في أنفسهم اعتقادهم التكذيب بالآخرة واستقر واقع عليه قرنا بعد  
 قرن حتى تمكن منهم ذلك ~~تم~~ كينا لا ينفع معه الاعتبار الا من شاء الله (وآذأرأولك) أي مع  
 ما يعلمون من صدق حديثك وكرم أفعالك ولولم تأتهم بحجة فكيف وقد آتيتهم بما بهر العقول  
 (إن) أي ما (يتخذونك الالهزوا) أي مهزواً بلك وعبر تعالى بالمصدر إشارة الى ما الغتهم  
 في الاستهزاء مع شدة بعده صلى الله عليه وسلم عن ذلك يقولون (أهدأ الذي بعث الله رسولا)  
 أي في دعواه محتقرين له أن تأتية الرسالة وقولهم (إن) محققة من الثبوت أي انه (كأدبنا)  
 أي بصرفنا (عن آلهتنا) أي عن عبادتها بقرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد  
 مما سبق الى الذهن انها حجج ومعجزات (لولا ان صبرنا) أي بما لنا من الاجتماع والتعاضد  
 (عليها) أي على التمسك بعبادتها قال الله تعالى (وسوف يعلمون) أي في حال لا يتفهم  
 فيه العمل ولا العلم وان طالتمدة الامهال في التمكين (حين يرون العذاب) عيانا في الآخرة  
 (من أضل سبيلا) أي أخطأ طريقا أهم أم المؤمنون \* ولما كان صلى الله عليه وسلم حريصا  
 على رجوعهم ولزوم ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم سلاه تعالى بقوله تعالى متعجباً من حالهم  
 (أرأيت) أي أخبرني (من اتخذ الالهه هواه) أي أطاعه وبنى عليه دينه لاسمع حجة ولا نظر  
 دليلا (فان قيل) لم آخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها (أجيب) بأنه ما هو الاتقدم  
 المفعول الثاني على الاول للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا التفضل عنايتك بالمنطلق ولما كان  
 لا يقدر على صرف الهوى الا الله تعالى تسبب عن شدة حرصه على هدايتهم قوله تعالى (أفأنت  
 تـكـون عليه زكـيلا) أي حافظا تحفظه من اتباع هواه لا قدرة لك على ذلك (أم تحسب  
 أن أكثرهم) أي هؤلاء المدعويين (يسمعون) أي سماع من ينزجر ولو كان غير عاقل كالبهائم  
 (أو يعقلون) أي كالبهائم ما يرون وان لم يكن لهم سمع حتى تطمع في رجوعهم باختيارهم من  
 غير قسر (فان قيل) انه تعالى لما نفي عنهم السمع والعقل فكيف ذمهم على الاعراض عن الدين  
 وكيف بعث اليهم الرسول فان من شرط التكليف العقل (أجيب) بأنه ليس المراد أنهم  
 لا يعقلون شيأ بل المراد أنهم لم ينتفعوا بذلك العقل فهو كقول الرجل لغيره اذا لم يفهم انما أنت  
 أعمى وأصم (فان قيل) لم خص الاكثر بذلك دون الكل (أجيب) بأنه كان منهم من آمن  
 ومنهم من عقل الحق فكابر استكبارا وخوفا على الرياسة ولما كان هذا الاستفهام مقيدا  
 للنفي استأنف ما فهمه بقوله تعالى (إن) أي ما (هم الا كالانعام) أي في عدم انتفاعهم بقرع  
 الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات (بل هم أضل) أي منها  
 (سبيلا) لانها تنقاد لمن يتعهدا وتميزن يحسن اليها عن يسى اليها وتطلب ما ينفعها  
 وتتجنب ما يضرها وتتمدى لراعيها ومشاربها وهؤلاء لا يتقادون لرجهم ولا يعرفون احسانه  
 اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون  
 العقاب الذي هو أشد المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروى

• ولما بين تعالى جهل المعرضين عن دلائل التوحيد وبين فساد طريقهم ذكر أنواغ من  
 الدلائل على وجود الصانع أولها الاستدلال بالنظر إلى حال الظل مخاطباً برأس المخلصين  
 الناظرين هذا النظر حثاً لاهل ودمه على مثل ذلك بقوله تعالى (ألتر) أي تنظر (إلى ربك)  
 أي إلى صنعه وقدرته (كيف ممد الظل) وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس يجعله محدوداً  
 لأنه ظل لشمس معه كما قال تعالى في ظل الجنة وظل محدوداً لم يكن معه شمس وإن كان بينهما  
 فرق وهو الليل لأن ظل الأرض الممدود على قريب من نصف وجهها مدة تحجب نور الشمس  
 عما قبل قرصها من الأرض حتى امتد بساطه وضرب فساطه كما يجب ظل ضلالهم  
 أنوار عقولهم وغفلة طباعهم نفوذ اسمعهم (ولو شاء لجلعه) أي الظل (سائكاً) أي دائماً ثابتاً  
 لا يزول ولا تذهب به الشمس لا صقياً بأصل كل مظل من جبل وبناء وشجر غير منبسط فلم ينفع به  
 أحد سوى انبساط الظل وامتداده فحركامنه وعدم ذلك سكوناً لكنه تعالى لم يشأ بل جعله  
 متحركاً كما يسوق الشمس له وقال أبو عبيدة الظل ما نسخته الشمس وهو بالغداة والتي ما نسخ  
 الشمس وهو بعد الزوال سمي في لأنه فاه من جانب المشرق إلى جانب المغرب (ثم جعلنا الشمس  
 عليه) أي الظل (دليلاً) أي إن الناس يستدلون بالشمس وأحوالها في مسيرها على  
 أحوال الظل من كونه ثابتاً في مكان أو زائلاً ومتساعاً ومتقلصاً فلم تكن الشمس لما  
 عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والأشياء تعرف باضدادها (ثم قبضناه) أي الظل  
 (الينا) أي إلى الجهة التي أردنا لا يقدراً حد غيرنا أن يحوله إلى جهة غيرها والقبض جمع  
 المتبسط من الشيء ومعناه أن الظل يجمع الأرض قبل طلوع الشمس فإذا طلعت قبض الله  
 الظل (قبضاً يسيراً) أي على مهل وفي هذا القبض اليسير شيئاً بعد شيء من المنافع مما لا  
 يعد ولا يحصى ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعاً  
 وقيل المراد من قبضها يسيراً قبضها عند قيام الساعة وذلك يقبض أسبابها وهي الأجرام  
 التي تلتقي الظلال وقوله تعالى يسيراً كقوله تعالى حشر علينا يسيراً (فان قيل) ثم في هذين  
 الموضعين كيف موقعها (أجيب) بأن موقعها بيان تفاضل الأمور الثلاثة كان  
 الثاني أعظم من الأول والثالث أعظم منها مما تشبهها التباين دائماً بينهما في الفضل بتباين  
 الحوادث في الوقت • ولما تضمنت هذه الآية الليل والنهار وهو النوع الثاني قال تعالى مصرحاً  
 بهما (وهو) أي ربك المحسن إليك وحده (الذي جعل) دليلاً على الحق وأظهاراً للنعمة  
 على الخلق (لكم الليل) أي الذي تكامل به ممد الظل (لباساً) أي ساتراً للأشياء شبه ظلامه  
 باللباس في ستره (والنوم سباتاً) أي راحة للابدان بقطع المشاغل هو عبارة عن كونه موتاً أصغر  
 طويلاً مما كان من الاحساس قاطعاً لما كان من الشعور والتقلب فيه دلائل لاهل البصائر  
 قال البغوي وغيره وأصل السبت القطع وفي جعله تعالى لذلك من القوائد الدينية والهيئوية  
 ما لا يعتد ولا يحصى وكذا في قوله تعالى (وجعل) أي وحده (النهار تسوية) أي منشوراً  
 فيه لا يتفاء الرزق وغيره وفي ذلك إشارة إلى أن النوم واليقظة أمود جان للموت والتشور يحكي



ان لقمان قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتفسر ثم ذكر النوع الثالث بقوله تعالى  
(وهو) أي وحده (الذي أرسل الرياح) وقرأ ابن كثير بالافراد لارادة الجنس وقرأ الباقون  
بالجمع لكونها تارة صبا وتارة دبورا وتارة شمالا وتارة جنوبا وغير ذلك ويسن الدعاء عند هبوب  
الريح ويكره بها الخبر الريح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فاذا رأيتوها فلا تسبوها  
واسألوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها رواه أبو داود وغيره بإسناد حسن وقوله تعالى  
(نورا) قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو وبضم النون والشين أي ناشرات للسحاب وقرأه ابن  
عامر بضم النون وسكون الشين على التخفيف وقرأه عاصم بالياء الموحدة مضمومة وسكون  
السين جمع بشور بمعنى مبشر وقرأه حمزة والكسائي بفتح النون وسكون الشين على أنه  
مصدر وصفه (بين يدي رحمة) أي قدام المطر ولما كان الماء مسبا عما تحمله الريح من  
السحاب أتبعه بقوله تعالى (وأنزلا) أي بما لنا من العظمة (من السماء) أي من السحاب  
أو الجرم المجهود (ماء) ثم أبدل منه بيانا للنعمة به فقال تعالى (طهورا) أي طاهرا في نفسه  
مطهر الفير كما قال تعالى في آية أخرى ليطهركم به فهو اسم لما يطهر به كالوضوء لما يتوضأ به  
وكالصحور اسم لما يتسحر به والفظور اسم لما يظفر به قال صلى الله عليه وسلم في الجهر هو الطهور  
ماؤه الحبل ميتة أراد به المطهر فالماء المطهر لانه يطهر الانسان من الحدث والخبث وذهب  
بعض الأئمة الى أن الطهور هو الطاهر حتى يجوز ازالة النجاسة بالماتعات الطاهرة مثل الخل ورد  
بأنه لو جاز ازالة النجاسة بها لجاز ازالة الحدث بها وذهب بعض منهم الى أن الطهور ما يتكرر  
به التطهير كالصبور اسم لمن يتكرر منه الصبر والشكور اسم لمن يتكرر منه الشكر حتى  
يجوز لوضوء بالماء الذي يتوضأ به مرة بعد مرة ورد بأن فعولا يأتي اسم اللآلة كصحور لما  
يتسحر به كما مر فيجوز أن يكون طهور كذلك ولو سلم اقتضاه التكرر فالمراد جمع بين الأدلة  
فإن العمامة رضي الله عنهم لم يجتمعوا الماء في أسفارهم القليلة الماء بل عدلوا عنه الى التيمم  
ثبوت ذلك لجنس الماء أو في المحل الذي كان يميز عليه فانه يطهر كل جزء منه (لحبي به) أي  
بالماء (بلدة مينا) أي بالنبات وذكر مينا باعتبار المكان (ونسقيه) أي بالماء وهو من أسقاء  
من يدسقه وهما الغتان قال ابن القطاع سقيتك شرابا وأسقيتك والله تعالى أسقى عباده وأرضه  
(عما خلقنا أنعاما) أي ابلا وبقرا وغنما (وأناسا كثيرا) جمع انسان وأصله أناسين فأبدلت  
النون ياء وأدغمت فيها الياء أو جمع أنسى وقدم تعالى النبات لأن به حياة الانعام والانعام على  
الانسان لأن بها كمال حياته (فان قيل) لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان (أجيب) بأن  
الطيروالوحش تبعدي طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام ولانها قنية الاناسي وعامة  
منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم يسقى أنعامهم كالانعام بسقيهم (فان قيل) لما تكرر الانعام  
والاناسي ووصفها بالكثرة (أجيب) بأن جل الناس منيخون بالقرب من الودية والانهار ومنابع  
الماء فيهم غنية عن سقى السماء وأعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشون الا بما ينزل الله من رحمة  
وسقياسمائه وكذلك قوله تعالى لحبي به بلدة مينا يريد به بعض بلاد هولاة المتبدين عن مظان

الماء واختلف في عودها في قوله تعالى (واقصد صرفناه بينهم) على ثلاثة أوجه أولها قال  
 الجهور انها ترجع الى المطر أي صرفنا نزول الماء من وابل وطل وغير ذلك مرة يبلد ومرة يبلدة  
 أخرى قال ابن عباس ما عام بأمر من عام آخر ولكن الله تعالى يصرفه في الارض وقرأ هذه  
 الآية وهذا كما روى مرفوعا من ساعة من ليل أو نهار الا والسما تظرفها فصرفه الله تعالى  
 حيث يشاء وروى عن ابن مسعود يرفعه قال ليس من سنة بأمر من أخرى ولكن الله تعالى قسم  
 هذه الارزاق فجعلها في السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم وإذا  
 عمل قوم بالمعاصي حوّل الله ذلك الى غيرهم فإذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الضيافي والبار  
 وروى أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد  
 ثانيا قال أبو مسلم الضمير راجع الى المطر والسخاب والظلال وسائر ما ذكره الله من الأدلة ثالثها  
 صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والحف التي أنزلت على الرسل عليهم  
 الصلاة والسلام وهو ذكر انشاء السحاب وانزال المطر (ليذكروا) أي ليتفكروا ويعلموا كمال  
 القدرة وحق النعمة ويقوموا بشكره (تنبيه) أصل يذكروا أي يذكروا وأدغمت التاء في  
 الذال وقرأه حمزة والكسائي بـ **ك** كون الذال ورفع الكاف مخففة والباقيون بفتح الذال  
 والكاف مشددين (قأبي) أي لم يرد (أكثر الناس) أي بعبادتهم (الأكفورا) أي جحودا  
 للنعمة وقلة الاكثراث بها وكفرانهم هو أنهم اذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا وهو بفتح  
 النون وهمزة آخره وقت النجم الضلاني على عادة العرب في اضافة المطر الى الانواع فيكره أن  
 يقول ذلك لايها من ان التوفاعل المطر حقيقة فان اعتقد أنه الفاعل له حقيقة كفر روى زيد بن  
 خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحدية في ازمعما كانت  
 من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة قالوا الله ورسوله  
 اعلم قال قال أصبح من عبادي من هو مؤمن بي وكافر بي فأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا  
 فذاك كافر بي مؤمن بالكواكب وأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بي وكافر  
 بالكواكب وأما تعليق الحكم بالياء أنه لو قال مطرنا بنوء كذا لم يكره ونقل الشافعي عن بعض  
 الصحابة أنه كان يقول عند المطر مطرنا بنوء الفتح ثم يقرأ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يمسك لها  
 (ولو شئنا لبعثنا) أي بما لنا من العظمة ونفوذ الكلمة (في كل قرية نذيرا) أي رسولا يندبرهم من  
 الميثم وأو الملائكة أو غيرهم كما قسمنا المطر عليهم او انما قصرنا الامر عليك وعظمتنا به وأجلناك  
 وفضلناك على سائر الرسل (فلا تطع الكافرين) فيما قصدوا من التنصير عن الدعاء به بما يدونه  
 من المقترحات أو يظهرن لك من المداينة أو من القلق من سادع الانذار ويخيلون لك انك  
 لو أقلت من رجوا أن يوافقوك وقابل ذلك بالتشدد والتصبر (وجاهدهم) أي بالدعاء (به) أي  
 القرآن الذي تقدم التصديت عنه في قوله تعالى ولقد صرفناه أو بترك طاعتهم المدلول عليه بقوله  
 تعالى فلا تطع أو بالسيف والاقرب الاقوال لان السورة مكية والامر بالقتال ورد بعد الهجرة  
 بزمان (جهادا كبيرا) أي جامع لكل الجهادات الطاهرة والباطنة لان في ذلك اقبال كثير

من الناس اليك واجتماعهم عليك فيقوى أمرك ويعظم خطبك وتضعف شوكتهم وتنكسر  
 سورتهم فان مجاهدة السفهاء بالهيج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف \* ثم ذكر النوع الرابع  
 بقوله تعالى (وهو الذي صرح البحرين) أي الماءين الواسعين الكبيرين بأن خلاهما متجاورين  
 متلاصقين وهو بقدرته تعالى يفصل بينهما ويعدوهما التمازج (هذا عذب) أي خلوصا نفع (فرات)  
 أي شديد العذوبة بالغ القاية فيها حتى يضرب إلى الخلاوة لافرق بين ما كان منه على وجه  
 الأرض وما كان في بطنها (وهذا ملح) أي شديد الملوحة (أجاج) أي مترحرق بلوحته وحرارته  
 لا يصلح لسقي ولا شرب \* (تنبيه) \* أشارتعالى بأداة القرب في الموضوعين تنبيه على وجود  
 الوصفين مع فائدة المقاربة لا يلتبس أحدهما بالآخر حتى انه اذا حقر على شاطئ البحر الملح  
 بالقرب جدا منه خرج الماء عذبا (وجعل) أي الله تعالى (بين حابر زخا) أي حابر من قدرته  
 مانعا من اختلاطهما ثم انه تعالى أم تقرير النعمة في منعهما من الاختلاط بالكلمة التي جرت  
 عادتهم بقولها عند التعوذ تشبيها لكل منهما بالتعوذ بقوله تعالى (وجبر المحجورا) فكان كل  
 واحد من البحرين تعوذ من صاحبه ويقول لذلك كما قال تعالى لا يغنان أي لا يغني أحدهما  
 على صاحبه بالملوحة أو العذوبة فالتقاء البقي كالتعوذ وهذا ثم جعل كل واحد منهما في صورة  
 الباغي على صاحبه فهو يعوذ منه وهو من أحسن الاستعارات وأشهدا على البلاغة  
 (فان قيل) لا وجود للبحر العذب فكيف ذكره الله تعالى هنا (أجيب) بأن المراد منه الأودية  
 العظام كالنيل وجيخون ومن البحر الأجاج البحار الكبار \* ثم ذكر النوع الخامس بقوله تعالى  
 (وهو) أي وحده (الذي خلق من الماء) أي المني من الرجل والمرأة (بشرا) أي انسا نا (لجعلله)  
 أي بعد ذلك بالتطوير في أطوار الخلق والتدوير في أدوار التربية (نسبا) أي ذكر ان نسب اليه  
 (وصهرا) أي أنثى يصاهر بها فيقسم هذا الماء بعد التطوير إلى ذكر وأنثى كما جعل ذلك الماء  
 قسما عذبا وملحا ونحو هذا قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى وقيل النسب مالا  
 يحمل نكاحه والصحرا ما يحمل نكاحه فان نسب ما يوجب الحرمة والصحرا ما لا يوجبها قال البغوي  
 وقيل وهو الصحح النسب من القرابة والصحرا الخلطة التي تشبه القرابة وهو النسب المحرم  
 للنكاح وقد ذكر الله تعالى أنه حرم بالنسب سبعاً في قوله تعالى في النساء حرمت عليكم أمهاتكم  
 (وكان ربك) أي المحسن اليك برسالك وانزاله هذا الذكر اليك (قدرا) حيث خلق من مادة  
 واحدة بشرا اذا أعضاء مختلفة وطبائع متباعدة وجعله قسما ذكر وأنثى وربما يخلق من نطفة  
 واحدة نوعين ذكر وأنثى فهو يوفق من يشاء فيصعله عذب المذاق سهل الاخلاق ويخذه من  
 يشاء فيصعله مر الاخلاق كثير الشقاق غريبا في النفاق \* ولما ذكر تعالى دلائل التوحيد  
 عاد إلى تمجيد سيرتهم فقال تعالى (ويعبدون) أي هؤلاء الكفرة (من دون الله) أي مما  
 يعلون أنه في الرتبة دون الله المستجمع لصفات الكمال والعظمة بحيث انه لا ضر ولا تقع الا وهو  
 يبداه (مالا ينفعهم) بوجه من الوجوه ان عبده في ازالة كربة (ولا يضرهم) في ازالة نعمة من نعم  
 الله تعالى عليهم ان تركوه (وكان الكافر) أي مع علمه بضعفه وعجزه (على ربه) أي المحسن اليه

لا غير (ظهيراً) أى معينا للشيطان من الانس والجن على أولياء الله تعالى روى أنها نزلت في أبي  
 جهل ويجوز أن يراد بالظهير الجماعة كقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق  
 والخليل وعلى هذا يكون المراد بالكافر الجنس فان بعضهم مظاهر لبعض على اطلاقه نوردين  
 الله قال تعالى واخوانهم يمدونهم في النفي وهذا أولى لان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ  
 ولانه أوفق لظاهر قوله تعالى ويعبدون من دون الله وقيل معناه وكان الذي يفعل هذا الفعل  
 وهو عبادة ما لا يتبع ولا يضر على ربه هيناً مهيناً من قولهم ظهرت به اذا خلقته خلف ظهره  
 لا تلتفت اليه وهو نحو قوله تعالى أو ائتك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم  
 وما كانوا يتقديرون عليه صلى الله عليه وسلم فالزم ما نأمر لك به ولا يزيدك بردهم عما هم  
 فيه فانما أرسلناك عليهم وكلا عطف عليه قوله تعالى (وما أرسلناك) يا أشرف الخلق بمثلنا  
 من العظمة (الأميرة) بالثواب على الايمان والطاعة (ونذيراً) أى مخوفاً بالعقاب على الكفر  
 والمعصية ثم كانه قيل فماذا أقول لهم اذا طعنوا في الرسالة فقال تعالى (قل) أى لهم يا أكرم  
 الخلق حقيقة وأعد لهم طريقة محتجبا عليهم بازالة ما يكون موضعاً للثمة (ما أسألكم عليه)  
 أى على تليخ ما أرسلت به (من أجر) فتمهوني أى أدعوكم لاجله اذا عرض لي الانفعلكم ثم أكد  
 هذا المعنى بقوله تعالى مستثنيان الاستثناء معيار العموم (الامن) أى الأجر من (شاء) أن  
 يتخذ أى يكلف نفسه ويخالف هواه ويجعل له (الى ربه سبيلاً) فانه اذا اهتدى بهداية ربه كان  
 لي مثل أجره لا تقع لي من جهتكم الا هذا فان سميتم هذا أجراً فهو مطلوب ولا امرية في أنه  
 لا ينقص أحد شيئاً من دياره فأفاد قائدين الاولى أنه لا طمع له أصلاً في شئ ينقصهم والثانية  
 اظهار الشفقة البالغة حيث لم يقصد بنفعهم الموصلة لهم الى ربهم ثواباً لنفسه وقيل الاستثناء  
 منقطع أى لكن من يشاء أن يتخذ الى ربه سبيلاً فليقل وجرى على هذا الجلال المحلى وقال  
 ابن عادل في الاول نظر لانه لم يسند السؤال المتني في الظاهر الى الله تعالى انما أسنده الى  
 المخاطبين فكيف يصح هذا التقدير انتهى وقرأ قالون والبري وأبو عمرو وبسقاط الهمزة  
 الاولى مع المد والقصر وسهل ورش وقيل الثانية ولهما أيضاً البداهة والقوا والساقون بتصديق  
 الهمزتين • ولما بين تعالى أن الكفار يتظاهرون على ايذانه وأمره أن لا يطلب منهم أجراً  
 أمره أن يتوكل عليه في دفع جميع المضار وجلب جميع المنافع بقوله تعالى (وتوكل) أى أظهر  
 العجز والضعف واستسلم واعتمد في أمره كله ولا سيما في مواجهمهم بالانذار وفي ردهم من عنادهم  
 (على المحي الذي لا يموت) فلا ضياح لمن توكل عليه فانه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الاحياء  
 الذين يموتون فانهم اذا ما تواضع من توكل عليهم وعن بعض السلف انه قرأها فقال لا يصح  
 لنفى عقل أن يتوكل بعد ما مخلوق (وسبح) متلبساً (بجمده) أى تزهمه عن كل نقص مشبته كل كمال  
 وقيل حصل له شكر اعلى نعمه وقيل قل سبحان الله والحمد لله وحده وعلى هذا اقصر الجلال  
 المحلى (وكفى به بدتوب عبادة) أى ما ظهر منها وما بطن وكل ما سواه عبد (خبيراً) أى عالماً مطلقاً  
 فلا يخفى عليه منافية شئ منها وان دق خلاصتك ان آمنوا أو كفروا وهذه الكلمة يراد بها المبالغة

يقال كنى بالعلم كالأو كنى بالأدب مالا وهو معنى حسبك أي لا تحتاج معه إلى غيره لأنه تعالى خير  
بأحوالهم قادر على مكافأتهم وهذا وعيد شديد . ولما أمر الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه  
وسلم أن يتوكل عليه وصف تعالى نفسه بأمر منها أنه حي لا يموت ومنها أنه عالم بجميع  
المعلومات ومنها أنه قادر على كل الممكنات وهو قوله تعالى (الذي خلق السموات والأرض) على  
عظمهما (وما بينهما) من الفضاء والعناصر والعباد وأعمالهم من الذنوب وغيرها ألا يعلم من  
خلق وقوله تعالى (في ستة أيام) أي من أيام الدنيا تعجيب للغبى الجاهل وتدريب للفظن العالم في  
الحلم والناة والصبر على عباد الله تعالى في دعوتهم (فان قيل) الأيام عبارة عن حركة الشمس في  
السموات فقبل السموات لا أيام فكيف قال تعالى في ستة أيام (أجيب) بأنه تعالى خلقها في  
مدة مقدارها هذه الأيام (فان قيل) يلزم على هذا أقدم الزمان وهو ممنوع (أجيب) بأن الله  
تعالى خلق هذه المدة أولاً ثم خلق السموات والأرض فيها بمقدار ستة أيام فلا يلزم من ذلك أقدم  
الزمان وقيل في ستة أيام من أيام الآخرة كل يوم مقدارها ألف سنة وهو بعيد لان التعريف  
لا بد وأن يكون بأمر معلوم لا بأمر مجهول (فان قيل) لم قدر الخلق والايجابهم هذا المقدار  
(أجيب) بأنه يجب على المكلف أن يقطع الطمع عن مثل هذا فإنه بغير لاساحل له من ذلك تقدير  
الملائكة الذين هم أصحاب النار تسعة عشر ووجه العرش بثمانية والشهور وبأثني عشر والسموات  
بالسبع وعدد الصلوات ومقادير النصب في الزكوات والحدود والكفارات فالأقرارات بأن  
كل ما قاله الله حي هو الدين والواجب ترك البحث عن هذه الأشياء وقد نص الله تعالى على  
ذلك في قوله عز وجل وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين  
كفروا ليستيقن الذين أتوا الكتاب ويرداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتاب الذين أتوا الكتاب  
والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً ثم قال تعالى  
وما يعلم جنود ربك إلا هو وهذا جواب أيضاً عن أنه لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك وعن  
سعيد بن جبيرة إنما خلقها في ستة أيام وهو قادر أن يخلقها في لحظة واحدة تعلم خلقه الرفق  
والتبنت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله الله عبد المسلمين وعن مجاهد أول الأيام يوم  
الأحد وآخرها يوم الجمعة . ولما كان تدبير هذا الملك أمر باهراً أشار إليه بأداة التراخي بقوله  
تعالى (ثم استوى على العرش) أي شرع في التدبير لهذا الملك الذي اخترعه وأوجده  
ولا يجوز أن يفسر بالاستقرار لانه يقتضي التغير الذي هو دليل الحدوث ويقتضي التركيب  
وكل ذلك على الله محال (فان قيل) يلزم من ذلك أن يكون خلق العرش بعد خلق السموات  
وقد قال تعالى وكان عرشه على الماء (أجيب) بأن كلمة ثم ما دخلت على خلق العرش بل على رفعه  
على السموات وهو في اللغة سير الملك وفي رفع قوله تعالى (الرحمن) أوجه أحدها أنه خير  
الذي خلق أو خير مبتدأ مضمراً أي هو الرحمن ولهذا أجاز الزجاج وغيره الوقف على العرش ثم  
يتسدى الرحمن أي هو الرحمن الذي لا يقبى السجود والتعظيم إلا له أو يكون بدلاً من الضمير في  
استوى وصلى هذا القصر الجلال المحلى واختلف في معنى الفاء في قوله تعالى (فأسئل به) على

قولين أحدهما أنها على بابها وهي متعلقة بالسؤال والمراد بقوله (خيرا) أي عالم الخبير  
بحقيقته هو الله تعالى ويكون من التجريد كقوله رأيت به أسدا والمعنى فاسأل الله الخبير  
بالاشياء قال الزمخشري أو فاسأل بسؤاله خيرا كقولك رأيت به أسدا أي برؤيته انتهى قال  
الكلبي فقوله به يعود إلى ما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش والباء من  
صلة الخبير وذلك الخبير هو الله تعالى لانه لا دليل في العقل على كيفية خلق السموات والارض  
والاستواء على العرش ولا يعلمها أحد الا الله تعالى والثاني أن تكون الباء بمعنى عن اما  
مطلقا واما مع السؤال خاصة كهذه الآية وكقول علقمة بن عبدة

فان تسألوني بالنساء فاني \* خير بأدواء النساء طيب

والضمير في به لله وخبر من صفات الملك وهو جبريل عليه السلام فعن ابن عباس أن ذلك  
الخبير هو جبريل وانما تقدم لرؤس الآي وحسن النظم وقال ابن جرير الباء في به صلة والمعنى  
فاسأل خيرا وخبيرا انصب على الحال وقيل به يجري مجرى القسم كقوله تعالى واتقوا الله  
الذي تساءلون به وقيل فاسأل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتى تعرف من يشكره  
ومن ثم كانوا يقولون ما تعرف الرحمن الا الذي باليامة يعنون مسيلة الكذاب وكان يقال  
له رجن اليمامة وقيل فاسأل بسبب سؤالك اياه خيرا عن هذه الامور وكل أمر تريد في خبرك  
بحقيقة أمره ابتداء وحالا وما لا فلا يضيق صدرك بسبب هؤلاء المدعويين فانه ما أرسلك  
الار هو عالم بهم فيسبغ عليك عليهم ويحسن لك العاقبة وقرأ ابن كثير والكسائي بالنقل وكذا  
يقرأ حجة في الوقف والباقون بسكون السين وفتح الهمزة \* ولما ذكر تعالى احسانه اليهم  
وانعامه عليهم ذكرا ما أبدوه من كفرهم في موضع شكرهم بقوله (واذا قيل لهم) أي من أي  
قائل قال لهؤلاء الذين يتقلبون في نعمه (اسجدوا) أي اخضعوا بالصلاة وغيرها (للرحمن) أي  
الذي لانعمة لكم الامنه (قالوا وما الرحمن) متجاهلين في معرفته فضلا عن كفر نعمته معبرين  
بأداة ما لا يعقل وقال ابن عربي انما عبروا بذلك اشارة الى جهلهم بالصفة دون الموصوف ثم  
عجبوا من أمره بذلك منكرين عليه بقواهم (أنسجدوا أمرنا) فعبروا عنه بعد التصاهل في  
أمره والانكار على الداعي اليه أيضا بأداة ما لا يعقل (وإادهم) أي هذا الأمر الواضح المقتضى  
للإقبال والسكون شكر النعمة وطمع في الزيادة (نفورا) أي عن الايمان والسجود  
(تنبيه) \* هذه السجدة من عزائم سجود التلاوة يسن للقارئ والمستمع والسماع أن يسجد  
عند قراءتها أو سماعها وقرأوا إذا قيل لهم هشام والكسائي بالاشباع وضم القاف مع سكون  
الياء والباقون بكسر القاف وقرأ المأبأمرنا حجة والكسائي بالياء التنبيه والباقون بالتاء  
الفوقية وأبدل ودرش والسوسى الهمزة وقفوا وصلوا وحجزه وقفوا وصلوا \* ولما حكى تعالى عن  
الكفار من يذنب النفرة عن السجود وذكرا ما لوتشكر وافية لعرفوا وجوب السجود والعبادة للرحمن  
قال عز من قائل (تساولك) أي بنت ثباتا لتظير له (الذي جعل في السماء) التي تقدم أنها اخترعها  
واختلف في معنى قوله (بروجا) فقال الزجاج ويجهاد وقيادة هي النجوم الكبار سميت بروجها

لظهورها وقال عطية العوفي هي المقصورة فيها الحرس كما قال تعالى ولو كنتم في بروج مشيدة  
 وقال عطية عن ابن عباس هي الاثنا عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي  
 الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس  
 والجدي والدلو والحوت فالحمل والعقرب بيتا للمريخ والثور والميزان بيتا للزهرة والجوزاء  
 والسنبلة بيتا عطارد والسرطان بيت القمر والاسديت الشمس والقوس والحوت بيتا  
 المشتري والجدي والدلو بيتا زحل وهذه البروج مقسومة على الطبائع الاربعة فيكون  
 نصيب كل واحد منها ثلاثة بروج تسمى الثلثات فالحمل والاسد والقوس مثلثة نارية  
 والثور والسنبلة والجدي مثلثة ارضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان  
 والعقرب والحوت مثلثة مائية (ويجعل فيها) أي السماء وقيل البروج (مراجا) أي شمسا  
 وقرأ حزة والكسائي بضم السين والراء على الجمع للتنبية على عظمتها في ذلك من حيث انه أعظم  
 من ألوف من السرج فهو قائم مقام الوصف كما في الذي بعده كما سيأتي وقيل المراد بالجمع  
 الشمس والكواكب الكبار والباقون بكسر السين وفتح الراء وألف بعدها على التوحيد  
 (وقرأ منبرا) أي مضياً بالليل \* ولما ذكر تعالى هاتين الآيتين ذكر ما هما آيات به قوله تعالى (وهو  
 الذي جعل الليل) أي الذي آتته القمر (والنهار) أي الذي آتته الشمس (خليفة) أي ذوى  
 حالة معروفة في الاختلاف فيأتي هذا خلف ذلك بضد ما له من الاوصاف وقال ابن عباس  
 والحسن يعني خلفا وعضوا يقوم أحدهما مقام صاحبه فن فاته عمله في أحدهما قضاءه في الآخر  
 قال شقيق جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال فاتني الصلاة الليلة قال أدرك  
 ما فانتك من ليلتك في نهارك فان الله عز وجل جعل الليل والنهار خليفة (لمن أراد أن يذكر) أي  
 يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم أنه لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على  
 العباد وقرأ حزة بسكون الذال وضم الكاف مخففة من ذكر بمعنى تذكر والباقون بفتح الكاف  
 والذال مشددين (أو أراد شكورا) أي شكر نعمة ربه عليه من الاتيان بكل منهم ما بعد  
 الآخر لاجتناء ثمراته ولو جعل أحدهما دائما لفاتت مصالح الآخر ولحصلت السامة  
 والملل منه والتواني في الامور المقدرة بالاقوات وقتر العزم الذي انما يشيره لتداركها دخول  
 وقت آخر وغير ذلك من الامور التي أحكمها العلي الكبير وعن الحسن من فاته عمله من  
 التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعجب ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعجب  
 \* ولما ذكر الله تعالى عباده الذين خذلهم بتسلط الشيطان عليهم فصاروا حريبا ولم يرضفهم الى  
 اسم من اسمائه ايذانا باهانتهم له وانهم عنده أشار الى عباده الذين أخلصهم لنفسه بقوله تعالى  
 (وعباد الرحمن) فأضافهم اليه رفعة لهم وان كان الخلق كلهم عباده وأضافهم الى وصف  
 الرحمة الابلغ الذي أنكره أولئك تبشير لهم \* ثم وصفهم بضد ما وصف به المتكبرين عن السجود  
 إشارة الى أنهم تخلفوا من هذه الصفة التي أضيفوا اليها بصفات كثيرة الصفة الاولى قوله  
 تعالى (الذين يمشون) وقال تعالى (على الارض) تذكر ايمانهم بصبرون اليه وحذاء على السجود في

معالي الاخلاق (هونا) أي هينين أو مشايهيننا مصدر وصفه مبالغة والهون الرفق واللين  
ومنه الحديث أحب حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون هينون والمثل اذا عزأ خولك فهن والمعنى  
اذا عاسر في اسر والمعنى أنهم يعيشون بسكينة وتواضع وقار لا يضررون لو قارهم بأقدامهم ولا  
يحققون بنعالهم أشرا وبطرا ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الاسواق لقوله تعالى ويعشون  
في الاسواق (تنبيه) \* عبدا مرفوع بالابتداء وفي خبره وجهان أحدهما الجملة الاخيرة  
في آخر السورة أولئك يجزون وبه بدأ الرخصري والذين يعيشون وما بعده صفات للمبتدأ والثاني  
أن الخبر الذين يعيشون الصفة الثانية (واذا خاطبهم الجاهلون) أي بما يكرهون (قالوا اسلاما)  
أي تسلمنا منكم لانجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر أي فسلم منكم تسلمنا فاقم السلام  
مقام التسلم وقيل قالوا سدا من القول أي يسلمون فيه من الائم والايذاء وليس المراد التسمية  
لان المؤمنين لم يؤمر وبالسلام على المشركين وعن أبي العالية نسختها آية القتال ولا حاجة الى  
ادعاء النسخ بآية القتال ولا غيرها لان الاعضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب  
والمرأة والتسريعة أسلم للعرض والورع وأطلق الخطاب اعلاما بأن أكثر خصال الجاهل وهو  
الذي يخالف العلم والحكمة الجهل وهو السفه وقوله الادب من قوله

الا لا يجهلن أحد علينا \* فجهل فوق جهل الجاهلينا

\* ولما ذكر تعالى ما بينهم وبين الخلق ذكر ما بينهم وبينه وهي الصفة الثالثة بقوله تعالى (والذين  
يبيتون) من البيوتة قال الزجاج كل من أدركه الليل قبل بات وان لم ينام كما يقال بات فلان  
قلقا والمعنى يبيتون (لربهم) أي المحسن اليهم (سجدا) على وجوههم في الصلاة وقدمه لانه أنهى  
الخضوع وأخر عنه قوله تعالى (وقياما) أي على أقدامهم وان كان تطويل القيام أفضل  
للروى وتخصيص البيوتة لان العبادة بالليل أشق وأبعد من الرياء قال الرخصري والظاهر  
أنه وصف لهم يا حياء الليل أو أكثره وقيل من قرأ شيئا من القرآن في صلاة وان قل فقد بات  
ساجدا وقامعا وقال ابن عباس من صلى بعد العشاء ركعتين فقد بات ساجدا وقامعا وقيل هما  
الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى عشاء الآخرة في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى  
الصبح في جماعة كان كقيام ليلة \* ولما ذكر تعالى تهذيبهم للخلق والخلق وصفهم الله تعالى أنهم  
مع ذلك خائفون وجلون وهي الصفة الرابعة بقوله تعالى (والذين يقولون ربنا) أي المحسن  
الينا (ادبرف عنا عذاب جهنم) قال ابن عباس يقولون في سجودهم وقيامهم هذا القول  
ثم علل سؤلهم بقوله تعالى (ان عذابها كان) أي كونها جبات عليه (غراما) أي هلاكا وخسرانا  
مخالا زما لا ينقك عنه كما قال

ان يعاقب يكن غراما وان يع \* ط جز يلافانه لا يبالى

ومنه الغريم للآزمتة والحاحه فهم يبتلون الى الله تعالى في صرف العذاب عنهم لعدم اعتدادهم  
بأعمالهم ووثوقهم على استمرار أحوالهم \* ولما ثبت لهم هذا الوصف أتبع قوله تعالى (انها ساءت)



أى تنهت هي في كل ما يحصل منه سوء وهي في معنى ينست في جميع المذام (مستقراً) أى موضع استقرار (ومقاماً) أى موضع إقامة \* (تنبيه) \* ساءت في حكم ينست كما مر فقضاياهم يفسره مستقراً والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقراً ومقاماً هي وهذا الضمير هو الذى ربط الجمله باسم ان وجعلها خبراً لها ويجوز أن تكون ساءت بمعنى أحرزت فقضاياهم اسم ان ومستقراً حال أو تمييز والتعليل ان يصح أن يكونا متداخلين أو مترادفين وأن يكونا من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم \* ولما ذكر تعالى أفعالههم وأقوالهم أتبع ذلك بذكر اتفاقهم وهو الصفة الخامسة بقوله تعالى (والذين إذا أنفقوا) أى للخلق أو الخلق فى واجب أو مستحب أو مباح (لم يسرفوا) أى لم يجاوزوا الحد فى النفقة بالتبذير فيضيءوا الاموال فى غير حقها (ولم يفتروا) أى لم يضيعوا فيضيعوا الحقوق (وكان) أى اتفاقهم (بين ذلك) أى الاسراف والاقتار (قواماً) أى وسطاً \* (تنبيه) \* اسم كان ضمير يعود على الاتفاق المفهوم من قوله تعالى انفقوا وخبرها قواماً وبين ذلك معمول له وقيل غير ذلك وذكر المقسرون فى الاسراف والتقير وجوهاً أحدها قال الرازى وهو الاقوى وصفهم بالقصد الذى هو بين الغلو والتقير وبمثل أمر صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط اذ يقال ما عال من اقتصد وسأل رجل بعض العلماء ما البناء الذى لا سرف فيه قال ما سترك من الشمس وأكنك من المطر قال فما الطعام الذى لا سرف فيه قال ما سد الجوعه قال فما اللباس الذى لا سرف فيه قال ما ستر عورتك وأدفاك من البرد \* نايها وهو قول ابن عباس الاسراف النفقة فى معصية الله تعالى والاقتار منع حق الله تعالى وقال مجاهد لو أنفق أحد مثل جبل أى قيس ذهباً فى طاعة الله تعالى لم يكن سرفاً ولو أنفق صاعاً فى معصية الله تعالى كان سرفاً وقال الحسن لم ينفقوا فى معاصى الله ولم يسكوا عما ينبغى وأنشدوا

ذهب المال فى جد وخير \* ذهب لا يقال له ذهب

وسمع رجل رجلاً يقول لا خير فى الاسراف فقال لا اسراف فى الخير وعن عمر بن عبد العزيز انه ساءت كسر عبد الملك بن مروان حين تزوجه ابنته وأحسن اليه فقال وصلت الرحم وفهات وصنعت وجاء بكلام كثير حسن فقال ابن عبد الملك انما هو كلام أعداه لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد أيام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته وأحواله فقال النفقة بين الشيتين فعرف عبد الملك أنه أراد ما فى هذه الآية فقال لانه يابى هذا أيضاً مما أعداه \* وثالثها السرف بمجاوزة الحد فى التتم والتوسع فى الدنيا وان كان من حلال لانه يؤدى الى الخلاء وكسر قلوب الفقراء فكانت الصحابة لا يأكلون طعاماً للتتم واللذة ولا يلبسون ثياباً للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون ما يستجدونهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يسترعوناتهم ويقومون من الحر والبرد وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه كفى سرفاً أن لا يشهى الرجل شيئاً الا اشتراه فأكله وقرأ نافع وابن عامر يفتروا بضم التحتية وكسر الفوقية من اقترابن كثير وأبو عمرو بفتح التحتية وكسر الفوقية والكوفيون بفتح التحتية وضم الفوقية \* ولما

ذكر تعالى ما قصه من أصول الطاعات أتبعه بذكر ما تخلوا عنه من أمهات المعاصي التي هي  
 القسوة والمنكر وهو الصفة السادسة بقوله تعالى (والذين لا يدعون) أي رجة لانفسهم  
 واستعمال العدل (مع الله) أي الذي اختص بصفات الكمال (الها آخر) أي دعاء جليبا بالعبادة  
 ولا خفا بالرياء ولما نفي عنهم ما يوجب قتل أنفسهم بخسارتهم اياها أتبعه نفي قتل غيرهم بقوله  
 سبحانه (ولا يقتلون النفس) رجة للخلق وطاعة للخالق ولما كان من الانفس ما لا حرمة له بين  
 المراد بقوله تعالى (التي حرم الله) أي منع من قتلها (الابالحق) أي بأن تعمل ما يبيح قتلها ولما  
 ذكر القتل الجلي أتبعه الخلق بتضييع نسب الولد بقوله تعالى (ولا يزنون) أي رجة للمزني بها  
 ولا قاربها ان تنهك حرمتهم مع رجة لنفسه على أن الزنا أيضا جاري القتل والفتن وفيه  
 التسبب الى ايجاد نفس بالباطل كما أن القتل سبب الى اعدامها بذلك وقد روى في الصحيح عن  
 عبد الله بن مسعود أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي الذنب أعظم وفي رواية أكبر عند الله  
 قال أن تدعوتك ندا وهو خالقك قال ثم أي قال أن تقتل ولداك مخافة أن يطعم معك ثم أي  
 قال أن تزاني حليمة جارية فأنزل الله تصديق ذلك والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآية (وقد  
 استشكل) تصديق هذه الآية للخبر من حيث ان الذي فيه قتل خاص وزنا خاص والتقييد بكونه  
 أكبر والذي فيه مطلق القتل والزنا من غير تعرض لعظم (وأجيب) بدفع الاشكال بأنها ناطقت  
 بتعظيم ذلك من سبعة أوجه الاول الاعتراض بين المبتدأ الذي هو وعباد الرحمن وما عطف عليه  
 والخبر الذي هو أولئك يجوزون الغرقه على احدى الروايتين بذكر هذه الثلاثة خاصة وذلك دال  
 على مزيد الاهتمام الدال على الاعظام الثاني الاشارة بأداة البعد في قوله تعالى (ومن يفعل  
 ذلك) أي هذا الفعل العظيم القبيح مع قرب المذكورات فدل على أن البعد من رتبتهافهو اشارة  
 الى جميع ما تقدم لانه بمعنى ما ذكر فلذلك وحده وأدغم لام يفعل في المذال أبو الحارث والباقون  
 بالاظهار الثالث التعبير بالتي مع المصدر المزيد الدال على زيادة المعنى في قوله (يلق أناما) دون  
 يأنم ويلق أنما أي جزاء اغم الرابع التقييد بالمضاعفة في قوله تعالى مستأفها (يضاعف) بأسهل  
 أمر (له العذاب) جزاء ما أتبع نفسه هوها الخامس التحويل بقوله تعالى (يوم القيامة)  
 الذي هو أهول من غيره بما لا يقاس السادس الاخبار بالملود الذي أقل درجته أن يكون  
 مكناطويلا بقوله تعالى (ويحذفه) وقرا يضاعف ويحذف ابن عامر وشعبة برفع الفاء والدال  
 والباقون يجزموها وأسقط الالف من يضاعف مع تشديد العين ابن كثير وابن عامر فالجزم على  
 أنهم ما بدلان من يلقي بدل اشتغال والرفع على الاستئناف السابع التصريح بقوله تعالى  
 (مهانا) فلما أعظم الامر من هذه الاوجه علم أن كلام من هذه الذنوب صغير واذ كان  
 الاعم كبيرا كان الاخص المذكورا أعظم من مطلق الاعم لانه زاد عليه بما صار به خاصا فثبت  
 بهذا أنها كما تروان قتل الولد والزنا بحليمة الجار أكبر ما ذكر فوجد تصديق الآية للخبر وقرا  
 حفص مع ابن كثير بصله الها بالياء من فيه قبل مهانا (فان قيل) ذكر أن من صفات عباد  
 الرحمن صفات حسنة فكيف يليق بعد ذلك أن يظهرهم عن الامور العظيمة مثل الشرك والقتل

والزنا فلو كان الترتيب بالعكس كان أولى (أجيب) بأن الموصوف بتلك الصفات السابقة قد يكون متمسكا بالشرك تدينا ويقتل المؤودة تدينا وبالزنا تدينا فبين تعالى أن المراد لا يصير بتلك الخصال وحدها من عباد الرحمن حتى يجتنب تلك الكبائر وأجاب الحسن بأن المقصود من ذلك التنبيه على الفرق بين سيرة المسلمين وسيرة الكفار كانه قال تعالى وعباد الرحمن الذين لا يدعون مع الله الها آخروا أنتم تدعون ولا يقتلون ولا يقتلون وأنتم تقتلون المؤودة ولا يزنون وأنتم تزنون \* ولما أتم تعالى تهديد الضجارج على هذه الاوزار اتبعه ترغيب الابرار الى العزيز الغفار بقوله تعالى (الامن تاب) أى يرجع عن كل شئ كان فيه من هذه النقائص (وآمن) أى أوجد الاساس الذى لا يثبت عمل بدونه وهو الايمان وأكدر رجوعه بقوله تعالى (وعمل عملا صالحا) أى مؤسسا على أساس الايمان (فان قيل) العمل الصالح يدخل فيه التوبة والايان فذكرهما قبل العمل الصالح يستغنى عنه (أجيب) بأنهما أفردا بالذكر لعلو شأنهما \* (تنبيه) \* اختلف في هذا الاستثناء على وجهين أحدهما أنه استثناء متصل وهو ما دل عليه كلام الجمهور لانه من الجنس والثاني أنه منقطع ورجحه أبو حيان مع اللابان المستثنى منه محكوم عليه بأنه يضاعف له العذاب فيصير التقدير الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فلا يضاعف له العذاب ولا يلزم من انتفاء التضعيف انتفاء العذاب غير المضعف بخلافه في المنقطع فان التقدير لكن من تاب الى آخره فلا ياتي عذابا البتة ووجه كلام الجمهور بأن ما ذكر ليس يلزم اذا المقصود الاخبار بان من فعل كذا فانه يحصل به ما ذكر الا أن يتوب وأما اصابه أصل العذاب وعدمه فلا تعرض في الآية ثم زاد تعالى في الترغيب بالايان بالفاء ربطا للجزء بالشرط دليل على أنه سببه فقال تعالى (فأولئك) أى العالو المنزلة (يبدل الله) أى الذى له العظمة والكبرياء (سيئاتهم حسنات) قال ابن عباس ومجاهد هذا التبديل فى الدنيا فيبدل الله تعالى قبايح أعمالهم فى الشرك بحسان الاعمال فى الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا ويقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا احصانا وعفة فكانه تعالى يشرهم بتوفيقهم لهذه الاعمال الصالحة فيستوجبوا بها الثواب وقال الزجاج ان السيئة بعينها لا تصير حسنة فالتأويل أن السيئة تحمى بالتوبة وتكتب مع التوبة حسنة والكافر يحبط الله عمله ويثبت عليه السيئات وقال سعيد بن المسيب ومكحول ان الله تعالى يحو السيئة عن العبد ويثبت له بدلها الحسنه بحكم هذه الآية وهذا هو ظاهر الآية ويبدل له ما روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى لا أعلم آخر رجل يخرج من النار رجل يوفى به يوم القيامة فيقال له اعرضوا عليه صفار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فاعرض عليه صفارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا وعلمت يوم كذا وكذا وكذا وكذا فيقول نعم فلا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له ان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يا رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا قال أبو هريرة فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه (وكان الله) أى الذى له الجلال والاکرام على الاطلاق أن لا وأبدا (غفورا) أى ستور الذنوب ككل من تاب بهذا الشرط (رحيما) به بأن يعا له بالا كرام كما

يعامل المرحوم فيه عليه مكان كل سيئة حسنة روى البخاري عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في أهل الشرك ولم تنزل صدورها قال أهل مكة قد عدلنا بالله وقتلنا النفس التي حرم الله وأئمتنا القوا حشر فأنزل الله الامن تاب الى رحمة روى البخاري في التفسير ان ناسا من أهل الشرك كانوا قتلوا قاتلا كثيرا ووزنوا قاتلا كثيرا فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعوا اليه احسن لو تخبرنا ان لما عملنا ككفارة فنزلت هذه الآية ونزل قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله (ومن تاب) أي عن ذنوبه غير ما ذكر (وعمل) تصديقا لادعائه التوبة (صالحا) ولو كان كل من نيته وعمله ضعيفا ورغب سبحانه في ذلك بقوله تعالى معلما أنه يصل الى الله (فانه يتوب) أي يرجع واصلا (الى الله) أي الذي له صفات الكمال فهو يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات (متابا) أي رجوعا مرضيا عند الله بأن يرغبه تعالى في الاعمال الصالحة فلا يزال كل يوم في زيادة نيته وعمله فيخف عليه ما كان ثقيلا ويتيسر عليه ما كان عسيرا ويسهل عليه ما كان صعبا كما مر في ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم مدحهم ربهم بايمانهم ولا يزال كذلك حتى يحببه فيكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها بأن يوفقه للخير فلا يسمع الا ما يرضيه وهكذا وما وصف سبحانه وتعالى عباده بأنهم تحلوا بأصول الفضائل وتخلوا عن أمهات الرذائل ورغب في التوبة لان الانسان ليجزه لا ينفك عن النقص مدحهم بصفة أخرى وهي الصفة المذكورة في قوله تعالى (والذين لا يشهدون) أي لا يحضرون (الزور) أي القول المتخرف عن الصدق كذبا كان أو مقاربا له فضلا عن أن يتقوه هو ابه للخير فلا يسمعه وأيقروا عليه في مواضع عيسى بن مريم عليه السلام اياكم وبجملة الخطاين ويحتمل أنهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنظلية اللهو والغناء وعن مجاهد أعباد المشركين ثم عطف عليه بما هو أعم منه بقوله تعالى (واذا مروا باللغو) أي الذي ينبغي أن يطرح من الكلام القبيح وغيره (مروا كراما) أي أمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ان تعلق بهم أمر أو نهى إشارة أو عبارة على حسب ما يرون نافعاً فان لم يتعلق بهم ذلك كانوا معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه لقوله تعالى وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنأعمالنا ولكم أعمالكم عليكم لا تبتغي الجاهلين ومن ذلك الاعضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكفاية عما يسبغها من التصريح به وعن الحسن لم تشقهم المعاصي وقيل إذا سمعوا من الكفاة والاذى أعرضوا عنه \* ثم ذكر الصفة الثامنة بقوله تعالى (والذين إذا ذكروا) أي ذكروهم غيرهم كأنهم كانوا لانهم يعرفون الحق بنفسه لا بقتاله (بآيات وبيهم) أي الذي وفقهم ليدركوا احسانه اليهم في حسن تربيته لهمم بالاعتبار بالآيات المرئية والمسموعة (لم يحزوا) أي لم يسقطوا (عليها صما) أي غير واعين لها (وعيانا) أي غير متبصرين بما فيها كن لا يسمع ولا يبصر كما يبصر كابي جهل والاحسن بن شريق بل خروا سامعين باذان واعية مبصرين بصيون راعية فالمراد من التي نفي الحال وهي صما وعيانا نادون

الفعل وهو الحزور والمراد نفي القيد دون المقيد كما تقول لا يلقاني زيد مسلما عوتني للسلام  
 للقاء • الصفة التاسعة المذكورة في قوله تعالى (والذين يقولون) أي علم منهم بعد اتصافهم  
 بجميع ماضى أنهم أهل للإمامة (ربنا هب لنا من أزواجنا) اللاتي قرنتهن بنا كما فعلت بنبينا  
 محمد صلى الله عليه وسلم قد حث أزواجه في كلامك القديم وجعلت مدحهن يتلى على تعاقب  
 الأزمان والسنين (وذرياتنا قررة أعين) لنا بأن نراهم مطيعين لك ولا شئ أسر للمؤمن من أن يرى  
 حبيبهم بطبع الله تعالى وعن محمد بن كعب ليس شئ أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده  
 يطيعون الله وعن ابن عباس هو الولد إذا رآه يكتب الفقه وخصوا الأزواج والذرية بذلك لأن  
 الأقربين أولى بالمعروف \* (تنبيهه) \* من في قوله تعالى من أزواجنا يحتمل أن تكون بيانية  
 كأنه قيل هب لنا قررة أعين ثم بيئت القررة وفسرت بقوله من أزواجنا وذرياتنا ومعناه ان اجعلهم  
 لهم قررة أعين وهو من قواهم رأيت منك أسدا أي أنت أسد وأن تكون ابتدائية على معنى هب  
 لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة واصلح وأتوا بجمع القسلة في أعين لأن المتقين الذين  
 يفعلون الطاعة ويسرون بها قليلون في جنب العاصين وقيل سألوها أن يلحق الله بهم أزواجهم  
 وذرياتهم في الجنة ليم لهم سرورهم ووجد القررة لانهم مصدر وأصلها من البرذلات العرب  
 تتأذى من الحزوت وتروح الى البرد وتذكر قررة العين عند السرور وخصنة العين عند الحزن ويقال  
 دمع العين عند السرور بارد وعند الحزن حار وقال الأزهرى معنى قررة العين أن يصادف  
 قلبه من برضاه فتقر عينه عن النظر الى غيره وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص بألف بعد  
 الياء على الجمع والباقون بغير ألف على الأفراد (واجعلنا للمتقين اماما) أي أئمة يقتدون بنا في  
 أمر الدين بإضافة العلم والتوفيق للعامل فاكثرت بالواحد دلالة على الجنس ولعدم التلبس  
 بكقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا أو أرادوا واجعل كل واحد منا أو أرادوا جمع أم كصائم  
 وصيام أو أرادوا اجعلنا اماما واحدا للاتحاد واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الآية ما يدل على  
 ان الرياسة في الدين يحسن أن تطلب ويرغب فيها وقال الحسن فقتدى بالمتقين ويقتدى  
 المتقون بنا وقيل هذا من المقلوب أي واجعل المتقين لنا اماما واجعلنا مؤتمنين مقتدين بهم وهو  
 قول مجاهد وقيل نزلت هذه الآية في العشرة المبشرين بالجنة • ولما بين تعالى صفات المتقين  
 المخلصين بين بعده احسانه اليهم بقوله تعالى (أولئك) أي العالو الرتبة العظيمة العظيم المنزلة  
 (يجزون) أي فضلا من الله تعالى على ما وفقهم له من هذه الاعمال الزاكية والاحوال  
 الصافية (الغرفة) أي الغرفات وهي العلالى في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد الدال  
 على الجنس والدليل على ذلك قوله تعالى وهم في الغرفات آمنون وقيل هي من أسماء الجنة  
 • ولما كانت القرب في غاية التعب لما فاتها الشهوات النفس وهو اها وطبع البدن رغب فيها  
 بأن جعلها سببا لهذا الجزاء بقوله تعالى (بصبروا) أي أوقعوا الصبر على أمر ربههم ومرارة  
 غريبتهم بين الجاهلين في أفعالهم وأقوالهم وأحوالهم وغير ذلك من معالي خلالهم • ولما كان  
 المنزل لا يطيب الا بالكرامة والسلامة قال تعالى (ويلقون فيها) أي الغرفة (تحية) أي دعاء

الحياة من بعضهم لبعض ومن الملائكة الذين لا يرد دعائهم ولا يعترى في اخبارهم لانهم عن الله تعالى ينطقون وذلك على وجه الاعظام والاكرام مكان ما أهاثهم عباد الشيطان وقيل ملكا وقيل بقاء دائما (وسلاما) أي من الله والملائكة وغيرهم وسلامة من كل آفة مكان ما أصابوهم بالمصائب اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا من أهل رحمتك وارزقنا مما رزقتهم في دار رضوانك يا أرحم الراحمين وقرأ حمزة والكسائي وشعبة بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف من لقي كما قال تعالى فوف يلقون غيا والباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف أي يجعلهم الله تعالى لاقين بأيسر أمر كما قال تعالى ولقاهم نصره وسرورا (خالد بن قيس) أي الغرفة لا يوتون ولا يخرجون مكان ما أزعجهم من ديارهم حتى هاجروا ودل على علو أمرها وعظيم قدرها بابرار مدحها في مظهر التعجب بقوله تعالى (حسنت) أي ما أحسنها (مستقرا) أي وضع استقرار (ومقاما) أي موضع إقامة وهذا مقابل ساءت ومثله في الاعراب ولما شرح سبحانه وتعالى صفات المتقين وأثنى عليهم من أجلها وشرح نوابهم أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (فل) أي لكفار مكة (ما يعبا) أي ما يصنع (بكم) أي الكافرون من عبأت الجيوش أو لا يعتد بكم (ربي) أي المحسن إلى واليكم برحمانيته المخصص لي بالاحسان برحميته وانما خص بالاضافة لاعترافة دونهم (لولا دعائكم) أي عبادتكم وما متضمنة لعني الاستفهام وهي في محل النصب وهي عبارة عن المصدر كانه قيل وأي عب يعبا بكم لولا عبادتكم وطاعتكم اياه كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (فقد كذبتم) بما أخبركم به حيث خالفتموه وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وقال قوم ما يعبا ما يالي بمعنى فترتكم ربي لولا دعائكم معه آلهة وما يفعل بعد ابكم لولا شرككم كما قال تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم لولا دعائكم أي نداؤكم في الشدائد كما قال تعالى فاذا ركبو في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وقوله تعالى فاخذناهم بالأساء والضراء لعلمهم يتضرعون ويجوز أن تكون ما نافية ويجرى على ذلك الجلال الهلي (فسوف) أي قسيب عن تكذيبكم أن يجازي بكم على ذلك ولكنه مع قدرته واختياره وقوته لا يعاجلكم بل (يكون) جزاء هذا التكذيب عند انقضاء ما ضربه لكم من الآجال (لزاما) أي لازما يصح بكم لا محالة فاعتمدوا وتهموا ذلك اليوم فكل آت قريب وكل بعيد عندكم قريب عنده وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لو زم بين القتل لزاما قتل منهم تسعون وأسر منهم سبعون وعن ابن مسعود خس قدمضين الدخان والقمر والروم والبطنة والليزام وما رواه البضاوي تبع اللز مخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن من

قرأ سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بأن الساعة آتية

لا ريب فيها وادخل الجنة بغير حساب

حديث موضوع

والله أعلم

• (تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث أوله سورة الشعراء) •

(فهرسة الجزء الثاني من تفسير الخطيب الشرييني)

سورة الرعد ١٤٣	سورة يوسف عليه السلام ٨٧	سورة هود عليه السلام ٤٢	سورة يونس عليه السلام ٢
سورة الاسراء ٢٧٣	سورة النمل ٢١٤	سورة الحجر ١٩٢	سورة ابراهيم عليه السلام ١٦٧
سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ٢٩٤	سورة طه عليه الصلاة والسلام ٢٤٧	سورة مريم عليها السلام ٤١٢	سورة الكهف ٢٢٧
سورة الفرقان ٦٤٦	سورة النور ٥٩٥	سورة المؤمنين ٥٦٩	سورة الحج ٥٢٥

\* (تمت) \*